كتاب

المواعظ والاعتبار

بذكر الخطط والآثار

المعروف بالخطط المقريزية

تأليف

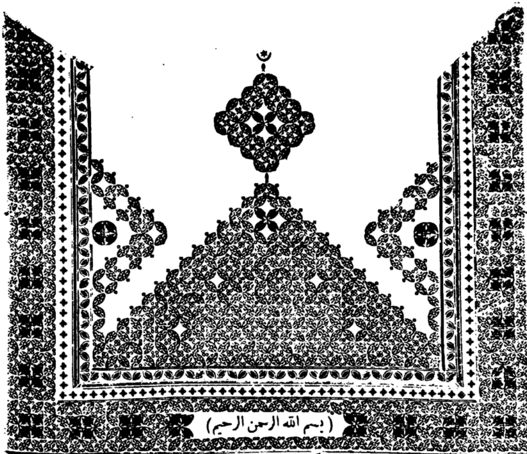
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

دار صادر
بيروت



الجزء الثاني من كتاب الخطط والآثار في مصر والقاهرة
والنيل وما يتعلق بها من الاخبار للشيخ
الامام علامة الانام تقي الدين احمد بن
علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه
الله ونفع بعلومه
امين



(ذكر حارات القاهرة وظواهرها)

قال ابن سيده والحارة كل محلة دنت منازلها قال والمحلة منزل القوم وبالقاهرة وظواهرها عدة حارات وهى * (حارة بهاء الدين) هذه الحارة كانت قديما خارج باب الفتوح الذى وضعه القائد جوهر عندما اختط أساس القاهرة من الطوب النئ وقد بقى من هذا الباب عقدة برأس حارة بهاء الدين وصارت هذه الحارة اليوم من داخل باب الفتوح الذى وضعه امير الجيوش بدر الجمالى وهو الموجود الآن وحد هذه الحارة عرضا من خط باب الفتوح الآن الى خط حارة الوراقة بسوق المرحلين وحدها طولا فيما وراء ذلك الى خط باب القنطرة وكانت هذه الحارة تعرف بحارة الريحانية والوزيرية وهما طائفتان من طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين فان بها كانت مساكنهم وكان فيها لهاتين الطائفتين دور عظيمة وحوانيت عديدة وقيل لها أيضا بين الحارتين واتصلت العمارة الى السور ولم تزل الريحانية والوزيرية بهذه الحارة الى أن كانت واقعة السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بالعبيد

حارة بهاء الدين

(ذكر واقعة العبيد)

وسببها أن مؤتمن الخلافة جوهرا أحد الاستاذين المحنكين بالقصر تحدث فى ازالة صلاح الدين يوسف بن ايوب من وزارة الخليفة العاضد لدين الله عندما ضايق اهل القصر وشدد عليهم واستبد بأمور الدولة وأضعف جانب الخلافة وقبض على اكابر اهل الدولة فصار مع جوهر عدة من الامراء المصريين والجند واتفق رأيهم أن يبعثوا الى الفرنج ببلاد الساحل يستدعونهم الى القاهرة حتى اذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا وهم بالقاهرة واجتمعوا مع الفرنج على اخراجه من مصر فسيروا رجلا الى الفرنج وجعلوا كتبهم التى معه فى نعل وحفظت بالجلد مخافة أن يفطن بها فسار الرجل الى البير البيضاء قريبا من بلبيس فاذا ببعض اصحاب صلاح الدين هنالك فأنكر أمر الرجل من اجل أنه جعل النعلين فى يده ورآهما وليس فيهما اثر المشى والرجل رث الهيئة فارتاب وأخذ النعلين وشقهما فوجد الكتب ببطنهما فحمل الرجل والكتب الى صلاح الدين فتتبع خطوط الكتب حتى عرفت فاذا الذى كتبها من اليهود الكتاب فأمر بقتله فاعتصم بالاسلام وأسلم وحدثه الخبر فبلغ ذلك مؤتمن الخلافة فاستشعر الشر وخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من الخروج منه فأعرض صلاح الدين

المحنكين الحافظين كذا يؤخذ من القاموس

عن

عن ذلك جملة وطال الامد فظن الخصى انه قد أهمل امره وشرع يخرج من القصر وكانت له منظرة بناها بناحية الخرقانية فى بستان فخرج اليها فى جماعة وبلغ ذلك صلاح الدين فأنهض اليه عدة هجموا عليه وقتلوه فى يوم الاربعاء لخمس بقين من ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة واحتزوا رأسه وأتوا بها الى صلاح الدين فاشتهر ذلك بالقاهرة واشيع فغضب العسكر المصرى وثاروا بأجمعهم فى سادس عشريه وقد انضم اليهم عالم عظيم من الامراء والعامة حتى صاروا ما ينيف على خمسين ألفا وساروا الى دار الوزارة وفيها يومئذ ساكنا بها صلاح الدين وقد استعدوا بالاسلحة فبادر شمس الدولة فخر الدين توران شاه أخو صلاح الدين وصرخ فى عساكر الغز وركب صلاح الدين وقد اجتمع اليه طوائف من اهله واقاربه وجميع الغز ورتبهم ووقفت الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية والطائفة الفرحية وغيرهم من الطوائف السودانية ومن انضم اليهم بين القصرين فثارت الحروب بينهم وبين صلاح الدين واشتد الامر وعظم الخطب حتى لم يبق الا هزيمة صلاح الدين واصحابه فعند ذلك امر توران شاه بالحملة على السودان فقتل فيها أحد مقدميهم فانكف بأسهم قليلا وعظمت حملة الغز عليهم فانكسروا الى باب الذهب ثم الى باب الزهومة وقتل حينئذ عدة من الامراء المصريين وكثير ممن عداهم وكان العاضد فى هذه الوقعة يشرف من المنظرة فلما رأى اهل القصر كسرة السودان وعساكر مصر رموا على الغز من اعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى أنكوا فيهم وكفوهم عن القتال وكادوا ينهزمون فأمر حينئذ صلاح الدين النفاطين باحراق المنظرة فأحضر شمس الدولة النفاطين وأخذوا فى تطييب قارورة النفط وصوبوا بها على المنظرة التى فيها العاضد فخاف العاضد على نفسه وفتح باب المنظرة زعيم الخلافة أحد الاستادين وقال بصوت عال امير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب أخرجوهم من بلادكم فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا فحمل عليهم الغز فانكسروا وركب القوم أقفيتهم الى أن وصلوا الى السيوفيين فقتل منهم كثير وأسر منهم كثير وامتنعوا هنالك على الغز بمكان فأحرق عليهم وكان فى دار الارمن التى كانت قريبا من بين القصرين خلق عظيم من الارمن كلهم رماة ولهم جار فى الدولة يجرى عليهم فعند ما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة حتى امتنعوا عن أن يسيروا الى العبيد فأحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقا وقتلا ومروا الى العبيد فصاروا كلما دخلوا مكانا أحرق عليهم وقتلوا فيه الى أن وصلوا الى باب زويلة فاذا هو مغلوق فحصروا هنالك واستمر فيهم القتل مدة يومين ثم بلغهم أن صلاح الدين أحرق المنصورة التى كانت اعظم حاراتهم وأخذت عليهم افواه السكك فأيقنوا أنهم قد اخذوا لا محالة فصاحوا الامان فامنوا وذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من ذى القعدة وفتح لهم باب زويلة فخرجوا الى الجيزة فعدا عليهم شمس الدولة فى العسكر وقد قووا بأموال المهزومين وأسلحتهم وحكموا فيهم السيف حتى لم يبق منهم الا الشريد وتلاشى من هذه الواقعة امر العاضد وكان من غرائب الاتفاقات أن الدولة الفاطمية كان الذى افتتح لها بلاد مصر وبنى القاهرة جوهر القائد والذى كان سببا فى ازالة الدولة وخراب القاهرة جوهر المنعوت بمؤتمن الخلافة هذا ثم لما استبد صلاح الدين يوسف بسلطنة الديار المصرية بعد موت الخليفة العاضد لدين الله سكن هذه الحارة الامير الطواشى الخصى بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدى فعرفت به *

(حارة برجوان) منسوبة الى الاستاذ أبى الفتوح برجوان الخادم وكان خصيا ابيض تام الخلقة ربى فى دار الخليفة العزيز بالله وولاه امر القصور فلما حضرته الوفاة وصاه على ابنه الامير أبى على منصور فلما مات العزيز بالله اقيم ابنه منصور فى الخلافة من بعده وقام بتدبير الدولة أبو محمد الحسن بن عمار الكتامى فدبر الامور وبرجوان يشاكله فيما يصدر عنه ويختص بطوائف من العسكر دونه الى أن افسد أمر ابن عمار فنظر برجوان فى تدبير الامور يوم الجمعة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وصار الواسطة بين الحاكم وبين الناس فأمر بجمع الغلمان ونهاهم عن التعرض لأحد من الكتاميين والمغاربة ووجه الى دار ابن عمار فمنع الناس عنها بعد أن كانوا قد احاطوا بها وانتهبوا منها وأمر ان يجرى لاصحاب الرسوم والرواتب جميع ما كان ابن عمار قطعه وأجرى لابن عمار ما كان يجرى له فى ايام العزيز بالله من الجرايات لنفسه ولاهله وحرمه ومبلغ ذلك من اللحم والتوابل خمسمائة دينار فى كل شهر يزيد عن ذلك او ينقص عنه على قدر الاسعار مع ما كان له من الفاكهة وهو فى كل يوم سلة بدينار وعشرة ارطال شمع بدينار ونصف وحمل ثلج وجعل كاتبه أبا العلاء

حارة برجوان

فهد ابن ابراهيم النصرانى يوقع عنه وينظر فى قصص الرافعين وظلاماتهم فجلس لذلك فى القصر وصار يطالعه
بجميع ما يحتاج اليه ورتب الغلمان فى القصر وأمرهم بملازمة الخدمة وتفقد أحوالهم وأزال علل اولياء
الدولة وتفقد امور الناس وأزال ضروراتهم ومنع الناس كافة من الترجل له فكان الناس يلقونه فى داره فاذا
تكامل لقاؤهم ركبوا بين يديه الى القصر ماعدا الحسين بن جوهر والقاضى ابن النعمان فقط فانهما كانا
يتقدمانه من دورهما الى القصر او يلحقانه ويكون سلامهما عليه فى القصر حتى أنه لقب كاتبه فهدا بالرئيس
فصار يخاطب بذلك ويكاتب به * وكان برجوان يجلس فى دهاليز القصر ويجلس الرئيس فهد بالدهليز الاول
يوقع وينظر ويطالع برجوان مايحتاج اليه مما يطالع به الحاكم فيخرج الامر بما يكون العمل به وترقت احوال
برجوان الى أن بلغ النهاية فقصر عن الخدمة وتشاغل بلذاته وأقبل على سماع الغناء واكثر من الطرب وكان
شديد المحبة فى الغناء فكان المغنون من الرجال والنساء يحضرون داره فيكون معهم كأحدهم ثم يجلس فى داره
حتى يمضى صدر النهار ويتكامل جميع اهل الدولة وارباب الاشغال على بابه فيخرج راكبا ويمضى الى القصر
فيمشى من الامور ما يختار بغير مشاورة فلما تزايد الامر وكثر استبداده تجرد له الحاكم ونقم عليه اشياء من تجريه
عليه ومعاملته له بالادلال وعدم الامتثال منها انه استدعاه يوما وهو راكب معه فصار اليه وقد ثنى رجله على
عنق فرسه وصار باطن قدمه وفيه الخف قبالة وجه الحاكم ونحو ذلك من سوء الادب فلما كان يوم الخميس
سادس عشرى شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة انفذ اليه الحاكم عشية للركوب معه الى
المقياس فجاء بعد ما تباطأ وقد ضاق الوقت فلم يكن بأسرع من خروج عقيق الخادم باكيا يصيح قتل
مولاى وكان هذا الخادم عينا لبرجوان فى القصر فاضطرب الناس واشرف عليهم الحاكم وقام
زيدان صاحب المظلة فصاح بهم من كان فى الطاعة فلينصرف الى منزله ويبكر الى القصر المعمور فانصرف الجميع
فكان من خبر قتل برجوان انه لما دخل الى القصر كان الحاكم فى بستان يعرف بدويرة التين والعناب ومعه
زيدان فوافاه برجوان بها وهو قائم فسلم ووقف فسار الحاكم الى أن خرج من باب الدويرة فوثب زيدان على
برجوان وضربه بسكين كانت معه فى عنقه وابتدره قوم كانوا قد أعدوا للفتك به فأثخنوه جراحة بالخناجر
واحتزوا رأسه ودفنوه هنالك ثم ان الحاكم أحضر اليه الرئيس فهدا بعد العشاء الاخيرة وقال له انت كاتبى
وأمنه وطمنه فكانت مدة نظر برجوان فى الوساطة سنتين وثمانية اشهر تنقص يوما واحدا ووجد الحاكم فى
تركته مائة منديل يعنى عمامة كلها شروب ملونة معممة على مائة شاشية وألف سراويل دبيقية بالف تكة حرير
أرمنى ومن الثياب المخيطة والصحاح والحلى والمصاغ والطيب والفرش والصياغات الذهب والفضة مالا يحصى
كثرة ومن العين ثلاثة وثلاثين ألف دينار ومن الخيل الركابية مائة وخمسين فرسا وخمسين بغلة ومن بغال النقل
ودواب الغلمان نحو ثلثمائة رأس ومائة وخمسين سرجا منها عشرون ذهبا ومن الكتب شئ كثير وحمل لجاريته من
مصر الى القاهرة رحل على ثمانين حمارا قال ابن خلكان وبرجوان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح
الجيم والواو وبعد الالف نون هكذا وجدته مقيدا بخط بعض الفضلاء وقال ابن عبد الظاهر ويسمى الوزغ
حارة زويلة — سماه به الحاكم (حارة زويله) قال ابن عبد الظاهر لما نزل القائد جوهر بالقاهرة اختطت كل قبيلة خطة
عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها والبئر التى تعرف ببئر زويلة فى المكان الذى يعمل فيه الآن الروايا
والبابان المعروفان ببابى زويلة وقال ياقوت زويلة بفتح الزاى وكسر الواو وياء ساكنة وفتح اللام اربعة
مواضع الاول زويلة السودان وهى قصبة اعمال فزان فى جنوب افريقية مدينة كثيرة النخل والزرع
الثانى زويلة المهدية بلد كالربض للمهدية اختطه عبد الله الملقب بالمهدى واسكنه الرعية وسكن هو بالمهدية التى
استجدها فكانت دكاكين الرعية وامتعتهم بالمهدية ومنازلهم وحرمهم بزويلة فكانوا يظلون بالنهار
فى المهدية ويبيتون ليلا بزويلة وزعم المهدى انه فعل بهم ذلك ليأمن غائلتهم قال احول بينهم وبين اموالهم ليلا
وبينهم وبين نسائهم نهارا الثالث باب زويلة بالقاهرة من جهة الفسطاط الرابع حارة زويلة محلة كبيرة
بالقاهرة بينها وبين باب زويلة عدة محال سميت بذلك لان جوهرا غلام المعز لما اختط محله بالقاهرة انزل اهل
الحارة المحمودية — زويلة بهذا المكان فتسمى بهم (الحارة المحمودية) الصواب فى هذه الحارة ان يقال حارة المحمودية على الاضافة
فانها عرفت بطائفة من طوائف عسكر الدولة الفاطمية كان يقال لها الطائفة المحمودية وقد ذكرها المسبحى

فى

فى تاريخه مرارا قال فى سنة اربع وتسعين وخمسمائة وفيها اقتتلت الطائفة المحمودية والياناسية واشتبه امر هذه الحارة على ابن عبد الظاهر فلم يعرف نسبتها لمن وقال لا اعلم فى الدولة المصرية من اسمه محمود الا ركن الاسلام محمود بن اخت الصالح بن رزيك صاحب التربة بالقرافة اللهم الا ان يكون محمود بن مصال الملكى الوزير فقد ذكر ابن القفطى ان اسمه محمود ومحمود صاحب المسجد بالقرافة وكان فى زمن السرى ابن الحكم قبل ذلك وهذا وهم آخر فان ابن مصال الوزير اسمه سليمان و ينعت بنجم الدين ووقعت فى هذه الحارة نكتة قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة اربع وتسعين وخمسمائة والسلطان يومئذ بمصر الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وكان فى شعبان قد تتابع اهل مصر والقاهرة فى اظهار المنكرات وترك الانكار لها واباحة أهل الامر والنهى فعلها وتفاحش الامر فيها الى ان غلا سعر العنب لكثرة من يعصره واقيمت طاحون بالمحمودية لطحن حشيشة للبزر وافردت برسمه وحميت بيوت المزر واقيمت عليها الضرائب الثقيلة فمنها ما انتهى أمره فى كل يوم الى ستة عشر دينارا ومنع المزر البيوتى ليتوفر الشراء من مواضع الحمى وحملت أوانى الخمر على رؤس الاشهاد وفى الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله تعالى وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة فى وقت ميسورها *

حارة الجودرية

* (حارة الجودرية) هذه الحارة عرفت ايضا بالطائفة الجودرية أحد طوائف العسكر فى ايام الحاكم بأمر الله على ماذكره المسبحى وقال ابن عبد الظاهر الجودرية منسوبة الى جماعة تعرف بالجودرية اختطوها وكانوا اربعمائة منهم أبو على منصور الجودرى الذى كان فى ايام العزيز بالله وزادت مكانته فى الايام الحاكمية فأضيفت اليه مع الاحباس الحسبة وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك ولها حكاية سمعت جماعة يحكونها وهى انها كانت سكن اليهود والمعروفة بهم فبلغ الخليفة الحاكم انهم يجتمعون بها فى اوقات خلواتهم ويغنون

وأمة قد ضلوا ودينهم معتل * قال لهم نبيهم نعم الادام الخل

ويسخرون من هذا القول ويتعرضون الى ما لا ينبغى سماعه فأتى الى ابوابها وسدها عليهم ليلا وأحرقها فالى هذا الوقت لا يبيت بها يهودى ولا يسكنها ابدا وقد كان فى الايام العزيزية جودر الصقلبى ايضا ضرب عنقه ونهب ماله فى سنة ست وثمانين وثلثمائة * (حارة الوزيرية) هى أيضا تنسب الى طائفة يقال لها الوزيرية من جملة طوائف العسكر وكانت اولا تعرف بحارة بستان المصمودى وعرفت أيضا بحارة الاكراد قال ابن عبد الظاهر الوزيرية منسوبة الى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس وقال ابن الصيرفى والطائفة المنعوتة بالوزيرية الى الآن منسوبة اليه يعنى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس أبو الفرج كان يهوديا من اهل بغداد فخرج منها الى بلاد الشام ونزل بمدينة الرملة واقام بها فصار فيها وكيلا للتجار بها واجتمع فى قبله مال عجز عن ادائه ففر الى مصر فى ايام كافور الاخشيدى فتعلق بخدمته ووثب اليه بالمتجر فباع اليه امتعة احيل بثمنها على ضياع مصر فكثر لذلك تردده على الريف وعرف اخبار القرى وكان صاحب حيل ودهاء ومكر ومعرفة مع ذكاء مفرط وفطنة فمهر فى معرفة الضياع حتى كان اذا سئل عن امر غلالها ومبلغ ارتفاعها وسائر احوالها الظاهرة والباطنة اتى من ذلك بالغرض فكثرت أمواله واتسعت احواله وأعجب به كافور لما خبر فيه من الفطنة وحسن السياسة فقال لو كان هذا مسلما اصلح ان يكون وزيرا فلما بلغه هذا عن كافور تاقت نفسه الى الولاية وأحضر من علمه شرائع الاسلام سرا فلما كان فى شعبان سنة ست وخمسين وثلثمائة دخل الى الجامع بمصر وصلى صلاة الصبح وركب الى كافور ومعه محمد بن عبد الله ابن الخازن فى خلق كثير فخلع عليه كافور ونزل الى داره ومعه جمع كثير وركب اليه اهل الدولة يهنونه ولم يتأخر عن الحضور اليه احد فغص بمكانه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات وقلق بسببه وأخذ فى التدبير عليه ونصب الحبائل له حتى خافه يعقوب فخرج من مصر فارا منه يريد بلاد المغرب فى شوال سنة سبع وخمسين وقد مات كافور فلحق بالمعز لدين الله أبى تميم معد فوقع منه موقعا حسنا وشاهد منه معرفة وتدبيرا فلم يزل فى خدمته حتى قدم من المغرب الى القاهرة فى شهر رمضان سنة اثنين وستين وثلثمائة فقلده فى رابع عشر المحرم سنة ثلاث وستين الخراج وجميع وجوه الاموال والحسبة والسواحل والاعشار والجوالى والاحباس والمواريث والشرطتين وجميع ما يضاف الى ذلك وما يطرأ فى مصر وسائر الاعمال وأشرك معه فى ذلك كله عسلوج بن الحسن وكتب لهما سجلا بذلك قرئ فى يوم الجمعة على منبر جامع احمد بن طولون فقبضت ايدى سائر العمال والمتضمنين وجلس يعقوب وعسلوج فى دار الامارة فى جامع احمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس

حارة الوزيرية

للقبالات وطالبا بالبقايا من الاموال مما على الناس من المالكين والمتقبلين والعمال واستقصيا فى الطلب ونظرا فى المظالم فتوفرت الاموال وزيد فى الضياع وتزايد الناس وتكاشفوا وامتنعا أن يأخذا الا دينارا معزيا فاتضع الدينار الراضى وانحط ونقص من صرفه اكثر من ربع دينار فخسر الناس كثيرا من أموالهم فى الدينار الابيض والدينار الراضى وكان صرف المعزى خمسة عشر درهما ونصفا واشتد الاستخراج فكان يستخرج فى اليوم نيف وخمسون ألف دينار معزية واستخرج فى يوم واحد مائة وعشرون ألف دينار معزية وحصل فى يوم واحد من مال تنيس ودمياط والاشمونين اكثر من مائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار وهذا شئ لم يسمع قط بمثله فى بلد فاستمر الامر على ذلك الى المحرم سنة خمس وستين وثلثمائة فتشاغل يعقوب عن حضور ديوان الخراج وانفرد بالنظر فى أمور المعز لدين الله فى قصره وفى الدور الموافق عليها وبعد ذلك بقليل مات المعز لدين الله فى شهر ربيع الآخر منها وقام من بعده فى الخلافة ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار ففوض ليعقوب النظر فى سائر أموره وجعله وزيرا له فى اول المحرم سنة سبع وستين وثلثمائة وفى شهر رمضان سنة ثمان وستين لقبه بالوزير الاجل وأمر ان لا يخاطبه أحد ولا يكاتبه الا به وخلع عليه وحمل ورسم له فى محرم سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ان يبدأ له فى مكاتباته باسمه على عنوانات الكتب النافذة عنه وخرج توقيع العزيز بذلك وفى هذه السنة اعتقل فى القصر ورد الامر الى خير ابن القاسم فأقام معتقلا عدة شهور ثم اطلق فى سنة أربع وسبعين وحمل على عدة خيول وقرئ سجل برده الى تدبير الدولة ووهبه خمسمائة غلام من الناشئة وألف غلام من المغاربة ملكه العزيز رقابهم فكان يعقوب اول وزراء الخلفاء الفاطميين بديار مصر فدبر أمور مصر والشام والحرمين وبلاد المغرب واعمال هذه الاقاليم كلها من الرجال والاموال والقضاء والتدبير وعمل له اقطاعا فى كل سنة بمصر والشام مبلغها ثلثمائة ألف دينار واتسعت دائرته وعظمت مكانته حتى كتب اسمه على الطرز وفى الكتب وكان يجلس كل يوم فى داره يأمر وينهى ولا يرفع اليه رقعة الا وقع فيها ولا يسأل فى حاجة الا قضاها ورتب فى داره الحجاب نوبا وأجراهم على مراتب وألبسهم الديباج وقلدهم السيوف وجعل لهم المناطق ورتب فرسين فى داره للنوبة لا تبرح واقفة بسروجها ولجمها لهم برد ونصب فى داره الدواوين فجعل ديوانا للعزيزية فيه عدة كتاب وديوانا للجيش فيه عدة كتاب وديوانا للاموال فيه عدة كتاب وعدة جهابذة وديوانا للخراج وديوانا للسجلات والانشاء وديوانا للمستغلات وأقام على هذه الدواوين زمانا وجعل فى داره خزانة للكسوة وخزانة للمال وخزانة للدفاتر وخزانة للاشربة وعمل على كل خزانة ناظرا وكان يجلس عنده فى كل يوم الاطباء لينظروا فى حال الغلمان ومن يحتاج منهم الى علاج أو اعطاء دواء ورتب فى داره الكتاب والاطباء يقفون بين يديه وجعل فيها العلماء والادباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأرباب الصنائع لكل طائفة مكان مفرد وأجرى على كل واحد منهم الارزاق وألف كتبا فى الفقه والقرآآت ونصب له مجلسا فى داره يحضره فى كل يوم ثلاثاء ويحضر اليه الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل يتناظرون بين يديه فمن تآليفه كتاب فى القرآآت وكتاب فى الاديان وهو كتاب الفقه واختصره وكتاب فى آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب فى علم الابدان وصلاحها فى ألف ورقة وكتاب فى الفقه مما سمعه من الامام المعز لدين الله والامام العزيز بالله وكان يجلس فى يوم الجمعة ايضا ويقرأ مصنفاته على الناس بنفسه وفى حضرته القضاة والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث والنحاة والشهود فاذا فرغ من قراءة ما يقرأ من مصنفاته قام الشعراء ينشدون مدائحهم فيه وكان فى داره عدة كتاب ينسخون القرآن الكريم والفقه والطب وكتب الادب وغيرها من العلوم فاذا فرغوا من نسخها قوبلت وضبطت وجعل فى داره قراء وأئمة يصلون فى مسجد داره وأقام بداره عدة مطابخ لنفسه ولجلسائه ولغلمانه وحواشيه وكان ينصب مائدة لخاصته يأكل هو وخواصه من أهل العلم ووجوه كتابه وخواص غلمانه ومن يستدعيه عليها وينصب عدة موائد لبقية الحجاب والكتاب والحواشى وكان اذا جلس يقرأ كتابه فى الفقه الذى سمعه من المعز والعزيز لا يمنع أحد من مجلسه فيجتمع عنده الخاص والعام ورتب عند العزيز بالله جماعة لا يخاطبون الا بالقائد وأنشأ عدة مساجد ومساكن بمصر والقاهرة وكان يقيم فى شهر رمضان الاطعمة للفقهاء ووجوه الناس وأهل الستر والتعفف ولجماعة كثيرة من الفقراء وكان اذا فرغ الفقهاء والوجوه من الاكل معه يطاف عليهم بالطيب * ومرض مرة من علة اصابت يده فقال فيه عبدالله بن محمد بن أبى الجرع

يد الوزير هى الدنيا فان آلمت * رأيت فى كل شئ ذلك الالما
تأمل الملك وانظر فرط علته * من اجله واسأل القرطاس والقلما
وشاهد البيض فى الاغماد سائمة * الى العدا وكثيرا مارو ين دما
وانفس الناس بالشكوى قد اتصلت * كأنما اشعرت من أجله سقما
هل ينهض المجد الا ان يؤيده * ساق يقدم فى انهاضه قدما
لولا العزيز وآراء الوزير معا * تحيفتنا خطوب تشعب الامما
فقل لهذا وهذا انما شرف * لا اوهن الله ركنيه ولا انهدما
كلا كما لم يزل فى الصالحات يدا * مبسوطة ولسانا ناطقا وفما
ولا أصابكما أحداث دهركما * ولا طوى لكما ما عشتما علما
ولا انمحت عنك يا مولاى عافية * فقد محوت بما أوليتنى العدما

وكان الناس يفتون بكتابه فى الفقه ودرس فيه الفقهاء بجامع مصر وأجرى العزيز بالله لجماعة فقهاء يحضرون مجلس الوزير أرزاقا فى كل شهر تكفيهم وكان للوزير مجلس فى داره للنظر فى رقاع المرافعين والمتظلمين ويوقع بيده فى الرقاع ويخاطب الخصوم بنفسه وأراد العزيز بالله ان يسافر الى الشام فى زمن ابتداء الفاكهة فأمر الوزير ان يأخذ الاهبة لذلك فقال يا مولاى لكل سفر أهبة على مقداره فما الغرض من السفر فقال انى أريد التفرج بدمشق لاكل القراصيا فقال السمع والطاعة وخرج فاستدعى جميع ارباب الحمام وسألهم عما بدمشق من طيور مصر واسماء من هى عنده وكانت مائة ونيفا وعشرين طائرا ثم التمس من طيور دمشق التى هى فى مصر عدة فاحضرها وكتب الى نائبه بدمشق يقول ان بدمشق كذا وكذا طائرا وعرفه اسماء من هى عنده وأمره باحضارها اليه جميعها وان يصيب من القراصيا فى كل كاغدة ويشدها على كل طائر منها ويسرحها فى يوم واحد فلم يمض الا ثلاثة ايام او أربعة حتى وصلت الحمائم كلها ولم يتأخر منها الا نحو عشر وعلى جناحها القراصيا فاستخرجها من الكواغد وعملها فى طبق من ذهب وغطاها وبعث بها الى العزيز بالله مع خادم وركب اليه وقدم ذلك وقال يا أمير المؤمنين قد حضر ناقبالك القراصيا ههنا فان اغناك هذا القدر والا استدعينا شيأ آخر فعجب العزيز بالوزير وقال مثلك يخدم الملوك يا وزير واتفق انه سابق العزيز بين الطيور فسبق طائر الوزير يعقوب طائر العزيز فشق ذلك على العزيز ووجد اعداء الوزير سبيلا الى الطعن فيه فكتبوا الى العزيز انه قد اختار من كل صنف اعلاه ولم يترك لامير المؤمنين الا ادناه حتى الحمام فبلغ ذلك الوزير فكتب الى العزيز

قل لامير المؤمنين الذى * له العلى والمثل الثاقب
طائرك السابق لكنه * لم يأت الا وله حاجب

فأعجب العزيز ذلك وأعرض عما وشى به ولم يزل على حال رفيعة وكلمة نافذة الى ان ابتدأت به علته يوم الاحد الحادى والعشرين من شوال سنة ثمانين وثلثمائة ونزل اليه العزيز بالله يعوده وقال له وددت انك تباع فابتاعك بمالى أو تفدى فأفديك بولدى فهل من حاجة توصى بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال اما فيما يخصنى فانت ارعى بحقى من ان استرعيك اياه وأرأف على من ان اوصيك به ولكنى انصح لك فيما يتعلق بك وبدولتك سالم الروم ماسالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والشكر ولا تبق على مفرج بن دغفل ان عرضت لك فيه فرصة وانصرف العزيز فأخذته السكتة * وكان فى سياق الموت يقول لا يغلب الله غالب ثم قضى نحبه ليلة الاحد لخمس خلون من ذى الحجة فأرسل العزيز بالله الى داره الكفن والحنوط وتولى غسله القاضى محمد بن النعمان وقال كنت والله اغسل لحيته وأنا ارفق به خوفا ان يفتح عينه فى وجهى وكفن فى خمسين ثوبا ثلاثين مثقلا يعنى منسوجا بالذهب ووشى مذهبا وشرب دبيقى مذهبا وحقة كافورا وقارورتى مسك وخمسين منا ماء ورد وبلغت قيمة الكفن والحنوط عشرة آلاف دينار وخرج مختار الصقلبى وعلى بن عمر العداس والرجال بين أيديهم ينادون لا يتكلم أحد ولا ينطق وقد اجتمع الناس فيما بين القصر ودار الوزير التى عرفت بدار الديباج ثم خرج العزيز من القصر على بغلة والناس يمشون بين يديه وخلفه بغير مظلة والحزن ظاهر عليه حتى وصل الى داره فنزل وصلى عليه وقد طرح على تابوته ثوب مثقل ووقف حتى دفن بالقبة التى كان بناها وهو يبكى ثم انصرف وسمع العزيز وهو يقول واطول

أسفى عليك يا وزير والله لو قدرت أفديك بجميع ما املك لفعلت وأمر باجراء غلمانه على عادتهم وعتق جميع مماليكه وأقام ثلاثا لا يأكل على مائدته ولا يحضرها من عادته الحضور وعمل على قبره ثوبان منقلان وأقام الناس عند قبره شهرا وغدا الشعراء الى قبره فرثاه مائة شاعر اجيزوا كلهم وبلغ العزيز ان عليه ستة عشر ألف دينار دينا فأرسل بها الى قبره فوضعت عليه وفرقت على ارباب الديون والزم القراء بالمقام على قبره وأجرى عليهم الطعام وكانت الموائد تحضر الى قبره كل يوم مدة شهر يحضر نساء الخاصة كل يوم ومعهن نساء العامة فتقوم الجوارى باقداح الفضة والبلور وملاعق الفضة فيسقين النساء الاشربة والسويق بالسكر ولم تتأخر نائحة ولا لاعبة عن حضور القبر مدة الشهر وخلف املاكا وضياعا وقياسير ورباعا وعينا وورقا وأوانى ذهبا وفضة وجوهرا وعنبرا وطيبا وثيابا وفرشا ومصاحف وكتبا وجوارى وعبيدا وخيلا وبغالا ونوقا وحمرا وابلا وغلالا وخزائن ما بين اشربة وأطعمة قومت بأربعة آلاف ألف دينار سوى ما جهز به ابنته وهو ما قيمته مائتا ألف دينار وخلف ثمانى مائة حظية سوى جوارى الخدمة فلم يتعرض العزيز لشئ مما يملكه أهله وجواريه وغلمانه وأمر بحفظ جهاز ابنته الى ان زوجها وأجرى لمن فى داره كل شهر ستمائة دينار للنفقة سوى الكسوة والجرايات وما يحمل اليهم من الاطعمة من القصر وأمر بنقل ما خلفه الى القصر فلما تم له من يوم وفاته شهر قطع الامير منصور بن العزيز جميع مستغلاته وأقر العزيز جميع ما فعله الوزير وما ولاه من العمال على حاله وأجرى الرسوم التى كان يجريها وأقر غلمانه على حالهم وقال هؤلاء صنائعى وكانت عدة غلمان الوزير أربعة آلاف غلام عرفوا بالطائفة الوزيرية وزاد العزيز أرزاقهم عما كانت عليه وأدناهم واليهم تنسب الوزيرية فانها كانت مساكنهم واتفق ان الوزير عمر قبة انفق عليها خمسة عشر ألف دينار وآخر ما قال لقد طال أمر هذه القبة ماهذه قبة هذه تربة فكانت كذلك ودفن تحتها وموضع قبره اليوم المدرسة الصاحبية واتفق انه وجد فى داره رقعة مكتوب فيها

احذروا من حوادث الازمان * وتوقوا طوارق الحدثان

قد أمنتم ريب الزمان ونمتم * رب خوف مكمن فى الامان

حارة الباطلية

فلما قرأها قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولم يلبث بعدها الا اياما يسيرة ومرض فمات (حارة الباطلية) عرفت بطائفة يقال لهم الباطلية قال ابن عبد الظاهر وكان المعز لما قسم العطاء فى الناس جاءت طائفة فسألت عطاء فقيل لها فرغ ما كان حاضرا ولم يبق شئ فقالوا رحنا نحن فى الباطل فسموا الباطلية وعرفت هذه الحارة بهم وفى سنة ثلاث وستين وستمائة احترقت حارة الباطلية عندما كثر الحريق فى القاهرة ومصر واتهم النصارى بفعل ذلك فجمعهم الملك الظاهر بيبرس وحملت لهم الاحطاب الكثيرة والحلفاء وقدموا ليحرقوا بالنار فتشفع لهم الامير فارس الدين اقطاى اتابك العساكر على ان يلتزموا بالاموال التى احترقت وان يحملوا الى بيت المال خمسين ألف دينار فتركوا وجرى فى ذلك ما تستحسن حكايته وهو أنه قد جمع مع النصارى سائر اليهود وركب السلطان ليحرقهم بظاهر القاهرة وقد اجتمع الناس من كل مكان للتشفى بحريقهم لما نالهم من البلاء فيما دهوا به من حريق الاماكن لاسيما الباطلية فانها أتت النار عليها حتى حرقت بأسرها فلما حضر السلطان وقدم اليهود والنصارى ليحرقوا برز ابن الكازرونى اليهودى وكان صيرفيا وقال للسلطان سألتك بالله لا تحرقنا مع هؤلاء الكلاب الملاعين اعدائنا وأعدائكم احرقنا ناحية وحدنا فضحك السلطان والامراء وحينئذ تقرر الامر على ما ذكر فندب لاستخراج المال منهم الامير سيف الدين بلبان المهرانى فاستخلص بعض ذلك فى عدة سنين وتطاول الحال فدخل كتاب الامراء مع مخاديمهم وتحيلوا فى ابطال ما بقى فبطل فى ايام السعيد بن الظاهر وكان سبب فعل النصارى لهذا الحريق حنقهم لما اخذ الظاهر من الفرنج ارسوف وقيسارية وطرابلس ويافا وانطاكيه ومازالت الباطلية خرابا والناس تضرب بحريقها المثل لمن يشرب الماء كثيرا فيقولون كان فى باطنه حريق الباطلية ولما عمر الطواشى بهادر المقدم داره بالباطلية عمر فيها مواضع بعد سنة خمس وثمانين وسبعمائة

حارة الروم

* (حارة الروم) قال ابن عبد الظاهر واختطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية فلما ثقل ذلك عليهم قالوا الجوانية لا غير والوراقون الى هذا الوقت يكتبون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة اليوم بالجوانية وفى سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وتسعين وثلثمائة امر الخليفة الحاكم بأمر الله بهدم حارة الروم

حارة الديلم

فهدمت ونهبت * (حارة الديلم) عرفت بذلك لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابى حين قدم ومعه اولاد

مولاه معز الدولة البويهى وجماعة من الديلم والاتراك فى سنة ثمان وستين وثلثمائة فسكنوا بها فعرفت بهم *
وهفتكين هذا يقال له الفتكين أبو منصور التركى الشرابى غلام معز الدولة أحمد بن بويه ترقى فى الخدم حتى غلب
فى بغداد على عز الدولة مختار بن معز الدولة وكان فيه شجاعة وثبات فى الحرب فلما سارت الاتراك من بغداد لحرب
الديلم جرى بينهم قتال عظيم اشتهر فيه هفتكين الا ان أصحابه انهزموا عنه وصار فى طائفة قليلة فولى بمن معه من
الاتراك وهم نحو الاربعمائة فسار الى الرحبة وأخذ منها على البر الى ان قرب من حوشبة احدى قرى الشام
وقد وقع فى قلوب العربان منه مهابة فخرج اليه ظالم بن مرهوب العقيلى من بعلبك وبعث الى أبى محمود ابراهيم
ابن جعفر أمير دمشق من قبل الخليفة المعز لدين الله يعلمه بقدوم هفتكين من بغداد لاقامة الخطبة العباسية
وخوفه منه فأنفذ اليه عسكرا وسار الى ناحية حوشبة يريد هفتكين وسار بشارة الخادم من قبل أبى المعالى
ابن حمدان عونا لهفتكين فرد ظالم الى بعلبك من غير حرب وسار بشارة بهفتكين الى حمص فحمل اليه أبو المعالى
وتلقاه واكرمه وكان قد ثار بدمشق جماعة من أهل الدعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتد أمرهم
وكان كبيرهم يعرف بابن الماورد فلما بلغهم خبر هفتكين بعثوا اليه من دمشق الى حمص يستدعونه ووعدوه
بالقيام معه على عساكر المعز واخراجهم من دمشق ليلى عليهم فوقع ذلك منه بالموافقة وسار حتى نزل بثنية العقاب
لايام بقيت من شعبان سنة أربع وستين وثلثمائة فبلغ عسكر المعز خبر الفرنج وانهم قد قصدوا طرابلس فساروا
بأجمعهم الى لقاء العدو ونزل هفتكين على دمشق من غير حرب فأقام اياما ثم سار يريد محاربة ظالم ففر منه ودخل
هفتكين بعلبك فطرقه العدو من الروم والفرنج وانتهبوا بعلبك واحرقوا وذلك فى شهر رمضان وانتشروا فى اعمال
بعلبك والبقاع يقتلون ويأسرون ويحرقون وقصدوا دمشق وقد التحق بها هفتكين فخرج اليهم أهل دمشق
وسألوهم الكف عن البلد والتزموا بمال فخرج اليهم هفتكين وأهدى اليهم وتكلم معهم فى انه لا يستطيع جباية
المال لقوة ابن الماورد وأصحابه وأمر ملك الروم به فقبض عليه وقيده وعاد فجبى المال من دمشق بالعنف وحمل
الى ملك الروم ثلاثين ألف دينار ورحل الى بيروت ثم الى طرابلس فتمكن هفتكين من دمشق وأقام بها الدعوة لابى
بكر عبد الكريم الطائع بن المطيع العباسى وسير الى العرب السرايا فظفرت وعادت اليه بعدة بمن أسرته من
رجال العرب فقتلهم صبرا وكان قد تخوف من المعز فكاتب القرامطة يستدعيهم من الاحساء للقدوم عليه
لمحاربة عساكر المعز ومازال بهم حتى وافوا دمشق فى سنة خمس وستين ونزلوا على ظاهرها ومعهم كثير من أصحاب
هفتكين الذين كانوا قد تشتتوا فى البلاد فقوى بهم ولقى القرامطة وحمل اليهم وسر بهم فأقاموا على دمشق أياما
ثم رحلوا نحو الرملة وبها أبو محمود فلحق بيافا ونزل القرامطة الرملة ونصبوا القتال على يافا حتى كل الفريقان
وسئموا جميعا من طول الحرب وسار هفتكين على الساحل ونزل صيدا وبها ظالم بن مرهوب العقيلى وابن الشيخ
من قبل المعز فقاتلهم قتالا شديدا انهزم منه ظالم الى صور وقتل بين الفريقين نحو أربعة آلاف رجل فقطع أيدى
القتلى من عسكر المعز وسيرها الى دمشق فطيف بها ثم سار عن صيدا يريد عكا وبها عسكر المعز وكان قد مات المعز
فى ربيع الآخر وقام من بعده ابنه العزيز بالله وسير جوهر القائد فى عسكر عظيم الى قتال هفتكين والقرامطة
فبلغ ذلك القرامطة وهم على الرملة ووصل الخبر بمسيره الى هفتكين وهو على عكا فخاف القرامطة وفروا عنها
فنزلها جوهر وسار من القرامطة الى الاحساء التى هى بلادهم جماعة وتأخر عدة وسار هفتكين من عكا الى طبرية
وقد علم بمسير القرامطة وتأخر بعضهم فاجتمع بهم فى طبرية واستعد للقاء جوهر وجمع الاقوات من بلاد حوران
والثنية وادخلها الى دمشق وسار اليها فتحصن بها ونزل جوهر على ظاهر دمشق لثمان بقين من ذى القعدة فبنى
على معسكره سورا وحفر خندقا عظيما وجعل له أبوابا وجمع هفتكين الناس للقتال وكان قد بقى بعد ابن الماورد
رجل يعرف بقسام التراب وصار فى عدة وافرة من الدعار فأعانه هفتكين وقواه وأمده بالسلاح وغيره ووقعت
بينهم وبين جوهر حروب عظيمة طويلة الى يوم الحادى عشر من ربيع الاول سنة ست وستين وثلاثمائة فاختل
أمر هفتكين وهم بالفرار ثم انه استظهر ووردت الاخبار بقدوم الحسن بن أحمد القرمطى الى دمشق فطلب
جوهر الصلح على ان يرحل عن دمشق من غير ان يتبعه أحد وذلك انه رأى أمواله قد قلت وهلك كثير مما كان
فى عسكره حتى صار اكثر عسكره رجالة وأعوزهم العلف وخشى قدوم القرامطة فأجابه هفتكين وقد عظم فرحه
واشتد سروره فرحل فى ثالث جمادى الاولى وجد فى المسير وقد قرب القرامطة فأناخ بطبرية فبلغ ذلك القرمطى

فقصده وقد سار عنها الى الرملة فبعث اليه بسرية كانت لها مع جوهر وقعة قتل فيها جماعة من العرب وأدركه القرمطى وسار فى أثره هفتكين فمات الحسن بن أحمد القرمطى بالرملة وقام من بعده بأمر القرامطة ابن عمه جعفر ففسد ما بينه و بين هفتكين ورجع عن الرملة الى الاحساء وناصب هفتكين القتال وألح فيه على جوهر حتى انهزم عنه وسار الى عسقلان وقد غنم هفتكين مما كان معه شيأ يجل عن الوصف ونزل على البلد محاصرا لها و بلغ ذلك العزيز فاستعد للمسير الى بلاد الشام فلما طال الامر على جوهر راسل هفتكين حتى يقرر الصلح على مال يحمله اليه وان يخرج من تحت سيف هفتكين فعلق سيفه على باب عسقلان وخرج جوهر ومن معه من تحته وساروا الى القاهرة فوجد العزيز قد برز يريد المسير فسار معه وكان مدة قتال هفتكين لجوهر على ظاهر الرملة وفى عسقلان سبعة عشر شهرا وسار العزيز بالله حتى نزل الرملة وكان هفتكين بطبرية فسار الى لقاء العزيز ومعه أبو اسحاق وأبو طاهر أخو عز الدولة ابن بختيار بن أحمد بن بويه وأبو العاد مرزبان عز الدولة ابن بختيار بن عز الدولة ابن بويه فحاربوه فلم يكن غير ساعة حتى هزمت عساكر العزيز عساكر هفتكين وملكوه فى يوم الخميس لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وستين وثلثمائة واستأمن أبو اسحاق ومرزبان بن بختيار وقتل أبو طاهر أخو عز الدولة ابن بختيار وأخذ اكثر أصحابه اسرى وطلب هفتكين فى القتلى فلم يوجد وكان قد فر وقت الهزيمة على فرس بمفرده فأخذه بعض العرب أسيرا فقدم به على مفرج بن دعفل بن الجراح الطائى وعمامته فى عنقه فبعث به الى العزيز فأمر به فشهر فى العسكر وطيف به على جمل فأخذ الناس يلطمونه و يهزون لحيته حتى رأى فى نفسه العبر ثم سار العزيز بهفتكين والاسرى الى القاهرة فاصطنعه ومن معه وأحسن اليه غاية الاحسان وأنزله فى دار وواصله بالعطاء والخلع حتى قال لقد احتشمت من ركوبى مع مولانا العزيز بالله ونظرى اليه بما غمرنى من فضله واحسانه فلما بلغ ذلك العزيز قال لعمه حيدرة يا عم والله انى أحب ان أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وان يكون ذلك كله من عندى و بلغ العزيز ان الناس من العامة يقولون ما هذا التركى فأمر به فشهر فى أجل حال ولما رجع من تطوفه وهب له مالا جزيلا وخلع عليه وأمر سائر الاولياء بأن يدعوه الى دورهم فما منهم الا من عمل له دعوة وقدم اليه وقاد بين يديه الخيول ثم ان العزيز قال له بعد ذلك كيف رأيت دعوات أصحابنا فقال يا مولانا حسنة فى الغاية وما فيهم الا من انعم وأكرم فصار يركب للصيد والتفرج وجمع اليه العزيز بالله أصحابه من الاتراك والديلم واستحجبه واختص به وما زال على ذلك الى ان توفى فى سنة اثنين وسبعين وثلثمائة فاتهم العزيز وزيره يعقوب بن كلس انه سمه لانه هفتكين كان يترفع عليه فاعتقله مدة ثم أخرجه

(حارة الاتراك) هذه الحارة تجاه الجامع الازهر وتعرف اليوم بدرب الاتراك وكان نافذا الى حارة الديلم والوراقون القدماء تارة يفردونها من حارة الديلم وتارة يضيفونها اليها و يجعلونها من حقوقها فيقولون تارة حارة الديلم والاتراك وتارة يقولون حارتى الديلم والاتراك وقيل لها حارة الاتراك لان هفتكين لما غاب ببغداد سار معه من جنسه أربعمائة من الاتراك وتلاحق به عند ورود القرامطة عليه بدمشق عدة من أصحابه فلما جمع لحرب العزيز بالله كان أصحابه ما بين ترك وديلم فلما قبض عليه العزيز ودخل به الى القاهرة فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثمان وستين وثلثمائة كما تقدم نزل الديلم مع أصحابهم فى موضع حارة الديلم ونزل هفتكين باتراكه فى هذا المكان فصار يعرف بحارة الاتراك وكانت مختلطة بحارة الديلم لانهما أهل دعوة واحدة الا ان كل جنس على حدة لتخالفهما فى الجنسية ثم قيل بعد ذلك درب الاتراك

(حارة كتامة) هذه الحارة مجاورة لحارة الباطلية وقد صارت الآن من جملتها كانت منازل كتامة بها عندما قدموا من المغرب مع القائد جوهر ثم مع العزيز وموضع هذه الحارة اليوم حمام كواى وما جاورها مما وراء مدرسة ابن الغنام حيث الموضع المعروف بدرب ابن الاعسر الى رأس الباطلية وكانت كتامة هى أصل دولة الخلفاء الفاطميين

(ذكر أبى عبد الله الشيعى)

هو الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعى من أهل صنعاء اليمن ولى الحسبة فى بعض اعمال بغداد ثم سار الى ابن حوشب باليمن وصار من كبار أصحابه وكان له علم وفهم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن حوشب موت الحلوانى داعى المغرب ورفيقه فقال لابى عبد الله الشيعى ان أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلوانى وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فانها موطأة ممهدة لك فخرج من اليمن الى مكة وقد زوده ابن حوشب بمال

فسال

[Marginal notes: حارة الاتراك — حارة كتامة]

فسأل من حجاج كتامة فأرشد اليهم واجتمع بهم واخفى عنهم قصده وذلك انه جلس قريبا منهم فسمعهم يتحدثون بفضائل آل البيت فحدثهم فى ذلك وأطال ثم نهض ليقوم فسألوه أن يأذن لهم فى زيارته فأذن لهم فصاروا يترددون اليه لما رأوا من علمه وعقله ثم أنهم سألوه أين يقصد فقال أريد مصر فسروا بصحبته ورحلوا من مكة وهو لا يخبرهم شيأ من خبره وما هو عليه من القصد وشاهدوا منه عبادة وورعا وتحرجا وزهادة فقويت رغبتهم فيه واشتملوا على محبته واجتمعوا على اعتقاده وساروا بأسرهم خدما له وهو فى اثناء ذلك يستخبرهم عن بلادهم ويعلم احوالهم ويفحص عن قبائلهم وكيف طاعتهم للسلطان بافريقية فقالوا له ليس له علينا طاعة وبيننا وبينه عشرة ايام قال افتحملون السلاح قالوا هو شغلنا وما برح حتى عرف جميع ما هم عليه فلما وصلوا الى مصر أخذ يودعهم فشق عليهم فراقه وسألوه عن حاجته بمصر فقال مالى بها من حاجة الا أنى اطلب التعليم بها قالوا فاما اذا كنت تقصد هذا فان بلادنا أنفع لك وأطوع لامرك ونحن أعرف بحقك وما زالوا به حتى اجابهم الى المسير معهم فساروا به الى أن قاربوا بلادهم وخرج الى لقائهم اصحابهم وكان عندهم حس كبير من التشيع واعتقاد عظيم فى محبة اهل البيت كما قرره الحلوانى فعرفهم القوم خبر أبى عبد الله فقاموا بحق تعظيمه واجلاله ورغبوا فى نزوله عندهم واقترعوا فيمن يضيفه ثم ارتحلوا الى ارض كتامة فوصلوا اليها منتصف الربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائتين فسألهم الامن سأله أن يكون منزله عنده فلم يوافق احدا منهم وقال أين يكون فج الاخيار فعجبوا من ذلك ولم يكونوا قط ذكروه له منذ صحبوه فدلوه عليه فقصده وقال اذا حللنا به صرنا نأتى كل قوم منكم فى ديارهم ونزورهم فى بيوتهم فرضوا جميعا بذلك وسار الى جبل ايكجان وفيه فج الاخيار فقال هذا فج الاخيار وما سمى الا بكم ولقد جاء فى الآثار للمهدى هجرة ينبو بها عن الاوطان ينصره فيها الاخيار من اهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان ولخروجكم فى هذا الفج سمى فج الاخيار فتسامعت به القبائل وأتته البربر من كل مكان وعظم أمره حتى أن كتامة اقتتلت عليه مع قبائل البربر وهو لا يذكر اسم المهدى ولا يعرج عليه فبلغ خبره ابراهيم بن الاغلب امير افريقية فقال ابو عبد الله لكتامة أنا صاحب البذر الذى قال لكم أبو سفيان والحلوانى فازدادت محبتهم له وعظم امره فيهم وأتته القبائل من كل مكان وسار الى مدينة تاصروت وجمع الخيل وصير أمرها للحسن بن هارون كبير كتامة وخرج للحرب فظفر وغنم وعمل على تاصروت خندقا فرجعت اليه قبائل من البربر وحاربوه فظفر بهم وصارت اليه اموالهم ووالى الغزو فيهم حتى استقام له امرهم فساروا وأخذ مداين عدة فبعث اليه ابن الاغلب بعساكر كانت له معهم حروب عظيمة وخطوب عديدة وأنباء كثيرة آلت الى غلب أبى عبد الله وانتشار أصحابه من كتامة فى البلاد فصار يقول المهدى يخرج فى هذه الايام ويملك الارض فيا طوبى لمن هاجر الى وأطاعنى وأخذ يغرى الناس بابن الاغلب ويذكر كرامات المهدى وما يفتح الله له ويعدهم بأنهم يملكون الارض كلها وسير الى عبيد الله بن محمد رجالا من كتامة ليخبروه بما فتح الله له وانه ينتظره فوافوا عبيد الله بسلمية من ارض حمص وكان قد اشتهر بها وطلبه الخليفة المكتفى ففر منه بابنه أبى القاسم وسار الى مصر وكان لهما قصص مع النوشزى عامل مصر حتى خلصا منه ولحقا ببلاد المغرب وبلغ ابن الاغلب زيادة الله خبر مسير عبيد الله فأزكى له العيون وأقام له الاعوان حتى قبض عليه بسجلماسه وكان عليها اليسع بن مدرار وحبس بها هو وابنه أبو القاسم وبلغ ذلك ابا عبد الله وقد عظم امره فسار وضايق زيادة الله بن الاغلب وأخذ مدائنه شيأ بعد شئ وصار فيما ينيف على مائتى ألف وألح على القيروان حتى فر زيادة الله الى مصر وملكها أبو عبد الله ثم سار الى رقادة فدخلها أول رجب سنة ست وتسعين ومائتين وفرق الدور على كتامة وبعث العمال الى البلاد وجمع الاموال ولم يخطب باسم أحد فلما دخل شهر رمضان سار من رقادة فاهتز لرحيله المغرب بأسره وخافته زناتة وغيرها وبعثوا اليه بطاعتهم وسار الى سجلماسة ففر منه اليسع بن مدرار واليها ودخل البلد فأخرج عبيد الله وابنه من السجن وقال هذا المهدى الذى كنت ادعوكم اليه وأركبه هو وابنه ومشى بسائر رؤساء القبائل بين ايديهما وهو يقول هذا مولاكم ويبكى من شدة الفرح حتى وصل الى فسطاط ضرب له فأنزل فيه وبعث فى طلب اليسع فأدركه وحمل اليه فضربه بالسياط وقتله ثم سار المهدى الى رقادة فصار بها فى آخر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ولما تمكن قتل أبا عبد الله وأخاه فى يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين فكان هذا ابتداء امر الخلفاء الفاطميين

وما زالت كتامة هي أهل الدولة مدة خلافة المهدي عبيد الله وخلافة ابنه القاسم القائم بأمر الله وخلافة المنصور بنصر الله اسماعيل بن القاسم وخلافة معد المعز لدين الله ابن المنصور وبهم أخذ ديار مصر لما سيرهم اليها مع القائد جوهر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وهم أيضا كانوا اكابر من قدم معه من الغرب في سنة اثنين وستين وثلثمائة فلما كان في ايام ولده العزيز بالله نزار اصطنع الديلم والاتراك وقدمهم وجعلهم خاصته فتنافسوا وصار بينهم وبين كتامة تحاسد الى أن مات العزيز بالله وقام من بعده أبو علي المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله فقدم ابن عمار الكتامي وولاه الوساطة وهي في معنى رتبة الوزارة فاستبد بأمور الدولة وقدم كتامة واعطاهم وحط من الغلمان الاتراك والديلم الذين اصطنعهم العزيز فاجتمعوا الى برجوان وكان صقلبيا وقد تاقت نفسه الى الولاية فأغرى المصطنعة بابن عمار حتى وضعوا منه واعتزل عن الامر وتقلد برجوان الوساطة فاستخدم الغلمان المصطنعين في القصر وزاد في عطاياهم وقواهم ثم قتل الحاكم ابن عمار وكثيرا من رجال دولة أبيه وجده فضعفت كتامة وقويت الغلمان فلما مات الحاكم وقام من بعده ابنه الظاهر لاعزاز دين الله على اكثر من اللهو ومال الى الاتراك والمشارقة فانحط جانب كتامة وما زال ينقص قدرهم ويتلاشى امرهم حتى ملك المستنصر بعد أبيه الظاهر فاستكثرت امه من العبيد حتى يقال انهم بلغوا نحوا من خمسين ألف اسود واستكثر هو من الاتراك وتنافس كل منهما مع الآخر فكانت الحرب التي آلت الى خراب مصر وزوال بهجتها الى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا وقتل رجال الدولة وأقام له جندا وعسكرا من الارمن فصار من حينئذ معظم الجيش الارمن وذهبت كتامة وصاروا من جملة الرعية بعدما كانوا وجوه الدولة واكابر أهلها * (حارة الصالحية) عرفت بغلمان الصالح طلائع بن رزيك وهي موضعان الصالحية الكبرى والصالحية الصغرى وموضعهما فيما بين المشهد الحسيني ورحبة الايدمري وبين البرقية وكانت من الحارات العظيمة وقد خربت الآن وباقيها متداع الى الخراب * قال ابن عبد الظاهر الحارة الصالحية منسوبة الى الصالح طلائع بن رزيك لان غلمانه كانوا يسكنونها وهي مكانان وللصالح دار بحارة الديلم كانت سكنه قبل الوزارة وهي باقية الى الآن وبها بعض ذريته والمكان المعروف بخوخة الصالح نسبة اليه * (حارة البرقية) هذه الحارة عرفت بطائفة من طوائف العسكر في الدولة الفاطمية يقال لها الطائفة البرقية ذكرها المسبحي * قال ابن عبد الظاهر ولما نزل بالقاهرة يعني المعز لدين الله اختطت كل طائفة خطة عرفت بها قال واختطت جماعة من أهل برقة الحارة المعروفة بالبرقية انتهى والى هذه الحارة تنسب الامراء البرقية حارة البرقية

(ذكر الامراء البرقية ووزارة ضرغام)

وذلك ان الصالح طلائع بن رزيك كان قد انشأ في وزارته امراء يقال لهم البرقية وجعل ضرغاما مقدمهم فترقى حتى صار صاحب الباب وطمع في شاور السعدي لما ولي الوزارة بعد رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك فجمع رفقته وتخوف شاور منه وصار العسكر فرقتين فرقة مع ضرغام وفرقة مع شاور فلما كان بعد تسعة اشهر من وزارة شاور ثار ضرغام في رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وصاح على شاور فأخرجه من القاهرة وقتل ولده الاكبر المسمى بطي وبقي شجاع المنعوت بالكامل وخرج شاور من القاهرة يريد الشام كما فعل الوزير رضوان بن ولخشي فانه كان رفيقا له في تلك الكرة واستقر ضرغام في وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد شاور وتلقب بالملك المنصور فشكر الناس سيرته فانه كان فارس عصره وكان كاتبا جميل الصورة فكه المحاضرة عاقلا كريما لا يضع كرمه الا في سمعة ترفعه او مداراة تنفعه الا انه كان ازنا مستحيلا على اصحابه واذا ظن في أحد شرا جعل الشك يقينا وعجل له العقوبة وغلب عليه مع ذلك في وزارته اخواه ناصر الدين همام وفخر الدين حسام وأخذ يتفكر في رفقته البرقية الذين قاموا بنصرته واعانوه على اخراج شاور وتقليده للوزارة من أجل انه بلغه عنهم انهم يحسدونه ويضعون منه وان منهم من كاتب شاور وحثه على القدوم الى القاهرة ووعده بالمعاونة له فأظلم الجو بينه وبينهم وتجرد للايقاع بهم على عادته في اسرع العقوبة واحضرهم اليه في دار الوزارة ليلا وقتلهم بالسيف صبرا وهم صبح ابن شاهنشاه والطهرمي تفع المعروف بالخواص وعين الزمان وعلي بن الزبد وأسد الفازي واقاربهم وهم نحو من سبعين أميرا سوى اتباعهم فذهبت لذلك رجال الدولة واختلت احوالها وضعفت بذهاب اكابرها وفقد أصحاب الرأي والتدبير وقصد الفرنج ديار مصر فخرج اليهم همام اخو ضرغام وانهزم منهم وقتل منهم عدة ونزلوا

على حصن

على حصن بلبيس وملكوا بعض السور ثم ساروا وعاد همام عودا رديئا فبعث به ضرغام الى الاسكندرية وبها الامير مرتفع الجلواص فأخذه العرب وقاده همام الى اخيه فضرب عنقه وصلبه على باب زويلة فما هو الا أن قدم رسل الفرنج على ضرغام فى طلب مال الهدنه المقرر فى كل سنة وهو ثلاثة وثلاثون ألف دينار واذا بالخبر قد ورد بقدوم شاور من الشام ومعه أسد الدين شيركوه فى كثير من الغز فأزعجه ذلك وأصبح الناس يوم التاسع والعشرين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة خائفين على انفسهم وأموالهم فجمعوا الاقوات والماء وتحوّلوا من مساكنهم وخرج همام بالعسكر أول يوم من جمادى الآخرة فسار الى بلبيس وكانت له وقعة مع شاوره انهزم فيها وصار الى شاور واصحابه جميع ما كان مع عسكر همام وأسروا عدّة ونزل شاور بمن معه الى التاج ظاهر القاهرة فى يوم الخميس سادس جمادى الآخرة فجمع ضرغام الناس وضم اليه الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية بداخل القاهرة وشاور مقيم بالتاج مدّة ايام وطوالعه من العربان فطارد عسكر ضرغام بأرض الطبالة خارج القاهرة ثم سار شاور ونزل بالمقس فخرج اليه عسكر ضرغام وحاربوه فانهزم هزيمة قبيحة وسار الى بركة الحبش ونزل بالشرف الذى يعرف اليوم بالرصد وملك مدينة مصر وأقام بها اياما فأخذ ضرغام مال الايتام الذى كان بمودع الحكم فكرهه الناس واستعجزوه ومالوا مع شاور فتنكر منهم ضرغام وتحدّث بايقاع العقوبة بهم فزاد بغضهم له ونزل شاور فى ارض اللوق خارج باب زويلة وطارد رجال ضرغام وقد خلت المنصورة والهلالية وثبت أهل اليانسية بها وزحف الى باب سعادة وباب القنطرة وطرح النار فى اللؤلؤة وما حولها من الدور وعظمت الحروب بينه وبين اصحاب ضرغام وفنى كثير من الطائفة الريحانية وبعثوا الى شاور ووعدوه بأنهم عون له فانحل أمر ضرغام فأرسل العاضد الى الرماة يأمرهم بالكف عن الرمى فخرج الرجال الى شاور وصاروا من جملته وفترت همة أهل القاهرة وأخذ كل منهم يعمل الحيلة فى الخروج الى شاور فامر ضرغام بضرب الابواق لتجتمع الناس فضربت الابواق والطبول ماشاء الله من فوق الاسوار فلم يخرج اليه أحد وانفك عنه الناس فسار الى باب الذهب من ابواب القصر ومعه خمسمائة فارس فوقف وطلب من الخليفة أن يشرف عليه من الطاق وتضرّع اليه وأقسم عليه بآبائه فلم يجبه أحد واستمرّ واقفا الى العصر والناس تنحل عنه حتى بقى فى نحو ثلاثين فارسا فوردت عليه رقعة فيها خذ نفسك وانج بها واذا بالابواق والطبول قد دخلت من باب القنطرة ومعها عساكر شاور ففرّ ضرغام الى باب زويلة فصاح الناس عليه ولعنوه وتخطفوا من معه وأدركه القوم فأردوه عن فرسه قريبا من الجسر الاعظم فيما بين القاهرة ومصر واحتزوا رأسه فى سلخ جمادى الآخرة وفرّ منهم اخوه الى جهة المطرية فأدركه الطلب وقتل عند مسجد تبر خارج القاهرة وقتل اخوه الآخر عند بركة الفيل فصار حينئذ ضرغام ملقى يومين ثم حمل الى القرافة ودفن بها وكانت وزارته تسعة اشهر وكان من اجل اعيان الامراء وأشجع فرسانهم وأجودهم لعبا بالكرة وأشدّهم رميا بالسهام ويكتب مع ذلك كتابة ابن مقلة وينظم الموشحات الجيدة ولما جىء براسه الى شاور رفع الى قفاه وطيف به فقال الفقيه عمارة

اري جنك الوزارة صار سيفا * يحز بحده جيد الرقاب

كأنك رائد البلوى والا * بشير بالمنية والمصاب

فكان كما قال عمارة فان البلايا والمنايا من حينئذ تتابعت على دولة الخلفاء الفاطميين حتى لم يبق منهم عين تطرف ولله عاقبة الامور * (حارة العطوفية) هذه الحارة تنسب الى طائفة من طوائف العسكر يقال لها العطوفية حارة العطوفية

وقال ابن عبد الظاهر العطوفية منسوبة لعطوف أحد خدّام القصر وهو عطوف غلام الطويلة وكان قد خدم ست الملك اخت الحاكم قال وسكنت يعنى الطائفة الجيوشية بحارة العطوفية بالقاهرة ولله در الاديب ابرهيم المعمار اذ يقول موالياً يشتمل على ذكر حارات بالقاهرة وفيه تورية

فى الجودريه رأيت صوره هلاليه * للباطليه تميل لا للعطوفيه

لها من اللؤلؤه ثغرين منشيه * ان حركوا وجهها بنت الحسينيه

وكانت العطوفية من اجل مساكن القاهرة وفيها من الدور العظيمة والحمامات والاسواق والمساجد ما لا يدخل تحت حصر وقد خربت كلها وبيعت انقاضها وبيوتها ومنازلها وأضحت اوحش من وتد عير فى قاع وعطوف هذا كان خادما اسود قتله الحاكم بجماعة من الاتراك وقفوا له فى دهليز القصر واحتزوا رأسه فى يوم الاحد لاحدى

حارة الجوانية

عشرة خلت من صفر سنة احدى واربعمائة قاله المسبحي * (حارة الجوانية) كان يقال لهذه الحارة اولا حارة الروم الجوانية ثم ثقل على الالسنة ذلك فقال الناس الجوانية وكان أيضا يقال لها حارة الروم العليا المعروفة بالجوانية وقال المسبحي وقد ذكر ما كتبه أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الامانات في سنة خمس وتسعين وثلثمائة فذكر أنه كتب امانا للعرافة الجوانية فدل انه كان من جملة الطوائف قوم يعرفون بالجوانية قال ابن عبد الظاهر قال لي مؤلفه القاضي زين الدين وفقه الله ان الجوانية منسوبة للاشراف الجوانيين منهم الشريف النسابة الجواني قال مؤلفه رحمه الله فعلى هذا يكون بفتح الجيم فان الجواني بفتح الجيم وتشديد الواو وفتحها وبعد الواو ألف ساكنة ثم نون نسبة الى جوّان على وزن حرّان وهي قرية من عمل مدينة طيبة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وعلى القول الاوّل تكون الجوّانية بفتح الجيم أيضا مع فتح الواو وتشديدها فان أهل مصر يقولون لما خرج عن المدينة او الدار برا ولما دخل جوّا بضم الجيم وهو خطاء ولهذا كان الوراقون يكتبون حارة الروم البرانية لانها من خارج القصر ويكتبون حارة الروم الجوانية لانها من داخل القاهرة ولا يصار اليها الا بعد المرور على القصر وكان موضعها اذ ذاك من وراء القصر خلف دار الوزارة والحجر فكأنها في داخل البلد ولذلك أصل قال ابن سيده في مادة (ج و) من كتاب المحكم وجوّ البيت داخله لفظة شامية فتعين فتح الجيم من الجوّانية ولا عبرة بما تقوله العامة من ضمها * وقال الشريف محمد بن اسعد الجوّاني ابن الحسن بن محمد الجواني ابن عبيد الله الجواني بن حسين بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب وقيل لمحمد بن عبد الله الجوّاني بسبب ضيعة من ضياع المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يقال لها الجوّانية وكانت تسمى البصرة الصغرى لخيراتها وغلالها لا يطلب شئ الا وجد بها وهي قريبة من صرار ضيعة الامام أبي جعفر محمد بن علي الرضى وكانت الجوّانية ضيعة لعبيد الله فتوفي عنها فورثها بعده ولده وأزواجه فاشترى محمد الجوّاني ولده بما حصل له بالميراث الباقي من الورثة فخلصت له كاملة فعرف بها فقيل الجوّاني قال ولم تزل اجداد مؤلفه ببغداد الى حين قدوم ولده اسعد النحوي مع أبيه من بغداد الى مصر ومولده بالموصل في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة *

حارة البستان
حارة المرتاحية
حارة الفرحية

(حارة البستان) ويقال لها حارة بستان المصمودي وحارة الاكراد أيضا وهي الآن من جملة الوزيرية التي تقدّم ذكرها * (حارة المرتاحية) هذه الحارة عرفت بالطائفة المرتاحية احدى طوائف العسكر قال ابن عبد الظاهر خط باب القنطرة يعرف في كتب الاملاك القديمة بالمرتاحية * (حارة الفرحية) بالحاء المهملة كانت سكن الطائفة الفرحية وهي بجوار حارة المرتاحية فالى يومنا هذا فيما بين سويقة أمير الجيوش وباب القنطرة زقاق يعرف بدرب الفرحية والفرحية كانت طائفة من جملة عبيد الشراء وكانت عبيد الشراء عدّة طوائف وهم الفرحية والحسينية والميمونية ينسبون الى ميمون وهو أحد الخدّام *

حارة فرج

(حارة فرج) بالجيم كانت تعرف قديما بدرب النميري ثم عرفت بالامير جمال الدين فرج من امراء بني ايوب وهي الآن داخلة في درب الطفل من خط قصر الشوك *

حارة قائد القوّاد

(حارة قائد القوّاد) هذه الحارة تعرف الآن بدرب ملوخيا وكانت اوّلا تعرف بحارة قائد القوّاد لان حسين بن جوهر الملقب قائد القوّاد كان يسكن بها فعرفت به * وهو حسين بن القائد جوهر أبو عبد الله الملقب بقائد القوّاد لما مات أبوه جوهر القائد خلع العزيز بالله عليه وجعله في رتبة أبيه ولقبه بالقائد بن القائد ولم يتعرّض لشئ مما تركه جوهر فلما مات العزيز وقام من بعده ابنه الحاكم استدناه ثم انه قلده البريد والانشاء في شوّال سنة ست وثمانين وثلثمائة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب وقاد بين يديه عدّة افراس وحمل معه ثيابا كثيرة فاستخلف أبا منصور بشر بن عبيد الله بن سورين الكاتب النصراني على كتابة الانشاء واستخلف على أخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم أمير الدولة الموصلي * ولما تقلد برجوان النظر في تدبير الامور وجلس للوساطة بعد ابن عمار كان الكافة يلقونه في داره ويركبون جميعا بين يديه من داره الى القصر ما خلا القائد الحسين ومحمد بن النعمان القاضي فانهما كانا يسلمان عليه بالقصر فقط فلما قتل الحاكم الاستاذ برجوان كما تقدّم خلع على القائد حسين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة تسعين وثلثمائة ثوبا احمر وعمامة زرقاء مذهبة وقلده سيفا محلى بذهب وحمله على فرس بسرج ولجام من ذهب وقاد بين يديه ثلاثة افراس بمراكبها وحمل معه خمسين ثوبا صحاحا من كل نوع وردّ اليه التوقيعات والنظر في امور الناس وتدبير المملكة كما كان برجوان ولم يطلق عليه اسم وزير فكان يبكر الى القصر ومعه خليفته الرئيس أبو العلاء فهد بن ابراهيم النصراني كاتب برجوان

ويبظر

فينظران فى الامور ثم يدخلان وينهيان الحال الى الخليفة فيكون القائد جالسا وفهد من خلفه قائما ومنع القايد الناس أن يلقوه فى الطريق أو يركبوا اليه فى داره وان من كان له حاجة فليبلغه اياها بالقصر ومنع الناس من مخاطبته فى الرقاع بسيدنا وأمر أن لا يخاطب ولا يكاتب الا بالقائد فقط وتشدد فى ذلك لخوفه من غيرة الحاكم حتى انه رأى جماعة من القواد الاتراك قياما على الطريق ينتظرونه فأمسك عنان فرسه ووقف وقال لهم كلنا عبيد مولانا صلوات الله عليه ومماليكه ولست والله ابرح من موضعى أو تنصرفوا عنى ولا يلقانى أحد الا فى القصر فانصرفوا وأقام بعد ذلك خدما من الصقالبة الطرادين على الطريق بالنوبة لمنع الناس المجىء الى داره ومن لقائه الا فى القصر وأمر أبا الفتوح مسعود الصقلبى صاحب الستر أن يوصل الناس بأسرهم الى الحاكم وأن لا يمنع أحدا عنه * فلما كان فى سابع عشر جمادى الآخرة قرئ سجل على سائر المنابر بتلقيب القائد حسين بقائد القواد وخلع عليه * ومازال الى يوم الجمعة سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فاجتمع سائر اهل الدولة فى القصر بعد ما طلبوا وخرج الامر اليهم أن لا يقام لاحد وخرج خادم من عند الخليفة فأسر الى صاحب الستر كلاما فصاح صالح بن على فقام صالح بن على الروذبادى متقلد ديوان الشام فأخذ صاحب الستر بيده وهو لا يعلم هو ولا أحد ما يراد به فأدخل الى بيت المال واخرج وعليه دراعة مصمتة وعمامة مذهبة ومعه مسعود فأجلسه بحضرة قائد القواد واخرج سجلا قرأه ابن عبد السميع الخطيب فاذا فيه رد سائر الامور التى ينظر فيها قائد القواد حسين بن جوهر اليه فعندما سمع من السجل ذكره قام وقبل الارض فلما انتهت قراءة السجل قام قائد القواد وقبل خد صالح وهناه وانصرف فكان يركب الى القصر ويحضر الاسمطة الى اليوم الثالث من شوال أمره الحاكم أن يلزم داره هو وصهره قاضى القضاة عبد العزيز بن النعمان وأن لا يركبا هما وسائر أولادهما فلبسا الصوف ومنع الناس من الاجتماع بهما وصاروا يجلسون على حصر فلما كان فى تاسع عشر ذى القعدة عفا عنهما الحاكم وأذن لهما فى الركوب فركبا الى القصر بزيهما من غير حلق شعر ولا تغيير حال الحزن * فلما كان فى حادى عشر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة قبض على عبد العزيز بن النعمان وطلب حسين ابن جوهر ففر هو وابنه فى جماعة وكثر الصياح بدار عبد العزيز وغلقت حوانيت القاهرة وأسواقها فأفرج عنه ونودى أن لا يغلق أحد فرد حسين بعد ثلاثة ايام بابنيه ومثلوا بحضرة الحاكم فعفا عنهم وأمرهم بالمصير الى دورهم بعد أن خلع على حسين وعلى صهره عبد العزيز وعلى اولادهما وكتب لهما أمانان ثم اعيد عبد العزيز فى شهر رمضان الى ما كان يتقلده من النظر فى المظالم ثم رد الحاكم فى شهر ربيع الاول سنة اربعمائة على حسين بن جوهر وأولاده وصهره عبد العزيز ما كان لهم من الاقطاعات وقرئ لهم سجل بذلك * فلما كان ليلة التاسع من ذى القعدة فر حسين بأولاده وصهره وجميع اموالهم وسلاحهم فسير الحاكم الخيل فى طلبهم نحو دجوة فلم يدركهم وأوقع الحوطة على سائر دورهم وجعلت للديوان المفرد وهو ديوان أحدثه الحاكم يتعلق بما يقبض من اموال من يسخط عليه وحمل سائر ما وجد لهم بعد ما ضبط وخرجت العساكر فى طلب حسين ومن معه واشيع أنه قد صار الى بنى قرة بالبحيرة فأنفذت اليه الكتب بتأمينه واستدعائه الى الحضور فأعاد الجواب بأنه لا يدخل مادام أبو نصر ابن عبدون النصرانى الملقب بالكافى ينظر فى الوساطة ويوقع عن الخليفة فانى احسنت اليه ايام نظرى فسعى بى الى أمير المؤمنين ونال منى كل منال ولا اعود أبدا وهو وزير فصرف ابن عبدون فى رابع المحرم سنة احدى واربعمائة وقدم حسين بن جوهر ومعه عبد العزيز بن النعمان وسائر من خرج معهما فخرج جميع أهل الدولة الى لقائه وتلقته الخلع فأفيضت عليه وعلى اولاده وصهره وقيد بين ايديهم الدواب فلما وصلوا الى باب القاهرة ترجلوا ومشوا ومشى الناس بأسرهم الى القصر فصاروا بحضرة الحاكم ثم خرجوا وقد عفا عنهم وأذن لحسين أن يكاتب بقائد القواد ويكون اسمه تاليا للقبه وأن يخاطب بذلك وانصرف الى داره فكان يوما عظيما وحمل اليه جميع ما قبض له من مال وعقار وغيره وأنعم عليه وواصل الركوب هو وعبد العزيز ابن النعمان الى القصر ثم قبض عليه وعلى عبد العزيز وا عتقلا ثلاثة ايام ثم حلفا انهما لا يغيبان عن الحضرة وأشهدا على انفسهما بذلك وأفرج عنهما وحلف لهما الحاكم فى امان كتبه لهما * فلما كان فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة احدى واربعمائة ركب حسين وعبد العزيز على رسمهما الى القصر فلما خرج للسلام على الناس قيل للحسين وعبد العزيز وأبى على أخى الفضل اجلسوا الامر تريده الحضرة منكم فجلس الثلاثة وانصرف الناس

فقبض عليهم وقتلوا فى وقت واحد وأحيط بأموالهم وضياعهم ودورهم وأخذت الامامات والسجلات التى
كتبت لهم واستدعى اولاد عبد العزيز بن النعمان وأولاد حسين بن جوهر ووعدوا بالجميل وخلع عليهم وحملوا
حارة الامراء
والله يفعل مايشاء * (حارة الامراء) ويقال لها أيضا حارة الامراء الاشراف الاقارب وموضعها يعرف
بدرب شمس الدولة وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى * (حارة الطوارق) ويقال لها أيضا حارة صبيان
حارة الطوارق
الطوارق وهم من جملة طوائف العسكر كانوا معدّين لحمل الطوارق وموضع هذه الحارة فى طريق من سلك من
الرقيق سوق الخلعيين داخل باب زويلة طالبا الباطلية بالزقاق الطويل الضيق الذى يقال له اليوم حلق الجمل
حارة الشرابية
السالك الى درب ارقطاى * (حارة الشرابية) عرفت بذلك لانها كانت موضع سكن الغلمان الشرابية
حارة الديلمى وحارة الشاميين
احدى طوائف العسكر وكانت فيما بين الباطلية وحارة الطوارق * (حارة الديلمى وحارة الشاميين) هما من
حارة المهاجرين
جملة العطوفية * (حارة المهاجرين) وموضعها الآن من جملة المكان الذى يعرف بالرقيق المعد لسوق الخلعيين
بجوار باب زويلة وكان بعد ذلك سوق الخشابين ثم هو الآن سوق الخلعيين وموضع هذه الحارة بجوار الخوخة
التى كانت تعرف بالشيخ السعيد بن قشيرة النصرانى الكاتب وهى الخوخة التى يسلك اليها من الزقاق المقابل
لحمام الفاضل المعد لدخول النساء ويتوصل منها الى درب كوز الزير بحارة الروم وقد صارت هذه الحارة
تعرف بدرب ابن الجندار وسيأتى ذكره ان شاء الله * (حارة العدوية) قال ابن عبد الظاهر العدوية هى
حارة العدوية
من باب الخشيبة الى اوّل حارة زويلة عند حمام الحسام الجلدكى الآن منسوبة لجماعة عدويين نزلوا هنالك
وهذا المكان اليوم هو عبارة عن الموضع الذى تلقاه عند خروجك من زقاق حمام خشيبة الذى يتوصل اليه من
سوق باب الزهومة فاذا انتهيت الى آخر هذا الزقاق وأخذت على يمينك صرت فى حارة العدوية وموضعها الآن
من فندق بلال المغيثى الى باب سر المارستان وتدخل فى العدوية رحبة بيبرس التى فيها الآن فندق الرخام
عن يمينك اذا خرجت فى الرحبة المذكورة التى صارت الآن دربا الى باب سر المارستان وماعن يسارك الى حمام
ابكريك وحمام الجوينى الذى تقول له العامة الجهينى والى سوق الزجاجيين وكل هذه المواضع هى من حقوق
العدوية وكانت العدوية قديما واقعة فيما بين الميدان الذى يعرف اليوم بالخرشتف وحارة زويلة وبين سقيفة
العداس والصاغة القديمة التى صار موضعها الآن سوق الحرير بين الشرابشيين برأس الوراقين وسوق
حارة العبدانية
الزجاجيين * (حارة العبدانية) كانت تعرف اولا بحارة البديعيين ثم قيل لها بعد ذلك الحبانية من أجل البستان
الذى يعرف بالحبانية الجارى فى وقف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ويتوصل الى هذه الحارة من تجاه
حارة الحمزيين
قنطرة اق سنقر وبعض دورها الآن يشرف على بستان الحبانية وبعضها يطل على بركة الفيل * (حارة الحمزيين)
كانت اوّلا تعرف بالحبانية ثم قيل لها حارة الحمزيين من اجل ان جماعة من الحمزيين نزلوا بها منهم الحاج يوسف
ابن فاتن الحمزى والحمزيون ايضا ينسبون الى حمزة بن ادرك السارى خرج بخراسان فى ايام هارون بن محمد الرشيد
فمات وأفسد ونقض جموع عيسى بن علىّ عامل خراسان وقتل منهم خلقا وانهزم عيسى الى بابل ثم غرق حمزة بواد
فى كرمان فعرفت طائفته بالحمزية واخوه ضرغام بن فاتن بن ساعد الحمزى والحاج عونى الطحان ابن يونس بن فاتن
الحمزى ورضوان بن يوسف بن فاتن الحمزى الحمامى واخوه سالم بن يوسف بن فاتن الحمزى وكان هؤلاء بعد سنة
ستمائة وهذه الحارة خارج باب زويلة * ومن بلاد افريقية قرية يقال لها حمزة ينسب اليها محمد بن حمد بن خلف
القيسى الحمزى من أهل القرية وقاضيها توفى فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ولا يبعد أن تكون هذه الحارة نسبت
حارة بنى سوس
الى أهل قرية حمزة هذه لنزولهم بها كنزول بنى سوس وكتامة وغيرهم فى المواضع التى نسبت اليهم * (حارة بنى
سوس) عرفت بطائفة من المصامدة يقال لهم بنو سوس كانوا يسكنون بها * (حارة اليانسية) تعرف
حارة اليانسية
بطائفة من طوائف العسكر يقال لها اليانسية منسوبة لخادم خصىّ من خدّام العزيز بالله يقال له أبو الحسن
يانس الصقلى خلفه على القاهرة فلما مات العزيز أقرّه ابنه الحاكم بأمر الله على خلافة القصور وخلع عليه
وحمله على فرسين فلما كان فى المحرم سنة ثمان وثمانين وثلثمائة سار لولايته برقة بعد ما خلع عليه واعطى خمسة
آلاف دينار وعدّة من الخيل والثياب * قال ابن عبد الظاهر اليانسية خارج باب زويلة أظنها منسوبة ليانس
وزير الحافظ لدين الله الملقب بأمير الجيوش سيف الاسلام ويعرف بيانس الفاصد وكان ارمنى الجنس وسمى
الفاصد لانه فصد الامير حسن بن الحافظ وتركه محلولا فصاده حتى مات وله خبر غريب فى وفاته كان الحافظ

قد نقم عليه اشياء فطلب قتله بها باطنا فقال لطبيبه اكفنى امره بمأكل او مشرب فأبى الطبيب ذلك خوفا أن يصير عند الحافظ بهذه العين وربما قتله بها او الحافظ يحثه على ذلك فاتفق ليانس الوزير المذكور انه مرض بزحير وان الحافظ خاطب الطبيب بذلك فقال يا مولاى قد امكنتك الفرصة وبلغت مقصودك ولو أن مولانا عاده فى هذه المرضة اكتسب حسن احدوثة وهذه المرضة ليس دواؤه منها الا الدعة والسكون ولا شئ أضر عليه من الانزعاج والحركة فبمجرد ما يسمع بقصد مولانا له تحرك واهتم بلقاء مولانا وانزعج وفى ذلك تلاف نفسه ففعل الخليفة ذلك وأطال الجلوس عنده فمات وهذا الخبر فيه اوهام منها انه جعل اليانسية منسوبة ليانس الوزير وقد كانت اليانسية قبل يانس هذا بمدة طويلة ومنها انه ادعى ان حسن بن الحافظ مات من فصادة وليس كذلك وانما مات مسموما ومنها انه زعم ان يانس تولى فصده وليس كذلك بل الذى تولى قتله بالسم أبو سعيد ابن قرقة ومنها ان الذى نقم عليه الحافظ من الامراء لخلافه فى ابنه حسن انما هو الامير المعظم جلال الدين محمد المعروف بجلب راغب وهذا نص الخبر فتنبه بالك والله تعالى أعلم

(ذكر وزارة أبى الفتح ناصر الجيوش يانس الارمنى)

وكان من خبر ذلك ان الخليفة الآمر باحكام الله أبا على منصورا لما قتله النزارية فى ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة أقام هزبر الملوك جوامرد العادل برغش الامير أبا الميمون عبد المجيد فى الخلافة كفيلا للحمل الذى تركه الآمر ولقب بالحافظ لدين الله ولبس هزبر الملوك خلع الوزارة فثار الجند وأقاموا أبا على احمد الملقب بكتيفات ولد الافضل ابن أمير الجيوش فى الوزارة وقتل هزبر الملوك واستولى كتيفات على الامر وقبض على الحافظ وسجنه بالقصر مقيدا الى ان قتل كتيفات فى المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة وبادر صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى القصر ودخلوا ومعهم الامير يانس متولى الباب الى الخزانة التى فيها الحافظ واخرجوه الى الشباك واجلسوه فى منصب الخلافة وقالوا والله ما حركنا على هذا الا الامير يانس فجازاه الحافظ بأن فوض اليه الوزارة فى الحال وخلع عليه فباشرها مباشرة جيدة وكان عاقلا مهابا متمسكا متحفظا لقوانين الدولة فلم يحدث شيأ ولا خرج عما يعينه الخليفة له الا انه بلغه عن استاذ من خواص الخليفة شئ يكرهه فقبض عليه من القصر من غير مشاورة الخليفة وضرب عنقه بخزانة البنود فاستوحش منه الخليفة وخشى من زيادة معناه وكانت هذه الفعلة غلطة منه ثم انه خاف من صبيان الخاص ان يفتكوا به كما فتكوا بكتيفات فتنكر لهم وتخوفوه أيضا فركب فى خاصته واركب العسكر وركب صبيان الخاص فكانت بينهما وقعة قبالة باب التبانين بين القصرين قوى فيها يانس وقتل من صبيان الخاص ما يزيد على ثلثمائة رجل من اعيانهم فيهم قتلة أبى على كتيفات وكانوا نحو الخمسمائة فارس فانكسرت شوكتهم وضعف جانبهم واشتد بأس يانس وعظم شانه فثقل على الخليفة وتحيل منه فأحس بذلك فأخذ كل منهما فى التدبير على الآخر فأعجل يانس وقبض على حاشية الخليفة ومنهم قاضى القضاة وداعى الدعاة أبو الفخر وأبو الفتح بن قادوس وقتلهما فاشتد ذلك على الحافظ ودعا طبيبه وقال اكفنى أمر يانس فيقال انه سمه فى ماء المستراح فانفتح دبره واتسع حتى ما بقى يقدر على الجلوس فقال الطبيب يا أمير المؤمنين قد امكنتك الفرصة وبلغت مقصودك فلو أن مولانا عاده فى هذه المرضة اكتسب حسن الاحدوثة فان هذا المرض ليس له دواء الا الدعة والسكون ولا شئ عليه أضر من الحركة والانزعاج وهو اذا سمع بقصد مولانا له تحرك واهتم للقاء وانزعج وفى ذلك تلاف نفسه فنهض لعيادته وعند ما بلغ ذلك يانس قام ليلقاه ونزل عن الفراش وجلس بين يدى الخليفة فأطال الخليفة جلوسه عنده وهو يحادثه فلم يقم حتى سقطت امعاء يانس ومات من ليلته فى سادس عشرى ذى الحجة سنة ست وعشرين وخمسمائة وكانت وزارته تسعة أشهر واياما وترك ولدين كفلهما الحافظ واحسن اليهما وكان يانس هذا مولى ارمنيا باديس جد عباس الوزير فاهداه الى الافضل بن أمير الجيوش وترقى فى خدمته الى ان تأمر ثم ولى الباب وهى أعظم رتب الامراء وكنى بأبى الفتح ولقب بالامير السعيد ثم لما ولى الوزارة نعت بناصر الجيوش سيف الاسلام وكان عظيم الهمة بعيد الغور كثير الشر شديد الهيبة

(ذكر الامير حسن بن الخليفة الحافظ)

ولما مات الوزير يانس تولى الخليفة الحافظ الامور بنفسه ولم يستوزر أحدا وأحسن السيرة فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عهد الى ولده سليمان وكان اسن أولاده واحبهم اليه وأقامه مقام الوزير فمات بعد

شهرين من ولاية العهد فجعل مكانه أخاه حيدرة فى ولاية العهد ونصبه للنظر فى المظالم فشق ذلك على أخيه الامير حسن وكان كثير المال متسع الحال له عدة بلاد ومواشى وحاشية وديوان مفرد فسعى فى نقض ذلك بأن اوقع الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية وكانت الريحانية قوية الشوكة مهابة مخوفة الجانب فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين وصاح الجند يا حسن يا منصور بالحسينية والتقى الفريقان فقتل بينهما ما يزيد على خمسة آلاف نفس فكانت هذه الوقعة اول مصائب الدولة الفاطمية من فقد رجالها ونقص عساكرها فلم يبق من الطائفة الريحانية الامن نجا بنفسه من ناحية المقس وألقى نفسه فى بحر النيل واستظهر الامير حسن وقام بالامر وانضم اليه أوباش الناس ودعارهم ففرق فيهم الزرد وسماهم صبيان الزرد وجعلهم خاصته فاحتفوا به وصاروا لا يفارقونه فان ركب أحاطوا به وان نزل لازموا داره فقامت قيامة الناس منهم وشرع فى تتبع الاكابر فقبض على ابن العساف وقتله وقصد أباه الخليفة الحافظ وأخاه حيدرة بالضرر حتى خافا منه وتغيبا فجد فى طلب أخيه حيدرة وهتك بأوباشه الذين اختارهم حرمة القصر وخرق ناموسه وسلطهم يفتشون القصر فى طلب الخليفة الحافظ وابنه حيدرة واشتد بأسهم وحسنوا له كل رذيلة وجرّوه على الاذى فلم يجد الحافظ بدا من مداراة حسن وتلافى أمره عساه ينصلح وكتب سجلا بولايته العهد وأرسله اليه فقرئ على الناس فما زاده ذلك الاجراءة عليه وافساداله وشدد فى التضييق على أبيه وأخذ بانفاسه فبعث حينئذ الخليفة بالاستاذ ابن اسعاف الى بلاد الصعيد ليجمع من يقدر عليه من الريحانية فمضى واستصرخ الناس لنصرة الخليفة على ولده حسن وجمع امما لا يحصيها الا الله وسار بهم فبلغ ذلك حسنا فزج عسكر اللقاء اسعاف فالتقيا وكانت بينهما وقعة هبت فيها ريح سوداء على عسكر اسعاف حتى هزمتهم وركبهم عسكر حسن فلم ينج منهم الا القليل وغرق اكثرهم فى البحر وأخذ اسعاف أسيرا فحمل الى القاهرة على جمل وفى رأسه طرطور لبد أحمر فلما وصل بين القصرين رشق بالنشاب حتى هلك ورمى من القصر الغربى باستاذ آخر فقتل وقتل الامير شرف الدين فاشتد ذلك على الحافظ وخاف على نفسه فكتب ورقة وكادا بنه بأن ألقى اليه تلك الورقة وفيها يا ولدى انت على كل حال ولدى ولو عمل كل منا لصاحبه ما يكره الآخر ما أراد أن يصيبه مكروه ولا يحمانى قلبى وقد انتهى الامر الى امراء الدولة وهم فلان وفلان وقد شددت وطأتك عليهم وخافوك وهم معوّلون على قتلك فخذ حذرك يا ولدى فعندما وقف حسن على الورقة غضب ولم يتأن وبعث الى اولئك فلما صاروا اليه أمر صبيان الزرد بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وكانوا عدة من اعيان الامراء وأحاط بدورهم وأخذ سائر ما فيها فاشتدت المصيبة وعظمت الرزية وتخوف من بقى من الجند ونفروا منه فانه كان جريا مفسدا شديد الفحص عن احوال الناس والاستقصاء لاخبارهم يريد اقلاب الدولة وتغييرها ليقدم اوباشه واكثر من مصادرة الناس وقتل قاضى القضاة أبا الثريا نجم لانه كان من خواص أبيه وقتل جماعة من الاعيان وردّ القضاء لابن ميسر وتفاقم أمره وعظم خطبه واشتدت الوحشة بينه وبين الامراء والاجناد وهموا بخلع الحافظ ومحاربة ابنه حسن وصاروا يدا واحدة واجتمعوا بين القصرين وهم عشرة آلاف ما بين فارس وراجل وسيروا الى الحافظ يشكون ما هم فيه من البلاء مع ابنه حسن ويطلبون منه ان يزيله من ولاية العهد فعجز حسن عن مقاومتهم فانه لم يبق معه سوى الراجل من الطائفة الجيوشية ومن يقول بقولهم من الغز الغرباء فتحير وخاف على نفسه فالتجا الى القصر وصار الى أبيه الحافظ فما هو الا ان تمكن منه أبوه فقبض عليه وقيده وبعث الى الامراء يخبرهم بذلك فأجمعوا على قتله فردّ عليهم انه قد صرفه عنهم ولا يمكنه أبدا من التصرف ووعدهم بالزيادة فى الارزاق والاقطاعات وان يكفوا عن طلب قتله فألحوا فى قتله وقالوا اما نحن واما هو واشتد طلبهم اياه حتى احضروا الاحطاب والنيران ليحرقوا القصر وبالغوا فى التجرّى على الخليفة فلم يجد بدا من اجابتهم الى قتله وسألهم ان يمهلوه ثلاثا فأقاموا بين القصرين وأقاموا على حالهم حتى تنقضى الثلاث فما وسع الحافظ الا ان استدعى طبيبيه وهما أبو منصور اليهودى وابن قرفة النصرانى وبدأ بأبى منصور وفاوضه فى عمل سقية قاتلة فامتنع من ذلك وحلف بالتوراة انه لا يعرف عمل شئ من ذلك فتركه وأحضر ابن قرفة وكلمه فى هذا فقال الساعة ولا يتقطع منها جسد بل تفيض النفس لا غير فأحضر السقية من يومه فبعثها الى حسن مع عدة من الصقالبة فما زالوا يكرهونه على شربها حتى فعل ومات فى العشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة فبعث الحافظ الى القوم سرا يقول قد كان ما أردتم فامضوا الى دوركم فقالوا لا بد ان يشاهده منا من نثق به

ونديوا

وندبوا منهم أميرا معروفا بالجراءة والشر يقال له المعظم جلال الدين محمد و يعرف بجلب راغب الآمرى فدخل الى القصر وصار جنب حسن فاذا به قد سجى بثوب فكشف عن وجهه واخرج من وسطه آلة من حديد وغرزه بها فى عدة مواضع من بدنه الى ان تيقن انه قد مات وعاد الى القوم واخبرهم فتفرقوا وعند ما سكنت الدهما حقد الحافظ لابن قرفة وقتله بخزانة البنود وانعم بجميع ما كان له على ابى منصور اليهودى وجعله رئيس الاطباء فهذا ما كان من خبر يانس وكيفية موته وخبر حسن والخبر عن قتله * (حارة المنتجبيه) قال ابن عبد الظاهر بلغنى ان رجلا كان يتعجب لشمس الدين قاضى زاده كان يقول ان هذه الخطة منسوبة لجده منتجب الدولة

حارة المنتجبية

*(الحارة المنصورية) هذه الحارة كانت كبيرة متسعة جدا فيها عدة مساكن السودان فلما كانت واقعتهم فى ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة كما تقدم فى ذكر حارة بهاء الدين امر صلاح الدين يوسف بن أيوب بتخريب المنصورة هذه وتعفية أثرها فخربها خطلبا بن موسى الملقب صارم الدين وعملها بستانا وكان للسودان بديار مصر شوكة وقوة فتبعهم صلاح الدين ببلاد الصعيد حتى افناهم بعد أن كان لهم بديار مصر فى كل قرية ومحلة وضيعة مكان مفرد لا يدخله وال ولا غيره احتراما لهم وقد كانوا يزيدون على خمسين ألفا واذا ثاروا على وزير قتلوه وكان الضرر بهم عظيما لامتداد أيديهم الى أموال الناس واهاليهم فلما كثر بغيهم وزاد تعديهم اهلكهم الله بذنوبهم و فى واقعة السودان وتخريب المنصورة وقتل مؤتمن الخلافة الذى تقدم ذكره يقول العماد الاصفهانى الكاتب يخاطب بهاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

حارة المنصورية

يا الملك الناصر استنارت * فى عصرنا أوجه الفضائل
* يوسف مصر الذى اليه * تنشد آمالنا الرواحل *
* رأيك فى الدهر عن رزايا * جلى مهماته الجلائل *
* اجريت نيلين فى ثراها * نيل نجيع ونيل نائل *
* كم كرم من ندالك جار * وكم دم من عدالك سائل *
* وكم معاد بلا معاد * ومستطيل بغير طائل *
* وحاسد كاسد المساعى * وسائد نافق الوسائل *
اقررت عين الاسلام حتى * لم يبق فيها قذى لباطل
* وكيف يزهى بملك مصر * من يستقل دنيا لنائل *
وما نفيت السودان حتى * حكمت البيض فى المقاتل
صيرت رحب الفضا مضيقا * عليهم كفه لحائل
وكل راى منهم كرا * وارض مصر كلام واصل
* وقد خلت منهم المغانى * وأقفرت منهم المنازل *
* وما اصيبوا الا بطل * فكيف لو امطروا بوابل *
* وقد تجلى بالحق ما بالا * باطل فى مصر كان عاجل *
والسود بالبيض قد تمحوا * فهى بواديهم نوازل
مؤتمن القوم خان حتى * غالته من شره الغوائل
عاملكم بالخنا فأضحى * ورأسه فوق رأس عامل
وحالف الذل بعد عز * والدهر أحواله حوائل
يا مخجل البحر بالايادى * قد آن أن تفتح السواحل
تقدس القدس من خباث * ارجاس كفر غتم اراذل

وكان موضع المنصورة على يمنة من سلك فى الشارع خارج باب زويلة قال ابن عبد الظاهر كانت للسودان حارة تعرف بهم تسمى المنصورة خربها صلاح الدين وأخذها خطلبا فعمرها بستانا وحوضا وهى الى جانب الباب الحديد يعنى الذى يعرف اليوم بالقوس عند رأس المنتجبية فيما بينها وبين الهلالية وقد حكر هذا البستان فى الايام الظاهرية وبعضها يعنى المنصورة من جهة بركة الفيل الى جانب بستان سيف الاسلام ويسمى الآن بحكر

الغتمى لان الغتمى هذا كان شرع بستان سيف الاسلام فحكر فى هذه الجهة وهى الآن احكار الديوان السلطانى وحكر الغتمى الذى كان بستان سيف الاسلام يعرف اليوم بدرب ابن البابا تجاه البندقدارية بجوار حمام الفارقانى قريب من صليبة جامع ابن طولون * (حارة المصامدة) هذه الحارة عرفت بطائفة المصامدة أحد طوائف عساكر الخلفاء الفاطميين واختطت فى وزارة المأمون البطايحى وخلافة الآمر باحكام الله بعد سنة خمس عشرة وخمسمائة قال ابن عبد الظاهر حارة المصامدة، قدمهم عبد الله المصمودى وكان المأمون البطايحى وزير الخليفة الآمر باحكام الله قدمه ونوه بذكره وسلم له أبوابه للمبيت عليها وأضاف اليه جماعة من أصحابه فلما استخلص المصامدة وقربهم سير أبا بكر المصمودى ليختار لهم حارة فتوجه بالجماعة الى اليانسية بالشارع فلم يجد بها مكانا ووجدها تضيق عنهم فسير المهندسين لاختيار حارة لهم فاتفقوا على بناء حارة ظاهر باب الحديد على يمنة الخارج على شاطئ بركة الفيل فقال بل تكون على يسرة الخارج والفسح قدامها الى بركة الفيل فبنيت الحارة على يسرة الخارج من الباب المذكور وبنى بجانبها مسجد على زلاقة الباب المذكور وبنى أبو بكر المصمودى مسجدا أيضا وهذه فيما أعتقد هى الهلالية وحذر من بناء شئ قبالتها فى الفضاء الذى بينها وبين بركة الفيل لانتفاع الناس بها وصار ساحل بركة الفيل من المسجد قبالة هذه الحارة الى آخر حصن دويرة مسعود الى الباب الجديد ولم يزل ذلك الى بعض أيام الخليفة الحافظ لدين الله قال وبنى فى صف هذه الحارة من قبليها عدة دور بحوانيت تحتها الى ان اتصل البناء بالمساجد الثلاثة الحاكمية المعلقة والقنطرة المعروفة بدار ابن طولون وبعدها بستان ذكر أنه كان فى جملة قاعات الدار المذكورة قال وأظن المساجد هى التى قبالة حوض الجاولى قال وبنى المأمون ظاهره حوضا وأجرى الماء له وذلك قبالة مشهد محمد الاصغر ومشهد السيدة سكينة قال وأظن هذا البستان هو الذى بنته شجر الدر بستانا ودارا وحمامات قريب من مشهد السيدة نفيسة قال وأمر المأمون بالنداء فى القاهرة مع مصر ثلاثة أيام بأن من كانت له دار فى الخراب أو مكان يعمره ومن عجز عن ان يعمره فليؤجره من غير نقل شئ من انقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له فى شئ منه ولا حكر يلزمه واباح تعمير ذلك جميعه بغير طلب بحق فيه فطاب الناس كافة ماهو جار فى الديوان السلطانى وغيره وعمروه حتى صار البلدان لا يتخللهما داثر ولا دارس وبنى فى الشارع يعنى خارج باب زويلة من الباب الجديد الى الجبل عرضا وهو القلعة الآن قال وكان الخراب استولى على تلك الاماكن فى زمن المستنصر فى ايام وزارة البازورى حتى انه كان بنى حائطا يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا توجه من القاهرة الى مصر وبنى حائطا آخر عند جامع ابن طولون قال وعمر ذلك حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون يصلون العشاء الاخيرة بالقاهرة ويتوجهون الى مساكنهم فى مصر لا يزالون فى ضوء وسرج وسوق موقود الى باب الصفا وهو المعاصر الآن وذلك انه يخرج من الباب الجديد الحاكمى على يمنة بركة الفيل الى بستان سيف الاسلام وعدة بساتين وقبالة جميع ذلك حوانيت مسكونة عامرة بالمتعيشين الى مصر والمعاش مستمر الليل والنهار * (حارة الهلالية) ذكر ابن عبد الظاهر أنها على يسرة الخارج من الباب الجديد الحاكمى * (حارة البيازرة) هذه الحارة خارج باب القنطرة على شاطئ الخليج من شرقيه فيما بين زقاق الكحل وباب القنطرة حيث المواضع التى تعرف اليوم ببركة جناق والكداشين والى قريب من حارة بهاء الدين واختطت هذه الحارة فى الايام الآمرية وذلك ان زمام البيازرة شكا ضيق دار الطيور بمصر وسأل ان يفسح للبيازرة فى عمارة حارة على شاطئ الخليج بظاهر القاهرة لحاجة الطيور والوحوش الى الماء فاذن له فى ذلك فاختطوا هذه الحارة وجعلوا منازلهم مناظر على الخليج وفى كل دار باب سر ينزل منه الى الخليج واتصل بناء هذه الحارة بزقاق الكحل فعرفت بهم وسميت بحارة البيازرة واحدهم باز يار ثم ان المختار الصقلبى زمام القصر انشأ بجوارها بستانا وبنى فيه منظرة عظيمة وهذا البستان يعرف اليوم موضعه ببستان ابن صيرم خارج باب الفتوح فلما كثرت العمائر فى حارة البيازرة أمر الوزير المأمون بعمل الاقمنة لشى الطوب على شاطئ الخليج الكبير الى حيث كان البستان الكبير الجيوشى الذى تقدم ذكره فى ذكر مناظر الخلفاء ومنتزهاتهم * (حارة الحسينية) عرفت بطائفة من عبيد الشراء يقال لهم الحسينية قال المسبحى فى حوادث سنة خمس وتسعين وثلثمائة وأمر بعمل شونة مما يلى الجبل ملئت بالسنط والبوص والحلفا فابتدى بعملها فى ذى الحجة سنة أربع وتسعين وثلثمائة الى شهور ربيع الاول سنة خمس وتسعين فخامر قلوب الناس من ذلك جزع شديد وظن كل

من يتعلق بخدمة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ان هذه الشونة عملت لهم ثم قويت الاشاعات وتحدث العوام في الطرقات انها للكتاب وأصحاب الدواوين واسبابهم فاجتمع سائر الكتاب وخرجوا باجمعهم في خامس ربيع الاول ومعهم سائر المتصرفين في الدواوين من المسلمين والنصارى الى الرماحين بالقاهرة ولم يزالوا يقبلون الارض حتى وصلوا الى القصر فوقفوا على بابه يدعون ويتضرعون ويضجون ويسألون العفو عنهم ومعهم رقعة قد كتبت عن جميعهم الى ان دخلوا باب القصر الكبير وسألوا ان يعفى عنهم ولا يسمع فيهم قول ساع يسعى بهم وسلموا رقعتهم الى قائد القواد الحسين بن جوهر فأوصلها الى أمير المؤمنين الحاكم بامر الله فاجيبوا الى ماسألوا وخرج اليهم قائد القواد فأمرهم بالانصراف والبكور لقراءة سجل بالعفو عنهم فانصرفوا بعد العصر وقرئ من الغد سجل كتب منه نسخة للمسلمين ونسخة للنصارى ونسخة لليهود بأمانهم والعفو عنهم وقال في ربيع الآخر واشتد خوف الناس من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فكتب ماشاء الله من الامانات للغلمان الاتراك الخاصة وزمامهم وامرائهم من الحمدانية والكجورية والغلمان العرفاء والمماليك وصبيان الدار وأصحاب الاقطاعات والمرتزقة والغلمان الحاكمية القدم على اختلاف اصنافهم وكتب امان لجماعة من خدم القصر الموسومين بخدمة الحضرة بعد ما تجمعوا وصاروا الى تربة للعزيز بالله وضجوا بالبكاء وكشفوا رؤسهم وكتبت سجلات عدة بأمانات للديلم والجبل والغلمان الشرابية والغلمان الريحانية والغلمان البشارية والغلمان المفرقة العجم وغيرهم والنقباء والروم المرتزقة وكتبت عدة امانات للزويليين والبنادين والطبالين والبرقيين والعطوفيين وللعرافة الجوانية والجودرية وللمظفرية وللصنهاجيين ولعبيد الشراء الحسينية وللميمونية وللفرحية وامان لمؤذني ابواب القصر وأمانات لسائر البيازرة والفهادين والجالين وأمانات اخر لعدة اقوام كل ذلك بعد سؤالهم وتضرعهم وقال في جمادى الآخرة وخرج أهل الاسواق على طبقاتهم كل يلتمس كتب امان يكون لهم فكتب فوق المائة سجل بامان لاهل الاسواق على طبقاتهم نسخة واحدة وكان يقرأ جميعها في القصر أبو علي أحمد بن عبد السميع العباسي وتسلم أهل كل سوق ما كتب لهم وهذه نسخة أحدها بعد البسملة (هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبي علي الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لاهل مسجد عبد الله انكم من الآمنين بامان الله الملك الحق المبين وامان جدنا محمد خاتم النبيين وأبينا علي خير الوصيين وآبائنا الذرية النبوية المهديين صلى الله على الرسول ووصيه وعليهم أجمعين وامان أمير المؤمنين على النفس والحال والدم والمال لا خوف عليكم ولا تمتد يد بسوء اليكم الا في حد يقام بواجبه وحق يؤخذ بمستوجبه فليوثق بذلك وليعول عليه ان شاء الله تعالى وكتب في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة والحمد لله وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى خير الوصيين وعلى الائمة المهديين ذرية النبوة وسلم تسليما كثيرا * (وقال ابن عبد الظاهر فاما الحارات التي من باب الفتوح ميمنة وميسرة للخارج منه فالميمنة الى الهليلجة والميسرة الى بركة الارمن برسم الريحانية وهي الحسينية الآن وكانت برسم الريحانية الغزاوية والمولدة والعجمان وعبيد الشراء وكانت ثمان حارات وهي حارة حامد بين الحارتين المنشية الكبيرة الحارة الكبيرة الحارة الوسطى سوق الكبير الوزيرية وللاجناد بظاهر القاهرة حارات وهي حارة البيازرة والحسينية جميع ذلك سكن الريحانية وسكن الجيوشية والعطوفية بالقاهرة وبظاهرها الهلالية والشوبك وحاب والحبانية والمامونية وحارة الروم وحارة المصامدة والحارة الكبيرة والمنصورة الصغيرة واليانسية وحارة أبي بكر والمقس وراس التبان والشارع ولم يكن للاجناد في هذا الوجه غير حارة عنتر للمؤمنين المترجلة وكانت كل حارة من هذه بلدة كبيرة بالبزازين والعطارين والجزارين وغيرهم والولاة لا يحكمون عليها ولا يحكم فيها الا الازمة ونوابهم وأعظم الجميع الحارة الحسينية التي هي آخر صف الميمنة الى الهليلجة وهي الحسينية الآن لانها كانت سكن الارمن فارسهم وراجلهم وكان يجتمع بها قريب من سبعة آلاف نفس واكثر من ذلك وبها اسواق عدة ‌ وقال في موضع آخر الحسينية منسوبة لجماعة من الاشراف الحسينيين كانوا في الايام الكاملية قدموا من الحجاز فنزلوا خارج باب النصر بهذه الامكنة واستوطنوها وبنوا بها مدابغ صنعوا بها الاديم المشبه بالطائفي فسميت بالحسينية ثم سكنها الاجناد بعد ذلك وابتنوا بها هذه الابنية العظيمة وهذا وهم فانه تقدم ان من جملة الطوائف في الايام الحاكمية الطائفة الحسينية وتقدم فيما نقله ابن عبد الظاهر أيضا ان الحسينية كانت عدة حارات والايام الكاملية انما كانت بعد الستمائة وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما ينيف عن مائتي سنة فتدبره * واعلم ان الحسينية شقتان احداهما

ماخرج عن باب الفتوح وطولها من خارج باب الفتوح الى الخندق وهذه الشقة هي التي كانت مساكن الجند في ايام الخلفاء الفاطميين وبها كانت الحارات المذكورة والشقة الاخرى ماخرج عن باب النصر وامتد في الطول الى الريدانية وهذه الشقة لم يكن بها في أيام الخلفاء الفاطميين سوى مصلى العيد تجاه باب النصر ومابين المصلى الى الريدانية فضاء لابناء فيه وكانت القوافل اذا برزت تريد الحج تنزل هنالك فلما كان بعد الخمسين وأربعمائة وقدم بدر الجمالي أمير الجيوش وقام بتدبير أمر الدولة الخليفة المنتصر بالله انشأ بحري مصلى العيد خارج باب النصر تربة عظيمة وفيها قبره هو وولده الافضل ابن امير الجيوش وأبو علي كتيفات بن الافضل وغيره وهي باقية الى يومنا هذا ثم تتابع الناس في انشاء الترب هنالك حتى كثرت ولم تزل هذه الشقة مواضع للترب ومقابر اهل الحسينية والقاهرة الى بعد السبعمائة ولقد حدثت عن المشيخة ممن ادركت بان مابين مصلى الاموات التي خارج باب النصر وبين دار كهرداش التي تعرف اليوم بدار الحاجب مكانا يعرف بالمراغة معد لتمريغ الدواب به وان مافي صف المصلى من بحريها الترب فقط ولم تعمر هذه الشقة الا في الدولة التركية لاسيما لما تغلب التتر على ممالك الشرق والعراق وجفل الناس الى مصر فنزلوا بهذه الشقة وبالشقة الاخرى وعمروا بها المساكن ونزل بها أيضا أمراء الدولة فصارت من أعظم عمائر مصر والقاهرة واتخذ الامراء بها من بحريها فيما بين الريدانية الى الخندق مناخات الجمال واصطبلات الخيل ومن ورائها الاسواق والمساكن العظيمة في الكثرة وصار أهلها يوصفون بالحسن خصوصا لما قدمت الاويراتية

(ذكر قدوم الاويراتية)

وكان من خبر هذه الطائفة ان بيدو بن طرغاي بن هولاكو لما قتل في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وسبعمائة وقام في الملك من بعده على المغل الملك غازان محمود بن خربنده بن ابغا بن تخوف منه عدة من المغل يعرفون بالاويراتية وفروا عن بلاده الى نواحي بغداد فنزلوا هنالك مع كبيرهم طرغاي وجرت لهم خطوب آلت بهم الى اللحاق بالفرات فاقاموا بها هنالك وبعثوا الى نائب حلب يستأذنونه في قطع الفرات ليعبروا الى ممالك الشام فاذن لهم وعدوا الفرات الى مدينة بهنسا فاكرمهم نائبها وقام لهم بما ينبغي من العلوفات والضيافات وطولع الملك العادل زين الدين كتبغا وهو يومئذ سلطان مصر والشام بأمرهم فاستشار الامراء فيما يعمل بهم فاتفق الرأي على استدعاء اكابرهم الى الديار المصرية وتفريق باقيهم في البلاد الساحلية وغيرها من بلاد الشام وخرج اليهم الامير علم الدين سنجر الدواداري والامير شمس الدين سنقر الاعسر الى دمشق فجهزا من اكابر الاويراتية نحو الثلثمائة للقدوم على السلطان وفرقا من بقي منهم بالبقاع العزيزة وبلاد الساحل ولما قرب الجماعة من القاهرة خرج الامراء بالعسكر الى لقائهم واجتمع الناس من كل مكان حتى امتلأ الفضاء للنظر اليهم فكان لدخولهم يوم عظيم وصاروا الى قلعة الجبل فأنعم السلطان على طرغاي مقدمهم بأمرة طبلخانه وعلى الاصوص بأمرة عشرة واعطى البقية تقادما في الحلقة واقطاعات واجرى عليهم الرواتب وانزلوا بالحسينية وكانوا على غير الملة الاسلامية فشق ذلك على الناس وبلوا من ذلك منهم بأنواع من البلاء لسوء اخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم وكان اذ ذاك بالقاهرة ومصر غلاء كبير وفناء عظيم فتضاعفت المضرة واشتد الامر على الناس وقال في ذلك الاديب شمس الدين محمد بن دينار

ربنا اكشف عنا العذاب فانا * قد تلفنا في الدولة المغلية

جاءنا المغل والغلا فانصلقنا * وانطجنا في الدولة المغلية

ولما دخل شهر رمضان من سنة خمس وتسعين وستمائة لم يصم احد من الاويراتية وقيل للسلطان ذلك فأبى ان يكرههم على الاسلام ومنع من معارضتهم ونهى ان يشوش عليهم احد وأظهر العناية بهم وكان مراده أن يجعلهم عونا له يتقوى بهم فبالغ في اكرامهم حتى أثر في قلوب امراء الدولة منه احنا وخشوا ايقاعه بهم فان الاويراتية كانوا أهل جنس كتبغا وكانوا مع ذلك صورا جميلة فافتتن بهم الامراء وتنافسوا في أولادهم من الذكور والاناث واتخذوا منهم عدة صيروهم من جملة جندهم وتعشقوهم فكان بعضهم يستنشد من صاحبه من اختص به وجعله محل شهوته ثم ماقنع الامراء ما كان منهم بمصر حتى ارسلوا الى البلاد الشامية واستدعوا منهم طائفة كبيرة فتكاثر نسلهم في القاهرة واشتدت الرغبة من الكافة في أولادهم على اختلاف الآراء في الاناث والذكور فوقع

التحاسد والتشاجر بين أهل الدولة الى ان آل الامر بسببهم و باسباب أخر الى خلع السلطان الملك العادل كتبغا من الملك فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة فلما قام فى السلطنة من بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين قبض على طرغاى مقدم الاورباتية وعلى جماعة من اكابرهم وبعث بهم الى الاسكندرية فسجنهم بها وقتلهم وفرق جميع الاورباتية على الامراء فاستخدموهم وجعلوهم من جندهم فصار اهل الحسينية لذلك يوصفون بالحسن والجمال البارع وأدركنا من ذلك طرفا جيدا وكان للناس فى نكاح نسائهم رغبة ولآخرين شغف باولادهم ولله در الشيخ تقى الدين السروجى اذ يقول من ابيات

ياساعى الشوق الذى مذ جرى * جرت دموعى فهى اعوانه
خذلى جوابا عن كتابى الذى * الى الحسينية عنوانه
فهى كما قد قيل وادى الحمى * واهلها فى الحسن غزلانه
امشى قليلا وانعطف يسرة * يلقاك درب طال بنيانه
واقصد بصدر الدرب ذاك الذى * بحسنه تحسن جيرانه
سلم وقل يخشى مسن اى مسن * اشت حديثا طال كتمانه
وسل لى الوصل فان قال بق * فقل اوت قد طال هجرانه

ومابرحوا يوصفون بالزعارة والشجاعة وكان يقال لهم البدورة فيقال البدر فلان والبدر فلان ويعانون لباس الفتوة وحمل السلاح ويؤثر عنهم حكايات كثيرة وأخبار جمة وكانت الحسينية قد أربت فى عمارتها على سائر اخطاط مصر والقاهرة حتى لقد قال لى ثقة ممن ادركت من الشيخة انه يعرف الحسينية عامرة بالاسواق والدور وسائر شوارعها كافة بازدحام الناس من الباعة والمارة وأرباب المعايش واصحاب اللهو والملعوب فيما بين الريدانية محطة الحجاج يوم خروج الحاج من القاهرة والى باب الفتوح لايستطيع الانسان أن يمر فى هذا الشارع الطويل العريض طول هذه المسافة الكبيرة الا بمشقة من الزحام كما كنا نعرف شارع بين القصرين فيما ادركنا ومازال امر الحسينية متماسكا الى ان كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة ومابعدها فخربت حاراتها ونقضت مبانيها و بيع مافيها من الاخشاب وغيرها وباد أهلها ثم حدث بها بعد سنة عشرين وثمانمائة آية من آيات الله تعالى وذلك ان فى اعوام بضع وستين وسبعمائة بدا بناحية برج الزيات فيما بين المطرية وسرياقوس فساد الارضة التى من شأنها العبث فى الكتب والثياب فأكلت لشخص نحو ألف وخمسمائة قتة دريس فكنا نتعجب من ذلك ثم فشت هناك وشنع عبثها فى سقوف الدور وسرت حتى عاثت فى اخشاب سقوف الحسينية وغلات أهلها وسائر امتعتهم حتى أتلفت شيأ كثيرا وقويت حتى صارت تأكل الجدران فبادر أهل تلك الجهة الى هدم ماقد بقى من الدور خوفا عليها من الارضة شيأ بعد شئ حتى قارب ابواب الفتوح و باب النصر وقد بقى منها اليوم قليل من كثير يخاف ان استمرت أحوال الاقليم على ماهى عليه من الفساد ان تدثر وتعفى آثارها كما دثر سواها ولله در القائل

والله ان لم يداركها وقد رحلت * بلمحة أو بلطف من لديه خفى
و لم يجد بتلافيها على عجل * ماأمرها صائر الاالى تلف

*(حارة حلب) هذه الحارة خارج باب زويلة تعرف اليوم بزقاق حلب وكانت قديما من جملة مساكن الاجناد قال ياقوت فى باب حلب الاول حلب المدينة المشهورة بالشام وهى قصبة نواحى قنسرين والعواصم اليوم الثانى حلب الساجور من نواحى حلب أيضا الثالث كفر حلب من قراها أيضا الرابع محلة بظاهر القاهرة بالشارع من جهة الفسطاط والله تعالى اعلم

(ذكر اخطاط القاهرة وظواهرها)

قد تقدم ذكر ما يطلق عليه حارة من الاخطاط ونريد ان نذكر من الخطط مالا يطلق عليه اسم حارة ولا درب وهى كثيرة وكل قليل تتغير أسماؤها ولا بد من ايراد ما تيسر منها *(خط خان الوراقة) هذا الخط فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة امير الجيوش وفى شرقيه سوق المرحلين وهو يشتمل على عدة مساكن وبه طاحون وكان موضعه قديما اصطبل الصبيان الحجرية لموقف خيولهم كما تقدم فلما زالت الدولة الفاطمية اختط مواضع للسكنى وقد شمله الخراب

* (خط باب القنطرة) هذا الخط كان يعرف قديما بحارة المرتاحية وحارة الفرحية والرماحين وكان ما بين الرماحين الذى يعرف اليوم بباب القوس داخل باب القنطرة و بين الخليج فضاء لا عمارة فيه بطول ما بين باب الرماحين الى باب الخوخة والى باب سعادة والى باب الفرج ولم يكن اذ ذاك على حافة الخليج عمائر البتة وانما العمائر من جانب الكافورى وهى مناظر اللؤلؤة وما جاورها من قبليها الى باب الفرج وتخرج العامة عصريات كل يوم الى شاطئ الخليج الشرقى تحت المناظر للتفرج فان بر الخليج الغربى كان فضاء ما بين بساتين و برك كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى * قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وثمانين وخمسمائة فى شوال قطع النيل الجسور واقتلع الشجر وغرق النواحى وهدم المساكن وأتلف كثيرا من النساء والاطفال وكثر الرخاء بمصر فالقمح كل مائة أردب بثلاثين دينارا والخبز البايت ستة ارطال بربع درهم والرطب الامهات ستة ارطال بدرهم والموز ستة ارطال بدرهم والرمان الجيد مائة حبة بدرهم والحمل الخيار بدرهمين والتين ثمانية ارطال بدرهم والعنب ستة ارطال بدرهم فى شهر بابه بعد انقضاء موسمه المعهود بشهرين والياسمين خمسة ارطال بدرهم وآل أمر اصحاب البساتين الى ان لا يجمعوا الزهر لنقص ثمنه عن اجرة جمعه و ثمر الحناء عشرة ارطال بدرهم والبسرة عشرة ارطال بدرهم من جيده والمتوسط خمسة عشر رطلا بدرهم وما فى مصر الا متسخط بهذه النعمة قال ولقد كنت فى خليج القاهرة من جهة المقس لانقطاع الطرق بالمياه فرأيت الماء مملوءا سمكا والزيادة قد طبقت الدنيا والنخل مملوء ثمرا والمكشوف من الارض مملوء بحانا و بقولا ثم نزلت فوصلت الى المقس فوجدت من القلعة التى بالمقس الى منية السيرج غلالا قد ملأت صبرها الارض فلا يدرى الماشى أين يضع رجله متصلا عرض ذلك الى باب القنطرة وعلى الخليج عند باب القنطرة من مراكب الغلة ما قد ستر سواحله وارضه قال ودخلت البلد فرأيت فى السوق من الاخباز والجحوم والالبان والفواكه ما قد ملأها وهجمت منه العين على منظر ما رأيت قبله مثله قال وفى البلد من البغى ومن المعاصى ومن الجهر بها ومن الفسق بالزنا واللواط ومن شهادة الزور ومن مظالم الامراء والفقهاء ومن استحلال الفطر فى نهار رمضان وشرب الخمر فى ليله ممن يقع عليه اسم الاسلام ومن عدم النكير على ذلك جميعه ما لم يسمع ولم يعهد مثله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وظفر بجماعة مجتمعين فى حارة الروم يتغدون فى قاعة فى نهار رمضان فما كلموا او بقوم مسلمين ونصارى اجتمعوا على شرب خمر فى ليل رمضان فما أقيم فيهم حد وخط باب القنطرة فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة أمير الجيوش و ينتهى من قبليه الى خط بين السورين * (خط بين السورين) هذا الخط من حد باب الكافورى فى الغرب الى باب سعادة وبه الآن صفان من الاملاك أحدهما مشرف على الخليج والآخر مشرف على الشارع المسلوك فيه من باب القنطرة الى باب سعادة و يقال لهذا الشارع بين السورين تسميه العامة بها فاشتهر بذلك وكان فى القديم بهذا الخط البستان الكافورى يشرف عليه بحده الغربى ثمة مناظر اللؤلؤة وقد بقيت منها عقود مبنية بالآجر يمر السالك فى هذا الشارع من تحتها ثم مناظر دار الذهب وموضعها الآن دار تعرف بدار بهادر الاعسر وعلى بابها بئر يستقى منها الماء فى حوض يشرب منه الدواب و يجاورها قبو معقود يعرف بقبو الذهب هو من بقية مناظر دار الذهب و بحد دار الذهب منظرة الغزالة وهى بجوار قنطرة الموسكى وقد بنى فى مكانها ربع يعرف الى اليوم بربع غزالة ودار ابن قرفه وقد صار موضعها جامع ابن المغربى وحمام ابن قرفة وبقى منها البئر التى يستقى منها الى اليوم بحمام السلطان وعدة دور كلها فيما يلى شقة القاهرة من صف باب الخوخة وكان ما بين المناظر والخليج براحا ولم يكن شئ من هذه العمائر التى بحافة الخليج اليوم البتة وكان الحاكم بأمر الله فى سنة احدى واربعمائة منع من الركوب فى المراكب بالخليج وسد أبواب القاهرة التى تلى الخليج وأبواب الدور التى هنالك والطاقات المطلة عليه على ما حكاه المسبحى * وقال ابن المامون فى حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام بها مدة النيل على الحكم الاول يعنى قبل أيام أمير الجيوش بدر وابنه الافضل وازالة ما لم تكن العادة جارية عليه من مضايقة اللؤلؤة بالبناء وانها صارت حارات تعرف بالفرحية والسودان وغيرهما أمر حسام الملك متولى بابه باحضار عرفاء الفرحية والانكار عليهم فى تجاسرهم على ما استجدوه وأقدموا عليه فاعتذر وابكثرة الرجال وضيق الامكنة عليهم فبنوا لهم قبابا يسيرة فتقدم يعنى أمر الوزير المامون الى متولى الباب بالانعام عليهم وعلى جميع من بنى فى هذه الحارة بثلاثة آلاف درهم وان يقسم بينهم بالسوية و يأمرهم بنقل قسمهم وأن يبنوا لهم حارة قبالة بستان الوزير يعنى

ابن المغربي خارج الباب الجديد من الشارع خارج باب زويلة قال وتحول الخليفة الى اللؤلؤة بحاشيته واطلقت التوسعة فى كل يوم لما يختص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الاصناف وانضاف اليها مايطلق كل ليلة عيناوورقا وأطعمة للبائتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر فى طول الليل من باب قنطرة بهادر الى مسجد اللمونة من البرين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها والعرض من متولى الباب واقع بالعدة فى طرفى كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضا من المنام والرهجية تخدم على الدوام

* (خط الكافورى) هذا الخط كان بستانا من قبل بناء القاهرة وتملك الدولة الفاطمية لديار مصر أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طغج بن جف الملقب بالاخشيد وكان بجانبه ميدان فيه الخيول وله أبواب من حديد فلما قدم جوهر القائد الى مصر جعل هذا البستان من داخل القاهرة وعرف ببستان كافور وقيل له فى الدولة الفاطمية البستان الكافورى ثم اختط مساكن بعد ذلك قال ابن زولاق فى كتاب سيرة الاخشيد ولست خلون من شوال سنة ثلاثين وثلثمائة سار الاخشيد الى الشام فى عساكره واستخلف أخاه أبا المظفر ابن طغج قال وكان يكره سفك الدماء ولقد شرع فى الخروج الى الشام فى آخر سفراته وسار العسكر وكان نازلا فى بستانه فى موضع القاهرة اليوم فركب للمسير فساعة خرج من باب البستان اعترضه شيخ يعرف بمسعود الصابونى يتظلم اليه فنظر له فتطير به وقال خذوه ابطحوه فبطح وضرب خمس عشرة مقرعة وهو ساكت فقال الاخشيد هوذا يتشاطر فقال له كافور قد مات فانزعج واستقال سفرته وعاد لبستانه وأحضر أهل الرجل واستحلهم وأطلق لهم ثلاثمائة دينار وحمل الرجل الى منزله ميتا وكانت جنازته عظيمة وسافر الاخشيد فلم يرجع الى مصر ومات بدمشق

* وقال فى كتاب تتمة كتاب امراء مصر للكندى وكان كافور الاخشيدى أمير مصر يواصل الركوب الى الميدان والى بستانه فى يوم الجمعة ويوم الاحد ويوم الثلاثاء قال وفى غد هذا اليوم يعنى يوم الثلاثاء مات الاستاذ كافور الاخشيدى لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ويوم مات الاستاذ كافور الاخشيدى خرج الغلمان والجند الى المنظرة وخرجوا بستان كافور ونهبوا دوابه وطلبوا مال البيعة وقال ابن عبد الظاهر البستان الكافورى هو الذى كان بستانا للكافور الاخشيدى وكان كثيرا ما يتنزه به وبنيت القاهرة عنده ولم يزل الى سنة احدى وخمسين وستمائة فاختطت البحرية والعزيزية به اصطبلات وازيلت اشجاره قال ولعمرى ان خرابه كان بحق فانه كان عرف بالحشيشة التى يتناولها الفقراء والتى تطلع به يضرب بها المثل فى الحسن قال شاعرهم نور الدين ابو الحسن على بن عبد الله بن على البنبى لنفسه

رب ليل قطعته ونديمى * شاهدى وهو مسمعى وسميرى
مجلسى مسجد وشربى من خضـ * ـراء تزهو بحسن لون نضير
قال لى صاحبى وقد فاح منها * نشرها عن ريا بنشر العبير
امن المسك قلت ليست من المسـ * ـك ولكنها من الكافورى

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد الاسدى الدمشقى المعروف باليغمورى انشدنى الامام العالم المعروف بمجموع الفضائل زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ابن عبد القادر الحنفى لنفسه وهو اوّل من عمل فيها

* وخضراء كافورية بات فعلها * بألبابنا فعل الرحيق المعتق *
* اذا نفحتنا من شذاها بنفحة * تدب لنا فى كل عضو ومنطق *
غنيت بها عن شرب خمر معتق * وبالدلق عن لبس الجديد المزوّق

وانشدنى الحافظ جلال الدين أبو المعز ابن أبى الحسن بن أحمد بن الصائغ المغربى لنفسه

عاطنى خضراء كافورية * يكتب الخمر لها من جندها
* اسكرتنا فوق ما تسكرنا * وربحنا أنفسا من حدها *

وانشدنى لنفسه

قم عاطنى خضراء كافورية * قامت مقام سلافة الصهباء
يغدو الفقير اذا تناول درهما * منها له تيه على الامراء

وتراه من اقوى الورى فلذا خلا * منها عدد ناه من الضعفاء

وانشدنى من لفظه لنفسه أيضا

عاطيت من أهوى وقد زارنى * كالبدر وافى ليلة البدر
والبحر قد مد على متنه * شعاعه جسرا من التبر
خضراء كافورية رنحت * اعطافه من شدة السكر
يفعل منها درهم فوقما * تفعل ارطال من الخمر
فراح نشوانا بها غافلا * لايعرف الحلو من المر
فال وقد نال بها أمره * فبات مردودا الى امرى
قتلتنى قلت نعم سيدى * قتلين بالسكر وبالبحر

قال وأمر السلطان الملك الصالح يعنى نجم الدين أيوب الأمير جمال الدين اباالفتح موسى بن يغموران يمنع من زرع فى الكافورى من الحشيشة شيأ فدخل ذات يوم فرأى فيه منها شيأ كثيرا فأمر بأن يجمع فجمع واحرق فأنشدنى فى الواقعة الشيخ الاديب الفاضل شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف لنفسه وذلك فى ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين وستمائة

صرف الزمان وحادث المقدور * تركا نكير الخطب غير نكير
* ماساالماحيا ولا ميتا ولا * طودا سما بل دكدكا بالطور *
لهفى وهل يجدى التلهف فى ذرى * طرب الغنى وانس كل فقير
اخت المدلة لارتكاب محرم * قطب السرور بأيسر الميسور
جمعت محاسن مااجتمعن لغيرها * من كل شئ كان فى المعمور
منها طعام والشراب كلاهما * والبقل والريحان وقت حضور
هى روضة ان شئتها ورياضة * يغنى بها عن روضة وخمور
مافى المدامة كلها منها سوى * اثم المدام وصحبة المخمور
كلا ونكهة خمرة هى شاهد * عدل على حد وجلد ظهور
آسفا الدهر غالها ولربما * ظل الكريم بذلة المأسور *
جمعت له الاشيا ذكرا اخضرا * كعروسة تجلى بخضر حرير
* زفوا الهانار الخلنا جنة * برزت لناقد زوجت بالنور
* ثم اكتست منها غلالة صفرة * فى خضرة مقرونة بزفير *
فكأنها لهب اللظى فى خضرة * منها وطرف رمادها المنثور
جارى النضار على مذاب زمرذ * تركا فتيت المسك فى الكافورى
* لله درك حية أو ميتة * من منظر بهج بغير نظير *
أوذيت غير ذميمة فسقى الحيا * تربا تضمن منك ذوب عبير
عندى لذكرك مابقيت مخلدا * سح الدموع ونفثة المصدور

(ذكر كافور الاخشيدى)

كان عبدا اسود خصيا مثقوب الشفة السفلى بطينا قبيح القدمين ثقيل البدن جلب الى مصر وعمره عشر سنين فمافوقها فى سنة عشر وثلثمائة فلما دخل الى مصر تمنى ان يكون أميرها فباعه الذى جلبه لمحمد بن هاشم أحد المتقبلين للضياع فباعه لابن عباس الكاتب فمر يوما بمصر على منجم فنظر له فى نجومه وقال له انت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ معه مبلغا عظيما فدفع اليه درهمين لم يكن معه سواهما فرمى بهما اليه وقال ابشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين ثم قال له وأزيدك انت تملك هذه البلد وا كثر منه فاذكرنى * واتفق ان ابن عباس الكاتب ارسله بهدية يوما الى الامير أبى بكر محمد بن طغج الاخشيد وهو يومئذ أحد قواد تكين أمير مصر فأخذ كافورا ورد الهدية فترقى عنده فى الخدم حتى صار من أخص خدمه * ولما مات الاخشيد بدمشق ضبط كافور

الامور وداري الناس ووعدهم الى ان سكنت الدهماء بعد أن اضطرب الناس وجهز استاذه وحمله الى بيت المقدس وسار الى مصر فدخلها وقد انعقد الامر بعد الاخشيد لابنه ابى القاسم أونوجور فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من دمشق بأن سيف الدولة علىّ بن حمدان أخذها وسار الى الرملة فخرج كافور بالعساكر وضرب الدبادب وهى الطبول على باب مضربه فى وقت كل صلاة وسار فظفر وغنم ثم قدم الى مصر وقد عظم امره فقام بخلافة أونوجور فخاطبه القواد بالاستاذ وصار القواد يجتمعون عنده فى داره فيخلع عليهم ويحملهم ويعطيهم حتى انه وقع لجانك أحد القواد الاخشيدية فى يوم بأربعة عشر ألف دينار ثم مازال عبد الله حتى مات وانبسطت يده فى الدولة فعزل وولى واعطى وحرم ودعى له على المنابر كلها الا منبر مصر والرملة وطبرية ثم دعى له بها فى سنة أربعين وثلثمائة وصار يجلس للمظالم فى كل سبت ويحضر مجلسه القضاة والوزراء والشهود ووجوه البلد فوقع بينه و بين الامير أونوجور وتحرّز كل منهما من الاخر وقويت الوحشة بينهما وافترق الجند فصار مع كل واحد طائفة واتفق موت أونوجور فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة و يقال انه سمه فأقام أخاه أبا الحسن علىّ بن الاخشيد من بعده واستبدّ بالامر دونه وأطلق له فى كل سنة اربعمائة ألف دينار واستقل بسائر أحوال مصر والشام فقسد ما بينه و بين الامير أبى الحسن علىّ فضيق عليه كافور ومنع ان يدخل عليه أحد فاعتل بعلة أخيه ومات وقد طالت به فى محرّم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فبقيت مصر بغير أمير أياما لا يدعى فيها سوى للخليفة المطيع فقط وكافور يدبر أمر مصر والشام فى الخراج والرجال فلما كان لاربع بقين من المحرّم المذكور أخرج كافور كتابا من الخليفة المطيع بتقليده بعد علىّ بن الاخشيد فلم يغير لقبه بالاستاذ ودعى له على المنبر بعد الخليفة وكانت له فى ايامه قصص عظام وقدم عسكر من المعز لدين الله أبى تميم معدّ من المغرب الى الواحات فجهز اليه جيشا اخرجوا العسكر وقتلوا منهم وصارت الطبول تضرب على بابه خمس مرّات فى اليوم والليلة وعدّتها مائة طبلة من نحاس وقدمت عليه دعاة المعز لدين الله من بلاد المغرب يدعونه الى طاعته فلاطفهم وكان اكثر الاخشيدية والكافورية وسائر الاولياء والكتاب قد أخذت عليهم البيعة للمعز وقصر مدّ النيل فى ايامه فلم يبلغ تلك السنة سوى اثنى عشر ذراعا وأصابع فاشتدّ الغلاء وفشى الموت فى الناس حتى عجزوا عن تكفينهم ومواراتهم وأرجف بمسير القرامطة الى الشام وبدت تحمانه تتنكر له وكانوا ألفا وسبعين غلاما تركيا سوى الروم والمولدين فمات لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة عن ستين سنة فوجد له من العين سبعمائة ألف دينار ومن الورق والحلى والجوهر والعنبر والطيب والثياب والآلات والفرش والخيام والعبيد والجوارى والدواب ماقوّم بستمائة ألف ألف دينار وكانت مدّة تدبيره أمر مصر والشام والحرمين احدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوما منها منفردا بالولاية بعد أولاد استاذه سنتان وأربعة أشهر وتسعة أيام ومات عن غير وصية ولا صدقة ولا مأثرة يذكر بها ودعى له على المنابر بالكنية التى كناه بها الخليفة وهى أبو المسك أربع عشرة جمعة و بعده اختلت مصر وكادت تدمر حتى قدمت جيوش المعز على يد القائد جوهر فصارت مصر دار خلافة ووجد على قبره مكتوب

مابال قبرك ياكافور منفردا * بصائح الموت بعد العسكر اللجب
يدوس قبرك من أدنى الرجال وقد * كانت اسود الشرى تخشاك فى الكتب

ووجد أيضا مكتوب

انظر الى غير الايام ماصنعت * افنت اناسا بها كانوا وما فنيت
دنياهم اضحكت ايام دولتهم * حتى اذا فنيت ناحت لهم وبكت

*(خط الخرشتف) هذا الخط فيما بين حارة برجوان والكافورى ويتوصل اليه من بين القصرين وقد دخل له من قبو يعرف بقبو الخرشتف وهو الذى كان يعرف قديما بباب التبانين و يسلك من الخرشتف الى خط باب سر المارستان والى حارة زويلة وكان موضع الخرشتف فى أيام الخلفاء الفاطميين ميدانا بجوار القصر الغربى والبستان الكافورى فلما زالت الدولة اختط وصار فيه عدّة مساكن وبه أيضا سوق وانما سمى بالخرشتف لان المعز أول من بنى فيه الاصطبلات بالخرشتف وهو ما يتحجر مما يوقد به على مياه الحمامات من الازبال وغيرها * قال ابن عبد الظاهر الحارة المعروفة بالخرشتف كانت قديما ميدانا للخلفاء فلما ورد المعز بنوا به اصطبلات وكذلك القصر الغربى وقد كان النساء اللاتى اخرجن من القصر يسكن بالقصر النافعى فامتدت الايدى الى طوبه

وأخشابه وبيعت وتلاشى حاله وبنى به وبالميدان اصطبلات ودويرات بالخرشتف فسمى بذلك ثم بنى به الادر والطواحين وغيرها وذلك بعد السبعمائة وأكثر أراضى الميدان حكر للادر القطبية * (خط اصطبل القطبية) هذا الخط أيضا من جملة أراضى الميدان ولما انتقلت القاعة التى كانت سكن أخت الحاكم بأمر الله بعد زوال الدولة الفاطمية صارت الى الملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب فاستقر بها هو وذريته فصاريقال لها الدار القطبية واتخذ هذا المكان اصطبلا لهذه القاعة فعرف باصطبل القطبية ثم لما اخذ الملك المنصور قلاوون القاعة القطبية من مؤنسة خاتون المعروفة بدار اقبال ابنة الملك العادل أبى بكر ابن أيوب أخت المفضل قطب الدين أحمد المعروفة بخاتون القطبية وعملها المارستان المنصورى بنى فى هذا الاصطبل المساكن وصارت من جملة الخطط المشهورة ويتوصل اليه من وسط سوق الخرشتف ويسلك فيه من آخره الى المدرسة الناصرية والمدرسة الظاهرية المستجدة وعمل على اوله درب يغلق وهو خط عامر * (خط باب سر المارستان) هذا الخط يسلك اليه من الخرشتف ويصير السالك فيه الى البندقانيين وبعض هذا الخط وهو جله ومعظمه من جملة اصطبل الجميزة الذى كان فيه خيول الدولة الفاطمية وقد تقدم ذكره وموضع باب سر المارستان المنصورى هو باب الساباط فلما زالت الدولة واختط الكافورى والخرشتف واصطبل القطبية صار هذا الخط واقعا بين هذه الاخطاط ونسب الى باب سر المارستان لانه من هنالك وادركت بعض هذه الخطة وهى خراب ثم انشأ فيه القاضى جمال الدين محمود القيصرى محتسب القاهرة فى أيام ولايته نظر المارستان فى سنة احدى وثمانين وسبعمائة الطاحون العظيمة ذات الاحجار والفرن والربع علوه فى المكان الخراب وجعل ذلك جاريا فى جملة اوقاف المارستان المنصورى * (خط بين القصرين) هذا الخط اعمر أخطاط القاهرة وأنزهها وقد كان فى الدولة الفاطمية فضاء كبيرا وبراحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف من العسكر ما بين فارس وراجل ويكون به طرادهم ووقوفهم للخدمة كما هو الحال اليوم فى الرميلة تحت قلعة الجبل فلما انقضت أيام الدولة الفاطمية وخلت القصور من أهاليها ونزل بها أمراء الدولة الايوبية وغيروا معالمها صار هذا الموضع سوقا مبتذلا بعد ما كان ملاذا مبجلا وقعد فيه الباعة باصناف المأكولات من اللحمان المتنوعة والحلاوات المصنعة والفاكهة وغيرها فصار منتزها تمر فيه اعيان الناس وأماثلهم فى الليل مشاة لرؤية ما هنالك من السرج والقناديل الخارجة عن الحد فى الكثرة ولرؤية ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين مما فيه لذة للحواس الخمس وكانت تعقد فيه عدة حلق لقراءة السير والاخبار وانشاد الاشعار والتفنن فى انواع اللعب واللهو فيصير مجمعا لا يقدر قدره ولا يمكن حكاية وصفه وسأتلو عليك من أنباء ذلك ما لا تجده مجموعا فى كتاب * قال المسبحى فى حوادث جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة وفيه منع كل أحد ممن يركب مع المكاريين ان يدخل من باب القاهرة راكبا ولا المكاريين أيضا بحميرهم ولا يجلس أحد على باب الزهومة من التجار وغيرهم ولا يمشى أحد ملاصق القصر من باب الزهومة الى اقصى باب الزمرذ ثم عفى عن المكاريين بعد ذلك وكتب لهم امان قرئ * وقال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر كل ليلة خمسون فارسا فاذا اذن بالعشاء الاخرة داخل القاعة وصلى الامام الراتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة ابن الكركندى فاذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق وتوابعهما من عدة وافرة بطريق مستحسنة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك استاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها اغلق الباب وسار الى حوالى القصر سبع دورات فاذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم وافضى المؤذنون الى خزائنهم هنالك ورميت السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان الى ان تضرب النوبة سحرا قريب الفجر فتنصرف الناس من هنالك بارتفاع السلسلة انتهى * واخبرنى المشيخة انه مازال الرسم الى قريب أنه لا يمر بشارع بين القصرين حمل تبن ولا حمل حطب ولا يستطيع أحد أن يسوق فرسا فيه فان ساق أحد انكر عليه وخرق به * وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب والمكان الذى كان يعرف فى القاهرة ببين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية * وقال ياقوت وبين القصرين كان ببغداد بباب الطاق يراد به قصر اسماء بنت المنصور وقصر عبد الله بن المهدى وكان يقال لهما ايضا بين القصرين وبين

القصرين بمصر والقاهرة وهما قصران متقابلان بينهما طريق العامّة والسوق عمرهما ملوك مصر المغاربة المتعلونة الذين ادّعوا انهم علوية وحدّثني الفاضل الرئيس تقيّ الدين عبد الوهاب ناظر الخواص الشريفة ابن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله ابن أبي شاكر أنه كان يشترى فى كل ليلة من بين القصرين بعد العشاء الآخرة برسم الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله بن خصيب من الدجاج المطجن والقطا وفراخ الحمام والعصافير المقلاة بمبلغ مائتي درهم وخمسين درهما فضة يكون عنها يومئذ نحو من اثني عشر مثقالا من الذهب وأن هذا كان دأبه فى كل ليلة ولا يكاد مثل هذا مع كثرته لرخاء الاسعار يؤثر نقصه فيما كان هنالك من هذا الصنف لعظم ما كان يوضع فى بين القصرين من هذا النوع وغيره ولقد ادركنا فى كل ليلة من بعد العصر يجلس الباعة بصنف لحمان الطيور التى تقلى صفا من باب المدرسة الكاملية الى باب المدرسة الناصرية وذلك قبل بناء المدرسة الظاهرية المستجدة فيباع لحم الدجاج المطجن ولحم الاوز المطجن كل رطل بدرهم وتارة بدرهم وربع وتباع العصافير المقلوّة كل عصفور بفلس حسابا عن كل أربعة وعشرين بدرهم والمشيخة تقول انا حينئذ فى غلاء لكثرة ما تصف من سعة الارزاق ورخاء الاسعار فى الزمن الذى ادركوه قبل الفناء الكبير ومع ذلك فلقد وقع فى سنة ست وثمانين شئ لا يكاد يصدقه اليوم من لم يدرك ذلك الزمان وهو أنه كان لنا من جيراننا بحارة برجوان شخص يعانى الجندية ويركب الخيل فبلغنى عن غلامه انه خرج فى ليلة من ليالى رمضان وكان رمضان اذ ذاك فى فصل الصيف ومعه رفيق له من غلمان الخيل وأنهما سرقا من شارع بين القصرين وما قرب منه بضعا وعشرين بطيخة خضراء وبضعا وثلاثين شقفة جبن والشقفة ابدا من نصف رطل الى رطل فما منا الا من تعجب من ذلك وكيف تهيأ لاثنين فعل هذا وحمل هذا القدر يحتاج الى دابتين الى ان قدّر الله تعالى لى بعد ذلك ان اجتمعت بأحد الغلامين المذكورين وسألته عن ذلك فاعترف لى به قلت صف لى كيف عملتما فذكر أنهما كانا يقفان على حانوت الجبان أو مقعد البطيخ وكان اذ ذاك يعمل من البطيخ فى بين القصرين مرصات كثيرة جدّا فى كل مرص ما شاء الله من البطيخ قال فاذا وقفنا قلب أحدنا بطيخة وقلب الآخر أخرى فلشدّة ازدحام الناس يتناول أحدنا بطيخته بخفة يد وصناعة ويقوم فلا يفطن به أو يقلب أحدنا ورفيقه قائم من ورائه والبياع مشغول البال لكثرة ما عليه من المشترين وما فى ذلك الشارع من غزير الناس فيحذفها من تحته وهو جالس القرفصا فاذا أحس بها رفيقه تناولها ومرّ وكذلك كان فعلهم مع الجبانين وكانوا كثيرا فانظر أعزك الله الى بضاعة يسرق منها مثل هذا القدر ولا يفطن به من كثرة ما هنالك من البضائع وأعظم الخلق * ولقد حدّثني غير واحد ممن قدم مع قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى أنه لما قدموا من الكرك فى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين وقال لى ابنه محب الدين محمد اوّل ما شاهدت بين القصرين حسبت ان زفة أو جنازة كبيرة تمرّ من هنالك فلما لم ينقطع المارة سألت ما بال الناس مجتمعين للمرور من ههنا فقيل لى هذا دأب البلد دائما ولقد كنا نسمع أن من الناس من يقوم خلف الشاب أو المرأة عند التمشى بعد العشاء بين القصرين ويجامع حتى يقضى وطره وهما ماشيان من غير أن يدركهما أحد لشدّة الزحام واشتغال كل أحد بلهوه وما برحت أجد من الازدحام مشقة حتى أفادنى بعض من ادركت أن من الرأى فى المشى ان يأخذ الانسان فى مشيه نحو شماله فانه لا يجد من المشقة كما يجد غيره من الزحام فاعتبرت ذلك آلاف مرّات فى عدّة سنين فما اخطأ معى ولقد كنت اكثر من تأمّل المارة بين القصرين فاذا هم صفان كل صف يمرّ من صوب شماله كالسيل اذا اندفع وعلل هذا الذى أفادنى ان القلب من يسار كل أحد والناس تميل الى جهة قلوبهم فلذلك صار مشيهم من صوب شمائلهم وكذا صح لى مع طول الاعتبار ولما حدثت هذه المحن بعد سنة ست وثمانين وثمانمائة تلاشى أمر بين القصرين وذهب ما هنالك وما اخوفنى ان يكون أمر القاهرة كما قيل

هذه بلدة قضى الله يا صا * ح عليها كما ترى بالخراب
فقف العيس وقفة وابك من كا * ن بها من شيوخها والشباب
واعتبر ان دخلت يوما اليها * فهى كانت منازل الاحباب

*(خط الخشيبة) هذا الخط يتوصل اليه من وسط سوق باب الزهومة ويسلك فيه الى الحارة العدوية حيث فندق الرخام برحبة بيبرس والى درب شمس الدولة وقيل له خط الخشيبة من أجل ان الخليفة الظافر لما قتله نصر بن عباس

وبنى على مكانه الذى دفنه فيه المسجد الذى يعرف اليوم بمسجد الخاطبين ويعرف أيضا بمسجد الخلفاء نصبت هنالك خشبة حتى لا يمر أحد من هذا الموضع راكبا فعرف بخشيبة تصغير خشبة ومازالت هنالك حتى زالت الدولة الفاطمية وقام السلطان صلاح الدين بسلطنة مصر فأزال الخشيبة وعرف هذا الخط بها الى اليوم ويقال له خط حمام خشيبة من أجل الحمام التى هنالك * ولمقتل الظافر خبر يحسن ذكره هنا

(ذكر مقتل الخليفة الظافر)

وكان من خبر الظافر أنه لما مات الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الامير أبى القاسم محمد بن المستنصر فى ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بويع ابنه أبو المنصور اسماعيل ولقب بالظافر بأمر الله بوصية من أبيه له بالخلافة وقام بتدبير الوزارة الامير نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال فلم يرض الامير المظفر على بن السلار والى الاسكندرية والبحيرة يومئذ بوزارة ابن مصال وحشد وسار الى القاهرة ففر ابن مصال واستقر ابن السلار فى الوزارة وتلقب بالعادل فجهز العساكر لمحاربة ابن مصال فحاربته وقتل فقوى واستوحش منه الظافر وخاف منه ابن السلار واحترز منه على نفسه وجعل له رجالا يمشون فى ركابه بالزرد والخود وعددهم ستمائة رجل بالنوبة ونقل جلوس الظافر من القاعة الى الايوان فى البراح والسعة حتى اذا دخل للخدمة يكون أصحاب الزرد معه ثم تأكدت النفرة بينهما فقبض على صبيان الخاص وقتل اكثرهم وفرق باقيهم وكانوا خمسمائة رجل ومازال الامر على ذلك الى ان قتله ربيبه عباس بن تميم بيد ولده نصر واستقر بعده فى وزارة الظافر وكان بين ناصر الدين نصر بن عباس الوزير وبين الظافر مودة اكيدة ومخالطة بحيث كان الظافر يشتغل به عن كل أحد ويخرج من قصره الى دار نصر بن عباس التى هى اليوم المدرسة السيوفية فخاف عباس من جراءة ابنه وخشى ان يحمله الظافر على قتله فيقتله كما قتل الوزير على بن السلار زوج جدته أم عباس فنهاه عن ذلك وألحف فى تأنيبه وأفرط فى لومه لان الامراء كانوا مستوحشين من عباس وكارهين منه تقريبه اسامة بن منقذ لما علموه من انه هو الذى حسن لعباس قتل ابن السلار كما هو مذكور فى خبره وهموا بقتله وتحدثوا مع الخليفة الظافر فى ذلك فبلغ اسامة ماهم عليه وكان غريبا من الدولة فأخذ يغرى الوزير عباس بن تميم بابنه نصر ويبالغ فى تقبيح مخالطته للظافر الى ان قال له مرة كيف تصبر على مايقول الناس فى حق ولدك من ان الخليفة يفعل به مايفعل بالنساء فأثر ذلك فى قلب عباس واتفق ان الظافر انعم بمدينة قليوب على نصر بن عباس فلما حضر الى أبيه وأعلمه بذلك واسامة حاضر فقال له يا ناصر الدين ماهى بمهرك غالية يعرض له بالفحش فأخذ عباس من ذلك ما أخذه وتحدث مع اسامة لثقته به فى كيفية الخلاص من هذا فأشار عليه بقتل الظافر اذا جاء الى دار نصر على عادته فى الليل فأمره بمفاوضة ابنه نصر فى ذلك فاغتنمها اسامة ومازال بنصر يشنع عليه ويحرضه على قتل الظافر حتى وعده بذلك فلما كان ليلة الخميس آخر المحرم من سنة تسع وأربعين وخمسمائة خرج الظافر من قصره متنكرا ومعه خادمان كما هى عادته ومشى الى دار نصر بن عباس فاذا به قد أعد له قوما فعند ماصار فى داخل داره وثبوا عليه وقتلوه هو وأحد الخادمين وتوارى عنهم الخادم الاخر ولحق بعد ذلك بالقصر ثم دفنوا الظافر والخادم تحت الارض فى الموضع الذى فيه الآن المسجد وكان سنه يوم قتل احدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ونصف منها فى الخلافة بعد أبيه أربع سنين وثمانية أشهر تنقص خمسة ايام وكان محكوما عليه فى خلافته وفى ايامه ملك الفرنج مدينة عسقلان وظهر الوهن فى الدولة وكان كثير اللهو واللعب وهو الذى انشأ الجامع المعروف بجامع الفاكهيين وبلغ أهل القصر ماعمله نصر بن عباس من قتل الظافر فكاتبوا طلائع بن رزيك وكان على الاشمونين وبعثوا اليه بشعور النساء يستصرخون به على عباس وابنه فقدم بالجموع وفر عباس واسامة ونصر ودخل طلائع وعليه ثياب سود واعلامه وبنوده كلها سود وشعور النساء التى ارسلت اليه من القصر على الرماح فكان فألا عجيبا فانه بعد خمس عشرة سنة دخلت اعلام بنى العباس السود من بغداد الى القاهرة لما مات العاضد واستبد صلاح الدين بملك ديار مصر وكان اول مابدأ به طلائع ان مضى ماشيا الى دار نصر وأخرج الظافر والخادم وغسلهما وكفنهما وحمل الظافر فى تابوت مغشى ومشى طلائع حافيا والناس كلهم حتى وصلوا الى القصر فصلى عليه ابنه الخليفة الفائز ودفن فى تربة القصر *(خط سقيفة العداس)

هذا الخط فيما بين درب شمس الدولة والبندقانيين كان يقال له اولا سقيفة العداس ثم عرف بالصاغة القديمة

ثم

ثم عرف بالاساكفة ثم هو الآن يعرف بالحريريين الشراربين وبسوق الزجاجين وفيه يباع الزجاج وهو خط عامر وهذا العداس هو على بن عمر بن العداس ابو الحسن ضمن فى ايام المعز لدين الله كورة بوصير فخلع عليه وحمله وسار خليفته بالبنود والطبول فى جمادى الاولى سنة أربع وستين وثلثمائة فلما كان فى اول خلافة العزيز بالله بن المعز لدين الله ولاه الوساطة وهى رتبة الوزارة بعد موت الوزير يعقوب بن كلس ولم يلقبه بالوزير فجلس فى القصر لتسع عشرة خلت من ذى الحجة سنة احدى وثمانين وثلثمائة وأمر ونهى ونظر فى الاموال ورتب العمال وأمر أن لا يطلق شئ الا بتوقيعه ولا ينفذ الا ما أمر به وقرره وأمره العزيز بالله أن لا يرتفق أى يرتشى ولا يرتزق يعنى انه لا يقبل هدية ولا يضيع دينارا ولا درهما فأقام سنة وصرف فى اول المحرم من سنة ثلاث وثمانين فتقرر فى ديوان الاستيفاء الى ان كان جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة حسن لابى طاهر محمود النحوى الكاتب وكان منقطعا اليه ان يلقى الحاكم بامر الله و يبلغه ما تشكوه الناس من تظافر النصارى وغلبتهم على المملكة وتوازرهم وأن فهد بن ابراهيم هو الذى يقوى نفوسهم و يفوض أمر الاموال والدواوين اليهم وانه آفة على المسلمين وعدة للنصارى فوقف ابو طاهر للحاكم ليلا فى وقت طوافه فى الليل و بلغه ذلك ثم قال يامولانا ان كنت تؤثر جمع الاموال واعزاز الاسلام فأرنى رأس فهد بن ابراهيم فى طشت والا لم يتم من هذا شئ فقال له الحاكم ويحك ومن يقوم بهذا الامر الذى تذكره ويضمنه فقال عبدك على بن عمر بن العداس فقال ويحك أويفعل هذا قال نعم يا أمير المؤمنين قال قل له يلقانى ههنا فى غد ومضى الحاكم فجاء أبو طاهر الى ابن العداس وأعلمه بما جرى فقال و يحك قتلتنى وقتلت نفسك فقال معاذ الله افنصبر لهذا الكلب الكافر على ما يفعل بالاسلام والمسلمين و يتحكم فيهم من اللعب بالاموال والله ان لم تسع فى قتله ليسعين فى قتلك فلما كان فى الليلة القابلة وقف على بن عمر العداس للحاكم ووافقه على ما يحتاج اليه فوعده بانجاز ما اتفقا عليه وأمره بالكتمان وانصرف الحاكم فلما اصبح ركب العداس الى دار قائد القواد حسين بن جوهر القائد فلقى عنده فهد بن ابراهيم فقال له فهد ياهذا كم تؤذينى وتقدح فى عند سلطانى فقال العداس والله ما يقدح ولا يؤذينى عند سلطانى و يسعى على غيرك فقال فهد سلط الله على من يؤذى صاحبه فينا و يسعى به سيف هذا الامام الحاكم بأمر الله فقال العداس آمين وعجل ذلك ولا تمهله فقتل فهد فى ثامن جمادى الآخرة وضربت عنقه وكان له منذ نظر فى الرياسة خمس سنين وتسعة أشهر واثنى عشر يوما وقتل العداس بعده بتسعة وعشرين يوما واستجيب دعاء كل منهما فى الآخر وذهبا جميعا ولا يظلم ربك أحدا وذلك أن الحاكم خلع على العداس فى رابع عشره وجعله مكان فهد وخلع على ابنه محمد بن على فهناه الناس واستمر الى خامس عشرى رجب ثم امر بضرب رقبة ابى طاهر محمود بن النحوى وكان ينظر فى اعمال الشام لكثرة ما رفع عليه من التجبر والعسف ثم قتل العداس فى سادس شعبان سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة واحرق بالنار ● (خط البندقانيين) هذا الخط كان قديما اصطبل الجميزة أحد اصطبلات الخلفاء الفاطميين فلما زالت الدولة اختط وصارت فيه مساكن وسوق من جملته عدة دكاكين لعمل قسى البندق فعرف الخط بالبندقانيين لذلك ثم انه احترق يوم الجمعة للنصف من صفر سنة احدى وخمسين وسبعمائة والناس فى صلاة الجمعة فما قضى الناس الصلاة الا وقد عظم أمره فركب اليه والى القاهرة والنيران قد ارتفع لهيبها واجتمع الناس فلم يعرف من اين كان ابتداء الحريق واتفق هبوب رياح عاصفة فحملت شرر النار الى أمد بعيد ووصلت أشعتها الى أن رؤيت من القلعة فركب الوزير منجك بمماليك الامراء وجمعت السقاؤون لطفى النار فعجزوا عن اطفائها واشتد الامر فركب الامير شيخو والامير طاز والامير مغلطاى أمير اخور وترجلوا عن خيولهم ومنعوا النهابة من التعرض الى نهب البيوت التى احترقت وعم الحريق دكاكين البندقانيين ودكاكين الرسامين وحوانيت الفقاعين والفندق المجاور لها والربع علوه وعملت الى الجانب الذى يلى بيت بيبرس ركن الدين الملقب بالملك المظفر والربع المجاور لها الى زقاق الكنيسة فما زال الامير شيخو واقفا بنفسه ومماليكه ومعه الامراء الى أن هدم ماهنالك والنار تأكل ما تمر به الى أن وصلت الى بئر الدلاء التى كانت تعرف قديما ببئر زويلة ومنها كان يستقى لاصطبل الجميزة فأحرقت ما جاور البئر من الاماكن الى حوانيت الفكاه والطباخ وما يجاورهما من الحوانيت والربع المجاور لدار الجوكندار وكادت أن تصل الى دار القاضى علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر المجاورة لحمام الشيخ نجم الدين ابن عبود ولم يبق أحد فى ذلك الخط حتى حول متاعه خوفا من الحريق فكان أهل البيت

بينما هم فى نقل ثيابهم واذا بالنار قد أحاطت بهم فيتركون ما فى الدار وينجون بأنفسهم والامر يعظم والهدم واقع فى الدور المجاورة لاماكن الحريق خشية من تعلق النار بها فيسرى الى جميع البلد الى ان أتى الهدم على سائر ما كان هنالك فأقام الامر كذلك يومين وليلتين والامراء وقوف فلما خف انصرف الامراء ووقف والى القاهرة ومعه عدة من الامراء لطفى ما بقى فاستمروا فى طفئه ثلاثة ايام أخر وكان المصاب بهذا الحريق عظيما تلف فيه للناس من المال والثياب والمصاغ وغيره بالحريق والنهب ما لا يعلم قدره الا الله هذا مع ما كان فيه الامراء من منع النهابة وكفهم عن أموال الناس الا ان الامر كان قد تجاوز الحد وعطب بالنار جماعة كثيرة ووصل حريق النار الى قيسارية طشتمر وربع بكتمر الساقى فلما كفى الله أمر هذا الحريق وأعان على طفئه بعد أن هدمت عدة اماكن جليلة ما بين رباع وحوانيت وقع الحريق فى اماكن من داخل القاهرة وخارج باب زويلة ووجد فى بعض المواضع التى بها الحريق كعكات بزيت وقطران فعلم أن هذا من فعل النصارى كما وقع فى الحريق الذى كان فى أيام الملك الناصر وقد ذكر فى خبر السيرة الناصرية فنودى فى الناس أن يحترسوا على مساكنهم فلم يبق أحد من الناس اعلاهم وادناهم حتى أعد فى داره أوعية ملآنة بالماء ما بين احواض وأزيار وصار واتيناو بون السهر فى الليل ومع ذلك فلا يدرى أهل البيت الا والنار قد وقعت فى بيتهم فيتداركون طفئها لئلا تشتعل ويصعب أمرها وترك جماعة من الناس الطبخ فى الدور وتمادى ذلك فى الناس من نصف صفر الى عاشر ربيع الاول فأحضر الامير سيف الدين تشتمر شاد الدواوين نشابة فى وسطها نفط قد وجدها فى سطح داره فأراها للامراء وهى محروقة النصل فصدر أمر الوزير منجك للامير علاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة بالقبض على الحرافيش وتقييدهم وسجنهم خوفا من غائلتهم ونهبهم الناس عند وقوع الحريق فتتبعهم وقبض عليهم فى الليل من بيوتهم ومن الحوانيت حتى خلت السكك منهم ثم ان الامراء كلموا الوزير فى أمرهم فأمر باطلاقهم ونودى فى البلد أن لا يقيم فيها غريب وطلبوا الخفراء وولاة المراكز وأمروا بالاحتفاظ وتتبع الناس وأخذ من تتوهم فيه ريبة او يذكر بشئ من أمر هذا والحريق أمره فى تزايد وصار والى القاهرة من ذلك فى تعب كبير لا ينام هو ولا اعوانه فى الليل ألبتة لكثرة الضجات فى الليل ووقع حريق فى شونة حلفاء بمصر مجاورة لمطابخ السكر السلطانية فركب القاضى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص فى جماعة وخرج عامة أهل مصر وتكاثروا على الشونة حتى طفئت ووقع الحريق فى عدة أماكن بمصر واستمر الحريق بمصر والقاهرة مدة شهر من ابتدائه بالبندقانيين ولم يعلم له سبب واستمر اكثر خط البندقانيين خرابا الى أن عمر الامير يونس النوروزى دوادار الملك الظاهر برقوق الربع فوق بئر الدلاء التى كانت تعرف ببئر زويلة وانشأ بجوار درب الانجب الحوانيت والرباع والقيسارية فى سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم انشأ الامير شهاب الدين أحمد الحاجب بن أخت الامير جمال الدين يوسف الاستادار داره بجوار حمام ابن عبود فاتصل ظهرها بدكاكين البندقانيين فصار فيها ما كان من خراب الحريق هنالك حيث الحوض الذى انشأه تجاه دار بيبرس ولقد أدركنا فى خط البندقانيين عدة كثيرة من الحوانيت التى يباع فيها الفقاع تبلغ نحو العشرين حانوتا وكانت من أنزه ما يرى فانها كانت كلها مرخمة بأنواع الرخام الملون وبها مصانع من ماء تجرى الى فوارات تقذف بالماء على ذلك الرخام حيث كيزان الفقاع مرصوصة فيستحسن منظرها الى الغاية لانها من الجانبين والناس يمرون بينهما وكان بهذا الخط عدة حوانيت لعمل قسى البندق وعدة حوانيت لرسم اشكال ما يطرز بالذهب والحرير وقد بقيت من هذه الحوانيت بقايا يسيرة وهو من اخطاط القاهرة الجسيمة *(خط دار الديباج) هذا الخط هو فيما بين خط البندقانيين والوزيرية وكان اولا يعرف بخط دار الديباج لان دار الوزير يعقوب بن كلس التى من جملتها اليوم المدرسة الصاحبية ودرب الحريرى والمدرسة السيفية عملت دارا ينسج فيها الديباج والحرير برسم الخلفاء الفاطميين وصارت تعرف بدار الديباج فنسب اليها الخط الى أن سكن هنالك الوزير صفى الدين عبد الله بن على بن شكر فى أيام العادل أبى بكر بن أيوب فصار يعرف بخط سويقة الصاحب وهو خط جسيم به مساكن جليلة وسوق ومدرسة *(خط المحمين) هذا الخط فيما بين الوزيرية والبندقانيين من وراء دار الديباج وتسميه العامة خط طواحين الملوحيين بواو بعد اللام وقبل الحاء المهملة وهو تحريف وانما هو خط المحمين عرف بطائفة من طوائف العسكر فى أيام الخليفة المستنصر بالله يقال لها المحمية وهم الذين قاموا بالفتنة فى أيام المستنصر الى أن كان من الغلاء ما أوجب خراب البلاد ونهب خزائن الخليفة المستنصر فلما قدم أمير

الجيوش بدر الجمالى الى القاهرة وتقلد وزارة المستنصر وتجرد لاصلاح اقاليم مصر وتتبع المفسدين وقتلهم وسار فى سنة سبع وستين واربعمائة الى الوجه البحرى وقتل لواته وقتل مقدمهم سليمان اللواتى وولده واستصفى أموالهم ثم توجه الى دمياط وقتل فيها عدة من المفسدين فلما أصلح جميع البر الشرقى عدى الى البر الغربى وقتل جماعة من الملحية وأتباعهم بثغر الاسكندرية بعد ما أقام أياما محاصر البلد وهم يمتنعون عليه و يقاتلونه الى أن أخذها عنوة فقتل منهم عدة كثيرة وكان بهذا الخط عدة من الطواحين فسمى بخط طواحين الملحيين و به الى الآن يسير من الطواحين * (خط المسطاح) هذا الخط فيما بين خط الملحيين وخط سويقة الصاحب وفيه اليوم سوق الرقيق الذى يعرف بسوق الجوار والمدرسة الحسامية وما دار به و يعرف بالمسطاح و بخارج باب القنطرة قريب من باب الشعرية أيضا خط يعرف بالمسطاح * (خط قصر أمير سلاح) هذا الخط تجاه حمام البيسرى بين القصرين يسلك فيه الى مدرسة الطواشى سابق الدين المعروفة بالسابقية وكان يخرج منه الى رحبة باب العيد من باب القصر الى أن هدمه الامير جمال الدين يوسف الاستادار وبنى فى مكانه القيسارية المستجدة بجوار مدرسته من رحبة باب العيد فصار هذا الخط غير نافذ وكان شارعا مسلوكا يمر فيه الناس والدواب بالاحمال فركب عليه جمال الدين المذكور دروبا لحفظ أمواله وكان هذا الخط من أخص اماكن القصر الكبير الشرقى فلما زالت الدولة الفاطمية وتفرق امراء صلاح الدين يوسف القصر عرف هذا المكان بقصر شيخ الشيوخ بن حمويه الوزير اسكنه فيه ثم عرف بعد ذلك بقصر أمير سلاح وبقصر سابق الدين وهو الى الآن يعرف بذلك وسبب شهرته بامير سلاح أنه اتخذ به عمائر جليلة هى بيد ورثته الى الآن وأمير سلاح هذا هو (بكتاش الفخرى) الامير بدر الدين أمير سلاح الصالحى النجمى كان اولا مملوكا لفخر الدين ابن الشيخ فصار الى الملك الصالح نجم الدين أيوب وتقدم عنده من جملة من قدمه من المماليك البحرية الذين ملكوا الديار المصرية من بعد انقضاء الدولة الايوبية وتأمر فى أيام الملك الصالح وتقدم فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى واستمر أميرا ما ينيف على الستين سنة لم ينكب فيها قط وعظم فى أيام الملك المنصور قلاون الالفى بحيث ان الامير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة بديار مصر فى أيام قلاون تجارى مرة مع السلطان فى حديث الامراء فقال له السلطان المنصور أما اليوم فما بقى فى الامراء نير أمير سلاح اذا قلت فارس خيل شجاع ما رد وجهه من عدوه واذا حلف ما يخون واذا قال صدق فقال طرنطاى والله يا خوند له اقطاع عظيم ما كان يصلح الا لى فاحمر وجه السلطان وغضب وقال له ويلك اياك أن تتكلم بهذا والله مكان يصل فيه سيف أمير سلاح ما يصل نشابك ولا نشاب غيرك وكان كريما شجاعا يسافر كل سنة مجردا بالعسكر فيصل الى حلب للغارة ومحاصرة قلاع العدو فاشتهر بذلك فى بلاد العدو وعظم صيته واشتدت مهابته وكانت له رغبة فى شراء المماليك والخيول باغلى القيم وكان يبعث للامراء المجردين معه النفقة و يقوم لهم بالشعير والاغنام و بلغت مماليكه الغاية فى الحشمة وكان اقطاع كل منهم فى السنة عشرين ألف درهم فضة عنها يومئذ ألف مثقال من الذهب ولكل من جنده خبز مبلغه فى السنة عشرة آلاف درهم سوى كلفهم من الشعير واللحم ومع ذلك فكان خيرا دينا له صدقات ومعروف واحسان كثير ومات بعد ما ترك امرته فى مرضه الذى مات فيه للنصف من ربيع الآخر سنة ست وسبعمائة رحمه الله * وبهذا الخط عدة دور جليلة يأتى ذكرها عند ذكر الدور من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * (اولاد شيخ الشيوخ) جماعة أصلهم الذى ينتسبون اليه حمويه بن على يقال انه من ولد رزم بن يونان أحد قواد كسرى أنوشروان وولى قيادة جيش نصر بن نوح بن سامان ودبر دولته وهو جد شيخ الاسلام محمد وأخيه أبى سعد بنى حمويه بن محمد بن حمويه وكان محمد وأبو سعد من ملوك خراسان فتركا الدنيا وأقبلا على طريق الآخرة ومات ركن الاسلام أبو سعد بجران من قرى جوين فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ومات أخوه شيخ الاسلام محمد بها فى سنة ثلاثين وخمسمائة وترك أبو سعد زين الدين أحمد و بنات وترك شيخ الاسلام محمد ولدا واحدا وهو أبو الحسن على فتزوج على بن محمد بابنة عمه أبى سعد ورزق منها سعد الدين ومعين الدين حسنا وعماد الدين عمر وترك زين الدين أحمد بن أبى سعد ركن الدين أبا سعد وعز الدين وزين الدين القاسم فقدم عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حمويه الى دمشق وصار شيخ الشيوخ بها وقدم عليه ابنه شيخ الشيوخ صدر الدين على فلما مات عمر فى رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة بدمشق اقر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده صدر الدين محمدا موضع عمه وصار شيخ الشيوخ بدمشق فتزوج بابنة القاضى

شهاب الدين ابن أبى عصرون ورزق منها عشرة بنين منهم عماد الدين عمر وفخر الدين يوسف وكمال الدين أحمد ومعين الدين حسن فأرضعت امّهم بنت أبى عصرون السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فصار أخا لأولاد صدر الدين شيخ الشيوخ من الرضاعة وقدم صدر الدين الى القاهرة وولى تدريس الشافعى بالقرافة ومشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ثم سافر فمات بالموصل فى رابع عشر جمادى الاولى سنة سبع عشرة وستمائة واستبدّ الملك الكامل بمملكة مصر بعد أبيه فرقى أولاد صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن حمويه الاربعة وبعث عماد الدين عمر فى الرسالة الى الخليفة ببغداد وجمع له بين رياسة العلم والقلم فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ولم يجتمع ذلك لاحد فى زمانه ومازال على ذلك الى ان مات الملك الكامل وقام من بعده فى سلطنة مصر ابنه الملك العادل أبو بكر بن الكامل فخرج الى دمشق ليحضر اليه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مرردود بن العادل أبى بكر بن أيوب نائب السلطنة بدمشق فدس عليه من قتله على باب الجامع فى سادس عشرى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة * واما فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين فان الملك الكامل جعله أحد الامراء وألبسه الشربوش والقباء ونادمه وبعثه فى الرسالة عنه الى ملك الفرنج ثم الى أخيه المعظم بدمشق ثم الى الخليفة ببغداد وأقامه يتحدّث بمصر فى تدبير المملكة وتحصيل الاموال ثم بعثه حتى تسلم حران والرها وجهزه الى مكة على عسكر فقاتل صاحبها الامير راجح الدين بن قتادة وأخذها بالسيف وقتل عسكر اليمن ومازال مكرما محترما حتى مات الملك الكامل فقبض عليه العادل ابن الكامل واعتقله فلما خلع العادل بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب اطلقه وأمّره وبالغ فى الاحسان اليه وبعثه على العساكر الى الكرك فأوقع بالخوارزمية وبدد شملهم وكانوا قد قدموا من المشرق الى غزة وأقام الدعوة للصالح فى بلاد الشام وعاد ثم قدمه على العساكر فأخذ طبرية من الفرنج وهدمها وأخذ عسقلان من الفرنج وهدم حصونها ونازل حمص حتى اشرف على أخذها ثم تقدم على العساكر بقتال الفرنج بدمياط فمات السلطان عند المنصورة وقام بتدبير الدولة بعده خمسة وسبعين يوما الى ان استشهد فى رابع ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة فحمل من المنصورة الى القرافة فدفن بها * واما كمال الدين أحمد فان الملك الكامل استنابه بحران والجزيرة وولى تدريس المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر وتدريس الشافعى بالقرافة ومشيخة الشيوخ بديار مصر وقدمه الملك الصالح نجم الدين أيوب على العساكر غير مرّة ومات بغزة فى صفر سنة تسع وثلاثين وستمائة * واما معين الدين حسن فانه ولى مشيخة الشيوخ بديار مصر وبعثه الملك الكامل فى الرسالة عنه الى بغداد ثم أقامه نائب الوزارة الى أن مات فاستوزره الملك الصالح نجم الدين ايوب فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة وجهزه على العساكر فى هيئة الملوك الى دمشق فقاتل الصالح اسماعيل ابن العادل حتى ملكها ومات بها فى ثانى عشرى رمضان سنة ثلاث وأربعين وستمائة وقد ذكرت أولاد شيخ الشيوخ فى كتاب تاريخ مصر الكبير واستقصيت فيه اخبارهم والله تعالى أعلم * (خط قصر بشتاك) هذا الخط من جملة القصر الكبير ويتوصل اليه من تجاه المدرسة الكاملية حيث كان باب القصر المعروف بباب البحر وهدمه الملك الظاهر بيبرس كما تقدم فى ذكر أبواب القصر وصار اليوم فى داخل هذا الباب حارة كبيرة فيها عدّة دور جليلة منها قصر الامير بشتاك وبه عرف هذا الخط * (وبشتاك هذا) هو الامير سيف الدين بشتاك الناصرى قرّبه الملك الناصر محمد بن قلاون وأعلى محله وكان يسميه بعد موت الأمير بكتمر الساقى بالامير فى غيبته وكان زائد التيه لا يكلم استاداره وكاتبه الا بترجمان ويعرف بالعربى ولا يتكلم به وكان اقطاعه ست عشرة طبلخانة اكبر من اقطاع قوصون ولما مات بكتمر الساقى ورثه فى جميع أحواله واصطبله الذى على بركة الفيل وفى امرأته أمّ احمد واشترى جاريته خوبى بستة آلاف دينار ودخل معها ما قيمته عشرة آلاف دينار وأخذ ابن بكتمر عنده وزاد أمره وعظم محله فثقل على السلطان وأراد الفتك به فما تمكن وتوجه الى الحجاز وأنفق فى الامراء وأهل الركب والفقراء والمجاورين بمكة والمدينة شيأ كثيرا الى الغاية وأعطى من الالف دينار الى المائة دينار الى الدينار بحسب مراتب الناس وطبقاتهم فلما عاد من الحجاز لم يشعر به السلطان الا وقد حضر فى نفر قليل من مماليكه وقال ان اردت امساكى فها انا قد جئت اليك برقبتى فغالطه السلطان وطيب خاطره وكان يرمى بأوابد ودواهى من أمر الزنا وجرّده السلطان لامساك تنكز نائب الشام فحضر الى دمشق بعد امساكه هو وعشرة من الامراء فنزلوا القصر الابلق وحلف الامراء كلهم للسلطان ولذريته واستخرج ودائع تنكز وعرض حواصله ومماليكه وجواريه وخيله

وسائر ما يتعلق به ووسط طغاى وحفاى مملوكى تنكز فى سوق الخيل ووسط دران أيضا بحضوره يوم الموكب وأقام بدمشق خمسة عشر يوما وعاد الى القلعة وبقى فى نفسه من دمشق وما تجاسر يفاتح السلطان فى ذلك فلما مرض السلطان وأشرف على الموت البس الامير قوصون مماليكه فدخل بشتاك فعرف السلطان ذلك فجمع بينهما وتصالحا قدامه ونص السلطان على ان الملك بعده لولده أبى بكر فلم يوافق بشتاك وقال لا أريد الا سيدى أحمد فلما مات السلطان قام قوصون الى الشباك وطلب بشتاك وقال له يا أمير المؤمنين انا ما يجىء منى سلطان لانى كنت أبيع الطبعا والبرغالى والكشاتوين وانت اشتريت منى وأهل البلاد يعرفون ذلك وانت ما يجىء منك سلطان لانك كنت تبيع البوزا وانا اشتريت منك وأهل البلاد يعرفون ذلك وهذا استاذنا هو الذى وصى لمن هو اخبر به من اولاده وما يسعنا الا امتثال أمره حيا وميتا وانا ما اخالفك ان أردت أحمد أو غيره ولو أردت أن تعمل كل يوم سلطانا ما خالفتك فقال بشتاك هذا كله صحيح والامر أمرك واحضر المصحف وحلفا عليه وتعانقا ثم قاما الى رجلى السلطان فقبلاهما ووضعا أبا بكر ابن السلطان على الكرسى وقبلا له الارض وحلفا له وتلقب بالملك المنصور ثم ان بشتاك طلب من السلطان الملك المنصور نيابة دمشق فأمر له بذلك وكتب تقليده وبرز الى ظاهر القاهرة وأقام يومين ثم طلع فى اليوم الثالث الى السلطان ليودعه فوثب عليه الامير قطلوبغا الفخرى وأمسك سيفه وتكاثروا عليه فأمسكوه وجهزوه الى الاسكندرية فاعتقل بها ثم قتل فى الخامس من ربيع الاول سنة اثنين وأربعين وسبعمائة لاول سلطنة الملك الاشرف كجك وكان شابا أبيض اللون ظريفا مديد القامة نحيفا خفيف اللحية كأنما عذار على حركاته رشاقة حسن العمة يتعمم الناس على مثالها وكان يشبه بأبى سعيد ملك العراق الا انه كان غير عفيف الفرج زائد الهرج والمرج لم يعف عن مليحة ولا قبيحة ولم يدع أحدا يفوته حتى يمسك نساء الفلاحين وزوجات الملاحين واشتهر بذلك ورمى فيه بأوابد وكان زائد البذخ منهمكا على ما يقتضيه عنفوان الشبيبة كثير الصلف والتيه لا يظهر الرأفة ولا الرحمة فى تأنيه ولما توجه بأولاد السلطان ليفرجهم فى دمياط كان يذبح لسماطه فى كل يوم خمسين رأسا من الغنم وفرسا لا بد منه خارجا عن الاوز والدجاج وكان راتبه دائما كل يوم من الفحم برسم المشوى مبلغ عشرين درهما عنها مثقال ذهب وذلك سوى الطوارئ وأطلق له السلطان كل يوم بقجة قماش من اللفافة الى الخف الى القميص واللباس والملوطة والبغلطاق والقباء الفوقانى بوجه اسكندرانى على سنجاب طرى مطرز مزركش رقيق وكلوتة وشاش ولم يزل يأخذ ذلك كل يوم الى ان مات السلطان وأطلق له فى يوم واحد عن ثمن قرية تبنى بساحل الرملة مبلغ ألف ألف درهم فضة عنها يومئذ خمسون ألف مثقال من الذهب وهو اول من امسك بعد موت الملك الناصر وقال الاديب المؤرخ صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدى ومن كتابه نقلت ترجمة بشتاك

* قال الزمان وما سمعنا قوله * والناس فيه رهائن الاشراك *
من ينصر المنصور من كيدى وقد * صاد الردى بشتاك لى بشراك

*(خط باب الزهومة) هذا الخط عرف بباب الزهومة أحد أبواب القصر الكبير الشرقى الذى تقدم ذكره فانه كان هناك وقد صار الآن فى هذا الخط سوق وفندق وعدة آدر يأتى ذكر ذلك كله فى موضعه ان شاء الله تعالى *(خط الزراكشة العتيق) هذا الخط فيما بين خط باب الزهومة وخط السبع خوخ وبعضه من دار العلم الجديدة وبعضه من جملة القصر النافعى وبعضه من تربة الزعفران وفيه اليوم فندق المهمندار الذى يدق فيه الذهب وخان الخليلى وخان منجك ودار خواجا ودرب الحبش وغير ذلك كما ستقف عليه ان شاء الله *(خط السبع خوخ العتيق) هذا الخط فيما بين خط اصطبل الطارمة وخط الزراكشة العتيق كان فيه قديما أيام الخلفاء الفاطميين سبع خوخ يتوصل منها الى الجامع الازهر فلما انقضت أيامهم اختط مساكن وسوقا يباع فيه الابر التى يخاط بها وغير ذلك فعرف بالابارين *(خط اصطبل الطارمة) هذا الخط كان اصطبلا لخاص الخليفة يشرف عليه قصر الشوك والقصر النافعى وقد تقدم الكلام عليه وكانت فيه طارمة يجلس الخليفة تحتها فعرف بذلك ثم هو الآن حارة كبيرة فيها عدة من المساكن وبه سوق وحمام ومساجد وهذا الخط فيما بين رحبة قصر الشوك ورحبة الجامع الازهر كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فى ذكر الرحاب *(خط الاكفانيين) هذا الخط كان يعرف بخط الخرقيين جمع خرقة *(خط المناخ) هذا الخط فيما بين البرقية والعطوفية كان مواضع طواحين القصر وقد تقدم ذكره ثم اختط

بعد ذلك وصار حارة كبيرة وهو الآن متداع للخراب * (خط سويقة أمير الجيوش) كان حارة الفرحية وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى فى الاسواق وهذا الخط فيما بين حارة برجوان وخط خان الوراقه * (خط دكة الحسبة) هذا الخط يعرف اليوم بكمير الحطب وفيه سوق الابازره وهو فيما بين البندقانيين والمجودية وفيه عدة اسواق ودور * (خط الفهادين) هذا الخط فيما بين الجوانية والمناخ * (خط خزانة البنود) هذا الخط فيما بين رحبة باب العيد ورحبة المشهد الحسينى وكان موضعه خزانة تعرف بخزانة البنود وكان اولا يعمل فيها السلاح ثم صارت سجنا لامراء الدولة وأعيانها ثم اسكن فيها الفرنج الى ان هدمها الامير الحاج آل ملك وحكر مكانها فبنى فيه الطاحون والمساكن كما تقدم * (خط السفينة) هذا الخط فيما بين درب السلامى من رحبة باب العيد و بين خزانة البنود كان يقف فيه المتظلمون للخليفة كما تقدم ذكره ثم اختط فصار فيه مساكن وهو خط صغير * (خط خان السبيل) هذا الخط خارج باب الفتوح وهو من جملة اخطاط الحسينية قال ابن عبد الظاهر خان السبيل بناه الامير بهاء الدين قراقوش وأرصده لابناء السبيل والمسافرين بغير اجرة وبه بئر ساقية وحوض انتهى وأدركنا هذا الخط فى غاية العمارة يعمل فيه عرصة تباع بها الغلال وكان فيه سوق يباع فيه الخشب و يجتمع الناس هناك بكرة كل يوم جمعة فيباع فيه من الأوز والدجاج مالا يقدر قدره وكانت فيه أيضا عدة مساكن ما بين دور وحوانيت وغيرها وقد اختل هذا الخط * (خط بستان ابن صيرم) هذا الخط أيضا خارج باب الفتوح مما يلى الخليج وزقاق الكحل كان من جملة حارة البيازرة فانشأه زمام القصر المختار الصقلبى بستانا و بنى فيه منظرة عظيمة فلما زالت الدولة الفاطمية استولى عليه الامير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل فعرف به ثم اختط وصار من أجل الاخطاط عمارة تسكنه الامراء والاعيان من الجند ثم هو الآن آيل الى الدثور * (خط قصر ابن عمار) هذا الخط من جملة حارة كتامة وهو اليوم درب يعرف بالقماحين وفيه حمام كرائى ودار خوند شقرا يسلك اليه من خط مدرسة الوزير كريم الدين بن غنام و يسلك منه الى درب المنصورى وابن عمار هذا هو أبو محمد الحسن بن عمار بن على بن أبى الحسين الكلبى من بنى أبى الحسين أحد امراء صقلية وأحد شيوخ كتامة وصاد العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله لما احتضر هو والقاضى محمد بن النعمان على ولده أبى على منصور فلما مات العزيز بالله واستخلف من بعده ابنه الحاكم بأمر الله اشترط الكتاميون وهم يومئذ أهل الدولة أن لا ينظر فى أمورهم غير أبى محمد بن عمار بعد ما تجمعوا وخرج منهم طائفة نحو المصلى وسألوا اصرف عيسى بن نسطورس وأن تكون الوساطة لابن عمار فندب لذلك وخلع عليه فى ثالث شوّال سنة خمس وسبعين وثلثمائة وقلد بسيف من سيوف العزيز بالله وحمل على فرس بسرج ذهب ولقب بأمين الدولة وهو أول من لقب فى الدولة الفاطمية من رجال الدولة وقيد بين يديه عدة دواب وحمل معه خمسون ثوبا من سائر البز الرفيع وانصرف الى داره فى موكب عظيم وقرئ سجله فتولى قراءته القاضى محمد بن النعمان بجلوسه للوساطة وتلقيبه بأمين الدولة والزم سائر الناس بالترجل اليه فترجل الناس بأسرهم له من اهل الدولة وصار يدخل القصر راكبا و يشق الدواوين و يدخل من الباب الذى يجلس فيه خدم الخليفة الخاصة ثم يعدل الى باب الحجرة التى فيها أمير المؤمنين الحاكم فينزل على بابها و يركب من هناك وكان الناس من الشيوخ والرؤساء على طبقاتهم يبكرون الى داره فيجلسون فى الدهاليز بغير ترتيب والباب مغلق ثم يفتح فيدخل اليه جماعة من الوجوه و يجلسون فى قاعة الدار على حصير وهو جالس فى مجلسه ولا يدخل له أحد ساعة ثم يأذن لوجوه من حضر كالقاضى ووجوه شيوخ كتامة والقوّاد فتدخل أعيانهم ثم يأذن لسائر الناس فيزدحمون عليه بحيث لا يقدر أحد أن يصل اليه فمنهم من يومى بتقبيل الارض ولا يرد السلام على أحد ثم يخرج فلا يقدر أحد على تقبيل يده سوى اناس بأعيانهم الا انهم يومئون الى تقبيل الارض وشرف أكابر الناس بتقبيل ركابه واجل الناس من يقبل ركبته وقرب كتامة وأنفق فيهم الاموال وأعطاهم الخيول و باع ما كان بالاصطبلات من الخيل والبغال والنجب وغيرها وكانت شيأ كثيرا وقطع اكثر الرسوم التى كانت تطلق لاولياء الدولة من الاتراك وقطع اكثر ما كان فى المطابخ وقطع ارزاق جماعة وفرق كثيرا من جوارى القصر وكان به من الجوارى والخدم عشرة آلاف جارية وخادم فباع من اختار البيع وأعتق من سال العتق طلبا للتوفير واصطنع احداث المغاربة فكثر عبثهم وامتدت ايديهم الى الحريم فى الطرقات وشلحوا الناس ثيابهم فضج الناس منهم واستغاثوا اليه بشكايتهم فلم يبد منه كبير نكير فأفرط الامر حتى تعرض جماعة منهم للغلمان الاتراك وأرادوا

آخذ ثيابهم فثار بسبب ذلك شر قتل فيه غلام من الترك وحدث من المغاربة فتجمع شيوخ الفريقين واقتتلوا يومين آخرهما يوم الاربعاء تاسع شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة فلما كان يوم الخميس ركب ابن عمار لابسا آلة الحرب وحوله المغاربة فاجتمع الاتراك واشتدت الحرب وقتل جماعة وجرح كثير فعاد الى داره وقام برجوان بنصرة الاتراك فامتدت الايدى الى دار ابن عمار واصطبلاته ودار رشا غلامه فنهبوا منهما مالا يحصى كثرة فصار الى داره بمصر فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من شعبان واعتزل عن الامر فكانت مدة نظره احد عشر شهرا الا خمسة أيام فأقام بداره فى مصر سبعة وعشرين يوما ثم خرج اليه الامر بعوده الى القاهرة فعاد الى قصره هذا ليلة الجمعة الخامس والعشرين من رمضان فأقام به لا يركب ولا يدخل اليه أحد الا اتباعه وخدمه واطلقت له رسومه وجراياته التى كانت فى أيام العزيز بالله ومبلغها عن اللحم والتوابل والفواكه خمسمائة دينار فى كل شهر وفى اليوم سلة فاكهة بدينار وعشرة ارطال شمع ونصف حمل ثلج فلم يزل بداره الى يوم السبت الخامس من شوال سنة تسعين وثلثمائة فاذن له الحاكم فى الركوب الى القصر وأن ينزل موضع نزول الناس فواصل الركوب الى يوم الاثنين رابع عشره فحضر عشية الى القصر وجلس مع من حضر فخرج اليه الامر بالانصراف فلما انصرف ابتدره جماعة من الاتراك وقفوا له فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه مكانه وحمل الرأس الى الحاكم ثم نقل الى تربته بالقرافة فدفن فيها وكانت مدة حياته بعد عزله الى ان قتل ثلاث سنين وشهرا واحدا وثمانية وعشرين يوما وهو من جملة وزراء الدولة المصرية وولى بعده برجوان وقد مر ذكره

(ذكر الدروب والازقة)

قد اشتملت القاهرة وظواهرها من الدروب والازقة على شئ كثير والغرض ذكر ما يتيسر لى من ذلك

* (درب الاتراك) هذا الدرب أصله من خط حارة الديلم وهو من الدروب القديمة وقد تقدم ذكره فى الحارات ويتوصل اليه من خطة الجامع الازهر وقد كان فيما ادركناه من أعمر الاماكن اخبرنى خادمنا محمد بن السعودى قال كنت اسكن فى اعوام بضع وستين وسبعمائة بدرب الاتراك وكنت اعانى صناعة الحياطة فجاءنى فى موسم عيد الفطر من الجيران اطباق الكعك والخشكنانج على عادة أهل مصر فى ذلك فملأت زيرا كبيرا كان عندى مما جاءنى من الخشكنانج خاصة لكثرة ما جاءنى من ذلك اذ كان هذا الخط خاصا بكثرة الاكابر والاعيان وقد خرب اليوم منه عدة مواضع * (درب الاسوانى) ينسب الى القاضى أبى محمد الحسن بن هبة الله الاسوانى المعروف بابن عتاب * (درب شمس الدولة) هذا الدرب كان قديما يعرف بحارة الامراء كما تقدم فلما كان مجيء الغز الى مصر واستيلاء صلاح الدين يوسف على مملكة مصر سكن فى هذا المكان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن ايوب فعرف به وسمى من حينئذ درب شمس الدولة وبه يعرف الى اليوم * (توران شاه) الملقب بالملك المعظم شمس الدولة بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان قدم الى القاهرة مع أهله من بلاد الشام فى سنة أربع وستين وخمسمائة عندما تقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد موت عمه اسد الدين شيركوه وكانت له اعمال فى واقعة السودان تولاها بنفسه واقتحم الهول فكان اعظم الاسباب فى نصرة أخيه صلاح الدين وهزيمة السودان ثم خرج اليهم بعد انهزامهم الى الجيزة فأفناهم بالسيف حتى ابادهم واعطاه صلاح الدين قوص واسوان وعيذاب وجعلها له اقطاعا فكانت عبرتها فى تلك السنة مائتى ألف وستة وستين ألف دينار ثم خرج الى غزو بلاد النوبة فى سنة ثمان وستين وفتح قلعة ابريم وسبى وغنم ثم عاد بعدما اقطع ابريم بعض اصحابه وخرج الى بلاد اليمن فى سنة تسع وستين وكان بها عبد النبى أبو الحسن على بن مهدى قد ملك زبيد وخطب لنفسه وكان الفقيه عمارة قد انقطع الى شمس الدولة وصار يصف له بلاد اليمن ويرغبه فى كثرة أموالها ويغريه بأهلها وقال فيه قصيدته المشهورة التى اولها

العلم مذ كان محتاج الى القلم * وشفرة السيف تستغنى عن القلم

فبعثه ذلك على المسير الى بلاد اليمن فسار اليها فى مستهل رجب ودخل مكة معتمرا وسار منها فنزل على زبيد فى سابع شوال وفى نهار الاثنين ثامن شوال فتحها بالسيف وقبض على على بن مهدى واخوته وأقاربه واستولى على ما كان فى خزائنه من مال وتسلم الحصون التى كانت بيده وفى مستهل ذى القعدة توجه قاصدا عدن وبذل لياسر بن بلال فى كل سنة ثلاثين ألف دينار وسلمها اليه فما رغب فى ذلك وكان قصده ان يقيم بها نائبا عن المجلس

الغفري فلما أبى ذلك نزل عليها في يوم الجمعة تاسع عشري ذي القعدة وملكها في ساعة بالسيف وقبض على ياسر واخوته وولدي الداعي فاحتوى على ما فيها وقبض على عبد النبي واستولى أيضا على تعز وتفكر وصنعا وظفار وغيرها من مدن اليمن وحصونها وتلقب بالملك المعظم وخطب لنفسه بعد الخليفة العباسي ومازال بها الى سنة احدى وسبعين فسار منها الى لقاء أخيه صلاح الدين ووصل اليه وملكه دمشق في شهر ربيع الاول سنة اثنين وسبعين فأقام بها الى ان خرج السلطان صلاح الدين مرة من القاهرة الى بلاد الشام فجهزه في ذي القعدة سنة أربع وسبعين الى مصر وكان قد عمله نائبا بعلبك فاستناب عنه فيها ودخل الى القاهرة وانعم عليه صلاح الدين بالاسكندرية فسار اليها وأقام بها الى ان توفي في مستهل صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة بالاسكندرية فدفن بها وكان كريما واسع العطاء كثير الانفاق مات وعليه مائتا ألف دينار مصرية دينا فقضاها عنه أخوه صلاح الدين وكان سبب خروجه من اليمن انه اشتاق الى مصر فكتب له سيف الدولة مبارك بن منقذ

واذا أراد الله سوءا بامرئ * وأراد أن يحيه غير سعيد
أغراه بالترحال من مصر بلا * سبب وأسكنه بصقع زبيد

فخرج من اليمن كما تقدم * وحكى الاديب الفاضل مهذب الدين أبو طالب محمد بن على الحلي المعروف بابن الخيمي قال رأيت في النوم المعظم شمس الدولة وقد مدحته وهو في القبر ميت فلف كفنه ورماه الى وانشدني

* لاتستقلن معروفا سمحت به * ميتا وامسيت عنه عاريا بدني *
* ولا تظنن جودي شابه بخل * من بعد بذلي ملك الشام واليمن *
اني خرجت عن الدنيا وليس معي * من كل ما ملكت كفي سوى كفني

وهذا الدرب من اعمر أخطاط القاهرة به دار عباس الوزير وجماعة كما تراه ان شاء الله تعالى * (درب ملوخيا) هذا الدرب كان يعرف بحارة قائد القواد كما تقدم وعرف الآن بدرب ملوخيا وملوخيا كان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله ويعرف بملوخيا الفراش وقتله الحاكم وباشر قتله وفي هذا الدرب مدرسة القاضي الفاضل وقد اتصل به الآن الخراب * (درب السلسلة) هذا الدرب تجاه باب الزهومة يعرف بالسلسلة التي كانت تمد كل ليلة بعد العشاء الآخرة كما تقدم وكان يعرف بدرب افتخار الدولة الاسعد وعرف بسنان الدولة بن الكركندي وهو الآن درب عامر * (درب الشمسي) هذا الدرب بسوق المهامزيين تجاه قيسارية العصفر عرف بالامير علاء الدين كشتغدي الشمسي أحد الامراء في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وقتل على عكا في سنة تسعين وستمائة بيد الفرنج شهيدا وكان هذا الدرب في القديم موضعه دار الضرب ثم صار من حقوق درب ابن طلائع بسوق الفرايين وقد هدم بعض هذا الدرب الامير جمال الدين يوسف الاستادار لما اغتصب الحوانيت التي كانت على يمنة السالك من الخراطين الى سوق الخيميين وكانت في وقف المعظم تمرتاش الحافظي كما سيأتي ذكره عند ذكر مدرسته ان شاء الله تعالى * (درب بن طلائع) هذا الدرب على يسرة من سلك من سوق الفرايين الآن الذي كان يعرف قديما بالخرقيين طالبا الى الجامع الازهر ويسلك في هذا الدرب الى قيسارية السروج وباب سر حمام الخراطين ودار الامير الدمر وعرف هذا الدرب أولا بالامير نور الدولة أبي الحسن علي بن نجا بن راجح ابن طلائع ثم عرف بدرب الجاولي الكبير وهو الامير عز الدين جاولي الاسدي مملوك أسد الدين شيركوه بن شادي ثم عرف بدرب العماد سنينات ثم عرف بدرب الدمر وبه يعرف الى الآن * (الدمر أمير جاندار سيف الدين) أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاون خرج الى الحج في سنة ثلاثين وسبعمائة وكان أمير حاج الركب العراقي تلك السنة رجل يقال له محمد الحويج من أهل توريز بعثه أبو سعيد ملك العراق الى مصر وخف على قلب الملك الناصر ثم بلغه عنه ما يكرهه فأخرجه من مصر ولما بلغه ان حويج في هذه السنة أمير الركب العراقي كتب الى الشريف عطيفة أمير مكة ان يعمل الحيلة في قتله بكل ما يمكن فأطلع على ذلك ابنه مباركا وخواص قواده فاستعدوا لذلك فلما وقف الناس بعرفة وعادوا يوم النحر الى مكة قصد العبيد اثارة فتنة وشرعوا في النهب لينالوا غرضهم من قتل امير الركب العراقي فوقع الصارخ وليس عند المصريين خبر مما كتبه السلطان فنهض أمير الركب الامير سيف الدين خاص ترك والامير أحمد قريب السلطان والامير الدمر أمير جاندار في مماليكهم وأخذ الدمر يسب الشريف ورميثة وأمسك بعض قواده وأحدق به فقام اليه الشريف عطيفة ولاطفه فلم يرجع وكان حديد النفس شجاعا

فاقدم

فأقدم اليهم وقد اجتمع قوّاد مكة وأشرافها وهم ملبسون يريدون الركب العراقي وضرب مبارك بن عطيفة
بدبوس فأخطأ وضرب به مبارك بحربة نفذت من صدره فسقط عن فرسه الى الارض فارتج الناس ووقع القتال
فخرج أمير الركب العراقي واحترس على نفسه فسلم وسقط في يد أمير مكة اذ فات مقصوده وحصل مالم يكن
بارادته ثم سكنت الفتنة ودفن الدمر وكان قتله يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة فكانما نادى منادى في القاهرة
والقلعة والناس في صلاة العيد بقتل الدمر ووقوع الفتنة بمكة ولم يبق احد حتى تحدث بذلك وبلغ السلطان
فلم يكترث بالخبر وقال أين مكة من مصر ومن اتى بهذا الخبر واستفيض هذا الخبر بقتل الدمر حتى انتشر
في اقليم مصر كله فما هو الا أن حضر مبشر الحاج في يوم الثلاثاء ثاني المحرّم سنة احدى وثلاثين وسبعمائة
فاخبروا بالخبر مثل ما أشيع فكان هذا من اغرب ما سمع به ولما بلغ السلطان خبر قتل الدمر غضب غضبا شديدا
وصار يقوم ويقعد وأبطل السماط وأمر بجرد من العسكر ألفا فارس كل منهم بخودة وجوشن ومائة فردة
نشاب وفاس برأسين احدهما للقطع والآخر للهدم ومع كل منهم جملان وفرسان وهجين ورسم لامير هذا
العسكر أنه اذا وصل الى ينبع وعداه لا يرفع رأسه الى السماء بل ينظر الى الارض ويقتل كل من يلقاه من العربان
الا من علم انه أمير عرب فانه يقيده ويسحبه معه وجرد من دمشق ستمائة فارس على هذا الحكم وطلب الامير أيتمش
أمير هذا الجيش ومن معه من الامراء والمقدّمين وقال له بدار العدل يوم الخدمة واذا وصلت الى مكة لا تدع
أحدا من الاشراف ولا من القوّاد ولا من عبيدهم يسكن بمكة ونادفيها من اقام بمكة حل دمه ولا تدع شيأ
من النخل حتى تحرقه جميعه ولا تترك بالحجاز دمنة عامرة وأخرب المساكن كلها وأقم في مكة بمن معك حتى ابعث
اليك بعسكر ثاني وكان القضاة حاضرين فقال قاضي القضاة جلال الدين القزويني يامولانا السلطان هذا
حرم قد أخبر الله عنه أن من دخله كان آمنا وشرع فيه فرد عليه جوابا في غضب فقال الامير أيتمش ياخوند فان
حضر رمنة للطاعة وسأل الامان فقال امنه ثم لما سكن عنه الغضب كتب باستقرار أهل مكة وتأمينهم وكتب
امانا (نسخته) هذا امان الله سبحانه وتعالى وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم وأماننا للمجلس العالى الاسدى رمنة
ابن الشريف نجم الدين محمد بن أبي نمى بأن يحضر الى خدمة الصنجق الشريف صحبة الجناب العالى السيفي ايتمش
الناصرى آمنا على نفسه وأهله وماله وولده ومايتعلق به لا يخشى حلول سطوة قاصمة ولا يخاف مؤاخذة حاسمة
ولا يتوقع خديعة ولا مكرا ولا يحذر سوأ ولا ضررا ولا يستشعر مخافة ولا اضرارا ولا يتوقع وجلا ولا رهب باسا
وكيف يرهب من احسن عملا بل يحضر الى خدمة الصنجق آمنا على نفسه وماله وآله مطمئنا واثقا بالله ورسوله
وبهذا الامان الشريف المؤكد الاسباب المبيض الوجه الكريم الاحساب وكلما يخطر بباله أنا نؤاخذه به فهو
مغفور ولله عاقبة الامور وله منا الاقبال والتقديم وقد صفحنا الصفح الجميل وان ربك هو الخلاق العليم فليثق بهذا
الامان الشريف ولا يسىء به الظنون ولا يصغى الى قول الذين لا يعلمون ولا يستشير في هذا الامر الا نفسه فيومه
عندنا ناسخ لامسه وقد قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فتمسك
بعروة هذا الامان فانها اوثق واعمل عمل من لا يضل ولا يشقى ونحن قد امنناك فلا تخف ورعينا لك الطاعة والشرف
وعفا الله عما سلف ومن امتثله فقد فاز فطب نفسا وقرّ عينا فانت أمير الحجاز والحمد لله وحده) وكان الدمر فيه
شهامة وشجاعة وله سعادة طائلة ضخمة ومتاجر وزراعات اقتنى بها أموالا جزيلة وزوّج ابنه بابنة قاضي القضاة
جلال الدين القزويني *(درب قيطون) هذا الدرب بين قيسارية جهاركس وقيسارية أمير علي وهو نافذ الى
خلف مستوقد حمام القاضي وكان من حقوق درب الاسواني *(درب السراج) هذا الدرب على يسرة
من سلك من الجامع الازهر طالبا درب الاسواني وخط الاكفانيين وكان من جملة خط درب الاسواني ثم افرد
فصار من خط الجامع الازهر وكان يعرف اولا بدرب السراج ثم عرف بدرب الشامي وهو الآن يعرف بدرب
ابن الصدر عمر *(درب القاضي) هذا الدرب يقابل مستوقد حمام القاضي على يمنة من سلك من درب
الاسواني الى الجامع الازهر وهو من حقوق درب الاسواني كان يعرف اولا بزقاق عز ازغلام أمير الجيوش
شاور السعدى وزير العاضد ثم عرف بالقاضي السعيد أبي المعالي هبة الله بن فارس ثم عرف بزقاق ابن الامام
وعرف أخيرا بدرب ابن لؤلؤ وهو شمس الدين محمد بن لؤلؤ التاجر بقيسارية جهاركس *(درب البيضاء) هو
من جملة خط الاكفانيين الآن المسلوك اليه من الجامع الازهر وسوق القرّايين عرف بذلك لانه كان به دار تعرف

بالدار البيضاء *(درب المنقدى) هذا الدرب بين سوق الخيميين وسوق الخراطين على يمنة من سلك من الخراطين الى الجامع الازهر كان يعرف قديما بزقاق غزال وهو صنيعة الدولة أبو الظاهر اسماعيل بن مفضل بن غزال ثم عرف بدرب المنقدى وهو الآن يعرف بدرب الامير بكتمر استادار العلاى *(درب خرابة صالح) هذا الدرب على يسرة من سلك من اول الخراطين الى الجامع الازهر كان موضعه فى القديم مارستانا ثم صار مساكن وعرف بخرابة صالح وفيه الآن دار الامير طينال التى صارت بيد ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر وفيه أيضا باب سوق الصنادقيين *(درب الحسام) هذا الدرب على يمنة من سلك من آخر سويقة الباطلية الى الجامع الازهر عرف بحسام الدين لاجين الصفدى استادار الامير منجك *(درب المنصورى) هذا الدرب بأول الحارة الصالحية تجاه درب أمير حسين عرف اولا بدرب الجوهرى وهو شهاب الدين أحمد بن منصور الجوهرى كان حيا فى سنة ثمانين وستمائة وعرف أخيرا بدرب المنصورى وهو الامير قطلوبغا المنصورى حاجب الحجاب فى أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين *(درب أمير حسين) هذا الدرب فى طريق من سلك من خط خان الدميرى طالبا الى حارة الصالحيه وحارة البرقيه استجده الامير حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاون ومات فى ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبعمائة وكان آخر من بقى من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون وهو والد الملك الاشرف شعبان بن حسين *(درب القماحين) هذا الدرب كان يعرف بخط قصر ابن عمار من جملة حارة كتامة قريبا من الحارة الصالحيه وفيه اليوم دار خوند شقرا وحمام كراى وراء مدرسة ابن الغنام *(درب العسل) هذا الدرب على يمنة من خرج من خط السبع خوخ يريد المشهد الحسينى كان يعرف اولا بخوخة الامير عقيل ابن الخليفة المعز لدين الله أبى تميم معد أول خلفاء الفاطميين بالقاهرة ومات فى سنة أربع وسبعين وثلثمائة هو وأخوه الامير تميم بن المعز بالقاهرة ودفنا بتربة القصر *(درب الجباسه) هذا الدرب تجاه من يخرج من سوق الابارين الى المشهد الحسينى وهو من جملة القصر الكبير وبه دار خوندى التى تعرف اليوم بدار بهادر *(درب ابن عبد الظاهر) هذا الدرب بجوار فندق الذهب بخط الزراكشة العتيق وفى صفه وهو من حقوق دار العلم التى استجدت فى خلافة الآمر ووزارة المامون البطايحى فلما زالت الدولة اختط مساكن وسكن هناك القاضى محى الدين ابن عبد الظاهر فعرف به *(درب الخازن) هذا الدرب ملاصق لسور المدرسة الصالحية التى للحنابلة ومجاور لباب سر قاعة مدرسة الحنابلة والسبيل الذى على باب فندق مسرور الصغير استجده الامير علم الدين سنجر الخازن الاشرفى والى القاهرة المنسوب اليه حكر الخازن بخط الصليبة وسنجر هذا كانت فيه حشمة وله ثروة زائدة ويحب أهل العلم تنقل فى المباشرات الى ان صار والى القاهرة فاشتهر بدقة الفهم وصدق الحدس الذى لا يكاد يخطئ مع عقل وسياسة واحسان الى الناس وعزل بالامير قديدار ومات عن تسعين سنة فى ثامن جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة *(درب الحبيشى) هذا الدرب على يمنة من سلك من خط الزراكشة العتيق طالبا سوق الابارين وهو بجوار دار خواجا المجاورة لخان منجك أصله من جملة القصر النافعى وكان يعرف بخط القصر النافعى ثم عرف بخط سوق الوراقين وهو الآن يعرف بدرب الحبيشى وهو الامير سيف الدين بلبان الحبيشى أحد الامراء الطاهرية بيبرس *(درب بقولا) الصفار بحارة الروم كان يعرف بدرب الرومى الجزار *(درب دغمش) هذا الدرب ينفذ الى الخوخة التى تخرج قبالة حمام الفاضل المرسوم لدخول النساء كان يعرف قديما بدرب دغمش ويقال طغمش ثم عرف بدرب كوز الزير ويقال كوز الزيت ويعرف بدرب القضاة بنى غنم من حقوق حارة الروم *(درب ارقطاى) هذا الدرب بحارة الروم كان يعرف بدرب الشماع ثم عرف بدرب شيخ وهو تاج العرب شيخ الحلبى ثم عرف بدرب المعظم وهو الامير عز الملك المعظم ابن قوام الدولة جبر بجيم وباء موحدة ثم عرف بدرب ارسل وهو الامير عز الدين ارسل بن قرا أرسلان الكاملى والد الامير جاولى المعظمى المعروف بجاولى الصغير ثم عرف بدرب الباسعردى وهو الامير علم الدين سنجر الباسعردى أحد أكابر المماليك البحرية الصالحية النجمية وولى نيابة حلب ثم عرف الى الآن بدرب ابن ارقطاى والعامة تقول رقطاى بغير همز وهو ارقطاى الامير سيف الدين الحاج ارقطاى أحد مماليك الملك الاشرف خليل ابن قلاون وصار الى أخيه الملك الناصر محمد فجعله جمدارا وكان هو والامير ايتمس نائب الكرك بينهما اخوة ولهما معرفة بلسان الترك القبجاقى ويرجع اليهما فى الياسة التى هى شريعة جنكز خان

التى تقول العامة وأهل الجهل فى زماننا هذا حكم السياسة يريدون حكم الياسة ثم ان الملك الناصر أخرجه مع الامير تنكز الى دمشق ثم استقر فى نيابة حمص لسبع مضين من رجب سنة عشر وسبعمائة فباشرها مدة ثم نقله الى نيابة صفد فى سنة ثمان عشرة فأقام بها وعمر فيها املاكا وتربة فلما كان فى سنة ست وثلاثين طلب الى مصر وجهز الامير ايتمش أخوه مكانه وعمل أميرمائة بمصر فلما توجه العسكر الى اياس خرج معهم وعاد فكان يعمل نيابة الغيبة اذا خرج السلطان للصيد ثم اخرج الى نيابة طرابلس عوضا عن طينال فأقام بها الى ان توجه الطنبغا الى طشطمر نائب حلب وكان معه بعسكر طرابلس فلما جرى من هروب الطنبغا ما جرى كان ارقطاى معه فامسك واعتقل بسكندرية ثم افرج عن ارقطاى فى اول سلطنة الملك الصالح اسماعيل بوساطة الامير ملكتمر الحجازى وجعل أميرا الى ان مات الصالح وقام من بعده الملك الكامل شعبان ورسم له بنيابة حلب عوضا عن الامير يلبغا اليحياوى فحضر اليها فى جمادى الاولى سنة ست وأربعين فأقام بها نحو خمسة أشهر ثم طلب الى مصر فحضر اليها فلم يكن غير قليل حتى خلع الكامل وتسلطن المظفر حاجى وولاه نيابة السلطنة بمصر فباشرها الى ان خلع المظفر وأقيم فى السلطنة الملك الناصر استعفى من النيابة وسأل نيابة حلب فأجيب وولى نيابة حلب وخرج اليها وما زال فيها الى ان نقل منها الى نيابة دمشق ففرح أهلها به وساروا الى حلب فرحل عنها فنزل به مرض وسار وهو مريض فمات بعين مباركة ظاهر حلب يوم الاربعاء خامس جمادى الاولى سنة خمسين وسبعمائة وقد أناف عن السبعين فعاد أهل دمشق خائبين وكان زكيا فطنا محجاجا لسنا مع عجمة فى لسانه وله تثبت مطبوع وميل الى الصور الجميلة ما يكاد يملك نفسه اذا شاهدها مع كرم فى المأكول *(درب البناديين) بحارة الروم يعرف بالبناديين من جملة طوائف العساكر فى الدولة الفاطمية ثم عرف بدرب أميرجاندار وهو ينفذ الى حمام الفاضل المرسوم بدخول الرجال وأميرجاندار هذا هو الامير علم الدين سنجر الصالحى المعروف بامير جندار *(درب المكرم) بحارة الروم يعرف بالقاضى المكرم جلال الدين حسين بن ياقوت البزار نسيب ابن سنا الملك *(درب الضيف) بحارة الديلم عرف بالقاضى ثقة الملك أبى منصور نصر بن القاضى الموفق أمير الملك أبى الظاهر اسماعيل بن القاضى أمين الدولة أبى محمد الحسن بن على بن نصر ابن الضيف كان موجودا فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وبه أيضا رحبة تعرف برحبة الضيف منسوبة اليه *(درب الرصاصى) بحارة الديلم هذا الدرب كان يعرف بحكر الامير سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك من وزراء الدولة الفاطمية ثم عرف بحكر تاج الملك بدران بن الامير سيف الدين المذكور ثم عرف بالامير عز الدين أيبك الرصاصى *(درب ابن المجاور) هذا الدرب على يسرة من دخل من اول حارة الديلم كان فيه دار الوزير نجم الدين بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان عرف به وهو يوسف بن الحسين بن محمد بن الحسين أبو الفتح نجم الدين الفارسى الشيرازى المعروف بابن المجاور كان والده صوفيا من أهل فارس ثم من شيراز قدم دمشق وأقام فى دويرة الصوفية بها وكان من الزهد والدين بمكان وأقام بمكة وبها مات فى رجب سنة ست وثمانين وخمسمائة وكان أخوه أبو عبد الله قد سمع الحديث وحدث وقدم الى القاهرة ومات بدمشق اول رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة *(درب الكهارية) هذا الدرب فيه المدرسة الكهارية بجوار حارة الجودرية المسلوك اليه من القماحين ويتوصل منه الى المدرسة الشريفية *(درب الصفيره) بتشديد الفاء هذا الدرب بجوار باب زويلة وهو من حقوق حارة المحمودية وكان نافذا الى المحمودية وهو الآن غير نافذ وأصله درب الصفيراء تصغير صفراء هكذا يوجد فى الكتب القديمة وقد دخل بجميع ما كان فيه من الدور الجليلة بالجامع المؤيدى *(درب الانجب) هذا الدرب تجاه باب زويلة التى من فوق فوهتها اليوم ربع يونس من خط البندقانيين يعرف بالقاضى الانجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن نصر ابن على أحد الشهود فى أيام قاضى القضاة سنان الملك أبى عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسر وكان حيا فى سنة بضع وعشرين وخمسمائة وينسب الى الحسين بن الانجب المقدسى أحد الشهود المعدلين وكان موجودا فى سنة ستمائة ثم عرف هذا الدرب بأولاد العميد الدمشقى فانه كان مسكنهم ثم عرف بالبساطى وهو قاضى القضاة جمال الدين يوسف *(درب كنيسة جدة) بضم الجيم هذا الدرب بالبندقانيين كان يعرف بدرب بنت جدة ثم عرف بدرب الشيخ السديد الموفق *(درب ابن قطز) هذا الدرب بجوار مستوقد حمام الصاحب ورباط الصاحب من خط سويقة الصاحب عرف بناصر الدين بن بلغاق بن الامير

سيف الدين قطز المنصوري ومات بعد سنة ثمان وتسعين وستمائة * (درب الحريري) هذا الدرب من جملة دار الديباج وهو درب ابن قطز المذكور قبله ويتوصل اليه اليوم من اول سويقة الصاحب وفيه المدرسة القطبية عرف بالقاضي نجم الدين محمد بن القاضي فتح الدين عمر المعروف بابن الحريري فانه كان ساكنا فيه * (درب ابن عرب) هذا الدرب بخط سويقة الصاحب كان يعرف بدرب بني اسامة الكتاب أهل الانشاء في الدولة الفاطمية ثم عرف بدرب بني الزبير الاكابر الرؤساء في الدولة الفاطمية ثم سكنه القاضي علاء الدين علي بن عرب محتسب القاهرة في أيام الامير بلبغاق وكيل بيت المال فعرف به الى اليوم وابن عرب هذا هو علاء الدين أبو الحسن علي بن عبد الوهاب بن عثمان بن علي بن محمد عرف بابن عرب ولي الحسبة بالقاهرة في آخر صفر سنة خمس وستين وسبعمائة وولي وكالة بيت المال أيضا وتوفي * (درب ابن مغش) هذا الدرب تجاه المدرسة الصاحبية عرف أخيرا بتاج الدين موسى كاتب السعدي وناظر الخاص في الايام الظاهرية برقوق وله به دار مليحة وكان ماجنا متهتكا يرمى بالسوء واما الديانة فانه قبطي وعنه أخذ سعد الدين ابراهيم بن غراب وظيفة ناظر الخاص وعاقبه بين يديه ثم صار يتردد بعد ذلك الى مجلسه وهلك في واقعة تيمورلنك بدمشق في شعبان سنة ثلاث وثمانمائة بعدما احترق بالنار لما احترقت دمشق واكل الكلاب بعضه * (درب مشترك) هذا الدرب يقرب من درب العداس تجاه الخط الذي كان يعرف بالسطاح وفيه الآن سوق الجواري عرف اولا بدرب الاخناي قاضي القضاة برهان الدين المالكي فانه كان يسكن فيه ثم هو الآن يقال له درب مشترك وهذه كلمة تركية أصلها بلسانهم اج ترك بضم الهمزة واشمامها جيم بين الجيم والشين ومعنى ذلك ثلاث وترك بتاء مثناة من فوق ثم راء مهملة وكاف ومعناها النخل ومعنى هذا الاسم ثلاث نخيل وعربته العامة فقالت مشترك وهو مشترك السلاح دار الظاهر برقوق فانه سكن بها ومات في سنة * (درب العداس) هذا الدرب فيما بين دار الديباج والوزيرية عرف بعلي بن عمر العداس صاحب سقيفة العداس * (درب كاتب سيدى) هذا الدرب من جملة خط المحمين كان يعرف بدرب تقي الدين الاطرباني أحد موقعي الحكم عند قاضي القضاة تقي الدين الاخناوي ثم عرف بالوزير الصاحب علم الدين عبد الوهاب القبطي الشهير بكاتب سيدى * (الوزير كاتب سيدى) * تسمى لما اسلم بعبد الوهاب بن القسيس وتلقب علم الدين وعرف بين الكتاب الاقباط بكاتب سيدى وترقى في الخدم الديوانية حتى ولي ديوان المرتجع وتخصص بالوزير الصاحب شمس الدين ابراهيم كاتب ارلان فلما أشرف من مرضه على الموت عين للوزارة من بعده علم الدين هذا فولاه الملك الظاهر وظيفة الوزارة بعد موت الوزير شمس الدين في سادس عشري شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة فباشر الوزارة الى يوم السبت رابع عشري رمضان سنة تسعين وسبعمائة ثم قبض عليه واقيم في منصب الوزارة بدله الوزير الصاحب كريم الدين بن الغنام وسلمه اليه وكان قد أراد مصادرة كريم الدين فاتفق استقراره في الوزارة وتمكنه منه فألزمه بحمل مال قرره عليه فيقال انه حمل في هذا اليوم ثلثمائة ألف درهم عنها اذ ذاك نحو العشرة آلاف مثقال ذهبا ومات بعد ذلك من هذه السنة وكان كاتبا بليغا كتب بيده بضعا وأربعين رزمة من الورق وكانت ايامه ساكنة والاحوال متمشية وفيه لين * (درب مخاص) هذا الدرب بحارة زويلة عرف بمخاص الدولة أبي الحيا مطرف المستنصري ثم عرف بدرب الرايض وهو الامير طراز الدولة الرايض باصطبل الخلافة * (درب كوكب) هذا الدرب هو الآن زقاق شارع يسلك فيه من حارة زويلة الى درب الصقالبة عرف اولا بالقائد الاعز مسعود المستنصر ثم عرف بكوكب الدولة ابن الحناكي * (درب الوشاقي) بحارة زويلة عرف بالامير حسام الدين سنقر الوشاقي المعروف بالاعسر السلاح دار أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب * (درب الصقالبة) بحارة زويلة عرف بطائفة الصقالبة أحد طوائف العساكر في أيام الخلفاء الفاطميين وهم جماعة * (درب الكنجي) بحارة زويلة كان يعرف بدرب حليلة ثم عرف بالامير شمس الدين سنقر شاه الكنجي الحاجب الظاهري قتله قلاون اول سلطنته * (درب رومية) هذا الدرب كان في القديم فيما بين زقاق القابلة ودرب الزراق فزقاق القابلة فيه اليوم كنيسة اليهود بحارة زويلة ويتوصل منه الى السبع سقايات ودار بيبرس التي عرفت بدار كاتب السر ابن فضل الله تجاه حمام ابن عبود ودرب الزراق هو اليوم من جملة خط سويقة الصاحب وبينهما الآن دور لا يوصل اليه الا بعد قطع مسافة ودرب رومية كان يعرف اولا بزقاق حسين بن ادريس العزيزي أحد اتباع الخليفة العزيز بالله

نزار

نزار بن المعز لدين الله ثم عرف بدرب رومية وهو بجوار زقاق القابلة الذى عرف بزقاق العسل ثم عرف بزقاق المعصرة وعرف اليوم بزقاق الكنيسة *(درب الخضيرى) هذا الدرب يقابل باب الجامع الاقمر البحرى وهو من جملة حقوق القصر الصغير الغربى عرف بالامير عز الدين ايدمر الخضيرى أحد امراء الملك المنصور قلاوون *(درب شعلة) هو الشارع المسلوك فيه من باب درب ملوخيا الى خط الفهادين والعطوفية وقد خرب *(درب نادر) هذا الدرب بجوار المدرسة الجمالية فيما بين درب راشد ودرب ملوخيا عرف بسيف الدولة نادر الصقلبى وتوفى لاثنتى عشرة خلت من صفر سنة اثنين وثمانين وثلثمائة فبعث اليه الخليفة العزيز بالله لكفنه خمسين قطعة من ديباج مثقل وخلف ثلثمائة ألف دينار عينا وآنية من فضة وذهب وعبيدا وخيلا وغير ذلك مما بلغت قيمته نحو ثمانين ألف دينار وكان أحد الخدام ذكره المسبحى فى تاريخه وقد ذكر ابن عبد الظاهر ان بالسويقة التى دون باب القنطرة دربا يعرف بدرب نادر فلعله نسب اليه درب كان هناك فى القديم أيضا *(درب راشد) هذا الدرب تجاه خزانة البنود عرف بيمين الدولة راشد العزيزى *(درب النميرى) عرف بالامير سيف المجاهدين محمد بن النميرى أحد امراء الخليفة الحافظ لدين الله وولى عسقلان فى سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت ولايتها اكبر من ولاية دمشق وهذا الدرب كان ينفذ الى درب راشد وهو الآن غير نافذ وفى داخله درب يعرف بأولاد الداية ظاهر وقاسم الافضليين أحد اتباع الافضل بن أمير الجيوش وعرف الآن بدرب الطفل وهو من جملة خطة قصر الشوك فانه قبالة باب قصر الشوك وبينهما سويقة رحبة الايدمرى *(درب قراصيا) هذا الدرب من جملة الدروب القديمة وكان تجاه باب قصر الزمرذ الذى فى مكانه اليوم المدرسة الحجازية وهذا الدرب اليوم من جملة خطة رحبة باب العيد بجوار سجن الرحبة وقد هدمه الامير جمال الدين يوسف الأستادار وهدم كثيرا من دوره وعملها وكالة فمات ولم تكمل وهى الى الآن بغير تكملة ثم كملها الملك المؤيد شيخ وجعله وقفا على جامعه وهو الى الآن خان عامر *(درب السلامى) هذا الدرب من جملة خط رحبة باب العيد وفيه الى اليوم أحد ابواب القصر المسمى بباب العيد والعامة تسميه القاهرة وهذا الدرب يسلك منه الى خط قصر الشوك والى المارستان العتيق الصلاحى والى دار الضرب وغير ذلك *(عرف بخواجا مجد الدين السلامى) *اسماعيل ابن محمد بن ياقوت الخواجا مجد الدين السلامى تاجر الخاص فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان يدخل الى بلاد الططر ويتجر ويعود بالرقيق وغيره واجتهد مع جوبان الى ان اتفق الصلح بين الملك الناصر وبين القان أبى سعيد فانتظم ذلك بسفارته وحسن سعيه فازدادت وجاهته عند الملكين وكان الملك الناصر يسفره ويقرر معه أمورا فيتوجه ويقضيها على وفق مراده بزيادات فأحبه وقربه ورتب له الرواتب الوافرة فى كل يوم من الدراهم واللحم والعليق والسكر والحلواء والكماج والرقاق مما يبلغ فى اليوم مائة وخمسين درهما عنها يومئذ ثمانية مثاقيل من الذهب وأعطاه قرية أرالك ببعلبك وأعطى مماليكه اقطاعات فى الحلقة وكان يتوجه الى الاردن ويقيم فيه الثلاث سنين والاربع والبريد لا ينقطع عنه ويجهز اليه التحف والاقمشة ليفرقها على من يراه من خواص أبى سعيد واعيان الاردن ثقة بمعرفته ودرايته وكان النشو ناظر الخاص لا يفارقه ولا يصبر عنه ومن املاكه ببلاد المشرق السلامية والمأخوذة والمراوزة والمناصف ولما مات الملك الناصر قلاوون تغير عليه الامير قوصون وأخذ منه مبلغا يسيرا وكان ذا عقل وافر وفكر مصيب وخبرة باخلاق الملوك وما يليق بخواطرها ودراية بما يتحفها به من الرقيق والجواهر ونطق سعيد وخلق رضى وشكالة حسنة وطلعة بهية ومات فى داره من درب السلامى هذا يوم الاربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ودفن بتربته خارج باب النصر ومولده فى سنة احدى وسبعين وستمائة بالسلامية بلدة من اعمال الموصل على يوم منها بالجانب الشرقى وهى بفتح السين المهملة وتشديد اللام وبعد الميم ياء مثناة من تحت مشددة ثم تاء التأنيث *(درب خاص ترك) هذا الدرب برحبة باب العيد عرف بالامير الكبير ركن الدين بيبرس المعروف بخاص الترك الكبير أحد الامراء الصالحية النجمية أو بالامير عز الدين أيبك المعروف بخاص الترك الصغير سلاح دار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى *(درب شاطى) هذا الدرب يتوصل منه الى قصر الشوك عرف بالامير شرف الدين شاطى السلاح دار فى أيام الملك المنصور قلاوون وكان أميرا كبيرا مقدما بالديار المصرية وأخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الشام فاقام بدمشق وكانت له حرمة وافرة وديانة وفيه خير ومات بها فى الحادى والعشرين

من شعبان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة * (درب الرشيدى) هذا الدرب مقابل باب الجوانية عرف بالامير عز الدين ايدمر الرشيدى مملوك الامير بلبان الرشيدى خوش داش الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وولى الامير ايدمر هذا استادار الاستاذه بلبان ثم ولى استادار اللامير سلار ومات فى تاسع عشر شوال سنة ثمان وسبعمائة وكان سكنه فى هذا الدرب وكان عاقلا ذا ثروة وجاه وكان فى القديم موضع هذا الدرب براحا قدام الحجر * (درب الفريحية) هذا الدرب على يمنة من خرج من الجملون الصغير طالبا درب الرشيدى المذكور وهو من الدروب التى كانت فى أيام الخلفاء * (درب الاصفر) هذا الدرب تجاه خانقاه الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وموضع هذا الدرب هو المنحر الذى تقدم ذكره * (درب الطاوس) هذا الدرب فى الحدرة التى عند باب سر المارستان المنصورى على يمنة من ابتدا الخروج منه وكان موضعه بجوار باب الساباط أحد أبواب القصر الصغير وقد تقدم ذكره ودرب الطاوس أيضا بالقرب من درب العداس فيما بين باب الخوخة والوزيرية * (درب مانجار) هذا الدرب بجوار جامع أمير حسين من حكر جوهر النوبى خارج القاهرة عرف بالامير مانجار الرومى الواقدى أيام الملك الظاهر بيبرس وقد خربت تلك الديار فى سلطنة الملك المؤيد شيخ * (درب كوسا) هو الآن يسلك فيه على شاطئ الخليج الكبير من قنطرة الامير حسين الى قنطرة الموسكى عرف بحسام الدين كوسا أحد مقدمى الحلقة فى أيام الملك المنصور قلاوون مات بعد سنة ثلاث وثمانين وستمائة وهذا الموضع تجاه دار الذهب التى تعرف اليوم بدار الامير حسين الططرى السلاح دار الناصرى وقد خربت أيضا * (درب الحاكى) هذا الدرب بالحكر عرف بالامير شرف الدين ابراهيم بن على بن الجنيد الحاكى المهمندار المنصورى وقد دثر فى أيام المؤيد على يد الامير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الاستادار لما خرب ماهنالك * (درب الحرامى) بالحكر عرف بسعد الدين حسين بن عمر بن محمد الحرامى وابنه محيى الدين يوسف وكانا من اجناد الحلقة * (درب الزراق) بالحكر عرف بالامير عز الدين ايدمر الزراق أحد الامراء ولاه الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون نيابة غزة فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة فأقام بها مدة ثم استعفى بعد موت الملك الصالح وعاد الى القاهرة ثم توجه الى دمشق للحوطة على موجود الخاصكية يلبغا اليحياوى فى الايام المظفرية وعاد فلما ركب العسكر على الملك المظفر لم يكن معه سوى الزراق واق سنقر وأيدمر الشمسى فنقم الخاصكية عليهم ذلك واخرجوهم الى الشام فوصلوا اليها فى اول شوال سنة ثمان وأربعين فأقام الزراق بدمشق ثم ورد مرسوم السلطان حسن بتوجيههم الى حلب فتوجه اليها على اقطاع وبها مات وكان دينا فيه خير وكان هذا الدرب عامرا وفيه دار الزراق الدار العظيمة وقد خرب هذا الدرب وما حوله منذ كانت الحوادث فى سنة ست وثمانمائة ثم نقضت الدار فى أيام المؤيد شيخ على يد ابن أبى الفرج * (زقاق طريف) بالطاء المهملة هذا الزقاق من ازقة البرقية عرف بالامير فخر الدين طريف بن بكتوت وكان يعرف بزقاق منار بن ميمون بن منار توفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة * (زقاق منعم) بحارة الديلم كان يعرف بمساطب الديلم والاتراك ثم عرف بالامير منعم الدولة باتكين البوسحاقى ثم عرف بزقاق جمال الدولة ثم بزقاق الجلاطى ثم بزقاق الصهرجتى وهو القاضى المنتخب ثقة الدولة أبو الفضل محمد بن الحسين بن هبة الله بن وهيب الصهرجتى وكان حيا فى سنة ستين وخمسمائة * (زقاق الحمام) بحارة الديلم عرف قديما بخوخة المنقدى ثم عرف بخوخة سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك ثم عرف بزقاق حمام الرصاصى ثم عرف بزقاق المزار * (زقاق الحرون) بحارة الديلم عرف بالامير الاوحد سلطان الجيوش زرى الحرون رفيق العادل بن السلار وزير مصر فى أيام الخليفة الظافر بأمر الله ثم عرف بابن مسافر عين القضاة ثم عرف بزقاق القبة * (زقاق الغراب) بالجودرية كان يعرف بزقاق أبى العز ثم عرف بزقاق ابن أبى الحسن العقيلى ثم قيل له زقاق الغراب نسبة الى أبى عبد الله محمد بن رضوان الملقب بغراب * (زقاق عامر) بالوزيرية عرف بعامر القماح فى حارة الاقانصه * (زقاق فرج) بالجيم من جملة ازقة درب ملوخيا عرف بفرج مهتار الطشتخاناه للملك المنصور قلاوون كان حيا فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة * (زقاق حدرة الزاهدى) بحارة برجوان عرفت بالامير ركن الدين بيبرس الزاهدى الرماح الاحدب أحد الامراء وممن له عدة غزوات فى الفرنج ولما تمالأ الامراء على الملك السعيد ابن الظاهر وسبقهم الى القلعة كان قدامه بيبرس الزاهدى هذا فسقط عن فرسه وخرجت له حدبة فى ظهره ومات فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة

وكان

وكان مكان هذه الحدرة اخصاصا وهى الآن مساكن بينها زقاق يسلك فيه من رأس الحارة الى رحبة الإفيال

* (ذكر الخوخ) *

والقصد ايراد ماهو مشهور من الخوخ اولذكره فائدة والا فالخوخ والدروب والازقة كثيرة جدا *(الخوخ السبع) كانت سبع خوخ فيما يقال متصلة باصطبل الطارمة يتوصل منها الخلفاء اذا ارادوا الجامع الازهر فيخرجون من باب الديلم الذى هو اليوم باب المشهد الحسينى الى الخوخ ويعبرون منها الى الجامع الازهر فانه كان حينئذ فيما بين الخوخ والجامع رحبة كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا الخط يعرف أولا بخوخة الامير عقيل ولم يكن فيه مساكن ثم عرف بعد انقضاء دولة الفاطميين بخط الخوخ السبع وليس لهذه الخوخ اليوم اثر ألبتة ويعرف اليوم بالابارين *(باب الخوخة)* هو أحد أبواب القاهرة مما يلى الخليج فى حد القاهرة البحرى يسلك اليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودى وكان هذا الباب يعرف أولا بخوخة ميمون دبه ويخرج منه الى الخليج الكبير وميمون دبه يكنى بأبى سعيد أحد خدام العزيز بالله كان خصيا *(خوخة ايدغمش) هذه الخوخة فى حكم أبواب القاهرة يخرج منها الى ظاهر القاهرة عند غلق الابواب فى الليل وأوقات الفتن اذا اغلقت الابواب فينتهى الخارج منها الى الدرب الاحمر واليانسية ويسلك من هنالك الى باب زويلة ويصار اليها من داخل القاهرة امامن سوق الرقيق أومن حارة الروم من درب أرقطاى وهذه الخوخة بجوار حمام ايدغمش وهو *(ايدغمش الناصرى)* الامير علاء الدين اصله من مماليك الامير سيف الدولة بلبان الصالحى ثم صار الى الملك الناصر محمد بن قلاوون فلما قدم من الكرك جعله اميرا خور عوضا عن الامير بيبرس الحاجب ولم يزل حتى مات الملك الناصر فقام مع قوصون ووافقه على خلع الملك المنصور أبى بكر ابن الملك الناصر ثم لما هرب الطنبغا الفخرى اتفق الامراء مع ايدغمش على الامير قوصون فوافقهم على محاربته وقبض على قوصون وجماعته وجهزهم الى الاسكندرية وجهز من امسك الطنبغا ومن معه وارسلهم أيضا الى الاسكندرية وصار ايدغمش فى هذه النوبة هو المشار اليه فى الحل والعقد فأرسل ابنه فى جماعة من الامراء والمشايخ الى الكرك بسبب احضار أحمد بن الملك الناصر محمد فلما حضر أحمد من الكرك وتلقب بالملك الناصر واستقر أمره بمصر أخرج ايدغمش نائبا بحلب فسار الى عين جالوت واذا بالفخرى قد صار اليه مستجيرا به فآمنه وانزله فى خيمة فلما ألقى عنه سلاحه واطمأن قبض عليه وجهزه الى الملك الناصر احمد وتوجه الى حلب فأقام بها الى أن استقر الملك الصالح اسماعيل بن محمد فى السلطنة نقله عن نيابة حلب الى نيابة دمشق فدخلها فى يوم العشرين من صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ومازال بها الى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة منها فعاد من مطعم طيوره وجلس بدار السعادة حتى انقضت الخدمة وأكل الطارى وتحدث ثم دخل الى داره فاذا جواريه يختصمن فضرب واحدة منهن ضربتين وشرع فى الضربة الثالثة فسقط ميتا ودفن من الغد فى تربته خارج ميدان الحصى ظاهر دمشق وكان جوادا كريما وله مكانة عند الملك الناصر الكبير بحيث انه امر اولاده الثلاثة وكان قد بعث الملك الصالح بالقبض عليه فبلغ القاصد موته فى قطيا فعاد *(خوخة الارقى) بحارة الباطلية يخرج منها الى سوق الغنم وغيره وهى بجوار داره *(خوخة عسيلة) هذه الخوخة من الخوخ القديمة الفاطمية وهى بحارة الباطلية مما يلى حارة الديلم فى ظهر الزقاق المعروف بخرابة العجيل بجوار دار الست حدق * (خوخة الصالحية) هذه الخوخة بجوار حبس الديلم قريبة من دار الصالح طلائع بن رزيك التى هدمها ابن قايماز وعمرها وكانت تعرف هذه الخوخة أولا بخوخة [illegible] ثم عرفت بخوخة الصالح طلائع بن رزيك [illegible] داره كانت هنالك وبها كان سكنه قبل أن يلى وزارة الظافر *(خوخة المطوع) هذه الخوخة بحا[illegible] كائنة فى أولها مما يلى الجامع الازهر عند اصطبل الحسام الصفدى عرفت بالمطوع الشيرازى *(خوخة حسين) هذه الخوخة فى الزقاق الضيق المقابل لمن يخرج من درب الاسوانى ويسلك فيه الى حكر الرصاصى بحارة الديلم ويعرف هذا الزقاق بزقاق المزار وفيه قبر تزعم العامة ومن لاعلم عنده أنه قبر يحيى بن عقب وانه كان مؤدبا للحسين بن على بن أبى طالب وهو كذب مختلق وافك مفترى كقولهم فى القبر الذى بحارة برجوان انه قبر جعفر الصادق وفى القبر الآخر انه قبر أبى تراب النخشبى وفى القبر

الذى على يسرة من خرج من باب الحديد ظاهر زويلة انه قبر زارع النوى وانه صحابى وغير ذلك من اكاذيبهم التى اتخذها لهم شياطينهم أنصابا ليكونوا لهم عزا وسيأتى الكلام على هذه المزارات فى مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى *(وحسين هذا)* هو الامير سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك وزوج ابنة الصالح بن رزيك وكان كرديا قدمه الصالح بن رزيك ابن الصالح لما ولى الوزارة ونوه به فلما مات وقام من بعده ابنه رزيك بن الصالح فى الوزارة كان حسين هذا هو مدبر امره بوصية الصالح واستشار حسينا فى صرف شاور عن ولاية قوص فأشار عليه بابقائه فأبى وولى الامير أبى الرفعة مكانه وبلغ ذلك شاور فخرج من قوص الى طريق الواحات فلما سمع رزيك بمسيره رأى فى النوم مناما عجيبا فأخبر حسينا بأنه رأى مناما فقال ان بمصر رجلا يقال له أبو الحسن على بن نصر الارتاحى وهو حاذق فى التعبير فاحضره وقال رأيت كان القمر قد أحاط به حنش وكأنى رواس فى حانوت فغالطه الارتاحى فى تعبير الرؤيا وظهر ذلك لحسين فأمسك حتى خرج وقال له ما اعجبنى كلامك والله لابد أن تصدقنى ولا بأس عليك فقال يا مولاى القمر عندنا هو الوزير كما أن الشمس الخليفة والحنش المستدير عليه حبس مصحف وكونه رواس اقلبها تجدها شاور مصحفا وما وقع لى غير هذا فقال حسين اكتم هذا عن الناس وأخذ حسين فى الاهتمام بامره ووطأ انه يريد التوجه الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان قد أحسن الى اهلها وحمل اليها مالا وقماشا وأودعه عند من يثق به هذا وأمر شاور يقوى ويتزايد ويصل الارجاف به الى أن قرب من القاهرة فصاح الصائح فى بنى رزيك وكانوا اكثر من ثلاثة آلاف فارس فأول من نجا بنفسه حسين وسار فسأل عنه رزيك فقالوا خرج فانقطع قلبه لان حسينا كان مذكورا بالشجاعة مشهورا بها وله تقدم فى الدولة ومكانة وممارسة للحروب وخبرة بها ولم يثبت بعد خروج حسين بل انهزم الى ظاهر اطفيح فقبض عليه ابن النيض مقدم العرب واحضره الى شاور فحبسه وصدقت رؤياه ومات حسين فى سنة *(خوخة الحلبى)* هذه الخوخة فى آخر اصطبل الطارمة بجوار حمام الامير علم الدين سنجر الحلبى وفى ظهر داره *(سنجر الحلبى)* أحد المماليك الصالحية ترقى فى الخدم الى أن ولاه الملك المظفر سيف الدين قطز نيابة دمشق فلما قتل قطز على عين جالوت وقام من بعده فى السلطنة بالديار المصرية الملك الظاهر بيبرس ثار سنجر بدمشق فى سنة ثمان وخمسين وستمائة ودعا الى نفسه وتلقب بالملك المجاهد وبقى اشهرا والملك الظاهر يكاتب امراء دمشق الى أن خامروا على سنجر وحاصروه بقلعة دمشق أياما فلما خشى أن يقبض عليه فر من القلعة الى بعلبك فجهز اليه الظاهر الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى ومازال يحاصره حتى اخذه اسيرا وبعث به الى الديار المصرية فاعتقله الظاهر ومازال فى الاعتقال من سنة تسع وخمسين الى سنة تسع وثمانين وسبعمائة مدة نيف على ثلاثين سنة مدة أيام الملك الظاهر وولديه وايام الملك المنصور قلاوون فلما ولى الملك الاشرف خليل بن قلاوون أخرجه من السجن وخلع عليه وجعله أحد الامراء الاكابر على عادته فلم يزل اميرا بمصر الى أن مات على فراشه فى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة وقد جاوز تسعين سنة وانحنى ظهره وتقوس *(خوخة الجوهرة)* هذه الخوخة بآخر حارة زويلة عرفت اليوم بخوخة الوالى لقربها من دار الامير علاء الدين الكورانى والى القاهرة وكان من خير الولاة يحفظ كتاب الحاوى فى الفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وأقام فى ولاية القاهرة من محرم سنة تسع واربعين وسبعمائة بعدا أستدمر القلنجى والى القاهرة الى *(خوخة مصطفى)* هذه الخوخة بآخر زقاق الكنيسة من حارة زويلة يخرج منها الى القبو الذى عند حمام طاب الزمان المسلوك منه الى قبو منظرة اللؤلؤة على الخليج عرفت بالامير فارس المسكين مصطفى أحد امراء بنى أيوب الملوك وهو أيضا صاحب هذا الحمام *(خوخة ابن المأمون)* هذه الخوخة فى حارة زويلة بالدرب الذى بقرب حمام الكويك ويقال لهذه الخوخة اليوم باب حارة زويلة وأصلها خوخة فى درب ابن المأمون البطايحى *(خوخة كوتية أق سنقر)* هذه الخوخة فى الزقاق الذى بظهر المدرسة الفخرية بآخر سويقة الصاحب كان يسلك منها الى الخليج من جوار باب الذهب وموضعها بحذاء بيت القاضى أمين الدين ناظر الدولة ولم تزل الى أن بنى المهتار عبد الرحمن البابا داره بجوارها فى سنى بضع وتسعين وسبعمائة فسدها وعرفت هذه الخوخة اخيرا بخوخة المسيرى وهو قمر الدين بن السعيد المسيرى *(خوخة أمير حسين)* هذه الخوخة من جملة الوزيرية يخرج منها الى تجاه قنطرة أمير حسين فتحها الامير شرف الدين

حسين

حسين بن أبى بكر ابن اسماعيل بن حيدرة بك الرومى حين بنى القنطرة على الخليج الكبير وانشأ الجامع بحكر جوهر النوبى * وجرى فى فتح هذه الخوخة أمر لا بأس بايراده وهو أن الامير حسين قصد أن يفتح فى السور خوخة لتمر الناس من اهل القاهرة فيها الى شارع بين السورين لعمر جامعه فمنعه الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة من ذلك الا بمشاورة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان للامير حسين اقدام على السلطان وله به مؤانسة فعرفه أنه انشأ جامعا وسأله أن يفسح له فى فتح مكان من السور ليصير طريقا نافذا يمر فيه الناس من القاهرة ويخرجون اليه فأذن له فى ذلك وسمح به فنزل الى السور وخرق منه قدر باب كبير ودهن عليه رنكه بعد ما ركب هنالك بابا ومر الناس منه واتفق انه اجتمع بالخازن والى القاهرة وقال له على سبيل المداعبة كم كنت تقول ما أخليك تفتح فى السور بابا حتى تشاور السلطان ها أنا قد شاورته وفتحت بابا على رغم أنفك فحنق الخازن من هذا القول وصعد الى القلعة ودخل على السلطان وقال ياخوند أنت رسمت للامير شرف الدين أن يفتح فى السور بابا وهو سور حصين على البلد فقال السلطان انما شاورنى أن يفتح خوخة لاجل حضور الناس للصلاة فى جامعه فقال الخازن ياخوند مافتح الا بابا يعادل باب زويلة وعمل عليه رنكه وقصد يعمل سلطانا على البارد وما جرت عادة أحد بفتح سور البلد فأثر هذا الكلام من الخازن فى نفس السلطان أثرا قبيحا وغضب غضبا شديدا وبعث الى النائب وقد اشتد حنقه بأن يسفر حسين بن حيدر الى دمشق بحيث لا يبيت فى المدينة فخرج من يومه من البلد بسبب ما تقدم ذكره

* (ذكر الرحاب) *

الرحبة باسكان الحاء وفتحها الموضع الواسع وجمعها رحاب اعلم أن الرحاب كثيرة لا تتغير الا بأن يبنى فيها فتذهب ويبقى اسمها او يبنى فيها ويذهب اسمها ويجهل وربما انهدم بنيان وصار موضعه رحبة اودارا أو مسجدا والغرض ذكر ما فيه فائدة * (رحبة باب العيد) هذه الرحبة كان أولها من باب الريح أحد أبواب القصر الذى ادركنا هدمه على يد الامير جمال الدين الاستادار فى سنة احدى عشرة وثمانمائة والى خزانة البنود وكانت رحبة عظيمة فى الطول والعرض غاية فى الاتساع يقف فيها العساكر فارسها وراجلها فى ايام مواكب الاعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه من باب العيد ويذهبون فى خدمته لصلاة العيد بالمصلى خارج باب النصر ثم يعودون الى أن يدخل من الباب المذكور الى القصر وقد تقدم ذكر ذلك ولم تزل هذه الرحبة خالية من البناء الى ما بعد الستمائة من الهجرة فاختط فيها الناس وعمروا فيها الدور والمساجد وغيرها فصارت خطة كبيرة من اجل اخطاط القاهرة وبقى اسم رحبة باب العيد باقيا عليها لا تعرف الا به * (رحبة قصر الشوك) هذه الرحبة كانت قبلى القصر الكبير الشرقى فى غاية الاتساع كبيرة المقدار وموضعها من حيث دار الامير الحاج آل ملك بجوار المشهد الحسينى والمدرسة الملكية الى باب قصر الشوك عند خزانة البنود وبينها وبين رحبة باب العيد خزانة البنود والسفينة وكان السالك من باب الديلم الذى هو اليوم المشهد الحسينى الى خزانة البنود يمر فى هذه الرحبة ويصير سور القصر على يساره والمناخ ودارا فتكين على يمينه ولا يتصل بالقصر بنيان ألبتة ومازالت هذه الرحبة باقية الى أن خرب القصر بفناء اهله فاختط الناس فيها شيأ بعد شئ حتى لم يبق منها سوى قطعة صغيرة تعرف برحبة الايدمرى * (رحبة الجامع الازهر) هذه الرحبة كانت أمام الجامع الازهر وكانت كبيرة جدا تبتدئ من خط اصطبل الطارمة الى الموضع الذى فيه مقعد الاكفانيين اليوم ومن باب الجامع البحرى الى حيث الخراطين ليس بين هذه الرحبة ورحبة قصر الشوك سوى اصطبل الطارمة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الازهر تترجل العساكر كلها وتقف فى هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة الى الجامع وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر الجوامع ولم تزل هذه الرحبة باقية الى اثناء الدولة الايوبية فشرع الناس فى العمارة بها الى أن بقى منها قدام باب الجامع البحرى هذا القدر اليسير * (رحبة الحلى) هذه الرحبة الآن من خط الجامع الازهر ومن بقية رحبة الجامع التى تقدم ذكرها عرفت بالقاضى نجم الدين أبى العباس احمد بن شمس الدين على بن نصر الله بن مظفر الحلى التاجر العادل لانها تجاه داره * (رحبة البانياسى) هذه الرحبة بدرب الاتراك تجاه دار الامير طيدمر الجدار الناصرى وعرفت بالامير نجم الدين محمود بن موسى البانياسى لان داره كانت فيها ومسجده المعلق هنالك ومات بعد سنة خمسمائة * (رحبة الايدمرى) هذه الرحبة من جملة رحبة باب قصر

الشوك وعرفت بالايدمرى لان داره هناك *(والايدمرى) هذا مملوك عز الدين ايدمر الحلى نائب السلطنة فى ايام الملك الظاهر بيبرس ترقى فى الخدم حتى تأمر فى ايام الملك الظاهر بيبرس وعلت منزلته فى ايام الملك المنصور قلاوون ومات سنة سبع وثمانين وستمائة ودفن بتربته فى القرافة بجوار الشافعى رضى الله عنه *(رحبة البدرى) هذه الرحبة يدخل اليها من رحبة الايدمرى من باب قصر الشوك ومن جهة المارستان العتيق وهى من جملة القصر الكبير عرفت بالامير بيدمر البدرى صاحب المدرسة البدرية فان داره هناك *(رحبة ضروط) هذه الرحبة بجوار دار أى ملك وهى من جملة رحبة قصر الشوك عرفت بالامير ضروط الحاجب فانه كان يسكن هناك *(رحبة اقبغا) هذه الرحبة هى الآن سوق الخيميين وهى من جملة رحبة الجامع الازهر التى مرّ ذكرها عرفت بالامير اقبغا عبد الواحد أستادار الملك الناصر وصاحب المدرسة الاقبغاوية *(رحبة مقبل) هذه الرحبة كانت تعرف بخط بين المسجدين لان هناك مسجدين أحدهما يقابل الآخر ويسلك من هذه الرحبة الى سويقة الباطلية والى زقاق تريده وعرفت اخيرا بالامير زين الدين مقبل الرومى اميرجاندار الملك الظاهر برقوق *(رحبة أيدمر) هذه الرحبة فى الدرب أول سوق القرّاسين مما يلى الاكفانيين عرفت بالامير سيف الدين ايدمر الناصرى المقتول بمكة *(رحبة قردية) هذه الرحبة بخط الاكفانيين تجاه دار الامير قردية الجدار الناصرى وكانت هذه الدار تعرف قديما بالامير سنجر الشكارى وله أيضا مسجد معلق يدخل من تحته الى الرحبة المذكورة وهناك اليوم قاعة الذهب التى فيها الذهب الشريط اعمل المزركش *(رحبة المنصورى) قبالة دار المنصورى عرفت بالامير قطلوبغا المنصورى المقدم ذكره *(رحبة المشهد) هذه الرحبة تجاه المشهد الحسينى كانت رحبة فيما بين باب الديلم أحد أبواب القصر الذى هو الآن المشهد الحسينى وبين اصطبل الطارمة *(رحبة أبى البقاء) هذه الرحبة من جملة رحبة باب العيد تجاه باب قاعة ابن كنيلة بخط السفينة عرفت بقاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى ابن على بن تمام السبكى الشافعى ومولده فى سنة سبع وسبعمائة أحد العلماء الاكابر تقلد قضاء القضاة بديار مصر والشام ومات فى *(رحبة الجازية) هذه الرحبة تجاه المدرسة الجازية وهى من جملة رحبة باب العيد عرفت برحبة الجازية *(رحبة قصر بشتاك) هذه الرحبة تجاه قصر بشتاك وهى من جملة الفضاء الذى بين القصرين *(رحبة سلار) تجاه حمام البيسرى ودار الامير سلار نائب السلطنة هى أيضا من جملة الفضاء الذى كان بين القصرين *(رحبة الفخرى) هذه الرحبة بخط الكافورى تجاه دار الامير سيف الدين قطلوبغا الطويل الفخرى السلاح دار الاشرفى أحد امراء الملك الناصر محمد بن قلاوون *(رحبة الاكز) بخط الكافورى هذه الرحبة تجاه دار الامير سيف الدين الاكز الناصرى الوزير وتعرف أيضا برحبة الابوبكرى لانها تجاه دار الامير سيف الدين الابوبكرى السلاح دار الناصرى وهى شارعة فى الطريق يسلك اليها من دار الامير تنكز ويتوصل منها الى دار الامير مسعود وبقية الكافورى *(رحبة جعفر) هذه الرحبة تجاه حارة برجوان يشرف عليها شباك مسجد تزعم العوام أن فيه قبر جعفر الصادق وهو كذب مختلق وافك مفترى ما اختلف أحد من اهل العلم بالحديث والآثار والتاريخ والسير أن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام مات قبل بناء القاهرة بدهر وذلك انه مات سنة ثمان واربعين ومائة والقاهرة بلا خلاف اختطت فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد موت جعفر الصادق بنحو مائتى سنة وعشر سنين والذى اظنه أن هذا موضع قبر جعفر بن امير الجيوش بدر الجمالى المكنى بأبى محمد الملقب بالمظفر ولما ولى أخوه الافضل ابن امير الجيوش الوزارة من بعد أبيه جعل اخاه المظفر جعفرا يلى العلامة عنه ونعت بالاجل المظفر سيف الامام جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل امير المؤمنين ابى محمد جعفر بن امير الجيوش بدر الجمالى وتوفى ليلة الخميس لسبع خلون من جمادى الاولى سنة اربع عشرة وخمسمائة مقتولا يقال قتله خادمه جوهر بمباطنة من القائد أبى عبد الله محمد بن فاتك البطايحى ويقال بل كان يخرج فى الليل يشرب فجاء ليلة وهو سكران فمازحه دراب حارة برجوان وتراميا بالحجارة فوقعت ضربة فى جنبه آلت به الى الموت والذى نقل انه دفن بتربة ابيه أمير الجيوش فاما أن يكون دفن هنا أولا ثم نقل أو لم يدفن هنا ولكنه من جملة ما ينسب اليه فانه بجوار دار المظفر التى من جملتها دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى وما قاربها كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر دار المظفر *(رحبة الافيال) هذه

الرحبة من جملة حارة برجوان يتوصل اليها من رأس الحارة ويسلك فى حدرة الزاهدى اليها وادركتها ساحة كبيرة والمشيخة تسميها رحبة الافيال وكذا يوجد فى مكاتيب الدور القديمة ويقال ان الفيلة فى ايام الخلفاء كانت تربط بهذه الرحبة أمام دار الضيافة ولم تزل خربة الى ما بعد سنة سبعين وسبعمائة فعمر بها دويرات ووجد فيها بئر متسعة ذات وجهين تشبه أن تكون البئر التى كانت سواس الفيلة يستقون منها ثم طمت هذه البئر بالتراب * (رحبة مازن) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه باب دار مازن التى خربت وفيها المسجد المعروف بمسجد بنى الكويك * (رحبة اقوش) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه قاعة الامير جمال الدين اقوش الرومى السلاح دار الناصرى التى حل وقفها بهاء الدين محمد بن البرجى ثم بيعت من بعده ومات اقوش سنة خمس وسبعمائة * (رحبة برلغى) هذه الرحبة عند باب سر المدرسة القراسنقرية تجاه دار الامير سيف الدين برلغى الصغير صهر الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهذه الرحبة من جملة خط دار الوزارة * (رحبة لؤلؤ) هذه الرحبة بحارة الديلم فى الدرب الذى بخط ابن الزلابى وهى تجاه دار الامير بدر الدين لؤلؤ الزردكاش الناصرى وهو من جملة من فر مع الامير قراسنقر واقوش الافرم الى ملك التتر بوسعيد * (رحبة كوكاى) هذه الرحبة بحارة زويلة عرفت بالامير سيف الدين كوكاى السلاح دار الناصرى وفيها المدرسة القطبية الجديدة * (رحبة ابن أبى ذكرى) هذه الرحبة بحارة زويلة وهى التى فيها البئر السابلة بالقرب من المدرسة العاشورية عرفت بالامير ابن أبى ذكرى وهى من الرحاب القديمة التى كانت ايام الخلفاء وبها الآن سوق حارة اليهود القرايين * (رحبة بيبرس) هذه الرحبة يتوصل اليها من سويقة المسعودى ومن حمام ابن عبود عرفت بالملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير فانّ بصدرها داره التى كانت سكنه قبل أن يتقلد سلطنة ديار مصر وقد حل وقفها وبيعت * (رحبة بيبرس الحاجب) هذه الرحبة بخط حارة العدوية عند باب سر الصاغة عرفت بالامير بيبرس الحاجب لانّ داره بها وبيبرس هذا هو الذى ينسب اليه غيط الحاجب بجوار قنطرة الحاجب وبهذه الرحبة الآن فندق الامير الطواشى زمام الدور السلطانية زين الدين مقبل وبه صار الآن هذا الخط يعرف بخط فندق الزمام بعد ما كنا نعرفه يعرف بخط رحبة بيبرس الحاجب * (رحبة الموفق) تعرف هذه الرحبة بحارة زويلة تجاه دار الصاحب الوزير موفق الدين أبى البقاء هبة الله ابن ابراهيم المعروف بالموفق الكبير وهى بالقرب من خوخة الموفق المتوصل منها الى الكافورى من حارة زويلة * (رحبة أبى تراب) هذه الرحبة فيما بين الخرشتف وحارة برجوان تشبه أن تكون من جملة الميدان ادركتها رحبة بها كيمان تراب وسبب نسبتها الى ابى تراب أن هنالك مسجدا من مساجد الخلفاء الفاطميين تزعم العامّة ومن لا خلاق له أن به قبر أبى تراب النخشبى وهذا القول من ابطل الباطل واقبح شئ فى الكذب فانّ أباتراب النخشبى هو أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى صحب حاتما الاصم وغيره وهو من مشايخ الرسالة ومات بالبادية نهشته السباع سنة خمس واربعين ومائتين قبل بناء القاهرة بنحو مائة وثلاث سنين وقد أخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومى خال ابى رحمه الله قبل أن يختلط قال اخبرنى مؤدبى الذى قرأت عليه القرآن أن هذا المكان كان كوما وان شخصا حفر فيه ليبنى عليه دارا فظهرت له شرافات فما زال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد فقال الناس هذا أبو تراب من حينئذ ويؤيد ما قال انى ادركت هذا المسجد محفوفا بالكيمان من جهاته وهو نازل فى الارض ينزل اليه بنحو عشر درج ومابرح كذلك الى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة فنقلت الكيمان التراب التى كانت هنالك حوله وعمر مكانها ما هنالك من دور وعمل عليها درب من بعد سنة تسعين وسبعمائة وزالت الرحبة والمسجد على حاله وانا قرأت على بابه فى رخامة قد نقش عليها بالقلم الكوفى عدة اسطر تتضمن أن هذا قبر أبى تراب حيدرة ابن المستنصر بالله أحد الخلفاء الفاطميين وتاريخ ذلك فيما أظنّ بعد الاربعمائة ثم لما كان فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة سوّلت نفس بعض السفهاء من العامّة له أن يتقرب بزعمه الى الله تعالى بهدم هذا المسجد ويعيد بناءه فجبى من الناس مالا اخذه منهم وهدم المسجد وكان بناء حسنا وردمه بالتراب نحو سبعة اذرع حتى ساوى الارض التى تسلك المارّة منها وبناه هذا البناء الموجود الآن وبلغنى أن الرخامة التى كانت على الباب نصبها على شكل قبر أحدثوه فى هذا المسجد وبالله ان الفتنة بهذا المكان وبالمكان الآخر من حارة برجوان الذى يعرف بجعفر الصادق لعظيمة فانهما

صار كالانصاب التى كانت تتخذها مشركوا العرب يلجأ اليهما سفهاء العامّة والنساء فى اوقات الشدائد وينزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التى لا ينزلها العبد الا بالله ربه ويسئلون فى هذين الموضعين مالا يقدر عليه الا الله تعالى وحده من وفاء الدين من غير جهة معينة وطلب الولد ونحو ذلك ويحملون النذور من الزيت وغيره اليهما ظنا أن ذلك ينجيهم من المكاره ويجلب اليهم المنافع ولعمرى ان هى الا كرة خاسرة ولله الحمد على السلامة *(رحبة ارقطاى) هذه الرحبة بحارة الروم قدام دار الامير الحاج ارقطاى نائب السلطنة بالديار المصرية *(رحبة ابن الضيف) هذه الرحبة بحارة الديلم وهى من الرحاب القديمة عرفت بالقاضى أمين الملك اسماعيل بن أمين الدولة الحسن بن علىّ بن نصر بن الضيف وفى هذه الرحبة الدار المعروفة باولاد الامير طنبغا الطويل بجوار حكر الرصاصىّ وتعرف هذه الرحبة أيضا بحمدان البزاز وبابن المخزومى *(رحبة وزير بغداد) هذه الرحبة بدرب ملوخيا عرفت بالامير الوزير نجم الدين محمود بن علىّ بن شرد ين المعروف بوزير بغداد قدم الى مصر يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة هو وحسام الدين حسن بن محمد بن محمد الغورىّ الحنفىّ فارّين من العراق بعد قتل موسى ملك التتر فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون باقطاع امرة تقدمة ألف مكان الامير طاز بغا عند وفاته فى ليلة السبت ثامن عشرى جمادى الاولى من السنة المذكورة فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاون وقام فى الملك من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر بن محمد قلد الوزارة بالديار المصرية للامير نجم الدين محمود وزير بغداد فى يوم الاثنين ثالث عشر المحرّم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وبنى له دار الوزارة بقلعة الجبل وأدركناها دار النيابة وعمل له فيها شباكا يجلس فيه وكان هذا قد أبطله الملك الناصر محمد وخربت قاعة الصاحب فلم يزل الى أن صرف فى أيام الملك الصالح اسماعيل بن محمد ابن قلاون عن الوزارة بالامير ملكتمر السرجوانى فى مستهل رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ثم اعيد فى آخر ذى الحجة بعد تمنع منه واشترط أن يكون جمال الكفاة ناظر الخاص معه صفة مشير فأجيب الى ذلك فلما قبض على جمال الكفاة صرف وزير بغداد وولى بعده الوزارة الامير سيف الدين ايتمش الناصرىّ فى يوم الاربعاء ثانى عشرى ربيع الآخر سنة خمس وأربعين بحكم استعفائه منها فباشرها ايتمش قليلا وسأل أن يعفى من المباشرة فأعفى وذلك لقلة المتحصل وكثرة المصروف فى الانعام على الجوارى والخدام وحواشيهم وكانت الكلف فى كل سنة ثلاثين ألف ألف دينار والمتحصل خمسة عشر ألف ألف نحو النصف ومرتب السكر فى شهر رمضان كان ألف قنطار فبلغ ثلاثة آلاف قنطار *(رحبة الجامع الحاكمى) هذه الرحبة من غير قاهرة المعز التى وضعها القائد جوهر وكانت من جملة الفضاء الذى كان بين باب النصر والمصلى فلما زاد امير الجيوش بدر الجمالى فى مقدار السور صارت من داخل باب النصر الآن وكانت كبيرة فيما بين الحجر والجامع الحاكمى وفيما بين باب النصر القديم وباب النصر الموجود الآن ثم بنى فيها المدرسة القاصدية التى هى تجاه الجامع وما فى صفها الى حمام الجاولى وبنى فيها الشيخ قطب الدين الهرماس دارا ملاصقة لجدار الجامع ثم هدمت كما سيأتى فى خبرها ان شاء الله تعالى عند ذكر الدور وفى موضعها الآن الربع والحوانيت سفله والقاعة الجارى ذلك فى املاك ابن الحاجب وادركت انشاءها فيما بعد سنة ثلاثين وهذه الرحبة تؤخذ اجرتها لجهة وقف الجامع *(رحبة كتبغا) هذه الرحبة من جملة اصطبل الجميزة وهى الآن من خط الصارف يسلك اليها من الجملون الكبير بسوق الشرابشيين ومن خط طواحين الملحيين وغيره عرفت بالملك العادل زين الدين كتبغا فانها تجاه داره التى كان يسكنها وهو أمير قبل أن يستقرّ فى السلطنة وسكنها بنوه من بعده فعرفت به ثم حل وقفها فى زمننا وبيعت *(رحبة خوند) هذه الرحبة بآخر حارة زويلة فيما بينها وبين سويقة المسعودىّ يتوصل اليها من درب الصقالبة ومن سويقة المسعودىّ وهى من الرحاب القديمة كانت تعرف فى ايام الخلفاء برحبة ياقوت وهو الامير ناصر الدولة ياقوت والى قوص أحد أجلاء الامراء ولما قام طلائع ابن رزيك بالوزارة فى سنة تسع واربعين وخمسمائة هم ناصر الدولة ياقوت بالقيام عليه فبلغ طلائع الملقب بالصالح بن رزيك ذلك فقبض عليه وعلى اولاده واعتقلهم فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فلم يزل فى الاعتقال الى أن مات فيه يوم السبت سابع عشر رجب سنة ثلاث وخمسين فأخرج الصالح اولاده من الاعتقال وأمّرهم وأحسن اليهم ثم عرفت هذه الرحبة من بعده بولده الامير ربيع الاسلام محمد بن ياقوت ثم عرفت فى الدولة

الايوبية برحبة ابن منقذ وهو الامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ ثم عرفت برحبة الفلك المسيرى وهو الوزير فلك الدين عبد الرحمن المسيرى وزير الملك العادل أبى بكر بن الملك العادل بن ايوب ثم عرفت الآن برحبة خوند وهى الست الجليلة أردوتكين ابنة نوغيه السلاح دار زوج الملك الاشرف خليل بن قلاون وامرأة أخيه من بعده الملك الناصر محمد وهى صاحبة تربة الست خارج باب القرافة وكانت خيرة وماتت أيضا فى سنة اربع وعشرين وسبعمائة *(رحبة قراسنقر) هذه الرحبة برأس حارة بهاء الدين تجاه دار الامير قراسنقر وبها الآن حوض تشرب منه الدواب *(رحبة بيغرا) بدرب ملوخيا عرفت بالامير سيف الدين بيغرا لانها تجاه داره *(رحبة الفخرى) بدرب ملوخيا عرفت بالامير منكلى بغا الفخرى صاحب التربة بظاهر باب النصر لانها تجاه داره *(رحبة سنجر) هذه الرحبة بحارة الصالحية فى آخر درب المنصورى عرفت بالامير سنجر الجمقدار علم الدين الناصرى لانها تجاه داره ثم عرفت برحبة ابن طرغاى وهو الامير ناصر الدين محمد بن الامير سيف الدين طرغاى الجاشنكير نائب طرابلس *(رحبة ابن علكان) هذه الرحبة بالجودرية فى الدرب المجاور للمدرسة الشريفية عرفت بالامير شجاع الدين عثمان بن علكان الكردى زوج ابنة الامير بازكوج الاسدى وبابنه منها الامير أبو عبد الله سيف الدين محمد بن عثمان وكان خيرا استشهد على غزة بيد الفرنج فى غرة شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وستمائة وكانت داره ودار أبيه بهذه الرحبة ثم عرفت بعد ذلك برحبة الامير علم الدين سنجر الصيرفى الصالحى *(رحبة ازدمر) بالجودرية هذه الرحبة بالدرب المذكور أعلاه عرفت بالامير عز الدين ازدمر الاعمى الكاشف لانها كانت أمام داره *(رحبة الاخناى) هذه الرحبة فيما بين دار الديباج والوزيرية بالقرب من خوخة امير حسين عرفت بقاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الاخناى المالكى لانها تجاه داره وقد عمر عليها درب فى أعوام بضع وتسعين وسبعمائة *(رحبة باب اللوق) رحاب باب اللوق خمس رحاب يطلق عليها كلها الآن رحبة باب اللوق وبها تجتمع اصحاب الحلق وارباب الملاعب والحرف كالمشعبذين والمخايلين والحواة والمدأفنين وغير ذلك فيحشر هنالك من الخلائق للفرجة ولعمل الفساد مالا ينحصر كثرة وكان قبل ذلك فى حدود ماقبل الثمانين وسبعمائة من سنى الهجرة انما تجتمع الناس لذلك فى الطريق الشارع المسلوك من جامع الطباخ بالخط المذكور الى قنطرة قدادار *(رحبة التبن) هذه الرحبة قريبة من رحبة باب اللوق فى بحرى منشاة الجوانية شارعة فى الطريق العظمى المسلوك فيها من رحبة باب اللوق الى قنطرة الدكة ويتوصل اليها السالك من عدة جهات وكانت هذه الرحبة قديما تقف بها الجمال باحمال التبن لتباع هنالك ثم اختطت وعمرت وصارت بها سويقة كبيرة عامرة بأصناف المأكولات والخط انما يعرف برحبة التبن وقد خرب بعد سنة ست وثمانمائة *(رحبة الناصرية) هذه الرحبة كانت فيما بين الميدان السلطانى والبركة الناصرية أيام كانت تلك الخطة عامرة وكان يتفق فى ليالى ايام ركوب السلطان الى الميدان فى كل سنة من الاجتماع والانس ماستقف على بعض وصفه عند ذكر المتنزهات ان شاء الله تعالى وقد خربت الاماكن التى كانت هنالك وجهلت هذه الرحبة الا عند القليل من الناس *(رحبة ارغون ازكى) والعامة تقول رحبة ازكى باء وهى رحبة كبيرة بالقرب من البركة الناصرية وهذه الرحبة وماحولها من جملة بستان الزهرى الآتى ذكره ان شاء الله فى الاحكار وعرفت بالامير ارغون ازكى

(ذكر الدور)

قال ابن سيده الدار المحل يجمع البناء والعرصة التى هى من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها والجمع أدور وأدؤر وديار وديارة وديارات وديران ودور ودورات والدارة لغة فى الدار والدار البلد والبيت من الشعر مازاد على طريقة واحدة وهو مذكر يقع على الصغير والكبير وقد يقال للمبنى والبيت أخص من غير الابنية التى هى الاخبية بيت وجمع البيت ابيات وأبابيت وبيوت وبيوتات والبيت اخص من الدار فكل دار بيت ولا ينعكس ولم تكن العرب تعرف البيت الا الخباء ثم لما سكنوا القرى والامصار وبنوا بالمدر واللبن سموا منازلهم التى سكنوها دورا وبيوتا وكانت الفرس لا تبيح شريف البنيان كما لا تبيح شريف الاسماء الا لاهل البيوتات كصنيعهم فى النواويس والحمامات والقباب الخضر والشرف على حيطان الدار وكالعقد على الدهليز *(دار الاجدى) هذه الدار من جملة حارة بهاء الدين وبها مشترف عال فوق بدنة من بدنات سور القاهرة ينظر منه أرض الطبالة

وخارج باب الفتوح وهى أحدى الدور الشهيرة عرفت بالامير بيبرس الاحمدى * (بيبرس الاحمدى) ركن
الدين امير جاندار تنقل فى الخدم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الى أن صار أمير جاندار أحد المقدمين فلما مات
الملك الناصر قوى عزم قوصون على اقامة الملك المنصور أبى بكر بعد أبيه وخالف بشتاك فلما نسب المنصور الى
اللعب حضر الى باب القصر بقلعة الجبل وقال أى شئ هذا اللعب فلما ولى الناصر أحمد أخرجه لنيابة صفد فأقام
بها مدة ثم أحس من الناصر أحمد بسوء فخرج من صفد بعسكره الى دمشق وليس بها نائب فهم الامراء بامساكه
ثم أخروا ذلك وأرسلوا اليه الاقامة فقدم البريد من الغد بامساكه فكتب الامراء من دمشق الى السلطان
يشفعون فيه فعاد الجواب بأنه لابد من القبض عليه ونهب ماله وقطع رأسه وارساله فأبوا من ذلك وخلعوا
الطاعة وشقوا العصا جميعا فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من مصر بخلع الناصر أحمد واقامة الصالح اسماعيل
فى الملك بدله والاحمدى مقيم بمصر تنكز من دمشق فورد عليه مرسوم بنيابة طرابلس فتوجه اليها وأقام بها نحو
الشهرين ثم طلب الى مصر فسار اليها وأخرج لمحاصرة احمد بالكرك فحصره مدة ولم ينل منه شيأ ثم عاد الى القاهرة
فأقام بها حتى مات فى يوم الثلاثا ثالث عشر المحرم سنة ست واربعين وسبعمائة وله من العمر نحو الثمانين سنة
وكان أحد الابطال الموصوفين بقوة النفس وشدة العزم ومحبة الفقراء وايثار الصالحين وله مماليك قد عرفوا
بالشجاعة والنجدة وكان ممن يقتدى برأيه وتتبع آثاره لمعرفته بالايام والوقائع ومابرحت ذريته بهذه الدار الى
الآن وأظنها موقوفة عليهم * (دار قراسنقر) هذه الدار برأس حارة بهاء الدين انشاها الامير شمس الدين
قراسنقر وبها كان سكنه وهى احدى الدور الجليلة ووجد بها فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة لما احيط بها اثنان
وثلاثون ألف ألف دينار ومائة ألف وخمسون ألف درهم فضة وسروج مذهبة وغير ذلك فحمل الجميع الى بيت
المال ولم تزل جارية فى اوقاف المدرسة القراسنقرية الى أن اغتصبها الامير جمال الدين يوسف الاستادار فيما
اغتصب من الاوقاف وجعلها وقفا على مدرسته التى أنشاها برحبة باب العيد فلما قتله الملك الناصر فرج بن
برقوق وارتجع جميع ما خلفه وصار فى جملة الاموال السلطانية ثم افرد من الاوقاف التى جعلها جمال الدين على
مدرسته شيأ وجعل باقيها لاولاده وعلى تربته التى انشاها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق بالصحراء تحت الجبل
خارج باب النصر فلما قتل الملك الناصر فرج صارت هذه الدار بيد الامير طوغان الدوادار وكانوا كسارق
من سارق ومامن قتيل يقتل الا وعلى ابن آدم الاول كفل منه لانه اول من سن القتل * (دار البلقينى) هذه
الدار تجاه مدرسة شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى من حارة بهاء الدين انشاها قاضى قضاة العساكر بدر الدين
محمد بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى الشافعى ومات فى يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع
الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة ولم تكمل فاشتراها أخوه قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ
الاسلام وكملها وبها الآن سكنه وهى من اجل دور القاهرة صورة ومعنا وقد ذكرت الاخوين وابيهما
فى كتابى المنعوت بدرر العقود الفريدة فى تراجم الاعيان المفيدة فانظر هنالك أخبارهم * (دار منكوتمر) هذه
الدار بحارة بهاء الدين بجوار المدرسة المنكوتمرية انشاها الامير منكوتمر نائب السلطنة بجوار مدرسته الآتى
ذكرها عند ذكر المدارس ان شاء الله تعالى وهى من الدور الجليلة وبها الى اليوم بعض ذريته وهى وقف * (دار
المظفر) هذه الدار كانت بحارة برجوان انشاها امير الجيوش بدر الجمالى الى ان مات فلما ولى الوزارة من بعده ابنه
الافضل ابن امير الجيوش وسكن دار القباب التى عرفت بدار الوزارة وقد تقدم ذكرها صار أخوه المظفر أبو محمد
جعفر بن امير الجيوش بهذه الدار فعرفت به وقيل لها دار المظفر وصارت من بعده دار الضيافة كما مر فى هذا الكتاب
وآخر ما اعرفه انها كانت ربعا وحماما وخرائب فسقط الربع بعد سنة سبعين وسبعمائة وكانت الحمام قد خربت
قبل ذلك فلم تزل خرابا الى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فشرع قاضى القضاة شمس الدين محمد بن احمد بن أبى بكر
الطرابلسى الحنفى فى عمارتها فلما حفر أساس جداره القبلى ظهر تحت الردم عتبة عظيمة من حجر صوان مانع
يشبه أن يكون عتبة دار المظفر وكان الامير جهاركس الخليلى اذ ذاك يتولى عمارة المدرسة التى انشاها الملك
الظاهر برقوق بخط بين القصرين فبعث بالرجال لهذه العتبة وتكاثروا على جرها الى العمارة فجعلها فى المزملة
التى تشرب منها الناس الماء بدهليز المدرسة الظاهرية وكمل قاضى القضاة شمس الدين بناء داره حيث كانت دار
المظفر فجاءت من احسن دور القاهرة وتحول اليها بأهله ومازال فيها حتى مات بها وهو متقلد وظيفة قضاء

القضاة

القضاة الحنفية بالديار المصرية فى ليلة السبت الثامن عشر من ذى الحجة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وله من العمر سبعون سنة وأشهر ومولده بطرابلس الشام واخذ الفقه على مذهب أبى حنيفة رحمه الله عن جماعة من اهل طرابلس ثم خرج منها الى دمشق فقرأ على صدر الدين محمد بن منصور الحنفى ووصل الى القاهرة وقاضى الحنفية بها قاضى القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى فلازمه وولاه العقود واجلسه ببعض حوانيت الشهود فتكسب ممن تحمل الشهادة مدة وقرأ على قاضى القضاة سراج الهدى ولازمه فولاه نيابة القضاء بالشارع فباشرها مباشرة مشكورة وأجازه العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفى بالافتاء والتدريس فلما مات صدر الدين بن منصور قلده الملك الظاهر برقوق قضاء القضاة مكانه فى يوم الاثنين ثانى عشرى شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وسبعمائة فباشر القضاء بعفة وصيانة وقوة فى الاحكام لها النهاية ومهابة وحرمة وصولة تذعن لها الخاصة والعامة الى أن صرف فى سابع عشر رمضان سنة احدى وتسعين وسبعمائة بشيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم التركمانى فلم يزل الى أن عزل مجد الدين وولى من بعده قاضى القضاة وناظر الجيوش جمال الدين محمود القيصرى وهو ملازم داره وما بيده من التدريس وهو على حال حسنة وتجلد من الكافة الى ان استدعاه السلطان فى يوم الثلاثا تاسع شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعين وسبعمائة فقلده وظيفة القضاء عوضا عن محمود القيصرى فلم يزل حتى مات من عامه رحمه الله تعالى وهذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة برجوان طالبا المسجد المسمى بجعفر وأما الحمام فانها فى مكانها اليوم ساحة بجوار دار قاضى القضاة شمس الدين ومن جملة حقوق دار المظفر رحبة الافيال وحدرة الزاهدى الى الدار المعروفة بسكنى قريبا من حمام الرومى *(دار ابن عبد العزيز) هذه الدار بحارة برجوان على يمنة من سلك من باب الحارة طالبا حمام الرومى أيضا من جملة دار المظفر كانت طاحونا ثم خربت فابتدأ عمارتها فخر الدين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف ابن الكويك ناظر الاحباس ومات ولم تكمل فصارت لامرأته وابنة عمه خديجة فماتت فى رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة وقد تزوجت من بعده بالقاضى الرئيس بدر الدين حسن بن عبد العزيز بن عبد الكريم ابن أبى طالب ابن على بن عبد الله ابن سيدهم النجمى السيراونى فانتقلت اليه ومات فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة فى العشرين من جمادى الاولى وورثه من بعد موته كريم الدين ابن أخيه وهو عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز ابن عبد الكريم ابن أبى طالب ابن على بن عبد الله بن سيدهم ومات آخر ربيع الاول سنة سبع وثمانمائة عن سبعين سنة وولى نظر الجيوش بديار مصر للظاهر برقوق فباعها لقريبه شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز وكلاهما وسكنها مدة طويلة الى ان باعها فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة بألفى دينار ذهبا لخوند فاطمة ابنة الامير منكلى فوقفتها على عتقائها وهى الى اليوم بيدهم وتعرف ببيت ابن عبد العزيز المذكور لطول سكنه بها وكان خيرا عارفا بكتابة ديوان الجيش وعدة مباشرات ومات ليلة الثانى عشر من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة *(دار الجقدار) هذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة برجوان تحت القبو طالبا حمام الرومى عرفت بالامير علم الدين سنجر الجقدار من الامراء البرجية وقدمه الملك الناصر محمد تقدمة ألف بعد مجيئه من الكرك الى مصر ثم اخرجه الى الشام فأقام بها الى ان حضر قطلو بغا الفخرى فى نوبة أحمد بالكرك فحضر معهم واستقر من الامراء بالديار المصرية الى ان مات يوم الجمعة تاسع رمضان سنة خمس واربعين وسبعمائة وقد كبر وارتعش وكان روميا ألثغ ثم صار لخالد بن الزراد المقدم فلما قبض عليه ومات فى ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة تحت المقارع ارتجعت عنه لديوان السلطان حسن فصارت فى يد ورثته الى ان باع بعض أولاده اسهما منها فاشتراها الامير سودون الشيخونى نائب السلطنة ثم تنقلت وبعضها وقف بيد أولاد السلطان حسن بن محمد بن قلاوون الى ان ملك ما غلك منها بالشراء قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى الكركى وسكنها الى ان سافر فصارت من بعده لورثته فباعوها للشيخ زين الدين أبى بكر القمنى وهى بيده الآن * (دار أقوش) الرومى بحارة برجوان هذه الدار من أجل دور القاهرة وبابها من نحاس بديع الصنعة يشبه باب المارستان المنصورى وكان تجاهها اصطبل كبير يعلوه ربع فيه عدة مساكن عرفت بالامير جمال الدين اقوش الرومى السلاح دار الناصرى وتوفى سنة سبع وسبعمائة وهى مما وقفه على تربته بالقرافة وقد خرب اصطبلها وعلوه وبيع نقض ذلك وتداعت الدار أيضا للسقوط فبيعت انقاضا وصارت من جملة الاملاك *(دار بنت السعيدى) هذه

الدار بحارة برجوان عرفت بقاعة حنيفة بنت السعيدى الى ان اشتراها شهاب الدين احمد بن طوغان دوادار الامير سودون الشيخونى نائب السلطان فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة فأخذ عدة مساكن مما حولها وهدمها وصيرها ساحة بها فصارت من أعظم الدور اتساعا وزخرفة وفيها آبار سبعة معينة وفسقية ينقل اليها الماء بساقية على فوهة بئر ومازال صاحبها شهاب الدين فيها الى ان سافر الى الاسكندرية فى محرم سنة ثمان وثمانمائة فمات رحمه الله وانتقلت من بعده لغير واحد بالبيع *(دار الحاجب) هذه الدار فيما بين الخرشتف وحارة برجوان كان مكانها من جملة الميدان وكان يسلك من حارة برجوان فى طريق شارعه الى باب الكافورى فلما عمر الامير بكتمر هذه الدار جعل اصطبلها حيث كانت الطريق وركب بابا بخوخة مما يلى حارة برجوان واشترط عليه الناس ان لا يمنع المارة من سلوك هذا المكان فوفى بما اشترط ومابرح الناس يمرون من هذا الطريق فى وسط الاصطبل على باب داره سالكين من حارة برجوان الى الكافورى والخرشتف ومنها الى حارة برجوان وانا سلكت من هذه الطريق غير مرة وكان يقال لها خوخة الحاجب ثم لما طال الامد وذهبت المشيخة نسيت هذه الطريق وقفل الباب وانقطع سلوك الناس منه وصارت تلك الطريق من جملة حقوق الدار ومابرحت هذه الدار تنصب على بابها الطوارق دائما كما كانت عادة دور الامراء فى الزمن القديم فلما تغيرت الرسوم وبطل ذلك قلعت الطوارق من جانبى الباب واعلى اسكفته وباب هذه الدار تجاه باب الكافورى وعرفت بالامير سيف الدين بكتمر الحاجب صاحب الدار خارج باب النصر والمدرسة بجواره ثم حل وقفها سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وبيعت كما بيع غيرها من الاوقاف وهناك ترى ترجمته *(دار تنكز) هذه الدار بخط الكافورى كانت للامير ايبك البغدادى وهى من اجل دور القاهرة وأعظمها انشأها الامير تنكز نائب الشام وأظنه أوقفها فى جملة ما اوقف وكان بها ولده وسكنها قاضى القضاة برهان الدين ابرهيم بن جماعة فأنفق فى زخرفتها على ما أشيع سبعة عشر ألف درهم عنها يومئذ ما ينيف عن سبعمائة دينار مصرية ولم تزل هذه الدار وقفا الى ان بيعت على انها ملك فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة بدون ألف دينار لزين الدين عبد الباسط بن خليل فجدد بناءها وبنى تجاهها جامعه *(تنكز الاشرفى) سيف الدين أبو سعيد خليل جلبه الى مصر وهو صغير الخواجا علاء الدين السوسى فنشأ بها عند الملك الاشرف خليل بن قلاوون فلما ملك السلطان الناصر محمد بن قلاوون امره امرة عشرة قبل توجهه الى الكرك وسافر معه الى الكرك وترسل عنه منها الى الافرم فاتهمه ان معه كتبا الى الامراء بالشام وعرض عليه العقوبة فارجف منه وعاد الى الناصر فقال له ان عدت الى الملك فانت نائب دمشق فلما عاد الى الملك جهزه الى دمشق فوصلها فى العشرين من ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة فباشر النيابة وتمكن فيها وسار بالعساكر الى ملطية وافتتحها فى محرم سنة خمس عشرة وعظم شأنه وأمن الرعايا حتى لم يكن أحد من الامراء يظلم ذميا فضلا عن مسلم خوفا من بطشه وشدة عقوبته وكان السلطان لا يفعل شيأ بمصر الا ويشاوره فيه وهو بالشام وقدم غير مرة على السلطان فاكرمه وأجله بحيث انه انعم عليه فى قدومه الى مصر سنة ثلاث وثلاثين بما مبلغه ألف ألف درهم وخمسون ألف درهم عنها خمسون ألف دينار وينف سوى الخيل وزادت املاكه وسعادته وانشا جامعا بدمشق بديع الوصف بهيج الزى وعدة مواضع وكان الناس فى أيامه قد أمنوا كل سوء الا انه كان يتخيل خيالا فيحتد خلقه ويشتد غضبه فهلك بذلك كثير من الناس ولا يقدر أحد أن يوضح له الصواب لشدة هيبته وكان اذا غضب لا يرضى ألبتة بوجه واذا بطش كان بطشه بطش الجبارين ويكون الذنب صغيرا فلا يزال يكبره حتى يخرج فى عقوبة فاعله عن الحد ولم يزل الى ان أشيع بدمشق انه يريد العبور الى بلاد الططر فبلغ ذلك السلطان فتنكر له وجهز اليه من قبض عليه فى ثالث عشرى ذى الحجة سنة أربعين واحيط بماله وقدم الامير بشتاك الى دمشق لقبضه وخرج الى مصر ومعه من مال تنكز وهو من الذهب العين ثلاثمائة ألف وستة وثلاثون ألف دينار ومن الدراهم الفضة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ومن الجوهر واللؤلؤ والزركش والقماش ثمانمائة حمل ثم استخرج بعد ذلك من بقايا امواله اربعون ألف دينار وألف ألف ومائة ألف درهم فلما وصل تنكز الى قلعة الجبل جهز الى الاسكندرية واعتقل فيها نحو الشهر وقتل فى محبسه ودفن بها فى يوم الثلاثا حادى عشرى المحرم سنة احدى وأربعين وسبعمائة ومن الغريب انه أمسك يوم الثلاثا ودخل مصر يوم الثلاثا ودخل الاسكندرية يوم الثلاثا وقتل يوم الثلاثا ثم نقل الى دمشق فدفن بتربته جوار

جامعه ليلة الخامس من رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة بعد ثلاث سنين ونصف بشفاعة ابنته *(دار أمير مسعود) هذه الدار بآخر خط الكافوري عرفت بالامير بدر الدين مسعود بن خطير الرومي أحد الامراء بمصر أخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون في ذي الحجة سنة أربعين وسبعمائة الى نيابة غزة ثم نقل منها الى امرة دمشق وولي نيابة طرابلس ثم اعيد الى دمشق وأصله من اتباع الامير تنكز فشكره عند الملك الناصر وقدمه حتى صار أميرا حاجبا فلما قبل تنكز أخرجه لنيابة غزة وتنقل في نيابة طرابلس ثلاث مرات الى ان استعفى من النيابة فأنعم عليه بامرة في دمشق وعلى ولديه بامرة طبلخاناه ومازال مقيما بها حتى مات في سابع شوال سنة اربع وخمسين وسبعمائة بدمشق ومولده بها ليلة السبت سابع جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وستمائة *(دار نائب الكرك) هذه الدار فيما بين خط الخرشتف وخط باب سر المارستان المنصوري وهي من جملة أرض الميدان عرفت بالامير اقوش الاشرفي المعروف بنائب الكرك صاحب الجامع *(اقوش الاشرفي)* جمال الدين ولاه الملك الناصر محمد بن قلاوون نيابة دمشق بعد مجيئه من الكرك وعزله تنكز بعد قليل واعتقله الى شهر رجب سنة خمس عشرة وسبعمائة ثم افرج عنه وجعله رأس الميمنة وصار يقوم له اذا قدم ميزاله عن غيره من الامراء وكان لا يلبس مصقولا ويمشي من داره هذه الى الحمام وهو حامل المئزر والطاسة وحده فيدخل الحمام ويخرج عريانا فاتفق مرة ان رجلا رآه فعرفه وأخذ الجرو حك رجله وغسله وهو لا يكلمه كلمة واحدة فلما خرج وصار الى داره طلب الرجل وضربه وقال له أنا مالي مملوك ما عندي غلام مالي طاسة حتى تجترا علي أنت وكان يتوجه الى معبد له في الجبل الاحمر وينفرد فيه وحده اليومين والثلاثة ويدخل منه الى القاهرة وهو ماش وذيله على كتفه حتى يصل الى داره وباشر نظر المارستان المنصوري مباشرة جيدة ثم اخرجه السلطان الى نيابة طرابلس في اول سنة أربع وثلاثين وسبعمائة فأقام بها ثم طلب الاقالة فأعفي وقبض عليه واعتقل بقلعة دمشق ثم نقل منها الى صفد فحبس بها في برج ثم اخرج منها الى الاسكندرية فمات بها معتقلا في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وكان عسوفا جبارا في بطشه مات عدة من الناس تحت الضرب قدامه وكان كريما سمحا الى الغاية وعرف بنائب الكرك لانه أقام في نيابتها من سنة تسعين وستمائة الى سنة تسع وسبعمائة *(دار ابن صغير) هذه الدار من جملة الميدان وهي اليوم من خط باب سر المارستان المنصوري انشأها علاء الدين علي بن نجم الدين عبد الواحد بن شرف الدين محمد بن صغير رئيس الاطباء ومات بحلب عندما توجه اليها في خدمة الملك الظاهر برقوق في يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجه سنة ست وتسعين وسبعمائة ودفن بها ثم نقلته ابنته الى القاهرة ودفنته بظاهرها *(دار بيبرس الحاجب) هذه الدار بخط حارة العدوية وهي الآن من خط باب سر المارستان عرفت بالامير بيبرس الحاجب صاحب غيط الحاجب فيما بين جسر بركة الرطلي والجرف *(بيبرس الحاجب)* الامير ركن الدين ترقى في الخدم الى ان صار أمير اخور فلما حضر الملك الناصر من الكرك عزله بالامير ايدغمش وعمله حاجبا وناب في الغيبة عن الامير تنكز بدمشق لما حج ثم تجرد الى اليمن وعاد فتنكر عليه السلطان وحبسه في ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأفرج عنه في رجب سنة خمس وثلاثين وجهزه من الاسكندرية الى حلب فصار بها أميرا من امرائها ثم تنقل منها الى امرة بدمشق بعد عزل تنكز فلم يزل بها الى ان توجه الفخري وطشتمر الى مصر فأقره على نيابة الغيبة بدمشق وكان قد أسن ومات في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وادركناله حفيدا يعرف بعلاء الدين أمير علي بن شهاب الدين أحمد ابن بيبرس الحاجب قرأ القراآت السبع على والده وكان حسن الاداء للقراءة مشهورا بالعلاج يعالج بمائة وعشرة ارطال مات وهو ساح في سابع ربيع الآخر سنة احدى وثمانمائة *(دار عباس) هذه الدار كانت في درب شمس الدولة عرفت بالوزير عباس بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس أصله من المغرب وترقى في الخدم حتى ولي الغربية ولقب بالامير ركن الاسلام وكانت أمه تحت الامير المظفر علي بن السلار والي البحيراء والاسكندرية فلما رحل علي بن السلار الى القاهرة وأزال الوزير نجم الدين سليمان بن مصال من الوزارة واستقر مكانه في وزارة الخليفة الظافر بأمر الله وتلقب بالعادل قدمه لمحاربة بن مصال فلم ينل غرضا فخرج اليه عباس حتى ظفر به وولي ناصر الدين نصير بن عباس ولاية مصر بشفاعة جدته أم عباس فاختص به الخليفة الظافر واشتغل به عمن سواه وكان يجزيا مقداما فخرج اليه أبو عباس بالعسكر لحفظ عسقلان من الفرنج ومعه من

الامراء ملهم والضرغام واسامة بن منقذ وكان اسامة خصيصا بعباس فلما نزلوا بلبيس تذاكر عباس واسامة مصر وطيبها وما هم خارجون اليه من مقاساة السفر ولقاء العدوّ فتأوّه عباس اسفا على مفارقة لذاته بمصر وأخذ يثرب على العادل بن السلار فقال له اسامة لو أردت كنت انت سلطان مصر فقال كيف لى بذلك قال هذا ولدك ناصر الدين بينه وبين الخليفة مودّة عظيمة فخاطبه على لسانه ان تكون سلطان مصر موضع زوج أمّك فانه يحبك ويكرهه فاذا اجابك فاقتله وصر فى منزلته فاعجب عباس ذلك وجهز ابنه لتقرير ما اشار به اسامة فسار الى القاهرة ودخلها على حين غفلة من العادل واجتمع بالخليفة وفاوضه فيما تقرر فأجابه اليه ونزل الى دار جدّته وكان من قتله للعادل على بن سلار ما كان فماج الناس ومرح الطائر من القصر الى عباس وهو على بلبيس فى الانتظار فقام من فوره ودخل القاهرة سحر يوم الاحد ثانى عشر المحرّم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فوجد عدّة من الاتراك قد نفروا وخرجوا ايدا واحدة الى الشام فصار الى القصر وخلع عليه خلع الوزارة فباشر الامور وضبط الاحوال وأكرم الامراء وأحسن الى الاجناد وازدادت مخالطة ولده للخليفة فخاف ان يقتله كما قتل ابن السلار فما زال به حتى قتل الخليفة الظافر كما تقدم ذكره وصار الى القصر على العادة فلما جلس فى مقطع الوزارة سأل الاجتماع على الخليفة فدخل الزمام الى دور الحرم فلم يجد الخليفة فلما عاد اليه أحضر أخوى الظافر واتهمهما بقتله وقتلهما قدّامه واستدعى بولد الظافر عيسى ولقبه بالفائز بنصر الله وكثرت النياحة على الظافر وبحث أهل القصر على كيفية قتله فكتبوا الى طلائع بن رزيك وهو والى الاشمونين يستدعونه فحشد وسار فاضطرب عباس وكثرت مناكدة أهل القاهرة له حتى انه مرّ يوما فرمى من طاقة تشرف على شارع بقدر مملوء طعاما حارًّا فعوّل على الفرار وخرج ومعه ابنه واسامة بن منقذ وجميع ما لهم من اتباع ومال وسلاح ودخل طلائع الى القاهرة واستقرّ فى وزارة الخليفة الفائز فسير أهل القصر الى الفرنج البريد بطلب عباس فخرجوا اليه وكانت بينهم وبينه وقعة فرّ فيها اسامة فى جماعة الى الشام فظفر به الفرنج وقتلوه وأخذوا ابنه فى قفص من حديد وجهزوه الى القاهرة وذلك فى شهر ربيع الاوّل سنة تسع وأربعين وخمسمائة فلما وصل ابنه الى القصر قتل وصلب على باب زويلة واحرق بعد ذلك ثم عرفت هذه الدار بعد ذلك بدار تقى الدين صاحب حماه ثم خربت وحكر مكانها فصار يعرف بحكر صاحب حماه وبنى فيه عدّة دور وموضعها الآن بداخل درب شمس الدولة بالقرب من حمام عباس التى تعرف اليوم بحمام الكويك ✱ (دار ابن فضل الله) هذه الدار فيما بين حارة زويلة والبندقانيين كان موضعها من جملة اصطبل الجميزة عرفت بابن فضل الله ✱ وبنو فضل الله جماعة اوّلهم بمصر ✱ (شرف الدين) عبد الوهاب بن الصاحب جمال الدين أبى المآثر فضل الله ابن الامير عز الدين الحلى بن دعجان العمرى ولى كتابة السرّ للملك الناصر محمد بن قلاون ثم صرفه عنها وولاه كتابة السرّ بدمشق فلم يزل بها حتى مات فى ثالث شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة وقد عمر وبلغ أربعا وتسعين سنة وخلف أموالا جمة ورثاه الشهاب محمود وقد ولى بعده وارثاه علاء الدين على بن غانم والجمال ابن نباتة وكان فاضلا بارعا اديبا عاقلا وقورا ناهضا ثقة امينا مشكورا مليح الخط جيد الانشاء حدّث عن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام وغيره ومنهم (محيى الدين) يحيى بن الصاحب جمال الدين أبى المآثر فضل الله بن مجلى بن دعجان بن خلف بن نصر بن منصور بن عبد الله بن على بن محمد بن أبى بكر عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى العمرى ولى كتابة السرّ بالديار المصرية عن الملك الناصر نقل اليها من كتابة سرّ دمشق لما مرض علاء الدين باستدعائه الى مصر وأقيم بدله فى كتابة سرّ دمشق شرف الدين أبو بكر ابن الشهاب محمود وكان استقراره فى محرّم سنة ثلاثين وسبعمائة فباشرها الى ثانى عشر شعبان سنة ثنتين وثلاثين ونقل منها الى كتابة السرّ بدمشق وطلب شرف الدين ابن الشهاب محمود فاستقرّ فى كتابة السرّ بمصر الى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وطلب محيى الدين من دمشق هو وابنه شهاب الدين احمد فوصلا الى القاهرة غرّة جمادى الاولى وخلع عليهما ورسم لهما بكتابة السرّ ونقل ابن الشهاب محمود الى كتابة السرّ بدمشق فلم يزل محيى الدين يباشر كتابة السرّ هو وابنه الى ان كان من تنكز السلطان لولده شهاب الدين ما كان وذلك انه كان استعفى من الوظيفة لثقل سمعه وكبر سنه فأذن له ان يقيم ابنه القاضى شهاب الدين يباشر عنه فصار الاسم لمحيى الدين والمباشر ابنه شهاب الدين الى ان حضر الامير تنكز نائب الشام الى القلعة وسأل السلطان فى علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد بن مفضل المعروف بابن القطب ان يوليه

كتابة السر بدمشق وكان السلطان لا يمنع تنكز شيأ يسأله فخلع عليه وأقره فى ذلك عوضا عن جمال الدين عبد الله ابن الاثير فأخذ شهاب الدين ينقصه عند السلطان بانه نصرانى الاصل وليس من أهل صناعة الانشاء ونحو ذلك والسلطان مغض عنه غير ملتفت الى ما يرمى به رعاية لتنكز فلما كتب توقيع ابن القطب أراد تكثير الالقاب والزيادة له فى المعلوم فامتنع شهاب الدين من كتابة ذلك وكان حاد المزاج قوى النفس شرس الاخلاق ففاجأ السلطان بغلظة ومخاشنة فى القول وكان من كلامه كيف تعمل قبطيا أسلميا كاتب السر وتزيد فى معلومه وبالغ فى الجراءة حتى قال ما يفلح من يخدمك وخدمتك على حرام ونهض قائما الشدة حنقه وكان هذا منه بحضرة الامراء فغضبوا لذلك وهموا بضرب عنقه فأغضى السلطان عنه وبلغ محيى الدين ما كان من ابنه فبادر الى السلطان وقبل الارض واعترف بخطأ ابنه واعتذر عن تأخره بثقل سمعه فرسم له أن يكون ابنه علاء الدين على يدخل ويقرأ البريد فاعتذر بأنه صغير لا يقوم بالوظيفة فقال السلطان انا اربيه مثل ما اعرف فصار يخلف أباه كما كان شهاب الدين وانقطع شهاب الدين فى منزله مدة سنين الى ان مات أبوه محيى الدين فى يوم الاربعاء تاسع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة عن ثلاث وتسعين سنة وهو ممتع بحواسه فدفن بظاهر القاهرة ثم نقل الى تربتهم من سفح قاسيون بدمشق وكان صدرا معظما رزينا كامل السودد حركا كاتبا بارعا دبر الاقاليم بكفايته وحسن سياسته ووفور عقله وامانته وشدة تحرزه وله النظم والنثر البديع الرايق فمن شعره

تضاحكنى ليلى فأحسب ثغرها * سنا البرق لكن اين منه سنا البرق
وأخفت نجوم الصبح حين تبسمت * فقمت بفرعيها اشد على الشرق
وقلت سواء جنح ليل وشعرها * ولم ادر أن الصبح من جهة الفرق

(علاء الدين) على بن يحيى بن فضل الله العمرى استقل بوظيفة كتابة السر قبل موت أبيه محيى الدين وخلع عليه يوم الاثنين رابع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وله من العمر أربع وعشرون سنة فخرج وفى خدمته الحاجب والدوادار وتقدم أمر السلطان للموقعين بامتثال ما يأمرهم به عن السلطان فشق ذلك على أخيه شهاب الدين وحسده وربما قيل انه سمه فكان يعتريه دم منه الى ان مات ثم انه كتب قصة يسأل فيها السفر الى الشام وشكا كثرة الكلفة وكان قبل ذلك جرى ذكره فى مجلس السلطان فذمه وتهدده فعند ما قرئت عليه قصته تحرك ما كان ساكنا من غضبه ورسم بايقاع الحوطة عليه فحمل من داره الى قاعة الصاحب من قلعة الجبل فى رابع عشرى شعبان سنة تسع وثلاثين وخرج اليه الامير طاجار الدوادار وأمر به فعرى من ثيابه ليضرب بالمقارع فرفق به ولم يضرب واستكتبه خطه بحمل عشرة آلاف فأحيط بداره واخرج سائر ما وجد له وبيع عليه وارسل مملوكه الى بلاد الشام فباع كل ماله فيها واقترض خمسين ألف درهم حتى حمل من ذلك كله مائة وأربعين ألف درهم عنها سبعة آلاف دينار فسكن أمره وخف الطلب عنه وأقام الى ثالث عشر ربيع الآخر سنة أربعين مدة سبعة أشهر وثمانية عشر يوما ففرج الله عنه بأمر عجيب وهو أنه لما كان يباشر عن أبيه وقع شخص من الكتاب بشئ زور فرسم السلطان بقطع يده فلم يزل شهاب الدين يتلطف فى أمره حتى عفا السلطان عنه من قطع يده وأمر به فسجن طول هذه السنين الى ان قدر الله سبحانه انه رفع قصة يسأل فيها العفو عنه فلما قرئت على السلطان لم يعرفه فسأل عن خبره وشأنه فقيل له لا يعرف خبر هذا الا شهاب الدين بن فضل الله فبعث اليه بقاعة الصاحب يستخبره عنه فطالعه بقصته وما كان منه فألان الله له قلب السلطان ورسم بالافراج عن الرجل وعن شهاب الدين وعن مملوكه ففرج الله عن الثلاثة ونزل شهاب الدين الى داره وأقام الى ان قبض السلطان على الامير تنكز نائب الشام فاستدعى شهاب الدين الى حضرته وحلفه وولاه كتابة السر بدمشق عوضا عن شرف الدين خالد بن عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن خالد بن نصر المخزومى المعروف بابن القيسرانى فباشرها حتى مات بدمشق وانفرد أخوه علاء الدين بكتابة السر الى ان مات ليلة الجمعة التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة بمنزله من القاهرة عن سبع وخمسين سنة وترك ستة بنين وأربع بنات

(بدر الدين) محمد بن على بن يحيى بن فضل الله ولاه الملك الاشرف شعبان بن حسين كتابة السر وأبوه فى مرض موته يوم الخميس ثامن عشرى شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة وله من العمر تسع عشرة سنة وجعل أخاه عز الدين حمزة نائبا عنه فباشر الى شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة فصرف بأوحد الدين عبد الواحد

ابن اسماعيل بن يس ولزم داره فلم يره أحد ألبتة الى ان مات اوحد الدين فنزل اليه الامير يونس الدوادار واستدعاه فركب بثياب جلوسه من غير خف ولا فرجية ولا شاش وصعد الى القلعة فخلع عليه فى اليوم الرابع من ذى الحجة سنة ست وثمانين فلما ثار الامير يلبغا الناصرى على الملك الظاهر وخلعه من الملك وأقام الملك الصالح حاجى بن الاشرف شعبان بن حسين ولقبه بالملك المنصور ثم خرج الملك الظاهر برقوق من محبسه بالكرك وسار الى محاربة الامير تمر بغا منطاش ومعه المنصور حاجى فخرج ابن فضل الله فلما انهزم منطاش على شقحب واستولى برقوق على المنصور والخليفة والقضاة والخزائن وكان ابن فضل الله وأخوه عز الدين فى من فر مع منطاش الى دمشق فأقام بها واستولى برقوق على تخت الملك بقلعة الجبل فولى علاء الدين على بن عيسى الكركى كتابة السر وأخذ ابن فضل الله يتحيل فى الخروج من دمشق وسير الى السلطان مطالعة فيها من شعره

* يقبل الارض عبد بعد خدمتكم * قد مسه ضر رما مثله ضرر *
* حصر وحبس وترسيم اقام به * وفرقة الاهل والاولاد والفكر *
* لكنه والورى مستبشرون بكم * يرجو بكم فرجا يأتى وينتظر *
والشغل يقضى لان الناس قد ندموا * اذ عاينوا الجور من منطاش ينتشر
* جورا كما فرطوا فى حقكم ورأوا * ظلما عظيما به الاكباد تنفطر *
* والله ان جاءهم من بابكم أحد * قاموا الكم معه بالروح وانتصروا
* الله ينصركم طول المدا أبدا * يا من زمانهم من دهرنا غرر *

قدم الى القاهرة ومعه أخوه عز الدين حمزة وجمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيش وتاج الدين عبد الرحيم ابن أبى شاكر وشمس الدين محمد بن الصاحب فما زال فى داره الى ان سافر الملك الظاهر الى بلاد الشام فى سنة ثلاث وتسعين فتقدم أمره اليه بالمسير مع العسكر فسار بطالا وقدر الله تعالى ضعف علاء الدين الكركى فولاه كتابة السر وصرف الكركى فى شوال وكانت هذه ولاية ثالثة فباشر وتمكن هذه المرة من سلطانه تمكنا زائدا الى ان سافر السلطان الى البلاد الشامية فى سنة ست وتسعين فمات بدمشق يوم الثلاثا لعشرين من شوال سنة ست وتسعين وسبعمائة ودفن بتربتهم بسفح قاسيون ومات اخوه حمزة بدمشق ايضا فى اوائل المحرم سنة سبع وتسعين وسبعمائة ودفن بها وانقطع بموتهما هذا البيت فلم يبق من بعدهما الا كما قال الله سبحانه فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * ومن شعر البدر محمد بن فضل الله ما كتبه عنوانا لكتاب الملك الظاهر برقوق جوابا عن كتاب تمرلنك الوارد الى مصر فى سنة ست وتسعين وسبعمائة وعنوانه

سلام واهداء السلام من البعد * دليل على حفظ المودة والعهد

فافتتح البدر العنوان بقوله

طويل حياة المرء كاليوم فى العد * تخبرنه ان لا يزيد على العد
فلا بد من نقص لكل زيادة * لان شديد البطش يقتص للعبد

وكتب فيه من شعره أيضا جوابا عن كثرة تهديد تمرلنك وافتخاره

السيف والرمح والنشاب قد علمت * منا الحروب فسل منها تلبيكا
اذا التقينا تجد هذا مشاهدة * فى الحرب فاثبت فامر الله آتيكا
بخدمة الحرمين الله شرفنا * فضلا وملكنا الامصار تمليكا
وبالجميل وحلو النصر عودنا * خذ التواريخ واقرأها فتنبيكا
والانبياء لنا الركن الشديد وكم * بجاههم من عدو راح مفكوكا
ومن يكن ربه الفتاح ناصره * ممن يخاف وهذا القول يكفيكا

وقال

اذا المرء لم يعرف قبيح خطيئة * ولا الذنب منه مع عظيم بليته
فذلك عين الجهل منه مع الخطا * وسوف يرى عقباه عند منيته
[illegible] يجازى المرء الا بفعله * وما يرجع الصياد الا بنيته

وهذه الدار كانت موجودة قبل بنى فضل الله وتعرف بدار بيبرس فعمر فيها محيى الدين وابنه علاء الدين وكانت من ابهج دور القاهرة واعظمها ومازالت بيد أولاد بدر الدين وأخيه عز الدين حمزة الى ان تغلب الامير جمال الدين على أموال الخلق فأخذ ابن أخيه الامير شهاب الدين أحمد الحاجب المعروف بسيدى أحمد بن أخت جمال الدين دار بنى فضل الله منهم كما أخذ خاله دور الناس وأوقافهم وعوض أولاد ابن فضل الله عنها وغير كثيرا من معالمها وشرع فى الازدياد من العمارة اقتداء بخاله فأخذ دورا كانت بجوار مستوقد حمام ابن عبود المقابلة لدار ابن فضل الله واغتصب لها الرخام والاحجار والاخشاب وهدم عدة دور وكثيرا من الترب بالقرافة منها تربة الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكانت عجيبة البناء وأدخل ذلك فى عمارته المذكورة ووسع فيها من جهة البندقانيين ما كان خرابا منذ الحريق الذى تقدم ذكره وأنشأ من هنالك حوض ماء يشرب منه الدواب فلما قاربا كمالها قبض الملك الناصر فرج على خاله جمال الدين يوسف استادار وقتله وكان أحمد هذا ممن قبض عليه معه فوضع الامير تغرى بردى وهو يومئذ اجل امراء الناصر يده على هذه الدار ومارضى باخذها حتى طلب كتابها فاذا به قد تضمن ان احمد قد وقف هذه الدار فلم يزل بقضاة العصر حتى حكموا له بهذه الدار وجعلوها له بطريق من طرقهم فأقام فيها حتى اخرجه الناصر لنيابة دمشق فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة فنزل بها الاميرد مرداش بارث ابنة جمال الدين وهى امرأة أحمد المذكور ولها منه أولاد وأرادت استرجاع الدار كما فعلت فى مدرسة أبيها وكان لها ولورثة تغرى بردى مخاصمات واستقرت لبنى تغرى بردى * (دار بيبرس) هذه الدار فيما بين دار ابن فضل الله والسبع قاعات فى ظهر حارة زويلة وقريبة من سويقة المسعودى تشبه ان تكون من جملة اصطبل الجميزة كانت دار الشريف بن تغلب صاحب المدرسة الشريفية برأس حارة الجودرية ثم عرفت بالامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فانه كان يسكنها وهو أمير قبل ان يلى السلطنة وجدد رخامها من الرخام الذى دل عليه الامير ناصر الدين محمد بن الامير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح بالقصر الذى عرف بقصر أمير سلاح من جملة قصر الخلفاء كما سيأتى خبر ذلك عند ذكر الخانقاة الركنية بيبرس فان بيبرس هذا هو الذى انشأها ولم تزل الى ان هدمها ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى كاتب السر بعد ما اشتراها نقضا كما اشترى غيرها من الاوقاف وذلك فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة * (السبع قاعات) هذه الدار عرفت بالسبع قاعات وهى يتوصل اليها من جوار دار بيبرس المذكورة ومن سويقة الصاحب وقد صارت عدة مساكن جليلة ومكانها من جملة اصطبل الجميزة انشاها الوزير الصاحب علم الدين بن زنبور ووقفها من جملة ما وقف فلما قبض عليه الامير صرغتمش فى حل اوقافه ووعد بالسبع قاعات خوند قطلوبك ابنة الامير تنكز الحسامى نائب الشام أم السلطان الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون ولقنه الشريفان شرف الدين على بن حسين بن محمد نقيب الاشراف وابو العباس الصفراوى ان الناصر لما قبض على كريم الدين الكبير بعث الى كريم الدين من شهد عليه ان جميع ما صار بيده من الاملاك وقفها وطلقها انما هو من مال السلطان دون ماله وشهد بذلك عند قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فأثبت بهذه الشهادة ان املاك كريم الدين جارية فى املاك السلطان فأقر السلطان ما وقفه كريم الدين منها على حاله وسماه الوقف الناصرى فلما جلس السلطان الملك الصالح بدار العدل وحضر قاضى القضاة والامراء وغيرهم من أهل الدولة على العادة تكلم الامير صرغتمش مع قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن جماعة فى حل اوقاف ابن زنبور فانها ملك السلطان ومن ماله اشتراها وذكر قضية كريم الدين فأجابه بأن تلك القضية كانت صحتها مشهورة وذلك ان خزائن السلطان وحواصله وأمواله كلها كانت بيد كريم الدين وفى داره يتصرف فيها على ما يختاره جعل له السلطان بتوكيله والاذن له فى التصرف بخلاف ابن زنبور فانه كان يتصرف فى ماله الذى اكتسبه من المتجر وغيره فما وقفه وثبت وقفه وحكم قضاة الاسلام بصحته لاسبيل الى حله وساعده فى ذلك القاضى موفق الدين عبد الله الحنبلى وتردد الكلام بينهما فى ذلك فاحتج عليهما الامير صرغتمش بما لقناه الشريفان من مشاطرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عماله وأخذه من كل عامل نصف ماله وان مال الوزير جميعه من مال السلطان فقال له ابن جماعة يا أمير ان كنت تبحث معنا فى هذه المسئلة بحثنا معك وان كان أحد قد ذكرها لك فليحضر حتى نبحث معه فيها فان الذى ذكر لك هذه المسئلة انما قصد ان تصادر الناس وتاخذ أموالهم فوافقه رفقته الثلاثة قضاة على قوله وأراد ابن جماعة بقوله هذا التعريض بالشريفين

وكان اختصاصهما بالامير صرغتمش وقيامهما على ابن زنبور مشهور فاشتق هـذا على الامير صرغتمش وانفض المجلس وقد اشتد حنقه لما ردّ عليه من كلامه وعورض فيه من مراده فبعثت خوند ام السلطان الى ابن جماعة تعرفه ما وعدت به من مصير السبع قاعات اليها وأكدت عليه فى ان لا يعارضها فى حل أوقاف ابن زنبور فأجابها بتقبيح هذا وخوفها سوء عقبته فكفت عنه واتقد غيظ الامير صرغتمش مرض مرضا شديدا من انفتاح صدره ونفثه الدم حتى خيف عليه الموت ثم عوفى بعد ذلك بأيام وذلك كله فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة واستقرت السبع قاعات وقفا بيد ذرية ابن زنبور الى يومنا هذا الا ان الامير صرغتمش المذكور أخذ رخامها ووجد فيها اشيأ كثيرا من صينى ونحاس وقماش وغير ذلك قد اخفى فى زواياها

* (علم الدين) عبد الله بن تاج الدين أحمد بن ابراهيم المعروف بابن زنبور واوّل ما باشر به استيفاء الوجه القبلى شريكا لوهب بن سنجر وطلع صحبته الامير علم الدين عبد الرزاق كاشف الوجه القبلى ونهض فيه فلما كانت مصادرة ابن الجيعان كاتب الاصطبل طلب السلطان سائر الكتاب وكان منهم ابن زنبور فعرضهم ليختار منهم فشكر الفخر ناظر الجيش منه وقال هو ولد تاج الدين رفيقه وشكره الاكوز فلما انفض المجلس طلبه وخلع عليه فباشر نظر الاصطبل فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ونال فيه سعادة طائلة واستمر الى ان مات السلطان الملك الناصر محمد وحكم الامير ايدغمش فباشر استيفاء الصحبة فلما قبض على جمال الكفاة ناظر الخاص وناظر الجيش وعلى الموفق ناظر الدولة وعلى الصفى ناظر البيوت المعروف بكاتب قوصون فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة ومات جمال الكفاة فى العقوبة يوم الاحد سادس شهر ربيع الاول عين ابن زنبور لوظيفة نظر الخاص ثم قرّر فيها القاضى موفق الدين هبة الله بن ابراهيم ناظر الدولة وكان ابن زنبور وهو مستوفى الصحبة قد سيره جمال الكفاة قبل القبض عليه لكشف القلاع الشامية ومعه جاركتمر الحاجب ابعاداله وكان الامير ارغون العلائى يعنى به فلما قبض على جمال الكفاة تحدّث له العلائى مع السلطان الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون فى نظر الخاص فبعث فى طلبه ثم لم يحضر الا بعد شهر فتحدّث الوزير نجم الدين محمود بن على المعروف بوزير بغداد مع السلطان فى ولاية الموفق نظر الخاص فخلع عليه وحضر ابن زنبور من الشام فباشر نظر الدولة علم الدين بن سهلوك وابن زنبور على ما هى عادته فى استيفاء الصحبة ونهض فى المباشرة وحصل الاموال ودخل هو والوزير نجم الدين وشكيا توقف الدولة من كثرة الانعامات والاطلاقات للخدم والجوارى ومن يلوذ بهم فتقرر الحال مع الامراء على كتابة اوراق بكلفة الدولة فلما قرئت بحضرة من الامراء بلغت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم والمتحصل خمسة عشر الف درهم فأبطل ما استجدّ بعد موت الملك الناصر بأسره فلم يستمر غير شهر واحد حتى عاد الامر على ما كان عليه بحيث بلغ مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم بعد ما كانت فى أيام الناصر محمد ثلاثة عشر ألف درهم فلما مات الملك الصالح اسماعيل وأقيم فى الملك من بعده أخوه الملك الكامل سيف الدين شعبان بن محمد صرف الموفق عن نظر الخاص ونقل ابن زنبور من استيفاء الصحبة اليها واستقر فخر الدين السعيد فى استيفاء الصحبة وذلك فى ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة فباشر ذلك الى اخريات رجب نيفا وثمانين يوما فولى الملك الكامل نظر الخاص لفخر الدين ابن السعيد مستوفى الدولة وأعاد ابن زنبور من نظر الخاص الى استيفاء الدولة فلما كان فى المحرّم سنة سبع وأربعين اعيد نجم الدين وزير بغداد الى الوزارة وقرّر ابن زنبور فى نظر الدولة فاستمر الى ان قتل الكامل شعبان وأقيم فى الملك من بعده أخوه الملك المظفر حاجى فى مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين فطلب ابن زنبور وأعيد الى نظر الخاص وقبض على فخر الدين بن السعيد وطواب بالحمل وأضيف اليه نظر الجيش فباشر ذلك الى سنة احدى وخمسين فاضيف اليه الوزارة فى يوم الخميس سابع عشرى ذى القعدة وخلع عليه وكان له يوم عظيم جدّا فلما كان يوم السبت جلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة فى دست الوزارة واستدعى جميع المباشرين وطلب المقدم ابن يوسف وشدّ وسطه على ما كان عليه وطلب العاملين وسلفهم على اللحم وغيره واستكتب المباشرين انه لم يكن فى بيت المال ولا الاهراء من الدراهم والغلال شئ البتة ودخل بها وقرأها على السلطان والامراء وشرع فى عرض ارباب الوظائف كلهم وطلب حساب الاقاليم بأسرها وولى صهره فخر الدين ماجد فرويتة نظر البيوت وأنفق جامكية شهر وحمل الرواتب الى الدور السلطانية والاسمطة من السكر والزيت والقلوبات وغير ذلك واقام بكتمر المومنى فى وظيفة شدّ الدواوين وألزم نفسه فى المجلس السلطانى بحضرة الامراء انه يباشر الوزارة بغير معلوم وقرّر

ابنه فى ديوان المماليك والتزم انه لا يتناول معلوما بل يوفر المعلومين للسلطان وابطل رمى الشعير والبرسيم من بلاد مصر وكان يحصل برميها ضرر كبير فان ذلك كان يحصل من سائر البلاد فيغرم على كل اردب اكثر من ثمنه والتزم بتكفية بيت المال من الشعير والبرسيم بغير ذلك فبطل على يديه وكتب به مرسوم وكتب نقشا على حجر فى جانب باب القلة من قلعة الجبل وأمر بقياس أراضى الجيزة فجاء زيادتها عن الارتفاع الذى مضى ثلثمائة ألف درهم وعنها خمسة عشر ألف دينار فلم يزل الى سابع عشرى شوال سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة فاحيط به وقبض عليه حسدا له على ما صار اليه ولم يجتمع لغيره فى الدولة التركية وتولى القيام عليه الامير صرغتمش لانه علم انه من جهة الامير شيخو ويقوم له بجميع ما يختاره وأعانه عليه الامير طاز ومازال يدأب فى ذلك الى ان عاد السلطان الملك الصالح من دمشق فى يوم الاثنين خامس عشرى شوال سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة الى قلعة الجبل وعمل يوم الخميس سماطا مهما فى القلعة ولما انفض السماط خلع على سائر أرباب الوظائف من الامراء وعلى الوزير وسائر المباشرين فاتفق لما قدره الله تعالى انه حضر الى الامير صرغتمش وهو يومئذ رأس نوبة عشرتشر يف غير تشريفه ودون رتبته فأخذه ودخل الى الامير شيخو وألقى البقجة قدامه وقال انظر فعل الوزير معى وكشف الخلعة فقال شيخو هذا غلط فقام وقد أخذه من الغضب شبه الجنون وقال هذا شغل الوزير وأنا ما اصبر على أن اهان لهذا الحد ولا بد لى من القبض عليه ومهما شئت أنت افعل بى وخرج فاذا الوزير داخل لشيخو وعليه خلعة فصاح فى مماليكه خذوه فكشفوا الخلعة عنه وسحبوه الى بيت صرغتمش وسرّح مماليكه فى القبض على جميع حاشية الوزير فقبض على سائر من يلوذ به لانهم كانوا قد اجتمعوا بالقلعة وخالطت العامّة المماليك فى القبض على الكتّاب وأخذوا منهم فى ذلك اليوم شيأ كثيرا حتى ان بعض الغلمان صار اليه فى ذلك اليوم ستة عشر دواة من دوى الكتاب فلم يتمكن منها اربابها الا بمال يأخذه على كل دواة ما بين عشرين الى خمسين درهما وأما ما سلبوه من العمائم والثياب والمهاميز الفضة فشئ كثير وخرج الامير قشتمر الحاجب وغيره فى جماعة الى دوره التى بالصوصة من مصر فأوقعوا الحوطة على حريمه وأولاده وختموا سائر بيوته وبيوت حواشيه وكانوا قد اجتمعوا وتزينوا القدوم رجالهم من السفر وأنزل الوزير فى مكان مظلم من بيت صرغتمش فلما اصبح طلب ولد الوزير وصار به صرغتمش الى بيت ابيه واحضر أمّه ليعاقبه وهى تنظره حتى يدلوه على المال ففتحوا له خزانة وجد فيها خمسة عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم فضة واخرج من بئر صندوق فيه ستة آلاف دينار وشئ من المصالح وحضرت احماله من السفر فوجد فيها ستة آلاف دينار ومائة وخمسون ألف درهم فضة وغير ذلك من تحف وثياب واصناف وألزم والى مصر باحضار بناته فنودى عليهنّ فى مصر والقاهرة وهجمت عدّة دور بسببهنّ ونال الناس من نكاية اعدائهم فى هذه الكائنة كل غرض فانه كان الرجل يتوجه الى أحد من جهة صرغتمش ويرمى عدوّه بأنّ عنده بعض حواشى ابن زنبور فيؤخذ بمجرّد التهمة ولقى الناس من ذلك بلاء عظيما ثم حمل الى داره وعرّى ليضرب فدل على مكان استخرج منه نحو من خمسة وستين ألف دينار فضرب بعد ذلك وعرّيت زوجته وضرب ولده فوجد له شئ كثير الى الغاية قال الصفدى خليل بن ايبك الملقب صلاح الدين فى كتاب اعيان العصر وأما ما اخذ منه فى المصادرة فى حال حياته فنقلت من خط الشيخ بدر الدين الحمصى فى ورقة بخطه على ما املاه القاضى شمس الدين محمد البهنسى أوانى ذهب وفضة ستون قنطارا جوهر ستون رطلا لؤلؤ أردبان ذهب مصكوك مائتا ألف وأربعة آلاف دينار ضمن صندوق ستة آلاف حياصة ضمن صناديق زركش ستة آلاف كلوته ذخائر عدة قماش بدنه ألفان وستمائة فرجية بسط آلاف صنجة دراهم خمسون ألف درهم شاشيات ثلثمائة شاش دواب عاملة سبعة آلاف حلابة ستة آلاف خيل وبغال ألف دراهم ثلاثة ارادب معاصر سكر خمسة وعشرون معصرة اقطاعات سبعمائة كل اقطاع خمسة وعشرون ألف درهم عبيد مائة خدّام ستون جوارى سبعمائة أملاك القيمة عنها ثلاثمائة ألف دينار مراكب سبعمائة رخام القيمة عنه مائتا ألف درهم نحاس قيمته اربعة آلاف دينار سروج وبدلات خمسمائة مخازن ومتاجر أربعمائة ألف دينار نطوع سبعة آلاف دواب خمسمائة بساتين مائتان سواقى ألف واربعمائة وكان فى وقت القبض عليه اشدّ الناس قياما فى افساد صورته الشريف شرف الدين على بن الحسين نقيب الاشراف والشريف أبو العباس الصفراوى وبدر الدين ناظر

الخاص وامرا المؤمنين والصوا ف واستادار الامير صرغتمش فأول ما فتحوه من ابواب المكايد أن حسنوا لصرغتمش أن يأمره بالاشهاد عليه أن جميع ماله من الاملاك والبساتين والاراضي الوقف والطلق جميعها من مال السلطان دون ماله فصير اليه ابن الصدر عمر وشهود الخزانة فاشهد عليه بذلك ثم كتبوا فتيى في رجل بدعي الاسلام ويوجد في بيته كنيسة وصلبان وشخوص من تصاوير النصارى ولحم الخنزير وزوجته نصرانية وقد رضي لها بالكفر وكذلك بناته وجواريه وانه لا يصلي ولا يصوم ونحو ذلك وبالغوا في تحسين قتله حتى قالوا لصرغتمش والله لو فتحت جزيرة قبرص ما كتب لك اجر من الله بقدر ما يؤجرك الله على ما فعلته مع هذا فاخرج في باشا وزنجير وضرب في رحبة قاعة الصاحب من القلعة بالمقارع وتوالت عقوبته واسلم لشاد الدواوين ليعاقبه حتى يموت فقام الامير شيخو في امره فرده صرغتمش الى داره واكرمه واقام عنده الى سابع عشري المحرم سنة اربع وخمسين فأخرجه من داره وتسلمه شاد الدواوين وعاقبه عقوبة الموت في قاعة الصاحب فاتفق ركوب الامير شيخو من داره الى القلعة وابن زنبور يعاقب فغضب من ذلك ووقف ومنع من ضربه وبلغ الخبر صرغتمش فصعد الى القلعة وجرى له مع شيخو عدة مفاوضات كادت تفضي الى فتنة وآل الامر فيها الى تسفير ابن زنبور الى قوص فأخرج من ليلته وكانت مدة شدته ثلاثة اشهر وأقام بمدينة قوص الى أن عرض له مرض اقام به أحد عشر يوما ومات يوم الاحد سابع عشر ذي القعدة سنة اربع وخمسين وسبعمائة وله بالقاهرة السبيل الذي على يسرة من دخل من باب زويلة بجوار خزانة شمائل وقد دخل في الجامع المؤيدي *(دار الدوادار) هذه الدار فيما بين حارة زويلة واصطبل الجميزة وهي اليوم من جملة خط السبع قاعات عرفت *(دار فتح الله) هذه الدار اليوم بخط سويقة المسعودي كان موضعها زقاقا يعرف بزقاق البناده وفيه باب قاعة انشاها سعد الدين ابراهيم بن عبد الوهاب بن النجيب أبي الفضائل الميموني أحد مباشري ديوان الجيش وهي قاعة في غاية الملاحة من جودة رخام وكثرة دهان وحسن ترتيب ومات الميموني في ثاني ذي الحجة سنة خمس وتسعين وسبعمائة فسكنها فتح الله بن معتصم وهو يومئذ رئيس الاطباء فلما ولي كتابة السر شره الى العمارة فأخذ ما في الزقاق المذكور من الدور شيأ بعد شئ وأخرج منها سكانها وهدمها وابتنى قاعة تجاه قاعة الميموني وجعل فيها بئرا وفسقية ماء وبنى بها حماما ثم انشأ اصطبلا كبيرا لخيوله ولم يقنع بذلك حتى حمل القضاة على الحكم له باستبدال دار الميموني وكانت وقفا على اولاد الميموني ومن بعدهم على الحرمين فعمل له طرق في جواز الاستبدال بها على ما صار القضاة يعتمدونه منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فلما تم حكم القضاة له بتملكها غيربابها وزاد في سعتها وأضاف اليها عدة مواضع مما كان بجوارها وغرس في جانبها عدة اشجار وزرع كثيرا من الازهار التي حملت اليه من بلاد الشام وبالغ في تحسين رخام هذه الدار وانشأ دهيشة كبيرة الى الغاية بوسطها فسقية ماء ينخرط اليها الماء من شاذروان عجيب الصنعة بهيج الزي وتشرف هذه الدهيشة على هذه الجنينة التي ابدع فيها كل الابداع وركب علو هذه القاعة الاروقة العظيمة وبنى بجوارها عدة مساكن لمماليكه ومسجدا معلقا كان يصلي فيه وراء امام راتب قرره له بمعلوم جار فجاءت هذه الدار من اجل دور القاهرة وابهجها ووقف ذلك كله مع اشياء غيرها على تربته التي انشاها خارج باب البرقية وعلى عدة جهات من البر فلما نكب اكره حتى رجع عن وقف هذه الدار على ما عينه في كتاب وقفه وجعلها وقفا على اولاد السلطان الملك المؤيد شيخ فلما مات المؤيد عاد ذلك الى وقف فتح الله *(فتح الله) بن معتصم بن نفيس الاسرائيلي الداودي العنافي التبريزي رئيس الاطباء وكاتب السر ولد بتبريز في سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان قد قدم جده نفيس الى القاهرة في سنة اربع وخمسين فأسلم وعظم بين الناس ثم قدم فتح الله مع ابيه فنشا بالقاهرة في كفالة عمه ونظر في الطب وعاشر الفقهاء واتصل بصحبة بعض الامراء فعرف منه أحد مماليكه وكان يسمى بشيخ فلما تأمر شيخ قربه وانكحه أمة وفوض اليه امر ديوانه ثم مات عمه بديع ابن نفيس فأقره الملك الظاهر برقوق مكانه في رياسة الاطباء فباشرها مباشرة مشكورة واختص بالملك الظاهر برقوق اختصاصا كبيرا فلما مات بدر الدين محمود الكلستاني قلده وظيفة كتابة السر وخلع عليه في يوم الاثنين حادي عشر جمادى الاولى سنة احدى وثمانمائة ومات الظاهر وقد جعله أحد أوصيائه فما زال الى اوائل ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة فقبض عليه واستقر بدله في كتابة السر سعد الدين ابراهيم بن غراب وضرب حتى حمل مالا ثم افرج عنه فلزم داره

الى

الى شهر رمضان لحمل الى دار الوزير فخر الدين ماجد بن غراب وألزم بمال آخر فحمله واطلق فقام الامير جمال الدين يوسف الاستادار فى أمره ومازال بالملك الناصر فرج الى أن اعاده الى كتابة السر فى اوائل ذى الحجة فاستقر فيها وتمكن من اعدائه وأراه الله مصارعهم واتسعت احواله وانفرد بسلطانه وانيط به جل الامور فاصبح عظيم المصر نافذ الامر قائما بتدبير الدولة لا يجد أحد من عظماء الدولة بدا من حسن سفارته وابدا للناس دينا وخيرا وتواضعا وحسن وساطة بين الناس وبين السلطان فلما كان من امر الناصر وهزيمته على اللجون ما كان وقع فتح الله مع الخليفة المستعين بالله العباسى ابن محمد المتوكل على الله وعدة من كتاب الدولة فى قبضة الاميرين شيخ ونوروز ومازال عندهما حتى قتل الناصر وأقيم من بعده امير المؤمنين المستعين بالله وهو على حاله من نفوذ الكلمة وتدبير الامور فلما استبد الامير شيخ بمملكة الديار المصرية واعتقل الخليفة وتلقب بالملك المؤيد شيخ فى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة اقر فتح الله على رتبته ثم قبض عليه يوم الخميس تاسع شوال وعوقب غير مرة واحيط بجميع امواله واسبابه وحواشيه وبيع عليه بعض ما وجد له وحمل ما تحصل منه فبلغ ما ينيف عن اربعين ألف دينار سوى ما أخذ مما لم يبع وهو ما يتجاوز ذلك ومازال فى العقوبة الى أن خنق فى ليلة الاحد خامس عشر شهر ربيع سنة ست عشرة وثمانمائة وحمل من الغد الى تربته فدفن بها وكان رحمه الله من خير أهل زمانه رياضة وديانة وطيب مقال وتأله وتنسك ومحبة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن قيام مع السلطان فى امر الناس وبه كفى الله عن الناس من شر الناصر فرج شيأ كثيرا وقد ذكرته بأبسط من هذا فى كتابى درر العقود الفريدة فى تراجم الاعيان المفيدة وفى كتابى خلاصة التبر فى أخبار كتاب السر * (دار ابن قرقه) هذه الدار من الدور القديمة وهى بخط سويقة المسعودى الى خط بين السورين وقد تغيرت معالمها قال ابن عبد الظاهر دار ابن قرقه هى الآن سكن الامير صارم الدين المسعودى والى القاهرة باول حارة زويلة من جهة باب الخوخة على يسرة السالك الى داخل الحارة وهى معروفة اليوم والى جانبها الحمام المعروفة بابن قرقه أيضا وهذه الدار والحمام انشأهما أبو سعيد بن قرقه الحكيم وباعهما فى حال مصادرته مما خرج عليه فابتاعهما منه علم السعداء ثم سكنها الكامل بن شاور وهما من جهة الخليج انتهى وهذه الدار والحمام قد هدمتا وصار موضع الدار الجامع المعروف بجامع ابن المغربى برأس سويقة الصاحب وما يجاوره من دور ابن أبى شاكر وآخر ما بقى منها شئ هدمه الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبى شاكر فى رمضان سنة أربع وتسعين وسبعمائة * (وابن قرقه) هذا كان يتولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح وكان ماهرا فى علم الطب والهندسة ونحو ذلك من علوم الاوائل وقتله الخليفة الحافظ لدين الله من اجل انه دبر السم لابنه حسن بن الحافظ عندما تشاور الجند وطلبوا من الخليفة قتل ابنه حسن كما تقدم ذكره فلما سكنت الدهماء قبض عليه الخليفة واعتقله بخزانة البنود وقتله فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة * (دار خوند) هذه الدار من حقوق حارة زويلة عرفت بالست الجليلة خوند اردوتكين ابنة نوغية السلاح دار الططرى تزوج بها الملك الاشرف خليل بن قلاوون ومات عنها فتزوجها من بعده اخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون وولدت منه ولدين وماتا ثم طلقها ونزلت من القلعة فسكنت هذه الدار وانشأت لها تربة بالقرافة تعرف الآن بتربة الست وجعلت لها عدة اوقاف وكانت من الخير على جانب عظيم لها معروف وصدقات واحسان عميم وماتت ولها ما ينيف على الالف ما بين جارية وخادم اعتقتهم كلهم وخلفت اموالا تخرج عن الحد فى الكثرة وكانت وفاتها فى ليلة السبت ثالث عشرى المحرم سنة اربع وعشرين وسبعمائة ودفنت بتربتها فتقدم امر السلطان للامراء والقضاة لشهود جنازتها وحمل ما تركته من الاموال والجواهر وطلب أخوها جمال الدين خضر بن نوغية وصولح على انه منها بمائة وعشرين ألف درهم عنها يومئذ سبعة آلاف دينار ولم تزل هذه الدار الى أن هدمت فأخذها الامير صلاح الدين محمد استادار السلطان ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فى شهر رجب سنة اربع وعشرين وثمانمائة وادخلها فى داره التى انشأها فجاءت من اجل دور القاهرة * (دار الذهب) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة بناها الافضل أبو القاسم شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالى وكان فيما بين باب القنطرة وباب الخوخة منظرة اللؤلؤة التى تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء ويجاورها من حيز باب الخوخة دار الفلك وبناها فلك الملك

أحد الاستاذين الحاكمية وبلاصقها دار الذهب هذه ويجاور دار الذهب دار الشابورة ودار الذهب عرفت اخيرا بدار الامير بهادر الاعسر شاد الدواوين ثم الآن عرفت بدار الامير الوزير المشير الاستادار فخر الدين عبد الغني ابن الامير الوزير الاستادار تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الارمني الاصل وعني بها وهدم كثيرا من الدور التي كانت تجاهها على بر الخليج الشرقي وانشأ هناك دارا يتطرق اليها من هذه الدار بساباط وأنشأ بجوارها جامعه الآتي ذكره وحمامه ثم هدم كثيرا من الدور التي كانت على الخليج وماوراءها تلك الاحكار التي في الجانب الغربي من الخليج وغرس في اراضي تلك الدور الاشجار وجعلها بستانا تجاه داره فمات قبل أن تكمل وصار اكثر مواضع الدور التي خربها هناك كيمانا * (دار الحاجب) خارج باب النصر تجاه مصلى الاموات هذه الدار أنشأها الامير سيف الدين كهرداش المنصوري أحد المماليك الزراقين وهو الذي فتح جزيرة ارواد في المراكب المتوجهة الى بلاد الفرنج وتولى عمارة مأذنة المدرسة المنصورية لما تهدمت في الزلزلة وتقدم وكثرت امواله ومات بدمشق في سنة أربع عشرة وسبعمائة فاشترى هذه الدار الامير سيف الدين بكتمر الحاجب ولم تزل بها ذريته من بعده الامير جمال الدين عبد الله بن بكتمر والامير ناصر الدين محمد بن عبد الله وبها الآن ولدا الامير ناصر الدين وهما الامير علي وعبد الرحمن ومابرح هذا البيت فيه الامرة والسعادة * (بكتمر الحاجب) الامير سيف الدين كان اميرا خور ثم ولي شد الدواوين بدمشق في نيابة الافرم ولم يكن لاحد معه كلام في عزل ولا ولاية ثم ولي الحجوبية وتوجه الى صفد كاشفا على الامير ناهض الدين عمر بن أبي الخير والي الولاة وشاد الدواوين بها ومعه معين الدين بن حشيش فخر الكشف ورفعه حتى قال فيه زين الدين عمر بن حلاوات موقع صفد

ياقاصدا صفدا اقعد عن بلدة * من جور بكتمر الامير خراب
لاشافع تغني شفاعته ولا * جار له مما جناه جناب
حشر وميزان ونشر صحائف * وجرائد معروضة وحساب
وبها زبانية تحث على الورى * وسلاسل ومقامع وعقاب
مافاتهم من كل ماوعدوا به * في الحشر الا راحم وهاب

ولما قدم الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك الى دمشق ولاه الحجوبية ودخل في خدمته الى مصر وهو حاجب ثم أخرجه نائبا الى غزة في سنة عشر وسبعمائة فأقام بها قليلا وطلبه وولاه الوزارة بالديار المصرية عوضا عن الصاحب فخر الدين ابن الخليلي في رمضان سنة عشر فباشر الوزارة الى أن قبض عليه مستهل ربيع الاول سنة خمس عشرة واعتقل مدة سنة ونصف وأخذ كثير من ماله ثم افرج عنه واخرج الى صفد نائبا في سنة ست عشرة وأنعم عليه بمائة ألف درهم عنها يومئذ خمسة آلاف دينار فأقام بها عشرة اشهر وطلب الى مصر فصار من الامراء المشهورة فاذا تكلم السلطان في المشورة لا يرد عليه غيره لما عنده من المعرفة والخبرة وتزوج بابنة الامير جمال الدين اقوش المعروف بنائب الكرك وأولاده الذين ذكرنا منها وسرق له مال كثير من خزانته بهذه الدار ادعى انه مبلغ مائتي ألف درهم وكان في الباطن على ماقيل سبعمائة ألف درهم فما جسر يتفوه خوفا من السلطان وكان اذ ذاك والي القاهرة الامير سيف الدين قدادار المنسوب اليه القنطرة على الخليج فتقدم امر السلطان اليه بتتبع من سرق المال فدس اليه الامير بكتمر الساقي والوزير مغلطاي الجمالي والقاضي فخر الدين ناظر الجيش في السر أن يتهاون في امر السرقة نكاية لبكتمر وأخذوا يحتجون لكل من اتهم ويقولون للسلطان لعن الله ساعة هذه العملة كل يوم يموت من الناس تحت المقارع عدة والى متى يقتل المتهم الذي لا ذنب له فلما طال الامر شكا بكتمر الى السلطان في دار العدل فأحضر الوالي وسبه السلطان فقال يا خوند اللصوص الذين أمسكتهم وعاقبتهم اقروا أن سيف الدين بخشي خزنداره اتفق معهم على اخذ المال وجماعة من الزامه الذين في بابه فقال السلطان للجمالي الوزير احضر هؤلاء المذكورين وعاقبهم فأخذ بخشي وعصره وكان عزيزا عند بكتمر قد زوجه بأبنته وهو يثق بعقله ودينه وأمانته فشق ذلك عليه واغتم غما شديدا مات منه فجاءة فيما بين الظهر الى العصر من يومه سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وكان خبيرا بالامور بصيرا بالحوادث طويل الروح في الكلام لا يمل من تطويله ولو قعد في الحكم الواحد بين الامير واليهودي ثلاثة ايام ولا يلحقه من ذلك سامة البتة مع معرفة تامة وخبرة بالسياسة لم ير مثله في حق اصحابه الكثرة تذكرهم في غيبتهم والفكر في مصالحهم

وتفقد

وتفقد أحوالهم ومن جفاه منهم عتب عليه وكان سمحا بجاهه بخيلا بماله الى الغاية ساقط الهمة فى ذلك وله متاجر وأملاك وسعادة لا تكاد تنحصر ومع ذلك فله قدور يكريها للصلاق فى الفول والحمص وغير ذلك من العدد والآلات ويماحك على أجرها مماحكة يستحى من ذكرها وأنشأ عدة دور واقتنى كثيرا من البساتين وولى من بعده ابنه الامير جمال الدين عبد الله الامرة وكان حاجبا ولابيه فى سيرة البخل والحرص الشديد تابعا ومقلدا وتولى امرة الحاج غير مرة وخرج فى سنة ست وثمانين وسبعمائة من القاهرة لولاية كشف الجسور بالغربية فورد عليه كتاب السلطان الملك الظاهر برقوق بالانكار وفيه تهديد مهول فداخله الخوف ومرض فحمل فى محفة الى القاهرة فدخلها يوم الاربعاء النصف من جمادى الاولى من تلك السنة فمات من يومه واخذ أقطاعه الامير يودى وصار ابنه ناصر الدين أحد الامراء العشراوات سالكا طريق ابيه وجده فى الامساك الى أن مات خامس عشرى شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثمانمائة ودفن بتربتهم خارج باب النصر *(دار الجاولى) هذه الدار من جملة الحجر التى تقدم ذكرها وهى تجاه الخان المجاور لوكالة قوصون أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولى وجعلها وقفا على المدرسة المعروفة بالجاولية بخط الكبش جوار الجامع الطولونى وعرفت فى زماننا بقاعة البغاددة لسكنى عبد الصمد الجوهرى البغدادى بها هو وأولاده فى سنة سبع واربعين وسبعمائة الى بعد سنة ست عشرة وثمانمائة وهى من الدور الجليلة الا انها قد تشعثت لطول الزمن *(دار أمير أحمد) هذه الدار بجوار دار الجاولى من غربيها عرفت بأمير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاون وعرفت فى زماننا بسكن أبو ذقن ناظر المواريث وهى من جملة ما اغتصبه جمال الدين يوسف الاستادار من الدور الوقف وجعلها لاخيه شمس الدين محمد البيرى قاضى حلب وشيخ الخانقاه البيبرسية فغير بابها وشرع فى عمارتها فقبض عليه عند القبض على أخيه وهو بها *(دار اليوسفى) هذه الدار بجوار باب الجوانية فيما بينها وبين الحوض المعد لشرب الدواب أنشأها هى والحوض الامير سيف الدين بهادر اليوسفى السلاح دار الناصرى *(دار ابن البقرى) هذه الدار أنشأها الوزير الصاحب سعد الدين سعد الله بن البقرى بن اخت القاضى شمس الدين شاكر بن غزيل البقرى صاحب المدرسة البقرية اظهر الاسلام و[illegible] فى الخدم الديوانية الى أن ولاه الملك الظاهر برقوق وظيفة نظر الديوان المفرد ونظر الخاص عوضا عن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس فى ثالث شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فباشر ذلك الى تاسع شهر رمضان سنة خمس وثمانين فقبض عليه ونزل الامير يونس الدوادار والامير قرطاس الخازندار الى داره هذه وأحاط بها وأخذ جميع ما فيها من المال والثياب والاوانى والحلى والجوارى وغير ذلك وحمل الى القلعة فبلغ قيمة ما وجد بداره فى هذه النوبة مائتى ألف دينار وسلم ابن البقرى لشاد الدواوين بقاعة الصاحب من القلعة فضرب بالمقارع نيفا وثلاثين شيبا وولى موفق الدين أبو الفرج نظر الخاص ثم ان الملك الظاهر لما عاد الى المملكة بعد ثورة الامير يلبغا الناصرى والامير تمربغا منطاش عليه وخلعه من الملك وسجنه بالكرك ثم قيامه بأهل الكرك ودخوله الى القاهرة وعوده الى المملكة ولى ابن البقرى الوزارة فى يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وسبعمائة عوضا عن موفق الدين أبى الفرج ثم صرف فى يوم الخميس لعشرين من شهر رمضان وأعيد الوزير أبو الفرج واحيط بدور ابن البقرى وأسلم هو وابنه تاج الدين عبد الله الى الامير ناصر الدين محمد بن اقبغا آص فلما استقر الامير ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى فى الوزارة يوم الثلاثا سابع عشرى ذى الحجة منها عوضا عن الوزير أبى الفرج اشترط على السلطان امورا منها استخدام الوزراء المعزولين فجلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة وبعث الى من بالقاهرة من الوزراء المعزولين وهم شمس الدين عبد الله المقسى وعلم الدين عبد الوهاب بن الطنساوى المعروف بسن ابرة وسعد الدين سعد الله بن البقرى وموفق الدين أبو الفرج وفخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق ابن ابراهيم بن مكانس فأقر المقسى وسن ابرة معا فى نظر الدولة وأقر ابن البقرى ناظر البيوت ومستوفى الدولة وقرر أبا الفرج فى استيفاء الصحبة وابن مكانس فى استيفاء الدولة شريكا لابن البقرى فكانوا يركبون فى خدمته دائما ويجلسون بين يديه وربما وقف ابن البقرى على قدميه بحضرته بعد أن كان ابن الحسام دواداره ولا يزال قائما بين يديه فعد الناس هذا من اعظم المحن التى لم يشاهد فى الدولة التركية مثلها وهو أن يصير الرجل خادما لمن كان فى خدمته فنعوذ بالله من المحن ثم ان الوزير ابن الحسام قبض على ابن البقرى وألزمه بحمل سبعين ألف

درهم ثم اعيد الى الوزارة بعد القبض على الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن موسى بن أبى بكر ابن أبى شاكر فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين وقبض عليه وعلى ولده فى حادى عشرى شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وسلما مع عدة من الكتاب لشاد الدواوين ثم أفرج عنهما على حمل مال فلما ولى الامير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفت الوزارة بعد الوزير أبى الفرج قرر ابن البقرى فى نظر الدولة عوضا عن بدر الدين الاقفهسى واستخدم بقية الوزراء كما فعل الوزير ابن الحسام فلما خلع السلطان على الامير ناصر الدين محمد بن تنكز وجعله استادار الاملاك فى رجب سنة سبع وتسعين قرر ابن البقرى ناظر الاملاك وخلع عليه فصار يتحدث فى نظر الدولة ونظر الاملاك فلما كان يوم الخميس رابع رجب سنة ثمان وتسعين أعيد الى الوزارة وصرف عنها الامير مبارك شاه ناظر الظاهرى واستقر بدر الدين محمد بن محمد الطوخى فى نظر الدولة ثم قبض عليه فى يوم الخميس رابع ربيع الاول سنة تسع وتسعين واحيط بسائر ما قدر عليه من موجوده وولى الوزارة بعده ابن الطوخى وعوقب عقابا شديدا فى دار الامير علاء الدين على بن الطبلاوى ثم أخرج نهارا وهو عار مكشوف الرأس وبيده حبل يجرّ به وثيابه مضمومة بيده الاخرى والناس تراه من درب قراصيا برحبة باب العيد فى السوق الى دار ابن الطبلاوى وقد انتهك بدنه من شدة الضرب فسجن بدارها ثم خنق فى ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وكان أحد كتاب الدنيا الذين انتهت اليهم السيادة فى كتابة الرسوم الديوانية مع عفة الفرج وجودة الرأى وحسن التدبير الا انه لم يوت سعدا فى وزارته ومابرح ينكب كل قليل وكان يظهر الاسلام ويكتب بخطه كتب الحديث وغيرها ويتهم فى باطن الامر بالتشدد فى النصرانية وولى ابنه تاج الدين عبد الله الوزارة ونظر الخاص ومات قتيلا تحت العقوبة عند الامير جمال الدين يوسف الاستادار فى سنة ثمان وثمانمائة ودار ابن البقرى هذه من اعظم دور القاهرة وهى من جملة خط حارة الجوانية فى أولها * (دار طولباى) هذه الدار بجوار حمام الاعسر برأس حارة الجوانية تجاه درب الرشيدى أنشاها الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير ثم عرفت بخوند طولباى الناصرية جهة الملك الناصر * (طلنباى) ويقال دلبية ويقال طلوبية ابنة طغاجى ابن هندو بن بكر بن دوشى خان ابن جنكز خان ذات الستر الرفيع الخاتون كان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون قد جهز الامير ايدغدى الخوارزمى فى سنة ست عشرة وسبعمائة يخطب الى أزبك ملك التتار بنتا من الذرية الجنكزية فجمع ازبك امراء التومانات وهم سبعون اميرا وكلمهم الرسول فى ذلك فنفروا منه ثم اجتمعوا ثانيا بعد ماوصلت اليهم هداياهم وأجابوا ثم قالوا الآن هذا لا يكون الا بعد أربع سنين سنة سلام وسنة خطبة وسنة مهاداة وسنة زواج واشتطوا فى طلب المهر فرجع السلطان عن الخطبة ثم توجه سيف الدين طوخى بهدية وخلعة لأزبك فلبسها وقال لطوخى قد جهزت لاخى الملك الناصر ما كان طلب وعينت له بنتا من بيت جنكز خان من نسل الملك باطرخان فقال طوخى لم يرسلنى السلطان فى هذا فقال ازبك انا أرسلها اليه من جهتى وامر طوخى بحمل مهرها فاعتذر بعدم المال فقال نحن نقترض من التجار فاقترض عشرين ألف دينار وحملها ثم قال لابد من عمل فرح تجتمع فيه الخواتين فاقترض مالا آخر نحو سبعة آلاف دينار وعمل الفرح وجهزت الخاتون طلنباى ومعها جماعة من الرسل وهم بابجار من كبار المغل وطقبغا ومنعوش وطرجى وعثمان وبكتمر وقرطبا والشيخ برهان الدين امام الملك أزبك وقاضى سراى فساروا فى زمن الخريف وأقلعوا فلم يجدوا ريحا تسيرهم فأقاموا فى برّ الروم على مينا ابن مشتا خمسة اشهر وقام بخدمتهم هو والاشكرى ملك قسطنطينية وأنفق عليهم الاشكرى ستين ألف دينار فوصلوا الى الاسكندرية فى شهر ربيع الاول سنة عشرين وسبعمائة فلما طلعت الخاتون من المراكب حملت فى خركاة من الذهب على العجل وجرها المماليك الى دار السلطنة بالاسكندرية وبعث السلطان الى خدمتها عدة من الحجاب وثمانى عشرة من الحرم ونزلت فى الحراقة فوصلت الى القلعة يوم الاثنين خامس عشرى ربيع الاول المذكور وفرش لها بالمناظر فى الميدان دهليز أطلس معدنى ومد لهم سماط وفى يوم الخميس ثانى عشريه أحضر السلطان رسل ازبك ووصل رسل ملك الكرج ورسل الاشكرى بتقادمهم ثم بعث الى الميدان الامير سيف الدين ارغون النائب والامير بكتمر الساقى والقاضى كريم الدين ناظر الخاص فمشوا فى خدمة الخاتون الى القلعة وهى فى عز ثم عقد عليها يوم الاثنين سادس ربيع الآخر على ثلاثين ألف دينار حالة المعجل منها عشرون ألفا وعقد العقد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وقبل عن السلطان

النائب أرغون وبنى عليها واعاد الرسل بعد أن شملهم من الانعام ما ربى على املهم وبعهم هدية جليلة فساروا في شعبان وتأخر قاضي حراى حتى حج وعاد في سنة احدى وعشرين ومانت في رابع عشرى ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبعمائة ودفنت بتربتها خارج باب البرقية بجوار تربة خوندطغاي أم انوك * (دار حارس الطير) هذه الدار بداخل درب قراصيا بخط رحبة باب العيد عرفت بالامير سيف الدين سنبغا حارس الطير ترقى في الخدم الى أن صار نائب السلطنة بديار مصر في ايام السلطان حسن بن محمد بن قلاون بعد يلبغا روس ثم عزل بالامير قبلاى وجهز الى نيابة غزة فأقام بها اشهرا وقبض عليه وحضر مقيدا الى الاسكندرية في شعبان سنة اثنين وخمسين وسبعمائة فسجن بها مدة ثم أخرج الى القدس فأقام بطالا مدة ثم نقل الى نيابة غزة في شعبان سنة ست وخمسين وسبعمائة * (الدار القردمية) هذه الدار خارج باب زويلة بخط المواز بين من الشارع المسلوك فيه الى رأس المنجبية بناها الامير الجاى الناصري مملوك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان من أمره أنه ترقى في الخدم السلطانية حتى صار دوادار السلطان بغير امرة رفيقا للامير بهاء الدين ارسلان الدوادار فلما مات بهاء الدين استقر مكانه بأمرة عشرة مدة ثلاث سنين ثم أعطى امرة طبلخاناه وكان فقيها حنفيا يكتب الخط المليح ونسخ بخطه القرآن الكريم في ربعة وكان عفيفا عن الفواحش حليما لا يكاد يغضب مكبا على الاشتغال بالعلم محبا لاقتناء الكتب مواظبا على مجالسة اهل العلم وبالغ في اتقان عمارة هذه الدار بحيث أنه انفق على بوابتها خاصة مائة ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو الخمسة آلاف مثقال من الذهب فلما تم بناؤها لم يتمتع بها غير قليل ومرض فمات في اوائل شهر رجب وقيل في رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة وهو كهل فدفن بقرافة مصر فسكنها من بعده خوند عائشة خاتون المعروفة بالقردمية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون زمانا فعرفت بها وكانت هذه المرأة ممن يضرب بغناها وسعادتها المثل الا انها عمرت طويلا وتصرفت في مالها تصرفا غير مرضي فتلف في اللهو حتى صارت تعد من جملة المساكين وماتت في الخامس من جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ومختدتها من ليف ثم سكن هذه الدار الامير جمال الدين محمود بن علي الاستادار مدة وأنشأ تجاهها مدرسة * (دار الصالح) هذه الدار بحارة الديلم قريبا من السجن وكانت دار الصالح طلائع بن رزيك يسكنها وهو أمير قبل أن يلي الوزارة بناها في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ومازالت باقية الى أن خربها الامير الوزير ركن الدين عمر بن محمد بن قايماز في سنة أربع وتسعين وسبعمائة وبناها على ما هي عليه الآن * (دار بهادر) هذه الدار بالقاهرة بجوار المشهد الحسيني في درب جرجي المقابل للابارين المسلوك منه الى دار الضرب وغيره أنشأها الامير بهادر راس نوبة أحد مماليك الملك المنصور قلاوون واتفق انه كان ممن مالأ الامير بدر الدين بيدرا على قتل الملك الاشرف خليل بن قلاوون فلما قدر الله باتقاض أمر بيدرا وقتله واقامة الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد أخيه الاشرف خليل قبض على جماعة ممن وافق على قتل الملك الاشرف خليل وقد تجمعت المماليك الاشرفية مع الامير علم الدين سنجر الشجاعي وهو يومئذ وزير الديار المصرية في دار النيابة من قلعة الجبل عند الامير زين الدين كتبغا نائب السلطنة واذا بالامير بهادر المذكور قد حضر هو والامير جمال الدين أقوش الموصلي الحاجب المعروف بنمله وكانا قد اختفيا فرقا من سطوة الاشرفية حتى دبر أمرهما النائب واذن لهما في طلوع القلعة فما هو الا أن ابصرهما الاشرفية سلوا سيوفهم وضربوا رقبتيهما في اسرع وقت فدهش الحاضرون وما استطاعوا أن يتكلموا خوفا من الاشرفية وانفق في بناء هذه الدار ما فيه عبرة لمن اعتبر وذلك أن بهادر هذا لما حفر أساسها وجد هنالك قبورا كثيرة فأخرج تلك العظام ورماها فبلغ ذلك قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد فبعث اليه ينهاه عن نبش القبور ورمي العظام ويخوفه عاقبة ذلك فقال اذا مت يجرّوا رجلي ويرموني فقال القاضي لما اعيد عليه هذا الجواب وقد يكون ذلك فقدر الله أنه لما ضربت رقبته ورقبة اقوش ربط في رجليهما حبل وجرّا من دار النيابة بالقلعة الى المجار بالكيمان نعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء ثم عرفت هذه الدار ببيت الامير جركتمر بن بهادر المذكور وكان خصيصا بالامير قوصون فبعثه لقتل السلطان الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما نفاه الى مدينة قوص بعد خلعه فتولى قتله فلما قبض على قوصون قبض على جركتمر في ثاني شعبان سنة اثنين واربعين وسبعمائة وقتل بالاسكندرية هو وقوصون في ليلة الثلاثاء ثامن عشر شوال تولى قتلهما الامير ابن طشتمر طلبة واحمد بن صبيح وكان جركتمر هذا فيه ادب

وحشمة وأول امره كان من اصحاب الامير بيبرس الجاشنكيرى فقدمه وأعطاه امرة عشرة ثم اتصل بالامير ارغون النائب فأعطاه امرة طبلخاناه وكان يلعب بالاكرة ويجيد فى لعبها الى الغاية ثم عرفت هذه الدار بالامير سيف الدين بهادر المنجكى أستادار الملك الظاهر برقوق لسكنه بها وتجديد عمارتها وأنشأ بجوارها حماما وكانت وفاته يوم الاثنين الثانى من جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة وهذه الدار باقية الى اليوم تسكنها الامراء * (دار البقر) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل بالخط الذى يقال له اليوم حدرة البقر كانت دارا للابقار التى برسم السواقى السلطانية ومنشرا للزبل وفيه ساقية ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاون أنشأها دارا واصطبلا وغرس بها عدة اشجار وتولى عمارتها القاضى كريم الدين عبد الكريم الكبير فبلغ المصروف على عمارتها ألف ألف درهم وعرفت بالامير طقتمر الدمشقى ثم عرفت بدار الامير طاش تمر حمص اخضر وهذه الدار باقية الى وقتنا هذا ينزلها أمراء الدولة * (قصر بكتمر الساقى) هذا القصر من اعظم مساكن مصر واجلها قدرا وأحسنها بنيانا وموضعه تجاه الكبش على بركة الفيل أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون لسكن اجل أمراء دولته الامير بكتمر الساقى وأدخل فيه ارض الميدان التى أنشأها الملك العادل كتبغا وقصد أن يأخذ قطعة من بركة الفيل ليتسع بها الاصطبل الذى للامير بكتمر بجوار هذا القصر فبعث الى قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى ليحكم باستبدالها على قاعدة مذهبه فامتنع من ذلك تنزها وتورعا واجتمع بالسلطان وحدثه فى ذلك فلما رأى كثرة ميل السلطان الى اخذ الارض نهض من المجلس مغضبا وصار الى منزله فأرسل القاضى كريم الدين الكبير ناظر الخواص الى سراج الدين الحنفى عن أمر السلطان وقلده قضاء مصر منفردا عن القاهرة فحكم باستبدال الارض فى غرة رجب سنة سبع عشرة وسبعمائة فلم يلبث سوى مدة شهرين ومات فى أول شهر رمضان فاستدعى السلطان قاضى القضاة شمس الدين الحريرى واعاده الى ولايته وكمل القصر والاصطبل على هيئة قل ما رأت الاعين مثلها بلغت النفقة على العمارة فى كل يوم مبلغ ألف وخمسمائة درهم فضة مع جاه العمل لان العجل التى تحمل الحجارة من عند السلطان والحجارة أيضا من عند السلطان والفعلة فى العمارة اهل السجون المقيدون من المحابيس وقدر لو لم يكن فى هذه العمارة جاه ولا سخرة لكان مصروفها فى كل يوم مبلغ ثلاثة آلاف درهم فضة وأقاموا فى عمارته مدة عشرة اشهر فتجاوزت النفقة على عمارته مبلغ ألف ألف درهم فضة عنها زيادة على خمسين ألف دينار سوى ما حمل وسوى من سخر فى العمل وهو بنحو ذلك فلما تمت عمارته سكنه الامير بكتمر الساقى وكان له فى اصطبله هذا مائة سطل نحاس لمائة سائس كل سائس على ستة أرؤس خيل سوى ما كان له فى الحشارات والنواحى من الخيل وكان من المغرب يغلق باب اصطبله فلا يصير لاحد به حس ولما تزوج انوك بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بابنة الامير بكتمر الساقى فى سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة خرج شوارها من هذا القصر وكان عدة الحمالين ثمانمائة حمال المساند الزركش على أربعين حمالا عدتها عشرة مساند والمدورات ستة عشر حمالا والكراسى اثنا عشر حمالا وكراسى لطاف أربعة حمالين وفضيات تسعة وعشرون حمالا وسلم الدكك أربعة حمالين والدكك والتخوت الابنوس المفضضة والموشقة مائة واثنين وستين حمالا والنحاس الكفت ثمانية وأربعين حمالا والصينى ثلاثة وثلاثين حمالا والزجاج المذهب اثنى عشر حمالا والنحاس الشامى اثنين وعشرين حمالا والبعلبكى المدهون اثنى عشر حمالا والخونجات والحمافى والزبادى والنحاس تسعة وعشرين حمالا وصناديق الحوائج خاناه ستة حمالين وغير ذلك تتمة العدة والبغال المحملة الفرش واللحف والبسط والصناديق التى فيها المصاغ تسعة وتسعين بغلا قال العلامة صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى قال لى المهذب الكاتب الزركش والمصاغ ثمانون قنطارا بالمصرى ذهب ولما مات بكتمر هذا صار هذا الوقف من بعده من جملة اوقافه فتولى أمره وأمر سائر اوقافه اولاده حتى انقرض اولاده واولاد أولاده فصار أمر الاوقاف الى ابن ابنته وهو احمد بن محمد بن قرطاى المعروف بأحمد بن بنت بكتمر وهذا القصر فى غاية من الحسن ولا ينزله الا اعيان الامراء الى أن كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة وكان العسكر غائبا عن مصر مع الملك المؤيد شيخ فى محاربة الامير نوروز الحافظى بدمشق عمد هذا المذكور الى القصر فاخذ رخامه وشبابيكه وكثيرا من سقوفه وابوابه وغير ذلك وباع الجميع وعمل بدل ذلك الرخام البلاط وبدل الشبابيك الحديد بالخشب وفطن به اعيان الناس فقصدوه واخذوا منه أصنافا عظيمة بثمن وبغير ثمن وهو الآن

قائم

قائم البناء يسكنه الامراء *(الدار البيسرية) هذه الدار بخط بين القصرين من القاهرة كانت فى آخر الدولة الفاطمية لما قويت شوكة الفرنج قد أعدت لمن يجلس فيها من قصاد الفرنج عند ما تقرر الامر معهم على ان يكون نصف ما يحصل من مال البلد للفرنج فصار يجلس فى هذه الدار قاصد معتبر عند الفرنج يقبض المال فلما زالت الدولة بالغز ثم زالت دولة بنى أيوب وولى سلطنة مصر الملوك من الترك الى ان كانت أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى شرع الامير ركن الدين بيبرس الشمسى الصالحى النجمى فى عمارتها فى سنة تسع وخمسين وستمائة وتأنق فى عمارتها وبالغ فى كثرة المصروف عليها فأنكر الملك الظاهر ذلك من فعله وقال له يا أمير بدر الدين اى شئ خليت للغزاة والترك فقال صدقات السلطان والله يا خوند ما بنيت هذه الدار الاحتى يصل خبرها الى بلاد العدو ويقال بعض مماليك السلطان عمر دارا غرم عليها مالا عظيما فأعجب من قوله ذلك السلطان وأنعم عليه بألف دينار عينا وعد هذا من أعظم انعام السلطان فجاءت هذه الدار باصطبلها وبستانها والحمام بجانبها نحو فدانين ورخامها من ابهج رخام عمل فى القاهرة وأحسنه صنعة فكثر تعجب الناس اذ ذاك من عظمها لما كان فيه أمراء الدولة ورجالها حينئذ من الاقتصاد حتى ان الواحد منهم اذا صار أميرا لا يتغير عن داره التى كان يسكنها وهو من الاجناد وعندما كملت عمارة هذه الدار وقفها وأشهد عليه بوقفها اثنين وتسعين عدلا من جملتهم قاضى القضاة تقى الدين ابن دقيق العيد وقاضى القضاة تقى الدين بن بنت الاعز وقاضى القضاة تقى الدين بن رزين قبل ولايتهم القضاء فى حال تحملهم الشهادة ومازالت بيد ورثة بيسرى الى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة فنشرهت نفس الامير قوصون الى أخذها وسأل السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون فى ذلك فأذن له فى التحدث مع ورثة بيسرى فأرسل اليهم ووعدهم ومناهم وأرضاهم حتى أذعنوا له فبعث السلطان الى قاضى القضاة شرف الدين الحرانى الحنبلى يلتمس منه الحكم باستبدالها كما حكم باستبدال بيت قتال السبع وحمامه الذى انشأ جامعه بخط خارج الباب الجديد من الشارع فاجاب الى ذلك ونزل اليها علاء الدين بن هلال الدولة شاد الدواوين ومعه شهود لقيمة فقومت بمائة ألف درهم وتسعين ألف درهم نقرة وتكون الغبطة للايتام عشرة آلاف درهم نقرة لتتم الجملة مائتى ألف درهم نقرة وحكم قاضى القضاة شرف الدين الحرانى ببيعها وكان هذا الحكم مما شنع عليه فيه ثم اختلفت الايدى فى الاستيلاء على هذه الدار واقتدى القضاة بعضهم ببعض فى الحكم باستبدالها وآخر ما حكم به من استبدالها فى اعوام بضع وثمانين وسبعمائة فصارت من جملة الاوقاف الظاهرية برقوق وهى الآن بيد ابنة بيرم وكان لها باب بوابته من أعظم ما عمل من البوابات بالقاهرة ويتوصل الى هذه الدار من هذا الباب وهو بجوار حمام بيسرى من شارع بين القصرين وقد بنى تجاه هذا الباب حوانيت حتى خفى وصار يدخل الى هذه الدار من باب آخر بخط الخرشتف *(بيسرى)* الامير شمس الدين الشمسى الصالحى النجمى أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية تنقل فى الخدم حتى صار من أجل الامراء فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى واشتهر بالشجاعة والكرم وعلو الهمة وكانت له عدة مماليك راتب كل واحد منهم مائة رطل لحم وفيهم من له عليه فى اليوم ستين عليقة لخيله وبلغ عليق خيله وخيل مماليكه فى كل يوم ثلاثة آلاف عليقة سوى علف الجمال وكان ينعم بالالف دينار وبالخمسمائة غير مرة ولما فرق الملك العادل كتبغا المماليك على الامراء بعث اليه بستين مملوكا فأخرج اليهم فى يومهم لكل واحد فرسين وبغلا وشكا اليه استاداره كثرة خرجه وحسن له الاقتصاد فى النفقة فحنق عليه وعزله وأقام غيره وقال لا ارنى وجهه أبدا ولم يعرف عنه انه شرب الماء فى كوز واحد مرتين وانما يشرب كل مرة فى كوز جديد ثم لا يعاود الشرب منه وتنكر عليه الملك المنصور قلاوون فسجنه فى سنة ثمانين وستمائة ومازال فى سجنه الى ان مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الاشرف خليل فأفرج عنه فى سنة اثنين وتسعين وستمائة بعد عوده من دمشق بشفاعة الامير بيدرا والامير سنجر الشجاعى وأمر أن يحمل اليه تشريف كامل ويكتب له منشور بامرة مائة فارس وانه يلبس التشريف من السجن فجهز التشريف وحمل اليه المنشور فى كيس حرير اطلس وعظم فيه تعظيما زائدا واثنى عليه ثناء جما وسار اليه بيدرا والشجاعى والدوادار والافرم الى السجن ليمشوا فى خدمته الى ان يقف بين يدى السلطان فامتنع من لبس التشريف والتزم بأيمان مغلظة انه لا يدخل على السلطان الا بقيده ولباسه الذى كان عليه فى السجن وتسامعت الامراء وأهل القلعة بخروجه فهرعوا اليه وكان لخروجه نهار عظيم ودخل على السلطان

بقدمه فأمر به ففك بين يديه وافيض عليه التشريف فقبل الارض واكرمه السلطان وأمره فنزل الى داره وخرج الناس الى رؤيته وسر" بخلاصه فبعث اليه السلطان عشر ين فرسا وعشر ين اكديشا وعشر ين بغلا وأمر جميع الامراء ان يبعثوا اليه فلم يبق أحد حتى سير اليه ما يقدر عليه من التحف والسلاح و بعث اليه أمير سلاح ألفي دينار عينا وكانت مدة سجنه احدى عشرة سنة وأشهرا فصار يكتب بعد خروجه من السجن بيسرى الاشرفي بعد ما كان يكتب بيسرى الشمسي" ومازال الى ان تسلطن الملك المنصور لاجين فأخذ الامير منكوتمر يغرى به بالامير بيسرى ويخوفه منه وانه قد تعين للسلطنة فعمله كاشف الجيزة وأمره ان يحضر الخدمة يومى الاثنين والخميس بالقلعة و يجلس رأس الميمنة تحت الطواشى حسام الدين بلال المغيثى لاجل كبره وتقدمه ثم زاد منكوتمر فى الاغراء به والسلطنة تستمهله الى ان قبض عليه وسجنه فى سنة سبع وتسعين وستمائة واحاط بسائر موجوده وحبس عدة من مماليكه فسر منكوتمر بمسكه سرورا عظيما واستمر فى السجن الى أن مات فى تاسع عشر شوّال سنة ثمان وتسعين وستمائة وعليه ديون كثيرة ودفن بتربته خارج باب النصر رحمه الله تعالى

*(قصر بشتاك) هذا القصر هو الآن تجاه الدار البيسرية وهو من جملة القصر الكبير الشرقي" الذى كان مسكنا للخلفاء الفاطميين ويسلك اليه من الباب الذى كان يعرف فى أيام عمارة القصر الكبير فى زمن الخلفاء بباب البحر وهو يعرف اليوم بباب قصر بشتاك تجاه المدرسة الكاملية ومازال الى ان اشتراه الامير بدر الدين بكتاش الفخري" المعروف بامير سلاح وأنشأ دورا واصطبلات ومساكن له ولحواشيه وصار ينزل اليه هو والامير بدر الدين بيسرى عند انصرافهما من الخدمة السلطانية بقلعة الجبل فى موكب عظيم زائد الحشمة ويدخل كل منهما الى داره وكان موضع هذا القصر عدة مساجد فلم يتعرض لهدمها وابقاها على ماهى عليه فلما مات أمير سلاح وأخذ الامير قوصون الدار البيسرية كما تقدم ذكره احب الامير بشتاك ان يكون له أيضا دار بالقاهرة وذلك ان قوصون و بشتاك كانا يتناظران فى الامور و يتضادّان فى سائر الاحوال و يقصد كل منهما ان يسامى الآخر و يزيد عليه فى التجمل فأخذ بشتاك يعمل فى الاستيلاء على قصر أمير سلاح حتى اشتراه من ورثته فأخذ من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قطعة أرض كانت داخل هذا القصر من حقوق بيت المال وهدم دارا كانت قد انشئت هنالك عرفت بدار قطوان الساقى وهدم أحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من آثار الخلفاء يسكنها جماعة الفقراء وادخل ذلك فى البناء الامسجدا منها فانه عمره ويعرف اليوم بمسجد الفجل فجاء هذا القصر من أعظم مبانى القاهرة فان ارتفاعه فى الهواء أربعون ذراعا ونزول اساسه فى الارض مثل ذلك والماء يجرى بأعلاه وله شبابيك من حديد تشرف على شارع القاهرة و ينظر من أعلاه عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين وهو مشرق جليل مع حسن بنائه وتانق زخرفته والمبالغة فى تزويقه وترخيمه وأنشأ أيضا فى اسفله حوانيت كان يباع فيها الحلوى وغيرها فصار الامر أخيرا كما كان اوّلا بتسمية الشارع بين القصرين فانه كان اوّلا كما تقدم بالقاهرة القصر الكبير الشرقي الذى قصر بشتاك من جملته وتجاهه القصر الغربي" الذى الخرشتف من جملته فصار قصر بشتاك وقصر بيسرى وما بينهما من الشارع يقال له بين القصرين ومن لا علم له يظن انما قيل لهذا الشارع بين القصرين لاجل قصر بيسرى وقصر بشتاك وليس هذا بصحيح وانما قيل له بين القصرين قبل ذلك من حين بنيت القاهرة فانه كان بين القصرين القصر الكبير الشرقي" والقصر الصغير الغربي" وقد تقدم ذلك مشروحا مبينا * ولما اكمل بشتاك بناء هذا القصر والحوانيت التى فى أسفله والخان المجاور له فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة لم يبارك له فيه ولا تمتع به وكان اذا نزل اليه ينقبض صدره ولا تنبسط نفسه مادام فيه حتى يخرج منه فترك المجيء اليه فصار يتعاهده احيانا فيعتريه ماتقدم ذكره فكرهه وباعه لزوجة بكتمر الساقى وتداوله ورثتها الى ان أخذه السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فاستقر بيد أولاده الى ان تحكم الامير الوزير المشير جمال الدين الاستادار فى مصر اقام من شهد عند قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى بأن هذا القصر يضر" بالجار والمار وانه مستحق للازالة والهدم كما عمل ذلك فى غير موضع بالقاهرة فحكم له باستبداله وصار من جملة املاكه فلما قتله الملك الناصر فرج بن برقوق استولى على سائر ما تركه وجعل هذا القصر فيما عينه للتربة التى انشاها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر فاستمر فى جملة اوقاف التربة المذكورة الى ان قتل الملك الناصر بدمشق فى حرب الامير

شيخ

شيخ والامير نوروز وقدم الامير شيخ الى مصر هو والخليفة المستعين بالله العباسى ابن محمد وقف له من بقى من أولاد جمال الدين وأقاربه وكان لاهل الدولة يومئذ بهم عناية قاضى القضاة صدر الدين على بن الادمى الحنفى بارتجاع املاك جمال الدين التى وقفها على ما كانت عليه فتسلمها أخوه وصار هذا القصر اليهم وهو الآن بيدهم

* (قصر الحجازية) هذا القصر بخط رحبة باب العيد بجوار المدرسة الحجازية كان يعرف أولا بقصر الزمرذ فى أيام الخلفاء الفاطميين من أجل ان باب القصر الذى كان يعرف بباب الزمرذ كان هنالك كما تقدم ذكره فى هذا الكتاب عند ذكر القصور فلما زالت الدولة الفاطمية صار من جملة ما صار بيد ملوك بنى أيوب واختلفت عليه الايدى الى ان اشتراه الامير بدر الدين أمير مسعود بن خطير الحاجب من أولاد الملوك بنى أيوب واستمر بيده الى ان رسم بتسفيره من مصر الى مدينة غزة واستقر نائب السلطنة بها فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة وكاتب الامير سيف الدين قوصون عليه وملكه اياه فشرع فى عمارة سبع قاعات لكل قاعة اصطبل ومنافع ومرافق وكانت مساحة ذلك عشرة افدنة فمات قوصون قبل ان يتم بناء ما أراد من ذلك فصار يعرف بقصر قوصون الى ان اشترته خوند تتر الحجازية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوج الامير ملكتمر الحجازى فعمرته عمارة ملوكية وتأنقت فيه تأنقا زائدا وأجرت الماء الى أعلاه وعملت تحت القصر اصطبلا كبيرا لخيول خدامها وساحة كبيرة يشرف عليها من شبابيك حديد فجاء شيأ عجيبا حسنه وأنشأت بجواره مدرستها التى تعرف الى اليوم بالمدرسة الحجازية وجعلت هذا القصر من جملة ما هو موقوف عليها فلما ماتت سكنه الامراء بالاجرة الى ان عمر الامير جمال الدين يوسف الاستادار داره المجاورة للمدرسة السابقية وتولى استادارية الملك الناصر فرج صار يجلس برحبة هذا القصر والمقعد الذى كان بها وعمل القصر سجنا يحبس فيه من يعاقبه من الوزراء والاعيان فصار موحشا يروع النفوس ذكره لما قتل فيه من الناس خنقا وتحت العقوبة من بعد ما أقام دهرا وهو مغنى صبابات وملعب اتراب وموطن افراح ودار عز ومنزل لهو ومحل امانى النفوس ولذاتها ثم لما خشى كاتب جمال الدين وشنع شره فى اغتصاب الاوقاف أخذ هذا القصر يتشعث شئ من زخارفه وحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى باستبداله كما تقدم الحكم فى نظائره فقلع رخامه فلما قتل صار معطلا مدة وهم الملك الناصر فرج ببنائه رباطا ثم انثنى عزمه عن ذلك فلما عزم على المسير الى محاربة الامير شيخ والامير نوروز فى سنة أربع عشرة وثمانمائة نزل اليه الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم بن البشيرى وقلع شبابيكه الحديد لتعمل آلات حرب وهو الآن بغير رخام ولا شبابيك قائم على أصوله لا يكاد ينتفع به الا ان الامير المشير بدر الدين حسن بن محمد الاستادار لما سكن فى بيت الامير جمال الدين جعل ساحة هذا القصر اصطبلا لخيوله وصار يحبس فى هذا القصر من يصادره أحيانا * وفى رمضان سنة عشرين وثمانمائة ذكر الامير فخر الدين عبد الغنى ابن أبى الفرج الاستادار ما يجده المسجونون فى السجن المستجد عند باب الفتوح بعد هدم خزانة شمائل من شدة الضيق وكثرة الغم فعين هذا القصر ليكون سجنا لارباب الجرائم وأنعم على جهة وقف جمال الدين بعشرة آلاف درهم فلوسا عن أجرة سنتين فشرعوا فى عمل سجن وأزالوا كثيرا من معالمه ثم ترك على ما بقى فيه ولم يتخذ سجنا

* (قصر يلبغا اليحياوى) هذا القصر موضعه الآن مدرسة السلطان حسن المطلة على الرميلة تحت قلعة الجبل وكان قصرا عظيما أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ببنائه لسكن الامير يلبغا اليحياوى وان يبنى أيضا قصر يقابله برسم سكنى الامير الطنبغا الماردينى لتزايد رغبته فيهما وعظيم محبته لهما حتى يكونا تجاهه وينظر اليهما من قلعة الجبل فركب بنفسه الى حيث سوق الخيل من الرميلة تحت القلعة وسار الى حمام الملك السعيد وعين اصطبل الامير أيدغمش أمير اخور وكان تجاهها ليعمره هو وما يقابله قصرين متقابلين ويضاف اليه اصطبل الامير طاشتمر الساقى واصطبل الجوق وأمر الامير قوصون ان يشترى ما يجاور اصطبله من الاملاك ويوسع فى اصطبله وجعل أمر هذه العمارة الى الامير اقبغا عبد الواحد فوقع الهدم فيما كان بجوار بيت الامير قوصون وزيد فى الاصطبل وجعل باب هذا الاصطبل من تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة وأمر السلطان بالنفقة على العمارة من مال السلطان على يد النشو وكان للملك الناصر رغبة كبيرة فى العمارة بحيث انه افرد لها ديوانا وبلغ مصروفها فى كل يوم اثنى عشر ألف درهم نقرة وأقل ما كان يصرف من ديوان العمارة فى اليوم برسم العمارة مبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة فلما كثر الاهتمام فى بنا القصرين المذكورين

وعظم الاجتهاد فى عمارتهما وصار السلطان ينزل من القلعة لكشف العمل و يستحث على فراغهما واول ما بدئ به قصر يلبغا اليحياوى فعمل اساسه حضيرة واحدة انصرف عليها وحدها مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة ولم يبق فى القاهرة ومصر صانع له تعلق فى العمارة الا وعمل فيها حتى كمل القصر فجاء فى غاية الحسن و بلغت النفقة عليه مبلغ أربعمائة ألف ألف وستين ألف درهم نقرة منها ثمن لازورد خاصه مائة ألف درهم فلما كملت العمارة نزل السلطان لرؤيتها وحضر يومئذ من عند الامير سيف الدين طرغاى نائب حلب تقدمة من جملتها عشرة ازواج بسط أحدها حرير وعدة اوانى من بلور ونحوه وخيل و بخاتى فأنعم بالجميع على الامير يلبغا اليحياوى وأمر الامير أقبغا عبد الواحد أن ينزل الى هذا القصر ومعه اخوان سلار برفقته وسائر أرباب الوظائف لعمل مهم فبات الشد وناظر الخاص هناك لتعبية ما يحتاج اليه من اللحوم والتوابل ونحوها فلما تهيأ ذلك حضر سائر أمراء الدولة من اول النهار وأقاموا بقصر يلبغا اليحياوى فى اكل وشرب ولهو وفى آخر النهار حضرت اليهم التشاريف السلطانية وعدتها أحد عشر تشريفا برسم أرباب الوظائف وهم الامير أقبغا عبد الواحد والاستادار والامير قوصون الساقى والامير بشتاك والامير طقوزدمر أمير مجلس فى آخرين وحضر لبقية الامراء خلع وأقبية على قدر مراتبهم فلبس الجميع التشاريف والخلع والاقبية وركبوا الخيول المحضرة اليهم من الاصطبل السلطانى بسروج وكنابيش ما بين ذهب وفضة بحسب مراتبهم وساروا الى منازلهم وذبح فى هذا المهم ستمائة رأس غنم وأربعون بقرة وعشرون فرسا وعمل فيه ثلثمائة قنطار سكر برسم المشروب فان القوم يومئذ لم يكونوا يتظاهرون بشرب الخمر ولا شئ من المسكرات ألبتة ولا يجسر أحد على عمله فى مهم ألبتة ومازالت هذه الدار باقية الى ان هدمها السلطان الملك الناصر حسن وأنشأ موضعها مدرسته الموجودة الآن * (اصطبل قوصون) هذا الاصطبل بجوار مدرسة السلطان حسن وله بابان باب من الشارع بجوار حدرة البقر وبابه الآخر تجاه باب السلسلة الذى يتوصل منه الى الاصطبل السلطانى وقلعة الجبل انشأه الامير علم الدين سنجر الجمقدار فأخذه منه الامير سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال فزاد فيه قوصون اصطبل الامير سنقر الطويل وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الاصطبل فبنى فيه كثيرا وأدخل فيه عدة عمائر ما بين دور واصطبلات فجاء قصرا عظيما الى الغاية وسكنه الامير قوصون مدة حياة الملك الناصر * فلما مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر عمل عليه قوصون وخلعه وأقام بعده بدله الملك الاشرف كجك بن الملك الناصر محمد فلما كان فى سنة اثنين وأربعين وسبعمائة حدث فى شهر رجب منها فتنة بين الامير قوصون و بين الامراء وكبيرهم ايدغمش أمير اخور فنادى ايدغمش فى العامة يا كسابة عليكم باصطبل قوصون انهبوه هذا وقوصون محصور بقلعة الجبل فأقبلت العامة من السؤال والغلمان والجند الى اصطبل قوصون فمنعهم المماليك الذين كانوا فيه ورموهم بالنشاب وأتلفوا منهم عدة فثارت مماليك الامير يلبغا اليحياوى من أعلى قصر يلبغا وكان بجوار قصر قوصون حيث مدرسة السلطان حسن ورموا مماليك قوصون بالنشاب حتى انكفوا عن رمى النهابة فاقتحم غوغاء الناس اصطبل قوصون وانتهبوا ما كان بركاب خاناته وحواصله وكسروا باب القصر بالفوس وصعدوا اليه بعد ما تسلقوا الى القصر من خارجه فخرجت مماليك قوصون من الاصطبل يدا واحدة بالسلاح وشقوا القاهرة وخرجوا الى ظاهر باب النصر يريدون الامراء الواصلين من الشام فأتت النهابة على جميع ما فى اصطبل قوصون من الخيل والسروج وحواصل المال التى كانت بالقصر وكانت تشتمل من انواع المال والقماش والاوانى الذهب والفضة على ما لا يحد ولا يعد كثرة وعندما خرجت العامة بما نهبته وجدت مماليك الامراء والاجناد قد وقفوا على باب الاصطبل فى الرميلة لانتظار من يخرج وكان اذا خرج أحد بشئ من النهب أخذه منه أقوى منه فان امتنع من اعطائه قتل واحتمل النهابة اكياس الذهب ونثروها فى الدهاليز والطرق وظفروا بجواهر نفيسة وذخائر ملوكية وأمتعة جليلة القدر وأسلحة عظيمة وأقمشة مثمنة وجروا البسط الرومية والامدية وما هو من عمل الشريف وتقاتلوا عليها وقطعوها قطعا بالسكاكين وتقاسموها وكسروا اوانى البلور والصينى وقطعوا سلاسل الخيل الفضة والسروج الذهب والفضة وفككوا اللجم وقطعوا الخيم وكسروا الخركاوات وأتلفوا سترها وأغشيتها الاطلس والزركش * وذكر عن كاتب قوصون انه قال اما الذهب المكيس والفضة كان ينيف على أربعمائة ألف دينار واما الزركش والحوايص والمعصبات ما بين خوانجات واطباق فضة وذهب فانه فوق

المائة ألف دينار والبلور والمصاغ المعمول برسم النساء فانه لا يحصر وكان هناك ثلاثة أكياس اطلس فيها جوهر قد جمعه فى طول أيامه لكثرة شغفه بالجوهر لم يجمع مثله ملك كان ثمنه نحو المائة ألف دينار وكان فى حاصله عدة مائة وثمانين زوج بسط منها ما طوله من اربعين ذراعا الى ثلاثين ذراعا عمل البلاد وستة عشر زوج من عمل الشريف بمصر ثمن كل زوج اثنا عشر ألف درهم نقرة منها أربعة ازواج بسط من حرير وكان من جملة الخام نوبة خام جميعها اطلس معدنى قصب جميع ذلك نهب وكسر وقطع وانحط سعر الذهب بديار مصر عقيب هذه النهبة من دار قوصون حتى بيع المثقال باحد عشر درهما لكثرته فى ايدى الناس بعد ما كان سعر المثقال عشرين درهما ومن حينئذ تلاشى أمر هذا القصر لزوال رخامه فى النهب ومابرح مسكنا لاكابر الامراء وقد اشتهر انه من الدور المشؤمة وقد ادركت فى عمرى غير واحد من الامراء سكنه وآل أمره الى مالا خير فيه وممن سكنه الامير بركة الزينى ونهب نهبة فاحشة وأقام عدة أعوام خرابا لا يسكنه أحد ثم اصلح وهو الآن من اجل دور القاهرة * (دار ارغون الكاملى) هذه الدار بالجسر الاعظم على بركة الفيل انشأها الامير ارغون الكاملى فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأدخل فيها من أرض بركة الفيل عشرين ذراعا *(ارغون الكاملى) الامير سيف الدين نائب حلب ودمشق تبناه الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون وزوجه اخته من امّه بنت الامير ارغون العلاءى فى سنة خمس واربعين وسبعمائة وكان يعرف اولا بأرغون الصغير فلما مات الملك الصالح وقام من بعده فى مملكة مصر اخوه الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون اعطاه امرة مائة وتقدمة الف ونهى ان يدعى ارغون الصغير وتسمى ارغون الكاملى فلما مات الامير قطليجا الحموى فى نيابة حلب رسم له الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بنيابة حلب فوصل اليها يوم الثلاثا حادى عشر شهر رجب سنة خمسين وسبعمائة وعمل النيابة بها على احسن ما يكون من الحرمة والمهابة وهابه التركمان والعرب ومشت الاحوال به ثم جرت له فتنة مع امراء حلب فخرج فى نفر يسير الى دمشق فوصلها الثلاث بقين من ذى الحجة سنة احدى وخمسين فاكرمه الامير ايتمش الناصرى نائب دمشق وجهزه الى مصر فأنعم عليه السلطان واعاده الى نيابة حلب فأقام بها الى ان عزل ايتمش من نيابة دمشق فى اول سلطنة الملك الصالح صالح بن قلاوون فنقل من نيابة حلب الى نيابة دمشق فدخلها فى حادى عشرى شعبان سنة اثنتين وخمسين وأقام بها فلم يصف له بها عيش فاستعفى فلم يجب ومازال بها الى ان خرج يلبغاروس وحضر الى دمشق فخرج الى لد واستولى يلبغاروس على دمشق فلما خرج الملك الصالح من مصر وسار الى بلاد الشام بسبب حركة يلبغاروس تلقاه ارغون وسار بالعساكر الى دمشق ودخل السلطان بعده وقد فر يلبغاروس فقلده نيابة حلب فى خامس عشرى شهر رمضان وعاد السلطان الى مصر فلم يزل الامير ارغون بحلب وخرج منها الى الابلستين فى طلب ابن دلغادر وحرقها وحرق قراها ودخل الى قيصرية وعاد الى حلب فى رجب سنة اربع وخمسين فلما خلع الملك الصالح بأخيه الملك الناصر حسن فى شوال سنة خمس وخمسين طلب الامير أرغون من حلب فى آخر شوال فحضر الى مصر وعمل امير مائة مقدم ألف الى تاسع صفر سنة ست وخمسين فأمسك وحمل الى الاسكندرية واعتقل فيها وعنده زوجته ثم نقل من الاسكندرية الى القدس فأقام بها بطالا وبنى هناك تربة ومات بها يوم الخميس لخمس بقين من شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة *(دار طاز) هذه الدار بجوار المدرسة البندقدارية تجاه حمام الفارقانى على يمنة من سلك من الصليبة يريد حدرة البقر وباب زويلة انشأها الامير سيف الدين طاز فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وكان موضعها عدة مساكن هدمها برضى اربابها وبغير رضاهم وتولى الامير منجك عمارتها وصار يقف عليها بنفسه حتى كملت فجاءت قصرا مشيدا واصطبلا كبيرا وهى باقية الى يومنا هذا يسكنها الامراء وفى يوم السبت سابع عشرى جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين عمل الامير طاز فى هذه الدار وليمة عظيمة حضرها السلطان الملك الصالح صالح وجميع الامراء فلما كان وقت انصرافهم قدم الامير طاز للسلطان اربعة أفراس بسروج ذهب وكنابيش ذهب وقدم للامير سنجر فرسين كذلك وللامير صرغتمش فرسين ولكل واحد من امراء الالوف فرسا كذلك ولم يعهد قبل هذا أن أحدا من ملوك الاتراك نزل الى بيت امير قبل الصالح هذا وكان يوما مذكورا *(طاز) الامير سيف الدين امير مجلس اشتهر ذكره فى ايام الملك الصالح اسماعيل ولم يزل اميرا الى ان خلع الملك الكامل شعبان واقيم المظفر حاجى وهو أحد الامراء الستة ارباب الحل والعقد فلما خلع الملك

لطفر وأقيم الملك الناصر حسن زادت وجاهته وحرمته وهو الذى امسك الامير يلبغاروس فى طريق الحجاز وأمسك ايضا الملك المجاهد سيف الاسلام على بن المؤيد صاحب بلاد اليمن بمكة وأحضره الى مصر وهو الذى قام فى نوبة السلطان حسن لما خلع واجلس الملك الصالح صالح على كرسى الملك وكان يلبس فى درب الحجاز عباءة ويسرقولا ويخفى نفسه ليتجسس على اخبار يلبغاروس ولم يزل على حاله الى ثانى شوّال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فخلع الصالح واعيد الناصر حسن فأخرج طاز الى نيابة حلب وأقام بها * (دار صرغتمش) هذه الدار بخط بئر الوطاويط بالقرب من المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع احمد بن طولون من شارع الصليبة كان موضعها مساكن فاشتراها الامير صرغتمش وبناها قصرا واصطبلا فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وحمل اليه الوزراء والكتاب والاعيان من الرخام وغيره شيأ كثيرا وقد ذكر التعريف به عند ذكر المدرسة الصرغتمشية من هذا الكتاب فى ذكر المدارس وهذه الدار عامرة الى يومنا هذا يسكنها الامراء ووقع الهدم فى القصر خاصة فى شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة * (دار الماس) هذه الدار بخط حوض ابن هنس فيما بينه وبين حدرة البقر بجوار جامع الماس انشأها الامير الماس الحاجب واعتنى برخامها عناية كبيرة واستدعى به من البلاد فلما قتل فى صفر سنة اربع وثلاثين وسبعمائة امر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلع ما فى هذه الدار من الرخام فقلع جميعه ونقل الى القلعة وهذه الدار باقية الى يومنا هذا ينزلها الامراء * (دار بهادر المقدم) هذه الدار بخط الباطلية من القاهرة انشأها الامير الطواشى سيف الدين بهادر مقدم المماليك السلطانية فى ايام الملك الظاهر برقوق * وبهادر هذا من مماليك الامير يلبغا وأقام فى تقدمة المماليك جميع الايام الظاهرية وكثر ماله وطال عمره حتى هرم ومات فى ايام الملك الناصر فرج وهو على امرته وفى وظيفته تقدمة المماليك السلطانية يوم الاحد سابع عشر رجب سنة اثنتين وثمانمائة وموضع هذه الدار من جملة ما كان احترق من الباطلية فى ايام الملك الظاهر بيبرس كما تقدّم فى ذكر حارة الباطلية عند ذكر الحارات من هذا الكتاب ولما مات المقدم بهادر استقرت من بعده منزلا لامراء الدولة وهى باقية على ذلك الى يومنا هذا * (دار الست شقراء) هذه الدار من جملة حارة كتامة وهى اليوم بالقرب من مدرسة الوزير الصاحب كريم الدين ابن غنام بجوار حمام كراى وهى من الدور الجليلة عرفت بخوند الست شقراء ابنة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وتزوجها الامير روس ثم انحط قدرها واتضعت فى نفسها الى ان ماتت فى يوم الثلاثا ثامن عشرى جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وسبعمائة * (دار ابن عنان) هذه الدار بخط الجامع الازهر انشأها نور الدين على بن عنان التاجر بقيسارية جهاركس من القاهرة وتاجر الخاص الشريف السلطانى فى ايام الملك الاشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون كان ذا ثروة ونعمة كبيرة ومال متسع فلما زالت دولة الاشرف اجمع وداخله وهم أظهر فاقة وتذكر انه دفن مبلغا كبيرا من الالف مثقال ذهب فى هذه الدار ولم يعلم به احد سوى زوجته ام اولاده فاتفق انه مرض وخرس ومرضت زوجته ايضا فمات يوم الجمعة ثامن عشر شوّال سنة تسع وثمانين وسبعمائة وماتت زوجته ايضا فأسف اولاده على فقد ماله وحفروا مواضع من هذه الدار فلم يظفروا بشئ البتة وأقامت مدة بأيديهم وهى من وقف ابيهم ومات ولده شمس الدين محمد بن على بن عنان يوم السبت تاسع صفر سنة ثلاث وثمانمائة ثم باعوها سنة سبع عشرة وثمانمائة كما بيع غيرها من الاوقاف * (دار بهادر الاعسر) هذه الدار بخط بين السورين فيما بين سويقة المسعودى من القاهرة وبين الخليج الكبير الذى يعرف اليوم بخليج اللؤلؤة كان مكانها من جملة دار الذهب التى تقدّم ذكرها فى ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب والى يومنا هذا بجوار هذه الدار قبو فيما بينها وبين الخليج يعرف بقبو الذهب من جملة اقباء دار الذهب ويمر الناس من تحت هذا القبو * بهادر هذا هو الامير سيف الدين بهادر الاعسر اليحياوى كان مشرفا بمطبخ الامير سيف الدين بجا الامير شكار ثم صار زردكاش الامير الكبير يلبغا الخاصكى وولى بعد ذلك مهمندار السلطان بدار الضيافة وولى وظيفة شد الدواوين الى ان قدم الامير يلبغا الناصرى نائب حلب بعساكر الشام الى مصر وأزال دولة الملك الظاهر برقوق فى جمادى سنة احدى وتسعين وسبعمائة قبض عليه ونفاه من القاهرة الى غزة ثم عاد بعد ذلك الى القاهرة وأقام بها الى ان مات بهذه الدار فى يوم عيد الفطر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وحصرت تركته فكان فيها عدة كتب فى انواع من العلوم وهذه الدار باقية الى يومنا هذا وعلى بابها بئر بجانبها حوض

الا لشرب الدواب منه * (دار ابن رجب) هذه الدار من جملة اراضى البستان الذى يقال له اليوم الكافورى كان اصطبلا للامير علاء الدين على بن كلفت التركمانى شاد الدواوين فيما بين داره ودار الامير تنكز نائب الشام فلما استقر ناصر الدين محمد بن رجب فى الوزارة انشأ هذا الاصطبل مقعدا صار يجلس فيه وقصرا كبيرا واستولى من بعده على ذلك كله اولاده فلما عمر الامير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته بخط رحبة باب العيد اخذ هذا القصر والاصطبل فى جملة ما اخذ من املاك الناس وأوقافهم فلما قتله الملك الناصر فرج واستولى على جميع ما خلفه افرد هذا القصر والاصطبل فيما افرده للمدرسة المذكورة فلم يزل من جملة اوقافها الى ان قتل الملك الناصر فرج وقدم الامير شيخ نائب الشام الى مصر فلما جلس على تخت الملك وتلقب بالملك المؤيد فى غرة شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وقف اليه من بقى من اولاد علاء الدين على ابن كلفت وهما امرأتان كانت احداهما تحت الملك المؤيد قبل ان يلى نيابة طرابلس وهو من جملة امراء مصر فى ايام الملك الظاهر برقوق وذكرتا ان الامير جمال الدين الاستادار أخذ وقف ابيهما بغير حق وأخرجتا كتاب وقف ابيهما ففوض امر ذلك لقاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان ابن نصير البلقينى الشافعى فلم يجد بيد اولاد جمال الدين مستندا فقضى بهذا المكان لورثة ابن كلفت وبنائه على ما وقفه حسبما تضمنه كتاب وقفه فتسلم مستحقوا وقف بن كلفت القصر والاصطبل وهو الآن بأيديهم وبينهم وبين اولاد ابن رجب نزاع فى القصر فقط * (محمد بن رجب) ابن محمد بن كلفت الامير الوزير ناصر الدين نشا بالقاهرة على طريقة مشكورة فلما استقر ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى شاد الدواوين بعد انتقال الامير جمال الدين محمود بن على من شد الدواوين الى استادارية السلطان فى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة اقام ابن رجب هذا استادارا عند الامير سودون باق وكانت اول مباشراته ثم ولى شد الدواوين بعد الامير ناصر الدين محمد بن اقبغا آص فى سابع عشرى ذى الحجة وعوض فى شد الدواوين بشد دواليب الخاص عوضا عن خاله الامير ناصر الدين محمد بن الحسام عند انتقاله الى الوزارة فلم يزل الى ان توجه الملك الظاهر برقوق الى الشام وأقام الامير محمود الاستادار فقدم عليه ابن رجب بكتاب السلطان وهو مختوم فاذا فيه أن يقبض على ابن رجب ويلزمه بحمل مبلغ مائة وستين ألف درهم نقرة فقبض عليه فى رابع شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وأخذ منه مبلغ سبعين ألف درهم نقرة فلما كان فى يوم الاثنين رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين صرف السلطان عن الوزارة الصاحب موفق الدين ابا الفرج واستقر بابن رجب فى منصب الوزارة وخلع عليه فلم يغير زى الامراء وباشر الوزارة على قالب ضخم وناموس مهاب وصار أميرا وزيرا مدبر الممالك وسلك سيرة خاله الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام فى استخدام كل من باشر الوزارة فأقام الصاحب سعد الدين ابن نصر الله ابن البقرى ناظر الدولة والصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام ناظر البيوت والصاحب علم الدين عبد الوهاب سن ابرة مستوفى الدولة والصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن ابى شاكر رفيقا له فى استيفاء الدولة وأنعم عليه بامرة عشرين فارسا فى سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين فلم يزل على ذلك الى ان مات من مرض طويل فى يوم الجمعة لاربع بقين من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وهو وزير من غير نكبة فكانت جنازته من الجنائز المذكورة وقد ذكرته فى كتاب درر العقود الفريدة فى تراجم الاعيان المفيدة * (دار القليجى) هذه الدار من جملة خط قصر بشتاك كانت اولا من بعض دور القصر الكبير الشرقى الذى تقدم ذكره عند ذكر قصور الخلفاء ثم عرفت بدار جمال الكفاة وهو القاضى جمال الدين ابراهيم المعروف بجمال الكفاة ابن خالة النشو ناظر الخاص كان اولا من جملة الكتاب النصارى فأسلم وخدم فى بستان الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى كان مبدأنا للملك الظاهر بيبرس بأرض اللوق ثم خدم فى ديوان الامير بيدمر البدرى فلما عرض السلطان دواوين الامراء واختار منهم جماعة كان من جملة من اختاره السلطان جمال الكفاة هذا فجعله مستوفيا الى ان مات المهذب كاتب الامير بكتمر الساقى فولاه السلطان مكانه فى ديوان الامير بكتمر فخدمه الى ان مات فخدم بديوان الامير بشتاك الى ان قبض الملك الناصر على النشو ناظر الخاص ولاه وظيفة نظر الخاص بعد النشو ثم اضاف اليه وظيفة نظر الجيش بعد المكين بن قزوينة عند غضبه عليه ومصادرته فباشر الوظيفتين الى ان مات الملك الناصر فاستمر فى ايام الملك المنصور ابى بكر والملك الاشرف كجك والملك الناصر أحمد فلما ولى

الملك الصالح اسمعيل جعله مشير الدولة مع ما بيده من نظر الخاص والجيش وكان الوزير اذذاك الامير نجم الدين محمود وزير بغداد وكتب له توقيع باستقراره فى وظيفة الاشارة فعظم امره وكثر حساده الى ان قبض عليه وضرب بالمقارع وخنق ليلة الاحد سادس شهر ربيع الاوّل سنة خمس واربعين وسبعمائة ودفن بجوار زاوية ابن عبود من القرافة وكانت مدة نظره فى الخاص خمس سنين وشهرين تنقص اياما وكان مليح الوجه حسن العبارة كثير التصرّف ذكيا يعرف باللسان التركى ويتكلم به ويعرف باللسان النوبى والتكرورى ولم تزل هذه الدار بغير تكملة الى ان ترأس القاضى شمس الدين محمد بن احمد القليجى الحنفى كان اوّلا يكتب على مبيضة الغزل وهى يومئذ مضمنة لديوان السلطان ثم اتصل بقاضى القضاة سراج الدين عمر بن اسحاق الهندى وخدمه فرفع من شأنه واستنابه فى الحكم فعيب ذلك على الهندى وقال فيه شمس الدين محمد بن محمد الصائغ الحنفى

ولما رأينا كاتب المكس قاضيا * علمنا بان الدهر عاد الى ورا

فقلت لصحبى ليس هذا تعجبا * وهل يجلب الهندى شيأ سوى الخرا

وولى افتاء دار العدل وناب عن القضاة فى الحكم بعد مباشرة توقيع الحكم عدة سنين فعظم ذكره وبعد صيته وصار يتوسط بين القضاة والامراء فى حوائجهم ويخدم اهل الدولة فيما بين لهم من الامور الشرعية فصار كثير من امور القضاة لا يقوم به غيره حتى لقد كان شيخنا الاستاذ قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن ابن خلدون يسميه دريد بن الصمة يعنى انه صاحب رأى القضاة كما ان دريد ابن الصمة كان صاحب رأى هوازن يوم حنين سرّه بذلك فلما تخم امره اخذ هذه الدار وقد تم بناء جدرانها فرخمها وزخرفها وبيضها فجاءت فى اعظم قالب واحسن هندام وابهج زى وسكنها الى ان مات يوم الثلاثا لعشرين من شهر رجب سنة سبع وتسعين وسبعمائة بعد ما وقفها فاستمرت فى يد أولاده مدة الى ان اخذها الامير جمال الدين يوسف الاستادار كما اخذ غيرها من الدور * (دار بهادر المعزى) هذه الدار بدرب راشد المجاور لخزانة البنود من القاهرة عمرها الامير سيف الدين بهادر المعزى كان اصله من اولاد مدينة حلب من ابناء التركمان واشتراه الملك المنصور لاجين قبل ان يلى سلطنة مصر وهو فى نيابة السلطنة بدمشق فترقى حتى صار أحد أمراء الالوف الى ان مات فى يوم الجمعة تاسع شعبان سنة تسع وثلاثين وسبعمائة عن ابنتين احداهما تحت الامير أسد مر المعزى والاخرى تحت مملوكه اقتمر وترك مالا كثيرا منه ثلاثة عشر ألف دينار وستمائة ألف درهم نقرة وأربعمائة فرس وثلثمائة جمل ومبلغ خمسين ألف اردب غلة وثمان حوايص ذهب وثلاث كلوتات زركش واثنى عشر طراز زركش وعقارا كثيرا فأخذ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جميع ما خلفه وكان جميل الصورة معروفا بالفروسية ورمى فى القبق النشاب بيمينه ويساره ولعب الرمح لعبا جيدا وكان لين الجانب حلو الكلام جميل العشرة الا انه كان مقترا على نفسه فى مأكله وسائر أحواله لكثرة شحه بحيث انه اعتقل مرّة فجمع من راتبه الذى كان يجرى عليه وهو فى السجن مبلغ اثنى عشر ألف درهم نقرة اخرجها معه من الاعتقال * (دار طينال) هذه الدار بخط الخراطين فى داخل الدرب الذى كان يعرف بخربة صالح كان موضعها وما حولها فى الدولة الفاطمية مارستانا وأنشأ هذه الدار الامير طينال احد مماليك الناصر محمد بن قلاوون اقامه ساقيا ثم عمله حاجبا صغيرا ثم اعطاه امرة دكتمر وجعله امير مائة مقدم ألف فباشر ذلك مدة ثم اخرجه لنيابة طرابلس فأقام بها زمانا ثم نقله الى نيابة صفد فمات بها فى ثالث شهر ربيع سنة ثلاث واربعين وسبعمائة وكان تترى الجنس قصيرا الى الغاية مليح الوجه مشكورا فى احكامه محبا لجمع المال شحيحا وهذه الدار تشتمل على قاعتين متجاورتين وهى من الدور الجليلة ولطينال ايضا قيسارية بسويقة امير الجيوش * (دار الهرماس) هذه الدار كانت بجوار الجامع الحاكمى من قبليه شارعة فى رحبة الجامع على يسرة من يمرّ الى باب النصر عمرها الشيخ قطب الدين محمد بن المقدسى المعروف بالهرماس وسكنها مدة وكان اثيرا عند السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون وله فيه اعتقاد كبير فعظم عند الناس قدره واشتهر فيما بينهم ذكره الى ان دبت بينه وبين الشيخ شمس الدين محمد بن النقاش عقارب الحسد فسعى به عند السلطان الى ان تغير عليه وأبعده ثم ركب فى يوم سنة احدى وستين وسبعمائة من قلعة الجبل بعساكره الى باب زويلة فعند ما وصل اليه ترجل الامراء كلهم عن خيولهم ودخلوا مشاة من باب زويلة كما هى العادة وصار السلطان راكبا بمفرده وابن النقاش ايضا راكب بجانبه وسائر الامراء والمماليك مشاة فى ركابه على ترتيبهم

الى ان وصل السلطان الى المارستان المنصورى بين القصرين فنزل اليه ودخل القبة وزار قبر أبيه وجده واخوته وجلس وقد حضر هنالك مشايخ العلم والقضاة فتذاكروا بين يديه مسائل علمية ثم قام الى النظر فى امور المرضى بالمارستان فدار عليهم حتى انتهى غرضه من ذلك وخرج فركب وسار نحو باب النصر والناس مشاة فى ركابه الا ابن النقاش فانه راكب بجانبه الى ان وصل الى رحبة الجامع الحاكمى فوقف تجاه دار الهرماس وامر بهدمها فهدمت وهو واقف وقبض على الهرماس وابنه وضرب بالمقارع عدة شيوب ونفى من القاهرة الى مصياف فقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى فى ذلك

قد ذاق هرماس الخساره * من بعد عز وجساره
* حسب البهتان يبقى * اخرب الله دياره *

فلما قتل السلطان فى سنة اثنين وستين عاد الهرماس الى القاهرة وأعاد بعض داره فلما كانت سنة ثمانين وسبعمائة صارت هذه الدار الى الامير جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب فانشأها قاعة وعدة حوانيت وربعا علو ذلك وانتقل من بعده الى اولاده وهو بأيديهم الى اليوم *(دار أوحد الدين) هذه الدار بداخل درب السلامى فى رحبة باب العيد مقابل قصر الشوك والى جانب المارستان العتيق الصلاحى كان موضعها من حقوق القصر الكبير وصار اخيرا طاحونا فهدمها القاضى اوحد الدين عبد الواحد أيام كان يباشر توقيع الامير الكبير برقوق بعد سنة ثمانين وسبعمائة فلما حفر أساس هذه الدار وجد فيه هيئة قبة معقودة من لبن وفى داخلها انسان ميت قد بليت اكفانه وصار عظما نخرا وهو فى غاية طول القامة يكون قدر خمسة اذرع وعظام ساقيه خلاف ما عهد من الكبر ودماغه عظيم جدا فلما كملت هذه الدار سكنها ايام مباشرته وظيفة كتابة السر الى أن مات بها وقد حبسها على اولاده فاستمرت بايديهم الى ان اخذها منهم الامير جمال الدين يوسف الاستادار كما اخذ غيرها من الاوقاف فاستمرت فى جملة ما بيده الى ان قتله الملك الناصر فرج فقبضها فيما قبض مما خلفه جمال الدين فلما قتل الملك الناصر فرج واستقل الملك المؤيد شيخ بمملكة مصر استرجع اولاد جمال الدين ما كان اخذه الناصر من املاك جمال الدين وصارت بأيديهم الى ان وقف له اولاد أوحد الدين فى طلب دار أبيهم فعقد لذلك مجلس اجتمع فيه القضاة فتبين أن الحق بيد أولاد اوحد الدين فقضى باعادة الدار الى ما وقفها عليه اوحد الدين فتسلمها اولاد أوحد الدين من ورثة جمال الدين وهى الآن بايديهم *(عبد الواحد بن اسماعيل بن ياسين الحنفى) اوحد الدين كاتب السر ولد بالقاهرة ونشأ بها فى كنف قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن على التركمانى الحنفى لصهارة كانت بين ابيه وبين التركمانية وباشر توقيع الحكم مدة واتفق ان اميرا من امراء الملك الاشرف شعبان بن حسين يعرف بيونس الرماح مات فادعى برقوق العثمانى احد المماليك اليلبغاوية انه ابن عم يونس هذا وأنه يستحق ارثه لموته عن غير ولد وحضر الى المدرسة الصالحية بين القصرين حيث يجلس القضاة للحكم بين الناس حتى يثبت ما ادعاه فلما اراد الله من اسعاد جد أوحد الدين لم يقف برقوق على احد من موقعى الحكم الا عليه وأخبره بما يريد فبادر الى تزريق سؤال باسم برقوق وانهائه انه ابن عم يونس الرماح وان عنده بينة تشهد بذلك ودخل بهذا السؤال الى قاضى القضاة وأنهى العمل حتى ثبت ان برقوق ابن عم يونس يستحق ارثه فلما فرغ من ذلك دفع برقوق الى اوحد الدين مبلغ دراهم اجرة تزريقه كما هى عادة اهل مصر فى هذا فامتنع من اخذها وألحف برقوق فى سؤاله وهو يمتنع فتقلد له برقوق المنة بذلك واعتقد أمانته وخيره وصار لكثرة ركونه اليه اذا قدم فلاحوا اقطاعه يبعثهم اليه حتى يحاسبهم عما حملوه من الخراج فلما قتل الملك الاشرف وثارت المماليك وكان من امرهم ما كان الى ان تغلب برقوق وصار من جملة الامراء واستولى على الاصطبل السلطانى فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة وصار اميرا خور أقام اوحد الدين موقعا عنده ومازال امر برقوق يزداد قوة حتى انيطت به امور المملكة كلها فصار أوحد الدين صاحب الحل والعقد وكاتب السر بدر الدين محمد بن على بن فضل الله اسما لا معنى له الى ان جلس الامير برقوق على تخت المملكة فى شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة فقرر القاضى اوحد الدين فى وظيفة كتابة السر عوضا عن ابن فضل الله وخلع عليه فى يوم السبت ثانى عشر شوال من السنة المذكورة فباشر كتابة السر على القالب الجائز وضبط الامور أحسن ضبط وعكف سائر الناس على بابه لتمكنه من سلطانه وكان الامير يونس الدوادار يرى انه اكثر الناس من الامراء تمكينا من السلطان وجرت العادة

بانتماء كاتب السر الى الدوادار فأحب اوحد الدين الاستبداد على الامير يونس الدوادار فقال للسلطان سرا في غيبة يونس ان السلطان يرسم بكتابة مهمات الدولة واسرار المملكة الى البلاد الشامية وغيرها والامير الدوادار يريد من المملوك ان يطلع على ذلك فلم يقدر المملوك على مخالفته ولا امكنه اعلامه الا باذن فأنف السلطان من ذلك وقال الحذر أن يطلع على شئ من مهمات السلطان او أسراره فقال اخاف منه ان سأل ولم اعلمه فقال السلطان ماعليك منه فرأى انه قد تمكن حينئذ فأمسك اياما ثم اراد الازدياد من الاستبداد فقال للسلطان سرا قد رسم السلطان ان لا يطلع احد على سر السلطان ولا يعرف بما يكتب من المهمات وطائفة البريدية كلهم يمشون فى خدمة الدوادار فاذا اقتضت آراء السلطان تسفير أحد منهم فى مهم يحتاج المملوك الى استدعائه من خدمة الامير الدوادار فاذا التمس منى ان اخبره بالمعنى الذى توجه فيه البريدى لا اقدر على اعلامه بذلك ولا آمن ان كتمته وانصرف فلما كان من الغد وطلع الامراء الى الخدمة على العادة قال السلطان للامير يونس الدوادار أرسل البريدية كلهم الى كاتب السر ليمشوا ويركبوا معه فلم يجد بدا من ارسالهم وحصل عنده من ارسالهم المقيم المقعد فصار البريدية يركبون نوبا فى خدمة اوحد الدين ويتصرف فى امور الدولة وحده مع سلطانه فانفرد بالكلمة وخضع له الخاص والعام الا انه نغص عليه فى نفسه ومرض مرضا طويلا سقطت معه شهوة الطعام بحيث انه لم يكن يشتهى شيأ من الغذا وتنوع له المأكل بين يديه لكى تميل نفسه الى شئ منها ومتى تناول غذاء تقيأه فى الحال ومازال على ذلك الى ان مات عن سبع وثلاثين سنة فى يوم السبت ثانى ذى الحجة سنة ست وثمانين وسبعمائة ودفن خارج باب النصر فلم يتأخر أحد من الامراء والاعيان عن جنازته وكان حسن السياسة رضى الخلق عاقلا كثير السكون جيد السيرة جميل الصورة حسن الهيئة عارفا بأمر دنياه محبا للمداراة صاحب باطن قليل العلم رحمه الله *(ربع الزيتى) هذا الربع كان بجوار قنطرة الحاجب التى على الخليج الناصرى وكان يشتمل على عدة مساكن ينزلها اهل الخلاعة للقصف فانه كان يشرف من جهاته لاربع على رياض وبساتين ففى شرقيه غيط الزيتى وقد خرب وموضعه اليوم بركة ماء وفى غربيه غيط الحاجب بيبرس وأدركته عامرا وهو اليوم مزارع بعدما كان له باب كبير بجانبه حوض ماء للسبيل وعليه سياج من طين دائر به ومن قبلى هذا الربع الخليج وقنطرة الحاجب والجنينة التى بارض الطبالة ومن بحريه بساتين تتصل بالبعل وكوم الريش ومازال هذا الربع معمورا باللذات آهلا بكثرة المسرات الى ان كانت سنة الغرقة وهى سنة خمس وخمسين وسبعمائة فخربت دور كوم الريش وغيرها ووصل ماء النيل الى قنطرة الحاجب فخرب ربع الزيتى واهمل امره حتى صار كوما عظيما تجاه قنطرة الحاجب وغيط الحاجب وسمعت من ادركته يخبر عن هذا الربع بعجائب من الملاذ التى كانت فيه وكانت العامة تقول فى هزلها سىّ ابن كنى وابن رحى وابن جيتى قالت من ربع الزيتى

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم احلام

*(الدار التى فى اول البرقية من القاهرة التى حيطانها حجارة بيض منحوتة) هذه الدار بقى منها جدار على يمين من سلك من المشهد الحسينى يريد باب البرقية وبقى منها ايضا جدار على يمين من سلك من رحبة الايدمرى الى باب البرقية وهى دار الامير صبيح بن شاهنشاه احد أمراء الدولة الفاطمية فى ايام الصالح طلائع بن رزيك وكانت فى غاية الكبر والتحسين قال بعض اصحاب الصالح يامولانا أبقاك الله حتى تتم دار ابن شاهنشاه وكان الضرغام قبل ان يلى وزارة مصر قد فرس العادل اباشجاع رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك فظهر منه فارسا فى غاية الفروسية بحيث انه قد حضر فى يوم عيد الحلقه وأخذ رمحا وحربة وقوسا وسهما فأخذ الحلقه بالرمح ورمى بالسهم فأصاب الغرض وحذف بالحربة فأثبتها فى المرمى ولعب بالرمح فى غاية الحسن ثم دخل صبيح ابن شاهنشاه فعمل مثل ذلك فتحرك الضرغام وكان يلبس عمامة بعذبة واكمام واسعة على زى المصريين يومئذ فتلثم بعذبته ولف اكمامه وأخذ رمحه ولعب به فى غاية الحسن وطرد كذلك ودخل فى الحلقة وأخذها فتعجب منه كل من فى العسكر فأخذ عند ذلك الامير صبيح ابن شاهنشاه المخرة واتى اليه وقال يامولاى كفاك الله امر العين فان هذا شئ ما يقدر عليه احد وجعل يدور حول فرسه ويبخره والضرغام يتبسم ويعجبه ذلك وبعد هذا كان قتل ابن شاهنشاه على يده فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ولم تكمل هذه الدار *(دار ألتمر) هذه الدار بمدينة مصر من خارجها فيما انحسر

عنه

عنه ماء النيل بعد الخمسمائة من سنى الهجرة وتعرف اليوم بصناعة التمر تجاه الصاغة بخط سوق المعاريج ومن جملتها بيت برهان الدين ابراهيم الحلى ومدرسته وهذه الدار وقفها القاضى عبد الرحيم بن على البيسانى على فكاك الاسرى من المسلمين ببلاد الفرنج * قال القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى كتاب الدر النظيم فى اوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم ومن جملة حسناته دار التمر بمصر المحروسة ولها دخل عظيم يجمع ويشترى به الاسرى من بلاد الفرنج وذلك مستمر الى هذا الوقت وفى كل وقت يحضر بالاسارى فيلبسون ويطوفون ويدعون له ومعهم مرارا يقولون يا الله يارحمن يارحيم ارحم القاضى الفاضل عبد الرحيم وقال القاضى جمال الدين بن شيث كان للقاضى الفاضل ربع عظيم يؤجره بمبلغ كبير فلما عزم على الحج ركب ومر به ووقف عليه وقال اللهم انك تعلم ان هذا الخان ليس شئ احب الى منه اوقال اعز على منه اللهم فاشهد انى وقفته على فكاك الاسرى من بلاد الفرنج وقال ابن المتوج ومن جملة الاوقاف الوقف الفاضلى وهو الدار المشهورة بصناعة التمر الوقف على فكاك الاسرى من يد العدو المشتملة على مخازن واخصاص وشون ومنازل علوية وحوانيت بجوارها وظاهرها وهى اثنا عشر حانوتا وخمسة مقاعد وثمانية وخمسون مخزنا وخمسة عشر خصا وست قاعات وساحة وست شون وخمسة وسبعون منزلا وخمسة مقاعد علوية الاجرة عن ذلك جميعه الى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وستمائة فى كل شهر ألف ومائة وست وثلاثون درهما نقرة واستجد بها القاضى جمال الدين الوجيزى خليفة الحكم بمصر حين كان ينظر فى الاوقاف دارا من ريع الوقف فأكلها البحر فامر ببناء زريبة أمامها من مال الوقف * (عمارة ام السلطان) هذه العمارة من جملة المنحر كانت دارا تعرف بالامير جمال الدين ايدغدى العزيزى ولها باب من الدرب الاصفر الذى هو الآن تجاه خانقاه بيبرس وباب من المحاريين تجاه الجامع الاقمر عرفت هذه الدار بالامير مظفر الدين موسى الصالح على ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفى ثم خربت فانشأتها خوند أم الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وجعلت منها قيسارية بخط الركن المخلق يباع بها الجلود وبعلوها ربع جليل لسكن العامة يشتمل على عدة طباق ووقفت ذلك على مدرستها بخط التبانة خارج باب زويلة فلم تزل جارية فى وقفها الى ان اغتصبها الوزير الامير جمال الدين يوسف الاستادار فيما اخذ من الاوقاف وجعلها وقفا على مدرسته بخط رحبة باب العيد من القاهرة وجعلت خوند بركة من جملة هذه الدار قاعة لم يعمر فيها سوى بوابتها لا غير وهى اجل بوابات الدور وقد دخلت ايضا فيما اخذه جمال الدين وصارت بيد مباشرى مدرسته الى ان اخذها السلطان الملك الاشرف ابو العز برسباى الدقماقى الظاهرى وابتدأ بعملها وكالة فى شوال سنة خمس وعشرين وثمانمائة فكملت فى رجب سنة ست وعشرين وغير من الطراز المنقوش فى الحجارة بجانبى باب الدخول اسم شعبان بن حسين وكتب برسباى فجاءت من احسن المبانى وبعلوها طباق للسكنى ولم يسخر فى عمارتها احد من الناس كما احدثه ولاة السوء فى عمائرهم بل كان العمال من البنايين والفعلة ونحوهم يوفون اجورهم من غير عنف ولا عسف فانه كان القائم على عمارتها القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش وهذه عادته فى اعماله ان لا يكلف فيها العمال غير طاقتهم ويدفع اليهم اجورهم والله اعلم

* (ذكر الحمامات) *

قال ابن سيده الحمام والحميم والحمة جميعا الماء الحار والحمة ايضا المخض اذا سخن وقد أحمه وحمه وكل ما سخن فقد حم قال ابن الاعرابى والحمائم جمع الحميم الذى هو الماء الحار وهذا اخطأ لان فعيلا لا يجمع على فعائل وانما هو جمع الحمة الذى هو الماء الحار لغة فى الحميم مذكر وهو أحد ما جاء من الاسماء على فعال نحو القذاف والجبان والجمع حمامات قال سيبويه جمعوه بالالف والتاء وان كان مذكرا حيث لم يكسر جعلوا ذلك عوضا من التكسير والاستحمام الاغتسال بالماء الحار وقيل هو الاغتسال بأى ما كان والحميم العرق واستحم الرجل عرق واما قولهم لداخل الحمام اذا خرج طاب حميمك فقد يعنى به العرق اى طاب عرقك واذا دعى له بطيب العرق فقد دعى له بالصحة لان الصحيح يطيب عرقه وروى عن سفيان الثورى انه قال ما درهم ينفقه المؤمن هو فيه اعظم اجرا من درهم صاحب حمام ليخليه له وقال محمد بن اسحاق فى كتاب المبتدى ان اول من اتخذ الحمامات والطلاء بالنورة سليمان ابن داود عليهما السلام وأنه لما دخل ووجد حميمه قال اواه من عذاب الله اواه * وذكر المسبحى فى تاريخه

بالله نزار بن المعز لدين الله اول من بنى الحمامات بالقاهرة وذكر الشريف اسعد الجوّانى عن القاضى القضاعى
انه كان فى مصر الفسطاط ألف ومائة وسبعون حماما وقال ابن المتوّج ان عدّة حمامات مصر فى زمنه بضع
وسبعون حماما وذكر ابن عبد الظاهر أن عدّة حمامات القاهرة الى آخر سنة خمس وثمانين وستمائة تقرب من
ثمانين حماما واقل ما كانت الحمامات ببغداد فى ايام الخليفة الناصر احمد بن المستنصر نحو الالفى حمام * (حمامى
السيدة العمة) قال ابن عبد الظاهر حمامى الكافى يعرفان بحمامى السيدة العمة وانتقلتا الى الكامل بن شاور
ثم الى ورثة الشريف ابن ثعلب وهما الآن بأيديهم ولا تدور الا الواحدة وهاتان الحمامان كانتا على يمنة من
يدخل من اوّل حارة الروم تجاه ربع الحاجب لؤلؤ المعروف الان بربع الزياتين علو الفندق الذى بابه بسوق
الشوّايين وكانت احداهما برسم الرجال والاخرى برسم النساء وقد خربتا ولم يبق لهما اثر ألبتة * (حمام الساباط)
قال ابن عبد الظاهر كان فى القصر الصغير باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة فى العيد يخرج منه الى الميدان
وهو الخرشتف الآن الى المنحر لينحر فيه الضحايا قلت حمام الساباط هذا يعرف فى زمننا بحمام المارستان
المنصورى وهو برسم دخول النساء عند باب سرّ المارستان المنصورى وهذا الحمام هو حمام القصر الصغير الغربى
ويعرف ايضا بحمام الصنيمة فلما زالت دولة الخلفاء الفاطميين من القاهرة باعها القاضى مؤيد الدين ابو المنصور
محمد بن المنذر بن محمد العدل الانصارىّ الشافعىّ وكيل بيت المال فى ايام الملك العزيز عثمان بن صلاح
الدين يوسف بن ايوب للامير عز الدين ايبك العزيزىّ هى وساحات تحاذيها بألف ومائتى دينار فى ذى الحجة سنة
تسعين وخمسمائة ثم باعها الامير عز الدين ايبك للشيخ امين الدين قيماز بن عبد الله الحموىّ التاجر بألف وستمائة
دينار فورثها من بعده من استحق ارثه ثم اشترى من الورثة نصفها الامير الفارس صارم الدين خطلبا الكاملى
العادلى فى سنة سبع وثلاثين وستمائة وانتقلت ايضا منها حصة الى ملك الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى
الصالحى النجمى استادار الملك الظاهر بيبرس فى سنة ثمان وسبعين وستمائة فلما تملك الملك المنصور قلاوون
الالفى وانشأ المارستان الكبير المنصورى صارت فيما هو موقوف عليه وهى الآن فى اوقافه ولها شهرة
فى حمامات القاهرة * (حمام لؤلؤ) هذه الحمام برأس رحبة الايدمرى ملاصقة لدار السنانى أنشأها الامير
حسام الدين لؤلؤ الحاجب فى ايام   * (حمام الصنيمة) هذه الحمام كانت بالقرب من خزانة البنود على
يسرة من سلك فى رحبة باب العيد الى قصر الشوك وقد خربت وعمل فى موضعها مبيضة للغزل بالقرب من
الجمالية * (حمام تتر) هذه الحمام كانت بخط دار الوزارة الكبرى وقد خربت وصار مكانها دارا عرفت بالامير الشيخ
على وهى الدار المجاورة للمدرسة النابلسية فى الزقاق المقابل للخانقاه الصلاحية سعيد السعداء * (وتتر هذا
بتاءين مفتوحتين كل منهما منقوط بنقطتين من فوق احد مماليك اسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين
يوسف بن ايوب أستولى على هذه الحمام وكانت معدّة لدار الوزارة فى مدّة الدولة الفاطمية فعرفت به وما حولها
والى الآن يعرف ذلك الخط بخط خرائب تتر والعامّة تقول خرائب التتر بالتعريف وهو خطأ * (حمام كرجى)
هذه الحمام كانت بخط خرائب تتر ايضا فى جوار المدرسة النابلسية تجاه باب الخانقاه الصلاحية عرفت بالامير
علم الدين كرجى الاسدىّ احد الامراء الاسدية فى ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وقد خربت هذه
الحمام وبنى فى مكانها هذا البناء الذى تجاه باب الخانقاه باوّل الزقاق * (حمام كتيلة) هذه الحمام كانت داخل
باب الخوخة برأس سويقة الصاحب عرفت اخيرا بالامير صارم الدين ساروج شاد الدواوين ثم خربت فى ايام
ومكانها الآن مسمط يذبح فيه الغنم وتسمط * (حمام ابن ابى الدم) هذه الحمام كانت فيما بين سويقة
المسعودى وباب الخوخة انشأها ابن ابى الدم اليهودى احد كتّاب الانشاء فى ايام الخليفة الحاكم وتولى ابن خيران
الديوان ونقل عنه انه وسع بين السطور فى كتاب كتبه الى الخليفة   وهذه مكاتبة الاعلى الى الادنى
فلما حضر وأنكر عليه ألحق بين السطر والسطر سطرا مناسبا للفظ والمعنى من غير ان يظهر ذلك فعفا عنه وقد خربت
وصار مكانها دربا فيه دور يعرف بسكن القاضى بدر الدين حسن البرديني احد خلفاء الحاكم العزيزى الشافعىّ
وادركت بعض آثار هذه الحمام * (حمام الحصينية) هذه الحمام كانت فى سويقة الصاحب من داخل درب
الحصينية الذى يعرف اليوم بدرب ابن عرب وقد خربت * (حمام الذهب) هذه الحمام كانت بدار الذهب
احد مناظر الخلفاء الفاطميين التى ذكرت فى المناظر من هذا الكتاب وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها اثر

* (حمام ابن قرقة) هذه الحمام كانت بخط سويقة المسعودى من حارة زويلة انشأها ابوسعيد بن قرقة الحكيم متولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح فى الدولة الفاطمية بجوار داره التى تقدمت فى الدور من هذا الكتاب ثم عرفت هذه الحمام فى الدولة الايوبية بالامير صارم الدين المسعودى والى القاهرة المنسوب اليه سويقة المسعودى المذكورة فى الاسواق من هذا الكتاب ثم خربت هذه الحمام وعمل فى موضعها فندق عرف اخيرا بفندق عمار الحاجى بجوار جامع ابن المغربى من جانبه الغربى واخذت بئر هذه الحمام فعملت للحمام التى تعرف اليوم بحمام السلطان * (حمام السلطان) هذه الحمام يتوصل اليها الآن من سويقة المسعودى ومن قنطرة الموسكى وهى من الحمامات القديمة عرفت فى الدولة الفاطمية بحمام الاوحد ثم عرفت فى الدولة الايوبية بحمام ابن يحيى وهو القاضى المفضل هبة الله بن يحيى العدل ثم عرفت بحمام العابيرسى ثم هى الآن تعرف بحمام السلطان * (حمام خوند) هذه الحمام بجوار رحبة خوند المذكورة فى الرحاب من هذا الكتاب وكانت برسم الدار التى تعرف الآن بدار خوند اردتكين ثم افردت وصارت الى الآن حماما يدخله عامة الرجال فى اوائل النهار ثم تعقبهم النساء من بعد الى ان هدمها الامير صلاح الدين محمد استادار السلطان ابن الامير الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فى شهر رجب سنة اربع وعشرين وثمانمائة وعمل موضعها من جملة داره التى هنالك * (حمام ابن عبود) هذه الحمام موضعها فيما بين اصطبل الجيرة المذكورة فى اصطبلات الخلفاء من هذا الكتاب وبين رأس حارة زويلة وهى من الحمامات القديمة عرفت بحمام الفلك وهو القاضى فلك الملك العادل ثم عرفت بالامير على بن ابى الفوارس ثم عرفت بابن عبود وهو الشيخ نجم الدين ابو على الحسين ابن محمد بن اسماعيل بن عبود القرشى الصوفى مات فى يوم الجمعة ثالث عشرى شوال سنة اثنين وعشرين وسبعمائة بعدما عظم قدره ونفذ فى ارباب الدولة نهيه وامره وهو صاحب الزاوية المعروفة بزاوية ابن عبود بلحف الجبل قريبا من الدينورى من القرافة فانظرها فى الزوايا من هذا الكتاب ولم تزل هذه الحمام جارية فى اوقاف التربة المذكورة الى أن تسلط الامير جمال الدين على اموال اهل مصر فاغتصب ابن اخته الامير شهاب الدين احمد المعروف بسيدى احمد ابن اخت جمال الدين هذه الحمام واغتصب دار ابن فضل الله التى تجاه هذه الحمام واغتصب آدرا أخر بجوارها وعمر هنالك دارا عظيمة كما تقدم ذكرها فى الدور من هذا الكتاب * (حمام الصاحب) هذه الحمام بسويقة الصاحب عرفت بالصاحب الوزير صفى الدين عبد الله بن شكر الدميرى صاحب المدرسة الصاحبية التى بسويقة الصاحب ثم تعطلت مدة سنين فلما ولى الامير تاج الدين الشوبكى ولاية القاهرة فى ايام الملك المؤيد شيخ جددها وأدار بها الماء فى سنة سبع عشرة وثمانمائة * (حمام السلطان) هذه الحمام كان موضعها قديما من جملة دار الديباج وهى الآن بخط بين العواميد من البندقانيين بجوار خوخة سوق الجوار ومدرسة سيف الاسلام انشأها الامير فخر الدين عثمان ابن قزل استادار السلطان الملك الكامل محمد ابن العادل ابى بكر بن ايوب وتنقلت الى ان صارت فى اوقاف الملك الناصر محمد بن قلاوون * (حماما طغريك) هاتان الحمامان بجوار فندق فخر الدين بالقرب من سويقة حارة الوزيرية انشأهما الامير حسام الدين طغريك المهرانى احد الامراء الايوبية * (حمام السوباشى) هذه الحمام كانت بدرب طلائع بخط الخروقيين الذى يعرف اليوم بسوق القرابين عرفت بالامير الفارس همام الدين ابو سعيد برغش السوباشى واسمه عمرو ابن كت بن شيرك العزيزى والى القاهرة * (حمام عجينه) هذه الحمام كانت بخط الاكفانيين انشأها الامير فخر الدين اخو الامير عز الدين موسك فى الدولة الايوبية وتنقلت حتى صارت بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى مما اوقف عليهم وعرفت اخيرا بحمام عجينة ثم خربت بعد سنة اربعين وسبعمائة وموضعها الآن خربة بجوار الفندق الكبير المعد لديوان المواريث * (حمام درى) هذه الحمام كانت بخط الاكفانيين الان عرفت بشهاب الدولة درى الصغير غلام المظفر ابن امير الجيوش قال الشريف محمد بن اسعد الجوانى فى كتاب النقط لمعجم ما اشكل من الخطط شهاب الدولة درى المعروف بالصغير المظفرى غلام المظفر امير الجيوش كان أرمنيا واسلم وكان من المشددين فى مذهب الامامية وقرأ الجمل فى النحو للزجاجى وكتاب اللمع لابن جنى وكانت له خرائط من القماش الابيض فى يديه ورجليه وكان يتولى خزائن الكسوة ولا يدخل على بسط السلطان ولا بسط الخليفة الحافظ لدين الله ولا يدخل مجلسه الا بتلك الخرائط فى رجليه ولا يأخذ من احد

شيأ الا وفى يديه خريطة يظن أن كل من لمسه نجسه وسوسة منه فاذا اتفق انه صافح احدا اومس رقعة بيده من غير خريطة لا يمس ثوبه بها ابدا حتى يغسلها فان لمس ثوبه بها غسل الثوب وكان الاستاذون المحنكون يرمون له فى بساط الخليفة الحافظ العنب فاذا مشى عليه وانفجر ووصل ماؤه الى رجليه سبهم وحرد فيعجب الخليفة من ذلك ويضحك ولا يؤاخذه بما صدر منه ومات بعد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها اثر يعرف *(حمام الرصاصى) هذه الحمام كانت بحارة الديلم انشأها الامير سيف الدين حسين ابن ابى الهيجاء المروانى حامل السيف المنصور وأوقفها هى وجميع الآدر المجاورة لها على اولاده وذريته فلما زالت الدولة الفاطمية عرفت بالامير عز الدين ايبك الرصاصى ولم تزل باقية الى بعد سنة اربعين وسبعمائة ثم خربت *(حمام الجيوشى) هذه الحمام كانت بحارة برجوان على يمنة من دخل من رأس الحارة وكانت من حقوق دار المظفر ابن امير الجيوش ثم صارت بعد زوال الدولة الفاطمية من جملة ما اوقفه الملك العادل ابو بكر ابن ايوب على رباطه الذى كان بخط النخالين من فسطاط مصر ثم وضع بنو الكويك اصهار قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة ايديهم عليها فى جملة ما وضعوا ايديهم عليه من الاوقاف بحارة ابن جماعة وانتفعوا بريعها مدة سنين ثم خربوها بعد سنة اربعين وسبعمائة وموضعها الآن بجوار دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى وبعضها داخل فى الدار المذكورة وبئرها بجوار القبو الذى يسلك من تحته الى حمام الرومى داخل حارة برجوان ويعلو هذا العقد حاصل الماء الذى للحمام ويمر على مجراه من حجرة مركبة على جدار بجوار القبو الى الحمام المذكورة وآثار هذا الجدار باقية الى اليوم وكان قد استأجر هذه البئر والقبو بعد تعطل الحمام القاضى ابو الفداء تاج الدين اسمعيل بن احمد بن الخطباء المخزومى من مباشرى اوقاف رباط العادل وبنى على البئر وبجوارها دارا سكنها مدة اعوام وأنشأ بابا على حاصل الماء المركب على القبو مشرفا عاليا تأنق فى ترخيمه ودهانه وكتب بدائره

مشترف كم شبهوه الادبا * لحسنه اذ جاء شيأ عجبا
فقال قوم قلعة مبنية * وآخرون شبهوه مرقبا
وشاعر أعجبه ترخيمه * فقال تلك روضة فوق الربا
وقائل ماذا ترى تشبيهه * فقلت هذا منبر ابن الخطبا

ثم خربت هذه الدار بعد موت ابن الخطباء واحترقت فى سنة تسع وثمانمائة وآثارها باقية وما زال ابن الخطباء يدفع حكر هذه البئر وهذا القبو لجهة الرباط العادلى حتى خرب وعفى اثره وجهل مكانه وقد رأيته فى سنة اربع وتسعين وسبعمائة عامرا *(حمام الرومى) هذه الحمام بجوار حارة برجوان عرفت بالامير سنقر الرومى الصالحى احد الامراء فى ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى انشأها بجوار اسطبله الذى يعرف اليوم باسطبل ابن الكويك وذلك تجاه رحبة داره التى عرفت بدار مازان ووقف هذه الدار والاسطبل والحمام المذكورة فى سنة اثنين وستين وستمائة فأما الدار فانها صارت اخيرا بيد رجل من عامة الناس يعرف بعيسى البنله فباعها لقاضى بعد ما خربها فى سنة سبع وثمانمائة لرجل من المباشرين فهدمها ليعمرها عمارة جليلة فلم يمهل وعاجله القضاء فمات وصارت خربة فابتاعها بعض الناس من ورثة المذكور وشرع فى عمارة شئ منها وأما الاصطبل والحمام فوضع بنو الكويك ايديهم عليهما مدة اعوام حتى صار املاكا لهم يورثان وهما الآن بيد شرف الدين محمد بن محمد بن الكويك وقد جعل ما يخصه من الحمام وقفا على نفسه ثم على اناس من بعده وفى هذه الحمام حصة ايضا وقفها شيخنا برهان الدين ابراهيم الشامى الضرير على امته وهى بيدها *(سنقر الرومى) الصالحى النجمى احد مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب البحرية ترقى عنده فى الخدم حتى صار جامدارا وكان من خوشداشية بيبرس البندقدارى وأصدقائه فلما قتل الفارس اقطاى فى ايام الملك المعز ايبك التركمانى وخرج البحرية من القاهرة الى بلاد الشام كان سنقر ممن خرج ورافق بيبرس وارتفق بصحبته ونال منه مالا وثيابا وغير ذلك وتنقل معه فى الكرك الى ان كان من امره فى الصدمع صاحب الكرك فطلب سنقر من بيبرس شيأ فلم يجبه وامتنع من اعطائه فحنق وفارقه الى مصر فأقام بها ثم ان بيبرس قدم الى مصر بعد ذلك وقد صار اميرا فلم يعبأ بسنقر به ولا قدم اليه شيأ كعادة الخوشداشية فلما صار الامر الى بيبرس وملك بعد قطز قدم سنقر واعطاه

الاقطاعات الجليلة ونوه بقدره فلم يرض فصار اذا ورد عليه الانعام السلطانى لا يأخذه بقبول ويخلو كل
وقت بجماعة بعد جماعة ويفرّق فيهم المال فيبلغ ذلك السلطان ويغضى عنه وربما بعث اليه وحذره مع الامير
قلاوون وغيره فلم ينته ثم انه قتل مملوكين من مماليكه بغير ذنب فعز قتلهما على السلطان فطلبه فى رابع عشرى
ذى الحجه سنة ثلاث وستين وستمائة واعتقله فقال اريد اعرف ذنبى فبعث اليه السلطان يعدد ذنوبه فتحسر وقال
آواه لو كنت حاضرا قتل الملك المظفر قطز حتى اعاند فى الذى جرى وكان كثيرا ما يقول ذلك وبلغ هذا القول
منه السلطان فى حال امرته فقال انت اخى وتحسر كونك ما قدرت ان تعين علىّ * (حماما سويد) هاتان
الحمامان بآخر سويقة امير الجيوش عرفتا بالامير عز الدين معالى بن سويد وقد خربت احداهما ويقال انها
غارت فى الارض وهلك فيها جماعة وبقيت الاخرى وهى الآن بيد الخليفة ابى الفضل العباس بن محمد المتوكل
* (حمام طغلق) هذه الحمام بجوار درب المنصورى من خط حارة الصالحية صارت اخيرا بيد ورثة الامير
قطلوبغا المنصورى حاجب الحجاب فى ايام الملك الاشرف شعبان بن حسين وكانت معدّة لدخول الرجال
ثم تعطلت بعد سنة تسعين وسبعمائة واخذ حاصلها واعهدى بها بعد سنة ثمانمائة اطلالا واهية * (حمام ابن
علكان) هذه الحمام كانت بحارة الجودرية انشأها الامير شجاع الدين عثمان بن علكان صهر الامير الكبير
فخر الدين عثمان بن قزل ثم انتقلت الى الامير علم الدين سنجر الصيرفى الصالحى النجمى ومازالت الى ان خربت
بعد سنة اربعين وسبعمائة فعمر مكانها الامير ازدمر الكاشف اسطبلا بعد سنة خمسين وسبعمائة * (حمام
الصاحب) هذه الحمام بخط طواحين الملحيين * (حمام كتبغا الاسدى) هذه الحمام موضعها الآن
المدرسة الناصرية بخط بين القصرين * (حمام ألتطمش خان) هذه الحمام كانت بجوار ميضاة الملك ركن الدين
الظاهر بيبرس المجاورة للمدرسة الظاهرية بخط بين القصرين انشاتها الخاتون التطمش خان زوجة الملك الظاهر
ركن الدين بيبرس ثم خربت وصار موضعها زقاقا فلما ولى كمال الدين عمر بن العديم قضاء القضاة الحنفية بالديار
المصرية فى سلطنة الملك الناصر فرج شرع فى عمارة هذا الزقاق فمات ولم يكمله فوضع الامير جمال الدين يده
فى العمارة وأنشأها فندقا جعله وقفا فيما وقف على مدرسته التى انشأها برحبة باب العيد فلما قتله الملك الناصر فرج
واستولى على جميع ما تركه جعل هذا الفندق من جملة ما ارصده للتربة التى انشأها على قبر ابيه الملك الظاهر
برقوق خارج باب النصر * (حمام القاضى) هذه الحمام من جملة خط درب الاسوانى وهى من الحمامات
القديمة كانت تعرف بانشاء شهاب الدولة بدر الخاص احد رجال الدولة الفاطمية ثم انتقلت الى ملك القاضى
السعيد أبى المعالى هبة الله بن فارس وصارت بعده الى ملك القاضى كمال الدين ابى حامد محمد ابن قاضى القضاة
صدر الدين عبد الملك بن درباس المارانى فعرفت بحمام القاضى الى اليوم ثم باع ورثة ابى حامد منها حصة
للامير عز الدين ايدمر الحلى نائب السلطنة فى ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وصارت منها حصة الى الامير
علاء الدين طيبرس الخازندارى فجعلها وقفا على مدرسته المجاورة للجامع الازهر * (حمام الخراطين)
هذه الحمام انشأها الامير نور الدين ابو الحسن على بن نجا بن راجح بن طلائع فعرفت بحمام ابن طلائع وكان
بجوارها حمام اخرى تعرف بحمام السوبانى فخربت ومستوقد حمام ابن طلائع هذه الى الآن من
درب ابن طلائع الشارع بسوق الفرّايين الآن ولها منه ايضا باب وصارت اخيرا فى وقف الامير علم الدين سنجر
السرورى المعروف بالخياط والى القاهرة وتوفى فى سنة ثمان وتسعين وستمائة فاغتصبها الامير جمال الدين
يوسف الاستادار فى جملة ما اغتصب من الاوقاف والاملاك وغيرها وجعلها وقفا على مدرسته برحبة باب العيد
وهى الآن موقوفة عليها * (حمام الخشيبة) هذه الحمام بجوار درب السلسلة كانت تعرف بحمام قوام
الدولة خبير ثم صارت حماما لدار الوزير المأمون ابن البطائحى فلما قتل الخليفة الآمر بأحكام الله وعملت خشيبة تمنع
الراكب ان يمرّ من تجاه المشهد الذى بنى هناك عرفت هذه الحمام بخشيبة تصغير خشبة وقد تقدّم ذلك مبسوطا
عند ذكر الاخطاط من هذا الكتاب قال ابن عبد الظاهر مدرسة السيوفيين وقفها الامير عز الدين فرج شاه على
الحنفية وكانت هذه الدار قديما تعرف بدار المأمون بن البطائحى وحمام الخشيبة كانت لها فبيعت وهذه الحمام
هى الآن فى اوقاف خوند طغاى ام انوك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على تربتها التى فى الصحراء خارج
باب البرقية * (حمام الكويك) هذه الحمام فيما بين حارة زويلة ودرب شمس الدولة انشأها الوزير عباس احد

وزراء الدولة الفاطمية لداره التى موضعها الآن درب شمس الدولة ثم جدّدها شخص من التجار يعرف بنور
الدين على بن محمد بن احمد بن محمود بن الكويك الربعى التكريتى فى سنة تسع واربعين وسبعمائة فعرفت به الى
اليوم *(حمام الجوينى) هذا الحمام بجوار حمام ابن الكويك فيما بينها وبين البندقانيين عرفت بالامير
عزالدين ابراهيم بن محمد ابن الجوينى والى القاهرة فى ايام الملك العادل ابى بكر ابن ايوب توفى سلخ جمادى الاولى
سنة احدى وستمائة فانه انشأها بجوار داره والعامة تقول حمام الجهنى بهاء وهو خطأ وتنقلت الى ان اشتراها
القاضى اوحد الدين عبد الواحد بن ياسين كاتب السر الشريف فى ايام الملك الظاهر برقوق بطريق الوكالة عن
الملك الظاهر وجعلها وقفا على مدرسته العظمى بخط بين القصرين وهى الآن فى جملة الموقوف عليها *(حمام
القفاصين) هذا الحمام بالقرب من رأس حارة الديلم انشأها نجم الدين يوسف ابن المجاور وزير الملك العزيز
عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب *(حمام الصغيرة) هذا الحمام على يمنة من سلك من رأس
حارة بهاء الدين وهى تجاه دار قراسنقر أنشأها الامير فخر الدين بن رسول التركمانى ورسول هذا جد ملوك اليمن
الآن وقد تعطلت هذه الحمام منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة *(حمام الاعسر) هذه الحمام
موضعها من جملة دار الوزارة وهى الآن بجوار باب الجوانية انشأها الامير شمس الدين سنقر المعزى الظاهرى
المنصورى *(سنقر الاعسر) كان احد مماليك الامير عزالدين ايدمر الظاهرى نائب الشام وجعله دواداره
فباشر الدوادارية لاستاذه بدمشق ونفسه تكبر عنها فلما عزل ايدمر من نيابة الشام فى ايام الملك المنصور قلاوون
وحضر الى قلعة الجبل اختار السلطان عدّة من مماليكه منهم سنقر الاعسر هذا فاشتراه وولاه نيابة الاستادارية
ثم سيره فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة الى دمشق وأعطاه امرة وولاه شدّ الدواوين بها واستادارا فصارت له
بالشام سمعة زائدة الى ان مات قلاوون وقام من بعده الاشرف خليل واستوزر الوزير شمس الدين السلعوس
طلب سنقر الى القاهرة وعاقبه وصادره فتوصل حتى تزوج بابنة الوزير على صداق مبلغه ألف وخمسمائة دينار
فأعاده الى حالته ولم يزل الى ان تسلطن الملك العادل كتبغا واستوزر الصاحب فخر الدين ابن خليل وقبض
على سنقر وعلى سيف الدين استدمر وصادرهما وأخذ من سنقر خمسمائة الف درهم وعزله عن شدّ الدواوين
وأحضره الى القاهرة فلما وثب الامير حسام الدين لاجين على كتبغا وتسلطن ولى سنقر الوزارة عوضا عن ابن
خليل فى جمادى الاولى سنة ست وتسعين وسبعمائة ثم قبض عليه فى ذى الحجة منها وذلك انه تعاظم فى وزارته
وقام بحق المنصب يريد ان يتشبه بالشجاعى وصار لا يقبل شفاعة احد من الامراء ويخرق بنوابهم وكان فى نفسه
متعاظما وعنده شمم الى الغاية مع سكون فى كلامه بحيث انه اذا فاوض السلطان فى مهمات الدولة كما هى عادة
الوزراء لا يجيب السلطان بجواب شاف وصار يتبين منه للسلطان قلة الاكتراث به فأخذ فى ذمه وعيبه بما عنده
من الكبر وصادفه الغرض من الامراء وشرعوا فى الحط عليه حتى صرف وقيد فأرسل يسأل السلطان عن
الذنب الذى اوجب هذه العقوبة فقال ماله عندى ذنب غير كبره فانى كنت اذا دخل الىّ احسب انه هو السلطان
وأنا الاعسر فصدره منقام وحديثى معه كأنى احدّث استاذى وقرر من بعده فى الوزارة ابن الخليلى
فلما قتل لاجين وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الملك ثانيا افرج عن سنقر الاعسر وعن جماعة من الامراء
وأعاد الاعسر الى الوزارة فى جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وفى وزارته هذه كانت هزيمة الملك
الناصر بعساكره من غازان فتولى ناصر الدين الشيخى والى القاهرة جباية الاموال من التجار وأرباب الاموال
لاجل النفقة على العساكر وقرر فى وزارته على كل اردب غلة خروبة اذا طلع الى الطحان وقرر ايضا نصف
السمسرة ومعناها انه كان للمنادى على الثياب اجرة دلالته على كل ما مبلغه مائة درهم درهمين فيؤخذ منه
درهم منهما ويفضل له درهم واستخدم على هاتين الجهتين نحو مائتين من الاجناد البطالين وتحصل فى بيت المال
من اموال المصادرات مبلغ عظيم ثم خرج الوزير بمائة من مماليك السلطان وتوجه الى بلاد الصعيد وقد
وقعت له فى النفوس مهابة عظيمة فكبس البلاد وأتلف كثيرا من المفسدين من اجل انه لما حصلت وقعة غازان
كثر طمع العربان فى المغل ومنعوا كثيرا من الخراج وعصوا الولاة وقطعوا الطريق ومازال يسير الى الاعمال
القوصية فلم يدع فرسا لفلاح ولا قاض ولا متعمم حتى اخذه وتتبع السلاح ثم حضر بالف وستين فرسا وثمانمائة
وسبعين جملا وألف وستمائة رمح وألف ومائتى سيف وتسعمائة درقة وستة آلاف رأس غنم وقتل عدة من

الناس فنهبت البلاد وقبض الناس مغلهم بتمامه واتفقت واقعة النصارى التى ذكرت عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب فى ايامه فأمر بالتاج ابن سعيد الدولة احد مستوفى الدولة وكان فيه زهو وحمق عظيم وله اختصاص بالامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى فعرى وضرب بالمقارع ضربا مبرحا فأظهر الاسلام وهو فى العقوبة فأمسك عنه وألزمه بحمل مال فالتجأ الى زاوية الشيخ نصر المنبجى وترامى على الشيخ فقام فى امره حتى عفى عنه فكره الامراء الاعسر لكثرة شممه وتعاظمه فكلموا الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى واليه امر الدولة فى ولاية الامير عز الدين ايبك البغدادى الوزارة وساعدهم على ذلك الامير سلار فولى الاعسر كشف القلاع الشامية واصلاح امورها وترتيب رجالها وسائر ما يحتاج اليه وخلع على الامير أيبك خلع الوزارة فى آخر سنة سبعمائة فلما عاد استقر أحد امراء الالوف وحج فى صحبة الامير سلار ومات بالقاهرة بعد أمراض فى سنة تسع وسبعمائة وكان عارفا خبيرا مهابا له سعادات طائلة ومكارم مشهورة ولحاشيته ثروة متسعة وغالب مماليكه تأمروا بعده وممن مدحه الوداعى وابن الوكيل * (حمام الحسام) هذا الحمام بداخل باب الجوانية * (حمام الصوفية) هذا الحمام بجوار الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء أنشاها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لصوفية الخانقاه وهى الى الآن جارية فى اوقافهم ولا يدخلها يهودى ولا نصرانى * (حمام بهادر) هذا الحمام موضعها من جملة القصر وهى بجوار دار برجى أنشأها الامير بهادر استادار الملك الظاهر برقوق وقد تعطلت * (حمام الدود) هذا الحمام خارج باب زويلة فى الشارع تجاه زقاق خان حلب بجوار حوض سعد الدين مسعود ابن هنس عرفت بالامير سيف الدين الدود الجاشنكيرى أحد امراء الملك المعز ايبك التركمانى وخال ولده الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز ايبك فلما وثب الامير سيف الدين قطز نائب السلطنة بديار مصر على الملك المنصور على بن الملك المعز أيبك واعتقله وجلس على سرير المملكة قبض على الامير الدود فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة واعتقله وهذا الحمام الى اليوم بيد ذرية الدود من قبل بناته موقوفة عليهم * (حمام ابن أبى الحوافر) هذا الحمام خارج مدينة مصر بجوار الجامع الجديد الناصرى كان موضعها وما حولها عامرا بماء النيل ثم انحسر عنه الماء وصار جزيرة فبنى الناس عليها بعد الخمسمائة من سنى الهجرة كما ذكر عند ذكر ساحل مصر من هذا الكتاب وعرفت هذه الحمام بالقاضى فتح الدين أبى العباس أحمد بن الشيخ جمال الدين أبى عمرو عثمان ابن هبة الله بن احمد بن عقيل بن محمد بن أبى الحوافر رئيس الاطباء بديار مصر ومات ليلة الخميس الرابع عشر من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة ودفن بالقرافة * (حمام قتال السبع) هذا الحمام خارج باب القوس من ظاهر القاهرة فى الشارع المسلوك فيه من باب زويلة الى صليبة جامع ابن طولون وموضعها اليوم بجوار جامع قوصون عمرها الامير جمال الدين اقوش المنصورى المعروف بقتال السبع الموصلى بجانب داره التى هى اليوم جامع قوصون فلما اخذ قوصون الدار المذكورة وهدمها وعمر مكانها هذا الجامع اراد أخذ الحمام وكانت وقفا فبعث الى قاضى القضاة شرف الدين الحنبلى الحرانى يلتمس منه حل وقفها فأخرب منها جانبا وأحضر شهود القيمة فكتبوا محضرا يتضمن أن الحمام المذكورة خراب وكان فيهم شاهد امتنع من الكتابة فى المحضر وقال مايسعنى من الله أن ادخل بكرة النهار فى هذا الحمام واطهر فيها ثم أخرج منها وهى عامرة وأشهد بعد ضحوة نهار من ذلك اليوم أنها خراب فشهد غيره واثبت قاضى القضاة الحنبلى المحضر المذكور وحكم ببيعها فاشتراها الامير قوصون من ورثة قتال السبع وهى اليوم عامرة بعمارة ما حولها * (حمام لؤلؤ) هذه الحمام برأس رحبة الايدمرى ملاصقة لدار السنانى من القاهرة أنشأها الامير حسام الدين لؤلؤ الحاجب * (لؤلؤ الحاجب) كان ارمنى الاصل ومن جملة اجناد مصر فى ايام الخلفاء الفاطميين فلما استولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر خدم تقدمة الاسطول وكان حيثما توجه فتح وانتصر وغنم ثم ترك الجندية وزوج بناته وكن أربعا بجهاز كاف وأعطى ابنيه ما يكفيهما ثم شرع يتصدق بما بقى معه على الفقراء بترتيب لا خلل فيه ودواما لا سأمة معه وكان يفرق فى كل يوم اثنى عشر ألف رغيف مع قدور الطعام واذا دخل شهر رمضان أضعف ذلك وتبتل للتفرقة من الظهر فى كل يوم الى نحو صلاة العشاء الآخرة ويضع ثلاثة مراكب طول كل مركب أحد وعشرون ذراعا مملوءة طعاما ويدخل الفقراء أفواجا وهو قائم مشدود الوسط كأنه راعى غنم وفى يده مغرفة وفى الاخرى جرة سمن وهو يصلح صفوف الفقراء ويقرب اليهم الطعام والودك ويبدأ بالرجال ثم بالنساء

ثم بالصبيان وكان الفقراء مع كثرتهم لا يزدحمون لعلمهم أن المعروف يعمهم فاذا انتهت حاجة الفقراء بسط سماطا للاغنياء تعجز الملوك عن مثله وكان له مع ذلك على الاسلام منة توجب أن يترحم عليه المسلمون كلهم وهي أن فرنج الشوبك والكرك توجهوا نحو مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبشوا قبره صلى الله عليه وسلم وينقلوا جسده الشريف المقدس الى بلادهم ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته الا بجعل فأنشأ البرنس ارباط صاحب الكرك سفنا حملها على البر الى بحر القلزم واركب فيها الرجال وأوقف مركبين على جزيرة قلعة القلزم تمنع اهلها من استقاء الماء فسارت الفرنج نحو عيذاب فقتلوا وأسروا ومضوا يريدون المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والتسليم وذلك في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على حران فلما بلغه ذلك بعث الى سيف الدولة ابن منقذ نائبه على مصر يأمره بتجهيز الحاجب لؤلؤ خلف العدو فاستعد لذلك وأخذ معه قيودا وسار في طلبهم الى القلزم وعمر هنالك مراكب وسار الى ايلة فوجد مراكب للفرنج فخرقها وأسر من فيها وسار الى عيذاب وتبع الفرنج حتى ادركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والتسليم الا مسافة يوم وكانوا ثلاثمائة ونيفا وقد انضم اليهم عدة من العربان المرتدة فعند ما لحقهم لؤلؤ فرت العربان فرقا من سطوته ورغبة في عطيته فانه كان قد بذل الاموال حتى انه علق اكياس الفضة على رؤس الرماح فلما فرت العربان التجأ الفرنج الى رأس جبل صعب المرتقى فصعد اليهم في عشرة انفس وضايقهم فيه فخارت قواهم بعد ما كانوا معدودين من الشجعان واستسلموا فقبض عليهم وقيدهم وحملهم الى القاهرة فكان لدخولهم يوم مشهود وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وارباب الديانة بعد ما ساق رجلين من اعيان الفرنج الى منى ونحرهما هنالك كما تنحر البدن التي تساق هديا الى الكعبة ولم يزل على فعل المعروف الى أن مات رحمه الله في صميم الفلا وقد قرب منتهاه في اليوم التاسع من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بتربته من القرافة وهي التي حفر فيها البئر ووجد في قعرها عند الماء اسطام مركب وهذا الحمام تفتح تارة وتغلق كثيرا وهي باقية الى يومنا هذا من جملة اوقاف الملك والله تعالى اعلم بالصواب

* (ذكر القياسر) *

ذكر ابن المتوج قياسر مصر وهي قيسارية المحلى وقيسارية الضيافة وقف المارستان المنصوري وقيسارية شبل الدولة وقيسارية ابن الارسوفي وقيسارية ورثة الملك الظاهر بيبرس وقيساريتا ابن ميسر وقد خربت كلها * (قيسارية ابن قريش) هذه القيسارية في صدر سوق الجلون الكبير بجوار باب سوق الوراقين ويسلك اليها من الجلون ومن سوق الاخفافيين المملوك اليه من البند قانيين وبعضها الآن سكن الارمنيين وبعضها سكن البزازين قال ابن عبد الظاهر استجدها القاضي المرتضى ابن قريش في الايام الناصرية الصلاحية وكان مكانها اسطبلا انتهى * وهو القاضي المرتضى صفي الدين أبو المجد عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش المخزومي أحد كتاب الانشاء في ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب قتل شهيدا على عكا في يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمائة ودفن بالقدس ومولده في سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسمع السلفي وغيره * (قيسارية الشرب) هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه قيسارية جهاركس قال ابن عبد الظاهر وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب على الجماعة الصوفية يعني بخانقاه سعيد السعداء وكانت اسطبلا انتهى ومابرحت هذه القيسارية مرعية الجانب اكراما للصوفية الى أن كانت ايام الملك الناصر فرج وحدثت الفتن وكثرت مصادرات التجار انخرق ذلك السياج وعومل سكانها بانواع من العسف وهي اليوم من اعمر أسواق القاهرة * (قيسارية ابن أبي أسامة) هذه القيسارية بجوار الجلون الكبير على يسرة من سلك الى بين القصرين يسكنها الآن الخردفوشية وقفها الشيخ الاجل أبو الحسن علي بن احمد بن الحسن بن أبي أسامة صاحب ديوان الانشاء في ايام الخليفة الآمر باحكام الله وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة وينعت بالشيخ الاجل كاتب الدست الشريف ولم يكن أحد يشاركه في هذا النعت بديار مصر في زمانه وكان وقف هذه القيسارية في سنة ثمان عشرة وخمسمائة وتوفي في شوال سنة اثنين وعشرين وخمسمائة * (قيسارية سنقر الاشقر) هذه القيسارية على يسرة من يدخل من باب زويلة فيما بين خزانة شمائل ودرب الصغيرة تجاه قيسارية الفاضل أنشأها الامير شمس الدين سنقر الاشقر الصالحي النجمي أحد المماليك البحرية ولم تزل الى أن هدمت وادخلت

فى الجامع المؤيدى لايام من جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة * (قيسارية امير على) هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه الجلون الكبير بجوار قيسارية جهاركس يفصل بينهما درب قيطون عرفت بالامير على بن الملك المنصور قلاون الذى عهد له بالملك ولقبه بالملك الصالح ومات فى حياة ابيه كما قد ذكر فى فندق الملك الصالح * (قيسارية رسلان) هذه القيسارية فيما بين درب الصغيرة والجارين أنشأها الامير بهاء الدين رسلان الدوادار وجعلها وقفا على خانقاه له بمنشأة المهرانى وكانت من أحسن القياسر فلما عزم الملك المؤيد شيخ على بناء مدرسته هدمها فى جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وعوّض أهل الخانقاه عنها خمسمائة دينار * (قيسارية جهاركس) قال ابن عبد الظاهر بناها الامير فخر الدين جهاركس فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكانت قبل ذلك يعرف مكانها بفندق الفراخ ولم تزل فى يد ورثته وانتقل الى الامير علم الدين ايتمش منها جزء بالميراث عن زوجته والى بنت شومان من اهل دمشق ثم اشتريت لوالدة خليل المسماة بشجر الدر الصالحية فى سنة خمس وخمسين وستمائة وهى مع حسنها واتقان بنائها كلها تجرد من الغصب جميع ما فيها وذكر بعض المؤرخين أن صاحبها جهاركس نادى عليها حين فرغت فبلغت خمسة وتسعين ألف دينار على الشريف فخر الدين اسماعيل بن ثعلب وقال لصاحبها أنا انقدك ثمنها أى نقد شئت ان شئت ذهبا وان شئت فضة وان شئت عروض تجارة وقيسارية جهاركس تجرى الآن فى وقف الامير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بعد سلار على ورثته وقال القاضى شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان * (جهاركس) بن عبد الله فخر الدين أبو المنصور الناصرى الصلاحى كان من اكبر أمراء الدولة الصلاحية وكان كريما نبيل القدر على الهمة بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نر فى شئ من البلاد مثلها فى حسنها وعظمها واحكام بنائها وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا وربعا معلقا وتوفى فى بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ودفن فى جبل الصالحية وتربته مشهورة هنالك رحمه الله وجهاركس بفتح الجيم والهاء وبعد الالف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة ومعناه بالعربى أربعة انفس وهو لفظ عجمى وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد بن محمود اليغمورى سمعت الامير الكبير الفاضل شرف الدين أبا الفتح عيسى بن الامير بدر الدين محمد بن ابى القاسم بن محمد بن احمد الهكارى البحترى الطائى المقدسى بالقاهرة ومولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالبيت المقدس شرفه الله تعالى وتوفى بدمشق فى ليلة الاحد تاسع عشرى ربيع الآخر سنة تسع وستمائة ودفن بسفح جبل قاسيون رحمه الله قال حدثنى الامير صارم الدين خطلبا التبنينى صاحب الامير فخر الدين أبى المنصور جهاركس بن عبد الله الناصرى الصلاحى رحمه الله قال بلغ الامير فخر الدين ان بعض الاجناد عنده فرس قد دفع له فيه ألف دينار ولم يسمح ببيعه وهو فى غاية الحسن فقال لى الامير يا خطلبا اذا ركبنا ورأيت فى الموكب هذا الفرس نبهنى عليه حتى أبصره فقلت السمع والطاعة فلما ركبنا فى الموكب مع الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر رحمه الله رأيت الجندى على فرسه فتقدمت الى الامير فخر الدين وقلت له هذا الجندى وهذا الفرس راكبه فنظر اليه وقال اذا خرجنا من سماط السلطان فانظر أين الفرس وعرّفنى به فلما دخلنا الى سماط الملك العزيز عجل الامير فخر الدين وخرج قبل الناس فلما بلغ الى الباب قال لى اين الفرس قلت ها هو مع الركاب دار فقال لى أدعه فدعوته اليه فلما وقف بين يديه والفرس معه أمره الامير بأخذ الغاشية ووضع الامير رجله فى ركابه وركبه ومضى به الى داره وأخذ الفرس فلما خرج صاحبه عرفه الركاب دار بما فعله الامير فخر الدين فسكت ومضى الى بيته وبقى اياما ولم يطلب الفرس فقال لى الامير فخر الدين يا خطلبا ما جاء صاحب الفرس ولا طلبه اطلب لى صاحبه قال فاجتمعت به واخبرته بأن الامير يطلب الاجتماع به فسارع الى الحضور فلما دخل عليه اكرمه الامير ورفع مكانه وحدّثه وآنسه وبسطه وحضر سماطه فقرّبه وخصصه من طعامه فلما فرغ من الاكل قال له الامير يا فلان ما بالك ما طلبت فرسك وله عندنا مدّة فقال يا خوند وما عسى أن يكون من هذا الفرس وما ركبه الامير الا وهو قد صلح له وكلما صلح للمولى فهو على العبد حرام ولقد شرّفنى مولانا بأن جعلنى أهلا أن يتصرّف فى عبده والمملوك يحسب ان هذا الفرس قد أصابه مرض فمات وأما الآن فقد وقع فى محله وعند أهله ومولانا احق به وما اسعد المملوك اذا صلح لمولانا عنده شئ فقال له الامير بلغنى أنك أعطيت فيه ألف دينار قال كذلك كان قال فلم لم تبعه فقال يا مولانا هذا الفرس

جعلته للجهاد وأحسن ما جاهد الانسان على فرس يعرفه ويثق به وما مقدار هذا الفرس له اسوة فاستحسن الامير همته وشكره ثم اشار الى فتقدمت اليه فقال لى فى اذنى اذا خرج هذا الرجل فاخلع عليه الخلعة الفلانية من افخر ملبوس الامير وأعطه ألف دينار وفرسه فلما نهض الرجل اخذته الى الفرش خاناه وخلعت عليه الخلعة ودفعت اليه الكيس وفيه ألف دينار فخدم وشكر وخرج فقدم اليه فرسه وعليه سرج خاص من سروج الامير وعدة فى غاية الجودة فقيل اركب فرسك فقال كيف أركبه وقد اخذت ثمنه وهذه الخلعة زيادة على ثمنه ثم رجع الى الامير فقبل الارض وقال باخوند تشريف مولانا لا يرد وهذا ثمن الفرس قد أحضره المملوك فقال له الامير فخر الدين يا هذا نحن جربناك فوجدناك رجلا جيدا ولك همة وانت أحق بفرسك خذ هذا ثمنه ولا تبعه لاحد فخدمه وشكره ودعا له وأخذ الفرس والخلعة والالف دينار وانصرف * واخبرنى أيضا الامير شرف الدين ابن أبى القاسم قال اخبرنى صارم الدين التبنينى أيضا أن الامير فخر الدين خدم عنده بعض الاجناد فعرض عليه فأعجبه شكله وقال لديوانه استخدموا هذا الرجل فتكلموا معه وقدروا له فى السنة اثنى عشر ألف درهم فرضى الرجل وانتقل الى حلقة الامير قوصون وضرب خيمته وأحضر بركه فلما كان بعض الايام رجع الامير من الخدمة فعبر فى جنب خيمة هذا الرجل فرأى خيمة حسنة وخيلا جيادا وجمالا وبغالا وبركا فى غاية الجودة فقال هذا البرك لمن فقيل هذا برك فلان الذى خدم عند الامير فى هذه الايام فقال قولوا له مالك عندنا شغل تمضى فى حال سبيلك فلما قيل للرجل ذلك أمر بأن تحط خيمته وأتى الى وقال يا مولانا أنا رائح وها انا قد حملت بركى ولكن اشتهى منك أن تسأل الامير ما ذنبى قال فدخلت الى الامير وأخبرته بما قال الرجل فقال والله ماله عندى ذنب الا ان هذا البرك وهذه الهمة يستحق بها اضعاف ما أعطى فأنكرت عليه كيف رضى بهذا القدر اليسير وهو يستحق أن تكون أربعين ألف درهم وتكون قليلة فى حقه فاذا خدم بثلاثين ألف درهم يكون قد ترك لنا عشرة آلاف درهم فهذا ذنبه عندى فرجعت الى الرجل فأعلمته بما قال الامير فقال انما خدمت عند الامير ورضيت بهذا القدر لعلمى ان الامير اذا عرف حالى فيما بعد لا يقنع لى بهذا الجارى فكنت على ثقة من احسان الامير أبقاه الله وأما الآن فلا ارضى أن اخدم الا بثلاثين ألف درهم كما قال الامير فرجعت الى الامير وأخبرته بما قال الرجل فقال يجرى له ما طلب وخلع عليه وأحسن اليه وكان الامير فخر الدين جهاركس مقدم الناصرية والحاكم بديار مصر فى ايام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب الى أن مات العزيز فمال الامير فخر الدين جهاركس الى ولاية ابن الملك العزيز وفاوض فى ذلك الامير سيف الدين يازكوج الاسدى وهو يومئذ مقدم الطائفة الاسدية وكان الملك العزيز قد أوصى بالملك لولده محمد وأن يكون الامير الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى مدبر أمره فأشار يازكوج باقامة الملك الافضل على بن صلاح الدين فى تدبير أمر ابن العزيز فكره جهاركس ذلك ثم انهم اقاموا ابن العزيز ولقبوه بالملك المنصور وعمره نحو تسع سنين ونصبوا قراقوش اتابكا وهم فى الباطن يختلفون عليه وما زالوا يسعون عليه فى ابطال أمر قراقوش حتى اتفقوا على مكاتبة الافضل المتقدم ذكره وحضوره الى مصر ويعمل اتابكية المنصور مدة سبع سنين حتى يتأهل بالاستبداد بالملك بشرط أن لا يرفع فوق رأسه سنجق الملك ولا يذكر اسمه فى خطبة ولا سكة فلما سار القاصد الى الافضل بكتب الامراء بعث جهاركس فى الباطن قاصدا على لسانه ولسان الطائفة الصلاحية بكتبهم الى الملك العادل أبى بكر ابن أيوب وكتب الى الامير ميمون القصرى صاحب نابلس يأمره بأن لا يطيع الملك الافضل ولا يحلف له فاتفق خروج الملك الافضل من صرخد ولقاه قاصد فخر الدين جهاركس فأخذ منه الكتب وقال له ارجع فقد قضيت الحاجة وسار الى القاهرة ومعه القاصد فلما خرج الامراء من القاهرة الى لقائه ببلبيس فعمل له فخر الدين سماطا احتفل فيه احتفالا زائدا لينزل عنده فنزل عند أخيه الملك المؤيد نجم الدين مسعود فشق ذلك على جهاركس وجاء الى خدمته فلما فرغ من طعام أخيه صار الى خيمة جهاركس وقعد ليأكل فرأى جهاركس قاصده الذى سيره فى خدمة الافضل فدهش وأيقن بالشر فللحال استأذن الافضل أن يتوجه الى العرب المختلفين بأرض مصر ليصلح بينهم فأذن له وقام من فوره واجتمع بالامير زين الدين قراجا والامير أسد الدين قراسنقر وحسن لهما مفارقة الافضل فسارا معه الى القدس وغلبوا عليه ووافقهم الامير عز الدين أسامة والامير ميمون القصرى فقدم عليهم فى سبعمائة فارس ولما صاروا كلمة واحدة كتبوا الى الملك العادل يستدعونه للقيام باتابكية الملك

المنصور

المنصور محمد بن العزيز بمصر وأما الافضل فانه لما دخل من بلبيس الى القاهرة قام بتدبير الدولة وأمر الملك بحيث لم يبق للمنصور معه سوى مجرّد الاسم فقط وشرع فى القبض على الطائفة الصلاحية اصحاب جهاركس ففرّوا منه الى جهاركس بالقدس فقبض على من قدر عليه منهم ونهب أموالهم فلما زالت دولة الافضل من مصر بقدوم الملك العادل أبى بكر بن أيوب استولى فخر الدين جهاركس على بانياس بامر العادل ثم انحرف عنه وكانت له انباء الى أن مات فانقضى أمر الطائفة الصلاحية بموته وموت الامير قراجا وموت الامير أسامة كما انقضى أمر غيرهم * (قيسارية الفاضل) هذه القيسارية على يمنة من يدخل من باب زويلة عرفت بالقاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى وهى الآن فى اوقاف المارستان المنصورى أخبرنى شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد العزيز العذرى البشبيشى رحمه الله قال اخبرنى القاضى بدر الدين أبو اسحاق ابراهيم بن القاضى صدر الدين أبى البركات أحمد بن فخر الدين أبى الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المعروف بابن الخشاب أن قيسارية الفاضل وقفت بضع عشرة مرّة منها مرّتين أو اكثر زف كاب وقفها بالاغانى فى شارع القاهرة وهى الآن تشتمل على قيسارية ذات بحرة ماء للوضوء بوسطها وأخرى بجانبها يباع فيها جهاز النساء وشوارهنّ ويعلوها ربع فيه عدّة مساكن * (قيسارية بيبرس) هذه القيسارية على رأس باب الجودرية من القاهرة كان موضعها دارا تعرف بدار الانماط اشتراها وما حواليها الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى قبل ولايته السلطنة وهدمها وعمر موضعها هذه القيسارية والربع فوقها وتولى عمارة ذلك مجد الدين بن سالم الموقع فلما كملت طلب سائر تجار قيسارية جهاركس وقيسارية الفاضل وألزمهم باخلاء حوانيتهم من القيساريتين وسكناهم بهذه القيسارية وأكرههم على ذلك وجعل أجرة كل حانوت منها مائة وعشرين درهما نقرة فلم يسع التجار الا استئجار حوانيتها وصار كثير منهم يقوم بأجرة الحانوت الذى الزم به فى هذه القيسارية من غير أن يترك حانوته الذى هو معه باحدى القيساريتين المذكورتين ونقل أيضا صناع الاخفاف وأسكنهم فى الحوانيت التى خارجها فعمرت من داخلها وخارجها بالناس فى يومين وجاء الى مخدومه الامير بيبرس وكان قد ولى السلطنة وتلقب بالملك المظفر وقال بسعادة السلطان اسكنت القيسارية فى يوم واحد فنظر اليه طويلا وقال يا قاضى ان كنت أسكنتها فى يوم واحد فهى تخلو فى ساعة واحدة فجاء الامر كما قال وذلك أنه لما فرّ بيبرس من قلعة الجبل لم يبت فى هذه القيسارية لاحد من سكانها قطعة قماش بل نقلوا كل ما كان لهم فيها وخلت حوانيتها مدّة طويلة ثم سكنها صناع الاخفاف كل حانوت بعشرة دراهم وفى حوانيتها ما أجرته ثمانية دراهم وهى الآن جارية فى اوقاف الخانقاه الركنية بيبرس ويسكنها صناع الاخفاف واكثر حوانيتها غير مسكون لخرابها وقلة الاخفافين ويعرف الخط الذى هى فيه اليوم بالاخفافين رأس الجودرية * (القيسارية الطويلة) هذه القيسارية فى شارع القاهرة بسوق الخردفوشيين فيما بين سوق المهامزيين وسوق الجوخيين ولها باب آخر عند باب سر جامع الخراطين كانت تعرف قديما بقيسارية السروج بناها * (قيسارية) هذه القيسارية تجاه قيسارية السروج المعروفة الآن بالقيسارية الطويلة بعضها وقفه القاضى الاشرف بن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى على ملء الصهريج بدرب ملوخيا وبعضها وقف الصالح طلائع بن رزيك الوزير وقد هدمت هذه القيسارية وبناها الامير جانى بك دوادار السلطان الملك الاشرف برسباى الدقماقى الظاهرى فى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة تربيعة تتصل بالوراقين ولها باب من الشارع وجعل علوها طباقا وعلى بابها حوانيت فجاءت من أحسن المبانى * (قيسارية العصفر) هذه القيسارية بشارع القاهرة لها باب من سوق المهامزيين وباب من سوق الورّاقين عرفت بذلك من اجل أن العصفر كان يدق بها * أنشأها الامير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط والى القاهرة ووقفها فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة ولم تزل باقية بيد ورثته الى أن ولى القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى كتابة السرّ فى ايام المؤيد شيخ فاستأجرها مدّة أعوام من مستحقيها ونقل اليها العنبريين فصارت قيسارية عنبر وذلك فى سنة ست عشرة وثمانمائة ثم انتقل منها اهل العنبر الى سوقهم فى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة * (قيسارية العنبر) قد تقدّم فى ذكر الاسواق انها كانت سجنا وان الملك المنصور قلاون عمرها فى سنة ثمانين وستمائة وجعلها سوق عنبر * (قيسارية الفائزى) هذه القيسارية كانت بأوّل الخرّاطين مما يلى المهامزيين لها باب من المهامزيين وباب من الخرّاطين * أنشأها الوزير

الاسعد شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن صاعد بن وهيب الفارسى كان من جملة نصارى صعيد مصر وكتب على مبايض ناحية سيوط بدرهم وثلث فى كل يوم ثم قدم الى القاهرة وأسلم فى ايام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب وخدم عند الملك الفائز ابراهيم بن الملك العادل فنسب اليه وتولى نظر الديوان فى ايام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة يسيرة ثم ولى بعض أعمال ديار مصر فنقل عنه ما أوجب الكشف عليه فندب موفق الدين الامدى لذلك فاستقر عوضه وسجنه مدة ثم أفرج عنه وسافر الى دمشق وخدم بها الامير جمال الدين يغمور نائب السلطنة بدمشق فلما قدم الملك المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب من حصن كيفا الى دمشق بعد موت ابيه ليأخذ مملكة مصر سار معه الى مصر فى شوال سنة سبع وأربعين وستمائة فلما قامت شجرة الدر بتدبير المملكة بعد قتل المعظم تعلق بخدمة الامير عز الدين ايبك التركمانى مقدم العساكر الى أن تسلطن وتلقب بالملك المعز فولاه الوزارة فى سنة ثمان وأربعين وستمائة فأحدث مظالم كثيرة وقرر على التجار وذوى اليسار أموالا تجبى منهم وأحدث التقويم والتصقيع على سائر الاملاك وجبى منها مالا جزيلا ورتب مكوسا على الدواب من الخيل والجمال والحمير وغيرها وعلى الرقيق من العبيد والجوارى وعلى سائر المبيعات وضمن المنكرات من الخمر والمزر والحشيش وبيوت الزوانى بأموال وسمى هذه الجهات بالحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية وتمكن من الدولة تمكنا زائدا الى الغاية بحيث انه سار الى بلاد الصعيد بعساكر لحاربة بعض الامراء وكان الملك المعز أيبك يكاتبه بالمملوك وكثر ماله وعقاره حتى انه لم يبلغ صاحب قلم فى هذه الدول ما بلغه من ذلك واقتنى عدة مماليك منهم من بلغ ثمنه ألف دينار مصرية وكان يركب فى سبعين مملوكا من مماليكه سوى ارباب الاقلام والاتباع وخرج بنفسه الى أعمال مصر واستخرج اموالها وكان ينوب عنه فى الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير وكان فاضلا يعرف اللسان التركى فصار يضبط له مجالس الامراء ويعرفه ما يدور بينهم من الكلام فلم يزل على تمكنه وبسط يده وعظم شأنه الى أن قتل الملك المعز وقام من بعده ابنه الملك المنصور نور الدين على وهو صغير فاستقر على عادته حتى شهد عليه الامير سابق الدين بوزبا الصيرفى والامير ناصر الدين محمد بن الاطروش الكردى امير جاندار انه قال المملكة لا تقوم بالصبيان الصغار والرأى أن يكون الملك الناصر صاحب الشام ملك مصر وأنه قد عزم على أن يسير اليه يستدعيه الى مصر ويساعده على أخذ المملكة فخافت أم السلطان منه وقبضت عليه وحبسته عندها بقلعة الجبل ووكلت بعذابه الصارم احمر عينه العمادى الصالحى فعاقبه عقوبة عظيمة ووقعت الحوطة على سائر أمواله وأسبابه وحواشيه وأخذ خطه بمائة ألف دينار ثم خنق لليال مضت من جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وستمائة ولف فى نخ ودفن بالقرافة واستقر من بعده فى الوزارة قاضى القضاة بدر الدين السنجارى مع ما بيده من قضاء القضاة ولم تزل هذه القيسارية باقية وكانت تعرف بقيسارية النشاب الى أن اخذها الامير جمال الدين يوسف الاستادارهى والحوانيت على يمنة من سلك من الخراطين يريد الجامع الازهر وفيما بينهما كان باب هذه القيسارية وكانت هذه الحوانيت تعرف بوقف تمرتاش وهدم الجميع وشرع فى بنائه فقتل قبل أن يكمل وأخذه الملك الناصر فرج فبنيت الحوانيت التى هى على الشارع بسوق الهامزيين وصار مابقى ساحة عمرها القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقى ناظر الجيش قيسارية يعلوها ربع وبنى أيضا على حوانيت جمال الدين ربعا وذلك فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة وقال الامام عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان يمدح الاسعد الفائزى رحمه الله ابن صاعد وابنه المرتضى

مذ تولى امورنا * لم ازل منه ذاهبه

وهوان دام أمره * شدة العيش ذاهبه

* (قيسارية بكتمر) هذه القيسارية بسوق الحريريين بالقرب من سوق الوراقين كانت تعرف قديما بالصاغة ثم صارت فندقا يقال له فندق حكم وأصلها من جملة الدار العظمى التى تعرف بدار المأمون بن البطائحى وبعضها المدرسة السيوفية * أنشأ هذه القيسارية الامير بكتمر الساقى فى ايام الناصر محمد بن قلاوون * (قيسارية ابن يحيى) هذه القيسارية كانت تجاه باب قيسارية جهاركس حيث سوق الطيور وقاعات الحلوى * أنشأها القاضى المفضل هبة الله بن يحيى التميمى المعدل كان موثقا كاتبا فى الشروط الحكمية فى حدود سنة أربعين وخمسمائة فى الدولة الفاطمية ثم صار من جملة العدول وبقى الى سنة ثمانين وله ابن يقال له كمال الدين عبد

المجيد بن القاضى المفضل ولكمال الدين ابن يقال له جلال الدين محمد بن كمال الدين عبد المجيد بن القاضى المفضل هبة الله بن يحيى مات فى آخر سنة ستين وسبعمائة وقد خربت هذه القيسارية ولم يبق لها اثر * (قيسارية طاشتمر) هذه القيسارية بجوار الوراقين لها باب كبير من سوق الحريريين على يسرة من سلك الى الزجاجين وباب من الوراقين * أنشأها الامير طاشتمر فى أعوام بضع وثلاثين وسبعمائة وسكنها عقادوا الازرار حتى غصت بهم مع كبرها وكثرة حوانيتها وكان لهم منظر بهيج فان اكثرهم من بياض الناس وتحت يد كل معلم منهم عدة صبيان من اولاد الاتراك وغيرهم فطال ما مررت منها الى سوق الوراقين وداخلنى حياء من كثرة من امر به هنالك ثم لما حدثت المحن فى سنة ست وثمانمائة تلاشى أمرها وخرب الربع الذى كان علوها وبيعت انقاضه وبقيت فيها اليوم بقية يسيرة * (قيسارية الفقراء) هذه القيسارية خارج باب زويلة بخط تحت الربع أنشأها

* (قيسارية بشتاك) خارج باب زويلة بخط تحت الربع أنشأها الامير بشتاك الناصرى وهى الآن

* (قيسارية المحسنى) خارج باب زويلة تحت الربع أنشأها الامير بدر الدين بيلبك المحسنى والى الاسكندرية ثم والى القاهرة كان شجاعا مقداما فأخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الشام وبها مات فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فأخذ ابنه الامير ناصر الدين محمد بن بيلبك المحسنى امرته فلما مات الملك الناصر قدم الى القاهرة وولاه الامير قوصون ولاية القاهرة فى سابع عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فلما قبض على قوصون فى يوم الثلاثاء آخر شهر رجب منها أمسك ابن المحسنى وأعيد نجم الدين الى ولاية القاهرة ثم عزل من يومه وولى الامير جمال الدين يوسف والى الجيزة فأقام أربعة ايام وعزل بطلب العامة عزله ورجمه فأعيد نجم الدين * (قيسارية الجامع الطولونى) هذه القيسارية كان موضعها فى القديم من جملة قصر الامارة الذى بناه الامير أبو العباس أحمد بن طولون وكان يخرج منه الى الجامع من باب فى جداره القبلى فلما خرب صار ساحة ارض فعمر فيها القاضى تاج الدين المناوى خليفة الحكم عن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة قيسارية فى سنة خمسين وسبعمائة من فائض مال الجامع الطولونى فكمل فيها ثلاثون حانوتا فلما كانت ليلة النصف من شهر رمضان من هذه السنة رأى شخص من اهل الخير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه وقد وقف على باب هذه القيسارية وهو يقول بارك الله لمن يسكن هذه القيسارية وكرر هذا القول ثلاث مرات فلما قص هذه الرؤيا رغب الناس فى سكناها وصارت الى اليوم هى وجميع ذلك السوق فى غاية العمارة وفى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة أنشأ قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن نصير ابن رسلان البلقينى من مال الجامع المذكور قيسارية أخرى فرغب الناس فى سكناها لوفور العمارة بذلك الخط * (قيسارية ابن ميسر الكبرى) هذه القيسارية ادركتها بمدينة مصر فى خط سويقة وردان وهى عامرة يباع بها القماش الجديد من الكتان الابيض والازرق والطرح وتمضى تجار القاهرة اليها فى يومى الاحد والاربعاء لشراء الاصناف المذكورة وذكر ابن المتوج أن لها خمسة أبواب وأنها وقف ثم وقعت الحوطة عليها فجرت فى الديوان السلطانى وقصدوا بيعها مرارا فلم يقدر أحد على شرائها وكان بها عمد رخام فاخذها الديوان وعوضت بعمد كدان وانه شاهدها مسكونة جميعها عامرة انتهى وقد خرب ما حولها بعد سنة ستين وسبعمائة وتزايد الخراب حتى لم يبق حولها سوى كيمان فعمل لها باب واحد وتردد الناس اليها فى اليومين المذكورين لا غير فلما كانت الحوادث منذ سنة ست وثمانمائة واستولى الخراب على اقليم مصر تعطلت هذه القيسارية ثم هدمت فى سنة ست عشرة وثمانمائة * (قيسارية عبد الباسط) هذه القيسارية برأس الخراطين من القاهرة كان موضعها يعرف قديما بعقبة الصباغين ثم عرف بالقشاشين ثم عرف بالخراطين وكان هنالك مارستان ووكالة فى الدولة الفاطمية وأدركتها حوانيت تعرف بوقف تمرتاش المعظمى فأخذها الامير جمال الدين الاستادار فيما أخذ من الاوقاف فلما قتل أخذ الناصر فرج جانبا منها وجدد عمارتها ووقفها على تربة أبيه الظاهر برقوق ثم أخذها زين الدين عبد الباسط بن خليل فى ايام المؤيد شيخ وعمل فى بعضها هذه القيسارية وعلوها ووقفها على مدرسته وجامعه ثم أخذ السلطان الملك الاشرف برسباى بقية الحوانيت من وقف جمال الدين وجدد عمارتها فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة

---

* (ذكر الخانات والفنادق) *

* (خان مسرور) خان مسرور مكانان أحدهما كبير والآخر صغير فالكبير على يسرة من سلك من سوق باب الزهومة الى الحريريين كان موضعه خزانة الدرق التى تقدم ذكرها فى خزائن القصر والصغير على يمنة من سلك من سوق باب الزهومة الى الجامع الازهر كان ساحة يباع فيها الرقيق بعدما كان موضع المدرسة الكاملية هو سوق الرقيق * قال ابن الطوير خزانة الدرق كانت فى المكان الذى هو خان مسرور وهى برسم استعمالات الاساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية وغير ذلك * وقال ابن عبد الظاهر فندق مسرور (مسرور هذا من خدام القصر خدم الدولة المصرية واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله وقدّمه على حلقته ولم يزل مقدّما فى كل وقت وله برّ واحسان ومعروف ويقصد فى كل حسنة وأجر وبر وبطل الخدمة فى الايام الكاملية وانقطع الى الله تعالى ولزم داره ثم بنى الفندق الصغير الى جانبه وكان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق اشترى ثلثها من والدى رحمه الله والثلثين من ورثة ابن عنتر وكان قد ملك الفندق الكبير لغلامه ريحان وحبسه عليه ثم من بعده على الاسرى والفقراء بالحرمين وهو مأنة بيت الايتام وبه مسجد تقام فيه الجماعة والجمع ولمسرور المذكور برّ كثير بالشام وبمصر وكان قد وصى أن تعمل داره وهى بخط حارة الامراء مدرسة ويوقف الفندق الصغير عليها وكانت له ضيعة بالشام بيعت للامير سيف الدين أبى الحسن القيمرى بجملة كبيرة وعمرت المدرسة المذكورة بعد وفاته انتهى وقد أدركت فندق مسرور الكبير فى غاية العمارة تنزله اعيان التجار الشاميين بتجاراتهم وكان فيه أيضا مودع الحكم الذى فيه أموال اليتامى والغياب وكان من اجل الخانات وأعظمها فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمورلنك وتلاشت أحوال اقليم مصر قلّ التجار وبطل مودع الحكم فقلت مهابة هذا الخان وزالت حرمته وتهدمت عدة أماكن منه وهو الآن بيد القضاة * (فندق بلال المغيثى) هذا الفندق فيما بين خط حمام خشيبة وحارة العدوية أنشأه الامير الطواشى أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثى أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك كان حبشى الجنس حالك السواد خدم عدة من الملوك واستقر لالا الملك الصالح علىّ بن الملك المنصور قلاوون وكان معظما الى الغاية يجلس فوق جميع أمراء الدولة وكان الملك المنصور قلاوون اذا رآه يقول رحم الله أستاذنا الملك الصالح نجم الدين أيوب أنا كنت احمل شار موزة هذا الطواشى حسام الدين كلما دخل الى السلطان الملك الصالح حتى يخرج من عنده فأقدّمها له وكان كثير البرّ والصدقات وله أموال جزيلة ومدحه عدة من الشعراء وأجاز على المديح وتجاوز عمره ثمانين سنة فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون لقتال التتر فى سنة تسع وتسعين وستمائة سافر معه فمات بالسوادة ودفن بها ثم نقل منها بعد وقعة شقحب الى تربته بالقرافة فدفن هنالك ومابرح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الاموال صناديق المال ولقد كنت أدخل فيه فاذا بداره صناديق مصطفة مابين صغير وكبير لا يفضل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسطه وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجلّ وصفه فلما أنشأ الامير الطواشى زين الدين مقبل الزمام الفندق بالقرب منه وأنشأ الامير قطلوبغا الفندق بالزجاجين وأخذ الامير يلبغا السالمى اموال الناس فى واقعة تيمورلنك فى سنة ثلاث وثمانمائة تلاشى أمر هذا الفندق وفيه الى الآن بقية * (فندق الصالح) هذا الفندق بجوار باب القوس الذى كان أحد بابى زويلة فمن سلك اليوم من المسجد المعروف بسام بن نوح يريد باب زويلة صار هذا الفندق على يساره وأنشأه هو ومايعلوه من الربع الملك الصالح علاء الدين علىّ بن السلطان الملك المنصور قلاوون وكان أبوه لما عزم على المسير الى محاربة التتر ببلاد الشام سلطنه وأركبه بشعار السلطنة من قلعة الجبل فى شهر رجب سنة تسع وسبعين وستمائة وشق به شارع القاهرة من باب النصر الى أن عاد الى قلعة الجبل واجلسه على مرتبته وجلس الى جانبه فمرض عقيب ذلك ومات ليلة الجمعة الرابع من شعبان فأظهر السلطان لموته جزعا مفرطا وحزنا زائدا وصرخ باعلى صوته واولداه ورمى كلوتته عن رأسه الى الارض وبقى مكشوف الرأس الى أن دخل الامراء اليه وهو مكشوف الرأس يصرخ واولداه فعندما عاينوه كذلك ألقوا كلوتاتهم عن رؤسهم وبكوا ساعة ثم أخذ الامير طرنطاى النائب شاش السلطان من الارض وناوله للامير سنقر الاشقر فأخذه ومشى وهو مكشوف الرأس وباس الارض وناول الشاش للسلطان فدفعه وقال ايش أعمل بالملك بعد ولدى وامتنع من لبسه فقبل الامراء الارض يسألون السلطان فى لبس شاشه ويخضعون له فى السؤال ساعة حتى أجابهم وغطى رأسه فلما اصبح خرجت جنازته من القلعة ومعها الامراء من غير حضور السلطان

وساروا بها الى تربة أمه المعروفة بتربة خاتون قريبا من المشهد النفيسى فوارروه وانصرفوا فلما كان يوم السبت ثانيه نزل السلطان من القلعة وعليه البياض تحزنا على ولده وسار ومعه الامراء بثياب الحزن الى قبر ابنه واقيم العزاء اوله عدة ايام * (خان السبيل) هذا الخان خارج باب الفتوح قال ابن عبد الظاهر خان السبيل بناه الامير بهاء الدين ابو سعيد قراقوش بن عبد الله الاسدى خادم أسد الدين شيركوه وعتيقه لابناء السبيل والمسافرين بغير اجرة وبه بئر ساقية وحوض * وقراقوش هذا هو الذى بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وبنى القناطر التى بالجيزة على طريق الاهرام وعمر بالمقس رباطا وأسره الفرنج فى عكا وهو واليها فافتكه السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بعشرة آلاف دينار وتوفى مستهل رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ودفن بسفح الجبل المقطم من القرافة * (خان منكورش) هذا الخان بخط سوق الخيميين بالقرب من الجامع الازهر قال ابن عبد الظاهر خان منكورش بناه الامير ركن الدين منكورش زوج ام الاوحد بن العادل ثم انتقل الى ورثته ثم انتقل الى الامير صلاح الدين احمد بن شعبان الاربلى فوقفه ثم تحيل ولده فى ابطال وقفه فاشتراه منه الملك الصالح بعشرة آلاف دينار مصرية وجعله مرصد الوالدة خليل ثم انتقل عنها انتهى * قال مؤلفه ومنكورش هذا كان احد مماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وتقدم حتى صار أحد الامراء الصالحية وعرف بالشجاعة والنجدة واصابة الراى وجودة الرمى وثبات الجاش فلما مات فى شوّال سنة سبع وسبعين وخمسمائة اخذ اقطاعه الامير يازكوج الاسدى وهذا الخان الآن يعرف بخان النشارين على يسرة من سلك من الخراطين الى الخيميين وهو وقف على جهات بر * (فندق ابن قريش) هذا الفندق قال ابن عبد الظاهر فندق ابن قريش استجده القاضى شرف الدين ابراهيم بن قريش كاتب الانشاء وانتقل الى ورثته انتهى (ابراهيم بن عبد الرحمن بن على بن عبد العزيز بن على بن قريش) ابو اسحاق القرشى المخزومى المصرى الكاتب شرف الدين احد الكتاب المجيدين خطا وانشاء خدم فى دولة الملك العادل ابى بكر بن ايوب وفى دولة ابنه الملك الكامل محمد بديوان الانشاء وسمع الحديث بمكة ومصر وحدّث وكانت ولادته بالقاهرة فى اول يوم من ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وقرأ القرآن وحفظ كثيرا من كتاب المهذب فى الفقه على مذهب الامام الشافعى وبرع فى الادب وكتب بخطه ما يزيد على اربعمائة مجلد ومات فى الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة * (وكالة قوصون) هذه الوكالة فى معنى الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب والرب ونحو ذلك وموضعها فيما بين الجامع الحاكمى ودار سعيد السعداء كانت اخيرا دارا تعرف بدار تعويل البوعانى فأخربها وما جاورها الامير قوصون وجعلها فندقا كبيرا الى الغاية وبدائره عدة مخازن وشرط ان لا يؤجر كل مخزن الا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك ولا يخرج احد من مخزنه فصارت هذه المخازن تتوارث لقلة اجرتها وكثرة فوائدها وقد أدركنا هذه الوكالة وان رؤيتها من داخلها او خارجها التدهش لكثرة ما هنالك من اصناف البضائع وازدحام الناس وشدة اصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها ثم تلاشى امرها منذ خربت الشام فى سنة ثلاث وثمانمائة على يد تيمورلنك وفيها الى الآن بقية ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلثمائة وستين بيتا ادركناها عامرة كلها ويحزر أنها تحوى نحو اربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير فلما كانت هذه المحن فى سنة ست وثمانمائة خرب كثير من هذه البيوت وكثير منها عامر آهل * (فندق دار التفاح) هذه الدار هى فندق تجاه باب زويلة يرد اليه الفواكه على اختلاف اصنافها مما ينبت فى بساتين ضواحى القاهرة ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية انما يباع فى وكالة قوصون اذا قدم ومنها ينقل الى سائر اسواق القاهرة ومصر ونواحيهما وكان موضع دار التفاح هذه فى القديم من جملة حارة السودان التى عملت بستانا فى ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب * وانشأ هذه الدار الامير طقوزدمر بعد سنة اربعين وسبعمائة ووقفها على خانقاه بالقرافة وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها الفاكهة تذكر رؤيتها وشم عرفها الجنة لطيبها وحسن منظرها وتأنق الباعة فى تنضيدها واحتفافها بالرياحين والازهار وما بين الحوانيت مسقوف حتى لا يصل الى الفواكه حر الشمس ولا يزال ذلك الموضع غضا طريا الا انه قد اختل منذ سنة ست وثمانمائة وفيه بقية ليست بذاك ولم تزل الى ان هدم علو الفندق وما بظاهره من الحوانيت فى يوم السبت سادس عشر شعبان سنة

احدى وعشرين وثمانمائة وذلك ان الجامع المؤيدى جاءت شبابيكه الغربية من جهة دار التفاح فعمل فيها كما صار يعمل فى الاوقاف وحكم باستبدالها ودفع فى ثمن نقضها ألف دينار افريقية عنها مبلغ ثلاثين ألف مؤيدى فضة ويتحصل من اجرتها الى ان ابتدئ بهدمها فى كل شهر سبعة آلاف درهم فلوسا عنها ألف مؤيدى فاستشنع هذا الفعل ومات الملك المؤيد ولم تكمل عمارة الفندق * (وكالة باب الجوانية) هذه الوكالة تجاه باب الجوانية من القاهرة فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوصون كان موضعها عدة مساكن فابتدأ الامير جمال الدين محمود بن على الاستادار بهدمها فى يوم الاربعاء ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبناها فندقا وربعا باعلاه فلما كملت رسم الملك الظاهر برقوق أن تكون دار وكالة يرد اليها مايصل الى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام فى البحر كالزيت والرب والدبس ويصير ما يرد فى البر يدخل به على عادته الى وكالة قوصون وجعلها وقفا على المدرسة الخانقاه التى انشأها بخط بين القصرين فاستمر الامر على ذلك الى اليوم * (خان الخليلى) هذا الخان بخط الزراكشة العتيق كان موضعه تربة القصر التى فيها قبور الخلفاء الفاطميين المعروفة بتربة الزعفران وقد تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب * انشأه الامير جهاركس الخليلى امير اخور الملك الظاهر برقوق واخرج منها عظام الاموات فى المزابل على الحمير وألقاها بكيمان البرقية هوانا بها فانه كان يلوذ به شمس الدين محمد بن احمد القليجى الذى تقدم ذكره فى ذكر الدور من هذا الكتاب وقال له ان هذه عظام الفاطميين وكانوا كفارا رفضة فاتفق للخليلى فى موته امر فيه عبرة لاولى الالباب وهو أنه لما ورد الخبر بخروج الامير يلبغا الناصرى نائب حلب ومجيء الامير منطاش نائب ملطية اليه ومسيرهما بالعساكر الى دمشق اخرج الملك الظاهر برقوق خمسمائة من المماليك وتقدم لعدة من الامراء بالمسير بهم فخرج الامير الكبير ايتمش الناصرى والامير جهاركس الخليلى هذا والامير يونس الدوادار والامير أحمد ابن يلبغا الخاصكى والامير ندكار الحاجب وساروا الى دمشق فلقيهم الناصرى ظاهر دمشق فانكسر عسكر السلطان لمخامرة ابن يلبغا وندكار وفر أيتمش الى قلعة دمشق وقتل الخليلى فى يوم الاثنين حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة وترك على الارض عاريا وسوءته مكشوفة وقد انتفخ وكان طويلا عريضا الى ان تمزق وبلى عقوبة من الله تعالى بما هتك من رمم الائمة وابنائهم ولقد كان عفا الله عنه عارفا خبيرا بأمر دنياه كثير الصدقة ووقف هذا الخان وغيره على عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه فى اليوم رغيفان فعمل ذلك مدة سنين ثم لما عظمت الاسعار بمصر وتغيرت نقودها من سنة ست وثمانمائة صار يحمل الى مكة مال ويفرق بها على الفقراء * (فندق طرنطاى) هذا الفندق كان بخارج باب البحر ظاهر المقس وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام وكان فيه ستة عشر عمودا من رخام طول كل عمود ستة اذرع بذراع العمل فى دور ذراعين ويعلوه ربع كبير فلما كان فى واقعة هدم الكنائس وحريق القاهرة ومصر فى سنة احدى وعشرين وسبعمائة قدم تاجر بعد العصر بزيت وزن فى مكسه عشرين ألف درهم نقرة سوى اصناف أخر قيمتها مبلغ تسعين ألف درهم نقرة فلم يتهيأ له الفراغ من نقل الزيت الى داخل هذا الفندق الا بعد العشاء الآخرة فلما كان نصف الليل وقع الحريق بهذا الفندق فى ليلة من شهر ربيع الآخر منها كما كان يقع فى غير موضع من فعل النصارى فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجارة التى كان مبنيا بها وحتى الاعمدة المذكورة وصارت كلها جيرا واحترق علوه وأصبح التاجر يستعطى الناس وموضع هذا الفندق

(ذكر الاسواق)

قال ابن سيدة والسوق التى يتعامل فيها تذكر وتؤنث والجمع اسواق وفى التنزيل ألا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق والسوقة لغة فيها والسوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان الذكر والانثى فى ذلك سواء وقد كان بمدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الاسواق شئ كثير جدا قد باد اكثرها وكفاك دليلا على كثرة عددها أن الذى خرب من الاسواق فيما بين اراضى اللوق الى باب البحر بالمقس اثنان وخمسون سوقا ادركناها عامرة فيها مايبلغ حوانيته نحو الستين حانوتا وهذه الخطة من جملة ظاهر القاهرة الغربى فكيف بقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر وسأذكر من اخبار الاسواق ما اجد سبيلا الى ذكره ان شاء الله تعالى * (القصبة) قال ابن سيدة قصبة البلد مدينته وقيل معظمه والقصبة هى اعظم اسواق مصر وسمعت

غير واحد ممن ادركته من المعمرين يقول ان القصبة تحتوى على اثنى عشر ألف حانوت كأنهم يعنون ما بين اوّل الحسينية مما يلى الرمل الى المشهد النفيسى ومن اعتبر هذه المسافة اعتبارا جيدا لا يكاد أن ينكر هذا الخبر وقد ادركت هذه المسافة بأسرها عامرة الحوانيت غاصة بأنواع المآكل والمشارب والامتعة تبهج رؤيتها و يعجب الناظر هيئتها ويعجز العادّ عن احصاء ما فيها من الانواع فضلا عن احصاء ما فيها من الاشخاص وسمعت الكافة ممن ادركت يفاخرون بمصر سائر البلاد ويقولون يرمى بمصر فى كل يوم ألف دينار ذهبا على الكيمان والمزابل يعنون بذلك ما يستعمله اللبانون والجبانون والطباخون من الشقاف الحمر التى يوضع فيها اللبن والتى يوضع فيها الجبن والتى تأكل فيها الفقراء الطعام بحوانيت الطباخين وما يستعمله بياعوا الجبن من الخيط والحصر التى تعمل تحت الجبن فى الشقاف وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق الفوى والخيوط التى تشدّ بها القراطيس الموضوع فيها حوائج الطعام من الحبوب والافاويه وغيرها فان هذه الاصناف المذكورة اذا حملت من الاسواق واخذ ما فيها ألقيت الى المزابل ومن ادرك الناس قبل هذه المحن وأمعن النظر فيما كانوا عليه من انواع الحضارة والترف لم يستكثر ما ذكرناه وقد اختل حال القصبة وخرب وتعطل اكثر ما تشتمل عليه من الحوانيت بعدما كانت مع سعتها تضيق بالباعة فيجلسون على الارض فى طول القصبة باطباق الخبز واصناف المعايش ويقال لهم اصحاب المقاعد وكل قليل يتعرض الحكام لمنعهم واقامتهم من الاسواق لما يحصل بهم من تضييق الشوارع وقلة بيع ارباب الحوانيت وقد ذهب والله ما هنالك ولم يبق الا القليل وفى القصبة عدّة اسواق منها ما خرب ومنها ما هو باق وسأذكر منها ما يتيسر ان شاء الله تعالى * (سوق باب الفتوح) هذا السوق فى داخل باب الفتوح من حدّ باب الفتوح الآن الى رأس حارة بهاء الدين معمور الجانبين بحوانيت اللحامين والخضريين والفاميين والشرايحية وغيرهم وهو من أجل اسواق القاهرة وأعمرها يقصده الناس من اقطار البلاد لشراء انواع اللحمان الضأن والبقر والمعز ولشراء اصناف الخضراوات وليس هو من الاسواق القديمة وانما حدث بعد زوال الدولة الفاطمية عندما سكن قراقوش فى موضعه المعروف بحارة بهاء الدين وقد تناقص عما كان فيه منذ عهد الحوادث وفيه الى الآن بقية صالحة * (سوق المرحلين) هذا السوق ادركته من رأس حارة بهاء الدين الى بحرى المدرسة الصيرمية معمور الجانبين بالحوانيت المملوءة برحالات الجمال وأقتابها وسائر ما تحتاج اليه يقصد من سائر اقليم مصر خصوصا فى مواسم الحج فلو أراد الانسان تجهيز مائة جمل واكثر فى يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك لكثرة ذلك عند التجار فى الحوانيت بهذا السوق وفى المخازن فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة وكثر سفر الملك الناصر فرج بن برقوق الى محاربة الامير شيخ والامير نوروز بالبلاد الشامية صار الوزراء يستدعون ما يحتاج اليه الجمال من الرحال والاقتاب وغيرها فاما لا يدفع ثمنها او يدفع فيها الشئ اليسير من الثمن فاختل من ذلك حال المرحلين وقلت اموالهم بعد ما كانوا مشتهرين بالغناء الوافر والسعادة الطائلة وخرب معظم حوانيت هذا السوق وتعطل اكثر ما بقى منها ولم يتأخر فيه سوى القليل * (سوق خان الرواسين) هذا السوق على رأس سويقة امير الجيوش قيل له ذلك من اجل ان هنالك خانا تعمل فيه الرؤس المغمومة وكان من احسن اسواق القاهرة فيه عدّة من البياعين ويشتمل على نحو العشرين حانوتا مملوءة بأصناف المآكل وقد اختل وتلاشى امره * (سوق حارة برجوان) هذا السوق من الاسواق القديمة وكان يعرف فى القديم ايام الخلفاء الفاطميين بسوق امير الجيوش وذلك ان امير الجيوش بدرا الجمالى لما قدم الى مصر فى زمن الخليفة المستنصر وقد كانت الشدّة العظمى بنى بحارة برجوان الدار التى عرفت بدار المظفر وأقام هذا السوق برأس حارة برجوان قال ابن عبد الظاهر والسويقة المعروفة بأمير الجيوش معروفة بامير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر وهى من باب حارة برجوان الى قريب الجامع الحاكمى وهكذا اشهد مكاتيب دور حارة برجوان القديمة فان فيها والحدّ القبلى ينتهى الى سويقة امير الجيوش وسوق حارة برجوان هو فى الحدّ القبلى من حارة برجوان وأدركت سوق حارة برجوان أعظم اسواق القاهرة ما برحنا ونحن شباب نفاخر بحارة برجوان سكان جميع حارات القاهرة فنقول بحارة برجوان حمامات يعنى حمامى الرومى وحمام سويد فانه كان يدخل اليها من داخل الحارة وبها فرنان ولها السوق الذى لا يحتاج ساكنها الى غيره وكان هذا السوق من سوق خان الرواسين الى سوق الشماعين معمور الجانبين بالعدّة الوافرة من بياعى لحم الضأن السليخ وبياعى اللحم

السميط وبياعي اللحم البقري وبه عدة كثيرة من الزياتين وكثير من الجبانين والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين والبواردية والعطارين والخضريين وكثير من بياعي الامتعة حتى انه كان به حانوت لا يباع فيه الا الحوائج المائدة وهي البقل والكراث والشمار والنعناع وحانوت لا يباع فيه الا الشيرج والقطن فقط برسم تعمير القناديل التي تسرج في الليل وسمعت من ادركت انه كان يشترى من هذا الحانوت في كل ليلة شيرج مما يوضع في القناديل بثلاثين درهما فضة عنها يومئذ دينار ونصف وكان يوجد بهذا السوق لحم الضأن النيء والمطبوخ الى ثلث الليل الاول ومن قبل طلوع الفجر بساعة وقد خرب اكثر حوانيت هذا السوق ولم يبق لها اثر وتعطل باسره بعد سنة ست وثمانمائة وصار أوحش من وتد في قاع بعد ان كان الانسان لا يستطيع ان يمر فيه من ازدحام الناس ليلا ونهارا الا بمشقة وكان فيه قباني برسم وزن الامتعة والمال والبضائع لا يتفرغ من الوزن ولا يزال مشغولا به ومعه من يستحثه ليزن له فلما كان بعد سنة عشر وثمانمائة انشأ الامير طوغان الدوادار بهذا السوق مدرسة وعمر ربعا وحوانيت فحاكى بعض الشيء وقبض على طوغان في سنة ست عشرة وثمانمائة ولم تكمل عمارة السوق وفيه الآن بقية يسيرة * (سوق الشماعين) هذا السوق من الجامع الاقمر الى سوق الدجاجين كان يعرف في الدولة الفاطمية بسوق القماحين وعنده بنى المأمون بن البطائحي الجامع الاقمر باسم الخليفة الآمر باحكام الله وبنى تحت الجامع دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح وادركت سوق الشماعين من الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوسية والطوافات لا تزال حوانيته مفتحة الى نصف الليل وكان يجلس به في الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين لهن سيما يعرفن بها وزي يتميزن به وهو لبس الملاآت الطرح وفي ارجلهن سراويل من اديم احمر وكن يعانين الزعارة ويتقفن مع الرجال المشالقين في وقت لعبهم وفيهن من تحمل الحديد معها وكان يباع في هذا السوق في كل ليلة من الشمع بمال جزيل وقد خرب ولم يبق به الا نحو الخمس حوانيت بعد ما ادركتها تزيد على عشرين حانوتا وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشمع وكان يعلق بهذا السوق الفوانيس في موسم الغطاس فتصير رؤيته في الليل من انزه الاشياء وكان به في شهر رمضان موسم عظيم لكثرة ما يشترى ويكترى من الشموع الموكبية التي تزن الواحدة منهن عشرة ارطال فما دونها ومن المزهرات العجيبة الزي المليحة الصنعة ومن الشمع الذي يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه كل ذلك برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح فيمر في ليالي شهر رمضان من ذلك ما يعجز البليغ عن حكاية وصفه وقد تلاشى الحال في جميع ما قلنا لفقر الناس وعجزهم * (سوق الدجاجين) هذا السوق كان مما يلي سوق الشماعين الى سوق قبو الخرشتف كان يباع فيه من الدجاج والاوز شيء كثير جليل الى الغاية وفيه حانوت فيه العصافير التي يبتاعها ولدان الناس ليعتقوها فيباع منها في كل يوم عدد كثير جدا ويباع العصفور منها بفلس ويخدع الصبي بأنه يسبح من اعتقه دخل الجنة ولكل واحد حينئذ رغبة في فعل الخير وكان يوجد في كل وقت بهذه الحوانيت من الاقفاص التي بها هذه العصافير آلاف ويباع بهذا السوق عدة أنواع من الطير وفي كل يوم جمعة يباع فيه بكرة اصناف القماري والهزارات والشحارير والببغا والسمان وكنا نسمع أن من السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم وكذلك بقية طيور المسموع يبلغ الواحد منها نحو الالف لتنافس الناس فيها وتوفر عدد المعتنين بها وكان يقال لهم غواة طيور المسموع سيما الطواشية فانه كان يبلغ بهم الترف ان يقتنوا السمان ويتأنقوا في اقفاصه ويتغالوا في اثمانه حتى بلغنا انه بيع طائر من السمان بألف درهم فضة عنها يومئذ نحو الخمسين دينارا من الذهب كل ذلك لاعجابهم بصوته وكان صوته على وزن قول القائل طقطلق وعوع وكلما كثر صياحه كانت المغالاة في ثمنه فاعتبر بما قصصته عليك حال الترف الذي كان فيه اهل مصر ولا تتخذ حكاية ذلك هزؤا تسخر به فتكون ممن لا تنفعه المواعظ بل يمر بالآيات معرضا غافلا فتحرم الخير * وكان بهذا السوق قيسارية عملت مرة سوقا للكتبيين ولها باب من وسط سوق الدجاجين وباب من الشارع الذي يسلك فيه من بين القصرين الى الركن المخلق فاتفق ان ولي نيابة النظر في المارستان المنصوري عن الامير الكبير ايتمش البجاسي الظاهري امير يعرف بالامير خضر ابن التنكزية فهدم هذا السوق والقيسارية وما يعلوها وانشأ هذه الحوانيت والرباع التي فوقها تجاه ربع الكامل الذي يعلو ما بين درب الخضيري وقبو الخرشتف فلما كمل اسكن في الحوانيت عدة من الزياتين وغيرهم وبقي من الدجاجين بهذا السوق بقية قليلة * (سوق بين القصرين)

هذا السوق اعظم اسواق الدنيا فيما بلغنا وكان في الدولة الفاطمية براحا واسعا يقف فيه عشرة الاف مابين فارس وراجل ثم لما زالت الدولة ابتذل وصار سوقا يعجز الواصف عن حكاية ما كان فيه وقد تقدم ذكره في الخطط من هذا الكتاب وفيه الى الآن بقية تحزنني رؤيتها اذ صارت الى هذه القلة * (سوق السلاح) هذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرية بيبرس وبين باب قصر بشتاك استجد فيما بعد الدولة الفاطمية في خط بين القصرين وجعل لبيع القسي والنشاب والزردبات وغير ذلك من آلات السلاح وكان تجاهه خان يقابل الخان الذى هو الآن بوسط سوق السلاح وعلى بابه من الجانبين حوانيت تجلس فيها الصيارف طول النهار فاذا كان عصريات كل يوم جلس أرباب المقاعد تجاه حوانيت الصيارف لبيع انواع من المآكل وقابلهم تجاه حوانيت سوق السلاح ارباب المقاعد أيضا فاذا أقبل الليل اشعلت السرج من الجانبين وأخذ الناس في التمشي بينهما على سبيل الاسترواح والتنزه فيمر هنالك من الخلاعات والمجون مالا يعبر عنه بوصف فلما انشأ الملك الظاهر برقوق المدرسة الظاهرية المستجدة صارت في موضع الخان وحوانيت الصرف تجاه سوق السلاح وقل ما كان هنالك من المقاعد وبقى منها شئ يسير * (سوق القفيصات) بصيغة الجمع والتصغير هكذا يعرف كأنه جمع قفيص فانه كله معد لجلوس اناس على تخوت تجاه شبابيك القبة المنصورية وفوق تلك التخوت اقفاص صغار من حديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلاخيلهن وغير ذلك وهذه الاقفاص يأخذ اجرة الارض التى هى عليها مباشر المارستان المنصورى وأصل هذه الارض كانت من حقوق ارض موقوفة على جامع المقس فدخل بعضها في القبة المنصورية وصار بعضها كما ذكرنا والى اليوم يدفع من وقف المارستان حكر هذه الارض لجامع المقس ولما ولى نظر المارستان الامير جمال الدين اقوش المعروف بنائب الكرك في سنة ست وعشرين وسبعمائة عمل فيه اشياء من ماله منها خيمة ذرعها مائة ذراع نشرها من اول جدار القبة المنصورية بحذاء المدرسة الناصرية الى آخر حد المدرسة المنصورية بجوار الصاغة فصارت فوق مقاعد الاقفاص تظلهم من حر الشمس وعمل لها حبالا تمدبها عند الحر وتجمع بها اذا امتد الظل وجعلها مرتفعة في الجو حتى ينحرف الهواء ثم لما كان شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة نقلت الاقفاص منه الى القيسارية التى استجدت تجاه الصاغة * (سوق باب الزهومة) * هذا السوق عرف بذلك من اجل انه كان هنالك في الايام الفاطمية باب من ابواب القصر يقال له باب الزهومة تقدم ذكره في ذكر أبواب القصر من هذا الكتاب وكان موضع هذا السوق في الدولة الفاطمية سوق الصيارف ويقابله سوق السيوفيين من حيث الخشيبة الى نحو رأس سوق الحريريين اليوم وسوق العنبر الذى كان اذ ذاك سجنا يعرف بالمعونة ويقابل السيوفيين اذ ذاك سوق الزجاجين وينتهى الى سوق الشماعين الذى يعرف اليوم بالخراطين فلما زالت الدولة الفاطمية تغير ذلك كله فصار سوق السيوفيين من جوار الصاغة الى درب السلسلة وبنى فيما بين المدرسة الصالحية وبين الصاغة سوق فيه حوانيت تلى المدرسة الصالحية يباع فيها الامشاط بسوق الامشاطيين وفيه حوانيت فيما بين الحوانيت التى يباع فيها الامشاط وبين الصاغة بعضها سكن الصيارف وبعضها سكن النقليين وهم الذين يبيعون الفستق واللوز والزبيب ونحوه وفي وسط هذا البناء سوق الكتبيين يحيط به سوق الامشاطيين وسوق النقليين وجميع ذلك جار في اوقاف المارستان المنصورى * وكان سوق باب الزهومة من اجل اسواق القاهرة وأخرها موصوفا بحسن المآكل وطيبها * واتفق في هذا السوق امر يستحسن ذكره لغرابته في زمننا وهو أنه عبر متولى الحسبة بالقاهرة في يوم السبت سادس عشر شهر رمضان سنة اثنتين واربعين وسبعمائة على رجل بواردى بهذا السوق يقال له محمد بن خلف عنده مخزن فيه حمام وزرازير متغيرة الرائحة لها نحو خمسين يوما فكشف عنها فبلغت عدتها اربعة وثلاثين ألفا ومائة وستة وتسعين طائرا من ذلك حمام ألف ومائة وستة وتسعون وزرازير ثلاثة وثلاثون ألفا كلها متغيرة اللون والريح فأدبه وشهره وفيه الى الآن بقايا * (سوق المهامزيين) هذا السوق مما استجد بعد زوال الدولة الفاطمية وكان بأوله حبس المعونة الذى عمله الملك المنصور قلاوون سوق العنبر ويقابله المارستان والوكالة ودار الضرب في الموضع الذى يعرف اليوم بدرب الشمسى وما يحاذيه من الحوانيت الى حمام الخراطين وما تجاه ذلك وهذا السوق معد لبيع المهاميز وادركت الناس وهم يتخذون المهماز كله غالبه وسقطه من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة ولا يترك ذلك الا من يتورع ويتدين فيتخذ القالب

من الحديد ويطليه بالذهب او الفضة ويتخذ السقط من الفضة وقد اضطر الناس الى ترك هذا فقل من بقي سقط مهمازه فضة ولا يكاد يوجد اليوم مهماز من ذهب وكان يباع بهذا السوق البدلات الفضة التي كانت برسم لجم الخيل وتعمل تارة من الفضة المجراة بالمينا وتارة بالفضة المطلية بالذهب فيبلغ زنة ما في البدلة من خمسمائة درهم فضة الى ما دونها وقد بطل ذلك وكان يباع به ايضا سلاسل الفضة ومخاطم الفضة المطلية تجعل تحت لجم الجور من الخيل خاصة فيركب بها اعيان الموقعين واكابر الكتاب من القبط ورؤساء التجار وقد بطل ذلك ايضا ويباع فيه ايضا الدوى والطرف التي فيها الفضة والذهب كسكاكين الاقلام ونحوها وكانت تجار هذا السوق تعد من بياض العامة ويتصل بسوق المهامزيين هذا * (سوق اللجميين) ويباع فيه آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من الجلد وفي هذا السوق ايضا عدة وافرة من الطلائين وصناع الكفت برسم اللجم والركب والمهاميز ونحو ذلك وعدة من صناع مياثر السروج وقرابيسها وادركت السروج تعمل ملونة ما بين اصفر وازرق ومنها ما يعمل من الذبل ومنها ما يعمل سيورا من الجلد البلغاري الاسود ويركب بهذه السروج السود القضاة ومشايخ العلم اقتداء بعادة بني العباس في استعمال السواد على ما جدده بديار مصر السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بعد زوال الدولة الفاطمية وادركت السروج التي تركب بها الاجناد والكتاب يعمل للسرج في قربوسه ستة اطواق من فضة مقبلة مطلية بالذهب ومعقربات من فضة ولا يكاد احد يركب فرسا بسرج سادج الا ان يكون من القضاة ومشايخ العلم واهل الورع فلما تسلطن الملك الظاهر برقوق اتخذ سائر الاجناد السروج المغرقة وهي التي جميع قرابيسها من ذهب او فضة اما مطلية او سادجة وكثر عمل ذلك حتى لم يبق من العسكر فارس الا وسرجه كما ذكرنا وبطل السرج المسقط فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة غلب على الناس الفقر وكثرت الفتن فقلت سروج الذهب والفضة وبقي منها الى اليوم بقايا يركب بها اعيان الامراء وأماثل المماليك * (سوق الجوخيين) هذا السوق يلي سوق اللجميين وهو معدّ لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها وادركت الناس وقلما تجد فيهم من يلبس الجوخ وانما يكون من جملة ثياب الاكابر جوخ لا يلبس الا في يوم المطر وانما يلبس الجوخ من يرد من بلاد المغرب والفرنج واهل الاسكندرية وبعض عوام مصر فاما الرؤساء والاكابر والاعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه الا في وقت المطر فاذا ارتفع المطر نزع الجوخ واخبرني القاضي الرئيس تاج الدين ابو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب ابن الخطبا المخزومي خال ابي رحمه الله قال كنت انوب في حسبة القاهرة عن القاضي ضياء الدين المحتسب فدخلت عليه يوما وانا لابس جوخة لها وجه صوف مربع فقال لي وكيف ترضى ان تلبس الجوخ وهل الجوخ الا لاجل البغلة ثم اقسم علي ان اخلعها ومازال بي حتى عرّفته اني اشتريتها من بعض تجار قيسارية الفاضل فاستدعاه في الحال ودفعها اليه وامره باحضار ثمنها ثم قال لي لا تعد الى لبس الجوخ استهجانا له فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس دعت الضرورة اهل مصر الى ترك اشياء مما كانوا فيه من الترفه وصار معظم الناس يلبسون الجوخ فتجد الامير والوزير والقاضي ومن دونهم ممن ذكرنا لباسهم الجوخ ولقد كان الملك الناصر فرج ينزل احيانا الى الاصطبل وعليه تجبون من جوخ وهو ثوب قصير الكمين والبدن يخاط من الجوخ بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه فتداول الناس لبسه واجتلب الفرنج منه شيأ كثيرا لا توصف كثرته ومحل بيعه بهذا السوق ويلي سوق الجوخيين هذا * (سوق الشرابشيين) وهذا السوق مما احدث بعد الدولة الفاطمية ويباع فيها الخلع التي يلبسها السلطان للامراء والوزراء والقضاة وغيرهم وانما قيل له سوق الشرابشيين لانه كان من الرسم في الدولة التركية ان السلطان والامراء وسائر العساكر انما يلبسون على رؤسهم كلوتة صفراء مضربة تضريبا عريضا ولها كلاليب بغير عمامة فوقها وتكون شعورهم مضفورة مدلاة بدبوقة وهي في كيس حرير اما احمر أو أصفر وأوساطهم مشدودة ببنود من قطن بعلبكي مصبوغ عوضا عن الحوائص وعليهم اقبية اما بيض او مشجرة احمر وأزرق وهي ضيقة الاكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم واخفافهم من جلد بلغاري اسود وفي ارجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان ومن فوق القبا كمران بحلق وابزيم وصوالق بلغاري كبار يسع الواحد منها اكثر من نصف ويبة غلة مغروز فيه منديل طوله ثلاثة اذرع فلم يزل هذا زيهم منذ استولوا بديار مصر على الملك من سنة ثمان واربعين وستمائة الى ان قام في المملكة الملك المنصور قلاوون فغير هذا الزي بأحسن منه ولبسوا الشاشات

وابطلوا لبس الكم الضيق واقترح كل احد من المنصورية ملابس حسنة فلما ملك ابنه الاشرف خليل جمع خاصكيته ومماليكه وتخير لهم الملابس الحسنة وبدل الكلوتات الجوخ والصفر ورسم لجميع الامراء ان يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركش والطرازات الزركش والكلاليب الزركش والاقبية الاطلس المعدني حتى يميز الامير بلبسه عن غيره وكذلك في الملبوس الابيض ان يكون رفيعا واتخذ السروج المرصعة والاكوار المرصعة فعرفت بالاشرفية وكانت قبل ذلك سروجهم بقرابيس كبار شنعة وركب كبار بشعة فلما ملك ديار مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون استجد العمائم الناصرية وهي صغار فلما قام الامير يلبغا العمري الخاصكي عمل الكلوتات اليلبغاوية وكانت كبارا واستجد الامير سلار في ايام الملك الناصر محمد القباء الذي يعرف بالسلاري وكان قبل ذلك يعرف ببغلوطاق فلما تملك الملك الظاهر برقوق عمل هذه الكلوتات الجركسية وهي اكبر من اليلبغاوية وفيها عوج وأما الخلع فان السلطان كان اذا امّر احدا من الاتراك البسه الشربوش وهو شئ يشبه التاج كانه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة ويلبس معه على قدر رتبته اما ثوب بخ او طردوحش او غيره فعرف هذا السوق بالشرابشيين نسبة الى الشرابيش المذكورة وقد بطل الشربوش في الدولة الجركسية وكان بهذا السوق عدة تجار لشراء التشاريف والخلع وبيعها على السلطان في ديوان الخاص وعلى الامراء وينال الناس من ذلك فوائد جليلة ويقتنون بالمتجر في هذا الصنف سعادات طائلة فلما كانت هذه الحوادث منع الناس من بيع هذا الصنف الا للسلطان وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر ما يحتاج اليه ومن اشترى من ذلك شيأ سوى عمال السلطان فله من العقاب ما قدر عليه والامر على هذا الى يومنا الذي نحن فيه وأول من علمته خلع عليه من اهل الدول جعفر بن يحيي البرمكي وذلك ان امير المؤمنين هارون الرشيد قال في اليوم الذي انعقد له فيه الملك يا اخي يا جعفر قد امرت لك بمقصورة في داري وما يصلح لها من الفراش وعشر جوار تكن فيها ليلة مبيتك عندنا فقال يا امير المؤمنين ما من نعمة متواترة ولا فضل متظاهر الا ورأى امير المؤمنين اجل وأتم ثم انصرف وقد خلع عليه الرشيد وحمل بين يديه مائة بدرة دراهم ودنانير وامر الناس فركبوا اليه حتى سلموا عليه وأعطاه خاتم الملك ليختم به على ما يريد فبلغ بذلك صيته اقطار الارض ووصل الى ما لم يصل اليه كاتب بعده فاقتدى بالرشيد من بعده وخلعوا على اولياء دولتهم وولاة اعمالهم واستمر ذلك الى اليوم وأول ما عرف شد السيوف في اوساط الجند ان سيف الدين غازي بن عماد الدين اتابك زنكي بن اق سنقر صاحب الموصل امر الاجناد أن لا يركبوا الا بالسيوف في اوساطهم والدبابيس تحت ركبهم فلما فعل ذلك اقتدى به اصحاب الاطراف وهو أيضا اول من حمل على رأسه الصنجق في ركوبه وغازي هذا هو أخو الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي ومات في آخر جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وخمسمائة وولي الموصل بعده اخوه قطب الدين مودود *(سوق الحوائصيين) هذا السوق يتصل بسوق الشرابشيين وتباع فيه الحوائص وهي التي كانت تعرف بالمنطقة في القديم فكانت حوائص الاجناد أولا اربعمائة درهم فضة ونحوها ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الامراء الكبار ثلثمائة دينار وامراء الطبلخانات مائتي دينار ومقدمي الحلقة من مائة وسبعين الى مائة وخمسين دينارا ثم صار الامراء والخاصكية في الايام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياصة من الذهب ومنها ما هو مرصع بالجوهر ويفرق السلطان في كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيأ كثيرا ومازال الامر على ذلك الى ان ولي الناصر فرج فلما كان في ايام الملك المؤيد شيخ قل ذلك ووجد في تركة الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور لما قبض عليه ستة آلاف حياصة وستة آلاف كلوتة جهاركس ومابرح تجار هذا السوق من بياض العامة وقد قل تجار هذا السوق في زمننا وصار اكثر حوانيته يباع فيها الطواقي التي يلبسها الصبيان وصارت الآن من ملابس الاجناد *(سوق الحلاويين) هذا السوق معد لبيع ما يتخذ من السكر حلوى وانما يعرف اليوم بحلاوة منوعة وكان من ابهج الاسواق لما يشاهد في الحوانيت التي بها من الاواني وآلات النحاس الثقيلة الوزن البديعة الصنعة ذات القيم الكبيرة ومن الحلاوات المصنعة عدة الوان وتسمى المجمعة وشاهدت بهذا السوق السكر ينادى عليه كل قنطار بمائة وسبعين درهما فلما حدثت المحن وغلا السكر لخراب الدواليب التي كانت بالوجه القبلي وخراب مطابخ السكر التي كانت بمدينة مصر قل عمل الحلوى ومات اكثر صناعها ولقد رأيت مرة طبقا فيه نقل وعدة شقاف من خزف احمر في بعضها لبن

وفي بعضها انواع الاجبان وفيما بين الشقاف الخيار والموز وكل ذلك من السكر المعمول بالصناعة وكانت ايضا لهم عدة اعمال من هذا النوع يحير الناظر حسنها وكان هذا السوق في موسم شهر رجب من احسن الاشياء منظرا فانه كان يصنع فيه من السكر أمثال خيول وسباع وقطاط وغيرها تسمى العلاليق واحدها علاقة ترفع بخيوط على الحوانيت فمنها مايزن عشرة ارطال الى ربع رطل تشترى للاطفال فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يبتاع منها للاهل والاولاد وتمتلئ اسواق البلدين مصر والقاهرة واريافهما من هذا الصنف وكذلك يعمل في موسم نصف شعبان وقد بقى من ذلك الى اليوم بقية غير طائلة وكذلك كانت تروق رؤية هذا السوق في موسم عيد الفطر لكثرة مايوضع فيه من حب الخشكنانج وقطع البسندود والمشاش ويشرع في عمل ذلك من نصف شهر رمضان فتملأ منه اسواق القاهرة ومصر والارياف ولم ير في موسم سنة سبع عشرة وثمانمائة من ذلك شئ بالاسواق البتة فسبحان محيل الاحوال لا اله الا هو * (سوق الشوايين) هذا السوق اول سوق وضع بالقاهرة وكان يعرف بسوق الشرايحيين وهو من باب حارة الروم الى سوق الحلاويين ومازال يعرف بسوق الشرايحيين الى ان سكن فيه عدة من بياعى الشواء فى حدود السبعمائة من سنى الهجرة فزالت عنه النسبة الى الشرايحيين وعرف بالشوايين وهو الآن سكن المتعيشين وانتقل سوق الشرايحيين في زماننا الى خارج باب زويلة وعرف بالبسطيين كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز وفي شهر صفر من سنة خمس وستين وثلثمائة انشئ سوق الشرايحيين بالقاهرة وذكر ذلك ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة وكان في القديم باب زويلة الذى وضعه القائد جوهر عند رأس حارة الروم حيث العقد المجاور الآن للمسجد الذى عرف اليوم بسام بن نوح وكان بجواره باب آخر موضعه الآن سوق الماطيين فلما نقل امير الجيوش باب زويلة الى حيث هو الآن اتسع ما بين سوق الشرايحيين المذكور وبين باب زويلة الكبير وصار الآن فيه سوق الغرابليين وفيه عدة حوانيت تعمل مناخل الدقيق والغرابيل ويقابلهم عدة حوانيت يصنع فيها الاغلاق المعروفة بالضبب ومابعد ذلك الى باب زويلة فيه كثير من الحوانيت يجلس ببعضها عدة من الجبانين لبيع انواع الجبن المجلوب من البلاد الشامية وأدركنا هنالك الى ان حدثت المحن من ذلك شيأ كثيرا يتجاوز الحد فى الكثرة وفي بعض تلك الحوانيت قوم يجلسون لعلاج من عساه ينصدع له عظم او ينكسر او يصيبه جرح يعرفون بالمجبرين وهنالك منهم بقية الى يومنا هذا وبقية الحوانيت ما بين صيارفة وبياعى طرف ومتعيشين فى المآكل وغيرها فهذه قصبة القاهرة وما فى ظاهر باب زويلة فانه خارج القاهرة والله تعالى اعلم

(الشارع خارج باب زويلة)

هذا الشارع هو تجاه من خرج من باب زويلة ويمتد فيما بين الطريق السالك ذات اليمين الى الخليج وبين الطريق السالك فيه ذات اليسار الى قلعة الجبل ولم يكن هذا الشارع موجودا على ماهو عليه الآن عند وضع القاهرة وانما حدث بعد وضعها بعدة اعوام على غير هذه الهيئة فلما كثرت العمائر خارج باب زويلة بعد سنة سبعمائة من سنى الهجرة صار على ماهو عليه الآن فأما اول امره فان الخليفة الحاكم بامر الله انشأ الباب الجديد على يسرة الخارج من باب زويلة على شاطئ بركة الفيل وهذا الباب ادركت عقده عند رأس المنجبية بجوار سوق الطيور ثم لما اختطت حارة اليانسية وحارة الهلالية صار ساحل بركة الفيل قبالتها واتصلت العمائر من الباب الجديد الى الفضاء الذى هو الآن خارج المشهد النفيسى فلما كانت الشدة العظمى فى خلافة المستنصر وخربت القطائع والعسكر صارت مواضعها خرابا الى خلافة الآمر بأحكام الله فعمر الناس حتى صارت مصر والقاهرة لا يتخللهما خراب وبنى الناس فى الشارع من الباب الجديد الى الجبل عرضا حيث قلعة الجبل الآن وبنى حائط يستر خراب القطائع والعسكر فعمر من الباب الجديد طولا الى باب الصفا بمدينة مصر حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون يصلون العشاء الآخرة بالقاهرة ويتوجهون الى سكنهم فى مصر ولا يزالون فى ضوء وسرج وسوق موقود من الباب الجديد خارج باب زويلة الى باب الصفا حيث الآن كوم الجارح والمعايش مستمرة فى الليل والنهار ووقف القاضى الرئيس المختار العدل زكى الدين أبو العباس أحمد ابن مرتضى بن سيد الاهل بن يوسف حصة من البستان الكبير المعروف يومئذ بالخاربق الكبرى الكائن فيما بين

القاهرة ومصر بعدوة الخليج على القربات وشرط أن الناظر يشترى فى كل فصل من فصول الشتاء من قماش الكتان الخام أو القطن ما يراه ويعمل ذلك جبابا وبغالطيقا محشوة قطنا وتفرق على الايتام الذكور والاناث الفقراء غير البالغين بالشارع الاعظم خارج باب زويلة فيدفع لكل واحد جبة واحدة أو بغلطاقا فان تعذر ذلك كان على الايتام المتصفين بالصفات المذكورة بالقاهرة ومصر وقرافتيهما وكان هذا الوقف فى سنة ستين وستمائة فلما كثرت العمائر خارج باب زويلة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد سنة سبعمائة صار هذا الشارع اوله تجاه باب زويلة وآخره فى الطول الصليبة التى تنتهى الى جامع ابن طولون وغيره لكنهم لا يريدون بالشارع سوى الى باب القوس الذى بسوق الطيوريين وهو الباب الجديد وبعد باب القوس سوق الطيوريين ثم سوق جامع قوصون وسوق حوض ابن هنس وسوق ربع طقجى وهذه اسواق بها عدة حوانيت لكنها لا تنتهى الى عظم اسواق القاهرة بل تكون ابدا دونها بكثير فهذا حال القصبة والشارع خارج باب زويلة وقد بقيت عدة اسواق فى جانبى القصبة ولها أبواب شارعة وفيها اسواق أخر فى نواحى القاهرة ومسالكها سيأتى ذكرها بحسب القدرة ان شاء الله تعالى *(سويقة أمير الجيوش) هذه السويقة الآن فيما بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين كانت تعرف بسوق الخروقيين فيما بعد زوال الدولة الفاطمية وفى هذا السوق عمر الامير مازكوج الاسدى مدرسته المعروفة الآن بالازكجية وادركت الناس الى هذا الزمن الذى نحن فيه لا يعرفون هذا السوق الا بسوق أمير الجيوش ويعبرون عنه بصيغة التصغير ولا اعرف لهم مستندا فى ذلك والذى تشهد به الاخبار أن سوق أمير الجيوش هو السوق الذى برأس حارة برجوان و يمتد الى رأس سويقة أمير الجيوش الآن وهذه السويقة من اكبر أسواق القاهرة بها عدة حوانيت فيها الرفاؤون والحباكون وعدة حوانيت للرسامين وعدة حوانيت للفرايين وعدة حوانيت للخياطين ومعظم مها لكن البزازين والملعبين وفيها عدة من يباعى الاقباع ويباع فى هذا السوق سائر الثياب المخيطة والامتعة من الفرش ونحوها وهو شارع من شوارع القاهرة يسلك فيه من باب الفتوح وبين القصرين وباب النصر الى باب القنطرة وشاطئ النيل وغيره وكان ما بعد هذا السوق الى باب القنطرة معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الطرائف والمغازل والكتان والانواع من المأكل والعطر وغيره وقد خرب اكثر هذه الحوانيت فى سنى المحنة وما بعدها ولسويقة أمير الجيوش عدة قياسر وفنادق والله أعلم *(سوق الجملون الصغير) هذا السوق يسلك فيه من رأس سويقة أمير الجيوش الى باب الجوانية وباب النصر ورحبة باب العيد وهو مجاور لدرب الفرحية وفيه المدرسة الصيرمية وباب زيادة الجامع الحاكمى وكان اولا يعرف بالامراء القرشيين بنى النورى ثم عرف بالجملون الصغير وبجملون ابن صيرم وهو الامير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد الامراء فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب واليه تنسب المدرسة الصيرمية والخط المعروف خارج باب الفتوح ببستان ابن صيرم وادركت هذا الجملون معمور الجانبين من اوله الى آخره بالحوانيت ففى اوله كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان من الخام والازرق وانواع الطرح واصناف ثياب القطن وينادى فيه على الثياب بحراج حراج وفيه عدة من الخياطين وعدة من البابية المعدين لغسل الثياب وصقالها وبآخره كثير من الضببيين بحيث لو أراد أحد ان يشترى منه ألف ضبة فى يوم لما عسر عليه ذلك فلما حدثت المحن خرب هذا السوق بخلو حوانيته وصار مقفرا من ساكنيه ثم انه عمر بعد سنة عشر وثمانمائة وفيه الآن نفر من البزازين وقليل ممن سواهم *(سوق المحايريين) هذا السوق فيما بين الجامع الاقمر وبين جملون ابن صيرم يسلك فيه من سوق حارة برجوان ومن سوق الشماعين الى الركن المخلق ورحبة باب العيد وهو من شوارع القاهرة المسلوكة وفيه عدة حوانيت لعمل المحاير التى يسافر فيها الى الحجاز وغيره وكان فيه تاجران قد تراضيا على ما يشتريانه من المحاير المعرضة للبيع ولهذا السوق موسم عظيم عند سفر الحاج وعند سفر الناس الى القدس وبلغنى عن شيخ كان بهذا السوق انه اوصى بعض صبيانه فقال له يا بنى لا تراع أحدا فى بيع فانه لا يحتاج اليك الا مرة فى عمره فخذ عدلك فى ثمن المحارة فانك لا تخشى من عوده مرة أخرى اليك وسوف اذا عاد من سفره اما الى الحجاز أو القدس فانه يحتاج الى بيعها فتراقد عليه فى ثمنها واشترها بالرخيص وكذلك يفعل أهل هذا السوق الى اليوم فانهم لا يراعون بائعا ولا مشتريا الا ان سوقهم لم يبق كما ادركناه فانه حدث سوق آخر يباع فيه المحاير بسوق الجامع الطولونى وصار بسوق الخيميين أيضا صناع

للحمار وبلغنى ان بالمحارين هذه اوقف أهل مصر امرأة من جريد وأزرة بيدها ورقة فيها سب الخليفة الحاكم بامر الله ولعنه عندما منع النساء من الخروج فى الطرقات فعند ما مر من هناك حسبها امرأة تسأله حاجة فأمر باخذ الورقة منها فاذا فيها من السب ما اغضبه فأمر بها ان تؤخذ فاذا هى من جريد قد ألبس ثيابا وعمل كهيئة امرأة فاشتد عند ذلك غضبه وامر العبيد باحراق مدينة مصر فأضرموا فيها النار ولم اقف على هذا الخبر مسطورا وقد ذكر المسبحى تحريق الحاكم بامر الله لمصر ولم يذكر قصة المرأة *(الصاغة) هذا المكان تجاه المدارس الصالحية بخط بين القصرين قال ابن عبد الظاهر الصاغة بالقاهرة كانت مطبخا للقصر يخرج اليه من باب الزهومة وهو الباب الذى هدم وبنى مكانه قاعة شيخ الحنابلة من المدارس الصالحية وكان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع الالوان فى كل يوم تفرق على ارباب الرسوم والضعفاء وسمى باب الزهومة أى باب الزفر لانه لا يدخل باللحم وغيره الامنه فاختص بذلك انتهى والصاغة الآن وقف على المدارس الصالحية وقفها الملك السعيد بركة خان المسمى بناصر الدين محمد ولد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى على الفقهاء المقررين بالمدارس الصالحية *(سوق الكتبيين) هذا السوق فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية احدث فيما اظن بعد سنة سبعمائة وهو جار فى اوقاف المارستان المنصورى وكان سوق الكتب قبل ذلك بمدينة مصر تجاه الجانب الشرقى من جامع عمرو بن العاص فى اول زقاق القناديل بجوار دار عمرو وأدركته وفيه بقية بعد سنة ثمانين وسبعمائة وقد دثر الآن فلا يعرف موضعه وكان قد نقل سوق الكتبيين من موضعه الآن بالقاهرة الى قيسارية كانت فيما بين سوق الدجاجين المجاور للجامع الاقمر وبين سوق الحصر بين المجاور للركن المخلق وكان يعلو هذه القيسارية ربع فيه عدة مساكن فتضررت الكتب من نداوة اقبية البيوت وفسد بعضها فعادوا الى سوق الكتب الاول حيث هو الآن ومابرح هذا السوق مجمعا لاهل العلم يترددون اليه وقد انشدت قديما لبعضهم

* مجالسة السوق مذمومة * ومنها مجالس قد تحتسب *

فلا تقربن غير سوق الجياد * وسوق السلاح وسوق الكتب

* فهاتيك آلة أهل الوغى * وهاتيك آلة أهل الادب *

*(سوق الصنادقيين) هذا السوق تجاه المدرسة السيوفية كان موضعه فى القديم من جملة المارستان ثم عرف بفندق الدبابليين وقيل له الآن سوق الصنادقيين وفيه تباع الصناديق والخزائن والاسرة مما يعمل من الخشب وكان ما بظاهرها قديما يعرف بسكن الدجاجين وادركناه يعرف بسوق السيوفيين وكان فيه عدة طباخين لا يزال دخان كوانينهم منعقدا لكثرته حتى قال لى شيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفى ان قاضى القضاة جلال الدين جار الله قال له هذا السوق قطب دائرة الدخان وفى سوق الصنادقيين الى الآن بقية *(سوق الحريريين) هذا السوق من باب قيسارية العنبر الى خط البندقانيين كان يعرف قديما بسقيفة العداس ثم عمل صاغة القاهرة ثم سكن هناك الاساكفة قال ابن عبد الظاهر وكانت الصاغة قديما فيما تقدم مكان الاساكفة الآن وهو الى الآن معروف بالصاغة القديمة وكان يعرف بسقيفة العداس كذا رأيت فى كتب الاملاك وعرف هذا السوق فى زماننا بالحريريين الشراربيين وعرف بعضه بسوق الزجاجين وكان يسكن فيه أيضا الاساكفة فلما انشأ الامير يونس الدوادار القيسارية على بئر زويلة بخط البندقانيين فى اعوام بضع وثمانين وسبعمائة نقل الاساكفة من هذا الخط ونقل منه أيضا بياعى اخفاف النساء الى قيساريته وحوانيته المذكورة *(سوق العنبريين) هذا السوق فيما بين سوق الحريريين الشراربيين وبين قيسارية العصفر وهو تجاه الخراطين كان فى الدولة الفاطمية مكانه سجنا لارباب الجرائم يعرف بحبس المعونة وكان شنيع المنظر ضيقا لا يزال من يجتاز عليه يجد منه رائحة منكرة فلما كان فى الدولة التركية وصار قلاوون من جملة الامراء الظاهرية بيبرس صار يمر من داره الى قلعة الجبل على حبس المعونة هذا فيشم منه رائحة رديئة ويسمع منه صراخ المسجونين وشكواهم الجوع والعرى والقمل فجعل على نفسه ان الله تعالى جعل له من الامر شيأ أن يبنى هذا الحبس مكانا حسنا فلما صار اليه ملك ديار مصر والشام هدم حبس المعونة وبناه سوقا لسكنه بياعى العنبر وكان للعنبر اذ ذاك بديار مصر نفاق وللناس فيه رغبة زائدة لا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة وان سفلت

الاولها قلادة من عنبر وكان يتخذ منه المخاد والكلل والستور وغيرها وتجار العنبر يعدون من بياض الناس ولهم أموال جزيلة وفيهم رؤساء واجلاء فلما صار الملك الى الملك الناصر محمد بن قلاون جعل هذا السوق وما فوقه من المساكن وقفا على الجامع الذى انشأه بظاهر مصر بجوار موردة الحلفاء المعروف بالجامع الجديد الناصرى وهو جار فى اوقافه الى يومنا هذا الا أن العنبر من بعد سنة سبعين وسبعمائة كثر فيه الغش حتى صار اسما لا معنى له وقلت رغبة الناس فى استعماله فتلاشى أمر هذا السوق بالنسبة لما كان ثم لما حدثت المحن بعد سنة ست وثمانمائة قل ترفه أهل مصر عن استعمال الكثير من العنبر فطرق هذا السوق ما طرق غيره من اسواق البلد وبقيت فيه بقية يسيرة الى أن خلع الخليفة المستعين بالله العباسى بن محمد فى سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان نظر الجامع الجديد بيده وبيد أبيه الخليفة المتوكل على الله محمد فقصد بعض سفهاء العامة بكتابه بتعطيل هذا السوق فاستأجر قيسارية العصفر ونقل سوق العنبر اليها وصار معطلا نحو سنتين ثم عاد أهل العنبر الى هذا السوق على عادتهم فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة * (سوق الخراطين) هذا السوق يسلك فيه من سوق المهامزيين الى الجامع الازهر وغيره وكان قديما يعرف بعقبة الصباغين ثم عرف بسوق القشاشين وكان فيما بين دار الضرب والوكالة الآمرية وبين المارستان ثم عرف الآن بسوق الخراطين وكان سوقا كبيرا معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع المهد الذى يربى فيه الاطفال وحوانيت الخراطين وحوانيت صناع السكاكين وصناع الدوى يشتمل على نحو الخمسين حانوتا فلما حدثت المحن تلاشى هذا السوق واغتصب الامير جمال الدين يوسف الاستادار منه عدة حوانيت من اوله الى الحمام التى تعرف بحمام الخراطين وشرع فى عمارتها فعوجل بالقتل قبل اتمامها وقبض عليها الملك الناصر فرج فيما احاط به من أمواله وادخلها فى الديوان فقام بعمارة الحوانيت التى تجاه قيسارية العصفر من درب الشمسى الى اول الخراطين القاضى الرئيس تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر فلما كملت جعلها الملك الناصر فيما هو موقوف على تربته التى انشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر وأفرد الحمام وبعض الحوانيت القديمة للمدرسة التى انشأها الامير جمال الدين يوسف الاستادار برحبة باب العيد وما يقابل هذه الحوانيت هو وما فوقه وقف على المدرسة القراسنقرية وغيرها وهو متخرب متهدم * (سوق الجملون الكبير) هذا السوق بوسط سوق الشرابشيين يتوصل منه الى البندقانيين والى حارة الجودرية وغيرها الذى فيه حوانيت سكنها البزازون وقفه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون على تربة علوكه بلبغا التركمانى عندما مات فى سنة سبع وسبعمائة ثم عمل عليه بابان بطرفيه بعد سنة تسعين وسبعمائة فصارت تغلق فى الليل وكان فيما ادركناه شارعا مسلوكا طول الليل يجلس تجاهه صاحب العسس الذى عرفته العامة فى زماننا بوالى الطوف من بعد صلاة العشاء فى كل ليلة وينصب قدامه مشعل يشعل بالنار طول الليل وحوله عدة من الاعوان وكثير من السقائين والنجارين والقصارين والهدادين بنوب مقررة لهم خوفا من ان يحدث بالقاهرة فى الليل حريق فيتداركون اطفاءه ومن حدث منه فى الليل خصومة أو وجد سكران أو قبض عليه من السراق تولى أمره والى الطوف وحكم فيه بما يقتضيه الحال فلما كانت الحوادث بطل هذا الرسم فى جملة ما بطل وهذا السوق الآن جار فى وقف * (سوق الفرايين) هذا السوق يسلك فيه من سوق الشرابشيين الى الاكفانيين والجامع الازهر وغير ذلك كان قديما يعرف بسوق الخروقيين ثم سكن فيه صناع الفراء وتجاره فعرف بهم وصار بهذا السوق فى أيام الملك الظاهر برقوق من انواع الفراء ما يجل اثمانها وتتضاعف قيمها لكثرة استعمال رجال الدولة من الامراء والمماليك لبس السمور والوشق والقماقم والسنجاب بعد ما كان ذلك فى الدولة التركية من اعز الاشياء التى لا يستطيع أحد أن يلبسها ولقد أخبرنى الطواشى الفقيه الكاتب الحاسب الصوفى زين الدين مقبل الرومى الجنس المعروف بالشامى عتيق السلطان الملك الناصر الحسين بن محمد ابن قلاون انه وجد فى تركة بعض امراء السلطان حسن قباء بفرو قاقم فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه وصار يحكى ذلك مدة لعزة هذا الصنف واحترامه لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه ثم تبذلت الاصناف المذكورة حتى صار يلبس السمور آحاد الاجناد وآحاد الكتاب وكثير من العوام ولا تكاد امرأة من نساء بياض الناس تخلو من لبس السمور ونحوه والى الآن عند الناس من هذا الصنف وغيره من الفرو شئ كثير *(سوق البخانقيين) هذا السوق فيما بين سوق الجملون الكبير وبين قيسارية الشرب الآتى ذكرها ان شاء الله

تعالى عند ذكر القياسر وباب هذا السوق شارع من القصبة ويعرف بسوق الخشيبة تصغير خشبة فانه عمل على بابه المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل اليه ويسلك من هذا السوق الى قيسارية الشرب وغيرها وهو معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافى والطواقى التى تلبسها الصبيان والبنات وبظاهر هذا السوق أيضا فى القصبة عدة حوانيت لبيع الطواقى وعملها وقد كثر لبس رجال الدولة من الامراء والمماليك والاجناد ومن يتشبه بهم للطواقى فى الدولة الجركسية وصاروا يلبسون الطاقية على رؤسهم بغير عمامة ويمرون كذلك فى الشوارع والاسواق والجوامع والمواكب لايرون بذلك بأسا بعدما كان نزع العمامة عن الرأس عارا وفضيحة ونوعوا هذه الطواقى مابين اخضر وأحمر وأزرق وغيره من الالوان وكانت اولا ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل اعلاها مدورا مسطحا فحدث فى أيام الملك الناصر فرج منها شئ عرف بالطواقى الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو ثلثى ذراع واعلاها مدور مقبب وبالغوا فى تبطين الطاقية بالورق والكثيرة فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس وجعلوا من أسفل العصابة المذكورة زيقا من فرو القرض الاسود يقال له القندس فى عرض نحو ثمن ذراع يصير دائرا بجبهة الرجل واعلى عنقه وهم على استعمال هذا الزى الى اليوم وهو من اسمج ماعانوه ويشبه الرجال فى لبس ذلك بالنساء لمعنيين احدهما انه فشا فى أهل الدولة محبة الذكران فقصد نساؤهم التشبه بالذكران ليستملن قلوب رجالهن فاقتدى بفعلهن فى ذلك عامة نساء البلد وثانيهما ماحدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفاقة فاضطر حال نساء أهل مصر الى ترك ماادركنا فيه النساء من لبس الذهب والفضة والجواهر ولبس الحرير حتى لبسن هذه الطواقى وبالغن فى عملها من الذهب والحرير وغيره وتواصين على لبسها ومن تأمل احوال الوجود عرف كيف تنشأ امور الناس فى عاداتهم واخلاقهم ومذاهبهم

*(سوق الخلعيين) هذا السوق فيما بين قيسارية الفاضل الآتى ذكرها ان شاء الله تعالى وبين باب زويلة الكبير وكان يعرف قديما بالخشابين وعرف اليوم بالزقيق تصغير زقاق وعرف أيضا بسوق الخلعيين كأنه جمع خلعى والخلعى فى زماننا هو الذى يتعاطى بيع اثياب الخليع وهى التى قد لبست وهذا السوق اليوم من اعمر أسواق القاهرة لكثرة مايباع فيه من ملابس أهل الدولة وغيرهم واكثر مايباع فيه الثياب المخيطة وهو معمور الجوانب بالحوانيت ويسلك فيه من القصبة ليلا ونهارا الى حارة الباطلية وخوخة ايدغمش وغير ذلك وفى داخل القاهرة أيضا عدة اسواق وقد خرب الآن اكثرها

*(سويقة الصاحب) هذه السويقة يسلك اليها من خط البندقانيين ومن باب الخوخة وغير ذلك وهى من الاسواق القديمة كانت فى الدولة الفاطمية تعرف بسويقة الوزير يعنى أبا الفرج يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز الذى تنسب اليه حارة الوزيرية فانها كانت على باب داره التى عرفت بعده فى الدولة الفاطمية بدار الديباج وصار موضعها الآن المدرسة الصاحبية ثم صارت تعرف بسويقة دار الديباج يعنى دار الطراز ينسج فيها الديباج الذى هو الحرير وقيل لذلك الموضع كله خط دار الديباج ثم عرف هذا السوق بالسوق الكبير فى اخريات الدولة الفاطمية فلما ولى صفى الدين عبد الله بن شكر الدميرى وزارة الملك العادل أبى بكر بن أيوب سكن فى هذا الخط وانشأ به مدرسته التى تعرف الى اليوم بالمدرسة الصاحبية وانشأ به أيضا رباطه وحمامه المجاورين للمدرسة المذكورة عرفت من حينئذ هذه السويقة بسويقة الصاحب المذكور واستمرت تعرف بذلك الى يومنا هذا ولم تزل من الاسواق المعتبرة يوجد فيها اكثر مايحتاج اليه من المآكل لوفور نعم من يسكن هنالك من الوزراء واعيان الكتاب فلما حدثت المحن طرقها ماطرق غيرها من اسواق القاهرة فاختلت عما كانت وفيها بقية

*(سوق البندقانيين) هذا السوق يسلك اليه من سوق الزجاجين ومن سويقة الصاحب ومن سوق الابزاريين وغيره وكان يعرف قديما بسوق بئر زويلة وكان هنالك بئر قديمة تعرف ببئر زويلة برسم اصطبل الجميزة الذى كان فيه خيول الخلفاء الفاطميين وصار موضعه خط البندقانيين بعد ذلك كما ذكر عند اصطبلات الخلفاء الفاطميين من هذا الكتاب وموضع هذه البئر اليوم قيسارية يونس والربع الذى يعلوها وبقى منها موضع ركب عليه حجر واعدت لملء السقائين منها فلما زالت الدولة واختط موضع اصطبل الجميزة الدور وغيرها وعرف موضع الاصطبل بالبندقانيين قيل لهذا السوق سوق البندقانيين وادركته سوقا كبيرا معمورا الجانبين بالحوانيت التى قد تهدم اعلاها منذ كان الحريق بالبندقانيين فى سنة احدى وخمسين وسبعمائة كما ذكر فى خط البندقانيين عند ذكر الاخطاط من هذا الكتاب وفى هذا

السوق

السوق كثير من أرباب المعاش المعدّين لبيع المأكولات من الشواء والطعام المطبوخ وأنواع الاجبان والالبان والبوارد والخبز والفواكه وعدّة كثيرة من صناع قسى البندق وكثير من الرسامين وكثير من بياعى الفقاع فلما حدثت المحن بعد سنة ست وثمانمائة اختل هذا السوق خللا كبيرا وتلاشى أمره * (سوق الاخفافيين) هذا السوق بجوار سوق البندقانيين يباع فيه الآن خفاف النسوان ونعالهنّ وهو سوق مستجد انشأه الامير يونس النوروزى دوادار الملك الظاهر برقوق فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة ونقل اليه الاخفافيين بياعى اخفاف النساء من خط الحريريين والزجاجين وكان مكانه مما خرب فى حريق البندقانيين فركب بعض القيسارية على بئر زويلة وجعل بابها تجاه درب الانجب وبنى بأعلاها ربعا كبيرا فيه عدّة مساكن وجعل الحوانيت بظاهرها وبظاهر درب الانجب وبنى فوقها أيضا عدّة مساكن فعمر ذلك الخط بعمارة هذه الاماكن وبه الى الآن سكن بياعى اخفاف النساء ونعالهنّ التى يقال للنعل منها سرموزه وهو لفظ فارسى معناه رأس الخف فان سر رأس وموزه خف * (سوق الكفتيين) هذا السوق يسلك اليه من البندقانيين ومن حارة الجودرية ومن الجملون الكبير وغيره ويشتمل على عدّة حوانيت لعمل الكفت وهو ماتطعم به اوانى النحاس من الذهب والفضة وكان لهذا الصنف من الاعمال بديار مصر رواج عظيم وللناس فى النحاس المكفت رغبة عظيمة ادركنا من ذلك شيأ لا يبلغ وصفه واصف لكثرته فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدّة قطع نحاس مكفت ولا بدّ أن يكون فى شورة العروس دكة نحاس مكفت والدكة عبارة عن شئ شبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والابنوس او من خشب مدهون وفوق الدكة دست طاسات من نحاس اصفر مكفت بالفضة وعدّة الدست سبع قطع بعضها اصغر من بعض تبلغ كبراها مايسع نحو الاردب من القمح وطول الاكفات التى نقشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث ذراع فى عرض اصبعين ومثل ذلك دست اطباق عدّتها سبعة بعضها فى جوف بعض ويفتح اكبرها نحو الذراعين واكثر وغير ذلك من المنابر والسرج وأحقاق الاشنان والطشت والابريق والمبخرة فتبلغ قيمة الدكة من النحاس المكفت زيادة على مائتى دينار ذهبا وكانت العروس من بنات الامراء او الوزراء او أعيان الكتاب او أماثل التجار تجهز فى شورتها عند بناء الزوج عليها سبع دكك دكة من فضة ودكة من كفت ودكة من نحاس ابيض ودكة من خشب مدهون ودكة من صينى ودكة من بلور ودكة كراهى وهى آلات من ورق مدهون تحمل من الصين ادركنا منها فى الدور شيأ كثيرا وقد عدم هذا الصنف من مصر الا شيأ يسيرا * حدّثنى القاضى الفاضل الرئيس تاج الدين ابو الفداء اسماعيل احمد بن عبد الوهاب ابن الخطباء المخزومى رحمه الله قال تزوّج القاضى علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة بامرأة من بنات التجار تعرف بست العمائم فلما قارب البناء عليها والدخول بها حضر اليه فى يوم وكيلها وانا عنده فبلغه سلامها عليه وأخبره انها بعثت اليه بمائة ألف درهم فضة خالصة ليصلح بها لها ما عساه اختل من الدكة الفضة فأجابه لى ماسأل وأمره باحضار الفضة فاستدعى الخدم من الباب فدخلوا بالفضة فى الحال وبالوقت امر المحتسب بصناع الفضة وطلائها فاحضروا وشرعوا فى اصلاح ما ارسلته ست العمائم من اوانى الفضة واعادة طلائها بالذهب فشاهدنا من ذلك منظرا بديعا * واخبرنى من شاهد جهاز بعض بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وقد حمل فى القاهرة عندما زفت على بعض الامراء فى دولة الملك الاشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون فكان شيأ عظيما من جملته دكة من بلور تشتمل على عجائب منها زير من بلور قد نقش بظاهره صور ثابتة على شبه الوحوش والطيور وقدر هذا الزير مايسع قربة ماء وقد قل استعمال الناس فى زمننا هذا للنحاس المكفت وعز وجوده فان قوما لهم عدّة سنين قد تصدّوا للشراء ما يباع منه وتحية الكفت عنه طلبا للفائدة وبقى بهذا السوق الى يومنا هذا بقية من صناع الكفت قليلة * (سوق الاقباعيين) بخط تحت الربع خارج باب زويلة مما يلى الشارع المسلوك فيه الى قنطرة الخرق ما كان منه على يمنة السالك الى قنطرة الخرق فانه جار فى وقف الملك الظاهر بيبرس هو وما فوقه على المدرسة الظاهرية بخط بين القصرين وعلى اولاده ولم يزل الى يوم السبت خامس شهر رمضان سنة عشرين وثمانمائة فوقع الهدم فيه ليضاف الى عمارة الملك المؤيد شيخ المجاورة لباب زويلة وما كان من هذا السوق على يسرة من سلك الى القنطرة فانه جار فى وقف اقبغا عبد

الواحد على مدرسته المجاورة للجامع الازهر وبعضه وقف امرأة تعرف بدنيا *(سوق السقطيين) هذا السوق خارج باب زويلة بجوار دار التفاح انشأه الامير اقبغا عبد الواحد وهو جار فى وقفه *(سويقة خزانة البنود) هذه السويقة على باب درب راشد وتمتد الى خزانة البنود وكانت تعرف اولا بسويقة ريدان الصقلبى المنسوب اليه الريدانية خارج باب النصر *(سويقة المسعودى) هذه السويقة من حقوق حارة زويلة بالقاهرة تنسب الى الامير صارم الدين قايماز المسعودى مملوك الملك المسعود اقسيس بن الملك الكامل وولى المسعودى هذا ولاية القاهرة وكان ظالما غاشما جبارا من اجل انه كان فى دار ابن فرقة التى من جملتها جامع ابن المغربى وبيت الوزير ابن ابى شاكر ثم ان فتح الدين بن معتصم الداودى التبريزى كاتب السر جدّدها فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة لانه كان يسكن هناك ومات المسعودى فى يوم الاثنين النصف من ذى الحجة سنة اربع وستين وستمائة ضربه شخص فى دار العدل بسكين كان يريد أن يقتل بها الامير عز الدين الحلى نائب السلطنة فوقعت فى فؤاد المسعودى فمات لوقته *(سويقة طغلق) هذه السويقة على رأس الحارة الصالحية مما يلى الجامع الازهر عرفت بالامير سيف الدين طغلق السلاح دار صاحب حمام طغلق التى بالقرب من الجامع الازهر على باب درب المنصورى وصاحب دار طغلق التى عرفت اليوم بدار المنصورى فى الدرب المذكور وأوّل ما عمرت هذه السويقة لم يكن فيها غير اربع حوانيت ثم عمرت عمارة كبيرة لما خربت سويقة الصالحية التى كانت مما يلى باب البرقية فى حدود سنة ثمانين وسبعمائة ثم تلاشت من سنة ست وثمانمائة كما تلاشى غيرها من الاسواق وبقى فيها يسير جدا *(سويقة الصوّانى) هذه السويقة خارج باب النصر وباب الفتوح بخط بستان ابن صيرم عرفت بالامير علاء الدين أبى الحسن على بن مسعود الصوّانى مشد الدواوين فى ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وقيل بل قراجا الصوّانى احد مقدّمى الحلقة فى ايام الملك المنصور قلاوون وكان فى حدود سنة احدى وثمانين وستمائة موجودا وكانت داره هنالك وكان ايضا فى ايام الملك المنصور قلاوون الامير زين الدين ابو المعالى احمد ابن شرف الدين ابى المفاخر محمد الصوّانى شادّ الدواوين وكان يسكن بمدينة مصر والامير علم الدين سنجر الصوّانى احد الامراء المقدّمين الالوف فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون والملك المظفر بيبرس وهو صاحب البئر التى بالباطلية المعروفة ببئر الدرابزين وعز الدين ايبك الصوّانى *(سويقة البلشون) هذه السويقة خارج باب الفتوح عرفت بسابق الدين سنقر البلشون أحد مماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وسلاح داريته وكان له أيضا بستان بالمقس خارج القاهرة من جوار الدكة يعرف ببستان البلشون *(سويقة اللفت) هذه السويقة كانت خارج باب النصر من ظاهر القاهرة حيث البئر التى فى شمال مصلى الاموات المعروف ببئر اللفت تجاه دار ابن الحاجب كانت تشتمل على عدّة حوانيت يباع فيها اللفت والكرنب ويحمل منها الى سائر اسواق القاهرة ويباع اليوم فى بعض هذه الحوانيت الدريس لعلف الدواب *(سويقة زاوية الخدّام) هذه السويقة خارج باب النصر بحرى سويقة اللفت كان فيها عدّة حوانيت يباع فيها انواع المآكل فلما كانت سنة ست وثمانمائة خربت ولم يبق فيها سوى حوانيت لاطائل بها *(سويقة الرملة) هذه السويقة كانت فيما بين سويقة زاوية الخدّام وجامع آل ملك حيث مصلى الاموات التى هنالك كان فيها عدّة حوانيت مملوءة بأصناف المآكل قد خرب سائرها ولم يبق لها أثر البتة *(سويقة جامع آل ملك) ادركتها الى سنة ست وثمانمائة وهى من الاسواق الكبار فيها غالب ما يحتاج اليه من الادام وقد خربت لخراب ما يجاورها *(سويقة أبى ظهير) كانت تلى سويقة جامع آل ملك ادركتها عامرة *(سويقة السنابطة) كانت هنالك عرفت بقوم من أهل سنباط سكنوا بها ادركتها أيضا عامرة *(سويقة العرب) هذه السويقة كانت تتصل بالريدانية خربت فى الغلاء الكائن فى سنة ست وسبعين وسبعمائة وأدركت حوانيت هذه السويقة وهى خالية من السكان الا يسيرا وعقودها من اللبن ويقال له وماوراءه خراب الحسينية وكانت فى غاية العمارة وكان باوّلها مما يلى الحسينية فرن ادركته عامرا الى ما بعد سنة تسعين وسبعمائة بلغنى انه كان قبل ذلك فى اعوام ستين وسبعمائة يخبز فيه كل يوم نحو سبعة آلاف رغيف لكثرة من حوله من السكان وتلك الاماكن اليوم لا ساكن فيها الا البوم ولا يسمع بها الا الصدى *(سويقة العزى) هذه السويقة خارج باب زويلة قريبا من قلعة الجبل كانت من جملة المقابر التى خارج القاهرة فيما بين الباب الجديد والحارات وبركة الفيل وبين الجبل الذى عليه الآن قلعة الجبل

فلما اختطت هذه الجهة كما تقدم ذكره عند ذكر ظواهر القاهرة عرفت هذه السويقة بالامير عز الدين ايبك العزى نقيب الجيوش واستشهد على عكا عند ما فتحها الاشرف خليل بن قلاوون فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة وهذه السويقة عامرة بعمارة ما حولها *(سويقة العياطين) هذه السويقة بخط المقس بالقرب من باب البحر عرفت بالفقير المعتقد مسعود بن محمد بن سالم العياط اسكنه بالقرب منها وله هنالك مسجد بناه فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وأخبرنى الشيخ المعمر حسام الدين حسن بن عمر الشهرزورى وكيل أبى رحمه الله ان النشو ناظر الخاص فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون طرح على أهل هذه السويقة عدة امطار عسل قصب وألزمهم فى ثمن كل قنطار بعشرين درهما فوقفوا الى السلطان وعيطوا حتى اعفاهم من ذلك فقيل لها من حينئذ سويقة العياطين ولفظة عياط عند أهل مصر بمعنى صياح والعياط الصياح واصل ذلك فى اللغة ان العطعطة تتابع الاصوات واختلافها فى الحرب وهى أيضا حكاية اصوات المجان اذا قالوا عيط عيط وذلك اذا غلبوا قوما وقد عطعطوا وعطعط بالذئب اذا قال له عاط عاط فحرفت عامة مصر ذلك وجعلوا العياط الصياح واشتقوا منه الفعل فاعرف ذلك *(سويقة العراقيين) هذه السويقة بمدينة مصر الفسطاط وانما عرفت بذلك لان قريبا الازدى وزحافا الطائى وكانا من الخوارج خرجا على زياد ابن أمية بالبصرة فاتهم زياد بهما جماعة من الازد وكتب الى معاوية بن أبى سفيان يستأذنه فى قتلهم فأمر بتغريبهم عن اوطانهم فسيرهم الى مصر وأميرها مسلمة بن مخلد وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وكان عددهم نحوا من مائتين وثلاثين فأنزلوا بالظاهر أحد خطط مصر وكان اذ ذاك طرفا أرادوا ان يبدبهم ذلك الموضع فنزلوا فى الموضع المعروف بكوم سراج وكان فضاء فبنوا الهم مسجدا واتخذوا سوقا لانفسهم فسمى سويقة العراقيين

(ذكر العوايد التى كانت بقصبة القاهرة)

اعلم ان قصبة القاهرة ما برحت محترمة بحيث انه كان فى الدولة الفاطمية اذا قدم رسول متملك الروم ينزل من باب الفتوح ويقبل الارض وهو ماش الى أن يصل الى القصر وكذلك كان يفعل كل من غضب عليه الخليفة فانه يخرج الى باب الفتوح ويكشف رأسه ويستغيث بعفو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالمصير الى القصر وكان لها عوايد منها ان السلطان من ملوك بنى أيوب ومن قام بعدهم من ملوك الترك لا بد اذا استقر فى سلطنة ديار مصر أن يلبس خلعة السلطان بظاهر القاهرة ويدخل اليها راكبا والوزير بين يديه على فرس وهو حامل عهد السلطان الذى كتبه له الخليفة بسلطنة مصر على رأسه وقد أمسكه بيديه وجميع الامراء ورجال العساكر مشاة بين يديه منذ يدخل الى القاهرة من باب الفتوح أو من باب النصر الى ان يخرج من باب زويلة فاذا خرج السلطان من باب زويلة ركب حينئذ الامراء وبقية العسكر ومنها انه لا يمر بقصبة القاهرة حمل تبن ولا حمل حطب ولا يسوق أحد فرسا بها ولا يمر بها سقاء الا وراويته مغطاة ومن رسم ارباب الحوانيت أن يعدوا عند كل حانوت زيرا مملوأ بالماء مخافة أن يحدث الحريق فى مكان فيطفأ بسرعة ويلزم صاحب كل حانوت ان يعلق على حانوته قنديلا طول الليل يسرج الى الصباح ويقام فى القصبة قوم يكنسون الازبال والاتربة ونحوها ويرشون كل يوم ويجعل فى القصبة طول الليل عدة من الخفراء يطوفون بها لحراسة الحوانيت وغيرها ويتعاهد كل قليل بقطع ما عساه تربى من الاوساخ فى الطرقات حتى لا تعلو الشوارع * واول من ركب بخلع الخليفة فى القاهرة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة تاسع شهر رجب وصلت الخلع التى كانت نفذت الى السلطان الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكى من الخليفة ببغداد وهى جبة سوداء وطوق ذهب فلبسها نور الدين بدمشق اظهار الشعارها وسيرها الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ليلبسها وكانت انفذت له خلعة ذكر أنه استقصرها واستزراها واستصغرها دون قدره واستقر السلطان صلاح الدين بداره وباتت الخلع مع الواصل بها شاه ملك برأس الطابية فلما كان العاشر منه خرج قاضى القضاة والشهود والمقرئون والخطباء الى خيمته واستقر المسير بالخلعة وهو من الاصحاب النجمية وزينت البلد ابتهاجا بها وفيه ضربت النوب الثلاث بالباب الناصرى على الرسم النورى فى كل يوم فأما دمشق فالنوب المضروبة بها خمس على رسم قديم لان الاتابكية لها قواعد ورسوم

مستقرة بينهم فى بلادهم وفى حادى عشره ركب السلطان بالخلع وشق بين القصرين والقاهرة ولما بلغ باب زويلة نزع الخلع واعادها الى داره ثم شمر للعب الاكرة ولم يزل الرسم كذلك فى ملوك بنى أيوب حتى انقضت ايامهم وقام من بعدهم مماليكهم الاتراك فجروا فى ذلك على عادة ملوك بنى أيوب الى ان قام فى مملكة مصر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وقتل هولاكو الخليفة المستعصم بالله وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد وقدم على الملك الظاهر أبو العباس أحمد بن الخليفة الظاهر بالله بن الخليفة الناصر فى شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة فتلقاه واكرمه وبايعه ولقبه بالخليفة المستنصر بالله وخطب باسمه على المنابر ونقش السكة باسمه فلما كان فى يوم الاثنين الرابع من شعبان ركب السلطان الى خيمة ضربت له بالبستان الكبير من ظاهر القاهرة ولبس خلعة الخليفة وهى جبة سوداء وعمامة بنفسجية وطوق من ذهب وسيف بداوى وجلس مجلسا عاما حضر فيه الخليفة والوزير والقضاة والامراء والشهود وصعد القاضى فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب السر منبرا نصب له وقرأ تقليد السلطان الذى عهد به اليه الخليفة وكان بخط ابن لقمان ومن انشائه ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقد زينت له وحمل الوزير الصاحب بهاء الدين محمد بن على بن حنا التقليد على رأسه قدام السلطان والامراء ومن دونهم مشاة بين يديه حتى خرج من باب زويلة الى قلعة الجبل فكان يوما مشهودا * وفى ثالث شوال سنة اثنتين وستين وستمائة سلطن الملك الظاهر بيبرس ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان واركبه بشعار السلطنة ومشى قدامه وشق القاهرة كما تقدم وسائر الامراء مشاة من باب النصر الى قلعة الجبل وقد زينت القاهرة وآخر من ركب بشعار السلطنة وخلعة الخلافة والتقليد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عند دخوله الى القاهرة من البلاد الشامية بعد قتل السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين واستيلائه على المملكة فى ثامن جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة وقال المسبحى فى حوادث سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة نودى فى السقائين أن يغطوا روايا الجمال والبغال لئلا تصيب ثياب الناس * وقال فى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أمر العزيز بالله أمير المؤمنين بنصب ازيار الماء مملوءة ماء على الحوانيت ووقود المصابيح على الدور وفى الاسواق * وفى ثالث ذى الحجة سنة احدى وتسعين وثلثمائة أمر أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله الناس بان يقدوا القناديل فى سائر البلد على جميع الحوانيت وابواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة ففعل ذلك ولازم الحاكم بأمر الله الركوب فى الليل وكان ينزل كل ليلة الى موضع موضع والى شارع شارع والى زقاق زقاق وكان قد الزم الناس بالوقيد فتناظروا فيه واستكثروا منه فى الشوارع والازقة وزينت القياسر والاسواق بأنواع الزينة وصار الناس فى القاهرة ومصر طول الليل فى بيع وشراء وأكثروا أيضا من وقود الشموع العظيمة وأنفقوا فى ذلك أموالا عظيمة جليلة لاجل التلاهى وتبسطوا فى المآكل والمشارب وسماع الاغانى ومنع الحاكم الرجال المشاة بين يديه من المشى بقربه وزجرهم وانتهرهم وقال لا تمنعوا أحدا منى فاحدق الناس به واكثروا من الدعاء له وزينت الصاغة وخرج سائر الناس بالليل للتفرج وغلب النساء الرجال على الخروج بالليل وعظم الازدحام فى الشوارع والطرقات واظهر الناس اللهو والغناء وشرب المسكرات فى الحوانيت وبالشوارع من اول المحرم سنة احدى وتسعين وثلثمائة وكان معظم ذلك من ليلة الاربعاء تاسع عشره الى ليلة الاثنين رابع عشريه فلما تزايد الامر وشنع أمر الحاكم بأمر الله أن لا تخرج امرأة من العشاء ومتى ظهرت امرأة بعد العشاء نكل بها ثم منع الناس من الجلوس فى الحوانيت فامتنعوا ولم يزل الحاكم على الركوب فى الليل الى آخر شهر رجب ثم نودى فى شهر رجب سنة خمس وتسعين وثلثمائة أن لا يخرج أحد بعد عشاء الآخرة ولا يظهر لبيع ولا شراء فامتنع الناس * وفى سنة خمس وأربعمائة زايد فى المحرم منها وقوع النار فى البلد وكثر الحريق فى عدة اماكن فأمر الحاكم بامر الله الناس باتخاذ القناديل على الحوانيت وأزيار الماء مملوءة ماء وبطرح السقائف التى على أبواب الحوانيت والرواشن التى تظل الباعة فأزيل جميع ذلك من مصر والقاهرة

(ذكر ظواهر القاهرة المعزية)

اعلم ان القاهرة المعزية يحصرها أربع جهات وهى الجهة الشرقية والجهة الغربية والجهة الشمالية التى تسميها أهل مصر البحرية والجهة الجنوبية التى تعرف فى أرض مصر بالقبلية * فأما الجهة الشرقية فانها من سور القاهرة

الذى

الذى فيه الا ن باب البرقية والباب الجديد والباب المحروق وتنتهى هذه الجهة الى الجبل المقطم * وأما الجهة الغربية فانها من سور القاهرة الذى فيه باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة وتنتهى هذه الجهة الى شاطئ النيل * وأما الجهة القبلية فانها من سور القاهرة الذى فيه باب زويلة وتنتهى هذه الجهة الى حدّ مدينة مصر * وأما الجهة البحرية فانها من سور القاهرة الذى فيه باب النصر وباب الفتوح وتنتهى هذه الجهة الى بركة الجب التى تعرف اليوم ببركة الحاج وقد كانت هذه الجهة الشرقية عند ما وضعت القاهرة فضاء فيما بين السور وبين الجبل لا بنيان فيه البتة ومازال على هذا الى أن كانت الدولة التركية فقيل لهذا الفضاء الميدان الاسود وميدان القبق وسيرد ذكر هذا الميدان ان شاء الله تعالى فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون عمل هذا الميدان مقبرة لاموات المسلمين وبنيت فيه الترب الموجودة الا ن كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب وكانت الجهة الغربية تنقسم قسمين أحدهما برّ الخليج الشرقى والا خر برّ الخليج الغربى فأما برّ الخليج الشرقى فكان عليه بستان الامير أبى بكر محمد بن طغج الاخشيد وميدانه وعرف هذا البستان بالكافورى فلما اختط القائد جوهر القاهرة ادخل هذا البستان فى سور القاهرة وجعل بجانبه الميدان الذى يعرف اليوم بالخرشتف فصارت القاهرة تشرف من غربيها على الخليج وبنيت على هذا الخليج مناظر وهى منظرة اللؤلؤة ومنظرة دار الذهب ومنظرة غزالة كما ذكر عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وكان فيما بين البستان الكافورى والمناظر المذكورة وبين الخليج شارع تجلس فيه عامة الناس للتفرّج على الخليج وماوراءه من البساتين والبرك ويقال لهذا الشارع اليوم بين السورين ويتصل بالبستان الكافورى وميدان الاخشيد بركة الفيل وبركة قارون ويشرف على بركة قارون الدور التى كانت متصلة بالعسكر ظاهر مدينة فسطاط مصر كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكر البرك وعند ذكر العسكر وأما برّ الخليج الغربى فان اوّله الا ن من موردة الحلفاء فيما بين خط الجامع الجديد خارج مصر وبين منشاة المهرانى وآخره أرض التاج والخمس وجوه ومابعدها من بحرىّ القاهرة وكان اوّل هذا الخليج عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات وكان مابين خط السبع سقايات وبين المعاريج بمدينة مصر غامرا بماء النيل كما ذكر فى ساحل مصر من هذا الكتاب وكانت القنطرة التى يفتح سدّها عند وفاء النيل ست عشرة ذراعا خلف السبع سقايات كما ذكر عند ذكر القناطر من هذا الكتاب وكان هنالك منظرة السكرة التى يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج ولها بستان عظيم ويعرف موضعه اليوم بالمريس ويتصل ببستان منظرة السكرة جنان الزهرى وهى من خط قناطر السباع الموجودة الا ن بحذاء خط السبع سقايات الى أراضى اللوق ويتصل بالزهرى عدّة بساتين الى المقس وقد صار موضع الزهرى وما كان بجواره على برّ الخليج من البساتين يعرف بالحكورة من أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الى وقتنا هذا كما ذكر عند ذكر الاحكار من هذا الكتاب وكان الزهرى ومابجواره من البساتين التى على برّ الخليج الغربى والمقس كل ذلك مطلّ على النيل وليس لبرّ الخليج الغربى كبير عرض وانما برّ النيل فى غربىّ البساتين على الموضع الذى يعرف اليوم باللوق الى المقس فيصير المقس هو ساحل القاهرة وتنتهى المراكب الى موضع جامع المقس الذى يعرف اليوم بجامع المقسى فكان مابين الجامع المذكور ومنية عقبة التى ببرّ الجيزة بحر النيل ولم يزل الامر على ذلك الى مابعد سنة سبعمائة الا انه كان قد انحسر ماء النيل بعد الخمسمائة من سنى الهجرة عن أرض بالقرب من الزهرى عرفت بمنشاة الفاضل وبستان الخشاب وهذه المنشاة اليوم يعرف بعضها بالمريس مما يلى منشأة المهرانى وانحسر أيضا عن أرض تجاه البعل الذى فى بحرى القاهرة عرفت هذه الارض بجزيرة الفيل ومابرح ماء النيل ينحسر عن شئ بعد شئ الى مابعد سنة سبعمائة فبقيت عدّة رمال فيما بين منشاة المهرانى وبين جزيرة الفيل وفيما بين المقس وساحل النيل عمر الناس فيها الاملاك والمناظر والبساتين من بعد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وحفر الملك الناصر محمد ابن قلاوون فيها الخليج المعروف اليوم بالخليج الناصرى فصار برّ الخليج الغربى بعد ذلك اضعاف ما كان اوّلا من أجل انطراد ماء النيل عن برّ مصر الشرقى وعرف هذا البرّ اليوم بعدّة مواضع وهى فى الجملة خط منشاة المهرانى وخط المريس وخط منشاة الكتبة وخط قناطر السباع وخط ميدان السلطان وخط البركة الناصرية وخط الحكورة وخط الجامع الطيبرسى وربع بكتمر وزربية السلطان وخط باب اللوق وقنطرة الخرق وخط بستان العدّة وخط زربية قوصون وخط حكر ابن الاثير وفم الخور وخط الخليج الناصرى وخط

بولاق وخط جزيرة الفيل وخط الدكة وخط المقس وخط بركة قرموط وخط ارض الطبالة وخط الجرف وارض البعل وكوم الريش وميدان القمح وخط باب القنطرة وخط باب الشعرية وخط باب البحر وغير ذلك وسياق من ذكر هذه المواضع مايكفي و يشفي ان شاء الله تعالى * وكانت جهة القاهرة القبلية من ظاهرها ليس فيها سوى بركة الفيل وبركة قارون وهي فضاء يرى من خرج من باب زويلة عن يمينه الخليج وموردة السقائين وكانت تجاه باب الفتوح و يرى عن يساره الجبل و يرى تجاهه قطائع ابن طولون التي تتصل بالعسكر و يرى جامع ابن طولون وساحل الحمراء الذي يشرف عليه جنان الزهري و يرى بركة الفيل التي كان يشرف عليها الشرف الذي فوقه قبة الهواء و يعرف اليوم هذا الشرف بقلعة الجبل وكان من خرج من مصلى العيد بظاهر مصر يرى بركتي الفيل وقارون والنيل فلما كانت أيام الخليفة الحاكم بامر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله أبي منصور نزار بن الامام المعز لدين الله أبي تميم معد عمل خارج باب زويلة بابا عرف بالباب الجديد واختط خارج باب زويلة عدة من أصحاب السلطان فاختطت المصامدة حارة المصامدة واختطت الباطلية والمحمودية وغيرهما كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فلما كانت الشدة العظمى في خلافة المستنصر بالله اختلت احوال مصر وخربت خرابا شنيعا ثم عمر خارج باب زويلة في أيام الخليفة الآمر باحكام الله ووزارة المأمون محمد بن فاتك بن البطائحي بعد سنة خمسمائة فلما زالت الدولة الفاطمية هدم السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب حارة المنصورة التي كانت سكن العبيد خارج باب زويلة وعملها بستانا فصار ماخرج عن باب زويلة بساتين الى المشهد النفيسي و بجانب البساتين طريق يسلك منها الى قلعة الجبل التي انشأها السلطان صلاح الدين المذكور على يد الامير بهاء الدين قراقوش الاسدي وصار من يقف على باب جامع ابن طولون يرى باب زويلة ثم حدثت العمائر التي هي الآن خارج باب زويلة بعد سنة سبعمائة وصار خارج باب زويلة الآن ثلاثة شوارع أحدها ذات اليمين والآخر ذات الشمال والشارع الثالث تجاه من خرج من باب زويلة وهذه الشوارع الثلاثة تشتمل على عدة اخطاط * فأما ذات اليمين فان من خرج من باب زويلة الآن يجد عن يمينه شارعا سالكا ينتهي به في العرض الى الخليج حيث القنطرة التي تعرف بقنطرة الخرق و ينتهي به في الطول من باب زويلة الى خط الجامع الطولوني و جميع ما في هذا الطول والعرض من الاماكن كان بساتين الى مابعد السبعمائة وفي هذه الجهة اليمنى خط دار التفاح وسوق السقطيين وخط تحت الربع وخط القشاشين وخط قنطرة الخرق وخط شق الثعبان وخط قنطرة آقسنقر وخط الحبانية وبركة الفيل وخط قبو الكرماني وخط قنطرة طقزدمر والمسجد المعلق وخط قنطرة عمر شاه وخط قناطر السباع وخط الجسر الاعظم وخط الكبش والجامع الطولوني وخط الصليبة وخط الشارع وما هنالك من الحارات التي ذكرت عند ذكر الحارات من هذا الكتاب * وأما ذات اليسار فان من خرج من باب زويلة الآن يجد عن يساره شارعا ينتهي به في العرض الى الجبل و ينتهي به في الطول الى القرافة وجميع ما في هذه الجهة اليسرى كان فضاء لا عمارة فيه البتة الى مابعد سنة خمسمائة من الهجرة فلما عمر الوزير الصالح طلائع بن رزيك جامع الصالح الموجود الآن خارج باب زويلة صار ماوراءه الى نحو قطائع ابن طولون مقبرة لاهل القاهرة الى ان زالت دولة الخلفاء الفاطميين وانشأ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة الجبل على رأس الشرف المطل على القطائع وصار يسلك الى القلعة من هذه الجهة اليسرى فيما بين المقابر والجبل ثم حدثت بعد المحن هذه العمائر الموجودة هنالك شيأ بعد شيء من سنة سبعمائة وصار في هذه الشقة خط سوق البسطيين وخط الدرب الاحمر وخط جامع الماردينى وخط سوق الغنم وخط التبانة وخط باب الوزير وقلعة الجبل والرميلة وخط القبيبات وخط باب القرافة * وأما ماهو تجاه من خرج من باب زويلة فيعرف بالشارع وقد تقدم ذكره عند ذكر الاسواق من هذا الكتاب وهو ينتهي بالسالك الى خط الصليبة المذكور آنفا والى خط الجامع الطولوني وخط المشهد النفيسي والى العسكر وكوم الجارح وغير ذلك من بقية خطط ظواهر القاهرة ومصر وكانت جهة القاهرة البحرية من ظاهرها فضاء ينتهي الى بركة الجب والى منية الاصبغ التي عرفت بالخندق والى منية مطر التي تعرف بالمطرية والى عين شمس وماوراء ذلك الا انه كان تجاه القاهرة بستان ريدان و يعرف اليوم بالريدانية وعند مصلى العيد خارج باب النصر حيث يصلى الآن على الاموات كان ينزل هنالك من يسافر الى الشام فلما كان قبل سنة خمسمائة ومات أمير الجيوش بدر الجمالي

فى سنة سبع وثمانين وار بعمائة بنى خارج باب النصر له تربة دفن فيها وبنى أيضا خارج باب الفتوح منظرة قد ذكر خبرها عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وصار أيضا فيما بين باب الفتوح والمطرية بساتين قد تقدم خبرها ثم عمرت الطائفة الحسينية بعد سنة خمسمائة خارج باب الفتوح عدة منازل اتصلت بالخندق وصار خارج باب النصر مقبرة الى ما بعد سنة سبعمائة فعمر الناس به حتى اتصلت العمائر من باب النصر الى الريدانية وبلغت الغاية من العمارة ثم تناقصت من بعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة الى أن فحش خرابها من حين حدثت المحن فى سنة ست وثمانمائة فهذا حال ظواهر القاهرة منذ اختطت والى يومنا هذا ويحتاج ما ذكرهنا الى مزيد بيان والله أعلم

(ذكر ميدان القبق)

هذا الموضع خارج القاهرة من شرقيها فيما بين النقرة التى ينزل من قلعة الجبل اليها وبين قبة النصر التى تحت الجبل الاحمر ويقال له أيضا الميدان الاسود وميدان العيد والميدان الاخضر وميدان السباق وهو ميدان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى بنى به مصطبة فى المحرم من سنة ست وستين وستمائة عندما احتفل برمى النشاب وأمور الحرب وحث الناس على لعب الرمح ورمى النشاب ونحو ذلك وصار ينزل كل يوم الى هذه المصطبة من الظهر فلا يركب منها الى العشاء الآخرة وهو يرمى ويحرض الناس على الرمى والنضال والرهان فما بقى أمير ولا مملوك الا وهذا شغله وتوفر الناس على لعب الرمح ورمى النشاب ومابرح من بعده من أولاده والملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفى الصالحى النجمى والملك الاشرف خليل ابن قلاوون يركبون فى الموكب لهذا الميدان وتقف الامراء والمماليك السلطانية تسابق بالخيل فيه قدامهم وتنزل العساكر فيه لرمى القبق والقبق عبارة عن خشبة عالية جدا تنصب فى براح من الارض ويعمل باعلاها دائرة من خشب وتقف الرماة بقسيها وترمى بالسهام جوف الدائرة لكى تمر من داخلها الى غرض هنالك تمرينا لهم على احكام الرمى ويعبر عن هذا بالقبق فى لغة الترك* قال جامع السيرة الظاهرية وفى سابع عشر المحرم من سنة سبع وستين وستمائة حث السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى جميع الناس على رمى النشاب ولعب الرمح خصوصا خواصه ومماليكه ونزل الى الفضاء بباب النصر ظاهر القاهرة ويعرف بميدان العيد وبنى مصطبة هنالك وأقام ينزل فى كل يوم من الظهر ويركب منها عشاء الآخرة وهو واقف فى الشمس يرمى ويحرض الناس على الرمى والرهان فما بقى أمير ولا مملوك الا وهذا شغله واستمر الحال فى كل يوم على ذلك حتى صارت تلك الامكنة لا تسع الناس ومابقى لاحد شغل الا لعب الرمح ورمى النشاب وفى شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وستمائة تقدم السلطان الملك الظاهر الى عساكره بالتأهب للركوب واللعب بالقبق ورمى النشاب واتفقت نادرة غريبة وهو انه أمر برش الميدان الاسود تحت القلعة لاجل الملعب فشرع الناس فى ذلك وكان يوما شديد الحر فأمر السلطان بتبطيل الرش رحمة للناس وقال الناس صيام وهذا يوم شديد الحر فبطل الرش وارسل الله تعالى مطرا جودا استمر ليلتين ويوما حتى كثر الوحل وتلبدت الارض وسكن العجاج وبرد الجو ولطف الهواء فوكل السلطان من يحفظه من السوق فيه يوم اللعب وهو يوم الخميس السادس والعشرون من شهر رمضان وأمر بركوب جماعة لطيفة من كل عشرة اثنان وكذلك من كل أمير ومن كل مقدم لئلا تضيق الدنيا بهم فركبوا فى احسن زى وأجمل لباس واكمل شكل وابهى منظر وركب السلطان ومعه من خواصه ومماليكه ألوف ودخلوا فى الطعان بالرماح فكل من أصاب خلع عليه السلطان ثم ساق فى مماليكه الخواص خاصة ورتبهم اجمل ترتيب واندفق بهم اندفاق البحر فشاهد الناس ابهة عظيمة ثم أقيم القبق ودخل الناس لرمى النشاب وجعل لمن اصاب من المفاردة رجال الحلقة والبحرية الصالحية وغيرهم بغلطاقا بسنجاب وللامراء فرسا من خيله الخاص بتشاهيره ومراوانه الفضية والذهبية ومزاخمه ومازال فى هذه الايام على هذه الصورة يتنوع فى دخوله وخروجه تارة بالرماح وتارة بالنشاب وتارة بالدبابيس وتارة بالسيوف مسلولة وذلك انه ساق على عادته فى اللعب وسل سيفه وسل مماليكه سيوفهم وحمل هو ومماليكه حملة رجل واحد فرأى الناس منظرا عجيبا واقام على ذلك كل يوم من بكرة النهار الى قريب المغرب وقد ضربت الخيام للنزول للوضوء والصلاة وتنوع الناس فى تبديل العدد والآلات وتفاخروا وتكاثروا فكانت هذه الايام من الايام المشهودة ولم يبق أحد من ابناء الملوك ولا وزير ولا أمير كبير ولا صغير ولا مفردى ولا مقدم من مقدمى الحلقة ومقدمى البحرية الصالحية ومقدمى

المماليك الظاهرية البحرية ولا صاحب شغل ولا حامل عصا في خدمة السلطان على بابه ولا حامل طير في ركاب السلطان ولا أحد من خواص كتاب السلطان الاوشرف بما يليق به على قدر منصبه ثم تعدى احسان السلطان لقضاة الاسلام والائمة وشهود خزانة السلطان فشرّفهم جميعهم ثم الولاة كلهم وأصبحوا بكرة يوم الاحد ثامن عشري شهر رمضان لابسين الخلع جميعهم في أحسن صورة وأبهج زي وابهى شكل واجمل زينة بالكلوتات الزركش بالذهب والملابس التي ماسمع بأن احدا جاد بمثلها وهي ألوف وخدم الناس جميعهم وقبلوا الارض وعليهم الخلع وركبوا ولعبوا نهارهم على العادة والاموال تفرّق والاسمطة تصف والصدقات تنفق والرقاب تعتق ومازال الى أن اهلّ هلال شوّال فقام الناس وطلعوا للهناء فجلس لهم وعليهم خلعه ثم ركب يوم العيد الى مصلاه في خمة بشعار السلطنة وابهة الملك فصلى ثم طلع قلعة الجبل وجلس على الاسمطة وكان الاحتفال بها كبيرا واكل الناس ثم انتهبه الفقراء وقام الى مقرّ سلطانه بالقبة السعيدة وقد غلقت وفرشت بأنواع الستور والكلل والفرش وكان قد تقدم الى الامراء باحضار أولادهم فاحضروا وخلع عليهم الخلع المفصلة على قدرهم فلما كان هذا اليوم احضروا وختنوا بأجمعهم بين يدي السلطان واخرجوا فحملوا في المحفات الى بيوتهم وعمّ الهناء كل دار ثم احضر الامير نجم الدين خضر ولد السلطان فختن ورمى للناس جملة من الاموال اجتمع منها خزانة ملك كبير فرّقت على من باشر الختان من الحكماء والمزينين وغيرهم وانقضت هذه الايام وجرى السلطان فيها على عادته كما كان من كونه لم يكلف أحدا من خلق الله تعالى بهدية يهديها ولا تحفة يتحفه بها في مثل هذه المسرّة كما جرت عادة من تقدمه من الملوك ولم يبق من لا شمله احسانه غير أرباب الملاهي والاغاني فانه كان في أيامه لم ينفق لهم مبلغ البتة * وممن لعب بهذا الميدان القبق السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون وعمل فيه المهمّ الذي لم يعمل في دولة ملوك الترك بمصر مثله وذلك ان خوندار دوتكين ابنة نوكيه ويقال نوغية السلحدارية اشتملت من السلطان الملك الاشرف على حمل فظنّ انها تلد ابنا ذكرا يرث الملك من بعده فأخذ عند ماقاربت الوضع في الاحتفال ورسم لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس ان يكتب الى دمشق بعمل مائة شمعدان نحاس مكفت بالقاب السلطان ومائة شمعدان أخر منها خمسون من ذهب وخمسون من فضة وخمسين مرجاما من سروج الزركش ومائة وخمسين مرجاما من المخيش وألف شمعة واشياء كثيرة غير ذلك فقدّر الله تعالى انها ولدت بنتا فانقبض لذلك وكره ابطال ماقد اشتهر عنه عمله فأظهر أنه يريد ختان أخيه محمد وابن أخيه مظفر الدين موسى بن الملك الصالح على بن قلاوون فرسم لنقيب الجيش والحجاب باعلام الامراء والعسكر أن يلبسوا كلهم آلة الحرب من السلاح الكامل هم وخيولهم ويصيروا بأجمعهم كذلك في الميدان الاسود خارج باب النصر فاهتم الامراء والعسكر اهتماما كبيرا لذلك وأخذوا في تحسين العدد وبالغوا في التأنق وتنافسوا في اظهار التجمل الزائد وخرج في اليوم الرابع من اعلام الامراء السوقة ونصبوا عدة صواوين فيها سائر البقول والمآكل فصار بالميدان سوق عظيم ونزل السلطان من قلعة الجبل بعساكره وعليهم لامة الحرب وقد خرج سائر من في القاهرة ومصر من الرجال والنساء الا من خلفه العذر لرؤية السلطان فأقام السلطان يومه وحصل في ذلك اليوم للناس بهذا الاجتماع من السرور ما يعز وجود مثله وأصبح السلطان وقد استعدّ العسكر بأجمعه لرمي القبق ورسم للحجاب بأن لا يمنعوا أحدا من الجند ولا من المماليك ولا من غيرهم من الرمي ورسم للامير بيسري والامير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح أن يتقدما الناس في الرمي فاستقبل الامير بيسري القبق وتحته سرج قد صنع قربوسه الذي من خلفه وطيأ فصار مستلقيا على قفاه وهو يرمي ويصيب يمنة ويسرة والناس بأسرهم قد اجتمعوا للنظر حتى ضاق بهم الفضاء فلما فرغ دخل أمير سلاح من بعده وتلاه الامراء على قدر منازلهم واحدا واحدا فرموا ثم دخل بعد الامراء مقدّموا الحلقة ثم الاجناد والسلطان يعجب برميهم وتزايد سروره حتى فرغ الرمي فعاد الى مخيمه ودار السقاة على الامراء بأواني الذهب والفضة والبلور يسقون السكر المذاب وشرب الاجناد من احواض قد ملئت من ذلك وكانت عدتها مائة حوض فشربوا واهوا واستمرّوا على ذلك يومين وفي اليوم الثالث ركب السلطان واستدعى الامير بيسري وأمره بالرمي فسأل السلطان أن يعفيه من الرمي وعيّن عليه بالتفرج في رمي الشباب من الامراء وغيرهم فأعفاه ووقف مع السلطان في منزلته وتقدم طقجي وعين الغزال وأمير عمر وكيلكدي وقشتمر العجمي وبرلغي وأعناق الحسامي وبكتوت ونحو الخمسين

من امراء السلطان الشبان الذين انشأهم من خاصكيته وعليهم تتريات حرير اطلس بطرازات زركش وكلوتات زركش وحوائص ذهب وكانوا من الجمال البارع بحيث يذهل حسنهم الناظر ويدهش جمالهم الخاطر فتعاظمت مسرة السلطان برؤيتهم وكثر عجابه وداخله العجب واستخفه الطرب وارتجت الدنيا بكثرة من حضر هنالك من ارباب الملاهي والاغاني وأصحاب الملعوب فلما انقضى اللعب عاد السلطان الى دهليزه في زينته ومرح في مشيته تيها وصلفا فما هو الا أن عبر الدهليز والناس من الطرب والسرور في أحسن شئ يقع في العالم واذا بالجو قد اظلم وثار ريح عاصف أسود الى أن طبق الارض والسماء وقلع سائر تلك الخيم وألقى الدهليز السلطاني وتزايد حتى ان الرجل لا يرى من بجانبه فاختلط الناس وماجوا ولم يعرف الامير من الحقير وأقبلت السوقة والعامة تنهب وركب السلطان يريد النجاة بنفسه الى القلعة وتلاحق العسكر به واختلفوا في الطرق لشدة الهول فلم يعبر الى القلعة حتى اشرف على التلف وحصل في هذا اليوم من نهب الاموال وانتهاك الحرم والنساء ما لا يمكن وصفه وما ظن كل أحد الا أن الساعة قد قامت فتنغص سرور الناس وذهب ما كان هنالك وما استقر السلطان بالقلعة حتى سكن الريح وظهرت الشمس وكأن ما كان لم يكن فأصبح السلطان وطلب أرباب الملاهي بأجمعهم وحضر الامراء الختان أخيه وابن أخيه وعمل مهم عظيم في القاعة التي أنشأها بالقلعة وعرفت بالاشرفية وقد ذكر خبر هذا المهم عند ذكر القلعة من هذا الكتاب وما برح هذا الميدان فضاء من قلعة الجبل الى قبة النصر ليس فيه بنيان وللملوك فيه من الاعمال ما تقدم ذكره الى أن كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون فترك النزول اليه وبنى مسطبة برسم طعم طيور الصيد بالقرب من بركة الحبش وصار ينزل هنالك ثم ترك تلك المسطبة في سنة عشرين وسبعمائة وعاد الى ميدان القبق هذا وركب اليه على عادة من تقدمه من الملوك الى أن بنيت فيه الترب شيأ بعد شئ حتى انسدت طريقه واتصلت المباني من ميدان القبق الى تربة الروضة خارج باب البرقية وبطل السباق منه ورمى القبق فيه من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب وأنا ادركت عواميد من رخام قائمة بهذا الفضاء تعرف بين الناس بعواميد السباق بين كل عمودين مسافة بعيدة وما برحت قائمة هنالك الى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة فهدمت عندما عمر الامير يونس الدوادار الظاهري تربته تجاه قبة النصر ثم عمر أيضا الامير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة هنالك وتتابع الناس في البنيان الى أن صار كما هو الآن والله اعلم

(ذكر بر الخليج الغربي)

قد تقدم أن هذا الخليج حفر قبل الاسلام بدهر وأن عمرو بن العاص رضى الله عنه جدد حفره في عام الرمادة باشارة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى صب ماء النيل في بحر القلزم وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها حتى عبرت منه الى البحر الملح وانه ما برح على ذلك الى سنة خمسين ومائة فطم ولم يبق منه الا ما هو موجود الآن الا أن فم هذا الخليج الذي يصب فيه الماء من بحر النيل لم يكن عند حفره هذا الفم الموجود الآن ولست أدري اين كان فمه عند ابتداء حفره في الجاهلية فان مصر فتحت وماء النيل عند الموضع الذي فيه الآن جامع عمرو بن العاص بمصر وجميع ما بين الجامع وساحل النيل الآن انحسر عنه الماء بعد الفتح وآخر ما كان ساحل مصر من عند سوق المعاريج الذي هو الآن بمصر الى تجاه الكبش من غربيه وجميع ما هو الآن موجود من الارض التي فيما بين خط السبع سقايات الى سوق المعاريج انحسر عنه الماء شيأ بعد شئ وغرس بساتين فعمل عبد العزيز بن مروان امير مصر قنطرة على فم هذا الخليج في سنة تسع وستين من الهجرة بأوله عند ساحل الحمراء ليتوصل من فوق هذه القنطرة الى جنان الزهري الآتي ذكرها ان شاء الله تعالى وموضع هذه القنطرة بداخل حكر أقبغا المجاور لخط السبع سقايات وما برحت هذه القنطرة عندها السد الذي يفتح عند الوفاء الى ما بعد الخمسمائة من الهجرة فانحسر ماء النيل عن الارض وغرست بساتين فعمل الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادى هذه القنطرة التي تعرف اليوم بقنطرة السد خارج مصر ليتوصل من فوقها الى بستان الخشاب وزيد في طول الخليج ما بين قنطرة السباع الآن وبين قنطرة السد المذكورة وصار ما في شرقيه مما انحسر عنه الماء بستانا عرف ببستان الحارة وما في غربيه يعرف ببستان المحلى وكان بطرف خط السبع سقايات كنيسة الحمراء وعدة كنائس أخر بعضها الآن بحكر أقبغا تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمي لسكناه بها

عندما هدمت بعد سنة عشرين وسبعمائة ومابرحت هذه البساتين موجودة الى أن استولى عليها الامير اقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاون وقلع أخشابها وأذن للناس فى عمارتها فحكرها الناس وبنوا فيها الآدر وغيرها فعرفت بحكر أقبغا * وبأول هذا الخليج الآن من غربيه منشاة المهرانى وقد تقدم خبرها فى هذا الكتاب عند ذكر مدينة مصر وبجاوره منشاة المهرانى بستان الخشاب وبعضه الآن يعرف بالمريس وبعضه عمله الملك الناصر محمد بن قلاون ميدانا يشرف على النيل من غربيه ويعرف ساحل النيل هناك بموردة الجبس كما ذكر عند ذكر الميادين من هذا الكتاب ويجاور بستان الخشاب جنان الزهرى وهذه المواضع التى ذكرت كلها مما انحسر عنه النيل ما خلا جنان الزهرى فانها من قبل ذلك وستقف على خبرها وخبر ما يجاورها من الاحكار ان شاء الله تعالى

(ذكر الاحكار التى فى غربى الخليج)

قال ابن سيده الاحتكار جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه انتظار وقت الغلاء به والحكرة والحكر جميعا ما احتكر وحكره يحكره حكرا ظلمه وتنقصه وأساء معاشرته انتهى فالتحكير على هذا المنع فقول أهل مصر حكر فلان ارض فلان يعنون منع غيره من البناء عليها *(حكر الزهرى)* هذا الحكر يدخل فيه جميع بر ابن التبان الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وشق الثعبان وبطن البقرة وسويقة القيمرى وسويقة صفية وبركة الشقاف وبركة السباعين وقنطرة الخرق وحدرة المراديين وحكر الحلبى وحكر البواشق وحكر كرجى وما بجانبه الى قناطر السباع وميدان المهارى الى الميدان الكبير السلطانى بموردة الجبس وكان هذا قديما يعرف بجنان الزهرى ثم عرف ببستان الزهرى قال أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس فى تاريخ الغرباء عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى يكنى أبا العباس وأمه أم عثمان بنت عثمان بن العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان مدنى قدم مصر وولى الشرط بفسطاط مصر وحدث روى عن مالك بن انس وسفيان بن عيينة روى عنه من أهل مصر أصبغ ابن الفرج وسعيد بن أبى مريم وعثمان بن صالح وسعيد بن عفير وغيرهم وهو صاحب الجنان التى بالقنطرة قنطرة عبد العزيز بن مروان تعرف بجنان الزهرى وهو حبس على ولده الى اليوم وكان كتاب حبس الجنان عند جدى يونس بن عبد الاعلى وديعة عليه مكتوب وديعة لولد ابن العباس الزهرى لا يدفع لاحد الا أن يغرى به سلطان والكتاب عندى الى الآن توفى عبد الوهاب بن موسى بمصر فى رمضان سنة عشرة ومائتين وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى فى كتاب معرفة الخطط والآثار حبس الزهرى هو الجنان التى عند القنطرة بالحمراء وهو عبد الوهاب ابن موسى بن عبد العزيز الزهرى قدم مصر وولى الشرط بها والجنان حبس على ولده * وقال القاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج فى كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل حبس الزهرى فذكره ثم قال وهذا الحبس اكثره الآن أحكار ما بين بركة الشقاف وخليج شق الثعبان وقد استولى وكيل بيت المال على بعضه وباع من ارضه وآجر منها واجتمع هو ومحبسه بين يدى الله عز وجل انتهى ولما طال الامد صار للزهرى عدة بساتين منها بستان ابى اليمان وبستان الدراج وبستان الحبانية وبستان عزاز وبستان تاج الدولة قماز وبستان الفرغانى وبستان ارض الطبلسان وبستان البطرك وغيط الكردى وغيط الصفار ثم عرف ببر ابن التبان بعد ذلك قال القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى كتاب الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة شاطئ الخليج المعروف ببر التبان *(ابن التبان المذكور)* هو رئيس المراكب فى الدولة المصرية وكان له قدر وابهة فى الايام الآمرية وغيرها ولما كان فى الايام الآمرية تقدم الى الناس بالعمارة قبالة الخرق غربى الخليج فأول من ابتدأ وعمر الرئيس ابن التبان فانه أنشأ مسجدا وبستانا ودارا فعرفت تلك الخطة به الى الآن ثم بنى سعد الدولة والى القاهرة وناهض الدولة على وعدى الدولة أبو البركات محمد بن عثمان وجماعة من فراشى الخاص واتصلت العمارة بالآجر والسقوف النقية والابواب المنظومة من باب البستان المعروف بالعدة على شاطئ الخليج الغربى الى البستان المعروف بأبى اليمن ثم ابتنى جماعة غيرهم ممن رغب فى الاجرة والفرجة على التراع التى تتصرف من الخليج الى الزهرى والبساتين من المنازل والدكاكين شيأ كثيرا وهى الناحية المعروفة الآن بشق الثعبان وسويقة القيمرى الى أن وصل البناء الى قبالة البستان المعروف بنور الدولة الربعى وهذا البستان

معروف

معروف فى هذا الوقت بالخطة المذكورة وهو متلاشى الحال بسبب ملوحة بئره وبستان نور الدولة هو الآن الميدان الظاهرى والمناظر به وتفرقت الشوارع والطرق وسكنت الدكاكين والدور وكثر المترددون اليه والمعاش فيه الى أن استناب والى القاهرة بها نائبا عنه ثم تلاشت تلك الاحوال وتغيرت الى أن صارت اطلالا وعفت تلك الآثار ثم بعد ذلك حكر آدرا وبساتين وبنى على غير تلك الصفة المقدم ذكرها وبنى على ما هو عليه ثم حكر بستان الزهرى آدرا ولم يبق منه الا قطعة كبيرة بستانا وهو الآن احكار تعرف بالزهرى ويعرف البر جميعه ببر ابن التبان الى هذا الوقت وولايته تعرف بولاية الحكر وبنى به حمام الشيخ نجم الدين بن الرفعة وحمام تعرف بالقيمرى وحمام تعرف بحمام الداية على شاطئ الخليج انتهى * وبستان أبى اليمان يعرف اليوم مكانه بحكر اقبغا وفيه جامع الست مسكة وسويقة السباعين * وبستان السراج فى ارض باب اللوق يعرف موضعه الآن بحكر الخليلى ويأتى ذكرهما ان شاء الله تعالى وقيماز هو تاج الدولة صهر الامير بهرام الارمنى وزير الخليفة الحافظ لدين الله وقتل عند دخول الصالح طلائع بن رزيك الى القاهرة فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة وعزاز هو غلام الوزير شاور بن مجير السعدى وزير الخليفة العاضد لدين الله * (حكر الخليلى) هذا الحكر هو الخط الذى بقرب سويقة السباعين وجامع الست مسكة وهو بجوار حكر الزهرى وكان بستانا يعرف ببستان أبى اليمان ومنهم من يكتب بستان أبى اليمن بغير ألف بعد الميم ثم عرف ببستان ابن جن حلوان وهو الجمال محمد بن الزكى يحيى بن عبد المنعم بن منصور التاجر فى ثمرة البساتين عرف بابن جن حلوان مات فى سنة احدى وتسعين وستمائة وحد هذا البستان القبلى الى الخليج وكان فيه بابه واليهما الباب والحد البحرى ينتهى الى غيط قيماز والشرقى الى الآدر المحتكرة والغربى ينتهى الى قطعة تعرف قديما بابن أبى التاج ثم عرف ببستان ابن السراج واستأجره ابن جن حلوان من الشيخ نجم الدين بن الرفعة الفقيه المشهور فى سنة ثمان وثمانين وستمائة فعرف به ثم ان هذا البستان حكر بعد ذلك فعرف بحكر الخليلى وهو * (حكر قوصون) هذا الحكر مجاور لقناطر السباع كان بستانين أحدهما يعرف بالمخاريق الكبرى والآخر يعرف بالمخاريق الصغرى فأما المخاريق الكبرى فان القاضى الرئيس الاجل المختار العدل الامين زكى الدين أبا العباس أحمد بن مرتضى بن سيد الاهل بن يوسف وقف حصة من جميع البستان المذكور الكبير المعروف بالمخاريق الكبرى الذى بين القاهرة ومصر بعدوة الخليج فيما بين البستانين المعروف أحدهما بالمخاريق الصغرى ويعرف قديما بالشيخ الاجل ابن أبى أسامة ثم عرف بغيره والبستان الذى يعرف بدويرة دينار يفصل بينهما الطريق بخط بستان الزهرى وبستان أبى اليمن وكنائس النصارى قبالة جماميز السعدية والسبع سقايات ولهذا البستان حدود أربعة القبلى ينتهى الى الخليج الفاصل بينه وبين المواضع المعروفة بجماميز السعدية والسبع سقايات والحد الشرقى ينتهى الى البستان المعروف بالمخاريق الصغرى المقابل للمجنونة والبحرى ينتهى الى البستان المعروف قديما بابن أبى أسامة الفاصل بينه وبين بستان أبى اليمن المجاور للزهرى والحد الغربى ينتهى الى الطريق وجعل هذا البستان على القربات بعد عمارته وشرط أن الناظر يشترى فى كل فصل من فصول الشتاء ما يراه من قماش الكتان الخام أو القطن ويصنع ذلك جبابا وبغالطيق محشوة قطنا ويفرقها على الايتام الذكور والاناث الفقراء غير البالغين بالشارع الاعظم خارج باب زويلة لكل واحد جبة أو بغلطاق فان تعذر ذلك كان على الايتام المتصفين بالصفة المذكورة بالقاهرة ومصر وقرافتيهما فان تعذر ذلك كان للفقراء والمساكين اينما وجدوا وتاريخ كتاب هذا الوقف فى ذى الحجة سنة ستين وستمائة وأما المخاريق الصغرى فانه بعدوة الخليج قبالة المجنونة بالقرب من بستان أبى اليمن ثم عرف أخيرا ببستان بهادر رأس نوبة ومساحته خمسة عشر فدانا فاشتراه الامير قوصون وقلع غروسه وأذن للناس فى البناء عليه فحكروه وبنوا فيه الآدر وغيرها وعرف بحكر قوصون * (حكر الحلبى) هذا الحكر الآن يعرف بحكر بيبرس الحاجب وهو مجاور للزهرى ولبركة الشقاف من غربيها وأصله من جملة اراضى الزهرى اقتطع منه وباعه القاضى مجد الدين ابن الخشاب وكيل بيت المال لابنتى السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاون فى سنة أربع وتسعين وستمائة وكان يعرف حين هذا البيع ببستان الجمال بن جن حلوان وبغيط الكردى وببستان الطيلسان وببستان الفرغانى وحد هذه القطعة القبلى الى بركة الطوابين والى الهدير الصغير والحد البحرى ينتهى الى بستان الفرغانى والى بستان البواشق والحد الشرقى الى بركة الشقاف والى الطريق الموصلة الى الهدير الصغير والحد الغربى

الى بستان الفرغانى ثم انتقل هذا البستان الى الامير ركن الدين بيبرس الحاجب فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون وحكره فعرف به

* (حكر البواشقى) عرف بالامير أزدمر البواشقى مملوك الرشيدى الكبير أحد المماليك البحرية الصالحية وممن قام على الملك المعز أيبك عندما قتل الامير فارس الدين اقطاى فى ذى القعدة سنة احدى وخمسين وستمائة وخرج الى بلاد الروم ثم عرف الآن بحكر كرجى وهو بجوار حكر الحلبى المعروف بحكر بيبرس

* (حكر أقبغا) هذا الحكر بجوار السبع سقايات بعضه بجانب الخليج الغربى وبعضه بجانب الخليج الشرقى كان بستانا يعرف قديما بجنان الحارة ويسلك اليه من خط قناطر السباع على يمنة السالك طالبا السبع سقايات بالقرب من كنيسة الحمراء وكان بعضه بستانا يعرف ببستان الحلى وهو الذى فى غربى الخليج وكان بستان جنان الحارة بجوار بركة قارون وينتهى الى حوض الدمياطى الموجود الآن على يمنة من سلك من خط السبع سقايات الى قنطرة السد فاستولى عليه الامير أقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون واذن للناس فى تحكيره فحكر وبنى فيه عدة مساكن والى يومنا هذا يجبى حكره ويصرف فى مصارف المدرسة الاقبغاوية المجاورة للجامع الازهر بالقاهرة وأول من عمر فى حكر أقبغا هذا أستادار الامير جنكل بن البابا فتبعه الناس وفى موضع هذا الحكر كانت كنيسة الحمراء التى هدمها العامة فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون كما ذكر عند ذكر الكنائس من هذا الكتاب وهى اليوم زاوية تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمى وقد ذكرت فى الزوايا أيضا وهذا الحكر لما بنى الناس فيه عرف بالادر لكثرة من سكن فيه من التتر والوافدية من اصحاب الامير جنكل بن البابا وعمر تجاه هذا الحكر الامير جنكل حمامين هما هنالك الى اليوم وانتشأ بعمارة هذا الحكر بظاهره سوق وجامع وعمر ما على البركة أيضا واتصلت العمارة منه فى الجانبين الى مدينة مصر واتصلت به عمائر أيضا ظاهر القاهرة بعدما كان موضع هذا الحكر مخوفا يقطع فيه الزعار الطريق على المارة من القاهرة الى مصر وكان والى مصر يحتاج الى أن يركز جماعة من أعوانه بهذا المكان لحفظ من يمر من المفسدين فصار لما حكر كانه مدينة كبيرة وهو الى الآن عامر واكثر من يسكنه الامراء والاجناد وهذا الحكر كان يعرف قديما بالحمراء الدنيا وقد ذكر خبر الحمراوات الثلاث عند ذكر خطط مدينة فسطاط مصر من هذا الكتاب وفى هذا الحكر أيضا كانت قنطرة عبد العزيز بن مروان التى بناها على الخليج ليتوصل منها الى جنان الزهرى وبعض هذا الحكر مما انحسر عنه النيل وهى القطعة التى تلى قنطرة السد

* (حكر الست حدق) هذا الحكر يعرف اليوم بالمريس وكان بساتين من بعضها بستان الخشاب فعرف بالست حدق من اجل أنها أنشأت هنالك جامعا كان موضعه منظرة السكرة فبنى الناس حوله واكثر من كان يسكن هنالك السودان وبه يتخذ المزر ومأوى أهل الفواحش والقاذورات وصار به عدة مساكن وسوق كبير يحتاج محتسب القاهرة أن يقيم به نائبا عنه للكشف عما يباع فيه من المعايش وقد ادركنا المريس على غاية من العمارة الا انه قد اختل منذ حدثت الحوادث من سنة ست وثمانمائة وبه الى الآن بقية من فساد كبير

* (حكر الست مسكة) هذا الحكر بسويقة السباعين بقرب جوار حكر الست حدق عرف بالست مسكة لانها أنشأت به جامعا وهذا الحكر كان من جملة الزهرى ثم افرد وصار بستانا تنقل الى جماعة كثيرة فلما عمرت الست مسكة فى هذا الحكر الجامع بنى الناس حوله حتى صار متصلا بالعمارة من سائر جهاته وسكنه الامراء والاعيان وأنشأوا به الحمامات والاسواق وغير ذلك * وكانت حدق ومسكة من جوارى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون نشأتا فى داره وصارتا قهرمانتين لبيت السلطان يقتدى برأيهما فى عمل الاعراس السلطانية والمهمات الجليلة التى تعمل فى الاعياد والمواسم وترتيب شؤون الحريم السلطانى وتربية اولاد السلطان وطال عمرهما وصار لهما من الاموال الكثيرة والسعادات العظيمة ما يجل وصفه وصنعا برا ومعروفا كبيرا واشتهرا وبعد صيتهما وانتشر ذكرهما

* (حكر طقزدمر) هذا الحكر كان بستانا مساحته نحو الثلاثين فدانا فاشتراه الامير طقزدمر الحموى نائب السلطنة بديار مصر ودمشق وقلع أخشابه وأذن للناس فى البناء عليه فحكروه وأنشأوا به الدور الجليلة واتصلت عمارة الناس فيه بسائر العمائر من جهاته وأنشأ الامير طقزدمر فيه أيضا على الخليج قنطرة ليمر عليها من خط المسجد المعلق الى هذا الحكر وصار هذا الحكر مسكن الامراء والاجناد وبه السوق والحمامات والمساجد وغيرها وهو مما عمر فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون ومات طقزدمر فى ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة

سنه

سنة ست وأربعين وسبعمائة * (اللوق) يقال لاق الشيء يلوقه لوقا ولوّقه لينه وفى الحديث الشريف لا آكل الا ما لوّق لى ولواق ارض معروفة قاله ابن سيده فكأن هذه الارض لما انحسر عنها ماء النيل كانت أرضا لينة والى الآن فى اراضى مصر ما اذا زل عنها ماء النيل لا تحتاج الى الحرث للينها بل تلاق لوقا فصواب هذا المكان أن يقال فيه أراضى اللوق بفتح اللام الا أن الناس انما عهدناهم يقولون قديما باب اللوق وأراضى باب اللوق بضم اللام ويجوز أن يكون من اللق بضم اللام وتشديد القاف قال ابن سيده واللق كل أرض ضيقة مستطيلة واللق الارض المرتفعة ومنه كتاب عبد الملك بن مروان الى الحجاج لا تدع خقا ولا لقا الا زرعته حكاه الهروى فى الغريبين انتهى والخق بضم الخاء المعجمة وتشديد القاف الغدير اذا جف وقيل الخق ما اطمأن من الارض واللق ما ارتفع منها وأراضى اللوق هذه كانت بساتين ومزدرعات ولم يكن بها فى القديم بناء البتة ثم لما انحسر الماء عن منشأة الفاضل عمر فيها كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب ويطلق اللوق فى زمننا على المكان الذى يعرف اليوم بباب اللوق المجاور لجامع الطباخ المطل على بركة الشقاف وما يسامته الى الخليج الذى يعرف اليوم بخليج فم الخور ومنتهى اللوق من الجانب الغربى الى منشأة المهرانى ومن الجانب الشرقى الى الدكة بجوار المقس وكان القاضى الفاضل قد اشترى قطعة كبيرة من أراضى اللوق هذه من بيت المال وغيره بجملة كبيرة من المال ووقفها على العين الزرقاء بالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والتسليم وعرفت هذه الارض ببستان ابن قريش وبعضها دخل فى الميدان الظاهرى وعوض عنها أراض باكثر من قيمتها وكان متحصل هذا الوقف يحمل فى كل سنة الى المدينة لتنظيف العين وتنظيف مجاريها وأما الجانب الغربى من خليج فم الخور المعروف اليوم بحكر ابن الاثير وبسويقة الموفق وموردة الملح وساحل بولاق كله فانه محدث عمر بعد سنة سبعمائة كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى قريبا فان النيل كان يمر من ساحل الحمراء بغربى الزهرى على الاراضى التى لما انحسر عنها عرفت باراضى اللوق الى أن ينتهى الى ساحل المقس وكانت طاقات المناظر التى بالدكة تشرف على النيل الاعظم ولا يحول بينها وبين رؤية بر الجيزة شئ ويمر النيل من الدكة الى المقس ويمتد الى زربية جامع المقس الذى هو الآن على الخليج الناصرى فلما انحسر ماء النيل عن أراضى اللوق اتصلت بالمقس وصارت عدة أماكن تعرف بظاهر اللوق وهى بستان ابن ثعلب ومنشأة ابن ثعلب وباب اللوق وحكر قردميه وحكر كريم الدين ورحبة التبن وبستان السعدى وبركة قرموط وخور الصعبى وصار بين اللوق وبين منشأة المهرانى التى هى بأول بر الخليج الغربى منشأة الفاضل والمنشأة المستجدة وحكر الحلبى وحكر الساباط ويعرف بحكر بستان القاصد وحكر كريم الدين الصغير وحكر المطوع وحكر العين الزرقاء وفى غربى هذه المواضع على شاطئ النيل زربية قوصون وموردة البلاط وموردة الجبس وخط الجامع الطيبرسى وزريبة السلطان وربع بكتمر وأول ما بنيت الدور للسكن فى اللوق أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وذلك أنه جهز كشافه من خواصه مع الامير جمال الدين الرومى السلاح دار والامير علاء الدين أق سنقر الناصرى ليعرف أخبار هولاكو ومعهم عدة من العربان فوجدوا طائفة من التتر مستأمنين وقد عزموا على قصد السلطان بمصر وذلك أن الملك بركة خان ملك التتر كان قد بعثهم نجدة لهولاكو فلما وقع بينهما كتب اليهم بركة يأمرهم بمفارقة هولاكو والمصير اليه فان تعذر عليهم ذلك صاروا الى عسكر مصر فانه كان قد ركن الى الملك الظاهر وترددت القصاد بينهم بعد واقعة بغداد ورحيل هولاكو عن حلب فاختلف هولاكو مع ابن عمه بركة خان وتواقعا فقتل ولد هولاكو فى المصاف وانهزم عسكره وفر الى قلعة فى بحيرة أذربيجان فلما وردت الاخبار بذلك الى مصر كتب السلطان الى نواب الشام باكرامهم وتجهيز الاقامات لهم وبعث اليهم بالخلع والانعامات فوصلوا الى ظاهر القاهرة وهم ينيف على مائتى فارس بنسائهم وأولادهم فى يوم الخميس رابع عشرى ذى الحجة سنة ستين وستمائة فخرج السلطان يوم السبت سادس عشريه الى لقائهم بنفسه ومعه العساكر فلم يبق أحد حتى خرج لشاهدتهم فاجتمع عالم عظيم تبهر رؤيتهم العقول وكان يوما مشهودا فأنزلهم السلطان فى دور كان قد أمر بعمارتها من اجلهم فى أراضى اللوق وعمل لهم دعوة عظيمة هنالك وحمل اليهم الخلع والخيول والاموال وركب السلطان الى الميدان وأركبهم معه للعب الاكرة وأعطى كبراءهم امريات فمنهم من عمله أمير مائة ومنهم من دون ذلك ونزل بقيتهم من جملة البحرية وصار كل منهم من سعة الحال كالامير فى خدمته الاجناد والغلمان وافرد لهم عدة جهات برسم مرتبهم وكثرت نعمهم وتظاهروا بدين الاسلام فلما

بلغ التتار مافعله السلطان مع هولاء وفد عليه منهم جماعة بعد جماعة وهو يقابلهم بمزيد الاحسان فتكاثروا بديار مصر وتزايدت العمائر فى اللوق وما حوله وصار هناك عدة أحكار عامرة آهلة الى أن خربت شيأ بعد شئ وصارت كيمانا وفيها ماهو عامر الى يومنا هذا ولما قدمت رسل القان بركة فى سنة احدى وستين وسبعمائة انزلهم السلطان الملك الظاهر باللوق وعمل لهم فيه مهما وصار يركب فى كل سبت وثلاثاء للعب الاكرة باللوق فى الميدان * وفى سادس ذى الحجة من سنة احدى وستين قدم من المغل والبهادرية زيادة على ألف وثلثمائة فارس فأنزلوا فى مساكن عمرت لهم باللوق بأهاليهم واولادهم وفى شهر رجب سنة احدى وستين وسبعمائة قدمت رسل الملك بركة ورسل الاشكرى فعملت لهم دعوة عظيمة باللوق * فأما بستان ابن ثعلب فانه كان بستانا عظيم القدر مساحته خمسة وسبعون فدانا فيه سائر الفواكه باسرها وجميع مايزدرع من الاشجار والنخل والكروم والنرجس والهليون والورد والنسرين والياسمين والخوخ والكمثرى والنارنج والليمون التفاحى والليمون الراكب والختن والجميز والقراصيا والرمان والزيتون والتوت الشامى والمصرى والموسين والتامر حنا والبان وغير ذلك وبه الآبار المعينة وله الهماليات وفيه منظرة عظيمة وعدة دور ومن حقوق هذا البستان الارض التى تعرف اليوم ببركة قرموط والارض التى تعرف اليوم بالخور قبالة الارض المعروفة بالبيضاء بجوار بستان السراج وبستان الزهرى وبستان البورجى فيما بين هذه البساتين وبين خليج الذكر والمقس وكان على بستان ابن ثعلب سور مبنى وله باب جليل وحده القبلى الى منشأة ابن ثعلب وحده البحرى الى الارض المجاورة للميدان السلطانى الصالحى والى أرض الجزائر وفى هذا الحد أرض الخور وهى من حقوقه وحده الشرقى الى بستان الذكر وبستان الامير قراقوش وحده الغربى الى الطريق المسلوك فيها الى موردة السقائين قبالة بستان السراج وموردة السقائين هذه موضع قنطرة الخرق الآن * وابن ثعلب هذا هو الشريف الامير الكبير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفرى الزينبى أحد أمراء مصر فى أيام الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب وغيره وصاحب المدرسة الشريفية بجوار درب كركامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة وانتقل من بعده الى ابنه الامير حصن الدين ثعلب فاشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى بثلاثة آلاف دينار مصرية فى شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة وكان باب هذا البستان فى الموضع الذى يقال له اليوم باب اللوق وكان هذا البستان ينتهى الى خليج الخور وآخره من المشرق ينتهى الى الذكر بجوار المقس ثم انقسم بعد ذلك قطعا وحكرت اكثر أرضه وبنى الناس عليها الدور وغيرها وبقيت منه الى الآن قطعة عرفت ببستان الامير أرغون النائب بديار مصر أيام الملك الناصر ثم عرف بعد ذلك ببستان ابن غراب وهو الآن على شاطئ الخليج الناصرى على يمنة من سلك من قنطرة قدادار بشاطئ الخليج من جانبه الشرقى الى بركة قرموط وبقيت من بستان ابن ثعلب قطعة تعرف ببستان بنت الامير بيبرس الى الآن وهو وقف ومن جملة بستان ابن ثعلب أيضا الموضع الذى يعرف ببركة قرموط والموضع المعروف بفم الخور * (وأما منشأة ابن ثعلب) فانها بالقرب من باب اللوق وحكرت فى أيام الشريف فخر الدين بن ثعلب المذكور فعرفت به وهى تعرف اليوم بمنشأة الجوانية لان جوانية الفم كانوا يسكنون فيها فعرفت بهم وأدركتها فى غاية العمارة بالناس والمساكن والحوانيت وغيرها وقد اختلت بعد سنة ست وثمانمائة واكثرها الآن زرائب للبقر * (وأما باب اللوق) فانه كان هنالك الى مابعد سنة أربعين وسبعمائة بمدة باب كبير عليه طوارق حربية مدهونة على ماكانت العادة فى أبواب القاهرة وأبواب القلعة وأبواب بيوت الامراء وكان يقال له باب اللوق فلما أنشأ القاضى صلاح الدين ابن المغربى قيساريته التى بباب اللوق وجعلها لبيع غزل الكتان هدم هذا الباب وجعله فى الركن من جدار القيسارية القبلى مما يلى الغربى وهذا هو باب الميدان الذى أنشأه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل لما اشترى بستان ابن ثعلب وقد ذكر خبر هذا الميدان عند ذكر الميادين من هذا الكتاب * (وأما حكر قردميه) فانه على يمنة من سلك من باب اللوق المذكور الى قنطرة قدادار وكان من جملة بستان ابن ثعلب فحكر وصار أخيرا بيد ورثة الامير قوصون وكان حكرا عامرا الى مابعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة فخرب عند وقوع الوباء الكبير بمصر وحفرت أراضيه وأخذ طينها فصارت بركة ماء عليها كيمان خلف الدور التى على الشارع المسلوك فيه الى قنطرة قدادار * (وأما حكر كريم الدين) فانه على يسرة من سلك من باب اللوق الى رحبة التبن والى الذكر

وكان

وكان يعرف قبل كريم الدين بحكر الضهيونى وهذا الحكر الآن آئل الى الدثور *(وأما رحبة التبن) فانها
فى مجرى منشأة الجوانية شارعة فى الطريق العظمى التى يسلك فيها الى قنطرة الدكة من رحبة باب اللوق عرفت
بذلك لانه كانت احمال التبن تقف بها للبياع هناك فان القاهرة كانت توقر من مرور احمال التبن والحطب
ونحوهما بها ثم اختطت من جملة ما اختط فى غربى الخليج وصار بها عدة مساكن وسوق كبير وقد ادركته غاصا
بالعمارة وانما اختل حال هذا الخط من سنة ست وثمانمائة *(وأما بستان السعيدى) فانه يشرف على الخليج
الناصرى فى هذا الوقت وادركنا ما حوله عامرا وقد خربت الدور التى كانت هناك من جهة الطريق الشارع
من باب اللوق الى الدكة وبها بقية آئلة الى الدثور *(وأما بركة قرموط) فانها من حقوق بستان ابن ثعلب ولما حفر
الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى رمى فيها ما خرج عند حفره من الطين وادركناها من اعمر بقعة
فى ارض مصر وهى الآن خراب كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب *(وأما الخور) فان الخور فى اللغة
مصب الماء وهو هنا اسم للارض التى ما بين الخليج الناصرى والخليج الذى يعرف بفم الخور وجميع هذه
الارض من جملة بستان ابن ثعلب وكان يعرف بالخور الصعبى لانه كانت به مناظر تعرف بمناظر الصعبى تشرف
على النيل وكان على شاطئ الخليج الكبير فى هذا الجانب الغربى الذى نحن فى ذكره بجوار بستان الخشاب الذى
كان يتوصل اليه من قنطرة السد وبعضه الآن الميدان السلطانى بستان يعرف بالجزيرة يعنى بستان الجزيرة
المعروف بالصعبى وكان من البساتين الجليلة *(وهذا الصعبى) هو الشيخ كريم الدولة عبد الواحد بن محمد بن
على الصعبى مات فى شهر رمضان سنة ثلاث وستمائة بمصر وكان له أخ يعرف بعبد العظيم بن محمد الصعبى *
ولما انحسر ماء النيل عن الرملة التى قيل لها منية بولاق تجاه المقس وعمرت هناك الدور اتصلت من قبليها بالخور
وأنشئ بشاطئ النيل الذى بالخور دور تجل عن الوصف وانتظمت صفا واحدا من بولاق الى منشأة المهرانى
وموردة الحلفاء ومن موردة الحلفاء على ساحل مصر الجديد الى دير الطين غربى بركة الحبش لو أحصى ما أنفق
على بناء هذه الدور لقام بخراج مصر أيام كانت عامرة وقد خرب معظمها من سنة ست وثمانمائة وقد تقدم ذكر
منشأة الفاضل *(وأما حكر الساباط) وحكر كريم الدين الصغير وحكر المطوع وحكر العين الزرقاء فانها بالقرب
من الميدان الكبير السلطانى وقد خربت بعد ما كانت عامرة بالدور والمنتزهات *(بستان العدة) هذا المكان
من جملة الاحكار التى فى غربى الخليج وهو بجوار قنطرة الخرق وبجوار حكر النوبى قريب من باب اللوق تجاه
الدور المطلة على الخليج من شرقيه المقابلة لباب سعادة وحارة الوزيرية كان بستانا جليلا وقفه الامير فارس
المسلمين بدر بن رزيك أخو الصالح طلائع بن رزيك صاحب جامع الصالح خارج باب زويلة ثم انه خرب فحكر وبنى
عليه عدة مساكن وحكره يتعاطاه ورثة فارس المسلمين *(حكر جوهر النوبى) هذا الحكر تجاه الحارة الوزيرية
من بر الخليج الغربى فى شرقى بستان العدة ويسلك منه الى قنطرة أمير حسين من طريق تجاه باب جامع أمير
حسين الذى تعلوه المئذنة ومازال بستانا الى نحو سنة ستين وستمائة فحكر وبنى فيه الدور فى ايام الظاهر بيبرس
وعرف بجوهر النوبى أحد الامراء فى الايام الكاملية وقد تقدم بديار مصر تقدما زائدا وكان خصيا وهو ممن ثار
على الملك العادل أبى بكر بن الكامل وخلعه فلما ملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بعد أخيه العادل قبض
على جوهر فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة *(حكر خزائن السلاح) هذا الحكر كان يعرف قديما بحكر الاوسية
وهو فيما بين الدكة وقنطرة الموسكى وقفه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب على مصالح خزائن السلاح هو
وعدة أماكن بمدينة مصر مع مدينة قليوب وأراضيها فى جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وستمائة وظهر كتاب
الوقف المذكور من الخزائن السلطانية فى جمادى الاولى سنة خمس عشرة وسبعمائة فى أيام الملك الناصر محمد بن
قلاوون وقد خرب اكثر هذا الحكر وصار كيمانا *(حكر تمكان) هذا الحكر بجوار سويقة العجمى الفاصلة بينه
وبين حكر خزائن السلاح وكان يعرف قديما بحكر كوبج وحده القبلى ينتهى الى حكر ابن الاسد جفريل والحد
البحرى ينتهى الى حكر العلائى والحد الشرقى ينتهى الى حكر البغدادية والحد الغربى ينتهى الى حكر خزائن
السلاح وسويقة العجمى *وتمكان هو الامير سيف الدين تمكان ويقال تمكام بالميم عوضا عن النون وهذا الحكر
استقر أخيرا فى أوقاف خوند اردوتكين ابنة نوكيه السلاح دار زوجة الملك الاشرف خليل بن قلاوون على تربتها
التى أنشأتها خارج باب القرافة التى تعرف اليوم بتربة الست وقد خرب هذا الحكر وبيعت أنقاضه فى أعوام بضع

وتسعين وسبعمائة وجعل بعضه بستانا فى سنة ست وتسعين وسبعمائة * (حكر ابن الاسد جفربل) هذا
الحكر فى قبلى حكر تكان كان بستانا فحكر وعرف بالامير شمس الدين موسى بن الامير أسد الدين جفربل أحد
أمراء الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بمصر * (حكر البغدادية) هذا الحكر بجوار خليج الذكر
كان من اعظم البساتين فى الدولة الفاطمية فأزال الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب اشجاره
ونخله وجعله ميدانا ثم حكر وصارت فيه عدة مساكن وهو الآن خراب يباب لا يأويه الا البوم والرخم * (حكر
خطلبا) هذا الحكر حده القبلى الى الخليج وحده البحرى الى الكوم الفاصل بينه وبين حكر الاوسية المعروف
بالجاولى وحده الشرقى الى بستان الجليس الذى عرف بابن منقذ والحد الغربى الى زقاق هنالك وكان هذا
الحكر بستانا اشتراه جمال الدين الطواشى من جمال الدين عمر بن ناصح الدين داود بن اسماعيل الملكى الكاملى
فى سنة ست عشرة وستمائة ثم ابتاعه منه الطواشى محيي الدين صندل الكاملى فى سنة عشرين وستمائة وباعه
للامير الفارس صارم الدين خطلبا الكاملى فى سنة احدى وعشرين وستمائة فعرف به * وهو خطلبا بن موسى
الامير صارم الدين الفارسى التبتى الموصلى الكاملى استقر فى ولاية القاهرة سنة اثنين وسبعين وخمسمائة فى ايام
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم اضيفت له ولاية الفيوم فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة ثم صرف عنها
وسار متسلما الى اليمن ليتسلمها فتسلمها فى جمادى الاولى وساره فى سادس شوال منها والياعلى مدينة زبيد باليمن
ومعه خمسمائة رجل ورفيقه الامير باخل فبلغت النفقة عليه عشرين ألف دينار وكتب للطواشية بنفقة
عشرة دنانير لكل منهم على اليمن فأقام باليمن مدة ثم قدم الى القاهرة وصار من اصحاب الامير فخر الدين جهاركس
وتأخر الى ايام الملك الكامل وصار من أمرائه بالقاهرة الى أن مات فى ثالث شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة
* (حكر ابن منقذ) هذا الحكر خارج باب القنطرة بعدوة خليج الذكر وكان بستانا يعرف ببستان الشريف
الجليس ويعرف أيضا بالبطائحى ثم عرف بالامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائب الملك المعز سيف
الاسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شادى على مملكة اليمن وانتقل بعد ابن منقذ الى الشيخ عبد
المحسن بن عبد العزيز بن على المخزومى المعروف بابن الصيرفى فوقفه على جهات تؤول أخيرا الى الفقراء
والمساكين المقيمين بمشهد السيدة نفيسة والفقراء والمساكين المعتقلين فى حبوس القاهرة فى سنة ثلاث وأربعين
وستمائة ثم ازيلت أنشاب هذا البستان وحكرت أرضه وبنيت الدور والمساكن عليها وهو الآن خراب
* (حكر فارس المسلمين بدر بن رزيك) هذا الحكر تجاه منظرة اللؤلؤة كان من جملة البركة المعروفة ببطن البقرة
ثم حكر وبنى فيه واكثره الآن خراب * (حكر شمس الخواص مسرور) هذا الحكر فيما بين خليج الذكر وحكر ابن
منقذ كان بستانا لشمس الخواص مسرور الطواشى أحد الخدام الصالحية مات فى نصف شوال سنة سبع
وأربعين وستمائة بالقاهرة ثم حكر وبنى فيه الدور وموضعه الآن كيمان * (حكر العلائى) هذا الحكر يجاور
حكر تكان من بحريه وكان بستانا جليل القدر ثم حكر وصار بعضه وقف تذكاربى خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس
وقفته فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة على نفسها ثم من بعدها على الرباط الذى أنشأته داخل الدرب الاصفر
تجاه خانقاه بيبرس وهو الرباط المعروف برواق البغدادية وعلى المسجد الذى بحكر سيف الاسلام خارج باب زويلة
وعلى تربتها التى بجوار جامع ابن عبد الظاهر بالقرافة وصار بعض هذا الحكر فى وقف الامير سيف الدين بهادر
العلائى متولى البهنساء وكان وقفه فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة فعرف بالحكر العلائى المذكور وأدركت
هذا الحكر وهو من أعمر الاحكار وفيه درب الامير عز الدين ايدمر الزراق أمير جاندار ووالى القاهرة وداره
العظيمة ومساكنه الكثيرة فلما حدثت المحن منذ سنة ست وثمانمائة خرب هذا الحكر وأخذت أنقاضه
وبقيت دار الزراق الى سنة سبع عشرة وثمانمائة فشرع فى الهدم فيها لاجل أنقاضها الجليلة * (حكر
الحريرى) هذا الحكر بجوار حكر العلائى المذكور من حده البحرى وهو من جملة الارض المعروفة بالارض
البيضاء وكان بستانا ثم حكر وصار فى وقف خزائن السلاح وأدركناه عامرا وفيه سوق يعرف بالسويقة البيضاء
كانت بها عدة حوانيت وقد خرب هذا الحكر وهذا الحريرى هو الصاحب محيي الدين * (حكر المساح) عرف
بالامير شمس الدين سنقر المساح أحد امراء الظاهر بيبرس قبض عليه فى عدة من الامراء فى ذى الحجة سنة تسع
وستين وستمائة * (الدكة) هذا المكان كان بستانا من اعظم بساتين القاهرة فيما بين اراضى اللوق والمقس

وبه منظرة للخلفاء الفاطميين تشرف طاقاتها على بحر النيل الاعظم ولا يحول بينها وبين بر الجيزة شئ فلما زالت الدولة الفاطمية تلاشى أمر هذا البستان وخرب فحكر موضعه وبنى الناس فيه فصار خطة كبيرة كأنه بلد جليل وصار به سوق عظيم وسكنه الكتاب وغيرهم من الناس وأدركته عامرا ثم انه خرب منذ سنة ست وثمانمائة وبه الآن بقية عما قليل تدثر كاد ثرما هنالك وصار كيمانا

(ذكر المقس وفيه الكلام على المكس وكيف كان اصله فى أول الاسلام)

اعلم أن المقس قديم وكان فى الجاهلية قرية تعرف بأم دنين وهى الآن محلة بظاهر القاهرة فى بر الخليج الغربى وكان عند وضع القاهرة هو ساحل النيل وبه أنشأ الامام المعز لدين الله أبو تميم معد الصناعة التى ذكرت عند ذكر الصناعات من هذا الكتاب وبه أيضا أنشأ الامام الحاكم بأمر الله أبو على منصور جامع المقس الذى تسميه عامة أهل مصر فى زمننا بجامع المقسى وهو الآن يطل على الخليج الناصرى قال أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر وقد ذكر مسير عمرو بن العاص رضى الله عنه الى فتح مصر فتقدم عمرو بن العاص رضى الله عنه لايدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله سبحانه وتعالى عليه ثم مضى لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى أم دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يستمده فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف فقاتلهم وذكر تمام الخبر وقال القاضى أبو عبد الله القضاعى المقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين وانما سميت المقس لان العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس فقيل المكس فقلب فقيل المقس قال المؤلف رحمه الله الماكس هو العشار وأصل المكس فى اللغة الجباية قال ابن سيدة فى كتاب المحكم المكس الجباية مكسه يمكسه مكسا والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الاسواق فى الجاهلية ويقال للعشار صاحب مكس والمكس انتقاص الثمن فى البياعة قال الشاعر

أفى كل أسواق العراق اتاوة * وفى كل ماباع امرؤ مكس درهم
الا ينتهى عنا رجال وتتقى * محارمنا لايدرأ الدم بالدم

الاتاوة الخراج ومكس درهم أى نقص درهم فى بيع ونحوه قال وعشر القوم يعشرهم عشرا وعشورا وعشرهم أخذ عشر أموالهم وعشر المال نفسه وعشره كذلك والعشار قابض العشر ومنه قول عيسى بن عمر ولابن هبيرة وهو يضرب بين يديه بالسياط تالله ان كانت الا ثيابا فى اسفاط قبضها عشاروك وقال الجاحظ ترك الناس مما كان مستعملا فى الجاهلية أمورا كثيرة فمن ذلك تسميتهم للاتاوة بالخراج وتسميتهم لما يأخذه السلطان من الحلوان والمكس بالرشوة وقال الخارجى * أفى كل أسواق العراق اتاوة * البيت وكما قال العبدى فى الجارود

اكابن المعلى خلتنا أم حسبتنا * صوارى تعطى الماكسين مكوسا

الصوارى الملاحون والمكس ما يأخذه العشار انتهى ويقال ان قوم شعيب عليه السلام كانوا مكاسين لايدعون شيأ الا مكسوه ومنه قيل للمكس البخس لقوله تعالى ولا تبخسوا الناس أشياءهم وذكر احمد بن يحيى البلاذرى عن سفيان الثورى عن ابراهيم بن مهاجر قال سمعت زياد بن جرير يقول أنا أول من عشر فى الاسلام وعن سفيان عن عبد الله بن خالد عن عبد الرحمن بن معقل قال سألت زياد بن جرير من كنتم تعشرون فقال ما كنا نعشر مسلما ولا معاهدا بل كنا نعشر تجار أهل الحرب كما كانوا يعشروننا اذا أتيناهم وقال عبد الملك بن حبيب السلمى فى كتاب سيرة الامام العدل فى مال الله عن السائب بن يزيد انه قال كنت على سوق المدينة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكنا نأخذ من القبط العشر وقال ابن شهاب كان ذلك يؤخذ منهم فى الجاهلية فألزمهم ذلك عمر بن الخطاب وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأخذ بالمدينة من القبط من الحنطة والزبيب نصف العشر يريد بذلك أن يكثر الحمل الى المدينة من الحنطة والزبيب وكان يأخذ من القطنية العشر وقال مالك رحمه الله والسنة أن ما أقام الذمة فى بلادهم التى صالحوا عليها فليس عليهم فيها الا الجزية الا أن يتجروا فى بلاد المسلمين ويختلفوا فيها فيؤخذ منهم العشر فيما يديرون من التجارة وان اختلفوا فى العام الواحد مرارا الى بلاد المسلمين فعليهم كلما اختلفوا العشر واذا اتجر الذمى فى بلاده من أعلاها الى أسفلها ولم يخرج منها الى غيرها فليس عليه شئ مثل أن يتجر الذمى الشامى فى جميع الشام

أو الذمى المصرى فى جميع مصر أو الذمى العراقى فى جميع العراق وليس العمل عندنا على قول عمر بن عبد العزيز لزريق بن حيان واكتب لهم بما يؤخذ منهم كتابا الى مثله من الحول ومن مر بك من أهل الذمة فخذ مما يديرون من التجارات من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير فان نقص منها ثلث دينار فدعها ولا تأخذ منها شيئا والعمل على أن يؤخذ منهم العشر وان خرجوا فى السنة مرارا من كل ما اتجروا به قل أو كثر وهذا قول ربيعة وابن هرمز وقال القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمى أحد أصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى كتاب الرسالة الى امير المؤمنين هارون الرشيد وهو كتاب جليل القدر حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم بن المهاجر قال سمعت أبى يذكر قال سمعت زياد بن جرير قال أول من بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه منا على العشور أنا فأمرنى أن لا افتش أحدا وما مر على من شئ أخذت من حساب أربعين درهما درهما من المسلمين وأخذت من اهل الذمة من عشرين واحدا وممن لا ذمة له العشر وأمرنى أن اغلظ على نصارى بنى تغلب قال انهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب فلعلهم يسلمون قال وكان عمر رضى الله عنه قد اشترط على نصارى بنى تغلب أن لا ينصروا أولادهم وحدثنا أبو حنيفة عن الهيثم عن انس بن سيرين عن انس بن مالك رضى الله عنه قال بعثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العشور وكتب لى عهدا أن آخذ من المسلمين مما اختلفوا به لتجاراتهم ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر وحدثنا عاصم بن سليمان الاحول عن الحسن قال كتب أبو موسى الاشعرى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أهل الحرب فيأخذون منهم العشر فكتب اليه عمر رضى الله عنه خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما وليس فيما دون المائتين شئ فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم فما زاد فبحسابه وحدثنا عبد الملك بن جريج عن عمرو بن شعيب قال ان أهل منبج قوما من أهل الشرك وراء البحر كتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا قال فشاور عمر رضى الله عنه اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأشاروا عليه به فكانوا أول من عشره من أهل الحرب وحدثنا السدى بن اسماعيل عن عامر الشعبى عن زياد بن جرير الاسدى قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعثه على عشور العراق والشام وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر فمر عليه رجل من بنى تغلب من نصارى العرب ومعه فرس فقوموها بعشرين ألفا فقال أمسك الفرس وأعطنى ألفا أو خذ منى تسعة عشر ألفا وأعطنى الفرس قال فأعطاه ألفا وأمسك الفرس قال ثم مر عليه راجعا فى سنته فقال أعطنى ألفا أخرى فقال له التغلبى كلما مررت بك تأخذ منى ألفا قال نعم فرجع التغلبى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فوافاه بمكة وهو فى بيت له فاستأذن عليه فقال من أنت فقال أنا رجل من نصارى العرب وقص عليه قصته فقال له عمر رضى الله عنه كفيت ولم يزده على ذلك قال فرجع الرجل الى زياد بن جرير وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفا فوجد كتاب عمر رضى الله عنه قد سبق اليه من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئا الى مثل ذلك اليوم من قابل الا أن تجد فضلا قال فقال الرجل قد والله كانت نفسى طيبة أن اعطيك ألفا وانى أشهد الله تعالى أنى برىء من النصرانية وانى على دين الرجل الذى كتب اليك هذا الكتاب * وحدثنى يحيى بن سعيد عن زريق بن حيان وكان على مكس مصر فذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب اليه أن انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم وما ظهر لك من التجارات من كل أربعين دينارا دينارا فما نقص فبحسابه حتى تبلغ عشرين دينارا فان نقصت فدعها ولا تأخذ منها واذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجاراتهم من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم دعها لا تأخذ منها شيئا واكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول * وحدثنى أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم انه قال اذا مر أهل الذمة بالخمر للتجارة أخذ من قيمتها نصف العشر ولا يقبل قول الذمى فى قيمتها حتى يؤتى برجلين من أهل الذمة يقومانها عليه فيؤخذ نصف العشر من الذمى * وحدثنا قيس بن الربيع عن أبى فزارة عن يزيد بن الاصم عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما انه قال ان هذه المعاصر والقناطر سحت لا يحل أخذها فبعث عمالا الى اليمن ونهاهم أن يأخذوا من عاصر او قنطرة أو طريق شيأ فقدموا فاستقل المال فقالوا نهيتنا فقال خذوا كما كنتم تأخذون * وحدثنا محمد بن عبد الله عن انس بن سيرين قال أرادوا أن يستعملونى

على

على عشور الابلة فأبيت فلقيني انس بن مالك رضى الله عنه فقال ما يمنعك قلت العشور اخبث ما عمل عليه الناس قال فقال لى لم لا تفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه صنعه فجعل على أهل الاسلام ربع العشر وعلى أهل الذمة نصف العشر وعلى أهل المنزل ممن ليس له ذمة العشر وقال ابو الحسن المسعودى ان كيقباذ أحد ملوك الفرس أول من أخذ العشر من الارض وعمر بلاد بابل ومملكة الفرس ورأيت فى التوراة التى فى يد اليهود ان أول من أخرج العشر من مواشيه وزروعه وجميع ماله خليل الله ابراهيم عليه السلام وكان يدفع ذلك الى ملك أورشليم التى هى أرض القدس واسمه ملكى صادق فلما مات الخليل ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه اقتدى به بنوه فى ذلك من بعده وصاروا يدفعون العشر من اموالهم الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام فأوجب على بنى اسرائيل اخراج العشر فى كل ما ملكت أيمانهم من جميع أموالهم بأنواعها وجعل ذلك حقا لسبط لاوى الذين هم قرابة موسى عليه السلام * وقال ابن يونس فى تاريخ مصر كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه أحد من شهد فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا لعمرو بن العاص رضى الله عنه على المكس وكان زريق بن حيان على مكس ايلة فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال مؤلفه رحمه ٢ يثافي مائة ابن سعيد على مكس ولى المحليز

الله ومع ذلك فقد كان أهل الورع من السلف يكرهون هذا العمل روى ابن قتيبة فى كتاب الغريب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن الله سهيلا كان عشارا باليمن فمسخه الله شهابا وروى ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن ميمون عن أبى ابراهيم المعافرى عن خالد بن ثابت أن كعبا أوصاه وتقدم اليه حين مخرجه مع عمرو بن العاص أن لا يقرب المكس فهذا اعزك الله معنى المكس عند أهل الاسلام لا ما أحدثه الظالم هبة الله بن صاعد الفائزى وزير الملك المعز ايبك التركمانى أول من اقام من ملوك الترك بقلعة الجبل من المظالم التى سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية وتعرف اليوم بالمكوس فذلك الرجس النجس الذى هو أقبح المعاصى والذنوب الموبقات لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده وتكرر ذلك منه وانتهاكه للناس وأخذ أموالهم بغير حقها وصرفها فى غير وجهها وذلك الذى لا يقربه متق وعلى آخذه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين * ولنرجع الى الكلام فى المقس فنقول من الناس من يسميه المقسم بالميم بعد السين قال ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة وسمعت من يقول انه المقسم قيل لان قسمة الغنائم عند الفتوح كانت به ولم أره مسطورا وقال العماد محمد بن أبى الفرج محمد ابن حامد الكاتب الاصفهانى فى كتاب سنا البرق الشامى وجلس الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى البرج الذى بجوار جامع المقسم فى السابع والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وهذا المقسم على شاطئ النيل يزار وهنالك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذى قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصحابة رضى الله عنهم على مصر فلما امر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بادارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك الامير بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التى تلى القاهرة عند المقسم وبنى فيه برجا مشرفا على النيل وبنى مسجدا جامعا واتصلت العمارة منه الى البلد وجامعه تقام فيه الجمعة والجماعات وهذا البرج عرف بقلعة قراقوش ومابرح هنالك الى أن هدمه الصاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى وزير الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون فى سنة بضع وسبعين وسبعمائة عندما جدد جامع المقس الذى أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله فصار يعرف بجامع المقسى هذا الى اليوم ومابرح جامع المقس هذا يشرف على النيل الاعظم الى ما بعد سنة سبعمائة بعدة أعوام * قال جامع السيرة الطولونية وركب أحمد بن طولون فى غداة باردة الى المقس فأصاب بشاطئ النيل صيادا عليه خلق لا يواريه منه شئ ومعه صبى له فى مثل حاله وقد ألقى شبكته فى البحر فلما رآه رق لحاله وقال يانسيم ادفع الى هذا عشرين دينارا فدفعها اليه ولحق ابن طولون فسار احمد بن طولون ولم يبعد ورجع فوجد الصياد ميتا والصبى يبكى ويصيح فظن ابن طولون أن بعض سودانه قتله وأخذ الدنانير منه فوقف بنفسه عليه وسأل الصبى عن أبيه فقال له هذا الغلام وأشار الى نسيم الخادم دفع الى أبى شيأ فلم يزل يقلبه حتى وقع ميتا فقال فتشه يانسيم فنزل وفتشه فوجد الدنانير معه بحالها فحرض الصبى أن يأخذها فأبى وقال هذه قتلت أبى وان أخذتها قتلتنى فأحضر ابن طولون قاضى المقس وشيوخه وأمرهم أن يشتروا للصبى دارا بخمسمائة دينار تكون لها غلة وأن يحبس عليه وكتب اسمه فى اصحاب الجرايات وقال أنا قتلت أباه لان الغنى يحتاج الى تدريج والا قتل صاحبه هذا

كان يجب أن يدفع اليه دينارا بعد دينار حتى تأتيه هذه الجملة على تفرقة فلا تكثر فى عينه * وقال القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى رحمه الله فى تعليق المتجددات لسنة سبع وسبعين وخمسمائة وفيه يعنى يوم الثلاثاء لست بقين من المحرم ركب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب اعز الله نصره لمشاهدة ساحل النيل وكان قد انحسر وتشمر عن المقس ومايليه وبعد عن السور والقلعة المستجدين بالمقس وأحضر أرباب الخبرة واستشارهم فاشير عليه باقامة الجرار يف لرفع الرمال التى قد عارضت جزائرها طريق الماء وسدته ووقفت فيه وكان الافضل بن امير الجيوش لما ربى قدام دار الملك جزيرة رمل كما هى اليوم أراد أن يقرب البحر ويتقل الجزيرة فأشير عليه بأن يبنى مما يلى الجزيرة أنفا خارجا فى البحر ليلقى التيار ويتقل الرمل فعسر هذا وعظمت غرامته فاشار عليه ابن سيد بأن يأخذ قصارى فخار تثقب ويعمل تحتها رؤس براج وتلطخ بالزفت وتكب القصارى عليها وتدفن فى الرمل فاذا اراد النيل وركبها نزل من خروق القصارى الى الرؤس فأدارها الماء ومنعتها القصارى أن تنحدر ودامت حركة الرمل بتحريك الماء للرؤس فانتقل الرمل وذكر أن للزفت خاصية فى تحويل الرمل قال وفى هذا الوقت احترق النيل وصار البحر مخايض يقطعها الراجل وتوحل فيه المراكب وتشمر الماء عن ساحل المقس ومصر وربى جزائر رملية اشتد منها على المقياس لئلا يتقلص النيل عنه ويحتاج الى عمل غيره وخشى منها أيضا على ساحل المقس لكون بنيان السور كان اتصل بالماء وقد تباعد الآن عن السور وصار المدقوته من بر الغرب ووقع النظر فى اقامة جراريف لقطع الجزائر التى رباها البحر وعمل أنوف خارجة فى بر الجيزة ليميل بها الماء الى هذا الجانب ولم يتم شئ من ذلك * وقال ابن المتوج فى سنة خمسين وستمائة انتهى النيل فى احتراقه الى أربعة أذرع وسبعة عشر أصبعا وانتهى فى زيادته الى ثمانية عشر ذراعا وكان مثل ذلك فى دولة الملك الاشرف خليل بن قلاون وكان نيلا عظيما سد فيه باب المقس يعنى الباب الذى يعرف اليوم بباب البحر عند المقس وفى سنة اثنتين وستين وستمائة أحضر الى الملك الظاهر بيبرس طفل وجد ميتا بساحل المقس له رأسان وأربعة اعين وأربعة أرجل وأربعة ايد وأخبرنى وكيل أبى الشيخ المعمر حسام الدين حسن بن عمر السهروردى رحمه الله ومولده سنة اثنتين وسبعمائة بالمقس انه يعرف باب البحر هذا اذا خرج منه الانسان فانه يرى بر الجيزة لا يحول بينه وبينها حائل فاذا زاد ماء النيل صار الماء عند الوكالة التى هى الآن خارج باب البحر المعروفة بوكالة الجبن واذا كان ايام احتراق النيل بقيت الرمال تجاه باب البحر وذلك قبل أن يحفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى فلما حفر الخليج المذكور أنشأ الناس البساتين والدور كما يجئ ان شاء الله تعالى ذكره وادركنا المقس خطة فى غاية العمارة بها عدة أسواق ويسكنها أمم من الاكراد والاجناد والكتاب وغيرهم وقد تلاشت من بعد سنة سبع وسبعين وسبعمائة عند حدوث الغلاء بمصر فى ايام الملك الاشرف شعبان بن حسين فلما كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة خربت الاحكار والمقس وغيره وفيه الى الآن بقية صالحة وبه خمسة جوامع تقام بها الجمعة وعدة أسواق ومعظمه خراب

(ذكر ميدان القمح)

هذا المكان خارج باب القنطرة يتصل من شرقيه بعدوة الخليج ومن غربيه بالمقس وبعضهم يسميه ميدان الغلة وكان موضعا للغلال أيام كان المقس ساحل القاهرة وكانت صبر القمح وغيره من الغلال توضع من جانب المقس الى باب القنطرة عرضا وتقف المراكب من جامع المقس الى منية الشيرج طولا ويصير عند باب القنطرة فى ايام النيل من مراكب الغلة وغيرها ما يستر الساحل كله * قال ابن عبد الظاهر المكان المعروف بميدان الغلة وما جاوره الى ماوراء الخليج لما ضعف أمر الخلافة وهجرت الرسوم القديمة من التفرج فى اللؤلؤة وغيرها بنت الطائفة الفرحية الساكنون بالمقس لانهم ضاق بهم المقس قبالة اللؤلؤة حارة سميت بحارة اللصوص بسبب تعديهم فيها مع غيرهم الى أن غيروا تلك المعالم وقد كان ذلك قديما بستانا سلطانيا يسمى بالمقسى أمر الظاهر بن الحاكم بنقل أنشابه وحفره وجعله بركة قدام اللؤلؤة مختلطة بالخليج وكان للبستان المقدم ذكره ترعة من البحر يدخل منها الماء اليه وهو خليج الذكر الآن فأمر بابقائها على حالها مسلطة على البركة والخليج يستنقع الماء فيها فلما نسى ذلك على ماذكرناه عمد المذكورون وغيرهم الى اقتطاع البركة من الخليج وجعلوا بينها وبين الخليج جسرا وصار الماء يصل اليها من الترعة دون الخليج وصارت منتزها للسودان المذكورين فى ايام النيل

والربيع ولما كانت الايام الآمرية أحب اعادة النزهة فتقدم وزيره المأمون بن البطائحي باحضار عرفاء السودان المذكورين وأنكر عليهم ذلك فاعتذروا بكثرة الرمال فأمر بنقل ذلك واعطاهم انعاما فبنوا حارة بالقرب من دار كافور التي أسكنت بها الطائفة المأمونية قبالة بستان الوزير ومن المساجد الثلاثة المعلقة في شرقيها ثم أحضر الابقار من البساتين والعدد والآلات ونقض الجسر الذي بين البركة والخليج وعمق البركة الى أن صار الخليج مسلطا عليها قال مؤلفه رحمه الله تعالى هذه البركة عرفت ببطن البقرة وقد ذكر خبرها عند ذكر البرك من هذا الكتاب وقد صار هذا الميدان اليوم سوقا تباع فيه القشة من النحاس العتيق والحصر وغير ذلك وفي بعضه سوق الغزل وبه جامع يشرف على الخليج وسكن هنالك طائفة من المشارقة الحياك وفيه سوق عامر بالمعايش

(ذكر أرض الطبالة)

هذه الارض على جانب الخليج الغربي بجوار المقس كانت من أحسن منتزهات القاهرة يمر النيل الاعظم من غربيها عندما يندفع من ساحل المقس حيث جامع المقس الآن الى أن ينتهى الى الموضع الذي يعرف بالجرف على جانب الخليج الناصري بالقرب من بركة الرطلي ويمر من الجرف الى غربي البعل فتصير أرض الطبالة نقطة وسط من غربيها النيل الاعظم ومن شرقيها الخليج ومن قبليها البركة المعروفة ببطن البقرة والبساتين التي آخرها حيث الآن باب مصر بجوار الكبارة وحيث المشهد النفيسي ومن بحريها أرض البعل ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمس وجوه وقبة الهواء فكانت رؤية هذه الارض شيأ عجيبا في ايام الربيع وفيها يقول سيف الدين على بن قزل المشد

الى طبالة يعزون أرضا * لها من سندس الريحان بسط
وقد كتب الشقيق بها سطورا * وأحسن شكلها للطل نقط
رياض كالعرائس حين تجلى * يزين وجوهها تاج وقرط

وانما قيل لها أرض الطبالة لان الامير أبا الحارث ارسلان البساسيري لما غاضب الخليفة القائم بأمر الله العباسي وخرج من بغداد يريد الانتماء الى الدولة الفاطمية بالقاهرة أمده الخليفة المستنصر بالله ووزيره الناصر لدين الله عبد الرحمن البازوري حتى استولى على بغداد واخذ قصر الخلافة وأزال دولة بني العباس منها وأقام الدولة الفاطمية هنالك وسير عمامة القائم وثيابه وشباكه الذي كان اذا جلس يستند اليه وغير ذلك من الاموال والتحف الى القاهرة في سنة خمسين وأربعمائة فلما وصل ذلك الى القاهرة سر الخليفة المستنصر سرورا عظيما وزينت القاهرة والقصور ومدينة مصر والجزيرة فوقفت نسب طبالة المستنصر وكانت امرأة مرجلة تقف تحت القصر في المواسم والاعياد وتسير ايام الموكب وحولها طائفتها وهي تضرب بالطبل وتنشد فانشدت وهي واقفة تحت القصر

يابني العباس ردوا * ملك الامر معد ملككم ملك معار * والعواري تسترد

فأعجب المستنصر ذلك منها وقال لها تمني فسألت أن تقطع الارض المجاورة للمقس فأقطعها هذه الارض وقيل لها من حينئذ أرض الطبالة وانشأت هذه الطبالة تربة بالقرافة الكبرى تعرف بتربة نسب قال ابن عبد الظاهر أرض الطبالة منسوبة الى امرأة مغنية تعرف بنسب وقيل بطرب مغنية المستنصر قال فوهبها هذه الارض المعروفة بأرض الطبالة وحكرت وبنيت آدرا وبيوتا وكانت من ملح القاهرة وبهجتها انتهى ثم ان أرض الطبالة خربت في سنة ست وتسعين وستمائة عند حدوث الغلاء والوباء في سلطنة الملك العادل كتبغا حتى لم يبق فيها انسان يلوح وبقيت خرابا الى ما بعد سنة احدى عشرة وسبعمائة فشرع الناس في سكناها قليلا قليلا فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري في سنة خمس وعشرين وسبعمائة كانت هذه الارض بيد الامير بكتمر الحاجب فما زال بالمهندسين حتى مروا بالخليج من عند الجرف على بركة الطوابين التي تعرف اليوم ببركة الحاجب وببركة الرطلي فمروا به من هنالك حتى صب في الخليج الكبير من آخر أرض الطبالة فعمر الامير بكتمر المذكور هنالك القنطرة التي تعرف بقنطرة الحاجب على الخليج الناصري وأقام جسرا من القنطرة المذكورة الى قريب من الجرف فصار هذا الجسر فاصلا بين بركة الحاجب والخليج الناصري وأذن للناس في تحكيره

فبنوا عليه وعلى البركة الدور وعمرت بسبب ذلك أرض الطبالة وصار بها عدة حارات منها حارة العرب وحارة الاكراد وحارة البزازرة وحارة العياطين وغير ذلك وبقى فيها عدة أسواق وحمام وجوامع تقام بها الجمعة وأقبل الناس على التنزه بها ايام النيل والربيع وكثرت الرغبات فيها لقربها من القاهرة ومابرحت على غاية من العمارة الى أن حدث الغلاء فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة ايام الاشرف شعبان بن حسين فخرب كثير من حارات أرض الطبالة وبقيت منها بقية الى أن دثرت منذ سنة ست وثمانمائة وصارت كيمانا وبقى فيها من العامر الآن الاملاك المطلة على البركة التى ذكرت عند ذكر البرك من هذا الكتاب وفيها بقعة تعرف بالجنينة تصغير جنة من أخبث بقاع الارض يعمل فيها بمعاصى الله عزوجل وتعرف ببيع الحشيشة التى يتبلعها اراذل الناس وقد فشت هذه الشجرة الخبيثة فى وقتنا هذا افشوا زائدا وولع بها أهل الخلاعة والسخف ولوعا كثيرا وتظاهروا بها من غير احتشام بعد ماادركناها تعد من ارذل الخبائث وأقبح القاذورات وماشئ فى الحقيقة افسد لطباع البشر منها ولاشتهارها فى وقتنا هذا عند الخاص والعام بمصر والشام والعراق والروم تعين ذكرها والله تعالى اعلم

(ذكر حشيشة الفقراء)

قال الحسن بن محمد فى كتاب السوانح الادبية فى مدائح القنبية سألت الشيخ جعفر بن محمد الشيرازى الحيدرى بلدة تستر فى سنة ثمان وخمسين وستمائة عن السبب فى الوقوف على هذا العقار ووصوله الى الفقراء خاصة وتعديه الى العوام عامة فذكر لى أن شيخه شيخ الشيوخ حيدرا رحمه الله كان كثير الرياضة والمجاهدة قليل الاستعمال للغذاء قد فاق فى الزهادة وبرز فى العبادة وكان مولده بنشاور من بلاد خراسان ومقامه بجبل بين نشاور ومارماه وكان قد اتخذ بهذا الجبل زاوية وفى صحبته جماعة من الفقراء وانقطع فى موضع منها ومكث بها اكثر من عشر سنين لايخرج منها ولايدخل عليه أحد غيرى للقيام بخدمته قال ثم ان الشيخ طلع ذات يوم وقد اشتد الحر وقت القائلة منفردا بنفسه الى الصحراء ثم عاد وقد علا وجهه نشاط وسرور بخلاف ما كنا نعهده من حاله قبل واذن لاصحابه فى الدخول عليه وأخذ يحادثهم فلمارأينا الشيخ على هذه الحالة من المؤانسة بعد اقامته تلك المدة الطويلة فى الخلوة والعزلة سألناه عن ذلك فقال بينما انا فى خلوتى اذ خطر بالى الخروج الى الصحراء منفردا فخرجت فوجدت كل شئ من النبات ساكنا لايتحرك لعدم الريح وشدة القيظ ومررت بنبات له ورق فرأيته فى تلك الحال يميس بلطف ويتحرك من غير عنف كالثمل النشوان فجعلت اقطف منه اوراقا وآكلها فحدث عندى من الارتياح ماشاهدتموه وقوموا بنا حتى اوقفكم عليه لتعرفوا شكله قال فخرجنا الى الصحراء فأوقفنا على النبات فلمارأيناه قلنا هذا نبات يعرف بالقنب فأمرنا أن نأخذ من ورقه ونأكله ففعلنا ثم عدنا الى الزاوية فوجدنا فى قلوبنا من السرور والفرح ماعجزنا عن كتمانه فلمارآنا الشيخ على الحالة التى وصفنا امرنا بصيانة هذا العقار وأخذ علينا الايمان أن لانعلم به أحدا من عوام الناس وأوصانا أن لانخفيه عن الفقراء وقال ان الله تعالى قد خصكم بسر هذا الورق ليذهب بأكله همومكم الكثيفة ويجلو بفعله أفكاركم الشريفة فراقبوه فيما أودعكم وراعوه فيما استرعاكم قال الشيخ جعفر فزرعتها بزاوية الشيخ حيدر بعد أن وقفنا على هذا السر فى حياته وامرنا بزرعها حول ضريحه بعد وفاته وعاش الشيخ حيدر بعد ذلك عشر سنين وأنا فى خدمته لم أره يقطع اكلها فى كل يوم وكان يأمرنا بتقليل الغذاء واكل هذه الحشيشة وتوفى الشيخ حيدر سنة ثمان عشرة بزاويته فى الجبل وعمل على ضريحه قبة عظيمة وأتته النذور الوافرة من أهل خراسان وعظموا قدره وزاروا قبره واحترموا اصحابه وكان قد أوصى اصحابه عند وفاته أن يوقفوا ظرفاء أهل خراسان وكبراءهم على هذا العقار وسره فاستعملوه قال ولم تزل الحشيشة شائعة ذائعة فى بلاد خراسان ومعاملات فارس ولم يكن يعرف اكلها أهل العراق حتى ورد اليها صاحب هرمز ومحمد بن محمد صاحب البحرين وهما من ملوك سيف البحر المجاور لبلاد فارس فى ايام الملك الامام المستنصر بالله وذلك فى سنة ثمان وعشرين وستمائة فحملها اصحابهما معهم وأظهروا للناس اكلها فاشتهرت بالعراق ووصل خبرها الى أهل الشام ومصر والروم فاستعملوها قال وفى هذه السنة ظهرت الدراهم ببغداد وكان الناس ينفقون القراضة وقد نسب اظهار الحشيشة الى الشيخ حيدر الاديب محمد بن على بن الاعمى الدمشقى فى ابيات وهى

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر * معنبرة خضراء مثل الزبرجد
يعاطيكها ظبي من الترك اغيد * يميس على غصن من البان املد
فتحسبها في كفه اذ يديرها * كرقم عذار فوق خد مورد
يرنحها ادنى نسيم تنسمت * فتهفو الى برد النسيم المردد
وتشدو على اغصانها الورق في الضحى * فيطربها سجع الحمام المغرد
وفيها معان ليس في الخمر مثلها * فلا تستمع فيها مقال مفند
هي البكر لم تنكح بماء سحابة * ولا عصرت يوما برجل ولا يد
ولا عبث القسيس يوما بكأسها * ولا قربوا من دنها كل مقعد
ولا نص في تحريمها عند مالك * ولا حد عند الشافعي وأحمد
ولا اثبت النعمان تنجيس عينها * فخذها بحد المشرفي المهند
وكف اكف الهم بالكف واسترح * ولا تطرح يوم السرور الى غد

وكذلك نسب اظهارها الى الشيخ حيدر الاديب احمد بن محمد بن الرسام الحلبي فقال

ومهفهف بادي النفار عهدته * لا ألتقيه قط غير معبس
فرأيته بعض الليالي ضاحكا * سهل العريكة ريضا في المجلس
فقضيت منه مآربي وشكرته * اذ صار من بعد التنافر مؤنسي
فأجابني لا تشكرن خلائقي * واشكر شفيعك فهو خمر المفلس
لحشيشة الافراح تشفع عندنا * للعاشقين ببسطها للانفس
واذا همت بصيد ظبي نافر * فاجهد بأن يرعى حشيش القنبس
واشكر عصابة حيدر اذ أظهروا * لذوي الخلاعة مذهب المتخمس
ودع المعطل للسرور وخلني * من حسن ظن الناس بالمتغمس

وقد حدثني الشيخ محمد الشيرازي القلندري أن الشيخ حيدر لم يأكل الحشيشة في عمره البتة وانما عامة أهل خراسان نسبوها اليه لاشتهار اصحابه بها وان اظهارها كان قبل وجوده بزمان طويل وذلك انه كان بالهند شيخ يسمى بيرزطن هو اول من اظهر لاهل الهند اكلها ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك ثم شاع امرها في بلاد الهند حتى ذاع خبرها ببلاد اليمن ثم فشا الى أهل فارس ثم ورد خبرها الى اهل العراق والروم والشام ومصر في السنة التي قدمت ذكرها * قال وكان بيرزطن في زمن الاكاسرة وادرك الاسلام واسلم وان الناس من ذلك الوقت يستعملونها وقد نسب اظهارها الى أهل الهند علي بن مكي في ابيات أنشد بها من لفظه وهي

الا فاكفف الاحزان عني مع الضر * بعذراء زفت في ملاحفها الخضر
تجلت لنا لما تحلت بسندس * تخلت عن التشبيه في النظم والنثر
بدت تملأ الابصار نورا بحسنها * فأخجل نور الروض والزهر بالزهر
عروس يسر النفس مكنون سرها * وتصبح في كل الحواس اذا تسري
فللذوق منها مطعم الشهد راقها * وللشم منها فائق المسك بالنشر
وفي لونها للطرف احسن نزهة * يميل الى رؤياه من سائر الزهر
تركب من قان وابيض فانثنت * تتيه على الازهار عالية القدر
فيكسف نور الشمس حمرة لونها * وتخجل من مبيضه طلعة البدر
علت رتبة في حسنها وكأنها * زبرجد روض جاده وابل القطر
تبدت فأبدت ما أجن من الهوى * وجاءت فولت جند همي والفكر
جميلة اوصاف جليلة رتبة * تغالت فغالى في مدائحها شعري
فقم فانف جيش الهم واكفف يد العنا * بهندية امضى من البيض والسمر
بهندية في اصل اظهار اكلها * الى الناس لا هندية اللون كالسمر

تزيل لهيب الهمّ عنا بأكلها * وتهدى لنا الافراح فى السر والجهر

قال وانا اقول انه قديم معروف منذ أوجد الله تعالى الدنيا وقد كان على عهد اليونانيين والدليل على ذلك ما نقله الاطباء فى كتبهم عن بقراط وجالينوس من مزاج هذا العقار وخواصه ومنافعه ومضاره . قال ابن جزلة فى كتاب منهاج البيان القنب الذى هو ورق الشهدانج منه بستانى ومنه برى والبستانى اجوده وهو حار يابس فى الدرجة الثالثة وقيل حرارته فى الدرجة الاولى ويقال انه بارد يابس فى الدرجة الاولى والبرى منه حار يابس فى الدرجة الرابعة قال ويسمى بالكف انشدنى تقى الدين الموصلى

كف كف الهموم بالكف فالكف * شفاء للعاشق المهموم

بابنة القنب الكريمة لا بابنة كرم بعد البنت الكروم

قال والفقراء انما يقصدون استعماله مع ما يجدون من اللذة تخفيفا للمنى وفى ابطاله قطع لشهوة الجماع كى لا تميل نفوسهم الى ما يوقع فى الزنا وقال بعض الاطباء ينبغى لمن يأكل الشهدانج أو ورقه أن يأكله مع اللوز أو الفستق أو السكر أو العسل او الخشخاش ويشرب بعده السكنجبين ليدفع ضرره واذا قلى كان اقل لضرره ولذلك جرت العادة قبل اكله أن يقلى واذا اكل غير مقلى كان كثير الضرر وامزجة الناس تختلف فى اكله فمنهم من لا يقدر أن يأكله مضافا الى غيره ومنهم من يضيف اليه السكر أو العسل او غيره من الحلاوات وقرأت فى بعض الكتب أن جالينوس قال انها تبرئ من التخمة وهى جيدة للهضم وذكر ابن جزلة فى كتاب المنهاج أن بزر شجر القنب البستانى هو الشهدانج وثمره يشبه حب السمنة وهو حب يعصر منه الدهن وحكى عن حنين بن اسحاق أن شجرة البرى تخرج فى القفار المنقطعة على قدر ذراع وورقه يغلب عليه البياض وقال يحيى بن ماسويه فى كتاب تدبير أبدان الاصحاء ان من غلب على بدنه البلغم ينبغى أن تكون اغذيته سخنة مجففة كالزبيب والشهدانج وقال صاحب كتاب اصلاح الادوية ان الشهدانج يدر البول وهو عسر الانهضام ردىء الخلط للمعدة قال ولم اجد لازالة الزفر من اليد أبلغ من غسلها بالحشيشة ورأيت من خواصها أن كثيرا من ذوات السموم كالحية ونحوها اذا شمت ريحها هربت ورأيت أن الانسان اذا اكلها ووجد فعلها فى نفسه وأحب أن يفارقه فعلها قطر فى منخريه شيأ من الزيت واكل من اللبن الحامض ومما يكسر قوة فعلها ويضعفه السباحة فى الماء الجارى والنوم يبطله * قال مؤلفه رحمه الله تعالى دع نزاهة القوم فما بلى الناس بأفسد من هذه الشجرة لاخلاقهم ولقد حدثنى القاضى الرئيس تاج الدين اسماعيل بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومى قبل اختلاطه عن الرئيس علاء الدين بن نفيس أنه سئل عن هذه الحشيشة فقال اعتبرتها فوجدتها تورث السفالة والرذالة وكذلك جربنا فى طول عمرنا من عاناها فانه ينحط فى سائر أخلاقه الى ما لا يكاد أن يبقى له من الانسانية شئ البتة وقد قال ابن البيطار فى كتاب المفردات ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندى ولم أره بغير مصر ويزرع فى البساتين ويقال له الحشيشة عندهم أيضا وهو يسكر جدا اذا تناول منه الانسان قدر درهم أو درهمين حتى ان من اكثر منه يخرجه الى حد الرعونة وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون وربما قتلت ورأيت الفقراء يستعملونها على أنحاء شتى فمنهم من يطبخ الورق طبخا بليغا ويدعكه باليد دعكا جيدا حتى يتعجن ويعمل منه اقراصا ومنهم من يجففه قليلا ثم يحمصه ويفركه باليد ويخلط به قليل سمسم مقشور وسكر ويستفه ويطيل مضغه فانهم يطربون عليه ويفرحون كثيرا وربما اسكرهم فيخرجون به الى الجنون أو قريب منه وهذا ما شاهدته من فعلها واذا خيف من الاكثار منه فليبادر الى القىء بسمن وماء سخن حتى تنقى منه المعدة وشراب الحماض لهم فى غاية النفع فانظر كلام العارف فيها واحذر من افساد بشريتك وتلاف أخلاقك باستعمالها ولقد عهدناها وما يرمى بتعاطيها الا الأراذل الناس ومع ذلك فيأنفون من انتسابهم لها لما فيها من الشنعة وكان قد تتبع الامير سودون الشيخونى رحمه الله الموضع الذى يعرف بالجنينة من أرض الطبالة وباب اللوق وحكر واصل ببولاق واتلف ما هنالك من هذه الشجرة الملعونة وقبض على من كان يبتلعها من اطراف الناس ورذلائهم وعاقب على فعلها بقلع الاضراس فقلع اضراس كثير من العامة فى نحو سنة ثمانين وسبعمائة وما برحت هذه الخبيثة تعد من القاذورات حتى قدم سلطان بغداد أحمد بن اويس فارا من تيمورلنك الى القاهرة فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة فتظاهر اصحابه باكلها وشنع الناس عليهم واستقبحوا ذلك من فعلهم وعابوه عليهم فلما سافر

من القاهرة الى بغداد وخرج منها ثانيا واقام بدمشق مدة تعلم أهل دمشق من أصحابه التظاهر بها وقدم الى القاهرة شخص من ملاحدة العجم صنع الحشيشة بعسل خلط فيها عدة أجزاء مجففة كعرق اللفاح ونحوه وسماها العقدة وباعها بخفية فشاع اكلها وفشا فى كثير من الناس مدة أعوام فلما كان فى سنة خمس عشرة وثمانمائة شنع التجاهر بالشجرة الملعونة فظهر أمرها واشتهر اكلها وارتفع الاحتشام من الكلام بها حتى لقد كادت أن تكون من تحف المترفين وبهذا السبب غلبت السفالة على الاخلاق وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس وجهروا بالسوء من القول وتفاخروا بالمعايب وانحطوا عن كل شرف وفضيلة وتحلوا بكل ذميمة من الاخلاق ورذيلة فلولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحس لما حكمت عليهم بالحيوانية وقد بدا المسخ فى الشمائل والاخلاق المنذر بظهوره على الصور والذوات عافانا الله تبارك وتعالى من بلائه وارض الطبالة الآن بيد ورثة الحاجب

(ذكر أرض البعل والتاج)

قال ابن سيده البعل الارض المرتفعة التى لا يصيبها المطر الا مرّة واحدة فى السنة وقيل البعل كل شجر أو زرع لا يسقى وقيل البعل ما سقته السماء وقد استبعل الموضع والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء سماء وقيل هو ما اكتفى بماء السماء والبعل ما اعطى من الاتاوة على سقى النخل واستبعل الموضع والنخل صار بعلا وأرض البعل هذه بجانب الخليج تتصل بأرض الطبالة كانت بستانا يعرف بالبعل وفيه منظرة انشأه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وجعل على هذا البستان سورا والى جانب بستان البعل هذا بستان التاج وبستان الخمس وجوه وقد ذكرت مناظر هذه البساتين وما كان فيها للخلفاء الفاطميين من الرسوم عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وأرض البعل فى هذا الوقت مزرعة تجاه قنطرة الاوز التى على الخليج يخرج الناس للتنزه هنالك ايام النيل وايام الربيع وكذلك أرض التاج فانها اليوم قد زالت منها الاشجار واستقرت من اراضى المنية الخراجية وفى أيام النيل ينبت فيها نبات يعرف بالبشنين له ساق طويل وزهره شبه اللينوفر واذا اشرقت الشمس انفتح فصار منظرا انيقا واذا غربت الشمس انضم ويذكر أن من العصافير نوعا صغيرا يجلس العصفور منه فى داخل البشنينة فاذا اقبل الليل انضمت عليه وغطست فى الماء فبات فى جوفها آمنا الى أن تشرق الشمس فتصعد البشنينة وتنفتح فيطير العصفور وهو شئ ما برحنا نسمعه وهذا البشنين يصنع من زهره دهن يعالج به فى البرسام وترطيب الدماغ فينجع وأصله يعرف بالبارون يجمعه الاعراب ويأكلونه نيأ ومطبوخا وهو يميل الى الحرارة يسيرا ويزيد فى الباه ويسخن المعدة ويقويها ويقطع الزحير ذكر ذلك ابن البيطار فى كتاب المفردات وفى ايام الربيع تزرع هذه الاراضى فتذكر بحسنها ونضارتها جنة الخلد التى وعد المتقون وأدركت بهذه الارض بقايا نخل واشجار وقد تلفت

(ذكر ضواحى القاهرة)

قال ابن سيده ضواحى كل شئ نواحيه البارزة للشمس والضواحى من النخل ما كان خارج السور على صفة عالية لانها تضحى للشمس وفى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم لاهل بدر لكم الضامنة من النخل ولنا الضاحية من البعل يعنى بالضامنة ما اطاف به سور المدينة وضواحى الروم ماظهر من بلادهم وبرز ويقال فى زماننا لما خرج عن القاهرة مما هو فى جنبتى الخليج من القرى ضواحى القاهرة وقد عرفت أصل ذلك من اللغة وتعرف البلاد التى من الضواحى فى غربى الخليج بالحبس الجيوشى وهى بهتين والاميرية والمنية وكان أيضا بناحية الجيزة من جملة الحبس الجيوشى ناحية سفط ونهيا ووسيم حبس هذه البلاد أمير الجيوش بدر الجمالى على عقبه * فلما زالت الدولة الفاطمية جعل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الاسطول لاخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب وسلمه له فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة وأفرد لديوان الاسطول من الابواب الديوانية الزكاة التى كانت تجبى من الناس بمصر والحبس الجيوشى بالبرين والنطرون والخراج وما معه من ثمن القرظ وساحل السنط والمراكب الديوانية واشناوطندتى واحيل ورثة أمير الجيوش على غير الحبس الذى لهم ثم افتى الفقهاء ببطلان الحبس وقبضت النواحى وصارت من جملة اموال الخراج فعرفت ببلاد الملك وهذه الضواحى الآن منها ماهو وقف ومنها ماهو فى الديوان السلطانى وخراجها يتميز على غيرها من النواحى ويزرع اكثرها من الكتان والمقاثى وغيرها

* (ذكر منية الامراء) *

٢ قال ياقوت فى كتاب المشترك المنية ثلاثة وأربعون موضعا وجميعها بمصر غير واحدة و بمصر من القرى المسماة بهذا الاسم ما يقارب المائتين قال ومنية الشيرج و يقال لها منية الامير ومنية الامراء بليدة فيها اسواق على فرسخ من القاهرة فى طريق الاسكندرية وذكر الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة أن قتلى أهل الشام الذين قتلوا فى وقعة الخندق بين مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن جحدم أمير مصر فى سنة خمس وستين من الهجرة دفنوا حيث موضع منية الشيرج هذه وكانوا نحوا من الثمانمائة * وقال ابن عبد الظاهر منية الامراء من الحبس الجيوشى الشرقى الذى كان حبسه أمير الجيوش ثم ارتجع وفى كل سنة يأكل البحر منها جانبا و يجدد جامعها ودورها حتى صار جامعها القديم ودورها فى بر الجيزة وغلب البحر عليها وهذه المنية من محاسن متنزهات القاهرة وكانت قد كثرت العمائر بها واتخذها الناس منزل قصف ودار لعب ولهو ومغنى صبابات و بها كان يعمل عيد الشهيد الذى تقدم ذكره عند ذكر النيل من هذا الكتاب لقربها من ناحية شبرا و بها سوق فى كل يوم أحد يباع فيه البقر والغنم والغلال وهو من اسواق مصر المشهورة وأكثر من كان يسكن بها النصارى وكانت تعرف بعصر الخمر وبيعه حتى انه لما عظمت زيادة ماء النيل فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكانت الغرقة المشهورة وغرقت شبرا والمنية تلف فيهما من جرار الخمر ما ينيف على ثمانين ألف جرة مملوءة بالخمر وباع نصرانى واحد مرة فى يوم عيد الشهيد بها خمرا باثنى عشر ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو الستمائة دينار وكسر منها الامير يلبغا السالمى فى صفر سنة ثلاث وثمانمائة ما ينيف على أربعين ألف جرة مملوءة بالخمر وما برحت تغرق فى الانيال العالية الى أن عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة الجسر من بولاق الى المنية كما ذكر عند ذكر الجسور من هذا الكتاب فأمن أهلها من الغرق وادركتها عامرة بكثرة المساكن والناس والاسواق والمناظر وتقصد للنزهة بها أيام النيل والربيع لاسيما فى يومى الجمعة والاحد فانه كان للناس بها فى هذين اليومين مجتمع ينفق فيه مال كثير ثم لما حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة الح المناسر بالهجوم عليها فى الليل وقتلوا من أهلها عدة فارتحل الناس منها وخلت اكثر دورها وتعطلت حتى لم يبق بها سوى طاحون واحدة لطحن القمح بعد ما كان بها ما ينيف على ثمانين طاحونة و بها الآن بقية وهى جارية فى الديوان السلطانى المعروف بالمفرد

* (ذكر كوم الريش) *

هذا اسم لبلد فيما بين أرض البعل ومنية الشيرج كان النيل يمر بغربيها بعد مروره بغربى أرض البعل وادركت آثار الجروف باقية من غربى البعل وغربى كوم الريش الى أطراف المنية حتى تغيرت الاحوال من بعد سنة ست وثمانمائة ففاض ماء النيل فى أيام الزيادة ونزل فى الدرب الذى كان يسلك فيه من أرض الطبالة الى المنية فانقطع هذا الدرب وترك الناس سلوكه وكان كوم الريش من أجل منتزهات القاهرة ورغب اعيان الناس فى سكناه للتنزه بها * وأخبرنى شيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفى وخال أبى تاج الدين اسماعيل بن أحمد بن الخطباء انهما ادركا بكوم الريش عدة امراء يسكنون فيها دائما وانه كان من جملة من يسكن فيها دائما نحو الثمانمائة من الجند السلطانى وانا ادركت بها سوقا عامرا بالمعايش بانواعها من المآكل لا اعرف اليوم بالقاهرة مثله فى كثرة المآكل وادركت بها حماما وجامعين تقام بهما الجمعة وموقف مكارية ومنارة لا يقدر الواصف أن يعبر عن حسنها لما اشتملت عليه من كل معنى رائق بهج وما برحت على ذلك الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فطرقها انواع الرزايا حتى صارت بلاقع وجهلت طرقها وتغيرت معاهدها ونزل بها من الوحشة ما ابكانى وأنشدت فى رؤيتها عند ما شاهدتها خرابا

قفرا كأنك لم تكن تلهو بها * فى نعمة وأوانس أتراب

وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد

* (ذكر بولاق) *

قد تقدم فى غير موضع من هذا الكتاب أن ساحل النيل كان بالمقس وان الماء انحسر بعد سنة سبعين

وخمسمائة

وخمسمائة عن جزيرة عرفت بجزيرة الفيل وتقلص ماء النيل عن سور القاهرة الذى ينتهى الى المقس وصارت هنالك رمال وجزائر من سنة الاوهى تكثر حتى بقى ماء النيل لا يمر بها الا أيام الزيادة فقط وفى طول السنة ينبت هنالك البوص والحلفاء وتنزل المماليك السلطانية لرمى النشاب فى تلك التلال الرمل فلما كان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة رغب الناس فى العمارة بديار مصر لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبته عليها فكأنما نودى فى القاهرة ومصر أن لا يتأخر أحد من الناس عن انشاء عمارة وجدّ الامراء والجند والكتاب والتجار والعامة فى البناء وصارت بولاق حينئذ تجاه بولاق التكرور يزرع فيها القصب والقلقاس على ساقية تنقل الماء من النيل حيث جامع الخطيرى الآن فعمر هنالك رجل من التجار منظرة وأحاط جدارا على قطعة ارض غرس فيها عدّة اشجار وتردّد اليها للنزهة فلما مات انتقلت الى ناصر الدين محمد بن الجوكندار فعمر الناس بجانبها دورا على النيل وسكنوا ورغبوا فى السكنى هنالك فامتدت المناظر على النيل من الدار المذكورة الى جزيرة الفيل وتفاخروا فى انشاء القصور العظيمة هنالك وغرسوا من ورائها البساتين العظيمة وانشأ القاضى ابن المغربى رئيس الاطباء بستانا اشتراه منه القاضى كريم الدين ناظر الخاص للامير سيف الدين طشتمر الساقى بنحو مائة ألف درهم فضة وكثر التنافس بين الناس فى هذه الناحية وعمروها حتى انتظمت العمارة فى الطول على حافة النيل من منية الشيرج الى موردة الحلفاء بجوار الجامع الجديد خارج مصر وعمر فى العرض على حافة النيل الغربية من تجاه الخندق بحرى القاهرة الى منشاة المهرانى وبقيت هذه المسافة العظيمة كلها بساتين وأحكارا عامرة بالدور والاسواق والحمامات والمساجد والجوامع وغيرها وبلغت بساتين جزيرة الفيل خاصة ما ينيف على مائة وخمسين بستانا بعد ما كانت فى سنة احدى عشرة وسبعمائة نحو العشرين بستانا وانشأ القاضى الفاضل جلال الدين القزوينى وولده عبد الله دارا عظيمة على شاطئ النيل بجزيرة الفيل عند بستان الامير ركن الدين بيبرس الحاجب وأنشأ الامير عز الدين الخطيرى جامعه ببولاق على النيل وأنشأ بجواره ربعين وانشأ القاضى شرف الدين بن زنبور بستانا وانشأ القاضى فخر الدين المعروف بالفخر ناظر الجيش بستانا وحكر الناس حول هذه البساتين وسكنوا هنالك ثم حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى سنة خمس وعشرين وسبعمائة فعمر الناس على جانبى هذا الخليج وكان اول من عمر بعد حفر الخليج الناصرى المهامزى انشأ بستانا ومسجدا هما موجودان الى اليوم وتبعه الناس فى العمارة حتى لم يبق فى جميع هذه المواضع مكان بغير عمارة وبقى من يمر بها يتعجب اذ ما بالعهد من قدم بناهى تلال رمل وحلافى اذ صارت بساتين ومناظر وقصورا ومساجد وأسواقا وحمامات وأزقة وشوارع وفى ناحية بولاق هذه كان خص الكيالة الذى يؤخذ فيه مكس الغلة الى أن ابطله الملك الناصر محمد بن قلاوون كما ذكر فى الروك الناصرى من هذا الكتاب ولما كانت سنة ست وثمانمائة انحسر ماء النيل عن ساحل بولاق ولم يزل يبعد حتى صار على ما هو عليه الآن وناحية بولاق الآن عامرة وتزايدت العمائر بها وتجدّد فيها عدّة جوامع وحمامات ورباع وغيرها

---

* (ذكر ما بين بولاق ومنشاة المهرانى) *

وكان فيما بين بولاق ومنشاة المهرانى خط فم الخور وخط حكر ابن الاثير وخط زريبة قوصون وخط الميدان السلطانى بموردة الملح وخط منشاة الكتبة * فأما فم الخور فكان فيه من المناظر الجليلة الوصف عدّة تشرف على النيل ومن ورائها البساتين ويفصل بين البساتين والدور المطلة على النيل شارع مسلوك وانشئ هنالك حمام وجامع وسوق وقد تقدّم ذكر الجامع وأنشأ هنالك القاضى علاء الدين بن الاثير دارا على النيل وكان اذ ذاك كاتب السر وبنى الناس بجواره فعرف ذلك الخط بحكر ابن الاثير واتصلت العمارة من بولاق الى فم الخور ومن فم الخور الى حكر ابن الاثير ومابرح فيه من مساكن الاكابر من الوزراء والاعيان ومن الدور العظيمة ما يتجاوز الوصف * وأما الزريبة فان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما وهب البستان الذى كان بالميدان الظاهرى للامير قوصون انشأ قدامه على النيل زريبة ووقفها فعمر الناس هنالك حتى انتظمت العمارة من حكر ابن الاثير الى الزريبة وعمر هنالك حمام وسوق كبير وطواحين وعدّة مساكن اتصلت باللوق * وأما زريبة السلطان فان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما عمر ميدان المهارى المجاور لقناطر السباع الآن انشأ زريبة فى قبلى الجامع الطيبرسى

وحفر لاجل بناء هذه الزربية البركة المعروفة الآن بالبركة الناصرية حتى استعمل طينها فى البناء وانشأ فوق هذه الزربية دار وكالة وربعين عظيمين جعل أحدهما وقفا على الخانقاه التى انشأها بناحية سرياقوس وأنعم بالآخر على الامير بكتمر الساقى فانشأ الامير بكتمر بجواره حمامين احداهما برسم الرجال والاخرى برسم النساء فكثر بناء الناس فيما هنالك حتى اتصلت العمارة من بحرى الجامع الطيبرسى بزربية قوصون وصار هنالك ازقة وشوارع ودروب ومساكن من وراء المناظر المطلة على النيل تتصل بالخليج واكثر الناس من البناء فى طريق الميدان السلطانى فصارت العمائر منتظمة من قناطر السباع الى الميدان من جهاته كلها وتنافس الناس فى تلك الاماكن وتغالوا فى اجرها وعمر المكين ابراهيم بن قزوينة ناظر الجيش فى قبلى زربية السلطان حيث كان بستان الخشاب دارا جليلة وعمر أيضا صلاح الدين الكحال والصاحب أمين الدين عبدالله بن الغنام وعدة من الكتاب فقيل لهذه الخطة منشأة الكتاب وانشأ فيها الصاحب أمين الدين خانقاه بجوار داره وعمر أيضا كريم الدين الصغير حتى اتصلت العمارة بمنشأة المهرانى فصار ساحل النيل من خط دير الطين قبلى مدينة مصر الى منية الشيرج بحرى القاهرة مسافة لاتقصر عن ازيد من نصف بريد بكثير كلها منتظمة بالمناظر العظيمة والمساكن الجليلة والجوامع والمساجد والخوانك والحمامات وغيرها من البساتين لاتجد فيما بين ذلك خرابا البتة وانتظمت العمارة من وراء الدور المطلة على النيل حتى اشرفت على الخليج فبلغ هذا البر الغربى من وفور العمارة وكثرة الناس وتنافسهم فى الاقبال على اللذات وتأنقهم فى الانهماك فى المسرات مالا يمكن وصفه ولا يتأتى شرحه حتى اذا بلغ الكتاب اجله وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة وتقلص ماء النيل عن البر الشرقى وكثرت حاجات الناس وضروراتهم وتساهل قضاة المسلمين فى الاستبدال فى الاوقاف وبيع نقضها اشترى شخص الربعين والحمامين ودار الوكالة التى ذكرت على زربية السلطان بجوار الجامع الطيبرسى فى سنة سبع وثمانمائة وهدم ذلك كله وباع أنقاضه وحفر الاساسات واستخرج مافيها من الحجر وعمله جيرا فنال من ذلك ربحا كثيرا وتتابع الهدم فى شاطئ النيل وباع الناس أنقاض الدور فرغب فى شرائها الامراء والاعيان وطلاب الفوائد من العامة حتى زال جميع ماهنالك من الدور العظيمة والمناظر الجليلة وصار الساحل من منشأة المهرانى الى قريب من بولاق كيمانا موحشة وخرائب مقفرة كأن لم تكن مغنى صبابات وموطن افراح وملعب أتراب ومرتع غزلان تفتن النساك هنالك وتعيد الحليم سفيها سنة الله فى الذين خلوا من قبل وانى اذا تذكرت ماصارت اليه انشد قول عبدالله بن المعتز

سلام على تلك المعاهد والربا * سلام وداع لاسلام قدوم

وصار بهذا العهد مابين اول بولاق من قبليه الى أطراف جزيرة الفيل عامرا من غربيه المفضى الى النيل ومن شرقيه الذى ينتهى الى الخليج الا أن النيل قد نشأت فيه جزائر ورمال بعد بها الماء عن البر الشرقى وكثر العناء لبعده وفى كل عام تكثر الرمال ويبعد الماء عن البر ولله عاقبة الامور فهذا حال الجهة الغربية من ظواهر القاهرة فى ابتداء وضعها والى وقتنا هذا وبقى من ظواهر القاهرة الجهة القبلية والجهة البحرية وفيهما أيضا عدة أخطاط تحتاج الى شرح وتبيان والله تعالى أعلم بالصواب

(ذكر خارج باب زويلة)

اعلم أن خارج باب زويلة جهتان جهة تلى الخليج وجهة تلى الجبل فأما الجهة التى تلى الخليج فقد كانت عند وضع القاهرة بساتين كلها فيما بين القاهرة الى مصر وعندى فيما ظهر لى أن هذه الجهة كانت فى القديم غامرة بماء النيل وذلك انه لاخلاف بين أهل مصر قاطبة أن الاراضى التى هى من طين ابليز لاتكون الا من أرض ماء النيل فان أرض مصر تربة رملة سبخة وما فيها من الطين طرح بعلوها عند زيادة ماء النيل مما يحمله من البلاد الجنوبية من مسيل الاودية فلذلك يكون لون الماء عند الزيادة متغيرا فاذا مكث على الارض قعد ما كان فى الماء من الطين على الارض فسماه أهل مصر ابليز وعليه تزرع الغلال وغيرها وما لا يشمله ماء النيل من الارض لايوجد فيه هذا الطين البتة وانت ان عرفت أخبار مصر بتأمل ماتضمنه هذا الكتاب ظهر لك أن موضع جامع عمرو ابن العاص رضى الله عنه كان كروما مشرفة على النيل وأن النيل انحسر بعد الفتح عما كان تجاه الحصن الذى يقال له قصر الشمع وعما هو الآن تجاه الجامع وما زال ينحسر شيأ بعد شئ حتى صار الساحل بمصر من عند سوق

المعاريج الآن الى قريب من السبع سقايات وجميع الاراضى التى فيها الآن المراغة خارج مصر الى نحو السبع سقايات وما يقابل ذلك من برّ الخليج الغربى كان غامرا بالماء كما تقدم وكان فى الموضع الذى تجاه المشهد المعروف بزيد وتسميه العامة الآن مشهد زين العابدين بساتين شرقيها عند المشهد النفيسى وغربيها عند السبع سقايات منها بساتين عرفت بجنان بنى مسكين وعندها بنى كافور الاخشيدى داره على البركة التى تجاه الكبش وتعرف اليوم ببركة قارون ومنها بستان يعرف ببستان ابن كيسان ثم صار صاغة وهو الآن يعرف ببستان الطواشى ومنها بستان عرف آخرا بجنان الحارة وهو من حوض الدمياطى الذى بقرب قنطرة السد الآن الى السبع سقايات وبقرب السبع سقايات بركة الفيل ويشرف على بركة الفيل بساتين من دائرها والى وقتنا هذا عليها بستان يعرف بالحبانية وهم بطن من درما بن عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طى فدرما فخذ من طى والحبانيون بطن من درما وبستان الحبانية فصل الناس بينه وبين البركة بطريق تسلك فيها المارة وكان من شرقى بركة الفيل أيضا بساتين منها بستان سيف الاسلام فيما بين البركة والجبل الذى عليه الآن قلعة الجبل وموضعه الآن المساكن التى من جملتها درب ابن البابا الى زقاق حلب وحوض ابن هنس وعدة بساتين أخر الى باب زويلة * وكذلك شقة القاهرة الغربية كانت أيضا بساتين فموضع حارة الوزيرية الى الكافورى كان ميدان الاخشيد وبجانب الميدان بستانه الذى يقال له اليوم الكافورى وما خرج عن باب الفتوح الى منية الاصبغ الذى يعرف اليوم بالخندق كان ذلك كله بساتين على حافة الخليج الشرقية وقد ذكرت هذه المواضع فى هذا الكتاب مبينة وعند التأمل يظهر أن الخليج الكبير عند ابتداء حفره كان أوّله اما عند مدينة عين شمس او من بحريها الاجل أن القطعة التى بجانب هذا الخليج من غربيه والقطعة التى هى بشرقيه فيما بين عين شمس وموردة الحلفاء خارج مدينة فسطاط مصر جميعهما طين ابليز والطين المذكور لا يكون الا من حيث يمرّ ماء النيل فتعين أن ماء النيل كان فى القديم على هذه الارض التى بجانبى الخليج فينتج أن أوّل الخليج كان عند آخر النيل من الجهة البحرية وينتهى الطين الى نحو مدينة عين شمس من الجانب الشرقى ويصير ما بعد الخندق فى الجهة البحرية رملا لا طين فيه وهذا بين لمن تأمله وتدبره وفى هذه الجهة التى تلى الخليج خارج باب زويلة حارات قد ذكرت عند ذكر الحارات من هذا الكتاب وبقيت هنالك اشياء نحتاج أن نعرّف بها وهى

* (حوض ابن هنس) * وهو حوض ترده الدواب وينقل اليه الماء من بئر وبه صارت تلك الخطة تعرف وهى تلى حارة حلب ويسلك اليها من جانبه وهو وقف الامير سعد الدين مسعود بن الامير بدر الدين هنس بن عبد الله أحد الحجاب الخاص فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سلخ شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة وعمل بأعلاه مسجدا مرتفعا وساقية ماء على بئر معين ومات يوم السبت عاشر شوّال سنة سبع واربعين وستمائة ودفن بجوار الحوض وكان هذا الحوض قد تعطل فى عصرنا فجدّده الامير تتر أحد الامراء الكبار فى الدولة المؤيدية فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة ومات هنس أمير جندار السلطان الملك العزيز عثمان فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة

* (مناظر الكبش) * هذه المناظر آثارها الآن على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى مشرفة على البركة التى تعرف اليوم ببركة قارون عند الجسر الاعظم الفاصل بين بركة الفيل وبركة قارون انشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستمائة وكان حينئذ ليس على بركة الفيل بناء ولا فى المواضع التى فى برّ الخليج الغربى من قنطرة السباع الى المقس سوى البساتين وكانت الارض التى من صليبة جامع ابن طولون الى باب زويلة بساتين وكذلك الارض التى من قناطر السباع الى باب مصر بجوار الكبارة ليس فيها الا البساتين وهذه المناظر تشرف على ذلك كله من أعلى جبل يشكر وترى باب زويلة والقاهرة وترى باب مصر ومدينة مصر وترى قلعة الروضة وجزيرة الروضة وترى بحر النيل الاعظم وبرّ الجيزة فكانت من أجلّ منتزهات مصر وتأنق فى بنائها وسماها الكبش فعرفت بذلك الى اليوم وما زالت بعد الملك الصالح من المنازل الملوكية وبها انزل الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسى لما وصل من بغداد الى قلعة الجبل وبايعه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بالخلافة فأقام بها مدّة ثم تحوّل منها الى قلعة الجبل وسكن بمناظر الكبش أيضا الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان فى أوّل خلافته وفيها أيضا كانت ملوك حماه من بنى أيوب تنزل عند قدومهم الى الديار المصرية وأوّل من نزل منهم فيها الملك المنصور

لما قدم على الملك الظاهر بيبرس فى المحرم سنة ثلاث وسبعين وستمائة ومعه ابنه الملك الافضل نور الدين على
وابنه الملك المظفر تقى الدين محمود فعندما حل بالكبش أتاه الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى بالسماط فمده
بين يديه ووقف كما يفعل بين يدى الملك الظاهر فامتنع الملك المنصور من الرضى بقيامه على السماط ومازال به
حتى جلس ثم وصلت الخلع والمواهب اليه والى ولده وخواصه وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة انزل بهذه المناظر
نحو ثلثمائة من مماليك الاشرف خليل بن قلاوون عندما قبض عليهم بعد قتل الاشرف المذكور ثم ان الملك
الناصر محمد بن قلاوون هدم هذه المناظر المذكورة فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وبناها بناء آخر واجرى
المياه اليها وجدد بها عدة مواضع وزاد فى سعتها وانشأ بها اصطبلا تربط فيه الخيول وعمل زفاف ابنته على ولد
الامير أرغون نائب السلطنة بديار مصر بعد ما جهزها جهازا عظيما منه بشخاناه ودار بيت وستارات طرز
ذلك بثمانين ألف مثقال ذهب مصرى سوى ما فيه من الحرير وأجرة الصناع وعمل سائر الاوانى من ذهب وفضة
فبلغت زنة الاوانى المذكورة ما ينيف على عشرة آلاف مثقال من الذهب وتناهى فى هذا الجهاز وبالغ
فى الانفاق عليه حتى خرج عن الحد فى الكثرة فانها كانت اول بناته ولما انتصب جهازها بالكبش نزل من قلعة الجبل
وصعد الى الكبش وعاينه ورتبه بنفسه واهتم فى عمل العرس اهتماما ملوكيا وألزم الامراء بحضوره فلم يتأخر أحد
منهم عن الحضور ونقط الامراء الاغانى على مراتبهم من اربعمائة دينار كل أمير الى مائتى دينار سوى الشقق
الحرير واستمر الفرح ثلاثة أيام بلياليها فذكر الناس حينئذ انه لم يعمل فيما سلف عرس أعظم منه حتى حصل
لكل جوقة من جوق الاغانى اللاتى كن فيه خمسمائة دينار مصرية ومائة وخمسون شقة حرير وكان عدة جوق
الاغانى التى قسم عليهن ثمان جوق من اغانى القاهرة سوى جوق الاغانى السلطانية واغانى الامراء وعدتهن
عشرون جوقة لم يعرف ما حصل لهذه العشرين جوقة من كثرة ما حصل ولما انقضت أيام العرس انعم السلطان
لكل امرأة من نساء الامراء بتعبية قماش على مقدارها وخلع على سائر أرباب الوظائف من الامراء
والكتاب وغيرهم فكان مهما عظيما تجاوز المصروف فيه حد الكثرة وسكن هذه المناظر أيضا الامير صرغتمش
فى أيام السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وعمر الباب الذى هو موجود الآن وبدنتى الحجر اللتين
بجانبى باب الكبش بالحدرة ثم ان الامير يلبغا العمرى المعروف بالخاصكى سكنه الى أن قتل فى سنة ثمان وستين
وسبعمائة فسكنه من بعده الامير استدمر الى أن قبض عليه الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون
وأمر بهدم الكبش فهدم واقام خرابا لا ساكن فيه الى سنة خمس وسبعين وسبعمائة فحكره الناس وبنوا فيه
مساكن وهو على ذلك الى اليوم * (خط درب ابن البابا) هذا الخط يتوصل اليه من تجاه المدرسة البندقدارية
بجوار حمام الفارقانى ويسلك فيه الى خط واسع يشتمل على عدة مساكن جليلة ويتوصل منه الى الجامع الطولونى
وقناطر السباع وغير ذلك وكان هذا الخط بستانا يعرف ببستان أبى الحسين بن مرشد الطائى ثم عرف ببستان
تامش ثم عرف أخيرا ببستان سيف الاسلام طغتكين بن أيوب وكان يشرف على بركة الفيل وله دهاليز واسعة
عليها جواسق تنظر الى الجهات الاربع ويقابله حيث الدرب الآن المدرسة البندقدارية وما فى صفها الى
الصليبة بستان يعرف ببستان الوزير ابن المغربى وفيه حمام مليحة ويتصل ببستان ابن المغربى بستان عرف
أخيرا ببستان شجر الدر وهو حيث الآن سكن الخلفاء بالقرب من المشهد النفيسى ويتصل ببستان شجر الدر
بساتين الى حيث الموضع المعروف اليوم بالكبارة من مصر ثم ان بستان سيف الاسلام حكره أمير يعرف بعلم
الدين الغتمى فبنى الناس فيه الدور فى الدولة التركية وصار يعرف بحكر الغتمى وهو الآن يعرف بدرب ابن البابا
وهو الامير الجليل الكبير جنكلى بن محمد بن البابا بن جنكلى بن خليل بن عبد الله بدر الدين العجلى رأس الميمنة
وكبير الامراء الناصرية محمد بن قلاوون بعد الامير جمال الدين نائب الكرك قدم الى مصر فى أوائل سنة أربع
وسبعمائة بعد ما طلبه الملك الاشرف خليل بن قلاوون ورغبه فى الحضور الى الديار المصرية وكتب له منشورا
باقطاع جيد وجهزه اليه فلم يتفق حضوره الا فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان مقامه بالقرب من آمد
فاكرمه وعظمه واعطاه امرة ولم يزل مكرما معظما وفى آخر وقته بعد خروج الامير أرغون النائب من مصر كان
السلطان يبعث اليه الذهب مع الامير بكتمر الساقى وغيره ويقول له لا تبس الارض على هذا ولا تنزله فى ديوانك
وكان اولا يجلس رأس الميمنة ثانى نائب الكرك فلما سار نائب الكرك لنيابة طرابلس جلس الامير جنكلى رأس

الميمنه وزوج السلطان ابنه ابراهيم بن محمد بن قلاوون بابنة الامير بدر الدين ومازال معظما فى كل دولة بحيث ان الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون كتب له عنه الاتابكى الوالدى البدرى وزادت وجاهته فى أيامه الى أن مات يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجة سنة ست وأربعين وسبعمائة وكان شكلا مليحا حليما كثير المعروف والجود عفيفا لايستخدم مملوكا امرد البتة واقتصر من النساء على امرأته التى قدمت معه الى مصر ومنها اولاده وكان يحب العلم وأهله ويطارح بمسائل علمية ويعرف ربع العبادات ويجيده ويتكلم على الخلاف فيه ويميل الى الشيخ تقى الدين احمد بن تيمية ويعادى من يعاديه ويكرم أصحابه ويكتب كلامه مع كثرة الاحسان الى الناس بماله وجاهه وكان ينتسب الى ابراهيم بن أدهم وهو من محاسن الدولة التركية رحمه الله * (حكر الخازن) هذا المكان فيما بين بركة الفيل وخط الجامع الطولونى كان من جملة البساتين ثم صار اصطبلا للجوق الذى فيه خيول المماليك السلطانية فلما تسلطن الملك العادل كتبغا اخرج منه الخيول وعمله ميدانا يشرف على بركة الفيل فى سنة خمس وتسعين وستمائة ونزل اليه ولعب فيه بالاكرة أيام سلطنته كلها الى أن خلعه الملك المنصور لاجين وقام فى الملك من بعده فأهمل أمره وعمر فيه الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة بيتا فعرف من حينئذ بحكر الخازن وتبعه الناس فى البناء هناك وأنشأوا فيه الدور الجليلة فصار من أجل الاخطاط وأعمرها واكثر من يسكن به الأمراء والمماليك * (سنجر الخازن) الامير علم الدين الاشرفى أحد مماليك الملك المنصور قلاوون وتنقل فى أيام ابنه الملك الاشرف خليل وصار أحد الخزان فعرف بالخازن ثم ولى شد الدواوين مع الصاحب أمين الدين وانتقل منها الى ولاية البهنسا ثم الى ولاية القاهرة وشد الجهات فباشر ذلك بعقل وسياسة وحسن خلق وقلة ظلم ومحبة للستر وتغافل عن مساوى الناس واقالة عثرات ذوى الهيآت مع العصبية والمعرفة وكثرة المال وسعة الحال واقتناء الاملاك الكثيرة ثم انه صرف عن ولاية القاهرة بالامير قدادار فى شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة فوجد الناس من عزله بقدادار شدة ومازال بالقاهرة الى أن مات ليلة السبت ثامن جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة فوجد له أربعة عشر ألف أردب غلة عتيقة وأموال كثيرة وله من الآثار مسجد بناه فوق درب استجده بحكر الخازن وخانقاه بالقرافة دفن فيها عفا الله عنه * (ربع البزادرة) هذا الربع تحت قلعة الجبل بسوق الخيل عمر بعد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وكان مكانه لاعمارة فيه فبنى الاجناد بجواره عدة مساكن واستجدوا حكرين من جواره فامتدت العمائر الى تربة شجر الدر حيث كان البستان المعروف بشجر الدر وهناك الآن سكن الخلفاء وامتدت العمائر من تربة شجر الدر الى المشهد النفيسى ومروا من تجاه المشهد بالعمائر الى أن اتصلت بعمائر مصر وباب القرافة * (خط قناطر السباع) كان هذا الخط فى اول الاسلام يعرف بالحمراء نزل فيه طائفة تعرف ببنى الازرق وبنى روبيل ثم دثرت هذه الخطة وبقيت صحراء فيها ديارات وكنائس للنصارى تعرف بكنائس الحمراء فلما زالت دولة بنى أمية ودخل أصحاب بنى العباس الى مصر فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة نزلوا فى هذه الخطة وعمروا بها فصارت تتصل بالعسكر وقد تقدم خبر العسكر فى هذا الكتاب فلما خرب العسكر وصار هذا المكان بساتين وغيرها الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون البركة الناصرية وانشأ ميدان المهارى والزريبة والربعين بجوار الجامع الطيبرسى على شاطئ النيل بنى الناس فى حكر أقبغا واتصلت العمائر من خط السبع سقايات وخط قناطر السباع حتى اتصلت بالقاهرة ومصر والقرافة وذلك كله من بعد سنة عشرين وسبعمائة * (بئر الوطاويط) هذه البئر أنشأها الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن خنزابه لينقل منها الماء الى السبع سقايات التى انشاها وحبسها لجميع المسلمين التى كانت بخط الحمراء وكتب عليها بسم الله الرحمن الرحيم لله الامر من قبل ومن بعد وله الشكر وله الحمد ومنه المن على عبده جعفر بن الفضل بن جعفر ابن الفرات وما وفقه له من البناء لهذه البئر وجريانها الى السبع سقايات التى أنشاها وحبسها لجميع المسلمين وحبسه وسبله وقفا مؤبدا لايحل تغييره ولا العدول بشئ من مائه ولا ينقل ولا يبطل ولا يساق الا الى حيث مجراه الى السقايات المسبلة فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وذلك فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم فلما طال الامر خربت السقايات والى اليوم يعرف موضعها بخط السبع سقايات وبنى فوق البئر المذكورة وتولد فيها كثير من الوطاويط فعرفت ببئر الوطاويط

ولما اكثر الناس من بناء الاماكن في ايام الناصر محمد بن قلاون عمر هذا المكان وعرف الى اليوم بخط بئر الوطاويط وهو خط عامر فهذا اما في جهة الخليج مما خرج عن باب زويلة * وأما جهة الجبل فانها كانت عند وضع القاهرة صحراء وأوّل من أعلم انه عمر خارج باب زويلة من هذه الجهة الصالح طلائع بن رزيك فانه انشأ الجامع الذي يقال له جامع الصالح ولم يكن بين هذا الجامع وبين هذا الشرف الذي عليه الآن قلعة الجبل بناء البتة الآن هذا الموضع الآن عمل الناس فيه مقبرة فيما بين جامع الصالح وبين هذا الشرف من حين بنيت الحارات خارج باب زويلة فلما عمرت قلعة الجبل عمر الناس بهذه الجهة شيأ بعد شيء وما برح من بني هنا لك يجد عند الحفر رمم الاموات وقد صارت هذه الجهة في الدولة التركية لاسيما بعد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة من اعمر الاخطاط وانشأ فيها الامراء الجوامع والدور الملوكية وتجددت هنالك عدة اسواق وصار الشارع خارج باب زويلة يفصل بين هذه الجهة وبين الجهة التي من حد الخليج وكلتا هاتين الجهتين الآن عامرة وفي جهة الجبل خط السطيين وخط الدرب الاحمر وخط سوق الغنم وخط جامع الماردينى وخط التبانة وخط باب الوزير وخط المصنع وخط سويقة العزى وخط مدرسة الجاي وخط الرميلة وخط القبيبات وخط باب القرافة

* (ذكر خارج باب الفتوح) *

اعلم أن خارج باب الفتوح الى الخندق كان كله بساتين وتمتد البساتين من الخندق بحافتى الخليج الى عين شمس فيقابل باب الفتوح من خارجه المنظرة المقدم ذكرها عند ذكر المناظر التي كانت للخلفاء من هذا الكتاب ويلي هذه المنظرة بستان كبير عرف بالبستان الجيوشي اوله من عند زقاق الكحل الى المطرية ويقابله في برّ الخليج الغربي بستان آخر يتوصل اليه من باب القنطرة وينتهي الى الخندق وقد ذكر خبر هذين البستانين عند ذكر مناظر الخلفاء وكان بين هذين البستانين بستان الخندق وكان على حافة الخليج من شرقيه فيما بين زقاق الكحل وباب القنطرة حيث المواضع التي تعرف اليوم ببركة جناق وبالكداسين الى قريب من حارة بهاء الدين حارة تعرف بحارة البيازرة اختطت في نحو من سنة عشرين وخمسمائة وكانت مناظرها تشرف على الخليج وبجوارها بستان مختار الصقلي وعرف بعد ذلك ببستان ابن صيرم الذي حكر وبنيت فيه المساكن الكثيرة بعد ذلك وكان أيضا خارج باب الفتوح حارة الحسينية وهم الريحانية احدى طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين وهذه الحارة اختطت بعد الشدة العظمى التي كانت بمصر في خلافة المستنصر فصارت على يمين من خرج من باب الفتوح الى صحراء الهليلج ويقابلها حارة أخرى تنتهي الى بركة الارمن التي عند الخندق وتعرف اليوم ببركة قراجا وقد ذكرت هذه الحارات عند ذكر حارات القاهرة وظواهرها من هذا الكتاب

* (ذكر الخندق) *

هذا الموضع قرية خارج باب الفتوح كانت تعرف اوّلا بمنية الاصبغ ثم لما اختط القائد جوهر القاهرة أمر المغاربة أن يحفروا خندقا من جهة الشام من الجبل الى الابليز عرضه عشرة اذرع في عمق مثلها فبدئ به يوم السبت حادى عشرى شعبان سنة ستين وثلثمائة وفرغ في ايام يسيرة وحفر خندقا آخر قدّامه وعمقه ونصب عليه بابا يدخل منه وهو الباب الذي كان على ميدان البستان الذي للاخشيد وقصد أن يقاتل القرامطة من وراء هذا الخندق فقيل له من حينئذ الخندق وخندق العبيد والحفرة ثم صار بستانا جليلا من جملة البساتين السلطانية في أيام الخلفاء الفاطميين وأدركناه من منتزهات القاهرة البهجة الى أن خربت * قال ابن عبد الحكم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد اقطع ابن سندر منية الاصبغ فحاز لنفسه منها ألف فدان كما حدثنا يحيى بن خالد عن الليث بن سعد رضي الله عنه ولم يبلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقطع أحدا من الناس شيأ من أرض مصر الا ابن سندر فانه اقطعه منية الاصبغ فلم تزل له حتى مات فاشتراها الاصبغ بن عبد العزيز من ورثته فليس بمصر قطيعة اقدم منها ولا افضل وكان سبب اقطاع عمر رضي الله عنه ما اقطعه من ذلك كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انه كان لزنباع بن روح الجذامي غلام يقال له سندر فوجده يقبل جارية له فجبه وجدع انفه واذنه فاتى سندر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى زنباع فقال لا تحملوهم من العمل ما لا يطيقون وأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون فان رضيتم

فأمسكوا وان كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله ومن مثل به أو أحرق بالنار فهو حر وهو مولى الله ورسوله فأعتق سندر فقال أوص بي يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصي بك كل مسلم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سندر أبا بكر رضي الله عنه فقال احفظ في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاله أبو بكر رضي الله عنه حتى توفي ثم أتى عمر رضي الله عنه فقال احفظ في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه نعم ان رضيت أن تقيم عندي أجريت عليك ما كان يجري عليك أبو بكر رضي الله عنه والا فانظر أي موضع أكتب لك فقال سندر مصر لأنها أرض ريف فكتب له الى عمرو بن العاص احفظ فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم الى عمرو رضي الله عنه أقطع له أرضا واسعة ودارا فجعل سندر يعيش فيها فلما مات قبضت في مال الله تعالى قال عمرو بن شعيب ثم اقطعها عبد العزيز بن مروان الاصبغ بعد فهي من خير أموالهم قال ويقال سندر وابن سندر وقال ابن يونس مسروح بن سندر الخصي مولى زنباع بن روح بن سلامة الجذامي يكنى أبا الاسود له صحبة قدم مصر بعد الفتح بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالوصاة فأقطع منية الاصبغ بن عبد العزيز روى عنه أهل مصر حديثين روى عنه مزيد بن عبد الله اليزني وربيعة بن لقيط التجيبي ويقال سندر الخصي وابن سندر أثبت توفي بمصر في أيام عبد العزيز ابن مروان ويقال كان مولاه وجده يقبل جارية له فجبه وجدع أنفه وأذنيه فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا ذلك اليه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زنباع فقال لا تحملوهم يعني العبيد ما لا يطيقون أطعموهم مما تأكلون فذكر الحديث بطوله وذكر عن عثمان بن سويد بن سندر أنه أدرك مسروح بن سندر الذي جدعه زنباع بن روح وكان جده لامه فقال كان ربما تغدى معي بموضع من قرية عثمان واسمها ... وكان لابن سندر الى جانبها قرية يقال لها قلون قطيعة وكان له مال كثير من رقيق وغير ذلك وكان ذا دهاء منكرا جسيما وعمر حتى أدرك زمان عبد الملك بن مروان وكان لروح بن سلامة أبي زنباع فورثه أهل التعدد بروح يوم مات وقال القضاعي مسروح بن سندر الخصي ويكنى أبا الاسود له صحبة ويقال له سندر دخل مصر بعد الفتح سنة اثنتين وعشرين وقال الكندي في كتاب الموالي قال أقبل عمرو بن العاص رضي الله عنه يوما يسير وابن سندر معه فكان ابن سندر ونفر معه يسيرون بين يدي عمرو بن العاص رضي الله عنه وأثاروا الغبار فجعل عمرو عمامته على طرف أنفه ثم قال اتقوا الغبار فانه أوشك شئ دخولا وأبعده خروجا اذا وقع على الرئة صار نسمة فقال بعضهم لاولئك النفر تنحوا ففعلوا الا ابن سندر فقيل له ألا تتنحى يا ابن سندر فقال عمرو دعوه فان غبار الخصي لا يضر فسمعها ابن سندر فغضب وقال أما والله لو كنت من المؤمنين ما آذيتني فقال عمرو يغفر الله لك أنا بحمد الله من المؤمنين فقال ابن سندر لقد علمت اني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوصي بي فقال أوصي بك كل مؤمن * وقال ابن يونس اصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم يكنى أبا ريان حكى عنه أبو حبرة عبد الله بن عباد المغافري وعون بن عبد الله وغيره توفي ليلة الجمعة لاربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين قبل أبيه وقال أبو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني في كتاب الاغاني الكبير عن الرياشي انه قال عن سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ان أبا عذرتها عبد الله بن الحسن بن علي ثم خلفه عليها العثماني ثم مصعب بن الزبير ثم الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان قال وكان يتولى مصر فكتبت اليه سكينة ان مصر أرض وخمة فبنى لها مدينة تسمى بمدينة الاصبغ وبلغ عبد الملك تزوجه اياها فنفس بها عليه وكتب اليه اختر مصر او سكينة فبعث اليه بطلاقها ولم يدخل بها ومتعها بعشرين ألف دينار قلت في هذا الخبر أوهام منها أن الاصبغ لم يل مصر وانما كان مع أبيه عبد العزيز بن مروان ومنها أن الذي بناه الاصبغ لسكينة منية الاصبغ هذه وليست مدينة ومنها أن الاصبغ لم يطلق سكينة وانما مات عنها قبل أن يدخل عليها وقال ابن زولاق في كتاب اتمام كتاب الكندي في أخبار أمراء مصر وفي شوّال يعني من سنة ستين وثلثمائة كثر الارجاف بوصول القرامطة الى الشام ورئيسهم الحسن بن محمد الاعصم وفي هذا الوقت ورد الخبر بقتل جعفر بن فلاح قتله القرامطة بدمشق ولما قتل ملكت القرامطة دمشق وصاروا الى الرملة فانحاز معاذ بن حيان الى يافا متحصنا بها وفي هذا الوقت تأهب جوهر القائد لقتال القرامطة وحفر خندقا وعمل عليه بابا ونصب عليه بابي الحديد اللذين كانا على ميدان الاخشيد وبنى القنطرة على الخليج وحفر خندق السري بن

قوله وكان لروح الخ هكذا في النسخ وفي بعضها أهل البعد د بالتحتية وانظر ما معنى هذه العبارة اهـ

الحكم وفرّق السلاح على رجال المغاربة والمصريين ووكل بأبى الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات خادما يبيت معه فى داره ويركب معه حيث كان وأنفذ الى ناحية الحجاز فتعرّف خبر القرامطة وفى ذى الحجة كبس القرامطة القلزم وأخذوا والبهائم دخلت سنة احدى وستين وثلثمائة وفى المحرّم بلغت القرامطة عين شمس فاستعدّ جوهر لقتال لعشر بقين من صفر وغلق أبواب الطابية وضبط الداخل والخارج وأمر الناس بالخروج اليه وأن يخرج الاشراف كلهم فخرج اليه أبو جعفر مسلم وغيره بالمضارب وفى مستهلّ ربيع الاوّل التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة وكان يوم جمعة فقتل من الفريقين جماعة وأسر جماعة وأصبحوا يوم السبت متكافئين ثم غدوا يوم الاحد لقتال وسار الحسن الاعصم بجميع عساكره ومشى للقتال على الخندق والباب مغلق فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب واقتتلوا قتالا شديدا وقتل خلق كثير ثم ولى الاعصم منهزما ولم يتبعه القائد جوهر ونهب سواد الاعصم بالجب ووجدت صناديقه وكتبه وانصرف فى الليل على طريق القلزم ونهب بنو عقيل وبنو طىّ كثيرا من سواده وهو مشغول بالقتال وكان جميع ما جرى على القرمطى بتدبير جوهر وجوائز انفذها ولو أراد أخذ الاعصم فى انهزامه لاخذه ولكن الليل حجز فكره جوهر اتباعه خوفا من الحيلة والمكيدة وحضر القتال خلق من رعية مصر وأمر جوهر بالنداء فى المدينة من جاء بالقرمطى أو برأسه فله ثلثمائة ألف درهم وخمسون خلعة وخمسون سرجا محلى على دوابها وثلاث جوائز ومدح بعضهم القائد جوهرا بأبيات منها

كأنّ طراز النصر فوق جبينه * يلوح وارواح الورى بيمينه

ولم يتفق على القرامطة منذ ابتداء أمرهم كسرة اقبح من هذه الكسرة ومنها فارقهم من كان قد اجتمع اليهم من الكافورية والاخشيدية فقبض جوهر على نحو الالف منهم وحبسهم مقيدين وقال ابن زولاق فى كتاب سيرة الامام المعز لدين الله ومن خطه نقلت وفى هذا الشهر يعنى المحرّم سنة ثلاث وستين وثلثمائة تبسطت المغاربة فى نواحى القرافة والمغافر وما قاربها فنزلوا فى الدور وأخرجوا الناس من دورهم ونقلوا السكان وشرعوا فى السكنى فى المدينة وكان المعز قد أمرهم أن يسكنوا أطراف المدينة فخرج الناس واستغاثوا بالمعز فأمرهم أن يسكنوا نواحى عين شمس وركب المعز بنفسه حتى شاهد المواضع التى ينزلون فيها وأمر لهم بمال يبنون به وهو الموضع الذى يعرف اليوم بالخندق والحفرة وخندق العبيد وجعل لهم واليا وقاضيا ثم سكن اكثرهم بالمدينة مخالطين لاهل مصر ولم يكن القائد جوهر يبيحهم سكنى المدينة ولا المبيت بها وحظر ذلك عليهم وكان مناديه ينادى كل عشية لا يبيتن أحد فى المدينة من المغاربة وقال ياقوت منية الاصبغ تنسب الى الاصبغ ابن عبد العزيز بن مروان ولا يعرف اليوم بمصر موضع يعرف بهذا الاسم وزعموا انها القرية المعروفة بالخندق قريبا من شرقىّ القاهرة وقال ابن عبد الظاهر الخندق هو منية الاصبغ وهو الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان قال مؤلفه رحمه الله وقد وهم ابن عبد الظاهر فجعل أن الخندق احتفره العزيز بالله وانما احتفره جوهر كما تقدم وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة اليها للتنزه بها فى أيام النيل والربيع ويسكنها طائفة كبيرة وفيها بساتين عامرة بالنخيل الفخر والثمار وبها سوق وجامع تقام به الجمعة وعليه قطعة أرض من أرض الخندق يتولاها خطيبه فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة خربت قرية الخندق ورحل أهلها منها ونقلت الخطبة من جامعه الى جامع بالحسينية وبقى معطلا من ذكر الله تعالى واقامة الصلاة مدة ثم فى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة هدمه الامير طوغان الدوادار وأخذ عمده وخشبه فلم يبق الا بقية أطلاله وكانت قرية الخندق كأنها من حسنها ضرّة لكوم الريش وكانت تجاهها من شرقيها فخربتا جميعا *(صحراء الاهليلج) هذه البقعة شرقىّ الخندق فى الرمل واليها كانت تنتهى عمارة الحسينية من جهة باب الفتوح وكان بها شجر الاهليلج الهندى فعرفت بذلك وأظن أن هذا الاهليلج كان من جملة بستان ريدان الذى يعرف اليوم موضعه بالريدانية

(ذكر خارج باب النصر)

أما خارج القاهرة من جهة باب النصر فانه عندما وضع القائد جوهر القاهرة كان فضاء ليس فيه سوى مصلى العيد الذى بناه جوهر وهذا المصلى اليوم يصلى على من مات فيه ومابرح ما بين هذا المصلى وبستان ريدان الذى يعرف اليوم بالريدانية لا عمارة فيه الى أن مات أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة سبع وثمانين

وار بعمائة فدفن خارج باب النصر بحرى المصلى و بنى على قبره تربة جليلة وهى باقية الى اليوم هنالك فتتابع بناء الترب من حينئذ خارج باب النصر فيما بين التربة الجيوشية والريدانية وقبر الناس موتاهم هنالك لاسيما أهل الحارات التى عرفت خارج باب الفتوح بالحسينية وهى الريدانية وحارة البزادرة وغيرها ولم تزل هذه الجهة مقبرة الى مابعد السبعمائة عدة فرغب الامير سيف الدين الحاج آل ملك فى البناء هنالك وانشأ الجامع المعروف به فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وعمر دارا وحماما فاقتدى الناس به وعمروا هنالك وكان قد بنى تجاه المصلى قبل ذلك الامير سيف الدين كهرداس المنصورى دارا تعرف اليوم بدار الحاجب فسكن فى هذه الجهة امراء الدولة وعملوا فيما بين الريدانية والخندق مناخات الجمال وهى باقية هنالك فصارت هذه الجهة فى غاية العمارة وفيما من باب النصر الى الريدانية سبعة اسواق جليلة يشتمل كل سوق منها على عدة حوانيت كثيرة فمنها سوق اللفت وهو تجاه باب بيت الحاجب الآن عند البئر كان فيه من جانبيه حوانيت يباع فيها اللفت ومن هذا السوق يشترى أهل القاهرة هذا الصنف والكرنب وتعرف هذه البئر الى اليوم ببئر اللفت و يليها سويقة زاوية الخدام وادركت بهذه السويقة بقية صالحة ويلى ذلك سوق جامع آل ملك وكان سوقا عامرا فيه غالب مايحتاج اليه من المآكل والادوية والفواكه والخضر وغيرها وأدركته عامرا ويليه سويقة السنابطة عرفت بقوم من أهل ناحية سنباط سكنوابها وكانت سوقا كبيرا وأدركته عامرا ويليها سويقة أبى ظهير وادركتها عامرة ويليها سويقة العرب وكانت تتصل بالريدانية وتشتمل على حوانيت كثيرة جدا أدركتها عامرة وليس فيها سكان وكانت كلها من لبن معقود عقودا وكان باول سويقة العرب هذه فرن ادركته عامرا آهلا بلغنى انه كان يخبز فيه أيام عمارة هذا السوق وماحوله كل يوم نحو السبعة آلاف رغيف وكان من وراء هذا السوق احواش فيها قباب معقودة من لبن ادركتها قائمة وليس فيها سكان وكان من جملة هذه الاحواش حوش فيه اربعمائة قبة يسكن فيها البزادرة والمكارية اجرة كل قبة درهمان فى كل شهر فيتحصل من هذا الحوش فى كل شهر مبلغ ثمانمائة درهم فضة وكان يعرف بحوش الاحمدى فلما كان الغلاء فى زمن الملك الاشرف شعبان ابن حسين سنة سبع وسبعين وسبعمائة خرب كثير مما كان بالقرب من الريدانية واختلت احوال هذه الجهة الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فتلاشت وهدمت دورها و بيعت أنقاضها وفيها بقية آئلة الى الدثور

(الريدانية)

كانت بستانا لريدان الصقلى أحد خدام العزيز بالله نزار بن المعز كان يحمل المظلة على رأس الخليفة واختص بالحاكم ثم قتله فى يوم الثلاثاء لاعشر بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وريدان ان كان اسما عربيا فانه من قولهم ريح ريدة ورادة و ريدانة أى لينة الهبوب وقيل ريح ريدة كثيرة الهبوب

(ذكر الخلجان التى بظاهر القاهرة)

اعلم أن الخليج جمعه خلجان وهو نهر صغير يختلج من نهر كبير اومن بحر وأصل الخلج الانتزاع خلجت الشئ من الشئ اذا انتزعته و بأرض مصر عدة خلجان منها بظاهر القاهرة خليج مصر وخليج فم الخور وخليج الذكر والخليج الناصرى وخليج قنطرة الفخر وسترى من أخبارها مافيه كفاية ان شاء الله تعالى

(ذكر خليج مصر)

هذا الخليج بظاهر مدينة فسطاط مصر و يمر من غربى القاهرة وهو خليج قديم احتفره بعض قدماء ملوك مصر بسبب هاجر أم اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهما حين اسكنها وابنها اسماعيل خليل الله ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بمكة ثم تمادت الدهور والاعوام فجدد حفره ثانيا بعض من ملك مصر من ملوك الروم بعد الاسكندر فلما جاء الله سبحانه بالاسلام وله الحمد والمنة وفتحت أرض مصر على يد عمرو ابن العاص جدد حفره باشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى عام الرمادة وكان يصب فى بحر القلزم فتسير فيه السفن الى البحر الملح و تمر فى البحر الى الحجاز واليمن والهند ولم يزل على ذلك الى أن قدم محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب بالمدينة النبوية والخليفة حينئذ بالعراق أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فكتب الى عامله على مصر يأمره بطم خليج القلزم حتى لا تحمل الميرة من مصر الى المدينة فطمه وانقطع

من حين انصاله ببحر القلزم وصار على ماهو عليه الآن وكان هذا الخليج اولا يعرف بخليج مصر فلما انشأ جوهر القائد القاهرة بجانب هذا الخليج من شرقيه صار يعرف بخليج القاهرة وكان يقال له أيضا خليج أمير المؤمنين يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه الذي اشار بتجديد حفره والآن تسميه العامة بالخليج الحاكمي وتزعم أن الحاكم بأمر الله أباعلي منصورا احتفره وليس هذا بصحيح فقد كان هذا الخليج قبل الحاكم بعدد متطاولة ومن العامة من يسميه خليج اللؤلؤة أيضا * وسأقص عليك من أخبار هذا الخليج ماوقفت عليه من الانباء * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه في أخبار طيطوس بن ماليا بن كلكن بن خريتا بن ماليق بن تدراس بن صابن مرقونس بن صا بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح وجلس على سرير الملك بعد أبيه ماليا وكان جبارا جريأ شديد البأس مهابا فدخل عليه الاشراف وهنوه ودعوا له فأمرهم بالاقبال على مصالحهم ومايعنيهم ووعدهم بالاحسان والقبط تزعم انه اول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام وان الفراعنة سبعة هو اولهم وأنه استخف بأمر الهياكل والكهنة وكان من خبر ابراهيم عليه السلام معه أن ابراهيم لما فارق قومه اشفق من المقام بالشام لئلا يتبعه قومه ويردوه الى النمرود لانه كان من أهل كوثا من سواد العراق فخرج الى مصر ومعه سارة امرأته وترك لوطا بالشام وسار الى مصر وكانت سارة احسن نساء وقتها ويقال ان يوسف عليه السلام ورث جزأ من جمالها فلما سار الى مصر رأى الحرس المقيمون على أبواب المدينة سارة فعجبوا من حسنها ورفعوا خبرها الى طيطوس الملك وقالوا دخل الى البلد رجل من أهل الشرق معه امرأة لم نر احسن منها ولا اجمل فوجه الملك الى وزيره فأحضر ابراهيم صلوات الله عليه وسأله عن بلده فأخبره وقال ماهذه المرأة منك فقال اختي فعرف الملك بذلك فقال مره أن يجيئني بالمرأة حتى أراها فعرفه ذلك فاستغص منه ولم تمكنه مخالفته وعلم أن الله تعالى لايسوؤه في أهله فقال لسارة قومي الى الملك فانه قد طلبك مني قالت ومايصنع بي الملك ومارآني قبل قال أرجو أن يكون لخير فقامت معه حتى أتوا قصر الملك فأدخلت عليه فنظر منها منظرا راعه وفتنته فأمر باخراج ابراهيم عليه السلام فأخرج وندم على قوله انها اخته وانما أراد انها اخته في الدين ووقع في قلب ابراهيم عليه السلام مايقع في قلب الرجل على أهله وتمنى انه لم يدخل مصر فقال اللهم لاتفضح نبيك في أهله فراودها الملك عن نفسها فامتنعت عليه فذهب ليمد يده اليها فقالت انك ان وضعت يدك علي اهلكت نفسك لان لي ربا يمنعني منك فلم يلتفت الى قولها ومد يده اليها فجفت يده وبقي حائرا فقال لها أزيلي عني ماقد أصابني فقالت على أن لاتعاود مثل ماأتيت قال نعم فدعت الله سبحانه وتعالى فزال عنه ورجعت يده الى حالها فلما وثق بالصحة راودها ومناها ووعدها بالاحسان فامتنعت وقالت قد عرفت ماجرى ثم مد يده اليها فجفت وضربت عليه اعضاؤه وعصبه فاستغاث بها وأقسم بالآلهة انها ان أزالت عنه ذلك فانه لايعاودها فسألت الله تعالى فزال عنه ذلك ورجع الى حاله فقال ان لك لربا عظيما لايضيعك فأعظم قدرها وسألها عن ابراهيم فقالت هو قريبي وزوجي قال فانه قد ذكر انك اخته قالت صدق انا اخته في الدين وكل من كان على ديننا فهو أخ لنا قال نعم الدين دينكم ووجه بها الى ابنته جورباو كانت من الكمال والعقل بمكان كبير فألقى الله تعالى محبة سارة في قلبها فكانت تعظمها وأضافتها أحسن ضيافة ووهبت لها جوهرا ومالا فأتت به ابراهيم عليه السلام فقال لها رديه فلا حاجة لنا به فردته وذكرت ذلك جوريا لابيها فعجب منهما وقال هذا كريم من أهل بيت الطهارة فتحيلي في برهما بكل حيلة فوهبت لها جارية قبطية من أحسن الجواري يقال لها آجر وهي هاجر أم اسماعيل عليه السلام وجعلت لها سلالا من الجلود وجعلت فيها زادا وحلوى وقالت يكون هذا الزاد معك وجعلت تحت الحلوى جوهرا نفيسا وحليا مكللا فقالت سارة اشاور صاحبي فأتت ابراهيم عليه السلام واستأذنته فقال اذا كان مأكولا فخذيه فقبلته منها وخرج ابراهيم فلما مضى وأمعنوا في السير اخرجت سارة بعض تلك السلال فأصابت الجوهر والحلي فعرفت ابراهيم عليه السلام ذلك فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر التي جعلها للسبيل وفرق بعضه في وجوه البر وكان يضيف كل من مر به وعاش طيطوس الى أن وجهت هاجر من مكة تعرفه انها بمكان جدب وتستغيثه فأمر بحفر نهر في شرقي مصر بسفح الجبل حتى ينتهي الى مرقى السفن في البحر الملح فكان يحمل اليها الحنطة واصناف الغلات فتصل الى جدة وتحمل من هناك على المطايا فأحيى بلد الحجاز مدة ويقال انما حليت الكعبة في ذلك العصر مما اهداه ملك مصر

وقيل

وقيل انه لكثرة ما كان يحمله طوطيس الى الحجاز سمته العرب وجرهم الصادوق ويقال انه سأل ابراهيم عليه السلام أن يبارك له فى بلده فدعا بالبركة لمصر وعرّفه أن ولده سيملكها ويصير أمرها اليهم قرنا بعد قرن * وطوطيس اوّل فرعون كان بمصر وذلك انه اكثر من القتل حتى قتل قراباته وأهل بيته وبنى عمه وخدمه ونساءه وكثيرا من الكهنة والحكماء وكان حريصا على الولد فلم يرزق ولدا غير ابنته جوريا أو جورياق وكانت حكيمة عاقلة تأخذ على يده كثيرا وتمنعه من سفك الدماء فأبغضته ابنته وأبغضه جميع الخاصة والعامة فلما رأت أمره يزيد خافت على ذهاب ملكهم فسمته وهلك وكان ملكه سبعين سنة واختلفوا فيمن يملك بعده وأرادوا أن يقيموا واحدا من ولد اتريب فقام بعض الوزراء ودعا لجورياق فتم لها الامر وملكت فهذا كان اوّل أمر هذا الخليج * ثم حفره مرّة ثانية ادريان قيصر أحد ملوك الروم ومن الناس من يسميه اندريانوس ومنهم من يقول هوريانوس قال فى تاريخ مدينة رومة وولى الملك ادريان قيصر أحد ملوك الروم وكانت ولايته احدى وعشرين سنة وهو الذى درس اليهود مرّة ثانية اذ كانوا راموا النفاق عليه وهو الذى جدّد مدينة يروشالم يعنى مدينة القدس وأمر بتبديل اسمها وأن تسمى ايليا وقال علماء أهل الكتاب عن ادريان هذا وغزا القدس وأخربه فى الثانية من ملكه وكان ملكه فى سنة تسع وثلاثين وار بعمائة من سنى الاسكندر وقتل عامة أهل القدس وبنى على باب مدينة القدس منارا وكتب عليه هذه مدينة ايليا ويسمى موضع هذا العمود الآن محراب داود ثم سار من القدس الى بابل فحاربه ملكها وهزمه وعاد الى مصر فحفر خليجا من النيل الى بحر القلزم وسارت فيه السفن وبقى رسمه عند الفتح الاسلامى فحفره عمرو بن العاص وأصاب أهل مصر منه شدائد وألزمهم بعبادة الاصنام ثم عاد الى بلاده بممالك الروم فابتلى بمرض اعيى الاطباء فخرج يسير فى البلاد يبتغى من يداويه فمرّ على بيت المقدس وكان خرابا ليس فيه غير كنيسة للنصارى فأمر ببناء المدينة وحصنها واعاد اليها اليهود فأقاموا بها وملكوا عليهم رجلا منهم فبلغ ذلك ادريان قيصر فبعث اليهم جيشا لم يزل يحاصرهم حتى مات اكثرهم جوعا وعطشا وأخذها عنوة فقتل من اليهود ما لا يحصى كثرة وأخرب المدينة حتى صارت تلالا لا عامر فيها البتة وتتبع اليهود يريد أن لا يدع منهم على وجه الارض أحدا ثم أمر طائفة من اليونانيين فتحوّلوا الى مدينة القدس وسكنوا فيها فكان بين خراب القدس الخراب الثانى على يد طيطوس وبين هذا الخراب ثلاث وخمسون سنة فعمرت القدس باليونان ولم يزل قيصر هذا ملكا حتى مات فهذا خبر حفر هذا الخليج فى المرّة الثانية فلما جاء الاسلام جدّد عمرو بن العاص حفره * قال ابن عبد الحكم ذكر حفر خليج أمير المؤمنين رضى الله عنه حدّثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال ان الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد فى خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة الرمادة فكتب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص وهو بمصر من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصى ابن العاصى سلام أما بعد فلعمرى يا عمرو ما تبالى اذا شبعت انت ومن معك أن اهلك انا ومن معى فياغوثاه ثم ياغوثاه يردد ذلك فكتب اليه عمرو من عبد الله عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين أما بعد فيا لبيك ثم يا لبيك قد بعثت اليك بعير أوّلها عندك وآخرها عندى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فبعث اليه بعير عظيمة فكان اوّلها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضا فلما قدمت على عمر رضى الله عنه وسع بها على الناس ودفع الى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوّام وسعد بن أبى وقاص يقسمونها على الناس فدفعوا الى اهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام ليأكلوا الطعام ويأتدموا بلحمه ويحتذوا بجلده وينتفعوا بالوعاء الذى كان فيه الطعام فيما أرادوا من لحاف او غيره فوسع الله بذلك على الناس فلما رأى ذلك عمر رضى الله عنه حمد الله وكتب الى عمرو بن العاص أن يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر معه فقدموا عليه فقال عمر يا عمرو ان الله قد فتح على المسلمين مصر وهى كثيرة الخير والطعام وقد ألقى فى روعى لما احببت من الرفق باهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر وجعلها قوّة لهم ولجميع المسلمين أن احفر خليجا من نيلها حتى يسيل فى البحر فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام الى المدينة ومكة فان حمله على الظهر يبعد ولا نبلغ به ما نريد فانطلق انت وأصحابك فتشاوروا فى ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من أهل مصر فثقل ذلك عليهم وقالوا نتخوّف أن يدخل من هذا ضرر على مصر فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له ان هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد اليه سبيلا فرجع عمرو بذلك الى عمر فضحك عمر رضى الله عنه حين رآه وقال

والذى نفسى بيده لكأنى انظر اليك يا عمرو والى أصحابك حين اخبرتهم بما أمرنا به من حفر الخليج فثقل ذلك عليهم وقالوا يدخل من هذا ضرر على أهل مصر فترى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له ان هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد اليه سبيلا فعجب عمرو من قول عمر وقال صدقت والله يا امير المؤمنين لقد كان الامر على ماذكرت فقال له عمر رضى الله عنه انطلق بعزيمة منى حتى تجد فى ذلك ولا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه ان شاء الله تعالى فانصرف عمرو وجمع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد ثم احتفر الخليج فى حاشية الفسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين فساقه من النيل الى القلزم فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن فحمل فيه ما اراده من الطعام الى المدينة ومكة فنفع الله بذلك أهل الحرمين وسمى خليج امير المؤمنين ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع فصار منتهاه الى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم قال و يقال ان عمر رضى الله عنه قال لعمرو حين قدم عليه يا عمرو ان العرب قد تشاءمت بى وكادت أن تغلب على رحلى وقد عرفت الذى اصابها وليس بجند من الاجناد ارجى عندى أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك فان استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله تعالى فقال عمرو ماشئت يا أمير المؤمنين قد عرفت انه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الاسلام فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستد وتركه التجار فان شئت أن نحفره فننشئ فيه سفنا يحمل فيها الطعام الى الحجاز فعلته فقال عمر رضى الله عنه نعم فافعل فلما خرج عمرو من عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكر ذلك لرؤساء أهل أرضه من قبط مصر فقالوا له ماذا جئت به اصلح الله الامير تريد أن تخرج طعام أرضك وخصبها الى الحجاز وتخرب هذه فان استطعت فاستقل من ذلك فلما ودع عمر رضى الله عنه قال له يا عمرو انظر الى ذلك الخليج ولا تنسين حفره فقال له يا أمير المؤمنين انه قد انسد وتدخل فيه نفقات عظيمة فقال له أما والذى نفسى بيده انى لاظنك حين خرجت من عندى حدثت بذلك أهل أرضك فعظموه عليك وكرهوا ذلك أعزم عليك الا ما حفرته وجعلت فيه سفنا فقال عمرو يا أمير المؤمنين انه متى ما يجد أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا يخفوا الى الجهاد قال فانى سأجعل من ذلك أمرا لا يحمل فى هذا البحر الا رزق أهل المدينة وأهل مكة فحفره عمرو وعالجه وجعل فيه السفن قال ويقال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى عمرو بن العاص الى العاصى ابن العاصى فانك لعمرى لا تبالى اذا سمنت انت ومن معك أن اعجف انا ومن معى فيا غوثاه ويا غوثاه فكتب اليه عمرو أما بعد فيا لبيك ثم يا لبيك اتتك عير اولها عندك وآخرها عندى مع انى ارجو أن اجد السبيل الى أن احمل اليك فى البحر ثم ان عمرا ندم على كتابه فى الحمل الى المدينة فى البحر وقال ان امكنت عمر من هذا اخرب مصر ونقلها الى المدينة فكتب اليه انى نظرت فى أمر البحر فاذا هو عسر ولا يلتام ولا يستطاع فكتب اليه عمر رضى الله عنه الى العاصى ابن العاصى قد بلغنى كتابك تعتل فى الذى كنت كتبت اليك به من أمر البحر وايم الله لتفعلن او لاقلعن باذنك ولابعثن من يفعل ذلك فعرف عمرو أنه الجد من عمر رضى الله عنه ففعل فبعث اليه عمر رضى الله عنه أن لا تدع بمصر شيأ من طعامها وكسوتها و بصلها وعدسها وخلها الا بعثت الينا منه قال و يقال ان الذى دل عمرو بن العاص على الخليج رجل من القبط فقال لعمرو ارأيت ان دللتك على مكان تجرى فيه السفن حتى تنتهى الى مكة والمدينة اتضع عنى الجزية وعن أهل بيتى قال نعم فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه أن افعل فلما قدمت السفن خرج عمر رضى الله عنه حاجا أو معتمرا فقال للناس سيروا بنا ننظر الى السفن التى سيرها الله تعالى الينا من أرض فرعون حتى أتتنا فأتى الجار وقال اغتسلوا من ماء البحر فانه مبارك فلما قدمت السفن الجار وفيها الطعام صك عمر رضى الله عنه للناس بذلك الطعام صكوكا فتبايع التجار الصكوك بينهم قبل أن يقبضوها فلقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العلاء بن الاسود رضى الله عنه فقال كم ربح حكيم بن حزام فقال ابتاع من صكوك الجار بمائة ألف درهم وربح عليها مائة ألف فلقيه عمر رضى الله عنه فقال له يا حكيم كم ربحت فأخبره بمثل خبر العلاء قال عمر رضى الله عنه فبعته قبل أن تقبضه قال نعم قال عمر رضى الله عنه فان هذا بيع لا يصح فاردده فقال حكيم ما علمت أن هذا بيع لا يصح وما اقدر على رده فقال عمر رضى الله عنه لا بد فقال حكيم والله ما أقدر على ذلك وقد تفرق وذهب ولكن رأس مالى وربحى صدقة * وقال القضاعى فى ذكر الخليج أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص عام الرمادة بحفر الخليج الذى بحاشية الفسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين

فساقه

فساقه من النيل الى القلزم فلم يات عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيه ما أراد من الطعام الى المدينة ومكة فنفع الله تعالى بذلك أهل الحرمين فسمى خليج امير المؤمنين * وذكر الكندى فى كتاب الجند العربى أن عمرا حفره فى سنة ثلاث وعشرين وفرغ منه فى ستة أشهر وجرت فيه السفن ووصلت الى الحجاز فى الشهر السابع ثم بنى عليه عبد العزيز بن مروان قنطرة فى ولايته على مصر قال ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه عمر بن عبد العزيز ثم اضاعته الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع وصار منتهاه الى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم وقال ابن قديد أمر أبو جعفر المنصور بسد الخليج حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنه الطعام فسد الى الآن وذكر البلاذرى أن اباجعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال يكتب الساعة الى مصر أن تقطع الميرة عن أهل الحرمين فانهم فى مثل الحرجة اذا لم تأتهم الميرة من مصر * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة لفتح الخليج وهذا الخليج هو الذى حفره عمرو بن العاص لما ولى على مصر فى ايام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بحر فسطاط مصر الحلو وألحقه بالقلزم بشاطئ البحر الملح فكانت مسافته خمسة أيام لتقرب معونة الحجاز من ديار مصر فى أيام النيل فالمراكب النيلية تفرغ ما تحمله من ديار مصر بالقلزم فاذا افرغت حملت ما فى القلزم مما وصل من الحجاز وغيره الى مصر وكان مسلكا للتجار وغيرهم فى وقته المعلوم وكان اول هذا الخليج من مصر يشق الطريق الشارع المسلوك منه اليوم الى القاهرة حافا بالقربوص الذى على البستان المعروف بابن كيسان مادا وآثاره اليوم مادة باقية الى الحوض المعروف بسيف الدين حسين صهر ابن رزيك والبستان المعروف بالمشتهى وفيه آثار المنظرة التى كانت معدة لجلوس الخليفة لفتح الخليج من هذا الطريق ولم تكن الآدر المبنية على الخليج ولا شئ منها هنالك وما برح هذا الخليج متنزها لاهل القاهرة يعبرون فيه بالمراكب للنزهة الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج المعروف الآن بالخليج الناصرى * قال المسبحى وفى هذا الشهر يعنى المحرم سنة احدى وأربعمائة منع الحاكم بأمر الله من الركوب فى القوارب الى القاهرة فى الخليج وشدد فى المنع وسدت أبواب القاهرة التى يتطرق منها الى الخليج وأبواب الطاقات من الدور التى تشرف على الخليج وكذلك أبواب الدور والخوخ التى على الخليج * قال القاضى الفاضل فى متجددات حوادث سنة أربع وتسعين وخمسمائة ونهى عن ركوب المتفرجين فى المراكب فى الخليج وعن اظهار المنكر ومن ركوب النساء مع الرجال وعلق جماعة من رؤساء المراكب بأيديهم قال وفى يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان ظهر فى هذه المدة من المنكرات مالم يعهد فى مصر فى وقت من الاوقات ومن الفواحش ما خرج من الدور الى الطرقات وجرى الماء فى الخليج بنعمة الله تعالى بعد القنوط ووقوف الزيادة فى الذراع السادس عشر فركب أهل الخلاعة وذووا البطالة فى مراكب فى نهار شهر رمضان ومعهم النساء الفواجر وبأيديهن المزاهر يضربن بها وتسمع اصواتهن ووجوههن مكشوفة وحرفاؤهن من الرجال معهن فى المراكب لا يمنعون عنهن الايدى ولا الابصار ولا يخافون من أمير ولا مأمور شيأ من اسباب الانكار وتوقع أهل المراقبة ما يتلو هذا الخطب من المعاقبة * وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون وفى سنة ست وسبعمائة رسم الاميران بيبرس وسلار بمنع الشخاتير والمراكب من دخول الخليج الحاكمى والتفرج فيه بسبب ما يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات اللاتى تجمع الخمر وآلات الملاهى والنساء المكشوفات الوجوه المتزينات بأفخر زينة من كوافى الزركش والقنابيز والحلى العظيم ويصرف على ذلك الاموال الكثيرة ويقتل فيه جماعة عديدة ورسم الاميران المذكوران لمتولى الصناعة بمصر أن يمنع المراكب من دخول الخليج المذكور الا ما كان فيه غلة أو متجر او ما ناسب ذلك فكان هذا معدودا من حسناتهما ومسطورا فى صحائفهما قال مؤلفه رحمه الله تعالى اخبرنى شيخ معمر ولد بعد سنة سبعمائة يعرف بمحمد المسعودى انه ادرك هذا الخليج والمراكب تمر فيه بالناس للنزهة وانها كانت تعبر من تحت باب القنطرة غادية ورائحة والآن لا يمر بهذا الخليج من المراكب الا ما يحمل متاعا من متجر أو نحوه وصارت مراكب النزهة والتفرج انما تمر فى الخليج الناصرى فقط وعلى هذا الخليج الكبير فى زماننا هذا أربع عشرة قنطرة يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى فى القناطر وحافتا هذا الخليج الآن معمورتان بالدور وسيأتى ان شاء الله ذكر ذلك فى مواضعه من هذا الكتاب وقال ابن سعد وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافى

مازالت الانحاء تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت فى نور الكتان الذى على جانبى هذا الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه باجفان لها حدق
قد سل سيفا عليه للصبا شطب * فقابلته بأحداق بها ارق
واصبحت فى يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فقم نزرها ووجه الارض متضح * أو عند صفرته ان كنت تغتبق

قال وقد ذكر مصر ولا ينكر فيها اظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق وعليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمجانة حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبيه بالليل منظر فتان وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر وفى ذلك اقول

لا تركبن فى خليج مصر * الا اذا يسدل الظلام
فقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد أطلا * سلاح ما بينهم كلام
ياسيدى لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام
والليل ستر على التصابى * عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه * منها دنانير لا ترام
وهو قد امتد والمبانى * عليه فى خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك أثمارها الآثام

وقال ابن عبد الظاهر عن مختصر تاريخ ابن المأمون ان اول من رتب حفر خليج القاهرة على الناس المأمون ابن البطائحى وكذلك على أصحاب البساتين فى دولة الافضل وجعل عليه واليا بمفرده ولله در الاسعد بن خطير المماتى حيث يقول

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائى مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم فى مجره

وقال بهاء الدين أبو الحسن على بن الساعاتى فى يوم كسر الخليج

ان يوم الخليج يوم من الحسـ * ـن بديع المرئى والمسموع
كم لديه من ليث غاب صؤول * ومهاة مثل الغزال المروع
وعلى السد عزة قبل أن تـ * ـلكه ذلة المحب الخضوع
كسروا جسره هناك فحاكى * كسر قلب يتلوه فيض دموع

(ذكر خليج فم الخور وخليج الذكر)

قال ابن سيده فى كتاب المحكم فى اللغة الخور مصب الماء فى البحر وقيل هو خليج من البحر والخور المطمئن من الارض وخليج فم الخور يخرج الآن من بحر النيل ويصب فى الخليج الناصرى ليقوى جرى الماء فيه ويغزره وكان قبل أن يحفر الخليج الناصرى بعد خليج الذكر وكان أصله ترعة يدخل منها ماء النيل للبستان الذى عرف بالمقسى ثم وسع قال ابن عبد الظاهر وكان يخرج من البحر للمقسى الماء فى البرابخ فوسعه الملك الكامل وهو خليج الذكر ويقال ان خليج الذكر حفره كافور الاخشيدى فلما زال البستان المقسى فى أيام الخليفة الظاهر بن الحاكم وجعله بركة قدام المنظرة المعروفة باللؤلؤة صار يدخل الماء اليها من هذا الخليج وكان يفتح هذا الخليج قبل الخليج الكبير ولم يزل حتى أمر الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة بحفره فحفر واوصل بالخليج الكبير وشرع الامراء والجند فى حفره من اخريات جمادى الآخرة فلما فتح كادت القاهرة

أن تفرق فسدت القنطرة التي عليه فهدمها الماء ومن حينئذ عزم السلطان على حفر الخليج الناصري وانا ادركت آثاره وفيه ينبت القصب المسمى بالفارسي وأخبرني الشيخ المعمر حسام الدين حسين بن عمر الشهرزوري انه يعرف خليج الذكر هذا وفيه الماء وسبح فيه غير مرة وأراني آثاره وكان الماء يدخل اليه من تحت قنطرة الذكر الآتي ذكرها في القناطر ان شاء الله تعالى وعلى خليج فم الخور الآن قنطرة وعلى خليج الذكر قنطرة يأتي ذكرهما ان شاء الله تعالى عند ذكر القناطر وانما قيل له خليج الذكر لان بعض امراء الملك الظاهر ركن الدين بيبرس كان يعرف بشمس الدين الذكر الكركي كان له فيه اثر من حفره فعرف به وكان للناس عند هذا الخليج مجتمع يكثر فيه لهوهم ولعبهم * قال المسبحي وفي يوم الثلاثاء لخمس بقين منه يعني المحرم سنة خمس عشرة وأربعمائة كان ثالث الفتح فاجتمع بقنطرة المقس عند كنيسة المقس من النصارى والمسلمين في الخيام المنصوبة وغيرها خلق كثير للاكل والشرب واللهو ولم يزالوا هنالك الى أن انقضى ذلك اليوم وركب أمير المؤمنين يعني الظاهر لاعزاز دين الله أبا الحسن علي بن الحاكم بامر الله في مركبه الى المقس وعليه عمامة شرب مفوطة بسواد وثوب ديبقي من شكل العمامة ودار هنالك طويلا وعاد الى قصره سالما وشوهد من سكر النساء وتهتكهن وحملهن في قفاف الحمالين سكارى واجتماعهن مع الرجال أمر يقبح ذكره

* (ذكر الخليج الناصري) *

هذا الخليج يخرج من بحر النيل ويصب في الخليج الكبير وكان سبب حفره أن الملك الناصر محمد بن قلاون لما أنشأ القصور والخانقاه بناحية سرياقوس وجعل هنالك ميدانا يسرح اليه وابطل ميدان القبق المعروف بالميدان الاسود ظاهر باب النصر من القاهرة وترك المسطبة التي بناها بالقرب من بركة الحبش لطعم الطيور والجوارح اختار أن يحفر خليجا من بحر النيل لتمر فيه المراكب الى ناحية سرياقوس لحمل ما يحتاج اليه من الغلال وغيرها فتقدم الى الامير سيف الدين ارغون نائب السلطنة بديار مصر بالكشف عن عمل ذلك فنزل من قلعة الجبل بالمهندسين وأرباب الخبرة الى شاطئ النيل وركب النيل فلم يزل القوم في فحص وتفتيش الى أن وصلوا بالمراكب الى موردة البلاط من اراضي بستان الخشاب فوجدوا ذلك الموضع اوطأ مكان يمكن أن يحفر الا أن فيه عدة دور فاعتبروا فم الخليج من موردة البلاط وقدروا انه اذا حفر مر الماء فيه من موردة البلاط الى الميدان الظاهري الذي أنشأ الملك الناصر بستانا ويمر من البستان الى بركة قرموط حتى ينتهي الى ظاهر باب البحر ويمر من هنالك على ارض الطبالة فيصب في الخليج الكبير فلما تعين لهم ذلك عاد النائب الى القلعة وطالعه بما تقرر فبرز أمره لسائر أمراء الدولة باحضار الفلاحين من البلاد الجارية في اقطاعاتهم وكتب الى ولاة الاعمال بجمع الرجال لحفر الخليج فلم يمض سوى ايام قلائل حتى حضر الرجال من الاعمال وتقدم الى النائب بالنزول للحفر ومعه الحجاب فنزل لعمل ذلك وقاس المهندسون طول الحفر من موردة البلاط حيث تعين فم الخليج الى أن يصب في الخليج الكبير وألزم كل أمير من الامراء بعمل أقصاب فرضت له فلما أهل شهر جمادى الاولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقع الشروع في العمل فبدؤا بهدم ما كان هنالك من الاملاك التي من جهة باب اللوق الى بركة قرموط وحصل الحفر في البستان الذي كان للنائب فأخذوا منه قطعة ورسم أن يعطى أرباب الاملاك اثمانها فمنهم من باع ملكه وأخذ ثمنه من مال السلطان ومنهم من هدم داره ونقل أنقاضها فهدمت عدة دور ومساكن جليلة وحفر في عدة بساتين فانتهى العمل في سلخ جمادى الآخرة على رأس شهرين وجرى الماء فيه عند زيادة النيل فأنشأ الناس عدة سواق وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها فسر السلطان بذلك وحصل للناس رفق وقويت رغبتهم فيه فاشتروا عدة اراض من بيت المال غرست فيها الاشجار وصارت بساتين جليلة وأخذ الناس في العمارة على حافتي الخليج فعمر ما بين المقس وساحل النيل ببولاق وكثرت العمائر على الخليج حتى اتصلت من أوله بموردة البلاط الى حيث يصب في الخليج الكبير بأرض الطبالة وصارت البساتين من وراء الاملاك المطلة على الخليج وتنافس الناس في السكنى هنالك وأنشأوا الحمامات والمساجد والاسواق وصار هذا الخليج مواطن افراح ومنازل لهو ومغنى صبابات وملعب أتراب ومحل تيه وقصف فيما يمر فيه من المراكب وفيما عليه من الدور وما برحت مراكب النزهة تمر فيه بأنواع الناس على سبيل اللهو الى أن منعت المراكب منه بعد قتل الاشرف كما يرد عند ذكر القناطر ان شاء الله تعالى

(ذكر خليج قنطرة الفخر)

هذا الخليج يبتدئ من الموضع الذي كان ساحل النيل ببولاق وينتهي الى حيث يصب في الخليج الناصري ويصب أيضا في خليج لطيف تسقي منه عدة بساتين وكل من هذين الخليجين معمور الجانبين بالاملاك المطلة عليه والبساتين وجميع المواضع التي يمر فيها الخليج الناصري وأرض هذين الخليجين كانت غامرة بالماء ثم انحسر عنها الماء شيأ بعد شئ كما ذكر في ظواهر القاهرة وهذا الخليج حفر بعد الخليج الناصري

(ذكر القناطر)

اعلم أن قناطر الخليج الكبير عدتها الآن أربع عشرة قنطرة وعلى خليج فم الخور قنطرة واحدة وعلى خليج الذكر قنطرة واحدة وعلى الخليج الناصري خمس قناطر وعلى بحر أبي المنجا قنطرة عظيمة وبالجيزة عدة قناطر

(ذكر قناطر الخليج الكبير)

قال القضاعي القنطرتان اللتان على هذا الخليج يعني خليج مصر الكبير أما التي في طرف الفسطاط بالحمراء القصوى فان عبد العزيز بن مروان بن الحكم بناها في سنة تسع وستين وكتب عليها اسمه وابتنى قناطر غيرها وكتب على هذه القنطرة المذكورة هذه القنطرة أمر بها عبد العزيز بن مروان الامير اللهم بارك له في امره كله وثبت سلطانه على ما ترضى وأقر عينه في نفسه وحشمه آمين وقام ببنائها سعد أبو عثمان وكتب عبد الرحمن في صفر سنة تسع وستين ثم زاد فيها تكين امير مصر في سنة ثمان عشرة وثلثمائة ورفع سمكها ثم زاد عليها الاخشيد في سنة احدى وثلاثين وثلثمائة ثم عمرت في ايام العزيز بالله وقال ابن عبد الظاهر وهذه القنطرة ليس لها أثر في هذا الزمان قلت موضعها الآن خلف خط السبع سقايات وهذه القنطرة هي التي كانت تفتح عند وفاء النيل في زمن الخلفاء فلما انحسر النيل عن ساحل مصر اليوم اهملت هذه القنطرة وعملت قنطرة السد عند فم بحر النيل فان النيل كان قد ربي الجرف حيث غيط الجرف الذي على يمنة من سلك من المراغة الى باب مصر بجوار الكبارة * (قنطرة السد) هذه القنطرة موضعها مما كان غامرا بماء النيل قديما وهي الآن يتوصل من فوقها الى منشأة المهراني وغيرها من بر الخليج الغربي وكان النيل عند انشائها يصل الى الكوم الاحمر الذي هو جانب الخليج الغربي الآن تجاه خط بين الزقاقين فان النيل كان قد ربي جرفا قدام الساحل القديم كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فأهملت القنطرة الاولى لبعد النيل وقدمت هذه القنطرة الى حيث كان النيل ينتهي وصار يتوصل منها الى بستان الخشاب الذي موضعه اليوم يعرف بالمريس وما حوله وكان الذي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في أعوام بضع وأربعين وستمائة ولها قوسان وعرفت الآن بقنطرة السد من اجل أن النيل لما انحسر عن الجانب الشرقي وانكشفت الاراضي التي عليها الآن خط بين الزقاقين الى موردة الحلفاء وموضع الجامع الجديد الى دار النحاس وما وراء هذه الاماكن الى المراغة وباب مصر بجوار الكبارة وانكشف من اراضي النيل أيضا الموضع الذي يعرف اليوم بمنشأة المهراني صار ماء النيل اذا ابتدت زيادته يجعل عند هذه القنطرة سد من التراب حتى يسند الماء اليه الى أن تنتهي الزيادة الى ست عشرة ذراعا فيفتح السد حينئذ ويمر الماء في الخليج الكبير كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب والامر على هذا الى اليوم * (قناطر السباع) هذه القناطر جانبها الذي يلي خط السبع سقايات من جهة الحمراء القصوى وجانبها الآخر من جهة جنان الزهري وأول من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ونصب عليها سباعا من الحجارة فان رنكه كان على شكل سبع فقيل لها قناطر السباع من اجل ذلك وكانت عالية مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان السلطاني في موضع بستان الخشاب حيث موردة البلاط وتردد اليه كثيرا صار لا يمر اليه من قلعة الجبل حتى يركب قناطر السباع فتضرر من علوها وقال للامراء ان هذه القنطرة حين اركب الى الميدان واركب عليها يتألم ظهري من علوها ويقال انه أشاع هذا وانما القصد انما هو كراهته لنظر أثر أحد من الملوك قبله وبغضه أن يذكر لاحد غيره شئ يعرف به وهو كلما يمر بها يرى السباع التي هي رنك الملك الظاهر فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة اليه ومعروفة به كما كان يفعل دائما في محو آثار من تقدمه وتخليد ذكره ومعرفة الآثار به ونسبتها له فاستدعى الامير

علاء الدين علي بن حسن المرواني والي القاهرة وشاد الجهات وأمره بهدم قناطر السباع وعمارتها اوسع مما كانت بعشرة أذرع وأقصر من ارتفاعها الاول فنزل ابن المرواني وأحضر الصناع ووقف بنفسه حتى انتهت في جمادي الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة في أحسن قالب على ماهي عليه الآن ولم يضع سباع الحجر عليها وكان الامير الطنبغا المارديني قد مرض ونزل الى الميدان السلطاني فأقام به ونزل اليه السلطان مرارا فبلغ المارديني ما يتحدث به العامة من أن السلطان لم يخرب قناطر السباع الاحتى تبقى باسمه وانه رسم لابن المرواني أن يكسر سباع الحجر ويرميها في البحر واتفق انه عوفي عقيب الفراغ من بناء القنطرة وركب الى القلعة فسر به السلطان وكان قد شغف به حبا فسأله عن حاله وحادثه الى أن جرى ذكر القنطرة فقال له السلطان اعجبتك عمارتها فقال والله ياخوند لم يعمل مثلها ولكن ما كملت فقال كيف قال السباع التي كانت عليها لم توضع مكانها والناس يتحدثون أن السلطان له غرض في ازالتها لكونها رنك سلطان غيره فامتغص لذلك وامر في الحال باحضار ابن المرواني وألزمه باعادة السباع على ما كانت عليه فبادر الى تركيبها في أماكنها وهي باقية هنالك الى يومنا هذا الاأن الشيخ محمدا المعروف بصائم الدهر شوه صورها كما فعل بوجه أبي الهول ظنا منه أن هذا الفعل من جملة القربات ولله در القائل

وانما غاية كل من وصل * صيد الدنيا بأنواع الحيل

* (قنطرة عمر شاه) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل منها الى بر الخليج الغربي * (قنطرة طقزدمر) هذه القنطرة على الخليج الكبير بخط المسجد المعلق يتوصل منها الى بر الخليج الغربي وحكر فوصون وغيره * (قنطرة اق سنقر) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من خط قبو الكرماني ومن حارة البديعيين التي تعرف اليوم بالحبانية ويمر من فوقها الى بر الخليج الغربي وعرفت بالامير اق سنقر شاد العمائر السلطانية في ايام الملك الناصر محمد بن قلاون عمرها لما أنشأ الجامع بالبركة الناصرية ومات بدمشق سنة أربعين وسبعمائة * (قنطرة باب الخرق) يقال للارض البعيدة التي تخترقها الريح لاستوائها الخرق وهذه القنطرة على الخليج الكبير كان موضعها ساحلا وموردة للسقائين في ايام الخلفاء الفاطميين فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب الميدان السلطاني بأرض اللوق وعمر به المناظر في سنة تسع وثلاثين وستمائة أنشأ هذه القنطرة ليمر عليها الى الميدان المذكور وقيل لها قنطرة باب الخرق * (قنطرة الموسكي) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من باب الخوخة وباب القنطرة ويمر فوقها الى بر الخليج الغربي أنشأها الامير عز الدين موسك قريب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان خيرا يحفظ القرآن الكريم ويواظب على تلاوته ويحب أهل العلم والصلاح ويؤثرهم ومات بدمشق يوم الاربعاء ثامن عشري شعبان سنة أربع وثمانين وخمسمائة * (قنطرة الامير حسين) هذه القنطرة على الخليج الكبير ويتوصل منها الى بر الخليج الغربي فلما أنشأ الامير سيف الدين حسين بن أبي بكر بن اسماعيل بن حيدر بك الرومي الجامع المعروف بجامع الامير حسين في حكر جوهر النوبي أنشأ هذه القنطرة ليصل من فوقها الى الجامع المذكور وكان يتوصل اليها من باب القنطرة فثقل عليه ذلك واحتاج الى أن فتح في السور الخوخة المعروفة بخوخة الامير حسين من الوزيرية فصارت تجاه هذه القنطرة وقد ذكر خبرها عند ذكر الخوخ من هذا الكتاب والله تعالى اعلم * (قنطرة باب القنطرة) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من القاهرة ويمر فوقها الى المقس وأرض الطبالة وأول من بناها القائد جوهر لما نزل بمناخه وأدار السور عليه وبنى القاهرة ثم قدم عليه القرمطي فاحتاج الى الاستعداد لمحاربته فحفر الخندق وبنى هذه القنطرة على الخليج عند باب جنان أبي المسك كافور الاخشيدي الملاصق للميدان والبستان الذي للامير أبي بكر محمد الاخشيد ليتوصل من القاهرة الى المقس وذلك في سنة ثنتين وستين وثلثمائة وبها تسمى باب القنطرة وكانت مرتفعة بحيث تمر المراكب من تحتها وقد صارت في هذا الوقت قريبة من ارض الخليج لا يمكن المراكب العبور من تحتها وتسد بأبواب خوفا من دخول الزعار الى القاهرة * (قنطرة باب الشعرية) هذه القنطرة على الخليج الكبير يسلك اليها من باب الفتوح ويمشي من فوقها الى أرض الطبالة وتعرف اليوم بقنطرة الخروبي * (القنطرة الجديدة) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من زقاق الكحل وخط جامع الظاهر ويتوصل منها الى ارض الطبالة والى منية الشيرج وغير ذلك أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة خمس وعشرين

وسبعمائة عند ما انتهى حفر الخليج الناصرى وكان ما على جانبى الخليج من القنطرة الجديدة هذه الى قناطر الاوز عامرا بالاملاك ثم خربت شيأ بعد شئ من حين حدث فصل البارده بعد سنة ستين وسبعمائة وفحش الخراب هناك منذ كانت سنة الشراقى فى زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة فلما غرقت الحسينية بعد سنة الشراقى خربت المساكن التى كانت فى شرقى الخليج ما بين القنطرة الجديدة وقناطر الاوز وأخذت أنقاضها وصارت هذه البرك الموجودة الآن * (قناطر الاوز) هذه القناطر على الخليج الكبير يتوصل اليها من الحسينية ويسلك من فوقها الى اراضى البعل وغيرها وهى أيضا مما أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأدركت هناك أملاكا مطلة على الخليج بعد سنة ثمانين وسبعمائة وهذه القناطر من أحسن منتزهات أهل القاهرة أيام الخليج لما يصير فيه من الماء ولما على حافته الشرقية من البساتين الانيقة الا انها الآن قد خربت وتجاه هذه القنطرة منظرة البعل التى تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء وبقيت آثارها الى الآن أدركناها يعطن فيها الكتان وبها عرفت الارض التى هناك فسميت الى الآن بأرض البعل وكان هناك صف من شجر السنط قد امتد من تجاه قناطر الاوز الى منظرة البعل وصار فاصلا بين مزرعتين يجلس الناس تحته فى يومى الاحد والجمعة للنزهة فيكون هناك من أصناف الناس رجالهم ونسائهم ما لا يقع عليه حصر ويباع هناك مآكل كثيرة وكان هناك حانوت من طين تجاه القنطرة يباع فيها السمك ادركتها وقد استؤجرت بخمسة آلاف درهم فى السنة عنها يومئذ نحو مائتين وخمسين مثقالا من الذهب على انه لا يباع فيها السمك الا نحو ثلاثة اشهر أو دون ذلك ولم يزل هذا السنط الى نحو سنة تسعين وسبعمائة فقطع والى اليوم تجتمع الناس هناك ولكن شتان بين ما أدركنا وبين ما هو الآن وقيل لها قناطر الاوز * (قناطر بنى وائل) هذه القناطر على الخليج الكبير تجاه التاج أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعرفت بقناطر بنى وائل من اجل انه كان بجانبها عدة منازل يسكنها عرب ضعاف بالجانب الشرقى يقال لهم بنو وائل ولم يزالوا هناك الى نحو سنة تسعين وسبعمائة وكان بجانب هذه القناطر من الجانب الغربى مقعد أحدثه الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى لاخذ المكوس واستمر مدة ثم خرب ولم ير أحسن منظرا من هذه القنطرة فى ايام النيل وزمن الربيع * (قنطرة الاميرية) هذه القنطرة هى آخر ما على الخليج الكبير من القناطر بضواحى القاهرة وهى تجاه الناحية المعروفة بالاميرية فيما بينها وبين المطرية أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعند هذه القنطرة ينسد ماء النيل اذا فتح الخليج عند وفاء زيادة النيل ست عشرة ذراعا فلا يزال الماء عند سد الاميرية هذا الى يوم النوروز فيخرج والى القاهرة اليه ويشهد على مشايخ أهل الضواحى بتغليق أراضى نواحيهم بالرى ثم يفتح هذا السد فيمر الماء الى جسر شيبين القصر ويسد عليه حتى يروى ما على جانبى الخليج من البلاد فلا يزال الماء واقفا عند سد شيبين الى يوم عيد الصليب وهو اليوم السابع عشر من النوروز فيفتح حينئذ بعد شمول الرى جميع تلك الاراضى وليس بعد قنطرة الاميرية هذه قنطرة سوى قنطرة ناحية سرياقوس وهى أيضا انشاء الملك الناصر محمد بن قلاون وبعد قنطرة سرياقوس جسر شيبين القصر وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور من هذا الكتاب * (قنطرة الفخر) هذه القنطرة بجوار موردة البلاط من اراضى بستان الخشاب برأس الميدان وهى أول قنطرة عمرت على الخليج الناصرى على فمه أنشأها القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله بن خروف القبطى المعروف بالفخر ناظر الجيش فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة عند انتهاء حفر الخليج الناصرى ومات فى رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وقد أناف على السبعين سنة وتمكن فى الرياسة تمكنا كبيرا * (قنطرة قدادار) هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل اليها من اللوق ويمشى فوقها الى بر الخليج الناصرى مما يلى الفيل وأول ما وضعت كانت تجاه البستان الذى كان ميدانا فى زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان الموجود الآن بموردة البلاط من جملة اراضى بستان الخشاب فغرس فى الميدان الظاهرى الاشجار وصار بستانا عظيما كما ذكر ذلك فى موضعه من هذا الكتاب وعرفت هذه القنطرة بالامير سيف الدين قدادار مملوك الامير برلغى وكان من خبره أنه تنقل فى الخدم حتى ولى الغربية من أراضى مصر فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فلقى أهل البلاد منه شرا كثيرا ثم انتقل الى ولاية البحيرة فلما كان فى سنة أربع وعشرين

كثرت الشناعة فى القاهرة بسبب الفلوس وتعنت الناس فيها وامتنعوا من أخذها حتى وقف الحال وتحسن السعر وكان حينئذ يتقلد الوزارة الامير علاء الدين مغلطاى الجمالى ويتقلد ولاية القاهرة الامير علم الدين سنجر الخازن فلما توجه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون من قلعة الجبل الى السرحة بناحية سرياقوس بلغه توقف الحال وطمع السوقة فى الناس وأن متولى القاهرة فيه لين وانه قليل الحرمة على السوقة وكان السلطان كثير النفور من العامة شديد البغض لهم ويريد كل وقت من الخازن أن يبطش بالحرافيش ويؤثر فيهم آثارا قبيحة ويشهر منهم جماعة فلم يبلغ من ذلك غرضه فكرهه واستدعى الامير ارغون نائب السلطنة وتقدم اليه بالاغلاظ فى القول على الخازن بسبب فساد حال الناس وهم ببروز امره بالقبض عليه وأخذ ماله فما زال به النائب حتى عفا عنه وقال السلطان يعزله ويولى من ينفع فى مثل هذا الامر فاختار ولاية قدادار عوضه لما يعرف من يقظته وشهامته وجراءته على سفك الدما فاستدعاه من البحيرة وولاه ولاية القاهرة فى أول شهر رمضان من السنة المذكورة فأول ما بدأ به أن احضر الخبازين والباعة وضرب كثيرا منهم بالمقارع ضربا مبرحا وسمر عدة منهم فى دراريب حوانيتهم ونادى فى البلد من رد فلسا سمر ثم عرض اهل السجن ووسط جماعة من المفسدين عند باب زويلة فهابته العامة وذعروا منه وأخذ يتتبع من عصر خمرا واحضر عريف الحمالين وألزمه باحضار من كان يحمل العنب فلما حضروا عنده استملاهم اسماء من يشترى العنب ومواضع مساكنهم ثم أحضر خفراء الحارات والاخطاط ولم يزل بهم حتى دلوه على سائر من عصر الخمر فاشتهر ذلك بين الناس وخافوه فحول أهل حارة زويلة وأهل حارتى الروم والديلم وغير ذلك من الاماكن ما عندهم من الخمر وصبوها فى البلاليع والاقنية وألقوها فى الازقة وبذلوا المال لمن يأخذها منهم فحصل لكثير من العامة والاطراف منها شئ كثير حتى صارت تباع كل جرة خمر بدرهم ويمر الناس بأبواب الدور والازقة فترى من جرار الخمر شيأ كثيرا ولا يقدر أحد أن يتعرض لشئ منها ثم ركب وكبس خط باب اللوق وأخذ منه شيأ كثيرا من الحشيش وأحرقه عند باب زويلة واستمر الحال مدة شهر ما من يوم الا ويهرق فيه خمر عند باب زويلة ويحرق حشيش فطهر الله به البلد من ذلك جميعه وتتبع الزعار وأهل الفساد فخافوه وفروا من البلد فصار السلطان يشكره ويثنى عليه لما يبلغه من ذلك وأما العامة فانه ثقل عليها وكرهته حتى انه لما تأمر ابن الامير بكتمر الساقى وركب الى القبة المنصورية على العادة ومعه أبوه والنائب وسائر الامراء صاحت العامة للامير بكتمر الساقى يا أمير بكتمر بحياة ولدك اعزل هذا الظالم ورد علينا والينا يعنون الخازن فلما عرف بكتمر السلطان ذلك اعجبه وقال يا امير ما تخشى العامة والسوقة الا ظالما مثل هذا اما يخاف الله تعالى وزاد اعجاب السلطان به حتى قال له لا تشاور فى امر المفسدين فلم يغتر بذلك ورفع اليه جميع ما يتفق له وشاوره فى كل جليل وحقير وقال له ان جماعة من الكتاب والتجار قد عصروا الخمر واستاذنه فى طلبهم ومصادرتهم فتقدم له بمشاورة النائب فى ذلك واعلامه أن السلطان قد رسم بالكشف عمن عصر من الكتاب والتجار الخمر فلما صار الى النائب وعرفه الخبر أهانه وقال ان السلطان لا يرضى بكبس بيوت الناس وهتك حرمهم وسترهم واقامة الشناعات وقام من فوره الى السلطان وعرفه ما يكون فى فعل ذلك من الفساد الكبير وما زال به حتى صرف رأيه عما اشار به قدادار من كبس الدور وأخذ الناس فى مماقتته والاخراق به فى كل وقت فانه كان يعنى بالخازن ولم يعجبه عزله عن الولاية فكثر جور قدادار وزاد تتبعه للناس ونادى أن لا يعمل أحد حلقة فيما بين القصرين ولا يسمر هناك وامر أن لا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة واقام عنه نائبا من بطالى الحسينية ضمن المسطبة منه فى كل يوم بثلثمائة درهم وانحصر الناس منه وضاقوا به ذرعا لكثرة ما هتك أستارهم وخرق بكثير من المستورين وتسلطت المستصنعة وأرباب المظالم على الناس وكانوا اذا رأوا سكران او شموا منه رائحة خمر أحضروه اليه فتوقى الناس شره وشكاه الامراء غير مرة الى السلطان فلم يلتفت لما يقال فيه والنائب مستمر على الاخراق به الى أن قبض عليه السلطان فخلا الجو لقدادار وأكثر من سفك الدماء واتلاف النفوس والتسلط على العامة لبغضهم اياه والسلطان يعجبه منه ذلك بحيث انه ابرز مرسوما لسائر عماله وولاته ان أحدا منهم لا يقتص ممن وجب عليه القصاص فى النفس او القطع الا أن يشاور فيه ويطالع بأمره ما خلا قدادار متولى القاهرة فانه لا يشاور على مفسد ولا غيره ويده مطلقة فى سائر الناس فدهى الناس منه بعظائم وشرع فى كبس بيوت السعداء ومشت جماعة من المستصنعين فى البلد

وكتبوا الاوراق ورموها فى بيوت الناس بالتهديد فكثرت اسباب الضرر وكثر بلاء الناس به وتعنت على الباعة ونادى أن لا يفتح أحد حانوته بعد عشاء الآخرة فامتنع الناس من الخروج بالليل حتى كانت المدينة فى الليل موحشة واستجد على كل حارة دربا وألزم الناس بعمل ذلك فجبيت بهذا السبب دراهم كثيرة وصار للخفراء فى الليل يدورون ومعهم الطبول فى كل خط فظفر بانسان قد سرق شيأ من بيت فى الليل وتزيا بزى النساء فسمره على باب زويلة وما زال على ذلك حتى كثرت الشناعة فعزله السلطان فى سنة تسع وعشرين بناصر الدين ابن المحسنى فأقام الى ايام الحج وسافر الى الحجاز ورجع وهو ضعيف فمات فى سادس عشر صفر سنة ثلاثين وسبعمائة * (قنطرة الكتبة) هذه القنطرة على الخليج الناصرى بخط بركة قرموط عرفت بذلك لكثرة من كان يسكن هناك من الكتاب أنشأها القاضى شمس الدين عبد الله بن أبى سعيد بن ابى السرور الشهير بغبريال بن سعيد ناظر الدولة وولى نظر الدواوين بدمشق فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة نقل اليها من نظر البيوت بديار مصر ثم استدعى من دمشق وقرر فى وظيفة ناظر النظار شريكا للقاضى شهاب الدين الاقفهسى واستقر كريم الدين الصغير مكانه ناظرا بدمشق وذلك فى شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة ثم صرف غبريال من النظر بديار مصر وسفر الى دمشق فى ثامن عشر صفر سنة ست وعشرين وطلب كريم الدين الصغير من دمشق ثم قرر فى مكان غبريال فى وظيفة النظر بديار مصر الخطير كاتب أرغون أخو الموفق واعيد غبريال الى نظر دمشق ومات بدمشق بعد ما صودر وأخذ منه نحو ألفى ألف درهم فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وادركنا الاملاك منتظمة بجانبى هذا الخليج من أوله بموردة البلاط الى هذه القنطرة ومن هذه القنطرة الى حيث يصب فى الخليج الكبير فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة شرع الناس فى هدم ما على هذا الخليج من المناظر البهجة والمساكن الجليلة وبيع أنقاضها حتى ذهب ما كان على هذا الخليج من المنازل ما بين قنطرة الفخر التى تقدم ذكرها وآخر خط بركة قرموط واصبحت موحشة قفراء بعد ما كانت مواطن أفراح ومغنى صبابات لا يأويها الا الغربان والبوم سنة الله فى الذين خلوا من قبل * (قنطرة المقسى) هذه القنطرة على خليج فم الخور وهو الذى يخرج من بحر النيل ويلتقى مع الخليج الناصرى عند الدكة فيصيران خليجا واحدا يصب فى الخليج الكبير كان موضعها جسرا يستند عليه الماء اذا ابتدأت الزيادة الى أن تكمل أربعة عشر ذراعا فيفتح ويمر الماء فيه الى الخليج الناصرى وبركة الرطلى ويتأخر فتح الخليج الكبير حتى يرقى الماء ستة عشر ذراعا فلما انطرد ماء النيل عن البر الشرقى بقى تجاه هذا الخليج فى ايام احتراق النيل رملة لا يصل اليها الماء الا عند الزيادة وصار يتأخر دخول الماء فى الخليج مدة واذا كسر سد الخليج الكبير عند الوفاء مر الماء بهذا الخليج مرورا قليلا وما زال موضع هذه القنطرة سدا الى أن كانت وزارة الصاحب شمس الدين أبى الفرج عبد الله المقسى فى ايام السلطان الملك الاشرف شعبان ابن حسين فأنشأ بهذا المكان القنطرة فعرفت به واتصلت العمائر أيضا بجانبى هذا الخليج من حيث يبتدئ الى أن يلتقى مع الخليج الناصرى ثم خرب اكثر ما عليه من العمائر والمساكن بعد سنة ست وثمانمائة وكان للناس بهذا الخليج مع الخليج الناصرى فى ايام النيل مرور فى المراكب للنزهة يخرجون فيه عن الحد بكثرة التهتك والتمتع بكل ما يلهى الى أن ولى امر الدولة بعد قتل الملك الاشرف شعبان بن حسين الاميران برقوق وبركة فقام الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر فى منع المراكب من المرور بالمتفرجين فى الخليج واستفتى شيخ الاسلام سراج الدين عمر ابن رسلان البلقينى فكتب له بوجوب منعهم لكثرة ما ينتهك فى المراكب من الحرمات ويتجاهر به من الفواحش والمنكرات فبرز مرسوم الاميرين المذكورين بمنع المراكب من الدخول الى الخليج وركبت سلسلة على قنطرة المقسى هذه فى شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانين وسبعمائة فامتنعت المراكب بأسرها من عبورها هذا الخليج الا أن يكون فيها غلة او متاع فقلق الناس لذلك وشق عليهم * وقال الشهاب احمد بن العطار الدنيسرى فى ذلك

حديث فم الخور المسلسل ماؤه * بقنطرة المقسى قد سار فى الخلق
الا فاعجبوا من مطلق ومسلسل * يقول لقد أوقفتم الماء فى حلقى

وقال

تسلسلت قنطرة المقسى مذ * ما قد جرى والمنع اضحى شاملا

وقال أهل طينة في مجنهم * قوموا بنا نقطع السلاسلا

ولم تزل مراكب الفرنجة ممتنعة من عبور الخليج الى أن زالت دولة الظاهر برقوق في سنة احدى وتسعين وسبعمائة فأذن في دخولها وهي مستمرة الى وقتنا هذا * (قنطرة باب البحر) هذه القنطرة على الخليج الناصري يتوصل اليها من باب البحر ويمر الناس من فوقها الى بولاق وغيره وهي مما أنشأه الملك الناصر محمد ابن قلاون عند انتهاء حفر الخليج الناصري في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد كان موضعها في القديم غامرا بالماء عندما كان جامع المقس مطلا على النيل فلما انحسر الماء عن برّ القاهرة صار ماقدام باب البحر رملة فاذا وقف الانسان عند باب البحر رأى البر الغربي لايحول بينه وبين رؤيته بنيان ولا غيره فاذا كان أوان زيادة ماء النيل صار الماء الى باب البحر وربما جلفط في بعض السنين خوفا من غرق المقس ثم لما طال المدى غرق خارج باب البحر بأرض باطن اللوق وغرس فيه الاشجار فصار بساتين ومزارع وبقي موضع هذه القنطرة جرفا ورمى الناس عليه التراب فصار كوما يشنق عليه أرباب الجرائم ثم نقل ماهنالك من التراب وأنشئت هذه القنطرة ونودي في الناس بالعمارة فأول مابني في غربي هذه القنطرة مسجد المهاميزي وبستانه ثم تتابع الناس في العمارة حتى انتظم مابين شاطئ النيل ببولاق وباب البحر عرضا ومابين منشأة المهراني ومنية الشيرج طولا وصار مايجانبي الخليج معمورا بالدور ومن ورائها البساتين والاسواق والحمامات والمساجد وتقسمت الطرق وتعددت الشوارع وصار خارج القاهرة من الجهة الغربية عدة مدائن * (قنطرة الحاجب) هذه القنطرة على الخليج الناصري يتوصل اليها من أرض الطبالة ويسير الناس عليها الى منية الشيرج وغيرها أنشأها الامير سيف الدين بكتمر الحاجب في سنة ست وعشرين وسبعمائة وذلك انه كانت أرض الطبالة بيده فلما شرع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون في حفر الخليج الناصري التمس بكتمر من المهندسين اذا وصلوا بالحفر الى حيث الجرف أن يمروا به على بركة الطوابين التي تعرف اليوم ببركة الرطلي وينتهوا من هنالك الى الخليج الكبير ففعلوا ذلك وكان قصدهم أولا انه اذا انتهى الحفر الى الجرف مروا فيه الى الخليج الكبير من طرف البعل فلما تهيأ لبكتمر ذلك عمرت له اراضي الطبالة كما يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى عند ذكر البرك فعمرت هذه القنطرة في سنة خمس وعشرين وسبعمائة واسند اليها جسرا عمله حاجزا بين بركة الحاجب المعروفة ببركة الرطلي وبين الخليج الناصري وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور ولما عمرت هذه القنطرة اتصلت العمائر فيما بينها وبين كوم الريش وعمر قبالتها ربع عرف بربع الزيتي وكان على ظهر القنطرة صفان من حوانيت وعليها سقيفة تقي حر الشمس وغيره فلما غرق كوم الريش في سنة بضع وستين وسبعمائة صار هذا الكوم الذي خارج القنطرة ومن تحت هذه القنطرة يصب الخليج الناصري في الخليج الكبير ويمر الى حيث القنطرة الجديدة وقناطر الاوز وغيرها كما تقدم ذكره * (قنطرة الدكة) هذه القنطرة كانت تعرف بقنطرة الدكة ثم عرفت بقنطرة التركماني من اجل أن الامير بدر الدين التركماني عمرها وهذه القنطرة كانت على خليج الذكر وقد انطم ماتحتها وصارت معقودة على التراب لتلاف خليج الذكر ولله در ابراهيم المعمار حيث يقول

يا طالب الدكة نلت المنى * وفزت منها ببلوغ الوطر
قنطرة من فوقها دكة * من تحتها تلقى خليج الذكر

(قناطر بحر أبي المنجا) هذه القناطر من أعظم قناطر مصر وأكبرها أنشأها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري في سنة خمس وستين وستمائة وتولى عمارتها الامير عز الدين ايبك الافرم * (قناطر الجيزة) قال في كتاب عجائب البنيان ان القناطر الموجودة اليوم في الجيزة من الابنية العجيبة ومن أعمال الجبابرين وهي نيف واربعون قنطرة عمرها الامير قراقوش الاسدي وكان على العمائر في ايام السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بما هدمه من الاهرام التي كانت بالجيزة وأخذ حجرها فبنى منه هذه القناطر وبنى سور القاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وكان خصيا روميا سامي الهمة وهو صاحب الاحكام المشهورة والحكايات المذكورة وفيه صنف الكتاب المشهور المسمى بالفاشوش في أحكام قراقوش وفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة تولى امر هذه القناطر من لابصيرة عنده فسد فارجاء أن يحبس الماء فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت ومع ذلك فاروي مارجا أن يروي وفي سنة ثمان وسبعمائة رسم الملك المظفر بيبرس الجاشنكير برمتها فعمر

ماخرب منها واصلح ما فسد فيها فحصل النفع بها وكان قراقوش لما أراد بناء هذه القناطر بنى رصيفا من حجارة ابتدأ به من حيز النيل بازاء مدينة مصر كأنه جبل ممتد على الارض مسيرة ستة اميال حتى يتصل بالقناطر

(ذكر البرك)

قال ابن سيده البركة مستنقع الماء والبركة شبه حوض يحفر فى الارض انتهى وقد رأيت بخط معتبر ما مثاله وملؤا البركة ماء فنصب الباء وكسر الراء وفتح الكاف والتاء *(بركة الحبش) هذه البركة كانت تعرف ببركة المغافر وتعرف ببركة حمير وتعرف أيضا باصطبل قرة وعرفت أيضا باصطبل قامش وهى من اشهر برك مصر وهى فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل وكانت من الموات فاستنبطها قرة بن شريك العبسى امير مصر وأحياها وغرسها قصبا فعرفت باصطبل قرة وعرفت أيضا باصطبل قامش وتنقلت حتى صارت تعرف ببركة الحبش ودخلت فى ملك أبى بكر المادرانى فجعلها وتفاتم أرصدت لبنى حسن وبنى حسين ابنى على بن أبى طالب رضى الله عنهم فلم تزل جارية فى الاوقاف عليهم الى وقتنا هذا قال أبو بكر الكندى فى كتاب الامراء وقدم قرة بن شريك من وفادته فى سنة ثلاث وتسعين فاستنبط الاصطبل لنفسه من الموات وأحياه وغرسه قصبا فكان يسمى اصطبل قرة ويسمى أيضا اصطبل القامش يعنون القصب كما يقولون قامش مروان وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر وكان الاصطبل للازد فاشتراه منهم الحكم بن أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان ابن الحكم فبناه وكان يجرى على الذى يقرأ فى المصحف الذى وضعوه فى المسجد الذى يقال له مصحف اسماء من كراه فى كل شهر ثلاثة دنانير فلما حيزت اموالهم يعنى اموال بنى أمية وضمت الى مال الله حيز الاصطبل فيما حيز وكتب بأمر المصحف الى امير المؤمنين أبى العباس السفاح فكتب أن أقروا مصحفهم فى مسجدهم على حاله وأجروا على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير فى كل شهر من مال الله تعالى وقال القضاعى بركة الحبش كانت تعرف ببركة المغافر وحمير وتعرف باصطبل قامش وكانت فى ملك أبى بكر محمد بن على المادرانى بجميع ما تشتمل عليه من المزارع والجنان خلا الجنان التى فى شرقيها وأظنها الجنان المنسوبة الى وهب بن صدقة وتعرف بالحبش فانى رأيت فى شرط هذه البركة أن الحد الشرقى ينتهى الى الفضاء الفاصل بينها وبين الجنان المعروفة بالحبش فدل على أن الجنان خارجة عنها وذكر ابن يونس فى تاريخه أن فى قبلى بركة الحبش جنانا تعرف بقتادة بن قيس بن حبشى الصدفى شهد فتح مصر والجنان تعرف بالحبش وبه تعرف بركة الحبش وذكر بعد هذا الشرط أن الحد البحرى ينتهى الى البئر الطولونية والى البئر المعروفة بموسى بن أبى خليد وهذه البئر هى البئر المعروفة بالنعش ورأيت فى كتاب شرط هذه البركة أنها محبسة على البئرين اللتين استنبطهما أبو بكر المادرانى فى بنى وائل بحضرة الخليج والقنطرة المعروفة احداهما بالفندق والاخرى بالعتيق وعلى السرب الذى يدخل منه الماء الى البئر الجارة المعروفة بالروا التى فى بنى وائل ذات القناطر التى يجرى فيها الماء الى المصنعة التى بحضرة العقبة التى يصار منها الى يحصب وهى المصنعة المعروفة بدليله وعلى القنوات المتصلة بها التى تصب الى المصنعة ذات العمد الرخام القائمة فيها المعروفة بسمينة وهى التى فى وسط يحصب ويقال ان هنالك كانت سوق ليحصب وذكر فى هذا الشرط داراله فى موضع السقاية المعروفة بسقاية زوف وشرط أن تنشأ هذه الدار مصنعة على مثل هذه المصنعة المقدم ذكرها المعروفة بسمينة وهى سقاية زوف اليوم وعلى القناة التى يجرى فيها الماء الى مصنعة ذكر انه كان أنشأها عند البئر المعروفة اليوم ببئر القبة والحوض الذى هنالك بحضرة المسجد المعروف بمسجد القبة وكانت هذه المصنعة تسمى ريا وجعل هذا الحبس ايضا على البئر التى له بالحبانية بحضرة الخندق وذكر أنها تعرف بالقبانية وان ماءها يجرى الى المصنعة المقابلة للميدان من دار الامارة فى طريق المصلى القديم ثم الى المصنعة التى تحت مسجده المقابل لدار عبد العزيز ثم الى المصنعة المقابلة لمسجد التربة المجاورة لمسجد الاخضر وتاريخ هذا الشرط شهر رمضان سنة سبع وثلثمائة وجعل ما يفضل عن جميع ذلك مصروفا فى ابتياع بقر وكباش تذبح ويطبخ لحمها ويبتاع أيضا معها خبز ودراهم وأكسية وأعبية ويتصدق بذلك على الفقراء والمساكين بالمغافر وغيرها من القبائل بمصر وكان بناؤه السقايتين اللتين بالموقف والسقايات التى بالمغافر وبزوف وبيحصب وبنى وائل وعمل المجارى فى سنة أربع وقيل فى سنة ثلاث وثلثمائة وقد حبس أبو بكر على الحرمين ضياعا كان ارتفاعها نحو مائة ألف دينار منها سيوط وأعمالها وغيرها انتهى *وفى تواريخ النصارى أن الامير احمد بن طولون صادر البطريق ميخائيل بطرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار فباع

النصارى رباع الكنائس بالاسكندرية وأرض الحبش بظاهر مصر والكنيسة المجاورة للمعلقة بقصر الشمع بمصر لليهود قلت هكذا فى تواريخهم ولا اعلم كيف ملكوا أرض الحبش فلعل الماردانى هو الذى اشتراها ثم وقفها * وقال ابن المتوج بركة الحبش هذه البركة مشهورة فى مكانها وقد اتصل ثبوت وقفها عند قاضى القضاة بدر الدين أبى عبد الله محمد بن سعد الله بن جماعة رحمة الله عليه على انها وقف على الاشراف الاقارب والطالبين نصفين بينهما بالسوية النصف الاول على الاقارب والنصف الآخر على الطالبين وثبت قبله عند قاضى القضاة بدر الدين أبى المحاسن يوسف بن الحسن السنجارى أن النصف منها وقف على الاشراف الاقارب بالاستفاضة بتاريخ ثالث عشر ربيع الاول سنة أربعين وستمائة وهم الاقارب الحسينيون وهو اذذاك قاضى القضاة بالقاهرة والوجه البحرى ومامع ذلك من البلاد الشامية المضافة الى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب وثبت عند قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله تعالى وكان قاضى القضاة بمصر والوجه القبلى وخطيب مصر بالاستفاضة أيضا أن البركة المذكورة وقف على الاشراف الطالبيين بتاريخ التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وبعدهما قاضى القضاة وجيه الدين البهنسى فى ولايته ثم نفذهما بعد تنفيذ وجيه الدين المذكور فى شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة قاضى القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة وهو حاكم الديار المصرية خلا ثغر الاسكندرية ويأتى اصل خبر هذه البركة مبينا مشروحا من اصلها فى مكانه ان شاء الله تعالى * قال فمن جملة الاوقاف بركة الاشراف المشهورة ببركة الحبش وهذه البركة حدودها أربعة الحد القبلى ينتهى بعضه الى ارض العدوية يفصل بينهما جسر هنالك وباقيه الى غيطان بساتين الوزير والحد البحرى ينتهى بعضه الى ابنية الآدر التى هنالك المطلة عليها والى الطريق والى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الشعيبية والحد الشرقى الى حد بساتين الوزير المذكورة والحد الغربى ينتهى بعضه الى بحر النيل والى أراضى دير الطين والى بعض حقوق جزيرة ابن الصابونى وجسر بستان المعشوق الذى هو من حقوق الجزيرة المذكورة وهذه البركة وقف الاشراف الاقارب والطالبيين نصفين بينهما بالسوية والذى شاهدته من امرها أنى وقفت على اسجال قاضى القضاة بدر الدين أبى المحاسن يوسف السنجارى رحمة الله تعالى عليه تاريخه ثانى عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وهو حين ذاك حاكم القاهرة والوجه البحرى على محضر شهد فيه بالاستفاضة أن نصف هذه البركة وقف على الاشراف الاقارب الحسينيين وثبت ذلك عنده ورأيت اسجال الشيخ قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله على محضر شهد فيه بالاستفاضة وهو حين ذلك قاضى مصر والوجه القبلى وأشهد عليه أنه ثبت عنده أن البركة المذكورة جميعها وقف على الاشراف الطالبيين وتاريخ اسجاله التاسع والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة ثم نفذهما جميعا فى تاريخ واحد قاضى القضاة وجيه الدين البهنسى وهو قاضى القضاة حين ذاك ثم نفذهما قاضى القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة وهو قاضى القضاة بالديار المصرية واستقر النصف من ريع هذه البركة على الاشراف الاقارب مع قلتهم والنصف على الاشراف الطالبيين مع كثرتهم وتنازعوا غير مرة على أن تكون بينهم الجميع بالسوية فلم يقدروا على ذلك وعقد لهم مجلس غير مرة فلم يقدروا على تغييره وأحسن ما وصفت به بركة الحبش قول عيسى بن موسى الهاشمى أمير مصر وقد خرج الى الميدان الذى بطرف المقابر فقال لمن معه أتتأملون الذى أرى قالوا وما الذى يرى الامير قال أرى ميدان رهان وجنان نخل وبستان شجر ومنازل سكنى وذروة جبل وجبانة اموات ونهرا عجاجا وأرض زرع ومراعى ماشية ومرتع خيل وساحل بحر وصائد نهر وقانص وحش وملاح سفينة وحادى ابل ومفازة رمل وسهلا وجبلا فهذه ثمانية عشر متنزها فى اقل من ميل فى ميل واين هذه الاوصاف من وصف بعضهم قصر أنس بالبصرة فى قوله

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شئ يشاكله * من منزل حاضر ان شئت أو بادى
تلقى به السفن والاعياس حاضرة * والضب والنون والملاح والحادى

وقال

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * وحبذا أهله من حاضر بادى
تلقى قراقرة والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادى

هكذا أنشدهما أبو الفرج الاصبهانى رحمه الله تعالى فى كتاب الاغانى ونسبهما لابن عيينة بن المنهال بن محمد ابن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة شاعر من ساكنى البصرة وقيل ان اسمه عذرة وقيل اسمه أبو عيينة وكنيته أبو المنهال وكان بعد المائتين وأنشد أبو العلاء المعرّى فى رسالة الصاهل والساجح

ياصاح ألمم بأهل القصر والوادى * وحبذا أهله من حاضر بادى
ترى قراقرة والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادى

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى وفى هذا الوقت من السنة يعنى أيام النيل تكون أرض مصر أحسن شئ منظرا ولاسيما متنزهاتها المشهورة ودياراتها المطروقة كالجزيرة والجيزة وبركة الحبش وماجرى مجراها من المواضع التى يطرقها أهل الخلاعة والقصف ويتناوبها ذووالآداب والطرف واتفق أن خرجنا فى مثل هذا الزمان الى بركة الحبش وافترشنا من زهرها أحسن بساط واستظللنا من دوحها بأوفى رواق فظللنا نتعاطى من زجاجات الاقداح شموسا فى خلع بدور وجسوم نار فى غلائل نور الى أن جرى ذهب الاصيل على لجين الماء ونشبت نار الشفق بفحمة الظلماء فقال بعضهم (وهو امية المذكور من قوله المشهور)

لله يومى ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوّفة * دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش
فعاطنى الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
وأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعى الهوى فلم يطش
فأسقنى بالكبار مترعة * فهن أشفى لشدة العطش

وقال أيضا

علل فؤادك باللذات والطرب * وباكر الرّاح بالبانات والنخب
أماترى البركة الغناء لابسة * وشيا من النور حاكته يد السحب
وأصبحت من جديد الروض فى حلل * قد أبرز القطر منها كل محتجب
من سوسن شرق بالطل محجره * والاقحوان شهى الظلم والشنب
فانظر الى الورد يحكى خدّ محتشم * ونرجس ظل يبدى لحظ مرتقب
والنيل من ذهب يطفو على ورق * والرّاح من ورق يطفو على ذهب
وربّ يوم نقعنا فيه غلتنا * بجاحم من فم الابريق ملتهب
شمس من الرّاح حياناً بها قمر * موف على غصن يهتز فى كثب
أرخى ذوائبه وانهز منعطفا * كصعدة الرمح فى مسودة العذب
فاطرب ودونكها فاشرب فقد بعثت * على التصابى دواعى اللهو والطرب

وقال

يانزهة الرصد المصرى قد جمعت * من كل شئ حلا فى جانب الوادى
فذا غدير وذا روض وذا جبل * والضب والنون والملاح والحادى

وقال ابراهيم بن الرفيق فى تاريخه حدثنى محمد الكهينى وكان أديبا فاضلا قد سافر ورأى بلدان المشرق قال ما رأيت قط اجل من ايام النوروز والغطاس والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين وغير ذلك من ايام اللهو التى كانوا يسحون فيها بأموالهم رغبة فى القصف والعزف وذلك أنه لايبقى صغير ولا كبير الاخرج الى بركة الحبش متنزها فيضربون عليها المضارب الجليلة والسرادقات والقباب والشراعات ويخرجون بالاهل والولد ومنهم من يخرج بالقينات المسمعات المماليك والمحررات فيأكلون ويشربون ويسمعون ويتفكهون وينعمون فاذا جاء الليل امر الامير تميم بن المعز ماثتى فارس من عبيده بالعسس عليهم فى كل ليلة الى أن يقضوا من اللهو والنزهة أربهم وينصرفوا فيسكرون وينامون كما ينام الانسان فى بيته ولايضيع لاحد منهم ما قيمته حبة واحدة ويركب

الامير

الامير تميم فى عشارى ويتبعه أربعة زوارق مملوءة فاكهة وطعاما ومشروبا فان كانت الليالى مقمرة والا كان معه من الشموع مايبعد الليل نهارا فاذا مرّ على طائفة واستحسن من غنائهم صوتا أمرهم باعادته وسألهم عما عزم عليهم فيأمر لهم به ويأمر لمن يغنى لهم وينتقل منهم الى غيرهم بمثل هذا الفعل عامة ليله ثم ينصرف الى قصوره وبساتينه التى على هذه البركة فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضى هذه الايام ويتفرق الناس وقال محمد ابن أبى بكر بن عبد القادر الرازى الحنفى وتوفى بدمشق سنة احدى وخمسين وستمائة يصف بركة الحبش فى ايام الربيع

اذا زين الحسناء قرط فهذه * يزينها من كل ناحية قرط
ترقرق فيها ادمع الطل غدوة * فقلت لآل قد تضمنها قرط

وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب وخرجت مرة حيث بركة الحبش التى يقول فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى عفا الله عنه

لله يومى ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم فى يمين مرتعش

وعاينت من هذه البركة ايام فيض النيل عليها ابهج منظر ثم زرتها أيام غاض الماء وبقيت فيها مقطعات بين خضر من القرط والكتان تفتن الناظر وفيها اقول

يا بركة الحبش التى يومى بها * طول الزمان مبارك وسعيد
حتى كأنك فى البسيطة جنة * وكأن دهرى كله بك عيد
يا حسن ما يبدو بك الكتان فى * نواره اوزره معقود
والماء منك سيوفه مسلولة * والقرط فيك رواقه ممدود
وكأن ابراجا عليك عرائس * جليت وطيرك حولها غرّيد
ياليت شعرى هل زمانك عائد * فالشوق فيه مبدئ ومعيد

وكان ماء النيل يدخل الى بركة الحبش من خليج بنى وائل وكان خليج بنى وائل مما يلى باب مصر من الجهة القبلية الذى يعرف الى يومنا هذا بباب القنطرة من اجل أن هذه القنطرة كانت هنالك * قال ابن المتوج ورأيت ماء النيل فى زمن النيل يدخل من تحته الى خليج بنى وائل * قلت وفى ايام الناصر محمد بن قلاون استولى النشو ناظر الخاص على بركة الحبش وصار يدفع الى الاشراف من بيت المال مالا فى كل سنة فلما مات الناصر وقام من بعده ابنه المنصور ابو بكر أعيدت لهم

(ذكر الماردانى)

هو أبو بكر محمد بن على بن محمد بن رستم بن احمد وقيل محمد بن على بن احمد بن عيسى بن رستم وقيل محمد بن على بن أحمد بن ابراهيم بن الحسين بن عيسى بن رستم الماردانى أحد عظماء الدنيا ولد بنصيبين لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وقدم الى مصر فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين وخلف أباه على بن احمد الماردانى أيام نظره فى أمور أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وسنه يومئذ خمس عشرة سنة وكان معتدل الكتابة ضعيف الحظ من النحو واللغة ومع ذلك فكان يكتب الكتب الى الخليفة فمن دونه على البديهة من غير نسخة فيخرج الكتاب سليما من الخلل ولما قتل أبوه فى سنة ثمانين ومائتين استوزره هارون بن خمارويه فدبر أمر مصر الى أن قدم محمد بن سليمان الكاتب من بغداد الى مصر وأزال دولة بنى طولون وحمل رجالهم الى العراق فكان أبو بكر ممن حمله فأقام ببغداد الى أن قدم صحبة العساكر لقتال خباسة فدبر أمر البلد وأمر ونهى وحدّث بمصر عن أحمد بن عبد الجبار العطاردى وغيره بسماعه منهم فى بغداد وكان قليل الطلب للعلم تغلب عليه محبة الملك وطلب السيادة ومع ذلك كان يلازم تلاوة القرآن الكريم ويكثر من الصلاة ويواظب على الحج وملك بمصر من الضياع الكبار مالم يملكه أحد قبله وبلغ ارتفاعه فى كل سنة أربعمائة ألف دينار سوى الخراج ووهب وأعطى وولى وصرف وأفضل ومنع ورفع ووضع وحج سبعا وعشرين حجة انفق فى كل حجة منها مائة وخمسين ألف دينار وكان تكين أمير مصر يشيعه اذا خرج للحج ويتلقاه اذا قدم وكان

يحمل الى الحجاز جميع ما يحتاج اليه ويفرّق بالحرمين الذهب والفضة والثياب والحلوى والطيب والحبوب ولا يفارق أهل الحجاز الا وقد أغناهم وقيل مرّة وهو بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ما بات فى هذه الليلة أحد بمكة والمدينة وأعمالهما الا وهو شبعان من طعام أبى بكر الماردانى * ولما قدم الامير محمد بن طغج الاخشيد الى مصر استتر منه فانه كان منعه من دخول مصر وجمع العساكر لقتاله فاجتمع له زيادة على ثلاثين ألف مقاتل وحاربهم بعد موت تكين أمير مصر ومرّت به خطوب لكثرة فتن مصر اذ ذاك وأحرقت دوره ودور أهله ومجاوريه وأخذت أمواله واستتر فقبض على خليفته وعماله فكتب الى بغداد يسأل امارة مصر وكتب محمد بن تكين بالقدس يسأل ذلك فعاد الجواب بامارة ابن تكين وأن يكون الماردانى يدبر أمر مصر ويولى من شاء فظهر عند ذلك من الاستتار وأمر ونهى ودبر أمر البلد وصار الجيش بأسره يغدو الى بابه فاتفق فى جماعة واصطنع قوما وقتل عدة من اصحاب ابن تكين وكان محمد بن تكين بالقدس وأمر مصر كله للماردانى بمفرده ومعه احمد بن كيغلغ وقد قدم من بغداد بولاية ابن تكين على مصر وولاية أبى بكر الماردانى تدبير الامور فاستمال أبو بكر أحمد بن كيغلغ حتى صار معه على ابن تكين وحاربه وكان من أمره ما كان الى أن قدمت عساكر الاخشيد فقام أبو بكر لمحاربتهم ومنع الاخشيد من مصر فكان الاخشيد غالباله ودخل البلد فاستتر منه أبو بكر الى أن دل عليه فأخذه وسلمه الى الفضل بن جعفر بن الفرات فلما صار الى ابن الفرات قال له ايش هذا الاستيحاش والاستتار وانت تعلم أن الحج قد أظل وتحتاج لاقامة الحج فقال له أبو بكر ان كان الى فخمسة عشر ألف دينار فقال ابن الفرات ايش خمسة عشر ألف دينار قال ما عندى غير هذا فقال ابن الفرات بهذا ضربت وجه السلطان بالسيف ومنعت أمير البلد من الدخول ثم صاح يا شادن خذه اليك فأقيم وادخل الى بيت وكان يومئذ صائما فامتنع من تناول الطعام والشراب ولزم تلاوة القرآن والصلاة طول يومه وليلته واصبح فامتنع ابن الفرات من الاكل اجلالا له فلما كان وقت الفطر من الليلة الثانية امتنع أبو بكر من الفطر كما امتنع فى الليلة الاولى فامتنع ابن الفرات أيضا من الاكل وقال لا آكل ابدا أو يأكل أبو بكر فلما بلغ ذلك أبا بكر أكل فأخذ ابن الفرات فى مصادرته وقبض على ضياعه التى بالشام ومصر وتتبع اسبابه ثم خرج به معه الى الشام وعاد به الى مصر ثم خرج به ثانيا الى الشام فمات الفضل بن الفرات بالرملة ورجع أبو بكر الى مصر فردّ اليه الاخشيد أمور مصر كلها وخلع على ابنه وتقلد السيف ولبس المنطقة ولبس أبو بكر الدراعة تنزها ثم تنكر عليه الاخشيد وقبضه فى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة وجعله فى دار وأعدله فيها من الفرش والآلات والاوانى والملبوس والطيب والطرائف وانواع المآكل والمشارب ما بلغ فيه الغاية وتفقدها بنفسه وطافها كلها فقيل له عملت هذا كله لمحمد بن على الماردانى فقال نعم هذا ملك وأردت أن لا يحتقر بشئ لنا ولا يحتاج أن يطلب حاجة الا وجدها فانه ان فقد عندنا شيأ مما يريده استدعى به من داره فتسقط نحن من عينيه عند ذلك فلم يزل معتقلا حتى خرج الاخشيد الى لقاء أمير المؤمنين المتقى لله فحمله معه ولما مات الاخشيد بدمشق كان أبو بكر بمصر فقام بأمر أونوجور بن الاخشيد وقبض على محمد بن مقاتل وزير الاخشيد وأمر ونهى وصرف الامور الى أن كانت واقعة غلبون واتصال أبى بكر به فلما عادت الاخشيدية قبض على أبى بكر ونهبت دوره وأحرق بعضها وأخذ ابنه وقام أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات بأمر الوزارة فعند ما قدم كافور الاخشيدى من الشام بالعساكر التى كانت مع الاخشيد أطلق أبا بكر وأكرمه وردّ اليه ضياعه وضياع ابنه فلما ماتت أم ولده لحقه كافور ومعه الامير أونوجور عند المقابر وترجلا له وعزياه ثم ركبا معه حتى صليا عليها فلما مرض مرض موته عاده كافور مرارا الى أن مات فى شهر شوال سنة خمس وأربعين وثلثمائة فدفن بداره ثم نقل الى المقابر وكانت فضائله جمة منها أنه أقام أربعين سنة يصوم الدهر كله ويركب كل يوم الى المقابر بكرة وعشية فيقف له الموكب حتى يمضى الى تربة اولاده وأهله فيقرأ عندهم ويدعو لهم وينصرف الى المساجد فى الصحراء فيصلى بها والناس وقوف له الا انه كان فى غاية العجلة لا يراجع فيما يريده ولو كان ما كان ولما اراد المقتدر أن يقيم وزيرا كتبت رقعة فيها أسماء جماعة وأنفذت الى على بن عيسى ليشير بواحد منهم وكان أبو بكر ممن كتب معهم اسمه فكتب تحت كل اسم واحد منهم ما يستحقه من الوصف وكتب تحت اسم أبى بكر محمد بن على الماردانى مترف عجول وبنى أبو بكر السقايات والمساجد فى المغافر وفى يحصب وبنى وائل وليس لشئ منها اليوم

اثر يعرف ومرت له فى هذا الكتاب أخبار وقد أفرد له ابن زولاق سيرة كبيرة وهذا منها والله اعلم

(ذكر بساتين الوزير)

هذه البساتين فى الجهة القبلية من بركة الحبش وهى قرية فيها عدة مساكن وبساتين كثيرة وبها جامع تقام فيه الجمعة وعرفت بالوزير أبى الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن محمد المغربى وبنو المغربى اصلهم من البصرة وصاروا الى بغداد وكان أبو الحسن على بن محمد يخلف على ديوان المغرب ببغداد فنسب به الى المغرب وولد ابنه الحسين بن على ببغداد فتقلد أعمالا كثيرة منها تدبير محمد بن ياقوت عند استيلائه على امر الدولة ببغداد وكان خال ولده على وهو أبو على هارون بن عبد العزيز الاوارجى الذى مدحه أبو الطيب المتنبى من اصحاب أبى بكر محمد بن رائق فلما لحق ابن رائق ما لحقه بالموصل صار الحسين بن على بن المغربى الى الشام ولقى الاخشيد وأقام عنده وصار ابنه أبو الحسن على بن الحسين ببغداد فأنفذ الاخشيد غلامه فاتك المجنون فحمله ومن يليه الى مصر ثم خرج ابن المغربى من مصر الى حلب ولحق به سائر أهله ونزلوا عند سيف الدولة أبى الحسن على بن عبد الله بن حمدان مدة حياته وتخصص به الحسين بن على بن محمد المغربى ومدحه أبو نصر بن نباتة وتخصص أيضا على بن الحسين بسعد الدولة بن حمدان ومدحه أبو العباس النامى ثم شجر بينه وبين ابن حمدان ففارقه وصار الى بكجور بالرقة فحسن له مكاتبة العزيز بالله نزار والتحيز اليه فلما وردت على العزيز مكاتبة بكجور قبله واستدعاه وخرج من الرقة يريد دمشق فوافاه عبد العزيز بولاية دمشق وخلفه فتسلمها وخرج لمحاربة ابن حمدان بحلب بمشورة على بن المغربى فلم يتم له امر وتأخر عنه من كاتبه فقال لابن المغربى غررتنى فيما اشرت به على وتنكر له ففر منه الى الرقة وكانت بين بكجور وبين ابن حمدان خطوب آلت الى قتل ابن بكجور ومسير ابن حمدان الى الرقة ففر ابن المغربى منها الى الكوفة وكاتب العزيز بالله يستأذنه فى القدوم فأذن له وقدم الى مصر فى جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وثلثمائة وخدم بها وتقدم فى الخدم فحرض العزيز على أخذ حلب فقلد ينجوتكين بلاد الشام وضم اليه أبا الحسن بن المغربى ليقوم بكتابته ونظر الشام وتدبير الرجال والاموال فسار الى دمشق فى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وخرج الى حلب وحارب أبا الفضائل بن حمدان وغلامه لؤلؤا فكاتب لؤلؤ أبا الحسن ابن المغربى واستماله حتى صرف ينجوتكين عن محاربة حلب وعاد الى دمشق وبلغ ذلك العزيز بالله فاشتد حنقه على ابن المغربى وصرفه بصالح بن على الروذبادى واستقدم ابن المغربى الى مصر ولم يزل بها حتى مات العزيز بالله وقام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله أبو على منصور فكان هو وولده أبو القاسم حسين من جلسائه فلما شرع الحاكم بامر الله فى قتل رجال الدولة من القواد والكتاب والقضاة قبض على على ومحمد ابنى المغربى وقتلهما ففر منه أبو القاسم حسين بن على بن المغربى الى حسان بن مفرج بن الجراح فأجاره وقلد الحاكم بارجتكين الشام فخافه ابن جراح لكثرة عساكره فحسن له ابن المغربى مهاجمته فطرق بارجتكين فى مسيره على غفلة وأسره وعاد الى الرملة فشن الغارات على رساتيقها وخرج العسكر الذى بالرملة فقاتل العرب قتالا شديدا كادت العرب أن تنهزم لولا ثبتها ابن المغربى واشار عليهم باشهار النداء باباحة النهب والغنيمة فثبتوا ونادوا فى الناس فاجتمع لهم خلق كثير وزحفوا الى الرملة فملكوها وبالغوا فى النهب والهتك والقتل فانزعج الحاكم لذلك انزعاجا عظيما وكتب الى مفرج بن جراح يحذره سوء العاقبة ويلزمه باطلاق بارجتكين من يد حسان ابنه وارساله الى القاهرة ووعده على ذلك بخمسين ألف دينار فبادر ابن المغربى لما بلغه ذلك الى حسان ومازال يغريه بقتل بارجتكين حتى احضره وضرب عنقه فشق ذلك على مفرج وعلم انه فسد ما بينهم وبين الحاكم فأخذ ابن المغربى يحسن لمفرج خلع طاعة الحاكم والدعاء لغيره الى أن استجاب له فراسل أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوى امير مكة يدعوه الى الخلافة وسهل له الامر وسير اليه بابن المغربى يحثه على المسير وجرأه على اخذ مال تركه بعض المياسير ونزع المحاريب الذهب والفضة المنصوبة على الكعبة وضربها دنانير ودراهم وسماها الكعبية وخرج ابن المغربى من مكة فدعا العرب من سليم وهلال وعوف بن عامر ثم سار به وبمن اجتمع عليه من العرب حتى نزل الرملة فتلقاه بنو الجراح وقبلوا له الارض وسلموا عليه بامرة المؤمنين ونادى فى الناس بالامان وصلى بالناس الجمعة فامتعض الحاكم لذلك وأخذ فى استمالة حسان ومفرج وغيرهما وبذل لهم الاموال فتنكروا على أبى الفتوح وقلد أيضا مكة بعض بنى عم أبى الفتوح فضعف امره وأحس من حسان بالغدر فرجع الى مكة وكاتب الحاكم واعتذر اليه فقبل عذره

واما ابن المغربي فانه لما انحل امر أبي الفتوح ورأى ميل بني الجراح الى الحاكم كتب اليه

وانت وحسبي انت تعلم أن لي * لسانا أمام المجد يبني ويهدم
وليس حليما من تباس يمينه * فيرضى ولكن من تعض فيحلم

فسير اليه امانا بخطه وتوجه ابن المغربي قبل وصول امان الحاكم اليه الى بغداد وبلغ القادر بالله خبره فاتهمه بانه قدم في فساد الدولة العباسية فخرج الى واسط واستعطف القادر فعطف عليه وعاد الى بغداد ثم مضى الى قرواش بن المقلد أمير العرب وسار معه الى الموصل فأقام بها مدة وخافه وزير قرواش فأخرجه الى ديار بكر فأقام عند اميرها نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مروان الكردي وتصرف له وكان يلبس في هذه المدة المرقعة والصوف فلما تصرف غير لباسه وانكشف حاله فصار كن قيل فيه وقد ابتاع غلاما تركيا كان يهواه قبل أن يبتاعه

تبدل من مرقعة ونسك * بأنواع الممسك والشفوف
وعن له غزال ليس يحوى * هواه ولا رضاه بلبس صوف
فعاد اشد ما كان انتهاكا * كذاك الدهر مختلف الصروف

واقام هناك مدة طويلة في أعلى حال وأجل رتبة واعظم منزلة ثم كوتب بالمسير الى الموصل ليستوزره صاحبها فسار عن ميافارقين وديار بكر الى الموصل فتقلد وزارتها وتردد الى بغداد في الوساطة بين صاحب الموصل وبين السلطان أبي علي بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة أبي شجاع بن ركن الدولة أبي علي بن بويه واجتمع برؤساء الديلم والاتراك وتحدث في وزارة الحضرة حتى تقلدها بغير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة في شهر رمضان سنة خمس عشرة وأربعمائة فأقام شهورا وأغرى رجال الدولة بعضهم ببعض وكانت أمور طويلة آلت الى خروجه من الحضرة الى قرواش فتجدد للقادر بالله فيه سوء ظن بسبب ما أثاره من الفتنة العظيمة بالكوفة حتى ذهبت فيها عدة نفوس وأموال ففر الى أبي نصر بن مروان فاكرمه وأقطعه ضياعا وأقام عنده فكوتب من بغداد بالعود اليها فبرز عن ميافارقين يريد المسير الى بغداد فسم هناك وعاد الى المدينة فمات بها لايام خلت من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة ومولده بمصر ليلة الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبعين وثلثمائة وكان اسمر شديد السمرة بساطا عالما بليغا مترسلا متفننا في كثير من العلوم الدينية والادبية والنحوية مشارا اليه في قوة الذكاء والفطنة وسرعة الخاطر والبديهة عظيم القدر صاحب سياسة وتدبير وحيل كثيرة وأمور عظام دوخ الممالك وقلب الدول وسمع الحديث وروى وصنف عدة تصانيف وكان ملولا حقودا لاتلين كبده ولا تنحل عقده ولا يحنى عوده ولا ترجى وعوده وله رأى يزين له العقوق ويبغض اليه رعاية الحقوق كأنه من كبره قد ركب الفلك واستولى على ذات الحبك وكان بمصر من بني المغربي أبو الفرج محمد ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي قد قتل الحاكم جده محمدا مع أبيه علي بن الحسين كما تقدم فلما انشأ أبو جعفر سار الى العراق وخدم هناك وتنقلت به الاحوال ثم عاد الى مصر واصطنعه الوزير البارزي وولاه ديوان الجيش وكانت السيدة أم المستنصر بالله تعنى به فلما مات الوزير البارزي وولي بعده الوزير أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي قبض عليه في جملة أصحاب البارزي واعتقله فتقررت له الوزارة وهو في الاعتقال وخلع عليه في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمسين وأربعمائة ولقب بالوزير الاجل الكامل الاوحد صفي أمير المؤمنين وخالصته فما تعرض لاحد ولا فعل في البابلي ما فعله البابلي فيه وفي أصحاب البارزي فأقام سنتين وشهورا وصرف في تاسع شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وكان الوزراء اذا صرفوا لم يتصرفوا فاقترح أبو الفرج بن المغربي لما صرف أن يتولى بعض الدواوين فولي ديوان الانشاء الذي يعرف اليوم بوظيفة كتابة السر وهو الذي استنبط هذه الوظيفة بديار مصر واستحدث استخدام الوزراء بعد صرفهم عن الوزارة ولم يزل نابه القدر الى أن توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة * (بركة الشعيبية) * هذه البركة موضعها خلف جسر الافرم فيما بينه وبين الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد وكانت تجاور بركة الحبش من بحريها وقد انقطع عنها الماء وصارت بساتين ومزارع وغير ذلك * قال ابن المتوج بركة الشعيبية بظاهر مصر كان يدخل اليها ماء النيل وكان لها خليجان أحدهما من قبليها وهو الآن بجوار منظرة الصاحب تاج الدين بن حنا المعروفة بمنظرة المعشوق والثاني من بحريها

ويقال

ويقال له خليج بنى وائل عليه قنطرة بها عرف باب القنطرة بمصر وكان يجرى فيهما الماء من النيل اليها فكان الماء يدخل اليها فى كل سنة ويعمها ويدخل اليها الشخاتير وكان بدائرها من جانبها الشرقى ادر كثيرة وكانت نزهة المصريين فلما استأجرها الامير عز الدين أيبك الافرم من الناظر عليها من جهة الحكم العزيزى حازها بالجسور عن الماء وغرس فيها الاشجار والكروم وحفر الآبار وهذه البركة مساحتها أربعة وخمسون فدانا ولها حدود أربعة الحد القبلى ينتهى بعضه الى بعض أرض المعشوق الجارى فى وقف ابن الصابونى والى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش وفى هذا الجسر الآن قنطرة يدخل اليها الماء من خليج بركة الاشراف والحد البحرى كان ينتهى بعضه الى منظرة قاضى القضاة بدر الدين السنجارى والى جسره والحد الشرقى ينتهى الى الآدر التى كانت مطلة عليها وقد خرب اكثرها وكانت مسكن اعيان المصريين من القضاة والكتاب والحد الغربى ينتهى الى جرف النيل ولما استأجرها الافرم شرط له خمسة افدنة يعمر عليها ويؤجرها لمن يعمر عليها منها فدان واحد من بحريها وفدانان من غربيها ملاصقان لجدار البساتين وفدانان بالجرف الذى من حقوقها فلما مات الافرم طمع الامير علم الدين الشجاعى فى ورثته وفى الوقف وأربابه فغصب أرض الجرف وجملتها فدانان ثم تركها فلما كان فى اثناء دولة الناصر محمد بن قلاون ووزارة الاعسر بيعت ارضها لارباب الابنية التى عليها وهذه البركة وقفها الخطير بن مماتى ودخل معهم بنو الشعيبية لاختلاط انسابهم بالتناسل وقال فى موضع آخر ومن جملة الاوقاف بركة الخطير بن مماتى المشهورة ببركة الشعيبية ومساحة ارضها اربعة وخمسون فدانا وربع ولها حدود أربعة القبلى من البركة الصغرى منها الى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش وفيه قنطرة يمر منها الماء الى هذه البركة وباقى هذا الحد الى بعض ابنية مناظر المعشوق ومن جملة حقوق هذا الوقف المجاز المستطيل المسلوك فيه الى المنظرة المذكورة ومنه دهليزها والايوان البحرى وهذا جميعه رأيته ترعة من تراع هذه البركة المذكورة يمر الماء فيها فى زمن النيل اليها وكان باقى هذه المنظرة دارا مطلة على بحر النيل من شرقيها وعلى هذه الترعة من بحريها ثم ملكها الصاحب تاج الدين بن حنا وهدمها وردم الخليج وعمر المنظرة والحمام والبيوت الموجودة الآن وباقى ذلك كله فى أرض ابن الصابونى وحد هذه البركة من الجهة البحرية الى الطريق الآن وكان فيه جسر يعرف بجسر الجبانات كان يفصل بين هذه البركة وبين بركة شطا وكان فيه قنطرة يجرى الماء منها من هذه البركة الى بركة شطا وكان فى هذا الحد ترعة أخرى يجرى الماء فيها فى زمن النيل من البحر الى هذه البركة ورأيته يجرى فيها ورأيت الشخاتير تدخل فيها الى هذه البركة وأما حدها الشرقى فانه كان الى ابنية الآدر المطلة على هذه البركة وأما حدها الغربى فانه كان الى بحر النيل ولم تزل كذلك الى أن استأجرها الامير عز الدين أيبك الافرم فردم هذه الترعة وبنى حيطان هذا البستان وجسر عليه وزرع فيه الشتول والخضراوات وأقام على ذلك عدة سنين ثم استأجره اجارة ثانية واشترط البناء على ثلاثة افدنة فى جانبه الغربى وفدان فى جانبه البحرى فعمر الناس واستغنى عن الجسور ورخص على الناس حتى رغبوا فى العمارة وآجر كل مائة ذراع من ذلك بعشرة دراهم نقرة وعمر البئر المشهورة ببئر السواقى فعمرت احسن عمارة فلما توفى الافرم طمع الشجاعى فى ارباب الوقف وفى ورثته ونزع منهم الفدادين المطلة على بحر النيل وابتاع ذلك من وكيل بيت المال وأعانه عليه قوم آخرون يجمعون عند الله تعالى

(ذكر المعشوق)

اعلم ان المعشوق اسم لمكان فيه اشجار بظاهر مصر من جملة خطة راشدة عرف اوّلا بجنان كهمس بن معمر ثم عرف بجنان الماردانى ثم عرف بجنان الامير تميم بن المعز لدين الله ثم جدده الافضل بن أمير الجيوش فعرف به وآخرا صار من وقف ابن الصابونى فأخذه الصاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر وأوصى بعمارة رباط للآثار النبوية وأن توقف عليه فلما انشئ الرباط المذكور أرصد لمصالحه وهو الآن وقف عليه وأرض هذا البستان مما وقفه ابن الصابونى على بنيه وعلى رباطه المجاور لقبة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بالقرافة وبنو الصابونى يستأدون من المتحدث على رباط الآثار شيأ فى كل سنة عن حكر أرض بستان المعشوق قال القضاعى فى ذكر خطة راشدة ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة والجنان المعروفة كانت تعرف بكهمس ابن معمر ثم عرفت بالماردانى وهو المعروف الآن بالامير تميم بن المعز * هذا وقد بنى المعتمد على الله أحمد بن المتوكل

في الجانب الشرقي من سر من رأى قصرا اسماه المعشوق وأقام به و بين بغداد وتكريت منزلة فيها آثار بناء وقصور تسمى العاشق والمعشوق وفيه انشد الشريف زهرة بن علي بن زهرة بن الحسن الحسيني وقد اجتاز به يريد الحج

قد رأيت المعشوق وهو من الهجـر بحال تنبو النواظر عنه

اثر الدهر فيه آثار سوء * قد ادالت يد الحوادث منه

قال ابن يونس (كهمس) بن معمر بن محمد بن معمر بن حبيب يكنى أبا القاسم كان أبوه بصريا وولد هو بمصر وكان عاقلا وكانت القضاة تقبله حدث عن محمد بن رمح وعيسى بن حماد زغبة وسلمة بن شبيب ونحوهم توفي في يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وثلثمائة وقال ابن خلكان (تميم) بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب وهو الذي بنى القاهرة المعزية وكان تميم فاضلا شاعرا ماهرا لطيفا ظريفا ولم يل المملكة لان ولاية العهد كانت لاخيه العزيز فوليها بعد أبيه واشعاره كلها حسنة وكانت وفاته في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلثمائة وقد ذكر كلا من الماردانى وابن حنا والافضل وأما ابن مماتى فانه (اسعد) بن مهذب بن زكريا بن قدامة بن مينا شرف الدين مماتي أبي المكارم بن سعيد ابن ابي المليح الكاتب المصري أصله من نصارى سيوط من صعيد مصر واتصل جده أبو المليح بأمير الجيوش بدر الجمالي وزير مصر في أيام الخليفة المستنصر بالله وكتب في ديوان مصر وولى استيفاء الديوان وكان جوادا ممدوحا انقطع اليه أبو الطاهر اسماعيل بن محمد المعروف بابن مكيسة الشاعر فمن قوله فيه لما مات

طويت سماء المكرما * ت وكورت شمس المديح

وتناثرت شهب العلا * من بعد موت أبي المليح

ما كان بالنكس الدنـيء من الرجال ولا الشحيح

كفر النصارى بعدما * عذروا به دون المسيح

ورثاه جماعة من الشعراء ولما مات ولى ابنه المهذب بن أبي المليح زكريا ديوان الجيش بمصر في آخر الدولة الفاطمية فلما قدم الامير اسد الدين شيركوه وتقلد وزارة الخليفة العاضد شدد على النصارى وأمرهم بشد الزنانير على اوساطهم ومنعهم من ارخاء الذوابة التي تسمى اليوم بالعذبة فكتب لاسد الدين

يا اسد الدين ومن عدله * يحفظ فينا سنة المصطفى

كفى غيارا شد اوساطنا * فما الذي اوجب كشف القفا

فلم يسعفه بطلبته ولا مكنه من ارخاء الذوابة وعند ما يئس من ذلك اسلم فقدم على الدواوين حتى مات فخلفه ابنه أبو المكارم اسعد بن مهذب الملقب بالخطير على ديوان الجيش واستمر في ذلك مدة ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وايام ابنه الملك العزيز عثمان وولى نظر الدواوين أيضا واختص بالقاضي الفاضل وحظي عنده وكان يسميه بلبل المجلس لما يرى من حسن خطابه وصنف عدة مصنفات منها تلقين اليقين فيه الكلام على حديث بنى الاسلام على خمس وكتاب حجة الحق على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم وهو كبير وكان السلطان صلاح الدين يكثر النظر فيه وقال فيه القاضي الفاضل وقفت من الكتب على مالا تحصى عدته فما رأيت والله كتابا يكون قبالة باب منه وانه والله من اهم ما طالعه الملوك وكتاب قوانين الدواوين صنفه للملك العزيز فيما يتعلق بدواوين مصر ورسومها واصولها واحوالها وما يجرى فيها وهو أربعة أجزاء ضخمة والذي يقع في ايدي الناس جزء واحد اختصره منه غير المصنف فان ابن مماتي ذكر فيه أربعة آلاف ضيعة من أعمال مصر ومساحة كل ضيعة وقانون ريها ومتحصلها من عين وغلة ونظم سيرة السلطان صلاح الدين يوسف ونظم كليلة ودمنة وله ديوان شعر ولم يزل بمصر حتى ملك السلطان الملك العادل أبو بكر بن ايوب ووزر له صفي الدين علي بن عبد الله بن شكر فخافه الاسعد لما كان يصدر منه في حقه من الاهانة وشرع الوزير ابن شكر في العمل عليه ورتب له مؤامرات ونكبه واحال عليه الاجناد ففر من القاهرة وسقط في حلب فخدم بها حتى مات في يوم الاحد سلخ جمادى الاولى سنة ست وستمائة عن اثنين وستين سنة وكان سبب تلقب أبي مليح بمماتي انه كان عنده في غلاء مصر في ايام المستنصر قمح كثير وكان يتصدق على صغار المسلمين وهو اذ ذاك نصراني وكان الصغار اذا رأوه

قالوا

قالوا بمالى فلقب بها ومن شعره

تعاتبني وتنهى عن امور * سبيل الناس أن ينهوك عنها
اتقدر أن تكون كمثل عيني * وحقك ما على اضرّ منها

وقال فى اترجة كانت بين يدى القاضى الفاضل وهو معنى بديع

* لله بل للحسن اترجة * تذكر الناس بأمر النعيم *
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

(بركة شطا) هذه البركة موضعها الآن كيمان على يسرة من يخرج من باب القنطرة بمدينة مصر طالبا جسر الافرم ورباط الآثار كان الماء يعبر اليها من خليج بنى وائل وموضعه على يمنة من يخرج من باب القنطرة المذكورة وكان عليه قنطرة بناها العزيز بالله بن المعز وبها سمى باب القنطرة هذا قال ابن المتوج بركة شطا بظاهر مصر على يسرة من مرّ من باب القنطرة وكان الماء يدخل اليها من خليج بنى وائل من براح بالسور المستجد ومن بركة الشعيبية من قنطرة فى وسط الجسر المعروف بجسر الحيات الذى كان يفصل بين البركتين المذكورتين وكان بوسطها مسجد يعرف بمسجد الجلالة بقناطر بوسطها كان يسلك عليها اليه وكان يطلّ على بركة شطا آدر خربت بانقطاع الماء عنها وكان الى جانبها بستان فيه منظرة ودراية وطاحون وحمام وبظاهر بابه حوض سبيل وقف ذلك المخلص الموقع وقد خرب *(بركة قارون)* هذه البركة موضعها الآن فيما بين حدرة ابن قميحة خلف جامع ابن طولون وبين الجسر الاعظم الفاصل بين هذه البركة وبركة الفيل وعليها الآن عدّة آدر وتعرف ببركة قراجا وكان عليها عدّة عمائر جليلة فى قديم الزمان عند ما عمر العسكر والقطائع فلما خرب العسكر والقطائع كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب خرب ما كان من الدور على هذه البركة أيضا حتى انه كان من خرج من مصلى مصر القديم وموضعه الآن الكوم الذى يطلّ على قبر القاضى بكار بالقرافة الكبرى يرى بركة الفيل وقارون والنيل ولم يزل ما حول هذه البركة خرابا الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاون البركة الناصرية فى اراضى الزهرى وكانت واقعة الكنائس فى سنة احدى وعشرين وسبعمائة فصار جانب هذه البركة الذى يلى خط السبع سقايات مقطع طريق فيه مركز يقيم فيه من جهة متولى مصر من يحرس المارة من القاهرة الى مصر ولم يكن هناك شئ من الدور وانما كان هناك بستان بجوار حوض الدمياطى الموجود الآن تجاه كوم الاسارى على يمنة من خرج وسلك من السبع سقايات الى قنطرة السد ويشرف هذا البستان على هذه البركة فحكر اقبغا عبد الواحد مكانه وصارت فيه الدور الموجودة الآن كما ذكر عند حكر اقبغا فى ذكر الاحكار* قال القضاعى دار الفيل هى الدار التى على بركة قارون ذكر بنو مسكين انها من حبس جدهم وكان كافور أمير مصر اشتراها وبنى فيها دارا ذكر أنه انفق عليها مائة ألف دينار ثم سكنها فى رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة وذكر المسبحى انه انتقل اليها فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة وانه كان ادخل فيها عدّة مساجد ومواضع اغتصبها من اربابها ولم يقم فيها غير أيام قلائل ثم ارسل الى أبى جعفر مسلم الحسينى ليلا فقال له امض بى الى دارك فمضى به فمرّ على دار فقال لمن هذه فقال لغلامك نحرير التربية فدخلها وأقام فيها شهورا الى أن عمر داره دار حمارويه المعروفة بدار الحرم وسكنها وقيل ان سبب انتقاله من جنان بنى مسكين بخار البركة وقيل وباء وقع فى غلمانه وقيل ظهر له بها جان وكانت دار الفيل هذه ينظر منها جزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة قال أبو عمر الكندى فى كتاب الموالى ومنهم أبو غنيم مولى مسلمة بن مخلد الانصارى كان شريفا فى الموالى وولاه عبد العزيز بن مروان الجزيرة ثم عزله عنها وكان يجلس فى داره التى يقال لها دار الفيل فينظر الى الجزيرة فيقول لاخوانه أخبرونى بأعجب شئ فى الدنيا قالوا منارة الاسكندرية قال ما اصبتم شيأ قال فيقولون له فقناة قرطاجنة فيقول ماصنعتم شيأ قالوا فما تقول انت قال العجب انى انظر الى الجزيرة ولا اقدر ادخلها وعلى هذه البركة الآن عدّة آدر جليلة وجامع وحمام وغير ذلك والله تعالى اعلم بالصواب

(بركة الفيل) هذه البركة فيما بين مصر والقاهرة وهى كبيرة جدا ولم يكن فى القديم عليها بنيان ولما وضع جوهر القائد مدينة القاهرة كانت تجاه القاهرة ثم حدثت حارة السودان وغيرها خارج باب زويلة وكان ما بين حارة السودان وحارة اليانسية وبين بركة الفيل فضاء ثم عمر الناس حول بركة الفيل بعد السمائة حتى صارت مساكنها اجل مساكن مصر كلها* قال ابن سعد وقد ذكر القاهرة وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لانها

دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج اصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها اقول

انظر الى بركة الفيل التى اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هى والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت

انظر الى بركة الفيل التى نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك محفوفا ببهجتها * تهيم وجدا وحبا فى بدائعها

وماء النيل يدخل الى بركة الفيل من الموضع الذى يعرف اليوم بالجسر الاعظم تجاه الكبش وبلغنى انه كان هنالك قنطرة كبيرة فهدمت وعمل مكانها هذا الجسر الذى يمر عليها الناس ويعبر ماء النيل الى هذه البركة أيضا من الخليج الكبير من تحت قنطرة تعرف قديما وحديثا بالمجنونة وهى الآن لا تشبه القناطر وكأنها سرب يعبر منه الماء وفوقه بقية عقد من ناحية الخليج كان قد عقده الامير الطيبرس وبنى فوقه منتزها فقال فيه علم الدين بن الصاحب

ولقد عجبت من الطبرس وصحبه * وعقولهم بعقوده مفتونه
عقدوا عقودا لا تصح لانهم * عقدوا المجنون على مجنونه

وكان الطيبرس هذا يعتريه الجنون واتفق أن هذا العقد لم يصح وهدم وآثاره باقية الى اليوم *(بركة الشقاف) هذه البركة فى بر الخليج الغربى بجوار اللوق وعليها الجامع المعروف بجامع الطباخ فى خط باب اللوق وكانت هذه البركة من جملة اراضى الزهرى كما ذكر فى حكر الزهرى عند ذكر الاحكار وكان عليها فى القديم عدة مناظر منها منظرة الامير جمال الدين موسى بن يغمور وذلك ايام كانت اراضى اللوق مواضع نزهة قبل أن تحتكر وتبنى دورا وذلك بعد سنة ستمائة والله تعالى أعلم *(بركة السباعين) عرفت بذلك لانه اتخذ عليها دار للسباع وهى موجودة هنالك الى يومنا هذا وهى من جملة حكر الزهرى وعليها الآن دور ولم تحدث بها العمارة الا بعد سنة سبعمائة وانما كان جميع ذلك الخط وما حوله من منشأة المهرانى الى المقس بساتين ثم حكرت *(بركة الرطلى) هذه البركة من جملة ارض الطبالة عرفت ببركة الطوابين من اجل انه كان يعمل فيها الطوب فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى التمس الامير بكتمر الحاجب من المهندسين أن يجعلوا حفر الخليج على الجرف الى أن يمر بجانب بركة الطوابين هذه ويصب من بحرى ارض الطبالة فى الخليج الكبير فوافقوه على ذلك ومر الخليج من ظاهر هذه البركة كما هو اليوم فلما جرى ماء النيل فيه روى ارض البركة فعرفت ببركة الحاجب فانها كانت بيد الامير بكتمر الحاجب المذكور وكان فى شرقى هذه البركة زاوية بها نخل كثير وفيها شخص يصنع الارطال الحديد التى تزن بها الباعة فسماها الناس بركة الرطلى نسبة لصانع الارطال وبقيت نخيل الزاوية قائمة بالبركة الى ما بعد سنة تسعين وسبعمائة فلما جرى الماء فى الخليج الناصرى ودخل منه الى هذه البركة عمل الجسر بين البركة والخليج فحكره الناس وبنوا فوقه الدور ثم تتابعوا فى البناء حول البركة حتى لم يبق بدائرها خلو وصارت المراكب تعبر اليها من الخليج الناصرى فتدور تحت البيوت وهى مشحونة بالناس فتمر هنالك للناس احوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس فى المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات واختلاطهن بالرجال من غير انكار فاذا نضب ماء النيل زرعت هذه البركة بالقرط وغيره فيجتمع فيها من الناس فى يومى الاحد والجمعة عالم لا يحصى لهم عدد وأدركت بهذه البركة من بعد سنة سبعين وسبعمائة الى سنة ثمانمائة اوقاتا انكفت فيها عين كان بها ايدى الغير وقدت عن اهاليها اعين الحوادث وساعدهم الوقت اذ الناس ناس والزمان زمان ثم لما تكدر جو المسرات وتقلص ظل الرفاهة وانحلت سحائب المحن من سنة ست وثمانمائة تلاشى أمرها وفيها الى الآن بقية صبابة ومعالم انس وآثار تنبئ عن حسن عهد ولله در القائل

فى ارض طبالتنا بركة * مدهشة للعين والعقل
ترجح فى ميزان عقلى على * كل بحار الارض بارطل

*(ابركة

* (البركة المعروفة ببطن البقرة) هذه البركة كانت فيما بين أرض الطبالة وأراضي اللوق يصل اليها ماء النيل من الخور فيعبر في خليج الذكر اليها وكانت تجاه قصر اللؤلؤة ودار الذهب في بر الخليج الغربي واول ما عرفت من خبر هذه البركة انها كانت بستانا كبيرا فيما بين المقس وجنان الزهري عرف بالبستان المقسي نسبة الى المقس ويشرف على بحر النيل من غربيه وعلى الخليج الكبير من شرقيه فلما كان في ايام الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ابي هاشم علي بن الحاكم بأمر الله امر بعد سنة عشر وأربعمائة بازالة انشاب هذا البستان وأن يعمل بركة قدام المنظرة التي تعرف باللؤلؤة فلما كانت الشدة العظمى في زمن الخليفة المستنصر بالله هجرت البركة وبني في موضعها عدة اماكن عرفت بحارة اللصوص اذذاك فلما كان في ايام الخليفة الآمر بأحكام الله ووزارة الاجل المامون محمد بن فاتك البطائحي ازيلت الابنية وعمق حفر الارض وسلط عليها ماء النيل من خليج الذكر فصارت بركة عرفت ببطن البقرة ومابرحت الى مابعد سنة سبعمائة وكان قد تلاشى أمرها منذ كانت الغلوة في زمن الملك العادل كتبغا سنة سبع وتسعين وستمائة فكان من خرج من باب القنطرة يجد عن يمينه ارض الطبالة من جانب الخليج الغربي الى حد المقس ويجد بطن البقرة عن يساره من جانب الخليج الغربي الى حد المقس وبحر النيل الاعظم يجري في غربي بطن البقرة على حافة المقس الى غربي أرض الطبالة ويمر من حيث الموضع المعروف اليوم بالجرف الى غربي البعل ويجري الى منية الشيرج فكان خارج القاهرة احسن متنزه في مصر من الامصار وموضع بطن البقرة يعرف اليوم بكوم الجاكي المجاور لميدان القمح وماجاور تلك الكيمان والخراب الى نحو باب اللوق وحدثني غير واحد ممن لقيت من شيوخ المقس عن مشاهدة آثار هذه البركة واخبرني عمن شاهد فيها الماء والى زمننا هذا موضع من غربي الخليج فيما يلي ميدان القمح يعرف ببطن البقرة بقية من تلك البركة يجتمع فيه الناس للنزهة * (بركة جناق) هذه البركة خارج باب الفتوح كانت بالقرب من منظرة باب الفتوح التي تقدم ذكرها في المناظر وكان ماحولها بساتين ولم يكن خارج باب الفتوح شيء من هذه الابنية وانما كان هنالك بساتين فكانت هذه البركة فيما بين الخليج الكبير وبستان ابن صيرم فلما حكر بستان ابن صيرم وعمر في مكانه الآدر وغيرها وعمر الناس خارج باب الفتوح عمر ماحول هذه البركة بالدور وسكنها الناس وهي الى الآن عامرة وتعرف ببركة جناق * (بركة الحجاج) هذه البركة في الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد منها عرفت اولا بجب عميرة ثم قيل لها أرض الجب وعرفت الى اليوم ببركة الحجاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم وبعض من لامعرفة له بأحوال أرض مصر يقول جب يوسف عليه السلام وهو خطأ لا اصل له ومابرحت هذه البركة منتزها للملوك القاهرة * قال ابن يونس عميرة ابن تميم بن جزء التجيبي من بني القرناء صاحب الجب المعروف بجب عميرة في الموضع الذي يبرز اليه الحاج من مصر لخروجهم الى مكة وقال أبو عمر الكندي في كتاب الخندق ان فرسان الخندق من جب عميرة بن تميم بن جزء وصاحب جب عميرة من بني القرناء طعن في تلك الايام فارتث فمات بعد ذلك * وقال في كتاب الامراء ثم ان اهل الحوف خرجوا على ليث بن الفضل أمير مصر وكان السبب في ذلك أن ليثا بعث بمساح يمسحون عليهم اراضي زرعهم فانتقصوا من القصب اصابع فتظلم الناس الى ليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم ليث في أربعة آلاف من جند مصر ليومين بقيا من شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى مع أهل الحوف لثنتي عشرة خلت من شهر رمضان فانهزم الجيش عن ليث وبقي في مائتين أو نحوها فحمل عليهم بمن معه فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة وكان التقاؤهم في أرض جب عميرة وبعث ليث الى الفسطاط بثمانين رأسا ورجع الى الفسطاط وقال المسبحي ولاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة عرض أمير المؤمنين العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب فنصب له مضرب ديباج رومي فيه ألف ثوب مفوفة فضة ونصبت له فازة مستقلة وقبة مثقلة بالجوهر وضرب لابنه المنصور مضرب آخر وعرضت العساكر فكانت عدتها مائة عسكر وأقبلت اساري الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب * وقال ابن ميسر كان من عادة أمير المؤمنين المستنصر بالله أن يركب في كل سنة على النجب مع النساء والحشم الى جب عميرة وهو موضع نزهة بهيئة انه خارج للحج على سبيل الهزؤ والمجانة ومعه الخمر في الروايا عوضا عن الماء ويسقيه الناس وقال ابو الخطاب بن دحية وخطب لبني عبيد ببغداد أربعين جمعة وذلك

للمستنصر بل للبطال المستهتر انشده العقيلي صبيحة يوم عرفة

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء * ولا تنحي ضحى الا بصهباء
وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم * الى منى قصفهم مع كل هيفاء

ووصل الف القطع للضرورة وهو جائز فخرج في ساعته بروايا الخمر تزجى بنغمات حداة الملاهي وتساق * حتى اناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق * فاقام بها سوق الفسوق على ساق * وفي ذلك العام اخذه الله وأخذ أهل مصر بالسنين * حتى بيع القرص في ايامه بالثمن الثمين * وقال القاضي الفاضل في حوادث المحرم سنة سبع وسبعين وخمسمائة وفيه خرج السلطان يعني صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بركة الجب للصيد ولعب الاكرة وعاد الى القاهرة في سادس يوم من خروجه وذكر من ذلك كثيرا عن السلطان صلاح الدين وابنه الملك العزيز عثمان * وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاون وفي حوادث صفر سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وفيه ركب السلطان الى بركة الحجاج لرمي على الكراكي وطلب كريم الدين ناظر الخاص ورسم أن يعمل فيها أحواشا للخيل والجمال وميدانا وللامير بكتمر الساقي مثله فأقام كريم الدين بنفسه في هذا العمل ولم يدع أحدا من جميع الصناع المحتاج اليهم يعمل في القاهرة عملا فكان فيها نحو الالفي رجل ومائة زوج بقر حتى تمت المواضع في مدة قريبة وركب السلطان اليها وأمر بعمل ميدان لنتاج الخيل فعمل ومابرح الملوك يركبون الى هذه البركة لرمي الكراكي وهم على ذلك الى هذا الوقت وقد خربت المباني التي انشأها الملك الناصر وادركنا بهذه البركة مراحا عظيما للاغنام التي يعلفها التركماني حب القطن وغيره من العلف فتبلغ الغاية في السمن حتى انه يدخل بها الى القاهرة محمولة على العجل لعظم جثتها وثقلها وعجزها عن المشي وكان يقال كبش بركاوي نسبة الى هذه البركة وشاهدت مرة كبشا من كباش هذه البركة وزنت شقته اليمنى فبلغت زنتها خمسة وسبعين رطلا سوى الالية وبلغني عن كبش انه وزن ما في بطنه من الشحم خاصة فبلغ أربعين رطلا وكانت ألايا تلك الكباش تبلغ الغاية في الكبر وقد بطل هذا من القاهرة منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة حتى لا يكاد يعرفه اليوم الا أفراد من الناس وبركة الحجاج اليوم ارباب دركها قوم من العرب يعرفون ببني صبرة وقال الشريف محمد بن اسعد الجواني في كتاب الجوهر المكنون في معرفة القبائل والبطون بنو بطيخ بطن من لخم وهم ولد بطيخ ابن مغالة بن دعجان بن عميث بن كليب بن أبي الحارث بن عمرو بن رميمة بن جدس بن اريش بن اراش بن جديلة ابن لخم ونخذها بنو صبرة بن بطيخ ولهم حارة مجاورة للخطة المعروفة اليوم بكوم دينار السايس وصبرة في خندف وفي قيس ونزار و يمن فالتي في خندف في بني جعفر الطيار بنو صبرة بن جعفر بن داود بن محمد بن جعفر بن ابراهيم ابن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فخذ والتي في قيس بنو صبرة بن بكر بن اشجع بن ريث بن غطفان ابن سعد بن قيس بن عيلان فخذ وأما التي في نزار ففي شيبان بنو صبرة بن عوف بن محكم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار فخذ واما التي في يمن ففي لخم وجذام فأما التي في لخم فبنو صبرة بن بطيخ بن مغالة بن دعجان بن عميث بن كليب ابن أبي الحارث بن عمرو بن رميمة بن جدس بن اريش بن اراش بن جديلة بن لخم وأما التي في جذام فبنو صبرة بن نصرة بن غطفان بن سعد بن اياس بن حرام بن جذام واليه يرجع الصبريون وهم بالشام والله تعالى أعلم * (بركة قرموط) هذه البركة فيما بين اللوق والمقس كانت من جملة بستان ابن ثعلب فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري من موردة البلاط رمي ما خرج من الطين في هذه البركة وبني الناس الدور على الخليج فصارت البركة من ورائها وعرفت تلك الخطة كلها ببركة قرموط وادركنا بها ديارا جليلة تناهى اربابها في احكام بنائها وتحسين سقوفها وبالغوا في زخرفتها بالرخام والدهان وغرسوا بها الاشجار وأجروا لها المياه من الآبار فكانت تعد من المساكن البديعة النزهة واكثر من كان يسكنها الكتاب مسلوهم ونصاراهم وهم في الحقيقة المترفون أولو النعمة فكم حوت تلك الديار من حسن ومستحسن واني لاذكرها وما مررت بها قط الا وتبين لي من كل دار هناك آثار النعم اما روائح تقالي المطابخ أو عبير بخور العود والند أو نفحات الخمر أو صوت غناء اودق هاون ونحو ذلك مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهة عيشهم وغضارة نعمهم ثم هي الآن موحشة خراب قد هدمت تلك المنازل وبيعت أنقاضها منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة

مزالت الطرق وجهلت الازقة وانكشفت البركة وبقى حولها بساتين خراب وبلغنى أن المراكب كانت تعبر الى هذه البركة للتنزه وما احسب ذلك كان فانها كانت من جملة البستان ولم ينقل انه كان بقربها خليج سوى الخور ويبعد أن يصل اليها والله أعلم * وقرموط هذا هو أمين الدين قرموط مستوفى الخزانة السلطانية * (بركة قراجا) هذه البركة خارج الحسينية قريبا من الخندق عرفت بالامير زين الدين قراجا التركمانى أحد أمراء مصر أنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بالامرة فى سنة سبع عشرة وسبعمائة * (البركة الناصرية) هذه البركة من جملة جنان الزهرى فلما خربت جنان الزهرى صار موضعها كوم تراب الى أن انشأ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ميدان المهارى فى سنة عشرين وسبعمائة وأراد بناء الزريبة بجانب الجامع الطيبرسى احتاج فى بنائها الى طين فركب وعين مكان هذه البركة وأمر الفخر ناظر الجيش فكتب اوراقا بأسماء الامراء وانتدب الامير بيبرس الحاجب فنزل بالمهندسين فقاسوا دور البركة ووزع على الامراء بالاقصاب فنزل كل أمير وضرب خيمة لعمل ما يخصه فابتدؤا العمل فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وسبعمائة فتمادى الحفر الى جانب كنيسة الزهرى وكان اذ ذاك فى تلك الارض عدة كنائس ولم يكن هناك شئ من العمائر التى هى اليوم حول البركة الناصرية ولا من العمائر التى فى خط قناطر السباع ولا فى خط السبع سقايات الى قنطرة السد وانما كانت بساتين وكنائس وديورة للنصارى فاستولى الحفر على ما حول كنيسة الزهرى وصارت فى وسط الحفر حتى تعلقت وكان القصد أن تسقط من غير تعمد هدمها فأراد الله تعالى هدمها على يد العامة كما ذكر فى خبرها عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب فلما تم حفر البركة نقل ما خرج منها من الطين الى الزريبة واجرى اليها الماء من جوار الميدان السلطانى الكائن بأراضى بستان الخشاب عند موردة البلاط فلما امتلأت بالماء صارت مساحتها سبعة افدنة فحكر الناس ما حولها وبنوا عليها الدور العظيمة ومابرح خط البركة الناصرية عامرا الى أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة فشرع الناس فى هدم ما عليها من الدور فهدم كثير مما كان هناك والهدم مستمر الى يومنا هذا

* (ذكر الجسور) *

الجسر بفتح الجيم الذى تسميه العامة جسرا عن ابن دريد وقال الخليل الجسر والجسر لغتان وهو القنطرة ونحوها مما يعبر عليه وقال ابن سيده والجسر الذى يعبر عليه والجمع القليل أجسر قال

ان فراخا كفراخ الاوكر * بأرض بغداد وراء الاجسر والكثير جسور

* (جسر الافرم) هذا الجسر بظاهر مدينة مصر فيما بين المدرسة المعزية برحبة الحناء قبلى مصر وبين رباط الآثار النبوية كان موضعه فى أول الاسلام غامرا بماء النيل ثم انحسر عنه الماء فصار فضاء الى بحرى خليج بنى وائل ثم ابتنى الناس فيه مواضع وكان هناك الهرى قريبا من الخليج ثم صار موضع جسر الافرم هذا ترعة يدخل منها ماء النيل الى البركة الشعيبية فلما استأجر الامير عز الدين أيبك الافرم بركة الشعيبية وجعلها بستانا كما تقدم ذكره فى البرك ردم هذه الترعة وبنى حيطان البستان وجسر عليه فأقام على ذلك سنين ثم لما استأجر أرض البركة بعد ما غرسها بالاشجار اجارة ثانية اشترط البناء على ثلاثة أفدنة فى جانب البستان الغربى وفدان فى جانبه البحرى ونادى فى الناس بتحكيره وأرخص سعر الحكر وجعل حكر كل مائة ذراع عشرة دراهم فهرع الناس اليه واحتكروا منه المواضع وبنوا فيها الدور المطلة على النيل فاستغنى بالعمائر عن عمل الجسر فى كل سنة بين البحر والبستان الذى أنشأه وبقى اسم الجسر عليه الى يومنا هذا الآن الآدر لتى كانت هناك خربت منذ انطرد النيل عن البر الغربى بعد ما بلغ ذلك الخط الغاية فى العمارة وكان سكن الوزراء والاعيان من الكتاب وغيرهم * (الجسر الاعظم) هذا الجسر فى زماننا هذا قد صار شارعا مسلوكا يمشى فيه من الكبش الى قناطر السباع وأصله جسر يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل وبينهما سرب يدخل منه الماء وعليه أحجار يراها من يمر هناك وبلغنى انه كان هناك قنطرة مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان السلطانى عند موردة البلاط أمر بهدم القنطرة فهدمت ولم يكن اذ ذاك على بركة الفيل من جهة الجسر الاعظم مبان وانما كانت ظاهرة يراها المار ثم أمر السلطان بعمل حائط قصير بطولها فأقيم الحائط وصفر بالطين الاصفر ثم حدثت الدور هناك * (الجسر بأرض الطبالة) هذا الجسر يفصل بين بركة الرطلى وبين الخليج

الناصرى اقامه الامير الوزير سيف الدين بكتمر الحاجب فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة لما انتهى حفر الخليج الناصرى واذن للناس فى البناء عليه بحكر وبنيت فوقه الدور فصارت تشرف على بركة الرطلى وعلى الخليج وتجتمع العامة تحت مناظر الجسر وتمر بحافة الخليج للتنزه فيكثر اغتباط غوغاء الناس وفساقهم بهذا الجسر الى اليوم وهو من انزه فرج القاهرة لولا ما عرف به من القاذورات الفاحشة * (الجسر من بولاق الى منية الشيرج) كان السبب فى عمل هذا الجسر أن ماء النيل قويت زيادته فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة حتى أغرق من ناحية بستان الخشاب ودخل الماء الى جهة بولاق وفاض الى باب اللوق حتى اتصل بباب البحر وبساتين الخور فهدمت عدة دور كانت مطلة على البحر وكثير من بيوت الحكورة وامتد الماء الى ناحية منية الشيرج فقام الفخر ناظر الجيش بهذا الامر وعرف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون انه متى غفل دخل الماء الى القاهرة وغرق أهلها ومساكنها فركب السلطان الى البحر ومعه الامراء فرأى ماهاله وفكر فيما يدفع ضرر النيل عن القاهرة فاقتضى رأيه عمل جسر عند نزول الماء وانصرف فقويت الزيادة وفاض الماء على منشأة المهرانى ومنشأة الكتبة وغرق بساتين بولاق والجزيرة حتى صار ما بين ذلك ملقة واحدة وركب الناس المراكب للفرجة ومروا بها تحت الاشجار وصاروا يتناولون الثمار بأيديهم وهم فى المراكب فتقدم السلطان لمتولى القاهرة ومتولى مصر بيث الاعوان فى القاهرة ومصر لرد الحمير والجمال التى تنقل التراب الى الكيمان وألزمهم بالقاء التراب بناحية بولاق ونودى فى القاهرة ومصر من كان عنده تراب فليرمه بناحية بولاق وفى الاماكن التى قد علا عليها الماء فاهتم الناس من جهة زيادة الماء اهتماما كبيرا خوفا أن يخرق الماء ويدخل الى القاهرة وألزم ارباب الاملاك التى ببولاق والخور والمناشئ أن يقف كل واحد على اصلاح مكانه ويحترس من عبور الماء على غفلة فتطلب كل أحد من الناس الفعلة من غوغاء الناس لنقل التراب حتى عدمت الحرافيش ولم تكن توجد لكثرة ما أخذهم الناس لنقل التراب ورميه وتضررت الآدر القريبة من البحر بنزوها وغرقت الاقصاب والقلقاس والنيلة وسائر الدواليب التى بأعمال مصر فلما انقضت ايام الزيادة ثبت الماء ولم ينزل فى ايام نزوله ففسدت مطامير الغلات ومخازنها وشونها وتحسن سعر السكر والعسل وتأخر الزرع عن أوانه لكثرة ما مكث الماء فكتب لولاة الاعمال بكسر الترع والجسور كى ينصرف الماء عن أراضى الزرع الى البحر الملح واحتاج الناس الى وضع الخراج عن بساتين بولاق والجزيرة ومساحتهم بنظير ما فسد من الغرق وفسدت عدة بساتين الى أن اذن الله تعالى بنزول الماء فسقط كثير من الدور وأخذ السلطان فى عمل الجسور واستدعى المهندسين وامرهم باقامة جسر يصد الماء عن القاهرة خشية أن يكون نيل مثل هذا وكتب باحضار ولاة البلاد فلما تكاملوا امرهم فساروا الى النيل وكشفوا الساحل كله فوجدوا ناحية الجزيرة مما يلى المنية قد صارت أرضها وطيئة ومن هناك يخاف على البلد من الماء فلما عرفوا السلطان بذلك أمر بالزام من له دار على النيل بمصر اومنشأة المهرانى اومنشأة الكتاب أو بولاق أن يعمر قدامها على البحر زربية وأنه لا يطلب منهم عليها حكر ونودى بذلك وكتب مرسوم بمسامحتهم من الحكر عن ذلك فشرع الناس فى عمل الزرابى وتقدم الى الامراء بطلب فلاحى بلادهم واحضارهم بالبقر والجراريف لعمل الجسر من بولاق الى منية الشيرج ونزل المهندسون فقاسوا الارض وفرضوا الكل أميراً قصابا معينة وضرب كل أمير خيمته وخرج لمباشرة ما عليه من العمل فأقاموا فى عمله عشرين يوما حتى فرغ ونصبت عندهم الاسواق فجاء ارتفاعه من الارض أربع قصبات فى عرض ثمانى قصبات فانتفع الناس به انتفاعا كبيرا وقدر الله سبحانه وتعالى أن الزرع فى تلك السنة حسن الى الغاية وافلح فلاحا عجيبا وانحط السعر لكثرة ما زرع من الاراضى وخصب السنة وكان قد اتفق فى سنة سبع عشرة وسبعمائة غرق ظاهر القاهرة أيضا وذلك أن النيل وفى ستة عشر ذراعا فى ثالث عشر جمادى الاولى وهو التاسع والعشرون من شهر أبيب أحد شهور القبط ولم يعهد مثل ذلك فان الانيال البدرية يكون وفاؤها فى العشر الاول من مسرى فلما كسر سد الخليج توقفت الزيادة مدة ايام ثم زاد وتوقف الى أن دخل تاسع توت والماء على سبعة عشر ذراعا وتسعة أصابع ثم زاد فى يوم تسعة أصابع واستمرت الزيادة حتى صار على ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع ففاض الماء وانقطع طريق الناس فيما بين القاهرة ومصر وفيما بين كوم الريش والمنية وخرج من جانب المنية وغرقها فكتب بفتح جميع الترع والجسور بسائر الوجه القبلى والبحرى وكسر بحر ابى المنجا

وفتح

وفتح سد بلبيس وغيره قبل عيد الصليب وغرقت الاقصاب والزراعات الصيفية وعم الماء ناحية منية الشيرج وناحية شبرا الخربت الدور التى هناك وتلف للناس مال كثير من جملته زيادة على ثمانين ألف جرة خمر فارغة تكسرت فى ناحية المنية وشبرا عند هجوم الماء وتلفت مطامير الغلة من الماء حتى بيع قدح القمح بفلس والفلس يومئذ جزء من ثمانية وأربعين جزأ من درهم وصار من بولاق الى شبرا بحرا واحدا تمر فيه المراكب للنزهة فى بساتين الجزيرة الى شبرا وتلفت الفواكه والمشمومات وقات الخضر التى يحتاج اليها فى الطعام وغرقت منشأة المهرانى وفاض الماء من عند خانقاه رسلان وأفسد بستان الخشاب واتصل الماء بالجزيرة التى تعرف بجزيرة الفيل الى شبرا وغرقت الاقصاب التى فى الصعيد فان الماء اقام عليها ستة وخمسين يوما فعصرت كلها عسلا فقط وخربت سائر الجسور وعلاها الماء وتأخر هبوطه عن الوقت المعتاد فسقطت عدة دور بالقاهرة ومصر وفسدت منشأة الكتاب المجاورة لمنشأة المهرانى فلذلك عمل السلطان الجسر المذكور خوفا على القاهرة من الغرق * (الجسر بوسط النيل) وكان سبب عمل هذا الجسر أن ماء النيل قوى رميه على ناحية بولاق وهدم جامع الخطيرى ثم جدد وقويت عمارته وتيار البحر لا يزداد من ناحية البر الشرقى الا قوة فأهم الملك الناصر أمره وكتب فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بطلب المهندسين من دمشق وحلب والبلاد الفراتية وجمع المهندسين من أعمال مصر كلها قبليها وبحريها فلما تكاملوا عنده ركب بعساكره من قلعة الجبل الى شاطئ النيل ونزل فى الحراقة وبين يديه الامراء وسائر ارباب الخبرة من المهندسين وجولة الجسور وكشف امر شطوط النيل فاقتضى الحال أن يعمل جسر فيما بين بولاق وناحية انبوبه من البر الغربى ليرد قوة التيار عن البر الشرقى الى البر الغربى وعاد الى القلعة فكتبت مراسيم الى ولاة الاعمال باحضار الرجال صحبة المشدين واستدعى شاد العمائر السلطانية وأمره بطلب الحجارين وقطع الحجر من الجبل وطلب رئيس البحر وشاد الصناعة لاحضار المراكب فلم يمض سوى عشرة ايام حتى تكامل حضور الرجال مع الشادين من الاقاليم وندب السلطان لهذا العمل الامير أقبغا عبد الواحد والامير برصبغا الحاجب فبرزا لذلك وأحضروالى القاهرة ووالى مصر وأمر بجمع الناس وتسخير كل أحد للعمل فركبا وأخذا الحرافيش من الاماكن المعروفة بهم وقبضا على من وجد فى الطرقات وفى المساجد والجوامع وتتبعاهم فى الامصار ووقع الاهتمام الكبير فى العمل من يوم الاحد عاشر ذى القعدة وكانت ايام القيظ فهلك فيه عدة من الناس والامير اقبغا فى الحراقة يستحث الناس على انجاز العمل والمراكب تحمل الحجر من الفص الكبير الى موضع الجسر وفى كل قليل يركب السلطان من القلعة و يقف على العمل ويهين أقبغا ويسبه ويستحثه حتى تم العمل للنصف من ذى الحجة وكانت عدة المراكب التى غرقت فيه وهى مشحونة بالحجارة اثنى عشر مركبا كل مركب منها تحمل ألف أردب غلة وعدة المراكب التى ملئت بالحجر حتى ردم وصار جسرا ثلاثة وعشرون ألف مركب سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسرياقات وحفر فى الجزيرة خليج وطىء فلما جرى النيل فى ايام الزيادة مر فى ذلك الخليج ولم يتأثر الجسر من قوة التيار وصارت قوة جرى النيل من ناحية أنبوبة بالبر الغربى ومن ناحية التكرورى أيضا فسر السلطان بذلك وأعجبه اعجابا كثيرا وكان هذا الجسر سبب انطراد الماء عن بر القاهرة حتى صار الى ما صار اليه الآن * (الجسر فيما بين الجيزة والروضة) كان السبب المقتضى لعمل هذا الجسر أن الملك الناصر لما عمل الجسر فيما بين بولاق وناحية أنبوبة وناحية التكرورى انطرد ماء النيل عن بر القاهرة وانكشفت أراض كثيرة وصار الماء يحاض من بر مصر الى المقياس وانكشف من قبالة منشأة المهرانى الى جزيرة الفيل والى منية الشيرج وصار الناس يجدون مشقة لبعد الماء عن القاهرة وغلت روايا الماء حتى بيعت كل راوية بدرهمين بعد ما كانت بنصف وربع درهم فشكا الناس ذلك الى الامير أرغون العلائى والى السلطان الملك الكامل شعبان بن الملك الناصر محمد ابن قلاون فطلب المهندسين ورئيس البحر وركب السلطان بأمرائه من القلعة الى شاطئ النيل فلم يتهيأ عمل لما كان من ابتداء زيادة النيل الا أن الرأى اقتضى نقل التراب والشقاف من مطابخ السكر التى كانت بمصر والقاء ذلك بالروضة لعمل الجسر فنقل شئ عظيم من التراب فى المراكب الى الروضة وعمل جسر من الجيزة الى نحو المقياس فى طول نحو ثلثى ما بينهما من المسافة فعاد الماء الى جهة مصر عودا يسيرا وعجزوا عن ايصال الجسر الى المقياس لقلة التراب وقويت الزيادة حتى علا الماء الجسر بأسره واتفق قتل الملك الكامل بعد

ذلك وسلطنة أخيه الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاون أول جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة فلما دخلت سنة ثمان وأربعين وقف جماعة من الناس للسلطان فى أمر البحر واستغاثوا من بعد الماء وانكشاف الاراضى من تحت البيوت وغلاء الماء فى المدينة فأمر بالكشف عن ذلك فنزل المهندسون واتفقوا على اقامة جسر ليرجع الماء عن برّ الجيزة الى برّ مصر والقاهرة وكتبوا تقدير ما يصرف فيه مائة وعشرين ألف درهم فضة فأمر بجبايتها من ارباب الاملاك التى على شط النيل وأن يتولى القاضى ضياء الدين يوسف بن أبى بكر المحتسب جبايتها واستخراجها فقيست الدور وأخذ عن كل ذراع من اراضيها خمسة عشر درهما وتولى قياسها أيضا المحتسب ووالى الصناعة فبلغ قياسها سبعة آلاف وستمائة ذراع وجبى نحو السبعين ألف درهم فاتفق عزل الضياء عن الحسبة ونظر المارستان المنصورى ونظر الجوالى وولاية ابن الاطروش مكانه ثم قتل الملك المظفر وولاية أخيه الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون سلطنة مصر بعده فى شهر رمضان منها فلما كان فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة وقع الاهتمام بعمل الجسر فنزل الامير ايبغا أروس نائب السلطنة والامير منجك الاستادار وكان قد عزل من الوزارة والامير قبلاى الحاجب وجماعة من الامراء ومعهم عدّة من المهندسين الى البحر فى الحراريق والمراكب الى برّ الجيزة وقاسوا ما بين برّ الجيزة والمقياس وكتب تقدير المصروف نحو المائة والخمسين ألف درهم وألف خشبة من الخشب وخمسمائة صارو وألف حجر فى طول ذراعين وعرض ذراعين وخمسة آلاف شنفة وغير ذلك من اشياء كثيرة فركب النائب والوزير والامير شيخو والامراء الى الجيزة واعادوا النظر فى امر الجسر ومعهم ارباب الخبرة فالتزم الامير منجك بعمل الجسر وأن يتولى جباية المصروف عليه من سائر الامراء والاجناد والكتّاب وأرباب الاملاك بحيث انه لا يبقى أحد حتى يؤخذ منه فرسم لكتّاب الجيش بكتابة اسماء الجند وقرّر على كل مائة دينار من الاقطاعات درهم واحد وعلى كل امير من خمسة آلاف درهم الى اربعة آلاف درهم وعلى كل كاتب امير ألف مائتا درهم وكاتب امير الطبلخانات مائة درهم وعلى كل حانوت من حوانيت التجار درهم وعلى كل دار درهمان وعلى كل بستان الفدان من عشرين درهما الى عشرة دراهم وعلى كل طاحون خمسة دراهم عن الحجر وعلى كل صهريج فى تربة بالقرافة أو فى ظاهر القاهرة أو فى مدرسة من عشرة دراهم الى خمسة دراهم وعلى كل تربة من ثلاثة دراهم الى درهمين وعلى اصحاب المقاعد والمتعيشين فى الطرقات شئ وكشفت البساتين والدور التى استجدّت من بولاق الى منية الشيرج والتى استجدّت فى الحكورة والتى استجدّت على الخليج الناصرى وعلى بركة الحاجب وفى حكر أخى صاروجا وقيست أراضيها كلها وأخذ عن كل ذراع منها خمسة عشر درهما وأخذ عن كل قمين من اقمنة الطوب شئ وعن كل فاخورة من الفواخير شئ وفرض على كل وقف بالقاهرة ومصر والقرافتين من الجوامع والمساجد والخوانك والزوايا والربط شئ وكتب الى ولاة الاعمال بالجباية من ديورة النصارى وكنائسهم من مائتى درهم الى مائة درهم وقرّر على الفنادق والخانات التى بالقاهرة ومصر شئ وقرّر على ضامنة الاغانى مبلغ خمسين ألف درهم وأقيم لكل جهة شادّ وصيرفى وكتّاب وغير ذلك من المستخدمين من الاعوان فنزل من ذلك بالناس بلاء كبير وشدّة عظيمة فانه أخذ حتى من الشيخ والعجوز والارملة وجبى المال منهم بالعسف وابطل كثير منهم سببه لسعيه فى الغرامة ودهى الناس مع الغرامة بتسلط الظلمة من العرفاء والضمان والرسل فكان يغرم كل أحد للقابض والشادّ والصيرفى والشهود سوى ما قرّر عليه جملة دراهم فكثر كلام الناس فى الوزير حتى صاروا يلهجون بقولهم هذه سخطة مرصصة نزلت من السماء على أهل مصر وقاسوا شدّة أخرى فى تحصيل الاصناف التى يحتاج اليها ونزل الوزير منجك وضرب له خيمة على جانب الروضة ونادى فى الحرافيش والفعلة من اراد العمل يحضر ويأخذ أجرته درهما ونصفا وثلاثة أرغفة فاجتمع اليه عالم كثير وجعل لهم شيأ يستظلون به من حرّ الشمس وأحسن اليهم ورتب عدّة مراكب لنقل الحجر وأقام عدّة من الحجارين فى الجبل لقطع الحجر وجمالا وحميرا تنقلها من الجبل الى البحر ثم تحمل من البرّ فى المراكب الى برّ الجيزة وابتدأ بعمل الجسر من الروضة الى ساقية علم الدين بن زنبور وعارضه بجسر آخر من بستان التاج اسحاق الى ساقية ابن زنبور وأقام أخشابا من الجهتين وردم بينهما بالتراب والحجر والحلفاء ورتب الجمال السلطانية لقطع الطين من برّ الروضة وحمله الى وسط الجسر وامر أن لا يبقى بالقاهرة ومصر صانع الا حضر العمل وألزم من كان بالقرب من داره كوم تراب أن ينقله الى الجسر فغرم كل واحد من الناس فى نقل التراب من ألف

درهم الى خمسمائة درهم وكان كل ما ينقل فى المراكب من الحجر وغيره يرمى فى وسط جسر المقياس وتحمله الجمال الى الجسر ثم اقتضى الرأى حفر خليج يجرى الماء فيه عند زيادة النيل لتضعف قوة التيار عن الجسر فاحضرت الابقار والجراريف والرجال لاجل ذلك وابتدؤا حفره من رأس موردة الحلفاء تحت الدور الى بولاق وكانت الزيادة قد قربت وانهافتا انتهى الحفر حتى زاد ماء النيل وجرى فيه فسر الناس به سرورا كبيرا وانتهى عمل الجسر فى أربعة اشهر الا أن الشناعة قويت على الوزير وبلغ الامراء النائب ما يقال عن منجك من كثرة جباية الاموال فحدثه فى ذلك ومنعه فاعتذر بأنه لم يسخر أحدا ولا استعمل الناس الا بالاجرة وان فى هذا العمل للناس عدة منافع وما على من قول اصحاب الاغراض الفاسدة ونحو ذلك وتمادى على ماهو عليه فلما جرى الماء فى الخليج الذى حفر تحت البيوت من موردة الحلفاء الى بولاق مرت فيه المراكب بالناس للفرجة واحتاج منجك الى نقل خيمته من بر الروضة الى بر الجيزة وأحضر المراكب الكبار وملأها بالحجارة وغرق منها عشرة مراكب فى البحر وردم التراب عليها الى أن كمل نحو ثلثى العمل فقويت زيادة الماء وبطل العمل فلما كثرت الزيادة جمع منجك الحرافيش والاسرى وردم على الجسر التراب وقواه فتحامل الماء عن البر الغربى الى البر الشرقى ومر من تحت الميدان السلطانى وزريبة قوصون الى بولاق فصار معظمه من هذه المواضع وحصل الغرض بكون الماء بالقرب من القاهرة وانتهى طول جسر منجك الى مائتين وتسعين قصبة فى عرض ثمان قصبات وارتفاع أربع قصبات والجسر الذى من الروضة الى المقياس طوله مائتان وثلاثون قصبة وعدة ما رمى فى هذا العمل من المراكب المشحونة بالحجر اثنا عشر ألف مركب سوى التراب وغير ذلك وكان ابتداء العمل فى مستهل المحرم وانتهاؤه فى سلخ ربيع الآخر ولم تنحصر الاموال التى جبيت بسببه فانه لم يبق بالقاهرة ومصر دار ولا فندق ولا حمام ولا طاحون ولا وقف جامع أو مدرسة أو مسجد أو زاوية ولا رزقة ولا كنيسة الا وجبى منه فكان الرجل الواحد يغرم العشرة دراهم ومن خصه درهم ان يحتاج الى غرامة أمثالهما وأضعافهما وناهيك بمال يجبى من الديار المصرية على هذا الحكم كثرة وقد بقيت من جسر منجك هذا بقية هى معروفة اليوم فى طرف الجزيرة الوسطى * (جسر الخليلى) هذا الجسر فيما بين الروضة من طرفها البحرى وبين جزيرة اروى المعروفة بالجزيرة الوسطى تجاه الخور وكان سبب عمله أن النيل لما قوى رمى تياره على بر القاهرة فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون وقام فى عمل الجسر ليصير رمى التيار من جهة البر الغربى كما تقدم ذكره انطرد الماء عن بر القاهرة وانكشف ما تحت الدور من منشأة المهرانى الى منية الشيرج وعمل منجك الجسر الذى مر ذكره ليعود الماء فى طول السنة الى بر القاهرة فلم يتهيأ كما كان أولا وجرى فى الخليج الذى احتفره تحت الدور من موردة الحلفاء بمصر الى بولاق وصار تجاه هذا الخليج جزيرة والماء لا يزال ينطرد فى كل سنة عن بر القاهرة الى أن استبد بتدبير مصر الامير الكبير برقوق فلما دخلت سنة أربع وثمانين وسبعمائة قصد الامير جهاركس الخليلى عمل جسر ليعود الماء الى بر القاهرة ويصير فى طول السنة هنالك ويكثر النفع به فيرخص الماء المحمول فى الروايا ويقرب مرسى المراكب من البلد وغير ذلك من وجوه النفع فشرع فى العمل أول شهر ربيع الاول وأقام الخوازيق من خشب السنط طول كل خازوق منها ثمانية اذرع وجعلها صفين فى طول ثلثمائة قصبة وعرض عشر قصبات وسمر فيها افلاق النخل الممتدة وألقى بين الخوازيق ترابا كثيرا وانتصب هنالك بنفسه ومماليكه ولم يجب من أحد مالا البتة فانتهى عمله فى اخريات شهر ربيع الآخر وحفر فى وسط البحر خليجا من الجسر الى زريبة قوصون وقال شعراء العصر فى ذلك شعرا كثيرا منهم عيسى بن حجاج

جسر الخليلى المقر لقد رسا * كالطود وسط النيل كيف يريد
فاذا سألتم عنه ما قلنا لكم * ذا ثابت دهرا وذاك يزيد

وقال الاديب شهاب الدين أحمد بن العطار

شكت النيل ارضه * للخليلى فاحضره
ورأى الماء خائفا * أن يطاها فجسره

وقال

راى الخليلى قلب الماء حين طغى * بنى على قلبه جسرا وحيره

رأى ترمل ارضيه ووحدتها * والنيل قدخاف بغشاها لجسره

ومع ذلك ماازداد الماء الا انطرادا عن برّ القاهرة ومصر حتى لقد انكشف بعد عمل هذا الجسر شئ كثير من الاراضى التى كانت عامرة بماء النيل وبعد النيل عن القاهرة بعد الم يعهد فى الاسلام مثله قط * (جسر شيبين) أنشاه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة بسبب أن اقليم الشرقية كانت له سدود كلها موقوفة على فتح بحر أبى المنجا وفى بعض السنين تشرّق ناحية شيبين وناحية مرصفا وغير ذلك من النواحى التى اراضيها عالية فشكا الامير بشتاك من تشريق بعض بلاده التى فى تلك النواحى فركب السلطان من قلعة الجبل ومعه المهندسون وخولة البلاد وكانت له معرفة بأمور العمائر وحدس جيد ونظر سعيد ورأى مصيب فسار لكشف تلك النواحى حتى اتفق الرأى على عمل الجسر من عند شيبين القصر الى بنها العسل فوقع الشروع فى عمله وجمع له من رجال البلاد اثنى عشر ألف رجل ومائتى قطعة جرّافة وأقام فيه القناطر فصار محبسا لتلك البلاد واذا فتح بحر أبى المنجا امتلأت الاملاق بالماء واسند على هذا الجسر وفى أول سنة عمل هذا الجسر أبطل فتح بحر أبى المنجا تلك السنة وفتح من جسر شيبين هذا وحصل بهذا الجسر نفع كبير لبلاد العلو واستبحر منه عدة بلاد وطيئة والعمل على هذا الجسر الى يومنا هذا * والله اعلم

* (جسر امصر والجيزة) اعلم أن الماء فى القديم كان محيطا بجزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة طول السنة وكان فيما بين ساحل مصر وبين الروضة جسر من خشب وكذلك فيما بين الروضة وبرّ الجيزة جسر من خشب يمرّ عليهما الناس والدواب من مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة وكان هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض وهى موثقة ومن فوق المراكب أخشاب ممتدّة فوقها تراب وكان عرض الجسر ثلاث قصبات * قال القضاعى وأما الجسر فقال بعضهم رأيت فى كتاب ذكرانه خط أبى عبد الله بن فضالة صفة الجسر وتعطيله وازالته وانه لم يزل قائما الى أن قدم المأمون مصر وكان غير بيائم أحدث المأمون هذا الجسر الموجود اليوم الذى تمرّ عليه المارّة وترجع من الجسر القديم فبعد أن خرج المأمون عن البلد أتت ريح عاصف فقطعت الجسر الغربى فصدمت سفنه الجسر المحدث فذهبا جميعا فبطل الجسر القديم واثبت الجديد ومعالم الجسر القديم معروفة الى هذه الغاية * وقال ابن زولاق فى كتاب تمام امراء مصر ولعشر خلون من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة سارت العساكر لقتال القائد جوهر ونزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح والعدّة وضبطوا الجسرين وذكر ما كان منهم الى أن قال فى عبور جوهر أقبلت العساكر فعبرت الجسر أفواجا افواجا وأقبل جوهر فى فرسانه الى المناخ موضع القاهرة وقال فى كتاب سيرة المعز لدين الله وفى مستهل رجب سنة أربع وستين وثلثمائة اصلح جسر الفسطاط ومنع الناس من ركوبه وكان قد أقام سنين معطلا * وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب وذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البرّ الغربى المعروف ببرّ الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه واكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان يعنى الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان رأس هذا الجسر الذى ذكره ابن سعيد حيث المدرسة الخرّوبية من انشاء البدر أحمد بن محمد الخرّوبى التاجر على ساحل مصر قبلى خط دار النحاس ومابرح هذا الجسر الى أن خرّب للملك المعز ايبك التركمانى قلعة الروضة بعد سنة ثمان وأربعين وستمائة فأهمل ثم عمره الملك الظاهر ركن الدين بيبرس على المراكب وعمله من ساحل مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة لاجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الفرنج فعمل ذلك * (الجسر من قليوب الى دمياط) هذا الجسر أنشأه السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصورى المعروف بالجاشنكير فى اخريات سنة ثمان وسبعمائة وكان من خبره انه ورد القصاد بموافقة صاحب قبرس عدة من ملوك الفرنج على غزو دمياط وانهم أخذوا ستين قطعة فاجتمع الامراء واتفقوا على انشاء جسر من القاهرة الى دمياط خوفا من حركة الفرنج فى ايام النيل فيتعذر الوصول الى دمياط وعين لعمل ذلك الامير أقوش الرومى الحسامى وكتب الامراء الى بلادهم بخروج الرجال والابقار ورسم للولاة بمساعدة اقوش وأن يخرج كل وال الى العمل برجال عمله وأبقارهم فناوصل اقوش الى ناحية فارسكور حتى وجد ولاة

الاعمال قد حضروا بالرجال والابقار فرتب الامور فعمل فيه ثلثمائة جرافة بستمائة رأس بقر وثلاثين ألف رجل وأقام اقوش الحرمة وكان عبوسا قليل الكلام مهابا الى الغاية فجد الناس فى العمل لكثرة من ضربه بالمقارع أو خزم انفه اوقطع اذنه اواخرق به الى أن فرغ فى نحو شهر واحد فجاء من قليوب الى دمياط مسافة يومين فى عرض أربع قصبات من اعلاه وست قصبات من اسفله ومشى عليه ستة رؤس من الخيل صفا واحدا فعم النفع به وسلك عليه المسافرون بعدما كان يتعذر السلوك ايام النيل لعموم الماء الاراضى والله تعالى اعلم

(وقد وجد بخط المصنف رحمه الله فى اصله هنا ماصورته)

امراء الغرب ببيروت بيت حشمة ومكارم مقامهم بجبال الغرب من بلاد بيروت ولهم خدم على الناس وتفضيل وهم ينسبون الى الحسين بن اسحاق بن محمد التنوخى الذى مدحه أبو الطيب المتنبى بقوله

شدوا بابن اسحاق الحسين فصافحت * وفاربها كيزانها والنمارق

ثم كان كرامة بن بحير بن على بن ابراهيم بن الحسين بن اسحاق بن محمد التنوخى فهاجر الى الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكى فأقطعه الغرب وما معه بامرته فسمى امير الغرب وكان منشوره بخط العماد الاصفهانى الكاتب فتحضر الامير كرامة بعد البداوة وسكن حصن بالجمور من نواحى اقطاعه ويعلو على تل اعمال بغير بناء ثم أنشأ أولاده هناك حصنا ومازالوا به وكان كرامة ثقيلا على صاحب بيروت وذلك ايام الفرنج فاراد أخذه مرارا فلم يجد اليه سبيلا فأخذ فى الحيلة عليه وهادن اولاده وسألهم حتى نزلوا الى الساحل وألفوا الصيد بالطير وغيره فراسلهم حتى صار يصطاد معهم وأكرمهم وحباهم وكساهم ومازال يستدرجهم مرة بعد مرة ثم أخرج ابنه معه وهو شاب وقال قد عزمت على زواجه ثم دعا ملوك الساحل وأولاد كرامة الثلاثة فأتوه وتأخر أصغر أولاد كرامة مع امه بالحصن فى عدة قليلة فامتلأ الساحل بالشوانى والمدينة بالفرنج وتلقوهم بالشمع والاغانى فلما صاروا فى القلعة وجلسوا مع الملوك غدر بهم وامسكهم وأمسك غلمانهم وغرقهم وركب بجموعه ليلا الى الحصن فأجفل الفلاحون والحريم والصبيان الى الجبال والشعر والكهوف وبلغ من بالحصن أن اولاد كرامة الثلاثة قد غرقوا ففتحوه وخرجت أمهم ومعها ابنها يحيى بن كرامة وعمره سبع سنين ولم يبق من بنيهم سواه فأدرك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتوجه اليه لما فتح صيدا وبيروت وباس رجله فى ركابه فلمس بيده رأسه وقال له أخذنا ثارك طيب قلبك انت مكان ابيك وامر له بكتابة أملاك أبيه بستين فارسا فلما كانت ايام المنصور قلاون ذكر أولاد تغلب بن مسعر الشجاعى أن بيد الحلقة أملاكا عظيمة بغير استحقاق ومن جملتهم أمراء الغرب فحملوا الى مصر ورسم السلطان باقطاع أملاك الجبلية مع بلاد طرابلس لامرائها وجندها فأقطعت لعشرين فارسا من طرابلس فلما كانت ايام الاشرف خليل ابن قلاون قدموا مصر وسألوا أن يخدموا على أملاكهم بالعدة فرسم لهم وأن يزيدوها عشرة ارماح فلما كان الروك الناصرى ونيابة الامير تنكر بالشام وولاية علاء الدين بن سعد كشف تلك الجهات رسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون أن يستمر عليها بستين فارسا فاستمرت على ذلك ثم كان منهم الامير ناصر الدين الحسين ابن خضر بن محمد بن يحيى بن كرامة بن بحير بن على المعروف بابن امير الغرب فكثرت مكارمه واحسانه وخدمته كل من يتوجه الى تلك الناحية وكانت اقامته بقرية أعبية بالجبل وله دار حسنة فى بيروت واتصلت خدمته الى كل غاد ورائح وباد الاكابر والاعيان مع رياسة كبيرة ومعرفة عدة صنائع يتقنها وكتابة جيدة وترسل وعدة قصائد ومولده فى محرم سنة ثمان وستين وستمائة وتوفى للنصف من شوال سنة احدى وخمسين وسبعمائة انتهى * (ووجد بخطه أيضا من أخبار اليمن ما مثاله) * كان ابتداء دولة بنى زياد أن محمد بن ابراهيم ابن عبد الله بن زياد سلمه المأمون مع عدة من بنى أمية الى الفضل بن سهل بن ذى الرياستين فورد على المأمون اختلال اليمن فأثنى الفضل على محمد هذا فبعثه المأمون أميرا على اليمن فحج ومضى الى اليمن وفتح بها من بعد محاربته العرب وملك اليمن وبنى مدينة زبيد فى سنة ثلاث ومائتين وبعث مولاه جعفرا بهدية جليلة الى المأمون فى سنة خمس وعاد اليه فى سنة ست ومعه من جهة المأمون ألفا فارس فقوى ابن زياد وملك جميع اليمن وقلد جعفر الجبال وبنى بها مدينة الدمجرة فظهرت كفاءة جعفر لكثرة دهائه فقتله ابن زياد ثم مات محمد بن زياد فملك بعده

ابنه ابراهيم ثم ملك بعده ابنه أبو الجيش اسحاق بن ابراهيم وطالت مدته ومات سنة احدى وسبعين وثلثمائه
وترك طفلا اسمه زياد فاقيم بعده وكفلته أخته هند ابنة اسحاق وتولى معها رشد عبد أبي الجيش حتى مات
فولى بعد رشد عبده حسين بن سلامة وكان عفيفا فوزر لهند ولأخيها حتى ماتا ثم انتقل الملك الى طفل من آل
زياد وقام بأمره عمته وعبد لحسين بن سلامة اسمه مرجان وكان لمرجان عبدان قد تغلبا على امره يقال لاحدهما
قيس وللآخر نجاح فتنافسا على الوزارة وكان قيس عسوفا ونجاح رفيقا وكان مرجان سيدهما يميل الى قيس
وعمة الطفل تميل الى نجاح فشكا قيس ذلك الى مرجان فقبض على الملك الطفل ابراهيم وعلى عمته تملك فبنى قيس
عليهما جدارا فكان ابراهيم آخر ملوك اليمن من آل زياد وكان القبض عليه وعلى عمته سنة سبع وأربعمائه
فكانت مدة بني زياد مائتي سنة وأربعا وستين سنة فعظم قتل ابراهيم وعمته على نجاح وجمع الناس
وحارب قيسا بزبيد حتى قتل قيس وملك نجاح المدينة في ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وقال لسيده مرجان
مافعلت بموالينا ومواليك فقال هم في ذلك الجدار فأخرجهما وصلى عليهما ودفنهما وبنى عليهما مشهدا
وجعل سيده مرجان موضعهما في الجدار ووضع معه جثة قيس وبنى عليهما الجدار واستبد نجاح بمملكة اليمن
وركب بالمظلة وضربت السكة باسمه ونجاح مولى مرجان ومرجان مولى حسين بن سلامة وحسين مولى رشد
ورشد مولى بني زياد ولم يزل نجاح مالكا حتى مات سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة سمته جارية أهداها اليه
الصليحي وترك من الاولاد عدة فمنهم سعيد الاحول واخوته عدة سنين حتى استولى عليهم الصليحي فهربوا
الى دهلك ثم قدم منهم جياش بن نجاح الى زبيد متنكرا وأخذ منها وديعة وعاد الى دهلك فقدمها أخوه سعيد
الاحول بعد ذلك واختفى بها واستدعى أخاه جياشا وسارا في سبعين رجلا يوم التاسع من ذي القعدة سنة
ثلاث وسبعين وقصدوا الصليحي وقد سار الى الحج فوافوه عند بئر أم معبد وقتلوه في ثاني عشري ذي القعدة
المذكور وقتل معه ابنه عبد الله واحتز سعيد رأسيهما واحتاط على امرأته أسماء بنت شهاب وعاد الى زبيد ومعه
أخوه جياش والرأسان بين أيديهما على هودج أسماء وملك اليمن فجمع المكرم ابن أسما في سنة خمس وسبعين
وسار من الجبال الى زبيد وقاتل سعيدا ففر سعيد وملك المكرم واسمه أحمد وأنزل رأس الصليحي وأخيه ودفنهما
وولى زبيد خاله اسعد بن شهاب وماتت اسماء امه بعد ذلك في صنعاء سنة سبع وسبعين ثم عادا ابنا نجاح الى زبيد
وملكاها في سنة تسع وسبعين ففر أسعد بن شهاب ثم غلبهما أحمد المكرم بن علي الصليحي وقتل سعيد بن نجاح
في سنة احدى وثمانين وفر أخوه جياش الى الهند ثم عاد وملك زبيد في سنة احدى وثمانين المذكورة فولدت له
جاريته الهندية ابنه الفاتك بن جياش وبقي المكرم في الجبال يغير على بلاد جياش وجياش يملك تهامة حتى مات
آخر سنة ثمان وتسعين فملك بعده ابنه فاتك وخالف عليه أخوه ابراهيم ومات فاتك سنة ثلاث وخمسمائة فملك بعده
ابنه منصور بن فاتك وهو صغير فسار عليه عمه ابراهيم فلم يظفر وثار بزبيد عبد الواحد بن جياش وملكها فسار
اليه عبيد فاتك واستعادها ثم مات منصور وملك بعده ابنه فاتك بن منصور ثم ملك بعده ابن عمه فاتك بن محمد بن
فاتك بن جياش في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة حتى قتل سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وهو آخر ملوك بني
نجاح فتغلب على اليمن علي بن مهدي في سنة أربع وخمسين * (وأما الصليحي) فانه علي بن القاضي محمد بن
علي كان أبوه في طاعته أربعون ألفا فأخذ ابنه التشيع عن عامر بن عبد الله الرواحي أحد دعاة المستنصر
وصحبه حتى مات وقد أسند اليه امر الدعوة فقام بها وصار دليلا لحاج اليمن عدة سنين ثم ترك الدلالة في سنة
تسع وعشرين وأربعمائة وصعد رأس جبل مسار في ستين رجلا وجمع حتى ملك اليمن في سنة خمس وخمسين
وأقام على زبيد أسعد بن شهاب بن علي الصليحي وهو أخو زوجته وابن عمه ثم انه حج فقتله بنو نجاح في ذي القعدة
سنة ثلاث وسبعين واستقرت التهائم لبني نجاح واستقرت صنعاء لاحمد بن علي الصليحي المقتول وتلقب
بالملك المكرم ثم جمع وقصد سعيد بن نجاح بزبيد وقاتله وهزمه الى دهلك وملك زبيد في سنة خمس وسبعين فعاد
سعيد وملك زبيد في سنة تسع وسبعين فأتاه المكرم فقتله في سنة احدى وثمانين فملك جياش أخو سعيد
ومات المكرم بصنعاء سنة أربع وثمانين فملك بعده أبو حمير سبا بن احمد المظفر بن علي الصليحي في سنة أربع
وثمانين حتى مات سنة خمس وتسعين وهو آخر الصليحيين فملك بعده علي بن ابراهيم بن نجيب الدولة فقدم من
مصر الى جبال اليمن في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقام بأمر الدعوة والمملكة التي كانت بيد سبا ثم قبض

عليه

عليه بامر الخلفة الآمر باحكام الله الفاطمى بعد سنة عشرين وخمسمائة وانتقل الملك والدعوة الى الزريع ابن عباس بن المكرم وآل الزريع من آل عدن وهم من حمدان ثم من جشم وبنو المكرم يعرفون بآل الذنب وكانت عدن للزريع بن عباس وأحمد بن مسعود بن المكرم فقتلا على زبيد وولى بعدهما ولداهما أبو السعود ابن زريع وأبو الغارات بن مسعود ثم استولى على الملك والدعوة سبأ بن أبى السعود بن زريع حتى مات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة فولى بعده ولده الاعز على بن سبا وكان مقامه بالزمادة فمات بالسل وملك أخوه المعظم محمد فى سنة ثمان وثلاثين * وولى من الصليحيين أيضا الملكة السيدة بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحى زوجة أحمد المكرم واقبت بالحرة ومولدها سنة أربعين وأربعمائة ورثها أسماء بنت شهاب وتزوجها الملك المكرم أحمد ابن أسماء وهو ابن على الصليحى سنة احدى وستين وولاها الامر فى حياته فقامت بتدبير المملكة والحروب وأقبل زوجها على لذاته حتى مات وتولى ابن عمه سبأ فاستمرت فى الملك حتى مات سبأ وتولى ابن نجيب الدولة حتى ماتت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وشاركه فى الملك المفضل أبو البركات بن الوليد الحميرى وكان يحكم بين يدى الملكة الحرة وهى من وراء الحجاب ومات المفضل فى رمضان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وملك بلاده ابنه الملك المنصور منصور بن المفضل حتى ابتاع منه محمد بن سبأ بن أبى السعود معاقل الصليحيين وعدتها ثمانية وعشرون حصنا بمائة ألف دينار فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة وبقى المنصور بعد حتى مات بعدما ملك نحو ثمانين سنة * (وأما على بن مهدى) فانه حميرى من سواحل زبيد كان أبوه مهدى رجلا صالحا ونشأ ابنه على طريقة حسنة وحج ووعظ وكان فصيحا حسن الصوت عالما بالتفسير وغيره يتحدث بالمغيبات فتكون كما يقول وله عدة أتباع كثيرة وجموع عديدة ثم قصد الجبال وأقام بها الى سنة احدى وأربعين وخمسمائة ثم عاد الى أملاكه ووعظ ثم عاد الى الجبال ودعا الى نفسه فأجابه بطن من خولان فسماهم الانصار وسمى من صعد معه من تهامة المهاجرين وولى على خولان سبأ وعلى المهاجرين رجلا آخر وسمى كلا منهما شيخ الاسلام وجعلهما نقيبين على طائفتيهما فلا يخاطبه أحد غيرهما وهما يوصلان كلامه الى من تحت ايديهما وأخذ يغادى الغارات ويراوحها على التهائم حتى اجلى البوادى ثم حاصر زبيد حتى قتل فاتك بن محمد آخر ملوك بنى نجاح لحارب ابن مهدى عبد فاتك حتى غلبهم وملك زبيد يوم الجمعة رابع عشر رجب سنة أربع وخمسين وخمسمائة فبقى على الملك شهرين وأحدا وعشرين يوما ومات فملك بعده ابنه مهدى ثم عبد الغنى بن مهدى وخرجت المملكة عن عبد الغنى الى أخيه عبد الله ثم عادت الى عبد الغنى واستقر حتى سار اليه توران شاه بن ايوب من مصر فى سنة تسع وستين وخمسمائة وفتح اليمن وأسر عبد الغنى وهو آخر ملوك بنى مهدى يكفر بالمعاصى ويقتل من يخالف اعتقاده ويستبيح وطء نسائهم واسترقاق اولادهم وكان حنفى الفروع ولاصحابه فيه غلو زائد ومن مذهبه قتل من شرب الخمر ومن سمع الغناء ثم ملك توران شاه بن أيوب عدن من ياسر وملك بلاد اليمن كلها واستقرت فى ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وعاد شمس الدولة توران شاه بن أيوب الى مصر فى شعبان سنة ست وسبعين واستخلف على عدن عز الدين عثمان بن الزنجيلى وعلى زبيد حطان بن كامل بن منقذ الكنانى فمات شمس الدولة بالاسكندرية فاختلف نوابه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف جيشا فاستولى على اليمن ثم بعث فى سنة ثمان وسبعين أخاه سيف الاسلام ظهير الدين طفتكين بن أيوب فقدم اليها وقبض على حطان بن كامل بن منقذ وأخذ أمواله وفيها سبعون غلاف زردية مملوءة ذهبا عينا وسجنه فكان آخر العهد به ونجا عثمان بن الزنجيلى بأمواله الى الشام فظفر بها سيف الاسلام وصفت له مملكة اليمن حتى مات بها فى شوال سنة ثلاث وتسعين فاقيم بعده ابنه الملك المعز اسماعيل بن طفتكين بن أيوب فخبط وادعى انه أموى وخطب لنفسه بالخلافة وعمل طول كمه عشرين ذراعا فثار عليه مماليكه وقتلوه فى سنة تسع وتسعين واقاموا بعده أخاه الناصر ومات بعد أربع سنين فقام من بعده زوج امه غازى بن جبريل أحد الامراء فقتله جماعة من العرب وبقى اليمن بغير سلطان فتغلبت أم الناصر على زبيد فقدم سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن أيوب الى اليمن فعبر بمحمل ركوبه على كتفه فملكته أم الناصر البلاد وتزوجت به فاشتد ظلمه وعتوه الى أن قدم الملك المسعود اقسيس بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب من مصر فى سنة اثنتى عشرة وستمائة فقبض عليه وحمله الى مصر

فأجرى له الكامل ما يقوم به الى أن استشهد على المنصورة سنة سبع وأربعين وستمائة وأقام المسعود باليمن وحج وملك مكة أيضا في شهر ربيع الاول سنة عشرين وستمائة وعاد الى اليمن ثم خرج عنها واستخلف عليها استاداره على بن رسول غاب بمكة سنة ست وعشرين فقام على بن رسول على ملك اليمن حتى مات في سنة تسع وعشرين واستقر عوضه ابنه عمر بن على بن رسول وتلقب بالمنصور حتى قتل سنة ثمان وأربعين واستقر بعده ابنه المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول وصفا له اليمن وطالت ايامه انتهى ماذكره المصنف بخطه في تاريخه عفا الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مقره ومثواه (ووجد بخطه أيضا ما مثاله) * السلطان محمد بن طغلق شاه وطغلق يلقب غياث الدين وهو مملوك السلطان علاء الدين محمود بن شهاب الدين مسعود ملك الهند مقر ملكه مدينة دهلى وجميع البلاد برا وبحرا بيده الا الجزائر المغلقة في البحر وأما الساحل فلم يبق منه قيد شبر الا وهو بيده وأول ما فتح بلكة تكنك عدة قراها مائة ألف قرية وتسعمائة قرية ثم فتح بلاد حاجنكر وبها سبعون مدينة جليلة كلها بنادر على البحر ثم فتح بلاد لنكوتى وهى كرسى تسعة ملوك ثم فتح بلاد دواكير وبها أربع وثمانون قلعة كلها جليلات المقدار وبها ألف ألف قرية وماءتا ألف قرية ثم فتح بلاد دورسمند وكان بها ستة ملوك ثم فتح بلاد المعبر وهو اقليم جليل له سبعون مدينة بنادر على البحر وجملة ما بيده ثلاثة وعشرون اقليما وهى اقليم دهلى واقليم الدواكير واقليم الملتان واقليم كهران واقليم سامان واقليم سوستان واقليم وجا واقليم هاسى واقليم سرستى واقليم المعبر واقليم تكنك كرات واقليم بداون واقليم عوض واقليم القنوج واقليم لنكوتى واقليم بهار واقليم كره واقليم ملاوه واقليم بهادر واقليم كلانور واقليم حاجنكر واقليم بلنج واقليم ورسمند وهذه الاقاليم تشتمل على ألف مدينة ومائتى مدينة ومدينة دهلى دور عمرانها أربعون ميلا وجملة ما يطلق عليه اسم دهلى احدى وعشرون مدينة وفى دهلى ألف مدرسة كلها للحنفية الا واحدة فانها للشافعية ونحو سبعين مارستانا وفى بلادها من الخوانك والربط نحو ألفين وبها جامع ارتفاع مئذنته ستمائة ذراع في الهواء وللسلطان خدمة مرتين في كل يوم بكرة وبعد العصر وترتب الامراء على هذه الانواع أعلاهم قدرا الخانات ثم الملوك ثم الامراء ثم الاسفهسلارية ثم الجند وفى خدمته ثمانون خانا وعسكره تسعمائة ألف فارس وله ثلاثة آلاف فيل تلبس في الحروب البرك اصطونات الحديد المذهب وتلبس في ايام السلم جلال الديباج وأنواع الحرير وتزين بالقصور والاسرة المصفحة ويشد عليها بروج الخشب يركب فيها الرجال للحرب فيكون على الفيل من عشرة رجال الى ستة وله عشرون ألف مملوك اتراك وعشرة آلاف خادم خصى وألف خازندار وألف مشبقدار وماءتا ألف عبد ركابية تلبس السلاح وتمشى بركابه وتقاتل رجالة بين يديه والاسفهسلارية لا يؤهل منهم أحد لقرب السلطان وانما يكون منهم نوع الولاة والخان يكون له عشرة آلاف فارس وللملك ألف وللامير مائة فارس وللاسفهسلار دون ذلك ولكل خان عبرة لكبير كل لك مائة ألف تنكة كل تنكة ثمانية دراهم ولكل ملك من ستين ألف تنكة الى خمسين ألف تنكة ولكل امير من أربعين ألف تنكة الى ثلاثين ألف تنكة ولكل اسفهسلار من عشرين ألف تنكة الى ما حولها ولكل جندى من عشرة آلاف تنكة الى ألف تنكة ولكل مملوك من خمسة آلاف تنكة الى ألف تنكة سوى طعامهم وكساويهم وعليقهم ولكل عبد في الشهر منان من الحنطة والارز وفى كل يوم ثلاثة استار لحم وما يحتاج اليه وفى كل شهر عشر تنكات بيضاء وفى كل سنة أربع كساو وللسلطان دار طراز فيها أربعة آلاف قزاز لعمل انواع القماش سوى ما يحمل له من الصين والعراق والاسكندرية ويفرق كل سنة مائتى ألف كسوة كاملة في فصل الربيع مائة ألف وفى فصل الخريف مائة ألف ففى الربيع غالب الكسوة من عمل الاسكندرية وفى الخريف كلها حرير من عمل دار الطراز بدهلى وقماش الصين والعراق ويفرق على الخوانك والربط الكساوى وله أربعة آلاف زركشى تعمل الزركش ويفرق كل سنة عشرة آلاف فرس مسرجة وغير مسرجة سوى ما يعطى الاجناد من البراذين فانه بلا حساب يعطى جشارات ومع هذا فالخيل عنده غالية مطلوبة وللسلطان نائب من الخانات يسمى ابربت اقطاعه قدر اقليم بحر العراق ووزير اقطاعه كذلك وله أربعة نواب يسمى كل واحد منهم من أربعين ألف تنكة الى عشرين ألف تنكة وله أربعة دبيسان أى كتاب سر لكل واحد منهم ثلثمائة كاتب ولكل كاتب اقليم عشرة آلاف تنكة ولصدر جهان وهو قاضى القضاة قرى يتحصل منها نحو ستين ألف تنكة ولصدر الاسلام وهو أكبر نواب القاضى ولشيخ الاسلام وهو شيخ الشيوخ مثل ذلك وللمحتسب ثمانية آلاف تنكة

وله ألف طبيب ومائتا بيطار وعشرة آلاف بزدار تركب الخيل وتحمل طيور الصيد وله ثلاثة آلاف سواق
لتحصيل الصيد وخمسمائة نديم وألفان ومائتان للملاهى سوى مماليكه وهم ألف مملوك وألف شاعر باللغات
العربية والفارسية والهندية يجرى عليهم ديوانه ومتى غنى أحد منهم لغيره قتله ولكل نديم قريتان او قرية ومن
أربعين ألف تنكة الى ثلاثين ألف تنكة الى عشرين ألف تنكة سوى الخلع والكساوى والافتقادات ويمد فى وقت
كل خدمة فى المرتين من كل يوم سماط يأكل منه عشرون ألفا مثل الخانات والملوك والامراء والاسفهسلارية
واعيان الاجناد وله طعام خاص يأكل معه الفقهاء وعدتهم مائتا فقيه فى الغداء والعشاء فيأكلون
ويتباحثون بين يديه ويذبح فى مطابخه كل يوم ألفان وخمسمائة رأس من البقر وألفا رأس من الغنم سوى الخيل
وأنواع الطير ولا يحضر مجلسه من الجند الا الاعيان ومن دعته ضرورة الى الحضور والندماء وارباب الاغانى
يحضرون بالنوبة وكذلك الريسان والاطباء ونحوهم لكل طائفة نوبة تحضر فيها للخدمة والشعراء تحضر فى
العيدين والمواسم وأول شهر رمضان واذا تجدد نصر على عدو أو فتوح ونحو ذلك مما يهنى به السلطان وأمور
الجند والعامة مرجعها الى ابريت وأمر القضاة كلهم مرجعه الى صدر جهان وامر الفقهاء الى شيخ الاسلام
وأمر الواردين والوافدين والادباء والشعراء الى الريسان وهم كتاب السر وجهز هذا السلطان مرة أحد
كتاب سره الى السلطان أبى سعيد رسولا وبعث معه ألف ألف تنكة ليتصدق بها فى مشاهد العراق وخمسمائة
فرس فقدم بغداد وقد مات أبو سعيد وكان هذا السلطان ترعد الفرائص لهابته وتزلزل الارض لموكبه يجلس
بنفسه لانصاف رعيته ولقراءة القصص عليه جلوسا عاما ولا يدخل أحد عليه ومعه سلاح ولو السكين
ويجلس وعنده سلاح كامل لا يفارقه أبدا واذا ركب فى الحرب فلا يمكن وصف هيبته وله أعلام سود فى أوساطها
تنانين من ذهب تسير عن يمينه وأعلام حمر فيها تنانين من ذهب تسير عن يساره ومعه مائتا جمل نقارات وأربعون
جملا كوسات كبارا وعشرون بوقا وعشرة صنوج ويدق له خمس نوب كل يوم واذا خرج الى الصيد
كان فى جف وعدة من معه زيادة على مائة ألف فارس ومائتى فيل وأربعة قصور خشب على ثمانمائة جمل كل
قصر منها على مائتى جمل كلها ملبسة حريرا مذهبا كل قصر طبقتان سوى الخيم والجركاوات واذا انتقل من مكان
الى مكان للنزهة يكون معه نحو ثلاثين ألف فارس وألف جنيب مسرجة ملجمة بالذهب المرصع بالجوهر
والياقوت واذا خرج فى قصره من موضع الى آخر يتر راكبا وعلى رأسه الجبر والسلاح دارية وراءه بأيديهم
السلاح وحوله نحو اثنا عشر ألف مملوك مشاة لا يركب منهم الا حامل الجبر والسلاح دارية والجمدارية حملة
القماش واذا خرج للحرب أو سفر طويل حمل على رأسه سبع جبورة منها اثنان مرصعان ليس لهما قيمة وله فخامة
عظيمة وقوانين وأوضاع جليلة والخانات والملوك والامراء لا يركب أحد منهم فى السفر والحضر الا بالاعلام
واكثر ما يحمل الخان سبعة أعلام واكثر ما يحمل الامير ثلاثة واكثر ما يجره الخان فى الحضر عشرة جنائب
واكثر ما يجر الامير فى الحضر جنيبان وأما فى السفر فحسبما يختار وكان السلطان بر واحسان وفيه تواضع
ولقد مات عنده رجل فقير فشهد جنازته وحمل نعشه على عنقه وكان يحفظ القرآن العزيز العظيم والهداية فى فقه
الحنفية ويجيد علم المعقول ويكتب خطا حسنا ولذته فى الرياضة وتأديب النفس ويقول الشعر ويباحث العلماء
ويواخذ الشعراء ويأخذ بأطراف الكلام على كل من حضر على كثرة العلماء عنده والعلماء تحضر عنده وتفطر
فى رمضان معه بتعيين صدر جهان لهم فى كل ليلة وكان لا يترخص فى محذور ولا يقر على منكر ولا يتجاسر أحد
فى بلاده أن يتظاهر بمحرم وكان يشدد فى الخمر ويبالغ فى العقوبة على من يتعاطاه من المقربين منه وعاقب بعض
اكابر الخانات على شرب الخمر وقبض عليه وأخذ أمواله وجملتها أربعمائة ألف ألف مثقال وسبعة
وثلاثون ألف ألف مثقال ذهبا احمر زنتها ألف وسبعمائة قنطار بالمصرى وله وجوه بر كثيرة منها انه يتصدق
فى كل يوم بلكين عنهما من نقد مصر ألف ألف وستمائة ألف درهم وربما بلغت صدقته فى يوم واحد خمسين
لكا ويتصدق عند كل رؤية هلال شهر بالكين دائما وعليه راتب لاربعين ألف فقير كل واحد منهم درهم
فى كل يوم وخمسة ارطال بر وأرز وقرر ألف فقيه فى مكاتب لتعليم الاطفال القرآن وأجرى عليهم الارزاق وكان
لا يدع بدهلى سائلا بل يجرى على الجميع الارزاق ويبالغ فى الاحسان الى الغرباء وقدم عليه رسول من أبى سعيد
مرة بالسلام والتودد فخلع عليه وأعطاه حملا من المال فلما اراد الانصراف امره أن يدخل الخزانة ويأخذ

ما يختار فلم يأخذ غير مصحف فسأله عن ذلك فقال قد اغنانى السلطان بفضله ولم أجد أشرف من كتاب الله فزاد اعجابه به واعطاه مالا جملته ثمانمائة تومان والتومان عشرة آلاف دينار وكل دينار ستة دراهم تكون جملة ذلك ثمانية آلاف ألف دينار عنها ثمانية واربعون ألف ألف درهم وقصده شخص من بلاد فارس وقدم له كتبا فى الحكمة منها كتاب الشفاء لابن سينا فأعطاه جوهرا بعشرين ألف مثقال من الذهب وقصده آخر من بخارى بحملى بطيخ اصفر فتلف غالبه حتى لم يبق منه الا اثنتان وعشرون بطيخة فأعطاه ثلاثة آلاف مثقال ذهبا وكان قد التزم أن لا ينطق فى اطلاقاته بأقل من ثلاثة آلاف مثقال ذهبا وبعث ثلاث لكوك ذهبا الى بلاد ماوراء النهر ليفرّق على العلماء لك وعلى الفقراء لك ويبتاع له حوائج بلك وبعث للبرهان الصباغرجى شيخ سمرقند بأربعين ألف تنكة وكان لا يفارق العلماء سفرا وحضرا ومنار الشرع فى ايامه قائم والجهاد مستمر فبلغ مبلغا عظيما فى اعلاء كلمة الايمان فنشر الاسلام فى تلك الاقطار وهدم بيوت النيران وكسر البدود والاصنام واتصل به الاسلام الى اقصى الشرق وعمر الجوامع والمساجد وأبطل التثويب فى الاذان ولم يخل له يوم من الايام من بيع آلاف من الرقيق لكثرة السبى حتى ان الجارية لا يتعدى ثمنها بمدينة دهلى ثمان تنكات والسرية خمس عشرة تنكة والعبد المراهق اربعة دراهم ومع رخص قيمة الرقيق فانه تبلغ قيمة الجارية الهندية عشرين ألف تنكة لحسنها ولطف خلقها وحفظها القرآن وكتابتها الخط وروايتها الاشعار والاخبار وجودة غنائها وضربها بالعود ولعبها بالشطرنج وهن يتفاخرن فتقول الواحدة آخذ قلب سيدى فى ثلاثة ايام فتقول الاخرى انا آخذ قلبه فى يوم فتقول الاخرى أنا آخذ قلبه فى ساعة فتقول الاخرى أنا آخذ قلبه فى طرفة عين وكان ينعم على جميع من فى خدمته من أرباب السيوف والاقلام بكل جليل من البلاد والاموال والجواهر والخيول المحلاة بالذهب وغير ذلك الا الفيلة فانه لا يشاركه فيها أحد وللثلاثة آلاف فيل راتب عظيم فأكثرها مؤنة له فى كل يوم أربعون رطلا من ارز وستون رطلا من شعير وعشرون رطلا من سمن ونصف حمل من حشيش وقيمها جليل القدر اقطاعه مثل اقليم العراق واذا وقف السلطان للحرب كان أهل العلم حوله والرماة قدامه وخلفه وأمامه الفيلة كما تقدم عليها الفيالة وقدامها العبيد المشاة والخيل فى الميمنة والميسرة فتهيأ له من النصر ما لا تهيأ لاحد ممن تقدمه ففتح الممالك وهدم قواعد الكفار ومحا صور معابدهم وأبطل فخرهم وكان يجلس كل يوم ثلاثاء جلوسا عاما على تخت مصفح بالذهب وعلى رأسه حبر فى موكب عظيم وينادى مناديه من له شكوى فى شخص فينظر فى ظلامات الناس وكان لا يوجد بدهلى فى ايامه خمر البتة وأول من ملك مدينة دهلى قطب الدين ايبك وذلك أن شهاب الدين محمد بن سالم بن الحسين أحد الملوك الغورية فتح الهند بعد عدة حروب واقطع مملوكه ايبك هذا مدينة دهلى فبعث ايبك عسكرا عليه محمد بن بختيار فأخذ الى تخوم الصين وذلك كله فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة ثم ولى بعده ايتمش بن ايبك أربعين سنة فقام بعده ابنه علاء الدين على بن ايتمش بن ايبك ثم أخوه معز الدين بن ايتمش ثم أخته رضية خاتون فأقامت ثلاث سنين ثم أخوها ناصر الدين بن ايتمش فأقام أربعا وعشرين سنة ثم قام بعده مملوكه غياث الدين بلبان سبعا وعشرين سنة ثم بعده معز الدين نيابا خمس سنين ثم ابنه شمس الدين كيومرس سبعة اشهر ثم خرج الملك عن بيت السلطان شمس الدين ايتمش وقويت التركمان الغلجية وكانوا امراء يقال للواحد منهم خان واستبد كبيرهم جلال الدين فيروز سبع سنين ثم ابن أخيه علاء الدين محمود بن شهاب الدين مسعود اثنتين وعشرين سنة ومات سنة خمس عشرة وسبعمائة ثم ابنه شهاب الدين عمر بن محمود بن مسعود سنة واحدة ولقب غياث الدين ثم أخوه قطب الدين مبارك بن محمود أربع سنين وقتل سنة عشرين وسبعمائة ثم علاء الدين خسرو مملوك علاء الدين محمود سبعة اشهر وملك غياث الدين طغلق شاه مملوك السلطان علاء الدين محمود بن مسعود فى أول شعبان سنة عشرين وسبعمائة ثم ملك بعده ابنه محمد بن طغلق شاه صاحب الترجمة هذا آخر ما وجد بخطه رحمه الله تعالى * (ووجد بخطه أيضا رحمه الله تعالى) * ما احسن قول الاديب محمد بن حسن بن شاور النقيب

مشت ايامكم لا بل نراها * جرت جريا على غير اعتياد
وما عقدت نواصيها بخير * ولا كانت تعد من الجياد

(١) (بدخشان) مدينة فيما وراء النهر بها معدن اللعل البدخشانى وهو المسمى بالبلخش وبها معدن اللازورد الفائق

وهما فى جبل يحفر عليهما فى معادنهما فيوجد اللازورد بسهولة ولا يوجد اللعل الا بتعب كبير وانفاق زائد وقد لا يوجد بعد التعب الشديد والنفقة الكثيرة ولهذا عز وجوده وغلت قيمته * وأقصر ليل بلغار بالصيف أربع ساعات ونصف * واقصر ليل افتكون ثلاث ساعات ونصف فهو أقصر من ليل بلغار بساعة واحدة وبين بلغار وأفتكون مسافة عشرين يوما بالسير المعتاد انتهى * السلطانية من عراق العجم بناها السلطان محمد خدابنده اولجايتو بن ارغون بن ابغا بن هولاكو وخدابنده ملك بعد أخيه محمود غازان وملك بعد خدابنده ابنه السلطان أبو سعيد بهادرخان وكان الشيخ حسن بن حسين بن اقبغا مع قائد السلطان محمد بن طشتمر بن استيمر بن عتبرجو ومذ مات أبو سعيد لم يجمع بعده على طاعة ملك بل تفرقوا وقام فى كل ناحية قائم انتهى (ووجد بخطه أيضا مانصه) ولله در أبى اسحاق الاديب حيث قال

اذا كنت قد أيقنت أنك هالك * فمالك مما دون ذلك تشفق

ومما يشين المرء ذا الحلم أنه * يرى الامر حتما واقعا ثم يقلق

وحيث يقول

ومن طوى الخمسين من عمره * لاقى امورا فيه مستنكره

وان تخطاها رأى بعدها * من حادثات الدهر مالم يره

انتهى ماوجد بخطه فى اصله

(ذكر الجزائر)

اعلم أن الجزائر التى هى الآن فى بحر النيل كلها حادثة فى الملة الاسلامية ماعدا الجزيرة التى تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر فان العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص الى مصر وحاصروا الحصن الذى يعرف اليوم بقصر الشمع فى مصر حتى فتحه الله تعالى عنوة على المسلمين كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر ولم يبلغنى الى الآن متى حدثت وأما غيرها من الجزائر فكلها قد تجددت بعد فتح مصر * ويقال والله اعلم ان بلهيت الذى يعرف اليوم بأبى الهول طلسم وضعه القدماء لقلب الرمل عن بر مصر الغربى الذى يعرف اليوم ببر الجيزة وانه كان فى البر الشرقى بجوار قصر الشمع صنم من حجارة على مسامتة أبى الهول بحيث لو امتد خيط من رأس أبى الهول وخرج على استواء لسقط على رأس هذا الصنم وكان مستقبل المشرق وانه وضع أيضا لقلب الرمل عن البر الشرقى فقدر الله سبحانه وتعالى أن كسر هذا الصنم على يد بعض امراء الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة احدى عشرة وسبعمائة وحفر تحته حتى بلغ الحفر الى الماء ظنا أنه يكون هنالك كنز فلم يوجد شئ وكان هذا الصنم يعرف عند أهل مصر بسرية أبى الهول فكان عقيب ذلك غلبة النيل على البر الشرقى وصارت هذه الجزائر الموجودة اليوم وكذلك قام شخص من صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر فى تغيير المنكر أعوام بضع وثمانين وسبعمائة فشوه وجوه سباع الحجر التى على قناطر السباع خارج القاهرة وشوه وجه أبى الهول فغلب الرمل على أراضى الجيزة ولا ينكر ذلك فلله فى خلقه أسرار يطلع عليها من يشاء من عباده والكل بخلقه وتقديره * وقد ذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه فى كتاب أخبار مصر فى خبر الواحات الداخلة أن فى تلك الصحارى كانت اكثر مدن ملوك مصر العجيبة وكنوزهم الا أن الرمال غلبت عليها قال ولم يبق بمصر ملك الا وقد عمل للرمال طلسما لدفعها ففسدت طلسماتها لقدم الزمان * وذكر ابن يونس عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال انى لاعلم السنة التى تخرجون فيها من مصر قال ابن سالم فقلت له ما يخرجنا منها يا أبا محمد أعدو قال لا ولكنكم يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثبان من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه * وقال الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير قال ان الصحابى حدثه أنه سمع كعبا يقول ستعرك العراق عرك الاديم وتفت مصر فت البعرة قال الليث وحدثنى رجل عن وهب المعافرى انه قال وتشق الشام شق الشعرة وسأذكر من خبر هذه الجزائر المشهورة ماوصلت الى معرفته ان شاء الله تعالى

(ذكر الروضة)

اعلم أن الروضة تطلق فى زماننا هذا على الجزيرة التى بين مدينة مصر ومدينة الجيزة وعرفت فى أول الاسلام

بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة الحصن وعرفت الى اليوم بالروضة والى هذه الجزيرة انتقل المقوقس لما فتح الله تعالى على المسلمين القصر وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط وبها أيضا بنى احمد بن طولون الحصن وبها كانت الصناعة يعنى صناعة السفن الحربية اى كانت بها دار الصناعة وبها كان الجنان والمختار وبها كان الهودج الذى بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية وبها بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب القلعة الصالحية وبها الى اليوم مقياس النيل وسأورد من أخبار الروضة هنا مالا تجده مجتمعا فى غير هذا الكتاب * قال ابن عبد الحكم وقد ذكر محاصرة المسلمين للحصن فلما رأى القوم الجد من المسلمين على فتح الحصن والحرص ورأوا صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتنحى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب الحصن القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وامروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل وتخلف فى الحصن بعد المقوقس الاعرج فلما خاف فتح باب الحصن خرج هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة قال وكان بالجزيرة يعنى بعد فتح مصر فى ايام عبد العزيز بن مروان امير مصر خمسمائة فاعل معدة لحريق يكون فى البلد أو هدم * وقال القضاعى جزيرة فسطاط مصر قال الكندى بنيت بالجزيرة الصناعة فى سنة أربع وخمسين وحصن الجزيرة بناه احمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حرمه وماله وكان سبب ذلك مسير موسى بن بغا العراقى من العراق واليا على مصر وجميع أعمال ابن طولون وذلك فى خلافة المعتمد على الله فلما بلغ احمد بن طولون مسيره استعد لحربه ومنعه من دخول أعماله فلما بلغ موسى بن بغا الى الرقة تثاقل عن المسير لعظم شأن ابن طولون وقوته ثم عرضت لموسى علة طالت به وكان بها موته وثار به الغلمان وطلبوا منه الارزاق وكان ذلك سبب ترك المسير فلم يلبث موسى بن بغا أن مات وكفى ابن طولون أمره ولم يزل هذا الحصن على الجزيرة حتى أخذه النيل شيأ بعد شئ وقد بقيت منه بقايا متقطعة الى الآن وقد اختصر القاضى القضاعى رحمه الله فى ذكر سبب بناء ابن طولون حصن الجزيرة * وقد ذكر جامع سيرة ابن طولون أن صاحب الزنج لما قدم البصرة فى سنة أربع وخمسين ومائتين واستفحل امره انفذ اليه امير المؤمنين المعتمد على الله تعالى أبو العباس احمد بن امير المؤمنين المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد رسولا فى حمل أخيه الموفق بالله أبى احمد طلحة من مكة اليه وكان الخليفة المهتدى بالله محمد بن الواثق بن المعتصم نفاه اليها فلما وصل اليه جعل العهد بالخلافة من بعده لابنه المفوض وبعد المفوض تكون الخلافة للموفق طلحة وجعل غرب الممالك الاسلامية للمفوض وشرقها للموفق وكتب بينهما بذلك كتابا ارتهن فيه أيمانهما بالوفاء بما تقدم وقعت عليه الشروط وكان الموفق يحسد أخاه المعتمد على الخلافة ولا يراه أهلا لها فلما جعل المعتمد الخلافة من بعده لابنه ثم للموفق بعده شق ذلك عليه وزاد فى حقده وكان المعتمد متشاغلا بملاذ نفسه من الصيد واللعب والتفرد بجواريه فضاعت الامور وفسد تدبير الاحوال وفاز كل من كان متقلدا عملا بما تقلده وكان فى الشروط التى كتبها المعتمد بين المفوض والموفق انه ما حدث فى عمل كل واحد منهما من حدث كانت النفقة عليه من مال خراج قسمه واستخلف على قسم ابنه المفوض موسى بن بغا فاستكتب موسى بن بغا عبيد الله بن سليمان بن وهب وانفرد الموفق بقسمه من ممالك الشرق وتقدم الى كل منهما أن لا يتطرق فى عمل الآخر وخلد كتاب الشروط بالكعبة وأفرد الموفق لمحاربة صاحب الزنج وأخرجه اليه وضم معه الجيوش فلما كبر أمره وطالت محاربته اياه وانقطعت مواد خراج المشرق عن الموفق وتقاعد الناس عن حمل المال الذى كان يحمل فى كل عام واحتجوا بأشياء دعت الضرورة الموفق الى أن كتب الى أحمد بن طولون وهو يومئذ أمير مصر فى حمل ما يستعين به فى حروب صاحب الزنج وكانت مصر فى قسم المفوض لانها من الممالك الغربية الا أن الموفق شكا فى كتابه الى ابن طولون شدة حاجته الى المال بسبب ما هو بسبيله وأنفذ مع الكتاب نحريرا خادم المتوكل ليقبض منه المال فما هو الا أن ورد نحرير على ابن طولون بمصر واذا بكتاب المعتمد قد ورد عليه يأمره فيه بحمل المال اليه على رسمه مع ما جرى الرسم بحمله مع المال فى كل سنة من الطراز والرقيق والخيل والشمع وغير ذلك وكتب أيضا الى احمد بن طولون كتابا فى السر أن الموفق انما انفذ نحريرا اليك عينا ومستقصيا على أخبارك وانه قد كاتب بعض اصحابك فاحترس منه واحمل المال الينا وعجل انفاذه وكان قدوم نحرير لما قدم الى مصر انزله أحمد بن طولون معه فى داره بالميدان

ومنعه من الركوب ولم يمكنه من الخروج من الدار التى أنزله بها حتى سار من مصر وتلطف فى الكتب التى
اجاب بها الموفق ولم يزل بتحرير حتى أخذ جميع ما كان معه من الكتب التى وردت من العراق الى مصر وبعث
معه الى الموفق ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار وما يجرى الرسم بحمله من مصر وأخرج معه العدول وسار
بنفسه صحبته حتى بلغ به العريش وأرسل الى ماخور متولى الشام فقدم عليه بالعريش وسلمه اليه هو والمال
وأشهد عليه بتسليم ذلك ورجع الى مصر وتطرف فى الكتب التى أخذها من تحرير فاذا هى الى جماعة من
قواده باستمالتهم الى الموفق فقبض على اربابها وعاقبهم حتى هلكوا فى عقوبته فلما وصل جواب ابن طولون الى
الموفق ومعه المال كتب اليه كتابا ثانيا يستقل فيه المال ويقول ان الحساب يوجب أضعاف ما حملت وبسط
لسانه بالقول والتمس فيمن معه من يخرج الى مصر ويتقلدها عوضا عن ابن طولون فلم يجد أحدا عوضه لما كان
من كيس أحمد بن طولون وملاطفته وجوه الدولة فلما ورد كتاب الموفق على ابن طولون قال وأى حساب بينى
وبينه أو حال توجب مكاتبتى بهذا أو غيره وكتب اليه بعد البسملة وصل كتاب الامير ايده الله تعالى وفهمته
وكان أسعده الله حقيقا بحسن التخير لمثلى وتصييره اياى عمدته التى يعتمد عليها وسيفه الذى يصول به وسنانه
الذى يتقى الاعداء بحده لانى دائب فى ذلك وجعلته وكدى واحتملت الكلف العظام والمؤن الثقال باستجذاب
كل موصوف بشجاعة واستدعاء كل منعوت بغنى وكفاية بالتوسعة عليهم وتواصل الصلات والمعاون لهم
صيانة لهذه الدولة وذبا عنها وحسما لاطماع المتشوفين لها والمنحرفين عنها ومن كانت هذه سبيله فى الموالاة ومنهجه
فى المناصحة فهو حرى أن يعرف له حقه ويوفر من الاعظام قدره ومن كل حال جليلة حظه ومنزلته
فعوملت بضد ذلك من المطالبة بحمل ما أمر به والجفاء فى المخاطبة بغير حال توجب ذلك ثم اكفف على الطاعة
جعلا وألزم فى المناصحة ثمنا وعهدى بمن استدعى ما استدعاه الامير من طاعته أن يستدعيه بالبذل والاعطاء
والارغاب والارضاء والاكرام لا أن يكلف ويحمل من الطاعة مؤنة وثقلا وانى لا اعرف السبب الذى يوجب
الوحشة ويوقعها بينى وبين الامير ايده الله تعالى ولا ثم معاملة تقتضى معاملة او تحدث منافرة لان العمل الذى
أنا بسبيله لغيره والمكاتبة فى اموره الى من سواه ولا أنا ممن قبله فانه والامير جعفر المفوض ايده الله تعالى قد
اقتسما الاعمال وصار لكل واحد منهما قسم قد انفرد به دون صاحبه وأخذت عليه البيعة فيه انه من نقض
عهده أو اخفر ذمته ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه فالامة بريئة منه ومن بيعته وفى حل وسعة من خلعه
والذى عاملنى به الامير محاولة صرفى مرة واسقاط رسمى أخرى وما يأتيه ويسومنيه ناقض لشرطه مفسد
لعهده وقد التمس أوليائى واكثروا الطلب فى اسقاط اسمه وازالة رسمه فآثرت الابقاء وان لم يؤثره واستعملت
الاناة اذ لم تستعمل معى ورأيت الاحتمال والكظم أشبه بذوى المعرفة والفهم فصبرت نفسى على أحر من الجمر
وأمر من الصبر وعلى ما لا يتسع به الصدر والامير أيده الله تعالى اولى من أعاننى على ما أوثره من لزوم عهده
وأتوخاه من تأكيد عقده بحسن العشرة والانصاف وكف الاذى والمضرة وأن لا يضطرنى الى ما يعلم الله
عزوجل كرهى له أن أجعل ما قد أعددته لحياطة الدولة من الجيوش المتكاثفة والعساكر المتضاعفة التى
قد ضرست رجالها من الحروب وجرت عليهم محن الخطوب مصروفا الى نقضها فعندنا وفى حيزنا من يرى انه أحق
بهذا الامر وأولى من الامير ولو أمنونى على انفسهم فضلا عن أن يعثروا منى على ميل أو قيام بنصرتهم
لاشتدت شوكتهم ولصعب على السلطان معاركتهم والامير يعلم أن بازائه منهم واحدا قد كبر عليه وفض كل
جيش انهضه اليه على انه لا ناصر له الا لفيف البصرة وأوباش عامتها فكيف من يجد ركنا منيعا وناصرا مطيعا
وما مثل الامير فى اصالة رأيه يصرف مائة ألف عنان عدة له فيجعلها عليه بغير ما سبب يوجب ذلك فان يكن من
الامير اعتاب أو رجوع الى ما هو اشبه به وأولى والا رجوت من الله عزوجل كفاية أمره وحسم مادة شره
واجرانا فى الحياطة على اجمل عادته عندنا والسلام * فلما وصل الكتاب الى الموفق اقلقه وبلغ منه مبلغا عظيما
وأغاظه غيظا شديدا وأحضر موسى بن بغا وكان عون الدولة وأشد أهلها بأسا واقداما فتقدم اليه فى صرف
أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماخور فامتثل ذلك وكتب الى ماخور كتاب التقليد وأنفذه اليه فلما وصل
اليه الكتاب توقف عن ارساله الى أحمد بن طولون لعجزه عن مناهضته وخرج موسى بن بغا عن الحضرة مقدرا
أنه يدور وعمل المفوض ليحمل الاموال منه وكتب الى ماخور أمير الشام والى أحمد بن طولون امير مصر لما بلغه

من توقف ماخور عن مناهضته يأمرهما بحمل الاموال وعزم على قصد مصر والايقاع بابن طولون واستخلاف ماخور عليها فسار الى الرقة وبلغ ذلك ابن طولون فأقلقه وغمه لالانه يقصر عن موسى بن بغا لكن لتحمله هتك الدولة وأن يأتي سبيل من قاوم السلطان وحاربه وكسر جيوشه الا انه لم يجد بدا من المحاربة ليدفع عن نفسه وتأمل مدينة فسطاط مصر فوجدها لا تؤخذ الا من جهة النيل فأراد لكبر همته وكثرة فكره في عواقب الامور أن يبني حصنا على الجزيرة التي بين الفسطاط والجيزة ليكون معقلا لحرمه وذخائره ثم يشتغل بعد ذلك بحرب من يأتي من البر وقد زاد فكره فيمن يقدم من النيل فأمر ببناء الحصن على الجزيرة واتخذ مائة مركب حربية سوى ما ينضاف اليها من العلابيات والحمائم والعشاريات والسنابيك وقوارب الخدمة وعمد الى سد وجه البحر الكبير وأن يمنع ما يجيء اليه من مراكب طرسوس وغيرها من البحر الملح الى النيل بأن توقف هذه المراكب الحربية في وجه البحر الكبير خوفا مما سيجيء من مراكب طرسوس كما فعل محمد بن سليمان من بعده بأولاده كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وجعل فيها من يذب عن هذه الجزيرة وانفذ الى الصعيد والى اسفل الارض بمنع من يحمل الغلال الى البلاد ليمنع من يأتي من البر الميرة وأقام موسى ابن بغا بالرقة عشرة اشهر وقد اضطربت عليه الاتراك وطالبوه بأرزاقهم مطالبة شديدة بحيث استتر منهم كاتبه عبيد الله بن سليمان لتعذر المال عليه وخوفه على نفسه منهم فخاف موسى بن بغا عند ذلك ودعته ضرورة الحال الى الرجوع فعاد الى الحضرة ولم يقم بها سوى شهرين ومات من علة في صفر سنة أربع وستين ومائتين هذا وأحمد بن طولون يجد في بناء الحصن على الجزيرة وقد ألزم قواده وثقاته امر الحصن وفرقه عليهم قطعا قام كل واحد بما لزمه من ذلك وكد نفسه فيه وكان يتعاهدهم بنفسه في كل يوم وهو في غفلة عما صنعه الله تعالى له من الكفاية والغنى عما يعانيه ومن كثرة ما بذل في هذا العمل قدر أن كل طوبة منه وقفت عليه بدرهم صحيح ولما تواترت الاخبار بموت موسى بن بغا كف عن العمل وتصدق بمال كثير شكرا لله تعالى على ما من به عليه من صيانته عما يقبح فيه عنه الاحدوثة وما رأى الناس شيأ كان اعظم من عظيم الجد في بناء هذا الحصن ومباكرة الصناع له في الاسحار حتى فرغوا منه فانهم كانوا يخرجون اليه من منازلهم في كل بكرة من تلقاء انفسهم من غير استحثاث لكثرة ما حباهم به من بذل المال فلما انقطع البناء لم ير أحد من الصناع التي كانت فيه مع كثرتها كأنما هي نار صب عليها ماء فطفئت لوقتها ووهب للصناع مالا جزيلا وترك لهم جميع ما كان سلفا معهم وبلغ مصروف هذا الحصن ثمانين ألف دينار ذهبا وكان مما حمل احمد بن طولون على بناء الحصن أن الموفق اراد أن يشغل قلبه فسرقت نعله من بيت حظية لا يدخله الا ثقاته وبعثها الموفق اليه فقال له الرسول من قدر على أخذ هذه النعل من الموضع الذي تعرفه أليس هو بقادر على أخذ روحك فوالله أيها الامير لقد قام عليه أخذ هذه النعل بخم... رفعند ذلك امر ببناء الحصن * وقال ابو عمر الكندي في كتاب امراء مصر وتقدم أبو احمد الموفق ... بغا في صرف احمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماخور التركي فكتب موسى بن بغا بذلك الى ماخور وهو والي دمشق يومئذ فتوقف لعجزه عن مقاومة احمد بن طولون فخرج موسى ابن بغا فنزل الرقة وبلغ ابن طولون انه سائر اليه ولم يجد بدا من محاربته فاخذ احمد بن طولون في الحذر منه وابتدأ في ابتناء الحصن الذي بالجزيرة التي بين الجسرين ورأى أن يجعله معقلا لماله وحرمه وذلك في سنة ثلاث وستين ومائتين واجتهد أحمد بن طولون في بناء المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة وأظهر الامتناع من موسى بن بغا بكل ما قدر عليه وأقام موسى بن بغا بالرقة عشرة اشهر وأحمد بن طولون في احكام اموره واضطربت اصحاب موسى بن بغا عليه وضاق بهم منزلهم وطالبوا موسى بالمسير أو الرجوع الى العراق فبيناهو كذلك توفي موسى بن بغا في سنة أربع وستين ومائتين * وقال محمد بن داود لاحمد بن طولون وفيه تحامل

لما ثوى ابن بغا بالرقتين ملا * ساقيه زرقا الى الكعبين والعقب

بنى الجزيرة حصنا يستجن به * بالعسف والضرب والصناع في تعب

وواقب الجيزة القصوى بخندقها * وكاد يصعق من خوف ومن رعب

له مراكب فوق النيل راكدة * فما سوى القار للنظار والخشب

ترى عليها لباس الذل مذ بنيت * بالشط ممنوعة من عزة الطلب

فما بناها لغزو الروم محتسبا * لكن بناها غداة الروع والعطب

وقال سعيد بن القاضى من ابيات

وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا * الى الحصن او فاعبر اليه على الجسر
ترى أثرا لم يبق من يستطيعه * من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
مآثر لا تبلى وان باد أهلها * ومجد يؤدّى وارثيه الى الفخر

ومازال حصن الجزيرة هذا عامرا أيام بنى طولون وعملت فيه صناعة مصر التى تنشأ فيها المراكب الحربية فاستمرّ صناعة الى أن تقلد الامير محمد بن طغج الاخشيد امارة مصر من قبل أمير المؤمنين الراضى بالله وسير مراكب من الشأم عليها صاعد بن الكلكم فدخل تنيس وسارت مقدّمته فى البر ودخل صاعد دمياط وسار فهزم جيش مصر الذى جهزه احمد بن كيغلغ اليه بتدبير محمد بن علىّ الماردانىّ على بحيرة نوسا وأقبل فى مراكبه الى الفسطاط فكان بالجزيرة وقدم محمد بن طغج وتسلم البلد لست بقين من رمضان سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وفرّ منه جماعة الى الفيوم فخرج اليهم صاعد بن الكلكم فى مراكبه وواقعهم بالفيوم فقتل فى عدّة من أصحابه وقدمت الجماعة فى مراكب ابن كلكم فأرسوا بجزيرة الصناعة وحرّقوها ثم مضوا الى الاسكندرية وساروا الى برقة فقال محمد بن طغج الصناعة هنا خطأ وأمر بعمل صناعة فى برّ مصر * وحكى ابن زولاق فى سيرة محمد بن طغج انه قال اذكر أنى كنت آكل مع أبى منصور تكين امير مصر وجرى ذكر الصناعة فقال تكين صناعة يكون بيننا وبينها بحر خطأ فأشارت الجماعة بنقلها فقال الى أىّ موضع فأردت أن أشير عليه بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان ثم سكت وقلت أدع هذا الرأى لنفسى اذا ملكت مصر فبلغت ذلك والحمد لله وحده ولما أخذ محمد بن طغج دار خديجة كان يتردّد اليها حتى عملت فلما ابتدؤا بانشاء المراكب فيها صاحت به امرأة فقال خذوها فساروا بها الى داره فأحضرها مساء واستخبرها عن أمرها فقالت ابعث معى من يحمل المال فأرسل معها جماعة الى دار خديجة هذه فدلتهم على مكان استخرجوا منه عينا وورقا وحليا وثيابا وعدّة ذخائر لم ير مثلها وصاروا بها الى محمد بن طغج فطلب المرأة ليكافئها على ما كان منها فلم توجد فكان هذا أوّل مال وصل الى محمد بن طغج بمصر قال واستدعى محمد بن طغج الاخشيد صالح بن نافع وقال له كان فى نفسى اذا ملكت مصر أن أجعل صناعة العمارة فى دار ابنة الفتح وأجعل موضع الصناعة من الجزيرة بستانا أسميه المختار فاركب وخط لى بستانا ودارا وقدّر لى النفقة عليهما فركب صالح بجماعة وخطوا بستانا فيه دار للغلمان ودار للنوبة وخزائن للكسوة وخزائن للطعام وصوّروه وأتوا به فاستحسنه وقال كم قدّرتم النفقة قالوا ثلاثين ألف دينار فاستكثرها فلم يزالوا يضعون من التقدير حتى صار خمسة آلاف دينار فأذن فى عمله ولما شرعوا فيه ألزمهم المال من عندهم فقسط على جماعة وفرغ من بنائه فاتخذه الاخشيد منتزهاله وصار يفاخر به اهل العراق وكان نقل الصناعة من الجزيرة الى ساحل النيل بمصر فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة فلم يزل البستان المختار منتزها الى أن زالت الدولة الاخشيدية والكافورية وقدمت الدولة الفاطمية من بلاد المغرب الى مصر فكان يتنزه فيه المعز لدين الله معدّ وابنه العزيز بالله نزار وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس لها وال وقاض وكان يقال القاهرة ومصر والجزيرة فلما كانت أيام استيلاء الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وحجره على الخلفاء انشأ فى بحرىّ الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة وتردّد اليها تردّدا كثيرا فكان يسير فى العشاريات الموكبيات من دار الملك التى كانت سكنه بمصر الى الروضة ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة فلما قتل الافضل بن أمير الجيوش واستبدّ الخليفة الآمر بأحكام الله ابو علىّ منصور بن المستعلى بالله أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكانا لمحبوبته العالية البدوية سماه الهودج

* (الهودج) قال ابن سعيد فى كتاب المحلى بالاشعار عن تاريخ القرطبىّ قد اكثر الناس فى حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الخليفة الآمر بأحكام الله حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الخليفة الآمر كان قد ابتلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون فى البوادى فبلغه أن بالصعيد جارية من أكمل العرب وأظرف نسائهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزىّ بداة الاعراب وصار يجول فى الاحياء الى أن انتهى الى حيها وبات هناك

فى ضائقة وتخيل حتى عاينها فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وسر بخلاقته فأرسل الى اهلها يخطبها فأجابوه الى ذلك وزوجوها منه فلما صارت الى القصور صعب عليها مفارقة ما اعتادت وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان على شاطئ النيل فى شكل غريب وكان بالاسكندرية القاضى مكين الدولة ابو طالب احمد بن عبد المجيد ابن احمد بن الحسن بن حديد قد استولى على امورها وصار قاضيها وناظرها ولم يبق لاحد معه فيها كلام وضمن اموالها بجملة يحملها وكان ذا مروءة عظيمة يحتذى افعال البرامكة وللشعراء فيه مدائح كثيرة وممن مدحه ظافر الحداد وأمية بن أبى الصلت وجماعة وكان الافضل بن أمير الجيوش اذا أراد الاعتناء بأحد كتب معه كتابا الى ابن حديد هذا فيغنيه بكثرة عطائه وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام قطعة واحدة ينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من سعته وكان يجد فى نفسه برؤية هذا الجرن زيادة على اهل النعم ويباهى به اهل عصره فوشى به للبدوية محبوبة الخليفة فطلبته من الخليفة فأنفذ فى الحال باحضاره فلم يسع ابن حديد الا أن قلعه من مكانه وبعث به وفى نفسه حزازة من أخذه منه وخدم البدوية وخدم جميع من يلوذ بها حتى قالت هذا الرجل أخجلنا بكثرة هداياه وتحفه ولم يكلفنا قط أمرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما بلغه ذلك عنها قال مالى حاجة بعد الدعاء لله تعالى بحفظ مكانها وطول حياتها غير رد الجرن الذى أخذ من دارى التى بنيتها فى أيام هم من نعمهم الى مكانه فلما سمعت هذا عنه تعجبت منه وأمرت برد الجرن اليه فقيل له قد وصلت الى حد أن خيرتك البدوية فى جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب فى أخذ ذلك الجرن من مكانه وقد بلغها الله أملها وبقيت البدوية متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه وهى بقصر الخليفة الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حيى مرأ مطلقا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر موصد * لا أرى الا حبيسا ممسكا
كم تثنينا بأغصان اللوا * حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى * حيثما شاء طليق سلكا

(فأجابها)

بنت عمى والتى غذيتها * بالهوى حتى علا واحتنكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدا ينفع منها المشتكى
مالك الامر اليه يشتكى * هالك وهو الذى قد هلكا
شأن داود غدا فى عصرنا * مبديا بالتيه ما قد ملكا

فبلغت الآمر فقال لولا انه أساء الادب فى البيت الرابع لرددتها الى حيه وزوجتها به * قال القرطبى وللناس فى طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طئ فى عصر الخليفة الآمر طراد بن مهلهل فلما بلغه قضية الآمر مع العالية البدوية قال

ألا ابلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الاليفين عن الفة * بها سمر الحى بين الرجال
كذا كان آباؤك الاقدمون * سألت فقل لى جواب السؤال

فلما بلغ الآمر شعره قال جواب السؤال قطع لسانه على فضوله وأمر بطلبه فى أحياء العرب ففر ولم يقدر عليه فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أبيات ولم يزل الآمر يتردد الى الهودج بالروضة للنزهة فيه الى أن ركب من القصر بالقاهرة يريد الهودج فى يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة فلما كان برأس الجسر وثب عليه قوم من النزارية قد كمنوا له فى فرن تجاه رأس الجسر بالروضة وضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه وجرحوا جماعة من خدامه فحمل الى منظرة اللؤلؤة بشاطئ الخليج وقد مات

*(ذكر

* (ذكر قلعة الروضة) *

اعلم انه مابرحت جزيرة الروضة منتزها ملوكيا ومسكنا للناس كما تقدم ذكره الى أن ولى الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن ايوب سلطنة مصر فأنشأ القلعة بالروضة فعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة وبالقلعة الصالحية وشرع فى حفر آساسها يوم الاربعاء خامس شعبان وابتدأ بنيانها فى آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشره وفى عاشر ذى القعدة وقع الهدم فى الدور والقصور والمساجد التى كانت بجزيرة الروضة وتحول الناس من مساكنهم التى كانوا بها وهدم كنيسة كانت لليعاقبة بجانب المقياس وأدخلها فى القلعة وأنفق فى عمارتها اموالا جمة وبنى فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجا وبنى بها جامعا وغرس بها جميع الاشجار ونقل اليها عمد الصوان من البرابى وعمد الرخام وشحنها بالاسلحة وآلات الحرب ومايحتاج اليه من الغلال والازواد والاقوات خشية من محاصرة الفرنج فانهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر وبالغ فى اتقانها مبالغة عظيمة حتى قيل انه استقام كل حجر فيها بدينار وكل طوبة بدرهم وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويرتب مايعمل فصارت تدهش من كثرة زخرفتها وتحير الناظر اليها من حسن سقوفها المزينة وبديع رخامها ويقال انه قطع من الموضع الذى أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى الى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه وخرب الهودج والبستان المختار وهدم ثلاثة وثلاثين مسجدا عمرها خلفاء مصر وسراة المصريين لذكر الله تعالى واقامة الصلوات واتفق له فى هدم بعض هذه المساجد خبر غريب قال الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد بن محمود بن احمد الاسدى الشهير باليغمورى سمعت الامير الكبير الجواد جمال الدين أبا الفتح موسى بن الأمير شرف الدين يغمور بن جلدك بن عبد الله قال ومن عجيب ماشاهدته من الملك الصالح أبى الفتوح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل رحمه الله تعالى انه أمرنى أن أهدم مسجدا كان فى جوار داره بجزيرة مصر فأخرت ذلك وكرهت أن يكون هدمه على يدى فأعاد الامر وأنا كاسر عنه وكأنه فهم منى ذلك فاستدعى بعض خدمه من نوابى وأنا غائب وأمره أن يهدم ذلك المسجد وأن يبنى فى مكانه قاعة وقدر له صفتها فهدم ذلك المسجد وعمر تلك القاعة مكانه وكملت وقدمت الفرنج الى الديار المصرية وخرج الملك الصالح مع عساكره اليهم ولم يدخل تلك القاعة التى بنيت فى المكان الذى كان مسجدا فتوفى السلطان فى المنصورة وجعل فى مركب وأتى به الى الجزيرة فجعل فى تلك القاعة التى بنيت مكان المسجد مدة الى أن بنيت له التربة التى فى جنب مدارسه بالقاهرة فى جانب القصر عفا الله عنه وكان النيل عندما عزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة من الجانب الغربى فيما بين الروضة وبر الجيزة وقد انطرد عن بر مصر ولا يحيط بالروضة الا فى ايام الزيادة فلم يزل يغرق السفن فى البر الغربى ويحفر فيما بين الروضة ومصر ما كان هنالك من الرمال حتى عاد ماء النيل الى بر مصر واستمر هنالك فأنشأ جسرا عظيما ممتدا من بر مصر الى الروضة وجعل عرضه ثلاث قصبات وكان الامراء اذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم عند البر ويمشون فى طول هذا الجسر الى القلعة ولا يمكن أحد من العبور عليه راكبا سوى السلطان فقط ولما كملت تحول اليها بأهله وحرمه واتخذها دار ملك وأسكن فيها معه مماليكه البحرية وكانت عدتهم نحو الالف مملوك * قال العلامة على بن سعيد فى كتاب المغرب وقد ذكر الروضة هى أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت منتزها لاهل مصر فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة وبنى بها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالى السمك لم ترعينى أحسن منه وفى هذه الجزيرة كان الهودج الذى بناه الآمر خليفة مصر لزوجته البدوية التى هام فى حبها والمختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكر فى شعر تميم بن المعز وغيره ولشعراء مصر فى هذه الجزيرة أشعار منها قول أبى الفتح بن قادوس الدمياطى

أرى سرح الجزيرة من بعيد * كأحداق تغازل فى المغازل

كأن مجرة الجوزا أحاطت * وأثبتت المنازل فى المنازل

وكنت أشق فى بعض الليالى بالفسطاط على ساحلها فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدرى اللون ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه

همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة في البناء وأبصرت في هذه الجزيرة ايوانا لجلوسه لم ترعيني مثاله ولا اقدر ما أنفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام الابنوسي والكافوري والمجزع مايذهل الافكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة وفي بعضها حاظر حظر به على اصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج ينقطع فيها ماء النيل فينظر بها أحسن منظر وقد تفرجت كثيرا في طرف هذه الجزيرة مما يلي بر القاهرة فقطعت فيه عشيات مذهبات لم تزل لاحزان الغربة مذهبات واذا زاد النيل فصل ما بينها وبين الفسطاط بالكلية وفي أيام احتراق النيل يتصل برها ببر الفسطاط من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر فيه مراكب وركبت مرة هذا النيل أيام الزيادة مع الصاحب المحسن محيي الدين بن ندا وزير الجزيرة وصعدنا الى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلالا والنيل قد انقسم عنها فقلت

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت * وأبراجها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغراء كالبدر طالعا * تفرج صدر الماء عنه هلالا
ووافى اليها النيل من بعد غاية * كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها * فمد يمينا نحوها وشمالا
جرى قادما بالسعد فاختط حولها * من السعد أعلاما فزاد دلالا

ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بني أيوب فلما ملك السلطان الملك المعز عز الدين ايبك التركماني أول ملوك الترك بمصر أمر بهدمها وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية في رحبة الحناء بمدينة مصر وطمع في القلعة من له جاه فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة فلما صارت مملكة مصر الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري اهتم بعمارة قلعة الروضة ورسم للامير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى اعادتها كما كانت فأصلح بعض ما تهدم فيها ورتب فيها الجاندارية وأعادها الى ما كانت عليه من الحرمة وأمر بأبراجها ففرقت على الامراء وأعطى برج الزاوية للامير سيف الدين قلاون الالفي والبرج الذي يليه للامير عز الدين الحلي والبرج الثالث من بروج الزاوية للامير عز الدين ارغان وأعطى برج الزاوية الغربي للامير بدر الدين الشمسي وفرقت بقية الابراج على سائر الامراء ورسم أن تكون بيتوتات جميع الامراء واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم فلما تسلطن الملك المنصور قلاون الالفي وشرع في بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج اليه من عمد الصوان وعمد الرخام التي كانت قبل عمارة القلعة في البرابي وأخذ منها رخاما كثيرا وأعتابا جليلة مما كان في البرابي وغير ذلك ثم أخذ منها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ما احتاج اليه من عمد الصوان في بناء الايوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل والجامع الجديد الناصري ظاهر مدينة مصر وأخذ غير ذلك حتى ذهبت كأن لم تكن وتأخر منها عقد جليل تسميه العامة القوس كان مما يلي جانبها الغربي أدركناه باقيا الى نحو سنة عشرين وثمانمائة وبقي من أبراجها عدة قد انقلب اكثرها وبني الناس فوقها دورهم المطلة على النيل * قال ابن المتوج ثم اشترى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة مصر المعروفة اليوم بالروضة في شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وانما سميت بالروضة لانه لم يكن بالديار المصرية مثلها وبحر النيل حائز لها ودائر عليها وكانت حصينة وفيها من البساتين والعمائر والثمار مالم يكن في غيرها ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدة فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأسوارها وكانت مستديرة عليها واستمرت الى أن عمر حصنها احمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ومائتين ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل ثم اشتراها الملك المظفر تقي الدين عمر المذكور وبقيت على ملكه الى أن سير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ومعه عمه الملك العادل وكتب الى الملك المظفر بأن يسلم لهما البلاد ويقدم عليه الى الشأم فلما ورد عليه الكتاب ووصل ابن عمه الملك العزيز وعمه الملك العادل شق عليه خروجه من الديار المصرية وتحقق انه لاعود له اليها أبدا فوقف هذه المدرسة التي تعرف اليوم في مصر بالمدرسة التقوية التي كانت تعرف بمنازل العز ووقف عليها

الجزيرة بكمالها وسافر الى عمه فملكه حماه ولم يزل الحال كذلك الى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب فاستأجر الجزيرة من القاضى فخر الدين أبى محمد عبد العزيز بن قاضى القضاة عماد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد العلى بن عبد القادر السكرى مدرّس المدرسة المذكورة لمدّة ستين سنة فى دفعتين كل دفعة قطعة فالقطعة الاولى من جامع غبن الى المناظر طولا وعرضا من البحر الى البحر واستأجر القطعة الثانية وهى باقى ارض الجزيرة بما فيها من النخل والجميز والغروس فانه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت النخيل ودخلت فى العمائر وأما الجميز فانه كان بشاطئ بحر النيل صف جميز يزيد على أربعين شجرة وكان اهل مصر فرجهم تحتها فى زمن النيل والربيع قطعت جميعها فى الدولة الظاهرية وعمر بها شوانى عوض الشوانى التى كان قد سيرها الى جزيرة قبرس ثم سلم لمدرّس التقوية القطعة المستأجرة من الجزيرة اوّلا فى سنة ثمان وتسعين وستمائة وبقى بيد السلطان القطعة الثانية وقد خربت قلعة الروضة ولم يبق منها سوى أبراج قد بنى الناس عليها وبقى أيضا عقد باب من جهة الغرب يقال له باب الاصطبل وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها منتزها يشتمل على دور كثيرة وبساتين عدّة وجوامع تقام بها الجماعات والاعياد ومساجد وقد خرب أكثر مساكن الروضة وبقى فيها الى اليوم بقايا * وبطرف الروضة (المقياس) الذى يقاس فيه ماء النيل اليوم ويقال له المقياس الهاشمى وهو آخر مقياس بنى بديار مصر * قال ابو عمر الكندى وورد كتاب المتوكل على الله بابتناء المقياس الهاشمى للنيل وبعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله بن دينار أمير مصر أبا الردّاد المعلم وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج فى كل شهر سبعة دنانير وذلك فى سنة سبع وأربعين ومائتين وعلامة وفاء النيل ستة عشر ذراعا أن يسبل ابو الردّاد قاضى البحر الستر الاسود الخليفى على شباك المقياس فاذا شاهد الناس هذا الستر قد أسبل تباشروا بالوفاء واجتمعوا على العادة للفرجة من كل صوب وما أحسن قول شهاب الدين بن العطار فى تهتك الناس يوم تخليق المقياس

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم * ما أحسن الستر قالوا العفو مأمول
ستر الاله علينا لا يزال فما * أحلى تهتكنا والستر مسبول

(جزيرة الصابونى) هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار والرباط من جملتها وقفها ابو الملوك نجم الدين أيوب بن شادى وقطعة من بركة الحبش فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده والنصف الآخر على صوفية بمكان بجوار قبة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يعرف اليوم بالصابونى * (جزيرة الفيل) هذه الجزيرة هى الآن بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة وتتصل بمنية الشيرج من بحريها ويمرّ النيل من غربيها وبها جامع تقام به الجمعة وسوق كبير وعدّة بساتين جليلة وموضعها كله مما كان غامرا بالماء فى الدولة الفاطمية فلما كان بعد ذلك انكسر مركب كبير كان يعرف بالفيل وترك فى مكانه فرباعليه الرمل وانطرد عنه الماء فصارت جزيرة فيما بين المنية وأرض الطبالة سماها الناس جزيرة الفيل وصار الماء يمرّ من جوانبها فغربيها تجاه برّ مصر الغربى وشرقيها تجاه البعل والماء فيما بينها وبين البعل الذى هو الآن قبالة قناطر الاوز فان الماء كان يمرّ بالمقس من تحت زربية جامع المقس الموجود الآن على الخليج الناصرى ومن جامع المقس على ارض الطبالة الى غربى المصلى حتى ينتهى من تجاه التاج الى المنية وصارت هذه الجزيرة فى وسط النيل ومابرحت تتسع الى أن زرعت فى أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فوقفها على المدرسة التى أنشأها بالقرافة بجوار قبر الشافعى رضى الله عنه وكثرت أطيانها بانحسار النيل عنها فى كل سنة فلما كان فى أيام الملك المنصور قلاون الالفى تقرّب مجد الدين ابو الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب المتحدّث فى الاحباس الى الامير علم الدين سنجر الشجاعى بأن فى أطيان هذه الجزيرة زيادة على ما وقفه السلطان صلاح الدين فأمر بقياس ما تجدّد بها من الرمال وجعلها لجهة الوقف الصلاحى وأقطع الاطيان القديمة التى كانت فى الوقف وجعلها هى التى زادت فلما أمر الملك المنصور قلاون بعمل المارستان المنصورى وقف بقية الجزيرة عليه فغرس الناس بها الغروس وصارت بساتين وسكن الناس من المزارعين هنالك فلما كانت أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد عوده الى قلعة الجبل من الكرك وانحسر النيل عن جانب المقس الغربى

وصار ما هنالك رمالا متصلة من بحريها بجزيرة الفيل المذكورة ومن قبليها بأراضى اللوق افتتح الناس باب العمارة بالقاهرة ومصر فعمروا فى تلك الرمال المواضع التى تعرف اليوم ببولاق خارج المقس وأنشأوا بجزيرة الفيل البساتين والقصور واستجد ابن المغربى الطبيب بستانا اشتراه منه القاضى كريم الدين ناظر الخاص للامير سيف الدين طشتمر الساقى بنحو المائة ألف درهم فضة عنها زهاء خمسة آلاف مثقال ذهبا وتتابع الناس فى انشاء البساتين حتى لم يبق بها مكان بغير عمارة وحكر ما كان منها وقفا على المدرسة المجاورة للشافعى رضى الله عنه وما كان فيها من وقف المارستان وغرس ذلك كله بساتين فصارت تنيف على مائة وخمسين بستانا الى سنة وفاة الملك الناصر محمد بن قلاون ونصب فيها سوق كبير يباع فيه اكثر ما يطلب من المآكل وابتنى الناس بها عدة دور وجامعا فبقيت قرية كبيرة ومازالت فى زيادة ونمو فأنشأ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى رحمه الله الدار المجاورة لبستان الامير ركن الدين بيبرس الحاجب على النيل فجاءت فى غاية من الحسن فلما عزل عن قضاء القضاة وسار الى دمشق اشتراها الامير بشتاك بثلاثين ألف درهم وخربها وأخذ منها رخاما وشبابيك وأبوابا ثم باع باقى نقضها بمائة ألف درهم فربح الباعة فى ذلك شيأ كثيرا ونودى على زربيتها فحكرت وعمر عليها الناس عدة أملاك واتصلت العمارة بالاملاك من هذه الزربية الى منية الشيرج ثم خربت شيأ بعد شئ وبقى ما على هذه الزربية من الاملاك وهى تعرف اليوم بدار الطنبدى التاجر * وأما بساتين الجزيرة فلم تزل عجبا من عجائب الدنيا من حسن المنظر وكثرة المتحصل الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فتلاشت وخرب كثير منها لغلوّ العلوفات من الفول والتبن وشدّة ظلم الدولة وتعطل معظم سوقها وفيها الى الآن بقية صالحة * (جزيرة اروى) هذه الجزيرة تعرف بالجزيرة الوسطى لانها فيما بين الروضة وبولاق وفيما بين برّ القاهرة وبرّ الجيزة لم ينحسر عنها الماء الا بعد سنة سبعمائة وأخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين ابو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومى عن الطبيب الفاضل شمس الدين محمد بن الاكفانى انه كان يمرّ بهذه الجزيرة اوّل ما انكشفت ويقول هذه الجزيرة تصير مدينة أو قال تصير بلدة على الشك منى فاتفق ذلك وبنى الناس فيها الدور الجليلة والاسواق والجامع والطاحون والفرن وغرسوا فيها البساتين وحفروا الآبار وصارت من أحسن منتزهات مصر يحف بها الماء ثم صار ينكشف ما بينها وبين برّ القاهرة فاذا كانت أيام زيادة ماء النيل أحاط الماء بها وفى بعض السنين يركبها الماء فتمرّ المراكب بين دورها وفى أزقتها ثم لما كثر الرمل فيما بينها وبين البرّ الشرقى حيث كان خط الزربية وفم الخور قلّ الماء هنالك وتلاشت مساكن هذه الجزيرة منذ كانت الحوادث فى سنة ست وثمانمائة وفيها الى اليوم بقايا حسنة * (الجزيرة التى عرفت بحليمة) هذه الجزيرة خرجت فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة ما بين بولاق والجزيرة الوسطى سمتها العامة بحليمة ونصبوا فيها عدّة أخصاص بلغ مصروف الخص الواحد منها ثلاثة آلاف درهم نقرة فى ثمن رخام ودهان فكان فيها من هذه الاخصاص عدّة وافرة وزرع حول كل خص من المقاثى وغيرها ما يستحسن وأقام اهل الخلاعة والمجون هنالك وتهتكوا بأنواع المحرّمات وتردّد الى هذه الجزيرة اكثر الناس حتى كادت القاهرة أن لا يثبت بها احد وبلغ أجرة كل قصبة بالقياس فى هذه الجزيرة وفى الجزيرة التى عرفت بالطمية فيما بين مصر والجيزة مبلغ عشرين درهما نقرة فوقف الفدان هنالك بمبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة ونصبت فى هذه الافدنة الاخصاص المذكورة وكان الانتفاع بها فيما ذكر نحو ستة أشهر من السنة فعلى ذلك يكون الفدان فيها بمبلغ ستة عشر ألف درهم نقرة وأتلف الناس هنالك من الاموال ما يجل وصفه فلما كثر تجاهرهم بالقبيح قام الامير أرغون العلائى مع الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاون فى هدم هذه الاخصاص التى بهذه الجزيرة قياما زائدا حتى أذن له فى ذلك فأمر والى مصر والقاهرة فنزلا على حين غفلة وكبسا الناس وأراقا الخمور وحرّقا الاخصاص فتلف للناس فى النهب والحريق وغير ذلك شئ كثير الى الغاية والنهاية وفى هذه الجزيرة يقول الاديب ابراهيم المعمار

جزيرة البحر جنت * بها عقول سليمة
لما حوت حسن مغنى * ببسطة مستقيمة
وكم يخوضون فيها * وكم مشوا بنميمة

ولم

(ذكر السجون)

قال ابن سيده السجن الحبس والسجان صاحب السجن ورجل سجين مسجون قال وحبسه يحبسه حبسا فهو محبوس وحبيس واحتبسه وحبسه أمسكه عن وجهه * وقال سيبويه حبسه ضبطه واحتبسه اتخذه حبسا والحبس والمحبسة والمحتبس اسم الموضع وقال بعضهم المحبس يكون مصدرا كالحبس ونظيره الى الله مرجعكم اى رجوعكم ويسألونك عن المحيض اى الحيض * وروى الامام احمد وأبو داود من حديث بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال ان النبى صلى الله عليه وسلم حبس فى تهمة وفى جامع الخلال عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس فى تهمة يوما وليلة فالحبس الشرعى ليس هو السجن فى مكان ضيق وانما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان فى بيت أو مسجد أو كان بتولى نفس الخصم اووكيله عليه وملازمته له ولهذا سماه النبى صلى الله عليه وسلم أسيرا كما روى أبو داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه رضى الله عنهما قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بغريم لى فقال لى الزمه ثم قال لى يا أخا بنى تميم ماتريد أن تفعل بأسيرك وفى رواية ابن ماجه ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بى آخر النهار فقال مافعل أسيرك يا أخا بنى تميم وهذا كان هو الحبس على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه ولم يكن له محبس معد لحبس الخصوم ولكن لما انتشرت الرعية فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابتاع من صفوان بن أمية رضى الله عنه دارا بمكة بأربعة آلاف درهم وجعلها سجنا يحبس فيها ولهذا تنازع العلماء هل يتخذ الامام حبسا على قولين فمن قال لا يتخذ حبسا احتج بأنه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لخليفته من بعده حبس ولكن يعوقه بمكان من الامكنة أو يقيم عليه حافظا وهو الذى يسمى الترسيم أو يامر غريمه بملازمته ومن قال له أن يتخذ حبسا احتج بفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومضت السنة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أنه لا يحبس على الديون ولكن يتلازم الخصمان وأول من حبس على الدين شريح القاضى وأما الحبس الذى هو الآن فانه لا يجوز عند أحد من المسلمين وذلك انه يجمع الجمع الكثير فى موضع يضيق عنهم غير متمكنين من الوضوء والصلاة وقد يرى بعضهم عورة بعض ويؤذيهم الحر فى الصيف والبرد فى الشتاء وربما يحبس أحدهم السنة واكثر ولا جدة له وان أصل حبسه على ضمان وأما سجون الولاة فلا يوصف مايحل بأهلها من البلاء واشتهر أمرهم انهم يخرجون مع الاعوان فى الحديد حتى يشحذوا وهم يصرخون فى الطرقات الجوع فما تصدق به عليهم لا ينالهم منه الا مايدخل بطونهم وجميع مايجتمع لهم من صدقات الناس يأخذه السجان وأعوان الوالى ومن لم يرضهم بالغوا فى عقوبته وهم مع ذلك يستعملون فى الحفر وفى العمائر ونحو ذلك من الاعمال الشاقة والاعوان تستحثهم فاذا انقضى عملهم ردوا الى السجن فى حديدهم من غير أن يطعموا شيأ الى غير ذلك مما لا يسع حكايته هنا وقد قيل ان اول من وضع السجن والحرس معاوية * وقد كان فى مدينة مصر وفى القاهرة عدة سجون وهى حبس المعونة بمصر وحبس الصيار بمصر وخزانة البنود بالقاهرة وحبس المعونة بالقاهرة وخزانة شمائل وحبس الديلم وحبس الرحبة والجب بقلعة الجبل *(حبس المعونة بمصر)* ويقال أيضا دار المعونة كانت اولا تعرف بالشرطة وكانت قبلى جامع عمرو بن العاص وأصله خطة قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رضى الله عنهم اختطها فى اول الاسلام وقد كان موضعها فضاء وأوصى فقال ان كنت بنيت بمصر دارا واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهى للمسلمين ينزلها ولاتهم وقيل بل كانت هى ودارا الى جانبها لنافع بن عبد قيس الفهرى وأخذهما منه قيس بن سعد وعوضه دارا بزقاق القناديل ثم عرفت بدار الفلفل لان أسامة بن زيد التنوخى صاحب خراج مصر ابتاع من موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار كان كتب فيه الوليد بن عبد الملك ليهديه الى صاحب الروم فخزنه فيها فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين تولى الخلافة فكتب أن تدفع اليه ثم صارت شرطة ودار الصرف فلما فرغ عيسى بن يزيد الجلودى من زيادة عبد الله بن طاهر فى الجامع بنى شرطة فى سنة ثلاث عشرة ومائتين فى خلافة المأمون ونقش فى لوح كبير نصبه على باب الجامع الذى يدخل منه الى الشرطة مانصه بركة من الله لعبده عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين أمر باقامة هذه الدار الهاشمية المباركة على يد

عيسى بن يزيد الجلودى مولى أمير المؤمنين سنة ثلاث عشرة ومائتين ولم يزل هذا اللوح على باب الشرطة الى صفر سنة احدى وثمانين وثلثمائة فقلعه يانس العزيزى وصارت حبسا يعرف بالمعونة الى أن ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فجعله مدرسة وهى التى تعرف اليوم بالشريفية * (حبس الصيار) هذا الحبس كان بمصر يحبس فيه الولاة بعدما عمل حبس المعونة مدرسة وكان بأول الزقاق الذى فيه هذا الحبس حانوت يسكنه شخص يقال له منصور الطويل ويبيع فيه أصناف السوقة ويعرف هذا الرجل بالصيار من اجل انه كانت له فى هذا الزقاق قاعة يخزن فيها أنواع الصير المعروف بالملوحة فقيل لهذا الحبس حبس الصيار ونشأ لمنصور الصيار هذا ولد عرف بين الشهود بمصر بشرف الدين بن منصور الطويل فلما أحدث الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى المظالم فى سلطنة الملك المعز أيبك التركمانى خدم شرف الدين هذا على المظالم فى جباية التسقيع والتقويم ثم خدم بعد ابطال ذلك فى مكس القصب والرمان فلما تولى قضاء القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز تاذى عنده بما باشره من هذه المظالم ومازال هذا الحبس موجودا الى أن خربت مصر فى الزمان الذى ذكرناه فخرب وبقى موضعه وماحوله كيمانا * (خزانة البنود) هذه الخزانة بالقاهرة هى الآن زقاق يعرف بخط خزانة البنود على يمنة من سلك من رحبة باب العيد يريد درب ملوخيا وغيره وكانت أولا فى الدولة الفاطمية خزانة من جملة خزائن القصر يعمل فيها السلاح يقال ان الخليفة الظاهر بن الحاكم أمر بها ثم انها احترقت فى سنة احدى وستين وأربعمائة فعملت بعد حريقها سجنا يسجن فيه الامراء والاعيان الى أن انقرضت الدولة فأقرها ملوك بنى أيوب سجنا ثم عملت منزلا للامراء من الفرنج يسكنون فيها بأهاليهم وأولادهم فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد حضوره من الكرك فلم يزالوا بها الى أن هدمها الامير الحاج آل ملك الجوكندار نائب السلطنة بديار مصر فى سنة أربع وأربعين وسبعمائة فاختط الناس موضعها دورا وقد ذكرت فى هذا الكتاب عند ذكر خزائن القصر (حبس المعونة من القاهرة) هذا المكان بالقاهرة موضعه الآن قيسارية العنبر برأس الحريريين كان يسجن فيه أرباب الجرائم من السراق وقطاع الطريق ونحوهم فى الدولة الفاطمية وكان حبسا حرجا ضيقا شنيعا يشم من قرب منه رائحة كريهة فلما ولى الملك الناصر محمد بن قلاون مملكة مصر هدمه وبناه قيسارية للعنبر وقد ذكر عند ذكر الاسواق من هذا الكتاب (خزانة شمائل) هذه الخزانة كانت بجوار باب زويلة على يسرة من دخل منه بجوار السور عرفت بالامير علم الدين شمائل والى القاهرة فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظرا يحبس فيها من وجب عليه القتل أو القطع من السراق وقطاع الطريق ومن يريد السلطان اهلاكه من المماليك وأصحاب الجرائم العظيمة وكان السجان بها يوظف عليه والى القاهرة شيأ يحمله من المال له فى كل يوم وبلغ ذلك فى ايام الناصر فرج مبلغا كبيرا ومازالت هذه الخزانة على ذلك الى أن هدمها الملك المؤيد شيخ المحمودى فى يوم الاحد العاشر من شهر ربيع الاول سنة ثمان عشرة وثمانمائة وأدخلها فى جملة ماهدمه من الدور التى عزم على عمارة أماكنها مدرسة * وشمائل هذا هو الامير علم الدين قدم الى القاهرة وهو من فلاحى بعض قرى مدينة حماه فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل فخدم جاندارا فى الركاب السلطانى الى أن نزل الفرنج على مدينة دمياط فى سنة خمس عشرة وستمائة وملكوا البر وحصروا أهلها وحالوا بينهم وبين من يصل اليهم فكان شمائل هذا يخاطر بنفسه ويسبح فى الماء بين المراكب ويرد على السلطان الخبر فتقدم عند السلطان وحظى لديه حتى أقامه امير جاندار وجعله من أكبر أمرائه ونصبه سيف نقمته وولاه ولاية القاهرة فباشر ذلك الى أن مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك العادل أبو بكر فلما خلع بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب نقم على شمائل * (المقشرة) هذا السجن بجوار باب الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكى كان يقشر فيه القمح ومن جملته برج من أبراج السور على يمنة الخارج من باب الفتوح استجد بأعلاه دور لم تزل الى أن هدمت خزانة شمائل فعين هذا البرج والمقشرة لسجن ارباب الجرائم وهدمت الدور التى كانت هناك فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وعمل البرج والمقشرة سجنا ونقل اليه أرباب الجرائم وهو من أشنع السجون وأضيقها يقاسى فيه المسجونون من الغم والكرب مالا يوصف عافانا الله من جميع بلائه * (الجب بقلعة الجبل) هذا الجب كان بقلعة الجبل يسجن فيه الامراء وابتدئ عمله فى سنة احدى وثمانين وستمائة

والسلطان حينئذ الملك المنصور قلاوون ولم يزل الى أن هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة وذلك أن شاد العمائر نزل اليه ليصلح عمارته فشاهد أمرا مهولا من الظلام وكثرة الوطاويط والروائح الكريهة واتفق مع ذلك أن الامير بكتمر الساقى كان عنده شخص يسخر به ويمازحه فبعث به الى الجب ودلى فيه ثم أطلعه من بعد مابات به ليلة فلما حضر الى بكتمر أخبره بما عاينه من شناعة الجب وذكر مافيه من القبائح المهولة وكان شاد العمائر فى المجلس فوصف مافيه الامراء الذين بالجب من الشدائد فتحدث بكتمر مع السلطان فى ذلك فأمر باخراج الامراء منه وردم وعمر فوقه أطباق المماليك وكان الذى ردم به هذا الجب النقض الذى هدم من الايوان الكبير المجاور للخزانة الكبرى والله أعلم بالصواب

تنبيه لم يذكر المؤلف فى النشر جميع السجون التى ذكرها فى اللف بل اسقط منها اثنين وهما حبس الديلم وحبس الرحبة وذكر بدلهما اثنين وهما المقشرة والجب فليحرر اه

(ذكر المواضع المعروفة بالصناعة) *

لفظ الصناعة بكسر الصاد مأخوذ من قولك صنعه يصنعه صنعا فهو مصنوع وصنيع عمله واصطنعه اتخذه والصناعة مايستصنع من أمر هذا أصل الكلمة من حيث اللغة وأما فى العرف فالصناعة اسم لمكان قد أعد لانشاء المراكب البحرية التى يقال لها السفن واحدتها سفينة وهى بمصر على قسمين نيلية وحربية * فالحربية هى التى تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتمر من ثغر الاسكندرية وثغر دمياط وتنيس والفرما الى جهاد أعداء الله من الروم والفرنج وكانت هذه المراكب الحربية يقال لها الاسطول ولا أحسب هذا اللفظ عربيا * وأما المراكب النيلية فانها تنشأ لتمر فى النيل صاعدة الى أعلى الصعيد ومنحدرة الى أسفل الارض لحمل الغلال وغيرها ولما جاء الله تعالى بالاسلام لم يكن البحر يركب للغزو فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وأول من ركب البحر فى الاسلام للغزو العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه وكان على البحرين من قبل ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فأحب أن يؤثر فى الاعاجم أثرا يعز الله به الاسلام على يديه فندب اهل البحرين الى فارس فبادروا الى ذلك وفرقهم أجنادا على أحدها الجارود بن المعلى رضى الله عنه وعلى الثانى سوار بن همام رضى الله عنه وعلى الثالث خليد بن المنذر بن ساوى رضى الله عنه وجعل خليدا على عامة الناس فحملهم فى البحر الى فارس بغير اذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه لا يأذن لاحد فى ركوب البحر غازيا كراهة للتغرير بجنده اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبى بكر رضى الله عنه فعبرت تلك الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا فى اصطخر وبازائهم اهل فارس عليهم الهربذ فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم فقام خليد فى الناس فقال أما بعد فان الله تعالى اذا قضى أمرا جرت المقادير على مطيته وان هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم الى حربهم وانما جئتم لمحاربتهم والسفن والارض بعد الآن لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فأجابوه الى القتال وصلوا الظهر ثم ناهزوهم فاقتتلوا قتالا شديدا فى موضع يدعى طاوس فقتل من اهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قبلها وخرج المسلمون يريدون البصرة اذ غرقت سفنهم ولم يجدوا فى الرجوع الى البحر سبيلا فاذا بهم وقد أخذت عليهم الطرق فعسكروا وامتنعوا وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاشتد غضبه على العلاء رضى الله عنه وكتب اليه بعزله وتوعده وأمره بأثقل الاشياء عليه وأبغض الوجوه اليه بتأمير سعد بن ابى وقاص عليه وقال الحق بسعد بن ابى وقاص بمن معك فخرج رضى الله عنه من البحرين بمن معه نحو سعد رضى الله عنه وهو يومئذ على الكوفة وكان بينهما تباين وتباعد وكتب عمر رضى الله عنه الى عتبة بن غزوان بأن العلاء بن الحضرمى حمل جندا من المسلمين فى البحر فأقطعهم الى فارس وعصانى وأظنه لم يرد الله عزوجل بذلك فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا فاندب لهم الناس وضمهم اليك من قبل أن يجتاحوا فندب عتبة رضى الله عنه الناس واخبرهم بكتاب عمر رضى الله عنه فانتدب عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن ومجزاة بن ثور ونهار بن الحارث والترجمان بن فلان والحصين بن أبى الحر والاحنف ابن قيس وسعد بن ابى العرجاء وعبد الرحمن بن سهل وصعصعة بن معاوية رضى الله تعالى عنهم فساروا من البصرة فى اثنى عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل وعليهم ابو سبرة بن أبى رهم رضى الله عنهم فساحل بهم حتى التقى ابو سبرة وخليد حيث أخذت عليهم الطرق وقد استصرخ اهل اصطخر أهل فارس كلهم فأتوهم من كل وجه

وكورة فالتقوا هم وأبوسبرة فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركون وعاد المسلمون بالغنائم الى البصرة ورجع اهل البحرين الى منازلهم فلما فتح الله تعالى الشأم ألح معاوية بن أبى سفيان وهو يومئذ على جند دمشق والاردن على عمر رضى الله عنه فى غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال ان قرية من قرى حمص ليسمع اهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى اذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر رضى الله عنه اتهم معاوية لانه المشير وأحب عمر رضى الله عنه أن يردعه فكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر أن صف لى البحر وراكبه فان نفسى تنازعنى اليه وأنا أشتهى خلافها فكتب اليه يا أمير المؤمنين انى رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد حزن القلوب وان زل أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق فلما جاءه كتاب عمرو كتب رضى الله عنه الى معاوية لا والذى بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا انا قد سمعنا أن بحر الشأم يشرف على أطول شئ فى الارض يستأذن الله تعالى فى كل يوم وليلة أن يفيض على الارض فيغرقها فكيف أحمل الجنود فى هذا البحر الكافر المستصعب وتالله لمسلم واحد أحب الى مما حوته الروم فاياك أن تعرض لى وقد تقدمت اليك وقد علمت مالقى العلاء منى ولم أتقدم اليه فى مثل ذلك وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لا يسألنى الله عزوجل عن ركوب المسلمين البحر أبدا وروى عنه ابنه عبد الله رضى الله عنهما أنه قال لولا آية فى كتاب الله تعالى لعلوت راكب البحر بالدرة * ثم لما كانت خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه غزا المسلمون فى البحر وكان اول من غزا فيه معاوية بن أبى سفيان وذلك انه لم يزل بعثمان رضى الله عنه حتى عزم على ذلك فأخره وقال تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحاسى حليفة بنى فزارة فغزا خمسين غزوة من بين شاتية وصائفة فى البر والبحر ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب وكان يدعو الله تعالى أن يرزقه العافية فى جنده ولا يبتليه بمصاب أحد منهم حتى اذا أراد الله عزوجل أن يصيبه فى جنده خرج فى قارب طليعته فانتهى الى المرفا من ارض الروم فثار به الروم وهجموا عليه فقاتلهم فأصيب وحده ثم قاتل الروم أصحابه فأصيبوا وغزا عبد الله ابن سعد بن أبى سرح فى البحر لما أتاه قسطنطين بن هرقل سنة أربع وثلاثين فى ألف مركب يريد الاسكندرية فسار عبد الله فى مائتى مركب أو تزيد شيأ وحاربه فكانت وقعة ذات الصوارى التى نصر الله تعالى فيها جنده وهزم قسطنطين وقتل جنده وأغزى معاوية أيضا عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه فى البحر وأمره أن يتوجه الى رودس فسار اليها ونزل الروم على البرلس فى سنة ثلاث وخمسين فى امارة مسلمة بن مخلد الانصارى رضى الله عنه على مصر فخرج اليهم المسلمون فى البر والبحر فاستشهد وردان مولى عمرو بن العاص فى جمع كثير من المسلمين وبعث عبد الملك بن مروان لما ولى الخلافة الى عامله على افريقية حسان بن النعمان يأمره باتخاذ صناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية * ومنها كانت غزوة صقلية فى أيام زيادة الله الاول بن ابراهيم بن الاغلب على شيخ الفتيا اسد بن الفرات ونزل الروم تنيس فى سنة احدى ومائة فى امارة بشر بن صفوان الكلبى على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك فاستشهد جماعة من المسلمين وقد ذكر فى أخبار الاسكندرية ودمياط وتنيس والفرما من هذا الكتاب جملة من نزلات الروم والفرنج عليها وما كان فى زمن الانشاء فانظره تجده ان شاء الله تعالى

* وقد ذكر شيخنا العالم العلامة الاستاذ قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى الاشبيلى تعليل امتناع المسلمين من ركوب البحر للغزو فى اول الامر فقال والسبب فى ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة فى ثقافته وركوبه والروم والفرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم فى التقلب على اعواده مرنوا عليه وأحكموا الدربة بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولا لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذى صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية فى حاجاتهم البحرية أمما وتكررت ممارستهم البحر وثقافته استحدثوا بصرا بها فتاقت أنفسهم الى الجهاد فيه وأنشأوا السفن والشوانى وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب الى هذا البحر وعلى ضفته مثل الشام وافريقية والمغرب والاندلس * واول ما أنشئ الاصطول بمصر فى خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبى الفضل جعفر ابن المعتصم عند ما نزل الروم دمياط فى يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق

فملكوها

فملكوها وقتلوا بها جماعة كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال ومضوا الى تنيس فاقاموا باشتومها فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الاسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشوانى برسم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كما هى لغزاة البر وانتدب الامراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر فى تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو وكان لا ينزل فى رجال الاسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب هذا وللناس اذ ذاك رغبة فى جهاد أعداء الله واقامة دينه لا جرم انه كان لخدام الاسطول حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة فى أنه يعد من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه وكان من غزو الاسطول بلاد العدو ما قد شحنت به كتب التواريخ * فكانت الحرب بين المسلمين والروم سجالا ينال المسلمون من العدو وينال العدو منهم ويأسر بعضهم بعضا لكثرة هجوم أساطيل الاسلام بلاد العدو فانها كانت تسير من مصر ومن الشام ومن افريقية فلذلك احتاج خلفاء الاسلام الى الفداء وكان اول فداء وقع بمال فى الاسلام أيام بنى العباس ولم يقع فى أيام بنى أمية فداء مشهور وانما كان يفادى بالنفر بعد النفر فى سواحل الشأم ومصر والاسكندرية وبلاد ملطية وبقية الثغور الجزرية الى أن كانت خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد * (الفداء الاول) باللامس من سواحل البحر الرومى قريبا من طرسوس فى سنة تسع وثمانين ومائة وملك الروم يومئذ نقفور بن استبراق وكان ذلك على يد القاسم بن الرشيد وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنسرين فى أعمال حلب ففودى بكل أسير كان ببلاد الروم من ذكر او أنثى وحضر هذا الفداء من اهل الثغور وغيرهم من اهل الامصار نحو من خمسمائة الف انسان بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة قد أخذوا السهل والجبل وضاق بهم الفضاء وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزى معهم أسارى المسلمين فكان عدة من فودى به من المسلمين فى اثنى عشر يوما ثلاثة آلاف وسبعمائة أسير وأقام ابن الرشيد باللامس أربعين يوما قبل الايام التى وقع فيها الفداء وبعدها وقال مروان بن أبى حفصة فى هذا الفداء يخاطب الرشيد من أبيات

وفكت بك الاسرى التى شيدت بها * محابس ما فيها حميم يزورها
على حين أعيى المسلمين فكاكها * وقالوا سجون المشركين قبورها

* (الفداء الثانى) كان فى خلافة الرشيد أيضا باللامس فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وملك الروم نقفور وكان القائم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعى أمير الثغور الشامية حضره ألوف من الناس وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفين وخمسمائة من ذكر وأنثى * (الفداء الثالث) وقع فى خلافة الواثق باللامس فى المحرم سنة احدى وثلاثين ومائتين وملك الروم ميخائيل بن نوفيل وكان القائم به خاقان التركى وعدة من فودى به من المسلمين فى عشرة أيام أربعة آلاف وثلثمائة واثنان وستون من ذكر وأنثى وحضر مع خاقان أبو رملة من قبل قاضى القضاة احمد بن ابى داود يمتحن الاسرى وقت المفاداة فمن قال منهم بخلق القرآن فودى به وأحسن اليه ومن أبى ترك بأرض الروم فاختار جماعة من الاسرى الرجوع الى ارض النصرانية على القول بذلك وخرج من الاسرى مسلم بن أبى مسلم الجرمى وكان له محل فى الثغور وكتب مصنفة فى أخبار الروم وملوكهم وبلادهم فنالته محن على القول بخلق القرآن ثم تخلص * (الفداء الرابع) فى خلافة المتوكل على الله باللامس أيضا فى شوال سنة احدى وأربعين ومائتين والملك ميخائيل وكان القائم به سيف خادم المتوكل وحضر معه جعفر بن عبد الواحد الهاشمى القاضى وعلى بن يحيى الارمنى أمير الثغور الشامية وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفى رجل ومائة امرأة وكان مع الروم من النصارى المأسورين من أرض الاسلام مائة رجل ونيف فعوضوا مكانهم عدة اعلاج اذ كان الفداء لا يقع على نصرانى ولا ينعقد * (الفداء الخامس) فى خلافة المتوكل وملك الروم ميخائيل أيضا باللامس مستهل صفر سنة ست وأربعين ومائتين وكان القائم به على بن يحيى الارمنى أمير الثغور ومعه نصر بن الازهر الشيعى من شيعة بنى العباس المرسل الى الملك فى أمر الفداء من قبل المتوكل وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفين وثلثمائة وسبعة وستين من ذكر وأنثى * (الفداء السادس) كان فى أيام المعتز والملك على الروم بسيل على يد شفيع الخادم فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين * (الفداء السابع) فى خلافة المعتضد باللامس فى شوال سنة ثلاث وثمانين

وما ئتين وملك الروم اليون بن بسيل وكان القائم به احمد بن طغان أمير الثغور الشامية وانطاكية من قبل الامير ابى الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وكانت الهدنة لهذا الفداء وقعت فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين فقتل أبو الجيش بدمشق فى ذى القعدة من هذه السنة وتم الفداء فى امارة ولده جيش بن خمارويه وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى عشرة ايام ألفين وأربعمائة وخمسة وتسعين من ذكر وأنثى وقيل ثلاثة آلاف * (الفداء الثامن) فى خلافة المكتفى باللامش فى ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين ومائتين وملك الروم اليون أيضا وكان القائم به رستم بن نزدوى أمير الثغور الشامية وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى أربعة أيام ألفا ومائة وخمسة وخمسين من ذكر وأنثى وعرف بفداء الغدر وذلك أن الروم غدروا وانصرفوا ببقية الاسارى * (الفداء التاسع) فى خلافة المكتفى وملك الروم اليون باللامش أيضا فى شوال سنة خمس وتسعين ومائتين والقائم به رستم وكانت عدة من فودى به من المسلمين ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين من ذكر وأنثى * (الفداء العاشر) فى خلافة المقتدر باللامش فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلثمائة وملك الروم قسطنطين بن اليون بن بسيل وهو صغير فى حجر أرمانوس وكان القائم بهذا الفداء مونس الخادم وبشير الخادم الافشينى أمير الثغور الشامية وانطاكية والمتوسط له والمعاون عليه أبو عمير عدى بن احمد بن عبد الباقى التميمى الاذنى من اهل اذنة وعدة من فودى به من المسلمين فى ثمانية أيام ثلاثة آلاف وثلثمائة وستة وثلاثون من ذكر وأنثى * (الفداء الحادى عشر) فى خلافة المقتدر وملك ارمانوس وقسطنطين على الروم وكان باللامش فى شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثلثمائة والقائم به مفلح الخادم الاسود المقتدرى وبشير خليفة ثمل الخادم على الثغور الشامية وعدة من فودى به من المسلمين فى تسعة عشر يوما ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وثلاثون من ذكر وأنثى * (الفداء الثانى عشر) فى خلافة الراضى باللامش فى سلخ ذى القعدة وأيام من ذى الحجة سنة ست وعشرين وثلثمائة والملكان على الروم قسطنطين وارمانوس والقائم به ابن ورقاء الشيبانى من قبل الوزير أبى الفتح الفضل ابن جعفر بن الفرات وبشير الثملى أمير الثغور الشامية وعدة من فودى به من المسلمين فى ستة عشر يوما ستة آلاف وثلثمائة ونيف من ذكر وأنثى وبقى فى أيدى الروم من المسلمين الاسرى ثمانمائة رجل ردوا ففودى بهم فى عدة مرار وزيدوا فى الهدنة بعد انقضاء الفداء مدة ستة أشهر لاجل من تخلف فى أيدى الروم من المسلمين حتى جمع الاسارى منهم * (الفداء الثالث عشر) فى خلافة المطيع باللامش فى شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وثلثمائة والملك على الروم قسطنطين والقائم به نصر الثملى من قبل سيف الدولة ابى الحسن على بن حمدان صاحب جند حمص وجند قنسرين وديار بكر وديار مضر والثغور الشامية والجزرية وكانت عدة من فودى به من المسلمين ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وأنثى وفضل للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون لكثرة من كان فى أيديهم فوفاهم سيف الدولة ذلك وحمله اليهم وكان الذى شرع فى هذا الفداء الامير ابو بكر محمد بن طغج الاخشيد أمير مصر والشام والثغور الشامية وكان أبو عمير عدى بن احمد بن عبد الباقى الاذنى شيخ الثغور قدم اليه وهو بدمشق فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ومعه رسول ملك الروم فى اتمام هذا الفداء والاخشيد شديد العلة فتوفى يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة منها وسار أبو المسك كافور الاخشيدى بالجيش راجعا الى مصر وحمل معه أبا عمير ورسول ملك الروم الى فلسطين فدفع اليهما ثلاثين ألف دينار من مال الفداء فسارا الى مدينة صور وركبا البحر الى طرسوس فلما وصلا كاتب نصر الثملى أمير الثغور سيف الدولة بن حمدان ودعا له على منابر الثغور فجد فى اتمام هذا الفداء فنسب اليه ووقعت أفدية أخرى ليس لها شهرة * فمنها فداء فى خلافة المهدى محمد على يد النقاش الانطاكى * وفداء فى أيام الرشيد فى شوال سنة احدى وثمانين ومائة على يد عياض بن سنان أمير الثغور الشامية * وفداء فى أيام الامين على يد ثابت بن نصر فى ذى القعدة سنة أربع وتسعين ومائة * وفداء فى أيام الامين على يد ثابت بن نصر أيضا فى ذى القعدة سنة احدى ومائتين * وفداء فى أيام المتوكل سنة سبع وأربعين ومائتين على يد محمد بن على * وفداء فى أيام المعتمد على يد شفيع فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين * وفداء كان فى الاسكندرية فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة خرج فيه ابو بكر محمد بن على المادرانى من مصر ومعه الشريف أبو القاسم الرئيس والقاضى أبو حفص عمر بن الحسين العباسى وحمزة بن محمد الكنانى فى جمع كبير وكانت عدة

من

من فودى به من المسلمين ستين نفسا بين ذكر وانثى فلما سار الروم الى البلاد الشامية بعد سنة خمسين وثلثمائة اشتد أمرهم بأخذهم البلاد وقويت العناية بالاسطول فى مصر منذ قدم المعز لدين الله وأنشأ المراكب الحربية واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد واعتناء بالاسطول وواصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر واسكندرية ودمياط من الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات وتسيرها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قوّاد الاسطول فى آخر أمرهم تزيد على خمسة آلاف مدوّنة منهم عشرة أعيان يقال لهم القوّاد واحدهم قائد وتصل جامكية كل واحد منهم الى عشرين دينارا ثم الى خمسة عشر دينارا ثم الى عشرة دنانير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهى اقلها ولهم اقطاعات تعرف بابواب الغزاة بما فيها من النطرون فيصل دينارهم بالمناسبة الى نصف دينار وكان يعين من القوّاد العشرة واحد فيصير رئيس الاسطول ويكون معه المقدم والفاوش فاذا ساروا الى الغزو كان هو الذى يقلع بهم وبه يقتدى الجميع فيرسون بارسائه ويقلعون باقلاعه ولا بدّ أن يقدم على الاسطول امير كبير من اعيان أمراء الدولة وأقواهم نفسا ويتولى النفقة فى غزاة الاسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدّة المراكب السائرة وكانت فى ايام المعز لدين الله تزيد على ستمائة قطعة وآخر ماصارت اليه فى آخر الدولة نحو الثمانين شونة وعشر مسطحات وعشر حمالة فماتقصر عن مائة قطعة فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال وفيهم من كان يتعيش بمصر والقاهرة وفيهم من هو خارج عنهما فيجتمعون وكانت لهم المشاهرة والجرايات فى مدّة ايام سفرهم وهم معروفون عند عشرين عريفا يقال لهم النقباء واحدهم نقيب ولا يكره أحد على السفر فاذا اجتمعوا أعلم النقباء المقدم فأعلم بذلك الوزير فطالع الوزير الخليفة بالحال فقرر يوما للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء من ديوان الانشاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته فى مجلسه ويجلس الوزير فى مكانه ويحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفى والكاتب والمستوفى هو أميرهما فيجلس من داخل عتبة المجلس وهذه رتبة له يتميز بها ويجلس بجانبه من وراء العتبة كاتب الجيش فى قاعة الدار على حصر مفروشة وشرط هذا المستوفى أن يكون عدلا ومن أعيان الكتاب ويسمى اليوم فى زمننا ناظر الجيش وأما كاتب الجيش فانه كان فى غالب الامر يهوديا وللمجلس الذى فيه الخليفة والوزير انطاع تصب عليها الدراهم ويحضر الوزانون بيت المال لذلك فاذا تهيأ الانفاق أدخل الغزاة مائة مائة فيقفون فى اخريات من هو واقف فى الخدمة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت فى أوراق لاستدعائهم بين يدى الخليفة فيستدعى مستوفى الجيش من تلك الاوراق المنفق عليهم واحدا واحدا فاذا خرج اسمه عبر من الجانب الذى هو فيه الى الجانب الآخر فاذا تكملت عشرة وزن الوزانون لهم النفقة وكانت مقررة لكل واحد خمسة دنانير صرف ستة وثلاثين درهما بدينار فيسلمها لهم النقيب وتكتب باسمه ويده وتمضى النفقة هكذا الى آخرها فاذا تم ذلك ركب الوزير من بين يدى الخليفة وانفض ذلك الجمع فيحمل الى الوزير من القصر مائدة يقال لها غداء الوزير وهى سبع مجنقات أوساط احداها بلحم الدجاج وفستق معمولة بصناعة محكمة والبقية شواء وهى مكمورة بالازهار فتكون النفقة على ذلك مدّة ايام متوالية مرّة ومتفرّقة مرّة فاذا اكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل النيل بالمقس خارج القاهرة وكان هنالك على شاطئ النيل بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداع الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس للوداع جاءت القوّاد بالمراكب من مصر الى هنالك للحركات فى البحر بين يديه وهى مزينة باسلحتها ولبودها وما فيها من المنجنيقات فيرمى بها وتنحدر المراكب وتقلع وتفعل سائر ماتفعله عند لقاء العدوّ ثم يحضر المقدم والرئيس الى بين يدى الخليفة فيودعهما ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطى للمقدم مائة دينار وللرئيس عشرين دينارا وينحدر الاسطول الى دمياط ومن هنالك يخرج الى بحر الملح فيكون له ببلاد العدوّ صيت عظيم ومهابة قوية والعادة أنه اذا غنم الاسطول ماعسى أن يغنم لا يتعرض السلطان منه الى شئ البتة الا ما كان من الاسرى والسلاح فانه للسلطان وما عداهما من المال والثياب ونحوهما فانه لغزاة الاسطول لا يشاركهم فيه أحد فاذا قدم الاسطول خرج الخليفة أيضا الى منظرة المقس وجلس فيها للقائه وقدم الاسطول مرّة بألف وخمسمائة اسير وكانت العادة أن الاسرى ينزل بهم فى المناخ وتضاف الرجال الى من فيه من الاسرى ويمضى بالنساء والاطفال الى القصر بعد ما يعطى منهم الوزير طائفة ويفرّق

مابقى من النساء على الجهات والاقارب فيستخدمونهن ويربونهن حتى يتقن الصنائع ويدفع الصغار من الاسرى الى الاستادين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية ويقال لهم الترابى وفيهم من صار أميرا من صبيان خاص الخليفة ومن الاسرى من كان يستراب به فيقتل ومن كان منهم شيخا لا ينتفع به ضربت عنقه وألقى فى بئر كانت فى خرائب مصر تعرف ببئر المنامة ولم يعرف قط عن الدولة الفاطمية أنها فادت أسيرا من الفرنج بمال ولا بأسير مثله وكان المنفق فى الاسطول كل سنة خارجا عن العدد والآلات * ولم يزل الاسطول على ذلك الى أن كانت وزارة شاور ونزل مرى ملك الفرنج على بركة الحبش فأمر شاور بتحريق مصر وبحريق مراكب الاسطول فحرقت ونهبها العبيد فيما نهبوا فلما كان زوال الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب اعتنى أيضا بأمر الاسطول وأفرد له ديوانا عرف بديوان الاسطول وعين لهذا الديوان الفيوم بأعمالها والحبس الجيوشى فى البرين الشرقى والغربى وهو من البر الشرقى بهتين والاميرية والمنية ومن البر الغربى ناحية سفط ونهيا ووسيم والبساتين خارج القاهرة وعين له أيضا الخراج وهو أشجار من سنط لا تحصى كثرة فى البهنساوية وسفط ريشين والاشمونين والاسيوطية والاخميمية والقوصية لم تزل بهذه النواحى لا يقطع منها الا ما تدعو الحاجة اليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار وقد ذكر خبر هذا الخراج فى ذكر أقسام مال مصر من هذا الكتاب وعين له أيضا النطرون وكان قد بلغ ضمانه ثمانية آلاف دينار ثم افرد لديوان الاسطول مع ما ذكر الزكاة التى كانت تجبى بمصر وبلغت فى سنة زيادة على خمسين ألف دينار وأفرد له المراكب الديوانية وناحية اشناى وطنبدى وسلم هذا الديوان لاخيه الملك العادل أبى بكر محمد بن أيوب فأقام فى مباشرته وعمالته صفى الدين عبد الله بن على بن شكر وتقرر ديوان الاسطول الذى ينفق فى رجاله نصف وربع دينار بعد ما كان نصف وثمن دينار فلما مات السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب استمر الحال فى الاسطول قليلا ثم قل الاهتمام به وصار لا يفكر فى امره الا عند الحاجة اليه فاذا دعت الضرورة الى تجهيزه طلب له الرجال وقبض عليهم من الطرقات وقيدوا فى السلاسل نهارا وسجنوا فى الليل حتى لا يهربوا ولا يصرف لهم الا الشئ القليل من الخبز ونحوه وربما أقاموا الايام بغير شئ كما يفعل بالاسرى من العدو فصارت خدمة الاسطول عارا يسب به الرجال واذا قيل لرجل فى مصر يا أسطولى غضب غضبا شديدا بعد ما كان خدام الاسطول يقال لهم المجاهدون فى سبيل الله والغزاة فى أعداء الله ويتبرك بدعائهم الناس ثم لما انقرضت دولة بنى أيوب وتملك الاتراك المماليك مصر أهملوا أمر الاسطول الى أن كانت ايام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فنظر فى امر الشوانى الحربية واستدعى برجال الاسطول وكان الامراء قد استعملوهم فى الحراريق وغيرها وندبهم للسفر وأمر بعد الشوانى وقطع الاخشاب لعمارتها واقامتها على ما كانت عليه فى ايام الملك الصالح نجم الدين أيوب واحترز على الخراج ومنع الناس من التصرف فى اعواد العمل وتقدم بعمارة الشوانى فى ثغرى الاسكندرية ودمياط وصار ينزل بنفسه الى الصناعة بمصر ويرتب ما يجب ترتيبه من عمل الشوانى ومصالحها واستدعى بشوانى الثغور الى مصر فبلغت زيادة على أربعين قطعة سوى الحراريق والطرائد فانها كانت عدة كثيرة وذلك فى شوال سنة تسع وستين وستمائة ثم سارت تريد قبرس وقد عمل ابن حسون رئيس الشوانى فى أعلامها الصلبان يريد بذلك أنها تخفى اذا عبرت البحر على الفرنج حتى تطرقهم على غفلة فكره الناس منه ذلك فلما قاربت قبرس تقدم ابن حسون فى الليل ليهجم المينا فصدم الشونة المقدمة شعبا فانكسرت وتبعتها بقية الشوانى فتكسرت الشوانى كلها وعلم بذلك متملك قبرس فأسر كل من فيها وأحاط بما معهم وكتب الى السلطان يقرعه ويوبخه وأن شوانيه قد تكسرت وأخذ ما فيها وعدتها احدى عشرة شونة وأسر رجالها فحمد السلطان الله تعالى وقال الحمد لله منذ ملكنى الله تعالى ما خذل لى عسكر ولا ذلت لى راية وما زلت أخشى العين فالحمد لله تعالى بهذا ولا بغيره وأمر بانشاء عشرين شونة وأحضر خمس شوانى كانت على مدينة قوص من صعيد مصر ولازم الركوب الى صناعة العمارة بمصر كل يوم فى مدة شهر المحرم سنة سبعين وستمائة الى أن تنجزت فلما كان فى نصف المحرم سنة احدى وسبعين وستمائة زاد النيل حتى لعبت الشوانى بين يديه فكان يوما مشهودا وفى سنة اثنتين وتسعين وستمائة تقدم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون الى الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس بتجهيز أمر الشوانى فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس وهيأ جميع ما تحتاج اليه الشوانى حتى كملت عدتها نحو ستين

شونة وشحنها بالعدد وآلات الحرب ورتب بها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح فأقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة ايام وصنعوا لهم قصورا من خشب واخصاص القش على شاطئ النيل خارج مدينة مصر وبالروضة واكتروا الساحات التى قدّام الدور والزرابى بالمائتى درهم كل زربية فما دونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر الا وخرج أهله أو بعضهم لرؤية ذلك فصار جمعا عظيما وركب السلطان من قلعة الجبل بكرة والناس قد ملأوا ما بين المقياس الى بستان الخشاب الى بولاق ووقف السلطان ونائبه الامير بيدرو بقية الامراء قدّام دار النحاس ومنع الحجاب من التعرّض لطرد العامة فبرزت الشوانى واحدة بعد واحدة وقد عمل فى كل شونة برج وقلعة تحاصر والقتال عليها ملح والنفط يرمى عليها وعدة من النقابين فى اعمال الحيلة فى النقب وما منهم الا من اظهر فى شونته عملا عجيبا وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه وتقدّم ابن موسى الراعى وهو فى مركب نيلية فقرأ قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم ثم تلاها بقراءة قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى آخر الآية هذا والشوانى تتواصل بمحاربة بعضها بعضا الى أن اذن لصلاة الظهر فمضى السلطان بعسكره عائدا الى القلعة فأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ماهم عليه من اللهو فى اجتماعهم وكان شيأ يجل وصفه وأنفق فيه مال لا يعدّ بحيث بلغت أجرة المركب فى هذا اليوم ستمائة درهم فما دونها وكان الرجل الواحد يؤخذ منه أجرة ركوبه فى المركب خمسة دراهم وحصل لعدة من النواتية أجرة مراكبهم عن سنة فى هذا اليوم وكان الخبز يباع اثنا عشر رطلا بدرهم فلكثرة اجتماع الناس بمصر بيع سبعة أرطال بدرهم فبلغ خبر الشوانى الى بلاد الفرنج فبعثوا ارسالهم بالهدايا يطلبون الصلح فلما كان المحرم سنة اثنتين وسبعمائة فى سلطنة الناصر محمد بن قلاون جهزت الشوانى بالعدد والسلاح والنفطية والازودة وعين لها جماعة من اجناد الحلقة وألزم كل أمير مائة بارسال رجلين من عدته وألزم أمراء الطبلخاناه والعشروات باخراج كل أمير من عدته رجلا وندب الامير سيف الدين كهرداش المنصورى الزراق الى السفر بهم ومعه جماعة من مماليك السلطان الزراقين وزينت الشوانى أحسن زينة فخرج معظم الناس لرؤيتها وأقاموا يومين بلياليهما على الساحل بالبرين وكان جمعا عظيما الى الغاية وبلغت أجرة المركب الصغير مائة درهم لاجل الفرجة ثم ركب السلطان بكرة يوم السبت ثانى عشر المحرم ومعه الامير سلار النائب والامير بيبرس الجاشنكير وسائر الامراء والعسكر فوقفت المماليك على البر نحو بستان الخشاب وعدى الامراء فى الحراريق الى الروضة وخرجت الشوانى واحدة بعد واحدة فلعبت منها ثلاثة وخرجت الرابعة وفيها الامير أقوش القارى من مينا الصناعة حتى توسط البحر فلعب بها الريح الى أن مالت وانقلبت فصار أعلاها أسفلها فتداركها الناس ورفعوا ماقدروا عليه من العدد والسلاح وسلمت الرجال فلم يعدم منهم سوى أقوش وحده فتنكد الناس وعاد الامراء الى القلعة بالسلطان وجهز شونة عوضا عن التى غرقت وساروا الى مينا طرابلس ثم ساروا ومعهم عدة من طرابلس فأشرفوا من الغد على جزيرة أرواد من أعمال قبرس وقاتلوا أهلها وقتلوا اكثرهم وملكوها فى يوم الجمعة ثامن عشرى صفر واستولوا على مافيها وهدموا أسوارها وعادوا الى طرابلس وأخرجوا من الغنائم الخمس للسلطان واقتسموا ما بقى منها وكان معهم مائتان وثمانون أسيرا فسرّ السلطان بذلك سرورا كثيرا

(صناعة المقس) قال ابن أبى طى فى تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله انه أنشأ دار الصناعة التى بالمقس وأنشأ بها ستمائة مركب لم ير مثلها فى البحر على مينا * وقال المسبحى ان العزيز بالله بن المعز هو الذى بنى دار الصناعة التى بالمقس وعمل المراكب التى لم ير مثلها فيما تقدّم كبرا ووثاقة وحسنا * وقال فى حوادث سنة ست وثمانين وثلثمائة ووقعت نار فى الاسطول وقت صلاة الجمعة لست بقين من شهر ربيع الآخر فأحرقت خمس عشاريات وأتت على جميع ما فى الاسطول من العدة والسلاح حتى لم يبق منه غير ستة مراكب فارغة لا شئ فيها فحمل البحريون السلاح واتهموا الروم النصارى وكانوا مقيمين بدار مانك بجوار الصناعة التى بالمقس وحملوا على الروم هم وجموع من العامة معهم فنهبوا أمتعة الروم وقتلوا منهم مائة رجل وسبعة رجال وطرحوا جثثهم فى الطرقات وأخذ من بقى فحبس بصناعة المقس ثم حضر عيسى بن نسطورس خليفة امير المؤمنين العزيز بالله فى الاموال ووجوهها بديار مصر والشام والحجاز ومعه يانس الصقلبى وهو يومئذ خليفة العزيز بالله على القاهرة عند مسيره الى الشام ومعهما مسعود الصقلبى متولى الشرطة وأحضروا الروم من الصناعة

فاعترفوا بانهم الذين أحرقوا الاسطول فكتب بذلك الى العزيز بالله وهو مبرز يريد السفر الى الشام وذكر له فى الكتاب خبر من قتل من الروم وما نهب وانه ذهب فى النهب ما يبلغ تسعين ألف دينار فطاف اصحاب الشرط فى الاسواق بسجل فيه الامر برد ما نهب من دار مانك وغيرها والتوعد لمن ظهر عنده منه شئ وحفظ أبو الحسن يانس البلد وضبط الناس وأمر عيسى بن نسطورس أن يمدّ للوقت عشرون مركبا وطرح الخشب وطلب الصناع وبات فى الصناعة وجدّ الصناع فى العمل واغلب أحداث الناس وعامّتهم يلعبون برؤس القتلى ويجرّون بأرجلهم فى الاسواق والشوارع ثم قرنوا بعضهم الى بعض على ساحل النيل بالمقس وأحرقوا يوم السبت وضرب بالجرس على البلد أن لا يتخلف أحد ممن نهب شيأ حتى يحضر ما نهبه ويردّه ومن علم عليه بشئ او كتم شيأ أو جحده أو أخره حلت به العقوبة الشديدة وتتبع من نهب فقبض على عدّة قتل منهم عشرون رجلا ضربت اعناقهم وضرب ثلاثة وعشرون رجلا بالسياط وطيف بهم وفى عنق كل واحد رأس رجل ممن قتل من الروم وحبس عدّة أناس وامر بمن ضربت اعناقهم فصلبوا عند كوم دينار وردّ المصروبون الى المطبق وكان ضرب من ضرب من النهابة وقتل من قتل منهم برقاع كتبت لهم تناول كل واحد منهم رقعة فيها مكتوب اما بقتل أو ضرب فأمضى فيهم بحسب ما كان فى رقاعهم من قتل أو ضرب واشتدّ الطلب على النهابة فكان الناس يدل بعضهم على بعض فاذا أخذ أحد ممن اتهم بالنهب حلف بالايمان المغلظة أنه ما بقى عنده شئ وجدّ عيسى بن نسطورس فى عمل الاسطول وطلب الخشب فلم يدع عند أحد خشبا علم به الا أخذه منه وتزايد اخراج النهابة لما نهبوه فكانوا يطرحونه فى الازقة والشوارع خوفا من أن يعرفوا به وحبس كثير ممن أحضر شيأ أو عرف عليه من النهب فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الاولى ضربت أعناقهم كلهم على يد أبى أحمد جعفر صاحب يانس فانه قدم فى عسكر كثير من اليانسية حتى ضربت أعناق الجماعة واغلقت الاسواق يومئذ وطاف متولى الشرطة وبين يديه أرباب النفط بعددهم والنار مشتعلة واليانسية ركاب بالسلاح وقد ضرب جماعة وشهرهم بين يديه وهم ينادى عليهم هذا جزاء من أثار الفتن ونهب حريم امير المؤمنين فمن نظر فليعتبر فما تقال لهم عثرة ولا ترحم لهم عبرة فى كلام كثير من هذا الجنس فاشتدّ خوف الناس وعظم فزعهم فلما كان من الغد نودى معاشر الناس قد آمن الله من أخذ شيأ أو نهب شيأ على نفسه وماله فليردّ من بقى عنده شئ من النهب وقد أجلناكم من اليوم الى مثله وفى سابع جمادى الآخرة نزل ابن نسطورس الى الصناعة وطرح مركبين فى غاية الكبر من التى استعملها بعد حريق الاسطول وفى غرّة شعبان نزل أيضا وطرح بين يديه أربعة مراكب كبارا من المنشأة بعد الحريق واتفق موت العزيز بالله وهو سائر الى الشام فى مدينة بلبيس فلما قام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله فى الخلافة امر فى خامس شوال بحط الذين صلبهم ابن نسطورس فتسلمهم أهلهم وأعطى لاهل كل مصلوب عشرة دنانير برسم كفنه ودفنه وخلع على عيسى بن نسطورس وأقرّه فى ديوان الخاص ثم قبض عليه فى ليلة الاربعاء سابع المحرّم سنة سبع وثمانين وثلثمائة واعتقله الى ليلة الاثنين سابع عشريه فأخرجه الاستاذ برجوان وهو يومئذ يتولى تدبير الدولة الى المقس وضرب عنقه فقال وهو ماض الى المقس كل شئ قد كنت أحسبه الا موت العزيز بالله ولكن الله لا يظلم أحدا والله انى لاذكر وقد ألقيت السهام للقوم المأخوذين فى نهب دار مانك وفى بعضها مكتوب يقتل وفى أخرى يضرب فأخذ شاب ممن قبض عليه رقعة منها فجاء فيها يقتل فأمرت به الى القتل فصاحت امّه ولطمت وجهها وحلفت أنها وهو ما كانا ليلة النهب فى شئ من أعمال مصر وانما وردا مصر بعد النهب بثلاثة ايام وناشدتنى الله تعالى أن اجعله من جملة من يضرب بالسوط وأن يعفى من القتل فلم التفت اليها وأمرت بضرب عنقه فقالت أمّه ان كنت لا بدّ قاتله فاجعله آخر من يقتل لأتمتع به ساعة فأمرت به فجعل أوّل من ضرب عنقه فلطخت بدمه وجهها وسبقتنى وهى منبوشة الشعر ذاهلة العقل الى القصر فلما وافيت قالت لى أقتلته كذلك يقتلك الله فأمرت بها فضربت حتى سقطت الى الارض ثم كان من الامر ما ترون مما انا صائر اليه وكان خبره عبرة لمن اعتبر وفى نصف شعبان سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ركب الحاكم بأمر الله الى صناعة المقس لتطرح المراكب بين يديه

* (صناعة الجزيرة) هذه الصناعة كانت بجزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة وهى أوّل صناعة عملت بفسطاط مصر بنيت فى سنة أربع وخمسين من الهجرة وكان قبل بنائها هنالك خمسمائة فاعل تكون مقيمة أبدا معدّة لحريق يكون فى البلاد أو هدم ثم اعتنى الامير أبو العباس أحمد بن طولون بانشاء المراكب الحربية

في هذه

فى هذه الصناعة وأطافوها بالجزيرة ولم تزل هذه الصناعة الى ايام الملك الامير أبى بكر محمد بن طغج الاخشيد فأنشا
صناعة بساحل فسطاط مصر وجعل موضع هذه الصناعة البستان المختار كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب
*(صناعة مصر) هذه الصناعة كانت بساحل مصر القديم يعرف موضعها بدار خديجة بنت الفتح بن
خاقان امرأة الامير أحمد بن طولون الى أن قدم الامير أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد أميرا على مصر من قبل
الخليفة الراضى عوضا عن أحمد بن كيغلغ فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقد كثرت الفتن فلم يدخل عيسى
ابن أحمد السلمى أبو مالك كبير المغاربة فى طاعته ومضى ومعه بجكم وعلى بن بدر وتطيف النوشرى وعلى
المغربى الى الفيوم فبعث اليهم الاخشيد صاعد بن الكلكم بمراكبه فقاتلوه وقتلوه وأخذوا مراكبه
وركب فيها على بن بدر وبجكم وقدموا مدينة مصر أول يوم من ذى القعدة فأرسوا بجزيرة الصناعة وركب
الاخشيد فى جيشه ووقف حيالهم والنيل بينهم وبينه فكره ذلك وقال صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء
ليست بشئ فأقام بجكم وعلى بن بدر الى آخر النهار ومضوا الى جهة الاسكندرية وعاد الاخشيد الى داره فأخذ
فى تحويل الصناعة من موضعها بالجزيرة الى دار خديجة بنت الفتح فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة
وكان اذ ذاك عندها سلم ينزل منه الى الماء وعندما ابتدأ فى انشاء المراكب بها صاحت به امرأة فأمر باخذها
اليه فسألته أن يبعث معها من يحمل المال فسير معها طائفة فأتت بهم الى دار خديجة هذه ودلتهم على موضع
منها فأخرجوا منه عينا وورقا وحليا وغيره وطلبت المرأة فلم توجد ولا عرف لها خبر وكانت مراكب الاسطول
مع ذلك تنشأ فى الجزيرة وفى صناعتها الى ايام الخليفة الآمر بأحكام الله تعالى فلما ولى المأمون بن البطايحى انكر
ذلك وأمر أن يكون انشاء الشوانى والمراكب النيلية الديوانية بصناعة مصر هذه وأضاف اليها دار الزبيب
وأنشأ بها منظرة لجلوس الخليفة يوم تقدمة الاسطول ورميه فأقر انشاء الحربيات والشلنديات بصناعة الجزيرة
وكان لهذه الصناعة دهليز ماد بمساطب مفروشة بالحصر العبدانية بسطا وتازيرا وفيها محل ديوان الجهاد وكان
يعرف فى الدولة الفاطمية أن لا يدخل من باب هذه الصناعة أحد راكبا الا الخليفة والوزير اذا ركبا فى يوم فتح
الخليج عند وفاء النيل فان الخليفة كان يدخل من بابها ويشقها راكبا والوزير معه حتى يركب النيل الى المقياس
كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب ولم تزل هذه الصناعة عامرة الى ماقبل سنة سبعمائة ثم صارت بستانا عرف
ببستان ابن كيسان ثم عرف فى زمننا ببستان الطواشى وكان فيما بين هذه الصناعة والروضة بحر ثم ترى بجرف
عرف موضعه بالجرف وأنشئ هناك بستان عرف ببستان الجرف وصار فى جملة أوقاف خانقاه المواصلة وقيل
لهذا الجرف بين الزقاقين وكان فيه عدة دور وحمام وطواحين وغير ذلك ثم خرب من بعد سنة ست وثمانمائة
وخرب بستان الجرف أيضا والى اليوم بستان الطواشى فيه بقية وهو على يسرة من يريد مصر من طريق المراغة
وبظاهره حوض ماء ترده الدواب ومن وراء البستان كيمان فيها كنيسة للنصارى قال ابن المتوج وكان مكان
بستان ابن كيسان صناعة العمارة وادركت فيه بابها وبستان الجرف المقابل لبستان ابن كيسان كان مكانه
بحر النيل وان الجرف ترى فيه

(ذكر الميادين)

*(ميدان ابن طولون) كان قد بناه وتأنق فيه تأنقا زائدا وعمل فيه المناخ وبركة الزئبق والقبة الذهبية وقد ذكر
خبر هذا الميدان عند ذكر القطائع من هذا الكتاب *(ميدان الاخشيد) هذا الميدان أنشأه الامير أبو بكر محمد بن
طغج الاخشيد امير مصر بجوار بستانه الذى يعرف اليوم فى القاهرة بالكافورى ويشبه أن يكون موضع هذا
الميدان اليوم حيث المكان المعروف بالبندقانيين وحارة الوزيرية وما جاور ذلك وكان لهذا البستان بابان من
حديد قلعهما القائد جوهر عندما قدم القرمطى الى مصر يريد أخذها وجعلهما على باب الخندق الذى حفره
بظاهر القاهرة قريبا من مدينة عين شمس وذلك فى سنة ستين وثلثمائة وكان هذا الميدان من اعظم أماكن مصر
وكانت فيه الخيول السلطانية فى الدولة الاخشيدية *(ميدان القصر) هذا الميدان موضعه الآن فى القاهرة
يعرف بالخرنشف عمل عند بناء القاهرة بجوار البستان الكافورى ولم يزل ميدانا للخلفاء الفاطميين يدخل اليه
من باب التبانين الذى موضعه الآن يعرف بقبو الخرنشف فلما زالت الدولة الفاطمية تعطل وبقى الى أن بنى به
الغز اصطبلات بالخرنشف ثم حكر وبنى فيه فصار من أخطاط القاهرة *(ميدان قراقوش) هذا الميدان خارج

باب الفتوح * (ميدان الملك العزيز) هذا الميدان كان بجوار خليج الذكر وكان موضعه بستانا * قال القاضى الفاضل فى متجددات ثالث عشرى شهر رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة خرج امر الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بقطع النخل المثمر المستغل تحت اللؤلؤة بالبستان المعروف بالبغدادية وهذا البستان كان من بساتين القاهرة الموصوفة وكان منظره من المناظر المستحسنة وكان له مستغل وكان قد عنى الاولون به لمجاورته اللؤلؤة والاطلال جميع مناظرها عليه وجعل هذا البستان ميدانا وحرث أرضه وقطع مافيه من الاصول انتهى ثم حكر الناس أرض هذا البستان وبنوا عليها وهو الآن دائر فيه كيمان واتربة انتهى * (الميدان الصالحى) هذا الميدان كان بأراضى اللوق من بر الخليج الغربى وموضعه الآن من جامع الطباخ بباب اللوق الى قنطرة قدادار التى على الخليج الناصرى ومن جملته الطريق المسلوكة الآن من باب اللوق الى القنطرة المذكورة وكان أولا بستانا يعرف ببستان الشريف ابن ثعلب فاشتراه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بثلاثة آلاف دينار مصرية من الامير حصن الدين ثعلب بن الامير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفرى فى شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة وجعله ميدانا وأنشأ فيه مناظر جليلة تشرف على النيل الاعظم وصار يركب اليه ويلعب فيه بالكرة وكان عمل هذا الميدان سبب بناء القنطرة التى يقال لها اليوم قنطرة الخرق على الخليج الكبير لجوازه عليها وكان قبل بنائها موضعها موردة سقائى القاهرة ومابرح هذا الميدان تلعب فيه الملوك بالكرة من بعد الملك الصالح الى أن انحسر ماء النيل من تجاهه وبعد عنه فأنشأ الملك الظاهر ميدانا على النيل وفى سلطنة الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى الصالحى النجمى قال له منجمه ان امرأة تكون سببا فى قتله فأمر أن تخرب الدور والحوانيت التى من قلعة الجبل بالتبانة الى باب زويلة والى باب الخرق والى باب اللوق الى الميدان الصالحى وأمر أن لايترك باب مفتوح بالاماكن التى يمر عليها يوم ركوبه الى الميدان ولا تفتح أيضا طاقة ومازال باب هذا الميدان باقيا وعليه طوارق مدهونة الى مابعد سنة أربعين وسبعمائة فأدخله صلاح الدين بن المغربى فى قيسارية الغزل التى أنشأها هنالك ولاجل هذا الباب قيل لذلك الخط باب اللوق ولما خرب هذا الميدان حكر وبنى موضعه ماهنالك من المساكن ومن جملته حكر مرادى وهو على يمنة من سلك من جامع الطباخ الى قنطرة قدادار وهو فى اوقاف خانقاه قوصون وجامع قوصون بالقرافة وهذا الحكر اليوم قد صار كيمانا بعد كثرة العمارة به * (الميدان الظاهرى) هذا الميدان كان بطرف أراضى اللوق يشرف على النيل الاعظم وموضعه الآن تجاه قنطرة قدادار من جهة باب اللوق أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى لما انحسر ماء النيل وبعد عن ميدان استاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب ومازال يلعب فيه بالكرة هو ومن بعده من ملوك مصر الى أن كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة فنزل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون اليه وخرب مناظره وعمله بستانا من اجل بعد البحر عنه وأرسل الى دمشق فحمل اليه منها سائر اصناف الشجر وأحضر معها خولة الشام والمطعمين فغرسوها فيه وطعموها ومازال بستانا عظيما ومنه تعلم الناس بمصر تطعيم الاشجار فى بساتين جزيرة الفيل وجعل السلطان فواكه هذا البستان مع فواكه البستان الذى أنشأه بسرياقوس تحمل بأسرها الى الشراب خاناه السلطانية بقلعة الجبل ولا يباع منها شئ البتة وتصرف كلفهما من الاموال الديوانية فجادت فواكه هذين البستانين وكثرت حتى حاكت بحسنها فواكه الشام لشدة العناية والخدمة بهما ثم ان السلطان لما اختص بالامير قوصون أنعم بهذا البستان عليه فعمر تجاهه الزريبة التى عرفت بزريبة قوصون على النيل وبنى الناس الدور الكثيرة هنالك سيما لما حفر الخليج الناصرى فان العمارة عظمت فيما بين هذا البستان والبحر وفيما بينه وبين القاهرة ومصر ثم ان هذا البستان خرب لتلاشى أحواله بعد قوصون وحكرت أرضه وبنى الناس فوقها الدور التى على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق يريد الزريبة ثم لما خرب خط الزريبة خرب ماعمر بأرض هذا البستان من الدور منذ سنة ست وثمانمائة والله تعالى اعلم * (ميدان بركة الفيل) هذا الميدان كان مشرفا على بركة الفيل قبالة الكبش وكان أولا اصطبل الجوق برسم خيول المماليك السلطانية الى أن جلس الامير زين الدين كتبغا على تخت الملك وتلقب بالملك العادل بعد خلعه الملك الناصر محمد بن قلاون فى المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة فلما دخلت سنة خمس وتسعين كان الناس فى أشد مايكون من غلاء الاسعار

وكثرة

وكثرة الموتان والسلطان خائف على نفسه ومتحرز من وقوع فتنة وهو مع ذلك ينزل من قلعة الجبل الى الميدان الظاهرى بطرف اللوق فحسن بخاطره أن يعمل اصطبل الجوق المذكور ميدانا عوضا عن ميدان اللوق وذكر ذلك للامراء فأعجبهم ذلك فأمر باخراج الخيل منه وشرع فى عمله ميدانا وبادر الناس من حينئذ الى بناء الدور بجانبه وكان أول من أنشأ هناك الامير علم الدين سنجر الخازن فى الموضع الذى عرف اليوم بحكر الخازن وتلاه الناس فى العمارة والامراء وصار السلطان ينزل الى هذا الميدان من القلعة فلا يجد فى طريقه أحدا من الناس سوى اصحاب الدكاكين من الباعة لقلة الناس وشغلهم بما هم فيه من الغلاء والوباء ولقد رآه شخص من الناس وقد نزل الى الميدان والطرقات خالية فأنشد ما قيل فى الطبيب ابن زهر

قل للغلاء أنت وابن زهر * بلغتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما كفايه

ومابرح هذا الميدان باقيا الى أن عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون قصر الامير بكتمر الساقى على بركة الفيل فادخل فيه جميع أرض هذا الميدان وجعله اصطبل قصر الامير بكتمر الساقى فى سنة سبع عشرة وسبعمائة وهو باق الى وقتنا هذا * (ميدان المهارى) هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع فى بر الخليج الغربى كان من جملة جنان الزهرى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة عشرين وسبعمائة ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موضعها كرم القاضى الفاضل رحمة الله عليه * قال جامع السيرة الناصرية وكان الملك الناصر محمد بن قلاون له شغف عظيم بالخيل فعمل دوانا ينزل فيه كل فرس بشانه واسم صاحبه وتاريخ الوقت الذى حضر فيه فاذا حملت فرس من خيول السلطان اعلم به وترقب الوقت الذى تلد فيه واستكثر من الخيل حتى احتاج الى مكان برسم نتاجها فركب من قلعة الجبل فى سنة عشرين وسبعمائة وعين موضعا يعمله ميدانا برسم المهارى فوقع اختياره على أرض بالقرب من قناطر السباع ومازال واقفا بفرسه حتى حدد الموضع وشرع فى نقل الطين البليز اليه وزرعه من النخل وغيره وركب على الآبار التى فيه السواقى فلم يمض سوى ايام حتى ركب اليه ولعب فيه بالكرة مع الخاصكية ورتب فيه عدة حجور للنتاج وأعد لها سواسا وأميراخورية وسائر ما يحتاج اليه وبنى فيه أماكن ولازم الدخول اليه فى ممره الى الميدان الذى أنشأه على النيل بموردة الملح فلما كان بعد أيام وأشهر حسن فى نفسه أن يبنى تجاه هذا الميدان على النيل الاعظم بجوار جامع الطيبرسى زريبة ويبرز بالمناظر التى ينشئها فى الميدان الى قرب البحر فنزل بنفسه وتحدث فى ذلك فكثر المهندسون المصروف فى عينه وصعبوا الامر من جهة قلة الطين هناك وكان قد أدركه السفر للصعيد فترك ذلك ومابرحت الخيول فى هذا الميدان الى أن مات الملك الظاهر برقوق فى سنة احدى وثمانمائة واستقر بعده فى ايام ابنه الملك الناصر فرج الا انه تلاشى امره عما كان قبل ذلك ثم انقطعت منه الخيول وصار براحا خاليا * (ميدان سرياقوس) كان هذا الميدان شرقى ناحية سرياقوس بالقرب من الخانقاه أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وبنى فيه قصورا جليلة وعدة منازل للامراء وغرس فيه بستانا كبيرا نقل اليه من دمشق سائر الاشجار التى تحمل الفواكه وأحضر معها خولة بلاد الشام حتى غرسوها وطعموا الاشجار فأفلح فيه الكرم والسفرجل وسائر الفواكه فلما كمل فى سنة خمس وعشرين خرج ومعه الامراء والاعيان ونزل القصور التى هناك ونزل الامراء والاعيان على منازلهم فى الاماكن التى بنيت لهم واستمر يتوجه اليه فى كل سنة ويقيم به الايام ويلعب فيه بالكرة الى أن مات فعمل ذلك أولاده الذين ملكوا من بعده فكان السلطان يخرج فى كل سنة من قلعة الجبل بعد ما تنقضى ايام الركوب الى الميدان الكبير الناصرى على النيل ومعه جميع أهل الدولة من الامراء والكتاب وقاضى العسكر وسائر أرباب الرتب ويسير الى السرحة بناحية سرياقوس وينزل بالقصور ويركب الى الميدان هناك للعب الكرة ويخلع على الامراء وسائر أهل الدولة ويقيم فى هذه السرحة أياما فيمر للناس فى اقامتهم بهذه السرحة اوقات لا يمكن وصف ما فيها من المسرات ولا حصر ما ينفق فيها من المآكل والهبات من الاموال ولم يزل هذا الرسم مستمرا الى سنة تسع وتسعين وسبعمائة وهى آخر سرحة سار اليها السلطان بسرياقوس ومن هذه السنة انقطع السلطان الملك الظاهر برقوق عن الحركة لسرياقوس فانه اشتغل فى سنة ثمانمائة بتحرك المماليك عليه من وقت قيام الامير على باى الى أن مات وقام من بعده ابنه الملك الناصر فرج فما صفا الوقت

في ايامه من كثرة الفتن وتواتر الغلوات والمحن الى أن نسي ذلك وأهمل امر الميدان والقصور وخرب وفيه الى اليوم بقية قائمة ثم بيعت هذه القصور في صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة بمائة دينار لينقض خشبها وشبابيكها وغيرها فانقضت كلها وكان من عادة السلطان اذا خرج الى الصيد لسرياقوس أو شبرا أو البحيرة أنه ينعم على أكابر أمراء الدولة قدرا وسنا كل واحد بألف مثقال ذهبا وبرذون خاص بسرج ملجم وكنبوش مذهب وكان من عادته اذا مر في متصيداته باقطاع امير كبير قدم له من الغنم والاوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو همة مثله اليه فيقبله السلطان منه وينعم عليه بخلعة كاملة وربما أمر لبعضهم بمبلغ مال وكانت عادة الامراء أن يركب الامير منهم حيث يركب في المدينة وخلفه جنيب وأما اكابرهم فيركب بجنيبين هذا في المدينة والحاضرة وهكذا يكون اذا خرج الى سرياقوس وغيرها من نواحي الصعيد ويكون في الخروج الى سرياقوس وغيرها من الاسفار لكل أمير طلب يشتمل على اكثر مماليكه وقدامهم خزانة محمولة على جمل واحد يجره راكب آخر على جمل والمال على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك وأمام الخزانة عدة جنائب تجر على ايدي مماليك ركاب خيل وهجن وركاب من العرب على هجن وأمامها الهجن بأكوارها مجنوبة وللطبلخانات قطار واحد وهو أربعة وهي ركوب الهجان والمال قطاران وربما زاد بعضهم وعدد الجنائب في كثرتها وقلتها الى رأي الامير وسعة نفسه والجنائب منها ما هو بسرج ملجم ومنها ما هو بعباءة لاغير وكان يضاهي بعضهم بعضا في الملابس الفاخرة والسروج المحلاة والعدد المليحة وكان من رسوم السلطان في خروجه الى سرياقوس وغيرها من الاسفار أن لا يتكلف اظهار كل شعار السلطنة بل يكون الشعار في موكبه السائر فيه جمهور مماليكه مع المقدم عليهم والاستاداره وأمامهم الخزائن والجنائب والهجن وأما هو نفسه فانه يركب ومعه عدة كبيرة من الامراء الكبار والصغار من الغرباء والخواص وجملة من خواص مماليكه ولا يركب في السير برقبة ولا بعصائب بل يتبعه جنائب خلفه ويقصد في الغالب تأخير النزول الى الليل فاذا جاء الليل حملت قدامه فوانيس كثيرة ومشاعل فاذا قارب مخيمه تلقى بشموع موكبية في شمعدانات كفت وصاحت الجاويشية بين يديه ونزل الناس كافة الا حملة السلاح فانهم وراءه والوشاقية أيضا وراءه وتمشي الطبردارية حوله حتى اذا وصل القصور بسرياقوس أو الدهليز من المخيم نزل عن فرسه ودخل الى الشقة وهي خيمة مستديرة متسعة ثم منها الى شقة مختصرة ثم منها الى اللاجوق وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخل سور خركاه وفي صدر اللاجوق قصر صغير من خشب برسم المبيت فيه وينصب بازاء الشقة الحمام بقدور الرصاص والحوض على هيئة الحمام المبني في المدن الا أنه مختصر فاذا نام السلطان طافت به المماليك دائرة بعد دائرة وطاف بالجميع الحرس وتدور الزفة حول الدهليز في كل ليلة وتدور بسرياقوس حول القصر في كل ليلة مرتين الاولى منذ يأوي الى النوم والثانية عند قعوده من النوم وكل زفة يدور بها أمير جاندار وهو من اكابر الامراء وحوله الفوانيس والمشاعل والطبول والبياتة وينام على باب الدهليز النقباء وأرباب النوب من الخدم ويصحب السلطان في السفر غالب ما تدعو الحاجة اليه حتى يكاد يكون معه مارستان لكثرة من معه من الاطباء وأرباب الكحل والجراح والاشربة والعقاقير وما يجري مجرى ذلك وكل من عاده طبيب ووصف له ما يناسبه يصرف له من الشراب خاناه أو الدواء خاناه المحمولين في الصحبة والله اعلم * (الميدان الناصري) هذا الميدان من جملة أراضي بستان الخشاب فيما بين مدينة مصر والقاهرة وكان موضعه قديما غامرا بماء النيل ثم عرف ببستان الخشاب فلما كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة هدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان الظاهري وغرس فيه اشجارا كما تقدم وأنشأ هذا الميدان من أراضي بستان الخشاب فانه كان حينئذ مطلا على النيل وتجهز في سنة ثمان عشرة وسبعمائة للركوب اليه وفرق الخيول على جميع الامراء واستجد ركوب الاوجاقية بكوافي الزركش على صفة الطاسات فوق رؤسهم وسماهم الجفتاوات فيركب منهم اثنان بثوبي حرير أطلس أصفر وعلى رأس كل منهما كوفية الذهب وتحت كل واحد فرس أبيض بحلية ذهب ويسيران معا بين يدي السلطان في ركوبه من قلعة الجبل الى الميدان وفي عودته منه الى القلعة وكان السلطان اذا ركب الى هذا الميدان للعب الاكرة يفرق حوائص ذهب على الامراء المقدمين وركوبه الى هذا الميدان دائما يوم السبت في قوة الحر بعد وفاء النيل مدة شهرين من السنة فيفرق في كل ميدان على اثنين بالنوبة فمنهم من تجيء نوبته بعد ثلاث سنين أو أربع سنين وكان من مصطلح الملوك

أن تكون تفرقة السلطان الخيول على الامراء فى وقتين أحدهما عند ما يخرج الى مرابط خيله فى الربيع عند اكتمال تربيعها وفى هذا الوقت يعطى امراء المئين الخيول مسرجة ملجمة بكنابيش مذهبة ويعطى أمراء الطبلخانات خيلا عريا * والوقت الثانى يعطى الجميع خيولا مسرجة ملجمة بلا كنابيش بفضة خفيفة وليس لامراء العشروات حظ فى ذلك الاما يتفقدهم به على سبيل الانعام وللخاصكية السلطان المقربين من أمراء المئين وأمراء الطبلخانات زيادة كثيرة من ذلك بحيث يصل الى بعضهم المائة فرس فى السنة وكان من شعار السلطان أن يركب الى الميدان وفى عنق الفرس رقبة حرير أطلس اصفر بزركش ذهب فتستر من تحت أذنى الفرس الى حيث السرج ويكون قدامه اثنان من الاوشاقية راكبين على حصانين اشهبين برقبتين نظير ماهو راكب به كأنهما معدان لان يركبهما وعلى الاوشاقيين المذكورين قباآن اصفران من حرير بطرازمن زركش بالذهب وعلى رأسهما قبعان مزركشان وغاشية السرج محمولة أمام السلطان وهى أديم مزركش مذهب يحملها بعض الركابدارية قدامه وهوماش فى وسط الموكب ويكون قدامه فارس يشبب بشبابة لا يقصد بنغمها الاطراب بل ما يقرع بالمهابة سامعه ومن خلف السلطان الجنائب وعلى رأسه العصائب السلطانية وهى صفر مطرزة بذهب بألقابه واسمه وهذا لا يختص بالركوب الى الميدان بل يعمل هذا الشعار أيضا اذا ركب يوم العيد أودخل الى القاهرة أوالى مدينة من مدن الشام ويزداد هذا الشعار فى يوم العيدين ودخول المدينة برفع المظلة على رأسه ويقال لها الجتروهو أطلس اصفر مزركش من أعلاه قبة وطائر من فضة مذهبة يحملها يومئذ بعض أمراء المئين الاكابر وهو راكب فرسه الى جانب السلطان ويكون أرباب الوظائف والسلاحدارية كلهم خلف السلطان ويكون حوله وأمامه الطبردارية وهم طائفة من الاكراد ذوى الاقطاعات والامرة ويكونون مشاة وبأيديهم الاطبار المشهورة

* (ذكر قلعة الجبل) *

قال ابن سيده فى كتاب المحكم القلعة بتحريك القاف واللام والعين وفتحها الحصن الممتنع فى جبل وجمعها قلاع وقلع وأقلعوا بهذه البلاد بنوها فجعلوها كالقلاعة وقيل القلعة بسكون اللام حصن مشرف وجمعه قلوع وهذه القلعة على قطعة من الجبل وهى تتصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة فتصير القاهرة فى الجهة البحرية منها ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الحبش فى الجهة القبلية الغربية والنيل الاعظم فى غربيها وجبل المقطم من ورائها فى الجهة الشرقية وكان موضعها أولا يعرف بقبة الهواء ثم صار من تحته ميدان أحمد بن طولون ثم صار موضعها مقبرة فيها عدة مساجد الى أن أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول الملوك بديار مصر على يد الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وصارت من بعده دار الملك بديار مصر الى يومنا هذا وهى ثامن موضع صار دار المملكة بديار مصر وذلك أن دار الملك كانت أولا قبل الطوفان مدينة أمسوس ثم صار تخت الملك بعد الطوفان بمدينة منف الى أن خربها بختنصر ثم لما ملك الاسكندر بن فيلبش سار الى مصر وجدد بناء الاسكندرية فصارت دار المملكة من حينئذ بعد مدينة منف الاسكندرية الى أن جاء الله تعالى بالاسلام وقدم عمرو بن العاص رضى الله عنه بجيوش المسلمين الى مصر وفتح الحصن واختط مدينة فسطاط مصر فصارت دار الامارة من حينئذ بالفسطاط الى أن زالت دولة بنى أمية وقدمت عساكر بنى العباس الى مصر وبنوا فى ظاهر الفسطاط العسكر فصار الامراء من حينئذ تارة ينزلون فى العسكر وتارة فى الفسطاط الى أن بنى أحمد بن طولون القصر والميدان وأنشأ القطائع بجانب العسكر فصارت القطائع منازل الطولونية الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد زوال دولة بنى طولون بالعسكر الى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر المعز لدين الله وبنى القاهرة المعزية فصارت القاهرة من حينئذ دار الخلافة ومقر الامامة ومنزل الملك الى أن انقضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فلما استبد بعدهم بأمر سلطنة مصر بنى قلعة الجبل هذه ومات فسكنها من بعده الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب واقتدى به من ملك مصر من بعده من أولاده الى أن انقرضوا على يد مماليكهم البحرية وملكوا مصر من بعدهم فاستقروا بقلعة الجبل الى يومنا هذا وسأجمع ان شاء الله تعالى من أخبار قلعة الجبل هذه وذكر من ملكها مافيه كفاية والله اعلم

(ذكر ما كان عليه موضع قلعة الجبل قبل بنائها)

اعلم أن أول ما عرف من خبر موضع قلعة الجبل انه كان فيه قبة تعرف بقبة الهواء قال أبو عمرو الكندى فى كتاب أمراء مصر وابتنى حاتم بن هرثمة القبة التى تعرف بقبة الهواء وهو أول من ابتناها وولى مصر الى أن صرف عنها فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة قال ثم مات عيسى بن منصور أمير مصر فى قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ولما قدم أمير المؤمنين المأمون الى مصر فى سنة سبع عشرة ومائتين جلس بقبة الهواء هذه وكان بحضرته سعيد بن عفير فقال المأمون لعن الله فرعون حيث يقول أليس لى ملك مصر فلو رأى العراق وخصبها فقال سعيد بن عفير يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فان الله عز وجل قال ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون فما ظنك يا أمير المؤمنين بشئ دمره الله هذا بقيته ثم قال سعيد لقد بلغنا أن أرضا لم تكن اعظم من مصر وجميع أهل الارض يحتاجون اليها وكانت الانهار بقناطر وجسور بتقدير حتى ان الماء يجرى تحت منازلهم وأفنيتهم يرسلونه متى شاؤا ويحبسونه متى شاؤا وكانت البساتين متصلة لا تنقطع ولقد كانت الامة تضع المكتل على رأسها فيمتلئ مما يسقط من الشجر وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج الى خمار لكثرة الشجر وفى قبة الهواء حبس المأمون الحارث بن مسكين * قال الكندى فى كتاب الموالى قدم المأمون مصر وكان بها رجل يقال له الحضرمى يتظلم من ابن أسباط وابن تميم فجلس الفضل بن مروان فى المسجد الجامع وحضر مجلسه يحيى بن أكثم وابن أبى داود وحضر اسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد وكان على مظالم مصر وحضر جماعة من فقهاء مصر وأصحاب الحديث وأحضر الحارث ابن مسكين ليولى قضاء مصر فدعاه الفضل بن مروان فبينا هو يكلمه اذ قال الحضرمى للفضل سل اصلحك الله الحارث عن ابن أسباط وابن تميم قال ليس لهذا أحضرناه قال اصلحك الله سله فقال الفضل للحارث ما تقول فى هذين الرجلين فقال ظالمين غاشمين قال ليس لهذا أحضرناك فاضطرب المسجد وكان الناس متوافرين فقام الفضل وصار الى المأمون بالخبر وقال خفت على نفسى من ثوران الناس مع الحارث فأرسل المأمون الى الحارث فدعاه فابتدأه بالمسألة فقال ما تقول فى هذين الرجلين فقال ظالمين غاشمين قال هل ظلماك بشئ قال لا قال فعاملتهما قال لا قال فكيف شهدت عليهما قال كما شهدت أنك امير المؤمنين ولم أرك قط الا الساعة وكما شهدت أنك غزوت ولم أحضر غزوك قال اخرج من هذه البلاد فليست لك ببلاد وبع قليلك وكثيرك فانك لا تعاينها ابدا وحبسه فى رأس الجبل فى قبة ابن هرثمة ثم انحدر المأمون الى البشرود وأحضره معه فلما فتح البشرود أحضر الحارث فلما دخل عليه سأله عن المسألة التى سأله عنها بمصر فرد عليه الجواب بعينه فقال فأى شئ تقول فى خروجنا هذا قال أخبرنى عبد الرحمن بن القاسم عن مالك أن الرشيد كتب اليه فى أهل دهلك يسأله عن قتالهم فقال ان كانوا خرجوا عن ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم وان كانوا انما شقوا العصا فقتالهم حلال فقال المأمون انت تيس ومالك أتيس منك ارحل عن مصر قال يا أمير المؤمنين الى الثغور قال الحق بمدينة السلام فقال له أبو صالح الحرانى يا أمير المؤمنين تغفر زلته قال يا شيخ تشفعت فارتفع ولما بنى احمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء هذه كان كثيرا ما يقيم فيها فانها كانت تشرف على قصره واعتنى بها الامير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وجعل لها الستور الجليلة والفرش العظيمة فى كل فصل ما يناسبه فلما زالت دولة بنى طولون وخرب القصر والميدان كانت قبة الهواء مما خرب كما تقدم ذكره عند ذكر القطائع من هذا الكتاب ثم عمل موضع قبة الهواء مقبرة وبنى فيها عدة مساجد * قال الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط فى الخطط والمساجد المبنية على الجبل المتصلة بالجامع المطلة على القاهرة المعزية التى فيها المسجد المعروف بسعد الدولة والترب التى هناك تحتوى القلعة التى بناها السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب على الجميع وهى التى نعتها بالقاهرة وبنيت هذه القلعة فى مدة يسيرة وهذه المساجد هى مسجد سعد الدولة ومسجد معز الدولة والى مصر ومسجد مقدم بن عليان من بنى بويه الديلمى ومسجد العدة بناه أحد الاستاذين الكبار المستنصرية وهو عدة الدولة وكان بعد مسجد معز الدولة ومسجد عبد الجبار بن عبد الرحمن ابن شبل بن على رئيس الرؤساء وكافى الكفاة أبى يعقوب بن يوسف الوزير بهمدان ابن على بناه وانتقل بالارث الى ابن عمه القاضى الفقيه أبى الحجاج يوسف بن عبد الجبار بن شبل وكان من اعيان السادة ومسجد

قسطة وكان غلاما أرمنيا من غلمان المظفر بن امير الجيوش مات مسموما من اكلة هريسة * وقال الحافظ أبو الطاهر السلفي سمعت أبا منصور قسطة الارمني والى الاسكندرية يقول كان عبد الرحمن خطيب ثغر عسقلان يخطب بظاهر البلد في عيد من الاعياد فقيل له قد قرب منا العدو فنزل عن المنبر وقطع الخطبة فبلغه أن قوما من العسكرية عابوا عليه فعله فخاب في الجمعة الاخرى داخل البلد في الجامع خطبة بليغة قال فيها قد زعم قوم أن الخطيب فزع وعن المنبر نزع وليس ذلك عارا على الخطيب فانما ترسه الطيلسان وحسامه اللسان وفرسه خشب لا تجرى مع الفرسان وانما العار على من تقلد الحسام وسن السنان وركب الجياد الحسان وعند اللقاء يصيح الى عسقلان وكان قسطة هذا من عقلاء الامراء المائلين الى العدل المثابرين على مطالعة الكتب واكثر ميله الى التواريخ وسير المتقدمين وكان مسجده بعد مسجد شقيق الملك ومسجد الديلمي كان على قرنة الجبل المقابل للقلعة من شرقيها الى البحرى وقبره قدام الباب وتربة ولخشى الامير والد السلطان رضوان بن ولخشى المنعوت بالافضل كان من الاعيان الفضلاء الادباء ضرب على طريقة ابن البواب وأبى على بن مقلة وكتب عدة ختمات وكان كريما شجاعا يلقب بفحل الامراء وكانت هذه التربة آخر الصف ومسجد شقيق الملك الاستاذ خسروان صاحب بيت المال أضيف الى سور القلعة البحرى الى المغرب قليلا ومسجد أمين الملك صارم الدولة مفلح صاحب المجلس الحافظي كان بعد مسجد القاضي أبي الحجاج المعروف بمسجد عبد الجبار وهو في وسط القلعة وبعده تربة لاون أخى يانس ومسجد القاضي النبيه كان لهمام الدولة غنام ومات رسولا ببلاد الشام وشراه منه وانشأه القاضي النبيه وقبره به وكان القاضي من الاعيان * وقال ابن عبد الظاهر أخبرني والدى قال كنا نطلع اليها يعني الى المساجد التي كانت موضع قلعة الجبل قبل أن تسكن في ليالي الجمع نبيت متفرجين كانبيت في جواسق الجبل والقرافة * قال مؤلفه رحمه الله وبالقلعة الآن مسجد الرديني وهو أبو الحسن على بن مرزوق بن عبد الله الرديني الفقيه المحدث المفسر كان معاصرا لابى عمرو عثمان بن مرزوق الحوفي وكان ينكر على اصحابه وكانت كلمته مقبولة عند الملوك وكان يأوى بمسجد سعد الدولة ثم تحول منه الى مسجد عرف بالرديني وهو الموجود الآن بداخل قلعة الجبل وعليه وقف بالاسكندرية وفي هذا المسجد قبر يزعمون أنه قبره وفي كتب المزارات بالقرافة أنه توفي ودفن بها في سنة أربعين وخمسمائة بخط سارية شرقي تربة الكيزواني واشتهر قبره باجابة الدعاء عنده

(ذكر بناء قلعة الجبل)

وكان سبب بنائها أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما أزال الدولة الفاطمية من مصر واستبد بالامر لم يتحول من دار الوزارة بالقاهرة ولم يزل يخاف على نفسه من شيعة الخلفاء الفاطميين بمصر ومن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى سلطان الشام رحمة الله عليه فامتنع أولا من نور الدين بأن سير أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب في سنة تسع وستين وخمسمائة الى بلاد اليمن لتصير له مملكة تعصمه من نور الدين فاستولى شمس الدولة على ممالك اليمن وكفى الله تعالى صلاح الدين أمر نور الدين ومات في تلك السنة فخلا له الجو وامن جانبه وأحب أن يجعل لنفسه معقلا بمصر فانه كان قد قسم القصرين بين أمرائه وأنزلهم فيهما فقال ان السبب الذى دعاه الى اختيار مكان قلعة الجبل أنه علق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة فعلق لحم حيوان آخر في موضع القلعة فلم يتغير الا بعد يومين وليلتين فأمر حينئذ بانشاء قلعة هناك وأقام على عمارتها الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى فشرع في بنائها وبنى سور القاهرة الذى زاده في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وهدم ماهنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الاهرام الصغار التى كانت بالجيزة تجاه مصر وكانت كثيرة العدد ونقل ما وجد بها من الحجارة وبنى به السور والقلعة وقناطر الجيزة وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة ومصر فمات السلطان قبل ان يتم الغرض من السور والقلعة فاهمل العمل الى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى قلعة الجبل واستنابته في مملكة مصر وجعله ولى عهده فأتم بناء القلعة وأنشأ بها الآدر السلطانية وذلك في سنة أربع وستمائة ومابرح يسكنها حتى مات فاستمرت من بعده دار مملكة مصر الى يومنا هذا وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب يقيم بها اياما وسكنها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين في أيام أبيه مدة ثم انتقل منها الى دار الوزارة * قال ابن عبد الظاهر وسمعت حكاية تحكى

عن صلاح الدين أنه طلعها ومعه أخوه الملك العادل فلما رآها التفت الى أخيه وقال يا سيف الدين قد بنيت هذه القلعة لاولادك فقال ياخوند منّ الله عليك انت وأولادك وأولاد أولادك بالدنيا فقال مافهمت ماقلت لك أنا نجيب مايأتى لى اولاد نجباء وانت غير نجيب فأولادك يكونون نجباء فسكت (قال مؤلفه رحمه الله) وهذا الذى ذكره صلاح الدين يوسف من انتقال الملك عنه الى أخيه وأولاد أخيه ليس هو خاصا بدولته بل اعتبر ذلك فى الدول تجد الامر ينتقل عن أولاد القائم بالدولة الى بعض أقاربه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائم بالملة الاسلامية ولما توفى صلى الله عليه وسلم انتقل امر القيام بالملة الاسلامية بعده الى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لوى فهو رضى الله عنه يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرّة بن كعب ثم لما انتقل الامر بعد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم الى بنى أمية كان القائم بالدولة الاموية معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية فلم تفلح اولاده وصارت الخلافة الى مروان ابن الحكم بن العاص بن أمية فتوارثها بنو مروان حتى انقضت دولتهم بقيام بنى العباس رضى الله عنه فكان أوّل من قام من بنى العباس عبد الله بن محمد السفاح ولما مات انتقلت الخلافة من بعده الى أخيه أبى جعفر عبد الله بن محمد المنصور واستقرت فى بنيه الى أن انقرضت الدولة العباسية من بغداد وكذا وقع فى دول العجم أيضا فأول ملوك بنى بويه عماد الدين أبو على الحسن بن بويه والقائم من بعده فى السلطنة اخوه حسن بن بويه وأوّل ملوك بنى سلجوق طغريل والقائم من بعده فى السلطنة ابن أخيه البارسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق وأوّل قائم بدولة بنى أيوب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولما مات اختلف أولاده فانتقل ملك مصر والشام وديار بكر والحجاز واليمن الى أخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب واستمرّ فيهم الى أن انقرضت الدولة الايوبية فقام بمملكة مصر المماليك الاتراك وأوّل من قام منهم بمصر الملك المعز أيبك فلما مات لم يفلح ابنه على فصارت المملكة الى قطز وأوّل من قام بالدولة الجركسية الملك الظاهر برقوق وانتقلت المملكة من بعد ابنه الملك الناصر فرج الى الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى وقد جمعت فى هذا فصلا كبيرا وقلما تجد الامر بخلاف ماقلته لك ولله عاقبة الامور * قال ابن عبد الظاهر والملك الكامل هو الذى اهتم بعمارتها وعمارة أبراجها البرج الاحمر وغيره فكملت فى سنة أربع وستمائة وتحوّل اليها من دار الوزارة ونقل اليها أولاد العاضد وأقاربه وسجنهم فى بيت فيها فلم يزالوا فيه الى أن حوّلوا منه فى سنة احدى وسبعين وستمائة * قال وفى آخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة شرع السلطان الملك المنصور قلاون فى عمارة برج عظيم على جانب باب السر الكبير وبنى علوه مشترفات وقاعات مرخمة لم ير مثلها وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة ويقال ان قراقوش كان يستعمل فى بناء القلعة والسور خمسين ألف أسير * (البئر التى بالقلعة) * هذه البئر من العجائب استنبطها قراقوش قال ابن عبد الظاهر وهذه البئر من عجائب الابنية تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء من نقالة فى وسطها وتدور أبقار فى وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق الى الماء ينزل البقر الى معينها فى مجاز وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل ان ارضها مسامتة أرض بركة الفيل وماؤها عذب سمعت من يحكى من المشايخ أنها لما نقرت جاء ماؤها حلوا فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة فى مائها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها وذكر القاضى ناصر الدين شافع بن على فى كتاب عجائب البنيان أنه ينزل الى هذه البئر بدرج نحو ثلثمائة درجة

* (ذكر صفة القلعة) *

وصفة قلعة الجبل أنها بناء على نشز عال يدور بها سور من حجر بأبراج وبدنات حتى تنتهى الى القصر الابلق ثم من هنالك تتصل بالدور السلطانية على غير أوضاع ابراج الغلال ويدخل الى القلعة من بابين أحدهما بابها الاعظم المواجه للقاهرة ويقال له الباب المدرج وبداخله يجلس والى القلعة ومن خارجه تدق الخليلية قبل المغرب والباب الثانى باب القرافة وبين البابين ساحة فسيحة فى جانبها بيوت وبجانبها القبلى سوق للمآكل ويتوصل من هذه الساحة الى دركاه جليلة كان يجلس بها الامراء حتى يؤذن لهم بالدخول وفى وسط الدركاه باب القلعة ويدخل منه فى دهليز فسيح الى ديار وبيوت والى الجامع الذى تقام به الجمعة ويمشى من دهليز باب القلعة فى مداخل أبواب الى رحبة فسيحة فى صدرها الايوان الكبير المعدّ لجلوس السلطان فى يوم المواكب واقامة دار

العدل وبجانب هذه الرحبة ديار جليلة ويمرّ منها الى باب القصر الابلق وبين يدى باب القصر رحبة دون الاولى يجلس بها خواص الامراء قبل دخولهم الى الخدمة الدائمة بالقصر وكان بجانب هذه الرحبة محاذيا لباب القصر خزانة القصر ويدخل من باب القصر فى دهاليز جمة الى قصر عظيم ويتوصل منه الى الايوان الكبير بباب خاص ويدخل منه أيضا الى قصور ثلاثة ثم الى دور الحرم السلطانية والى البستان والحمام والحوش وباقى القلعة فيه دور ومساكن للمماليك السلطانية وخواص الامراء بنسائهم وأولادهم ومماليكهم ودواوينهم وطشتخاناتهم وفرشخاناتهم وشربخاناتهم ومطابخهم وسائر وظائفهم وكانت اكابر امراء الالوف وأعيان امراء الطبلخاناه والعشراوات تسكن بالقلعة الى آخر ايام الناصر محمد بن قلاون وكان بها أيضا طباق المماليك السلطانية ودار الوزارة وتعرف بقاعة الصاحب وبها قاعة الانشاء وديوان الجيش وبيت المال وخزانة الخاص وبها الدور السلطانية من الطشتخاناه والركابخاناه والحوائجخاناه والزردخاناه وكان بها الجب الشنيع لسجن الامراء وبها دار النيابة وبها عدة أبراج يحبس بها الامراء والمماليك وبها المساجد والحوانيت والاسواق وبها مساكن تعرف بخرائب التتر كانت قد رحارة خربها الملك الاشرف برسباى فى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ومن حقوق القلعة الاصطبل السلطانى وكان ينزل اليه السلطان من جانب ايوان القصر ومن حقوقها أيضا الميدان وهو فاصل بين الاصطبلات وسوق الخيل من غربيه وهو فسيح المدى وفيه يصلى السلطان صلاة العيدين وفيه يلعب بالاكرة مع خواصه وفيه تعمل المدات أوقات المهمات أحيانا ومن رأى القصور والايوان الكبير والميدان الاخضر والجامع يقرّ لملوك مصر بعلو الهمم وسعة الانفاق والكرم * (باب الدرفيل) هذا الباب بجانب خندق القلعة ويعرف أيضا بباب المدرج وكان يعرف قديما بباب سارية ويتوصل اليه من تحت دار الضيافة وينتهى منه الى القرافة وهو فيما بين سور القلعة والجبل * والدرفيل هو الامير حسام الدين لاجين الايدمرى المعروف بالدرفيل دوادار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى مات فى سنة اثنتين وسبعين وستمائة * (دار العدل القديمة) هذه الدار موضعها الآن تحت القلعة يعرف بالطبلخاناه والذى بنى دار العدل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فى سنة احدى وستين وستمائة وصار يجلس بها لعرض العساكر فى كل اثنين وخميس وابتدأ بالحضور فى أول سنة اثنتين وستين وستمائة فوقف اليه ناصر الدين محمد بن أبى نصر وشكا انه أخذله بستان فى ايام المعزايبك وهو بأيدى المقطعين وأخرج كتابا مثبتا واخرج من ديوان الجيش مايشهد بأن البستان ليس من حقوق الديوان فأمر برده عليه فتسلمه واحضرت مرافعة فى ورقة مختومة رفعها خادم أسود فى مولاه القاضى شمس الدين شيخ الحنابلة تضمنت انه يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته فانه لم يجعل للحنابلة مدرسا فى المدرسة التى أنشاها بخط بين القصرين ولم يول قاضيا حنبليا وذكر عنه امورا قادحة فبعث السلطان الورقة الى الشيخ فحضر اليه وحلف انه ماجرى منه شئ وأن هذا الخادم طردته فاختلق على ماقال فقبل السلطان عذره وقال ولو شتمتنى أنت فى حل وأمر بضرب الخادم مائة عصا وغلت الاسعار بمصر حتى بلغ اردب القمح نحو مائة درهم وعدم الخبز فنادى السلطان فى الفقراء أن يجتمعوا تحت القلعة ونزل فى يوم الخميس سابع ربيع الآخر منها وجلس بدار العدل هذه ونظر فى امر السعر وأبطل التسعير وكتب مرسوما الى الامراء ببيع خمسمائة اردب فى كل يوم مابين مائتين الى مادونها حتى لايشترى الخزان شيأ وأن يكون البيع للضعفاء والارامل فقط دون من عداهم وأمر الحجاب فنزلوا تحت القلعة وكتبوا اسماء الفقراء الذين تجمعوا بالرميلة وبعث الى كل جهة من جهات القاهرة ومصر وضواحيها حاجبا لكتابة أسماء الفقراء وقال والله لو كان عندى غلة تكفى هؤلاء لفرقتها ولما انتهى احضار الفقراء أخذ منهم لنفسه ألوفا وجعل باسم ابنه الملك السعيد ألوفا وأمر ديوان الجيش فوزع باقيهم على كل امير من الفقراء بعدة رجاله ثم فرق مابقى على الاجناد ومفاردة الحلقة والمقدمين والبحرية وجعل طائفة التركمان ناحية وطائفة الاكراد ناحية وقرر لكل واحد من الفقراء كفايته لمدة ثلاثة اشهر فلما تسلم الامراء والاجناد ماخصهم من الفقراء فرق من بقى منهم على الاكابر والتجار والشهود وعين لارباب الزوايا مائة اردب قمح فى كل يوم تخرج من الشون السلطانية الى جامع أحمد بن طولون وتفرق على من هنالك ثم قال هؤلاء المساكين الذين جمعناهم اليوم ومضى النهار لابدلهم من شئ وامر ففرق فى كل منهم نصف درهم ليتقوت به فى يومه ويستمرله من الغد ماتقرر فانفق فيهم

جملة مال وأعطى للصاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا طائفة كبيرة من العميان وأخذ الاتابك سيف الدين اقطاى طائفة التركمان ولم يبق أحد من الخواص والامراء الحواشى ولا من الحجاب والولاة وارباب المناصب وذوى المراتب واصحاب الاموال حتى أخذ جماعة من الفقراء على قدر حاله وقال السلطان للامير صارم الدين المسعودى والى القاهرة خذ مائة فقير وأطعمهم لله تعالى فقال نعم قد أخذتهم دائما فقال له السلطان هذا شئ فعلته ابتداء من نفسك وهذه المائة خذها لاجلى فقال للسلطان السمع والطاعة وأخذ مائة فقير زيادة على المائة التى عينت له وانقضى النهار فى هذا العمل وشرع الناس فى فتح الشون والمخازن وتفرقة الصدقات على الفقراء فنزل سعر القمح ونقص الاردب عشرين درهما وقل وجود الفقراء الى أن جاء شهر رمضان وجاء المغل الجديد فأول يوم من بيع الجديد نقص سعر اردب القمح أربعين درهما ورقا وفى اليوم الذى جلس فيه السلطان بدار العدل للنظر فى امور الاسعار قرئت عليه قصة ضمان دار الضرب وفيها انه قد توقفت الدراهم وسألوا ابطال الناصرية فان ضمانهم مبلغ مائتى ألف وخمسين ألف درهم فوقع عليها يحط عنهم منها مبلغ خمسين ألف درهم وقال نحط هذا ولا نؤذى الناس فى اموالهم * وفى مستهل شهر رجب منها جلس أيضا بدار العدل فوقف له بعض الاجناد بصغير يتيم ذكر أنه وصيه وشكا من قضيته فقال السلطان لقاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعزان الاجناد اذا مات أحد منهم استولى نجداشه على موجوده فيموت الوصى ويكبر اليتيم فلا يجد له مالا وتقدم اليه أن لا يمكن وصيا من الانفراد بتركة ميت ولكن يكون نظر القاضى شاملا له وتصير اموال الايتام مضبوطة بامناء الحكم ثم انه استدعى نقباء العساكر وأمرهم بذلك فاستمر الحال فيه على ما ذكره وفى خامس عشرى شعبان سنة ثلاث وستين وستمائة جلس بدار العدل واستدعى تاج الدين ابن القرطبى وقال له قد أخبرتنى مما تقول عندى مصالح لبيت المال فتحدث الآن بما عندك فتكلم فى حق قاضى القضاة تاج الدين وفى حق متولى جزيرة سواكن وفى حق الامراء وانهم اذا مات منهم أحد أخذ ورثته اكثر من استحقاقهم فأنكر عليه وامر بحبسه وتحدث السلطان فى امر الاجناد وانه اذا مات احدهم فى مواطن الجهاد لا يصل اليه شاهد حتى يشهد عليه بوصيته وانه يشهد بعض اصحابه فاذا حضر الى القاهرة لا تقبل شهادته وكان الجندى فى ذلك الوقت لا تقبل شهادته فرأى السلطان أن كل امير يعين من جماعته عدة ممن يعرف خيره ودينه ليسمع قولهم وألزم مقدمى الاجناد بذلك فشرع قاضى القضاة فى اختيار رجال جياد من الاجناد وعينهم لقبول شهاداتهم ففرحت العساكر بذلك وجلس أيضا فى تاسع عشريه بدار العدل فوقف له شخص وشكا أن الاملاك الديوانية لا يمكن أحد من سكانها أن ينتقل منها فأنكر السلطان ذلك وامر أن من انقضت مدة اجارته وأراد الخلو فلا يمنع من ذلك وله فى ذلك عدة أخبار كلها صالحة رحمه الله تعالى وما برحت دار العدل هذه باقية الى أن استجد السلطان الملك المنصور قلاون الايوان فهجرت دار العدل هذه الى أن كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فهدمها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وعمل موضعها الطبلخاناه فاستمرت طبلخاناه الى يومنا الا انه كان فى ايام عمارتها انما يجلس بها دائما فى ايام الجلوس نائب دار العدل ومعه القضاة وموقع دار العدل والامراء فينظر نائب دار العدل فى امور المتظلمين وتقرأ عليه القصص وكان الامر على ذلك فى ايام الظاهر بيبرس وأيام ابنه الملك السعيد بركة ثم أيام الملك المنصور قلاون *(الايوان) المعروف بدار العدل هذا الايوان أنشأه السلطان الملك المنصور قلاون الالفى الصالحى النجمى ثم جدده ابنه السلطان الملك الاشرف خليل واستمر جلوس نائب دار العدل به فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاون الروك أمر بهدم هذا الايوان فهدم وأعاد بناءه على ما هو عليه الآن وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام به عمدا عظيمة نقلها اليه من بلاد الصعيد ورخمه ونصب فى صدره سرير الملك وعمله من العاج والابنوس ورفع سمك هذا الايوان وعمل أمامه رحبة فسيحة مستطيلة وجعل بالايوان باب سر من داخل القصر وعمل بباب الايوان مسبوكا من حديد بصناعة بديعة تمنع الداخل اليه وله منه باب يغلق فاذا أراد أن يجلس فتح حتى ينظر منه ومن محارم الحديد بقية العسكر الواقفين بساحة الايوان وقرر الجلوس فيه بنفسه يوم الاثنين ويوم الخميس فاستمر الامر على ذلك وكان أولا دون ما هو اليوم فوسع فى قبته وزاد فى ارتفاعه وجعل قدامه دركاه كبيرة فجاء من اعظم المبانى الملوكية وأول ما جلس فيه عند انتهاء عمل الروك بعد ما رسم لنقيب الجيش ان يستدعى سائر الاجناد فلما تكامل حضورهم

جلس

جلس وعين أن يحضر في كل يوم مقدما ألوف بمضافيهما فكان المقدم يقف بمضافيه ويستدعى بمضافيه من تقدمته على قدر منازلهم فيتقدم الجندى الى السلطان فيسأله أنت ابن من ومملوك من ثم يعطيه مثالا واستمر على ذلك من مستهل المحرم سنة خمس عشرة وسبعمائة الى مستهل صفر منها ومابرح بعد ذلك يواظب على الجلوس به في يومى الاثنين والخميس وعنده أمراء الدولة والقضاة والوزير وكاتب السر وناظر الجيش وناظر الخاص وكتاب الدست وتقف الاجناد بين يديه على قدر أقدارهم فلما مات الملك الناصر اقتدى به في ذلك أولاده من بعده واستمروا على الجلوس بالايوان الى أن استبد بمملكة مصر الملك الظاهر برقوق فالتزم ذلك أيضا الا انه صار يجلس فيه اذا طلعت الشمس جلوسا يسيرا يقرأ عليه فيه بعض قصص لا لمعنى سوى اقامة رسوم المملكة فقط وكان من قبله من ملوك بنى قلاون انما يجلسون بالايوان سحرا على الشمع وكان موضع جلوس السلطان في الايوان للنظر في المظالم فأعرض الملك الظاهر عن ذلك وجعل لنفسه يومين يجلس فيهما بالاصطبل السلطانى للحكم بين الناس كما سيأتى ذكره عن قريب ان شاء الله تعالى وصار الايوان في ايام الظاهر برقوق وأيام ابنه الملك الناصر فرج وأيام الملك المؤيد شيخ انما هو شئ من بقايا الرسوم الملوكية لاغير

(ذكر النظر في المظالم)

اعلم أن النظر في المظالم عبارة عن قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة وكان من شروط الناظر في المظالم أن يكون جليل القدر نافذ الامر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع لانه يحتاج في نظره الى سطوة الحماة وتثبت القضاة فيحتاج الى الجمع بين صفتى الفريقين وأن يكون بجلالة القدر نافذ الامر في الجهتين وهى خطة حدثت لفساد الناس وهى كل حكم يعجز عنه القاضى فينظر فيه من هو أقوى منه يدا وأول من نظر في المظالم من الخلفاء امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وأول من أفرد للظلامات يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة النظر عبد الملك بن مروان فكان اذا وقف منها على مشكل واحتاج فيها الى حكم ينفذ رده الى قاضيه ابن ادريس الازدى فينفذ فيه أحكامه وكان ابن ادريس هو المباشر وعبد الملك الآمر ثم زاد الجور فكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها ثم جلس لها خلفاء بنى العباس وأول من جلس منهم المهدى محمد ثم الهادى موسى ثم الرشيد هارون ثم المأمون عبد الله وآخر من جلس منهم المهتدى بالله محمد بن الواثق وأول من أعلم أنه جلس بمصر من الامراء للنظر في المظالم الامير أبو العباس أحمد بن طولون فكان يجلس لذلك يومين في الاسبوع فلما مات وقام من بعده ابنه أبو الجيش خمارويه جعل على المظالم بمصر محمد بن عبيدة بن حرب في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ثم جلس لذلك الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى وابتدأ ذلك في سنة أربعين وثلثمائة وهو يومئذ خليفة الامير أبى القاسم أونوجور بن الاخشيد فعقد مجلسا صار يجلس فيه كل يوم سبت ويحضر عنده الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات وسائر القضاة والفقهاء والشهود ووجوه البلد ومابرح على ذلك مدة أيامه بمصر الى أن مات فلم ينتظم أمر مصر بعده الى أن قدم القائد أبو الحسين جوهر بجيوش المعز لدين الله أبى تميم معد فكان يجلس للنظر في المظالم ويوقع على رقاع المتظلمين فمن توقيعاته بخطه على قصة رفعت اليه سوء الاجترام اوقع بكم حلول الانتقام وكفر الانعام اخرجكم من حفظ الذمام فالواجب فيكم ترك الايجاب واللازم لكم ملازمة الاجتناب لانكم بدأتم فأسأتم وعدتم فتعديتم فابتداؤكم ملوم وعودكم مذموم وليس بينهما فرجة تقتضى الا الذم لكم والاعراض عنكم ليرى امير المؤمنين رأيه فيكم ولما قدم المعز لدين الله الى مصر وصارت دار خلافة استقر النظر في المظالم مدة يضاف الى قاضى القضاة وتارة ينفرد بالنظر فيه أحد عظماء الدولة فلما ضعف جانب المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر وكانت الشدة العظمى بمصر قدم امير الجيوش بدر الجمالى الى القاهرة وولى الوزارة فصار أمر الدولة كله راجعا اليه واقتدى به من بعده من الوزراء وكان الرسم في ذلك أن الوزير صاحب السيف يجلس للمظالم بنفسه ويجلس قبالته قاضى القضاة وبجانبه شاهدان معتبران ويجلس بجانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال ويقف بين يدى الوزير صاحب الباب واسفهسلار العساكر وبين أيديهما الحجاب والنواب على طبقاتهم ويكون هذا الجلوس يومين في الاسبوع وآخر من تقلد المظالم في الدولة الفاطمية رزيك بن الوزير الاجل الملك

الصالح طلائع بن رزيك في وزارة ابيه وكتب له سجل عن الخليفة منه وقد قلدك امير المؤمنين النظر في المظالم وانصاف المظلوم من الظالم وكانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس للنظر في المظالم صاحب الباب في باب الذهب من القصر وبين يديه الحجاب والنقباء وينادى مناد بحضرته يا أرباب الظلامات فيحضرون اليه فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت الى الولاة او القضاة رسالة بكشفها ومن تظلم من أهل النواحي التي خارج القاهرة ومصر فانه يحضر قصة فيها شرح ظلامته فيتسلمها الحاجب منه حتى تجتمع القصص فيدفعها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل بعد توقيعه عليها الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما أشار اليه الموقع بالقلم الدقيق ثم تحمل التواقيع في خريطة الى ما بين يدي الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج في خريطتها الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع الى صاحبه * وأول من بنى دار العدل من الملوك السلطان الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي رحمة الله تعالى عليه بدمشق عندما بلغه تعدى ظلم نواب أسد الدين شيركوه بن شادى الى الرعية وظلمهم الناس وكثرة شكواهم الى القاضي كمال الدين الشهرزورى وعجزه عن مقاومتهم فلما بنيت دار العدل أحضر شيركوه نوابه وقال ان نور الدين ما أمر ببناء هذه الدار الا بسببي والله لئن أحضرت الى دار العدل بسبب أحد منكم لاصلبنه فامضوا الى كل من كان بينكم وبينه منازعة في ملك أوغيره فافصلوا الحال معه وأرضوه بكل طريق أمكن ولو أتى على جميع ما بيدى فقالوا ان الناس اذا علموا بذلك اشتطوا في الطلب فقال الخروج أملاكي عن يدى أسهل على من أن يرانى نور الدين بعين أني ظالم أو يساوى بيني وبين أحد من العامة في الحكومة فخرج أصحابه وعملوا ما أمرهم به من ارضاء أخصامهم وأشهدوا عليهم فلما جلس نور الدين بدار العدل في يومين من الاسبوع وحضر عنده القاضي والفقهاء أقام مدة لم يحضر أحد يشكو شيركوه فسأل عن ذلك فعرف بما جرى منه ومن نوابه فقال الحمد لله الذى جعل اصحابنا ينصفون من أنفسهم قبل حضورهم عندنا وجلس أيضا السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في يومى الاثنين والخميس لاظهار العدل ولما تسلطن الملك المعز أيبك التركماني أقام الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى في نيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس في المدارس الصالحية بين القصرين ومعه نواب دار العدل ليرتب الامور وينظر في المظالم فنادى باراقة الخمور وابطال ما عليها من المقرر وكان قد كثر الارجاف بمسير الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الشام لاخذ مصر فلما انهزم الملك الناصر واستبد الملك المعز أيبك أحدث وزيره من المكوس شيأ كثيرا ثم ان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى بنى دار العدل وجلس بها للنظر في المظالم كما تقدم فلما بنى الايوان الملك الناصر محمد بن قلاون واظب الجلوس يوم الاثنين والخميس فيه وصار يفصل فيه الحكومات في الاحايين اذا أعيى من دونه فصلها فلما استبد الملك الظاهر برقوق بالسلطنة عقد لنفسه مجلسا بالاصطبل السلطاني من قلعة الجبل وجلس فيه يوم الاحد ثامن عشرى شهر رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة وواظب ذلك في يومى الاحد والاربعاء ونظر في الجليل والحقير ثم حول ذلك الى يومى الثلاثاء والسبت وأضاف اليهما يوم الجمعة بعد العصر ومازال على ذلك حتى مات فلما ولى ابنه الملك الناصر فرج بعده واستبد بأمره جلس للنظر في المظالم بالاصطبل اقتداء بأبيه وصار كاتب السر فتح الدين فتح الله يقرأ القصص عليه كما كان يقرؤها على أبيه فانتفع اناس وتضرر آخرون بذلك وكان الضرر أضعاف النفع ثم لما استبد الملك المؤيد شيخ بالمملكة جلس أيضا للنظر في المظالم كما جلسا والامر على ذلك مستمر الى وقتنا هذا وهو سنة تسع عشرة وثمانمائة وقد عرف النظر في المظالم منذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام بحكم السياسة وهو يرجع الى نائب السلطنة وحاجب الحجاب ووالى البلد ومتولى الحرب بالاعمال وسيرد ان شاء الله تعالى الكلام في حكم السياسة عن قريب

(ذكر خدمة الايوان المعروف بدار العدل)

كانت العادة أن السلطان يجلس بهذا الايوان بكرة الاثنين والخميس طول السنة خلا شهر رمضان فانه لا يجلس فيه هذا المجلس وجلوسه هذا انما هو للمظالم وفيه تكون الخدمة العامة واستحضار رسل الملوك غالبا فاذا جلس للمظالم كان جلوسه على كرسي اذا قعد عليه يكاد تلحق الارض رجله وهو منصوب الى جانب المنبر الذى هو تخت الملك وسرير السلطنة وكانت العادة أولا أن يجلس قضاة القضاة من المذاهب الاربعة

عن يمينه واكبرهم الشافعي وهو الذى يلى السلطان ثم الى جانب الشافعي الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي والى جانب الحنبلي الوكيل عن بيت المال ثم الناظر فى الحسبة بالقاهرة ويجلس على يسار السلطان كاتب السر وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين المعروفين بكتاب الدست وموقعي الدست تكملة حلقة دائرة فان كان الوزير من أرباب الاقلام كان بين السلطان وكاتب السر وان كان الوزير من أرباب السيوف كان واقفا على بعد مع بقية أرباب الوظائف وان كان نائب السلطنة فانه يقف مع ارباب الوظائف ويقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلاحدارية والجمدارية والخاصكية ويجلس على بعد بقدر خمسة عشر ذراعا عن يمنته ويسرته ذوو السن والقدر من اكابر امراء المئين ويقال لهم أمراء المشورة ويليهم من أسفل منهم اكابر الامراء وأرباب الوظائف وهم وقوف وبقية الامراء وقوف من وراء امراء المشورة ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لاعطاء قصص الناس واحضار الرسل وغيرهم من الشكاة وأصحاب الحوائج والضرورات فيقرأ كاتب السر وموقعو الدست القصص على السلطان فان احتاج الى مراجعة القضاة راجعهم فيما يتعلق بالامور الشرعية والقضايا الدينية وما كان متعلقا بالعسكر فان كانت القصص فى امراء الاقطاعات قرأها ناظر الجيش فان احتاج الى مراجعة فى امر العسكر تحدث مع الحاجب وكاتب الجيش فيه وماعدا ذلك يأمر فيه السلطان بما يراه وكانت العادة الناصرية أن تكون الخدمة فى هذا الايوان على ماتقدم ذكره فى بكرة يوم الاثنين وأما بكرة يوم الخميس فان الخدمة على مثل ذلك الا انه لايتصدى السلطان فيه لسماع القصص ولا يحضره أحد من القضاة ولا الموقعين ولا كاتب الجيش الا ان عرضت حاجة الى طلب أحد منهم وهذا القعود عادته طول السنة ماعدا رمضان وقد تغير بعد الايام الناصرية هذا الترتيب فصارت قضاة القضاة تجلس عن يمنة السلطان ويسرته فيجلس الشافعي عن يمينه ويليه المالكي ويليه قاضي العسكر ثم محتسب القاهرة ثم مفتى دار العدل الشافعي ويجلس الحنفي عن يسرة السلطان ويليه الحنبلي وصارت القصص تقرأ والقضاة وناظر الجيش يحضرون فى يوم الخميس أيضا وكانت العادة أيضا انه اذا ولى أحد المملكة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون فانه عندما يتم يحضر الامراء الى داره بالقلعة وتفاض عليه الخلعة الخليفية السوداء ومن تحتها فرجية خضراء وعمامة سوداء مدورة ويقلد بالسيف العربي المذهب ويركب فرس النوبة ويسير والامراء بين يديه والغاشية قدامه والجاويشية تصيح والشبابة السلطانية ينفخ بها والطبردارية حواليه الى أن يعبر من باب النحاس الى درج هذا الايوان فينزل عن الفرس و يصعد الى التخت فيجلس عليه ويقبل الامراء الارض بين يديه ثم يتقدمون اليه ويقبلون يده على قدر رتبهم ثم مقدموا الحلقة فاذا فرغوا حضر القضاة والخليفة فتفاض التشاريف على الخليفة ويجلس مع السلطان على التخت ويقلد السلطان المملكة بحضور القضاة والامراء ويشهد عليه بذلك ثم ينصرف ومعه القضاة فيمد السماط للامراء فاذا انقضى أكلهم قام السلطان ودخل المقصورة وانصرف الامراء * ومما قيل فى هذا الايوان لما بناه السلطان الملك الناصر

شرفت ايوانا جلست بصدره * فشرحت بالاحسان منه صدورا
قد كاد يستعلى الفراقد رفعة * اذ حاز منك الناصر المنصورا
ملك الزمان ومن رعية ملكه * من عدله لايظلمون نقيرا
لازال منصور اللواء مؤيدا * أبد الزمان وضده مقهورا

وقيل أيضا

ياملكا اطلع من وجهه * ايوانه لما بدا بدرا
انسيتنا بالعدل كسرى ولن * نرضى لنا جبرا به كسرا

(القصر الابلق) هذا القصر يشرف على الاصطبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وانتهت عمارته فى سنة أربع عشرة وانشأ بجواره جنينة ولما كمل عمل فيه سماطا حضره الامراء وأهل الدولة ثم أفيضت عليهم الخلع وحمل الى كل أمير من أمراء المئين ومقدمي الالوف ألف دينار ولكل من مقدمي الحلقة خمسمائة درهم ولكل من أمراء الطبلخاناه عشرة آلاف درهم فضة عنها خمسمائة دينار فبلغت

ما حوله من القرافة وراشدة وينزل فيه أحيانا طائفة من العرب بابلهم يقال لهم المسلمية وعما قليل يدثر كما دثر غيره

(جامع المقياس)

هذا الجامع بجوار مقياس النيل من جزيرة الفسطاط أنشأه هكذا بياض بالاصل

(الجامع الاقمر)

قال ابن عبد الظاهر كان مكانه علافون والحوض مكان المنظرة فتحدث الخليفة الآمر مع الوزير المأمون بن البطايحي في انشائه جامعا فلم يترك قدام القصر دكانا وبنى تحت الجامع المذكور في أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح لامن صوب القصر وكمل الجامع المذكور في أيامه وذلك في سنة تسع عشرة وخمسمائة وذكر أن اسم الآمر والمأمون عليه وقال غيره واشترى له حمام شمول ودار النحاس بمصر وحبسهما على سدنته ووقود مصابيحه ومن يتولى أمره ويؤذن فيه ومازال اسم المأمون والآمر على لوح فوق المحراب وفيه تجديد الملك الظاهر بيبرس للجامع المذكور ولم تكن فيه خطبة لكنه يعرف بالجامع الاقمر فلما كان في شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة جدده الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا بن عبد الله السالمي أحد المماليك الظاهرية وأنشأ بظاهر بابه البحري حوانيت يعلوها طباق وجدد في صحن الجامع بركة لطيفة يصل اليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء الى من يتوضأ من بزابيز نحاس ونصب فيه منبرا فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة وخطب فيه شهاب الدين أحمد بن موسى الحلبي أحد نواب القضاة الحنفية وارتج عليه واستمر الى أن مات في سابع عشري شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانمائة وبنى على يمنة المحراب البحري مئذنة وبيض الجامع كله ودهن صدره بلازورد وذهب فقلت له قد اعجبني ماصنعت بهذا الجامع ماخلا تجديد الخطبة فيه وعمل بركة الماء فان الخطبة غير محتاج اليها هاهنا لقرب الخطب من هذا الجامع وبركة الماء تضيق الصحن وقد أنشأت ميضأة بجوار بابه الذي من جهة الركن المخلق فاحتج لعمل المنبر بأن ابن الطوير قال في كتاب نزهة المقلتين في أخبار الدولتين عند ذكر جلوس الخليفة في الموالد الستة ويقدم خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ثم يحضر خطيب الجامع الاقمر فيخطب كذلك قال فهذا أمر قد كان في الدولة الفاطمية وما أنا الذي أحدثته وأما البركة ففيها عون على الصلاة لقربها من المصلين وجعل فوق المحراب لوحا مكتوبا فيه ماكان فيه أولا وذكر فيه تجديده لهذا الجامع ورسم فيه نعوته وألقابه وجدد أيضا حوض هذا الجامع الذي تشرب منه الدواب وهو في ظهر الجامع تجاه الركن المخلق وبئر هذا الجامع قديمة قبل الملة الاسلامية كانت في دير من ديارات النصارى بهذا الموضع فلما قدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أدخل هذا الدير في القصر وهو موضع الركن المخلق تجاه الحوض المذكور وجعل هذه البئر مما ينتفع به في القصر وهي تعرف ببئر العظام وذلك أن جوهرا نقل من الدير المذكور عظاما كانت فيه من رمم قوم يقال انهم من الحواريين فسميت بئر العظام والعامة تقول الى اليوم بئر المعظمة وهي بئر كبيرة في غاية السعة وأول ما أعرف من اضافتها الى الجامع الاقمر أن العماد الدمياطي ركب على فوهتها هذه المحال التي بها الآن وهي من جيد المحال وكان تركيبها بعد السبعمائة في أيام قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الشافعي وبهذا الجامع درس من قديم الزمان ولم تزل مئذنته التي جددها السالمي والبركة الى سنة خمس عشرة وثمانمائة فولي نظر الجامع بعض الفقهاء فرأى هدم المئذنة من أجل ميل حدث بها فهدمها وأبطل الماء من البركة لافساد الماء بمروره جدار الجامع القبلي والخطبة قائمة به الى الآن

(الآمر بأحكام الله)

أبو علي المنصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور ولد يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة يوم مات أبوه وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر وأيام في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين أحضره الافضل بن أمير الجيوش وبايع له ونصبه مكان أبيه ونعته بالآمر بأحكام الله وركب الافضل فرسا وجعل في السرج شيأ وأركبه عليه ليعلو شخص الآمر وصار ظهره في حجر الافضل فلم يزل تحت حجره حتى قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة فاستوزر بعده القائد أبا عبد الله محمد

ابن

ابن فاتك البطايحى ولقبه بالمأمون فقام بأمر دولته الى أن قبض عليه فى ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فتفرغ الآمر لنفسه ولم يبق له ضد ولا مزاحم وبقى بغير وزير وأقام صاحبى ديوان أحدهما جعفر بن عبد المنعم والآخر سامرى يقال له أبو يعقوب ابراهيم ومعهما مستوف يعرف بابن أبى نجاح كان راهبا ثم تحكم هذا الراهب فى الناس وتمكن من الدواوين فابتدأ فى مطالبة النصارى وحقق فى جهاتهم الاموال وحملها أولا فأولا ثم أخذ فى مصادرة بقية المباشرين والمعاملين والضمناء والعمال وزاد الى أن عم ضرره جميع الرؤساء والقضاة والكتاب والسوقة بحيث لم يخل أحد من ضرره فلما تفاقم أمره قبض عليه الآمر وضرب بالنعال حتى مات بالشرطة فجر الى كرسى الجسر وسمر على لوح وطرح فى النيل وحذف حتى خرج الى البحر الملح فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشر ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وثب جماعة على الآمر وقتلوه كما ذكر عند خبر الهودج وكان كريما سمحا الى الغاية كثير النزهة محبا للمال والزينة وكانت أيامه كلها لهوا وعيشة راضية لكثرة عطائه وعطاء حواشيه بحيث لم يوجد بمصر والقاهرة اذ ذاك من يشكو زمانه البتة الى أن نكد بالراهب على الناس فقبحت سيرته وكثر ظلمه واغتصابه للاموال * وفى أيامه ملك الفرنج كثيرا من المعاقل والحصون بسواحل الشام فملكت عكا فى شعبان سنة سبع وتسعين وغزة فى رجب سنة اثنتين وخمسمائة وطرابلس فى ذى الحجة منها وبانياس وجبيل وقلعة تبنين فيها أيضا وملكوا صور فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة وكثرت المرافعات فى أيامه وأحدثت رسوم لم تكن وعمر الهودج بالروضة ودكة بركة الحبش وعمر تنيس ودمياط وجدد قصر القرافة وكانت نفسه تحدثه بالسفر والغارة الى بغداد ومن شعره فى ذلك

دع اللوم عنى لست منى بموثق * فلا بد لى من صدمة المتحقق
وأسقى جيادى من فرات ودجلة * واجمع شمل الدين بعد التفرق

وقال

أما والذى حجت الى ركن بيته * جراثيم ركبان مقلدة شهبا
لاقتحمن الحرب حتى يقال لى * ملكت زمام الحرب فاعتزل الحربا
وينزل روح الله عيسى ابن مريم * فيرضى بنا صحبا ونرضى به صحبا

وكان أسمر شديد السمرة يحفظ القرآن ويكتب خطا ضعيفا وهو الذى جدد رسوم الدولة واعاد اليها بهجتها بعد ما كان الافضل أبطل ذلك ونقل الدواوين والاسمطة من القصر بالقاهرة الى دار الملك بمصر كما ذكر هنالك وقضاته ابن ذكا النابلسى ثم نعمة الله بن بشير ثم الرشيد محمد بن قاسم الصقلى ثم الجليس بن نعمة الله بن بشير النابلسى ثم صرفه ثانيا بمسلم بن الرسعنى وعزله بأبى الحجاج يوسف بن أيوب المغربى ثم مات فولى محمد بن هبة الله بن ميسر وكتاب انشائه سناء الملك أبو محمد الزيدى الحسنى والشيخ أبو الحسن بن أبى أسامة وتاج الرياسة أبو القاسم ابن الصيرفى وابن أبى الدم اليهودى وكان نقش خاتمه الامام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين ووقع فى آخر أيامه غلاء قلق الناس منه وكان جريأ على سفك الدماء وارتكاب المحظورات واستحسان القبائح وقتل وعمره أربع وثلاثون سنة وتسعة أشهر وعشرون يوما منها مدة خلافته تسع وعشرون سنة وثمانية أشهر ونصف ومازال محجورا عليه حتى قتل الافضل وكان يركب للنزهة دائما عندما استبد فى يومى السبت والثلاثاء ويتحول فى أيام النيل بحرمه الى اللؤلؤة على الخليج واختص بغلاميه برغش وهزار الملوك * (يلبغا السالمى) * أبو المعالى عبد الله الامير سيف الدين الحنفى الصوفى الظاهرى كان اسمه فى بلاده يوسف وهو حر الاصل وآباؤه مسلمون فلما جلب من بلاد المشرق سمى يلبغا وقيل له السالمى نسبة الى سالم تاجره الذى جلبه فترقى فى خدم السلطان الملك الظاهر برقوق الى أن ولاه نظر خانقاه الصلاح سعيد السعداء فى ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة فأخرج كتاب الوقف وقصد أن يعمل بشرط الواقف وأخرج منها جماعة من بياض الناس فجرت أمور ذكرت فى خبر الخانقاه * وفى سابع عشرى صفر سنة ثمانمائة انعم عليه الملك الظاهر بامرة عشرة عوضا عن الامير بهادر فطيلس ثم نقله الى امرة طبلخاناه ثم جعله ناظرا على الخانقاه الشيخونية بالصليبة فى تاسع شعبان سنة احدى وثمانمائة فعسف بمباشريها وأراد حملهم على مر الحق فنفرت منه القلوب

فى أول يوم من شعبان سنة احدى وستين وسبعمائة ونهاية عمارتها فى ثامن عشرى ذى الحجة من السنة المذكورة فجاءت من الحسن فى غاية لم ير مثلها وعمل لهذه القاعة من الفرش والبسط ما لا تدخل قيمته تحت حصر فمن ذلك تسعة وأربعون ثريا برسم وقود القناديل جملة ما دخل فيها من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة مائتا ألف وعشرون ألف درهم وكلها مطلية بالذهب وجاء ارتفاع بناء هذه القاعة طولا فى السماء ثمانية وثمانين ذراعا وعمل السلطان بها برجا بيت فيه من العاج والابنوس مطعم يجلس بين يديه واكناف وباب يدخل منه الى ارض كذلك وفيه مقرنص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر اليه بشبابيك ذهب خالص وطرازات ذهب مصوغ وشرافات ذهب مصوغ وقبة مصوغة من ذهب صرف فيه ثمانية وثلاثون ألف مثقال من الذهب وصرف فى مؤنه وأجره تتمة ألف ألف درهم فضة عنها خمسون ألف دينار ذهبا وبصدر ايوان هذه القاعة شباك حديد يقارب باب زويلة يطل على جنينة بديعة الشكل * (الدهيشة) عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة وذلك انه بلغه عن الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه أنه عمر بحماه دهيشة لم ير مثلها فقصد مضاهاته وبعث الامير أقجبا والجيج المهندس لكشف دهيشة حماه وكتب لنائب حلب ونائب دمشق بحمل ألفى حجر بيض وألفى حجر حمر من حلب ودمشق وحشرت الجمال لحملها حتى وصلت الى قلعة الجبل وصرف فى حمولة كل حجر من حلب اثنا عشر درهما ومن دمشق ثمانية دراهم واستدعى الرخام من سائر الامراء وجميع الكتاب ورسم باحضار الصناع للعمل ووقع الشروع فيها حتى تمت فى شهر رمضان منها وقد بلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم سوى ما قدم من دمشق وحلب وغيرهما وعمل لها من الفرش والبسط والآلات ما يجل وصفه وحضر بها سائر الاغانى وكان مهما عظيما * (السبع قاعات) هذه القاعات تشرف على الميدان وباب القرافة عمرها الملك الناصر محمد بن قلاون وأسكنها سراريه ومات عن ألف ومائتى وصيفة مولدة سوى من عداهن من بقية الاجناس * (الجامع بالقلعة) هذا الجامع أنشأه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكان قبل ذلك هنالك جامع دون هذا فهدمه السلطان وهدم المطبخ والحوائجخاناه والفراشخاناه وعمله جامعا ثم أخربه فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وبناه هذا البناء فلما تم بناؤه جلس فيه واستدعى جميع مؤذنى القاهرة ومصر وجميع القراء والخطباء وعرضوا بين يديه وسمع تأذينهم وخطابتهم وقراءتهم فاختار منهم عشرين مؤذنا رتبهم فيه وقرر فيه درس فقه وقارئا يقرأ فى المصحف وجعل عليه أوقافا تكفيه وتفيض وصار من بعده من الملوك يخرجون أيام الجمع الى هذا الجامع ويحضر خاصة الامراء معه من القصر ويجىء باقيهم من باب الجامع فيصلى السلطان عن يمين المحراب فى مقصورة خاصة به ويجلس عنده اكابر خاصته ويصلى معه الامراء خاصتهم وعامتهم خارج المقصورة عن يمنتها ويسرتها على مراتبهم فاذا انقضت الصلاة دخل الى قصوره ودور حرمه وتفرق كل أحد الى مكانه وهذا الجامع متسع الارجاء مرتفع البناء مفروش الارض بالرخام مبطن السقوف بالذهب وبصدره قبة عالية يليها مقصورة مستورة هى والرواقات بشبابيك الحديد المحكمة الصنعة ويحف صحنه رواقات من جهاته * (الدار الجديدة) هذه الدار عند باب سر القلعة المطل على سوق الخيل عمرها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى سنة أربع وستين وستمائة وعمل بها فى جمادى الاولى منها دعوة للامراء عند فراغها * (خزانة الكتب) وقع بها الحريق يوم الجمعة رابع صفر سنة احدى وتسعين وستمائة فتلف بها من الكتب فى الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شئ كثير جدا كان من ذخائر الملوك فانتهبها الغلمان وبيعت أوراقا محرقة ظفر الناس منها بنفائس غريبة ما بين ملاحم وغيرها وأخذوها بأبخس الاثمان * (القاعة الصالحية) عمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب وكانت سكن الملوك الى أن احترقت فى سادس ذى الحجة سنة أربع وثمانين وستمائة واحترق معها الخزانة السلطانية * (باب النحاس) هذا الباب من داخل الستارة وهو أجل أبواب الدور السلطانية عمره الناصر محمد بن قلاون وزاد فى سعة دهليزه * (باب القلة) عرف بذلك من أجل انه كان هنالك قلة بناها الملك الظاهر بيبرس وهدمها الملك المنصور قلاون فى يوم الاحد عاشر شهر رجب سنة خمس وثمانين وستمائة وبنى مكانها قبة فرغت عمارتها فى شوال منها ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون وجدد باب القلة على ما هو عليه الآن وعمل له بابا ثانيا * (الرفرف) عمره الملك الاشرف خليل بن قلاون

وجعله عاليا يشرف على الجيزة كلها وبيضه وصور فيه أمراء الدولة وخواصها وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها وكان مجلسا يجلس فيه السلطان واستمر جلوس الملوك به حتى هدمه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وعمل بجواره برجا بجوار الاصطبل نقل اليه المماليك *(الجب) كان بالقلعة جب يحبس فيه الامراء وكان مهولا مظلما كثير الوطاويط كريه الرائحة يقاسى المسجون فيه ماهو كالموت أو أشد منه عمره الملك المنصور قلاون فى سنة احدى وثمانين وستمائة فلم يزل الى أن قام الامير بكتمر الساقى فى أمره مع الملك الناصر محمد بن قلاون حتى أخرج من كان فيه من المحابيس ونقلهم الى الابراج وردمه وعمر فوق الردم طباقا فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة *(الطبلخاناه تحت القلعة) ذكر هشام بن الكلبى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم الشام تلقاه المقلسون من أهل الاديان بالسيوف والريحان فكره عمر رضى الله عنه النظر اليهم وقال ردوهم فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه انها سنة الاعاجم فان منعتهم ظنوا أنه نقض لعهدهم فقال عمر رضى الله عنه دعوهم والتقليس الضرب بالطبل أو الدف * وهذه الطبلخاناه الموجودة الآن تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج كانت دار العدل القديمة التى عمرها الملك الظاهر بيبرس وتقدم خبرها فلما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة هدمها الناصر محمد بن قلاون وبنا هاهذه الطبلخاناه الموجودة الآن تحت قلعة الجبل فيما بين باب السلسلة وباب المدرج وصار ينزل الى عمارتها كل قليل وتولى شد العمارة بها آق سنقر شاد العمائر ووجد فى أساسها اربعة قبور كبار المقدار عليها قطع رخام منقوش عليها أسماء المقبورين وتاريخ وفاتهم فنبشوا ونقلوا قريبا من القلعة فكانوا خلقا كبيرا عظيما فى الطول والعرض على بعضهم ملاءة دبيقية ملونة ساعة مستها الايدى تمزقت وتطايرت هباء وفيهم اثنان عليهما آلة الحرب وعدة الجهاد وبهما آثار الدماء والجراحات وفى وجه أحدهما ضربة سيف بين عينيه والجرح مسدود بقطنة فلما أمسكت القطنة ورفعت عن الجرح فوق الحاجب نبع من تحتها دم يظن أنه جرح طرى فكان فى ذلك موعظة وذكرى وكانت الطبلخاناه ساحة بغير سقف فلما ولى الامير سودون طاز أمير اخور وسكن الاصطبل السلطانى عمر هذه الطباق فوق الطباق وكان الغرض من عمارتها صحيحا فان المدرسة الاشرفية كانت حينئذ قائمة تجاه الطبلخاناه ولما كان زمان الفتن بين أمراء الدولة تحصن فوقها طائفة ليرموا على الاصطبل والقلعة فأراد ببناء هذه الطباق فوق الطباق أن يجعل بها رماة حتى لا يقدر أحد يقيم فوق المدرسة الاشرفية وقد بطل ذلك فان الملك الناصر فرج بن برقوق هدم المدرسة الاشرفية كما ذكر فى هذا الكتاب عند ذكر المدارس *(الطباق بساحة الايوان) عمرها الملك الناصر محمد بن قلاون وأسكنها المماليك السلطانية وعمر حارة تختص بهم وكانت الملوك تعنى بها غاية العناية حتى ان الملك المنصور قلاون كان يخرج فى غالب أوقاته الى الرحبة عند استحقاق حضور الطعام للمماليك ويأمر بعرضه عليه ويتفقد لحمهم ويختبر طعامهم فى جودته ورداءته فمتى رأى فيه عيبا اشتد على المشرف والاستادار ونهرهما وحل بهما منه أى مكروه وكان يقول كل الملوك عملوا شيأ يذكرون به ما بين مال وعقار وأنا عمرت أسوارا وعملت حصونا مانعة لى ولاولادى وللمسلمين وهم المماليك وكانت المماليك أبدا تقيم بهذه الطباق لا تبرح فيها فلما تسلطن الملك الاشرف خليل بن قلاون سمح للمماليك أن ينزلوا من القلعة فى النهار ولا يبيتوا الا بها فكان لا يقدر أحد منهم أن يبيت بغيرها ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاون سمح لهم بالنزول الى الحمام يوما فى الاسبوع فكانوا ينزلون بالنوبة مع الخدام ثم يعودون آخر نهارهم ولم يزل هذا حالهم الى أن انقرضت أيام بنى قلاون وكانت للمماليك بهذه الطباق عادات جميلة أولها أنه اذا قدم بالمملوك تاجره عرضه على السلطان ونزله فى طبقة جنسه وسلمه لطواشى برسم الكتابة فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج اليه من القرآن الكريم وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر اليها كل يوم ويأخذ فى تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط والتمرن بآداب الشريعة وملازمة الصلوات والاذكار وكان الرسم اذ ذاك أن لا تجلب التجار الا المماليك الصغار فاذا شب الواحد من المماليك علمه الفقيه شيأ من الفقه واقرأه فيه مقدمة فاذا صار الى سن البلوغ أخذ فى تعليمه أنواع الحرب من رمى السهام ولعب الرمح ونحو ذلك فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية فى معرفة ما يحتاج اليه واذا ركبوا الى لعب الرمح أو رمى النشاب لا يجسر جندى ولا أمير أن يحدثهم أو يدنو منهم فينقل اذن الى الخدمة ويتنقل فى أطوارها رتبة بعد رتبة الى أن يصير من الامراء فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت

الدين فباشر البلاد أحسن مباشرة واستبد بالامر لصغر سن الخليفة الفائز بنصر الله الى أن مات فأقام من بعده عبد الله بن محمد واقبه بالعاضد لدين الله وبايع له وكان صغيرا لم يبلغ الحلم فقويت حرمة طلائع وازداد تمكنه من الدولة فثقل على أهل القصر لكثرة تضييقه عليهم واستبداده بالامر دونهم فوقف له رجال بدهاليز القصر وضربوه حتى سقط على الارض على وجهه وحمل جريحا لا يعي الى داره فمات يوم الاثنين تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة وكان شجاعا كريما جوادا فاضلا محبا لاهل الادب جيد الشعر رجل وقته فضلا وعقلا وسياسة وتدبيرا وكان مهابا في شكله عظيما في سطوته وجمع اموالا عظيمة وكان محافظا على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيع صنف كتابا سماه الاعتماد في الرد على أهل العناد جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن امامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والكلام على الاحاديث الواردة في ذلك وله شعر كثير يشتمل على مجلدين في كل فن فنه في اعتقاده

يا أمة سلكت ضلالا بينا * حتى استوى اقرارها وجحودها
ملتم الى أن المعاصي لم يكن * الا بتقدير الا له وجودها
لو صح ذا كان الاله بزعمكم * منع الشريعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون الهنا * ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

وله قصيدة سماها الجوهرية في الرد على القدرية وجدد الجامع الذي بالقرافة الكبرى ووقف ناحية بلقس على أن يكون ثلثاها على الاشراف من بني حسن وبني حسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وسبع قراريط منها على أشراف المدينة النبوية وجعل فيها قيراطا على بني معصوم امام مشهد علي رضي الله عنه ولما ولي الوزارة مال على المستخدمين بالدولة وعلى الامراء واظهر مذهب الامامية وهو مخالف لمذهب القوم وباع ولايات الاعمال للامراء بأسعار مقررة وجعل مدة كل متول ستة اشهر فتضرر الناس من كثرة تردد الولاة على البلاد وتعبوا من ذلك وكان له مجلس في الليل يحضره أهل العلم ويدونون شعره ولم يترك مدة أيامه غز الفرنج وتسيير الجيوش لقتالهم في البر والبحر وكان يخرج البعوث في كل سنة مرارا وكان يحمل في كل عام الى أهل الحرمين مكة والمدينة من الاشراف سائر ما يحتاجون اليه من الكسوة وغيرها حتى يحمل اليهم ألواح الصبيان التي يكتب فيها والاقلام والمداد وآلات النساء ويحمل كل سنة الى العلويين الذين بالمشاهد جملا كبيرة وكان أهل العلم يفدون اليه من سائر البلاد فلا يخيب أمل قاصد منهم * ولما كان في الليلة التي قتل صبيحتها قال في هذه الليلة ضرب في مثلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمر بقربة مملوءة فاغتسل وصلى على رأي الامامية مائة وعشرين ركعة أحيا بها ليله وخرج ليركب فعثر وسقطت عمامته عن رأسه وتشوشت فقعد في دهليز دار الوزارة وأمر باحضار ابن الضيف وكان يتعمم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجاري الثقيل فلما أخذ في اصلاح العمامة قال رجل للصالح نعيذ بالله مولانا ويكفيه هذا الذي جرى أمرا يتطير منه فان رأى مولانا أن يؤخر الركوب فعل فقال الطيرة من الشيطان ليس الى تأخير الركوب سبيل وركب فكان من ضربه ما كان وعاد محمولا فمات منها كما تقدم

(ذكر الاحباس وما كان يعمل فيها)

اعلم أن الاحباس في القديم لم تكن تعرف الا في الرباع وما يجري مجراها من المباني وكلها كانت على جهات بر فأما المسجد الجامع العتيق بمصر فكان يلي امامته في الصلوات الخمس والخطابة فيه يوم الجمعة والصلاة بالناس صلاة الجمعة أمير البلد فتارة يجمع للامير بين الصلاة والخراج وتارة يفرد الخراج عن الامير فيكون الامير اليه أمر الصلاة بالناس والحرب ولآخر أمر الخراج وهو دون مرتبة أمير الصلاة والحرب وكان الامير يستخلف عنه في الصلاة صاحب الشرطة اذا شغله أمر ولم يزل الامر على ذلك الى أن ولي مصر عنبسة بن اسحاق ابن شمر من قبل المستنصر بن المتوكل على الصلاة والخراج فقدمها لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين واقام الى مستهل رجب سنة اثنتين وأربعين ومائتين وصرف فكان آخر من ولي مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع وصار يصلي بالناس رجل يرزق من بيت المال وكذلك المؤذنون ونحوهم وأما الاراضي فلم يكن سلف الائمة من الصحابة والتابعين يتعرضون لها وانما حدث ذلك بعد عصرهم

حتى

حتى ان أحمد بن طولون لما بنى الجامع والمارستان والسقاية وحبس على ذلك الاحباس الكثيرة لم يكن فيها سوى الرباع ونحوها بمصر ولم يتعرض الى شئ من أراضى مصر البتة وحبس أبو بكر محمد بن على المادرانى بركة الحبش وسيوط وغيرهما على الحرمين وعلى جهات بر وحبس غيره أيضا فلما قدمت الدولة الفاطمية من الغرب الى مصر بطل تحبيس البلاد وصار قاضى القضاة يتولى أمر الاحباس من الرباع واليه أمر الجوامع والمشاهد وصار للاحباس ديوان مفرد وأول ما قدم المعز أمر فى ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلثمائة بحمل مال الاحباس من المودع الى بيت المال الذى لوجوه البر وطولب اصحاب الاحباس بالشرائط ليحملوا عليها وما يجب لهم فيها ولانصف من شعبان ضمن الاحباس محمد بن القاضى أبى الطاهر محمد بن أحمد بألف ألف وخمسمائة ألف درهم فى كل سنة يدفع الى المستحقين حقوقهم ويحمل ما بقى الى بيت المال * وقال ابن الطوير الخدمة فى ديوان الاحباس وهو أوفر الدواوين مباشرة ولا يخدم فيه الا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين بحكم أنها معاملة دينية وفيها عدة مدبرين ينوبون عن أرباب هذه الخدم فى ايجاب أرزاقهم من ديوان الرواتب ويحيزون لهم الخروج باطلاق أرزاقهم ولا يوجب لاحد من هؤلاء خروج الا بعد حضور ورقة التعريف من جهة مشارف الجوامع والمساجد باستمرار خدمته ذلك الشهر جميعه ومن تأخر تعريفه تأخر الايجاب له وان تمادى ذلك استبدل به او توفر ما باسمه لمصلحة أخرى خلا جوارى المشاهد فانها لا توفر لكنها تنقل من مقصر الى ملازم وكان يطلق لكل مشهد خمسون درهما فى الشهر برسم الماء لزوارها ويجرى من معاملة سواقى السبيل بالقرافة والنفقة عليها من ارتفاعه فلا تخلو المصانع ولا الاحواض من الماء أبدا ولا يعترض أحد من الانتفاع به وكان فيه كاتبان ومعينان * وقال المسبحى فى حوادث سنة ثلاث وأربعمائة وأمر الحاكم بأمر الله باثبات المساجد التى لا غلة لها ولا أحد يقوم بها وما له منها غلة لا تقوم بما يحتاج اليه فأثبت فى عمل ورفع الى الحاكم بأمر الله فكانت عدة المساجد على الشرح المذكور ثمانمائة وثلاثين مسجدا ومبلغ ما تحتاج اليه من النفقة فى كل شهر تسعة آلاف ومائتان وعشرون درهما على أن لكل مسجد فى كل شهر اثنى عشر درهما وقال فى حوادث سنة خمس وأربعمائة وقرئ يوم الجمعة ثامن عشرى صفر سجل بتحبيس عدة ضياع وهى اطفيح وصول وطوخ وست ضياع أخر وعدة قياسر وغيرها على القراء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع وعلى المصانع والقوام بها ونفقة المارستانات وأرزاق المستخدمين فيها وثمن الاكفان * وقال الشريف بن أسعد الجوانى كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوما على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة يبدؤن بجامع المقس ثم القاهرة ثم المشاهد ثم القرافة ثم جامع مصر ثم مشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وما تشعث منه وما زال الامر على ذلك الى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استقرت دولة بنى أيوب أضيفت الاحباس أيضا الى القاضى ثم تفرقت جهات الاحباس فى الدولة التركية وصارت الى يومنا هذا ثلاث جهات * الاولى تعرف بالاحباس ويلى هذه الجهة دوادار السلطان وهو أحد الامراء ومعه ناظر الاحباس ولا يكون الا من أعيان الرؤساء وبهذه الجهة ديوان فيه عدة كتاب ومدبر واكثر ما فى ديوان الاحباس الرزق الاحباسية وهى أراض من أعمال مصر على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها وعلى غير ذلك من جهات البر وبلغت الرزق الاحباسية فى سنة أربعين وسبعمائة عندما حررها النشو ناظر الخاص فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون مائة ألف وثلاثين ألف فدان عمل النشو بها أوراقا وحدث السلطان فى اخراجها عمن هى باسمه وقال جميع هذه الرزق أخرجها الدواوين بالبراطيل والتقرب الى الامراء والحكام واكثرها بأيدى أناس من فقهاء الارياف لا يدرون الفقه يسمون أنفسهم الخطباء ولا يعرفون كيف يخطبون ولا يقرؤن القرآن وكثير منها بأسماء مساجد وزوايا معطلة وخراب وحسن له أن يقيم شادا وديوانا يسير فى النواحى وينظر فى المساجد التى هى عامرة ويصرف لها من رزقها النصف وما عدا ذلك يجرى فى ديوان السلطان فعاجله الله وقبض عليه قبل عمل شئ من ذلك * الجهة الثانية تعرف بالاوقاف الحكمية بمصر والقاهرة ويلى هذه الجهة قاضى القضاة الشافعى وفيها ما حبس من الرباع على الحرمين وعلى الصدقات والاسرى وانواع القرب ويقال لمن يتولى هذه الجهة ناظر الاوقاف فتارة ينفرد بنظر أوقاف مصر والقاهرة رجل واحد من أعيان نواب القاضى وتارة ينفرد بأوقاف القاهرة ناظر من الاعيان ويلى نظر أوقاف مصر

فى امراء العشراوات ثم جند الحلقة وهؤلاء تكون مناشيرهم من السلطان كما أن مناشير الامراء من السلطان وأما اجناد الامراء فمناشيرهم من امرائهم وكان منشور الامير يعين فيه للامير ثلث الاقطاع ولاجناده الثلثان فلا يمكن الامير ولا مباشروه أن يشاركوا أحدا من الاجناد فيما يخصهم الا برضاهم وكان الامير لا يخرج احدا من اجناده حتى يتبين للنائب موجب يقتضى اخراجه فحينئذ يخرجه نائب السلطان ويقيم عند الامير عوضه وكان لكل أربعين جنديا من جند الحلقة مقدم عليهم ليس له عليهم حكم الا اذا خرج العسكر لقتال فكانت مواقف الاربعين مع مقدمهم وترتيبهم فى موقفهم اليه ويبلغ بمصر اقطاع بعض اكابر أمراء المئين المقدمين من السلطان مائتى ألف دينار جيشية وربما زاد على ذلك وأما غيرهم فدون ذلك يعبر أقلها الى ثمانين ألف دينار وما حولها وأما الطبلخاناه فمن ثلاثين ألف دينار الى ثلاثة وعشرين ألف دينار وأما العشراوات فأعلاها سبعة آلاف دينار الى مادونها وأما اقطاعات أجناد الحلقة فأعلاها ألف وخمسمائة دينار وهذا القدر وما حوله اقطاعات اعيان مقدمى الحلقة ثم بعد ذلك الاجناد بابات حتى يكون أدناهم مائتين وخمسين دينارا وسيرد تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى وأما اقطاعات جند الامراء فانها على ما يراه الامير من زيادة بينهم ونقص وأما اقطاعات الشام فانها لا تقارب هذا بل تكون على الثلثين مما ذكرنا ما خلا نائب السلطنة بدمشق فانه يقارب اقطاعه أعلى اقطاعات اكابر أمراء مصر المقربين وجميع جند الامراء تعرض بديوان الجيش ويثبت اسم الجندى وحليته ولا يستبدل أميره به غيره الا بتنزيل من عوض به وعرضه وكانت للامراء على السلطان فى كل سنة ملابس ينعم بها عليهم ولهم فى ذلك حظ وافر وينعم على امراء المئين بخيول مسرجة ملجمة ومن عداهم بخيول عرى ويميز خاصتهم على عامتهم وكان لجميع الامراء من المئين والطبلخاناه والعشراوات على السلطان الرواتب الجارية فى كل يوم من اللحم وتوابله كلها والخبز والشعير لعليق الخيل والزيت ولبعضهم الشمع والسكر والكسوة فى كل سنة وكذلك لجميع مماليك السلطان وذوى الوظائف من الجند وكانت العادة اذا نشأ لاحد الامراء ولد أطلق له دنانير ولحم وخبز وعليق حتى يتأهل للاقطاع فى جملة الحلقة ثم منهم من ينتقل الى امرة عشرة أو الى امرة طبلخاناه بحسب الحظ واتفق للاميرين طرنطاى وكتبغا أن كلا منهما زوج ولده بابنة الآخر وعمل لذلك المهم العظيم ثم سأل الامير طرنطاى وهو اذ ذاك نائب السلطان الامير بيلبك الايدمرى والامير طيبرس أن يسألا السلطان الملك المنصور قلاون فى الانعام على ولده وولد الامير كتبغا باقطاعين فى الحلقة فقال لهما والله لو رأيتهما فى مصاف القتال يضربان بالسيف أو كانا فى زحف قدامى استقبح أن أعطى لهما اخبازا فى الحلقة خشية أن يقال أعطى الصبيان الاخباز ولم يجب سؤالهما هذا وهم من قد عرفت لكن كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله اذا مات الجندى أعطى اقطاعه لولده فان كان صغيرا رتب معه من يلى امره حتى يكبر فكان أجناده يقولون الاقطاعات أملاكنا يرثها أولادنا الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليها وبه اقتدى كثير من ملوك مصر فى ذلك وللامراء المقدمين حوائص ذهب فى وقت الركوب الى الميدان ولكل أمير من الخواص على السلطان مرتب من السكر والحلوى فى شهر رمضان ولسائرهم الاضحية فى عيد الاضحى على مقادير رتبهم ولهم البرسيم لتربيع دوابهم ويكون فى تلك المدة بدل العليق المرتب لهم وكانت الخيول السلطانية تفرق على الامراء مرتين فى كل سنة مرة عند ما يخرج السلطان الى مرابط خيوله فى الربيع عند اكتمال تربيعها ومرة عند لعبه بالاكرة فى الميدان ولخاصة السلطان المقربين زيادة كثيرة من ذلك بحيث يصل الى بعضهم فى السنة مائة فرس ويفرق السلطان أيضا الخيول على المماليك السلطانية فى اوقات أخر وربما يعطى بعض مقدمى الحلقة ومن نفق له فرس من المماليك يحضر من لحمه والشهادة بأنه نفق فيعطى بدله ولخاصة السلطان المقربين انعام من الانعامات كالعقارات والابنية الفخمة التى ربما انفق على بعضها زيادة على مائة ألف دينار ووقع هذا فى الايام الناصرية مرارا كما ذكر عند ذكر الدور من هذا الكتاب ولهم أيضا كساوى القماش المنوع ولهم عند سفرهم الى الصيد وغيره العلوفات والانزال وكانت لهم آداب لا يخلون بها منها انهم اذا دخلوا الى الخدمة بالايوان أو القصر وقف كل أمير فى مكانه المعروف به ولا يجسر أحد منهم ولا من المماليك أن يحدث رفيقه فى الخدمة ولا بكلمة واحدة ولا يلتفت الى نحوه أيضا ولا يجسر أحد منهم ولا من المماليك أن يجتمع بصاحبه فى نزهة ولا فى رمى النشاب ولا غير ذلك ومن بلغ السلطان عنه انه اجتمع بآخر نفاه أو قبض عليه واختلف زى الامراء والعساكر فى الدولة

التركية وقد بينا ما كان عليه زيهم حتى غيره الملك المنصور قلاون عند ذكر سوق الشرابشيين وصار زيهم اذا دخلوا الى الخدمة بالاقبية التترية والكلاوات فوقها ثم القباء الاسلامى فوقها وعليه تشد المنطقة والسيف ويتميز الامراء والمقدمون وأعيان الجند بلبس اقبية قصيرة الاكمام فوق ذلك وتكون اكمامها اقصر من القباء التحتانى بلا تفاوت كبير فى قصر الكم والطول وعلى رؤسهم كلهم كلوتات صغار غالبها من الصوف الملطى الاحمر وتضرب ويلف فوقها عمائم صغار ثم زادوا فى قدر الكلوتات وما يلف فوقها فى ايام الامير يلبغا الخاصكى القائم بدولة الاشرف شعبان بن حسين وعرفت بالكلوتات الطرخانية وصاروا يسمون تلك الصغيرة ناصرية فلما كانت ايام الظاهر برقوق بالغوا فى كبر الكلوتات وعملوا فى شدتها عوجا وقيل لها كلوتات جركسية وهم على ذلك الى اليوم ومن زيهم لبس المهماز على الاخفاف وبعمل المنديل فى الحياصة على الصولق من الجانب الايمن ومعظم حوائص المماليك فضة وفيهم من كان يعملها من الذهب وربما عملت باليشم وكانت حوائص امراء المئين الاكابر التى تخرج اليهم مع الخلع السلطانية من خزانة الخاص يرصع ذهبها بالجواهر وكان معظم العسكر يلبس الطرز ولا يكفت مهمازه بالذهب ولا يلبس الطراز الا من له اقطاع فى الحلقة وأما من هو بالجامكية أو من اجناد الامراء فلا يكفت مهمازه بالذهب ولا يلبس طرازا وكانت العساكر من الامراء وغيرهم تلبس المنوع من الكمخا والخطاى والكنجى والمخمل والاسكندرانى والشرب ومن النصافى والاصواف الملونة ثم بطل لبس الحرير فى ايام الظاهر برقوق واقتصروا الى اليوم على لبس الصوف الملون فى الشتاء ولبس النصافى المصقول فى الصيف وكانت العادة أن السلطان يتولى بنفسه استخدام الجند فاذا وقف قدامه من يطلب الاقطاع المحلول ووقع اختياره على أحد أمر ناظر الجيش بالكتابة له فيكتب ورقة مختصرة تسمى المثال مضمونها خيز فلان كذا ثم يكتب فوقه اسم المستقر له ويناولها السلطان فيكتب عليها بخطه يكتب ويعطيها الحاجب لمن رسم له فيقبل الارض ثم يعاد المثال الى ديوان الجيش فيحفظ شاهدا عندهم ثم تكتب مربعة مكملة بخطوط جميع مباشرى ديوان الاقطاع وهم كتاب ديوان الجيش فيرسمون علاماتهم عليها ثم تحمل الى ديوان الانشاء والمكاتبات فيكتب المنشور ويعلم عليه السلطان كما تقدم ذكره ثم يكمل المنشور بخطوط كتاب ديوان الجيش بعد المقابلة على حجة أصله واستجد السلطان الملك المنصور قلاون طائفة سماها البحرية وهى أن البحرية الصالحية لما تشتتوا عند قتل الفارس اقطاى فى ايام المعز أيبك بقيت أولادهم بمصر فى حالة رذيلة فعندما أفضت السلطنة الى قلاون جمعهم ورتب لهم الجوامك والعليق واللحم والكسوة ورسم أن يكونوا جالسين على باب القلعة وسماهم البحرية والى اليوم طائفة من الاجناد تعرف بالبحرية وأما البلاد الشامية فليس للنائب بالمملكة مدخل فى تأمير أمير عوض أمير مات بل اذا مات أمير سواء كان كبيرا أو صغيرا طولع السلطان بموته فأمر عوضه اما ممن فى حضرته ويخرجه الى مكان الخدمة أو ممن هو فى مكان الخدمة أو ينقل من بلد آخر من يقع اختياره عليه وأما جند الحلقة فانهم اذا مات أحدهم استخدم النائب عوضه وكتب المثال على نحو من ترتيب السلطان ثم كتب المربعة وجهزها مع البريد الى حضرة السلطان فيقابل عليها فى ديوان الاقطاع ثم ان امضاها السلطان كتب عليها يكتب فتكتب المربعة من ديوان الاقطاع ثم يكتب عليها المنشور كما تقدم فى الجند الذين بالحضرة وان لم يمضها السلطان أخرج الاقطاع لمن يريد ومن مات من الامراء والجند قبل استكمال مدة الخدمة حوسب ورثته على حكم الاستحقاق ثم اما يرتجع منهم أو يطلق لهم على قدر حصول العناية بهم واقطاعات الامراء والجند منها ما هو بلاد يستغلها مقطعها كيف شاء ومنها ما هو نقد على جهات يتناولها منها ولم يزل الحال على ذلك حتى راك الملك الناصر محمد بن قلاون البلاد كما تقدم فى أول هذا الكتاب عند الكلام على الخراج ومبلغه فأبطل عدة جهات من المكوس وصارت الاقطاعات كلها بلادا والذى استقر عليه الحال فى اقطاعات الديار المصرية بما رتبه الملك الناصر محمد بن قلاون فى الروك الناصرى وهو عدة الجيوش المنصورة بالديار المصرية اربعة وعشرون ألف فارس تفصيل ذلك امراء الالوف ومماليكهم ألفان واربعمائة واربعة وعشرون فارسا تفصيل ذلك نائب ووزير وألوف خاصكية ثمانية امراء وألوف خرجية اربعة عشر أميرا ومماليكهم ألفان وأربعمائة فارس * امراء طبلخاناه ومماليكهم ثمانية آلاف ومائتا فارس تفصيل ذلك خاصكية اربعة وخمسون اميرا وخرجية مائة وستة

فيأخذها من عقيل وهي مختومة بخاتمه ويدفعها لكاتبه أبي القاسم الجرجاني حتى يخلوله وجه الحاكم فيأخذها حينئذ من كاتبه ويوقفه عليها وكان الجرجاني يفك الختم ويقرأ الرقاع فلما كان في يوم من الايام فك رقعة فوجد فيها طعنا على غبن أستاذه وقد ذكر فيها بسوء فقطع ذلك الموضع واصلحه وأعاد ختم الرقعة فبلغ ذلك عقيلا صاحب الخبر فبعث الى الحاكم يستأذنه في الاجتماع به خلوة في أمر مهم فأذن له وحدثه بالخبر فأمر حينئذ بقطع يدي الجرجاني فقطعتا ثم بعد قطع يديه بخمسة عشر يوما في ثالث جمادى الاولى قطعت يد غبن الاخرى وكان قد أمر بقطع يده قبل ذلك ثلاث سنين وشهر فصار مقطوع اليدين معا ولما قطعت يده حملت في طبق الى الحاكم فبعث اليه بالاطباء ووصله بألوف من الذهب وعدة من اسفاط ثياب وعاده جميع أهل الدولة فلما كان ثالث عشره أمر بقطع لسانه فقطع وحمل الى الحاكم فسير اليه الاطباء ومات بعد ذلك

(جامع الافرم)

قال ابن المتوج هذا الجامع بسفح الرصد عمره الامير عز الدين ايبك بن عبد الله المعروف بالافرم أمير جاندار الملكي الصالحي النجمي في شهور سنة ثلاث وستين وستمائة لما عمر المنظرة هنالك وعمر بجوارها رباطا للفقراء وقرر هم عدة تنعقد بهم الجمعة وقرر اقامتهم فيه ليلا ونهارا وقرر كفايتهم واعانتهم على الاقامة وعمر لهم هذا الجامع يستغنون به عن السعي الى غيره وذكر أن الافرم أيضا عمر مسجدا بجسر الشعيبية في شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة جامعا هدم فيه عدة مساجد

(الجامع بمنشأة المهراني)

قال ابن المتوج والسبب في عمارة هذا الجامع أن القاضي الفاضل كان له بستان عظيم فيما بين ميدان اللوق وبستان الخشاب الذي اكله البحر وكان بين مصر والقاهرة من ثماره وأعنابه ولم تزل الباعة ينادون على العنب رحم الله الفاضل يا عنب الى مدة سنين عديدة بعد أن اكله البحر وكان قد عمر الى جانبه جامعا وبنى حوله فسميت بمنشأة الفاضل وكان خطيبه أخا الفقيه موفق الدين بن المهدوي الديباجي العثماني وكان قد عمر بجواره دارا وبستانا وغرس فيه أشجارا حسنة ودفع اليه فيه ألف دينار مصرية في أول الدولة الظاهرية وكان الصرف قد بلغ في ذلك الوقت كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصف درهم نقرة فاستولى البحر على الجامع والدار والمنشأة وقطع جميع ذلك حتى لم يبق له اثر وكان خطيبه موفق الدين يسكن بجوار الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن حنا ويتردد اليه والى والده محيي الدين فوقف وضرع اليهما وقال اكون غلام هذا الباب ويخرب جامعي فرحمه الصاحب وقال السمع والطاعة يدبر الله ثم فكر في هذه البقعة التي فيها هذا الجامع الآن وكانت تعرف بالكوم الاحمر مرصدة لعمل اقنة الطوب الآجر به سميت بالكوم الاحمر وكان الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن حنا قد عمر منظرة قبالة هذا الكوم وهي التي صارت دار ابن صاحب الموصل وكان فخر الدين كثير الاقامة فيها مدة الايام المعزية فقلق من دخان الاقنة التي على الكوم الاحمر وشكا ذلك لوالده ولصهره الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي فأمرا بتقويمه فقوم ما بين بستان الحلي وبحر النيل وابتاعه الصاحب بهاء الدين فلما مات ولده فخر الدين وتحدث مع الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع هنالك ملكه هذه القطعة من الارض فعمر السلطان بها هذا الجامع ووقف عليه بقية هذه الارض المذكورة في شهر رمضان سنة احدى وسبعين وستمائة وجعل النظر فيه لاولاده وذريته ثم من بعدهم لقاضي القضاة الحنفي وأول من خطب فيه الفقيه موفق الدين محمد بن أبي بكر المهدوي العثماني الديباجي الى أن توفي يوم الاربعاء ثالث عشر شوال سنة خمس وثمانين وستمائة وقد تعطلت اقامة الجمعة من هذا الجامع لخراب ما حوله وقلة الساكنين هنالك بعد أن كانت تلك الخطة في غاية العمارة وكان صاحبنا شمس الدين محمد بن الصاحب قد عزم على نقل هذا الجامع من مكانه فاخترمته المنية قبل ذلك

(جامع دير الطين)

قال ابن المتوج هذا الجامع بدير الطين في الجانب الشرقي عمره الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين

ولد

ولد الصاحب بهاء الدين المشهور بابن حنا فى المحرم سنة اثنتين وسبعين وستمائة وذلك انه لما عمر بستان المعشوق ومناظره وكثرت اقامته بها وبعد عليه الجامع وكان جامع دير الطين ضيقا لا يسع الناس فعمر هذا الجامع وعمر فوقه طبقة يصلي فيها ويعتكف اذا شاء ويخلو بنفسه فيها وكان ماء النيل فى زمنه يصل الى جدار هذا الجامع وولى خطابته للفقيه جمال الدين محمد ابن الماشطة ومنعه من لبس السواد لاداء الخطبة فاستمر الى حين وفاته فى عاشر رجب سنة تسع وسبعمائة وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة سابع صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقد ذكرت ترجمة الصاحب تاج الدين عند ذكر رباط الآثار من هذا الكتاب * (محمد بن علي بن محمد بن سليم ابن حنا) أبو عبد الله الوزير الصاحب فخر الدين بن الوزير الصاحب بهاء الدين ولد فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وتزوج بابنة الوزير الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي وناب عن والده فى الوزارة وولى ديوان الاحباس ووزارة الصحبة فى ايام الظاهر بيبرس وسمع الحديث بالقاهرة ودمشق وحدث وله شعر جيد ودرس بمدرسة أبيه الصاحب بهاء الدين التى كانت فى زقاق القناديل بمصر وكان محبا لاهل الخير والصلاح مؤثرا لهم متفقدا لاحوالهم وعمر رباطا حسنا بالقرافة الكبرى رتب فيه جماعة من الفقراء ومن غريب ما يتعظ به الاريب أن الوزير الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير الذى كان بنو حنا يعادونه وعنه اخذوا الوزارة مات فى ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة بالسجن فأخرج كما تخرج الاموات الطرحاء على الطرقات من الغرباء ولم يشيع جنازته أحد من الناس مراعاة للصاحب بن حنا وكان فخر الدين هذا يتنزه فى أيام الربيع بمنية القائد وقد نصبت له الخيام وأقيمت المطابخ وبين يديه المطربون فدخل عليه البشير بموت الوزير يعقوب بن الزبير وانه أخرج الى المقابر من غير أن يشيع جنازته أحد من الناس فسر بذلك ولم يتمالك نفسه وأمر المطربين فغنوه ثم قام على رجليه ورقص هو وسائر من حضره وأظهر من الفرح والخلاعة ما خرج به عن الحد وخلع على البشير بموت المذكور خلعا سنية فلم يمض على ذلك سوى اقل من أربعة اشهر ومات فى حادى عشرى شعبان من السنة المذكورة ففجع به أبوه وكانت له جنازة عظيمة ولما دلى فى لحده قام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري صاحب البردة فى ذلك الجمع الموفور بتربة ابن حنا من القرافة وانشد

نم هنيأ محمد بن علي * بجميل قدمت بين يديكا
لم تزل عوننا على الدهر حتى * غلبتنا يد المنون عليكا
انت أحسنت فى الحياة الينا * أحسن الله فى الممات اليكا

فتباكى الناس وكان لها محل كبير ممن حضر رحمة الله عليهم اجمعين * وفى هذا الجامع يقول السراج الوراق

بنيتم على تقوى من الله مسجدا * وخير مباني العابدين المساجد
فقل فى طراز معلم فوق بركة * على حسنها الزاهى لها البحر حاسد
لها حال حسنى ولكن طرازها * من الجامع المعمور بالله واحد
هو الجامع الاحسان والحسن الذى * أقر له زيد وعمرو وخالد
وقد صافحت شهب الدجى شرفاته * فما هي بين الشهب الا فراقد
وقد أرشد الضلال عالى مناره * فلا حائر عنه ولا عنه حائد
ونالت نواقيس الديارات وجمة * وخوف فلم يسعد البهن ساعد
فتبكى عليهن البطاريق فى الدجى * وهن لديهم ملقيات كواسد
بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

* (جامع الظاهر) *

هذا الجامع خارج القاهرة وكان موضعه ميدانا فأنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري جامعا * قال جامع السيرة الظاهرية وفى ربيع الآخر يعنى سنة خمس وستين وستمائة اهتم السلطان بعمارة جامع بالحسينية وسير الاتابك فارس الدين اقطاى المستعرب والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن حنا وجماعة من المهندسين لكشف مكان يليق أن يعمل جامعا فتوجهوا لذلك واتفقوا على مناخ الجمال السلطانية فقال السلطان

الحكم شرعيا أو سياسيا بزعمهم وان تعرض قاض من قضاة الشرع لاخذ غريم من باب الحاجب لم يمكن من ذلك ونقيب الحاجب اليوم مع رذالة الحاجب وسفالته وتظاهره من المنكر بما لم يكن يعهد مثله يتظاهر به اطراف السوقة فانه يأخذ الغريم من باب القاضي ويتحكم فيه من الضرب وأخذ المال بما يختار فلا ينكر ذلك أحد البتة وكانت أحكام الحجاب أولا يقال لها حكم السياسة وهي لفظة شيطانية لا يعرف اكثر أهل زمننا اليوم اصلها ويتساهلون في التلفظ بها ويقولون هذا الامر مما لا يمشي في الاحكام الشرعية وانما هو من حكم السياسة ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وسأبين معنى ذلك وهو فصل عزيز

(ذكر أحكام السياسة)

اعلم أن الناس في زمننا بل ومنذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام يرون أن الاحكام على قسمين حكم الشرع وحكم السياسة ولهذه الجملة شرح فالشريعة هي ما شرع الله تعالى من الدين وأمر به كالصلاة والصيام والحج وسائر أعمال البر واشتق الشرع من شاطئ البحر وذلك أن الموضع الذي على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب وتسميه العرب الشريعة فيقولون للابل اذا وردت شريعة الماء وشربت قد شرع فلان ابله وشرّعها بتشديد الراء اذا أوردها شريعة الماء والشريعة والشراع والشرعة المواضع التي ينحدر الماء فيها ويقال شرع الدين يشرعه شرعا بمعنى سنه قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ويقال ساس الامر سياسة بمعنى قام به وهو سائس من قوم ساسة وسوس وسوّسه القوم جعلوه يسوسهم والسوس الطبع والخلق فيقال الفصاحة من سوسه والكرم من سوسه أي من طبعه فهذا اصل وضع السياسة في اللغة ثم رسمت بأنها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الاحوال * والسياسة نوعان سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الاحكام الشرعية علمها من علمها وجهلها من جهلها وقد صنف الناس في السياسة الشرعية كتبا متعددة والنوع الآخر سياسة ظالمة فالشريعة تحرّمها وليس ما يقوله اهل زماننا في شيء من هذا وانما هي كلمة مغلية أصلها ياسه فحرّفها أهل مصر وزادوا بأولها سينا فقالوا سياسة وأدخلوا عليها الالف واللام فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية وما الامر فيها الا ما قلت لك واسمع الآن كيف نشأت هذه الكلمة حتى انتشرت بمصر والشام وذلك أن جنكزخان القائم بدولة التتر في بلاد الشرق لما غلب الملك أونك خان وصارت له دولة قرّر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب سماه ياسه ومن الناس من يسميه يسق والاصل في اسمه ياسه ولما تمم وضعه كتب ذلك نقشا في صفائح الفولاذ وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده حتى قطع الله دابرهم وكان جنكزخان لا يتدين بشيء من أديان أهل الارض كما تعرف هذا ان كنت اشرفت على أخباره فصار الياسه حكما بتا بقي في أعقابه لا يخرجون عن شيء من حكمه * واخبرني العبد الصالح الداعي الى الله تعالى أبو هاشم احمد ابن البرهان رحمه الله انه رأى نسخة من الياسه بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد ومن جملة ما شرعه جنكزخان في الياسه أن من زنى قتل ولم يفرق بين المحصن وغير المحصن ومن لاط قتل ومن تعمد الكذب أو سحر أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل ومن بال في الماء أو على الرماد قتل ومن اعطي بضاعة فخسر فيها فانه يقتل بعد الثالثة ومن اطعم اسير قوم أو كساه بغير اذنهم قتل ومن وجد عبدا هاربا أو أسيرا قد هرب ولم يردّه على من كان في يده قتل وأن الحيوان تكتف قوائمه ويشق بطنه ويمرس قلبه الى أن يموت ثم يؤكل لحمه وأن من ذبح حيوانا كذبيحة المسلمين ذبح ومن وقع حمله أو قوسه أو شيء من متاعه وهو يكرّ أو يفرّ في حالة القتال وكان وراءه أحد فانه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه فان لم ينزل ولم يناوله قتل وشرط أن لا يكون على أحد من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه مؤنة ولا كلفة وأن لا يكون على أحد من الفقراء ولا القرّاء ولا الفقهاء ولا الاطباء ولا من عداهم من أرباب العلوم واصحاب العبادة والزهد والمؤذنين ومغسلي الاموات كلفة ولا مؤنة وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى وجعل ذلك كله قربة الى الله تعالى وألزم قومه أن لا يأكل أحد من يد أحد حتى يأكل المناول منه أولا ولو أنه أمير ومن يناوله اسير وألزمهم أن لا يتخصص أحد بأكل شيء وغيره يراه بل يشركه معه في اكله وألزمهم أن لا يتميز احد منهم بالشبع على اصحابه ولا يتخطى أحد نارا ولا مائدة ولا الطبق الذي يؤكل عليه وأن من مرّ بقوم وهم يأكلون فله أن ينزل ويأكل معهم من غير اذنهم وليس لاحد منعه وألزمهم أن لا يدخل أحد منهم يده في الماء ولكنه يتناول

الماء

الماء بشئ يغترفه به ومنعهم من غسل ثيابهم بل يلبسونها حتى تبلى ومنع أن يقال لشئ انه نجس وقال جميع الاشياء طاهرة ولم يفرق بين طاهر ونجس وألزمهم أن لا يتعصبوا لشئ من المذاهب ومنعهم من تفخيم الالفاظ ووضع الالقاب وانما يخاطب السلطان ومن دونه ويدعى باسمه فقط وألزم القائم بعده بعرض العساكر واسلحتها اذا ارادوا الخروج الى القتال وانه يعرض كل ما سافر به عسكره وينظر حتى الابرة والخيط فمن وجده قد قصر فى شئ مما يحتاج اليه عند عرضه اياه عاقبه وألزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكلف فى مدة غيبتهم فى القتال وجعل على العساكر اذا قدمت من القتال كلفة يقومون بها للسلطان ويؤدونها اليه وألزمهم عند رأس كل سنة بعرض سائر بناتهم الابكار على السلطان ليختار منهن لنفسه وأولاده ورتب لعساكره أمراء وجعلهم أمراء ألوف وأمراء مئين وأمراء عشراوات وشرع أن اكبر الامراء اذا أذنب وبعث اليه الملك أخس من عنده حتى يعاقبه فانه يلقى نفسه الى الارض بين يدى الرسول وهو ذليل خاضع حتى يمضى فيه ما أمر به الملك من العقوبة ولو كانت بذهاب نفسه وألزمهم أن لا يتردد الامراء لغير الملك فمن تردد منهم لغير الملك قتل ومن تغير عن موضعه الذى يرسم له بغير اذن قتل وألزم السلطان باقامة البريد حتى يعرف أخبار مملكته بسرعة وجعل حكم الياسه لولده جقتاى بن جنكزخان فلما مات التزم من بعده من أولاده وأتباعهم حكم الياسه كالتزام أول المسلمين حكم القرآن وجعلوا ذلك دينا لم يعرف عن أحد منهم مخالفته بوجه فلما كثرت وقائع التتر فى بلاد المشرق والشمال وبلاد القبجاق وأسروا كثيرا منهم وباعوهم تنقلوا فى الاقطار واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سماهم البحريه ومنهم من ملك ديار مصر وأولهم المعز أيبك ثم كانت لقطز معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت وهزم التتار وأسر منهم خلقا كثيرا صاروا بمصر والشام ثم كثرت الوافدية فى ايام الملك الظاهر بيبرس وملؤا مصر والشام وخطب للملك بركة بن يوشى بن جنكزخان على منابر مصر والشام والحرمين فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغل وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم هذا وملوك مصر وامراؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعبا من جنكزخان وبنيه وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم وكانوا انما ربوا بدار الاسلام ولقنوا القرآن وعرفوا أحكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل وضموا الجيد الى الردئ وفوضوا لقاضى القضاة كل ما يتعلق بالامور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج وناطوا به امر الاوقاف والايتام وجعلوا اليه النظر فى الاقضية الشرعية كتداعى الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك واحتاجوا فى ذات انفسهم الى الرجوع لعادة جنكزخان والاقتداء بحكم الياسه فلذلك نصبوا الحاجب ليقضى بينهم فيما اختلفوا فيه من عوائدهم والاخذ على يد قويهم وانصاف الضعيف منه على مقتضى ما فى الياسه وجعلوا اليه مع ذلك النظر فى قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف فى امور الاقطاعات لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب وكانت من أجل القواعد وأفضلها حتى تحكم القبط فى الاموال وخراج الاراضى فشرعوا فى الديوان ما لم يأذن به الله تعالى ليصير لهم ذلك سبيلا الى اكل مال الله تعالى بغير حقه وكان مع ذلك يحتاج الحاجب الى مراجعة النائب أو السلطان فى معظم الامور هذا وستر الحياء يومئذ مسدول وظل العدل صاف وجناب الشريعة محترم وناموس الحشمة مهاب فلا يكاد احد أن يزيغ عن الحق ولا يخرج عن قضية الحياء ان لم يكن له وازع من دين كان له ناه من عقل ثم تقلص ظل العدل وسفرت أوجه الفجور وكشر الجور أنيابه وقلت المبالاة وذهب الحياء والحشمة من الناس حتى فعل من شاء ما شاء وتعدت منذ عهد المحن التى كانت فى سنة ست وثمانمائة الحجاب وهتكوا الحرمة وتحكموا بالجور تحكما خفى معه نور الهدى وتسلطوا على الناس مقتا من الله لاهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت ايديهم ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون * وكان أول ما حكم الحجاب فى الدولة التركية بين الناس بمصر أن السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاون استدعى الامير شمس الدين آق سنقر الناصرى نائب طرابلس ليوليه نيابة السلطنة بديار مصر عوضا عن الامير سيف الدين بيغوا أميرا حاجبا كبيرا يحكم بين الناس فخلع عليه فى جمادى الاولى سنة ست وأربعين وسبعمائة فحكم بين الناس كما كان نائب السلطنة يحكم وجلس بين يديه موقعان من موقعى السلطان لمكاتبة الولاة بالاعمال ونحوهم فاستمر ذلك ثم رسم فى جمادى الآخرة منها أن يكون الامير رسلان بصل حاجبا مع بيغوا يحكم بالقاهرة

بأخذ البيعة له واقامة الخطبة باسمه على المنابر ونقشت السكة فى ديار مصر باسمه واسم الملك الظاهر معا * فلما كان يوم الجمعة سابع عشر رجب خطب الخليفة بالناس فى جامع القلعة وركب السلطان فى يوم الاثنين رابع شعبان الى خيمة ضربت له بالبستان الكبير ظاهر القاهرة وافيضت عليه الخلع الخليفية وهى جبة سوداء وعمامة بنفسجية وطوق من ذهب وقلد بسيف عربى وجلس مجلسا عاما حضره الخليفة والوزير وسائر القضاة والامراء والشهود وصعد القاضى فخر الدين بن لقمان كاتب السر منبرا نصب له وقرأ تقليد السلطان المملكة وهو بخطه من انشائه ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقد زينت له وحمل الصاحب بهاء الدين بن حنا التقليد على رأسه قدام السلطان والامراء مشاة بين يديه وكان يوما مشهودا وأخذ السلطان فى تجهيز الخليفة ليسير الى بغداد فرتب له الطواشى بهاء الدين صندلا الصالحى شرابيا والامير سابق الدين بوزبا الصيرفى أتابكا والامير جعفرا أستادارا والامير فتح الدين بن الشهاب أحمد أمير جاندار والامير ناصر الدين بن صيرم خازندارا والامير سيف الدين بلبان الشمسى وفارس الدين أحمد بن أزدمر اليغمورى دوادارية والقاضى كمال الدين محمد السنجارى وزيرا وشرف الدين أبا حامد كاتبا وعين له خزانة وسلاحخاناه ومماليك عدتهم نحو الاربعين منهم سلاحدارية وجمدارية وزردكاشية ومحدارية وجعل له طشطخاناه وفراشخاناه وشرابخاناه واماما ومؤذنا وسائر أرباب الوظائف واستخدم له خمسمائة فارس وكتب لمن قدم معه من العراق باقطاعات وأذن له فى الركوب والحركة حيث اختار وحضر الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وأخوه الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة وأخوهما المظفر فأكرمهم السلطان وأقرهم على ما بأيديهم وكتب لهم تقاليد وجهزهم فى خدمة الخليفة وسار الخليفة فى سادس شوال والسلطان فى خدمته الى دمشق فنزل السلطان فى القلعة ونزل الخليفة فى التربة الناصرية بجبل الصالحية وبلغت نفقة السلطان على الخليفة ألف ألف وستين ألف دينار وخرج من دمشق فى ثالث عشر ذى القعدة ومعه الامير بلبان الرشيدى والامير سنقر الرومى وطائفة من العسكر وأوصاهما السلطان أن يكونا فى خدمة الخليفة حتى يصل الى الفرات فاذا عبر الفرات أقاما بمن معهما من العسكر بالبر الغربى من جهات حلب لانتظار ما يتجدد من أمر الخليفة بحيث ان احتاج اليهم ساروا اليه فسار الى الرحبة وتركه أولاد صاحب الموصل وانصرفوا الى بلادهم وسار الى مشهد على فوجد الامام الحاكم بأمر الله قد جمع سبعمائة فارس من التركمان وهو على عانة ففارقه التركمان وصار الحاكم الى المستنصر طائعا له فأكرمه وأنزله معه وسارا الى عانة ورحلا الى الحديثة وخرجا منها الى هيت وكانت له حروب مع التتار فى ثالث محرم سنة ستين وستمائة قتل فيها اكثر أصحابه وفر الحاكم وجماعة من الاجناد وفقد المستنصر فلم يوقف له على خبر فحضر الحاكم الى قلعة الجبل وبايعه السلطان والناس واستقر بديار مصر فى مناظر الكبش وهو جد الخلفاء الموجودين اليوم * وفى سنة ست وستين قرر الظاهر بديار مصر أربعة قضاة وهم شافعى ومالكى وحنفى وحنبلى فاستقر الامر على ذلك الى اليوم وحدث غلاء شديد بمصر وعدمت الغلة فجمع السلطان الفقراء وعدهم وأخذ لنفسه خمسمائة فقير يمونهم ولابنه السعيد بركة خان خمسمائة فقير وللنائب بيليك الخازندار ثلثمائة فقير وفرق الباقى على سائر الامراء ورسم لكل انسان فى اليوم برطلى خبز فلم ير بعد ذلك فى البلد أحد من الفقراء يسال * وفى ثالث شوال سنة اثنتين وستين أركب السلطان ابنه السعيد بركة بشعار السلطنة ومشى قدامه وشق القاهرة والكل مشاة بين يديه من باب النصر الى قلعة الجبل وزينت البلد وفيها رتب السلطان لعب القبق بميدان العيد خارج باب النصر وختن الملك السعيد ومعه ألف وستمائة وخمسة وأربعون صبيا من أولاد الناس سوى أولاد الامراء والاجناد وأمر لكل صغير منهم بكسوة على قدره ومائة درهم ورأس من الغنم فكان مهما عظيما وأبطل ضمان المزر وجهاته وأمر بحرق النصارى فى سنة ثلاث وستين فتشفع فيهم على أن يحملوا خمسين ألف دينار فتركوا * وفى سنة أربع وستين افتتح قلعة صفد وجهز العساكر الى سيس ومقدمهم الامير قلاون الالفى فحصر مدينة اياس وعدة قلاع * وفى سنة خمس وستين أبطل ضمان الحشيش من ديار مصر وفتح يافا والشقيف وانطاكية * وفى سنة سبع وستين حج فسار على غزة الى الكرك ومنها الى المدينة النبوية وغسل الكعبة بماء الورد بيده ورجع الى دمشق فأراق جميع الخمور وقدم الى مصر فى سنة ثمان وستين * وفى

سنة سبعين خرج الى دمشق * وفى سنة احدى وسبعين خرج من دمشق سائقا الى مصر ومعه بيسرى واقوش الرومى وجرسك الخازندار وسنقر الالفى فوصل الى قلعة الجبل وعاد الى دمشق فكانت مدة غيبته أحد عشر يوما ولم يعلم بغيبته من فى دمشق حتى حضر ثم خرج سائقا من دمشق يريد كبس التتار فخاض الفرات وقدامه قلاون وبيسرى وأوقع بالتتار على حين غفلة وقتل منهم شيأ كثيرا وساق خلفهم بيسرى الى سروج وتسلم السلطان البيرة * ووقع بمصر فى سنة اثنتين وسبعين وباء هلك به خلق كثير * وفى سنة ثلاث وسبعين غزا السلطان سيس وافتتح قلاعا عديدة * وفى سنة أربع وسبعين تزوج السعيد بن السلطان بابنة الامير قلاون وخرج العسكر الى بلاد النوبة فواقع ملكهم وقتل منهم كثيرا وفر باقيهم * وفى سنة خمس وسبعين سار السلطان لحرب التتار فواقعهم على الابلستين وقد انضم اليهم الروم فانهزموا وقتل منهم كثير وتسلم السلطان قيسارية ونزل فيها بدار السلطان ثم خرج الى دمشق فوعك بها من اسهال وحمى مات منها يوم الخميس تاسع عشرى محرم سنة ست وسبعين وستمائة وعمره نحو من سبع وخمسين سنة ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران * وكان ملكا جليلا عسوفا عجولا كثير المصادرات لرعيته ودواوينه سريع الحركة فارسا مقداما وترك من الذكور ثلاثة السعيد محمد بركة خان وملك بعده وسلامش وملك أيضا والمسعود خضر ومن البنات سبع بنات وكان طويلا مليح الشكل وفتح الله على يديه مما كان مع الفرنج قيسارية وارسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وانطاكية وبقراص والقصير وحصن الاكراد والقرين وحصن عكا وصافيتا ومرقية وحلبا وناصف الفرنج على المرقب وبانياس وانطرسوس وأخذ من صاحب سيس دربساك ودركوس وتلميش وكفردين ورعبان ومرزبان وكينوك وأدنة والمصيصة وصار اليه من البلاد التى كانت مع المسلمين دمشق وبعلبك وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وحمص وتدمر والرحبة وتل ناشر وصهيون وبلاطنس وقلعة الكهف والقدموس والعليقة والخوانى والرصافة ومصياف والقليعة والكرك والشوبك وفتح بلاد النوبة وبرقة وعمر الحرم النبوى وقبة الصخرة ببيت المقدس وزاد فى أوقاف الخليل عليه السلام وعمر قناطر شبرامنت بالجيزة وسور الاسكندرية ومنار رشيد وردم فم بحر دمياط ووعر طريقه وعمر الشوانى وعمر قلعة دمشق وقلعة الصبيبة وقلعة بعلبك وقلعة الصلت وقلعة صرخد وقلعة عجلون وقلعة بصرى وقلعة شيزر وقلعة حمص وعمر المدرسة بين القصرين بالقاهرة والجامع الكبير بالحسينية خارج القاهرة وحفر خليج الاسكندرية القديم وباشره بنفسه وعمر هناك قرية سماها الظاهرية وحفر بحر أشموم طناح على يد الامير بلبان الرشيدى وجدد الجامع الازهر بالقاهرة وأعاد اليه الخطبة وعمر بلد السعيدية من الشرقية بديار مصر وعمر القصر الابلق بدمشق وغير ذلك * ولما مات كتم موته الامير بدر الدين بيليك الخازندار عن العسكر وجعله فى تابوت وعلقه ببيت من قلعة دمشق واظهر أنه مريض ورتب الاطباء يحضرون على العادة وأخذ العساكر والخزائن ومعه محفة محمولة فى الموكب محترمة وأوهم الناس أن السلطان فيها وهو مريض فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان وسار الى أن وصل الى قلعة الجبل بمصر وأشيع موته رحمه الله تعالى

(جامع ابن اللبان)

هذا الجامع بجسر الشعيبية المعروف بجسر الافرم عمره الامير عز الدين أيبك الافرم فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة * قال ابن المتوج وكان سبب عمارته انه لما كثرت الخلائق فى خطة هذا الجامع قصد الافرم أن يجعل خطبة فى المسجد المعروف بمسجد الجلالة الذى بركة الشقاف ظاهر سور الفسطاط المستجد وأن يزيد فيه ويعمره كما يختار فمنعه الفقيه مؤتمن الدين الحارث بن مسكين ورده عن غرضه فحسن له الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا عمارة هذا الجامع فى هذه البقعة اقربه منه فعمره فى شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة لكنه هدم بسببه عدة مساجد وعرف هذا الجامع فى زمننا هذا بالشيخ محمد بن اللبان الشافعى لاقامته فيه وأدركناه عامرا وقد انقطعت منه فى هذه المحن اقامة الجمعة والجماعة لخراب ما حوله وبعد البحر عنه

*(الجامع الطيبرسى)

انها انقسمت بين أربعة وهم كاتب السر والاستادار وناظر الخاص والوزير فأخذ كاتب السر من الوزارة التوقيع على القصص بالولايات والعزل ونحو ذلك فى دار العدل وفى داره وأخذ الاستادار التصرف فى نواحى أرض مصر والتحدث فى الدواوين السلطانية وفى كشف الاقاليم وولاة النواحى وفى كثير من امور ارباب الوظائف وأخذ ناظر الخاص جانبا كبيرا من الاموال الديوانية السلطانية ليصرفها فى تعلقات الخزانة السلطانية وبقى للوزير شئ يسير جدا من النواحى والتحدث فى المكوس وبعض الدواوين ومصارف المطبخ السلطانى والسواقى واشياء أخر واليه مرجع ناظر الدولة وشاد الدواوين وناظر بيت المال وناظر الاهراء ومستوفى الدولة وناظر الجهات وأما ناظر البيوت وناظر الاصطبلات فان أمرهما يرجع الى غيره والله اعلم * (نظر الدولة) هذه الوظيفة يقال لمتوليها ناظر النظار ويقال له ناظر المال وهو يعرف اليوم بناظر الدولة وتلى رتبته رتبة الوزارة فاذا غاب الوزير او تعطلت الوزارة من وزير قام ناظر الدولة بتدبير الدولة وتقدم الى شاد الدواوين بتحصيل الاموال وصرفها فى النفقات والكلف واقتصر الملك الناصر محمد بن قلاون على ناظر الدولة مدة أعوام من غير تولية وزير ومشى امور الدولة على ذلك حتى مات ولا بد أن يكون مع ناظر الدولة مستوفون يضبطون كليات المملكة وجزئياتها ورأس المستوفين مستوفى الصحبة وهو يتحدث فى سائر المملكة مصرا وشاما ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان فتكون تارة بما يعمل فى البلاد وتارة بالاطلاقات وتارة باستخدام كتاب فى صغار الاعمال ومن هذا النحو وما يجرى مجراه وهى وظيفة جليلة تلى نظر الدولة وبقية المستوفين كل منهم حديثه مقيد لا يتعدى حديثه قطرا من اقطار المملكة وهذا الديوان أعنى ديوان النظر هو أرفع دواوين المال وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية وكل ديوان من دواوين المال انما هو فرع هذا الديوان واليه يرفع حسابه وتتناهى أسبابه واليه يرجع أمر الاستيمار الذى يشتمل على أرزاق ذوى الاقلام وغيرهم مياومة ومشاهرة ومسانهة من الرواتب وكانت أرزاق ذوى الاقلام مشاهرة من مبلغ عين وغلة وكان لاعيانهم الرواتب الجارية فى اليوم من اللحم بتوابله أو غير توابله والخبز والعليق لدوابهم وكان لا كابرهم السكر والشمع والزيت والكسوة فى كل سنة والاضحية وفى شهر رمضان السكر والحلوى واكثرهم نصيبا الوزير وكان معلومه فى الشهر مائتين وخمسين دينارا جيشية مع الاصناف المذكورة والغلة وتبلغ نظير المعلوم ثم ما دون ذلك من المعلوم لمن عدا الوزير وما دون دونه وكان معلوم القضاة والعلماء اكثره خمسون دينارا فى كل شهر مضافا لما بيدهم من المدارس التى يستدرون من أوقافها وكان أيضا يصرف على سبيل الصدقات الجارية والرواتب الدارة على جهات ما بين مبلغ وغلة وخبز ولحم وزيت وكسوة وشعير هذا سوى الارض من النواحى التى يعرف المرتب عليها بالرزق الاحباسية وكانوا يتوارثون هذه المرتبات ابنا عن أب ويرثها الاخ عن أخيه وابن العم عن ابن العم بحيث ان كثيرا ممن مات وخرج ادراره من مرتبه لاجنبى لما جاء قريبه وقدم قصته يذكر فيها أولويته بما كان لقريبه أعيد اليه ذلك المرتب ممن كان خرج باسمه * (نظر البيوت) كان من الوظائف الجليلة وهى وظيفة متوليها منوط بالاستادار فكل ما يتحدث فيه أستادار السلطان فانه يشاركه فى التحدث وهذا كان أيام يكون الاستادار ونظره لا يتعدى بيوت السلطان وما تقدم ذكره فأما منذ عظم قدر الاستادار ونفذت كلمته فى جمهور أموال الدولة فان نظر البيوت اليوم شئ لا معنى له * (نظر بيت المال) كان وظيفة جليلة معتبرة وموضوع متوليها التحدث فى حمول المملكة مصرا وشاما الى بيت المال بقلعة الجبل وفى صرف ما ينصرف منه تارة بالوزن وتارة بالتسبيب بالاقلام وكان أبدا يصعد ناظر بيت المال ومعه شهود بيت المال وصيرفى بيت المال وكاتب المال الى قلعة الجبل ويجلس فى بيت المال فيكون له هنالك أمر ونهى وحال جليلة لكثرة الحمول الواردة وخروج الاموال المصروفة فى الرواتب لاهل الدولة وكانت أمرا عظيما بحيث انها بلغت فى السنة نحو أربعمائة ألف دينار وكان لا يلى نظر بيت المال الا من هو من ذوى العدالات المبرزة ثم تلاشى المال وبيت المال وذهب الاسم والمسمى ولا يعرف اليوم بيت المال من القلعة ولا يدرى ناظر بيت المال من هو * (نظر الاصطبلات) هذه الوظيفة جليلة القدر الى اليوم وموضوعها الحديث فى أموال الاصطبلات والمناخات وعليقها وأرزاق من فيها من المستخدمين وما بها من الاستعمالات والاطلاق وكل ما يبتاع لها أو يبتاع بها وأول من استجدها الملك الناصر محمد بن قلاون وهو أول من زاد فى رتبة أمير اخور واعتنى

بالاوجاقية والعرب الركابة وكان أبوه المنصور قلاون يرغب فى خيل برقة أكثر من خيل العرب ولا يعرف عنه انه اشترى فرسا بأكثر من خمسة آلاف درهم وكان يقول خيل برقة نافعة وخيل العرب زينة بخلاف الناصر محمد فانه شغف باستدعاء الخيول من عرب آل مهنا وآل فضل وغيرهم وبسببها كان يبالغ فى اكرام العرب ويرغبهم فى أثمان خيولهم حتى خرج عن الحدّ فى ذلك فكثرت رغبة آل مهنا وغيرهم فى طلب خيول من عداهم من العربان وتتبعوا اعتاق الخيل من مظانها وسمحوا بدفع الاثمان الزائدة على قيمتها حتى اتتهم طوائف العرب بكرائم خيولهم فتمكنت آل مهنا من السلطان وبلغوا فى أيامه الرتب العلية وكان لا يحب خيول برقة واذا أخذ منها شيأ أعده للتفرقة على الامراء البرانيين ولا يسمح بخيول آل مهنا الا لاعز الامراء وأقرب الخاصكية منه وكان جيد المعرفة بالخيل شياتها وأنسابها لا يزال يذكر أسماء من أحضرها اليه ومبلغ ثمنها فلما اشتهر عنه ذلك جلب اليه أهل البحرين والحساء والقطيف وأهل الحجاز والعراق كرائم خيولهم فدفع لهم فى الفرس من عشرة آلاف درهم الى عشرين الى ثلاثين ألف درهم عنها ألف وخمسمائة مثقال من الذهب سوى ما ينعم به على مالكه من الثياب الفاخرة له ولنسائه ومن السكر ونحوه فلم تبق طائفة من العرب حتى قادت اليه عتاق خيلها وبلغ من رغبة السلطان فيها انه صرف فى أثمانها دفعة واحدة من جهة كريم الدين ناظر الخاص ألف ألف درهم فى يوم واحد وتكرر هذا منه غير مرّة وبلغ ثمن الفرس الواحد من خيول آل مهنا الستين ألف درهم والسبعين ألف درهم واشترى كثيرا من الحجور بالثمانين ألفا والتسعين ألفا واشترى بنت الكرشاء بمائة ألف درهم عنها خمسة آلاف مثقال من الذهب هذا سوى الانعامات بالضياع من بلاد الشام وكان من عنايته بالخيل لا يزال يتفقدها بنفسه فاذا أصيب منها فرس أو كبر سنه بعث به الى الجشار وتنزى الفحول المعروفة عنده على الحجور بين يديه وكتاب الاصطبل تؤرخ تاريخ نزوها واسم الحصان والحجرة فتوالدت عنده خيول كثيرة اغتنى بها عن الجلب ومع ذلك فلم تكن عنده فى منزلة ما يجلب منها وبهذا ضخمت سعادة آل مهنا وكثرت أموالهم وضياعهم فعز جانبهم وكثر عددهم وهابهم من سواهم من العرب وبلغت عدّة خيول الجشارات فى أيامه نحو ثلاثة آلاف فرس وكان يعرضها فى كل سنة ويدوغ أولادها بين يديه ويسلمها للعربان الركابة وينعم على الامراء الخاصكية بأكثرها ويتبجح بها ويقول هذه فلانة بنت فلان وهذا فلان بن فلانة وعمره كذا وشراء أمّ هذا كذا وكذا وكان لا يزال يؤكد على الامراء فى تضمير الخيول ويلزم كل أمير أن يضمر أربعة أفراس ويتقدّم لامير اخور أن يضمر للسلطان عدّة منها ويوصيه بكتمان خبرها ثم يشيع أنها لايدغمش أمير اخور ويرسلها مع الخيل فى حلبة السباق خشية أن يسبقها فرس أحد من الامراء فلا يحتمل ذلك فانه ممن لا يطيق شيأ ينقص ملكه وكان السباق فى كل سنة بميدان القبق ينزل بنفسه وتحضر الامراء بخيولها المضمرة فيجريها وهو على فرسه حتى تنقضى نوبها وكانت عدّتها مائة وخمسين فرسا فما فوقها فاتفق انه كان عند الامير قطلوبغا الفخرى حصان أدهم سبق خيل مصر كلها فى ثلاث سنين متوالية أيام السباق وبعث اليه الامير مهنا فرسا شهباء على انها ان سبقت خيل مصر فهى للسلطان وان سبقها فرس ردّت اليه ولا يركبها عند السباق الا بدوى قادها فركب السلطان للسباق فى أمرائه على عادته ووقف معه سليمان وموسى ابنا مهنا وأرسلت الخيول من بركة الحاج على عادتها وفيها فرس مهنا وقد ركبها البدوى عريا بغير سرج فأقبلت سائر الخيول تتبعها حتى وصلت المدى وهى عرى بغير سرج والبدوى عليها بقميص وطاقية فلما وقفت بين يدى السلطان صاح البدوى السعادة لك اليوم يا مهنا لا شقيت فشق على السلطان أن خيله سبقت وابطل التضمير من خيله وصارت الامراء تضمر على عادتها ومات الناصر محمد عن أربعة آلاف وثمانمائة فرس وترك زيادة على خمسة آلاف من الهجن الاصائل والنوق المهريات والقرشيات سوى أتباعها وبطل بعده السباق فلما كانت ايام الظاهر برقوق عنى بالخيل ايضا ومات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف جمل

* (ديوان الانشاء) وكان بجوار قاعة الصاحب بقلعة الجبل ديوان الانشاء يجلس فيه كاتب السر وعنده موقعو الدرج وموقعو الدست فى أيام المواكب طول النهار ويحمل اليهم من المطبخ السلطانى المطاعم وكانت الكتب الواردة وتعليق ما يكتب من الباب السلطانى موضوعة بهذه القاعة وأنا جلست بها عند القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى أيام مباشرتى التوقيع السلطانى الى نحو السبعين والسبعمائة فلما زالت

دولة الظاهر برقوق ثم عادت اختلت امور كثيرة منها أمر قاعة الانشاء بالقلعة وهجرت وأخذ ما كان فيها من الاوراق وبيعت بالقنطار ونسى رسمها وكتابة السر رتبة قديمة ولها أصل فى السنة فقد خرج أبو بكر عبد الله ابن أبى داود سليمان بن الاشعث السجستانى فى كتاب المصاحف من حديث الاعمش عن ثابت بن عبيد عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تأتينى كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو قال السريانية فقلت نعم قال فتعلمتها فى سبع عشرة ليلة ولم يزل خلفاء الاسلام يختارون لكتابة سرهم الواحد بعد الواحد وكان موضوع كتابة السر فى الدولة التركية على ما استقر عليه الامر فى ايام الناصر محمد بن قلاون أن لمتوليها المسمى بكاتب السر وبصاحب ديوان الانشاء ومن الناس من يقول ناظر ديوان الانشاء قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة اجوبتها اما بخطه أو بخط كتاب الدست أو كتاب الدرج بحسب الحال وله تسفير الاجوبة بعد أخذ علامة السلطان عليها وله تصريف المراسيم ورودا وصدورا وله الجلوس بين يدى السلطان بدار العدل لقراءة القصص والتوقيع عليها بخطه فى المجلس فصار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة وصار اليه التحدث فى مجلس السلطان عند عقد المشورة وعند اجتماع الحكام لفصل امر مهم وله التوسط بين الامراء والسلطان فيما يندب اليه عند الاختلاف أو التدبير واليه ترجع امور القضاة ومشايخ العلم ونحوهم فى سائر المملكة مصرا وشاما فيمضى من امورهم ما احب ويشاور السلطان فيما لابد من مشاورته فيه وكانت العادة أن يجلس تحت الوزير فلما عظم تمكن القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر من الدولة جلس فوق الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم البشيرى فاستمر ذلك لمن بعده ورتبة كاتب السر اجل الرتب وذلك انها منتزعة من الملك فان الدولة العباسية صار خلفاؤها فى أول أمرهم منذ عهد أبى العباس السفاح الى ايام هارون الرشيد يستبدون بأمورهم فلما صارت الخلافة الى هارون ألقى مقاليد الامور الى يحيى بن جعفر البرمكى فصار يحيى يوقع على رقاع الرافعين بخطه فى الولايات وازالة الظلامات واطلاق الارزاق والعطيات فجلت لذلك رتبته وعظمت من الدولة مكانته وكان هو أول من وقع من وزراء خلفاء بنى العباس وصار من بعده من الوزراء يوقعون على القصص كما كان يوقع وربما انفرد رجل بديوان السر وديوان الترسل ثم افردت فى اخريات دولة بنى العباس واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزراء وكانوا ببغداد يقال لهم كتاب الانشاء وكبيرهم يدعى رئيس ديوان الانشاء ويطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشاء وتارة كاتب السر ومرجع هذا الديوان الى الوزير وكان يقال له الديوان العزيز وهو الذى يخاطبه الملوك فى مكاتبات الخلفاء وكان فى الدولة السلجوقية يسمى ديوان الانشاء بديوان الطغرا واليه ينسب مؤيد الدين الطغراءى والطغرا هى طرة المكتوب فيكتب اعلى من البسملة بقلم غليظ القاب الملك وكانت تقوم عندهم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب ويستغنى بها عن علامة السلطان وهى لفظة فارسية وفى بلاد المغرب يقال لرئيس ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى وأما مصر فانه كان بها فى القديم لما كانت دار امارة ديوان البريد ويقال لمتوليه صاحب البريد واليه مرجع ما يرد من دار الخلافة على ايدى اصحاب البريد من الكتب وهو الذى يطالع بأخبار مصر وكان لامراء مصر كتاب ينشئون عنهم الكتب والرسائل الى الخليفة وغيره فلما صارت مصر دار خلافة كان القائد جوهر يوقع على قصص الرافعين الى أن قدم المعز لدين الله فوقع وجعل أمر الاموال وما يتعلق بها الى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن فوليا أموال الدولة ثم فوض العزيز بالله أمر الوزارة ليعقوب بن كلس فاستبد بجميع أحوال المملكة وجرى مجرى يحيى بن جعفر البرمكى وكان يوقع ومع ذلك ففى امراء الدولة من يلى البريد وجرى الامر فيما بعد على أن الوزراء يوقعون وقد يوقع الخليفة بيده فلما كانت ايام المستنصر بالله ابى تميم معد بن الظاهر وصرف أبا جعفر محمد بن جعفر بن المغربى عن وزارته افرد له ديوان الانشاء فوليه مدة طويلة وادرك ايام امير الجيوش بدر الجمالى وصار يلى ديوان الانشاء بعده الاكابر الى أن انقرضت الدولة وهو بيد القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى فاقتدت بهم الدولة الايوبية ثم الدولة التركية فى ذلك وصار الامر على ... الى اليوم وصار متولى رتبة كتابة السر اعظم أهل الدولة الا انه فى الدولة التركية يكون معه من الامراء واحد يقال له الدوادار منزلته منزلة صاحب البريد فى الزمن الاول ومنزلة كاتب السر منزلة صاحب ديوان الانشاء الا انه يتميز بالتوقيع على القصص تارة بمراجعة السلطان وتارة بغير مراجعة فلذلك يحتاج اليه

سائر أهل الدولة من أرباب السيوف والاقلام ولا يستغنى عن حسن سفارته نائب الشام فمن دونه وبه الامر كله وأما فى الدولة الايوبية فان كتاب الدرج كانوا فى الدولة الكاملية قليلين جدا وكانوا فى غاية الصيانة والنزاهة وقلة الخلطة بالناس واتفق أن الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير كان من جملتهم فسمع الملك الصالح نجم الدين أيوب عنه انه يحضر فى السماعات فصرفه من ديوان الانشاء وقال هذا الديوان لا يحتمل مثل هذا وكانت العادة أن لا يحضر كتاب الانشاء الديوان يوم الجمعة فعرض للملك الصالح فى بعض ايام الجمع شغل مهم فطلب بعض الموقعين فلم يجد أحدا منهم فقيل له انهم لا يحضرون يوم الجمعة فقال استخدموا فى الديوان كاتبا نصرانيا يقعد يوم الجمعة لمهم يطرأ فاستخدم الامجد بن العسال كاتب الدرج لهذا المعنى * (نظر الجيش) قد تقدم انه كان يجلس بالقلعة دواوين الجيش فى ايام الموكب وتقدم فى ذكر الاقطاعات وذكر النيابة ما يدل على حال متولى نظر الجيش ولا بد مع ناظر الجيش أن يكون من المستوفين من يضبط كليات المملكة وجزئياتها فى الاقطاعات وغيرها * (نظر الخاص) هذه الوظيفة وان كان لها ذكر قديم من عهد الخلفاء الفاطميين فان متوليها لم يبلغ من جلالة القدر ما بلغ اليه فى الدولة التركية وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاون لما ابطل الوزارة واقام القاضى كريم الدين الكبير فى وظيفة نظر الخاص صار متحدثا فيما هو خاص بمال السلطان يتحدث فى مجموع الامر الخاص بنفسه وفى القيام بأخذ رأيه فيه فبقى تحدثه فيه وبسببه كأنه هو الوزير لقربه من السلطان وزيادة تصرفه والى ناظر الخاص التحدث فى الخزانة السلطانية وكانت بقلعة الجبل وكانت كبيرة الوضع لانها مستودع أموال المملكة وكان نظر الخزانة منصبا جليلا الى أن استحدثت وظيفة نظر الخاص فضعف أمر نظر الخزانة وأمر الخزانة أيضا وصارت تسمى الخزانة الكبرى وهو اسم اكبر من مسماه ولم يبق بها الا خلع يخلع منها أو ما يحضر اليها ويصرف أولا فأولا وصار نظر الخزانة مضافا الى ناظر الخاص وكان الرسم أن لا يلى نظر الخزانة الا القضاة او من يلحق بهم ومابرحت الخزانة بقلعة الجبل حتى عملها الامير منطاش سجنا لمماليك الظاهر برقوق فى سنة تسعين وسبعمائة فتلاشت من حينئذ ونسى أمرها وصارت الخلع ونحوها عند ناظر الخاص فى داره وكانت لاهل الدولة فى الخلع عوايد وهم على ثلاثة انواع أرباب السيوف والاقلام والعلماء فأما أرباب السيوف فكانت خلع اكابر أمراء المئين الاطلس الاحمر الرومى وتحته الاطلس الاصفر الرومى وعلى الفوقانى طرز زركش ذهب وتحته سنجاب وله سجف من ظاهره مع الغشاء قندس وكلوتة زركش بذهب وكلاليب ذهب وشاش لانس رفيع موصول به فى طرفيه حرير ابيض مرقوم بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون مع منطقة ذهب ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب مقاديرهم فأعلاها ما عمل بين عمدها بوا كر وسطى ومجنبتان بالبلخش والزمرذ واللؤلؤ ثم ما كان ببيكارية واحدة مرصعة ثم ما كان ببيكارية واحدة غير مرصعة وأما من تقلد ولاية كبيرة منهم فانه يزاد سيفا محلى بذهب يحضر من السلاح خاناه ويحليه ناظر الخاص ويزاد فرسا مسرجا ملجما بكنبوش ذهب والفرس من الاصطبل وقماشه من الركاب خاناه ومرجع العمل فى سروج الذهب والكنابيش الى ناظر الخاص وكان رسم صاحب حماه من اعلى هذه الخلع ويعطى بدل الشاش اللانس شاش من عمل الاسكندرية حرير شبيه بالطول وينسج بالذهب يعرف بالمثمر ويعطى فرسين أحدهما كما ذكر والآخر يكون عوض كنبوشه زنارى اطلس أحمر وكانت لنائب الشام على ما استقر فى ايام الناصر محمد بن قلاون مثل هذا وزيد لتنكز تركيبة زركش ذهب دائرة بالقباء الفوقانى ودون هذه الرتبة فى الخلع نوع يسمى طرز وحش يعمل بدار الطراز التى كانت بالاسكندرية وبمصر وبدمشق وهو مجوخ جاخات كتابة بألقاب السلطان وباخات طرز وحش وجاخات ألوان ممتزجة بقصب مذهب يفصل بين هذه الجاخات نقوش وطرازه هذا يكون من القصب وربما كبر بعضهم فركب عليه طرازا مزركشا بالذهب وعليه فرو سنجاب وقندس كما تقدم وتحت القباء الطرز وحش قباء من المقترح الاسكندرانى الطرح وكلوتة زركش بكلاليب وشاش على ما تقدم وحياصة ذهب فتارة تكون ببيكارية وتارة لا يكون بها بيكارية وهذه لاصاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم ودون هذه الرتبة فى الخلع كمخا عليه نقش من لون آخر غير لونه وقد يكون من نوع لونه بتفاوت بينهما وتحته سنجاب بقندس والبقية كما تقدم الا أن الحياصة والشاش لا يكونان باطراف رقم بل تكون مجوخة بأخضر واصفر مذهب والحياصة لا تكون ببيكارية ودون هذه المرتبة كمخا تكون واحدة بسنجاب مقندس والبقية على

ماذكر وتكون الكلوتة خفيفة الذهب وجانباها يكادان يكونان خاليين بالجملة ولا حياصة له ودون هذه الرتبة مجوم لون واحد والبقية على ماذكر خلا الكلوتة والكلاليب ودون هذه الرتبة مجوم مقندس وهو قباء ملون بجاخات من أحمر وأخضر وازرق وغير ذلك من الالوان بسنجاب وقندس وتحته قباء اما أزرق أو أخضر وشاش ابيض بأطراف من نسبة ما تقدم ذكره ثم دون هذا من هذا النوع وأما الوزراء والكتاب فأجل ما كانت خلعهم الكمخا الابيض المطرز برقم حرير ساذج وسنجاب مقندس وتحته كمخا أخضر وبقيار كان من عمل دمياط مرقوم وطرحه ثم دون هذه الرتبة عدم السنجاب بل يكون القندس بدائر الكمين وطول الفرج ودونها ترك الطرحة ودونها أن يكون التحتاني مجوما ودون هذا أن يكون الفوقاني من الكمخا لكنه غير ابيض ودونه أن يكون الفوقاني مجوما ابيض ودونه أن يكون تحته عنابي وأما القضاة والعلماء فان خلعهم من الصوف بغير طراز ولهم الطرحة واجلهم أن يكون ابيض وتحته أخضر ثم مادون ذلك وكانت العادة أن أهبة الخطباء وهي السواد تحمل الى الجوامع من الخزانة وهي دلق مدور وشاش أسود وطرحة سوداء وعلمان أسودان مكتوبان بأبيض أو بذهب وثياب المبلغ قدام الخطيب مثل ذلك خلا الطرحة وكانت العادة اذا خلقت الاهبة المذكورة اعيدت الى الخزانة وصرف عوضها وكانت للسلطان عادات بالخلع تارة في ابتداء سلطنته وتشمل حينئذ الخلع سائر ارباب المملكة بحيث خلع في يوم واحد عند اقامة الاشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاون ألف ومائتا تشريف في وقت لعبه بالكرة على اناس جرت عوايدهم بالخلع في ذلك الوقت كالجوكندارية والولاة ومن له خدمة في ذلك وتارة في اوقات الصيد عندما يسرح فاذا حصل أحد شيأ مما يصيده خلع عليه واذا أحضر أحد اليه غزالا أو نحوه اما خلع عليه قباء مسجفا مما يناسب خلعة مثله على قدره وكذلك يخلع على البزدارية وحملة الجوارح ومن يجري مجراهم عند كل صيد وكانت العادة أيضا أن ينعم على غلمان الطشت خاناه والشراب خاناه والفراش خاناه ومن يجري مجراهم في كل سنة عند اوان الصيد وكانت العادة أن من يصل الى الباب من البلاد اويرد عليه او يهاجر من مملكة أخرى اليه أن ينعم عليه مع الخلع بأنواع الادرارات والارزاق والانعامات وكذلك التجار الذين يصلون الى السلطان ويبيعون عليه لهم مع الخلع الرواتب الدائمة من الخبز واللحم والتوابل والحلوى والعليق والمسامحات بنظير كل ما يباع من الرقيق المماليك والجواري مع ما يسامحون به أيضا من حقوق أخرى تطلق وكل واحد من التجار اذا باع على السلطان ولو رأسا واحدا من الرقيق فله خلعة مكملة بحسبه خارجا عن الثمن وعما ينعم به عليه او يسفر به من مال السبيل على سبيل القرض ليتاجر به وأما جلابة الخيل من عرب الحجاز والشام والبحرين وبرقة وبلاد المغرب فان لهم الخلع والرواتب والعلوفات والانزال ورسوم الانعامات خارجا عن مسامحات تكتب لهم بالمقررات عن تجارة يتجرون بها مما اخذوه من اثمان الخيول وكان يثمن الفرس بأزيد من قيمته حتى ربما بلغ ثمنه على السلطان الذي يأخذه بحضره نظير قيمته عليه عشر مرات غير الخلع وسائر ماذكر ولم يبق اليوم سوى ما يخلع على ارباب الدولة وقد استجد في الايام الظاهرية وكثر في ايام الناصر فرج نوع من الخلع يقال له الجبة يلبسه الوزير ونحوه من ارباب الرتب العلية جعلوا ذلك ترفعا عن لبس الخلعة ولم تكن الملوك تلبس من الثياب الا المتوسط وتجعل حوائصها بغير ذهب فلم تزد حياصة الناصر محمد على مائة درهم فضة ولم يزد أيضا سقط سرجه على مائة درهم فضة على عباءة صوف تدمري اوشامي فلما كانت دولة اولاده بالغوا في الترف وخالفوا فيه عوايد أسلافهم ثم سلك الظاهر برقوق في ملابسه بعض ما كان عليه الملوك الاكابر لا كله وترك لبس الحرير *

(الميدان بالقلعة) هذا الميدان من بقايا ميدان احمد بن طولون الذي تقدم ذكره عند ذكر القطائع من هذا الكتاب ثم بناه الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في سنة احدى عشرة وستمائة وعمر الى جانبه بركا ثلاثا للسقيه وأجرى الماء اليها ثم تعطل هذا الميدان مدة فلما قام من بعده ابنه الملك العادل أبو بكر محمد بن الكامل محمد اهتم به ثم اهتم به الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل اهتماما زائدا وجدد له ساقية أخرى وأنشأ حوله الاشجار فجاء من أحسن شئ يكون الى أن مات فتلاشى امر الميدان بعده وهدمه الملك المعز ايبك سنة احدى وخمسين وستمائة وعفت آثاره فلما كانت سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ابتدأ الملك الناصر محمد بن قلاون عمارته فاقتطع من باب الاصطبل الى قريب باب القرافة وأحضر جميع جمال الامراء فنقلت اليه الطين حتى كساه كله وزرعه وحفر به الآبار

وركب عليها السواقى وغرس فيه النخل الفاخر والاشجار المثمرة وأدار عليه هذا السور الحجر الموجود الآن وبنى حوضا للسبيل من خارجه فلما كمل ذلك نزل اليه ولعب فيه الكرة مع أمرائه وخلع عليهم واستمر يلعب فيه يومى الثلاثاء والسبت وصار القصر الابلق يشرف على هذا الميدان فجاء ميدانا فسيح المدى يسافر النظر فى ارجائه واذا ركب السلطان اليه نزل من درج تلى قصره الجوانى فينزل السلطان الى الاصطبل الخاص ثم الى هذا الميدان وهو راكب وخواص الامراء فى خدمته فيعرض الخيول فى اوقات الاطلاقات ويلعب فيه الكرة وكان فيه عدة من انواع الوحوش المستحسنة المنظر وكانت تربط به أيضا الخيول الخاصة للتفسح وفى هذا الميدان يصلى السلطان أيضا صلاة العيدين ويكون نزوله اليه فى يوم العيد وصعوده من باب خاص من دهليز القصر غير المعتاد النزول منه فاذا ركب من باب قصره ونزل الى منفذه من الاصطبل الى هذا الميدان ينزل فى دهليز سلطانى قد ضرب له على اكمل ما يكون من الابهة فيصلى ويسمع الخطبة ثم يركب ويعود الى الايوان الكبير ويمدّ به السماط ويخلع على حامل القبة والطير وعلى حامل السلاح والاستادار والجاشنكير وكثير من أرباب الوظائف وكانت العادة أن تعدّ للسلطان أيضا خلعة العيد على أنه يلبسها كما كانت العادة فى ايام الخلفاء فينعم بها على بعض اكابر أمراء المئين ولم يزل الحال على هذا الى أن كانت سنة ثمانمائة فصلى الملك الظاهر برقوق صلاة عيد النحر بجامع القلعة لتخوفه بعد واقعة الامير على باى فهجر الميدان واستمرت صلاة العيد بجامع القلعة من عامئذ طول الايام الناصرية والمؤيدية *(الحوش) ابتدئ العمل فيه على ايام الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وكان قياسه اربعة فدادين وكان موضعه بركة عظيمة قد قطع ما فيها من الحجر لعمارة قاعات القلعة حتى صارت غورا كبيرا ولما شرع فى العمل رتب على كل أمير من أمراء المئين مائة رجل ومائة بهيمة لنقل التراب برسم الردم وعلى كل أمير من أمراء الطبلخاناه بحسبه وندب الامير أقبغا عبد الواحد شاد العمل فحضر من عند كل من الامراء أستاداره ومعه جنده ودوابه للعمل وأحضر الاسارى وسخر والى القاهرة ووالى مصر الناس وأحضرت رجال النواحى وجلس أستادار كل امير فى خيمة ووزع العمل عليهم بالاقصاب ووقف الامير أقبغا يستحث الناس فى سرعة العمل وصار الملك الناصر يحضر فى كل يوم بنفسه فنال الناس من العمل ضرر زائد وأخرق أقبغا بجماعة من اماثل الناس ومات كثير من الرجال فى العمل لشدّة العسف وقوّة الحر وكان الوقت صيفا فانتهى عمله فى ستة وثلاثين يوما وأحضر اليه من بلاد الصعيد ومن الوجه البحرى ألفى رأس غنم وكثيرا من الابقار البلق لتوقف فى هذا الحوش فصار مراح غنم ومربط بقر وأجرى الماء الى هذا الحوش من القلعة وأقام الاغنام حوله وتتبع فى كل سنة المراحات من عيذاب وقوص الى ما دونهما من البلاد حتى يؤخذ ما بهما من الاغنام المختارة وجلبها من بلاد النوبة ومن اليمن فبلغت عدتها بعد موته ثلاثين ألف رأس سوى اتباعها وبلغ البقل الاخضر الذى يشترى لفراخ الاوز فى كل يوم خمسين درهما عنها زيادة على مثقالين من الذهب فلما كانت ايام الظاهر برقوق عمل المولد النبوى بهذا الحوش فى أوّل ليلة جمعة من شهر ربيع الاوّل فى كل عام فاذا كان وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة بهذا الحوش وجلس السلطان وعن يمينه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقينى ويليه الشيخ المعتقد ابراهيم برهان الدين بن محمد بن بهادر بن احمد بن رفاعة المغربى ويليه ولد شيخ الاسلام ومن دونه وعن يسار السلطان الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزرى المغربى ويليه قضاة القضاه الاربعة وشيوخ العلم ويجلس الامراء على بعد من السلطان فاذا فرغ القرّاء من قراءة القرآن الكريم قام المنشدون واحدا بعد واحد وهم يزيدون على عشرين منشدا فيدفع لكل واحد منهم صرّة فيها أربعمائة درهم فضة ومن كل أمير من أمراء الدولة شقة حرير فاذا انقضت صلاة المغرب مدّت أسمطة الاطعمة الفائقة فأكلت وحمل ما فيها ثم مدّت أسمطة الحلوى السكرية من الجوارشات والعقائد ونحوها فتؤكل وتخطفها الفقهاء ثم يكون تكميل انشاد المنشدين ووعظهم الى نحو ثلث الليل فاذا فرغ المنشدون قام القضاة وانصرفوا وأقيم السماع بقية الليل واستمر ذلك مدّة ايامه ثم ايام ابنه الملك الناصر فرج

(ذكر المياه التى بقلعة الجبل)

وجميع مياه القلعة من ماء النيل تنقل من موضع الى موضع حتى تمرّ فى جميع ما يحتاج اليه بالقلعة

وقد اعتنى الملوك بعمل السواقي التي تنقل الماء من بحر النيل الى القلعة عناية عظيمة فأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة أربع سواق على بحر النيل تنقل الماء الى السور ثم من السور الى القلعة وعمل نقالة من المصنع الذي عمله الظاهر بيبرس بجوار زاوية تقي الدين رجب التي بالرميلة تحت القلعة الى بئر الاصطبل فلما كانت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة عزم الملك الناصر على حفر خليج من ناحية حلوان الى الجبل الاحمر المطل على القاهرة ليسوق الماء الى الميدان الذي عمله بالقلعة ويكون حفر الخليج في الجبل فنزل لكشف ذلك ومعه المهندسون فجاء قياس الخليج طولا اثنين وأربعين ألف قصبة فيمر الماء فيه من حلوان حتى يحاذي القلعة فاذا حاذاها بنى هناك خيايا تحمل الماء الى القلعة ليصير الماء بها غزيرا كثيرا دائما صيفا وشتاء لا ينقطع ولا يتكلف لحمله ونقله ثم يمر من محاذاة القلعة حتى ينتهي الى الجبل الاحمر فيصب من أعلاه الى تلك الارض حتى تزرع وعند ما اراد الشروع في ذلك طلب الامير سيف الدين قطلوبك بن قراسنقر الجاشنكير أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق بعد ما فرغ من بناء القناة وساق العين الى القدس فحضر ومعه الصناع الذين عملوا قناة عين بيت المقدس على خيل البريد الى قلعة الجبل فأنزلوا ثم اقيمت لهم الجرايات والرواتب وتوجهوا الى حلوان ووزنوا مجرى الماء وعادوا الى السلطان وصوبوا رأيه فيما قصد والتزموا بعمله فقال كم تريدون قالوا ثمانين ألف دينار فقال ليس هذا بكثير فقال كم تكون مدة العمل فيه حتى يفرغ قالوا عشر سنين فاستكثر طول المدة ويقال ان الفخر ناظر الجيش هو الذي حسن لهم أن يقولوا هذه المدة فانه لم يكن من رأيه عمل هذا الخليج ومازال يخيل للسلطان من كثرة المصروف عليه ومن خراب القرافة ما حمله على صرف رأيه عن العمل واعاد قطلوبك والصناع الى دمشق فمات قطلوبك عقيب ذلك في سنة تسع وعشرين وسبعمائة في ربيع الاول فلما كانت سنة احدى وأربعين وسبعمائة اهتم الملك الناصر بسوق الماء الى القلعة وتكثيره بها لاجل سقي الاشجار وملء الفساقي ولاجل مراحات الغنم والابقار فطلب المهندسين والبنائين ونزل معهم وسار في طول القناطر التي تحمل الماء من النيل الى القلعة حتى انتهى الى الساحل فأمر بحفر بئر أخرى ليركب عليها القناطر حتى تتصل بالقناطر العتيقة فيجتمع الماء من بئرين ويصير ماء واحدا يجري الى القلعة فيسقي الميدان وغيره فعمل ذلك ثم أحب الزيادة في الماء أيضا فركب ومعه المهندسون الى بركة الحبش وامر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ويمر الى حائط الرصد وينقر في الحجر تحت الرصد عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور ويركب على الآبار السواقي لتنقل الماء الى القناطر العتيقة التي تحمل الماء الى القلعة زيادة لمائها وكان فيما بين أول هذا المكان الذي عين لحفر الخليج وبين آخره تحت الرصد أملاك كثيرة وعدة بساتين فندب الامير أقبغا عبد الواحد لحفر هذا الخليج وشراء الاملاك من أربابها لحفر الخليج وأجراه في وسط بستان الصاحب بهاء الدين بن حنا وقطع أنشابه وهدم الدور وجمع عامة الحجارين لقطع الحجر ونقر الآبار وصار السلطان يتعاهد النزول للعمل كل قليل فعمل عمق الخليج من فم البحر أربع قصبات وعمق كل بئر في الحجر أربعين ذراعا فقدر الله تعالى موت الملك الناصر قبل تمام هذا العمل فبطل ذلك وانطم الخليج بعد ذلك وبقيت منه الى اليوم قطعة بجوار رباط الآثار ومازالت الحائط قائمة من حجر في غاية الاتقان من احكام الصنعة وجودة البناء عند سطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد قائما من الارض في طول الجرف الى أعلاه حتى هدمه الامير يلبغا السالمي في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة وأخذ ما كان به من الحجر فرم به القناطر التي تحمل الى اليوم الماء حتى يصل الى القلعة وكانت تعرف بسواقي السلطان فلما هدمت جهل أكثر الناس أمرها ونسوا ذكرها * (المطبخ) كان أولا موضعه في مكان الجامع فأدخله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فيما زاده في الجامع وبنى هذا المطبخ الموجود الآن وعمل عقوده بالحجارة خوفا من الحريق وكانت أحوال المطبخ متسعة جدا سيما في سلطنة الاشرف خليل بن قلاون فانه تبسط في المآكل وغيرها حتى لقد ذكر جماعة من الاعيان انهم اقاموا مدة سفرهم معه يرسلون كل يوم عشرين درهما فيشترى لهم بها مما يأخذه الغلمان أربع خوافق صيني مملوءة طعاما مفتخرا بالقلويات ونحوها في كل خافقية ما ينيف على خمسة عشر رطل لحم أو عشرة أطيار دجاج سمان وبلغ راتب الحوائج خاناه في ايام الملك العادل كتبغا كل يوم عشرين ألف رطل لحم ورواتب البيوت والجرايات غير أرباب الرواتب في كل يوم سبعمائة اردب قمحا واعتبر القاضي شرف الدين عبد الوهاب النشو ناظر الخاص أمر المطبخ السلطاني في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

فوجد

فوجد عدة الدجاج الذى يذبح فى كل يوم للسماط والخاصى التى تخص السلطان ويبعثها الى الامراء سبعمائة طائر وبلغ مصروف الحوايج خاناه فى كل يوم ثلاثة عشر الف درهم فاكثر اولاد الناصر من مصروفها حتى توقفت أحوال الدولة فى ايام الصالح اسماعيل وكتبت أوراق بكلف الدولة فى سنة خمس واربعين وسبعمائة فبلغت فى السنة ثلاثين الف الف درهم منها مصروف الحوايج خاناه فى كل يوم اثنان وعشرون الف درهم وبلغ فى ايام الناصر محمد بن قلاون راتب السكر فى شهر رمضان خاصة من كل سنة الف قنطار ثم تزايد حتى بلغ فى شهر رمضان سنة خمس واربعين وسبعمائة ثلاثة آلاف قنطار عنها ستمائة ألف درهم عنها ثلاثون ألف دينار مصرية وكان راتب الدور السلطانية فى كل يوم من ايام شهر رمضان ستين قنطارا من الحلوى برسم التفرقة للدور وغيرها وكانت الدولة قد توقفت احوالها فوفر من المصروف فى كل يوم اربعة آلاف رطل لحم وستمائة كماجة سميذ وثلثمائة اردب من الشعير ومبلغ ألفى درهم فى كل شهر وأضيف الى ديوان الوزارة سوق الخيل والدواب والجمال وكانت بيد عدة اجناد عوضوا عنها اقطاعات بالنواحى واعتبر فى سنة ست واربعين وسبعمائة متحصل الحاج على الطباخ فوجد له على المعاملين فى كل يوم خمسمائة درهم ولابنه احمد فى كل يوم ثلثمائة درهم سوى الاطعمة المفتخرة وغيرها وسوى ما كان يحصل له فى عمل المهمات مع كثرتها ولقد تحصل له من ثمن الروس والاكارع وسقط الدجاج والاوز فى مهم عمله للامير بكتمر الساقى ثلاثة وعشرون ألف درهم عنها نحو ألفين ومائتى دينار فأوقعت الحوطة عليه وصودر فوجد له خمسة وعشرون دارا على البحر وفى عدة اماكن واعتبر مصروف الحوايج خاناه فى سنة ثمان واربعين وسبعمائة فكان فى كل يوم اثنين وعشرين ألف رطل من اللحم * (ابراج الحمام) كان بالقلعة ابراج برسم الحمام التى تحمل البطائق وبلغت عدتها على ماذكره ابن عبد الظاهر فى كتاب تمائم الحمائم الى آخر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وستمائة ألف طائر وتسعمائة طائر وكان بها عدة من المقدمين لكل مقدم منهم جزء معلوم وكانت الطيور المذكورة لاتبرح فى الابراج بالقلعة ماعدا طائفة منها فانها فى برج بالبرقية خارج القاهرة يعرف ببرج الفيوم رتبه الامير فخر الدين عثمان بن قزل أستادار الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وقيل له برج الفيوم فان جميع الفيوم كانت فى اقطاع ابن قزل وكانت البطائق ترد اليه من الفيوم ويبعثها من القاهرة الى الفيوم من هذا البرج فاستمر هذا البرج يعرف بذلك وكان بكل مركز حمام فى سائر نواحى المملكة مصرا وشاما ما بين اسوان الى الفرات فلا تحصى عدة ما كان منها فى الثغور والطرقات الشامية والمصرية وجميعها تدرج وتنقل من القلعة الى سائر الجهات وكان لها بغال الحمل من الاصطبلات السلطانية وجامكيات البراجين والعلوفات تصرف من الاهراء السلطانية فتبلغ النفقة عليها من الاموال مالا يحصى كثرة وكانت ضريبة العلف لكل مائة طائر ربع ويبة فول فى كل يوم وكانت العادة أن لاتحمل البطاقة الا فى جناح الطائر لامور منها حفظ البطاقة من المطر وقوة الجناح ثم انهم عملوا البطاقة فى الذنب وكانت العادة اذا درج من قلعة الجبل الى الاسكندرية فلا يسرح الطائر الا من منية عقبة بالجيزة وهى أول المراكز واذا سرح الى الشرقية لايطلق الا من مسجد تبر خارج القاهرة واذا سرح الى دمياط لايسرح الا من ناحية بسوس وكان يسير مع البراجين من يوصلهم الى هذه الاماكن من الجاندارية وكذلك كانت العادة فى كل مملكة يتوخى الابعاد فى التسريح عن مستقر الحمام والقصد بذلك انها لاترجع الى ابراجها من قريب وكان يعمل فى الطيور السلطانية علائم وهى داغات فى أرجلها أو على مناقيرها ويسميها ارباب الملعوب الاصطلاح وكان الحمام اذا سقط بالبطاقة لايقطع البطاقة من الحمام الا السلطان بيده من غير واسطة وكانت لهم عناية شديدة بالطائر حتى ان السلطان اذا كان يأكل وسقط الطائر لايمهل حتى يفرغ من الاكل بل يحل البطاقة ويترك الاكل وهكذا اذا كان نائما لايمهل بل ينبه * قال ابن عبد الظاهر وهذا الذى رأينا عليه ملوكنا وكذلك فى الموكب وفى لعب الاكرة لانه بلمحة يفوت ولا يستدرك المهم العظيم امامن واصل أوهارب واما من متجدد فى الثغور قال وينبغى أن تكتب البطائق فى ورق الطير المعروف بذلك ورأيت الاوائل لايكتبون فى أولها بسملة وتورخ بالساعة واليوم لابالسنين وأنا أورخها بالسنة ولا يكثر فى نعوت المخاطب فيها ولا يذكر حشو فى الالفاظ ولا يكتب الا لب الكلام وزبدته ولا بد وأن يكتب سرح الطائر ورفيقه حتى ان تأخر الواحد ترقب حضوره اوتطلب ولايعمل للبطائق هامش ولاتجمل ويكتب آخرها حسبلة ولاتعنون الا اذا كانت منقولة مثل

أن تسرح الى السلطان من مكان بعيد فيكتب لها عنوان لطيف حتى لا يفتحها أحد وكل وال تصل اليه يكتب في ظهره انها وصلت اليه ونقلها حتى تصل مختومة قال ومما شاهدته وتوليت أمره انه في شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة حضر من جهة نائب الصبيبة نيف وأربعون طائرا صحبة البرّاجين ووصل كتابه انه درجها الى مصر فأقامت مدة لم يكن شغل تبطق فيه فقال براجوها قد أزف الوقت عليها في القرنصة وجرى الحديث مع الامير بيدار نائب السلطنة فتقرر كتب بطائق على عشرة منها بوصولها لا غير وسرحت يوم أربعا جميعها فاتفق وقوع طائرين منها فأحضرت بطائقهما وحصل الاستهزاء بها فلما كان بعد مدة وصل كتاب السلطان أنها وصلت الى الصبيبة في ذلك اليوم بعينه وبطاق بذلك في ذلك اليوم بعينه الى دمشق ووصل الخبر الى دمشق في يوم واحد وهذا مما أنا مصرفه وحاضره والمشير به * قال مؤلفه رحمه الله قد بطل الحمام من سائر المملكة الا ما ينقل من قطيا الى بلبيس ومن بلبيس الى قلعة الجبل ولا تسل بعد ذلك عن شيء وكاني بهذا القدر وقد ذهب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(ذكر ملوك مصر منذ بنيت قلعة الجبل)

اعلم أن الذين ولوا أرض مصر في الملة الاسلامية على ثلاثة اقسام * القسم الاول من ولي بفسطاط مصر منذ فتح الله تعالى أرض مصر على ايدي العرب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وتابعيهم فصارت دار اسلام الى أن قدم القائد أبو الحسين جوهر من بلاد افريقية بعساكر مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد وبنى القاهرة وهؤلاء يقال لهم امراء مصر ومدتهم ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة اشهر وستة عشر يوما أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة وآخرها يوم الاثنين سادس عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وعدة هؤلاء الامراء مائة واثنا عشر اميرا * والقسم الثاني من ولي بالقاهرة منذ بنيت الى أن مات الامام العاضد لدين الله ابو محمد عبد الله رحمه الله وهؤلاء يقال لهم الخلفاء الفاطميون ومدتهم بمصر مائتا سنة وثماني سنين واربعة اشهر واثنان وعشرون يوما أولها يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وآخرها يوم الاحد عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وعدة هؤلاء الخلفاء أحد عشر خليفة * والقسم الثالث من ملك مصر بعد موت العاضد الى وقتنا هذا الذي نحن فيه ويقال لهم الملوك والسلاطين وهم ثلاثة اقسام * القسم الاول ملوك بني أيوب وهم اكراد * والقسم الثاني البحرية وأولادهم وهم مماليك أتراك لبني أيوب * والقسم الثالث مماليك أولاد البحرية وهم جراكسة وقد تقدم في هذا الكتاب ذكر الامراء والخلفاء وستقف ان شاء الله تعالى على ذكر من ملك من الاكراد والاتراك والجراكسة وتعرف أخبارهم على ما شرطنا من الاختصار اذ قد وضعت لبسط ذلك كتابا سميته كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك وجردت تراجمهم في كتاب التاريخ الكبير المقفى فتطلبهما تجد فيهما ما لا تحتاج بعده الى سواهما في معناهما

(ذكر من ملك مصر من الاكراد)

اعلم أن الناس قد اختلفوا في الاكراد فذكر العجم أن الاكراد فضل طعم الملك بيوراسف وذلك انه كان يأمر أن يذبح له كل يوم انسانان ويتخذ طعامه من لحومهما وكان له وزير يسمى ارمايل وكان يذبح واحدا ويستحيي واحدا ويبعث به الى جبال فارس فتوالدوا في الجبال وكثروا ومن الناس من ألحقهم باماء سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على نسائه المنافقات الشيطان الذي يقال له الجسد وعصم الله تعالى منه المؤمنات فعلق منه المنافقات فلما رد الله تعالى على سليمان عليه السلام ملكه ووضع هؤلاء الاماء الحوامل من الشيطان قال اكردوهم الى الجبال والاودية فربتهم امهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد والاكراد عند الفرس من ولد كرد بن اسفندام بن منوشهر وقيل هم ينسبون الى كرد بن مرد بن عمرو ابن صعصعة بن معاوية بن بكر وقيل هم من ولد عمرو مزيقيا بن عامر ابن ماء السماء وقيل من بني حامد بن طارق من بقية أولاد حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهذه اقوال الفقهاء لهم ممن أراد الحظوة لديهم لما صار الملك اليهم وانما هم قبيل من قبائل العجم وهم قبائل عديدة كورانية بنو كوران وهذبانية وبشنوية وشاهنجانية وسرنجية وبزولية ومهرانية وزردارية وكيكانية وجاك وكرديلية ورواذية ودسنية وهكارية وحميدية وورنجية ومروانية وجلالية وسنكية وجوني وتزعم المروانية أنها من بني

مروان

مروان بن الحكم ويزعم بعض الهكارية انهم من ولد عتبة بن أبى سفيان بن حرب * وأول من ملك مصر من الاكراد الايوبية *(السلطان الملك الناصر صلاح الدين)* أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أبى الشكر أيوب ابن شادى بن مروان الكردى من قبيل الروادية أحد بطون الهذبانية نشأ أبوه أيوب وعمه أسد الدين شيركوه بلد دوين من أرض اذربيجان من جهة اران وبلاد الكرج ودخلا بغداد وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فبعث أيوب الى قلعة تكريت وأقامه بها مستحفظا لها ومعه أخوه شيركوه وهو اصغر منه سنا فخدم أيوب الشهيد زنكى لما انهزم فشكر له خدمته واتفق بعد ذلك أن شيركوه قتل رجلا بتكريت فطرد هو وأخوه أيوب من قلعتها فمضيا الى زنكى بالموصل فآواهما وأقطعهما اقطاعا عنده ثم رتب أيوب بقلعة بعلبك مستحفظا ثم انعم عليه بامرة واتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكى فى ايام أبيه وخدمه فلما ملك حلب بعد أبيه كان لنجم الدين أيوب عمل كثير فى أخذ دمشق لنور الدين فتمكنا فى دولته حتى بعث شيركوه مع الوزير شاور بن مجير السعدى الى مصر فسار صلاح الدين فى خدمته من جملة اجناده وكان من أمر شيركوه ما كان حتى مات فاقيم بعده فى وزارة العاضد ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب فى يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة ولقبه بالملك الناصر وأنزله بدار الوزارة من القاهرة فاستمال قلوب الناس واقبل على الجد وترك اللهو ونعاضد هو والقاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى رحمه الله على ازالة الدولة الفاطمية وولى صدر الدين بن درباس قضاء القضاة وعزل قضاة الشيعة وبنى بمدينة مصر مدرسة لفقهاء المالكية ومدرسة للفقهاء الشافعية وقبض على أمراء الدولة وأقام اصحابه عوضهم وأبطل المكوس بأسرها من أرض مصر ولم يزل يدأب فى ازالة الدولة حتى تم له ذلك وخطب للخليفة ببغداد المستنصر بامر الله أبى محمد الحسن العباسى وكان العاضد مريضا فتوفى بعد ذلك بثلاثة ايام واستبد صلاح الدين بالسلطنة من أول سنة سبع وستين وخمسمائة واستدعى أباه نجم الدين أيوب واخوته من بلاد الشام فقدموا عليه بأهاليهم وتأهب لغزو الفرنج وسار الى الشوبك وهى بيد الفرنج فواقعهم وعاد الى ايلة فجبى الزكوات من أهل مصر وفرقها على اصنافها ورفع الى بيت المال سهم العاملين وسهم المؤلفة وسهم المقاتلة وسهم المكاتبين وأنزل الغز بالقصر الغربى وأحاط بأموال القصر وبعث بها الى الخليفة ببغداد والى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بالشام فأتته الخلع الخليفية فلبسها ورتب نوب الطبلخاناه فى كل يوم ثلاث مرات ثم سار الى الاسكندرية وبعث ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب على عسكر الى برقة وعاد الى القاهرة ثم سار فى سنة ثمان وخمسين الى الكرك وهى بيد الفرنج فحصرها وعاد بغير طائل فبعث أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن أيوب الى بلاد النوبة فأخذ قلعة ابريم وعاد بغنائم وسبى كثير ثم سار لاخذ بلاد اليمن فملك زبيد وغيرها فلما مات نور الدين محمود بن زنكى توجه السلطان صلاح الدين فى أول صفر سنة سبعين الى الشام وملك دمشق بغير مانع وأبطل ما كان يؤخذ بها من المكوس كما ابطلها من ديار مصر وأخذ حمص وحماه وحاصر حلب وبها الملك الصالح مجير الدين اسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكى فقاتله أهلها قتالا شديدا فرحل عنها الى حمص وأخذ بعلبك بغير حصار ثم عاد الى حلب فوقع الصلح على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام مع المعرة وكفرطاب واهم ما بأيديهم وعاد فأخذ بغزاس بعد حصار وأقام بدمشق وندب قراقوش التقوى لاخذ بلاد المغرب فأخذ أيجلن وعاد الى القاهرة وكانت بين السلطان وبين الحلبيين وقعة هزمهم فيها وحصرهم بحلب اياما وأخذ بزاعة ومنبج وعزاز ثم عاد الى دمشق وقدم القاهرة فى سادس عشرى ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين بعد ما كانت لعساكره حروب كثيرة مع الفرنج فأمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وأقام على بنائه الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى فشرع فى بناء قلعة الجبل وعمل السور وحفر الخندق حوله وبدأ السلطان بعمل مدرسة بجوار قبر الامام الشافعى رضى الله عنه فى القرافة وعمل مارستانا بالقاهرة وتوجه الى الاسكندرية فصام بها شهر رمضان وسمع الحديث على الحافظ أبى طاهر أحمد السلفى وعمر الاسطول وعاد الى القاهرة وأخرج قراقوش التقوى الى بلاد المغرب وأمر بقطع ما كان يؤخذ من الحجاج وعوض امير مكة عنه فى كل سنة ألفى دينار وألف اردب غلة سوى اقطاعه بصعيد مصر وباليمن ومبلغه ثمانية آلاف اردب ثم سار من القاهرة فى جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين الى عسقلان وهى بيد الفرنج وقتل وأسر وسبى وغنم ومضى يريدهم بالرملة

فقاتل البرنس ارباط متملك الكرك قتالا شديدا ثم عاد الى القاهرة ثم سار منها فى شعبان يريد الفرنج وقد نزلوا على حماه حتى قدم دمشق وقد رحلوا عنها فواصل الغارات على بلاد الفرنج وعساكره تغزو بلاد المغرب ثم فتح بيت الاحزان من عمل صفد وأخذه من الفرنج عنوة وسار فى سنة ست وسبعين لحرب فتح الدين قليج ارسلان صاحب قونيه من بلاد الروم وعاد ثم توجه الى بلاد الارمن وعاد فخرّب حصن بهنسا ومضى الى القاهرة فقدمها فى ثالث عشر شعبان ثم خرج الى الاسكندرية وسمع بها موطأ الامام مالك على الفقيه أبى طاهر بن عوف وأنشأ بها مارستانا ودارا للمغاربة ومدرسة وجدّد حفر الخليج ونقل فوهته ثم مضى الى دمياط وعاد الى القاهرة ثم سار فى خامس المحرّم سنة ثمان وسبعين على ايلة فاغار على بلاد الفرنج ومضى الى الكرك فعاثت عساكره ببلاد طبرية وعكا وأخذ الشقيف من الفرنج ونزل السلطان بدمشق وركب الى طبرية فواقع الفرنج وعاد فتوجه الى حلب ونازلها ثم مضى الى البيرة على الفرات وعدّى الى الرها فأخذها وملك حرّان والرقة ونصيبين وحاصر الموصل فلم ينل منها غرضا فنازل سنجار حتى أخذها ثم مضى على حرّان الى آمد فأخذها وسار على عين تاب الى حلب فملكها فى ثامن عشر صفر سنة تسع وسبعين وعاد الى دمشق وعبر الاردن وحرّق بيسان على الفرنج وخرّب لهم عدّة حصون وعاد الى دمشق ثم سار الى الكرك فلم ينل منها غرضا وعاد ثم خرج فى سنة ثمانين من دمشق فنازل الكرك ثم رحل عنها الى نابلس فحرّقها واكثر من الغارات حتى دخل دمشق ثم سار منها الى حماه ومضى حتى بلغ حرّان ونزل على الموصل وحصرها ثم سار عنها الى خلاط فلم يملكها فمضى حتى أخذ ميافارقين وعاد الى الموصل ثم رحل عنها وقد مرض الى حرّان فتقرّر الصلح مع المواصلة على أن خطبوا له بها وبديار بكر وجميع البلاد الارتقية وضرب السكة فيها باسمه ثم سار الى دمشق فقدمها فى ثانى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وخرج منها فى أوّل سنة ثلاث وثمانين ونازل الكرك والشوبك وطبرية فملك طبرية فى ثالث عشرى ربيع الآخر من الفرنج ثم واقعهم على حطين وهم فى خمسين ألفا فهزمهم بعد وقائع عديدة وأسر منهم عدّة ملوك ونازل عكا حتى تسلمها فى ثانى جمادى الاولى وأنقذ منها أربعة آلاف أسير مسلم من الاسر وأخذ مجدل يافا وعدّة حصون منها الناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية والشقيف والنولة والطور وسبسطيه ونابلس وتبنين وصرخد وصيدا وبيروت وجبيل وأنقذ من هذه البلاد زيادة على عشرين ألف أسير مسلم كانوا فى أسر الفرنج وأسر من الفرنج مائة ألف انسان ثم ملك منهم الرملة وبلد الخليل عليه السلام وبيت لحم من القدس ومدينة عسقلان ومدينة غزة وبيت جبريل ثم فتح بيت المقدس فى يوم الجمعة سابع عشرى رجب وأخرج منه ستين ألفا من الفرنج بعد ما أسر ستة عشر ألفا ما بين ذكر وأنثى وقبض من مال المفاداة ثلثمائة ألف دينار مصرية وأقام الجمعة بالاقصى وبنى بالقدس مدرسة للشافعية وقرّر على من يرد كنيسة قمامة من الفرنج قطيعة يؤديها ثم نازل عكا وصور ونازل فى سنة أربع وثمانين حصن كوكب وندب العساكر الى صفد والكرك والشوبك وعاد الى دمشق فدخلها سادس ربيع الاول وقد غاب عنها فى هذه الغزوة أربعة عشر شهرا وخمسة ايام ثم خرج منها بعد خمسة ايام فشنّ الغارات على الفرنج وأخذ منهم أنطرسوس وخرّب سورها وحرّقها وأخذ جبلة واللاذقية وصهيون والشغر وبكاس وبقراص ثم عاد الى دمشق آخر شعبان بعدما دخل حلب فملكت عساكره الكرك والشوبك والسلع فى شهر رمضان وخرج بنفسه الى صفد وملكها من الفرنج فى رابع عشر شوّال وملك كوكب فى نصف ذى القعدة وسار الى القدس ومضى بعد النحر الى عسقلان ونزل بعكا وعاد الى دمشق أوّل صفر سنة خمس وثمانين ثم سار منها فى ثالث ربيع الاوّل ونازل شقيف أرنون وحارب الفرنج حروبا كثيرة ومضى الى عكا وقد نزل الفرنج عليها وحصروا من بها من المسلمين فنزل بمرج عكا وقاتل الفرنج من أوّل شعبان حتى انقضت السنة وقد خرج الالمان من قسطنطينية فى زيادة على ألف ألف يريد بلاد الاسلام فاشتدّ الامر ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج والامداد تصل اليه وقدم الالمان طرسوس يريد بيت المقدس فخرّب السلطان سور طبرية ويافا وارسوف وقيسارية وصيدا وجبيل وقوى الفرنج بقدوم ابن الالمان اليهم تقوية لهم وقد مات ابوه بطرسوس وملك بعده فقدّر الله تعالى موته أيضا على عكا ودخلت سنة سبع وثمانين فملك الفرنج عكا فى سابع عشر جمادى الآخرة وأسروا من بها من المسلمين وحاربوا السلطان وقتلوا جميع من أسروه من المسلمين وساروا الى عسقلان فرحل السلطان فى أثرهم وواقعهم بأرسوف فانهزم

من

من معه وهو ثابت حتى عادوا اليه فقاتل الفرنج وسبقهم الى عسقلان وخربها ثم مضى الى الرملة وخرب حصنها وخرب كنيسة لد ودخل القدس فأقام بها الى عاشر رجب سنة ثمان وثمانين ثم سار الى يافا فأخذها بعد حروب وعاد الى القدس وعقد الهدنة بينه وبين الفرنج مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر أولها حادى عشر شعبان على أن للفرنج من يافا الى عكا الى صور وطرابلس وانطاكية ونودى بذلك فكان يوما مشهودا وعاد السلطان الى دمشق فدخلها خامس عشرى شوال وقد غاب عنها أربع سنين فمات بها فى يوم الاربعاء سابع عشرى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة عن سبع وخمسين سنة منها مدة ملكه بعد موت العاضد اثنتان وعشرون سنة وستة عشر يوما فقام من بعده بمصر ولده * (السلطان الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان) * وقد كان يومئذ ينوب عنه بمصر وهو مقيم بدار الوزارة من القاهرة وعنده جل عساكر أبيه من الاسدية والصلاحية والاكراد فأتاه ممن كان عند أخيه الملك الافضل على الامير فخر الدين جهاركس والامير فارس الدين ميمون القصرى والامير شمس الدين سنقر الكبير وهم عظماء الدولة فأكرمهم وقدم عليه القاضى الفاضل فبالغ فى كرامته وتنكر ما بينه وبين أخيه الافضل فسار من مصر لمحاربته وحصره بدمشق فدخل بينهما العادل أبو بكر حتى عاد العزيز الى مصر على صلح فيه دخل فلم يتم ذلك وتوحش ما بينهما وخرج العزيز ثانيا الى دمشق فدبر عليه عمه العادل حتى كاد أن يزول ملكه وعاد خائفا فسار اليه الافضل والعادل حتى نزلا بلبيس فجرت أمور آلت الى الصلح وأقام العادل مع العزيز بمصر وعاد الافضل الى مملكته بدمشق فقام العادل بتدبير امور الدولة وخرج بالعزيز لمحاربة الافضل فحصراه بدمشق حتى أخذاها منه بعد حروب وبعثاه الى صرخد وعاد العزيز الى مصر وأقام العادل بدمشق حتى مات العزيز فى ليلة العشرين من محرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة عن سبع وعشرين سنة وأشهر منها مدة سلطنته بعد أبيه ست سنين تنقص شهرا واحدا فأقيم بعده ابنه * (السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد) * وعمره تسع سنين وأشهر بعهد من أبيه وقام بامور الدولة بهاء الدين قراقوش الاسدى الاتابك فاختلف عليه أمراء الدولة وكاتبوا الملك الافضل على بن صلاح الدين فقدم من صرخد فى خامس ربيع الاول فاستولى على الامور ولم يبق للمنصور معه سوى الاسم ثم سار به من القاهرة فى ثالث رجب يريد أخذ دمشق من عمه العادل بعد ما قبض على عدة من الامراء وقد توجه العادل الى ماردين فحصر الافضل دمشق وقد بلغ العادل خبره فعاد وسار بريده حتى دخل دمشق فجرت حروب كثيرة آلت الى عود الافضل الى مصر بمكيدة دبرها عليه العادل وخرج العادل فى أثره وواقعه على بلبيس فكسره فى سادس ربيع الآخر سنة ست وتسعين والتجأ الى القاهرة وطلب الصلح فعوضه العادل صرخد ودخل الى القاهرة فى يوم السبت ثامن عشره وأقام بأتابكية المنصور ثم خلعه فى يوم الجمعة حادى عشر شوال وكانت سلطنته سنة وثمانية اشهر وعشرين يوما واستبد بالسلطنة بعده عم أبيه * (السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ابن أيوب) * فخطب له بديار مصر وبلاد الشام وحران والرها وميافارقين وأخرج المنصور واخوته من القاهرة الى الرها واستناب ابنه الملك الكامل محمدا عنه وعهد اليه بعده بالسلطنة وحلف له الامراء فسكن قلعة الجبل واستمر أبوه فى دار الوزارة وفى ايامه توقفت زيادة النيل ولم يبلغ سوى ثلاثة عشر ذراعا تنقص ثلاثة أصابع وشرقت أراضى مصر الا الاقل وغلت الاسعار وتعذر وجود الاقوات حتى أكلت الجيف وحتى اكل الناس بعضهم بعضا وتبع ذلك فناء كبير وامتد ذلك ثلاث سنين فبلغت عدة من كفنه العادل وحده من الاموات فى مدة يسيرة نحو مائتى ألف وعشرين ألف انسان فكان بلاء شنيعا وعقب ذلك تحرك الفرنج على بلاد المسلمين فى سنة تسع وتسعين فكانت معهم عدة حروب على بلاد الشام آلت الى أن عقد العادل معهم الهدنة فعاودوا الحرب فى سنة ستمائة وعزموا على أخذ القدس وكثر عبثهم وفسادهم وكانت لهم وللمسلمين شؤون آلت الى نزولهم على مدينة دمياط فى رابع ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة والعادل يومئذ بالشام فخرج الملك الكامل لمحاربتهم فمات العادل بمرج الصفر فى يوم الخميس سابع جمادى الآخرة منها وحمل الى دمشق فكانت مدة سلطنته بديار مصر تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما * وقام من بعده ابنه (السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد) بعهد أبيه فأقام فى السلطنة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما ومات بدمشق يوم الاربعاء حادى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة * واقيم بعده ابنه (السلطان

الملك العادل سيف الدين أبو بكر) فاشتغل باللهو عن التدبير وخرجت عنه حلب واستوحش منه الامراء لتقريبه الشباب وسار أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الشرق الى دمشق وأخذها فى أول جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وجرت له امور آخرها انه سار الى مصر فقبض الامراء على العادل وخلعوه يوم الجمعة ثامن ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة فكانت سلطنته سنتين وثلاثة اشهر وتسعة ايام * وقام بعده بالسلطنة أخوه (السلطان الملك الصالح نجم الدين أبو الفتوح أيوب) فاستولى على قلعة الجبل فى يوم الاحد رابع عشرى ذى القعدة وجلس على سرير الملك بها وكان قد خطب له قبل قدومه فضبط الامور وقام باعباء المملكة أتم قيام وجمع الاموال التى اتلفها أخوه وقبض على الامراء ونظر فى عمارة أرض مصر وحارب عربان الصعيد وقدم مماليكه وأقام منهم أمراء وبنى قلعة الروضة وتحول من قلعة الجبل اليها وسكنها وملك مكة وبعث لغزو اليمن وعمر المدارس الصالحية بين القصرين من القاهرة وقرر بها دروسا أربعة للشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة وفى ايامه نزل الفرنج على دمياط فى ثالث عشرى صفر سنة سبع وأربعين وعليهم الملك روادفرنس وملكوها وكان السلطان بدمشق فقدم عندما بلغه حركة الفرنج ونزل اشموم طناح وهو مريض فمات بناحية المنصورة مقابل الفرنج فى يوم الاحد رابع عشر شعبان منها وكانت مدة سلطنته بعد أخيه تسع سنين وثمانية اشهر وعشرين يوما فقامت أم ولده خليل واسمها شجرة الدر بالامر وكتمت موته واستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا وسلمت اليه مقاليد الامور * فقام من بعده ابنه (السلطان الملك المعظم غياث الدين توران شاه) وقد سار من حصن كيفا فى نصف شهر رمضان فمر على دمشق وتسلطن بقلعتها فى يوم الاثنين لليلتين بقيتا منه وركب الى مصر فنزل الصالحية طرف الرمل لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة فأعلن حينئذ بموت الصالح ولم يكن أحد قبل ذلك يتفوه بموت السلطان بل كانت الامور على حالها والخدمة تعمل بالدهليز والسماط يمد وشجرة الدر تدبر أمور الدولة وتوهم الكافة أن السلطان مريض ما لاحد عليه سبيل ولا وصول ثم سار المعظم من الصالحية الى المنصورة فقدمها يوم الخميس حادى عشريه فأساء تدبير نفسه وتهدد البحرية حتى خافوه وهم يومئذ جمرة العسكر فقتلوه بعد سبعين يوما فى يوم الاثنين تاسع عشرى المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة وبموته انقضت دولة بنى أيوب من ديار مصر بعدما أقامت احدى وثمانين سنة وسبعة عشر يوما وملك منهم ثمانية ملوك

(ذكر دولة المماليك البحرية)

وهم الملوك الاتراك وكان ابتداء أمر هذه الطائفة أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب كان قد أقره أبوه السلطان الملك الكامل محمد ببلاد الشرق وجعل ابنه العادل أبا بكر ولى عهده فى السلطنة بمصر فلما مات قام من بعده العادل فى السلطنة وتنكر ما بينه وبين ابن عمه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل أبى بكر ابن أيوب وهو نائب دمشق فاستدعى الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الشرق ورتب ابنه المعظم توران شاه على بلاد الشرق وأقره بحصن كيفا وقدم دمشق وملكها فكاتبه أمراء مصر تحثه على أخذها من أخيه العادل وخامر عليه بعضهم فسار من دمشق فى رمضان سنة ست وثلاثين فانزعج العادل انزعاجا كبيرا وكتب الى الناصر داود صاحب الكرك فسار اليه ليعاونه على أخيه الصالح فاتفق مسير الملك الصالح اسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب من حماه وأخذه دمشق للملك العادل أبى بكر بن الملك الكامل محمد فى سابع عشرى صفر سنة سبع وثلاثين والملك الصالح نجم الدين أيوب يومئذ على نابلس فانحل أمره وفارقه من معه حتى لم يبق معه الا مماليكه وهم نحو الثمانين وطائفة من خواصه نحو العشرين وأما الجميع فانهم مضوا الى دمشق وكان الناصر داود قد فارق العادل وسار من القاهرة مغاضبا له الى الكرك ومضى الى الصالح نجم الدين أيوب وقبضه بنابلس فى ثانى عشر ربيع الاول منها وحبسه بالكرك فأقام مماليك الصالح بالكرك حتى خلص من سجنه فى سابع عشرى شهر رمضان منها فاجتمع عليه مماليكه وقد عظمت مكانتهم عنده وكان من أمره ما كان حتى ملك مصر فرعى لهم ثباتهم معه حين تفرق عنه الاكراد واكثر من شرائهم وجعلهم أمراء دولته وخاصته وبطانته والمحيطين بدهليزه اذا سافر وأسكنهم معه فى قلعة الروضة وسماهم البحرية وكانوا دون الالف مملوك قيل ثمانمائة وقيل سبعمائة وخمسون كلهم اتراك فلما مات الملك الصالح بالمنصورة أحس الفرنج بشئ من ذلك

وركبوا

فركبوا من مدينة دمياط وساروا على فارسكور وواقعوا العسكر فى يوم الثلاثاء أوّل شهر رمضان سنة سبع واربعين ونزلوا بقرية شرمشاح ثم بالبرمون ونزلوا تجاه المنصورة فكانت الحروب بين الفريقين الى خامس ذى القعدة فلم يشعر المسلمون الا والفرنج معهم فى المعسكر فقتل الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ وانهزم الناس ووصل روادفرنس ملك الفرنج الى باب قصر السلطان فبرزت البحرية وحملوا على الفرنج حملة منكرة حتى ازاحوهم وولوا فأخذتهم السيوف والدبابيس وقتل من اعيانهم ألف وخمسمائة فظهرت البحرية من يومئذ واشتهرت ثم لما قدم الملك المعظم توران شاه أخذ فى تهديد شجرة الدرّ ومطالبتها بمال ابيه فكاتبت البحرية تذكرهم بما فعلته من ضبط المملكة حتى قدم المعظم وما هى فيه من الخوف منه فشق ذلك عليهم وكان قد وعد الفارس اقطاى المتوجه اليه من المنصورة لاستدعائه من حصن كيفا بامرة فلم يف له فتنكر له وهو من اكابر البحرية وأعرض مع ذلك عن البحرية واطرح جانب الامراء وغيرهم حتى قتلوه * وأجمعوا على أن يقيموا بعده فى السلطنة سرّية أستاذهم * (الملكة عصمة الدين أم خليل شجرة الدر الصالحية) * فأقاموها فى السلطنة وحلفوا لها فى عاشر صفر ورتبوا الامير عزالدين أيبك التركمانى الصالحى أحد البحرية مقدّم العسكر وسار عزالدين أيبك الرومى من العسكر الى قلعة الجبل وأنهى ذلك الى شجرة الدرّ فقامت بتدبير المملكة وعلمت على التواقيع بما مثاله والدة خليل ونقش على السكة اسمها ومثاله المستعصمة الصالحية ملكة المسلمين والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين وكانت البحرية قد تسلمت مدينة دمياط من الملك روادفرنس بعد ما قرّر على نفسه أربعمائة ألف دينار وعاد العسكر من المنصورة الى القاهرة فى تاسع صفر وحلفوا لشجرة الدرّ فى ثالث عشره فخلعت عليهم وأنفقت فيهم الاموال ولم يوافق أهل الشام على سلطنتها وطلبوا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز صاحب حلب فسار اليهم بدمشق وملكها فانزعج العسكر بالقاهرة وتزوّج الامير عزالدين أيبك التركمانى بالملكة شجرة الدرّ ونزلت له عن السلطنة وكانت مدتها ثمانين يوما وملك بعدها * (السلطان الملك المعز عزالدين أيبك الجاشنكير التركمانى الصالحى) * أحد المماليك الاتراك البحرية وكان قد انتقل الى الملك الصالح من اولاد ابن التركمانى فعرف بالتركمانى ورقاه فى خدمه حتى صار من جملة الامراء ورتبه جاشنكيره فلما مات الصالح وقدّمته البحرية عليهم فى سلطنة شجرة الدرّ كتب اليهم الخليفة المستعصم من بغداد يذمّهم على اقامة امرأة ووافق مع ذلك أخذ الناصر لدمشق وحركتهم لمحاربته فوقع الاتفاق على اقامة أيبك فى السلطنة فأركبوه بشعار السلطنة فى يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين وستمائة ولقبوه بالملك المعز وجلس على تخت الملك بقلعة الجبل فورد الخبر من الغد بأخذ الملك المغيث عمر بن العادل الصغير الكرك والشوبك وأخذ الملك السعيد قلعة الصبيبة فاجتمع رأى الامراء على اقامة الاشرف مظفر الدين موسى بن الناصر ويقال المسعود يوسف بن الملك المسعود يوسف ويقال طسز ويقال أيضا اقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب شريكا للمعز فى السلطنة فأقاموه معه وعمره نحو ست سنين فى خامس جمادى الاولى وصارت المراسيم تبرز عن الملكين الا أن الامر والنهى للمعز وليس للاشرف سوى مجرّد الاسم وولى المعز الوزارة لشرف الدين أبى سعيد هبة الله بن صاعد الفائزى وهو أوّل قبطى ولى وزارة مصر وخرج المعز بالعساكر وعربان مصر لمحاربة الناصر يوسف فى ثالث ذى القعدة وخيم بمنزلة الصالحية وترك الاشرف بقلعة الجبل واقتتل مع الناصر فى عاشره فكانت النصرة له على الناصر وعاد فى ثانى عشره فنزل بالناس من البحرية بلاء لا يوصف ما بين قتل ونهب وسبى بحيث لو ملك الفرنج بلاد مصر ما زادوا فى الفساد على ما فعله البحرية وكان كبراؤهم ثلاثة الامير فارس الدين اقطاى وركن الدين بيبرس البندقدارى وبلبان الرشيدى ثم فى محرّم سنة تسع وأربعين خرج المعز بالاشرف والعساكر فنزل بالصالحية وأقام بها نحو سنتين والرسل تتردّد بينه وبين الناصر وأحدث الوزير الاسعد هبة الله الفائزى مظالم لم تعهد بمصر قبله فورد الخبر فى سنة خمسين بحركة التتر على بغداد فقطع المعز من الخطبة اسم الاشرف وانفرد بالسلطنة وقبض على الاشرف وسجنه وكان الاشرف موسى آخر ملوك بنى أيوب بمصر ثم ان المعز جمع الاموال فأحدث الوزير مكوسا كثيرة سماها الحقوق السلطانية وعاد المعز الى قلعة الجبل فى سنة احدى وخمسين وأوقع بعرب الصعيد وقبض على الشريف حصن الدين ثعلب بن ثعلب وأذل سائر عرب الوجهين القبلى والبحرى وأفناهم قتلا وأسرا وسبيا وزاد فى القطيعة

على من بقى منهم حتى ذلوا وقلوا ثم قتل الفارس اقطاى ففرّ منه معظم البحرية بيبرس وقلاون فى عدد كثير منهم الى الشام وغيرها ولم يزل الى أن قتلته شجرة الدرّ فى الحمام ليلة الاربعاء رابع عشرى ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة فكانت مدّته سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يوما وكان ظلوما غشوما سفاكا للدماء افنى عوالم كثيرة بغير ذنب وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك المنصور نور الدين علىّ بن المعز أيبك) * فى يوم الخميس خامس عشرى ربيع الاول وعمره خمس عشرة سنة فدبر أمره نائب ابيه الامير سيف الدين قطز ثم خلعه فى يوم السبت رابع عشرى ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة فكانت مدّته سنتين وثمانية اشهر وثلاثة ايام وقام من بعده * (السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز) * فى يوم السبت وأخرج المنصور بن المعز منفيا هو وأمّه الى بلاد الاشكرىّ وقبض على عدّة من الامراء وسار فأوقع بجمع هولاكو على عين جالوت وهزمهم فى يوم الجمعة خامس عشرى رمضان سنة ثمان وخمسين وقتل منهم وأسر كثيرا بعد ما ملكوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله عبد الله وأزالوا دولة بنى العباس وخربوا بغداد وديار بكر وحلب ونازلوا دمشق فملكوها فكانت هذه الوقعة أول هزيمة عرفت للتتر منذ قاموا ودخل المظفر قطز الى دمشق وعاد منها يريد مصر فقتله الامير ركن الدين بيبرس البندقدارىّ قريبا من المنزلة الصالحية فى يوم السبت نصف ذى القعدة منها فكانت مدّته سنة تنقص ثلاثة عشر يوما وقام من بعده * (السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارىّ الصالحىّ) * التركىّ الجنس أحد المماليك البحرية وجلس على تخت السلطنة بقلعة الجبل فى سابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين فلم يزل حتى مات بدمشق فى يوم الخميس سابع عشرى المحرّم سنة ست وسبعين وستمائة فكانت مدّته سبع عشرة سنة وشهرين واثنى عشر يوما وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركة قان) * وهو يومئذ بقلعة الجبل ينوب عن أبيه وقد عهد اليه بالسلطنة وزوّجه بابنة الامير سيف الدين قلاون الالفىّ فجلس على التخت فى يوم الخميس سادس عشرى صفر سنة ست وسبعين الى أن خلعه الامراء فى سابع ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وكانت مدّته سنتين وشهرين وثمانية ايام لم يحسن فيها تدبير ملكه وأوحش ما بينه وبين الامراء فأقيم بعده أخوه * (السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس) * وعمره سبع سنين وأشهر وقام بتدبيره الامير قلاون اتابك العساكر ثم خلعه بعد مائة يوم وبعث به الى الكرك فسجن مع أخيه بركة بها وقام من بعده * (السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفىّ العلائىّ الصالحىّ) * أحد المماليك الاتراك البحرية كان قبجاقى الجنس من قبيلة برج اغلى فجلب صغيرا واشتراه الامير علاء الدين آق سنقر الساقى العادلىّ بألف دينار وصار بعد موته الى الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة سبع وأربعين وستمائة فجعله من جملة البحرية فتنقلت به الاحوال حتى صار أتابك العساكر فى ايام العادل سلامش وذكر اسمه مع العادل على المنابر ثم جلس على التخت بقلعة الجبل فى يوم الاحد العشرين من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وتلقب بالملك المنصور وأبطل عدّة مكوس فثار عليه الامير شمس الدين سنقر الاشقر بدمشق وتسلطن ولقب نفسه بالملك الكامل فى يوم الجمعة رابع عشرى ذى الحجة فبعث اليه وهزمه واستعاد دمشق ثم قدمت التتر الى بلاد حلب وعاثوا بها فتوجه اليهم السلطان بعساكره وأوقع بهم على حمص فى يوم الخميس رابع عشرى رجب سنة ثمانين وستمائة وهزمهم بعد مقتلة عظيمة وعاد الى قلعة الجبل وتوجه فى سنة اربع وثمانين حتى نازل حصن المرقب ثمانية وثلاثين يوما وأخذه عنوة من الفرنج وعاد الى القلعة ثم بعث العسكر فغزا بلاد النوبة فى سنة سبع وثمانين وعاد بغنائم كثيرة ثم سار فى سنة ثمان وثمانين لغزو الفرنج بطرابلس فنازلها أربعة وثلاثين يوما حتى فتحها عنوة فى رابع ربيع الآخر وهدمها جميعها وأنشأ قريبا منها مدينة طرابلس الموجودة الآن وعاد الى قلعة الجبل وبعث لغزو النوبة ثانيا عسكرا فقتلوا وأسروا وعادوا ثم خرج لغزو الفرنج بعكا وهو مريض فمات خارج القاهرة ليلة السبت سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة فكانت مدّته احدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوما وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل) * فى يوم الاحد سابع ذى القعدة المذكور وسار لفتح عكا فى ثالث ربيع الاول سنة تسعين وستمائة ونصب عليها اثنين وتسعين منجنيقا وقاتل من بها من الفرنج أربعة وأربعين يوما حتى فتحها عنوة فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى وهدمها

كلها بما فيها وحرّقها وأخذ صور وحيفا وعثليت وانطرسوس وصيدا وهدمها واجلى الفرنج من الساحل فلم يبق منهم أحد ولله الحمد وتوجه الى دمشق وعاد الى مصر فدخل قلعة الجبل يوم الاثنين تاسع شعبان ثم خرج فى ثامن ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وستمائة بعد ما نادى بالنفير للجهاد فدخل دمشق وعرض العساكر ومضى منها فمرّ على حلب ونازل قلعة الروم ونصب عليها عشرين منجنيقا حتى فتحها بعد ثلاثة وثلاثين يوما عنوة وقتل من بها من النصارى الارمن وسبى نساءهم وأولادهم وسماها قلعة المسلمين فعرفت بذلك وعاد الى مصر فدخل قلعة الجبل فى يوم الاربعاء ثانى ذى القعدة وسار فى رابع المحرم سنة اثنتين وتسعين حتى بلغ مدينة قوص من صعيد مصر ونادى فيها بالتجهز لغزو اليمن وعاد ثم سار مخفا على الهجن فى البرية الى الكرك ومضى الى دمشق فقدمها فى تاسع جمادى الآخرة وقصد غزو بهنسا وأخذها من الارمن فقدموا اليه وسلموها من تلقاء انفسهم وسلموا أيضا مرعش وتل حمدون ومضى من دمشق فى ثانى رجب وعبر من حمص الى سلمية وهجم على الامير مهنا بن عيسى وقبضه واخوته وحملهم فى الحديد الى قلعة الجبل وعاد الى دمشق ثم رجع الى مصر فقدم قلعة الجبل فى ثامن عشرى رجب ثم توجه للصيد فبلغ الطرانة وانفرد فى نفر يسير ليصطاد فاقتحم عليه الامير بيدار فى عدة معه وقتلوه فى يوم السبت ثانى عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأربعة ايام ثم حمل ودفن بمدرسة الاشرفية واقيم من بعده أخوه * (السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون) * وعمره سبع سنين وقام الامير زين الدين كتبغا بتدبيره ثم خلعه بعد سنة تنقص ثلاثة أيام وقام من بعده * (السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى) * أحد مماليك الملك المنصور قلاون وجلس على التخت بقلعة الجبل فى يوم الاربعاء حادى عشر المحرم سنة اربع وتسعين وتلقب بالملك العادل فكانت ايامه شر أيام لما فيها من قصور مدّ النيل وغلاء الاسعار وكثرة الوباء فى الناس وقدوم الاويراتية فقام عليه نائبه الامير حسام الدين لاجين وهو عائد من دمشق بمنزلة العرجاء فى يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم سنة ست وتسعين ففرّ الى دمشق واستولى لاجين على الامر فكانت مدته سنتين وسبعة عشر يوما وقدم لاجين بالعسكر الى مصر وقام فى السلطنة * (السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى) * أحد مماليك المنصور قلاون وجلس على التخت بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور فى يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم المذكور واستناب مملوكه منكوتمر فنفرت القلوب عنه حتى قتل فى ليلة الجمعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة فكانت مدته سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما ودبر الامراء بعده أمور الدولة حتى قدم من الكرك * (السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون) * وأعيد الى السلطنة مرّة ثانية فى يوم الاثنين سادس جمادى الاولى وقام بتدبير الامور الاميران سلار نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير أستادار حتى سار كأنه يريد الحج فمضى الى الكرك وانخلع من السلطنة فكانت مدته تسع سنين وستة اشهر وثلاثة عشر يوما فقام من بعده * (السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير) * أحد مماليك المنصور قلاون فى يوم السبت ثالث عشرى ذى الحجة سنة ثمان وسبعمائة حتى فرّ من قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان سنة تسع وسبعمائة فكانت مدته عشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما ثم قدم من الشام فى العساكر * (السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون) * وأعيد الى السلطنة مرّة ثالثة فى يوم الخميس ثانى شوّال منها فاستبد بالامر حتى مات فى ليلة الخميس حادى عشرى ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وكانت مدته الثالثة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما ودفن بالقبة المنصورية على أبيه واقيم بعده ابنه * (السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر) * بعهد أبيه فى يوم الخميس حادى عشرى ذى الحجة وقام الامير قوصون بتدبير الدولة ثم خلعه بعد تسعة وخمسين يوما فى يوم الاحد لعشرين من صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة واقام بعده أخاه * (السلطان الملك الاشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاون) * ولم يكمل له من العمر ثمان سنين فتنكرت قلوب الامراء على قوصون وحاربوه وقبضوا عليه كما ذكر فى ترجمته وخلعوا الاشرف فى يوم الخميس أوّل شعبان فكانت مدته خمسة اشهر وعشرة أيام وقام الامير أيدغمش بامر الدولة وبعث يستدعى من بلاد الكرك * (السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاون) * وكان مقيما بقلعة الكرك من أيام أبيه فقدم على البريد فى عشرة من اهل الكرك ليلة الخميس ثامن عشرى شهر رمضان وعبر الدور من قلعة

الجبل بمن قدم معه واحتجب عن الامراء ولم يخرج لصلاة العيد ولا حضر السماط على العادة الى أن لبس شعار السلطنة وجلس على التخت فى يوم الاثنين عاشر شوال وقلوب الامراء نافرة منه لاعراضه عنهم فساءت سيرته ثم خرج الى الكرك فى يوم الاربعاء ثانى ذى القعدة واستخلف الامير آق سنقر السلارى نائب الغيبة فلما وصل قبة النصر نزل عن فرسه ولبس ثياب العرب ومضى مع خواصه أهل الكرك على البريد وترك الاطلاب فسارت على البر حتى وافته بالكرك فرد العسكر الى بلد الخليل وأقام بقلعة الكرك وتصرف اقبح تصرف فخلعه الامراء فى يوم الاربعاء حادى عشرى المحرم سنة ثلاث وأربعين فكانت مدته ثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوما واقاموا بعده أخاه * (السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل) * فى يوم الخميس ثانى عشرى المحرم المذكور وقام الامير ارغون زوج أمه بتدبير المملكة مع مشاركة عدة من الامراء وسارت الامراء والعساكر لقتال الناصر أحمد فى الكرك حتى أخذ وقتل فلما احضرت رأسه الى السلطان الصالح ورآها فزع ولم يزل يعتاده المرض حتى مات ليلة الخميس رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأحد عشر يوما وأقام بعده أخوه * (السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان) * بعهد أخيه وجلس على التخت من غد فأوحش ما بينه وبين الامراء حتى ركبوا عليه فركب لقتالهم فلم يثبت من معه وعاد الى القلعة منهزما فتبعه الامراء وخلعوه وذلك فى يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يوما فأقيم بعده أخوه * (السلطان الملك المظفر زين الدين حاجى) * من يومه فساءت سيرته وانهمك فى اللعب فركب الامراء عليه فركب اليهم وحاربهم فخانه من معه وتركوه حتى أخذ وذبح فى يوم الاحد ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وكانت مدته سنة وثلاثة اشهر واثنى عشر يوما واقيم من بعده أخوه * (السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى حسن بن محمد) * فى يوم الثلاثاء رابع عشره وعمره احدى عشرة سنة فلم يكن له من الامر شئ والقائم بالامر الامير شيخو العمرى فلما أخذ فى الاستبداد بالتصرف خلع وسجن فى يوم الاثنين ثامن عشرى جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين فكانت مدته أربع سنين تنقص خمسة عشر يوما منها تحت الحجر ثلاث سنين ونيف ومدة استبداده نحو من تسعة اشهر واقيم من بعده أخوه * (السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح) * فى يوم الاثنين المذكور فكثر لهوه وخرج عن الحد فى التبذل واللعب فثار عليه الاميران شيخو وطاز وقبضا عليه وسجناه بالقلعة فى يوم الاثنين ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فكانت مدته ثلاث سنين وثلاثة اشهر وثلاثة ايام وأعيد * (السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون) * فى يوم الاثنين المذكور فأقام حتى قام عليه مملوكه الامير يلبغا الخاصكى وقتله فى ليلة الاربعاء تاسع جمادى الاولى سنة اثنتين وستين فكانت مدته هذه ست سنين وسبعة اشهر وسبعة أيام واقيم من بعده ابن أخيه * (السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجى بن محمد بن قلاون) * وعمره أربع عشرة سنة فى يوم الاربعاء المذكور وقام بالامر الامير يلبغا ثم خلعه وسجنه بالقلعة فى يوم الاثنين رابع عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة واقام بعده * (السلطان الملك الاشرف زين الدين ابا المعالى شعبان بن حسين ابن الناصر محمد بن المنصور قلاون) * وعمره عشر سنين فى يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان المذكور ولم يل من بنى قلاون من أبوه لم يتسلطن سواه فأقام تحت حجر يلبغا حتى قتل يلبغا فى ليلة الاربعاء عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة فأخذ يستبد بملكه حتى انفرد بتدبيره الى أن قتل فى يوم الثلاثاء سادس ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة بعد ما اقيم بدله ابنه فى السلطنة فكانت مدته أربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر يوما فقام بالامر ابنه * (السلطان الملك المنصور علاء الدين على بن شعبان بن حسين) * وعمره سبع سنين فى يوم السبت ثالث ذى القعدة المذكور وأبوه حى فلم يكن حظه من السلطنة سوى الاسم حتى مات فى يوم الاحد ثالث عشرى صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فكانت مدته خمس سنين وثلاثة اشهر وعشرين يوما فأقيم بعده أخوه * (السلطان الملك الصالح زين الدين حاجى) * فى يوم الاثنين رابع عشرى صفر المذكور فقام بأمر الملك وتدبير الامور الامير الكبير برقوق حتى خلعه فى يوم الاربعاء تاسع شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فكانت مدته سنة وشهرين ينقصان أربعة أيام وبه انقضت دولة المماليك البحرية الاتراك وأولادهم ومدتهم مائة وست وثلاثون سنة وسبعة اشهر وتسعة أيام أولها يوم الخميس عاشر صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة وآخرها يوم الثلاثاء

ثامن عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وعدتهم اربعة وعشرون ذكرا مابين رجل وصبي وامرأة واحدة وأولهم امرأة وآخرهم صبي ولما اقيم الناصر حسن بعد أخيه المظفر حاجي طلب المماليك الجراكسة الذين قربهم المظفر بسفارة الامير أغرلو فانه كان يدعى انه كان جركسي الجنس وجلبهم من اماكن حتى ظهروا في الدولة وكبرت عمائمهم وكلوتاتهم فأخرجوا منفيين أنحس خروج فقدموا على البلاد الشامية والله تعالى اعلم

* (ذكر دولة المماليك الجراكسة) *

وهم واللاص والروس اهل مدائن عامرة وجبال ذات اشجار ولهم اغنام وزروع وكلهم في مملكة صاحب مدينة سراى قاعدة خوارزم وملوك هذه الطوائف الملك سراى كالرعية فان داروه وهادوه كف عنهم والاغزاهم وخصرهم وكم مرة قتلت عساكره منهم خلائق وسبت نساءهم وأولادهم وجلبتهم رقيقا الى الاقطار فاكثر المنصور قلاوون من شرائهم وجعلهم وطائفة اللاص جميعا في ابراج القلعة وسماهم البرجية فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وعمل منهم اوشاقية وجمقدارية وجاشنكيرية وسلاحدارية واولهم * (السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن آنص) * أخذ من بلاد الجركس وبيع ببلاد القرم فجلبه خواجا فخر الدين عثمان بن مسافر الى القاهرة فاشتراه منه الامير الكبير يلبغا الخاصكي وأعتقه وجعله من جملة مماليكه الاجلاب فعرف ببرقوق العثماني فلما قتل يلبغا أخرج الملك الاشرف الاجلاب من مصر فسار منهم برقوق الى الكرك فأقام في عدة منهم مسجونا بها عدة سنين ثم أفرج عنه وعمن كان معه فمضوا الى دمشق وخدموا عند الامير منجك نائب الشام حتى طلب الاشرف اليلبغاوية فقدم برقوق في جملتهم واستقر في خدمة ولدى السلطان علي وحاجي مع من استقر من خشداشيته فعرفوا باليلبغاوية الى أن خرج السلطان الى الحج فثاروا بعد سفره وسلطنوا ابنه عليا وحكم في الدولة منهم الامير قرطاي الشهابي فثار عليه خشداشيه أينبك البدري فأخرجه الى الشام وقام بعده بتدبير الدولة وخرج الى الشام فثارت عليه اليلبغاوية وفيهم برقوق وقد صار من جملة الامراء فعاد قبل وصوله بلبيس ثم قبض عليه وقام بتدبير الدولة غير واحد في أيام يسيرة فركب برقوق في يوم الاحد ثالث عشرى ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة وقت الظهيرة في طائفة من خشداشيته وهجم على باب السلسلة وقبض على الامير يلبغا الناصري وهو القائم بتدبير الدولة وملك الاصطبل ومازال به حتى خلع الصالح حاجي وتسلطن في يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وقت الظهر فغير العوايد وأفنى رجال الدولة واستكثر من جلب الجراكسة الى أن ثار عليه الامير يلبغا الناصري وهو يومئذ نائب حلب وسار اليه ففر من قلعة الجبل في ليلة الثلاثاء خامس جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وملك الناصري القلعة وأعاد الصالح حاجي ولقبه بالملك المنصور وقبض على برقوق وبعثه الى الكرك فسجنه بها فثار الامير منطاش على الناصري وقبض عليه وسجنه بالاسكندرية وخرج يريد محاربة برقوق وقد خرج من سجن الكرك وسار الى دمشق في عسكر فحاربه برقوق على شقحب ظاهر دمشق وملك مامعه من الخزائن وأخذ الخليفة والسلطان حاجي والقضاة وسار الى مصر فقدمها يوم الثلاثاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وتسعين واستبد بالسلطنة حتى مات ليلة الجمعة للنصف من شوال سنة احدى وثمانمائة فكانت مدته اتابكا وسلطانا احدى وعشرين سنة وعشرة اشهر وستة عشر يوما خلع فيها ثمانية اشهر وتسعة ايام وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج) * في يوم الجمعة المذكور وعمره نحو العشر سنين فدبر أمر الدولة الامير الكبير ايتمش ثم ثار به الامير يشبك وغيره ففر الى الشام وقتل بها ولم تزل ايام الناصر كلها كثيرة الفتن والشرور والغلاء والوباء وطرق بلاد الشام فيها الامير تيمورلنك فخربها كلها وحرقها وعمها بالقتل والنهب والاسر حتى فقد منها جميع انواع الحيوانات وتمزق أهلها في جميع اقطار الارض ثم دهمها بعد رحيله عنها جراد لم يترك بها خضراء فاشتد بها الغلاء على من تراجع اليها من أهلها وشنع موتهم واستمرت بها مع ذلك الفتن وقصر مد النيل بمصر حتى شرقت الاراضي الاقليلا وعظم الغلاء والفناء فباع أهل الصعيد أولادهم من الجوع وصاروا أرقاء مملوكين وشمل الخراب الشنيع عامة أرض مصر وبلاد الشام من حيث يصب النيل من الجنادل الى حيث مجرى الفرات وابتلى مع ذلك بكثرة فتن الاميرين نوروز الحافظي وشيخ المحمودي وخروجهما ببلاد

الشام عن طاعته فتردد لمحاربتهما مرارا حتى هزماه ثم قتلاه بدمشق فى ليلة السبت سادس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة فكانت مدته منذ مات أبوه الى أن فرّ فى يوم الاحد خامس عشرى ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة واختفى وأقيم بعده أخوه عبد العزيز ولقب الملك المنصور ست سنين وخمسة اشهر وأحد عشر يوما وأقام الناصر فى الاختفاء سبعين يوما ثم ظهر فى يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة واستولى على قلعة الجبل واستبد بملكه اقبح استبداد الى أن توجه لحرب نوروز وشيخ وقاتلهما على اللجون فى يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة خمس عشرة فانهزم الى دمشق وهما فى اثره وقد صار الخليفة المستعين بالله فى قبضتهما ومعه مباشرو الدولة فنزلا على دمشق وحصراه ثم ألزما الخليفة بخلعه من السلطنة فلم يجد بدا من ذلك وخلعه فى يوم السبت خامس عشريه ونودى بذلك فى الناس فكانت مدته الثانية ست سنين وعشرة اشهر سواء وأقيم من بعده * (الخليفة المستعين بالله أمير المؤمنين أبو الفضل العباس بن محمد العباسى) *

وأصل هؤلاء الخلفاء بمصر أن أمير المؤمنين المستعصم بالله عبد الله آخر خلفاء بنى العباس لما قتله هولاكو ابن تولى بن جنكزخان فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة ببغداد وخلت الدنيا من خليفة وصار الناس بغير امام قرشى الى سنة تسع وخمسين فقدم الامير أبو القاسم احمد بن الخليفة الظاهر أبى نصر محمد بن الخليفة الناصر العباسى من بغداد الى مصر فى يوم الخميس تاسع رجب منها فركب السلطان الملك الظاهر بيبرس الى لقائه وصعد به قلعة الجبل وقام بما يجب من حقه وبايعه بالخلافة وبايعه الناس ولقب بالمستنصر ثم توجه لقتال التتر ببغداد فقتل فى محاربتهم لايام خلت من المحرم سنة ستين وستمائة فكانت خلافته قريبا من سنة ثم قدم من بعده الامير أبو العباس احمد بن أبى على الحسن بن أبى بكر من ذرية الخليفة الراشد بالله أبى جعفر منصور بن المسترشد فى سابع عشرى ربيع الاول فأنزله السلطان فى برج بقلعة الجبل وأجرى عليه ما يحتاج اليه ثم بايعه فى يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين بعد ما اثبت نسبه على قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز ولقبه بالحاكم بأمر الله وبايعه الناس كافة ثم خطب من الغد وصلى بالناس الجمعة فى جامع القلعة ودعى له من يومئذ على منابر أراضى مصر كلها قبل الدعاء للسلطان ثم خطب له على منابر الشام واستمر الحال على الدعاء له ولمن جاء من بعده من الخلفاء ومازال بالبرج الى أن منعه السلطان من الاجتماع بالناس فى المحرم سنة ثلاث وستين فاحتجب وصار كالمسجون زيادة على سبع وعشرين سنة بقية أيام الظاهر بيبرس وايام ولديه محمد بركة وسلامش وايام قلاون فلما صارت السلطنة الى الاشرف خليل بن قلاون أخرجه من سجنه مكرما فى يوم الجمعة العشرين من شهر رمضان سنة تسعين وستمائة وأمره فصعد منبر الجامع بالقلعة وخطب وعليه سواده وقد تقلد سيفا محلى ثم نزل فصلى بالناس صلاة الجمعة قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وخطب أيضا خطبة ثالثة فى يوم الجمعة تاسع عشرى ربيع الاول سنة احدى وتسعين وحج سنة أربع وتسعين ثم منع من الاجتماع بالناس فامتنع حتى افرج عنه المنصور لاجين فى سنة ست وتسعين وأسكنه بمناظر الكبش وأنعم عليه بكسوة له ولعياله وأجرى عليه ما يقوم به وخطب بجامع القلعة خطبة رابعة وصلى بالناس الجمعة ثم حج سنة سبع وتسعين وتوفى ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة فكانت خلافته مدة اربعين سنة ليس له فيها امر ولا نهى انما حظه أن يقال امير المؤمنين وكان قد عهد الى ابنه الامير أبى عبد الله محمد المستمسك ثم من بعده لاخيه أبى الربيع سليمان المستكفى فمات المستمسك فى حياته واشتد جزعه عليه فعهد لابنه ابراهيم ابن محمد المستمسك فلما مات الحاكم اقيم من بعده ابنه المستكفى بالله أبو الربيع سليمان بعهده له فشهد وقعة شقحب مع الملك الناصر محمد بن قلاون وعليه سواده وقد أرخى له عذبة طويلة وتقلد سيفا عربيا محلى ثم تنكر عليه وسجنه فى برج بالقلعة نحو خمسة اشهر وأفرج عنه وأنزله الى داره قريبا من المشهد النفيسى بتربة شجرة الدر فأقام نحو ستة اشهر وأخرجه الى قوص فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وقطع راتبه وأجرى له بقوص ما يتقوت به فمات بها فى خامس شعبان سنة أربعين وعهد الى ولده فلم يمض الملك الناصر محمد عهده وبويع ابن أخيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد المستمسك بن احمد الحاكم بيعة خفية لم تظهر فى يوم الاثنين خامس عشرى شعبان المذكور وأقام الخطباء اربعة اشهر لا يذكرون فى خطبهم الخليفة ثم خطب له فى يوم الجمعة سابع ذى القعدة منها ولقب بالواثق بالله فلما مات الناصر محمد وأقيم بعده ابنه المنصور أبو بكر استدعى أبو القاسم احمد بن

أبى الربيع سليمان وأقيم فى الخلافة ولقب بالحاكم بعدما كان يلقب بالمستنصر وكنى بأبى العباس فى يوم السبت سلخ ذى الحجة سنة احدى واربعين وسبعمائة فاستمر حتى مات فى يوم الجمعة رابع شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فأقيم بعده أخوه المعتضد بالله أبو بكر وكنيته أبو الفتح بن أبى الربيع سليمان فى يوم الخميس سابع عشره واستقر مع ذلك فى نظر مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ليستعين بما يرد الى ضريحها من نذر العامة على قيام أوده فان مرتب الخلفاء كان على مكس الصاغة وحسبه أن يقوم بما لا بد منه فى قوتهم فكانوا ابدا فى عيش غير موسع فحسنت حال المعتضد بما يبيعه من الشمع المحمول الى المشهد النفيسى ونحوه الى أن توفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وكان يلثغ بالكاف وحج مرتين احداهما سنة أربع وخمسين والثانية سنة ستين فأقيم بعده ابنه المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بعهده اليه فى يوم الخميس ثانى عشره وخلع عليه بين يدى السلطان الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجى وفوض اليه نظر المشهد ونزل الى داره فلم يزل حتى تنكر له الامير أينبك فى أول ذى القعدة سنة ثمان وسبعين بعد قتل الملك الاشرف شعبان ابن حسين وأخرجه ليسير الى قوص وأقام عوضه فى الخلافة ابن عمه زكريا بن ابراهيم بن محمد فى ثالث عشرى صفر سنة تسع وسبعين وكان قد أمر برد المتوكل من نفيه فرد الى منزله من يومه فأقام به حتى رضى عنه اينبك وأعاده فى العشرين من ربيع الاول منها الى خلافته ثم سخط عليه الظاهر برقوق وسجنه مقيدا فى يوم الاثنين أول رجب سنة خمس وثمانين وقد وشى به انه يريد الثورة وأخذ الملك وأقيم بعده فى الخلافة الواثق بالله أبو حفص عمر بن المعتصم ابى اسحاق ابراهيم بن محمد بن الحاكم فى يوم الاثنين المذكور فما زال خليفة حتى مات يوم السبت تاسع شوال سنة ثمان وثمانين فأقام الظاهر بعده فى الخلافة أخاه زكريا بن ابراهيم فى يوم الخميس ثامن عشريه ولقب بالمستعصم وركب بالخلعة وبين يديه القضاة من القلعة الى منزله فلما اشرف الظاهر برقوق على زوال ملكه وقرب الامير يلبغا الناصرى نائب حلب بالعساكر استدعى المتوكل على الله من محبسه وأعاده الى الخلافة وخلع عليه فى يوم الاربعاء أول جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وبالغ فى تعظيمه وأنعم عليه فلم يزل على خلافته حتى توفى ليلة الثلاثاء ثامن عشرى رجب سنة ثمان وثمانمائة وهو أول من اتسعت أحواله من الخلفاء بمصر وصار له اقطاعات ومال فأقيم فى الخلافة بعده ابنه المستعين بالله أبو الفضل العباس وخلع عليه فى يوم الاثنين رابع شعبان بالقلعة بين يدى الناصر فرج بن برقوق ونزل الى داره ثم سار مع الناصر الى الشام وحضر معه وقعة اللجون حتى انهزم فدعاه الاميران شيخ ونوروز فمضى من موقفه اليهما ومعه مباشروا الدولة فأنزلاه ووكلا به وسارا به لحصار الناصر ثم ألزماه حتى خلعه من السلطنة وأقامه شيخ فى السلطنة وبايعه ومن معه فى يوم السبت خامس عشرى المحرّم سنة خمس عشرة وثمانمائة وبعث الى نوروز وهو بشمالى دمشق حتى بايعه فنالوا باقامته اغراضهم من قتل الناصر وانتظام أمرهم ثم سار به شيخ الى مصر وأقام نوروز بدمشق فلما قدم به اسكنه القلعة ونزل هو بالحراقة من باب السلسلة وقام بجميع الامور وترك الخليفة فى غاية الحصر حتى استبد بالسلطنة فكانت مدة الخليفة منذ أقاموه سلطانا سبعة اشهر وخمسة أيام ونقل الخليفة الى بعض دور القلعة ووكل به من يحفظه وأهله وقام من بعده بالسلطنة *(السلطان الملك المؤيد ابو النصر شيخ المحمودى)* أحد مماليك الظاهر برقوق فى يوم الاثنين أول شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فسجن الخليفة فى برج بالقلعة ثم حمله الى الاسكندرية فسجنه بها ولم يزل سلطانا حتى مات فى يوم الاثنين ثامن المحرّم سنة أربع وعشرين فكانت مدته ثمان سنين وخمسة اشهر وستة ايام فأقيم بعده ابنه *(السلطان الملك المظفر شهاب الدين أبو السعادات احمد)* وعمره سنة واحدة ونصف فقام بأمره الامير ططر وفرّق ماجمعه المؤيد من الاموال وخرج بالمظفر يريد محاربة الامراء بالشام فظفر بهم وخلع المظفر وكانت مدته ثمانية اشهر تنقص سبعة أيام وقام بعده *(السلطان الملك الظاهر أبو الفتح ططر)* أحد مماليك الظاهر برقوق وجلس على التخت بقلعة دمشق فى يوم الجمعة تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وقدم الى قلعة الجبل وهو موعوك البدن فى يوم الخميس رابع شوّال فنقل فى مرضه من يوم الاثنين ثانى عشريه حتى مات فى يوم الاحد رابع عشرى ذى الحجة فكانت مدته ثلاثة اشهر ويومين فأقيم بعده ابنه *(السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد)* وعمره نحو عشر سنين فقام بأمره الامير برسباى الدقماقى ثم خلعه بعد أربعة اشهر

وأربعة ايام وقام من بعده * (السلطان الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر برسباى) * أحد مماليك الظاهر برقوق وجلس على تخت الملك فى يوم الاربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة
هذا آخر الجزء الثالث من اصل مصنفه الامام المقريزى رحمه الله تعالى ورضى عنه

*(ووجد على هامش بعض النسخ ماصورته) * وتوفى الاشرف برسباى ثالث عشر ذى الحجة سنة احدى واربعين وثمانمائة فكانت مدته ست عشرة سنة وتسعة شهور ثم قام من بعده ولده * (الملك العزيز يوسف) * وسنه نحو خمس عشرة سنة ثم خلع فى تاسع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فكانت مدته نحو ثلاثة اشهر وقام من بعده * (الملك الظاهر جقمق) * فى تاسع عشر ربيع المذكور وخلع نفسه من الملك فى مرض موته وتولى بعده بعهده ولده * (الملك المنصور عثمان) * فى حادى عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة فكانت مدة الظاهر جقمق اربع عشرة سنة ونحو عشرة شهور ثم خلع ولده المنصور عثمان فى سابع ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة فأقام فى الملك أحدا وأربعين يوما وتولى عوضه *(الملك الاشرف اينال) * فى ثامن ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وخلع نفسه فى مرض موته فى جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة فكانت مدته ثمان سنين وشهرين وتولى بعده ولده *(الملك المؤيد احمد) * ثم خلع فى ثامن عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة فكانت مدته اربعة اشهر وتولى * (الملك الظاهر خشقدم) * تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة ومات عاشر شهر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين فكانت مدته نحو ست سنين ونصف ثم تولى * (الملك الظاهر بلباى) * فى حادى عشر الشهر المذكور ثم خلع فى سابع جمادى الاولى من السنة المذكورة فكانت مدته ستة وخمسين يوما ثم تولى * (الملك الظاهر تمربغا) * فى ثامن جمادى الاولى المذكور ثم خلع فى العشر الاول من شهر رجب الفرد سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وكانت مدته نحو تسعة وخمسين يوما وتولى * (الملك الاشرف قايتباى) * فى ثانى عشر رجب من السنة المذكورة وتوفى فى ثانى عشرى ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة فكانت مدته تسعا وعشرين سنة وأربعة شهور وأياما وتولى بعده ولده * (الملك الناصر محمد) * فى التاريخ المذكور ثم قتل بالجيزة فى آخر يوم الاربعاء النصف من ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة فكانت مدته سنتين وثلاثة اشهر وأياما ثم تولى خاله * (الملك الظاهر قانصوه الاشرفى قايتباى) * فى ضحوة يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول المذكور ثم خلع فى سابع ذى الحجة سنة خمس وتسعمائة فكانت مدته نحو عشرين شهرا وتولى عوضه * (الملك الاشرف جان بلاط الاشرفى قايتباى) * وأتاه خبره بمنزله الجديدة فى العود من المدينة الشريفة فى يوم الجمعة سادس عشرى ذى الحجة سنة خمس وتسعمائة فكانت مدته ستة شهور وأياما ثم خلع فى يوم السبت ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسعمائة وتولى * (الملك العادل طومان باى الاشرفى قايتباى) * ثم خلع سلخ رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته نحو مائة يوم وتولى بعده * (الملك الاشرف قانصوه الغورى الاشرفى قايتباى) * مستهل شوال من السنة المذكورة انتهى والله تعالى اعلم بالصواب

(ذكر المساجد الجامعة)

اعلم أن أرض مصر لما فتحت فى سنة عشرين من الهجرة واختط الصحابة رضى الله عنهم فسطاط مصر كما تقدم لم يكن بالفسطاط غير مسجد واحد وهو الجامع الذى يقال له فى مدينة مصر الجامع العتيق وجامع عمرو بن العاص ومابرح الامر على هذا الى أن قدم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما من العراق فى طلب مروان بن محمد فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة فنزل عسكره فى شمالى الفسطاط وبنوا هنالك الابنية فسمى ذلك الموضع بالعسكر وأقيمت هنالك الجمعة فى مسجد فصارت الجمعة تقام بمسجد عمرو بن العاص وبجامع العسكر الى أن بنى الامير احمد بن طولون جامعه على جبل يشكر فى سنة تسع وخمسين ومائتين حين بنى القطائع فتلاشى من حينئذ جامع العسكر وصارت الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع ابن طولون الى أن قدم جوهر القائد من بلاد القيروان بالمغرب ومعه عساكر مولاه المعز لدين الله أبى تميم معد فبنى القاهرة وبنى الجامع الذى يعرف بالجامع الازهر فى سنة ستين وثلثمائة فكانت الجمعة تقام فى جامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الازهر

وجامع

وجامع القرافة الذى يعرف اليوم بجامع الاولياء ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله بنى فى ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح الجامع الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم فى سنة ثمانين وثلثمائة واكمله ابنه الحاكم بأمر الله أبو على منصور وبنى جامع المقس وجامع راشدة فكانت الجمعة تقام فى هذه الجوامع كلها الى أن انقرضت دولة الخلفاء الفاطميين فى سنة سبع وستين وخمسمائة فبطلت الخطبة من الجامع الازهر واستمرت فيما عداه فلما كانت الدولة التركية حدث بالقاهرة والقرافة ومصر وما بين ذلك عدة جوامع اقيمت فيها الجمعة وما برح الامر يزداد حتى بلغ عدد المواضع التى تقام بها الجمعة فيما بين مسجد تبر خارج القاهرة من بحريها الى دير الطين قبلى مدينة مصر زيادة على مائة موضع وسيأتى من ذكر ذلك ما فيه كفاية ان شاء الله تعالى * وقد بلغت عدة المساجد التى تقام بها الجمعة مائة وثلاثين مسجدا (منها) بمدينة مصر جامع عمرو بن العاص والجامع الجديد والمدرسة المعزية وجامع ابن اللبان وجامع القراء وجامع تقى التمار وجامع راشدة وجامع الفيلة وجامع دير الطين وجامع بساتين الوزير (ومنها) بالقرافة جامع الاولياء وجامع الافرم وخانكاه بكتمر وجامع ابن عبد الظاهر وجامع الجوانى وجامع الضراب وجامع قوصون وجامع الشافعى وجامع الديلمى وجامع محمود وجامع بقرب تربة الست (ومنها) بالروضة جامع المقياس وجامع عين وجامع الرئيس وجامع الاباريقى وجامع المقسى (ومنها) بالحسينية خارج القاهرة جامع احمد الزاهد وجامع آل ملك وجامع كراى وجامع الكافورى بالقرب من السميساطية وجامع الخندق وجامع نائب الكرك وجامع سويقة الجيزة وجامع قيدار وجامع ابن شرف الدين وجامع الظاهر وجامع الحاج كمال التاجر تجدد هو وجامع سويقة الجيزة فى أيام الظاهر برقوق (ومنها) خارج القاهرة مما يلى النيل جامع كوم الريش جامع جزيرة الفيل جامع امين الدين بن تاج الدين موسى جامع الفخر على النيل جامع الاسيوطى جامع الواسطى جامع ابن بدر جامع الخطيرى جامع ابن غازى جامع المقس جامع ابن التركمانى جامع بنت التركمانى جامع الطواشى جامع باب الرخاء جامع الزاهد جامع ميدان القمح جامع صاروجا جامع ابن زيد جامع بركة الرطلى جامع الكيمختى جامع باب الشعرية جامع ابن مياله جامع ابن المغربى جامع العجمى بقنطرة الموسكى الجامع المعلق بقنطرة الموسكى أيضا جامع الحاكى بسويقة الريش جامع السروجى بسويقة الريش أيضا جامع البكجرى جامع ابن حسون بالدكة جامع ابن المغربى على الخليج جامع الطباخ بخط اللوق جامع الست نصيرة بخط باب اللوق حيث كان الكوم فحفر فاذا بقبر عرف بالست نصيرة وعمل عليه مسجد وأقيمت به الجمعة فى ايام الظاهر برقوق جامع شاكر بجوار قنطرة قدادار عمر سنة ست وعشرين وثمانمائة جامع غيط المقاصد خلف قنطرة قدادار جامع الجزيرة الوسطى جامع كريم الدين بخط الزريبة جامع ابن غلامها بخط الزريبة أيضا الجامع الاخضر جامع سويقة الموفق جامع سلطان شاه بباب الخرق جامع زين الدين الخشاب خارج باب اللوق كان زاوية للفقراء فأقيمت به الجمعة بعد سنة ثمانمائة جامع منكلى بسويقة القيمرى (ومنها) فيما بين القاهرة ومصر جامع بشتاك جامع الاسماعيلى على البركة الناصرية جامع الست مسكة جامع آق سنقر بمجرى السقائين جامع الشيخ محمد بن حسن الحنفى جامع ست حدق بالمريس جامع الطيبرسى جامع الرحبة عمارة الصاحب امين الدين عبد الله بن غنام جامع منشأة المهرانى جامع يونس بالسبع سقايات على البركة جامع بركة الاستادار بحدرة ابن قميحة جامع ابن طولون جامع المشهد النفيسى جامع البقلى بالقبيبات جامع شيخو جامع قانباى برلس سويقة منعم جامع الماس جامع قوصون جامع الصالح مدرسة الناصر حسن بسوق الخيل جامع الجاى جامع الماردينى جامع اصلم (ومنها) بقلعة الجبل الجامع الناصرى جامع التوبة جامع الاصطبل الجامع المؤيدى (ومنها) خارج القاهرة بالترب وما قرب من القلعة تربة جوشن وتربة الظاهر برقوق وتربة طشتمر حمص أخضر بالصحراء جامع الخضرى جامع التوبة الجامع المؤيدى (ومنها) بالقاهرة الجامع الازهر والجامع الحاكمى والجامع الاقمر ومدرسة الظاهر برقوق والمدرسة الصالحية والحجازية والمشهد الحسينى وجامع الفاكهانى والزمامية والصاحبية والبوبكرية والجامع المؤيدى والاشرفية وجامع الدوادارى قريبا من البرقية وجامع التوبة بالبرقية مدرسة ابن البقرى والباسطية

(ذكر الجوامع)

علم انه لما اتصلت مبانى القاهرة المعزية بمبانى مدينة فسطاط مصر بحيث صارتا كأنهما مدينة واحدة واتخذ أهل القاهرة وأهل مصر القرافتين لدفن أمواتهم ذكرت ما فى هذه المواضع الاربعة من المساجد الجامعة واضفت اليها ما فى جزيرة فسطاط مصر التى يقال لها الروضة من الجوامع أيضا فانها متنزه أهل البلدين وجمعت الى ذلك ما فى ظواهر القاهرة ومصر من الجوامع مع التعريف بحال من اسسها وبالله التوفيق

(الجامع العتيق)

هذا الجامع بمدينة فسطاط مصر ويقال له تاج الجوامع وجامع عمرو بن العاص وهو أول مسجد أسس بديار مصر فى الملة الاسلامية بعد الفتح (خرج) الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث معاوية بن قرة قال قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه من صلى صلاة مكتوبة فى مسجد مصر من الامصار كانت له كحجة متقبلة فان صلى تطوعا كانت له كعمرة مبرورة وعن كعب من صلى فى مسجد مصر من الامصار صلاة فريضة عدلت حجة متقبلة ومن صلى صلاة تطوع عدلت عمرة متقبلة فان أصيب فى وجهه ذلك حرم لحمه ودمه على النار أن تطعمه وذنبه على من قتله * واول مسجد بنى فى الاسلام مسجد قباء ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال هشام بن عمار حدثنا المغيرة بن المغيرة حدثنا يحيى بن عطاء الخراسانى عن أبيه قال لما افتتح عمر البلدان كتب الى أبى موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة وكتب الى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب الى أمراء أجناد الشام أن لا يتبددوا الى القرى وأن ينزلوا المدائن وأن يتخذوا فى كل مدينة مسجدا واحدا ولا تتخذ القبائل مساجد فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده * وقال ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ابن حفص الكندى فى كتاب أخبار مسجد أهل الراية الاعظم وأول امره وبنائه وزيادة الامراء فيه وغيرهم ومجالس الحكام والفقهاء منه وغير ذلك قال هبيرة بن ابيض عن شيخه تجيب ان قيسبة بن كلثوم التجيبى احد بنى سوم سار من الشام الى مصر مع عمرو بن العاص فدخلها فى مائة راحلة وخمسين عبدا وثلاثين فرسا فلما اجمع المسلمون وعمرو بن العاص على حصار الحصن نظر قيسبة بن كلثوم فرأى جنانا تقرب من الحصن فعرج اليها فى اهله وعبيده فنزل وضرب فيها فسطاطه وأقام فيها طول حصارهم الحصن حتى فتحه الله عليهم ثم خرج قيسبة مع عمرو الى الاسكندرية وخلف اهله فيها ثم فتح الله عليهم الاسكندرية وعاد قيسبة الى منزله هذا فنزله واختط عمرو ابن العاص داره مقابل تلك الجنان التى نزلها قيسبة وتشاور المسلمون اين يكون المسجد الجامع فرأوا أن يكون منزل قيسبة فسأله عمرو فيه وقال انا اختط لك يا أبا عبد الرحمن حيث احببت فقال قيسبة لقد علمتم يا معاشر المسلمين انى حزت هذا المنزل وملكته وانى أتصدق به على المسلمين وارتحل فنزل مع قومه بنى سوم واختط فيهم فبنى مسجدا فى سنة احدى وعشرين من الهجرة وفى ذلك يقول أبو قبان بن نعيم بن بدر التجيبى

وبابليون قد سعدنا بفتحها * وحزنا لعمر الله فيأ ومغنما
وقيسبة الخير بن كلثوم داره * اباح حماها للصلاة وسلما
فكل مصل فى فناها صلاته * تعارف اهل المصر ماقلت فاعلما

(وقال) ابو مصعب قيس بن سلمة الشاعر فى قصيدته التى امتدح فيها عبد الرحمن بن قيسبة

وأبوك سلم داره وأباحها * لجباه قوم ركع وسجود

(وقال) الليث بن سعد كان مسجدنا هذا حدائق وأعنابا * وقال الشريف محمد بن اسعد الجوانى ومن جملة مزارعها جامع مصر وقد بقى الى الآن من جملة الانشاب التى كانت فى البستان فى موضع الجامع شجرة زنزلخت وهى باقية الى الآن خلف المحراب الكبير والحائط الذى به المنبر ومن العلماء من قال ان هذه الشجرة باقية من عهد موسى عليه السلام وكان لها نظير شجرة أخرى فى الوراقين احترقت فى حريق مصر سنة أربع وستين وخمسمائة وظهر بالجامع العتيق بئر البستان التى كانت به وهى اليوم يستقى منها الناس الماء بموضع حلقة الفقيه ابن الجيزى المالكى * قال الكندى وقال يزيد بن أبى حبيب سمعت اشياخنا ممن حضر مسجد الفتح يقولون وقف على اقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير بن

العوام والمقداد وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر رضي الله عنهم وفي رواية أسس مسجدنا هذا اربعة من الصحابة أبوذر وأبو بصيرة ومحمية بن جزء الزبيدي ونبيه بن صواب * وقال عبد الله بن أبي جعفر أقام محرابنا هذا عبادة بن الصامت ورافع بن مالك وهما نقيبان وقال داود بن عقبة ان عمرو ابن العاص بعث ربيعة بن شرحبيل بن حسنة وعمرو بن علقمة القرشي ثم العدوي يقيمان القبلة وقال لهما قوما اذا زالت الشمس أو قال انتصفت الشمس فاجعلاها على حاجبيكما ففعلا * وقال الليث ان عمرو بن العاص كان يمد الحبال حتى اقيمت قبلة المسجد وقال عمرو بن العاص شرقوا القبلة تصيبوا الحرم قال فشرقت جدا فلما كان قرة بن شريك تيامن بها قليلا وكان عمرو بن العاص اذا صلى في مسجد الجامع يصلي ناحية الشرق الا الشيء اليسير وقال رجل من تجيب رأيت عمرو بن العاص دخل كنيسة فصلى فيها ولم ينصرف عن قبلتهم الا قليلا وكان الليث وابن لهيعة اذا صليا تيامنا وكان عمر بن مروان عم الخلفاء اذا صلى في المسجد الجامع تيامن وقال يزيد بن حبيب في قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها هي قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي نصبها الله عزوجل مقابل الميزاب وهي قبلة أهل مصر وأهل الغرب وكان يقرأها فلنولينك قبلة نرضاها بالنون وقال هكذا أقرأناها أبو الخير * وقال الخليل بن عبد الله الازدي حدثني رجل من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة ثم قال بيده فأماط كل جبل بينه وبين الكعبة فوضع المسجد وهو ينظر الى الكعبة وصارت قبلته الى الميزاب * وقال ابن لهيعة سمعت أشياخنا يقولون لم يكن لمسجد عمرو بن العاص محراب مجوف ولا أدري بناه مسلمة أو بناه عبد العزيز * وأول من جعل المحراب قرة بن شريك * وقال الواقدي حدثنا محمد بن هلال قال أول من أحدث المحراب المجوف عمر بن عبد العزيز ليالي بنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عمر بن شبة أن عثمان بن مظعون تفل في القبلة فأصبح مكتئبا فقالت له امرأته مالي أراك مكتئبا قال لا شيء الا أني تفلت في القبلة وأنا اصلي فعمدت الى القبلة فغسلتها ثم عملت خلوقا فخلقتها فكانت أول من خلق القبلة * وقال أبو سعيد سلف الحجري أدركت مسجد عمرو بن العاص طوله خمسون ذراعا في عرض ثلاثين ذراعا وجعل الطريق يطيف به من كل جهة وجعل له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص وجعل له بابان في بحريه وبابان في غربيه وكان الخارج اذا خرج من زقاق القناديل وجد ركن المسجد الشرقي محاذيا لركن دار عمرو بن العاص الغربي وذلك قبل أن أخذ من دار عمرو بن العاص ما اخذ وكان طوله من القبلة الى البحري مثل طول دار عمرو بن العاص وكان سقفه مطاطأ جدا ولا صحن له فاذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية وبينه وبين دار عمرو سبع أذرع * قلت وأول من جلس على منبر او سرير ذي أعواد ربيعة بن محاسن وقال القضاعي في كتاب الخطط وكان عمرو بن العاص قد اتخذ منبرا فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعزم عليه في كسره ويقول أما يحسبك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك فكسره * قال مؤلفه رحمه الله وفي سنة احدى وستين ومائة أمر المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور بتقصير المنابر وجعلها بقدر منبر النبي صلى الله عليه وسلم قال القضاعي وأول من صلى عليه من الموتى داخل الجامع أبو الحسين سعيد بن عثمان صاحب الشرط في النصف من صفر وكانت وفاته فجأة فأخرج ضحوة يوم الاحد السادس عشر من صفر وصلى عليه خلف المقصورة وكبر عليه خمسا ولم يعلم أحد قبله صلى عليه في الجامع * وذكر عمر بن شبة في تاريخ المدينة أن أول من عمل مقصورة بلبن عثمان بن عفان وكانت فيها كوى تنظر الناس منها الى الامام وأن عمر بن عبد العزيز عملها بالساج قال القضاعي ولم تكن الجمعة تقام في زمن عمرو بن العاص بشيء من أرض مصر الا في هذا الجامع قال أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس جاء نفر من بجافق الى عمرو بن العاص فقالوا انا نكون في الريف أفنجمع في العيدين الفطر والاضحى ويؤمنا رجل منا قال نعم قالوا فالجمعة قال لا ولا يصلي الجمعة بالناس الا من أقام الحدود وأخذ بالذنوب وأعطى الحقوق * وأول من زاد في هذا الجامع مسلمة بن مخلد الانصاري سنة ثلاث وخمسين وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية قال الكندي في كتاب أخبار مسجد أهل الراية ولما ضاق المسجد بأهله شكى ذلك الى مسلمة بن مخلد وهو الامير يومئذ فكتب فيه الى معاوية بن ابي سفيان فكتب اليه يأمره بالزيادة فيه فزاد فيه من شرقيه مما يلي دار عمرو بن العاص وزاد فيه من بحريه ولم يحدث فيه حدثا من القبلي ولا من الغربي

وذلك في سنة ثلاث وخمسين وجعل له رحبة في البحري منه كان الناس يصيفون فيها ولاطه بالنورة وزخرف جدرانه وسقوفه ولم يكن المسجد الذي لعمرو جعل فيه نورة ولا زخرف وامر بابتناء منار المسجد الذي في الفسطاط وأمر أن يؤذنوا في وقت واحد وأمر مؤذني الجامع أن يؤذنوا للفجر اذا مضى نصف الليل فاذا فرغوا من أذانهم أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد قال ابن لهيعة فكان لاذانهم دوي شديد فقال عابد بن هشام الازدي ثم السلاماني لمسلمة بن مخلد

لقد مدت لمسلمة الليالي * على رغم العداة مع الاماني
وساعده الزمان بكل سعد * وبلغه البعيد من الاماني
أمسلم فارتقي لازلت تعلو * على الايام مسلم والزمان
لقد أحكمت مسجدنا فأضحى * كأحسن ما يكون من المباني
فتاه به البلاد وساكنوها * كما تاهت بزينتها الغواني
وكم لك من مناقب صالحات * وأجدل بالصوامع للاذان
كأن تجاوب الاصوات فيها * اذا ما الليل ألقى بالجران
كصوت الرعد خالطه دوي * وأرعب كل مختطف الجنان

وقيل ان معاوية أمره ببناء الصوامع للاذان قال وجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع صوامع في أركانه الاربع وهو أول من جعلها فيه ولم تكن قبل ذلك قال وهو أول من جعل فيه الحصر وانما كان قبل ذلك مفروشا بالحصباء وأمر أن لا يضرب بناقوس عند الاذان يعني الفجر وكان السلم الذي يصعد منه المؤذنون في الطريق حتى كان خالد بن سعيد فحوله داخل المسجد * قال القاضي القضاعي ثم ان عبد العزيز بن مروان هدمه في سنة تسع وسبعين من الهجرة وهو يومئذ أمير مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التي كانت في بحريه ولم يجد في شرقيه موضعا يوسعه به * وذكر أبو عمر الكندي في كتاب الامراء أنه زاد فيه من جوانبه كلها ويقال ان عبد العزيز بن مروان لما كمل بناء المسجد خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر فدخل المسجد فرأى في أهله خفة فأمر بأخذ الابواب على من فيه ثم دعا بهم رجلا رجلا فيقول للرجل ألك زوجة فيقول لا فيقول زوجوه ألك خادم فيقول لا فيقول أخدموه أحججت فيقول لا فيقول أحجوه أعليك دين فيقول نعم فيقول اقضوا دينه فأقام المسجد بعد ذلك دهرا عامرا ولم يزل الى اليوم وذكر أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان في ولايته على مصر من قبل أخيه الوليد أمر برفع سقف المسجد الجامع وكان مطاطأ وذلك في سنة تسع وثمانين ثم ان قرة بن شريك العبسي هدمه مستهل سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد ابن عبد الملك وهو يومئذ أمير مصر من قبله وابتدأ في بنائه في شعبان من السنة المذكورة وجعل على بنائه يحيى بن حنظلة مولى بني عامر بن لؤي وكانوا يجمعون الجمعة في قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب المنبر الجديد في سنة أربع وتسعين ونزع المنبر الذي كان في المسجد وذكر أن عمرو بن العاص كان جعله فيه فلما له بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان وذكر أنه حمل اليه من بعض كنائس مصر وقيل ان زكريا بن برقني ملك النوبة أهداه الى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وبعث معه نجاره حتى ركبه واسم هذا النجار بقطر من أهل دندرة ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتى زاد قرة بن شريك في الجامع فنصب منبرا سواه على ما تقدم شرحه ولم يكن يخطب في القرى الاعلى العصا الى أن ولي عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمي مصر من قبل مروان بن محمد فأمر باتخاذ المنابر في القرى وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وذكر أنه لا يعرف منبرا اقدم منه يعني من منبر قرة بن شريك بعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل كذلك الى أن قلع وكسر في أيام العزيز بالله بنظر الوزير يعقوب بن كلس في يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلثمائة وجعل مكانه منبر مذهب ثم اخرج هذا المنبر الى الاسكندرية وجعل في جامع عمرو بها وانزل الى الجامع المنبر الكبير الذي هو به الآن وذلك في أيام الحاكم بأمر الله في شهر ربيع الاول سنة خمس واربعمائة وصرف بنو عبد السميع عن الخطابة وجعلت خطابة الجامع العتيق لجعفر بن الحسن بن خداع الحسيني وجعل الى اخيه الخطابة بالجامع الازهر وصرف بنو عبد السميع بن عمر بن الحسين

ابن

ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس من جميع المنابر بعد أن اقاموا هم وسلفهم فيها ستين سنة وفى شهر ربيع الاول من هذه السنة وجد المنبر الجديد الذى نصب فى الجامع قد لطخ بعذرة فوكل به من يحفظه وعمل له غشاء من أدم مذهب فى شعبان من هذه السنة وخطب عليه ابن خداع وهو مغشى وزيادة قرّة من القبلى والشرقى وأخذ بعض دار عمرو وابنه عبد الله بن عمرو فأدخله فى المسجد وأخذ منهما الطريق الذى بين المسجد وبينهما وعوّض ولد عمرو ماهو فى ايديهم اليوم من الرباع وأمر قرّة بعمل المحراب المجوّف على ماتقدّم شرحه وهو المحراب المعروف بعمرو لانه فى سمت محراب المسجد القديم الذى بناه عمرو وكانت قبلة المسجد القديم عند العمد المذهبة فى صف التوابيت اليوم وهى أربعة عمد اثنان فى مقابلة اثنين وكان قرّة أذهب رؤسها وكانت مجالس قيس ولم يكن فى المسجد عمد مذهبة غيرها وكانت قديما حلقة أهل المدينة ثم روّق اكثر العمد وطوّق فى ايام الاخشيد سنة أربع وعشرين وثلثمائة ولم يكن للجامع أيام قرّة بن شريك غير هذا المحراب فأما المحراب الاوسط الموجود اليوم فعرف بمحراب عمر بن مروان عم الخلفاء وهو أخو عبد الملك وعبد العزيز ولعله أحدثه فى الجدار بعد قرّة وقد ذكر قوم أن قرّة عمل هذين المحرابين وصار للجامع أربعة أبواب وهى الابواب الموجودة فى شرقيه الآن آخرها باب اسرائيل وهو باب النحاسين وفى غربيه أربعة أبواب شارعة فى زقاق كان يعرف بزقاق البلاط وفى بحريه ثلاثة أبواب وبيت المال الذى فى علو الفوّارة بالجامع بناه أسامة بن زيد التنوخى متولى الخراج بمصر سنة سبع وتسعين فى ايام سليمان بن عبد الملك وأمير مصر يومئذ عبد الملك بن رفاعة الفهمى وكان مال المسلمين فيه وطرق المسجد فى ليلة سنة خمس واربعين ومائة فى ولاية يزيد بن حاتم المهلبى من قبل المنصور طرقه قوم ممن كان بايع على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان أوّل علوى قدم مصر فنهبوا بيت المال ثم تضاربوا عليه بسيوفهم فلم يصل اليهم منه الا اليسير فأنفذ اليهم يزيد من قتل منهم جماعة وانهزموا وذكر أن هذا المكان تسوّر عليه لص فى امارة احمد بن طولون وسرق منه بدرتى دنانير فظفر به احمد ابن طولون واصطنعه وعفا عنه * وفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة أمر العزيز بالله بعمل الفوّارة تحت قبة بيت المال فعملت وفرغ منها فى شهر رجب سنة تسع وسبعين وثلثمائة ثم زاد فيه صالح بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهو يومئذ أمير مصر من قبل أبى العباس السفاح فى مؤخره أربع أساطين وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو أوّل من ولى مصر لبنى العباس فيقال انه أدخل فى الجامع دار الزبير بن العوّام رضى الله عنه وكانت غربى دار النحاس وكان الزبير تخلى عنها ووهبها لمواليه لخصومة جرت بين غلمانه وغلمان عمرو بن العاص واختط الزبير فيما يلى الدار المعروفة به الآن ثم اشترى عبد العزيز بن مروان دار الزبير من مواليه فقسمها بين ابنه الاصبغ وأبى بكر فلما قدم صالح بن على أخذها عن أم عاصم بنت عاصم بن أبى بكر وعن طفل يتيم وهو حسان بن الاصبغ فادخلها فى المسجد وباب الكحل من هذه الزيادة وهو الباب الخامس من أبواب الجامع الشرقية الآن وعمر صالح بن على أيضا مقدّم المسجد الجامع عند الباب الاول موضع البلاطة الحمراء ثم زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمى وهو يومئذ أمير مصر من قبل الرشيد فى شعبان سنة خمس وسبعين ومائة الرحبة التى فى مؤخره وهى نصف الرحبة المعروفة بأبى أيوب ولما ضاق الطريق بهذه الزيادة أخذ موسى بن عيسى دار الربيع بن سليمان الزهرى شركة بنى مسكين بغير عوض للربيع ووسع بها الطريق وعوّض بنى مسكين ووصل عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة أميرا من قبل المأمون فى شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وتوجه الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثنتى عشرة ومائتين ورجع الى الفسطاط فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة وأمر بالزيادة فى المسجد الجامع فزيد فيه مثله من غربيه وعاد ابن طاهر الى بغداد لخمس بقين من رجب من السنة المذكورة وكانت زيادة ابن طاهر المحراب الكبير ومافى غربيه الى حد زيادة الخازن فأدخل فيه الزقاق المعروف اولا بزقاق البلاط وقطعة كبيرة من دار الرمل ورحبة كانت بين يدى دار الرمل ودورا ذكرها القضاعى * وذكر بعضهم أن موضع فسطاط عمرو بن العاص حيث المحراب والمنبر قال وكان الذى تمم زيادة عبد الله بن طاهر بعد مسيره الى بغداد عيسى بن يزيد الجلودى وتكامل ذرع الجامع سوى الزيادتين مائة وتسعين ذراعا بذراع العمل طولا فى مائة وخمسين ذراعا عرضا ويقال ان ذرع جامع ابن طولون مثل ذلك سوى الرواق المحيط بجوانبه الثلاثة * ونصب عبد الله بن طاهر اللوح الاخضر فلما احترق

الجامع احترق ذلك اللوح فجعل احمد بن محمد العجيفى هذا اللوح مكان ذلك وهو هذا اللوح الاخضر الباقى الى اليوم ورحبة الحارث هى الرحبة البحرية من زيادة الخازن وكانت رحبة يتبايع الناس فيها يوم الجمعة وذكر أبو عمر الكندى فى كتاب الموالى أن أبا عمرو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف مولى محمد بن ريان بن عبد العزيز ابن مروان لما ولى القضاء من قبل المتوكل على الله فى سنة سبع وثلاثين ومائتين امر ببناء هذه الرحبة ليتسع الناس بها وحوّل سلم المؤذنين الى غربى المسجد وكان عند باب اسرائيل وبلط زيادة ابن طاهر وأصلح بنيان السقف وبنى سقاية فى الحذائين وأمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب ليتسع الناس بها وزيادة أبى أيوب احمد بن محمد بن شجاع ابن أخت أبى الوزير أحمد بن خالد صاحب الخراج فى ايام المعتصم كان أبو أيوب هذا أحد عمال الخراج زمن احمد بن طولون وزيادته فى بقية الرحبة المعروفة برحبة أبى أيوب * والمحراب المنسوب الى أبى أيوب هو الغربى من هذه الزيادة عند شباك الحذائين وكان بناؤها فى سنة ثمان وخمسين ومائتين ويقال ان أبا أيوب مات فى سجن احمد بن طولون بعد أن نكبه واصطفى أمواله وذلك فى سنة ست وستين ومائتين وأدخل أبو أيوب فى هذه الزيادة أماكن ذكرها * قال وكان قد وقع فى مؤخر المسجد الجامع حريق فعمر وزيدت هذه الزيادة فى ايام احمد بن طولون ووقع فى الجامع فى ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين حريق اخذ من بعد ثلاث حنايا من باب اسرائيل الى رحبة الحارث بن مسكين فهلك فيه اكثر زيادة عبد الله بن طاهر والرواق الذى عليه اللوح الاخضر فأمر خمارويه بن احمد بن طولون بعمارته على يد أحمد بن محمد العجيفى فأعيد على ما كان عليه وأنفق فيه ستة آلاف وأربعمائة دينار وكتب اسم خمارويه فى دائر الرواق الذى عليه اللوح الاخضر وهى موجودة الآن وكانت عمارته فى السنة المذكورة * وامر عيسى النوشرى فى ولايته الثانية على مصر فى سنة اربع وتسعين ومائتين باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلوات فكان يفتح للصلاة فقط واقام على ذلك اياما فضج أهل المسجد ففتح لهم * وزاد أبو حفص العباسى فى ايام نظره فى قضاء مصر خلافة لاخيه محمد الغرفة التى يؤذن فيها المؤذنون فى السطح وكانت ولايته فى رجب من سنة ست وثلاثين وثلثمائة وكان امام مصر والحرمين واليه اقامة الحج ولم يزل قاضيا بمصر خلافة لاخيه الى أن صرف من القضاء بالخصيبى فى ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وتوفى فى سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة بعد قدومه من الحج ثم زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن رواقا واحدا من دار الضرب وهو الرواق ذو المحراب والشباكين المتصل برحبة الحارث ومقداره تسع اذرع وكان ابتداء ذلك فى رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة ومات قبل تمام هذه الزيادة وتممها ابنه على بن محمد وفرغت فى العشر الاخر من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة * وزاد فيه الوزير أبو الفرج يعقوب ابن يوسف بن كلس بأمر العزيز بالله الفوارة التى تحت قبة بيت المال وهو أوّل من عمل فيه فوّارة وزاد فيه أيضا مساقف الخشب المحيطة بها على يد المعروف بالمقدسى الاطروش متولى مسجد بيت المقدس وذلك فى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ونصب فيها حباب الرخام التى للماء * وفى سنة سبع وثمانين وثلثمائة جدّد بياض المسجد الجامع وقلع شئ كثير من الفسفساء الذى كان فى اروقته وبيض مواضعه ونقشت خمسة ألواح وذهبت ونصبت على ابوابه الخمسة الشرقية وهى التى عليها الآن وكان ذلك على يد برجوان الخادم وكان اسمه ثابتا فى الالواح فقلع بعد قتله * وقال المسبحى فى تاريخه وفى سنة ثلاث واربعمائة انزل من القصر الى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات فيها ما هو مكتوب كله بالذهب ومكن الناس من القراءة فيها وأنزل اليه أيضا تنور من فضة عمله الحاكم بأمر الله برسم الجامع فيه مائة ألف درهم فضة فاجتمع الناس وعلق بالجامع بعد أن قلعت عتبتا الباب حتى أدخل به وكان من اجتماع الناس لذلك ما يتجاوز الوصف * قال القضاعى وأمر الحاكم بأمر الله بعمل الرواقين اللذين فى صحن المسجد الجامع وقلع عمد الخشب وجسر الخشب التى كانت هنالك وذلك فى شعبان سنة ست وأربعمائة وكانت العمد والجسر قد نصبها أبو أيوب احمد بن محمد بن شجاع فى سنة سبع وخمسين ومائتين زمن احمد بن طولون لان الحر اشتدّ على الناس فشكوا ذلك الى ابن طولون فأمر بنصب عمد الخشب وجعل عليها الستائر فى السنة المذكورة وكان الحاكم قد أمر بأن تدهن هذه العمد الخشب بدهن أحمر وأخضر فلم يثبت عليها ثم امر بقلعها وجعلها بين الرواقين * وأوّل ما عملت المقاصير فى الجوامع فى ايام معاوية بن أبى سفيان سنة أربع وأربعين ولعل قرة بن شريك لما بنى الجامع بمصر عمل المقصورة

* وفى سنة احدى وستين ومائة أمر المهدى بنزع المقاصير من مساجد الامصار وبتقصير المنابر فجعلت على مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعيدت بعد ذلك * ولما ولى مصر موسى بن أبى العباس من أهل الشاش من قبل أبى جعفر اشناس أمر المعتصم أن يخرج المؤذنون الى خارج المقصورة وهو أول من أخرجهم وكانوا قبل ذلك يؤذنون داخلها ثم أمر الامام المستنصر بالله بن الظاهر بعمل الحجر المقابل للمحراب وبالزيادة فى المقصورة فى شرقيها وغربيها حتى اتصلت بالحذائين من جانبيها وبعمل منطقة فضة فى صدر المحراب الكبير اثبت عليها اسم أمير المؤمنين وجعل لعمودى المحراب أطواق فضة وجرى ذلك على يد عبد الله بن محمد بن عبدون فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة * قال مؤلفه رحمه الله ولم تزل هذه المنطقة الفضة الى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر بعد موت الخليفة العاضد لدين الله فى محرم سنة سبع وستين وخمسمائة فقلع مناطق الفضة من الجوامع بالقاهرة ومن جامع عمرو بن العاص بمصر وذلك فى حادى عشر شهر ربيع الاول من السنة المذكورة * قال القضاعى وفى شهر رمضان من سنة أربعين وأربعمائة جددت الخزانة التى فى ظهر دار الضرب فى طريق الشرطة مقابلة لظهر المحراب الكبير وفى شعبان من سنة احدى وأربعين وأربعمائة أذهب بقية الجدار القبلى حتى اتصل الاذهاب من جدار زيادة الخازن الى المنبر وجرى ذلك على يد القاضى أبى عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى بن أبى زكريا * وفى شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة عملت لموقف الامام فى زمن الصيف مقصورة خشب ومحراب ساج منقوش بعمودى صندل وتقلع هذه المقصورة فى الشتاء اذا صلى الامام فى المقصورة الكبيرة * وفى شعبان سنة أربع وأربعين وأربعمائة زيد فى الخزانة مجلس من دار الضرب وطريق المستحم وزخرف هذا المجلس وحسن وجعل فيه محراب ورخم بالرخام الذى قلع من المحراب الكبير حين نصب عبد الله بن محمد بن عبدون منطقة الفضة فى صدر المحراب الكبير وجرت هذه الزيادة على يد القاضى أبى عبد الله احمد بن محمد بن يحيى * وفى ذى الحجة من سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة عمر القاضى أبو عبد الله احمد بن محمد بن أبى زكريا غرفة المؤذنين بالسطح وحسنها وجعل لها روشنا على صحن الجامع وجعل بعدها ممرقا ينزل منه الى بيت المال وجعل للسطح مطلعا من الخزانة المستجدة فى ظهر المحراب الكبير وجعل له مطلعا آخر من الديوان الذى فى رحبة أبى أيوب * وفى شعبان من سنة خمس وأربعين وأربعمائة بنيت المئذنة التى فيما بين مئذنة عرفة والمئذنة الكبيرة على يد القاضى أبى عبد الله احمد بن أبى زكريا انتهى ماذكره القضاعى * وفى سنة أربع وستين وخمسمائة تمكن الفرنج من ديار مصر وحكموا فى القاهرة حكما جائرا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم وتيقنوا أنه لا حامى للبلاد من اجل ضعف الدولة وانكشفت لهم عورات الناس فجمع مرى ملك الفرنج بالساحل جموعه واستجد قوما قوى بهم عساكره وسار الى القاهرة من بلبيس بعد أن اخذها وقتل كثيرا من أهلها فأمر شاور بن مجير السعدى وهو يومئذ مستول على ديار مصر وزارة للعاضد باحراق مدينة مصر فخرج اليها فى اليوم التاسع من صفر من السنة المذكورة عشرون ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل مضرمة بالنيران وفرقت فيها ونزل مرى بجموع الفرنج على بركة الحبش فلما رأى دخان الحريق تحول من بركة الحبش ونزل على القاهرة مما يلى باب البرقية وقاتل اهل القاهرة وقد انحشر الناس فيها واستمرت النار فى مصر أربعة وخمسين يوما والنهابة تهدم ما بها من المبانى وتحفر لاخذ الخبايا الى أن بلغ مرى قدوم اسد الدين شيركوه بعسكر من جهة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام فرحل فى سابع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وتراجع المصريون شيأ بعد شئ الى مصر وتشعث الجامع فلما استبد السلطان صلاح الدين بمملكة مصر بعد موت العاضد جدد الجامع العتيق بمصر فى سنة ثمان وستين وخمسمائة وأعاد صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه وجعل فى سقاية قاعة الخطابة قصبة الى السطح يرتفق بها اهل السطح وعمر المنظرة التى تحت المئذنة الكبيرة وجعل لها سقاية وعمر فى كنف دار عمرو الصغرى البحرى مما يلى الغربى قصبة اخرى الى محاذاة السطح وجعل لها ممشاة من السطح اليها يرتفق بها اهل السطح وعمر غرفة الساعات وحررت فلم تزل مستمرة الى اثناء ايام الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى أول من ملك من المماليك وجدد بياض الجامع وأزال شعثه وجلى عمده وأصلح رخامه حتى صار جميعه مفروشا بالرخام وليس فى سائر أرضه شئ بغير رخام حتى تحت الحصر * ولما تقلد قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن الاعز أبى القاسم خلف بن رشيد

الدين محمود بن بدر المعروف بابن بنت الاعز العلائى الشافعى قضاء القضاة بالديار المصرية ونظر الاحباس فى ولايته الثانية ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى كشف الجامع بنفسه فوجد مؤخره قد مال الى بحريه ووجد سوره البحرى قد مال وانقلب علوه عن سمت سفله ورأى فى سطح الجامع غرفا كثيرة محدثة وبعضها من خرف فهدم الجميع ولم يدع بالسطح سوى غرفة المؤذنين القديمة وثلاث خزائن لرؤساء المؤذنين لاغير وجمع أرباب الخبرة فاتفق الرأى على ابطال جريان الماء الى فوارة الفسقية وكان الماء يصل اليها من بحر النيل فامر بابطاله لما كان فيه من الضرر على جدر الجامع وعمر بغلات بالزيادة البحرية تسند جدار الجامع البحرى وزاد فى عمد الزيادة ماقوى به البغلات المذكورة وسد شباكين كانا فى الجدار المذكور ليتقوى بذلك وانفق المصروف على ذلك من مال الاحباس وخشى أن يتداعى الجامع كله الى السقوط فحدث الصاحب الوزير بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا فى مفاوضة السلطان فى عمارة ذلك من بيت المال فاجتمعا بالسلطان الملك الظاهر بيبرس وسألاه فى ذلك فرسم بعمارة الجامع فهدم الجدار البحرى من مقدم الجامع وهو الجدار الذى فيه اللوح الاخضر وحط اللوح وأزيلت العمد والقواصر العشر وعمر الجدار المذكور وأعيدت العمد والقواصر كما كانت وزيد فى العمد أربعة قرن بها أربعة مما هو تحت اللوح الاخضر والصف الثانى منه وفصل اللوح الاخضر اجزاء وجدد غيره واذهب وكتب عليه اسم السلطان الملك الظاهر وجليت العمد كلها وبيض الجامع بأسره وذلك فى شهر رجب سنة ست وستين وستمائة وصلى فيه شهر رمضان بعد فراغه ولم تتعطل الصلاة فيه لاجل العمارة * ولما كان فى شهور سنة سبع وثمانين وستمائة شكا قاضى القضاة تقى الدين ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الاعز للسلطان الملك المنصور قلاون سوء حال جامع عمرو بمصر وسوء حال الجامع الازهر بالقاهرة وأن الاحباس على أسوأ الاحوال وأن مجد الدين بن الحباب أخرب هذه الجهة لما كان يحدث فيها وتقرب بجزيرة الفيل الوقف الصلاحى على مدرسة الشافعية الى الامير علم الدين الشجاعى وذكر له بأن فى اطيانها زيادة فقاسوا ما تجدد بها من الزمان وجعلوه للوقف وأقطعوا الاطيان القديمة الجارية فى الوقف وتقرب أيضا اليه بأن فى الاحباس زيادة من جملتها بالاعمال الغربية ما مبلغه فى السنة ثلاثون ألف درهم وأن ذلك لجهة عمارة الجامعين وسأل السلطان فى اعادة ذلك وابطال ما اقطع منه فلم يجب الى ذلك وأمر الامير حسام الدين طرنطاى بعمارة الجامع الازهر والامير عز الدين الافرم بعمارة جامع عمرو فحضر الافرم الى الجامع بمصر ورسم على مباشرى الاحباس وكشف المساجد لغرض كان فى نفسه وبيض الجامع وجرد نصف العمد التى فيه فصار العمود نصفه الاسفل أبيض وباقيه بحاله ودهن واجهة غرفة الساعات بالسيلقون وأجرى الماء من البئر التى بزقاق الاقفال الى فسقية الجامع ورمى ما كان بالزيادات من الاتربة وبطر العوام به فيما فعله بالجامع فصاروا يقولون نقل الديماس من البحر الى الجامع لكونه دهن الغرفة بالسيلقون وألبس العواميد لشيخ العريان لكونه جرد نصفها التحتانى فصار أبيض الاسفل أسمر الاعلى كما كان الشيخ العريان فان نصفه الاسفل كان مستورا بمئزر أبيض وأعلاه عريان ولم يفعل بالجامع سوى ما ذكر * ولما حدثت الزلزلة فى سنة اثنتين وسبعمائة تشعث الجامع فاتفق الاميران بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ أستادار الملك الناصر محمد بن قلاون والامير سلار وهو نائب السلطنة واليهما تدبير الدولة على عمارة الجامعين بمصر والقاهرة فتولى الامير ركن الدين بيبرس عمارة الجامع الحاكمى بالقاهرة وتولى الامير سلار عمارة جامع عمرو بمصر فاعتمد سلار على كاتبه بدر الدين ابن خطاب فهدم الحد البحرى من سلم السطح الى باب الزيادة البحرية والشرقية وأعاده على ما كان عليه وعمل بابين جديدين للزيادة البحرية والغربية وأضاف الى كل عمود من الصف الاخير المقابل للجدار الذى هدمه عمودا آخر تقوية له وجرد عمد الجامع كلها وبيض الجامع بأسره وزاد فى سقف الزيادة الغربية رواقين وبلط سفل ما أسقف منها وخرب بظاهر مصر وبالقرافتين عدة مساجد وأخذ عمدها ورخم بها صحن الجامع وقلع من رخام الجامع الذى كان تحت الحصر كثيرا من الالواح الطوال ورص الجميع عند باب الجامع المعروف بباب الشرابين فنقل من هنالك الى حيث شاء ولم يعمل منه فى صحن الجامع شئ البتة وكان فيما نقل من ألواح الرخام ما طوله أربعة أذرع فى عرض ذراع وسدس ذهب بجميع ذلك * ولما ولى علاء الدين بن مروان نيابة دار العدل قسم جامعى مصر والقاهرة فجعل جامع القاهرة مع نبيه الدين بن السعرتى وجامع عمرو مع بهاء

الدين بن السكرى فسقفت الزيادة البحرية الشرقية وكانت قد جعلت حاصلا للحصر وجعل لها دار بزين بين البابين يمنع الجانبين من المارّ من باب الجامع الى باب الزيادة المسلوك منه الى سوق النحاسين وبلط أرضها ورفع بعض رخام صحن الجامع وبلط بعض المجازات وعمل عضائد أعتاب تحوز الصحن عن مواضع الصلاة * ولما كان فى شهور سنة ست وتسعين وستمائة اشترى الصاحب تاج الدين دارا بسوق الاكفانيين وهدمها وجعل مكانها سقاية كبيرة ورفعها الى محاذاة سطح الجامع وجعل لها ممشى يتوصل اليها من سطح الجامع وعمل فى أعلاها أربعة بيوت يرتفق بهم فى الخلاء ومكانا برسم ازيار الماء العذب وهدم سقاية الغرفة التى تحت المئذنة المعروفة بالمنظرة وبناها برجا كبيرا من الارض الى العلوّ حيث كان أوّلا وجعل بأعلى هذا البرج بيتا مرتفقا يختص بالغرفة المذكورة كما كان أوّلا وبيتا ثانيا من خارج الغرفة يرتفق به من هو خارج الغرفة ممن يقرب منها وعمر القاضى صدر الدين ابو عبد الله محمد بن البارنبارى سقاية فى ركن دار عمرو البحرى الغربى من داره الصغرى بعد ما كانت قد تهدّمت فأعادها كأحسن ما كانت ثم ان الجامع تشعث ومالت قواصره ولم يبق الا أن يسقط واهل الدولة بعد موت الملك الظاهر برقوق فى شغل من اللهو عن عمل ذلك فانتدب الرئيس برهان الدين ابراهيم بن عمر بن على المحلى رئيس التجار يومئذ بديار مصر لعمارة الجامع بنفسه وذويه وهدم صدر الجامع بأسره فيما بين المحراب الكبير الى الصحن طولا وعرضا وأزال اللوح الاخضر وأعاد البناء كما كان أوّلا وجدّد لوحا أخضر بدل الاوّل ونصبه كما كان وهو الموجود الآن وجرّد العمد كلها وتتبع جدر الجامع فرمّ شعثها كله وأصلح من رخام الصحن ما كان قد فسد ومن السقوف ما كان قد وهى وبيض الجامع كله فجاء كما كان وعاد جديدا بعد ما كاد أن يسقط لولا اقام الله عز وجل هذا الرجل مع ما عرف من شحه وكثرة ضنته بالمال حتى عمره فشكر الله سعيه وبيض محياه وكان انتهاء هذا العمل فى سنة أربع وثمانمائة ولم يتعطل منه صلاة جمعة ولا جماعة فى مدة عمارته * قال ابن المتوج ان ذرع هذا الجامع اثنان واربعون ألف ذراع بذراع البز المصرى القديم وهو ذراع الحصر المستمرّ الى الآن فمن ذلك مقدمه ثلاثة عشر ألف ذراع وأربعمائة وخمسة وعشرون ذراعا ومؤخره مثل ذلك وصحنه سبعة آلاف وخمسمائة ذراع وكل من جانبيه الشرقى والغربى ثلاثة آلاف وثمانمائة وخمسة وعشرون ذراعا وذرعه كله بذراع العمل ثمانية وعشرون ألف ذراع وعدد أبوابه ثلاثة عشر بابا منها فى القبلى باب الزيت تحته الذى يدخل منه الخطيب كان به شجرة زيتون عظيمة قطعت فى سنة ست وستين وسبعمائة وفى البحرى ثلاثة ابواب وفى الشرقى خمسة وفى الغربى أربعة وعدد عمده ثلثمائة وثمانية وسبعون عمودا وعدد مآذنه خمس وبه ثلاث زيادات فالبحرية الشرقية كانت لجلوس قاضى القضاة بها فى كل اسبوع يومين وكان بهذا الجامع القصص * قال القضاعى روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لم يقص فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى بكر ولا عمر ولا عثمان رضى الله عنهم وانما كان القصص فى زمن معاوية رضى الله عنه * وذكر عمر بن شبة قال قيل للحسن متى أحدث القصص قال فى خلافة عثمان بن عفان قيل من أوّل من قص قال تميم الدارى * وذكر عن ابن شهاب قال أوّل من قص فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الدارى استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فاذن له أن يذكر فى يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر فاستأذن تميم عثمان بن عفان رضى الله عنه فى ذلك فأذن له أن يذكر يومين فى الجمعة فكان تميم يفعل ذلك * وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عليا رضى الله عنه قنت فدعا على قوم من أهل حربه فبلغ ذلك معاوية فأمر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعو له ولاهل الشام قال يزيد وكان ذلك أوّل القصص * وروى عن عبد الله بن مغفل قال أمّنا على رضى الله عنه فى المغرب فلما رفع رأسه من الركعة الثالثة ذكر معاوية أوّلا وعمرو بن العاص ثانيا وأبا الاعور يعنى السلمى ثالثا وكان أبو موسى الرابع * وقال الليث بن سعد هما قصصان قصص العامّة وقصص الخاصة فأما قصص العامّة فهو الذى يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم فذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية ولى رجلا على القصص فاذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولاهل ولايته وحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة * ويقال ان أوّل من قص بمصر سليمان بن عتر التجيبى فى سنة ثمان وثلاثين وجمع له القضاء الى القصص ثم عزل عن القضاء وأفرد

بالقصص وكانت ولايته على القصص والقضاء سبعا وثلاثين سنة منها سنتان قبل القضاء ويقال انه كان يختم القرآن فى كل ليلة ثلاث مرّات وكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويسجد فى المفصل ويسلم تسليمة واحدة ويقرأ فى الركعة الاولى بالبقرة وفى الثانية بقل هو الله أحد ويرفع يديه فى القصص اذا دعا وكان عبد الملك بن مروان شكا الى العلماء ما انتشر عليه من أمور رعيته وتخوّفه من كل وجه فأشار عليه أبو حبيب الجمحى القاضى بأن يستنصر عليهم برفع يديه الى الله تعالى فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه وكتب بذلك الى القصاص فكانوا يرفعون أيديهم بالغداة والعشى * وفى هذا الجامع مصحف اسماء وهو الذى تجاه المحراب الكبير * قال القضاعى كان السبب فى كتب هذا المصحف أن الحجاج بن يوسف الثقفى كتب مصاحف وبعث بها الى الامصار ووجه الى مصر بمصحف منها فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك وكان الوالى يومئذ من قبل أخيه عبد الملك وقال يبعث الى جند أنا فيه بمصحف فأمر فكتب له هذا المصحف الذى فى المسجد الجامع اليوم فلما فرغ منه قال من وجد فيه حرفا خطأ فله رأس أحمر وثلاثون دينارا فتداوله القرّاء فأتى رجل من قرّاء الكوفة اسمه زرعة بن سهل الثقفى فقرأه تهجيا ثم جاء الى عبد العزيز بن مروان فقال له انى قد وجدت فى المصحف حرفا خطأ فقال مصحفى قال نعم فنظر فاذا فيه ان هذا أخى له تسع وتسعون نجة فاذا هى مكتوبة نجعة قد قدمت الجيم قبل العين فأمر بالمصحف فأصلح ما كان فيه وأبدلت الورقة ثم أمر له بثلاثين دينارا وبرأس أحمر ولما فرغ من هذا المصحف كان يحمل الى المسجد الجامع غداة كل جمعة من دار عبد العزيز فيقرأ فيه ثم يقص ثم يردّ الى موضعه فكان أوّل من قرأ فيه عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى لانه كان يتولى القصص والقضاء يومئذ وذلك فى سنة ست وسبعين ثم تولى بعده القصص أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى وكان قاضيا بالاسكندرية قبل ذلك ثم توفى عبد العزيز فى سنة ست وثمانين فبيع هذا المصحف فى ميراثه فاشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار ثم توفى أبو بكر فاشترته أسماء ابنة أبى بكر بن عبد العزيز بسبعمائة دينار فأمكنت الناس منه وشهرته فنسب اليها فلما توفيت أسماء اشتراه أخوها الحكم بن عبد العزيز بن مروان من ميراثها بخمسمائة دينار فأشار عليه توبة بن نمر الحضرمى القاضى وهو متولى القصص يومئذ بالمسجد الجامع بعد عقبة بن مسلم الهمدانى واليه القضاء وذلك فى سنة ثمان عشرة ومائة فجعله فى المسجد الجامع وأجرى على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير فى كل شهر من غلة الاصطبل فكان توبة أوّل من قرأ فيه بعد أن اقرّ فى الجامع وتولى القصص بعد توبة أبو اسماعيل خير بن نعيم الحضرمى القاضى فى سنة عشرين ومائة وجمع له القضاء والقصص فكان يقرأ فى المصحف قائما ثم يقص وهو جالس فهو أوّل من قرأ فى المصحف قائما ولم تزل الائمة يقرؤن فى المسجد الجامع فى هذا المصحف فى كل يوم جمعة الى أن ولى القصص أبو رجب العلاء بن عاصم الخولانى فى سنة اثنتين وثمانين ومائة فقرأ فيه يوم الاثنين وكان قد جعل المطلب الخزاعى أمير مصر من قبل المأمون رزق أبى رجب العلاء عشرة دنانير على القصص وهو أوّل من سلم فى الجامع تسليمتين بكتاب ورد من المأمون يأمر فيه بذلك وصلى خلفه محمد بن ادريس الشافعى حين قدم الى مصر فقال هكذا تكون الصلاة ما صليت خلف احد أتم صلاة من أبى رجب ولا أحسن * ولما ولى القصص حسن ابن الربيع بن سليمان من قبل عنبسة بن اسحاق أمير مصر من قبل المتوكل فى سنة أربعين ومائتين امر أن تترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة فتركها الناس وأمر أن تصلى التراويح خمس تراويح وكانت تصلى قبل ذلك ست تراويح وزاد فى قراءة المصحف يوما فكان يقرأ يوم الاثنين ويوم الخميس ويوم الجمعة * ولما ولى حمزة بن أيوب ابن ابراهيم الهاشمى القصص بكتاب من المكتفى فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين صلى فى مؤخر المسجد حين نكس وأمر أن يحمل اليه المصحف ليقرأ فيه فقيل له انه لم يحمل المصحف الى أحد قبلك فلو قمت وقرأت فيه فى مكانه فقال لا افعل ولكن ائتونى به فان القرآن علينا أنزل والينا اتى فأتى به فقرأ فيه فى المؤخر وهو أوّل من قرأ فى المصحف فى المؤخر ولم يقرأ فى المصحف بعد ذلك فى المؤخر الى أن تولى أبو بكر محمد بن الحسن السوسى الصلاة والقصص فى اليوم العشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعمائة فنصب المصحف فى مؤخر الجامع حيال الفوّارة وقرأ فيه أيام نكس الجامع فاستمرّ الامر على ذلك الى الآن * ولما تولى القصص أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلم الملطى فى سنة احدى وثمانمائة عزم على القراءة فى المصحف فى كل يوم فتكلم على بن قديد فى ذلك ومنع منه وقال أعزم على أن يخلق المصحف ويقطعه ارى عبد العزيز بن مروان حيا فيكتب له مثله فرجع الى القراءة ثلاثة

ايام * وكان قد حضر الى مصر رجل من اهل العراق وأحضر مصحفا ذكر أنه مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه وانه الذى كان بين يديه يوم الدار وكان فيه اثر الدم وذكر أنه استخرج من خزائن المقتدر ودفع المصحف الى عبد الله بن شعيب المعروف بابن بنت وليد القاضى فأخذه ابو بكر الخازن وجعله فى الجامع وشهره وجعل عليه خشبا منقوشا وكان الامام يقرأ فيه يوما وفى مصحف أسماء يوما ولم يزل على ذلك الى أن رفع هذا المصحف واقتصر على القراءة فى مصحف أسماء وذلك فى ايام العزيز بالله لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وسبعين وثلثمائة * وقد انكر قوم أن يكون هذا المصحف مصحف عثمان رضى الله عنه لان نقله لم يصح ولم يثبت بحكاية رجل واحد * ورايت انا هذا المصحف وعلى ظهره ما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين هذا المصحف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه حمله المبارك مسعود بن سعد الهيتى لجماعة المسلمين القراء للقرآن التالين له المتقربين الى الله جل ذكره بقراءته والمتعلمين له ليكون محفوظا أبدا ما بقى ورقه ولم يذهب اسمه ابتغاء ثواب الله عز وجل ورجاء غفرانه وجعله عدة ليوم فقره وفاقته وحاجته اليه أناله الله ذلك برأفته وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من تطرقه وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصحف والمندرس يشبه أن يكون وتبصر فى ورقه وقصد بابداعه فسطاط مصر فى المسجد الجامع جامع المسلمين العتيق ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه ومن عنى به وكان ذلك فى يوم الثلاثا مستهل ذى القعدة سنة سبع واربعين وثلثمائة وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل * قال ابن المتوج ودليل بطلان ما قاله هذا المعترض ظهور التعصب على عثمان رضى الله عنه من تجيب وخلفائهم أن الناس قد جربوا هذا المصحف وهو الذى على الكرسى الغربى من مصحف أسماء انه ما فتح قط الا وحدث حادث فى الوجود لتحقيق ما حدث أولا والله اعلم * (قال القضاعى ذكر المواضع المعروفة بالبركة من الجامع يستحب الصلاة والدعاء عندها) * منها البلاطة التى خلف الباب الاول فى مجلس ابن عبد الحكم * ومنها باب البرادع روى عن رجل من صلحاء المصريين يقال له أبو هارون الخرقى قال رأيت الله عز وجل فى منامى فقلت له يارب انت ترانى وتسمع كلامى قال نعم ثم قال اتريد أن اريك بابا من أبواب الجنة قلت نعم يارب فأشار الى باب اصحاب البرادع أو الباب الاقصى مما يلى رحبة حارث وكان أبو هارون هذا يصلى الظهر والعصر فيما بينهما * وقال ابن المتوج وعند المحراب الصغير الذى فى جدار الجامع الغربى ظاهر المقصورة فيما يلى الزيادة الغربية الدعاء عنده مستجاب قال ومن ذلك باب مقصورة عرفة * ومنها عند خرزة البئر التى بالجامع * ومنها قبالة اللوح الاخضر * ومنها زاوية فاطمة ويقال انها فاطمة ابنة عفان الماوصى والدها أن تترك لله فى الجامع فتركت فى هذا المكان فعرف بها * ومنها سطح الجامع والطواف به سبع مرات يبدأ بالاولى من باب الخزانة الاولى التى يستقبلها الداخل من باب السطح وهو يتلو الى أن يصل الى زاوية السطح التى عند المئذنة المعروفة بعرفة يقف عندها ثم يدعو بما أراد ثم يمر وهو يتلو الى أن يصل الى الركن الشرقى عند المئذنة المشهورة بالكبيرة ثم يدعو بما أراد ويمر الى الركن البحرى الشرقى فيقف محاذيا بالغرفة المؤذنين ويدعو ثم يمر وهو يتلو الى المكان الذى ابتدأ منه يفعل ذلك سبع مرات فان حاجته تقضى * قال القضاعى ولم يكن الناس يصلون بالجامع بمصر صلاة العيد حتى كانت سنة ست ويقال سنة ثمان وثلثمائة فصلى فيه رجل يعرف بعلى بن احمد بن عبد الملك الفهمى يعرف بابن أبى شيخة صلاة الفطر ويقال انه خطب من دفتر نظرا وحفظ عنه اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مشركون فقال بعض الشعراء

وقام فى العيد لنا خاطب * يحرض الناس على الكفر

وتوفى سنة تسع وثلثمائة * (وبالجامع زوايا يدرس فيها الفقه) * منها زاوية الامام الشافعى رضى الله عنه يقال انه درس بها الشافعى فعرفت به وعليها أرض بناحية سندبيس وقفها السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء * ومنها الزاوية المجدية بصدر الجامع فيما بين المحراب الكبير ومحراب الخمس داخل المقصورة الوسطى بجوار المحراب الكبير رتبها مجد الدين أبو الاشبال الحارث بن مهذب الدين أبى المحاسن مهلب بن حسن بن بركات بن على بن

غياث المهلبي الازدي البهنسي الشافعي وزير الملك الاشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب بحران وقرر في تدريسها قريبه قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي وعمل على هذه الزاوية عدة أوقاف بمصر والقاهرة وبعد تدريسها من المناصب الجليلة وتوفى الجد في صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة بدمشق عن ثلاث وستين سنة * ومنها الزاوية الصاحبية حول عرفة رتبها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد بن بهاء الدين بن حنا وجعل لها مدرسين احدهما مالكي والآخر شافعي وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة بخط البراذعيين * ومنها الزاوية الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع الذي يدخل اليه من سوق الغزل رتبها كمال الدين السمنودي وعليها فندق بمصر موقوف عليها * ومنها الزاوية التاجية أمام المحراب الخشب رتبها تاج الدين السطحي وجعل عليها دورا بمصر موقوفة عليها * ومنها الزاوية المعينية في الجانب الشرقي من الجامع رتبها معين الدين الدهروطي وعليها وقف بمصر * ومنها الزاوية العلائية تنسب لعلاء الدين الضرير وهي في صحن الجامع وهي لقراءة ميعاد * ومنها الزاوية الزينية رتبها الصاحب زين الدين لقراءة ميعاد أيضا ذكر ذلك ابن المتوج * واخبرني المقرى الاديب المؤرخ الضابط شهاب الدين احمد بن عبد الله بن الحسن الاوحدي رحمه الله قال أخبرني المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات قال أخبرني العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه * قال ابن المأمون حدثني القاضي المكين بن حيدرة وهو من أعيان الشهود بمصر أن من جملة الخدم التي كانت بيد والده مشارفة الجامع العتيق وان القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود عنده الى أن يعملوا ثمانية عشر ألف فتيلة وأن المطلق برسمه خاصة في كل ليلة برسم وقوده أحد عشر قنطارا ونصف زيتا طيبا

* (ذكر المحاريب التي بديار مصر وسبب اختلافها وتعيين الصواب فيها وتبيين الخطأ منها) *

* اعلم أن محاريب ديار مصر التي يستقبلها المسلمون في صلواتهم أربعة محاريب * أحدها محراب الصحابة رضي الله عنهم الذي أسسوه في البلاد التي استوطنوها والبلاد التي كثر ممرهم بها من اقليم مصر وهو محراب المسجد الجامع بمصر المعروف بجامع عمرو ومحراب المسجد الجامع بالجيزة وبمدينة بلبيس وبالاسكندرية وقوص واسوان وهذه المحاريب المذكورة على سمت واحد غير أن محاريب ثغر اسوان أشد تشريقا من غيرها وذلك أن اسوان مع مكة شرفهما الله تعالى في الاقليم الثاني وهو الحد الغربي من مكة بغير ميل الى الشمال ومحراب بلبيس مغرب قليلا * والمحراب الثاني محراب مسجد أحمد بن طولون وهو منحرف عن سمت محراب الصحابة وقد ذكر في سبب انحرافه أقوال * منها أن أحمد بن طولون لما عزم على بناء هذا المسجد بعث الى محراب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ سمته فاذا هو مائل عن خط سمت القبلة المستخرج بالصناعة نحو العشر درج الى جهة الجنوب فوضع حينئذ محراب مسجده هذا مائلا عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب بنحو ذلك اقتداء منه بمحراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وخط له المحراب فلما أصبح وجد النمل قد أطاف بالمكان الذي خطه له رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقيل غير ذلك وانت ان صعدت الى سطح جامع ابن طولون رأيت محرابه مائلا عن محراب جامع عمرو بن العاص الى الجنوب ورأيت محراب المدارس التي حدثت الى جانبه قد انحرفت عن محرابه الى جهة الشرق وصار محراب جامع عمرو فيما بين محراب ابن طولون والمحاريب الاخر وقد عقد مجلس بجامع ابن طولون في ولاية قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة حضره علماء الميقات منهم الشيخ تقي الدين محمد بن محمد بن موسى الغزولي والشيخ أبو الطاهر محمد بن محمد ونظروا في محرابه فأجمعوا على انه منحرف عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب مغربا بقدر أربع عشرة درجة وكتب بذلك محضر وأثبت على ابن جماعة * والمحراب الثالث محراب جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وما في سمته من بقية محاريب القاهرة وهي محاريب يشهد الامتحان بتقدم واضعها في معرفة استخراج القبلة فانها على خط سمت القبلة من غير ميل عنه ولا انحراف البتة * والمحراب الرابع محاريب المساجد التي في قرى بلاد الساحل فانها تخالف محاريب الصحابة الا أن محراب جامع منية غمر قريب من سمت محاريب الصحابة فان الوزير أبا

عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالمأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله أبي علي منصور بن المستعلي بالله أنشأ جامعا بمنية زفتا في سنة ست عشرة وخمسمائة فجعل محرابه على سمت المحاريب الصحيحة * وفي قرافة مصر بجوار مسجد الفتح عدة مساجد تخالف محاريب الصحابة مخالفة فاحشة وكذلك بمدينة مصر الفسطاط غير مسجد على هذا الحكم * فأما محاريب الصحابة التي بفسطاط مصر والاسكندرية فان سمتها يقابل مشرق الشتاء وهو مطالع برج العقرب مع ميل قليل الى ناحية الجنوب ومحاريب مساجد القرى وما حول مسجد الفتح بالقرافة فانها تستقبل خط نصف النهار الذي يقال له خط الزوال وتميل عنه الى جهة المغرب وهذا الاختلاف بين هذين المحرابين اختلاف فاحش يفضي الى ابطال الصلاة * وقد قال ابن عبد الحكم قبلة أهل مصر أن يكون القطب الشمالي على الكتف الايسر وهذا سمت محاريب الصحابة قال واذا طلعت منازل العقرب وتكملت صورته فهاذا انه سمت القبلة لديار مصر وبرقة وافريقية وما والاها وفي الفرقدين والقطب الشمالي كفاية للمستدلين فانهم ان كانوا مستقبلين في مسيرهم من الجنوب جهة الشمال استقبلوا القطب والفرقدين وان كانوا سائرين الى الجنوب من الشمال استدبروها وان كانوا سائرين الى الشرق من المغرب جعلوها على الاذن اليسرى وان كانوا سائرين من الشرق الى المغرب جعلوها على الاذن اليمنى وان كان مسيرهم الى النكباء التي بين الجنوب والصبا جعلوها على الكتف الايسر وان كان مسيرهم الى النكباء التي بين الجنوب والدبور جعلوها على الكتف الايمن وان كان مسيرهم الى النكباء التي بين الشمال والدبور جعلوها على الحاجب الايمن وان كان مسيرهم الى النكباء التي بين الشمال والصبا جعلوها على الحاجب الايسر * واذا عرف ذلك فانه يستحيل تصويب محرابين مختلفين في قطر واحد اذا زاد اختلافهما على مقدار ما يتسامح به في التيامن والتياسر وبيان ذلك أن كل قطر من اقطار الارض كبلاد الشام وديار مصر ونحوهما من الاقطار قطعة من الارض واقعة في مقابلة جزء من الكعبة والكعبة تكون في جهة من جهات ذلك القطر فاذا اختلف محرابان في قطر واحد فانا نتيقن أن أحدهما صواب والآخر خطأ الا أن يكون القطر قريبا من مكة وخطته التي هو محدود بها متسعة اتساعا كثيرا يزيد على الجزء الذي يخصه لو وزعت الكعبة اجزاء متماثلة فانه حينئذ يجوز التيامن والتياسر في محاريبه وذلك مثل بلاد البجة فانها على الساحل الغربي من بحر القلزم ومكة واقعة في شرقيها ليس بينهما الا مسافة البحر فقط وما بين جدة ومكة من البر وخطة بلاد البجة مع ذلك واسعة مستطيلة على الساحل أولها عيذاب وهي محاذية لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتميل عنها في الجنوب ميلا قليلا والمدينة شامية عن مكة بنحو عشرة أيام وآخر بلاد البجة من ناحية الجنوب سواكن وهي مائلة في ناحية الجنوب عن مكة ميلا كثيرا وهذا المقدار من طول بلاد البجة يزيد على الجزء الذي يخص هذه الخطة من الارض لو وزعت الارض أجزاء متساوية الى الكعبة فيتعين والحالة هذه التيامن أو التياسر في طرفي هذه البلاد لطلب جهة الكعبة * وأما اذا بعد القطر عن الكعبة بعدا كثيرا فانه لا يضر اتساع خطته ولا يحتاج فيه الى تيامن ولا تياسر لاتساع الجزء الذي يخصه من الارض فان كل قطر منها له جزء يخصه من الكعبة من اجل أن الكعبة من البلاد المعمورة كالنكرة من الدائرة فالاقطار كلها في استقبال الكعبة محيطة بها كاحاطة الدائرة بمركزها وكل قطر فانه يتوجه الى الكعبة في جزء يخصه والاجزاء المنقسمة اذا قدرت الارض كالدائرة فانها تتسع عند المحيط وتتضايق عند المركز فاذا كان القطر بعيدا عن الكعبة فانه يقع في متسع الحد ولا يحتاج فيه الى تيامن ولا تياسر بخلاف ما اذا قرب القطر من الكعبة فانه يقع في متضايق الجزء ويحتاج عند ذلك الى تيامن أو تياسر فان فرضنا أن الواجب اصابة عين الكعبة في استقبال الصلاة لمن بعد عن مكة وقد علمت ما في هذه المسألة من الاختلاف بين العلماء فانه لا يتسامح في اختلاف المحاريب بأكثر من قدر التيامن والتياسر الذي لا يخرج عن حد الجهة فلو زاد الاختلاف حكم ببطلان أحد المحرابين ولا بد اللهم الا أن يكونا في قطرين بعيدين بعضهما من بعض وليسا على خط واحد من مسامتة الكعبة وذلك كبلاد الشام وديار مصر فان البلاد الشامية لها جانبان وخطتها متسعة مستطيلة في شمال مكة وتمتد اكثر من الجزء الخاص بها بالنسبة الى مقدار بعدها عن الكعبة وفي هذين القطرين يجري ما تقدم ذكره في أرض البجة الا أن التيامن والتياسر ظهوره في البلاد الشامية اقل من ظهوره في أرض البجة من أجل بعد البلاد الشامية عن الكعبة وقرب أرض البجة

وذلك أن البلاد الشامية وقعت فى متسع الجزء الخاص بها فلم يظهر أثر التيامن والتياسر ظهورا كثيرا كظهوره فى أرض الجهة لان البلاد الشامية لها جانب شرقى وجانب غربى ووسط فجانبها الغربى هو أرض بيت المقدس وفلسطين الى العريش أول حد مصر وهذا الجانب من البلاد الشامية يقابل الكعبة على حد مهب النكباء التى بين الجنوب والصبا وأما جانب البلاد الشامية الشرقى فانه ما كان مشرقا عن مدينة دمشق الى حلب والفرات وما يسامت ذلك من بلاد الساحل وهذه الجهة تقابل الكعبة مشرقا عن أوسط مهب الجنوب قليلا وأما أوسط بلاد الشام فانها دمشق وما قاربها وتقابل الكعبة على وسط مهب الجنوب وهذا هو سمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ميل يسير عنه الى ناحية المشرق * وأما مصر فانها تقابل الكعبة فيما بين الصبا ومهب النكباء التى بين الصبا والجنوب ولذلك لما اختلف هذان القطران أعنى مصر والشام فى محاذاة الكعبة اختلفت محاريبهما وعلى ذلك وضع الصحابة رضى الله عنهم محاريب الشام ومصر على اختلاف السمتين فأما مصر بعينها وضواحيها وما هو فى حدها أو على سمتها وفى البلاد الشامية وما فى حدها أو على سمتها فانه لا يجوز فيهما تصويب محرابين مختلفين اختلافا بينا فان تباعد القطر عن القطر بمسافة قريبة أو بعيدة وكان القطران على سمت واحد فى محاذاة الكعبة لم يضر حينئذ تباعدهما ولا تختلف محاريبهما بل تكون محاريب كل قطر منهما على حد واحد وسمت واحد وذلك كمصر وبرقة وافريقية وصقلية والاندلس فان هذه البلاد وان تباعد بعضها عن بعض فانها كلها تقابل الكعبة على حد واحد وسمتها جميعها سمت مصر من غير اختلاف البتة وقد تبين بما تقرر حال الاقطار المختلفة من الكعبة فى وقوعها منها * وأما اختلاف محاريب مصر فان له أسبابا أحدها حمل كثير من الناس قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه الحافظ أبو عيسى الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ما بين المشرق والمغرب قبلة على العموم وهذا الحديث قد روى موقوفا على عمر وعثمان وعلى وابن عباس ومحمد ابن الحنفية رضى الله عنهم وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا قال احمد بن حنبل هذا فى كل البلدان قال هذا المشرق وهذا المغرب وما بينهما قبلة قيل له فصلاة من صلى بينهما جائزة قال نعم وينبغى أن يتحرى الوسط وقال احمد بن خالد قول عمر ما بين المشرق والمغرب قبلة قاله بالمدينة فمن كانت قبلته مثل قبلة المدينة فهو فى سعة مما بين المشرق والمغرب ولسائر البلدان من السعة فى القبلة مثل ذلك بين الجنوب والشمال وقال أبو عمر بن عبد البر لا خلاف بين أهل العلم فيه * قال مؤلفه رحمه الله اذا تأملت وجدت هذا الحديث يختص بأهل الشام والمدينة وما على سمت تلك البلاد شمالا وجنوبا فقط والدليل على ذلك أنه يلزم من حمله على العموم ابطال التوجه الى الكعبة فى بعض الاقطار والله سبحانه قد افترض على الكافة أن يتوجهوا الى الكعبة فى الصلاة حيثما كانوا بقوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقد عرفت ان كنت تمهرت فى معرفة البلدان وحدود الاقاليم أن الناس فى توجههم الى الكعبة كالدائرة حول المركز فمن كان فى الجهة الغربية من الكعبة فان جهة قبلة صلاته الى المشرق ومن كان فى الجهة الشرقية من الكعبة فانه يستقبل فى صلاته جهة المغرب ومن كان فى الجهة الشمالية من الكعبة فانه يتوجه فى صلاته الى جهة الجنوب ومن كان فى الجهة الجنوبية من الكعبة كانت صلاته الى جهة الشمال ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والجنوب فان قبلته فيما بين الشمال والمغرب ومن كان من الكعبة فيما بين الجنوب والمغرب فان قبلته فيما بين الشمال والمشرق ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والشمال فقبلته فيما بين الجنوب والمغرب ومن كان من الكعبة فيما بين الشمال والمغرب فقبلته فيما بين الجنوب والمشرق * فقد ظهر ما يلزم من القول بعموم هذا الحديث من خروج أهل المشرق الساكنين به وأهل المغرب أيضا عن التوجه الى الكعبة فى الصلاة عينا وجهة لان من كان مسكنه من البلاد ما هو فى اقصى المشرق من الكعبة لو جعل المشرق عن يساره والمغرب عن يمينه لكان انما يستقبل حينئذ جنوب أرضه ولم يستقبل قط عين الكعبة ولا جهتها فوجب ولا بد حمل الحديث على انه خاص بأهل المدينة والشام وما على سمت ذلك من البلاد بدليل أن المدينة النبوية واقعة بين مكة وبين أوسط الشام على خط مستقيم والجانب الغربى من بلاد الشام التى هى أرض المقدس وفلسطين يكون عن يمين من يستقبل بالمدينة الكعبة والجانب الشرقى الذى هو حمص وحلب وما والى ذلك واقع عن يسار من استقبل

الكعبة بالمدينة والمدينة واقعة فى أوسط جهة الشام على جهة مستقيمة بحيث لو خرج خط من الكعبة ومرّ على استقامة الى المدينة النبوية لنفذ منها الى أوسط جهة الشام سواء وكذلك لو خرج خط من مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجه على استقامة لوقع فيما بين الميزاب من الكعبة وبين الركن الشامى فلو فرضنا أن هذا الخط خرق الموضع الذى وقع فيه من الكعبة ومرّ لنفذ الى بيت المقدس على استواء من غير ميل ولا انحراف البتة وصار موقع هذا الخط فيما بين نكباء الشمال والدبور وبين القطب الشمالى وهو الى القطب الشمالى اقرب وأميل ومقابلته ما بين أوسط الجنوب ونكباء الصبا والجنوب وهو الى الجنوب اقرب والمدينة النبوية مشرّقة عن هذا السمت ومغربة عن سمت الجانب الآخر من بلاد الشام وهو الجانب الغربى تغريبا يسيرا فمن يستقبل مكة بالمدينة يصير المشرق عن يساره والمغرب عن يمينه وما بينهما فهو قبلته وتكون حينئذ الشام بأسرها وجملة بلادها خلفه فالمدينة على هذا فى أوسط جهات البلاد الشامية ويشهد بصدق ذلك ما رويناه من طريق مسلم رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رقيت على بيت أختى حفصة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا الحاجته مستقبل الشام مستدبر القبلة وله أيضا من حديث ابن عمر بينا الناس فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستداروا الى الكعبة فهذا العزل الله أوضح دليل أن المدينة بين مكة والشام على حدّ واحد وأنها فى أوسط جهة بلاد الشام فمن استقبل بالمدينة الكعبة فقد استدبر الشام ومن استدبر بالمدينة الكعبة فقد استقبل الشام ويكون حينئذ الجانب الغربى من بلاد الشام وما على سمته من البلاد جهة القبلة عندهم أن يجعل الواقف مشرق الصيف عن يساره ومغرب الشتاء عن يمينه فيكون ما بين ذلك قبلته وتكون قبلة الجانب الشرقى من بلاد الشام وما على سمت ذلك من البلدان أن يجعل المصلى مغرب الصيف عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره وما بينهما قبلته ويكون أوسط البلاد الشامية التى هى حدّ المدينة النبوية قبلة المصلى بها أن يجعل مشرق الاعتدال عن يساره ومغرب الاعتدال عن يمينه وما بينهما قبلة له فهذا أوضح استدلال على أن الحديث خاص بأهل المدينة وما على سمتها من البلاد الشامية وما وراءها من البلدان المسامتة لها وهكذا أهل اليمن وما على سمت اليمن من البلاد فان القبلة واقعة فيما هنالك بين المشرق والمغرب لكن على عكس وقوعها فى البلاد الشامية فانه تصير مشارق الكواكب فى البلاد الشامية التى على يسار المصلى واقعة عن يمين المصلى فى بلاد اليمن وكذلك كل ما كان من المغارب عن يمين المصلى بالشام فانه ينقلب عن يسار المصلى باليمن وكل من قام ببلاد اليمن مستقبلا الكعبة فانه يتوجه الى بلاد الشام فيما بين المشرق والمغرب وهذه الاقطار سكانها هم المخاطبون بهذا الحديث وحكمه لازم لهم وهو خاص بهم دون من سواهم من أهل الاقطار الأخر ومن أجل حمل هذا الحديث على العموم كان السبب فى اختلاف محاريب مصر * (السبب الثانى) فى اختلاف محاريب مصر أن الديار المصرية لما افتتحها المسلمون كانت خاصة بالقبط والروم مشحونة بهم ونزل الصحابة رضى الله عنهم من أرض مصر فى موضع الفسطاط الذى يعرف اليوم بمدينة مصر وبالاسكندرية وتركوا سائر قرى مصر بأيدى القبط كما تقدّم فى موضعه من هذا الكتاب ولم يسكن أحد من المسلمين بالقرى وانما كانت رابطة تخرج الى الصعيد حتى اذا جاء أوان الربيع انتشر الاتباع فى القرى لرعى الدواب ومعهم طوائف من السادات ومع ذلك فكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينهى الجند عن الزرع ويبعث الى أمراء الاجناد باعطاء الرعية أعطياتهم وأرزاق عيالهم وينهاهم عن الزرع * روى الامام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة أن عمر بن الخطاب أمر مناديه أن يخرج الى امراء الاجناد يتقدّمون الى الرعية أن عطاءهم قائم وأن ارزاق عيالهم سائل فلا يزرعون ولا يزارعون * قال ابن وهب واخبرنى شريك بن عبد الرحمن المرادى قال بلغنا أن شريك بن سمى الغطفانى أتى الى عمرو بن العاص فقال انكم لا تعطونا ما يحسبنا افتأذن لى بالزرع فقال له عمرو ما أقدر على ذلك فزرع شريك من غير اذن عمرو فلما بلغ ذلك عمرا كتب الى عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سمى الغطفانى حرث بأرض مصر فكتب اليه عمر أن ابعث الىّ به فلما انتهى كتاب عمر الى عمرو أقرأه شريكا فقال شريك لعمرو قتلتنى يا عمرو فقال عمرو ما انا بالذى قتلتك انت صنعت هذا بنفسك فقال له اذا كان هذا من رأيك فائذن لى بالخروج من غير

كتاب ولك علىّ عهد الله أن أجعل يدى فى يده فاذن له بالخروج فلما وقف على عمر قال تؤمننى يا أمير المؤمنين قال ومن أىّ الاجناد أنت قال من جند مصر قال فلعلك شريك بن سمىّ الغطيفى قال نعم يا أمير المؤمنين قال لاجعلنك نكالا لمن خلفك قال أو تقبل منى ما قبل الله تعالى من العباد قال وتفعل قال نعم فكتب الى عمرو بن العاص ان شريك بن سمى جاءنى تائبا فقبلت منه * قال وحدثنا عبد الله بن صالح بن عبد الرحمن بن شريح عن أبى قبيل قال كان الناس يجتمعون بالفسطاط اذا قفلوا فاذا حضر مرافق الريف خطب عمرو بن العاص الناس فقال قد حضر مرافق الريف ربيعكم فانصرفوا فاذا حمض اللبن واشتد العود وكثر الذباب فحىّ على فسطاطكم ولا أعلمن ما جاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل جواده * وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال كان عمرو يقول للناس اذا قفلوا من غزوهم انه قد حضر الربيع فمن أحبّ منكم أن يخرج بفرسه يربعه فليفعل ولا أعلمن ما جاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل فرسه فاذا حمض اللبن وكثر الذباب ولوى العود فارجعوا الى قيروانكم * وعن ابن لهيعة عن الاسود بن مالك الحميرى عن بحير بن ذاخر المعافرى قال رحت أنا ووالدى الى صلاة الجمعة تهجيرا وذلك بعد حميم النصارى بأيام يسيرة فأطلنا الركوع اذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس فذعرت فقلت يا أبت من هؤلاء قال يا بنىّ هؤلاء الشرط فأقام المؤذنون الصلاة فقام عمرو بن العاص على المنبر فرأيت رجلا ربعة قصير القامة وافر الهامة أدعج أبلج عليه ثياب موشاة كأن به العقبان تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة فحمد الله وأثنى عليه حمدا موجزا وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم فسمعته يحض على الزكاة وصلة الارحام ويأمر بالاقتصاد وينهى عن الفضول وكثرة العيال واخفاض الحال فى ذلك فقال يا معشر الناس اياكم وخلالا اربعا فانها تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى الذلة بعد العزة اياكم وكثرة العيال واخفاض الحال وتضييع المال والقيل بعد القال فى غير درك ولا نوال ثم انه لابد من فراغ يؤول اليه المرء فى توديع جسمه والتدبير لشانه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ومن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الاقل ولا يضيع المرء فى فراغه نصيب العلم من نفسه فيحوز من الخير عاطلا وعن حلال الله وحرامه غافلا يا معشر الناس انه قد تدلت الجوزاء وذات الشعرى وأقلعت السماء وارتفع الوباء وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السخائل وعلى الراعى بحسن رعيته حسن النظر فحىّ لكم على بركة الله تعالى الى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده واربعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها واكرموها فانها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأنفالكم واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا واياكم والمومسات المعسولات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم حدثنى عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم فيكم صهرا وذمة فكفوا ايديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم ولا اعلمن ما اتى رجل قد اسمن جسمه وأهزل فرسه واعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن اهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك واعلموا انكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم وتشوّف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وحدثنى عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال له أبو بكر رضى الله عنه ولم يا رسول الله قال لانهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم فتمتعوا فى ريفكم ما طاب لكم فاذا يبس العود وسخن الماء وكثر الذباب وحمض اللبن وصوّح البقل وانقطع الورد من الشجر فحىّ الى فسطاطكم على بركة الله ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته أقول قولى هذا واستحفظ الله عليكم قال فحفظت ذلك عنه فقال والدى بعد انصرافنا الى المنزل لما حكيت له خطبته انه يا بنىّ يحذر الناس اذا انصرفوا اليه على الرباط كما حذرهم على الريف والدعة * قال وكان اذا جاء وقت الربيع كتب لكل قوم بربيعهم ولبنهم الى حيث أحبوا وكانت القرى التى يأخذ فيها معظمهم منوف وسمنود واهناس وطحا وكان أهل الراية متفرقين فكان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون فى منوف ووسيم وكانت هذيل تأخذ فى بنا وبوصير وكانت عدوان تأخذ فى بوصير وقرى علك والذى يأخذ فيه معظمهم بوصير ومنوف وسنديس واتريب وكانت بلى تأخذ فى منف وطرابية وكانت فهم تأخذ فى اتريب وعين

شمس ومنوف وكانت مهرة تأخذ في مناوتمى وبسطة ووسيم وكانت لخم تأخذ في الفيوم وطرابية وقربيط وكانت جذام تأخذ في قربيط وطرابية وكانت حضرموت تأخذ في بنا وعين شمس واتريب وكانت مراد تأخذ في منف والفيوم ومعهم عبس بن زوف وكانت حمير تأخذ في بوصير وقرى اهناس وكانت خولان تأخذ في قرى اهناس والقيس والبهنسا وآل وعلة يأخذون في سفط من بوصير وآل ابرهة يأخذون في منف وغفار وأسلم يأخذون مع وائل من جذام وسعد في بسطة وقربيط وطرابية وآل يسار بن ضبة في اتريب وكانت المعافر تأخذ في اتريب وسخا ومنوف وكانت طائفة من تجيب ومراد يأخذون بالبدقون وكان بعض هذه القبائل ربما جاور بعضا في الربيع ولا يوقف في معرفة ذلك على أحد الا أن معظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا وكان يكتب لهم بالربيع فيربعون ما أقاموا وباللبن وكان لغفار وليث أيضا مربع باتريب قال واقامت مدلج بخربتا فاتخذوها منزلا وكان معهم نفر من حمير حالفوهم فيها فهي منازلهم ورجعت خثعم وطائفة من لخم وجذام فنزلوا أكناف ضان والبلبل وطرابية ولم تكن قيس بالحوف الشرقي قديما وانما انزلهم به ابن الحبحاب وذلك انه وفد الى هشام بن عبد الملك فأمر له بفريضة خمسة آلاف رجل فجعل ابن الحبحاب الفريضة في قيس وقدم بهم فأنزلهم الحوف الشرقي بمصر فانظر أعزك الله ما كان عليه الصحابة وتابعوهم عند فتح مصر من قلة السكنى بالريف ومع ذلك فكانت القرى كلها في جميع الاقليم أعلاه وأسفله مملوءة بالقبط والروم ولم ينتشر الاسلام في قرى مصر الا بعد المائة من تاريخ الهجرة عندما أنزل عبيد الله بن الحبحاب مولى سلول قيسا بالحوف الشرقي فلما كان في المائة الثانية من سني الهجرة كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها ومابرحت القبط تنقض وتحارب المسلمين الى ما بعد المائتين من سني الهجرة * قال ابو عمرو محمد بن يوسف الكندي في كتاب أمراء مصر وفي امرة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر الى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فنقضت كورة تنو ونمي وقربيط وطرابية وعامة الحوف الشرقي فبعث اليهم الحر بأهل الديوان فحاربوهم فقتل منهم خلق كثير وذلك أول نقض القبط بمصر وكان نقضهم في سنة سبع ومائة ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة اشهر ثم نقض أهل الصعيد وحارب القبط عمالهم في سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر أهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا فظفر بهم وخرج بحنس وهو رجل من القبط من سمنود فبعث اليه عبد الملك بن مروان موسى بن نصير أمير مصر فقتل بحنس في كثير من اصحابه وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وخالفت القبط أيضا برشيد فبعث اليهم مروان ابن محمد الحمار لما دخل مصر فارا من بني العباس عثمان بن أبي نسعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة أمير مصر بناحية سخا ونابذوا العمال وأخرجوهم في سنة خمسين ومائة وصاروا الى شبرا سنباط وانضم اليهم أهل البشرود والاوسية والنجوم فاتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبي على أهل الديوان ووجوه أهل مصر فخرجوا اليهم ولقيهم القبط وقتلوا من المسلمين فألقى المسلمون النار في عسكر القبط وانصرف العسكر الى مصر منهزما * وفي ولاية موسى بن علي بن رباح على مصر خرج القبط ببلهيت في سنة ست وخمسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم نقضت القبط في جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين مع من نقض من أهل أسفل الارض من العرب وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة العمال فيهم فكانت بينهم وبين الجيوش حروب امتدت الى أن قدم الخليفة عبد الله امير المؤمنين المأمون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فعقد على جيش بعث به الى الصعيد وارتحل هو الى سخا وأوقع الافشين بالقبط في ناحية البشرود حتى نزلوا على حكم امير المؤمنين فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبي اكثرهم وتتبع كل من يومأ اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى الفسطاط في صفر ومضى الى حلوان وعاد لثمان عشرة خلت من صفر فكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان تسعة واربعين يوما * فانظر أعزك الله كيف كانت اقامة الصحابة انما هي بالفسطاط والاسكندرية وانه لم يكن لهم كثير اقامة بالقرى وأن النصارى كانوا امة كثيرين من القرى والمسلمون بها قليل وانهم لم ينتشروا بالنواحي الا بعد عصر الصحابة والتابعين يتبين لك انهم لم يؤسسوا في القرى والنواحي مساجد وتفطن لشيء آخر وهو أن القبط ما برحوا كما تقدم يثبتون لمحاربة المسلمين دالة منهم بما هم عليه من القوة والكثرة فلما أوقع بهم المأمون الوقعة التي قلنا

غلب المسلمون على أماكنهم من القرى لما قتلوا منهم وسبوا وجعلوا عدة من كنائس النصارى مساجد وكنائس النصارى مؤسسة على استقبال المشرق واستدبار المغرب زعما منهم انهم أمروا باستقبال مشرق الاعتدال وأنه الجنة لطلوع الشمس منه فجعل المسلمون أبواب الكنائس محاريب عندما غلبوا عليها وصيروها مساجد. فجاءت موازية لخط نصف النهار وصارت منحرفة عن محاريب الصحابة انحرافا كثيرا يحكم بخطئها وبعدها عن الصواب كما تقدم * (السبب الثالث) تساهل كثير من الناس فى معرفة أدلة القبلة حتى انك لتجد كثيرا من الفقهاء لا يعرفون منازل القمر صورة وحسابا وقد علم من له ممارسة بالرياضيات أن بمنازل القمر يعرف وقت السحر وانتقال الفجر فى المنازل وناهيك بما يترتب على معرفة ذلك من أحكام الصلاة والصيام وهذه المنازل التى للقمر من بعض ما يستدل به على القبلة والطرقات وهى من مبادى العلم وقد جهلوه فمن اعوزه الادنى فحريه أن يجهل ما هو أعلى منه وأدق * (السبب الرابع) الاعتذار بنجم سهيل فان كثيرا ما يقع الاعتذار عن مخالفة محاريب المتأخرين بأنها بنيت على مقابلة سهيل ومن هنا يقع الخطأ فان هذا امر يحتاج فيه الى تحرير وهو أن دائرة سهيل مطلعها جنوب مشرق الشتاء قليلا وتوسطها فى أوسط الجنوب وغروبها يميل عن اوسط الجنوب قليلا فلعل من تقدم من السلف أمر ببناء المساجد فى القرى على مقابلة مطالع سهيل ومطلعه فى سمت قبلة مصر تقريبا فجهل من قام بأمر البنيان فرق ما بين مطالع سهيل وتوسطه وغروبه وتساهل فوضع المحراب على مقابلة توسط سهيل وهو أوسط الجنوب فجاء المحراب حينئذ منحرفا عن السمت الصحيح انحرافا لا يسوغ التوجه اليه البتة * (السبب الخامس) أن المحاريب الفاسدة بديار مصر اكثرها فى البلاد الشمالية التى تعرف بالوجه البحرى والذى يظهر أن الغلط دخل على من وضعها من جهة ظنه أن هذه البلاد لها حكم بلاد الشام وذلك أن بلاد مصر التى فى الساحل كثيرة الشبه ببلاد الشام فى كثرة أمطارها وشدة بردها وحسن فواكهها فاستطرد الشبه حتى فى المحاريب ووضعها على سمت المحاريب الشامية فجاء شيأ خطأ وبيان ذلك أن هذه البلاد ليست بشمالية عن الشام حتى يكون حكمها فى استقبال الكعبة كالحكم فى البلاد الشامية بل هى مغربة عن الجانب الغربى من الشام بعدة ايام وسمتاهما مختلفان فى استقبال الكعبة لاختلاف القطرين فان الجانب الغربى من الشام كما تقدم يقابل ميزاب الكعبة على خط مستقيم وهو حيث مهب النكباء التى بين الشمال والدبور ووسط الشام كدمشق وما والاها شمال مكة من غير ميل وهم يستقبلون أوسط الجنوب فى صلاتهم بحيث يكون القطب الشمالى المسمى بالجدى وراء ظهورهم والمدينة النبوية بين هذا الحد من الشام وبين مكة مشرقة عن هذا الحد قليلا فاذا كانت مصر مغربة عن الجانب الغربى من الشام بأيام عديدة تعين ووجب أن تكون محاريبها ولا بد مائلة الى جهة المشرق بقدر بعد مصر وتغريبها عن أوسط الشام وهذا أمر يدركه الحس ويشهد لصحته العيان وعلى ذلك اسس الصحابة رضى الله عنهم المحاريب بدمشق وبيت المقدس مستقبلة ناحية الجنوب وأسسوا المحاريب بمصر مستقبلة المشرق مع ميل يسير عنه الى ناحية الجنوب * فرض رحمك الله نفسك فى التمييز وعود نظرك التأمل وأربأ بنفسك أن تقاد كما تقاد البهيمة بتقليدك من لا يؤمن عليه الخطأ فقد نهجت لك السبيل فى هذه المسألة وألنت لك من القول وقربت لك حتى كأنك تعاين الاقطار وكيف موقعها من مكة * ولى هنا مزيد بيان فيه الفرق بين اصابة العين واصابة الجهة وهو أن المكلف لو وقف وفرضنا انه خرج خط مستقيم من بين عينيه ومر حتى اتصل بجدار الكعبة من غير ميل عنها الى جهة من الجهات فانه لا بد أن ينكشف لبصره مدى عن يمينه وشماله لا ينتهى بصره الى غيره ان كان لا ينحرف عن مقابلته فلو فرضنا امتداد خطين من كلا عينى الواقف بحيث يلتقيان فى باطن الرأس على زاوية مثلثة ويتصلان بما انتهى اليه البصر من كلا الجانبين لكان ذلك شكلا مثلثا قسمة الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة بنصفين حتى يصير ذلك الشكل بين مثلثين متساويين فالخط الخارج من بين عينى مستقبل الكعبة الذى فرق بين الزاويتين هو مقابلة العين التى اشترط الشافعى رحمه الله وجوب استقبالها من الكعبة عند الصلاة ومنتهى ما يكشف بصر المستقبل من الجانبين هو حد مقابلة الجهة التى قال جماعة من علماء الشريعة بصحة استقباله فى الصلاة والخطان الخارجان من العينين الى طرفيه هما آخر الجهة من اليمين والشمال فمهما وقعت صلاة المستقبل على الخط الفاصل بين الزاويتين كان قد استقبل عين الكعبة ومهما وقعت صلاته منحرفة عن يمين الخط أو يساره بحيث لا يخرج

استقباله عن منتهى حد الزاويتين المحدودتين بما يكشف بصره من الجانبين فانه مستقبل جهة الكعبة وان خرج استقباله عن حد الزاويتين من أحد الجانبين فانه يخرج فى استقباله عن حد جهة الكعبة وهذا الحد فى الجهة يتسع ببعد المدى ويضيق بقربه فأقصى ما ينتهى اليه اتساعه ربع دائرة الافق وذلك أن الجهات المعتبرة فى الاستقبال اربع المشرق والمغرب والجنوب والشمال فمن استقبل جهة من هذه الجهات كان اقصى ما ينتهى اليه سعة تلك الجهة ربع دائرة الافق وان انكشف لبصره اكثر من ذلك فلا عبرة به من اجل ضرورة تساوى الجهات فانا لو فرضنا انسانا وقف فى مركز دائرة واستقبل جزأ من محيط الدائرة لكانت كل جهة من جهاته الاربع التى هى وراءه وأمامه ويمينه وشماله تقابل ربعا من ارباع الدائرة فتبين بما قلنا أن اقصى ما ينتهى اليه اتساع الجهة قدر ربع دائرة الافق فأى جزء من أجزاء دائرة الافق قصده الواقف بالاستقبال فى بلد من البلدان كانت جهة ذلك الجزء المستقبل ربع دائرة الافق وكان الخط الخارج من بين عينى الواقف الى وسط تلك الجهة هو مقابلة العين ومنتهى الربع من جانبيه يمنة ويسرة هو منتهى الجهة التى قد استقبلها فما خرج من محاريب بلد من البلدان عن حد جهة الكعبة لا تصح الصلاة لذلك المحراب بوجه من الوجوه وما وقع فى جهة الكعبة صحت الصلاة اليه عند من يرى أن الفرض فى استقبال الكعبة اصابة جهتها وما وقع فى مقابلة عين الكعبة فهو الاسد الافضل الاولى عند الجمهور * وان أنصفت علمت أنه مهما وقع الاستقبال فى مقابلة جهة الكعبة فانه يكون سديدا واقرب منه الى الصواب ما وقع قريبا من مقابلة العين يمنة أو يسرة بخلاف ما وقع بعيدا عن مقابلة العين فانه بعيد من الصواب ولعله هو الذى يجرى فيه الخلاف بين علماء الشريعة والله اعلم * وحيث تقرر الحكم الشرعى بالادلة السمعية والبراهين العقلية فى هذه المسألة فاعلم أن المحاريب المخالفة لمحاريب الصحابة التى بقرافة مصر وبالوجه البحرى من ديار مصر واقعة فى آخر جهة الكعبة من مصر وخارجة عن حد الجهة وهى مع ذلك فى مقابلة ما بين البجة والنوبة لا فى مقابلة الكعبة فانها منصوبة على موازاة خط نصف النهار ومحاريب الصحابة على موازاة مشرق الشتاء تجاه مطالع العقرب مع ميل يسير عنها الى ناحية الجنوب فاذا جعلنا مشرق الشتاء المذكور مقابلة عين الكعبة لاهل مصر وفرضنا جهة ذلك الجزء ربع دائرة الافق صار سمت المحاريب التى هى موازية لخط نصف النهار خارجا عن جهة الكعبة والذى يستقبلها فى الصلاة يصلى الى غير شطر المسجد الحرام وهو خطر عظيم فاحذره * واعلم أن صعيد مصر واقع فى جنوب مدينة مصر وقوص واقعة فى شرقى الصعيد وفيما بين مهب ريح الجنوب والصبا من ديار مصر فالمتوجه من مدينة قوص الى عيذاب يستقبل مشرق الشتاء سواء الى أن يصل الى عيذاب ولا يزال كذلك اذا سار من عيذاب حتى ينتهى فى البحر الى جدة فاذا سار من جدة فى البر استقبل المشرق كذلك حتى يحل بمكة فاذا عاد من مكة استقبل المغرب فاعرف من هذا أن مكة واقعة فى النصف الشرقى من الربع الجنوبى بالنسبة الى أرض مصر وهذا هو سمت محاريب الصحابة التى بديار مصر والاسكندرية وهو الذى يجب أن يكون سمت جميع محاريب اقليم مصر * (برهان آخر) وهو أن من سار من مكة يريد مصر على الجادة فانه يستقبل ما بين القطب الشمالى الذى هو الجدى وبين مغرب الصيف مدة يومين وبعض اليوم الثالث وفى هذه المدة يكون مهب النكباء التى بين الشمال والمغرب تلقاء وجهه ثم يستقبل بعد ذلك فى مدة ثلاثة أيام أوسط الشمال بحيث يبقى الجدى تلقاء وجهه الى أن يصل الى بدر فاذا سار من بدر الى المدينة النبوية صار مشرق الصيف تلقاء وجهه تارة ومشرق الاعتدال تارة الى أن ينتهى الى المدينة فاذا رجع من المدينة الى الصفراء استقبل مغرب الشتاء الى أن يعدل الى ينبع فيصير تارة يسير شمالا وتارة يسير مغربا ويكون ينبع من مكة على حد النكباء التى بين الشمال ومغرب الصيف فاذا سار من ينبع استقبل ما بين الجدى ومغرب الثريا وهو مغرب الصيف وهبت النكباء تلقاء وجهه الى أن يصل الى مدين فاذا سار من مدين استقبل تارة الشمال وأخرى مغرب الصيف حتى يدخل ايلة ومن ايلة لا يزال يستقبل مغرب الاعتدال تارة ويميل عنه الى جهة الجنوب مع استقبال مغرب الشتاء أخرى الى أن يصل الى القاهرة ومصر فلو فرضنا خطا خرج من محاريب مصر الصحيحة التى وضعها الصحابة ومر على استقامة من غير ميل ولا انحراف لاتصل بالكعبة ولصق بها * واعلم أن أهل مصر والاسكندرية وبلاد الصعيد وأسفل الارض وبرقة وافريقية وطرابلس المغرب وصقلية والاندلس وسواحل المغرب الى السوس الاقصى والبحر المحيط وما على

سمت هذه البلاد يستقبلون في صلاتهم من الكعبة ما بين الركن الغربي الى الميزاب فمن أراد أن يستقبل الكعبة في شيء من هذه البلاد فليجعل بنات نعش اذا غربت خلف كتفه الايسر واذا طلعت على صدغه الايسر ويكون الجدي على أذنه اليسرى ومشرق الشمس تلقاء وجهه أو ريح الشمال خلف أذنه اليسرى أو ريح الدبور خلف كتفه الايمن أو ريح الجنوب التي تهب من ناحية الصعيد على عينه اليمنى فانه حينئذ يستقبل من الكعبة سمت محاريب الصحابة الذين أمرنا الله باتباع سبيلهم ونهانا عن مخالفتهم بقوله عز وجل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ألهمنا الله بمنه اتباع طريقهم وصيرنا بكرمه من حزبهم وفريقهم انه على كل شيء قدير

(جامع العسكر)

هذا الجامع بظاهر مصر وهو حيث الفضاء الذي هو اليوم فيما بين جامع احمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر وكان الى جانب الشرطة والدار التي يسكنها أمراء مصر ومن هذه الدار الى الجامع باب وكان يجمع فيه الجمعة وفيه منبر ومقصورة وهذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في ولايته امارة مصر ملاصقا لشرطة العسكر التي كان يقال لها الشرطة العليا في سنة تسع وستين ومائة فكانوا يجمعون فيه وكانت ولاية الفضل امارة مصر من قبل المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور على الصلاة والخراج فدخلها سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة في عسكر من الجند عظيم أتي بهم من الشام ومصر تضطرم لما كان في الحوف والخروج دحية بن مصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان فقام في ذلك وجهز الجنود حتى أسر دحية وضرب عنقه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان يقول أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامي في أمر دحية وقد عجز عنه غيري حتى كفيت أهل مصر أمره فعزله موسى الهادي لما استخلف بعد موت أبيه المهدي بعد ما أقره فندم الفضل على قتل دحية وأظهر توبة وسار الى بغداد فمات عن خمسين سنة في سنة اثنتين وسبعين ومائة ولم يزل الجامع بالعسكر الى أن ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة على صلاة مصر وخراجها من قبل عبد الله أمير المؤمنين المأمون في ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين فزاد في عمارته وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع احمد بن طولون ولم يزل هذا الجامع الى ما بعد الخمسمائة من سني الهجرة قال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وكان يطلق في الاربع ليالي الوقود وهي مستهل رجب ونصفه ومستهل شعبان ونصفه برسم الجوامع الستة الازهر والانور والاقمر بالقاهرة والطولوني والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التي تتضمن الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التي يكون لاربابها وجاهة جملة كثيرة من الزيت الطيب ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير ويعني بجامع ساحل الغلة جامع العسكر فان العسكر حينئذ كان قد خرب وحملت أنقاضه وصار الجامع بساحل مصر وهو الساحل القديم المذكور في موضعه من هذا الكتاب

(ذكر العسكر)

كان مكان العسكر في صدر الاسلام يعرف بعد الفتح بالحمراء القصوى وهي كما تقدم خطة بني الازرق وخطة بني رويل وخطة بني يشكر بن جزيلة من لخم ثم دثرت هذه الحمراء وصارت صحراء فلما زالت دولة بني أمية ودخلت المسودة الى مصر في طلب مروان بن محمد الجعدي في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهي خراب فضاء يعرف بعضه بجبل يشكر نزل صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وأبو عون عبد الملك بن يزيد بعسكرهما في هذا الفضاء وأمر عبد الملك أبو عون اصحابه بالبناء فيه فبنوا وسمي من يومئذ بالعسكر وصار أمراء مصر اذا قدموا ينزلون فيه من بعد أبي عون وقال الناس من عهده كنا بالعسكر خرجنا الى العسكر وكنت في العسكر فصارت مدينة الفسطاط والعسكر ونزل الامراء من عهد أبي عون بالعسكر فلما ولي يزيد بن حاتم امارة مصر وقام علي بن محمد بن عبد الله بن حسن وطرق المسجد كتب أبو جعفر المنصور الى يزيد بن حاتم يأمره أن يتحول من العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة الى أن قدم الامير أبو العباس أحمد بن طولون من العراق أميرا على مصر فنزل بالعسكر بدار الامارة التي بناها صالح بن علي بعد هزيمة مروان وقتله وكان لها باب الى الجامع الذي بالعسكر وكان الامراء ينزلون بهذه الدار الى أن نزلها أحمد بن طولون ثم

تحوّل منها الى القطائع وجعلها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون عند امارته على مصر ديوانا للخراج ثم فرّقت حجرا حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بنى طولون وسكن محمد بن سليمان أيضا بدار فى العسكر عند المصلى القديم ونزلها الامراء من بعده الى أن ولى الاخشيد محمد بن طغج فنزل بالعسكر أيضا ولما بنى احمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبنى الجامع على جبل يشكر فعمر ما هنالك عمارة عظيمة بحيث كانت هنالك دار على بركة قارون أنفق عليها كافور الاخشيدى مائة ألف دينار وسكنها وكان هنالك مارستان احمد بن طولون أنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار * وقدمت عساكر المعز لدين الله مع كاتبه وغلامه جوهر القائد فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة والعسكر عامر غير أنه منذ بنى احمد بن طولون القطائع هجر اسم العسكر وصار يقال مدينة الفسطاط والقطائع فلما خرّب محمد بن سليمان الكاتب قصر ابن طولون وميدانه كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب صارت القطائع فيها المساكن الجليلة حيث كان العسكر وأنزل المعز لدين الله عمه أبا على فى دار الامارة فلم يزل أهلها بها الى أن خربت القطائع فى الغلاء الكائن بمصر فى خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربعمائة فيقال انه كان هنالك ما ينيف على مائة ألف دار ولا ينكر ذلك فانظر ما بين سفح الجبل حيث القلعة الآن وبين ساحل مصر القديم الذى يعرف اليوم بالكبارة وما بين كوم الجارح من مصر وقناطر السباع فهنالك كانت القطائع والعسكر ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحدرة ابن قميحة الى كوم الجارح حيث الفضاء الذى يتوسط فيما بين قنطرة السد وباب المجدم من جهة القرافة فهنالك كان العسكر ولما استولى الخراب فى المحنة زمن المستنصر أمر الوزير الناصر للدين عبد الرحمن البازورى ببناء حائط يستر الخراب اذا توجه الخليفة الى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق وأمر فبنى حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان فى خلافة الآمر بأحكام الله أبى على منصور بن المستعلى بالله أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالمأمون البطايحى فنودى مدة ثلاثة ايام فى القاهرة ومصر بأن من كان له دار فى الخراب أو مكان يعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه او يؤجره من غير نقل شئ من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق فعمر الناس ما كان منه مما يلى القاهرة من حيث مشهد السيدة نفيسة الى ظاهر باب زويلة ونقلت أنقاض العسكر فصار الفضاء الذى يوصل اليه من مشهد السيدة نفيسة ومن الجامع الطولونى ومن قنطرة السد ويسلك فيه الى حيث كوم الجارح والعامر الآن من العسكر جبل يشكر الذى فيه جامع ابن طولون وما حوله الى قناطر السباع كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى

(جامع ابن طولون)

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات * وابتدأ فى بناء هذا الجامع الامير أبو العباس احمد بن طولون بعد بناء القطائع فى سنة ثلاث وستين ومائتين * قال جامع السيرة الطولونية كان احمد بن طولون يصلى الجمعة فى المسجد القديم الملاصق للشرطة فلما ضاق عليه بنى الجامع الجديد مما أفاء الله عليه من المال الذى وجده فوق الجبل فى الموضع المعروف بتنور فرعون ومنه بنى العين فلما أراد بناء الجامع قدّر له ثلثمائة عمود فقيل له ما تجدها أو تنفذ الى الكنائس فى الارياف والضياع الخراب فتحمل ذلك فأنكر ذلك ولم يختره وتعذب قلبه بالفكر فى أمره وبلغ النصرانى الذى تولى له بناء العين وكان قد غضب عليه وضربه ورماه فى المطبق الخبر فكتب اليه يقول أنا ابنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد الاعمودى القبلة فأحضره وقد طال شعره حتى نزل على وجهه فقال له ويحك ما تقول فى بناء الجامع فقال أنا أصوّره للامير حتى يراه عيانا بلا عمد الاعمودى القبلة فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت وصوّره له فأعجبه واستحسنه وأطلقه وخلع عليه وأطلق له للنفقة عليه مائة ألف دينار فقال له أنفق وما احتجت اليه بعد ذلك اطلقناه لك فوضع النصرانى يده فى البناء فى الموضع الذى هو فيه وهو جبل يشكر فكان ينشر منه ويعمل الجير ويبنى الى أن فرغ من جميعه وبيضه وخلقه وعلق فيه القناديل بالسلاسل الحسان الطوال وفرش فيه الحصر وحمل اليه صناديق المصاحف ونقل اليه القرّاء والفقهاء وصلى فيه بكار بن قتيبة القاضى وعمل الربيع بن سليمان بابا فيما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة فلما كان أوّل جمعة صلاها فيه أحمد بن طولون وفرغت الصلاة

جلس محمد بن الربيع خارج المقصورة وقام المستملي وفتح باب المقصورة وجلس أحمد بن طولون ولم ينصرف والغلمان قيام وسائر الحجاب حتى فرغ المجلس فلما فرغ المجلس خرج اليه غلام بكيس فيه ألف دينار وقال يقول لك الامير نفعك الله بما علمك وهذه لابي طاهر يعني ابنه وتصدق احمد بن طولون بصدقات عظيمة فيه وعمل طعاما عظيما للفقراء والمساكين وكان يوما عظيما حسنا * وراح أحمد بن طولون ونزل في الدار التي عملها فيه للامارة وقد فرشت وعلقت وحملت اليها الآلات والاواني وصناديق الاشربة وماشاكلها فنزل بها أحمد وجدد طهره وغير ثيابه وخرج من بابها الى المقصورة فركع وسجد شكر الله تعالى على ما اعانه عليه من ذلك ويسره له فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى اشرف على الفوارة وخرج الى باب الريح فصعد النصراني الذي بنى الجامع ووقف الى جانب المركب النحاس وصاح يا أحمد بن طولون يا امير الامان عبدك يريد الجائزة ويسأل الامان أن لا يجري عليه مثل ما جرى في المرة الاولى فقال له احمد بن طولون انزل فقد امنك الله ولك الجائزة فنزل وخلع عليه وأمر له بعشرة آلاف دينار وأجرى عليه الرزق الواسع الى أن مات * وراح أحمد بن طولون في يوم الجمعة الى الجامع فلما رقى الخطيب المنبر وخطب وهو أبو يعقوب البلخي دعا للمعتمد ولولده ونسي أن يدعو لاحمد بن طولون ونزل عن المنبر فأشار أحمد الى نسيم الخادم أن اضربه خمسمائة سوط فذكر الخطيب سهوه وهو على مراقي المنبر فعاد وقال الحمد لله وصلى الله على محمد ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اللهم وأصلح الامير أبا العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين وزاد في الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ثم نزل فنظر أحمد الى نسيم أن اجعلها دنانير ووقف الخطيب على ما كان منه فحمد الله تعالى على سلامته وهنأه الناس بالسلامة * ورأى أحمد بن طولون الصناع يبنون في الجامع عند العشاء وكان في شهر رمضان فقال متى يشتري هؤلاء الضعفاء افطارا لعيالهم وأولادهم اصرفوهم العصر فصارت سنة الى اليوم بمصر فلما فرغ شهر رمضان قيل له قد انقضى شهر رمضان فيعودون الى رسمهم فقال قد بلغني دعاؤهم وقد تبركت به وليس هذا مما يوفر العمل علينا وفرغ منه في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين وتقرب الناس الى ابن طولون بالصلاة فيه وألزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة في فوارة الجامع ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم مع كل واحد منهم وراق وعدة غلمان * وبلغت النفقة على هذا الجامع في بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار * ويقال ان احمد بن طولون رأى في منامه كأن الله تعالى قد تجلى ووقع نوره على المدينة التي حول الجامع الا الجامع فانه لم يقع عليه من النور شيء فتألم وقال والله ما بنيته الا لله خالصا ومن المال الحلال الذي لا شبهة فيه فقال له معبر حاذق هذا الجامع يبقى ويخرب كل ما حوله لان الله تعالى قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا فكل شيء يقع عليه جلال الله عز وجل لا يثبت وقد صح تعبير هذه الرؤيا فان جميع ما حول الجامع خرب دهرا طويلا كما تقدم في موضعه من هذا الكتاب وبقي الجامع عامرا ثم عادت العمارة لما حوله كما هي الآن * قال القضاعي رحمه الله وذكر أن السبب في بنائه أن أهل مصر شكوا اليه ضيق الجامع يوم الجمعة من جنده وسودانه فأمر بانشاء المسجد الجامع بجبل يشكر بن جديلة من لخم فابتدأ بنيانه في سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منه سنة خمس وستين ومائتين وقيل ان احمد بن طولون قال أريد أن ابني بناء ان احترقت مصر بقي وان غرقت بقي فقيل له يبنى بالجير والرماد والآجر الاحمر القوي النار الى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام فانه لا صبر لها على النار فبناه هذا البناء وعمل في مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة وبناه على بناء جامع سامرا وكذلك المنارة وعلق فيه سلاسل النحاس المفرغة والقناديل المحكمة وفرشه بالحصر العبدانية والسامانية *(حديث الكنز)* قال جامع السيرة لما ورد على احمد بن طولون كتاب المعتمد بما استدعاه من رد الخراج بمصر اليه وزاده المعتمد مع ما طلب الثغور الشامية رغب بنفسه عن المعادن ومرافقها فأمر بتركها وكتب باسقاطها في سائر الاعمال ومنع المتقبلين من الفسخ على المزارعين وخطر الارتفاق على العمال وكان قبل اسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله ابن دسومة في ذلك وهو يومئذ امين على أبي أيوب متولي الخراج فقال ان أمنني الامير تكلمت بما عندي فقال له قد امنك الله عز وجل فقال أيها الامير ان الدنيا والآخرة ضرتان والحازم من لم يخلط احداهما مع الاخرى والمفرط من خلط بينهما فيتلف أعماله ويبطل سعيه وافعال الامير ايده الله الخير وتوكله توكل الزهاد وليس مثله

من ركب خطة لم يحكمها ولو كانثق بالنصر دائما طول العمر لما كان شئ عندنا آثر من التضييق على انفسنا في العاجل بعمارة الآجل ولكن الانسان قصير العمر كثير المصائب مدفوع الى الآفات وترك الانسان ماقد امكنه وصار في يده تضييع ولعل الذى حماه نفسه يكون سعادة لمن يأتى من بعده فيعود ذلك توسعة لغيره بما حرمه هو ويجتمع للامير أيده الله بما قد عزم على اسقاطه من المرافق في السنة بمصر دون غيرها مائة ألف دينار وان فسخ ضياع الامراء والمتقبلين في هذه السنة لانها سنة ظمأ توجب الفسخ زاد مال البلد وتوفر توفرا عظيما ينضاف الى مال المرافق فيضبط به الامير ايده الله أمر دنياه وهذه طريقة امور الدنيا وأحكام امور الرياسة والسياسة وكل ماعدل الامير ايده الله اليه من امر غير هذا فهو مفسد لدنياه وهذا رأيى والامير أيده الله على ماعساه يراه فقال له ننظر في هذا ان شاء الله وشغل قلبه كلامه فبات تلك الليلة بعد أن مضى اكثر الليل يفكر في كلام ابن دسومة فرأى في منامه رجلا من اخوانه الزهاد بطرسوس وهو يقول له ليس ما أشار به عليك من استشرته في أمر الارتفاق والفسخ برأى تحمد عاقبته فلا تقبله ومن ترك شيأ لله عز وجل عوّضه الله عنه فأمض ما كنت عزمت عليه فلما اصبح أنفذ الكتب الى سائر الاعمال بذلك وتقدّم به في سائر الدواوين بامضائه ودعا بابن دسومة فعرّفه بذلك فقال له قد اشار عليك رجلان الواحد في اليقظة والآخر ميت في النوم وانت الى الحى اقرب وبضمانه أوثق فقال دعنا من هذا فلست أقبل منك وركب في غد ذلك اليوم الى نحو الصعيد فلما امعن في الصحراء ساخت في الارض يد فرس بعض غلمانه وهو رمل فسقط الغلام في الرمل فاذا بفتق ففتح فأصيب فيه من المال ما كان مقداره ألف ألف دينار وهو الكنز الذى شاع خبره وكتب به الى العراق احمد بن طولون يخبر المعتمد به ويستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البرّ وغيرها فبنى منه المارستان ثم اصاب بعده في الجبل مالا عظيما فبنى منه الجامع ووقف جميع مابقى من المال في الصدقات وكانت صدقاته ومعروفه لا تحصى كثرة * ولما انصرف من الصحراء وحمل المال أحضر ابن دسومة وأراه المال وقال له بئس الصاحب والمستشار انت هذا أول بركة مشورة الميت في النوم ولولا أنى امنتك لضربت عنقك وتغير عليه وسقط محله عنده ورفع اليه بعد ذلك انه قد اجحف بالناس وألزمهم اشياء نحوا منها فقبض عليه وأخذ ماله وحبسه فمات في حبسه وكان ابن دسومة واسع الحيلة بخيل الكف زاهدا في شكر الشاكرين لا يهش الى شئ من أعمال البرّ وكان احمد بن طولون من أهل القرآن اذا جرت منه اساءة استغفر وتضرّع * وقال ابن عبد الظاهر سمعت غير واحد يقول انه لما فرغ احمد بن طولون من بناء هذا الجامع أمر للناس بسماع ما يقوله الناس فيه من العيوب فقال رجل محرابه صغير وقال آخر ما فيه عمود وقال آخر ليست له ميضأة فجمع الناس وقال أما المحراب فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لى فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذى خطه لى وأما العمد فانى بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكنز وما كنت لأشوبه بغيره وهذه العمد اما أن تكون من مسجد أو كنيسة فنزهته عنها وأما الميضأة فانى نظرت فوجدت ما يكون بها من النجاسات فطهرته منها وها أنا ابنيها خلفه ثم أمر ببنائها * وقيل انه لما فرغ من بنائه رأى في منامه كأن نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله فلما اصبح قص رؤياه فقيل له أبشر بقبول الجامع لانّ النار كانت في الزمان الماضى اذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته دليله قصة قابيل وهابيل * قال ورأيت من يقول انه عمل به منطقة دائرة بجميعه من عنبر ولم أر مصنفا ذكره لانه مستفاض من الافواه والنقلة وسمعت من يقول انه عمر ما حوله حتى كان خلفه مسطبة ذراع في ذراع أجرتها في كل يوم اثنا عشر درهما في بكرة النهار لشخص يبيع الغزل ويشتريه والظهر لخباز والعصر لشيخ يبيع الحمص والفول * وقيل عن احمد بن طولون انه كان لا يعبث بشئ قط فاتفق انه أخذ درجا ابيض بيده وأخرجه ومدّه واستيقظ لنفسه وعلم أنه قد فطن به وأخذ عليه لكونه لم تكن تلك عادته فطلب المعمار على الجامع وقال تبنى المنارة التى للتأذين هكذا فبنيت على تلك الصورة والعامّة يقولون ان العشارى الذى على المنارة المذكورة يدور مع الشمس وليس صحيحا وانما يدور مع دوران الرياح وكان الملك الكامل قد اعتنى بوقودها ليلة النصف من شعبان ثم ابطلها وقال المسبحى ان الحاكم انزل الى جامع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفا * وفى سنة ست وسبعين وثلثمائة في ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى احترقت الفوّارة التى كانت بجامع ابن طولون فلم يبق منها شئ وكانت في وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهى مذهبة على عشر عمد رخام

وستة عشر عمود رخام فى جوانبها مفروشة كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخام فسحتها أربعة اذرع فى وسطها فوّارة تفور بالماء وفى وسطها قبة مزوّقة يؤذن فيها وفى أخرى على سلمها وفى السطح علامات الزوال والسطح بدرابزين ساج فاحترق جميع هذا فى ساعة واحدة * وفى المحرّم سنة خمس وثمانين وثلثمائة أمر العزيز بالله ابن المعز ببناء فوّارة عوضا عن التى احترقت فعمل ذلك على يد راشد الحنفى وتولى عمارتها ابن الرومية وابن البناء وماتت أمّ العزيز فى سلخ ذى القعدة من السنة والله اعلم *(تجديد الجامع)* وكان من خبر جامع ابن طولون أنه لما كان غلاء مصر فى زمان المستنصر وخربت القطائع والعسكر عدم الساكن هنالك وصار ما حول الجامع خرابا وتوالت الايام على ذلك وتشعث الجامع وخرب اكثره وصار أخيرا ينزل فيه المغاربة بأباعرها ومتاعها عند ما تمرّ بمصر أيام الحج فهيأ الله جلّ جلاله لعمارة هذا الجامع أن كان بين الملك الاشرف خليل بن قلاون وبين الامير بيدرا امور موحشة تزايدت وتأكدت الى أن جمع بيدرا من يثق به وقتل الاشرف بناحية تروجه فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر مدرسته وكان ممن وافق الامير بيدرا على قتل الاشرف الامير حسام الدين لاجين المنصورى والامير قراسنقر فلما قتل بيدرا فى محاربة مماليك الاشرف له فرّ لاجين وقراسنقر من المعركة فاختفى لاجين بالجامع الطولونى وقراسنقر فى داره بالقاهرة وصار لاجين يتردّد بمفرده من غير أحد معه فى الجامع وهو حينئذ خراب لاساكن فيه وأعطى الله عهدا ان سلمه الله من هذه المحنة ومكنه من الارض أن يجدّد عمارة هذا الجامع ويجعل له ما يقوم به ثم انه خرج منه فى خفية الى القرافة فأقام بها مدّة وراسل قراسنقر فتحيل فى لحاقه به وعملا أعمالا الى أن اجتمعا بالامير زين الدين كتبغا المنصورى وهو اذذاك نائب السلطنة فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون والقائم بأمور الدولة كلها فأحضرهما الى مجلس السلطان بقلعة الجبل بعد أن أتقن أمرهما مع الامراء ومماليك السلطان فخلع عليهما وصار كل منهما الى داره وهو آمن فلم تطل ايام الملك الناصر فى هذه الولاية حتى خلعه الامير كتبغا وجلس على تخت الملك وتلقب بالملك العادل فجعل لاجين نائب السلطنة بديار مصر وجرت أمور اقتضت قيام لاجين على كتبغا وهم بطريق الشام ففرّ كتبغا الى دمشق واستولى لاجين على دست المملكة وسار الى مصر وجلس على سرير الملك بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور فى المحرّم من سنة ست وتسعين وستمائة فأقام قراسنقر فى نيابة السلطنة بديار مصر وأخرج الناصر محمد بن قلاون من قلعة الجبل الى كرك الشوبك فجعله فى قلعتها وأعانه اهل الشام على كتبغا حتى قبض عليه وجعله نائب حماه فأقام بها مدّة سنتين بعد سلطنة مصر والشام وخلع على الامير علم الدين سنجر الدوادارى وأقامه فى نيابة دار العدل وجعل اليه شراء الاوقاف على الجامع الطولونى وصرف اليه كل ما يحتاج اليه فى العمارة وأكد عليه فى أن لا يسخر فيه فاعلا ولا صانعا وأن لا يقيم مستحثا للصناع ولا يشترى لعمارته شيأ مما يحتاج اليه من سائر الاصناف الا بالقيمة التامة وأن يكون ما ينفق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته فابتاع منية اندونة من أراضى الجيزة وعرفت هذه القرية باندونة كاتب بمصر كان نصرانيا فى زمن احمد بن طولون وممن نكبه وأخذ منه خمسين ألف دينار واشترى أيضا ساحة بجوار جامع أحمد بن طولون مما كان فى القديم عامرا ثم خرب وحكرها وعمر الجامع وأزال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه وبيضه ورتب فيه دروسا لالقاء الفقه على المذاهب الاربعة التى عمل أهل مصر عليها الآن ودرسا يلقى فيه تفسير القرآن الكريم ودرسا لحديث النبىّ صلى الله عليه وسلم ودرسا للطب وقرّر للخطيب معلوما وجعل له اماما راتبا ومؤذنين وفرّاشين وقومة وعمل بجواره مكتبا لاقراء ايتام المسلمين كتاب الله عزوجلّ وغير ذلك من انواع القربات ووجوه البرّ فبلغت النفقة على عمارة الجامع وثمن مستغلاته عشرين ألف دينار فلما شاء الله سبحانه أن يهلك لاجين زين له سوء عمله عزل الامير قراسنقر من نيابة السلطنة فعزله وولى مملوكه منكوتمر وكان عسوفا عجولا حادا ولاجين مع ذلك يركن اليه ويعوّل فى جميع اموره عليه ولا يخالف قوله ولا ينقض فعله فشرع منكوتمر فى تأخير أمراء الدولة من الصالحية والمنصورية واعجل فى اظهار التهجم لهم والاعلان بما يريده من القبض عليهم واقامة أمراء غيرهم فتوحشت القلوب منه وتمالأت على بغضه ومشى القوم بعضهم الى بعض وكاتبوا اخوانهم من أهل البلاد الشامية حتى تم لهم ما يريدون فواعد جماعة منهم اخوانهم على قتل السلطان لاجين ونائبه منكوتمر فما هو الا أن صلى السلطان العشاء الآخرة من ليلة الجمعة العاشر من شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة واذا بالامير كرجى وكان ممن هو قائم

بين يديه تقدّم ليصلح الشمعة فضربه بسيف قد أخفاه معه أطار به زنده وانقض عليه البقية ممن واعدوهم بالسيوف والخناجر فقطعوه قطعا وهو يقول الله الله وخرجوا من فورهم الى باب القلة من قلعة الجبل فاذا بالامير طغج قد جلس فى انتظارهم ومعه عدّة من الامراء وكانوا اذ ذاك يبيتون بالقلعة دائما فأمر باحضار منكوتمر من دار النيابة بالقلعة وقتلوه بعد مضى نصف ساعة من قتل أستاذه الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى رحمه الله فلقد كان مشكور السيرة * وفى سنة سبع وستين وسبعمائة جدّد الامير يلبغا العمرى الخاصكى درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرّسين للحنفية وقرّر لكل فقيه من الطلبة فى الشهر أربعين درهما واردب قمح فانتقل جماعة من الشافعية الى مذهب الحنفية * وأوّل من ولى نظره بعد تجديده الامير علم الدين سنجر الجاولى وهو اذ ذاك دوادار السلطان الملك المنصور لاجين ثم ولى نظره قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ثم من بعده الامير مكين فى ايام الناصر محمد بن قلاون فجدّد فى اوقافه طاحونا وفرنا وحوانيت فلما مات وليه قاضى القضاة عز الدين بن جماعة ثم ولاه الناصر للقاضى كريم الدين الكبير فجدّد فيه مئذنتين فلما نكبه السلطان عاد نظره الى قاضى القضاة الشافعى وما برح الى ايام الناصر حسن بن محمد بن قلاون فولاه للامير صرغتمش وتوفر فى مدّة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضة وقبض عليه وهى حاصلة فباشره قاضى القضاة الى ايام الاشرف شعبان بن حسين ففوّض نظره الى الامير الجاى اليوسفى الى أن غرق فتحدّث فيه قاضى القضاة الشافعى الى أن فوّض السلطان الملك الظاهر برقوق نظره الى الامير قطلوبغا الصفوى فى العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وكان الامير منطاش مدّة تحكمه فى الدولة فوّضه الى المذكور فى اواخر شوّال سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم عاد نظره الى القضاة بعد الصفوى وهو بايديهم الى اليوم * وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة جدّد الرواق البحرى الملاصق للمئذنة الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى الهويدى البازدار مقدّم الدولة * وجدّد ميضأة بجانب الميضأة القديمة وكان عبيد هذا بازدارا ثم ترقى حتى صار مقدّم الدولة فى شهر ربيع الاوّل سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ثم ترك زى المقدّمين وتزيا بزى الامراء وحاز نعمة جليلة وسعادة طائلة حتى مات يوم السبت رابع عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

* (ذكر دار الامارة) *

وكان بجوار الجامع الطولونى دار أنشأها الامير أحمد بن طولون عند ما بنى الجامع وجعلها فى الجهة القبلية ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة بجوار المحراب والمنبر وجعل فى هذه الدار جميع ما يحتاج اليه من الفرش والستور والآلات فكان ينزل بها اذا راح الى صلاة الجمعة فانها كانت تجاه القصر والميدان فيجلس فيها ويجدّد وضوءه ويغير ثيابه وكان يقال لها دار الامارة وموضعها الآن سوق الجامع حيث البزازين وغيرهم ولم تزل هذه الدار باقية الى أن قدم الامام المعز لدين الله أبو تميم معدّ من بلاد المغرب فكان يستخرج فيها أموال الخراج * قال الفقيه الحسن بن ابراهيم بن زولاق فى كتاب سيرة المعز ولست عشرة بقيت من المحرّم يعنى من سنة ثلاث وستين وثلثمائة قلد المعز لدين الله الخراج وجميع وجوه الاعمال والحسبة والسواحل والاعشار والجوالى والاحباس والمواريث والشرطيين وجميع ما ينضاف الى ذلك وما يطرأ فى مصر وسائر الاعمال أبا الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وعسلوج بن الحسن وكتب لهما سجلا بذلك قرئ يوم الجمعة على منبر جامع احمد بن طولون وجلسا غد هذا اليوم فى دار الامارة فى جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاعمال ثم خربت هذه الدار فيما خرب من القطائع والعسكر وصار موضعها ساحة الى أن حكرها الدويدارى عند تجديد عمارة الجامع كما تقدّم وقد ذكر بناء القيسارية فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الاسواق

* (ذكر الاذان بمصر وما كان فيه من الاختلاف) *

اعلم أن أوّل من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن رباح مولى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما بالمدينة الشريفة وفى الاسفار وكان ابن أم مكتوم واسمه عمرو بن قيس بن شريح من بنى عامر بن لؤى وقيل اسمه عبد الله وأمّه أم مكتوم واسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة من بنى مخزوم ربما أذن بالمدينة وأذن أبو محذورة واسمه أوس وقيل سمرة بن معير بن لوذان بن ربيعة بن معير بن عريج بن سعد بن جمح وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يؤذن مع بلال فأذن له وكان يؤذن فى المسجد الحرام وأقام بمكة ومات بها ولم يأت المدينة * قال

ابن الكلبي كان أبو محذورة لا يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة الا في الفجر ولم يهاجر وأقام بمكة * وقال ابن جريج علم النبي صلى الله عليه وسلم أبا محذورة الاذان بالجعرانة حين قسم غنائم حنين ثم جعله مؤذنا في المسجد الحرام * وقال الشعبي أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال وأبو محذورة وابن أم مكتوم وقد جاء أن عثمان ابن عفان رضي الله عنه كان يؤذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المنبر وقال محمد بن سعد عن الشعبي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة مؤذنين بلال وأبو محذورة وعمرو بن أم مكتوم فاذا غاب بلال أذن أبو محذورة واذا غاب أبو محذورة أذن ابن أم مكتوم * قلت لعل هذا كان بمكة * وذكر ابن سعد أن بلالا أذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه وأن عمر رضي الله عنه أراده أن يؤذن له فأبى عليه فقال له الى من ترى أن اجعل النداء فقال الى سعد القرظ فانه قد أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه عمر رضي الله عنه فجعل النداء اليه والى عقبه من بعده وقد ذكر أن سعد القرظ كان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء * وذكر أبو داود في مراسيله والدارقطني في سننه قال بكير بن عبد الله الاشج كانت مساجد المدينة تسعة سوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يصلون بأذان بلال رضي الله عنه * وقد كان عند فتح مصر الاذان انما هو بالمسجد الجامع المعروف بجامع عمرو وبه صلاة الناس بأسرهم وكان من هدى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم المحافظة على الجماعة وتشديد النكير على من تخلف عن صلاة الجماعة * قال أبو عمرو الكندي في ذكر من عرّف على المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر وكان أول من عرّف على المؤذنين أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادي وهو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أذن لعمر بن الخطاب سار الى مصر مع عمرو بن العاص يؤذن له حتى افتتحت مصر فأقام على الاذان وضم اليه عمرو بن العاص تسعة رجال يؤذنون هو عاشرهم وكان الاذان في ولده حتى انقرضوا * قال أبو الخير حدثني أبو مسلم وكان مؤذنا لعمرو بن العاص أن الاذان كان أوله لا اله الا الله وآخره لا اله الا الله وكان أبو مسلم يوصى بذلك حتى مات ويقول هكذا كان الاذان * ثم عرّف عليهم أخوه شرحبيل بن عامر وكانت له صحبة وفي عرافته زاد مسلمة بن مخلد في المسجد الجامع وجعل له المنار ولم يكن قبل ذلك وكان شرحبيل أول من رقى منارة مصر للاذان وان مسلمة بن مخلد اعتكف في منارة الجامع فسمع أصوات النواقيس عالية بالفسطاط فدعا شرحبيل بن عامر فأخبره بما ساءه من ذلك فقال شرحبيل فاني أمدّد بالاذان من نصف الليل الى قرب الفجر فانههم أيها الامير أن ينقسوا اذا أذنت فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الاذان ومدّد شرحبيل ومطط اكثر الليل الى أن مات شرحبيل سنة خمس وستين * وذكر عن عثمان رضي الله عنه انه أول من رزق المؤذنين فلما كثرت مساجد الخطبة أمر مسلمة بن مخلد الانصاري في امارته على مصر ببناء المنار في جميع المساجد خلا مساجد تجيب وخولان فكانوا يؤذنون في الجامع أولا فاذا فرغوا أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد فكان لاذانهم دوي شديد * وكان الاذان أولا بمصر كأذان أهل المدينة وهو الله اكبر الله اكبر وباقيه كما هو اليوم فلم يزل الامر بمصر على ذلك في جامع عمرو بالفسطاط وفي جامع العسكر وفي جامع أحمد بن طولون وبقية المساجد الى أن قدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله وبنى القاهرة فلما كان في يوم الجمعة الثامن من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة صلى القائد جوهر الجمعة في جامع أحمد بن طولون وخطب به عبد السميع ابن عمر العباسي بقلنسوة وسبني وطيلسان دبسي وأذن المؤذنون حي على خير العمل وهو أول ما أذن به بمصر وصلى به عبد السميع الجمعة فقرأ سورة الجمعة واذا جاءك المنافقون وقنت في الركعة الثانية وانحط الى السجود ونسي الركوع فصاح به علي بن الوليد قاضي عسكر جوهر بطلت الصلاة أعد ظهرا أربع ركعات ثم أذن بحي على خير العمل في سائر مساجد العسكر الى حدود مسجد عبد الله وأنكر جوهر على عبد السميع أنه لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة ولا قرأها في الخطبة فأنكره جوهر ومنعه من ذلك * ولاربع بقين من جمادى الاولى المذكور أذن في الجامع العتيق بحي على خير العمل وجهروا في الجامع بالبسملة في الصلاة فلم يزل الامر على ذلك طول مدة الخلفاء الفاطميين الا أن الحاكم بأمر الله في سنة أربعمائة أمر بجمع مؤذني القصر وسائر الجوامع وحضر قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي وقرأ أبو علي العباسي سجلا فيه الامر بترك حي على خير العمل في الاذان وأن يقال في صلاة الصبح الصلاة خير من النوم وأن يكون ذلك من

مؤذني

مؤذنى القصر عند قولهم السلام على امير المؤمنين ورحمة الله فامتثل ذلك ثم عاد المؤذنون الى قول حى على خير العمل فى ربيع الآخر سنة احدى وأربعمائة ومنع فى سنة خمس وأربعمائة مؤذنى جامع القاهرة ومؤذنى القصر من قولهم بعد الاذان السلام على أمير المؤمنين وأمرهم أن يقولوا بعد الاذان الصلاة رحمك الله * (ولهذا الفعل اصل) * قال الواقدى كان بلال رضى الله عنه يقف على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول السلام عليك يارسول الله وربما قال السلام عليك بأبى أنت وأمى يارسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة السلام عليك يارسول الله * قال البلادرى وقال غيره كان يقول السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يارسول الله فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه الخلافة كان سعد القرظ يقف على بابه فيقول السلام عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة حيّ على الفلاح الصلاة يا خليفة رسول الله فلما استخلف عمر رضي الله عنه كان سعد يقف على بابه فيقول السلام عليك يا خليفة خليفة رسول الله ورحمة الله حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يا خليفة خليفة رسول الله فلما قال عمر رضى الله عنه للناس انتم المؤمنون وأنا اميركم فدعى أمير المؤمنين استطالة لقول القائل يا خليفة خليفة رسول الله ولمن بعده خليفة خليفة خليفة رسول الله كان المؤذن يقول السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يا أمير المؤمنين ثم ان عمر رضى الله عنه أمر المؤذن فزاد فيها رحمك الله ويقال ان عثمان رضى الله عنه زادها وما زال المؤذنون اذا أذنوا سلموا على الخلفاء وأمراء الاعمال ثم يقيمون الصلاة بعد السلام فيخرج الخليفة او الامير فيصلى بالناس هكذا كان العمل مدة ايام بنى أمية ثم مدة خلافة بنى العباس ايام كانت الخلفاء وأمراء الاعمال تصلى بالناس * فلما استولى العجم وترك خلفاء بنى العباس الصلاة بالناس ترك ذلك كما ترك غيره من سنن الاسلام ولم يكن أحد من الخلفاء الفاطميين يصلى بالناس الصلوات الخمس فى كل يوم فسلم المؤذنون فى ايامهم على الخليفة بعد الاذان للفجر فوق المنارات فلما انقضت ايامهم وغير السلطان صلاح الدين رسومهم لم يتجاسر المؤذنون على السلام عليه احتراما للخليفة العباسى ببغداد فجعلوا عوض السلام على الخليفة السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمر ذلك قبل الاذان للفجر فى كل ليلة بمصر والشام والحجاز وزيد فيه بأمر المحتسب صلاح الدين عبد الله البرلسى الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان ذلك بعد سنة ستين وسبعمائة فاستمر ذلك ولما تغلب أبو على بن كتيفات بن الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى على رتبة الوزارة فى أيام الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن الامير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله فى سادس عشر ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسجن الحافظ وقيده واستولى على سائر ما فى القصر من الاموال والذخائر وحملها الى دار الوزارة وكان اماميا متشددا فى ذلك خالف ما عليه الدولة من مذهب الاسماعيلية وأظهر الدعاء للامام المنتظر وأزال من الاذان حى على خير العمل وقولهم محمد وعلى خير البشر وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الذى تنتسب اليه الاسماعيلية فلما قتل فى سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة عاد الامر الى الخليفة الحافظ وأعيد الى الاذان ما كان أسقط منه * وأول من قال فى الاذان بالليل محمد وعلى خير البشر الحسين المعروف بأمير كا بن شكنبه ويقال اشكنبه وهو اسم اعجمى معناه الكرش وهو على بن محمد بن على بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان أول تأذينه بذلك فى أيام سيف الدولة بن حمدان بحلب فى سنة سبع وأربعين وثلثمائة قاله الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة ولم يزل الاذان بحلب يزاد فيه حى على خير العمل ومحمد وعلى خير البشر الى أيام نور الدين محمود فلما فتح المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية استدعى أبا الحسن على بن الحسن بن محمد البلخى الحنفى اليها فجاء ومعه جماعة من الفقهاء وألقى بها الدروس فلما سمع الاذان أمر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الاذان وقال لهم مروهم يؤذنوا الاذان المشروع ومن امتنع كبوه على رأسه فصعدوا وفعلوا ما أمرهم به واستمر الامر على ذلك * وأما مصر فلم يزل الاذان بها على مذهب القوم الى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر وأزال الدولة الفاطمية فى سنة سبع وستين وخمسمائة وكان ينتحل مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وعقيدة الشيخ أبى الحسن الاشعرى رحمه الله فأبطل من الاذان قول حى على خير العمل وصار يؤذن فى سائر اقليم مصر والشام بأذان أهل مكة وفيه تربيع التكبير وترجيع الشهادتين

فاستمر الامر على ذلك الى أن بنت الاتراك المدارس بديار مصر وانتشر مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه فى مصر فصار يؤذن فى بعض المدارس التى للحنفية بأذان أهل الكوفة وتقام الصلاة أيضا على رأيهم وما عدا ذلك فعلى ما قلنا الا انه فى ليلة الجمعة اذا فرغ المؤذنون من التأذين سلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شئ أحدثه محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلسى بعد سنة ستين وسبعمائة فاستمر الى أن كان فى شعبان سنة احدى وتسعين وسبعمائة ومتولى الامر بديار مصر الامير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور أمير حاج المعروف بحاجى بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون فسمع بعض الفقراء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة جمعة وقد استحسن ذلك طائفة من اخوانه فقال لهم أتحبون أن يكون هذا السلام في كل أذان قالوا نعم فبات تلك الليلة وأصبح متواجدا يزعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وأنه أمره أن يذهب إلى المحتسب فيبلغه عنه أن يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل أذان فمضى الى محتسب القاهرة وهو يومئذ نجم الدين محمد الطنبدى وكان شيخا جهولا وبلها نا مهولا سئ السيرة فى الحسبة والقضاء متهافتا على الدرهم ولو قاده الى البلاء لا يحتشم من أخذ البرطيل والرشوة ولا يراعى فى مؤمن الا ولا ذمة قد ضرى على الآثام وتجسد من أكل الحرام يرى أن العلم ارخاء العذبة ولبس الجبة ويحسب أن رضى الله سبحانه فى ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة لم تحمد الناس قط أياديه ولا شكرت أبدا مساعيه بل جهالاته شائعة وقبائح أفعاله ذائعة أشخص غير مرة الى مجالس المظالم وأوقف مع من أوقف للمحاكمة بين يدى السلطان من اجل عيوب فوادح حقق فيها شكاته عليه القوادح ومازال فى السيرة مذموما ومن العامة والخاصة ملوما وقال له رسول الله يأمرك أن تتقدم لسائر المؤذنين بأن يزيدوا فى كل أذان قولهم الصلاة والسلام عليك يارسول الله كما يفعل فى ليالى الجمع فأعجب الجاهل هذا القول وجهل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعد وفاته الا بما يوافق ماشرعه الله على لسانه فى حياته وقد نهى الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرعه حيث يقول أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فأمر بذلك فى شعبان من السنة المذكورة وتمت هذه البدعة واستمرت الى يومنا هذا فى جميع ديار مصر وبلاد الشام وصارت العامة وأهل الجهالة ترى أن ذلك من جملة الاذان الذى لا يحل تركه وأدى ذلك الى أن زاد بعض أهل الالحاد فى الاذان ببعض القرى السلام بعد الاذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا فلا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون * وأما التسبيح فى الليل على المآذن فانه لم يكن من فعل سلف الامة وأول ما عرف من ذلك أن موسى بن عمران صلوات الله عليه لما كان بنى اسرائيل فى التيه بعد غرق فرعون وقومه اتخذ بوقين من فضة مع رجلين من بنى اسرائيل ينفخان فيهما وقت الرحيل ووقت النزول وفى أيام الاعياد وعند ثلث الليل الاخير من كل ليلة فتقوم عند ذلك طائفة من بنى لاوى سبط موسى عليه السلام ويقولون نشيدا منزلا بالوحى فيه تخويف وتحذير وتعظيم لله تعالى وتنزيه له تعالى الى وقت طلوع الفجر واستمر الحال على هذا كل ليلة مدة حياة موسى عليه السلام وبعده أيام يوشع بن نون ومن قام فى بنى اسرائيل من القضاة الى أن قام بأمرهم داود عليه السلام وشرع فى عمارة بيت المقدس فرتب فى كل ليلة عدة من بنى لاوى يقومون عند ثلث الليل الآخر فمنهم من يضرب بالآلات كالعود والسنطير والبربط والدف والمزمار ونحو ذلك ومنهم من يرفع عقيرته بالنشائد المنزلة بالوحى على نبى الله موسى عليه السلام والنشائد المنزلة بالوحى على داود عليه السلام ويقال ان عدد بنى لاوى هذا كان ثمانية وثلاثين ألف رجل قد ذكر تفصيلهم فى كتاب الزبور فاذا قام هؤلاء ببيت المقدس قام فى كل محلة من محال بيت المقدس رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله سبحانه من غير آلات فان الآلات كانت مما يختص ببيت المقدس فقط وقد نهوا عن ضربها فى غير البيت فيتسامع من قرية بيت المقدس فيقوم فى كل قرية رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله تعالى حتى يعم الصوت بالذكر جميع قرى بنى اسرائيل ومدنهم ومازال الامر على ذلك فى كل ليلة الى أن خرب بخت نصر بيت المقدس وجلا بنى اسرائيل الى بابل فبطل هذا العمل وغيره من بلاد بنى اسرائيل مدة جلائهم فى بابل سبعين سنة فلما عاد بنو اسرائيل من بابل وعمروا البيت العمارة الثانية أقاموا شرائعهم وعاد قيام بنى لاوى بالبيت فى الليل وقيام أهل محال القدس وأهل القرى والمدن على ما كان العمل

عليه

عليه أيام عمارة البيت الاولى واستمر ذلك الى أن خرب القدس بعد قتل نبى الله يحيى بن زكريا وقيام اليهود على روح الله ورسوله عيسى ابن مريم صلوات الله عليهم على يد طيطش فبطلت شرائع بنى اسرائيل من حينئذ وبطل هذا القيام فيما بطل من بلاد بنى اسرائيل * (وأما فى الملة الاسلامية) * فكان ابتداء هذا العمل بمصر وسببه أن مسلمة بن مخلد أمير مصر بنى منارا بالجامع عمرو بن العاص واعتكف فيه فسمع أصوات النواقيس عالية فشكا ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين فقال انى أمد الاذان من نصف الليل الى قرب الفجر فانههم أيها الامير أن ينقسوا اذا أذنت فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الاذان ومدد شرحبيل ومطط اكثر الليل ثم ان الامير أبا العباس أحمد بن طولون كان قد جعل فى حجرة تقرب منه رجالا تعرف بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلا يبيت فى هذه الحجرة كل ليلة أربعة يجعلون الليل بينهم عقبا فكانوا يكبرون ويسبحون ويحمدون الله سبحانه فى كل وقت ويقرؤن القرآن بألحان ويتوسلون ويقولون قصائد زهدية ويؤذنون فى أوقات الاذان وجعل لهم أرزاقا واسعة تجرى عليهم فلما مات أحمد بن طولون وقام من بعده ابنه أبو الجيش خمارويه أقرهم بحالهم وأجراهم على رسمهم مع ابيه ومن حينئذ اتخذ الناس قيام المؤذنين فى الليل على المآذن وصار يعرف ذلك بالتسبيح فلما ولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطنة مصر وولى القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الهدبانى المارانى الشافعى كان من رأيه ورأى السلطان اعتقاد مذهب الشيخ أبى الحسن الاشعرى فى الاصول فحمل الناس الى اليوم على اعتقاده حتى يكفر من خالفه وتقدم الامر الى المؤذنين أن يعلنوا فى وقت التسبيح على المآذن بالليل بذكر العقيدة التى تعرف بالمرشدة فواظب المؤذنون على ذكرها فى كل ليلة بسائر جوامع مصر والقاهرة الى وقتنا هذا * ومما أحدث أيضا التذكير فى يوم الجمعة من أثناء النهار بأنواع من الذكر على المآذن ليتهيأ الناس لصلاة الجمعة وكان ذلك بعد السبعمائة من سنى الهجرة قال ابن كثير رحمه الله فى يوم الجمعة سادس ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة فى سائر مآذن دمشق كما يذكر فى مآذن الجامع الاموى ففعل ذلك

* (الجامع الازهر) *

هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة والذى أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى الامام أبى تميم معد الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله لما اختط القاهرة وشرع فى بناء هذا الجامع فى يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة وجمع فيه وكتب بدائر القبة التى فى الرواق الاول وهى على يمنة المحراب والمنبر ما نصه بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلثمائة * وأول جمعة جمعت فيه فى شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلثمائة ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جدد فيه أشياء وفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق الناض وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنيت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى العصر وكان لهم أيضا من مال الوزير صلة فى كل سنة وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به وكذا سائر الطيور من الحمام واليمام وغيره وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فمنها صورتان فى مقدم الجامع بالرواق الخامس منهما صورة فى الجهة الغربية فى العمود وصورة فى أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين والصورة الاخرى فى الصحن فى الاعمدة القبلية مما يلى الشرقية ثم ان الحاكم بأمر الله جدده ووقف على الجامع الازهر وجامع المقس والجامع الحاكمى ودار العلم بالقاهرة رباعا بمصر وضمن ذلك كتابا نسخته * هذا كتاب أشهد قاضى القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقى على جميع ما نسب اليه مما ذكر ووصف فيه من حضر من الشهود فى مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر فى شهر رمضان سنة أربعمائة أشهدهم وهو يومئذ قاضى عبد الله ووليه المنصور أبى على الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين بن الامام العزيز بالله صلوات الله عليهما

على القاهرة المعزية ومصر والاسكندرية والحرمين حرسهما الله وأجناد الشام والرقة والرحبة ونواحى المغرب
وسائر أعمالهن وما فتحه الله ويفتحه لامير المؤمنين من بلاد الشرق والغرب بمحضر رجل متكلم انه صحت عنده
معرفة المواضع الكاملة والحصص الشائعة التى يذكر جميع ذلك ويحدد فى هذا الكتاب وانها كانت من أملاك
الحاكم الى أن حبسها على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة والجامع بالمقس اللذين أمر بانشائهما
وتأسيس بنيتهما وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التى وقفها والكتب التى فيها قبل تاريخ هذا الكتاب. منها
ما يخص الجامع الازهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة مشاعا جميع ذلك غير مقسوم ومنها
ما يخص الجامع بالمقس على شرائط يجرى ذكرها فمن ذلك ما تصدق به على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة
والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة جميع الدار المعروفة بدار الضرب وجميع القيسارية المعروفة
بقيسارية الصوف وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة الذى كله بفسطاط مصر ومن ذلك ما تصدق به
على جامع المقس جميع اربعة الحوانيت والمنازل التى علوها والمخزنين الذى ذلك كله بفسطاط مصر بالراية فى جانب
المغرب من الدار المعروفة كانت بدار الخرق وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق فى الموضع المعروف بحمام
الفار ومن ذلك جميع الحصص الشائعة من اربعة الحوانيت المتلاصقة التى بفسطاط مصر بالراية أيضا بالموضع
المعروف بحمام الفار وتعرف هذه الحوانيت بحصص القيسى بحدود ذلك كله وأرضه وبنائه وسفله وعلوه
وغرفه ومرتفقاته وحوانيته وساحاته وطرقه وممراته ومجارى مياهه وكل حق هوله داخل فيه وخارج عنه
وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة محبسة بتة بتلة لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا تمليكها باقية على شروطها جارية
على سبلها المعروفة فى هذا الكتاب لا يوهنها تقادم السنين ولا تغير بحدوث حدث ولا يستثنى فيها ولا يتأول
ولا يستفتى بتجدد تحبيسها مدى الاوقات وتستمر شروطها على اختلاف الحالات حتى يرث الله الارض
والسموات على أن يؤجر ذلك فى كل عصر من ينتهى اليه ولايتها ويرجع اليه أمرها بعد مراقبة الله واجتلاب
ما يوفر منفعتها من اشهارها عند ذوى الرغبة فى اجارة أمثالها فيبتدأ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة
وبقاء العين ومرمته من غير اجحاف بما حبس ذلك عليه وما فضل كان مقسوما على ستين سهما فمن ذلك للجامع
الازهر بالقاهرة المحروسة المذكور فى هذا الاشهاد الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع يصرف ذلك
فيما فيه عمارة له ومصلحة وهو من العين المعزى الوازن ألف دينار واحدة وسبعة وستون دينارا ونصف دينار
وثمن دينار من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون دينارا ومن ذلك لثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون
عدة له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة الى ذلك ومن ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة
هذا الجامع فى كل سنة عند الحاجة اليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج
وفراخها اثنا عشر دينارا ونصف وربع دينار ومن ذلك لثمن عود هندى للبخور فى شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن
الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر دينارا ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلى سبعة دنانير ومن ذلك
لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيط وأجرة الخياطة خمسة دنانير ومن ذلك لثمن مشاقة
لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلا بالرطل الفلفلى دينار واحد ومن ذلك لثمن فحم للبخور عن قنطار
٢ واحد بالفلفلى نصف دينار ومن ذلك لثمن اردبين ملحا للقناديل ربع دينار ومن ذلك ما قدر لمؤنة النحاس
والسلاسل والتنانير والقباب التى فوق سطح الجامع أربعة وعشرون دينارا ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة
أحبل وست دلاء أدم نصف دينار ومن ذلك لثمن قنطارين خرقا لمسح القناديل نصف دينار ومن ذلك لثمن عشر
قفاف للخدمة وعشرة ارطال قنب لتعليق القناديل ولثمن مائتى مكنسة لكنس هذا الجامع دينار واحد
وربع دينار ومن ذلك لثمن ازيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير ومن ذلك
لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون دينارا ونصف
ومن ذلك لارزاق المصلين يعنى الائمة وهم ثلاثة وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذنا خمسمائة دينار وستة وخمسون
دينارا ونصف منها للمصلين لكل رجل منهم ديناران وثلثا دينار وثمن دينار فى كل شهر من شهور السنة
والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران فى كل شهر ومن ذلك للمشرف على هذا الجامع فى كل سنة
أربعة وعشرون دينارا ومن ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد

ومن

ومن ذلك لمرمّة ما يحتاج اليه في هذا الجامع في سطحه وازرابه وحياطته وغير ذلك مما قدر لكل سنة ستون دينارا ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبن ونصف حمل جارية لعلف رأسي بقر للمصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلث دينار ومن ذلك للتبن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير ومن ذلك لثمن فدانين قرط لتربيع رأسي البقر المذكورين في السنة سبعة دنانير ومن ذلك لاجرة متولي العلف وأجرة السقاء والحبال والقواديس وما يجري مجرى ذلك خمسة عشر دينارا ونصف ومن ذلك لاجرة قيم الميضأة ان عملت بهذا الجامع اثنا عشر دينارا والى هنا انقضى حديث الجامع الازهر وأخذ في ذكر جامع راشدة ودار العلم وجامع المقس ثم ذكر أن تنانير الفضة ثلاثة تنانير وتسعة وثلاثون قنديلا فضة فللجامع الازهر تنوران وسبعة وعشرون قنديلا ومنها للجامع راشدة تنور واثنا عشر قنديلا وشرط أن تعلق في شهر رمضان وتعاد الى مكان جرت عادتها أن تحفظ به وشرط شروطا كثيرة في الاوقاف منها انه اذا فضل شيء واجتمع يشترى به ملك فان عاز شيأ واستهدم ولم يف الريع بعمارته بيع وعمر به وأشياء كثيرة وحبس فيه أيضا عدة آدر وقياسر لا فائدة في ذكرها فانها مما خربت بمصر * قال ابن عبد الظاهر عن هذا الكتاب ورأيت منه نسخة وانتقلت الى قاضي القضاة تقي الدين ابن رزين وكان بصدر هذا الجامع في محرابه منطقة فضة كما كان في محراب جامع عمرو بن العاص بمصر قلع ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب في حادي عشر ربيع الاول سنة تسع وستين وخمسمائة لانه كان فيها اسماء خلفاء الفاطميين فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نقرة وقلع أيضا المناطق من بقية الجوامع * ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضا وجدده الحافظ لدين الله وأنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات عرفت بمقصورة فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها رؤيت بها في المنام ثم انه جدد في أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري * قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في كتاب سيرة الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الاول سنة خمس وستين وستمائة اقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك أن الامير عز الدين ايدمر الحلي كان جار هذا الجامع من مدة سنين فرعى وفقه الله حرمة الجار ورأى أن يكون كما هو جاره في دار الدنيا انه غدا يكون ثوابه جاره في تلك الدار ورسم بالنظر في امره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شيء منها في ايدي جماعة وحاط أموره حتى جمع له شيأ صالحا وجرى الحديث في ذلك فتبرع الامير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع في عمارته فعمر الواهي من أركانه وجدرانه وبيضه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه حتى عاد حرما في وسط المدينة واستجد به مقصورة حسنة واثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الامير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعي رحمه الله ورتب في هذه المقصورة محدثا يسمع الحديث النبوي والرقائق ووقف على ذلك الاوقاف الدارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ورتب به مدرسا أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث في اقامة جمعة فيه فنودي في المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا واقيمت الجمعة فيه في اليوم المذكور وحضر الاتابك فارس الدين والصاحب بهاء الدين علي بن حنا وولده الصاحب فخر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عز الدين الحلي والاتابك والصاحب وقرئ القرآن ودعى للسلطان وقام الامير عز الدين ودخل الى داره ودخل معه الامراء فقدم لهم كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانفصلوا وكان قد جرى الحديث في أمر جواز الجمعة في الجامع وما ورد فيه من أقاويل العلماء وكتب فيها فتيا أخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعة في هذا الجامع واقامتها فكتب جماعة خطوطهم فيها واقيمت صلاة الجمعة به واستمرت ووجد الناس به رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكمي * قال وكان سقف هذا الجامع قد بني قصيرا فزيد فيه بعد ذلك وعلي ذراعا واستمرت الخطبة فيه حتى بني الجامع الحاكمي فانتقلت الخطبة اليه فان الخليفة كان يخطب فيه خطبة وفي الجامع الازهر خطبة وفي جامع ابن طولون خطبة وفي جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفة القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعي فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقر الخطبة

بالجامع الحاكي من اجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى أن اعيدت الخطبة فى أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكي وجامع مصر وغيره فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع فتولى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكي وتولى الامير سلار عمارة الجامع الازهر وتولى الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح فجددوا مبانيها وأعادوا ماتهدم منها * ثم جددت عمارة الجامع الازهر على يد القاضى نجم الدين محمد بن حسين بن على الاسعردى محتسب القاهرة فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة * ثم جددت عمارته فى سنة احدى وستين وسبعمائة عندما سكن الامير الطواشى سعد الدين بشير الجامدار الناصرى فى دار الامير فخر الدين أبان الزاهدى الصالحى النجمى بخط الابارين بجوار الجامع الازهر بعد ماهدمها وعمرها داره التى تعرف هنالك الى اليوم بدار بشير الجامدار فأحب لقربه من الجامع أن يؤثر فيه أثرا صالحا فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى عمارة الجامع وكان اثيرا عنده خصيصا به فأذن له فى ذلك وكان قد استجد بالجامع عدة مقاصير ووضعت فيه صناديق وخزائن حتى ضيقته فأخرج الخزائن والصناديق ونزع تلك المقاصير وتتبع جدرانه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيض الجامع كله وبلطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتا لتسبيل الماء العذب فى كل يوم وعمل فوقه مكتب سبيل لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين طعاما يطبخ كل يوم وانزل اليه قدورا من نحاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مدرسهم لالقاء الفقه فى المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية الى يومنا هذا ومؤذنو الجامع يدعون فى كل جمعة وبعد كل صلاة للسلطان حسن الى هذا الوقت الذى نحن فيه * وفى سنة أربع وثمانين وسبعمائة ولى الامير الطواشى بهادر المقدم على المماليك السلطانية نظر الجامع الازهر فتنجز مرسوم السلطان الملك الظاهر برقوق بان من مات من مجاورى الجامع الازهر عن غير وارث شرعى وترك موجودا فانه يأخذه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحرى * وفى سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعمرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نقرة وكملت فى ربيع الآخر من السنة المذكورة فعلقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها الى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتلوا ختمة شريفة ودعوا للسلطان فلم تزل هذه المئذنة الى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهدمت لميل ظهر فيها وعمل بدلها منارة من حجر على باب الجامع البحرى بعد ماهدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقده وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشرف خليل التى كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك الامير تاج الدين التاج الشوبكى والى القاهرة ومحتسبها الى أن تمت فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت فى صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفى شوال منها ابتدئ بعمل الصهريج الذى بوسط الجامع فوجد هنالك آثار فسقية ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه فى ربيع الاول وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يسبل فيه الماء وغرس بصحن الجامع أربع شجرات فلم تفلح وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عندما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الاقبغاوية الى أن بنى الامير أقبغا عبد الواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الاقبغاوية هنالك وأما هذه الميضأة التى بالجامع الآن فان الامير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الاقبغاوية * وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ولى نظر هذا الجامع الامير سودوب القاضى حاجب الحجاب فجرت فى أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها وذلك أنه لم يزل فى هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدتهم فى هذه الايام سبعمائة وخمسين رجلا مابين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس مالا يجده فى غيره وصار أرباب الاموال يقصدون

هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس اعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكل قليل تحمل اليهم انواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما فى المواسم فأمر فى جمادى الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسى المصاحف زعما منه أن هذا العمل مما يثاب عليه وما كان الامن اعظم الذنوب واكثرها ضررا فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الاماكن عليهم فساروا فى القرى وتبذلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع اكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله ثم لم يرضه ذلك حتى زاد فى التعدى وأشاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس فى الجامع ما بين تاجر وفقيه وجندى وغيرهم منهم من يقصد بمبيته البركة ومنهم من لا يجد مكانا يأويه ومنهم من يستروح بمبيته هناك خصوصا فى ليالى الصيف وليالى شهر رمضان فانه يمتلئ صحنه واكثر رواقاته فلما كانت ليلة الاحد الحادى عشر من جمادى الآخرة طرق الامير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف وقبض على جماعة وضربهم فى الجامع وكان قد جاء معه من الاعوان والغلمان وغوغاء العامة ومن يريد النهب جماعة فحل بمن كان فى الجامع انواع البلاء ووقع فيهم النهب فأخذت فرشهم وعمائمهم وفتشت أوساطهم وسلبوا ما كان مربوطا عليها من ذهب وفضة وعمل ثوبا أسود للمنبر وعلمين مزوقين بلغت النفقة على ذلك خمسة عشر ألف درهم على ما بلغنى فعاجل الله الامير سودوب وقبض عليه السلطان فى شهر رمضان وسجنه بدمشق

* (جامع الحاكم) *

هذا الجامع بنى خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة وأول من أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معدّ وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ثم أكمله ابنه الحاكم بامر الله فلما وسع أمير الجيوش بدر الجمالى القاهرة وجعل أبوابها حيث هى اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة وكان يعرف أولا بجامع الخطبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الانور * قال الامير مختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن احمد المسبحى فى تاريخ مصر وفيه يعنى شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة مما يلى باب الفتوح من خارجه وبدئ بالبناء فيه وتحلق فيه الفقهاء الذين يتحلقون فى جامع القاهرة يعنى الجامع الازهر وخطب فيه العزيز بالله * وقال فى حوادث سنة احدى وثمانين وثلثمائة لاربع خلون من شهر رمضان صلى العزيز بالله فى جامعه صلاة الجمعة وخطب وكان فى مسيره بين يديه اكثر من ثلاثة آلاف وعليه طيلسان وبيده القضيب وفى رجله الحذاء وركب لصلاة الجمعة فى رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة الى جامعه ومعه ابنه منصور فجعلت المظلة على منصور وسار العزيز بغير مظلة * وقال فى حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأمر الحاكم بأمر الله أن يتم بناء الجامع الذى كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ فى بنيانه عند باب الفتوح فقدر للنفقة عليه أربعون ألف دينار فابتدئ فى العمل فيه وفى صفر سنة احدى وأربعمائة زيد فى منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركان طول كل ركن مائة ذراع وفى سنة ثلاث وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج اليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل والسلاسل فكان تكسير ما ذرع للحصر ستة وثلاثين ألف ذراع فبلغت النفقة على ذلك خمسة آلاف دينار * قال وتم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح وعلق على سائر أبوابه ستور ديبقية عملت له وعلق فيه تنانير فضة عدتها أربع وكثير من قناديل فضة وفرش جميعه بالحصر التى عملت له ونصب فيه المنبر وتكامل فرشه وتعليقه وأذن فى ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة لمن بات فى الجامع الازهر أن يمضوا اليه فمضوا وصار الناس طول ليلتهم يمشون من كل واحد من الجامعين الى الآخر بغير مانع لهم ولا اعتراض من أحد من عسس القصر ولا اصحاب الطوف الى الصبح وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة وهى أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه * وفى ذى القعدة سنة أربع وأربعمائة حبس الحاكم عدة قياسر وأملاك على الجامع الحاكمى بباب الفتوح * قال ابن عبد الظاهر وعلى باب الجامع الحاكمى مكتوب انه أمر بعمله الحاكم أبو على المنصور فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وعلى منبره مكتوب انه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمى المنشأ بظاهر باب الفتوح فى سنة ثلاث وأربعمائة ورأيت فى سيرة الحاكم وفى يوم الجمعة أقيمت الجمعة فى الجامع الذى كان الوزير أنشأه بباب الفتوح * ورأيت فى سيرة الوزير المذكور فى يوم الاحد عاشر

رمضان سنة تسع وسبعين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة خارج الطابية مما يلي باب الفتوح قال وكان هذا الجامع خارج القاهرة فجدد بعد ذلك باب الفتوح وعلى البدنة التي تجاور باب الفتوح وبعض البرج مكتوب ان ذلك بني سنة ثلاثين وأربعمائة في زمن المستنصر بالله ووزارة أمير الجيوش فيكون بينهما سبع وثمانون سنة قال والقصبة وسط الجامع بناها الصاحب عبد الله بن علي بن شكر واجرى الماء اليها وأزالها القاضي تاج الدين بن شكر وهو قاضي القضاة في سنة ستين وستمائة والزيادة التي الى جانبه قيل انها بناء ولده الظاهر علي ولم يكملها وكان قد حبس فيها الفرنج فعملوا فيها كنائس هدمها الملك الناصر صلاح الدين وكان قد تغلب عليها وبنيت اصطبلات وبلغني أنها كانت في الايام المتقدمة قد جعلت اهراء للغلال فلما كان في الايام الصالحية ووزارة معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ للملك الصالح أيوب ولد الكامل ثبت عند الحاكم أنها من الجامع وأن بها محرابا فانتزعت وأخرج الخيل منها وبني فيها ما هو الآن في الايام المعزية على يد الركن الصيرفي ولم يسقف ثم جدد هذا الجامع في سنة ثلاث وسبعمائة وذلك انه لما كان يوم الخميس ثالث عشري ذي الحجة سنة اثنتين وسبعمائة تزلزلت أرض مصر والقاهرة وأعمالهما ورجف كل ما عليهما واهتز وسمع للحيطان قعقعة وللسقوف قرقعة ومارت الارض بما عليها وخرجت عن مكانها وتخيل الناس أن السماء قد انطبقت على الارض فهربوا من أماكنهم وخرجوا عن مساكنهم وبرزت النساء حاسرات وكثر الصراخ والعويل وانتشرت الخلائق فلم يقدر أحد على السكون والقرار لكثرة ما سقط من الحيطان وخر من السقوف والمآذن وغير ذلك من الابنية وفاض ماء النيل فيضا غير المعتاد وألقى ما كان عليه من المراكب التي بالساحل قدر رمية سهم وانحسر عنها فصارت على الارض بغير ماء واجتمع العالم في الصحراء خارج القاهرة وباتوا ظاهر باب البحر بحرمهم وأولادهم في الخيم وخلت المدينة وتشعثت جميع البيوت حتى لم يسلم ولا بيت من سقوط أو تسقط أو ميل وقام الناس في الجوامع يبتهلون ويسألون الله سبحانه طول يوم الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة فكان مما تهدم في هذه الزلزلة الجامع الحاكمي فانه سقط كثير من البدنات التي فيه وخرب أعالي المئذنتين وتشعثت سقوفه وجدرانه فانتدب لذلك الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ونزل اليه ومعه القضاة والامراء فكشفه بنفسه وأمر برم ما تهدم منه واعادة ما سقط من البدنات فاعيدت وفي كل بدنة منها طاق وأقام سقوف الجامع وبيضه حتى عاد جديدا وجعل له عدة أوقاف بناحية الجيزة وفي الصعيد وفي الاسكندرية تغل كل سنة شيأ كثيرا ورتب فيه دروسا أربعة لاقراء الفقه على مذاهب الائمة الاربعة ودرسا لاقراء الحديث النبوي وجعل لكل درس مدرسا وعدة كثيرة من الطلبة فرتب في تدريس الشافعية قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي وفي تدريس الحنفية قاضي القضاة شمس الدين احمد السروجي الحنفي وفي تدريس المالكية قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين الحراني وفي درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعودا الحارثي وفي درس النحو الشيخ اثير الدين أبا حيان وفي درس القرا آت السبع الشيخ نور الدين الشطنوفي وفي التصدير لافادة العلوم علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي وفي مشيخة الميعاد المجد عيسى بن الخشاب وعمل فيه خزانة كتب جليلة وجعل فيه عدة متصدرين لتلقين القرآن الكريم وعدة قراء يتناوبون قراءة القرآن ومعلما يقرئ ايتام المسلمين كتاب الله عز وجل وحفر فيه صهريجا بصحن الجامع ليملأ في كل سنة من ماء النيل ويسبل منه الماء في كل يوم ويستقي منه الناس يوم الجمعة وأجرى على جميع من قرره فيه معاليم داره وهذه الاوقاف باقية الى اليوم الا أن أحوالها اختلت كما اختل غيرها فكان ما انفق عليه زيادة على أربعين ألف دينار وجرى في بنائه لهذا الجامع أمر يتعجب منه وهو ما حدثني به شيخنا الشيخ المعروف المسند المعمر أبو عبد الله محمد بن ضرغام بن شكر المقري بمكة في سنة سبع وثمانين وسبعمائة قال اخبرني من حضر عمارة الامير بيبرس للجامع الحاكمي عند سقوطه في سنة الزلزلة انه لما شرع البناة في ترميم ما وهى من المئذنة التي هي من جهة باب الفتوح ظهر لهم صندوق في تضاعيف البنيان فاخرجه الموكل بالعمارة وفتحه فاذا فيه قطن ملفوف على كف انسان بزنده وعليه أسطر مكتوبة لم يدر ما هي والكف طرية كأنها قريبة عهد بالقطع ثم رأيت هذه الحكاية بخط مؤلف السيرة الناصرية موسى بن محمد بن يحيى أحد مقدمي الحلقة ثم جدد هذا الجامع وبلط جميعه في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في ولايته الثانية على يد الشيخ

قوله فيكون بينهما الخ هكذا في نسخ الاصل وفيه نظر ا

قطب الدين محمد الهرماس فى سنة ستين وسبعمائة ووقف قطعة أرض على الهرماس وأولاده وعلى زيادة فى معلوم الامام بالجامع وعلى ما يحتاج اليه فى زيت الوقود ومرمة فى سقفه وجدرانه وجرى فى عمارة الجامع على يد الهرماس ما حدثنى به الشيخ المعمر شمس الدين محمد بن على امام الجامع الطيبرسى بشاطئ النيل قال أخبرنى محمد بن عمر البوصيرى قال حدثنا قطب الدين محمد الهرماس أنه رأى بالجامع الحاكى حجرا ظهر من مكان قد سقط منقوش عليه هذه الابيات الخمسة

ان الذى أسررت مكنون اسمه * وكتمته كيما افوز بوصله
مال له جذر تساوى فى الهجا * طرفاه يضرب بعضه فى مثله
فيصير ذاك المال الا انه * فى النصف منه تصاب أحرف كله
واذا نطقت بربعه متكلما * من بعد أوله نطقت بكله
لا نقط فيه اذا تكامل عده * فيصير منقوطا بجملة شكله

قال وهذه الابيات لغز فى الحجر المكرم * وقال العلامة شمس الدين محمد بن النقاش فى كتاب العبر فى أخبار من مضى وغبر وفى هذه السنة يعنى سنة احدى وستين وسبعمائة صودر الهرماس وهدمت داره التى بناها أمام الجامع الحاكى وضرب ونفى هو وولده فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من ذى القعدة استفتى السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى وقف حصة طندتا وهى الارض التى كان قد سأله الهرماس ان يقفها على مصالح الجامع الحاكى فعين له خمسمائة وستين فدانا من طين طندتا وطلب الموقعين وأمرهم أن يكتبوا صورة وقفها ويحضروه ليشهدوا عليه به وكان قد تقرر من شروطه فى اوقافه ما قيل انه رواية عن أبى حنيفة رحمة الله تعالى عليه من أن للواقف أن يشترط فى وقفه التغيير والزيادة والنقص وغير ذلك فأحضر الكركى الموقع اليه الكتاب مطويا فقرأ منه طرته وخطبته وأوله ثم طواه وأعاده اليه مطويا وقال اشهدوا بما فيه دون قراءة وتأمل فشهدوا وهم بالتفصيل الذى كتبوه وقرروه مع الهرماس ولما اطلع السلطان على ذلك بعد نفى الهرماس طلب الكركى وسأله عن هذه الواقعة فأجاب بما قد ذكرنا والله اعلم بصحة ذلك غير أن المعلوم المقرر أن السلطان ما قصد الا مصالح الجامع ثم سأله ازدمر الخازندار هل وقفت حصة لطفة على أولاد الهرماس فانه قد ذكر ذلك فقال نعم أنا وقفت عليهم جزأ يسيرا لم أعلم مقداره وأما التفصيل المذكور فى كتاب الوقف فلم أتحققه ولم أطلع عليه فاستفتى المفتين فى هذه الواقعة فأما المفتون كابن عقيل وابن السبكى والبلقينى والبسطامى والهندى وابن شيخ الجبل والبغدادى ونحوهم فأجابوا ببطلان الحكم المترتب على هذه الشهادة الباطلة وبطلان التنفيذ وكان الحنفى حكم والبقية نفذوا وأما الحنفى فقال ان الوقف اذا صدر صحيحا على الاوضاع الشرعية فانه لا يبطل بما قاله الشاهد وهو جواب عن نفس الواقعة وأما الشافعى فكتب ما مضمونه ان الحنفى ان اقتضى مذهبه بطلان ما صححه أولا نفذ بطلانه وحاصل ذلك أن القضاة أجابوا بالصحة والمفتين أجابوا بالبطلان فطلب السلطان المفتين والقضاة فلم يحضر من الحكام غير نائب الشافعى وهو تاج الدين محمد بن اسحاق بن المناوى والقضاة الثلاثة الشافعى والحنفى والحنبلى وجد وامرضى لم يمكنهم الحضور الى سرياقوس فان السلطان كان قد سرح اليها على العادة فى كل سنة فجمعهم السلطان فى برج من القصر الذى بميدان سرياقوس عشاء الآخرة وذكر لهم القضية وسألهم عن حكم الله تعالى فى الواقعة فأجاب الجميع بالبطلان غير المناوى فانه قال مذهب أبى حنيفة أن الشهادة الباطلة اذا اتصل بها الحكم صح ولزم فصرخت عليه المفتون شافعيهم وحنفيهم أما شافعيهم فانه قال ليس هذا مذهبك ولا مذهب الجمهور ولا هو الراجح فى الدليل والنظر وقال له ابن عقيل هذا انما ينقض به الحكم لو حكم به حاكم وادعى قيام الاجماع على ذلك وقال له سراج الدين البلقينى ليس هذا مذهب أبى حنيفة ومذهبه فى العقود والفسوخ ما ذكرت من أن حكم الحاكم يكون هو المعتمد فى التحليل والتحريم وأما الاوقاف ونحوها فحكم الحاكم فيها لا اثر له كمذهب الشافعى وادعوا أن الاجماع قائم على ذلك وقاموا على المناوى فى ذلك قومة عظيمة فقال نحن نحكم بالظاهر فقالوا له ما لم يظهر الباطن بخلافه فقال قال النبى صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر قالوا هذا الحديث كذب على النبى صلى الله عليه وسلم وانما الحديث الصحيح حديث انما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض الحديث

قال المناوى الاحكام ماهى بالفتاوى قالوا له فماذا تكون أفى الوجود حكم شرعى بغير فتوى من الله ورسوله وكان قد قال فى مجلس ابن الدريهم القائم على نفيس اليهودى المدعو برأس الجالوت بين اليهود لا يلتفت لقول المفتين فقيل له فى هذا المجلس ها أنت قد قلت مرتين ان المفتين لا يعتبر قولهم وان الفتاوى لا يعتدبها وقد أخطأت فى ذلك أشد الخطأ وأنبأت عن غاية الجهل فان منصب الفتوى أول من قام به رب العالمين اذ قال فى كتابه المبين يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وقال يوسف عليه السلام قضى الامر الذى فيه تستفتيان وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها قد أفتانى الله ربى فيما استفتيته وكل حكم جاء على سؤال سائل تكفل ببيانه قرآن او سنة فهو فتوى والقائم به مفت فكيف تقول لا يلتفت الى الفتوى أو الى المفتين فقال سراج الدين الهندى وغيره هذا كفر ومذهب أبى حنيفة أن من استخف بالفتوى أو المفتين فهو كافر فاستدرك نفسه بعد ذلك وقال لم أرد الا أن الفتوى اذا خالفت المذهب فهى باطلة قالوا له وأخطأت فى ذلك أيضا لان الفتوى قد تخالف المذهب المعين ولا تخالف الحق فى نفس الامر قال فأردت بالفتوى التى تخالف الحق قالوا فأطلقت فى موضع التقييد وذلك خطأ فقال السلطان حينئذ فاذا قدر هذا وادعيت أن الفتوى لا اثر لها فبطل المفتين والفتوى من الوجود فتلكأ وحار وقال كيف أعمل فى هذا فتبين لبعض الحاضرين انه استشكل المسألة ولم يتبين له وجهها فقال لا شك أن مولانا السلطان لم ينكر صدور الوقف وانما انكر المصارف وأن تكون الجهة التى عينها هى هرماس وشهوده وقضاته وللسلطان أن يحكم فيها بعلمه ويبطل ما قرروه من عند أنفسهم قال كيف يحكم لنفسه قيل له ليس هذا حكما لنفسه لانه مقر بأصل الوقف وهو للمستحقين ليس له فيه شئ وانما ابطل وصف الوقف وهو المصرف الذى قرر على غير جهة الوقف وله أن يوقع الشهادة على نفسه بحكم أن مصرف هذا الوقف الجهة الفلانية دون الفلانية ولم يزالوا يذكرون له اوجها تبين بطلان الوقف اما بأصله أو بوصفه الى أن قال يبطل بوصفه دون أصله وأذعن لذلك بعد اتعاب من العلماء وازعاج شديد من السلطان فى بيان وجوه ذكروها تبين وجه الحق وانه انما وقفه على مصالح الجامع المذكور وهذا مما لا يشك فيه عاقل ولا يرتاب فالتفت بعد ذلك وقال للحاضرين كيف نعمل فى ابطاله فقالوا بما قررناه من اشهاد السلطان على نفسه بتفصيل صحيح وانه لم يزل كذلك منذ صدر منه الوقف الى هذا الامد وغير ذلك من الوجوه فجعل يوهم السلطان أن الشهود الذين شهدوا فى هذا الوقف متى بطل هذا الوقف ثبت عليهم التساهل وجرحوا بذلك وقدح ذلك فى عدالتهم ومتى جرحوا الآن لزم بطلان شهاداتهم فى الاوقاف المتقدمة على هذا التاريخ وخيل بذلك للسلطان حتى ذكرله اجماع المسلمين على أن جرح الشاهد لا ينعطف على ما مضى من شهاداته السالفة ولو كفروا العياذ بالله وهذا مما لا خلاف فيه ثم استقر رأيه على أن يبطله بشاهدين يشهدان أن السلطان لما صدر منه هذا الوقف كان قد اشترط لنفسه التغيير والتبديل والزيادة والنقص وقام على ذلك * قال مؤلفه رحمه الله انظر تثبت القضاة وقايس بين هذه الواقعة وما كان من تثبت القاضى تاج الدين المناوى وهو يومئذ خليفة الحكم ومصادمته الجبال وبين ما ستقف عليه من التساهل والتناقض فى خبر أوقاف مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار وميز بعقلك فرق ما بين القضيتين وهذه الارض التى ذكرت هى الآن بيد أولاد الهرماس بحكم الكتاب الذى حاول السلطان نقضه فلم يوافق المناوى والجامع الآن متهدم وسقوفه كلها ما من زمن الا ويسقط منها الشئ بعد الشئ فلا يعاد وكانت ميضأة هذا الجامع صغيرة بجوار ميضأته الآن فيما بينها وبين باب الجامع وموضعها الآن مخزن تعلوه طبقة عمرها شخص من الباعة يعرف بابن كرسون المراحلى وهذه الميضأة الموجودة الآن أحدثت وأنشأ الفسقية التى فيها ابن كرسون فى أعوام بضع وثمانين وسبعمائة وبيض مئذنتى الجامع واستجد المئذنة التى بأعلى الباب المجاور للمنبر رجل من الباعة وكملت فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة وخرق سقف الجامع حتى صار المؤذنون ينزلون من السطح الى الدكة التى يكبرون فوقها وراء الامام * (هيئة صلاة الجمعة فى أيام الخلفاء الفاطميين) * قال المسبحى وفى يوم الجمعة غرة رمضان سنة ثمانين وثلثمائة ركب العزيز بالله الى جامع القاهرة بالمظلة المذهبة وبين يديه نحو خمسة آلاف ماش وبيده القضيب وعليه الطيلسان والسيف فخطب وصلى صلاة الجمعة وانصرف فأخذ رقاع المتظلمين بيده وقرأ منها عدة فى الطريق وكان يوما عظيما ذكرته الشعراء * قال ابن الطوير اذا انقضى ركوب أول شهر رمضان استراح

فى أول جمعة فاذا كانت الثانية ركب الخليفة الى الجامع الانور الكبير فى هيئة المواسم بالمظلة وما تقدم ذكره من الآلات ولباسه فيه ثياب الحرير البيض توقيرا للصلاة من الذهب والمنديل والطيلسان المقور الشعرى فيدخل من باب الخطابة والوزير معه بعد أن يتقدمه فى أوائل النهار صاحب بيت المال وهو المقدم ذكره فى الاستاذين وبين يديه الفرش المختصة بالخليفة اذا صار اليه فى هذا اليوم وهو محمول بأيدى الفراشين المميزين وهو ملفوف فى العراضى الديبقية فيفرش فى المحراب ثلاث طراحات اماسامان أو ديبقى ابيض أحسن ما يكون من صنفهما كل منهما منقوش بالحمرة فتجعل الطراحات متطابقات ويعلق ستران يمنة ويسرة وفى الستر الايمن كتابة مرقومة بالحرير الاحمر واضحة منقوطة أولها البسملة والفاتحة وسورة الجمعة وفى الستر الايسر مثل ذلك وسورة اذا جاءك المنافقون قد أسبلا وفرشا فى التعليق بجانبى المحراب لاصقين بجسمه ثم يصعد قاضى القضاة المنبر وفى يده مدخنة لطيفة خيزران يحضرها اليه صاحب بيت المال فيها جمرات ويجعل فيها ندمثلث لا يشم مثله الا هناك فيبخر الذروة التى عليها الغشاء كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ويكرر ذلك ثلاث دفعات فيأتى الخليفة فى هيئة موقرة من الطبل والبوق وحوالى ركابه خارج أصحاب الركاب القراء وهم قراء الحضرة من الجانبين يطربون بالقراءة نوبة بعد نوبة يستفتحون بذلك من ركوبه من الكرسى على ما تقدم طول طريقه الى قاعة الخطابة من الجامع ثم تحفظ المقصورة من خارجها بترتيب اصحاب الباب واسفهسلار العساكر ومن داخلها الى آخرها صبيان الخاص وغيرهم ممن يجرى مجراهم ومن داخلها من باب خروجه الى المنبر واحد فواحد فيجلس فى القاعة وان احتاج الى تجديد وضوء فعل والوزير فى مكان آخر فاذا أذن بالجمعة دخل اليه قاضى القضاة فقال له السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضى ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فيخرج ماشيا وحواليه الاستاذون المحنكون والوزير وراءه ومن يليهم من الخواص وبأيديهم الاسلحة من صبيان الخاص وهم أمراء وعليهم هذا الاسم فيصعد المنبر الى أن يصل الى الذروة تحت تلك القبة المبخرة فاذا استوى جالسا والوزير على باب المنبر ووجهه اليه فيشير اليه بالصعود فيصعد الى أن يصل اليه فيقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس ثم يزرر عليه تلك القبة لانها كالهودج ثم ينزل مستقبلا فيقف ضابطا لباب المنبر فان لم يكن ثم وزير صاحب سيف زرر عليه قاضى القضاة كذلك ووقف صاحب الباب ضابطا للمنبر فيخطب خطبة قصيرة من مسطور يحضر اليه من ديوان الانشاء يقرأ فيها آية من القرآن الكريم ولقد سمعته مرة فى خطابته بالجامع الازهر وقد قرأ فى خطبته رب أوزعنى أن اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى الآية ثم يصلى على أبيه وجده يعنى بهما محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ويعظ الناس وعظا بليغا قليل اللفظ وتشتمل الخطبة على ألفاظ جزلة ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل الى نفسه فقال وأنا اسمعه اللهم وأنا عبدك وابن عبدك لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ويتوسل بدعوات فخمة تليق بمثله ويدعو للوزير ان كان وللجيوش بالنصر والتأليف وللعساكر بالظفر وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر ثم يختم بقوله اذكروا الله يذكركم فيطلع اليه من زرر عليه ويفك ذلك التزرير وينزل القهقرى وسبب التزرير عليهم قراءتهم من مسطور لا كعادة الخطباء فينزل الخليفة ويصير على تلك الطراحات الثلاث فى المحراب وحده اماما ويقف الوزير وقاضى القضاة صفا ومن ورائهما الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون وأرباب الرتب من اصحاب السيوف والاقلام والمؤذنون وقوف وظهورهم الى المقصورة لحفظه فاذا اسمع الوزير الخليفة أسمع القاضى فأسمع القاضى المؤذنين وأسمع المؤذنون الناس هذا والجامع مشحون بالعالم للصلاة وراءه فيقرأ ما هو مكتوب فى الستر الايمن فى الركعة الاولى وفى الركعة الثانية ما هو مكتوب فى الستر الايسر وذلك على طريق التذكار خيفة الارتجاج فاذا فرغ خرج الناس وركبوا أولا فأولا وعاد طالبا القصر والوزير وراءه وضربت البوقات والطبول فى العود فاذا اتت الجمعة الثانية ركب الى الجامع الازهر من القشاشين على المنوال الذى ذكرناه والقالب الذى وصفناه فاذا كانت الجمعة الثالثة أعلم بركوبه الى مصر للخطابة فى جامعها فيزين له من باب القصر أهل القاهرة الى جامع ابن طولون ويزين له أهل مصر من جامع ابن طولون الى الجامع بمصر رتب ذلك والى مصر كل أهل معيشة فى مكان فيظهر المختار من الآلات والستور المثمنات ويبيتون بذلك ثلاثة أيام بلياليهن والوالى مار وعائد بينهم وقد ندب من يحفظ الناس ومتاعهم فيركب يوم الجمعة المذكور شاقا

لذلك كله على الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الخراب اليوم الى دار الانماط الى الجامع بمصر فيدخل اليه من المعونة ومنها باب متصل بقاعة الخطيب بالزى الذى تقدم ذكره فى خطبة الجامعين بالقاهرة وعلى ترتيبهما فاذا قضى الصلاة عاد الى القاهرة من طريقه بعينها شاقا بالزينة الى أن يصل الى القصر ويعطى أرباب المساجد التى يمر عليها كل واحد دينارا * وقال ابن المأمون ووصل من الطراز الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجمعته برسم الخليفة للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من الشهر بدلة موكبية حرير مكملة منديلها وطيلسانها بياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعرى وما هو برسم أخى الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة وبرسم أربع جهات للخليفة أربع حلل مذهبات وبرسم الوزير للغرة خلعة مذهبة مكملة موكبية وبرسم الجمعتين بدلتان حريريتان ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير فى ذلك شئ فنذكره

(جامع راشدة)

هذا الجامع عرف بجامع راشدة لانه فى خطة راشدة قال القضاعى خطة راشدة بن أدوب بن جديلة من لخم هى متاخمة للخطة التى قبلها الى الدير المعروف كان بأبى تكموس ثم هدم وهو الجامع الكبير الذى براشدة وقد دثرت هذه الخطة ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة والجنان التى كانت تعرف بكهمس بن معمر ثم عرفت بالماردانى وهى اليوم تعرف بالامير تميم * وقال المسبحى فى حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وابتدئ بناء جامع راشدة فى سابع عشر ربيع الآخر وكان مكانه كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى فبنى بالطوب ثم هدم وزيد فيه وبنى بالحجر وأقيمت به الجمعة وقال فى سنة خمس وتسعين وثلثمائة وفيه يعنى شهر رمضان فرش جامع راشدة وتكامل فرشه وتعليق قناديله وما يحتاج اليه وركب الحاكم بأمر الله عشية يوم الجمعة الخامس عشر منه وأشرف عليه وقال فى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وفيه يعنى شهر رمضان صلى الحاكم بجامعه الذى أنشأه براشدة صلاة الجمعة وخطب وفى شهر رمضان سنة أربعمائة أنزل بقناديل وتنور من فضة زنتها ألوف كثيرة فعلقت بجامع راشدة وفى سنة احدى وأربعمائة هدم وابتدئ فى عمارته من صفر وفى شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة صلى الحاكم فى جامع راشدة صلاة الجمعة وعليه عمامة بغير جوهر وسيف محلى بفضة بيضاء دقيقة والناس يمشون بركابه من غير أن يمنع أحد منه وكان يأخذ قصصهم ويقف وقوفا طويلا لكل منهم واتفق يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وأربعمائة أن خطب فيه خطيبتان معا على المنبر وذلك أن أبا طالب على بن عبد السميع العباسى استقر فى خطابته باذن قاضى القضاة أبى العباس أحمد بن محمد بن العوّام بعد سفر العفيف البخارى الى الشام فتوصل ابن عصفورة الى أن خرج له أمر امير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أن يخطب فصعدا جميعا المنبر ووقف أحدهما دون الآخر وخطبا معا ثم بعد ذلك استقر أبو طالب خطيبا وأن يكون ابن عصفورة يخلفه وقال ابن المتوج هذا الجامع فيما بين دير الطين والفسطاط وهو مشهور الآن بجامع راشدة وليس بصحيح وانما جامع راشدة كان جامعا قديم البناء بجوار هذا الجامع عمر فى زمن الفتح عمرته راشدة وهى قبيلة من القبائل كقبيلة تجيب ومهرة نزلت فى هذا المكان وعمروا فيه جامعا كبيرا أدركت أنا بعضه ومحرابه وكان فيه نخل كثير من نخل المقل ومن جملة ما رأيت فيه نخلة من المقل عددت لها سبعة رؤس مفرّعة منها فذاك الجامع هو المعروف بجامع راشدة وأما هذا الموجود الآن فمن عمارة الحاكم ولم يكن فى بناء الجوامع أحسن من بنائه وقيل عمرته حظية الخليفة وكان اسمها راشدة وليس بصحيح والاول هو الصحيح وفيه الآن نخل وسدر وبئر وساقية رجل وهو مكان خلوة وانقطاع ومحل عبادة وفراغ من تعلقات الدنيا * قال مؤلفه هذا وهم من ابن المتوّج فى موضعين * (أولهما) أن راشدة عمرت هذا الجامع فى زمن فتح مصر وهذا قول لم يقله أحد من مؤرخى مصر فهذا الكندى ثم القضاعى وعليهما يعوّل فى معرفة خطط مصر ومن قبلهما ابن عبد الحكم لم يقل أحد منهم ان راشدة عمرت زمن الفتح مسجدا ولا يعرف من هذا السلف رحمهم الله فى جند من أجناد الامصار التى فتحها الصحابة رضى الله عنهم انهم أقاموا خطبتين فى مسجد واحد وقد حكينا ما تقدم عن المسبحى وهو مشاهد ما نقله من بناء الجامع المذكور فى موضع الكنيسة بأمر الحاكم بأمر الله وتغييره لبنائه غير مرّة وتبعه القضاعى على ذلك وقد عدّ القضاعى والكندى فى كتابيهما

المذكور فيهما خطط مصر ما كان بمصر من مساجد الخطبة القديمة والمحدثة وذكر امساجد راشدة ولم يذكرا فيها جامعا اختطته راشدة وذكرا هذا الدير وعين القضاعى اسمه هدم وبنى فى مكانه جامع راشدة وناهيك بهما معرفة لآثار مصر وخططها * (والوهم الثانى) * الاستدلال على الوهم الاول بمشاهدة بقايا مسجد قديم ولا ادرى كيف يستدل بذلك فمن أنكر أن يكون قد كان هناك مسجد بل المدعى انه كان لراشدة مساجد لكن كونها اختطت جامعا هذا غير صحيح وقال ابن أبى طى فى أخبار سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة فى كتابه تاريخ حلب كانت النصارى اليعقوبية قد شرعوا فى انشاء كنيسة كانت قد اندرست لهم بظاهر مصر فى الموضع المعروف براشدة فثار قوم من المسلمين وهدموا ما بنى النصارى وأنهى الى الحاكم ذلك وقيل له ان النصارى ابتدأوا بناءها وقال النصارى انها كانت قبل الاسلام فأمر الحاكم الحسين بن جوهر بالنظر فى حال الفريقين فمال فى الحكم مع النصارى وتبين للحاكم ذلك فأمر أن تبنى تلك الكنيسة مسجدا جامعا فبنى فى أسرع وقت وهو جامع راشدة وراشدة اسم للكنيسة وكان بجواره كنيستان احداهما لليعقوبية والاخرى للنسطورية فهدمتا أيضا وبنيتا مسجدين وكان فى حارة الروم بالقاهرة آدر للروم وكنيستان لهم فهدمتا وجعلتا مسجدين أيضا وحول الروم الى الموضع المعروف بالحمراء وأسس الروم ثلاث كنائس عوضا عما هدم لهم وهذا أيضا مصرح بأن جامع راشدة أسسه الحاكم وفيه وهم لكونه جعل راشدة اسما للكنيسة وانما راشدة اسم لقبيلة من العرب نزلوا عند الفتح هناك فعرفت تلك البقاع بخطة راشدة وقد جدد جامع راشدة مرارا وأدركته عامرا تقام فيه الجمعة ويمتلئ بالناس لكثرة من حوله من السكان وانما تعطل من اقامة الجمعة بعد حوادث سنة ست وثمانمائة وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة راشدة بطن من لخم وهم ولد راشدة بن الحارث بن أد بن جديلة من لخم ابن عدى بن الحارث بن مرة بن ادد وقيل راشدة بن أدوب ويقال لراشدة خالفة ولهم خطة بمصر بالجبل المعروف بالرصد المطل على بركة الحبش وقد دثرت الخطة ولم يبق فى موضعها الا الجامع الحاكمى المعروف بجامع راشدة

* (جامع المقس) *

هذا الجامع أنشاه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس فى   لان المقس كان خطة كبيرة وهى بلد ٢
قديم من قبل الفتح كما تقدم ذكر ذلك فى هذا الكتاب وقال فى الكتاب الذى تضمن وقف الحاكم بأمر الله الاماكن بمصر على الجوامع كما ذكر فى خبر الجامع الازهر ما نصه ويكون جميع ما بقى مما تصدق به على هذه المواضع يصرف فى جميع ما يحتاج اليه فى جامع المقس المذكور من عمارته ومن ثمن الحصر العبدانية والمظفورة وثمن العود للبخور وغيره على ما شرح من الوظائف فى الذى تقدم وكان لهذا الجامع نخل كثير فى الدولة الفاطمية ويركب الخليفة الى منظرة كانت بجانبه عند عرض الاسطول فيجلس بها لمشاهدة ذلك كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكر المناظر وفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة انشقت زربية من هذا الجامع فى شهر رمضان لكثرة زيادة ماء النيل وخيف على الجامع السقوط فأمر بعمارتها * ولما بنى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب هذا السور الذى على القاهرة وأراد أن يوصله بسور مصر من خارج باب البحر الى الكوم الاحمر حيث منشأة المهرانى اليوم وكان المتولى لعمارة ذلك الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى أنشأ بجوار جامع المقس برجا كبيرا عرف بقلعة المقس فى مكان المنظرة التى كانت للخلفاء فلما كان فى سنة سبعين وسبعمائة جدد بناء هذا الجامع الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى وهدم القلعة وجعل مكانها جنينة واتهمه الناس بأنه وجد هنالك مالا كثيرا وأنه عمر منه الجامع المذكور فصار العامة اليوم يقولون جامع المقسى ويظن من لا علم عنده أن هذا الجامع من انشائه وليس كذلك بل انما جدده وبيضه وقد انحسر ماء النيل عن تجاه هذا الجامع كما ذكر فى خبر بولاق والمقس وصار هذا الجامع اليوم على حافة الخليج الناصرى وأدركنا ما حوله فى غاية العمارة وقد تلاشت المساكن التى هناك وبها الى اليوم بقية يسيرة ونظر هذا الجامع اليوم بيد أولاد الوزير المقسى فانه جدده وجعل عليه أوقافا لمدرس وخطيب وقومة ومؤذنين وغير ذلك وقال جامع السيرة الصلاحية وهذا المقسم على شاطئ النيل يزار وهناك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذى قسمت فيه الغنيمة عند استيلاء الصحابة رضى الله عنهم على مصر فلما أمر السلطان صلاح الدين بادارة السور

على مصر والقاهرة تولى ذلك بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التي تلي القاهرة عند المقس وبنى فيه برجا يشرف على النيل وبنى مسجده جامعا واتصلت العمارة منه الى البلد وصار تقام فيه الجمع والجماعات * (العزيز بالله) * أبو النصر نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد ولد بالمهدية من بلاد أفريقية في يوم الخميس الرابع عشر من المحرّم سنة أربع وأربعين وثلثمائة وقدم مع أبيه الى القاهرة وولى العهد فلما مات المعز لدين الله أقيم من بعده في الخلافة يوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة فأذعن له سائر عساكر أبيه واجتمعوا عليه وسير بذهب الى بلاد المغرب فرّق في الناس وأقرّ يوسف بن ملكين على ولاية أفريقية وخطب له بمكة ووافى الشام عسكر القرامطة فصاروا مع افتكين التركى وقوى بهم وساروا الى الرملة وقاتلوا عساكر العزيز بها فابعث العزيز جوهرا القائد بعساكر كثيرة وملك الرملة وحاصر دمشق مدّة ثم رحل عنها بغير طائل فأدركه القرامطة وقاتلوه بالرملة وعسقلان نحو سبعة عشر شهرا ثم خاص من تحت سيوف افتكين وسار الى العزيز فوافاه وقد برز من القاهرة فسار معه ودخل العزيز الى الرملة وأسر أفتكين في المحرّم سنة ثمان وستين وثلثمائة فأحسن اليه وأكرمه اكراما زائدا فكتب اليه الشريف أبو اسماعيل ابراهيم الرئيس يقول يا مولانا لقد استحق هذا الكافر كل عذاب والعجب من الاحسان اليه فلما لقيه قال يا ابراهيم قرأت كتابك في أمر أفتكين وأنا أخبرك اعلم أنا قد وعدناه الاحسان والولاية فلما اقبل وجاء الينا نصب فازاته وخيامه حذاءنا وأردنا منه الانصراف فلج وقاتل فلما ولى منهزما وسرت الى فازاته ودخلتها سجدت لله شكرا وسألته أن يفتح لي بالظفر به فجيء به بعد ساعة أسيرا أترى يليق بي غير الوفاء ولما وصل العزيز الى القاهرة اصطنع افتكين وواصله بالعطايا والخلع حتى قال لقد احتشمت من ركوبي مع الخليفة مولانا العزيز بالله ونظرى اليه بما غمرني من فضله واحسانه فلما بلغ العزيز ذلك قال لعمه حيدرة يا عم أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجواهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وأن يكون ذلك كله من عندي ومات بمدينة بلبيس من مرض طويل بالقولنج والحصاة في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فحمل الى القاهرة ودفن بتربة القصر مع آبائه وكانت مدّة خلافته بعد أبيه المعز احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية اشهر وأربعة عشر يوما وكان نقش خاتمه بنصر العزيز الجبار ينتصر الامام نزار ولما مات وحضر الناس الى القصر للتعزية افحموا عن أن يوردوا في ذلك المقام شيأ ومكثوا مطرقين لا ينبسون فقام صبي من أولاد الامراء الكتاميين وفتح باب التعزية وانشد

انظر الى العلياء كيف تضام * ومآتم الاحساب كيف تقام

خبرني ركب الركاب ولم يدع * للسفر وجه ترحل فأقاموا

فاستحسن الناس ايراده وكأنه طرق لهم كيف يوردون المراثي فنهض الشعراء والخطباء حينئذ وعزوا وأنشد كل واحد ما عمل في التعزية وخلف من الاولاد ابنه المنصور وولى الخلافة من بعده وابنة تدعى سيدة الملك وكان أسمر طوالا اصهب الشعر أعين اشهل عريض المنكبين شجاعا كريما حسن العفو والقدرة لا يعرف سفك الدماء البتة مع حسن الخلق والقرب من الناس والمعرفة بالخيل وجوارح الطير وكان محبا للصيد مغرى به حريصا على صيد السباع ووزر له يعقوب بن كلس اثنتى عشرة سنة وشهرين وتسعة عشر يوما ثم من بعده علي ابن عمر العدّاس سنة واحدة ثم أبو الفضل جعفر بن الفرات سنة ثم أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيار سنة وثلاثة اشهر ثم أبو محمد بن عمار شهرين ثم الفضل بن صالح الوزيري أياما ثم عيسى بن نسطورس سنة وعشرة اشهر وكانت قضاته أبو طاهر محمد بن أحمد ثم أبو الحسن علي بن النعمان ثم أبو عبد الله محمد بن النعمان وخرج الى السفر أوّلا في صفر سنة سبع وستين وعاد من العباسية وخرج ثانيا وظفر بأفتكين وخرج ثالثا في صفر سنة اثنتين وسبعين ورجع بعد شهر الى قصره بالقاهرة وخرج رابعا في ربيع الاول سنة أربع وستين فنزل منية الاصبغ وعاد بعد ثمانية اشهر واثنى عشر يوما وخرج خامسا في عاشر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين فأقام مبرّزا أربعة عشر شهرا وعشرين يوما ومات في هذه الخرجة ببلبيس * وهو أوّل من اتخذ من أهل بيته وزيرا أثبت اسمه على الطرز وقرن اسمه باسمه وأوّل من لبس منهم الخفين والمنطقة وأوّل من اتخذ منهم الاتراك

واصطنعهم

واصطنعهم وجعل منهم القوّاد وأوّل من رمى منهم بالنشاب وأوّل من ركب منهم بالذؤابة الطويلة والحنك وضرب بالصوالجة ولعب بالرمح وأوّل من عمل مائدة فى الشرطة السفلى فى شهر رمضان يفطر عليها أهل الجامع العتيق وأقام طعاما فى جامع القاهرة لمن يحضر فى رجب وشعبان ورمضان واتخذ الحمير ركوبه اياها وكانت أمّه أم ولد اسمها درزارة وكان يضرب بأيامه المثل فى الحسن فانها كانت كلها أعيادا وأعراسا لكثرة كرمه ومحبته للعفو واستعماله لذلك ولا أعلم له بمصر من الآثار غير تأسيس الجامع الحاكمى وماعدا ذلك فذهب اسمه ومحى رسمه * (الحاكم بأمر الله) * أبو على منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معدّ ولد بالقصر من القاهرة المعزية ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثلثمائة فى الساعة التاسعة والطالع من برج السرطان سبع وعشرون درجة وسلم عليه بالخلافة فى مدينة بلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء عشرى شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة وسار الى القاهرة فى يوم الاربعاء بسائر أهل الدولة والعزيز فى قبة على ناقة بين يديه وعلى الحاكم دراعة مصمت وعمامة فيها الجوهر وبيده رمح وقد تقلد السيف ولم يفقد من جميع ما كان مع العساكر شئ ودخل القصر قبل صلاة المغرب وأخذ فى جهاز أبيه العزيز بالله ودفنه ثم بكر سائر أهل الدولة الى القصر يوم الخميس وقد نصب للحاكم سرير من ذهب عليه مرتبة مذهبة فى الايوان الكبير وخرج من قصره راكبا وعليه معممة الجوهر والناس وقوف فى صحن الايوان فقبلوا له الارض ومشوا بين يديه حتى جلس على السرير فوقف من رسمه الوقوف وجلس من له عادة أن يجلس وسلم الجميع عليه بالامامة واللقب الذى اختير له وهو الحاكم بأمر الله وكان سنه يومئذ احدى عشرة سنة وخمسة اشهر وستة أيام فجعل أبا محمد الحسن بن عمار الكندى واسطة ولقب بأمين الدولة وأسقط مكوسا كانت بالساحل وردّ الى الحسين بن جوهر القائد البريد والانشاء فكان يخلفه ابن سورين وأقرّ عيسى بن نسطورس على ديوان الخاص وقلد سليمان بن جعفر بن فلاح الشام فخرج يجوتكين من دمشق وسار منها لمدافعة سليمان بن جعفر بن فلاح فبلغ الرملة وانضم اليه ابن الجراح الطائى فى كثير من العرب وواقع ابن فلاح فانهزم وفرّ ثم أسر فحمل الى القاهرة وأكرم واختلف أهل الدولة على ابن عمار ووقعت حروب آلت الى صرفه عن الوساطة وله فى النظر أحد عشر شهرا غير خمسة أيام فلزم داره وأطلقت له رسوم وجرايات وأقيم الطواشى برجوان الصقلى مكانه فى الوساطة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلثمائة فجعل كاتبه فهد بن ابراهيم يوقع عنه ولقبه بالرئيس وصرف سليمان بن فلاح عن الشام بجيش بن الصمصامة وقلد فحل بن اسماعيل الكتامى مدينة صور وقلد يانس الخادم برقة وميسورا الخادم طرابلس ويمنا الخادم غزة وعسقلان فواقع جيش الروم على فامية وقتل منهم خمسة آلاف رجل وغزا الى أن دخل مرعش وقلد وظيفة قضاء القضاة أبا عبد الله الحسين ابن على بن النعمان فى صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة بعد موت قاضى القضاة محمد بن النعمان وقتل الاستاذ برجوان لاربع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وله فى النظر سنتان وثمانية اشهر غير يوم واحد وردّ النظر فى امور الناس وتدبير المملكة والتوقيعات الى الحسين بن جوهر ولقب بقائد القوّاد فخلفه الرئيس بن فهد واتخذ الحاكم مجالس فى الليل يحضر فيه عدّة من أعيان الدولة ثم أبطله ومات جيش بن الصمصامة فى ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة فوصل ابنه بتركته الى القاهرة ومعه درج بخط أبيه فيه وصية وثبت بما خلفه مفصلا وأن ذلك جميعه لامير المؤمنين الحاكم بأمر الله لا يستحق أحد من أولاده منه درهما وكان مبلغ ذلك نحو المائتى ألف دينار ما بين عين ومتاع ودواب قد أوقف جميع ذلك تحت القصر فأخذ الحاكم الدرج ونظره ثم أعاده الى اولاد جيش وخلع عليهم وقال لهم بحضرة وجوه الدولة قد وقفت على وصية ابيكم رحمه الله وما اوصى به من عين ومتاع فخذوه هنيئا مباركا لكم فيه فانصرفوا بجميع التركة وولى دمشق فحل بن تميم ومات بعد شهور فولى على بن فلاح وردّ النظر فى المظالم لعبد العزيز بن محمد بن النعمان ومنع الناس كافة من مخاطبة أحد أو مكاتبته بسيدنا ومولانا الا أمير المؤمنين وحده وابيح دم من خالف ذلك وفى شوّال قتل ابن عمار * وفى سنة احدى وتسعين واصل الحاكم الركوب فى الليل كل ليلة فكان يشق الشوارع والازقة وبالغ الناس فى الوقود والزينة وأنفقوا الاموال الكثيرة فى المآكل والمشارب والغناء واللهو وكثر تفرجهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحدّ فمنع النساء من الخروج فى الليل ثم منع الرجال من الجلوس فى الحوانيت * وفى رمضان سنة

اثنتين وتسعين قلد تموصلت بن بكار دمشق عوضا عن ابن فلاح وابتدئ في عمارة جامع راشدة في سنة ثلاث
وتسعين وقتل فهد بن ابراهيم وله منذ تطرف الرياسة خمس سنين وتسعة اشهر واثنا عشر يوما في ثامن جمادى
الآخرة منها واقيم في مكانه علي بن عمر العداس وسار الامير ماروح لامارة طبرية ووقع الشروع في اتمام الجامع
خارج باب الفتوح وقطع الحاكم الركوب في الليل ومات تموصلت فولى دمشق بعده مفلح اللحيانى الخادم وقتل
علي بن عمر العداس والاستاذ زيدان الصقلي وعدة كثيرة من الناس وقلد امارة برقة صندل الاسود
في المحرم سنة أربع وتسعين وصرف الحسين بن النعمان عن القضاء في رمضان منها وكانت مدة نظره في القضاء
خمس سنين وستة اشهر وثلاثة وعشرين يوما واليه كانت الدعوة أيضا فيقال له قاضي القضاة وداعي الدعاة
وقلد عبد العزيز بن محمد بن النعمان وظيفة القضاء والدعوة مع ما بيده من النظر في المظالم * وفي سنة خمس
وتسعين أمر النصارى واليهود بشد الزنار ولبس الغيار ومنع الناس من أكل الملوخية والجرجير والتوكلية
والدلنس وذبح الابقار السليمة من العاهة الا في أيام الاضحية ومنع من بيع الفقاع وعمله البتة وأن لا يدخل
أحد الحمام الا بمئزر وأن لا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج ولا يباع شيء من السمك بغير
قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وتتبع الناس في ذلك كله وشدد فيه وضرب جماعة بسبب مخالفتهم
ما أمروا به ونهوا عنه مما ذكر وخرجت العساكر لقتال بني قرة أهل البحيرة وكتب على أبواب المساجد وعلى
الجوامع بمصر وعلى أبواب الحوانيت والحجر والمقابر سب السلف ولعنهم واكره الناس على نقش ذلك وكتابته
بالاصباغ في سائر المواضع وأقبل الناس من سائر النواحي فدخلوا في الدعوة وجعل لهم يومان في الاسبوع وكثر
الازدحام ومات فيه جماعة ومنع الناس من الخروج بعد المغرب في الطرقات وأن لا يظهر أحد بها لبيع ولا شراء
فخلت الطرق من المارة وكسرت أواني الخمور وأريقت من سائر الاماكن واشتد خوف الناس بأسرهم وقويت
الشناعات وزاد الاضطراب فاجتمع كثير من الكتاب وغيرهم تحت القصر وضجوا يسألون العفو فكتب عدة
امانات لجميع الطوائف من أهل الدولة وغيرهم من الباعة والرعية وأمر بقتل الكلاب فقتل منها ما لا ينحصر
حتى فقدت وفتحت دار الحكمة بالقاهرة وحمل اليها الكتب ودخل اليها الناس فاشتد الطلب على الركابية
المستخدمين في الركاب وقتل منهم كثير ثم عفي عنهم وكتب لهم أمان ومنع الناس كافة من الدخول من باب القاهرة
ومنع الناس من المشي ملاصق القصر وقتل قاضي القضاة حسين بن النعمان وأحرق بالنار وقتل عددا كثيرا
من الناس ضربت أعناقهم * وفي سنة ست وتسعين خرج أبو ركوة يدعو الى نفسه وادعى أنه من بني أمية
فقام بأمره بنو قرة لكثرة ما أوقع بهم الحاكم وبايعوه واستجاب له لواتة ومزاتة وزنادة وأخذ برقة وهزم جيوش
الحاكم غير مرة وغنم ما معهم فخرج لقتاله القائد فضل بن صالح في ربيع الاول وواقعه فانهزم منه فضل واشتد
الاضطراب بمصر وتزايدت الاسعار واشتد الاستعداد لمحاربة أبي ركوة ونزلت العساكر بالجيزة وسار أبو ركوة
فواقعه القائد فضل وقتل عدة ممن معه فعظم الامر واشتد الخوف وخرج الناس فباتوا بالشوارع خوفا من
هجوم عساكر أبي ركوة واستمرت الحروب فانهزم أبو ركوة في ثالث ذي الحجة الى الفيوم وتبعه القائد فضل
بعد أن بعث الى القاهرة بستة آلاف رأس ومائة أسير الى أن قبض عليه ببلاد النوبة وأحضر الى القاهرة
فقتل بها وخلع على القائد فضل وسيرت البشائر بقتله الى الاعمال * وفي سنة سبع وتسعين أمر بمحو سب
السلف فمحي من سائر ما كتب من ذلك وغلت الاسعار لنقص ماء النيل فانه بلغ ستة عشر أصبعا من سبعة
عشر ذراعا ثم نقص ومات يحيى تكين في ذي الحجة واشتد الغلاء في سنة ثمان وتسعين وولي علي بن فلاح دمشق
وقبض جميع ما هو محبس على الكنائس وجعل في الديوان وأحرق عدة صلبان على باب الجامع بمصر وكتب
الى سائر الاعمال بذلك * وفي سادس عشر رجب قرر مالك بن سعيد الفارقي في وظيفة قضاء القضاة وتسلم
كتب الدعوة التي تقرأ بالقصر على الاولياء وصرف عبد العزيز بن النعمان عن ذلك وصرف قائد القواد
الحسين بن جوهر عما كان يليه من النظر في سابع شعبان وقرر مكانه صالح بن علي الروذباذي وقرر في ديوان
الشام مكانه أبو عبد الله الموصلي الكاتب وأمر حسين بن جوهر وعبد العزيز بلزوم دورهما ومنعا من
الركوب وسائر أولادهما ثم عفا عنهما بعد أيام وأمرا بالركوب وتوقفت زيادة النيل فاستسقى الناس
مرتين وأمر بابطال عدة مكوس وتعذر وجود الخبز لغلائه وقلته وفتح الخليج في رابع توت والماء على خمسة عشر

ذراعا

ذراعا فاشتد الغلاء * وفى تاسع المحرم وهو نصف توت نقص ماء النيل ولم يوف ستة عشر ذراعا فمنع الناس من التظاهر بالغناء ومن ركوب البحر للتفرج ومنع من بيع المسكرات ومنع الناس كافة من الخروج قبل الفجر وبعد العشاء الى الطرقات واشتد الامر على الكافة لشدة ماداخلهم من الخوف مع شدة الغلاء وتزايد الامراض فى الناس والموت * فلما كان فى رجب انحلت الاسعار وقرئ سجل فيه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون وصلاة الخميس للذى جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون يخمس فى التكبير على الجنائز المخمسون ولا يمنع من التربيع عليها المربعون يؤذن بحى على خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لا يؤذنون لا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف والحالف منهم بما حلف لكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده * ولقب صالح بن على الروذبادى بثقة ثقات السيف والقلم واعيد القاضى عبد العزيز بن النعمان الى النظر فى المظالم وتزايدت الامراض وكثر الموت وعزت الادوية وأعيدت المكوس التى رفعت وهدمت كنائس كانت بطريق المقس وهدمت كنيسة كانت بحارة الروم من القاهرة ونهب مافيها وقتل كثير من الخدام ومن الكتاب ومن الصقالبة بعد ماقطعت أيدى بعضهم من الكتاب بالشطور على الخشبة من وسط الذراع وقتل القائد فضل بن صالح فى ذى القعدة وفى حادى عشر صفر صرف صالح بن على الروذبادى وقرر مكانه ابن عبدون النصرانى الكاتب فوقع عن الحاكم ونظر وكتب بهدم كنيسة قمامة وجدد ديوان يقال له الديوان المفرد برسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم وكثرت الامراض وعزت الادوية وشهر جماعة وجد عندهم فقاع وملوخية ودلنيس وضربوا وهدم دائر القصر واشتد الامر على النصارى واليهود فى الزامهم لبس الغيار وكتب ابطال أخذ الخمس والنجاوى والفطرة وقتل الحسين بن جوهر وأولاده وعبد العزيز بن النعمان وفر أبو القاسم الحسين بن المغربى وكتب عدة أمانات لعدة طوائف من شدة خوفهم وقطعت قراءة مجالس الحكمة بالقصر ووقع التشديد فى المنع من المسكرات وقتل كثير من الكتاب والخدام والفراشين وقتل صالح بن على الروذبادى فى شوال * وفى رابع المحرم سنة احدى وأربعمائة صرف الكافى بن عبدون عن النظر والتوقيع وقرر بدله أحمد بن محمد القشورى الكاتب فى الوساطة والسفارة وحضر الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان الى القاهرة فأكرما ثم صرف ابن القشورى بعد عشرة أيام من استقراره وضربت عنقه وقرر بدله زرعة بن عيسى ابن نسطورس الكاتب النصرانى ولقب بالشافى ومنع الناس من الركوب فى المراكب فى الخليج وسدت ابواب الدور التى على الخليج والطاقات المطلة عليه وأضيف الى قاضى القضاة مالك بن سعيد النظر فى المظالم وأعيدت مجالس الحكمة وأخذ مال العدوى وقتل ابن عبدون وأخذ ماله وضرب جماعة وشهروا من اجل بيعهم الملوخية والسمك الذى لاقشر له وبسبب بيع النبيذ وقتل الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة احدى وأربعمائة وأحيط بأموالهما وأبطلت عدة مكوس ومنع الناس من الغناء واللهو ومن بيع المغنيات ومن الاجتماع بالصحراء * وفى هذه السنة خلع حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح طاعة الحاكم وأقام أبا الفتوح حسن بن جعفر الحسنى أمير مكة خليفة وبايعه ودعا الناس الى طاعته ومبايعته وقاتل عساكر الحاكم * وفى سنة اثنتين وأربعمائة منع من بيع الزبيب وكوتب بالمنع من حمله وألقى فى بحر النيل منه شئ كثير وأحرق شئ كثير ومنع النساء من زيارة القبور فلم ير فى الاعياد بالمقابر امرأة واحدة ومنع من الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج ومنع من بيع العنب الا أربعة ارطال فمادونها ومنع من عصره وطرح كثير منه وديس فى الطرقات وغرق كثير منه فى النيل ومنع من حمله وقطعت كروم الجيزة كلها وسير الى الجهات بذلك * وفى سنة ثلاث وأربعمائة تزعزع السعر وازدحم الناس على الخبز وفى ثانى ربيع الاول منها هلك عيسى ابن نسطورس فأمر النصارى بلبس السواد وتعليق صلبان الخشب فى أعناقهم وأن يكون الصليب ذراعا فى مثله وزنته خمسة ارطال وأن يكون مكشوفا بحيث يراه الناس ومنعوا من ركوب الخيل وأن يكون ركوبهم البغال والحمير بسروج الخشب والسيور السود بغير حلية وأن يشدوا الزنانير ولا يستخدموا مسلما ولا يشتروا عبدا ولا أمة وتتبعت آثارهم فى ذلك فأسلم منهم عدة وقرر حسين بن طاهر الوزان فى الوساطة والتوقيع عن الحاكم فى تاسع عشرى ربيع الاول منها ولقب أمين الامناء ونقش الحاكم على خاتمه بنصر الله العظيم الولى

بمصر الامام أبو علي وضرب جماعة بسبب اللعب بالشطرنج وهدمت الكنائس وأخذ جميع ما فيها وما لها من الرباع وكتب بذلك الى الاعمال فهدمت بها وفيها الحق أبو الفتح بمكة ودعا للحاكم وضرب السكة باسمه وأمر الحاكم أن لا يقبل أحد له الارض ولا يقبل ركابه ولا يده عند السلام عليه في المواكب فان الانحناء الى الارض لمخلوق من صنيع الروم وأن لا يزاد على قولهم السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ولا يصلي أحد عليه في مكاتبة ولا مخاطبة ويقتصر في مكاتبته على سلام الله وتحياته ونوامي بركاته على أمير المؤمنين ويدعى له بما يتفق من الدعاء لا غير فلم يقل الخطباء يوم الجمعة سوى اللهم صل على محمد المصطفى وسلم على أمير المؤمنين علي المرتضى اللهم وسلم على أمراء المؤمنين آباء امير المؤمنين اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخليفتك ومنع من ضرب الطبول والابواق حول القصر فصاروا يطوفون بغير طبل ولا بوق وكثرت انعامات الحاكم فتوقف أمين الامناء حسين بن طاهر الوزان في امضائها فكتب اليه الحاكم بخطه بعد البسملة الحمد لله كما هو أهله

اصبحت لا أرجو ولا أتقي • الا الهي وله الفضل

جدي نبي وامامي أبي • وديني الاخلاص والعدل

المال مال الله عز وجل والخلق عباد الله ونحن أمناؤه في الارض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام • وركب الحاكم يوم عيد الفطر الى المصلى بغير زينة ولا جنائب ولا أبهة سوى عشرة افراس تقاد بسروج ولجم محلاة بفضة خفيفة وبنود ساذجة ومظلة بيضاء بغير ذهب عليه بياض بغير طرز ولا ذهب ولا جوهر في عمامته ولم يفرش المنبر ومنع الناس من سب السلف وضرب في ذلك وشهر وصلى صلاة عيد النحر كما صلى صلاة عيد الفطر من غير أبهة ونحر عنه عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي واكثر الحاكم من الركوب الى الصحراء بحذاء في رجله وفوطة على رأسه • وفي سنة أربع وأربعمائة ألزم اليهود أن يكون في أعناقهم جرس اذا دخلوا الحمام وأن يكون في أعناق النصارى صلبان ومنع الناس من الكلام في النجوم وأقيم المنجمون من الطرقات وطلبوا فتغيبوا ونفوا وكثرت هبات الحاكم وصدقاته وعتقه وأمر اليهود والنصارى بالخروج من مصر الى بلاد الروم وغيرها وأقيم عبد الرحيم بن الياس ولي العهد وأمر أن يقال في السلام عليه السلام على ابن عم أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وصار يجلس بمكان في القصر وصار الحاكم يركب بدراعة صوف بيضاء ويتعمم بفوطة وفي رجله حذاء عربي بشبالين وعبد الرحيم يتولى النظر في امور الدولة كلها وأفرط الحاكم في العطاء ورد ما كان أخذ من الضياع والاملاك الى أربابها وفي ربيع الآخر أمر بقطع يدي أبي القاسم الجرجاني وكان يكتب للقائد غين ثم قطع يد غين فصار مقطوع اليدين وبعث اليه الحاكم بعد قطع يديه بالف من الذهب والثياب ثم بعد ذلك أمر بقطع لسانه فقطع وابطل عدة مكوس وقتل الكلاب كلها واكثر من الركوب في الليل ومنع النساء من المشي في الطرقات فلم تر امرأة في طريق البتة وأغلقت حماماتهن ومنع الاساكفة من عمل خفافهن وتعطلت حوانيتهم واشتدت الاشاعة بوقوع السيف في الناس فتهاربوا وغلقت الاسواق فلم يبع شيء ودعي لعبد الرحيم بن الياس على المنابر وضربت السكة باسمه بولاية العهد وفي سنة خمس وأربعمائة قتل مالك بن سعيد الفارقي في ربيع الآخر وكانت مدة نظره في قضاء القضاة ست سنين وتسعة اشهر وعشرة أيام وبلغ اقطاعه في السنة خمسة عشر ألف دينار وتزايد ركوب الحاكم حتى كان يركب في كل يوم عدة مرات واشترى الحمير وركبها بدل الخيل • وفي جمادى الآخرة منها قتل الحسين بن طاهر الوزان فكانت مدة نظره في الوساطة سنتين وشهرين وعشرين يوما فأمر أصحاب الدواوين بلزوم دواوينهم وصار الحاكم يركب حمارا بشاشية مكشوفة بغير عمامة ثم أقام عبد الرحيم بن أبي السيد الكاتب وأخاه أبا عبد الله الحسين في الوساطة والسفارة وأقر في وظيفة قضاء القضاة أحمد بن محمد بن أبي العوام وخرج الحاكم عن الحد في العطاء حتى اقطع نواتية المراكب والمشاعلية وبني قرة فما اقطع الاسكندرية والبحيرة ونواحيهما وقتل ابني ابي السيد فكانت مدة نظرهما اثنين وستين يوما وولى الوساطة فضل بن جعفر بن الفرات ثم قتله في اليوم الخامس من ولايته وغلب بنو قرة على الاسكندرية وأعمالها وأكثر الحاكم من الركوب فركب في يوم ست مرات مرة على فرس ومرة على حمار ومرة في محفة تحمل على الاعناق ومرة في عشاري في النيل بغير عمامة واكثر من اقطاع الجند والعبيد الاقطاعات وأقام ذا الرياستين قطب الدولة أبا الحسن علي بن جعفر بن فلاح في الوساطة والسفارة وولي عبد

الرحيم بن الياس دمشق فسار اليها فى جمادى الآخرة سنة تسع وأربعمائة فأقام فيها شهرين ثم هجم عليه قوم فقتلوا جماعة ممن عنده وأخذوه فى صندوق وحملوه الى مصر ثم اعيد الى دمشق فأقام بها الى ليلة عيد الفطر وأخرج منها * فلما كان لليلتين بقيتا من شوّال سنة عشر وأربعمائة فقد الحاكم وقيل ان أخته قتلته وليس بصحيح وكان عمره ستا وثلاثين سنة وسبعة اشهر وكانت مدّة خلافته خمسا وعشرين سنة وشهرا وكان جوادا سفاكا للدماء قتل عدد الا يحصى وكانت سيرته من أعجب السير وخطب له على منابر مصر والشام وافريقية والحجاز وكان يشتغل بعلوم الاوائل وينظر فى النجوم وعمل رصدا واتخذ بيتا فى المقطم ينقطع فيه عن الناس لذلك ويقال انه كان يعتريه جفاف فى دماغه فلذلك كثر تناقضه وما أحسن ما قال فيه بعضهم كانت افعاله لا تعال * وأحلام وساوسه لا تؤوّل وقال المسبحي وفى محرّم سنة خمس عشرة وأربعمائة قبض على رجل من بنى حسين ثار بالصعيد الاعلى فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله فى جملة أربعة انفس تفرقوا فى البلاد وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم وقطعة من الفوطة التى كانت عليه فقيل له لم قتلته فقال غيرة لله وللاسلام فقيل له كيف قتلته فأخرج سكينا ضرب بها فؤاده فقتل نفسه وقال هكذا قتلته فقطع رأسه وأنفذ به الى الحضرة مع ما وجد معه وهذا هو الصحيح فى خبر قتل الحاكم لا ما تحكيه المشارقة فى كتبهم من أن أخته قتلته

(جامع الفيلة)

هذا الجامع بسطح الجرف المطل على بركة الحبش المعروف الآن بالرصد بناه الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالى فى شعبان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وبلغت النفقة على بنائه ستة آلاف دينار وانما قيل له جامع الفيلة لان فى قبلته تسع قباب فى أعلاه ذات قناطر اذا رآها الانسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيلة كالتى كانت تعمل فى المواكب أيام الاعياد وعليها السرر وفوقها المدرعون أيام الخلفاء ولما كمل أقام فى خطابته الشريف الزكى أمين الدولة أبا جعفر محمد بن محمد بن هبة الله بن على الحسينى الافطسى النسابة الكاتب الشاعر الطرابلسى بعد صرفه من قضاء الغربية فلما رقى المنبر أوّل خطبة أقيمت فى هذا الجامع قال بسم الله الحمد لله وارتج عليه فلم يدر ما يقول وكان هناك الشيخ أبو القاسم على بن منجب بن الصيرفى الكاتب وولده مختص الدولة أبو المجد وأبو عبد الله بن بركات النحوى ووجوه الدولة فلما انضجر من حضر نزل عن المنبر وقد حم فتقدم قيم الجامع وصلى ومضى الشريف الى داره فاعتل ومات وكان قد ولى قضاء عسقلان وغيرها ثم قدم الى مصر فولى الحكم بالمحلة وولى ديوان الاحباس وكان أحد الاعيان الادباء العارفين بالنسب ومن الشعراء المجيدين والنحاة اللغويين ولد بطرابلس الشام فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة وقدم الى القاهرة فى سنة احدى وخمسمائة ومدح الافضل ومات فى سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وخمسمائة وقد ترشح للنقابة بمصر ولم يتلها مع تطلعه اليها وذيل كتاب أبى الغنائم الزيدى النسابة ومن شعره بديها وقد نام مع جاريته على سطوح فطلع القمر عليهما فارتاعا من كشف الجيران عليهما

ولما تلاقينا وغاب رقيبنا * ورمت التشكى فى خلو وفى سر
بدا ضوء بدر فافترقنا لضوئه * فيا من رأى بدرا ينم على بدر

وأهل المطالب يذكرون أن الافضل وجد بموضع الصهريج مطلبا فختم عليه أشهرا الى أن نقله وعمله صهريجا وبنى عليه هذا المسجد وهذا الشرف الذى عليه جامع الفيلة منظرة فى غاية الحسن لان فى قبليه بركة الحبش وبستان الوزير المغربى والعدوية ودير النسطورية وبئر أبى سلامة وهى بئر مدوّرة برسم الغنم وبئر النعش كان يستقى منها اصحاب الزوايا وهى بجوار عفصة الصغرى وهى بئر أبى موسى بن أبى خليد وسميت بئر النعش لانها على هيئة النعش وماؤها يهضم الطعام وهو أصح الامواه وشرقى هذا الجبل جبل المقطم والجبانة والمغافر والقرافة وآخر الاكول وريحان ورعين والكلاع والاكسوع وغربى هذا الجبل المعشوق والنيل وبستان اليهودى الى القبلة وطموه والاهرام وراشدة وبحرى هذا الجبل بستان الامير تميم وقنطرة خليج بنى وائل ودير المعدلين وعقبة يحصب ومحرس قسطنطين والشرف وغير ذلك وهذا الجامع لا تقام فيه اليوم جمعة ولا جماعة لخراب

النفقة على هذا المهم خمسمائة ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وكانت العادة أن يجلس السلطان بهذا القصر كل يوم للخدمة ماعدا يومى الاثنين والخميس فانه يجلس للخدمة بدار العدل كما تقدم ذكره وكان يخرج الى هذا القصر من القصور الجوانية فيجلس تارة على تخت الملك المنصوب بصدر ايوان هذا القصر المطل على الاصطبل وتارة يقعد دونه على الارض والامراء وقوف على ماتقدم خلا أمراء المشورة والقرباء من السلطان فانه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس ولا يحضر هذا المجلس من الامراء الكبار الامن دعت الحاجة الى حضوره ولا يزال السلطان جالسا الى الثالثة من النهار فيقوم ويدخل الى قصوره الجوانية ثم الى دار حريمه ونسائه ثم يخرج فى اخريات النهار الى قصوره الجوانية فينظر فى مصالح ملكه ويعبر اليه الى قصوره الجوانية خاصته من أرباب الوظائف فى الاشغال المتعلقة به على ماتدعو الحاجة اليه ويقال لها خدمة القصر وهذا القصر تجاه بابه رحبة يسلك اليها من الرحبة التى تجاه الايوان فيجلس بالرحبة التى على باب القصر خواص الامراء قبل دخولهم الى خدمة القصر ويمشى من باب القصر فى دهاليز مفروشة بالرخام قد فرش فوقه انواع البسط الى قصر عظيم البناء شاهق فى الهواء بايوانين أعظمهما الشمالى يطل منه على الاصطبلات السلطانية ويمتد النظر الى سوق الخيل والقاهرة وظواهرها الى نحو النيل ومايليه من بلاد الجيزة وقراها وفى الايوان الثانى القبلى باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه الى الايوان الكبير أيام الموكب ويدخل من هذا القصر الى ثلاثة قصور جوانية منها واحد مسامت لارض هذا القصر واثنان يصعد اليهما بدرج فى جميعها شبابيك حديد تشرف على مثل منظرة القصر الكبير وفى هذه القصور كلها مجارى الماء مرفوعا من النيل بدواليب تديرها الابقار من مقرها الى موضع ثم الى آخر حتى ينتهى الماء الى القلعة ويدخل الى القصور السلطانية والى دور الامراء الخواص المجاورين للسلطان فيجرى الماء فى دورهم وتدور به حماماتهم وهو من عجائب الاعمال لرفعته من الارض الى السماء قريبا من خمسمائة ذراع من مكان الى مكان ويدخل من هذه القصور الى دور الحريم وهذه القصور جميعها من ظاهرها مبنية بالحجر الاسود والحجر الاصفر موزرة من داخلها بالرخام والفصوص المذهبة المشجرة بالصدف والمعجون وأنواع الملونات وسقوفها كلها مذهبة قد موهت باللازورد والنور يخرق فى جدرانها بطاقات من الزجاج القبرسى الملون كقطع الجوهر المؤلفة فى العقود وجميع الاراضى قد فرشت بالرخام المنقول اليها من اقطار الارض مما لا يوجد مثله وتشرف الدور السلطانية من بعضها على بساتين واشجار وساحات للحيوانات البديعة والابقار والاغنام والطيور الدواجن وسيأتى ان شاء الله تعالى ذكر هذه القصور والبساتين والاحواش مفصلا *وكان بهذا القصر الابلق رسوم وعوايد تغير كثير منها وبطل معظمها وبقيت الى الآن بقايا من شعار المملكة ورسوم السلطنة وسأقص من أنباء ذلك ان شاء الله تعالى ما لا تراه بغير هذا الكتاب مجموعا والله يؤتى فضله من يشاء *(الاسمطة السلطانية) وكانت العادة أن يمد بالقصر فى طرفى النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعامة الامراء خلا البرانيين وقليل ماهم فبكرة يمد سماط أول لا يأكل منه السلطان ثم ثان بعده يسمى الخاص قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ثم ثالث بعده ويسمى الطارى ومنه مأكول السلطان وأما فى آخر النهار فيمد سماطان الاول والثانى المسمى بالخاص ثم ان استدعى بطار حضر والا فلا ماعدا المشوى فانه ليس له عادة محفوظة النظام بل هو على حسب ما رسم به وفى كل هذه الاسمطة يؤكل ماعليها ويفرق نوالات ثم يسقى بعدها الاقسماء المعمولة من السكر والافاويه المطيبة بماء الورد المبردة وكانت العادة أن يبيت فى كل ليلة بالقرب من السلطان أطباق فيها أنواع من المطجنات والبوارد والقطر والقشطة والجبن المقلى والموز والسكباج وأطباق فيها من الاقسماء والماء البارد برسم أرباب النوبة فى السهر حول السلطان ليتشاغلوا بالمأكول والمشروب عن النوم ويكون الليل مقسوما بينهم بساعات الرمل فاذا انتهت نوبة نبهت التى تليها ثم ذهبت هى فنامت الى الصباح هكذا أبدا سفرا وحضرا وكانت العادة أيضا أن يبيت فى المبيت السلطانى من القصر أو المخيم ان كان فى السرحة المصاحف الكريمة لقراءة من يقرأ من أرباب النوبة ويبيت أيضا الشطرنج ليتشاغل به عن النوم *وبلغ مصروف السماط فى كل يوم عيد الفطر من كل سنة خمسين ألف درهم عنها نحو ألفين وخمسمائة دينار تنهبه الغلمان والعامة وكان يعمل فى سماط الملك الظاهر برقوق فى كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم سوى الاوز والدجاج وكان راتب المؤيد شيخ فى كل يوم لسماطه وداره ثمانمائة رطل من اللحم فلما كان فى المحرم سنة ست وعشرين

وثمانمائة سأل الملك الاشرف برسباى عن مقدار ما يطبخ له فى كل يوم بكرة وعشيا فقيل له ستمائة رطل فى الوجبتين فأمر أن يطبخ بين يديه لانه بلغه أنه يوخذ مماذكر اشاد الشراب خاناه ونحوه مائة وعشرون رطلا فجعل راتب اللحم فى كل يوم بزيادة أيام الخدمة ونقصان أيام عدم الخدمة خمسمائة رطل وستة ارطال عن وجبتى الغداء والعشاء ومن الدجاج ستة وعشرين طائرا ولعمل المامونية رطلين ونصفا من السكر وما يعمل برسم الجدارية فانه يصل النحل

(ذكر العلامة السلطانية)

قد جرت العادة أن السلطان يكتب خطه على كل ما يأمر به فأما مناشير الامراء والجند وكل من له اقطاع فانه يكتب عليه علامته وكتبها الملك الناصر محمد بن قلاون الله أملى وعمل ذلك الملوك بعده الى اليوم وأما تقاليد النوّاب وتواقيع أرباب المناصب من القضاة والوزراء والكتاب وبقية أرباب الوظائف وتواقيع أرباب الرواتب والاطلاقات فانه يكتب عليها اسمه واسم أبيه ان كان أبوه ملكا فيكتب مثلا محمد بن قلاون أو شعبان بن حسين أو فرج بن برقوق وان لم يكن أبوه ممن تسلطن كبرقوق أو شيخ فانه يكتب اسمه فقط ومثاله برقوق أو شيخ وأما كتب البريد وخلاص الحقوق والظلامات فانه يكتب أيضا عليها اسمه وربما كرّم المكتوب اليه فكتب اليه أخوه فلان أو والده فلان وأخوه يكتب للاكابر من أرباب الرتب والذى يعلم عليه السلطان اما اقطاع فالرسم فيه أن يقال خرج الامر الشريف واما وظائف ورواتب واطلاقات فالرسم فى ذلك أن يقال رسم بالامر الشريف وأعلى ما يعلم عليه ما افتتح بخطابة أولها الحمد لله ثم ما افتتح بخطبة أولها أما بعد حمد الله حتى يأتى على خرج الامر فى المناشير أو رسم بالامر فى التواقيع ثم بعد هذا أنزل الرتب وهو أن يفتتح فى المناشير خرج الامر وفى التواقيع رسم بالامر وعلامة المناشير المفتتح فيها بالحمد لله أول الخطبة أن تطغر بالسواد وتتضمن اسم السلطان وألقابه وقد بطلت الطغراة فى وقتنا هذا وكانت العادة أن يطالع نوّاب المملكة السلطان بما يتجدد عندهم تارة على أيدى البريدية وتارة على اجنحة الحمام فتعود اليهم الاجوبة السلطانية وعليها العلامة فاذا ورد البريدى أحضره أمير جاندار وهو من أمراء الالوف والدوادار وكاتب السرّ بين يدى السلطان فيقبل البريدى الارض ويأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدى ثم يناوله للسلطان فيفتحه ويجلس حينئذ كاتب السرّ ويقرأه على السلطان سرّا فان كان أحد من الامراء حاضرا اتنحى حتى يفرغ من القراءة ويأمر السلطان فيه بأمر وان كان الخبر على أجنحة الحمام فانه يكتب فى ورق صغير خفيف ويحمل على الحمام الازرق وكان لحمام الرسائل مراكز كما كان للبريد مراكز وكان بين كل مركزين من البريد أميال وفى كل مركز عدّة خيول كما بيناه فى ذكر الطريق فيما بين مصر والشام وكانت مراكز الحمام كل مركز منها ثلاثة مراكز من مراكز البريد فلا يتعدى الحمام ذلك المركز وينقل عند نزوله المركز ما على جناحه الى طائر آخر حتى يسقط بقلعة الجبل فيحضره البرّاج ويقرأ كاتب السرّ البطاقة وكل هذا مما يعلم عليه بالقصر ومما كان يحضر الى القصر بالقلعة فى كل يوم ورقة الصباح يرفعها والى القاهرة ووالى مصر وتشتمل على انهاء ما تجدّد فى كل يوم وليلة بحارات البلدين وأخطاطهما من حريق أو قتل قتيل أو سرقة سارق ونحو ذلك ليأمر السلطان فيه بأمره *(الاشرفية)* هذا القصر المعروف بالاشرفية أنشأه الملك الاشرف خليل بن قلاون فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة ولما فرغ صنع به مهما عظيما لم يعمل مثله فى الدولة التركية وختن أخاه الملك الناصر محمد بن قلاون وابن أخيه الامير موسى بن الصالح على بن قلاون وجمع سائر أرباب الملاهى وجميع الامراء ووقف الخزندارية بأكياس الذهب فلما قام الامراء من الخاصكية للرقص نثر الخزندارية على كل من قام للرقص حتى فرغ الختان فانعم على كل أمير من الامراء بفرس كامل القماش وألبس خلعة عظيمة وأنعم على عدّة منهم كل واحد بألف دينار وفرس وأنعم على ثلاثين من الامراء الخاصكية لكل واحد مبلغ خمسة آلاف دينار وأنعم على البلبل المغنى بألف دينار وكان الذى عمل فى هذا المهم من الغنم ثلاثة آلاف رأس ومن البقر ستمائة رأس ومن الخيل خمسمائة اكديش ومن السكر برسم المشروب ألف قنطار وثمانمائة قنطار وبرسم الحلوى مائة وستون قنطارا وبلغت النفقة على هذا المهم فى عمل السماط والمشروب والاقبية والطراز والسروج وثياب النساء مبلغ ثلثمائة ألف دينار عينا *(البيسرية)* ومن جملة دور القلعة قاعة البيسرية أنشأها السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون وكان ابتداء بنائها

ولما مرض الظاهر جعله أحد الاوصياء على تركته فقام بتحليف المماليك السلطانية للملك الناصر فرج بن برقوق والانفاق عليهم بحضرة الناصر فأنفق عليهم كل دينار من حساب أربعة وعشرين درهما ولما انقضت النفقة نودى فى البلد أن صرف كل دينار ثلاثون درهما ومن امتنع نهب ماله وعوقب فحصل للناس من ذلك شدة وكان قد كثر القبض على الامراء بعد موت الظاهر فتحدث مع الامير الكبير ايتمش القائم بتدبير دولة الناصر فرج بعد موت أبيه فى أن يكون على كل أمير من المقدمين خمسون ألف درهم وعلى كل أمير من الطبلخاناه عشرون ألف درهم وعلى كل أمير عشرة خمسة آلاف درهم وعلى كل أمير خمسة ألفا درهم وخمسمائة درهم فرسم بذلك وعمل به مدة أيام الناصر وحصل به رفق للامراء ومباشريهم ثم خلع عليه واستقر أستادار السلطان عوضا عن الامير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج الملكى فى يوم الاثنين ثالث عشرى ذى القعدة من السنة المذكورة فأبطل تعريف منية بنى خصيب وضمان العرصة وأخصاص الكيالين وكتب بذلك مرسوما سلطانيا وبعث به الى والى الاشمونين وأبطل وفر الشون السلطانية وما كان مقررا على البرددار وهو فى الشهر سبعة آلاف درهم وما كان مقررا على مقدم المستخرج وهو فى الشهر ثلاثة آلاف درهم وكانت سماسرة الغلال تأخذ ممن يشترى شيأ من الغلة على كل اردب درهمين سمسرة وكيالة ولواحة وأمانة فألزمهم أن لا يأخذوا عن كل اردب سوى نصف درهم وهدد على ذلك بالغرامة والعقوبة وركب فى صفر سنة ثلاث وثمانمائة الى ناحية المنية وشبرا الخيمة من الضواحى بالقاهرة وكسر منها ما ينيف على أربعين ألف جرة خمر وخرب بها كنيسة كانت للنصارى وحمل عدة جرار فكسرها تحت قلعة الجبل وعلى باب زويلة وشدد على النصارى فلم يمكنه أمراء الدولة من حملهم على الصغار والمذلة فى ملبسهم وأمر فضرب الذهب كل دينار زنته مثقال واحد وأراد بذلك ابطال ما حدث من المعاملة بالذهب الافرنجى فضرب ذلك وتعامل الناس به مدة وصار يقال دينار سالمى الى أن ضرب الناصر فرج دنانير وسماها الناصرية وصار يحكم فى الاحكام الشرعية فقلق منه أمراء الدولة وقاموا فى ذلك فمنع من الحكم الا فيما يتعلق بالديوان المفرد وغيره مما هو من لوازم الاستادار وأخذ فى مخاشنة الامراء عند ما عاد الناصر فرج وقد انهزم من تيمورلنك وشرع فى اقامة شعار المملكة والنفقة على العساكر التى رجعت منهزمة فأخذ من بلاد الامراء وبلاد السلطان عن كل ألف دينار فرسا أو خمسمائة درهم ثمنا وجبى من أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما أجرة شهر وأخذ من الرزق عن كل فدان عشرة دراهم وعن الفدان من القصب المزروع والقلقاس والنيلة نحو مائة درهم وجبى من البساتين عن كل فدان مائة درهم وقام بنفسه وكبس الحواصل ليلا ونهارا ومعه جماعة من الفقهاء وغيرهم وأخذ مما فيها من الذهب والفضة والفلوس نصف ما يجد سواء كان صاحب المال غائبا أو حاضرا فعم ذلك أموال التجار والايتام وغيرهم من سائر من وجد له مال وأخذ ما كان فى الجوامع والمدارس وغيرها من الحواصل فشمل الناس من ذلك ضرر عظيم وصار يؤخذ من كل مائة درهم ثلاثة دراهم عن أجرة صرف وستة دراهم عن أجرة الرسول وعشرة دراهم عن أجرة نقيب فنفرت منه القلوب وانطلقت الالسن بذمه والدعاء عليه وعرض مع ذلك الجند وألزم من له قدرة على السفر بالتجهز للسفر الى الشام لقتال تيمورلنك ومن وجده عاجزا عن السفر ألزمه بحمل نصف متحصل اقطاعه فقبض عليه فى يوم الاثنين رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانمائة وسلم للقاضى سعد الدين ابراهيم بن غراب وقرر مكانه فى الاستادارية فلم يزل الى يوم عيد الفطر من السنة المذكورة فأمر باطلاقه بعد أن حصر وأهين اهانة كبيرة ثم قبض عليه وضرب ضربا مبرحا حتى أشفى على الموت وأطلق فى نصف ذى القعدة وهو مريض فأخرج الى دمياط وأقام بها مدة ثم أحضر الى القاهرة وقلد وظيفة الوزارة فى سنة خمس وثمانمائة وجعل مشيرا فأبطل مكوس البحيرة وهو ما يؤخذ على ما يذبح من البقر والغنم واستعمل فى اموره العسف وترك مداراة الامراء واستعجل فقبض عليه وعوقب وسجن الى أن أخرج فى رمضان سنة سبع وثمانمائة وقلد وظيفة الاشارة وكانت للامير جمال الدين يوسف الاستادار فلم يترك عادته فى الاعجاب برأيه والاستبداد بالامور واستعجال الاشياء قبل أوانها فقبض عليه فى ذى الحجة منها وسلم للامير جمال الدين يوسف فعاقبه وبعث به الى الاسكندرية فسجن بها الى أن سعى جمال الدين فى قتله بمال بذله للناصر فيه حتى أذن له فى ذلك فقتل خنقا عصر يوم الجمعة وهو صائم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة احدى عشرة وثمانمائة

رحمه الله وكان كثير النسك من الصلاة والصوم والصدقة لا يخل بشئ من نوافل العبادات ولا يترك قيام الليل سفرا ولا حضرا ولا يصلي قط الا بوضوء جديد وكلما أحدث توضأ واذا توضأ صلى ركعتين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويخرج في كثرة الصدقات عن الحد ويقرأ في كل ثلاثة أيام ختمة ولا يترك أوراده في حال من الاحوال مع المروءة والهمة وسمع كثيرا من الحديث وقرأ بنفسه على المشايخ وكتب الخط المليح وقرأ القراآت السبع وعرف التصوف والفقه والحساب والنجوم الا انه كان متهورا في أخذ الاموال عسوفا لجوجا مصمما لا ينقاد الى أحد ويستبد برأيه فيغلط غلطات لا تحتمل ويستخف بغيره ويعجب بنفسه ويريد أن يجعل غاية الامور بدايتها فلذلك لم يتم له أمر

(جامع الظافر)

هذا الجامع بالقاهرة في وسط السوق الذي كان يعرف قديما بسوق السراجين ويعرف اليوم بسوق الشوايين كان يقال له الجامع الافخر ويقال له اليوم جامع الفاكهيين وهو من المساجد الفاطمية عمره الخليفة الظافر بنصر الله أبو المنصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن الآمر بأحكام الله منصور ووقف حوانيته على سدنته ومن يقرأ فيه * قال ابن عبد الظاهر بناه الظافر وكان قبل ذلك زريبة تعرف بدار الكباش وبناه في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وسبب بنائه أن خادما رأى من مشرف عال ذباحا وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورمى سكينته ومضى ليقضي حاجته فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفمه ورماها في البالوعة فجاء الجزار يطوف على السكين فلم يجدها وأما الخادم فانه استصرخ وخلصه منه وطولع بهذه القضية أهل القصر فأمروا بعمله جامعا ويسمى الجامع الافخر وبه حلقة تدريس وفقهاء ومتصدرون للقرآن وأول ما أقيمت به الجمعة في

هكذا بياض بالاصل

(جامع الصالح)

هذا الجامع من المواضع التي عمرت في زمن الخلفاء الفاطميين وهو خارج باب زويلة * قال ابن عبد الظاهر كان الصالح طلائع بن رزيك لما خيف على مشهد الامام الحسين رضي الله عنه اذ كان بعسقلان من هجمة الفرنج وعزم على نقله قد بنى هذا الجامع ليدفنه به فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك وقال لا يكون الا داخل القصور الزاهرة وبنى المشهد الموجود الآن ودفن به وتم الجامع المذكور واستمر جلوس زين الدين الواعظ به وحضور الصالح اليه فيقال ان الصالح لما حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم في جملة وصيته ما ندمت قط في شئ عملته الا في ثلاثة الاول بنائي هذا الجامع على باب القاهرة فانه صار عونا لها والثاني توليتي لشاور الصعيد الاعلى والثالث خروجي الى بلبيس بالعساكر وانفاقي الاموال الجمة ولم أتم بهم الى الشام وافتح بيت المقدس وأستأصل شأفة الفرنج وكان قد أنفق في العساكر في تلك الدفعة مائتي ألف دينار وبني في الجامع المذكور صهريجا عظيما وجعل ساقية على الخليج قريب باب الخرق تملأ الصهريج المذكور أيام النيل وجعل المجاري اليه وأقيمت الجمعة فيه في الايام المعزية في سنة بضع وخمسين وستمائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله البادراني وخطب به أصيل الدين أبو بكر الاسعردي وهي الى الآن ولما حدثت الزلزلة سنة اثنتين وسبعمائة تهدم فعمر على يد الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار *(طلائع بن رزيك)* أبو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين قدم في أول امره الى زيارة مشهد الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأرض النجف من العراق في جماعة من الفقراء وكان من الشيعة الامامية وامام مشهد علي رضي الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم فزار طلائع وأصحابه وباتوا هنالك فرأى ابن معصوم في منامه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول له قد ورد عليك الليلة أربعون فقيرا من جملتهم رجل يقال له طلائع بن رزيك من اكبر محبينا قل له اذهب فقد وليناك مصر فلما أصبح أمر أن ينادى من فيكم طلائع بن رزيك فليقم الى السيد ابن معصوم فجاء طلائع وسلم عليه فقص عليه ما رأى فسار حينئذ الى مصر وترقى في الخدم حتى ولى منية بني خصيب فلما قتل نصر بن عباس الخليفة الظافر بعث نساء القصر الى طلائع يستغثن به في الاخذ بثار الظافر وجعلن في طي الكتب شعور النساء فجمع طلائع عندما وردت عليه الكتب الناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عباس فعندما قرب من البلد فر عباس ودخل طلائع الى القاهرة فخلع عليه خلع الوزارة ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير

آدابه وامتزج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه واشتد ساعده فى رماية النشاب وحسن لعبه بالرمح ومرن على ركوب الخيل ومنهم من يصير فى رتبة فقيه عارف أو أديب شاعر أو حاسب ماهر هذا ولهم أزمة من الخدام واكابر من رؤس النوب يفحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافى ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على حركاته وسكناته فان عثر أحد من مؤدبيه الذى يعلمه القرآن أو الطواشى الذى هو مسلم اليه او رأس النوبة الذى هو حاكم عليه على انه اقترف ذنبا أو أخل برسم أو ترك أدبا من آداب الدين أو الدنيا قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه وبلغ من تأديبهم أن مقدم المماليك كان اذا أتاه بعض مقدمى الطباق فى السحر يشاور على مملوك أنه يغتسل من جنابة فيبعث من يكشف عن سبب جنابته ان كان من احتلام فينظر فى سراويله هل فيه جنابة أم لا فان لم يجد به جنابة جاءه الموت من كل مكان فلذلك كانوا سادة يدبرون الممالك وقادة يجاهدون فى سبيل الله وأهل سياسة يبالغون فى اظهار الجميل ويردعون من جار أو تعدى وكانت لهم الادرارات الكثيرة من اللحوم والاطعمة والحلاوات والفواكه والكسوات الفاخرة والمعاليم من الذهب والفضة بحيث تسع أحوال غلمانهم ويفيض عطاؤهم على من قصدهم ثم لما كانت ايام الظاهر برقوق راعى الحال فى ذلك بعض الشئ الى أن زالت دولته فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة فلما عاد الى المملكة رخص للمماليك فى سكنى القاهرة وفى التزوج فنزلوا من الطباق من القلعة ونكحوا نساء اهل المدينة واخلدوا الى البطالة ونسوا تلك العوايد ثم تلاشت الاحوال فى ايام الناصر فرج بن برقوق وانقطعت الرواتب من اللحوم وغيرها حتى عن مماليك الطباق مع قلة عددهم ورتب لكل واحد منهم فى اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس فصار غذاؤهم فى الغالب الفول المصلوق عجزا عن شراء اللحم وغيره هذا وبقى الجلب من المماليك انما هم الرجال الذين كانوا فى بلادهم ما بين ملاح سفينة ووقاد فى تنور خباز ومحول ماء فى غيط اشجار ونحو ذلك واستقر رأى الناصر على أن تسليم المماليك للفقيه يتلفهم بل يتركون وشؤنهم فبدلت الارض غير الارض وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم وأخسهم قدرا وأشحهم نفسا وأجهلهم بأمر الدنيا واكثرهم اعراضا عن الدين ما فيهم الا من هو أزنى من قرد وألص من فأرة وأفسد من ذئب لا جرم أن خربت أرض مصر والشام من حيث يصب النيل الى مجرى الفرات بسوء ايالة الحكام وشدة عبث الولاة وسوء تصرف أولى الامر حتى انه ما من شهر الا ونظهر من الخلل العام ما لا يتدارك فرطه وبلغت عدة المماليك السلطانية فى أيام الملك المنصور قلاون ستة آلاف وسبعمائة فأراد ابنه الاشرف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف مملوك وجعلهم طوائف فأفرد طائفتى الارمن والجركس وسماها البرجية لانه أسكنها فى أبراج بالقلعة فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وأفرد جنس الخطا والقبجاق وأنزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمرذية وجعل منهم جدارية وسقاة وسماهم خاصكية وعمل البرجية سلاحدارية وجمقدارية وجاشنكيرية وأوشاقية ثم شغف الملك الناصر محمد بن قلاون بجلب المماليك من بلاد أزبك وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد وبعث فى طلبهم وبذل الرغائب للتجار فى حملهم اليه ودفع فيهم الاموال العظيمة ثم أفاض على من يشتريه منهم أنواع العطاء من عامة الاصناف دفعة واحدة فى يوم واحد ولم يراع عادة ابيه ومن كان قبله من الملوك فى تنقل المماليك فى أطوار الخدم حتى يتدرب ويتمرن كما تقدم وفى تدريجه من ثلاثة دنانير فى الشهر الى عشرة دنانير ثم نقله من الجامكية الى وظيفة من وظائف الخدمة بل اقتضى رأيه أن يملأ أعينهم بالعطاء الكثير دفعة واحدة فأتاه من المماليك شئ كثير رغبة فيما لديه حتى كان الاب يبيع ابنه للتاجر الذى يجلبه الى مصر وبلغ ثمن المملوك فى ايامه الى مائة ألف درهم فما دونها وبلغت نفقات المماليك فى كل شهر الى سبعين ألف درهم ثم تزايدت حتى صارت فى سنة ثمان واربعين وسبعمائة مائتين وعشرين ألف درهم

*(دار النيابة)

كان بقلعة الجبل دار نيابة بناها الملك المنصور قلاون فى سنة سبع وثمانين وستمائة سكنها الامير حسام الدين طرنطاى ومن بعده من نواب السلطنة وكانت النواب تجلس بشباكها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأبطل النيابة وأبطل الوزارة أيضا فصار موضع دار النيابة ساحة فلما مات الملك الناصر أعاد الامير قوصون دار النيابة عند استقراره فى نيابة السلطنة فلم تكمل حتى قبض عليه فولى نيابة السلطنة الامير طشتمر حمص أخضر وقبض عليه فتولى بعده نيابة السلطنة الامير شمس الدين آق سنقر فى أيام الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاون فجلس بها فى يوم السبت أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

فى شباك دار النيابة وهو أوّل من جلس بها من النواب بعد تجديدها وتوارثها النوّاب بعده وكانت العادة أن يركب جيوش مصر يومى الاثنين والخميس فى الموكب تحت القلعة فيسيرون هنالك من رأس الصوة الى باب القرافة ثم تقف العسكر مع نائب السلطنة وينادى على الخيل بينهم وربما نودى على كثير من آلات الجند والخيم والجركاوات والاسلحة وربما نودى على كثير من العقار ثم يطلعون الى الخدمة السلطانية بالايوان بالقلعة على ماتقدم ذكره فاذا امتثل النائب فى حضرة السلطان وقف فى ركن الايوان الى أن تنقضى الخدمة فيخرج الى دار النيابة والامراء معه ويمدّ السماط بين يديه كما يمدّ سماط السلطان ويجلس جلوسا عاما للناس ويحضره أرباب الوظائف وتقف قدامه الحجاب وتقرأ القصص وتقدم اليه الشكاة ويفصل امورهم فكان السلطان يكتفى بالنائب ولا يتصدى لقراءة القصص عليه وسماع الشكوى تعويلا منه على قيام النائب بهذا الامر واذا قرئت القصص على النائب نظر فان كان مرسومه يكفى فيها أصدره عنه ومالا يكفى فيه الامر سوم السلطان أمر بكتابته عن السلطان وأصدره فكتب ذلك وينبه فيه على انه باشارة النائب ويعبر عن نوّاب السلطان بالممالك الشامية بأن يعبر عنه بكافل المملكة الشريفة الاسلامية وما كان من الامور التى لابدّ له من احاطة علم السلطان بها فانه اما أن يعلمه بذلك منه اليه وقت الاجتماع به أو يرسل الى السلطان من يعلمه به ويأخذ رأيه فيه وكان ديوان الاقطاع وهو الجيش فى زمان النيابة ليس لهم خدمة الاعند النائب ولا اجتماع الا به ولا يجتمع ناظر الجيش بالسلطان فى امر من الامور فلما أبطل الملك الناصر محمد بن قلاوون النيابة صار ناظر الجيش يجتمع بالسلطان واستمرّ ذلك بعد اعادة النيابة وكان الوزير وكاتب السرّ يراجعان النائب فى بعض الامور دون بعض ثم اضمحلت نيابة السلطنة فى أيام الناصر محمد بن قلاوون وتلاشت أوضاعها فلما مات أعيدت بعده ولم تزل الى اثناء ايام الظاهر برقوق وآخر من وليها على ا كثر قوانينها الامير سودون الشيخى وبعده لم يل النيابة أحد فى الايام الظاهرية ثم ان الناصر فرج بن برقوق أقام الامير تمراز فى نيابة السلطنة فلم يسكن دار النيابة فى القلعة ولا خرج عما يعرفه من حال حاجب الحجاب ولم يل النيابة بعد تمراز أحد الى يومنا هذا وكانت حقيقة النائب أنه السلطان الثانى وكانت سائر نوّاب الممالك الشامية وغيرها تكاتبه فى غالب ماتكاتب فيه السلطان ويراجعونه فيه كما يراجع السلطان وكان يستخدم الجند ويخرج الاقطاعات من غير مشاورة ويعين الامرة لكن بمشاورة السلطان وكان النائب هو المتصرّف المطلق التصرّف فى كل أمر فيراجع فى الجيش والمال والخبر وهو البريد وكل ذى وظيفة لا يتصرّف الا بأمره ولا يفصل أمرا معضلا الا بمراجعته وهو الذى يستخدم الجند ويرتب فى الوظائف الاما كان منها جليلا كالوزارة والقضاء وكتابة السرّ والجيش فانه يعرض على السلطان من يصلح وكان قل أن لا يجاب فى شئ بعينه وكان من عدا نائب السلطنة بديار مصر يليه فى رتبة النيابة وكل نوّاب الممالك تخاطب بملك الامراء الانائب السلطنة بمصر فانه يسمى كافل الممالك تميزاله وابانة عن عظيم محله وبالحقيقة ما كان يستحق اسم نيابة السلطنة بعد النائب بمصر سوى نائب الشام بدمشق فقط وانما كانت النيابة تطلق أيضا على اكابر نوّاب الشام وليس لاحد منهم من التصرّف ما كان لنائب دمشق الاأن نيابة السلطنة بحلب تلى رتبة نيابة السلطنة بدمشق وقد اختلت الآن الرسوم واتضعت الرتب وتلاشت الاحوال وعادت اسماء لامعنى لها وخيالات حاصلها عدم والله يفعل مايشاء

* (ذكر جيوش الدولة التركية وزيها وعوايدها) *

اعلم انه قد كان بقلعة الجبل مكان معدّ لديوان الجيش وأدركت منه بقية الى اثناء دولة الظاهر برقوق وكان ناظر الجيش وسائر كتاب الجيش لا يبرحون فى ايام الخدمة نهارهم مقيمين بديوان الجيش وكانت لهذا الديوان عوايد قد تغيرا كثرها ونسى غالب رسومه وكانت جيوش الدولة التركية بديار مصر على قسمين منهم من هو بحضرة السلطان ومنهم من هو فى أقطار المملكة وبلادها وسكان باديه كالعرب والتركمان وجندها مختلط من أتراك وجركس وروم وأكراد وتركمان وغالبهم من المماليك المبتاعين وهم طبقات اكابرهم من له امرة مائة فارس وتقدمة ألف فارس ومن هذا القبيل تكون اكابر النوّاب وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين ثم أمراء الطبلخاناه ومعظمهم من تكون له امرة أربعين فارسا وقد يوجد فيهم من له ازيد من ذلك الى السبعين ولا تكون الطبلخاناه لاقلّ من أربعين ثم أمراء العشراوات ممن تكون له امرة عشرة وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولا يعدّون

آخر ولكل من أوقاف البلدين ديوان فيه كتاب وجباة وكانت جهة عامرة يتحصل منها أموال جمة فيصرف منها لاهل الحرمين أموال عظيمة فى كل سنة تحمل من مصر اليهم مع من يثق به قاضى القضاة وتفرق هنالك صررا ويصرف منها أيضا بمصر والقاهرة لطلبة العلم ولاهل الستر وللفقراء شئ كثير الا انها اختلت وتلاشت فى زمننا هذا وعما قليل ان دام ما نحن فيه لم يبق لها اثر البتة وسبب ذلك انه ولى قضاء الحنفية كمال الدين عمر بن العديم فى أيام الملك الناصر فرج وولاية الامير جمال الدين يوسف تدبير الامور والمملكة فتظاهرا معا على اتلاف الاوقاف فكان جمال الدين اذا أراد أخذ وقف من الاوقاف أقام شاهدين يشهدان بأن هذا المكان يضر بالجار والمار وأن الحظ فيه أن يستبدل به غيره فيحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم باستبدال ذلك وشره جمال الدين فى هذا الفعل كما شره فى غيره فحكم له المذكور باستبدال القصور العامرة والدور الجليلة بهذه الطريقة والناس على دين ملكهم فصار كل من يريد بيع وقف أو شراء وقف سعى عند القاضى المذكور بجاه أو مال فيحكم له بما يريد من ذلك واستدرج غيره من القضاة الى نوع آخر وهو أن تقام شهود القيمة فيشهدون بأن هذا الوقف ضار بالجار والمار وأن الحظ والمصلحة فى بيعه أنقاضا فيحكم قاض شافعى المذهب ببيع تلك الانقاض واستمر الامر على هذا الى وقتنا هذا الذى نحن فيه ثم زاد بعض سفهاء قضاة زمننا فى المعنى وحكم ببيع المساجد الجامعة اذا خرب ما حولها وأخذ ذرية واقفها ثمن أنقاضها وحكم آخر منهم ببيع الوقف ودفع الثمن لمستحقه من غير شراء بدل فامتدت الايدى لبيع الاوقاف حتى تلف بذلك سائر ما كان فى قرافتى مصر من الترب وجميع ما كان من الدور الجليلة والمساكن الانيقة بمصر الفسطاط ومنشأة المهرانى ومنشأة الكتاب وزريبة قوصون وحكر ابن الاثير وسويقة الموفق وما كان فى الحكورة من ذلك وما كان بالجوانية والعطوفية وغيرهما من حارات القاهرة وغيرها فكان ما ذكر أحد أسباب الخراب كما هو مذكور فى موضعه من هذا الكتاب * الجهة الثالثة الاوقاف الاهلية وهى التى لها ناظر خاص اما من أولاد الواقف أو من ولاة السلطان أو القاضى وفى هذه الجهة الخوانك والمدارس والجوامع والترب وكان متحصلها قد خرج عن الحد فى الكثرة لما حدث فى الدولة التركية من بناء المدارس والجوامع والترب وغيرها وصاروا يفردون أراضى من أعمال مصر والشامات وفيها بلاد مقررة ويقيمون صورة يملكونها بها ويجعلونها وقفا على مصارف كما يريدون فلما استبد الامير برقوق بأمر بلاد مصر قبل أن يتلقب باسم السلطنة هم بارتجاع هذه البلاد وعقد مجلسا فيه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء وغيره فلم يتهيأ له ذلك فلما جلس على تخت الملك صار أمراؤه يستأجرون هذه النواحى من جهات الاوقاف ويؤجرونها للفلاحين بأزيد مما استأجروا فلما مات الظاهر فحش الامر فى ذلك واستولى أهل الدولة على جميع الاراضى الموقوفة بمصر والشامات وصار أجودهم من يدفع فيها لمن يستحق ريعها عشر ما يحصل له والا فكثير منهم لا يدفع شيأ البتة لاسيما ما كان من ذلك فى بلاد الشام فانه استهلك وأخذ ولذلك كان أسوأ الناس حالا فى هذه المحن التى حدثت منذ سنة ست وثمانمائة الفقهاء لخراب الموقوف عليهم وبيعه واستيلاء أهل الدولة على الاراضى

(الجامع بجوار تربة الشافعى بالقرافة)

هذا الجامع كان مسجدا صغيرا فلما كثر الناس بالقرافة الصغرى عندما عمر السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب المدرسة بجوار قبر الامام الشافعى رضى الله عنه وجعل لها مدرسا وطلبة زاد الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فى المسجد المذكور ونصب به منبرا وخطب فيه وصليت الجمعة به فى سنة سبع وستمائة

(جامع محمود بالقرافة)

هذا المسجد قديم والخطبة فيه متجددة وينسب لمحمود بن سالم بن مالك الطويل من أجناد السرى بن الحكم أمير مصر بعد سنة مائتين من الهجرة قال القضاعى المسجد المعروف بمحمود يقال ان محمودا هذا كان رجلا جنديا من جند السرى بن الحكم أمير مصر وانه هو الذى بنى هذا المسجد وذلك أن السرى بن الحكم ركب يوما فعارضه رجل فى طريقه فكلمه ووعظه بما غاظه فالتفت عن يمينه فرأى محمودا فأمره بضرب عنق

الرجل

الرجل ففعل فلما رجع محمود الى منزله تفكر وندم وقال رجل يتكلم بموعظة يحق فيقتل بيدى وأنا طائع غير مكره على ذلك فهلا امتنعت وكثر أسفه وبكاؤه وآلى على نفسه أن يخرج من الجندية ولا يعود فيها ولم ينم ليلته من الغم والندم فلما اصبح غدا الى السرى فقال له انى لم انم فى هذه الليلة على قتل الرجل وأنا أشهد الله عزوجل وأشهدك أنى لا اعود فى الجندية فأسقط اسمى منهم وان أردت نعمتى فهى بين يديك وخرج من بين يديه وحسنت توبته وأقبل على العبادة واتخذ المسجد المعروف بمسجد محمود وأقام فيه * وقال ابن المتوج المسجد الجامع المشهور بسفح المقطم هذا الجامع من مساجد الخطبة وهو بسفح الجبل المقطم بالقرافة الصغرى وأول من خطب فيه السيد الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد قاضى العسكر والمدرس بالمدرسة الناصرية الصلاحية بجوار جامع عمرو وبه عرف بالشريفية وسفير الخلافة المعظمة وتوفى فى شوال سنة خمس وخمسين وستمائة وكان أيضا نقيب الاشراف

(جامع الروضة بقلعة جزيرة الفسطاط)

قال ابن المتوج هذا الجامع عمره السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان أمام بابه كنيسة تعرف بابن لقلق بترك اليعاقبة وكان بها بئر مالحة وذلك مما عد من عجائب مصر أن فى وسط النيل جزيرة بوسطها بئر مالحة وهذه البئر التى رأيتها كانت قبالة باب المسجد الجامع واستمر دمت بعد ذلك وهذا الجامع لم يزل بيد بنى الرداد وابهم نواب عنهم فيه ثم لما كانت أيام السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى هدم هذا الجامع فى شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ووسعه بدور كانت الى جانبه وشرع فى عمارته فمات قبل الفراغ منه

(جامع غبن بالروضة)

قال ابن المتوج المسجد الجامع بروضة مصر يعرف بجامع غبن وهو القديم ولم تزل الخطبة قائمة فيه الى أن عمر جامع المقياس فبطلت الخطبة منه ولم تزل الخطبة بطالة منه الى الدولة الظاهرية فكثرت عمائر الناس حوله فى الروضة وقل الناس فى القلعة وصاروا يجدون مشقة فى مشيهم من أوائل الروضة وعمر الصاحب محيى الدين أحمد ولد الصاحب بهاء الدين على بن حنا داره على خوخة الفقيه نصر قبالة هذا الجامع فحسن له اقامة الجمعة فى هذا الجامع لقربه منه ومن الناس فتحدث مع والده فشاورا السلطان الملك الظاهر بيبرس فوقع منه بموقع لكثرة ركوبه بحر النيل واعتنائه بعمارة الشوانى ولعبها فى البحر ونظره الى كثرة الخلائق بالروضة ورسم باقامة الخطبة فيه مع بقاء الخطبة بجامع القلعة لقوة نيته فى عمارتها على ما كانت عليه فأقيمت الخطبة به فى سنة ستين وستمائة وولى خطابته أقضى القضاة جمال الدين بن الغفارى وكان ينوب بالجيزة فى الحكم ثم ناب فى الحكم بمصر عن قاضى القضاة وجيه الدين البهنسى وكان امامه فى حال عطلته من الخطبة فلما أقيمت فيه الخطبة أضيفت اليه الخطابة فيه مع الامامة * غبن أحد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله خلع عليه فى تاسع ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة وقلده سيفا وأعطاه سجلا قرئ فاذا فيه انه لقب بقائد القواد وأمر أن يكتب بذلك ويكاتب به وركب وبين يديه عشرة افراس بسروجها ولجمها وفى ذى القعدة من السنة المذكورة انفذ اليه الحاكم خمسة آلاف دينار وخمسة وعشرين فرسا بسروجها ولجمها وقلده الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجيزة والنظر فى أمور الجميع وأموالهم وأحوالهم كلها وكتب له سجلا بذلك قرئ بالجامع العتيق فنزل الى الجامع ومعه سائر العسكر والخلع عليه وحمل على فرسين وكان فى سجله مراعاة أمر النبيذ وغيره من المسكرات وتتبع ذلك والتشديد فيه وفى المنع من عمل الفقاع وبيعه ومن اكل الملوخيا والسمك الذى لا قشر له والمنع من الملاهى كلها والتقدم بمنع النساء من حضور الجنائز والمنع من بيع العسل وأن لا يتجاوز فى بيعه اكثر من ثلاثة ارطال لمن لا يسبق اليه ظنه أن يتخذ منه مسكرا فاستمر ذلك الى غرة صفر سنة أربع وأربعمائة فصرف عن الشرطتين والحسبة بمظفر الصقلى فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر منها أمر بقطع يدى كاتبه أبى القاسم على بن أحمد الجرجانى فقطعتا جميعا وذلك انه كان يكتب عند السيدة الشريفة اخت الحاكم فانتقل من خدمتها الى خدمة غبن خوفا على نفسه من خدمتها فسخطت لذلك فبعث اليها يستعطفها ويذكر فى رقعته شيأ وقفت عليه فارتابت منه فظنت أن ذلك حيلة عليها وانفذت الرقعة فى طى رقعتها الى الحاكم فلما وقف عليها اشتد غضبه وأمر بقطع يديه جميعا فقطعتا وقيل بل كان غبن هو الذى يوصل رقاع عقيل صاحب الخبر الى الحاكم فى كل يوم

وأربعون أميرا ومماليكهم ثمانية آلاف فارس * كشاف وولاة بالاقاليم خمسمائة وأربعة وسبعون تفصيل ذلك ثغر الاسكندرية واحد والبحيرة واحد والغربية واحد والشرقية واحد والمنوفية واحد وقطيا واحد وكاشف الجيزة واحد والفيوم واحد والبهنسا واحد والاشمونين واحد وقوص واحد واسوان واحد وكاشف الوجه البحري واحد وكاشف الوجه القبلي واحد * ومماليكهم خمسمائة وستون * أمراء العشراوات ومماليكهم ألفان ومائتا فارس تفصيل ذلك خاصكية ثلاثون وخرجية مائة وسبعون اميرا ومماليكهم ألفان * ولاة الاقاليم سبعة وسبعون اميرا تفصيلهم اشمون الرمان واحد وقليوب واحد والجيزة واحد وتروجا واحد وحاجب الاسكندرية واحد واطفيح واحد ومنفلوط واحد ومماليكهم سبعون فارسا * مقدمو الحلقة والاجناد أحد عشر ألفا ومائة وستة وسبعون فارسا تفصيل ذلك مقدموا المماليك السلطانية أربعون مقدموا الحلقة مائة وثمانون نقباء الالوف أربعة وعشرون نقيبا مماليك السلطان وأجناد الحلقة عشرة آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا تفصيل ذلك مماليك السلطان ألفا مملوك أجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * عبرة ذلك الخاصكية الالوف والنائب والوزير كل منهم مائة ألف دينار وكل دينار عشرة دراهم الارتفاع ألف ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال كل اردب واحد من القمح بعشرين درهما والحبوب كل اردب منها بعشرة دراهم من ذلك الكلف مائة ألف درهم والخالص تسعمائة ألف درهم * الالوف الخرجية كل منهم خمسة وثمانون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع ثمانمائة ألف وخمسون ألفا بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح فيه من ذلك الكلف سبعون ألف درهم والخالص لكل منهم سبعمائة وثمانون ألف درهم * الطبلخاناه الخاصكية كل منهم أربعون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع أربعمائة ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح فيه من ذلك الكلف خمسة وثلاثون ألف درهم والخالص لكل منهم ثلثمائة وخمسة وستون ألف درهم * الطبلخاناه الخرجية ثلاثون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائتا ألف وأربعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف أربعة وعشرون ألف درهم والخالص مائتا ألف وستة عشر ألف درهم * العشراوات الخاصكية كل منهم عشرة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع مائة ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف سبعة آلاف درهم والخالص لكل منهم ثلاثة وتسعون ألف درهم * العشراوات الخرجية كل منهم سبعة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع سبعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف خمسة آلاف درهم والخالص لكل منهم خمسة وستون ألف درهم * الكشاف لكل منهم عشرون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائة ألف وستون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلفة خمسة عشر ألف درهم والخالص مائة ألف وخمسة واربعون ألف درهم * الولاة الاصطبلخاناه كل منهم خمسة عشر ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائة وعشرون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف عشرة آلاف درهم والخالص لكل منهم مائة ألف وعشرة آلاف درهم * الولاة العشراوات لكل منهم خمسة آلاف دينار كل دينار سبعة دراهم الارتفاع خمسة وثلاثون ألف درهم بما فيه من ثمن المغل على ما شرح من ذلك الكلف ثلاثة آلاف درهم والخالص لكل منهم اثنان وثلاثون ألف درهم * مقدمو مماليك السلطان كل منهم ألف ومائتا دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع اثنا عشر ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف ألف درهم والخالص لكل منهم أحد عشر ألف درهم * مقدمو الحلقة كل منهم ألف دينار كل دينار تسعة دراهم الارتفاع تسعة آلاف درهم بما فيه من ثمن الغلال من ذلك الكلف تسعمائة درهم والخالص لكل منهم ثمانية آلاف درهم ومائة درهم * نقباء الالوف لكل منهم اربعمائة دينار كل دينار تسعة دراهم الارتفاع ثلاثة آلاف وستمائة درهم بما فيه من ثمن الغلال من ذلك الكلف أربعمائة درهم والخالص لكل منهم ثلاثة آلاف ومائتا درهم * مماليك السلطان ألفان * بابة أربعمائة مملوك لكل منهم ألف وخمسمائة دينار كل دينار عشرة دراهم عنها خمسة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك كل واحد ألف وثلثمائة دينار سعره عشرة دراهم عنها ثلاثة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك لكل منهم ألف دينار ومائتا دينار عنها اثنا عشر ألف درهم * بابة ستمائة مملوك لكل واحد

الف

ألف دينار عنها عشرة آلاف درهم * اجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * بابة ألف وخمسمائة فارس لكل منهم تسعمائة دينار بتسعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا لكل منهم ثمانمائة دينار بثمانية آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا كل منهم سبعمائة دينار عنها سبعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة جندى لكل منهم ستمائة دينار بستة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة كل منهم بخمسمائة دينار بخمسة آلاف درهم * بابة ألف ومائة جندى لكل منهم أربعمائة دينار بأربعة آلاف درهم * بابة ألف واثنين وثلاثين جنديا لكل منهم ثلثمائة دينار بسعر عشرة دراهم عنها ثلاثة آلاف درهم * وأرباب الوظائف من الامراء بعد النيابة والوزارة أمير سلاح والدوادار والحجبة وأمير جاندار والاستادار والمهمندار ونقيب الجيوش والولاة * فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاون حدث بين اجناد الحلقة نزول الواحد منهم عن اقطاعه لآخر بمال أو مقايضة الاقطاعات بغيرها فكثر الدخيل فى الاجناد بذلك واشترت السوقة والاراذل الاقطاعات حتى صار فى زمننا اجناد الحلقة اكثرهم اصحاب حرف وصناعات وخربت منهم أراضى اقطاعاتهم * وأول ما حدث ذلك أن السلطان الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاون لما تسلطن فى شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة تمكن منه الامير شجاع الدين اغرلو شاد الدواوين واستجد أشياء منها المقايضة بالاقطاعات فى الحلقة والنزول عنها فكان من أراد مقايضة أحد باقطاعه حمل كل منهما مالا لبيت المال يقرر عليهما ومن اختار حيزا بالحلقة يزن على قدر عبرته فى السنة دنانير يحملها لبيت المال فان كانت عبرة الحيز الذى بيده خمسمائة دينار فى السنة حمل خمسمائة دينار ومن أراد النزول عن اقطاعه حمل مالا لبيت المال بحسب ما يقرر عليه اغرلو وأفرد لذلك ولما يؤخذ من طالبى الوظائف والولايات ديوانا سماه ديوان البدل وكان يعين فى المنشور الذى يخرج بالمقايضة المبلغ الذى يقوم به كل من الجنديين وكان ابتداء هذا فى جمادى الاولى من السنة المذكورة فقام الامراء فى ذلك مع السلطان حتى رسم بابطاله فلما ولى الامير منجك اليوسفى الوزارة وسيره فى المال فتح فى سنة تسع وأربعين باب النزول والمقايضات فكان الجندى يبيع اقطاعه لكل من بذل له فيه مالا فأخذ كثير من العامة الاقطاعات فكان يبذل فى الاقطاع مبلغ عشرين ألف درهم واقل منه على قدر متحصله وللوزير رسم معلوم ثم منع من ذلك فلما كانت نيابة الامير سيف الدين قبلاى فى سنة ثلاث وخمسين مشى أحوال الاجناد فى المقايضات والنزولات فاشترى الاقطاعات الباعة وأصحاب الصنائع وبعت تقادم الحلقة وانتدب لذلك جماعة عرفت بالمهيسين بلغت عدتهم نحو الثلثمائة مهيس وصاروا يطوفون على الاجناد ويرغبونهم فى النزول عن اقطاعاتهم أو المقايضة بها وجعلوا لهم على كل ألف درهم مائة درهم فلما فحش الامر أبطل الامير شيخون العمرى النزولات والمقايضات عندما استقر رأس نوبة واستقل بتدبير امور الدولة وتقدم لمباشرى ديوان الجيش أن لا يأخذوا رسم المنشور والمحاسبة سوى ثلاثة دراهم بعد ما كانوا يأخذون عشرين درهما

(ذكر الحجبة)

وكانت رتبة الحجبة فى الدولة التركية جليلة وكانت تلى رتبة نيابة السلطنة ويقال لاكبر الحجبة حاجب الحجاب وموضوع الحجبة أن متوليها ينصف من الامراء والجند تارة بنفسه وتارة بمشاورة السلطان وتارة بمشاورة النائب وكان اليه تقديم من يعرض ومن يرد وعرض الجند فان لم يكن نائب السلطنة فانه هو المشار اليه فى الباب والقائم مقام النواب فى كثير من الامور وكان حكم الحاجب لا يتعدى النظر فى مخاصمات الاجناد واختلافهم فى امور الاقطاعات ونحو ذلك ولم يكن أحد من الحجاب فيما سلف يتعرض للحكم فى شئ من الامور الشرعية كتداعى الزوجين وأرباب الديون وانما يرجع ذلك الى قضاة الشرع ولقد عهدنا دائما أن الواحد من الكتاب أو الضمان ونحوهم يفر من باب الحاجب ويصير الى باب أحد القضاة ويستجير بحكم الشرع فلا يطمع أحد بعد ذلك فى أخذه من باب القاضى وكان فيهم من يقيم الاشهر والاعوام فى ترسيم القاضى حماية له من ايدى الحجاب ثم تغير ما هنالك وصار الحاجب اليوم اسماً لعدة جماعة من الامراء ينتصبون للحكم بين الناس لا لغرض الا لتضمين أبوابهم بمال مقرر فى كل يوم على رأس نوبة النقباء وفيهم غير واحد ليس لهم على الامرة اقطاع وانما يرتزقون من مظالم العباد وصار الحاجب اليوم يحكم فى كل جليل وحقير من الناس سواء كان

لا والله لا جعلت الجامع مكان الجمال وأولى ما جعلته ميدانى الذى ألعب فيه بالكرة وهو نزهتى فلما كان يوم الخميس ثامن شهر ربيع الآخر ركب السلطان وصحبته خواصه والوزير الصاحب بهاء الدين على بن حنا والقضاة ونزل الى ميدان قراقوش وتحدث فى أمره وقاسه ورتب أموره وأمور بنائه ورسم بأن يكون بقية الميدان وقفا على الجامع يحكر ورسم بين يديه هيئة الجامع وأشار أن يكون بابه مثل باب المدرسة الظاهرية وأن يكون على محرابه قبة على قدر قبة الشافعى رحمة الله عليه وكتب فى وقته الكتب الى البلاد باحضار عمد الرخام من سائر البلاد وكتب باحضار الجمال والجواميس والابقار والدواب من سائر الولايات وكتب باحضار الآلات من الحديد والاخشاب النقية برسم الابواب والسقوف وغيرها ثم توجه لزيارة الشيخ الصالح خضر بالمكان الذى أنشأه له وصلى الظهر هناك ثم توجه الى المدرسة بالقاهرة فدخلها والفقهاء والقراء على حالهم وجلس بينهم ثم تحدث وقال هذا مكان قد جعلته لله عز وجل وخرجت عنه وقفا لله اذا مت لا تدفنونى هنا ولا تغيروا معالم هذا المكان فقد خرجت عنه لله تعالى ثم قام من ايوان الحنفية وجلس بالمحراب فى ايوان الشافعية وتحدث وسمع القرآن والدعاء ورأى جميع الاماكن ودخل الى قاعة ولده الملك السعيد المبنية قريبا منها ثم ركب الى قلعة الجبل وولى عدة مشدين على عمارة الجامع وكان الى جانب الميدان قاعة ومنظرة عظيمة بناها السلطان الملك الظاهر فلما رسم ببناء الجامع طلبها الامير سيف الدين قشتمر العجمى من السلطان فقال الارض قد خرجت عنها لهذا الجامع فاستأجرها من ديوانه والبناء والاصناف وهبتك اياها وشرع فى العمارة فى منتصف جمادى الآخرة منها وفى أول جمادى الآخرة سنة ست وستين وستمائة سار السلطان من ديار مصر يريد بلاد الشام فنزل على مدينة يافا وتسلمها من الفرنج بأمان فى يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة المذكور وسير أهلها فتفرقوا فى البلاد وشرع فى هدمها وقسم أبراجها على الامراء فاشتد أى ذلك من ثانى عشريه وقاسوا شدة فى هدمها لحصانتها وقوة بنائها لا سيما القلعة فانها كانت حصينة عالية الارتفاع ولها أساسات الى الارض الحقيقية وباشر السلطان الهدم بنفسه وبخواصه ومماليكه حتى غلمان البيوتات التى له وكان ابتداء هدم القلعة فى سابع عشريه ونقضت من أعلاها ونظفت زلاقتها واستمر الاجناد فى ذلك ليلا ونهارا وأخذ من أخشابها جملة ومن ألواح الرخام التى وجدت فيها ووسق منها مركبا من المراكب التى وجدت فى يافا وسيرها الى القاهرة ورسم بأن يعمل من ذلك الخشب مقصورة فى الجامع الظاهرى بالميدان من الحسينية والرخام يعمل بالمحراب فاستعمل كذلك ولما عاد السلطان الى مصر فى حادى عشرى ذى الحجة منها وقد فتح فى هذه السفرة يافا وطرابلس وانطاكية وغيرها أقام الى أن أهلت سنة سبع وستين وستمائة فلما كملت عمارة الجامع فى شوال منها ركب السلطان ونزل الى الجامع وشاهده فرآه فى غاية ما يكون من الحسن وأعجبه نجازه فى أقرب وقت ومدة مع علو الهمة فخلع على مباشريه وكان الذى تولى بناءه الصاحب بهاء الدين بن حنا والامير علم الدين سنجر السرورى متولى القاهرة وزار الشيخ خضرا وعاد الى قلعته وفى شوال منها تمت عمارة الجامع الظاهرى ورتب به خطيبا حنفى المذهب ووقف عليه حكر ما بقى من أرض الميدان ونزل السلطان اليه ورتب أوقافه ونظر فى أموره * (بيبرس) الملك الظاهر ركن الدين البندقدارى أحد المماليك البحرية الذين اختص بهم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن ايوب وأسكنهم قلعة الروضة كان أولا من مماليك الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى فلما سخط عليه الملك الصالح أخذ مماليكه ومنهم الامير بيبرس هذا وذلك فى سنة أربع وأربعين وستمائة وقدمه على طائفة من الجدارية ومازال يترقى فى الخدم الى أن قتل المعز أيبك التركمانى الفارس اقطاى الجدار فى شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة وكانت البحرية قد انحازت اليه فركبوا فى نحو السبعمائة فلما ألقيت اليهم رأس اقطاى تفرقوا واتفقوا على الخروج الى الشام وكانت أعيانهم يومئذ بيبرس البندقدارى وقلاون الالفى وسنقر الاشقر وبيسرى وترامق وتنكز فساروا الى الملك الناصر صاحب الشام ولم يزل بيبرس ببلاد الشام الى أن قتل المعز أيبك وقام من بعده ابنه المنصور على وقبض عليه نائبه الامير سيف الدين قطز وجلس على تخت المملكة وتلقب بالملك المظفر فقدم عليه بيبرس فأمره المظفر قطز ولما خرج قطز الى ملاقاة التتار وكان من نصرته عليهم ما كان رحل الى دمشق فوشى اليه بأن الامير بيبرس قد تنكر له وتغير عليه وانه عازم على القيام بالحرب فأسرع قطز بالخروج من دمشق الى جهة مصر وهو مضمر لبيبرس السوء وعلم بذلك خواصه فبلغ ذلك بيبرس

فاستوحش

فاستوحش من قطز وأخذ كل منهما يحترس من الآخر على نفسه وينتظر الفرصة فبادر بيبرس وواعد الامير سيف الدين بلبان الرشيدى والامير سيف الدين بيدغان الركنى المعروف بسم الموت والامير سيف الدين بلبان الهارونى والامير بدر الدين آنص الاصبهانى فلما قربوا فى مسيرهم من القصر بين الصالحية والسعيدية عند القرين انحرف قطز عن الدرب للصيد فلما قضى منه وطره وعاد والامير بيبرس يسايره هو وأصحابه طلب بيبرس منه امرأة من سبى التتار فأنعم عليه بها فتقدم ليقبل يده وكانت اشارة بينه وبين أصحابه فعندما رأوا بيبرس قد قبض على يد السلطان المظفر قطز بادر الامير بكتوت الجوكندار وضربه بسيف على عاتقه أبانه واختطفه الامير انص وألقاه عن فرسه الى الارض ورماه بهادر المغربى بسهم فقتله وذلك يوم السبت خامس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ومضوا الى الدهليز للمشورة فوقع الاتفاق على الامير بيبرس فتقدم اليه اقطاى المستعرب الجدار المعروف بالاتابك وبايعه وحلف له ثم بقية الامراء وتلقب بالملك الظاهر وذلك بمنزلة القصير فلما تمت البيعة وحلف الامراء كلهم قال له الامير اقطاى المستعرب يا خوند لا يتم لك أمر الا بعد دخولك الى القاهرة وطلوعك الى القلعة فركب من وقته ومعه الامير قلاون والامير بلبان الرشيدى والامير بيليك الخازندار وجماعة يريدون قلعة الجبل فلقيهم فى طريقهم الامير عز الدين أيدمر الحلبى نائب الغيبة عن المظفر قطز وقد خرج لتلقيه فاخبروه بما جرى وحلفوه فتقدمهم الى القلعة ووقف على بابها حتى وصلوا فى الليل فدخلوا اليها وكانت القاهرة قد زينت لقدوم السلطان الملك المظفر قطز وفرح الناس بكسر التتار وعود السلطان فما راعهم وقد طلع النهار الا والمشاعلى ينادى معاشر الناس ترحموا على الملك المظفر وادعوا لسلطانكم الملك الظاهر بيبرس فدخل على الناس من ذلك غم شديد ووجل عظيم خوفا من عود البحرية الى ما كانوا عليه من الجور والفساد وظلم الناس *

فأول ما بدأ به الظاهر أنه أبطل ما كان قطز أحدثه من المظالم عند سفره وهو تصقيع الاملاك وتقويمها وأخذ زكاة ثمنها فى كل سنة وجباية دينار من كل انسان وأخذ ثلث التركة الاهلية فبلغ ذلك فى السنة ستمائة ألف دينار وكتب بذلك مسموحا قرئ على المنابر فى صبيحة دخوله الى القلعة وهو يوم الاحد سادس عشر ذى القعدة المذكور وجلس بالايوان وحلف العساكر واستناب الامير بدر الدين بيليك الخازندار بالديار المصرية واستقر الامير فارس الدين اقطاى المستعرب أتابكا على عادته والامير جمال الدين أقوش النجيبى أستادارا والامير عز الدين أيبك الافرم الصالحى أمير جاندار والامير لاجين الدرفيل وبلبان الرومى دوادارية والامير بهاء الدين يعقوب الشهرزورى أمير اخور على عادته وبهاء الدين على بن حنا وزيرا والامير ركن الدين التاجى الركنى والامير سيف الدين بكجرى حجابا ورسم باحضار البحرية الذين تفرقوا فى البلاد بطالين وسير الكتب الى الاقطار بما تجدد له من النعم ودعاهم الى الطاعة فأذعنوا له وانقادوا اليه وكان الامير علم الدين سنجر الحلبى نائب دمشق لما قتل قطز جمع الناس وحلفهم وتلقب بالملك المجاهد وثار علاء الدين الملقب بالملك السعيد بن صاحب الموصل فى حلب وظلم أهلها وأخذ منهم خمسين ألف دينار فقام عليه جماعة ومقدمهم الامير حسام الدين لاجين العزيزى وقبضوا عليه فسير الظاهر الى لاجين بنيابة حلب * فلما دخلت سنة تسع وخمسين قبض الظاهر على جماعة من الامراء المعزية منهم الامير سنجر الغتمى والامير بهادر المعزى والشجاع بكتوت ووصل الى السلطان الامام أبو العباس أحمد بن الخليفة الظاهر العباسى من بغداد فى تاسع رجب فتلقاه السلطان فى عساكره وبالغ فى اكرامه وأنزله بالقلعة وحضر سائر الامراء والمقدمين والقضاة وأهل العلم والمشايخ بقاعة الاعمدة من القلعة بين يدى أبى العباس فتأدب السلطان الظاهر ولم يجلس على مرتبة ولا فوق كرسى وحضر العربان الذين قدموا من العراق وخادم من طواشية بغداد وشهدوا بأن العباس أحمد ولد الخليفة الظاهر بن الخليفة الناصر وشهد معهم بالاستفاضة الامير جمال الدين يحيى نائب الحكم بمصر وعلم الدين بن رشيق وصدر الدين موهوب الجزرى ونجيب الدين الحرانى وسديد الزمنتى نائب الحكم بالقاهرة عند قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعى وأسجل على نفسه بثبوت نسب أبى العباس أحمد وهو قائم على قدميه ولقب بالامام المستنصر بالله وبايعه الظاهر على كتاب الله وسنة نبيه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله وأخذ أموال الله بحقها وصرفها فى مستحقها فلما تمت البيعة قلد المستنصر بالله السلطان الملك الظاهر أمر البلاد الاسلامية وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار وبايع الناس المستنصر على طبقاتهم وكتب الى الاطراف

على عادة الحجاب فلما انقضت دولة الكامل بأخيه الملك المظفر حاجي بن محمد استقر الامير سيف الدين ارقطاى نائب السلطنة فعاد أمر الحجاب الى العادة القديمة الى أن كانت ولاية الامير سيف الدين جرجي الحجابة فى ايام السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاون فرسم له أن يتحدث فى أرباب الديون وينصفهم من غرمائهم بأحكام السياسة ولم تكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا فى الامور الشرعية وكان سبب ذلك وقوف تجار العجم للسلطان بدار العدل فى أثناء سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وذكروا أنهم ما خرجوا من بلادهم الا لكثرة ماظلمهم التتار وجاروا عليهم وأن التجار بالقاهرة اشتروا منهم عدة بضائع وأكلوا اثمانها ثم هم يثبتون على يد القاضى الحنفى اعسارهم وهم فى سجنه وقد افلس بعضهم فرسم للامير جرجي باخراج غرمائهم من السجن وخلاص مافى قبلهم للتجار وأنكر على قاضى القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى الحنفى ماعمله ومنع من التحدث فى أمر التجار والمديونين فأخرج جرجي غرماء التجار من السجن وعاقبهم حتى أخذ للتجار اموالهم منهم شيأ بعد شئ وتمكن الحجاب من حينئذ من التحكم على الناس بما شاؤا * (أمير جاندار) موضوع أمير جاندار التسلم لباب السلطان ولرتبة البرددارية وطوائف الركابية والخرامانية والجندارية وهو الذى يقدم البريد اذا قدم مع الدوادار وكاتب السر واذا أراد السلطان تقرير أحد من الامراء على شئ اوقتله بذنب كان ذلك على يد امير جاندار وهو أيضا المتسلم للزردخاناه وكانت أرفع السجون قدرا ومن اعتقل بها لا تطول مدته بها بل يقتل أو يخلى سبيله وهو الذى يدور بالزفة حول السلطان فى سفره مساء وصباحا * (الاستادار) اليه أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وهو الذى كان يمشى بطلب السلطان فى السرحات والاسفار وله الحكم فى غلمان السلطان وباب داره واليه امور الجاشنكيرية وان كان كبيرهم نظيره فى الامرة من ذوى المئين وله أيضا الحديث المطلق والتصرف التام فى استدعاء ما يحتاجه كل من فى بيت من بيوت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك ولم تزل رتبة الاستادار على ذلك حتى كانت ايام الظاهر برقوق فأقام الامير جمال الدين محمود بن على بن اصفر عينه استادارا وناط به تدبير أموال المملكة فتصرف فى جميع مايرجع الى أمر الوزير وناظر الخاص وصارا يترددان الى بابه ويمضيان الامور برأيه فجلت من حينئذ رتبة الاستادار بحيث انه صار فى معنى ما كان فيه الوزير فى أيام الخلفاء سيما اذا اعتبرت حال الامير جمال الدين يوسف الاستادار فى ايام الناصر فرج بن برقوق كما ذكرناه عند ذكر المدارس من هذا الكتاب فانك تجده انما كان كالوزير العظيم لعموم تصرفه ونفوذ أمره فى سائر احوال المملكة واستقر ذلك لمن ولى الاستادارية من بعده والامر على هذا الى اليوم * (أمير سلاح) هذا الامير هو مقدم السلاحدارية والمتولى لحمل سلاح السلطان فى المجامع الجامعة وهو المتحدث فى السلاح خاناه ومايستعمل بها وما يقدم اليها ويطلق منها وهو أبدا من أمراء المئين * (الدوادار) ومن عادة الدولة أن يكون بها من أمرائها من يقال له الدوادار وموضوعه لتبليغ الرسائل عن السلطان وابلاغ عامة الامور وتقديم القصص الى السلطان والمشاورة على من يحضر الى الباب وتقديم البريد هو وأمير جاندار وكاتب السر وهو الذى يقدم الى السلطان كل ما تؤخذ عليه العلامة السلطانية من المناشير والتواقيع والكتب وكان يخرج عن السلطان بمرسوم مما يكتب فيعين رسالته فى المرسوم واختلفت آراء ملوك الترك فى الدوادار فتارة كان من امراء العشراوات والطبلخاناه وتارة كان من امراء الالوف فلما كانت ايام الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون ولى الامير اقتمر الحنبلى وظيفة الدوادارية وكان عظيما فى الدولة فصار يخرج المراسيم السلطانية بغير مشاورة كما يخرج نائب السلطنة ويعين فى المرسوم اذ ذاك انه كتب برسالته ثم نقل الى نيابة السلطنة واقام الاشرف عوضه الامير طاشتمر الدوادار وجعله من اكابر امراء الالوف فاقتدى به الملك الظاهر برقوق وجعل الامير يونس الدوادار من اكابر امراء الالوف فعظمت منزلته وقويت مهابته ثم لما عادت الدولة الظاهرية بعد زوالها ولى الدوادارية الامير بوطا فحكم تحكما زائدا عن المعهود فى الدوادارية وتصرف كتصرف النواب وولى وعزل وحكم فى القضايا المعضلة فصار ذلك من بعده عادة لمن ولى الدوادارية سيما لما ولى الامير يشبك والامير حكم الدوادارية فى ايام الناصر فرج فانهما تحكما فى جليل أمور الدولة وحقيرها من المال والبريد والاحكام والعزل والولاية ومابرح الحال على هذا فى الايام الناصرية وكذلك الحال فى الايام المؤيدية يقارب

ذلك

ذلك * (نقابة الجيوش) هذه الرتبة كانت فى الدولة التركية من الرتب الجليلة ويكون متوليها كأحد
الحجاب الصغار وله تحلية الجند فى عرضهم ومعه يمشى النقباء فاذا طلب السلطان أو النائب أو حاجب الحجاب
اميرا أو جنديا كان هو المخاطب فى الارسال اليه وهو الملزوم باحضاره واذا امر أحدا منهم بالترسيم على امير
أو جندى كان نقيب الجيش هو الذى يرسم عليه وكان من رسمه انه هو الذى يمشى بالجراحة السلطانية فى الموكب
حالة المسرحة وفى مدة السفر ثم انحطت اليوم هذه الرتبة وصار نقيب الجيش عبارة عن كبير من النقباء المعدين
لترويع خلق الله تعالى وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر عند طلب أحد الى باب الحاجب ويضيفون
الى أكلهم أموال الناس بالباطل افتراءهم على الله تعالى بالكذب فيقولون على المال الذى يأخذونه
باطلا هذا حق الطريق وا ويل لمن نازعهم فى ذلك وهم أحد أسباب خراب الاقليم كما بين فى موضعه من هذا
الكتاب عند ذكر الاسباب التى أوجبت خراب الاقليم * (الولاية) وهى التى يسميها السلف الشرطة
وبعضهم يقول صاحب العسس والعسس الطواف بالليل لتتبع أهل الريب يقال عس يعس عسا وعسسا
وأول من عس بالليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه امره ابو بكر الصديق رضى الله عنه بعس المدينة خرج
ابو داود عن الاعمش عن زيد قال اتى عبد الله بن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله رضى
الله عنه انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شئ نأخذ به وذكر الثعلبى عن زيد بن وهب انه قال
قيل لابن مسعود رضى الله عنه هل لك فى الوليد بن عتبة تقطر لحيته خمرا فقال انا قد نهينا عن التجسس فان
ظهر لنا شئ نأخذ به وكان عمر رضى الله عنه يتولى فى خلافته العسس بنفسه ومعه مولاه أسلم رضى الله عنه
وكان ربما استصحب معه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه * (قاعة الصاحب) وكانت وظيفة الوزارة
اجل رتب أرباب الاقلام لان متوليها ثانى السلطان اذا أنصف وعرف حقه الا أن ملوك الدولة التركية قدموا
رتبة النيابة على الوزارة فتأخرت الوزارة حتى قعد بها مكانها ووليها فى الدولة التركية أناس من أرباب السيوف
وأناس من أرباب الاقلام فصار الوزير اذا كان من أرباب الاقلام يطلق عليه اسم الصاحب بخلاف ما اذا كان
من أرباب السيوف فانه لا يقال له الصاحب وأصل هذه الكلمة فى اطلاقها على الوزير أن الوزير اسماعيل بن عباد
كان يصحب مؤيد الدولة أبا منصور بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمى صاحب بلاد الرى وكان مؤيد
الدولة شديد الميل اليه والمحبة له فسماه الصاحب وكان الوزير حينئذ أبو الفتح على بن العميد يعاديه لشدة تمكنه
من مؤيد الدولة فتلقب الوزراء بعد ابن عباد بالصاحب ولا أعلم أحدا من وزراء خلفاء بنى العباس ولا وزراء
الخلفاء الفاطميين قيل له الصاحب وقد جمعت فى وزراء الاسلام كتابا جليل القدر وأفردت وزراء مصر فى تصنيف
بديع والذى أعرف أن الوزير صفى الدين عبد الله بن شكر وزير العادل والكامل من ملوك مصر من بنى أيوب
كان يقال له الصاحب وكذلك من بعده من وزراء مصر الى اليوم وكان وضع الوزير أنه اقيم لنفاذ كلمة السلطان
وتمام تصرفه غير أنها انحطت عن ذلك بنيابة السلطنة ثم انقسم ما كان للوزير الى ثلاثة هم الناظر فى المال وناظر
الخاص وكاتب السر فانه يوقع فى دار العدل ما كان يوقع فيه الوزير بمشاورة واستقلال ثم تلاشت الوزارة
فى ايام الظاهر برقوق بما أحدثه من الديوان المفرد وذلك انه لما ولى السلطنة أفرد اقطاعه لما كان أميرا
قبل سلطنته وجعل له ديوانا سماه الديوان المفرد وأقام فيه ناظرا وشاهدين وكتابا وجعل مرجع هذا الديوان
الى الاستادار وصرف ما يتحصل منه فى جوامك مماليك استجدها شيأ بعد شئ حتى بلغت خمسة آلاف مملوك
وأضاف الى هذا الديوان كثيرا من أعمال الديار المصرية وبذلك قوى جانب الاستادار وضعفت الوزارة حتى
صار الوزير قصارى نظره التحدث فى امر المكوس فيستخرجها من جهاتها ويصرفها فى ثمن اللحم وحوائج
المطبخ وغير ذلك ولقد كان الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى يقول الوزارة اليوم عبارة عن
حوائج كاش عفش يشترى اللحم والحطب وحوائج الطعام وناظر الخاص غلام صلف يشترى الحرير والصوف
والنصافى والسنجاب وأما ما كان للوزراء ونظار الخاص فى القديم فقد بطل ولقد صدق فيما قال فان الامر على
هذا وما رأينا الوزارة من بعد انحطاط رتبتها ارتفع قدر متوليها الا اذا اضيفت الى الاستادارية كما وقع للامير جمال
الدين يوسف الاستادار والامير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج وأما من ولى الوزارة بمفردها سيما من أرباب
الاقلام فانما هو كاتب كبير يتردد ليلا ونهارا الى باب الاستادار ويتصرف بأمره ونهيه وحقيقة الوزارة اليوم

هـذا الجامع عمره الامير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش بشاطئ النيل فى أرض بستان الخشاب وعمر بجواره خانقاه فى جمادى الاولى سنة سبع وسبعمائة وكان من أحسن منتزهات مصر واعمرها وقد خرب ما حوله من الحوادث والمحن التى بعد سنة ست وثمانمائة بعدما كانت العمارة منه متصلة الى الجامع الجديد بمصر ومنه الى الجامع الخطيرى ببولاق وبركب الناس المراكب للفرجة من هذا الجامع الى الجامعين المذكورين مصعدين ومنحدرين فى النيل ويجتمع بهذا الجامع الناس للنزهة فتمر به أوقات ومسرات لا يمكن وصفها وقد خرب هذا الجامع وأقفر من المساكن وصار مخوفا بعد ما كان ملهى وملعبا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولطيبرس هذا المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الازهر من القاهرة

(الجامع الجديد الناصرى)

هذا الجامع بشاطئ النيل من ساحل مصر الجديد عمره القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وكان الشروع فيه يوم التاسع من المحرم سنة احدى عشرة وسبعمائة وانتهت عمارته فى ثامن صفر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وأقيم فى خطابته قاضى القضاة بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة الشافعى ورتب فى امامته الفقيه تاج الدين بن مرهف فأوّل ما صلى فيه صلاة الظهر من يوم الخميس ثامن صفر المذكور وأقيمت فيه الجمعة يوم الجمعة تاسع صفر وخطب عن قاضى القضاة بدر الدين ابنه جمال الدين ولهذا الجامع أربعة أبواب وفيه مائة وسبعة وثلاثون عمودا منها عشرة من صوّان فى غاية السمك والطول وجملة ذرعه أحد عشر ألف ذراع وخمسمائة ذراع بذراع العمل من ذلك طوله من قبليه الى بحريه مائة وعشرون ذراعا وعرضه من شرقيه الى غربيه مائة ذراع وفيه ستة عشر شباكا من حديد وهو يشرف من قبليه على بستان العالمة وينظر من بحريه بحر النيل وكان موضع هذا الجامع فى القديم غامرا بماء النيل ثم انحسر عنه النيل وصار رملة فى زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب يمرغ الناس فيها دوابهم أيام احتراق النيل فلما عمر الملك الصالح قلعة الروضة وحفر البحر طرح الرمل فى هذا الموضع فشرع الناس فى العمارة على الساحل وكان موضع هذا الجامع شونة وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر الساحل الجديد بمصر فانظره ومابرح هذا الجامع من أحسن منتزهات مصر الى أن خرب ما حوله وفيه الى الآن بقية وهو عامر *(محمد بن قلاون)* السلطان الملك الناصر أبو الفتح ناصر الدين بن الملك المنصور كان يلقب بجرفوش وأمه أشلون ابنة شنكاى ولد يوم السبت النصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل من ديار مصر وولى الملك ثلاث مرّات الاولى بعد مقتل أخيه الملك الاشرف خليل بن قلاون فى رابع عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة وعمره تسع سنين تنقص يوما واحدا فأقام فى الملك سنة الاثلاثة أيام وخلع بمملوك أبيه كتبغا المنصورى يوم الاربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة وأعيد الى المملكة ثانيا بعد قتل الملك المنصور لاجين يوم الاثنين سادس جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة فأقام عشر سنين وخمسة اشهر وستة عشر يوما وعزل نفسه وسار الى الكرك فولى الملك من بعده الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر فى يوم السبت ثالث عشرى شوّال سنة ثمان وسبعمائة ثم حضر من الكرك الى الشام وجمع العساكر فخامر على بيبرس معظم جيش مصر وانحل امره فترك الملك فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة وطلع الملك الناصر الى قلعة الجبل يوم عيد الفطر من السنة المذكورة واستولى على ممالك مصر والشام والحجاز فأقام فى الملك من غير منازع له فيه الى أن مات بقلعة الجبل فى ليلة الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وعمره سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام وله فى ولايته الثالثة مدّة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وعشرين يوما وجملة اقامته فى الملك عن المدد الثلاث ثلاث وأربعون سنة وثمانية اشهر وتسعة أيام ولما مات ترك ليلته ومن الغد حتى تم الامر لابنه أبى بكر المنصور فى يوم الخميس المذكور ثم أخذ فى جهازه فوضع فى محفة بعد العشاء الآخرة بساعة وحمل على بغلين وأنزل من القلعة الى الاصطبل السلطانى وسار به الامير ركن الدين بيبرس الاحمدى أمير جاندار والامير نجم الدين أيوب والى القاهرة والامير قطلوبغا الذهبى وعلم دار خوطا جار الدوادار وعبروا به الى القاهرة من باب النصر وقد غلقت الحوانيت كلها ومنع الناس من

الوقوف للنظر اليه وقدّام المحفة شمعة واحدة فى يد علدار فلما دخلوا به من باب النصر كان قدامه مسرجة فى يد شاب وشمعة واحدة وعبروا به المدرسة المنصورية بين القصرين ليدفن عند أبيه الملك المنصور قلاون وكان الامير علم الدين سنجر الجاولى ناظر المارستان قد جلس ومعه القضاة الاربعة وشيخ الشيوخ ركن الدين شيخ خانقاه سرياقوس والشيخ ركن الدين عمر ابن الشيخ ابراهيم الجعبرى فحطت المحفة وأخرج منها فوضع بجانب الفسقية التى بالقبة وأمر ابن أبى الطاهر مغسل الاموات بتغسيله فقال هذا ملك ولا أنفرد بتغسيله الا أن يقوم أحد منكم ويجرّده على الدكة فانى أخشى أن يقال كان معه فص أو خاتم أو فى عنقه خرزة فقام قطلوبغا الذهبى وعلدار وجرّداه مع الغاسل من ثيابه فكان على رأسه قبع أبيض من قطن ثيابه وعلى بدنه بغلطاق صدر أبيض وسراويل فنزعا وترك القميص عليه وغسل به ووجد فى رجله الموجوعة بخشان مفتوحان فغسل من فوق القميص وكفن فى نصفية وعملت له أخرى طرّاحة ومخدّة ووضع فى تابوت من خشب وصلى عليه قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة الشافعى بمن حضر وأنزل الى قبر أبيه فى محلية من خشب قد ربطت بحبل ونزل معه الى القبر الغاسل والامير سنجر الجاولى ودفع الى الغاسل ثلثمائة درهم فباع ما نابه من الثياب بثلاثة عشر درهما سوى القبع فانه فقد وذكر الغاسل انه كان محنكا بخرقة معقدة بثلاث عقد فسبحان من لا يحول ولا يزول هذا ملك اعظم المعمور من الارض مات غريبا وغسل طريحا ودفن وحيدا ان فى ذلك لعبرة لاولى الالباب *

(وفى ليلة السبت) قرأ القرّاء عند القبر بالقبة القرآن وحضر بعض الامراء وترك من الاولاد اثنى عشر ولدا ذكرا وهم أحمد وهو أسنهم وكان بالكرك وأبو بكر وتسلطن من بعده وشقيقه رمضان ويوسف واسماعيل وتسلطن أيضا وشعبان وتسلطن وحسين وكجك وتسلطن وأمير حاج وحسن وبدعى تمارى وتسلطن وصالح وتسلطن ومحمد وترك من البنات ثمانيا متزوجات سوى من خلف من الصغار وخلف من الزوجات جاريته طغاى وابنة الامير تنكز نائب الشام ومات وليس له نائب بديار مصر ولا وزير ولا حاجب متصرّف سوى أن برسبغا الحاجب تحكم فى متعلقات أمور الاقطاعات وليس معه عصا الحجوبية وبدر الدين بكتاش نقيب الجيوش وأقبغا عبد الواحد أستادار السلطان ومقدم المماليك وبيبرس الاحمدى أمير جاندار ونجم الدين أيوب والى القاهرة وجمال الدين جمال الكفاة ناظر الجيوش والموفق ناظر الدولة وصارم الدين أزبك شاد الدواوين وعز الدين عبد العزيز بن جماعة قاضى القضاة بديار مصر ونائب دمشق الامير ألطنبغا ونائب الامير ٢
طشتمر حمص أخضر ونائب طرابلس الحاج ارقطاى ونائب صفد الامير أصلم ونائب غزة الامير اق سنقر السلارى وصاحب حماه الملك الافضل ناصر الدين محمد بن المؤيد اسماعيل والامراء مقدموا الالوف بديار مصر يوم وفاته خمسة وعشرون أميرا وهم بدر الدين جنكلى بن البابا والحاج آل ملك وبيبرس الاحمدى وعلم الدين سنجر الجاولى وسيف الدين كوكاى ونجم الدين محمود وزير بغداد هؤلاء مرّ اتية كبار والباقى مماليكه وخواصه وهم ولده الامير أبو بكر والامير قوصون والامير بشتاك وطقزدمر وأقبغا عبد الواحد الاستادار وايدغمش أمير اخور وقطلوبغا الفخرى ويلبغا اليحياوى وملكتمر الحجازى وألطنبغا المارداني وبهادر الناصرى واق سنقر الناصرى وقمارى الكبير وقمارى أمير شكار وطرغاى وأرنبغا أمير جاندار وبرسبغا الحاجب وبلدغى ابن العجوز أمير سلاح وبيغرا * وكان السلطان أبيض اللون قد وخطه الشيب وفى عينيه حول وبرجله اليمنى ريح شوكة تنغص عليه أحيانا وتؤلمه وكان لا يكاد يمس بها الارض ولا يمشى الا متكئا على أحد أو متوكئا على شئ ولا يصل الى الارض الا أطراف أصابعه وكان شديد البأس جيد الرأى يتولى الامور بنفسه ويجود لخواصه وكان مهابا عند أهل مملكته بحيث ان الامراء اذا كانوا عنده بالخدمة لا يجسر أحد أن يكلم آخر كلمة واحدة ولا يلتفت بعضهم الى بعض خوفا منه ولا يمكن واحدا منهم أن يذهب الى بيت أحد البتة لا فى وليمة ولا غيرها فان فعل أحد منهم شيأ من ذلك قبض عليه وأخرجه من يومه منفيا وكان مستبدا عارفا بأمور رعيته وأحوال مملكته وأبطل نيابة السلطنة من ديار مصر من سنة سبع وعشرين وسبعمائة وأبطل الوزارة وصار يتحدث بنفسه فى الجليل من الامور والحقير ويستجلب خاطر كل أحد من صغير وكبير لاسيما حواشيه فلذلك عظمت حاشية المملكة وأتباع السلطنة وتخولوا فى النعم الجزيلة حتى الخولة والكلابزية والاسرى من الارمن والفرنج وأعطى البازدارية الاخباز فى الحلقة فمنهم من كان اقطاعه الالف دينار فى السنة وزوّج عدة منهم بجواريه وأفنى

خلقا كثيرا من الامراء بلغ عددهم نحو المائتي أمير وكان اذا كبر أحد من أمرائه قبض عليه وسلبه نعمته وأقام بدله صغيرا من مماليكه الى أن يكبر فيمسكه ويقيم غيره ليأمن بذلك شرهم وكان كثير التخيل حازما حتى انه اذا تخيل من ابنه قتله وفي آخر أيامه شره في جمع المال فصادر كثيرا من الدواوين والولاة وغيرهم ورمى البضائع على التجار حتى خاف كل من له مال وكان مخادعا كثير الحيل لا يقف عند قول ولا يوف بعهد ولا يبرّ في يمين وكان محبا للعمارة عمر عدّة أماكن منها جامع قلعة الجبل وهدمه مرّتين وعمر القصر الابلق بالقلعة ومعظم الاماكن التي بالقلعة وعمر المجرى الذي ينقل الماء عليه من بحر النيل الى القلعة على السور وعمر الميدان تحت القلعة ومناظر الميدان على النيل وعمر قناطر السباع على الخليج ومناظر سرياقوس والخانقاه بسرياقوس وحفر الخليج الناصري بظاهر القاهرة وعمر الجامع الجديد على شاطئ النيل بظاهر مصر وجدّد جامع الفيلة الذي بالرصد والمدرسة الناصرية بين القصرين من القاهرة وغير ذلك مما يرد في موضعه من هذا الكتاب ومازال يعمر منذ عاد الى ولاية الملك في المرّة الثالثة الى أن مات وبلغ مصروف العمارة في كل يوم من أيامه سبعة آلاف درهم فضة عنها ثلثمائة وخمسون دينارا سوى من يسخره من المقيدين وغيرهم في عمل ما يعمره وحفر عدّة من الخلجانات والترع وأقام الجسور بالبلاد حتى انه كان ينصرف من الاخباز على ذلك ربع متحصل الاقطاعات وحفر خليج الاسكندرية وبحر المحلة مرّتين وبحر اللبيني بالجيزة وعمل جسر شيبين وعمل جسر احباس بالشرقية والقليوبية مدّة ثلاث سنين متوالية فلم ينجع فأنشأه بنيانا بالطوب والجير وأنفق فيه أموالا عظيمة وراك ديار مصر وبلاد الشام وعرض الجيش بعد حضوره في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وقطع ثمانمائة من الجند ثم قطع في مرّة أخرى ثلاثة وأربعين جنديا في سنة احدى وأربعين وسبعمائة ثم قطع خمسة وستين أيضا في رمضان سنة احدى وأربعين وسبعمائة قبل وفاته بشهرين وفتح من البلاد جزيرة ارواد في سنة اثنتين وسبعمائة وفتح ملطية في سنة خمس عشرة وسبعمائة وفتح أناس في ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وخربها ثم عمرها الارمن فأرسل اليها جيشا فأخذها ومعها عدّة بلاد من بلاد الارمن في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأقام بها نائبا من أمراء حلب وعمر قلعة جعبر بعد أن دثرت وضربت السكة باسمه في شوّال سنة احدى وأربعين وسبعمائة قبل موته تولى ذلك الشيخ حسن بن حسين بحضور الامير شهاب الدين أحمد قريب السلطان وقد توجه من مصر بهذا السبب وخطب له أيضا في أرتنا ببلاد الروم وضربت السكة باسمه وكذلك بلاد ابن قرمان وجبال الاكراد وكثير من بلاد الشرق وكان من الذكاء المفرط على جانب عظيم يعرف مماليك أبيه ومماليك الامراء بأسمائهم ووقائعهم وله معرفة تامّة بالخيل وقيمها مع الحشمة والسيادة لم يعرف عنه قط انه شتم أحدا من خلق الله ولا سفه عليه ولا كلمه بكلمة سيئة وكان يدعو الامراء أرباب الاشغال بألقابهم وكانت همته علية وسياسته جيدة وحرمته عظيمة الى الغاية ومعرفته بمهادنة الملوك لا مرمى وراءها يبذل في ذلك من الاموال مالا يوصف كثرة فكان كتابه ينفذ أمره في سائر أقطار الارض كلها وهو مع ما ذكرنا مؤيد في كل أموره مظفر في جميع أحواله مسعود في سائر حركاته ما عانده أحد او أضمر له سوأ الا وندم على ذلك او هلك واشتهر في حياته بديار مصر انه ان وقعت قطرة من دمه على الارض لا يطلع نيل مصر مدّة سبع سنين فمتعه الله من الدنيا بالسعادة العظيمة في المدّة الطويلة مع كثرة الطمأنينة والامن وسعة الاموال واقتنى كل حسن ومستحسن من الخيل والغلمان والجواري وساعده الوقت في كل ما يحب ويختار الى أن أتاه الموت

الجامع بالمشهد النفيسي *

قال ابن المتوج هذا الجامع أمر بأنشائه الملك الناصر محمد بن قلاون فعمر في شهور سنة أربع عشرة وسبعمائة وولي خطابته علاء الدين محمد بن نصر الله بن الجوهري شاهد الخزانة السلطانية وأوّل خطبته فيه يوم الجمعة ثامن صفر من السنة المذكورة وحضر أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان وولده وابن عمه والامير كهرداش متولي شدّ العمائر السلطانية وعمارة هذا الجامع ورواقاته والفسقية المستجدّة وقيل ان جميع المصروف على هذا الجامع من حاصل المشهد النفيسي وما يدخل اليه من النذور ومن الفتوح

* (جامع الامير حسين) *

هذا الجامع كان موضعه بستانا بجوار غيط العدة أنشأه الامير حسين بن أبى بكر بن اسماعيل بن حيدر بك مشرف الرومى قدم مع أبيه من بلاد الروم الى ديار مصر فى سنة خمس وسبعين وستمائة وتخصص بالامير حسام الدين لاجين المنصورى قبل سلطنته فكانت له منه مكانة مكينة وصار أمير شكار وكان فيه بر وله صدقة وعنده تفقد لاصحابه وأنشأ أيضا القنطرة المعروفة بقنطرة الامير حسين على خليج القاهرة وفتح الخوخة فى سور القاهرة بجوار الوزيرية وجرى عليه من أجل فتحها ماقد ذكر عند ذكرها فى الخوخ من هذا الكتاب وتوفى فى سابع المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة ودفن بهذا الجامع

(جامع الماس)

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة بناه الامير سيف الدين الماس الحاجب وكمل فى سنة ثلاثين وسبعمائة وكان الماس هذا أحد مماليك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فرقاه الى أن صار من أكبر الامراء ولما أخرج الامير أرغون الى نيابة حلب وبقى منصب النيابة شاغرا عظمت منزلة الماس وصار فى منزلة النيابة الا انه لم يسم بالنائب ويركب الامراء الاكابر والاصاغر فى خدمته ويجلس فى باب القلة من قلعة الجبل فى منزلة النائب والحجاب وقوف بين يديه ومابرح على ذلك حتى توجه السلطان الى الحجاز فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فتركه فى القلعة هو والامير جمال الدين أقوش نائب الكرك والامير أقبغا عبد الواحد والامير طشتمر حمص اخضر هؤلاء الاربعة لاغير وبقية الامراء امامعه فى الحجاز واما فى اقطاعاتهم وأمرهم أن لا يدخلوا القاهرة حتى يحضر من الحجاز فلما قدم من الحجاز نقم عليه وأمسكه فى صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكان لغضب السلطان عليه أسباب منها انه لما أقام فى غيبة السلطان بالقلعة كان يراسل الامير جمال الدين أقوش نائب الكرك ويواده وبدت منه فى مدة الغيبة أمور فاحشة من معاشرة الشباب ومن كلام فى حق السلطان فوشى به أقبغا وكان مع ذلك قد كثر ماله وزادت سعادته فهوى شابا من أبناء الحسينية يعرف بعمير وكان ينزل اليه ويجمع الاوباشية ويحضر الشباب ويشرب فحرك ذلك عليه ماكان ساكنا ويقال ان السلطان لما مات الامير بكتمر الساقى وجد فى تركته جزدان فيه جواب الماس الى بكتمر الساقى انى حافظ القلعة الى أن يرد على منك ما أعتمده فلما وقف السلطان على ذلك أمر النشو بن هلال الدولة وشاهد الخزانة بايقاع الحوطة على موجوده فوجد له ستمائة ألف درهم فضة ومائة ألف درهم فلوسا وأربعة آلاف دينار ذهبا وثلاثين حياصة ذهبا كاملة بكلفتاتها وخلعها وجواهر وتحفا وأقام الماس عند أقبغا عبد الواحد ثلاثة أيام وقتل خنقا بمحبسه فى الثانى عشر من صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وحمل من القلعة الى جامعه فدفن به وأخذ جميع ما كان فى داره من الرخام فقلع منها وكان رخاما فاخرا الى الغاية وكان اسمر طوالا أعتميا لايفهم شيأ بالعربى ساذجا يجلس فى بيته فوق لباد على ما اعتاده وبهذا الجامع رخام كثير نقله من جزائر البحر وبلاد الشام والروم

(جامع قوصون)

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ابتدأ عمارته الامير قوصون فى سنة ثلاثين وسبعمائة وكان موضعه دارا بجوار حارة المصامدة من جانبها الغربى تعرف بدار أقوش نميله ثم عرفت بدار الامير جمال الدين قتال السبع الموصلى فأخذها من ولده وهدمها وتولى بناءه شاد العمائر واستعمل فيه الاسرى وكان قد حضر من بلاد توريز بناء فبنى مئذنتى هذا الجامع على مثال المئذنة التى عملها خواجا على شاه وزير السلطان أبى سعيد فى جامعه بمدينة توريز وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثلاثين وسبعمائة وخطب يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى بحضور السلطان ولما انقضت صلاة الجمعة أركبه الملك الناصر بغلة بخلعة سنية ثم منعه السلطان الملك الناصر أن يستقر فى خطابته فولى فخر الدين شكر * (قوصون) الامير الكبير سيف الدين حضر من بلاد بركة الى مصر صحبة خوند ابنة ازبك امرأة الملك الناصر محمد بن قلاون فى ثالث عشرى ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة ومعه قليل عصى وطسما ونحو ذلك مما قيمته خمسمائة درهم ليتجر فيه فطاف بذلك فى أسواق القاهرة وتحت القلعة وفى داخل قلعة الجبل فاتفق فى بعض الايام انه دخل الى الاصطبل السلطانى ليبيع مامعه فأحبه بعض الاوشاقية وكان صبيا جميلا طويلا له من العمر ما يقارب

الثمانى عشرة سنة فصار يتردد الى الاوشاقى الى أن رآه السلطان فوقع منه بموقع فسأل عنه فعرّف بأنه يحضر ليبيع مامعه وان بعض الاوشاقية تولع به فأمر باحضاره اليه وابتاع منه نفسه ليصير من جملة المماليك السلطانية فنزله من جملة السقاة وشغف به وأحبه حبا كثيرا فأسلمه للامير بكتمر الساقى وجعله أمير عشرة ثم أعطاه امرة طبلخاناه ثم جعله أمير مائة مقدم ألف ورقاه حتى بلغه أعلى المراتب فأرسل الى البلاد وأحضر اخوته سوسون وغيره من أقاربه وامرا الجميع واختص به السلطان بحيث لم ينل أحد عنده ما ناله وزوجه بابنته وتزوج السلطان أخته فلما احتضر السلطان جعله وصيا على أولاده وعهد لابنه أبى بكر فأقيم فى الملك من بعده وأخذ قوصون فى أسباب السلطنة وخلع أبابكر المنصور بعد شهرين وأخرجه الى مدينة قوص بلاد الصعيد ثم قتله وأقام كجك ابن السلطان وله من العمر خمس سنين ولقبه بالملك الاشرف وتقلد نيابة السلطنة بديار مصر فأمّر من حاشيته وأقاربه ستين أميرا وأكثر من العطاء وبذل الاموال والانعام فصار أمر الدولة كله بيده هذا وأحمد ابن السلطان الملك الناصر مقيم بمدينة الكرك فخافه قوصون وأخذ فى التدبير عليه فلم يتم له ما أراد من ذلك وحرك على نفسه ما كان ساكنا فطلب أحمد الملك لنفسه وكاتب الامراء والنوّاب بالمملكة الشامية والمصرية فأذعنوا اليه وكان بمصر من الامراء الامير أيدغمش والامير آل ملك وقارى والماردانى وغيرهم فتخيل قوصون منهم وأخذ فى أسباب القبض عليهم فعلموا بذلك وخافوا الفوت فركبوا لحربه وحصروه بقلعة الجبل حتى قبضوا عليه فى ليلة الاربعاء آخر شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ونهبت داره وسائر دور حواشيه وأسبابه وحمل الى الاسكندرية صحبة الامير قبلاى فقتل بها وكان كريما يفرّق فى كل سنة للاضحية ألف رأس غنما وثلثمائة بقرة ويفرّق ثلاثين حياصة ذهبا ويفرّق كل سنة عدة أملاك فيها ما يبلغ ثمنه ثلاثين ألف درهم وله من الآثار بديار مصر سوى هذا الجامع الخانقاه بباب القرافة والجامع تجاهها وداره التى بالرميلة تحت القلعة تجاه باب السلسلة وحكر قوصون

(جامع الماردانى)

هذا الجامع بجوار خط التبانة خارج باب زويلة كان مكانه أولا مقابر أهل القاهرة ثم عمر أماكن فلما كان فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة أخذت الاماكن من أربابها وتولى شراءها النشو فلم ينصف فى أثمانها وهدمت وبنى مكانها هذا الجامع فبلغ مصروفه زيادة على ثلثمائة ألف درهم عنها نحو خمسة عشر ألف دينار سوى ما حمل اليه من الاخشاب والرخام وغيره من جهة السلطنة وأخذ ما كان فى جامع راشدة من العمد فعملت فيه وجاء من أحسن الجوامع وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة رابع عشرى رمضان سنة أربعين وسبعمائة وخطب فيه الشيخ ركن الدين عمر بن ابراهيم الجعبرى ولم يتناول معلوما *(ألطنبغا الماردانى الساقى) أمّره الملك الناصر محمد بن قلاون وقدمه وزوجه ابنته فلما مات السلطان وتولى بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر ذكر أنه وشى بأمره الى الامير قوصون وقال قد عزم على امساكك فتخيل قوصون وخلع أبا بكر وقتله بقوص هذا مع أن ألطنبغا كان قد عظم عند المنصور أكثر مما كان عند أبيه فلما أقيم الاشرف كجك وماج الناس وحضر الامير قطلوبغا من الشام وشغب الامراء على قوصون كان ألطنبغا أصل ذلك كله ثم نزل الى الامير أيدغمش أمير اخور واتفق معه على ان يقبض على قوصون وطلع الى قوصون وشاغله وخذله عن الحركة طول الليل والامراء الكبار المشايخ عنده ومازال يسامره حتى نام وكان من قيام الامراء وركوبهم عليه ما كان الى أن أمسك وأخرج الى الاسكندرية ولما قدم ألطنبغا نائب الشام وأقام تقدم الماردانى وقبض على سيفه ولم يجسر غيره على ذلك فقويت بهذه الحركات نفسه وصار يقف فوق التمرتاشى وهو اغاته فشق ذلك عليه وكتم فى نفسه الى أن ملك الصالح اسماعيل فتمكن حينئذ التمرتاشى وصار الامراء وعمل على الماردانى فلم يشعر بنفسه الا وقد أخرج على خمسة أرؤس من خيل البريد الى نيابة حماه فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين فسار اليها وبقى فيها نحو شهرين الى أن مات ايدغمش نائب الشام ونقل طقزدمر من نيابة حلب الى نيابة دمشق فنقل الماردانى من نيابة حماه الى نيابة حلب وسار اليها فى أول رجب من السنة المذكورة وجاء الامير يلبغا اليحياوى الى نيابة حماه فأقام الماردانى يسيرا فى حلب ومرض ومات مستهل صفر سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان شابا طويلا رقيقا حلو الصورة لطيفا معشق الخطرة كريما صائب الحدس عاقلا

•(جامع أصلم)•

هذا الجامع داخل الباب المحروق أنشأه الامير بهاء الدين أصلم السلاحدار فى سنة ست وأربعين وسبعمائة •(أصلم) أحد مماليك الملك المنصور قلاون الالفى فلما فرقت المماليك السلطانية فى نيابة كتبغا بعد قتل الملك الاشرف خليل بن قلاون وسلطنة الناصر محمد بن قلاون كان أصلم من نصيب الامير سيف الدين اقوش المنصورى ثم انتقل الى الامير سلار فلما حضر الملك الناصر محمد من الكرك بعد سلطنة بيبرس الجاشنكير خرج اليه أصلم بعصا الملك وبشره بهروب بيبرس فأنعم عليه بامرة عشرة ثم تنقل الى أن صار أمير مائة مقدم ألف وخرج فى التجريدة الى اليمن فلما عاد اعتقله السلطان خمس سنين لكلام نقل عنه ثم أخرجه واعاده الى منزلته ثم جهزه لنيابة صفد ومات الناصر وأصلم بصفد فخرج الامير قوصون مع الطنبغا نائب الشام الى حلب لامساك طشتمر فسار الى قارى ثم رجع وانضم الى الفخرى وأقام عنده على خان لاجين وتوجه معه صحبة عساكر الشام الى مصر فرسم له الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاون بامرة مائة فى مصر على عادته وكان أحد المشايخ ويجلس رأس الحلقة ويجيد رمى النشاب مع سلامة صدر وخير الى أن مات فى يوم السبت عاشر شعبان سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأنشأ بجوار هذا الجامع دار اسنية وحوض ماء للسبيل وبهذا الجامع درس وله اوقاف وهو من أحسن الجوامع

•(جامع بشتاك)•

هذا الجامع خارج القاهرة بخط قبو الكرمانى على بركة الفيل عمره الامير بشتاك فكمل فى شعبان سنة ست وثلاثين وسبعمائة وخطب فيه تاج الدين عبد الرحيم بن قاضى القضاة جلال الدين القزوينى فى يوم الجمعة سابع عشره وعمر تجاهه خانقاه على الخليج الكبير ونصب بينهما ساباطا يتوصل به من أحدهما الى الآخر وكان هذا الخط يسكنه جماعة من الفرنج والاقباط ويرتكبون من القبائح ما يليق بهم فلما عمر هذا الجامع وأعلن فيه بالاذان واقامة الصلوات اشمأزت قلوبهم لذلك وتحولوا من هذا الخط وهو من ابهج الجوامع وأحسنها رخاما وانزهها وادركناه اذا قويت زيادة ماء النيل فاضت بركة الفيل وغرقته فيصير لجة ماء لكن منذ انحسر ماء النيل عن البلد الى جهة الغرب بطل ذلك وله من الآثار سوى ذلك قصر بشتاك بين القصرين وقد تقدم ذكره

•(جامع اق سنقر)•

هذا الجامع بسويقة السباعين على البركة الناصرية عمره الامير اق سنقر شاد العمائر السلطانية واليه تنسب قنطرة اق سنقر التى على الخليج الكبير بخط قبو الكرمانى قبالة الحبانية وأنشأ أيضا دارا جليلة وحمامين بخط البركة الناصرية وكان من جملة الاوشاقية فى أول أيام الملك الناصر محمد بن قلاون ثم عمله أمير اخور ونقله منها فجعله شاد العمائر السلطانية وأقام فيها مدة فأثرى ثراء كبيرا وعمر ما ذكر وجعل على الجامع عدة أوقاف فعزل وصودر وأخرج من مصر الى حلب ثم نقل منها الى دمشق فمات بها فى سنة أربعين وسبعمائة

•(جامع اق سنقر)•

هذا الجامع قريب من قلعة الجبل فيما بين باب الوزير والتبانة كان موضعه فى القديم مقابر أهل القاهرة وأنشأه الامير اق سنقر الناصرى وبناه بالحجر وجعل سقوفه عقودا من حجارة ورخمه واهتم فى بنائه اهتماما زائدا حتى كان يقعد على عمارته بنفسه ويشيل التراب مع الفعلة بيده ويتأخر عن غدائه اشتغالا بذلك وأنشأ بجانبه مكتبا لاقراء ايتام المسلمين القرآن وحانوتا لسقى الناس الماء العذب ووجد عند حفر أساس هذا الجامع كثيرا من الاموات وجعل عليه ضيعة من قرى حلب تغل فى السنة مائة وخمسين ألف درهم فضة عنها نحو سبعة آلاف دينار وقرر فيه درسا فيه عدة من الفقهاء وولى الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان الشافعى خطابته وأقام له سائر ما يحتاج اليه من أرباب الوظائف وبنى بجواره مكانا ليدفن فيه ونقل اليه ابنه فدفنه هنالك وهذا الجامع من أجل جوامع مصر الا انه لما حدثت الفتن ببلاد الشام وخرجت النواب عن طاعة سلطان مصر منذ مات الملك الظاهر برقوق امتنع حضور مغل وقف هذا الجامع لكونه فى بلاد حلب فتعطل الجامع من أرباب وظائفه الا الاذان والصلاة واقامة الخطبة فى الجمع والاعياد ولما كانت سنة خمس عشرة وثمانمائة أنشا

في وسطه الامير طوغان الدوادار بركة ماء وسقفها ونصب عليها عمدا من رخام لحمل السقف أخذها من جامع الخندق فهدم الجامع بالخندق من أجل ذلك وصار الماء ينقل الى هذه البركة من ساقية الجامع التي كانت للميضأة فلما قبض الملك المؤيد شيخ الظاهرى على طوغان في يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى سنة ست عشرة وثمانمائة وأخرجه الى الاسكندرية واعتقله بها أخذ مخصص الثور الذى كان يدير الساقية فان طوغان كان أخذه منه بغير ثمن كما هى عادة أمرائنا فبطل الماء من البركة * (اق سنقر) السلارى الامير شمس الدين أحد مماليك السلطان الملك المنصور قلاون ولما فرقت المماليك في نيابة كتبغا على الامراء صار الامير اق سنقر الى الامير سلار فقيل له السلارى لذلك ولما عاد الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك اختص به ورقاه في الخدم حتى صار أحد الامراء المقدمين وزوجه بابنته وأخرجه لنيابة صفد فباشرها بعفة الى الغاية ثم نقله من نيابة صفد الى نيابة غزة فلما مات الناصر وأقيم من بعده ابنه الملك المنصور ابو بكر وخلع بالاشرف كجك وجاء الفخرى لحصار الكرك قام اق سنقر بنصرة أحمد ابن السلطان في الباطن وتوجه الفخرى الى دمشق لما توجه الطنبغا الى حلب ليطرد طشتمر نائب حلب فاجتمع به وقوى عزمه وقال له توجه أنت الى دمشق واملكها وأنا أحفظ لك غزة وقام في هذه الواقعة قياما عظيما وأمسك الدروب فلم يحضر أحد من الشام أو مصر من البريد وغيره الا وقبض عليه وحمل الى الكرك وحلف الناس للناصر أحمد وقام بأمره ظاهرا وباطنا ثم جاء الى الفخرى وهو على خان لاجين وقوى عزمه وعضده ومازال عنده بدمشق الى أن جاء الطنبغا من حلب والتقوا وهرب الطنبغا فاتبعه اق سنقر الى غزة وأقام بها ووصلت العساكر الشامية الى مصر فلما أمسك الناصر أحمد طشتمر النائب وتوجه به الى الكرك أعطى نيابة ديار مصر لاق سنقر فباشر النيابة وأحمد في الكرك الى أن ملك الملك الصالح اسماعيل بن محمد فأقره على النيابة وسار فيها سيرة مشكورة فكان لا يمنع أحدا شيأ طلبه كائنا من كان ولا يرد سائلا يسأل ولو كان ذلك غير ممكن فارتزق الناس في أيامه واتسعت أحوالهم وتقدم من كان متأخرا حتى كان الناس يطلبون مالا حاجة لهم به ثم ان الصالح أمسكه هو وبيغرا أمير جاندار وأولاجا الحاجب وقراجا الحاجب من أجل أنهم نسبوا الى الممالأة والمداجاة مع الناصر أحمد وذلك يوم الخميس رابع المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان ذلك آخر العهد به واستقر بعده في النيابة الحاج آل ملك ثم أفرج عن بيغرا وأولاجا وقراجا في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة

(جامع آل ملك)

هذا الجامع في الحسينية خارج باب النصر أنشأه الامير سيف الدين الحاج آل ملك وكمل واقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة تاسع جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وهو من الجوامع المليحة وكانت خطته عامرة بالمساكن وقد خربت * (آل ملك) الامير سيف الدين اصله مما أخذ في أيام الملك الظاهر من كسب الابلستين لما دخل الى بلاد الروم في سنة ست وسبعين وستمائة وصار الى الامير سيف الدين قلاون وهو أمير قبل سلطنته فأعطاه لابنه الامير على ومازال يترقى في الخدم الى أن صار من كبار الامراء المشايخ رؤس المشورة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون وكان لما خلع الناصر وتسلطن بيبرس يتردد بينهما من مصر الى الكرك فأعجب الناصر عقله وتأنيه وسيرمن الكرك يقول للمظفر لا يعود يجيء الى رسولا غير هذا فلما قدم الناصر الى مصر عظمه ولم يزل كبيرا موقرا محملا فلما ولى الناصر أحمد السلطنة اخرجه الى نيابة حماة فأقام بها الى أن تولى الصالح اسماعيل فأقدمه الى مصر وأقام بها على حاله الى أن أمسك الامير اق سنقر السلارى نائب السلطنة بديار مصر فولاه النيابة مكانه فشدد في الخمر الى الغاية وتحدث شاربها وهدم خزانة البنود وأراق خمورها وبنى بها مسجدا وحكرها للناس فسكنت الى اليوم كما تقدم ذكره وأمسك الزمام زمانا وكان يجلس للحكم في الشباك بدار النيابة من قلعة الجبل طول نهاره لا يمل ذلك ولا يسأم وتروح أرباب الوظائف ولا يبقى عنده الا النقباء البطالة وكان له في قلوب الناس مهابة وحرمة الى أن تولى الكامل شعبان فأخرجه أول سلطنته الى دمشق نائبا بها عوضا عن الامير طقزدمر فلما كان في أول الطريق حضر اليه من أخذه وتوجه به الى صفد نائبا بها فدخلها آخر ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وسبعمائة ثم سأل الحضور الى مصر فرسم له بذلك فلما توجه ووصل الى غزة امسكه نائبها ووجهه الى الاسكندرية في سنة سبع وأربعين فخنق بها وكان

حبرا

خيرا فيه دين وعبادة يميل الى أهل الخير والصلاح وتعتقد بركته وخرج له أحمد بن ايبك الدمياطي مشيخة وحدث بها وقرئت عليه مرات وهو جالس في شباك النيابة بقلعة الجبل وعمر هذا الجامع ودارا مليحة عند المشهد الحسيني من القاهرة ومدرسة بالقرب منها وكان بركة من أحسن ما يكون وخيله مشهورة موصوفة وكان يقول كل أمير لا يقوم رمحه ويسكب الذهب الى أن يساوي السنان ما هو أمير رحمة الله عليه

(جامع الفخر)

في ثلاثة مواضع في بولاق خارج القاهرة وفي الروضة تجاه مدينة مصر وفي جزيرة الفيل على النيل ما بين بولاق ومنية السيرج * أما جامع الفخر بناحية بولاق فانه موجود تقام فيه الجمعة الى اليوم وكان أولا عند ابتداء بنائه يعرف موضعه بخط خص الكيالة وهو مكان كان يؤخذ فيه مكس الغلال المبتاعة وقد ذكر ذلك عند ذكر أقسام مال مصر من هذا الكتاب * وجامع الروضة باق تقام فيه الجمعة * وأما الجامع بجزيرة الفيل فانه كان باقيا الى نحو سنة تسعين وسبعمائة وصليت فيه الجمعة غير مرة ثم خرب وموضعه باق بجوار دار تشرف على النيل تعرف بدار الامير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة قريبا من الدار الحجازية (والفخر) هذا هو محمد بن فضل الله القاضي فخر الدين ناظر الجيش المعروف بالفخر كان في نصرانيته متألها ثم اكره على الاسلام فامتنع وهم بقتل نفسه وتغيب أياما ثم أسلم وحسن اسلامه وأبعد النصارى ولم يقرب أحدا منهم وحج غير مرة وتصدق في آخر عمره مدة في كل شهر بثلاثة آلاف درهم نقرة وبنى عدة مساجد بديار مصر وأنشاء عدة احواض ماء للسبيل في الطرقات وبنى مارستانا بمدينة الرملة ومارستانا بمدينة بلبيس وفعل انواعا من الخير وكان حنفي المذهب وزار القدس عدة مرار وأحرم مرة من القدس بالحج وسار الى مكة محرما وكان اذا خدمه أحد مرة واحدة صار صاحبه طول عمره وكان كثير الاحسان لا يزال في قضاء حوائج الناس مع عصبية شديدة لاصحابه وانتفع به خلق كثير لوجاهته عند السلطان واقدامه عليه بحيث لم يكن لاحد من امراء الدولة عند الملك الناصر محمد بن قلاون ماله من الاقدام ولقد قال السلطان مرة لجندي طلب منه اقطاعا لا تطوّل والله لو أنك ابن قلاون ما أعطاك القاضي فخر الدين خبزا يغل اكثر من ثلاثة آلاف درهم وقال له السلطان في يوم من الايام وهو بدار العدل يا فخر الدين تلك القضية طلعت فاشوش فقال له ما قلت لك انها عجوز نحس يريد بذلك بنت كوكاي امرأة السلطان عند ما ادّعت انها حبلى وله من الاخبار كثير وكان أولا كاتب المماليك السلطانية ثم صار من كتابة المماليك الى وظيفة نظر الجيش ونال من الوجاهة ما لم ينله غيره في زمانه وكان الامير أرغون نائب السلطنة بديار مصر يكرهه واذا جلس للحكم يعرض عنه ويدير كتفه الى وجه الفخر فعمل عليه الفخر حتى سار للحج فقال للسلطان يا خوند ما يقتل الملوك الا النوّاب بيدرا قتل اخاك الملك الاشرف ولاجين قتل بسبب نائبه منكوتمر وخيل للسلطان الى أن أمر بمسير الامير أرغون من طريق الحجاز الى نيابة حلب وحسن للسلطان أن لا يستوزر أحدا بعد الامير الجمالي فلم يول أحدا بعده الوزارة وصارت المملكة كلها من احوال الجيوش وامور الاموال وغيرها متعلقة بالفخر الى أن غضب عليه السلطان ونكبه وصادره على اربعمائة ألف درهم نقرة وولى وظيفة نظر الشيخ قطب الدين موسى بن شيخ السلامية ثم رضي عن الفخر وأمر باعادة ما أخذ منه من المال اليه وهو أربعمائة ألف درهم نقرة فامتنع وقال أنا اخرجت عنها للسلطان فليبن بها جامعا وبنى بها الجامع الناصري المعروف الآن بالجامع الجديد خارج مدينة مصر بموردة الحلفاء وزار مرة القدس وعبر كنيسة قمامة فسمع وهو يقول عند ما رأى الضوء ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وباشر آخر عمره بغير معلوم وكان لا يأخذ من ديوان السلطان معلوما سوى كماجة ويقول اتبرك بها ولما مات في رابع عشر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وله من العمر ما ينيف على سبعين سنة وترك موجودا عظيما الى الغاية قال السلطان لعنه الله خمس عشرة سنة ما يدعني أعمل ما اريد وأوصى للسلطان بمبلغ اربعمائة ألف درهم نقرة فأخذ من تركته اكثر من ألف ألف درهم نقرة ومن حين مات الفخر كثر تسلط السلطان الملك الناصر وأخذه اموال الناس والى الفخر تنسب قنطرة الفخر التي على فم الخليج الناصري المجاور لميدان السلطان بموردة الجبس وقنطرة الفخر التي على الخليج المجاور للخليج الناصري وأدركت ولده فقيرا يتكفف الناس بعد مال لا يحد كثرة

(جامع نائب الكرك)

هذا الجامع بظاهر الحسينية مما يلي الخليج كان عامرا وعمر ما حوله عمارة كبيرة ثم خرب بخراب ما حوله من عهد الحوادث في سنة ست وثمانمائة عمره الامير جمال الدين اقوش المعروف بنائب الكرك وقد تقدم ذكره عند ذكر الدور من هذا الكتاب

(جامع الخطيري ببولاق)

هذا الجامع موضعه الآن بناحية بولاق خارج القاهرة كان موضعه قديما مغمورا بماء النيل الى نحو سنة سبعمائة فلما انحسر ماء النيل عن ساحل المقس صار ماقدام المقس رمالا لا يعلوها ماء النيل الا أيام الزيادة ثم صارت بحيث لا يعلوها الماء البتة فزرع موضع هذا الجامع بعد سنة سبعمائة وصار منتزها يجتمع عنده الناس ثم بنى هناك شرف الدين بن زنبور ساقية وعمر بجوارها رجل يعرف بالحاج محمد بن عز الفراش دارا تشرف على النيل وتردد اليها فلما مات أخذها شخص يقال له تاج الدين بن الازرق ناظر الجهات وسكنها فعرفت بدار الفاسقين لكثرة ما يجرى فيها من انواع المحرمات فاتفق أن النشو ناظر الخاص قبض على ابن الازرق وصادره فباع هذه الدار في جملة ماباعه من موجوده فاشتراها منه الامير عز الدين ايدمر الخطيري وهدمها وبنى مكانها هذا الجامع وسماه جامع التوبة وبالغ في عمارته وتأنق في رخامه فجاء من اجل جوامع مصر وأحسنها وعمل له منبرا من رخام في غاية الحسن وركب فيه عدة شبابيك من حديد تشرف على النيل الاعظم وجعل فيه خزانة كتب جليلة نفيسة ورتب فيه درسا للفقهاء الشافعية ووقف عليه عدة أوقاف منها داره العظيمة التي هي في الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وكان جملة ماأنفق في هذا الجامع اربعمائة ألف درهم نقرة وكملت عمارته في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة واقيمت بها الجمعة في يوم الجمعة عشرى جمادى الآخرة فلما خاص ابن الازرق من المصادرة حضر الى الامير الخطيري وادعى انه باع داره وهو مكره فدفع اليه ثمنها مرة ثانية ثم ان البحر قوى على هذا الجامع وهدمه فأعاد بناءه بجملة كثيرة من المال ورمى قدام زربيته ألف مركب مملوءة بالحجارة ثم انهدم بعد موته وأعيدت زربيته * (ايدمر الخطيري) الامير عز الدين مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيري الامير مسعود بن خطير انتقل الى الملك الناصر محمد بن قلاون فرقاه حتى صار أحد امراء الالوف بعد ما حبسه بعد مجيئه من الكرك الى مصر مدة ثم اطلقه وعظم مقداره الى أن بقي يجلس رأس الميسرة ومعه امرة مائة وعشرين فارسا وكان لايمكنه السلطان من المبيت في داره بالقاهرة فينزل اليها بكرة ويطلع الى القلعة بعد العصر كذا أبدا فكانوا يرون ذلك تعظيما له وكان منور الشيبة كريما يحب التزوج الكثير والفخر بحيث انه لما زوج السلطان ابنته بالامير قوصون ضرب دينارين وزنهما أربعمائة مثقال ذهبا وعشرة آلاف درهم فضة برسم نقوط امرأته في العرس اذا طلعت الى زفاف ابنة السلطان على قوصون وقيل له مرة هذا السكر الذي يعمل في الطعام مايضر أن يعمل غير مكرر فقال لايعمل الا مكررا فانه يبقى في نفسي انه غير مكرر وكان لايلبس قباء مطرزا ولا مصقولا ولا يدع أحدا عنده يلبس ذلك وكان يخرج الزكاة وانشأ بجانب هذا الجامع ربعا كبيرا تنافس الناس في سكناه ولم يزل على حاله حتى مات يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن بتربته خارج باب النصر ولم يزل هذا الجامع مجمعا يقصده سائر الناس للتنزه فيه على النيل ورغب كل أحد في السكنى بجواره وبلغت الاماكن التي بجواره من الاسواق والدور الغاية في العمارة حتى صار ذلك الخط أعمر أخطاط مصر وأحسنها فلما كانت سنة ست وثمانمائة انحسر ماء النيل عما تجاه جامع الخطيري وصار رملة لايعلوها الماء الا في أيام الزيادة وتكاثر الرمل تحت شبابيك الجامع وقربت من الارض بعدما كان الماء تحته لايكاد يدرك قراره وهو الآن عامر الا أن الاجتماعات التي كانت فيه قبل انحسار النيل عما قباله قلت واتضع حال مايجاوره من السوق والدور ولله عاقبة الامور

(جامع قيدان)

هذا الجامع خارج القاهرة على جانب الخليج الشرقي ظاهر باب الفتوح مما يلي قناطر الاوز تجاه ارض البعل كان مسجدا قديم البناء فجدده الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسدي في محرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة وجدد حوض السبيل الذي فيه ثم ان الامير مظفر الدين قيدان الرومي عمل به منبرا لاقامة الخطبة يوم الجمعة وكان

عامرا بالعمارة ماحوله فلما حدث الغلاء فى سنة ست وسبعين وسبعمائة أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين خرب كثير من تلك النواحى وبيعت أنقاضها وكانت الغرقة ايضا فسار ما بين القنطرة الجديدة المجاورة لسوق جامع الظاهر وبين قناطر الاوز المقابلة لارض البعل يبابا لا عامر له ولا ساكن فيه وخرب ايضا ماوراء ذلك من شرقيه الى جامع نائب الكرك وتعطل هذا الجامع ولم يبق منه غير جدر آيلة الى العدم ثم جدده مقدم بعض المماليك السلطانية فى حدود الثلاثين والثمانمائة ثم وسع فيه الشيخ احمد بن محمد الانصارى العقاد الشهير بالازرارى ومات فى ثانى عشر ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وثمانمائة

(جامع الست حدق)

هذا الجامع بخط المريس فى جانب الخليج الكبير مما يلى الغرب بالقرب من قنطرة السد التى خارج مدينة مصر أنشأته الست حدق دادة الملك الناصر محمد بن قلاون واقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة والى حدق هذه ينسب حكر الست حدق الذى ذكر عند ذكر الاحكار من هذا الكتاب

(جامع ابن غازى)

هذا الجامع خارج باب البحر من القاهرة بطريق بولاق انشأه نجم الدين بن غازى دلال المماليك واقيمت فيه الخطبة فى يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الاولى سنة احدى وأربعين وسبعمائة والى اليوم تقام فيه الجمعة وبقية الايام لا يزال مغلق الابواب لقلة السكان حوله

(جامع التركمانى)

هذا الجامع فى المقس وهو من الجوامع المليحة البناء انشأه الامير بدر الدين محمد التركمانى وكان ما حوله عامرا عمارة زائدة ثم تلاشى من الوقت الذى كان فيه الغلاء زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين ومابرح حاله يختل الى أن كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة فخرب معظم ما هنالك وفيه الى اليوم بقايا عامرة لاسيما بجوار هذا الجامع *(التركمانى) محمد وشعت بالامير بدر الدين محمد بن الامير فخر الدين عيسى التركمانى كان أولا شادا ثم ترقى فى الخدم حتى ولى الجيزة وتقدم فى الدولة الناصرية فولاه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون شاد الدواوين والدولة حينئذ ليس فيها وزير فاستقل بتدبير الدولة مدة أعوام وكان يلى نظر الدولة تلك الايام كريم الدين الصغير فغص به ومازال يدبر عليه حتى اخرجه السلطان من ديار مصر وعمله شاد الدواوين بطرابلس فأقام هنالك مدة سنتين ثم عاد الى القاهرة بشفاعة الامير تنكز نائب الشام وولى كشف الوجه البحرى مدة ثم أعطى امرة طبلخاناه وأعطى أخوه على امرة عشرة وولده ابراهيم أيضا امرة عشرة وكان بها صاحب حرمة باسطة وكلمة نافذة ومات عن سعادة طائلة بالمقس فى ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وهو أمير

(جامع شيخو)

هذا الجامع بسويقة منعم فيما بين الصليبة والرميلة تحت قلعة الجبل انشأه الامير الكبير سيف الدين شيخو الناصرى رأس نوبة الامراء فى سنة ست وخمسين وسبعمائة ورفق بالناس فى العمل فيه وأعطاهم اجورهم وجعل فيه خطبة وعشرين صوفيا وأقام الشيخ اكمل الدين محمد بن محمود الرومى الحنفى شيخهم ثم لما عمر الخانقاه تجاه الجامع نقل حضور الاكمل والصوفية اليها وزاد عدتهم وهذا الجامع من اجل جوامع ديار مصر *(شيخو) الامير الكبير سيف الدين أحد مماليك الناصر محمد بن قلاون حظى عند الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاون وزادت وجاهته حتى شفع فى الامراء وأخرجهم من سجن الاسكندرية ثم انه استقر فى أول دولة الملك الناصر حسن أحد امراء المشورة وفى آخر الامر كانت القصص تقرأ عليه بحضرة السلطان فى أيام الخدمة وصار زمام الدولة بيده فساسها أحسن سياسة بسكون وعدم شر وكان يمنع كل حزب من الوثوب على الآخر فعظم شأنه الى أن رسم السلطان بامساك الامير بيبغاروس نائب السلطنة بديار مصر وهو مسافر بالحجاز وكان شيخو قد خرج متصيدا الى ناحية طنان بالغربية فلما كان يوم السبت رابع عشرى شوال

سنة احدى وخمسين وسبعمائة امسك السلطان الامير منجك الوزير وحلف الامراء لنفسه وكتب تقليد شيخو بنيابة طرابلس وجهزه اليه مع الامير سيف الدين طينال الجاشنكير فسار اليه وسفره من برا فوصل الى دمشق ليلة الثلاثاء رابع ذى القعدة فظهر مرسوم السلطان باقامة شيخو فى دمشق على اقطاع الامير بيلبك السالمى وتجهيز بيلبك الى القاهرة فخرج بيلبك من دمشق وأقام شيخو على اقطاعه بها فما وصل بيلبك الى القاهرة الا وقد وصل الى دمشق مرسوم بامساك شيخو وتجهيزه الى السلطان وتقييد مماليكه واعتقالهم بقلعة دمشق فأمسك وجهز مقيدا فلما وصل الى قطيا توجهوا به الى الاسكندرية فلم يزل معتقلا بها الى أن خلع السلطان الملك الناصر حسن وتولى اخوه الملك الصالح صالح فأفرج عن شيخو ومنجك الوزير وعدة من الامراء فوصلوا الى القاهرة فى رابع شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وانزل فى الاشرفية بقلعة الجبل واستمر على عادته وخرج مع الملك الصالح الى الشام فى واقعة يلبغاروس وتوجه الى حلب هو والامير طاز وارغون الكاملى خلف يلبغاروس وعاد مع السلطان الى القاهرة وصمم حتى امسك يلبغاروس ومن معه من الامراء بعد ما وصلوا الى بلاد الروم وحزت رؤسهم وأمسك أيضا ابن دلغار واحضر الى القاهرة ووسط وعلق على باب زويلة ثم خرج بنفسه فى طلب الاحدب الذى خرج بالصعيد وتجاوز فى سفره قوص وأمسك عدة كثيرة ووسطهم حتى سكنت الفتن بأرض مصر وذلك فى آخر سنة اربع وخمسين وأول سنة خمس وخمسين ثم خلع الملك الصالح وأقام بدله الملك الناصر حسنا فى ثانى شوال واخرج الامير طاز من مصر الى حلب نائبا بها ومعه اخوته وصارت الامور كلها راجعة اليه وزادت عظمته وكثرت أمواله واملاكه ومستأجراته حتى كاد يكاثر أمواج البحر بما ملك وقيل له قارون عصره وعزيز مصره وانشأ خلقا كثيرا فقوى بذلك حزبه وجعل فى كل مملكة من جهته عدة امراء وصارت نوابه بالشام وفى كل مدينة امراء كبار وخدموه حتى قيل كان يدخل كل يوم ديوانه من اقطاعه واملاكه ومستأجراته بالشام وديار مصر مبلغ مائتى ألف درهم نقرة واكثر وهذا شئ لم يسمع بمثله فى الدولة التركية وذلك سوى الانعامات السلطانية والتقادم التى ترد اليه من الشام ومصر وما كان يأخذ من البراطيل على ولاية الاعمال وجامعه هذا وخانقاهه التى بخط الصليبة لم يعمر مثلهما قبلهما ولا عمل فى الدولة التركية مثل أوقافهما وحسن ترتيب المعاليم بهما ولم يزل على حاله الى أن كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة فخرج عليه شخص من المماليك السلطانية المرتجعة عن الامير منجك الوزير يقال له باى فجاء وهو جالس بدار العدل وضربه بالسيف فى وجهه وفى يده فارتجت القلعة كلها وكثر هرج الناس حتى مات من الناس جماعة من الزحمة وركب من الامراء الكبار عشرة وهم بالسلاح عليهم الى قبة النصر خارج القاهرة ثم امسك باى فجاء وقرر فلم يعترف بشئ على أحد وقال أنا قدمت اليه قصة لينقلنى من الجامكية الى الاقطاع فما قضى شغلى فأخذت فى نفسى من ذلك فسجن مدة ثم سمر وطيف به الشوارع وبقى شيخو عليلا من تلك الجراحة لم يركب الى أن مات ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ودفن بالخانقاه الشيخونية وقبره بها يقرأ عنده القرآن دائما

(جامع الجاكى)

هذا الجامع كان بدرب الجاكى عند سويقة الريش من الحكر فى بر الخليج الغربى اصله مسجد من مساجد الحكر ثم زاد فيه الامير بدر الدين محمد بن ابراهيم المهمندار وجعله جامعا وأقام فيه منبرا فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة فصار أهل الحكر يصلون فيه الجمعة الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فخرب الحكر وبيعت أنقاض معظم الدور التى هنالك وتعطل هذا الجامع من ذكر الله وأقامة الصلاة لخراب ما حوله فحكم بعض قضاة الحنفية ببيع هذا الجامع فاشتراه شخص من الوعاظ يعرف بالشيخ أحمد الواعظ الزاهد صاحب جامع الزاهد بخط المقس وهدمه وأخذ أنقاضه فعملها فى جامعه الذى بالمقس فى أول سنة سبع عشرة وثمانمائة

(جامع التوبة)

هذا الجامع بجوار باب البرقية فى خط بين السورين كان موضعه مساكن أهل الفساد وأصحاب الرأى فلما انشأ الامير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى خانقاهه المعروفة بالجمالية قريبا من خزانة البنود بالقاهرة

كره مجاورة هذه الاماكن لداره وخانقاهه فأخذها وهدمها وبنى هذا الجامع فى مكانها وسماه بجامع التوبة فعرف بذلك الى اليوم وهو الآن تقام فيه الجمعة غير أنه لا يزال طول الايام مغلق الابواب لخلوه من ساكن وقد خرب كثير مما يجاوره وهناك بقايا من اماكن

(جامع صاروجا)

هذا الجامع مطل على الخليج الناصرى بالقرب من بركة الحاجب التى تعرف ببركة الرطلى كان خطة تعرف بجامع العرب فأنشأ بها هذا الجامع ناصر الدين محمد أخو الامير صاروجا نقيب الجيش بعد سنة ثلاثين وسبعمائة وكانت تلك الخطة قد عمرت عمارة زائدة وأدركت منها بقية جيدة الى أن دثرت فصارت كيمانا وتقام الجمعة الى اليوم فى هذا الجامع أيام النيل

(جامع الطباخ)

هذا الجامع خارج القاهرة بخط باب اللوق بجوار بركة الشقاف كان موضعه وموضع بركة الشقاف من جملة الزهرى انشأه الامير جمال الدين أقوش وجدده الحاج على الطباخ فى المطبخ السلطانى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون ولم يكن له وقف فقام بمصالحه من ماله مدة ثم انه صودر فى سنة ست واربعين وسبعمائة فتعطل مدة نزول الشدة بالطباخ ولم تقم فيه تلك المدة الصلاة *(على بن الطباخ) نشأ بمصر وخدم الملك الناصر محمد بن قلاون وهو بمدينة الكرك فلما قدم الى مصر جعله خوان سلار وسلمه المطبخ السلطانى فكثر ماله لطول مدته وكثرة تمكنه ولم يتفق لاحد من نظرائه ما اتفق له من السعادة الطائلة وذلك أن الافراح وما كان يصنع من المهمات والاعراس ونحوها مما كان يعمل فى الدور السلطانية وعند الامراء والمماليك والحواشى مع كثرة ذلك فى طول تلك الاعوام كانت كلها انما يتولى أمرها هو بمفرده فمما اتفق له فى عمل مهم ابنة بكتمر الساقى على ابنة الامير تنكز نائب الشام أن السلطان الملك الناصر استدعاه آخر النهار الذى عمل فيه المهم المذكور وقال له يا حاج على اعمل لى الساعة لونا من طعام الفلاحين وهو خروف رميس يكون ملهوج فولى ووجهه معبس فصاح به السلطان ويلك مالك معبس الوجه فقال كيف ما اعبس وقد حرمتنى الساعة عشرين ألف درهم نقرة فقال كيف حرمتك قال قد تجمع عندى روس غنم وبقر واكارع وكروش وأعضاد وسقط دجاج وأوز وغير ذلك مما سرقته من المهم وأريد أقعد وأبيعه وقد قلت لى اطبخ وبينما افرغ من الطبيخ تلف الجميع فتبسم السلطان وقال له رح اطبخ وضمان الذى ذكرت على وأمر باحضار والى القاهرة ومصر فلما حضرا ألزمهما بطلب أرباب الزفر الى القلعة وتفرقة ما ناب الطباخ من المهم عليهم واستخراج ثمنه فللحال حضر المذكورون وبيع عليهم ذلك فبلغ ثمنه ثلاثة وعشرين ألف درهم نقرة وهذا مهم واحد من ألوف مع الذى كان له من المعاليم والجرايات ومنافع المطبخ ويقال انه كان يحصل له من المطبخ السلطانى فى كل يوم على الدوام والاستمرار مبلغ خمسمائة درهم نقرة ولولده أحمد مبلغ ثلثمائة درهم نقرة فلما تحدث النشو فى الدولة خرج عليه تخاريج وأغرى به السلطان فلم يسمع فيه كلاما وما زال على حاله الى أن مات الملك الناصر وقام من بعده أولاده الملك المنصور أبو بكر والملك الاشرف كجك والملك الناصر أحمد والملك الصالح اسماعيل والملك الكامل شعبان فصادره فى سنة ست واربعين وسبعمائة وأخذ منه مالا كثيرا ومما وجد له خمس وعشرون دارا مشرفة على النيل وغيره فتفرقت حواشى الملك الكامل املاكه فأخذت ام السلطان ملكه الذى كان على البحر وكانت دارا عظيمة جدا وأخذت انقاض داره التى بالمحمودية من القاهرة واقيم عوضه بالمطبخ السلطانى وضرب ابنه أحمد

(جامع الاسيوطى)

هذا الجامع بطرف جزيرة الفيل مما يلى ناحية بولاق كان موضعه فى القديم غامرا بماء النيل فلما انحسر عن جزيرة الفيل وعمرت ناحية بولاق انشأ هذا الجامع القاضى شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عمر السيوطى ناظر بيت المال ومات فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ثم جدد عمارته بعدما تهدم وزاد فيه ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن محمد المعروف بابن البارزى الحموى كاتب السر وأجرى فيه الماء وأقام فيه الخطبة يوم الجمعة سادس عشرى

جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة فجاء فى احسن هندام وأبدع زى وصلى فيه السلطان الملك المؤيد شيخ الجمعة فى اول جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

(جامع الملك الناصر حسن)

هذا الجامع يعرف بمدرسة السلطان حسن وهو تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل وكان موضعه بيت الامير يلبغا اليحياوى الذى تقدم ذكره عند ذكر الدور وابتدأ السلطان عمارته فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة وأوسع دوره وعمله فى أكبر قالب وأحسن هندام وأفخم شكل فلا يعرف فى بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذا الجامع اقامت العمارة فيه مدة ثلاث سنين لا تبطل يوما واحدا وارصد لمصروفها فى كل يوم عشرون ألف درهم عنها نحو ألف مثقال ذهبا * ولقد اخبرنى الطواشى مقبل الشامى انه سمع السلطان حسنا يقول انصرف على القالب الذى بنى عليه عقد الايوان الكبير مائة ألف درهم نقرة وهذا القالب مما رمى على الكيمان بعد فراغ العقد المذكور قال وسمعت السلطان يقول لولا أن يقال ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ماصرف عليه وفى هذا الجامع عجائب من البنيان منها أن ذرع ايوانه الكبير خمسة وستون ذراعا فى مثلها ويقال انه أكبر من ايوان كسرى الذى بالمدائن من العراق بخمسة اذرع ومنها القبة العظيمة التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها ومنها المنبر الرخام الذى لا نظير له ومنها البوابة العظيمة ومنها المدارس الاربع التى بدور قاعة الجامع الى غير ذلك وكان السلطان قد عزم على أن يبنى اربع منار يؤذن عليها فتمت ثلاث منار الى أن كان يوم السبت سادس شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة فسقطت المنارة التى على الباب فهلك تحتها نحو ثلثمائة نفس من الايتام الذين كانوا قد رتبوا بمكتب السبيل الذى هنالك ومن غير الايتام وسلم من الايتام ستة اطفال فأبطل السلطان بناء هذه المنارة وبناء نظيرتها وتأخر هنالك منارتان هما قائمتان الى اليوم ولما سقطت المنارة المذكورة لهجت عامة مصر والقاهرة بأن ذلك منذر بزوال الدولة فقال الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن على بن محمد السبكى فى سقوطها

أبشر فسعدك ياسلطان مصر أتى * بشيره بمقال سار كالمثل
ان المنارة لم تسقط لمنقصة * لكن لسر خفى قد تبين لى
من تحتها قرئ القرآن فاستمعت * فالوجد فى الحال أداها الى الميل
لو أنزل الله قرآنا على جبل * تصدعت رأسه من شدة الوجل
تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت * من خشية الله لا للضعف والخلل
وغاب سلطانها فاستوحشت ورمت * بنفسها لجوى فى القلب مشتعل
فالحمد لله حظ العين زال بما * قد كان قدره الرحمن فى الازل
لا يعترى البؤس بعد اليوم مدرسة * شيدت بنيانها بالعلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها امتلأت * علما فليس بمصر غير مشتغل

فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المنارة بثلاثة وثلاثين يوما ومات السلطان قبل أن يتم رخام هذا الجامع فأتمه من بعده الطواشى بشير الجدار وكان قد جعل السلطان على هذا الجامع أوقافا عظيمة جدا فلم يترك منها الا شئ يسير وأقطع اكثر البلاد التى وقفت عليه بديار مصر والشام لجماعة من الامراء وغيرهم وصار هذا الجامع ضدا لقلعة الجبل قلما تكون فتنة بين أهل الدولة الا ويصعد عدة من الامراء وغيرهم الى أعلاه ويصير الرمى منه على القلعة فلم يحتمل ذلك الملك الظاهر برقوق وأمر فهدمت الدرج التى كان يصعد منها الى المنارتين والبيوت التى كان يسكنها الفقهاء ويتوصل من هذه الدرج الى السطح الذى كان يرمى منه على القلعة وهدمت البسطة العظيمة والدرج التى كانت بجانبى هذه البسطة التى كانت قدام باب الجامع حتى لا يمكن الصعود الى الجامع وسد من وراء الباب النحاس الذى لم يعمل فيما عهد باب مثله وفتح شباك من شبابيك أحد مدارس هذا الجامع ليتوصل منه الى داخل الجامع عوضا عن الباب المسدود فصار هذا الجامع تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة وامتنع صعود المؤذنين الى المنارتين وبقى الاذان على درج هذا الباب وكان ابتداء هدم ماذكر فى يوم الاحد ثامن صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ثم لما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ فى عمارة الجامع بجوار

باب

باب زويلة اشترى هذا الباب النحاس والتنور النحاس الذى كان معلقا هنالك بخمسمائة دينار ونقلا فى يوم الخميس سابع عشرى شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة فركب الباب على البوابة وعلق التنور تجاه المحراب فلما كان فى يوم الخميس تاسع شهر رمضان سنة خمس وعشرين وثمانمائة أعيد الاذان فى المئذنتين كما كان واعيد بناء الدرج والبسطة وركب باب بدل الباب الذى أخذه المؤيد واستمر الامر على ذلك * (الملك الناصر أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاون) * جلس على تخت الملك وعمره ثلاث عشرة سنة فى يوم الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بعد أخيه الملك المظفر حاجى وأركب من باب الستارة بقلعة الجبل وعليه شعار السلطنة وفى ركابه الامراء الى أن نزل بالايوان السلطانى ومدبرو الدولة يومئذ الامير يلبغاروس والامير ألجيبغا المظفرى والامير شيخو والامير طاز وأحمد شاد الشراب خاناه وأرغون الاسماعيلى فخلع على يلبغاروس واستقر فى نيابة السلطنة بديار مصر عوضا عن الحاج ارقطاى وقرر أرقطاى فى نيابة السلطنة بحلب وخلع على الامير سيف الدين منجك اليوسفى واستقر فى الوزارة والاستادارية وقرر الامير أرغون شاه فى نيابة السلطنة بدمشق فلما دخلت سنة تسع وأربعين كثر انكشاف الاراضى من ماء النيل بالبر الشرقى فيما يلى بولاق الى مصر فاهتم الامراء بسد البحر مما يلى الجيزة وفوض ذلك للامير منجك فجمع مالا كثيرا وأنفقه على ذلك فلم يفد فقبض على منجك فى ربيع الاول وحدث الوباء العظيم فى هذه السنة وأخرج احمد شاد الشراب خاناه لنيابة صفد وألجيبغا النيابة طرابلس فاستمر ألجيبغا بها الى شهر ربيع الاول سنة خمسين فركب الى دمشق وقتل أرغون شاه بغير مرسوم فأنكر عليه وأمسك وقتل بدمشق * وفى سنة احدى وخمسين سار من دمشق عسكر عدته أربعة آلاف فارس ومن حلب ألفا فارس الى مدينة سنجار ومعهم عدة كثيرة من التركمان فحصروها مدة حتى طلب أهلها الامان ثم عادوا وترشد السلطان واستبد بامره وقبض على منجك ويلبغاروس وقبض بمكة على الملك المجاهد صاحب اليمن وقيد وحمل الى القاهرة فأطلق ثم سجن بقلعة الكرك فلما كان يوم الاحد سابع عشر جمادى الآخرة ركب الامراء على السلطان وهم طاز واخوته ويلبغا الشمسى وبيغوا ووقفوا تحت القلعة وصعد الامير طاز وهو لابس الى القلعة فى عدة وافرة وقبض على السلطان وسجنه بالدور فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وتسعة اشهر وأقيم بدله أخوه الملك الصالح صالح فأقام السلطان حسن مجمعا على الاشتغال بالعلم وكتب بخطه نسخة من كتاب دلائل النبوة للبيهقى الى يوم الاثنين ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأقامه الامير شيخو العمرى فى السلطنة وقبض على الصالح وكانت مدة سجنه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما فرسم بامساك الامير طاز واخراجه لنيابة حلب * وفى ربيع الاول سنة سبع وخمسين هبت ريح عاصفة من ناحية الغرب من أول النهار الى آخر الليل اصفر منها الجو ثم احمر ثم اسود فتلف منها شئ كثير * وفى شعبان سنة تسع وخمسين ضرب الامير شيخو بعض المماليك بسيف فلم يزل عليلا حتى مات * وفى سنة تسع وخمسين كان ضرب الفلوس الجدد فعمل كل فلس زنة مثقال وقبض على الامير طاز نائب حلب وسجن بالاسكندرية وقرر مكانه فى نيابة حلب الامير منجك اليوسفى وأمسك الامير صرغتمش فى شهر رمضان منها وكانت حرب بين مماليكه ومماليك السلطان انتصر فيها المماليك السلطانية وقبض على عدة أمراء فأنعم السلطان على مملوكه يلبغا العمرى الخاصكى بتقدمة ألف عوضا عن تنكربغا الماردانى أمير مجلس بحكم وفاته * وفى سنة ستين فر منجك من حلب فلم يوقف له على خبر فأقر على نيابة حلب الامير بيدمر الخوارزمى وسار لغزو سيس فأخذ أدنه بأمان وأخذ طرسوس والمصيصة وعدة بلاد وأقام بها نوابا وعاد فلما كانت سنة اثنتين وستين عدى السلطان الى بر الجيزة وأقام بناحية كوم برا مدة طويلة لوباء كان بالقاهرة فتنكر الحال بينه وبين الامير يلبغا الى ليلة الاربعاء تاسع جمادى الاولى فركب السلطان فى جماعة ليكبس على الامير يلبغا وكان قد أحس بذلك وخرج عن الخيام وكمن بمكان وهو لابس فى جماعته فلم يظفر السلطان به ورجع فثار به يلبغا فانكسر بمن معه وفر يريد قلعة الجبل فتبعه يلبغا وقد انضم اليه جمع كثير ودخل السلطان الى القلعة فلم يثبت وركب معه ايدمر الدوادار ليتوجه الى بلاد الشام ونزل الى بيت الامير شرف الدين موسى بن الازكشى امير حاجب فبعث فى الحال الى الامير يلبغا يعلمه بمجىء السلطان اليه فبعث من قبضه هو والامير أيدمر ومن حينئذ لم يوقف له على خبر البتة مع كثرة فحص أتباعه

وحواشيه عن قبره وما آل اليه امره فكانت مدة ولايته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأياما وكان ملكا حازما مهابا شجاعا صاحب حرمة وافرة وكلمة نافذة ودين متين حلف غير مرة انه ما لاط ولا شرب خمرا ولا زنى الا انه كان يخل ويعجب بالنساء ولا يكاد يصبر عنهنّ ويبالغ في اعطائهنّ المال وعادى في دولته اقباط مصر وقصد اجتثاث أصلهم وكره المماليك وشرع في اقامة أولاد الناس أمراء وترك عشرة بنين وست بنات وكان اشقر أغمش وقتل وله من العمر بضع وعشرون سنة ولم يكن قبله ولا بعده في الدولة التركية مثله

(جامع القرافة)

هذا الجامع يعرف الآن بجامع الاولياء وهو بالقرافة الكبرى وكان موضعه يعرف في القديم عند فتح مصر بخطة المغافر وهو مسجد بني عبد الله بن مانع بن مورع يعرف بمسجد القبة * قال القضاعي كان القرّاء يحضرون فيه ثم بني عليه المسجد الجامع الجديد بنته السيدة المعزية في سنة ست وستين وثلثمائة وهي أمّ العزيز بالله نزار ولد المعز لدين الله أمّ ولد من العرب يقال لها تغريد وتدعى درزان وبنته على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب في شهر رمضان من السنة المذكورة وهو على نحو بناء الجامع الازهر بالقاهرة وكان بهذا الجامع بستان لطيف في غربيه وصهريج وبابه الذي يدخل منه ذو المصاطب الكبير الاوسط تحت المنار العالي الذي عليه مصفح بالحديد الى حضرة المحراب والمقصورة من عدّة أبواب وعدّتها أربعة عشر بابا مربعة مطوّبة الابواب قدّام كل باب قنطرة قوس على عمودي رخام ثلاثة صفوف وهو مكندج مزوّق باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الاصباغ وفيه مواضع مدهونة والسقوف مزوّقة ملوّنة كلها والحنايا والعقود التي على العمد مزوّقة بأنواع الاصباغ من صنعة البصريين وبني المعلم المزوّقين شيوخ الكتامي والنازوك وكان قبالة الباب السابع من هذه الابواب قنطرة قوس مزوّقة في منحنى حافتيها شاذروان مدرّج بدرج وآلات سود وبيض وحمر وخضر وزرق وصفر اذا تطلع اليها من وقف في سهم قوسها شائلا رأسه اليها ظنّ أن المدرّج المزوّق كأنه خشب كالمقرنص واذا أتى الى أحد قطري القوس نصف الدائرة ووقف عند أوّل القوس منها ورفع رأسه رأى ذلك الذي توهمه مسطحا لا نتوّ فيه وهذه من أفخر الصنائع عند المزوّقين وكانت هذه القنطرة من صنعة بني المعلم وكان الصناع يأتون اليها ليعملوا امثالها فما يقدرون وقد جرى مثل ذلك للقصير وابن عزيز في أيام البازوري سيد الوزراء الحسن بن علي بن عبد الرحمن وكان كثيرا ما يحرّض بينهما ويغري بعضهما على بعض لانه كان أحب ما اليه كتاب مصوّر أو النظر الى صورة أو تزويق ولما استدعى ابن عزيز من العراق فأفسده وكان قد أتى به في محاربة القصير لان القصير كان يشتط في أجرته ويلحقه عجب في صنعته وهو حقيق بذلك لانه في عمل الصورة كابن مقلة في الخط وابن عزيز كابن البوّاب وقد أمعن شرح ذلك في الكتاب المؤلف فيه وهو طبقات المصوّرين المنعوت بضوء النبراس وأنس الجلاس في أخبار المزوّقين من الناس وكان البازوري قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز فقال ابن عزيز أنا أصوّر صورة اذا رآها الناظر ظنّ أنها خارجة من الحائط فقال القصير لكن أنا أصوّرها فاذا نظرها الناظر ظنّ أنها داخلة في الحائط فقالوا هذا أعجب فأمرهما أن يصنعا ما وعدا به فصوّرا صورة راقصتين في صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه ترى كأنها داخلة في الحائط وتلك ترى كأنها خارجة من الحائط فصوّر القصير راقصة بثياب بيض في صورة حنية دهنها أسود كأنها داخلة في صورة الحنية وصوّر ابن عزيز راقصة بثياب حمر في صورة حنية صفراء كأنها بارزة من الحنية فاستحسن البازوري ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيرا من الذهب * وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامي صورة يوسف عليه السلام في الجب وهو عريان والجب كله أسود اذا نظره الانسان ظنّ أن جسمه باب من دهن لون الجب وكان هذا الجامع من محاسن البناء وكان بنو الجوهري يعظون بهذا الجامع على كرسي في الثلاثة أشهر فتتراهم مجالس مجلة تروق وتشوق ويقوم خادمهم زهر البان وهو شيخ كبير ومعه زنجلة اذا توسط أحدهم في الوعظ ويقول

ونصدّق لا تأمني أن تسألي * فاذا سألت عرفت ذل السائل

ويدور على الرجال والنساء فيلقى له في الزنجلة ما يسره الله تعالى فاذا فرغ من التطواف وضع الزنجلة أمام الشيخ فاذا فرغ من وعظه فرّق على الفقراء ما قسم لهم وأخذ الشيخ ما قسم له وهو الباقي ونزل عن الكرسي وكان

جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون به في ليالي الصيف للحديث في القمر في صحنه وفي الشتاء ينامون عند المنبر وكان يحصل لقيمه القاضي أبي حفص الاشربة والحلوى وغير ذلك * قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة حدثني الامير أبو علي تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي قال اجتمعنا ليلة جمعة جماعة من الامراء بنو معز الدولة وصالح وحاتم وراجح وأولادهم وغلمانهم وجماعة ممن يلوذ بنا كابن الموفق والقاضي ابن داود وأبي المجد بن الصيرفي وأبي الفضل روزبة وأبي الحسن الرضيع فعملنا سماطا وجلسنا واستدعينا بمن في الجامع وأبي حفص فأكلنا ورفعنا الباقي الى بيت الشيخ أبي حفص قيم الجامع ثم تحدثنا ونمنا وكانت ليلة باردة فنمنا عند المنبر واذا انسان نصف الليل ممن نام في هذا الجامع من عابري السبيل قد قام قائما وهو يلطم على رأسه ويصيح واما لاه واما لاه فقلنا له ويلك ما شانك وما الذي دهاك ومن سرقك وما سرق لك فقال يا سيدي أنا رجل من أهل طرا يقال لي أبو كريت الحاوي أمسي على الليل ونمت عندكم وأكلت من خيركم وسع الله عليكم ولي جمعة أجمع في سلتي من نواحي طرا والحي الكبير والجبل كل غريبة من الحيات والافاعي مالم يقدر عليه قط حاو غيري وقد انفتحت الساعة السلة وخرجت الافاعي وأنا نائم لم اشعر فقلت له ايش تقول فقال اي والله يا النجدات فقلنا يا عدو الله أهلكتنا ومعنا صبيان واطفال ثم انا نبهنا الناس وهربنا الى المنبر وطلعنا وازدحمنا فيه ومنا من طلع على قواعد العمد فتسلق وبقي واقفا وأخذ ذلك الحاوي يحسس وفي يده كنف الحيات ويقول قبضت الرقطاء ثم يفتح السلة ويضع فيها ثم يقول قبضت أم قرنين ويفتح ويضع فيها ويقول قبضت الفلاني والفلانية من الثعابين والحيات وهي معه بأسماء ويقول أبو تليس وأبو زعير ونحن نقول ايه الى أن قال بس انزلوا ما بقي على هم ما بقي يهمكم كبير شيء قلنا كيف قال ما بقي الا البتراء وأم رأسين انزلوا فما عليكم منهما قلنا كذا عليك لعنة الله يا عدو الله لا نزلنا للصبح فالمغرور من تغره وصحنا بالقاضي أبي حفص القيم فاوقد الشمعة ولبس صباغات الخطيب خوفا على رجليه وجاء فنزلنا في الضوء وطلعنا المئذنة فنمنا الى بكرة وتفرق شملنا بعد تلك الليلة وجمع القاضي القيم عياله ثاني يوم وأدخلوا عصيا تحت المنبر وسعفا وشالوا الحصر فلم يظهر لهم شيء وبلغ الحديث والى القرافة ابن شعلة الكتامي فأخذ الحاوي فلم يزل به حتى جمع ما قدر عليه وقال ما أخليه الا الى السلطان وكان الوزير اذ ذاك يانس الارمني * وهذه القضية تشبه قضية جرت لجعفر بن الفضل بن الفرات وزير مصر المعروف بابن حزابة وذلك انه كان يهوى النظر الى الحيات والافاعي والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجري هذا المجرى من الحشرات وكان في داره قاعة لطيفة مرخمة فيها سلل الحيات ولها قيم فراش حاو من الحواة ومعه مستخدمون برسم الخدمة ونقل السلال وحطها وكان كل حاو في مصر وأعمالها يصيد ما يقدر عليه من الحيات ويتباهون في ذوات العجب من اجناسها وفي الكبار وفي الغريبة المنظر وكان الوزير يثيبهم على ذلك أوفى ثواب ويبذل لهم الجمل حتى يجتهدوا في تحصيلها وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في السلل ويطرحونه على ذلك الرخام ويحرشون بين الهوام وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه فلما كان ذات يوم انفذ رقعة الى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب وكان من أعيان كتاب أيامه ودواوينه وكان عزيزا عنده وكان يسكن الى جوار دار ابن الفرات يقول له فيها نشعر الشيخ الجليل أدام الله سلامته انه لما كان البارحة عرض علينا الحواة الحشرات الجاري بها العادات انساب الى داره منها الحية البتراء وذات القرنين والعقربان الكبير وأبو صوفة وما حصلوا لنا الا بعد عناء ومشقة وبجملة بذلناها للحواة ونحن نأمر الشيخ وفقه الله بالتقدم الى حاشيته وصبيته بصون ما وجد منها الى أن تنفذ الحواة لاخذها وردها الى سلالها فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها أتاني أمر سيدنا الوزير خلد الله نعمته وحرس مدته بما أشار اليه في أمر الحشرات والذي يعتمد عليه في ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثا ان بات هو وأحد من أهله في الدار والسلام * وفي سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الوزير أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالاجل المأمون البطايحي وكيله أبا البركات محمد بن عثمان برم شعث هذا الجامع وأن يعمر بجانبه طاحونا للسبيل ويبتاع لها الدواب ويتخير من الصالحين الساكنين بالقرافة من يجعله امينا عليها ويطلق له ما يكفيه مع علف الدواب وجميع المؤن ويشترط عليه أن يواسي بين الضعفاء ويحمل عنهم كلفة طحن أقواتهم ويؤدي الامانة فيها ولم يزل هذا الجامع على عمارته الى أن احترق في السنة التي احترق فيها جامع عمرو بن العاص سنة أربع

وستين وخمسمائة عند نزول مرى ملك الفرنج على القاهرة وحصارها كما تقدّم ذكره عند ذكر خراب الفسطاط من هذا الكتاب وكان الذى تولى احراق هذا الجامع ابن سماقة باشارة الاستاذ مؤتمن الخلافة جوهر وهو الذى أمر المذكور بحريق جامع عمرو بمصر وسئل عن ذلك فقال لئلا يخطب فيه لبنى العباس ولم يبق من هذا الجامع بعد حريقه سوى المحراب الاخضر وكان مؤذن هذا الجامع فى أيام المستنصر ابن بقاء المحدّث ابن بنت عبد الغنى بن سعيد الحافظ ثم جدّدت عمارة هذا الجامع فى أيام المستنصر بعد حريقه وأدركته لما كانت القرافة الكبرى عامرة بسكنى السودان التكاررة وهو مقصود للبركة فلما كانت الحوادث والمحن فى سنة ست وثمانمائة قل الساكن بالقرافة وصار هذا الجامع طول الايام مغلوقا وربما أقيمت فيه الجمعة

* (جامع الجيزة) *

بناه محمد بن عبد الله الخازن فى المحرّم سنة خمسين وثلثمائة بأمر الامير على بن عبد الله بن الاخشيد فتقدّم كافور الى الخازن ببنائه فانه كان قد هدمه النيل وسقط فى سنة أربعين وثلثمائة وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة فى مسجد جامع همدان وهو مسجد مزاحف بن عامر بن بكتل وقيل ان عقبة بن عامر فى امرته على مصر أمرهم أن يجمعوا فيه قال التميمى وشارف بناء جامع الجيزة مع أبى بكر الخازن أبو الحسن ابن جعفر الطحاوى واحتاجوا الى عمد للجامع فمضى الخازن فى الليل الى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها ونصب بدلها أركانا وحمل العمد الى الجامع فترك أبو الحسن بن الطحاوى الصلاة فيه مذ ذاك تورّعا * قال التميمى وقد كان يعنى ابن الطحاوى يصلى فى جامع الفسطاط القديم وبعض عمده أو أكثرها ورخامه من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناه قرّة بن شريك عامل الوليد بن عبد الملك

* (جامع منجك) *

هذا الجامع يعرف موضعه بالثغرة تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير أنشأه الامير سيف الدين منجك اليوسفى فى مدّة وزارته بديار مصر فى سنة احدى وخمسين وسبعمائة وصنع فيه صهريجا فصار يعرف الى اليوم بصهريج منجك ورتب فيه صوفية وقرّر لهم فى كل يوم طعاما ولحما وخبزا وفى كل شهر معلوما وجعل فيه منبرا ورتب فيه خطيبا يصلى بالناس فيه صلاة الجمعة وجعل على هذا الموضع عدّة أوقاف منها ناحية بلقينة بالغربية وكانت مرصدة برسم الحاشية فقوّمت بخمسة وعشرين ألف دينار فاشتراها من بيت المال وجعلها وقفا على هذا المكان

* (منجك) الامير سيف الدين اليوسفى لما امتنع أحمد بن الملك الناصر محمد بن قلاون بالكرك وقام فى مملكة مصر بعده أخوه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل وكان من محاصرته بالكرك ما كان الى أن أخذ فتوجه اليه وقطع رأسه وأحضرها الى مصر وكان حينئذ أحد السلاحدارية فأعطى امرة بديار مصر وتنقل فى الدول الى أن كانت سلطنة الملك المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد بن قلاون فأخرجه من مصر الى دمشق وجعله حاجبا بها موضع ابن طغريل فلما قتل الملك المظفر وأقيم بعده أخوه الملك الناصر حسن اقيم الامير سيف الدين بيلبغاروس فى نيابة السلطنة بديار مصر وكان أخا منجك فاستدعاه من دمشق وحضر الى القاهرة فى ثامن شوّال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فرسم له بامرة تقدمة ألف وخلع عليه خلع الوزارة فاستقرّ وزيرا وأستادارا وخرج فى دست الوزارة والامراء فى خدمته من القصر الى قاعة الصاحب بالقلعة فجلس بالشباك ونفذ أمور الدولة ثم اجتمع الامراء وقرأ عليهم أوراقا تتضمن ما على الدولة من المصروف ووفر من جامكية المماليك مبلغ ستين ألف درهم فى الشهر وقطع كثيرا من جوامك الخدم والجوارى والبيوتات السلطانية ونقص رواتب الدور من زوجات السلطان وجواريه وقطع رواتب الاغانى وعرض الاسطبل السلطانى وقطع منه عدّة أمير اخورية وسراخورية وسوّاس وغلمان ووفر من راتب الشعير نحو الخمسين اردبا فى كل يوم وقطع جميع الكلابزية وكانوا نحو الخمسين جوقة وأبقى منهم جوقتين ووفر جماعة من الاسرى والعتالين والمستخدمين فى العمائر وأبطل العمارة من بيت السلطان وكانت الحوائجخاناه تحتاج فى كل يوم الى أحد وعشرين ألف درهم نقرة فاقتطع منها مبلغ ثلاثة آلاف درهم وبقى مصروفها فى اليوم ثمانية عشر ألف درهم نقرة وشرع يشكك على الدواوين ويحط على القاضى موفق الدين ناظر الدولة وعلى القاضى علم الدين بن زنبور ناظر الخواص ورسم أن لا يستقر فى المعاملات سوى شاهد واحد وعامل وشاد بغير معلوم وأغلظ على الكتاب والدواوين وهدّدهم وتوعدهم فخافوه واجتمع بعضهم ببعض واشتوروا

فى أمرهم واتفقوا على مال يتوزعونه بينهم على قدر حال كل منهم وحملوه الى منجك سرا فلم يمض من استقراره فى الوزارة شهر حتى صار الكتاب وارباب الدواوين احباءه وأخلاءه وتمكنوا منه اعظم ما كانوا قبل وزارته وحسنوا له أخذ الاموال فطلب ولاة الاقاليم وقبض على اقبغا والى الغربية والزمه بحمل خمسمائة ألف درهم نقرة وولى عوضه الامير استدمر القلنجى ثم صرفه وولى بدله قطليجا مملوك بكتمر واستقر باستدمر القلنجى فى ولاية القاهرة واضاف له التحدث فى الجهات وولى البحيرة لرجل من جهته وولى قوص لآخر واوقع الحوطة على موجود اسماعيل الواقدى متولى قوص واخذ جميع خواصه وولى طغاى كشف الوجه القبلى عوضا عن علاء الدين على بن الكورانى وولى ابن المزوق قوص وأعمالها وولى مجد الدين موسى الهدبانى الاشمونين عوضا عن ابن الازكشى وتسامعت الولاة وارباب الاعمال بأن الوزير فتح باب الاخذ على الولايات فهرع الناس اليه من جهات مصر والشام وحلب وقصدوا بابه ورتب عنده جماعة برسم قضاء الاشغال فأتاهم اصحاب الاشغال والحوائج وكان السلطان صغيرا حظه من السلطنة أن يجلس بالايوان يومين فى الاسبوع ويجتمع أهل الحل والعقد مع سائر الامراء فيه فاذا انقضت خدمة الايوان خرج الامير منكليبغا الفخرى والامير بيغرا والامير بلبغا ترو الجدى وارلان وغيرهم من الامراء ويدخل الى القصر الامير بلبغاروس نائب السلطنة والامير سيف الدين منجك الوزير والامير سيف الدين شيخو العمرى والامير الجيبغا المظفرى والامير طيبرق ويتفق الحال بينهم على مايرونه هذا والوزير أخو النائب متمكن تمكنا زائدا وقدم من دمشق جماعة للسعى عند الوزير فى وظائف منهم ابن السلعوس وصلاح الدين بن المؤيد وابن الاجل وابن عبد الحق وتحدثوا مع ابن الاطروش محتسب القاهرة فى اغراضهم فسعى لهم حتى تقرروا فيما عينوا ولما دخلت سنة تسع واربعين عرف الوزير السلطان والامراء انه لما ولى الوزارة لم يجد فى الاهراء ولا فى بيت المال شيأ وسأل أن يكون هذا بحضر من الحكام فرسم للقضاة بكشف ذلك فركبوا الى الاهراء بمصر والى بيت المال بقلعة الجبل وقد حضر الدواوين وسائر المباشرين وأشهدوا عليهم أن الامير منجك لما باشر الوزارة لم يكن بالاهراء ولا ببيت المال قدح غلة ولا دينار ولا درهم وقرئت المحاضر على السلطان والامراء فلما كان بعد ذلك توقف امر الدولة على الوزير فشكا الى الامراء من كثرة الرواتب فاتفق الرأى على قطع نحو ستين سواقا فقطعهم ووفر لحومهم وعليقهم وسائر ما باسمهم من الكساوى وغيرها وقطع من العرب الركابة والنحابة ومن أرباب الوظائف فى بيت السلطان ومن الكتاب والمباشرين ما جملته فى اليوم أحد عشر ألف درهم وفتح باب المقايضات باقطاعات الاجناد وباب النزول عن الاقطاعات بالمال فحصل من ذلك مالا كثيرا وحكم على اخيه نائب السلطنة بسبب ذلك وصار الجندى يبيع اقطاعه لكل من أراد سواء كان المنزول له جنديا أو عاميا وبلغ ثمن الاقطاع من عشرين ألف درهم الى مادونها وأخذ يسعى أن تضاف وظيفة نظر الخاص الى الوزارة واكثر من الحط على ناظر الخاص فاحترس ابن زنبور منه وشرع فى ابعاده مرة بعد مرة مع الامير شيخو فمنع شيخو منجك من التحدث فى الخاص وخرج عليه فشق ذلك على منجك وافترقا عن غير رضى فتغير بلبغاروس النائب على شيخو رعاية لاخيه وسأل أن يعفى من النيابة ويعفى منجك من الوزارة واستقراره فى الاستادارية والتحدث فى عمل حفر البحر وأن يستقر أستدمر العمرى المعروف برسلان بصل فى الوزارة فطلب وكان قد حضر من الكشف وألبس خلع الوزارة فى يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول وكان منجك قد عزل من الوزارة فى ثالث ربيع الاول المذكور وتولى أمر شد البحر فجبى من الاجناد من كل مائة دينار درهما ومن التجار والمتعيشين فى مصر والقاهرة من كل واحد عشرة دراهم الى خمسة دراهم الى درهم ومن اصحاب الاملاك والدور فى مصر والقاهرة على كل قاعة ثلاثة دراهم وعلى كل طبقة درهمين وعلى كل مخزن أو اصطبل درهما وجعل المستخرج فى خان مسرور بالقاهرة والمشد على المستخرج الامير يلك فجبى مال كبير وأما استدمر فان أحوال الدولة توقفت فى ايامه فسأل فى الاعفاء فأعفى وأعيد منجك الى الوزارة بعد أربعين يوما وقد تمنع تمنعا كبيرا ولما عاد الى الوزارة فتح باب الولايات بالمال فقصده الناس وسعوا عنده فولى وعزل وأخذ فى ذلك مالا كثيرا فيقال انه أخذ من الامير مازان لما نقله من المنوفية الى الغربية ومن ابن الغسانى لما نقله من الاشمونين الى البهنساوية ومن ابن سلمان لما ولاه بمنوف ستة آلاف دينار ووفر اقطاع شاد الدواوين وجعله باسم المماليك السلطانية ووفر

جوامكهم ورواتبهم وشرع أوباش الناس فى السعى عنده فى الوظائف والمباشرات بمال وأتوه من البلاد فقضى اشغالهم ولم يرد أحدا طلب شيأ ووقع فى ايامه الفناء العظيم فانحلت اقطاعات كثيرة فاقتضى رأى الوزير أن يوفر الجوامك والرواتب التى للحاشية وكتب لسائر أرباب الوظائف وأصحاب الاشغال والمماليك السلطانية مثالات بقدر جوامك كل منهم وكذلك لارباب الصدقات فأخذ جماعة من الاقباط ومن الكتاب ومن الموقعين اقطاعات فى نظير جوامكهم وتوفر فى الدولة مال كبير عن الجوامك والرواتب * ولما دخلت سنة خمسين رسم الامير منجك الوزير لمتولى القاهرة بطلب اصحاب الارباع وكتابة جميع املاك الحارات والازقة وسائر أخطاط مصر والقاهرة ومعرفة اسماء سكانها والفحص عن أربابها ليعرف من توفر عنه ملك بموته فى الفناء فطلبوا الجميع وأمعنوا فى النظر فكان يوجد فى الحارة الواحدة والزقاق الواحد مايزيد على عشرين دارا خالية لايعرف أربابها فختموا على ماوجدوه من ذلك ومن الفنادق والخانات والمخازن حتى يحضر أربابها * وفى شعبان عزل ولاة الاعمال وأحضرهم الى القاهرة وولى غيرهم وأضاف الى كل وال كشف الجسور التى فى عمله وضمن الناس سائر جهات القاهرة ومصر بحيث انه لايتحدث أحد معه من المقدمين والدواوين والشادين وزاد فى المعاملات ثلثمائة ألف درهم وخلع عليه ونودى له بمصر والقاهرة فاشتد ظلمه وعسفه وكثرت حوادثه * فلما كانت ليالى عيد الفطر عرف الوزير الامراء أن سماط العيد ينصرف عليه جملة ولا ينتفع به أحد فأبطله ولم يعمل تلك السنة * وفى ذى القعدة توقف حال الدولة ووقف مماليك السلطان وسائر المعاملين والحوائجكاشية وانزعج السلطان والامراء بسبب ذلك على الوزير فاحتج بكثرة الكلف وطلب الموفق ناظر الدولة فقال ان الانعامات قد كثرت والكلف تزايدت وقد كانت الحوائجخاناه فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون فى اليوم ينصرف فيها مبلغ ثلاثة عشر ألف درهم واليوم ينصرف فيها اثنان وعشرون ألف درهم فكتبت أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها وبمتحصل الخاص ومصروفه فجاءت أوراق الدولة ومتحصلها عشرة آلاف ألف درهم وكلفها أربعة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم ووجد الانعام من الخاص والجيش بما خرج من البلاد زيادة على اقطاعات الامراء فكان زيادة على عشرين ألف دينار سوى جملة من الغلال وان الذى استجد على الدولة من حين وفاة الملك الناصر فى ذى الحجة سنة احدى وأربعين الى مستهل المحرم سنة خمسين وسبعمائة وكانت جملة الانعامات والاقطاعات بنواحى الصعيد والفيوم وبلاد الملك والوجه البحرى وما اعطى من الرزق للخدام والجوارى سبعمائة ألف ألف وألف ألف وستمائة ألف معينة بأسماء أربابها من امير وخادم وجارية وكانت النساء قد أسرفن فى عمل القمصان والبغالطيق حتى كان يفضل من القميص كثير على الارض وسعة الكم ثلاثة اذرع ويسمينه البهطلة وكان يغرم على القميص ألف درهم واكثر وبلغ ازار المرأة الى ألف درهم وبلغ الخف والسرموزة الى خمسمائة درهم ومادونها الى مائة درهم فأمر الوزير منجك بقطع اكمام النساء وأخرق بهن وأمر الوالى بتتبع ذلك ونودى بمنع النساء من عمل ذلك وقبض على جماعة منهن وركب على سور القاهرة صور نساء عليهن تلك القمصان بهيئة نساء قد قتلن عقوبة على ذلك فانكففن عن لبسها ومنع الاساكفة من عمل الاخفاف المثمنة ونودى فى القياسر من باع ازارا حريرا ماله للسلطان فنودى على ازار ثمنه سبعمائة وعشرون درهما فبلغ ثمانين درهما ولم يجسر أحد أن يشتريه وبالغ الوزير فى الفحص عن ذلك حتى كشف دكاكين غسالى الثياب وقطع ماوجد من ذلك فامتنع النساء من لبس ما أحدثنه من تلك المنكرات ولما عظم ضرر الفار أيضا من كثرة شكاية الناس فيه فلم يسمع فيه الوزير قولا وقام فى أمره الامير مغلطاى أمير اخور فاستوحش منه الوزير واتفق انه كان قد حج محمد بن يوسف مقدم الدولة فى محمل كبير بلغ عليق جماله فى اليوم مائتى عليقة ولما قدم فى المحرم مع الحاج اهدى للنائب وللوزير وللامير طاز وللامير صرغتمش هدايا جليلة ولم يهد للامير شيخو ولا للامير مغلطاى شيأ ثم لما عاب عليه الناس ذلك اهدى بعد عدة أيام للامير شيخو هدية فردها عليه ثم انه انكر على الوزير فى مجلس السلطان مايفعله ولاة البر وما عليه مقدم الدولة من كثرة المال واغلظ فى القول فرسم بعزل الولاة والقبض على المقدم محمد بن يوسف وابن عمه المقدم أحمد بن زيد فلم يسع الوزير غير السكوت * فلما كان فى رابع عشرى شوال سنة احدى وخمسين قبض على الوزير منجك وقيد ووقعت الحوطة على سائر حواصله فوجدت له زردخاناه حمل خمسين جملا ولم يظهر من النقد

كثير

كثير مال فأمر بعقوبته فلما خوّف اقرّ بصندوق فيه جوهر وقال سائر ما كان يتحصل لى من النقد كنت اشترى به أملاكا وضياعا وأصناف المتاجر فاحيط بسائر أمواله وحمل الى الاسكندرية مقيدا واستقرّ الامير بلبان السنانى نائب البيرة أستادارا عوض منجك بعد حضوره منها واضيفت الوزارة الى القاضى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص فلم يزل منجك مسجونا بالاسكندرية الى أن خلع الملك الناصر حسن وأقيم بدله فى المملكة أخوه الملك الصالح صالح فأمر بالافراج عن الامير شيخو والامير منجك فحضرا الى القاهرة فى رجب سنة اثنتين وخمسين ولما استقرّ الامير منجك بالقاهرة بعث اليه الامير شيخو خمس رؤس خيل وألفى دينار وبعث اليه جميع الامراء بالتقادم وأقام بطالا يجلس على حصير فوقه ثوب سرج عتيق وكلما أتاه أحد من الامراء يبكى ويتوجع ويقول أخذ جميع مالى حتى صرت على الحصير ثم كتب فتوى تتضمن أن رجلا مسجونا فى قيد هدّد بالقتل ان لم يبع أملاكه وانه خشى على نفسه القتل فوكل فى بيعها فكتب له الفقهاء لا يصح بيع المكره ودار على الامراء ومازال بهم حتى تحدّثوا له مع السلطان فى ردّ أملاكه عليه فعارضهم الامير صرغتمش ثم رضى أن يردّ عليه من أملاكه ما أنعم به السلطان على مماليكه فاستردّ عدّة أملاك وأقام الى أن قام يلبغاروس بحلب فاختفى منجك وطلب فلم يوجد وأطلق النداء عليه بالقاهرة ومصر وهدّد من أخفاه وألزم عربان العائد باقتفاء أثره فلم يوقف له على خبر وكبس عليه عدّة أماكن بالقاهرة ومصر وفتش عليه حتى فى داخل الصهريج الذى بجامعه فأعيى أمره وأدرك السلطان السفر لحرب يلبغاروس فشرع فى ذلك الى يوم الخميس رابع شعبان فخرج الامير طاز بمن معه * وفى يوم الاثنين سابعه عرض الامير شيخو والامير صرغتمش اطلابهما وقد وصل الامير طاز الى بلبيس فحضر اليه من أخبره أنه رأى بعض أصحاب منجك فسير اليه وأحضره وفتشه فوجد معه كتاب منجك الى أخيه بيلبغاروس وفيه انه مختف عند الحسام العمدى استاداره فبعث الكتاب الى الامير شيخو فوافاه والاطلاب خارجة فاستدعى بالحسام وسأله فأنكر فعاقبه الامير صرغتمش فلم يعترف فركب الى بيت الحسام بجوار الجامع الازهر وهجمه فاذا بمنجك ومعه مملوك فكتفه وسار به مشهورا بين الناس وقد هرعوا من كل مكان الى القلعة فسجن بالاسكندرية الى أن شفع فيه الامير شيخو فأفرج عنه فى ربيع الاوّل سنة خمس وخمسين ورسم أن يتوجه الى صفد بطالا فسار اليها من غير أن يعبر الى القاهرة فلما خلع الملك الصالح صالح وأعيد السلطان حسن فى شوّال منها نقل منجك من صفد وأنعم عليه بنيابة طرابلس عوضا عن ايتمش الناصرى فسار اليها وأقام بها الى أن قبض على الامير طاز نائب حلب فى سنة تسع وخمسين فولى منجك عوضا عنه ولم يزل بحلب الى أن فرّ منها فى سنة ستين فلم يعرف له خبر وعوقب بسببه خلق كثير ثم قبض عليه بدمشق فى سنة احدى وستين فحمل الى مصر وعليه بشت صوف عسلى وعلى رأسه مئزر صوف فلم يؤاخذه السلطان وأعطاه امرة طبلخاناه ببلاد الشام وجعله طرخاناه يقيم حيث شاء من البلاد الاسلامية وكتب له بذلك فلما قتل السلطان حسن وأقيم من بعده فى المملكة الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى فى جمادى الاولى سنة اثنتين وستين خامر الامير بيدمر نائب الشام على الامير يلبغا العمرى القائم بتدبير دولة الملك المنصور ووافقه جماعة من الامراء منهم الامير منجك فخرج الامير يلبغا بالمنصور والعساكر من قلعة الجبل الى البلاد الشامية فوافى دمشق ومشى الناس بينه وبين الامير بيدمر حتى تمّ الصلح وحلف الامير يلبغا أنه لا يؤذى بيدمر ولا منجك فنزلا من قلعة دمشق وقيدهما وبعث بهما الى الاسكندرية فسجنا بها الى أن خلع الامير يلبغا المنصور وأقام بدله الملك الاشرف شعبان بن حسين وقتل الامير يلبغا فأفرج الملك الاشرف عن منجك وولاه نيابة السلطنة بدمشق عوضا عن الامير على المارداني فى جمادى الاولى سنة تسع وستين فلم يزل فى نيابة دمشق الى أن حضر الى السلطان زائرا فى سنة سبعين بتقادم كثيرة جليلة وعاد الى دمشق وأقام بها الى أن استدعاه السلطان فى سنة خمس وسبعين الى مصر وفوّض اليه نيابة السلطنة بديار مصر وعمله أتابك العساكر وجعل تدبير المملكة اليه وأن يخرج الامّهات للبلاد الشامية وأن يولى ولاة أقاليم مصر والكشاف ويخرج الاقطاعات بمصر من عبرة ستمائة دينار الى مادونها وكانت عادة النوّاب قبله أن لا يخرج من الاقطاعات الا ما عبرته أربعمائة دينار فمادونها فعمل النيابة على قالب جائر وحرمة وافرة الى أن مات حتف أنفه فى يوم الخميس التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة وله من العمر نيف وستون سنة وشهد جنازته سائر الاعيان ودفن بتربته المجاورة لجامعه هذا وله سوى الجامع

المذكور من الآثار بديار مصر خان منجك فى القاهرة ودار منجك برأس سويقة العزى بالقرب من مدرسة السلطان حسن وله بالبلاد الشامية عدة آثار من خانات وغيرها رحمه الله

(الجامع الاخضر)

هذا الجامع خارج القاهرة بخط فم الخور عرف بذلك لان بابه وقبته فيهما نقوش وكتابات خضر والذى أنشأه
٢ خازندار الامير شيخو واسمه

(جامع البكيرى)

هذا الجامع بحكر البكيرى قريبا من الدكة تعطلت الصلاة فيه منذ خربت تلك الجهات

(جامع السروجى)

هذا الجامع بحكر

(جامع كرجى)

هذا الجامع بحكر أقوش

(جامع الفاخرى)

هذا الجامع بسويقة الخادم الطواشى شهاب الدين فاخر المنصورى مقدم المماليك السلطانية ومات فى سابع ذى الحجة سنة سبع وثمانمائة وكان ذا مهابة وأخلاق حسنة مع سطوة شديدة ولهم بلبان الفاخرى الامير سيف الدين نقيب الجيوش مات فى سنة سبع وتسعين وستمائة وولى نقابة الجيش بعد طيبرس الوزيرى وكان جوادا عارفا بأمر الاجناد خيرا كثير الترف

(جامع ابن عبد الظاهر)

هذا الجامع بالقرافة الصغرى قبلى قبر الليث بن سعد كان موضعه يعرف بالخندق أنشأه القاضى فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الجذامى السعدى الروحى من ولد روح بن زنباع الجذامى بجوار قبر أبيه وأول ما أقيمت به الخطبة فى يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة وكان يوما مشهودا الكثرة من حضر من الاعيان * ولد بالقاهرة فى ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة وسمع من ابن الجميزى وغيره وحدث وكتب فى الانشاء وساد فى دولة المنصور قلاون بعقله ورأيه وهمته وتقدم على والده القاضى محيى الدين وهو ماهر فى الانشاء والكتابة بحيث كان من جملة من يصرفهم بأمره ونهيه وكان الملك المنصور يعتمد عليه ويثق به ولما ولى القاضى فخر الدين بن لقمان الوزارة قال له الملك المنصور من يلى عوضك كتابة السر فقال القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر فولاه كتابة السر عوضا عن ابن لقمان وتمكن من السلطان وحظى عنده حتى ان الوزير فخر الدين بن لقمان ناول السلطان كتابا فأحضر ابن عبد الظاهر لقراءته على عادته فلما أخذ الكتاب من السلطان أمر الوزير أن يتأخر حتى يقرأه فتأخر الوزير ثم ان ابن لقمان صرف عن الوزارة وأعيد الى ديوان الانشاء فتأدب معه فلما ولى وزارة الملك الاشرف خليل بن قلاون شمس الدين بن السلعوس قال لفتح الدين اعرض على كل يوم ما تكتبه فقال لا سبيل لك الى ذلك ولا يطلع على أسرار السلطان الا هو فان اخترتم والا عينوا عوضى فلما بلغ السلطان ذلك قال صدق ولم يزل على حاله الى أن مات وأبوه حى بدمشق فى النصف من شهر رمضان سنة احدى وتسعين وسبعمائة فوجد فى تركته قصيدة مرثية قد عملها فى رفيقه تاج الدين احمد بن سعيد بن محمد بن الاثير لما مرض وطال مرضه فاتفق أن عوفى ابن الاثير ولم يتأخر ابن عبد الظاهر بعد عافيته سوى ليال يسيرة ومرض ومات فرثاه ابن الاثير بعد موته وولى وظيفة كتابة السر عوضا عنه ولم يكن ابن عبد الظاهر مجيدا فى صناعة الانشاء الا انه دبر الديوان وباشره أحسن مباشرة ومن شعره

ان شئت تنظرنى وتنظر حالتى * فانظر اذا هب النسيم قبولا
فتراه مثلى رقة ولطافة * ولاجل قلبك لا اقول عليلا
فهو الرسول الىك منى ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ولم يزل هذا الجامع عامرا الى أن حدثت المحن فى سنة ست وثمانمائة واختلت القرافة لخراب ماحوله وهو اليوم قائم على أصوله

٢ *(جامع بساتين الوزير التى على بركة الحبش)*

(جامع الخندق)

هذا الجامع بناحية الخندق خارج القاهرة ولم يزل عامرا بعمارة الخندق فلما خربت مساكن الخندق تلاشى أمره ونقلت منه الجمعة وبقى معطلا الى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فأخذ الامير طوغان الحسنى الدوادار عمده الرخام وسقوفه وترك جدرانه ومنارته وهى باقية وعما قليل تدثر كما دثر غيرها مما حولها

(جامع جزيرة الفيل)

(جامع الطواشى)

هذا الجامع خارج القاهرة فيما بين باب الشعرية وباب البحر أنشأه الطواشى جوهر السحرتى اللالا وهو من خدام الملك الناصر محمد بن قلاون ثم انه تأمر فى تاسع عشرى شهر رجب سنة خمس وأربعين وسبعمائة

(جامع كراى)

هذا الجامع بالريدانية خارج القاهرة عمره الامير سيف الدين كراى المنصورى فى سنة احدى وسبعمائة لكثرة ما كان هناك من السكان فلما خربت تلك الاماكن تعطل هذا الجامع وهو الآن قائم وجميع ماحوله داثر وعما قليل يدثر

(جامع القلعة)

هذا الجامع بقلعة الجبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكان أولا مكانه جامع قديم وبجواره المطبخ السلطانى والحوائجخاناه والطشتخاناه والفراشخاناه فهدم الجميع وأدخلها فى هذا الجامع وعمره أحسن عمارة وعمل فيه من الرخام الفاخر الملون شيأ كثيرا وعمر فيه قبة جليلة وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصنعة وفى صدر الجامع مقصورة من حديد أيضا برسم صلاة السلطان فلما تم بناؤه جلس فيه السلطان بنفسه واستدعى جميع المؤذنين بالقاهرة ومصر وسائر الخطباء والقراء وأمر الخطباء فخطب كل منهم بين يديه وقام المؤذنون فأذنوا وقرأ القراء فاختار الخطيب جمال الدين محمد بن محمد بن الحسن القسطلانى خطيب جامع عمرو وجعله خطيبا بهذا الجامع واختار عشرين مؤذنا رتبهم فيه وجعل به قراء ودرسا وقارئ مصحف وجعل له من الاوقاف ما يفضل عن مصارفه فجاء من أجل جوامع مصر وأعظمها وبه الى اليوم يصلى سلطان مصر صلاة الجمعة والذى يخطب فيه ويصلى بالناس الجمعة قاضى القضاة الشافعى

(جامع قوصون)

هذا الجامع داخل باب القرافة تجاه خانقاه قوصون أنشأه الامير سيف الدين قوصون وعمر بجانبه حماما فعمرت تلك الجهة من القرافة بجماعة الخانقاه والجامع وهو باق الى يومنا

(جامع كوم الريش)

هذا الجامع عمارة دولات شاه

(جامع الجزيرة الوسطى)

أنشأه الطواشى مثقال خادم تذكار ابنة الملك الظاهر بيبرس وهو عامر الى يومنا هذا

(جامع ابن صارم)

هذا الجامع بخط بولاق خارج القاهرة أنشأه محمد بن صارم شيخ بولاق فيما بين بولاق وباب البحر

(جامع الكيمختى)

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الجنينة وهو بجانب موضع الكيمخت على شاطئ الخليج من جهة أرض

الطبالة كان موضعه دارا اشتراها معلم الكيمخت وكان يعرف بالحوى وعملها جامعا فضمن المعلم بعده رجل يعرف بالرومى فوقف عليه مواضع وجدده مئذنة فى جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانمائة ووسع فى الجامع قطعة كانت منشرا وكان قبل ذلك قد جدد عمارته شخص يعرف بالفقيه زين الدين ريحان بعد سنة تسعين وسبعمائة وعمر بجانبه مساكن وهو الآن عامر بعمارة ما حوله

(جامع الست مسكة)

هذا الجامع بالقرب من قنطرة اق سنقر التى على الخليج الكبير خارج القاهرة أنشأته الست مسكة جارية الملك الناصر محمد بن قلاون وأقيمت فيه الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وقد ذكرت مسكة هذه عند ذكر الاحكار

(جامع ابن الفلك)

هذا الجامع بسويقة الجيزة من الحسينية خارج القاهرة أنشأه مظفر الدين بن الفلك

(جامع التكرورى)

هذا الجامع فى ناحية بولاق التكرورى وهذه الناحية من جملة قرى الجيزة كانت تعرف بمنية بولاق ثم عرفت ببولاق التكرورى فانه كان نزل بها الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى وكان يعتقد فيه الخير وجربت بركة دعائه وحكيت عنه كرامات كثيرة منها أن امرأة خرجت من مدينة مصر تريد البحر فأخذ السودان ابنها وساروا به فى مركب وفتحوا القلع فجرت السفينة وتعلقت المرأة بالشيخ تستغيث به فخرج من مكانه حتى وقف على شاطئ النيل ودعا الله سبحانه وتعالى فسكن الريح ووقفت السفينة عن السير فنادى من فى المركب يطلب منهم الصبى فدفعوه اليه وناوله لامه وكان بمصر رجل دباغ أتاه عذص فأخذه منه أصحاب السلطان فأتى الى الشيخ وشكا اليه ضرورته فدعا ربه فرد الله عليه عفصه بسؤال أصحاب السلطان له فى ذلك وكان يقال له لم لاتسكن المدينة فيقول انى اشم رائحة كريهة اذا دخلتها ويقال انه كان فى خلافة العزيز بن المعز وان الشريف محمد بن اسعد الجوانى جمع له جزأ فى مناقبه ولما مات بنى عليه قبة وعمل بجانبه جامع جدده ووسعه الامير محسن الشهابى مقدم المماليك وولى تقدمة المماليك عوضا عن الطواشى عنبر السحرتى أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ومات فى ثم ان النيل مال على ناحية بولاق هذه فيما بعد سنة تسعين وسبعمائة وأخذ منها قطعة عظيمة كانت كلها مساكن نخاف أهل البلد أن يأخذ ضريح الشيخ والجامع لقربهما منه فنقلوا الضريح والجامع الى داخل البلد وهو باق الى يومنا هذا

(جامع البرقية)

هذا الجامع بالقرب من باب البرقية بالقاهرة عمره الامير مغلطاى الفخرى أخو الامير الماس الحاجب وكمل فى المحرم سنة ثلاثين وسبعمائة وكان ظالما عسوفا متكبرا جبارا قبض عليه مع أخيه الماس فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وقتل معه

(جامع الحرانى)

هذا الجامع بالقرافة الصغرى فى بحرى الشافعى عمره ناصر الدين بن الحرانى الشرابيشى فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة

(جامع بركة)

هذا الجامع بالقرب من جامع ابن طولون يعرف خطه بجدرة ابن قميحة عمره شخص من الجند يعرف ببركة كان يباشر أستادارية الامراء ومات بعد سنة احدى وثمانمائة

(جامع بركة الرطلى)

هذا الجامع كان يعرف موضعه ببركة الفول من جملة أرض الطبالة فلما عمرت بركة الرطلى كما تقدم ذكره أنشئ هذا الجامع وكان ضيقا قصير السقف وفيه قبة تحتها قبر يزار وهو قبر الشيخ خليل بن عبد ربه نادم الشيخ عبد العال

وتوفى فى المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فلما سكن الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم بن بركة البشيرى بجوار هذا الجامع هدمه ووسع فيه وبناه هذا البناء فى سنة أربع عشرة وثمانمائة * وولد البشيرى فى سابع ذى القعدة سنة ست وستين وسبعمائة وتنقل فى الخدم الديوانية حتى ولى نظر الدولة الى أن قتل الامير جمال الدين يوسف الاستادار فاستقر بعده فى الوزارة بسفارة فتح الدين فتح الله بن كاتب السر فى يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الاولى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة فباشر الوزارة بضبط جيد لمعرفته الحساب والكتابة الا انها كانت أيام محن احتاج فيها الى وضع يده وأخذ الاموال بأنواع الظلم فلما قتل الملك الناصر فرج واستبد الملك المؤيد شيخ صرفه عن الوزارة فى يوم الخميس خامس جمادى الاولى سنة ست عشرة وثمانمائة ودفن بالقرافة وهذا الجامع عامر بعمارة ما حوله

(جامع الضوة)

هذا الجامع فيما بين الطبلخاناه السلطانية وباب القلعة المعروف بباب المدرج على رأس الضوة أنشأه الامير الكبير شيخ المحمودى لما قدم من دمشق بعد قتل الملك الناصر فرج وأقامة الخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله العباسى ابن محمد فى سنة خمس عشرة وثمانمائة وسكن بالاصطبل السلطانى فشرع فى بناء دار يسكنها فلما استبد بسلطنة مصر وتلقب بالملك المؤيد استغنى عن هذه الدار وكانت لم تكمل فعملها جامعا وخانقاه وصارت الجمعة تقام به

(جامع الحوش)

هذا الجامع فى داخل قلعة الجبل بالحوش السلطانى أنشأه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة فصار يصلى فيه الخدام وأولاد الملوك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون الى أن قتل الناصر فرج

(جامع الاصطبل)

هذا الجامع فى الاصطبل السلطانى من قلعة الجبل عمره

(جامع ابن التركمانى)

هذا الجامع بالمقس خارج القاهرة

(جامع   )

هذا الجامع بخط السبع سقايات فيما بين القاهرة ومصر يطل على بركة قارون أنشأه

(جامع الباسطى)

هذا الجامع فى بولاق خارج القاهرة أدركت موضعه وهو مطل على النيل طول السنة أنشأه شخص من عرض الفقهاء يعرف   فى سنة سبع عشرة وثمانمائة

(جامع الحنفى)

هذا الجامع خارج القاهرة أنشأه الشيخ شمس الدين محمد بن حسن بن على الحنفى فى سنة سبع عشرة وثمانمائة

(جامع ابن الرفعة)

هذا الجامع خارج القاهرة بحكر الزهرى أنشأه الشيخ نجم الدين عبد المحسن بن الرفعة بن أبى المجد العدوى

(جامع الاسماعيلى)

أنشأه الامير أرغون الاسماعيلى على البركة الناصرية فى شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

(جامع الزاهد)

هذا الجامع بخط المقس خارج القاهرة كان موضعه كوم تراب فنقله الشيخ المعتقد أحمد بن   المعروف بالزاهد وأنشأ موضعه هذا الجامع فكمل فى شهر رمضان سنة ثمان عشرة وثمانمائة وهدم بسببه عدة

مساجد قد خرب ما حولها وبنى بأنقاضها هذا الجامع وكان ساكنا مشهورا بالخير يخط الناس بالجامع الازهر وغيره ولطائفة من الناس فيه عقيدة حسنة ولم يسمع عنه الا خيرمات يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة وثمانمائة أيام الطاعون ودفن بجامعه

(جامع ابن المغربي)

هذا الجامع بالقرب من بركة قرموط مطل على الخليج الناصري أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربي رئيس الاطباء بديار مصر وبنى بجانبه قبة دفن فيها وعمل به درسا وقراء ومنبرا يخطب عليه في يوم الجمعة وكان عامرا بعمارة ما حوله فلما خرب خط بركة قرموط تعطل وهو آيل الى أن ينقض ويباع كما بيعت أنقاض غيره

(جامع الفخري)

هذا الجامع بجوار دار الذهب التي عرفت بدار بهادر الاعسر المجاورة لقبو الذهب من خط بين السورين فيما بين الخوخة وباب سعادة ويتوصل اليه أيضا من درب العداس المجاور لحارة الوزيرية أنشأه الامير فخر الدين عبد الغني ابن الامير تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الاستادار في سنة احدى وعشرين وثمانمائة وخطب فيه يوم الجمعة ثامن عشري شعبان من السنة المذكورة وعمل فيه عدة دروس وأول من خطب فيه الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارنباري الشافعي ثم تركه تنزها عنه وفي يوم الاحد ثامن شهر رمضان جلس فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوي الشافعي للتدريس وأضيف اليه مشيخة التصوف وقرر قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري المقدسي الحنفي في تدريس الحنفية وفي تدريس المالكية قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد المالكي وحضر البرماوي وظيفة التصوف بعد عصر يومه فمات الامير فخر الدين في نصف شوال منها ولم يكمل فدفن هنالك

(الجامع المؤيدي)

هذا الجامع بجوار باب زويلة من داخله كان موضعه خزانة شمائل حيث يسجن أرباب الجرائم وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة وقيسارية بهاء الدين ارسلان أنشأه السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي الظاهري فهو الجامع الجامع لمحاسن البنيان الشاهد بفخامة أركانه وضخامة بنيانه أن منشئه سيد ملوك الزمان يحتقر الناظر له عند مشاهدته عرش بلقيس وايوان كسرى أنوشروان ويستصغر من تأمل بديع اسطوانه الخورنق وقصر غمدان ويعجب من عرف أوليته من تبديل الابدال وتنقل الامور من حال الى حال بينا هو سجن ترهق فيه النفوس ويضام المجهود اذ صار مدارس آيات وموضع عبادات ومحل سجود فالله يعمره ببقاء منشيه ويعلي كلمة الايمان بدوام ملك بانيه

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
أوما ترى الهرمين قد بقيا وكم * ملك محاه حوادث الازمان
ان البناء اذا تعاظم قدره * أضحى يدل على عظيم الشان

وأول ما ابتدئ به في أمر هذا الجامع أن رسم في رابع شهر ربيع الاول سنة ثمان عشرة وثمانمائة بانتقال سكان قيسارية سنقر الاشقر التي كانت تجاه قيسارية الفاضل ثم نزل جماعة من أرباب الدولة في خامسه من قلعة الجبل وابتدئ في الهدم في القيسارية المذكورة وما يجاورها فهدمت الدور التي كانت هنالك في درب الصفيرة وهدمت خزانة شمائل فوجدبها من رمم القتلى ورؤسهم شئ كثير وافرد لنقل ما خرج من التراب عدة من الجمال والحمير بلغت علائقهم في كل يوم خمسمائة عليقة * وكان السبب في اختيار هذا المكان دون غيره أن السلطان حبس في خزانة شمائل هذه أيام تغلب الامير منطاش وقبضه على المماليك الظاهرية فقاسى في ليلة من البق والبراغيث شدائد فنذر لله تعالى ان يسر له ملك مصر أن يجعل هذه البقعة مسجدا لله عز وجل ومدرسة لاهل العلم فاختار لذلك هذه البقعة وفاء لنذره * وفي رابع جمادى الآخرة كان ابتداء حفر الاساس وفي خامس صفر سنة تسع عشرة وثمانمائة وقع الشروع في البناء واستقر فيه بضع وثلاثون بناء ومائة فاعل ووفيت لهم ولمباشريهم أجورهم من غير أن يكلف أحد في العمل فوق طاقته ولا سخر فيه أحد بالقهر فاستقر العمل الى يوم الخميس

سابع

سابع عشر ربيع الاول فأشهد عليه السلطان انه وقف هذا مسجدا لله تعالى ووقف عليه عدة مواضع بديار مصر وبلاد الشام وتردد ركوب السلطان الى هذه العمارة عدة مرار * وفى شعبان طلبت عمد الرخام وألواح الرخام لهذا الجامع فأخذت من الدور والمساجد وغيرها وفى يوم الخميس سابع عشرى شوال نقل باب مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاون والتنور النحاس المكفت الى هذه العمارة وقد اشتراهما السلطان بخمسمائة دينار وهذا الباب هو الذى عمل لهذا الجامع وهذا التنور هو التنور المعلق تجاه المحراب وكان الملك الظاهر برقوق قد سد باب مدرسة السلطان حسن وقطع البسطة التى كانت قدامه كما تقدم فبقى مصراعا الباب والسد من ورائهما حتى نقلا مع التنور الذى كان معلقا هنالك * وفى ثامن عشريه دفنت ابنة صغيرة للسلطان فى موضع القبة الغربية من هذا الجامع وهى ثانى ميت دفن بها وانعقدت جملة ما صرف فى هذه العمارة الى سلخ ذى الحجة سنة تسع عشرة على أربعين ألف دينار ثم نزل السلطان فى عشرى المحرم الى هذه العمارة ودخل خزانة الكتب التى عملت هنالك وقد حمل اليها كتبا كثيرة فى انواع العلوم كانت بقلعة الجبل وقدم له ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر خمسمائة مجلد قيمتها ألف دينار فأقر ذلك بالخزانة وأنعم على ابن البارزى بأن يكون خطيبا وخازن الكتب هو ومن بعده من ذريته * وفى سابع عشر شهر ربيع الآخر منها سقط عشرة من الفعلة مات منهم أربعة وحمل ستة بأسوء حال * وفى يوم الجمعة ثانى جمادى الاولى أقيمت الجمعة به ولم يكمل منه سوى الايوان القبلى وخطب وصلى بالناس عز الدين عبد السلام المقدسى أحد نواب القضاة الشافعية نيابة عن ابن البارزى كاتب السر * وفى يوم السبت خامس شهر رمضان منها ابتدئ بهدم ملك بجوار ربع الملك الظاهر بيبرس مما اشتراه الامير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الاستادار ليعمل ميضأة واستمر العمل هنالك ولازم الامير فخر الدين الاقامة بنفسه واستعمل مماليكه والزامه فيه وجد فى العمل كل يوم فكملت فى سلخه بعد خمسة وعشرين يوما ووقع الشروع فى بناء حوانيت على بابها من جهة تحت الربع ويعلوها طباق وبلغت النفقة على الجامع الى آخريات شهر رمضان هذا سوى عمارة الامير فخر الدين المذكور زيادة على سبعين ألف دينار وتردد السلطان الى النظر فى هذا الجامع غير مرة * فلما كان فى اثناء شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين ظهر بالمئذنة التى أنشئت على بدنة باب زويلة التى تلى الجامع اعوجاج الى جهة دار التفاح فكتب محضر بجماعة المهندسين أنها مستحقة الهدم وعرض على السلطان فرسم بهدمها فوقع الشروع فى الهدم يوم الثلاثاء رابع عشريه واستمر فى كل يوم فسقط يوم الخميس سادس عشريه منها حجر هدم ملكا تجاه باب زويلة هلك تحته رجل فغلق باب زويلة خوفا على المارة من يوم السبت الى آخر يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الاولى مدة ثلاثين يوما ولم يعهد وقوع مثل هذا قط منذ بنيت القاهرة * وقال أدباء العصر فى سقوط المنارة المذكورة شعرا كثيرا منه ما قاله الحافظ الوقت شهاب الدين أحمد بن على بن حجر الشافعى رحمه الله

لجامع مولانا المؤيد رونق * منارته تزهو من الحسن والزين

تقول وقد مالت عليهم تمهلوا * فليس على جسمى أضر من العين

فتحدث الناس أنه فى قوله بالعين قصد التورية أخدم فى العين التى تصيب الاشياء فتتلفها وفى الشيخ بدر الدين محمود العينتابى فانه يقال له العينى أيضا

فقال المذكور يعارضه

منارة كعروس الحسن اذ جليت * وهدمها بقضاء الله والقدر

قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط * ما أوجب الهدم الا خسة الحجر

يعرض بالشهاب ابن حجر وكل منهما لم يصب الغرض فان العينى بدر الدين محمودا ناظر الاحباس والشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر كل منهما ليس له فى المئذنة تعلق حتى يخدم التورية وأقعد منهما بالتورية من قال

على البرج من بابى زويلة أسست * منارة بيت الله والمعهد المنجى

فأخلى بها البرج اللعين أمالها * الا فاصرخوا يا قوم باللعن للبرج

وذلك أن الذى ولى تدبير أمر الجامع المؤيدى هذا وولى نظر عمارته بهاء الدين محمد بن البرجى فخدمت التورية فى البرجى كما ترى وتداول هذا الناس فقال آخر

عتبنا على ميل المنار زويلة * وقلنا تركت الناس بالميل فى هرج
فقال قرينى برج نحس أمالنى * فلا بارك الرحمن فى ذلك البرج

وقال الاديب شمس الدين محمد بن أحمد بن كمال الجوهرى أحد الشهود

منارة لثواب الله قد بنيت * فكيف هدت فقالوا نوضح الخبرا
اصابت العين أحجارا بها انفلقت * وتطرة العين قالوا تفلق الحجرا

وقال آخر

منارة قد هدمت بالقضا * والناس فى هرج وفى رهج
أمالها البرج فمالت به * فلعنة الله على البرج

وفى ثالث جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين استقر الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر فى تدريس الشافعية والشيخ يحيى بن محمد بن أحمد العجيسى البجاى المغربى فى تدريس المالكية وعز الدين عبد العزيز ابن على بن الفخر البغدادى فى تدريس الحنابلة وخلع عليهم بحضرة السلطان فدرس ابن حجر بالمحراب فى يوم الخميس ثالث عشره ونزل السلطان وأقبل ليحضر عنده وهو فى القاء الدرس ومنعه من القيام له فلم يقم واستمر فيما هو بصدده وجلس السلطان عنده مليا ثم درس يحيى المغربى فى يوم الخميس خامس عشره ودرس فيه أيضا الفخر البغدادى وحضر معهما قضاة القضاة والمشايخ * وفى سابع عشره استقر بدر الدين محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد العينتابى ناظر الاحباس فى تدريس الحديث النبوى واستقر شمس الدين محمد بن يحيى فى تدريس القراآت السبع * وفى يوم الجمعة حادى عشرى شوّال منها نزل السلطان الى هذا الجامع وقد تقدم الى المباشرين من أمسه بتهيئة السماط العظيم للمدة فيه والسكر الكثير لتملأ البركة التى بالصحن من السكر المذاب والحلوى الكثيرة فهيئ ذلك كله وجلس السلطان بكرة النهار بالقرب من البركة فى الصحن على تخت واستعرض الفقهاء فقرر من وقع اختياره عليه فى الدروس ومدّ السماط العظيم بأنواع المطاعم وملئت البركة بالسكر المذاب فأكل الناس ونهبوا وارتووا من السكر المذاب وحملوا منه ومن الحلوى ماقدروا عليه ثم طلب قاضى القضاة شمس الدين محمد بن سعد الديرى الحنفى وخلع عليه كاملية صوف بفرو سمور واستقر فى مشيخة التصوّف وتدريس الحنفية وجلس بالمحراب والسلطان عن يمينه ويليه ابنه المقام الصارمى ابراهيم وعن يساره قضاة القضاة ومشايخ العلم وحضر أمراء الدولة ومباشروها فألقى درسا مفيدا الى أن قرب وقت الصلاة فدعا بفض المجلس ثم حضرت الصلاة فصعد ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر المنبر فخطب وصلى ثم خلع عليه واستقر خطيبا وخازن الكتب وخلع على شهاب الدين أحمد الاذرعى الامام واستقر فى امامة الخمس وركب السلطان وكان يوما مشهودا * ولما مات المقام الصارمى ابراهيم بن السلطان دفن بالقبة الشرقية ونزل السلطان حتى شهد دفنه فى يوم الجمعة ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وأقام حتى صلى به الخطيب محمد البارزى كاتب السر صلاة الجمعة بعد ما خطب خطبة بليغة ثم عاد الى القلعة وأقام القراء على قبره يقرؤن القرآن أسبوعا والامراء وسائر أهل الدولة يترددون اليه وكانت ليالى مشهودة * وفى يوم السبت آخره استقر فى نظر الجامع المذكور الامير مقبل الدوادار وكاتب السر ابن البارزى فنزلا اليه جميعا وتفقدا أحواله ونظرا فى اموره فلما مات ابن البارزى فى ثامن شوّال منها انفرد الامير مقبل بالتحدث الى أن مات السلطان فى يوم الاثنين ثامن المحرّم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فدفن بالقبة الشرقية ولم تكن عمرت فشرع فى عمارتها حتى كملت فى شهر ذى القعدة منها وكذلك الدرج التى يصعد منها الى باب هذا الجامع من داخل باب زويلة لم تعمل الافى شهر رمضان منها وبقيت بقايا كثيرة من حقوق هذا الجامع لم تعمل منها القبة التى تقابل القبة المدفون تحتها السلطان والبيوت المعدّة لسكن الصوفية وغير ذلك فأفرد لعمارتها نحو من عشرين ألف دينار واستقر نظر هذا الجامع بعد موت السلطان بيد كاتب السر

(الجامع الاشرفى)

هذا الجامع فيما بين المدرسة السيوفية وقيسارية العنبر كان موضعه حوانيت تعلوها رباع ومن ورائها ساحات كانت قياسر بعضها وقف على المدرسة القطبية فابتدأ الهدم فيها بعد ما استبدلت بغيرها أوّل شهر رجب سنة

ست وعشرين وثمانمائة وبنى مكانها فلما عمر الايوان القبلى أقيمت به الجمعة فى سابع جمادى الاولى سنة سبع وعشرين وخطب به الحموى الواعظ وقد ولى الخطابة المذكورة

(الجامع الباسطى)

هذا الجامع بخط الكافورى من القاهرة كان موضعه من جملة أراضى البستان ثم صار مما اختط كما تقدم ذكره فأنشأه القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقى ناظر الجيوش فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ولم يسخر أحدا فى عمله بل وفى لهم أجورهم حتى كمل فى أحسن هندام وأكيس قالب وأبدع زى ترتاح النفوس لرؤيته وتبتهج عند مشاهدته فهو الجامع الزاهر والمعبد الباهى الباهر ابتدئ فيه باقامة الجمعة فى يوم الجمعة الثانى من صفر سنة ثلاث وعشرين ورتب فى خطابته فتح الدين أحمد بن محمد ابن النقاش أحد شهود الحوانيت وموقعى القضاة ثم رتب به صوفية وولى مشيخة التصوف عز الدين عبد السلام ابن داود بن عثمان المقدسى الشافعى أحد نواب الحكم فكان ابتداء حضورهم بعد عصر يوم السبت أول شهر رجب منها وأجرى للفقراء الصوفية الخبز فى كل يوم والمعلوم فى كل شهر وبنى لهم مساكن وحفر صهريجا يملأ من ماء النيل ويسبل فى كل يوم فعم نفعه وكثر خيره * ثم تجدد فى بولاق جامع ابن الجابى وجامع ابن السفيتى وتجدد فى مصر جامع الحسنات بخط دار النحاس وفى حكر الصبان الجامع المعروف بالمستجد وبجامع الفتح وفى حارة الفقراء جامع عبد اللطيف الطواشى الساقى * وتجدد فى خارج القاهرة بسويقة صفية جامع ابن درهم ونصف وفى خط معدية فريج جامع كزل بغا وفى رأس درب النيدى جامع حارس الطير وفى سويقة عصفور جامع القاضى أمين الدين بجانب زاوية الفقيه المعتقد أبى عبد الله محمد الفارقانى بنى فى سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وبخط البراذعيين ورأس حارة الحرمين جامع الحاج محمد المعروف بالمسكين مهتار ناظر الخاص * وتجدد فى المراغة جامع الشيخ أبى بكر المعترف بناه الحاج أحمد القماح وأقيمت خطبة بخانكاه الامير جانى بك الاشرفى خارج باب زويلة وتوفى يوم الخميس سابع عشرى ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وثمانمائة وبخط باب اللوق جامع بمقدم السقائين قريبا من جامع الست نصرة وبخط تحت الربع خارج باب زويلة جامع * وتجدد بالصحراء قريبا من تربة الظاهر برقوق خطبة فى تربة السلطان الملك الاشرف برسباى الدقاقى * وتجدد فى آخر سويقة أمير الجيوش بالقاهرة جامع أنشأه الفقير المعتقد محمد الغمرى وأقيمت به الجمعة فى يوم الجمعة رابع ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل أن يكمل * وتجدد فى زاوية الشيخ أبى العباس البصير التى عند قنطرة الخرق خطبة * وتجدد فى حدرة الكاجيين من أراضى اللوق خطبة بزاوية مطلة على غيط العدة * وتجدد بالصحراء خطبة فى تربة الامير مشير الدولة كافور الزمام وتوفى فى خامس عشر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمانمائة * وتجدد بخط الكافورى خطبة أحدثها بنو وفاء فى جامع لطيف جدا * وتجدد بمدرسة ابن البقرى من القاهرة أيضا خطبة فى أيام المؤيد شيخ * وتجدد بحارة الديلم خطبة فى مدرسة أنشأها الطواشى مشير الدولة المذكور * وتجدد عند قنطرة قدادار خطبة أنشأها شاكر البناء وخطبة بالقرب منها فى جامع أنشأه الحاج ابراهيم البرددار الشهير بالحصانى أحد الفقراء الاحمدية السطوحية فى حدود الثلاثين والثمانمائة

(ذكر مذاهب أهل مصر ونحلهم منذ افتتح عمرو بن العاص رضى الله عنه أرض مصر الى أن صاروا الى اعتقاد مذاهب الائمة رحمهم الله تعالى وما كان من الاحداث فى ذلك)

اعلم أن الله عز وجل لما بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى كافة الناس جميعا عربهم وعجمهم وهم كلهم أهل شرك وعبادة لغير الله تعالى الا بقايا من أهل الكتاب كان من امره صلى الله عليه وسلم مع قريش ما كان حتى هاجر من مكة الى المدينة فكانت الصحابة رضوان الله عليهم حوله صلى الله عليه وسلم يجتمعون اليه فى كل وقت مع ما كانوا فيه من ضنك المعيشة وقلة القوت فمنهم من كان يحترف فى الاسواق ومنهم من كان يقوم على نخله ويحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل وقت ومنهم طائفة عندما تجد أدنى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة أو حكم بحكم أو أمر بشئ أو فعل شيأ وعاه من حضر عنده من الصحابة وفات من غاب عنه علم ذلك الا ترى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد خفى عليه

ما عمله حمل بن مالك بن النابغة رجل من الاعراب من هذيل فى دية الجنين وخفى عليه * وكان يفتى فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعرى وسلمان الفارسى رضى الله عنهم * فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه تفرقت الصحابة رضى الله عنهم فمنهم من خرج لقتال مسيلمة واهل الردة ومنهم من خرج لقتال أهل الشام ومنهم من خرج لقتال أهل العراق وبقى من الصحابة بالمدينة مع أبى بكر رضى الله عنه عدة فكانت القضية اذا نزلت بأبى بكر رضى الله عنه قضى فيها بما عنده من العلم بكتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل من بحضرته من الصحابة رضى الله عنهم عن ذلك فان وجد عندهم علما من ذلك رجع اليه والا اجتهد فى الحكم * ولما مات أبو بكر وولى أمر الامة من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتحت الامصار وزاد تفرق الصحابة رضى الله عنهم فيما افتتحوه من الاقطار فكانت الحكومة تنزل بالمدينة أو غيرها من البلاد فان كان عند الصحابة الحاضرين لها فى ذلك أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم به والا اجتهد أمير تلك البلدة فى ذلك وقد يكون فى تلك القضية حكم عن النبى صلى الله عليه وسلم موجود عند صاحب آخر وقد حضر المدنى مالم يحضر المصرى وحضر المصرى مالم يحضر الشامى وحضر الشامى مالم يحضر البصرى وحضر البصرى مالم يحضر الكوفى وحضر الكوفى مالم يحضر المدنى كل هذا موجود فى الآثار وفيما علم من مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات وحضور غيره ثم مغيب الذى حضر أمس وحضور الذى غاب فيدرى كل واحد منهم ما حضر ويفوته ما غاب عنه فمضى الصحابة رضى الله عنهم على ماذكرنا ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين فى البلاد التى تقدم ذكرها فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لا يتعدون فتاويهم الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان فى بلادهم من الصحابة رضى الله عنهم كاتباع أهل المدينة فى الاكثر فتاوى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما واتباع أهل الكوفة فى الاكثر فتاوى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه واتباع أهل مكة فى الاكثر فتاوى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما واتباع أهل مصر فى الاكثر فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ثم اتى من بعد التابعين رضى الله عنهم فقهاء الامصار كأبى حنيفة وسفيان وابن أبى ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان البتى وسوار بالبصرة والاوزاعى بالشام والليث بن سعد بمصر فجروا على تلك الطريق من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده فيما كان عندهم واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم وهو موجود عند غيرهم * (وأما مذاهب أهل مصر) * فقال أبو سعيد بن يونس ان عبد بن مخمر المغافرى يكنى أبا أمية رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم شهد فتح مصر روى عنه أبو قبيل يقال انه كان أول من أقرأ القرآن بمصر * وذكر أبو عمرو الكندى أن أبا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمى كان فقيها عفيفا شريفا ولد سنة عشر ومائة وكان أول الناس اقراء بمصر بحرف نافع قبل الحسين ومائة وتوفى سنة ثمان وثمانين ومائة وذكر عن أبى قبيل وغيره أن يزيد بن أبى حبيب أول من نشر العلم بمصر فى الحلال والحرام وفى رواية ابن يونس ومسائل الفقه وكانوا قبل ذلك انما يتحدثون فى الفتن والترغيب * وعن عون بن سليمان الحضرمى قال كان عمر بن عبد العزيز قد جعل الفتيا بمصر الى ثلاثة رجال رجلان من الموالى ورجل من العرب فأما العربى فجعفر بن ربيعة وأما الموليان فيزيد بن أبى حبيب وعبد الله بن أبى جعفر فكان العرب انكروا ذلك فقال عمر بن عبد العزيز ماذنبى ان كانت الموالى تسمو بأنفسها صعدا وانتم لا تسمون وعن ابن أبى قديد كانت البيعة اذا جاءت للخليفة أول من يبايع عبد الله بن أبى جعفر ويزيد بن أبى حبيب ثم الناس بعد * وقال أبو سعيد بن يونس فى تاريخ مصر عن حيوة بن شريح قال دخلت على حسين بن شفى بن مانع الاصبحى وهو يقول فعل الله بفلان فقلت ماله فقال عمد الى كتابين كان شفى سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أحدهما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا والآخر ما يكون من الاحداث الى يوم القيامة فأخذهما فرمى بهما بين الخولة والرباب قال أبو سعيد بن يونس يعنى بقوله الخولة والرباب

يحيى

مركبين كبيرين من سفن الجسر كانا يكونان عند رأس الجسر مما يلي الفسطاط يجوز من تحتهما لكبرهما المراكب * وذكر أبو عمرو الكندي أن أبا سعيد عثمان بن عتيق مولى غافق أول من رحل من أهل مصر الى العراق في طلب الحديث توفي سنة أربع وثمانين ومائة انتهى * وكان حال أهل الاسلام من أهل مصر وغيرها من الامصار في أحكام الشريعة على ما تقدم ذكره ثم كثر الترحل الى الآفاق وتداخل الناس والتقوا وانتدب أقوام لجمع الحديث النبوي وتقييده فكان أول من دون العلم محمد بن شهاب الزهري وكان أول من صنف وبوب سعيد بن عروبة والربيع بن صبيح بالبصرة ومعمر بن راشد باليمن وابن جريج بمكة ثم سفيان الثوري بالكوفة وحماد بن سلمة بالبصرة والوليد بن مسلم بالشام وجرير بن عبد الحميد بالري وعبد الله بن المبارك بمرو وخراسان وهشيم بن بشير بواسط وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير الابواب وجودة التصنيف وحسن التأليف فوصلت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاد البعيدة الى من لم تكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شيء منها وجمعت الاحاديث المبينة لصحة أحد التأويلات المتأولة من الاحاديث وعرف الصحيح من السقيم وزيف الاجتهاد المؤدي الى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ترك عمله وسقط العذر عمن خالف ما بلغه من السنن ببلوغه اليه وقيام الحجة عليه وعلى هذا الطريق كان الصحابة رضي الله عنهم وكثير من التابعين يرحلون في طلب الحديث الواحد الايام الكثيرة يعرف ذلك من نظر في كتب الحديث وعرف سير الصحابة والتابعين * فلما قام هارون الرشيد في الخلافة وولي القضاء أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم أحد اصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى بعد سنة سبعين ومائة فلم يقلد بلاد العراق وخراسان والشام ومصر الا من أشار به القاضي أبو يوسف رحمه الله واعتنى به وكذلك لما قام بالاندلس الحكم المرتضى بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بعد أبيه وتلقب بالمنتصر في سنة ثمانين ومائة اختص بيحيى بن يحيى بن كثير الاندلسي وكان قد حج وسمع الموطأ من مالك الا ابوابا وحمل عن ابن وهب وعن ابن القاسم وغيره علما كثيرا وعاد الى الاندلس فنال من الرياسة والحرمة ما لم ينله غيره وعادت الفتيا اليه وانتهى السلطان والعامة الى بابه فلم يقلد في سائر اعمال الاندلس قاض الا باشارته واعتنائه فصاروا على رأي مالك بعد ما كانوا على رأي الاوزاعي وقد كان مذهب الامام مالك أدخله الى الاندلس زياد بن عبد الرحمن الذي يقال له بسطور قبل يحيى بن يحيى وهو أول من ادخل مذهب مالك الاندلس وكانت افريقية الغالب عليها السنن والآثار الى أن قدم عبد الله بن فروخ أبو محمد الفارسي بمذهب أبي حنيفة ثم غلب أسد بن الفرات بن سنان قاضي افريقية بمذهب أبي حنيفة ثم لما ولي سحنون بن سعيد التنوخي قضاء افريقية بعد ذلك نشر فيهم مذهب مالك وصار القضاء في اصحاب سحنون دولا يتصاولون على الدنيا تصاول الفحول على الشول الى أن تولى القضاء بها بنو هاشم وكانوا مالكية فتوارثوا القضاء كما تتوارث الضياع ثم ان المعز بن باديس حمل جميع أهل افريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه من المذاهب فرجع أهل افريقية وأهل الاندلس كلهم الى مذهب مالك الى اليوم رغبة فيما عند السلطان وحرصا على طلب الدنيا اذ كان القضاء والافتاء في جميع تلك المدن وسائر القرى لا يكون الا لمن تسمى بالفقه على مذهب مالك فاضطرت العامة الى أحكامهم وفتاواهم ففشا هذا المذهب هنالك فشوا طبق تلك الاقطار كما فشا مذهب أبي حنيفة ببلاد المشرق حيث ان أبا حامد الاسفرايني لما تمكن من الدولة في أيام الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد قرر معه استخلاف أبي العباس أحمد بن محمد البارزي الشافعي عن أبي محمد بن الاكفاني الحنفي قاضي بغداد فأجيب اليه بغير رضى الاكفاني وكتب أبو حامد الى السلطان محمود بن سبكتكين وأهل خراسان أن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية فاشتهر ذلك بخراسان وصار أهل بغداد حزبين وقدم بعد ذلك أبو العلاء صاعد بن محمد قاضي نيسابور ورئيس الحنفية بخراسان فأتاه الحنفية فثارت بينهم وبين اصحاب أبي حامد فتنة ارتفع أمرها الى السلطان فجمع الخليفة القادر الاشراف والقضاة وأخرج اليهم رسالة تتضمن أن الاسفرايني أدخل على امير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصح والشفقة والامانة وكانت على اصول الدخل والخيانة فلما تبين له أمره ووضح عنده خبث اعتقاده فيما سأل فيه من تقليد البارزي الحكم بالحضرة من الفساد والفتنة والعدول بأمير المؤمنين عما كان عليه أسلافه من ايثار الحنفية وتقليدهم واستعمالهم صرف البارزي وأعاد الامر الى حقه واجراه على قديم

رسمه وحمل الحنفيين على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمة والاعزاز وتقدّم اليهم بأن لا يلقوا أبا حامد ولا يقضوا له حقا ولا يردّوا عليه سلاما وخلع على أبي محمد الاكفاني وانقطع أبو حامد عن دار الخلافة وظهر التسخط عليه والانحراف عنه وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة واتصل ببلاد الشام ومصر * (أوّل من قدم بعلم مالك) الى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح وكان فقيها روى عنه الليث وابن وهب ورشيد بن سعد وتوفي بالاسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة ثم نشره بمصر عبد الرحمن بن القاسم فاشتهر مذهب مالك بمصر اكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر اصحاب مالك بمصر ولم يكن مذهب أبي حنيفة رحمه الله يعرف بمصر * قال ابن يونس وقدم اسماعيل بن اليسع الكوفي قاضيا بعد ابن لهيعة وكان من خير قضاتنا غير أنه كان يذهب الى قول أبي حنيفة ولم يكن أهل مصر يعرفون مذهب أبي حنيفة وكان مذهبه ابطال الاحباس فثقل امره على اهل مصر وسئموه ولم يزل مذهب مالك مشتهرا بمصر حتى قدم الشافعي محمد بن ادريس الى مصر مع عبد الله ابن العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في سنة ثمان وتسعين ومائة فصحبه من أهل مصر جماعة من اعيانها كبني عبد الحكم والربيع بن سليمان وأبي ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي وكتبوا عن الشافعي ما ألفه وعملوا بما ذهب اليه ولم يزل امر مذهبه يقوى بمصر وذكره ينتشر * قال أبو عمرو الكندي في كتاب أمراء مصر ولم يزل أهل مصر على الجهر بالبسملة في الجامع العتيق الى سنة ثلاث وخمسين ومائتين قال ومنع أرجون صاحب شرطة مزاحم بن خاقان أمير مصر من الجهر بالبسملة في الصلوات بالمسجد الجامع وأمر الحسين بن الربيع امام المسجد الجامع بتركها وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين ولم يزل أهل مصر على الجهر بها في المسجد الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها أرجون قال وامر أن تصلى التراويح في شهر رمضان خمس تراويح ولم يزل أهل مصر يصلون ست تراويح حتى جعلها أرجون خمسا في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ومنع من التثويب وأمر بالاذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد وأمر بالتغليس بصلاة الصبح وذلك انهم أسفروا بها وما زال مذهب مالك ومذهب الشافعي رحمهما الله تعالى يعمل بهما أهل مصر ويولى القضاء من كان يذهب اليهما أو الى مذهب ابي حنيفة رحمه الله الى أن قدم القائد جوهر من بلاد افريقية في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة بجيوش مولاه المعز لدين الله أبي تميم معدّ وبنى مدينة القاهرة فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة وعمل به في القضاء والفتيا وأنكر ما خالفه ولم يبق مذهب سواه وقد كان التشيع بأرض مصر معروفا قبل ذلك * قال أبو عمرو الكندي في كتاب الموالي عن عبد الله بن لهيعة انه قال قال يزيد بن أبي حبيب نشأت بمصر وهي علوية فقلبتها عثمانية * وكان ابتداء التشيع في الاسلام أن رجلا من اليهود في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أسلم فقيل له عبد الله بن سبا وعرف بابن السوداء وصار ينتقل من الحجاز الى أمصار المسلمين يريد اضلالهم فلم يطق ذلك فرجع الى كيد الاسلام وأهله ونزل البصرة في سنة ثلاث وثلاثين فجعل يطرح على أهلها مسائل ولا يصرّح فأقبل عليه جماعة ومالوا اليه وأعجبوا بقوله فبلغ ذلك عبد الله بن عامر وهو يومئذ على البصرة فأرسل اليه فلما حضر عنده سأله ما أنت فقال رجل من اهل الكتاب رغبت في الاسلام وفي جوارك فقال ما شيء بلغني عنك اخرج عني فخرج حتى نزل الكوفة فأخرج منها فسار الى مصر واستقرّ بها وقال في الناس العجب ممن يصدّق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمدا يرجع وتحدّث في الرجعة حتى قبلت منه فقال بعد ذلك انه كان لكل نبي وصي وعلي ابن أبي طالب وصي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن علي بن أبي طالب وصيه في الخلافة على أمته واعلموا أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق فامضوا في هذا الامر وابدؤا بالطعن على أمرائكم فأظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس وبث دعاته وكاتب من مال اليه من أهل الامصار وكاتبوه ودعوا في السر الى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الامصار كتبا يضعونها في عيب ولاتهم فيكتب أهل كل مصر منهم الى اهل المصر الآخر بما يضعون حتى ملؤا بذلك الارض اذاعة وجاء الى أهل المدينة من جميع الامصار فأتوا عثمان رضي الله عنه في سنة خمس وثلاثين وأعلموه ما أرسل به أهل الامصار من شكوى عمالهم فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وأسامة بن زيد الى البصرة وعمار بن ياسر الى مصر وعبد الله بن عمر الى الشام لكشف سير العمال فرجعوا الى عثمان الا عمارا وقالوا ما انكرنا شيأ

وتأخر عمار فورد الخبر الى المدينة بأنه قد استماله عبد الله ابن السوداء فى جماعة فأمر عثمان عماله أن يوافوه بالموسم فقدموا عليه واستشاروه فكل اشار برأى ثم قدم المدينة بعد الموسم فكان بينه وبين على بن أبى طالب كلام فيه بعض الجفاء بسبب اعطائه أقاربه ورفعه لهم على من سواهم وكان المنحرفون عن عثمان قد تواعدوا يوما يخرجون فيه بأمصارهم اذا سار عنها الامراء فلم يتهيأ لهم الوثوب وعند مارجع الامراء من الموسم تكاتب المخالفون فى القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون وكان امير مصر من قبل عثمان رضى الله عنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى فلما خرج فى شهر رجب من مصر فى سنة خمس وثلاثين استخلف بعده عقبة بن عامر الجهنى فى قول الليث بن سعد وقال يزيد بن أبى حبيب بل استخلف على مصر السائب بن هشام العامرى وجعل على الخراج سليم بن عنز التجيبى فانتزى محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف فى شوال من السنة المذكورة وأخرج عقبة بن عامر من الفسطاط ودعا الى خلع عثمان رضى الله عنه واسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شئ يقدر عليه فكان يكتب الكتب على لسان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت ووجوههم الى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا الى طريق المدينة بمصر ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليلقوهم وقد أمرهم اذا لقيهم الناس أن يقولوا ليس عندنا خبر الخبر فى الكتب فيجىء رسول اولئك الذين دس فيذكر مكانهم فيتلقاهم ابن أبى حذيفة والناس يقولون نتلقى رسل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لقوهم قالوا لهم ما الخبر قالوا الاخبر عندنا عليكم بالمسجد ليقرأ عليكم كتاب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فيجتمع الناس فى المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول انا نشكو الى الله واليكم ما عمل فى الاسلام وما صنع فى الاسلام فيقوم اولئك الشيوخ من نواحى المسجد بالبكاء فيبكون ثم ينزل عن المنبر ويتفرق الناس بما قرئ عليهم فلما رأت ذلك شيعة عثمان رضى الله عنه اعتزلوا محمد بن أبى حذيفة ونابذوه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة وبسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد وعمرو بن قحزم الخولانى ومقسم بن بجرة وحمزة بن سرح بن كلال وأبو الكنود سعد بن مالك الازدى وخالد بن ثابت الفهمى فى جمع كثير وبعثوا اسلمة بن مخرمة التجيبى الى عثمان ليخبره بأمرهم وبصنيع ابن أبى حذيفة فبعث عثمان رضى الله عنه سعد بن أبى وقاص ليصلح أمرهم فبلغ ذلك ابن أبى حذيفة فخطب الناس وقال ألا ان الكذا والكذا قد بعث اليكم سعد بن مالك ليفل جماعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التجادل بينكم فانفروا اليه فخرج منهم مائة أو نحوها وقد ضرب فسطاطه وهو قائل فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب راحلته وعاد راجعا من حيث جاء وقال ضربكم الله بالذل والفرقة وشتت أمركم وجعل بأسكم بينكم ولا ارضاكم بأمير ولا أرضاه عنكم * واقبل عبد الله بن سعد حتى بلغ جسر القلزم فاذا بخيل لابن أبى حذيفة فمنعوه أن يدخل فقال ويحكم دعونى أدخل على جندى فأعلمهم بما جئت به فانى قد جئتهم بخير فأبوا أن يدعوه فقال والله لوددت انى دخلت عليهم وأعلمتهم بما جئت به ثم مت فانصرف الى عسقلان وأجمع محمد بن أبى حذيفة على بعث جيش الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال من يتشرط فى هذا البعث فكثر عليه من يتشرط فقال انما يكفينا منكم ستمائة رجل فتشرط من أهل مصر ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس وعلى جماعتهم عبد الرحمن ابن عديس البلوى وهم كنانة بن بشر بن سلمان التجيبى وعروة بن سليم الليثى وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى وسودان بن ريان الاصبحى وذرع بن يشكر النافعى وسجن رجال من أهل مصر فى دورهم منهم بسر بن أرطاة ومعاوية بن خديج فبعث ابن أبى حذيفة الى معاوية بن خديج وهو أرمد ليكرهه على البيعة فلما بلغ ذلك كنانة بن بشر وكان رأس الشيعة الاولى دفع عن معاوية ما كره ثم قتل عثمان رضى الله عنه فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فدخل الركب الى مصر وهم يرتجزون

خذها اليك واحذرن أبا الحسن * انا نمر الحرب امرار الوسن * بالسيف كى تخمد نيران الفتن

فلما دخلوا المسجد صاحوا انا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله * فلما رأى ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا لمعاوية ابن خديج عليهم وبايعوه على الطلب بدم عثمان فسار بهم معاوية الى الصعيد فبعث اليهم ابن أبى حذيفة فالتقوا بدقناس من كورة البهنسا فهزم أصحاب ابن أبى حذيفة ومضى معاوية حتى بلغ برقة ثم رجع الى

الاسكندرية فبعث ابن أبي حذيفة بجيش آخر عليهم قيس بن حرمل فاقتتلوا بخربتا أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فقتل قيس وسار معاوية بن أبي سفيان الى مصر فنزل سلمنت من كورة عين شمس فى شوال فخرج اليه ابن أبي حذيفة فى أهل مصر فمنعوه أن يدخلها فبعث اليه معاوية انا لا نريد قتال أحد انما جئنا نسأل القود لعثمان ادفعوا الينا قاتليه عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر وهما رأس القوم فامتنع ابن أبي حذيفة وقال لو طلبت منا جديا أرطب السرة بعثمان ما دفعناه اليك فقال معاوية بن أبي سفيان لابن أبي حذيفة اجعل بيننا وبينكم رهنا فلا يكون بيننا وبينكم حرب فقال ابن أبي حذيفة فانى أرضى بذلك فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت بن مخرمة وخرج فى الرهن هو وابن عديس وكنانة بن بشر وأبو شمر بن ابرهة وغيرهم من قتلة عثمان فلما بلغوا لد سجنهم بها معاوية وسار الى دمشق فهربوا من السجن غير أبي شمر بن ابرهة فانه قال لا أدخله أسيرا وأخرج منه آبقا وتبعهم صاحب فلسطين فقتلهم واتبع عبد الرحمن بن عديس رجل من الفرس فقال له عبد الرحمن بن عديس اتق الله فى دمى فانى بايعت النبى صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فقال له الشجر فى الصحراء كثير فقتله * وقال محمد بن أبي حذيفة فى الليلة التى قتل فى صباحها عثمان فان يكن القصاص لعثمان فسنقتل من الغد فقتل من الغد وكان قتل ابن ابى حذيفة وعبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر ومن كان معهم من الرهن فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين * فلما بلغ على بن أبي طالب رضى الله عنه مصاب ابن أبي حذيفة بعث قيس بن سعد بن عبادة الانصارى على مصر وجمع له الخراج والصلاة فدخلها مستهل شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين واستمال الخارجية بخربتا ودفع اليهم اعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وأحسن اليهم ومصر يومئذ من جيش على رضى الله عنه الا أهل خربتا الخارجين بها * فلما ولى على رضى الله عنه قيس بن سعد وكان من ذوى الرأى جهد معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها فامتنع عليهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدرا على أن يلجا مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل على رضى الله عنه فكان معاوية يحدث رجالا من ذوى رأى قريش فيقول ما ابتدعت من مكايدة قط اعجب الى من مكايدة كدت بها قيس بن سعد حين امتنع منى قلت لاهل الشام لا تسبوا قيسا ولا تدعوا الى غزوه فان قيسا لنا شيعة تأتينا كتبه ونصيحته سرا ألا ترون ماذا يفعل باخوانكم النازلين عنده بخربتا يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سربهم ويحسن الى كل راكب يأتيه منهم * قال معاوية وطفقت اكتب بذلك الى شيعتى من أهل العراق فسمع بذلك جواسيس على بالعراق فأنهاه اليه محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر فاتهم قيسا فكتب اليه يأمره بقتال أهل خربتا وبخربتا يومئذ عشرة آلاف فأبى قيس أن يقاتلهم وكتب الى على رضى الله عنه انهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ منهم وقد رضوا منى بأن أومن سربهم واجرى عليهم أعطياتهم وارزاقهم وقد علمت أن هواهم مع معاوية فلست بكائدهم بأمر أهون على وعليك من الذى أفعل بهم وهم أسود العرب منهم بسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج فأبى عليه الا قتالهم فأبى قيس أن يقاتلهم وكتب الى على رضى الله عنه ان كنت تتهمنى فاعزلنى وابعث غيرى وكتب معاوية رضى الله عنه الى بعض بنى أمية بالمدينة أن جزى الله قيس بن سعد خيرا فانه قد كف عن اخواننا من أهل مصر الذين قاتلوا فى دم عثمان واكتموا ذلك فانى أخاف أن يعزله على ان بلغه ما بينه وبين شيعتنا حتى بلغ عليا رضى الله عنه ذلك فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة بدل قيس وتحول فقال على ويحكم انه لم يفعل فدعونى قالوا لتعزلنه فانه قد بدل فلم يزالوا به حتى كتب اليه انى قد احتجت الى قربك فاستخلف على عملك واقدم * فلما قرأ الكتاب قال هذا من مكر معاوية ولولا الكذب لمكرت به مكرا يدخل عليه بيته فوليها قيس بن سعد الى أن عزل عنها أربعة اشهر وخمسة أيام وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين ثم وليها الاشتر مالك بن الحارث ابن عبد يغوث النخعى من قبل امير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه وذلك أن عبد الله بن جعفر كان اذا أراد أن لا يمنعه على شيأ قال له بحق جعفر فقال له اسألك بحق جعفر الا بعثت الاشتر الى مصر فان ظهرت فهو الذى تحب والا استرحت منه ويقال كان الاشتر قد ثقل على على رضى الله عنه وأبغضه وقلاه فولاه وبعثه فلما قدم قلزم مصر لقى بما يلقى العمال به هنالك فشرب شربة عسل فمات فلما أخبر على بذلك قال لليدين وللفم وسمع عمرو ابن العاص بموت الاشتر فقال ان لله جنودا من عسل أو قال ان لله جنودا من العسل * ثم وليها محمد بن أبي بكر

الصديق

الصديق من قبل على رضى الله عنهم وجمع له صلاتها وخراجها فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين فلقيه قيس بن سعد فقال له انه لا يمنعنى نصحى لك عزله اياى ولقد عزلنى عن غير وهن ولا عجز فاحفظ ما أوصيك به يدم صلاح حالك دع معاوية بن خديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن أرطاة ومن ضوى اليهم على ماهم عليه لا تكفهم عن رأيهم فان أتوك ولم يفعلوا فاقبلهم وان تخلفوا عنك فلا تطلبهم وانظر هذا الحى من مضر فانت أولى بهم منى فألن لهم جناحك وقرب عليهم مكانك وارفع عنهم حجابك وانظر هذا الحى من مدلج فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا عنك شأنهم وأنزل الناس من بعد على قدر منازلهم فان استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل فان هذا لا ينقصك ولن تفعل انك والله ما علمت لتظهر الخيلاء وتحب الرياسة وتسارع الى ماهو ساقط عنك والله موفقك فعمل محمد بخلاف ما أوصاه به قيس فبعث الى ابن خديج والخارجة معه يدعوهم الى بيعته فلم يجيبوه فبعث الى دور الخارجة فهدمها ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فنصبوا له الحرب وهموا بالنهوض اليه فلما علم أنه لا قوّة له بهم أمسك عنهم ثم صالحهم على أن يسيرهم الى معاوية وأن ينصب لهم جسر القلزم يجوزون عليه ولا يدخلون الفسطاط ففعلوا ولحقوا بمعاوية فلما أجمع على رضى الله عنه ومعاوية على الحكمين اغفل على أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر * فلما انصرف على الى العراق بعث معاوية رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه فى جيوش أهل الشام الى مصر فاقتتلوا قتالا شديدا انهزم فيه أهل مصر ودخل عمرو بأهل الشام الفسطاط وتغيب محمد بن أبى بكر فأقبل معاوية بن خديج فى رهط ممن يعينه على من كان يمشى فى قتل عثمان وطلب ابن أبى بكر فدلتهم عليه امرأة فقال احفظونى فى أبى بكر فقال معاوية بن خديج قتلت ثمانين رجلا من قومى فى عثمان واتركك وانت صاحبه فقتله ثم جعله فى جيفة حمار ميت فأحرقه بالنار فكانت ولاية محمد بن أبى بكر خمسة اشهر ومقتله لاربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين * ثم ولى عمرو بن العاص مصر من بعده فاستقبل بولايته هذه الثانية شهر ربيع الاوّل وجعل اليه الصلاة والخراج وكانت مصر قد جعلها معاوية له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتها ثم خرج الى الحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله بن عمرو وقيل خارجة بن حذافة ورجع عمرو الى مصر فأقام بها وتعاقد بنو ملجم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل على رضى الله عنه وعمرو ومعاوية رضى الله عنهما وتواعدوا على ليلة من رمضان سنة أربعين فمضى كل منهم الى صاحبه فلما قتل على بن أبى طالب رضى الله عنه واستقر الامر لمعاوية كانت مصر جندها وأهل شوكتها عثمانية وكثير من أهلها علوية فلما مات معاوية ومات ابنه يزيد بن معاوية كان على مصر سعيد بن يزيد الازدى على صلاتها فلم يزل أهل مصر على الشنآن له والاعراض عنه والتكبر عليه منذ ولاه يزيد بن معاوية حتى مات يزيد فى سنة أربع وستين ودعا عبد الله بن الزبير الى نفسه فقامت الخوارج بمصر فى امره واظهروا دعوته وكانوا يحسبونه على مذهبهم وأوفدوا منهم وفدا اليه فسار منهم نحو الالفين من مصر وسألوه أن يبعث اليهم بأمير يقومون معه ويوازرونه وكان كريب بن أبرهة الصباح وغيره من أشراف مصر يقولون ماذا نرى من العجب أن هذه الطائفة المكتمة تأمر فينا وتنهى ونحن لا نستطيع أن نردّ أمرهم ولحق بابن الزبير ناس كثير من أهل مصر * وكان أول من قدم مصر برأى الخوارج حجر بن الحارث بن قيس المذحجى وقيل حجر بن عمرو ويكنى بأبى الورد وشهد مع على صفين ثم صار من الخوارج وحضر مع الحرورية النهروان فخرج وصار الى مصر برأى الخوارج واقام بها حتى خرج منها الى ابن الزبير فى امارة مسلمة بن مخلد الانصارى على مصر * فلما مات يزيد بن معاوية وبويع ابن الزبير بعده بالخلافة بعث الى مصر بعبد الرحمن بن جحدم الفهرى فقدمها فى طائفة من الخوارج فوثبوا على سعيد بن يزيد فاعتزلهم واستمر ابن جحدم وكثرت الخوارج بمصر منها وممن قدم من مكة فأظهروا فى مصر التحكيم ودعوا اليه فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل فى قلوب ناس من شيعة بنى أمية منهم كريب بن ابرهة ومقسم بن بجرة وزياد بن حناطة التجيبى وعابس بن سعيد وغيرهم فصار أهل مصر حينئذ ثلاث طوائف علوية وعثمانية وخوارج * فلما بويع مروان بن الحكم بالشام فى ذى القعدة سنة أربع وستين كانت شيعته من أهل مصر مع ابن جحدم فكاتبوه سرا حتى أتى مصر فى أشراف كثيرة وبعث ابنه عبد العزيز بن مروان فى جيش الى ايلة ليدخل من هنالك مصر وأجمع ابن جحدم على حربه ومنعه فحفر الخندق فى شهر وهو الخندق الذى بالقرافة وبعث بمراكب فى البحر ليخالف الى عيالات أهل الشام وقطع بعثا فى البر وجهز جيشا آخر الى ايلة

لمنع عبد العزيز من المسير منها فغرقت المراكب ونجا بعضها وانهزمت الجيوش ونزل مروان عين شمس فخرج اليه ابن جحدم في أهل مصر فتحاربوا واستحر القتل فقتل من الفريقين خلق كثير ثم ان كريب بن ابرهة وعابس بن سعيد وزياد بن حناطة وعبد الرحمن بن موهب المغافري دخلوا في الصلح بين أهل مصر وبين مروان فتم ودخل مروان الى الفسطاط لغرة جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت ولاية ابن جحدم تسعة أشهر ووضع العطاء فبايعه الناس الا نفرا من المغافر قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير فقتل منهم ثمانين رجلا قدمهم رجلا رجلا فضرب أعناقهم وهم يقولون انا قد بايعنا ابن الزبير طائعين فلم نكن لننكث بيعته وضرب عنق الاكدر بن حمام بن عامر سيد لخم وشيخها وحضر هو وأبوه فتح مصر وكانا ممن ثار الى عثمان رضي الله عنه فتنادى الجند قتل الاكدر فلم يبق أحد حتى لبس سلاحه فحضر باب مروان منهم زيادة على ثلاثين ألفا وخشي مروان واغلق بابه حتى أتاه كريب بن ابرهة وألقى عليه رداءه وقال للجند انصرفوا أناله جار فما عطف أحد منهم وانصرفوا الى منازلهم وكان للنصف من جمادى الآخرة ويومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان ومن حينئذ غلبت العثمانية على مصر فتظاهروا فيها بسب علي رضي الله عنه وانكفت السنة العلوية والخوارج * فلما كانت ولاية قرة بن شريك العبسي على مصر من قبل الوليد بن عبد الملك في سنة تسعين خرج الى الاسكندرية في سنة احدى وتسعين فتعاقدت السراة من الخوارج بالاسكندرية على الفتك به وكانت عدتهم نحوا من مائة فوعدوا الرئيس منهم المهاجر بن أبي المثنى التجيبي أحد بني فهم عليهم عند منارة الاسكندرية وبالقرب منهم رجل يكنى أبا سليمان فبلغ قرة ما عزموا عليه فأتى اليهم قبل أن يتفرقوا فأمر بحبسهم في اصل منارة الاسكندرية وأحضر قرة وجوه الجند فسألهم فأقروا فقتلهم ومضى رجل ممن كان يرى رأيهم الى أبي سليمان فقتله فكان يزيد بن أبي حبيب اذا اراد أن يتكلم بشيء فيه تقية من السلطان تلفت وقال احذروا أبا سليمان ثم قال الناس كلهم من ذلك اليوم أبو سليمان * فلما قام عبد الله بن يحيى الملقب بطالب الحق في الحجاز على مروان بن محمد الجعدي قدم الى مصر داعيته ودعا الناس فبايع له ناس من تجيب وغيرهم فبلغ ذلك حسان بن عتاهية صاحب الشرطة فاستخرجهم فقتلهم حوثرة بن سهيل الباهلي أمير مصر من قبل مروان بن محمد فلما قتل مروان وانقضت أيام بني أمية ببني العباس في سنة ثلاث وثلاثين ومائة خمدت جمرة أصحاب المذهب المرواني وهم الذين كانوا يسبون علي بن أبي طالب ويتبرؤن منه وصاروا منذ ظهر بنو العباس يخافون القتل ويخشون أن يطلع عليهم أحد الا طائفة كانت بناحية الواحات وغيرها فانهم أقاموا على مذهب المروانية دهرا حتى فنوا ولم يبق لهم الآن بديار مصر وجود البتة * فلما كان في امارة حميد بن قحطبة على مصر من قبل أبي جعفر المنصور قدم الى مصر علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب داعية لابيه وعمه فذكر ذلك لحميد فقال هذا كذب ودس اليه أن تغيب ثم بعث اليه من الغد فلم يجده فكتب بذلك الى أبي جعفر المنصور فعزل حميدا وسخط عليه في ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائة وولي يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة فظهرت دعوة بني حسن بن علي بمصر وتكلم الناس بها وبايع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله وهو أول علوي قدم مصر وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد ابن ربيعة بن حبيش الصدفي وكان جده ربيعة بن حبيش من خاصة علي بن أبي طالب وشيعته وحضر الدار في قتل عثمان رضي الله عنه فاستشار خالد أصحابه الذين بايعوا له فأشار عليه بعضهم أن يبيت يزيد بن حاتم في العسكر وكان الامراء قد صاروا منذ قدمت عساكر بني العباس ينزلون في العسكر الذي بني خارج الفسطاط من شماليه كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب وأشار عليه آخرون أن يحوز بيت المال وأن يكون خروجهم في الجامع فكره خالد أن يبيت يزيد بن حاتم وخشي على اليمانية وخرج منهم رجل قد شهد امرهم حتى اتى الى عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وهو يومئذ على الفسطاط فخبره أنهم الليلة يخرجون فمضى عبد الله الى يزيد بن حاتم وهو بالعسكر فكان من أمرهم ما كان لعشر من شوال سنة خمس وأربعين ومائة فانهزموا ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين في ذي الحجة من السنة المذكورة الى مصر ونصبوه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا امره وحمل علي بن محمد الى ابي جعفر المنصور وقيل انه

اختفى عند عسامة بن عمرو بقرية طره فمرض بها ومات فقبر هنالك وحمل عسامة الى العراق فحبس الى أن ردّه المهدى محمد بن أبى جعفر الى مصر ومازالت شيعة على بمصر الى أن ورد كتاب المتوكل على الله الى مصر يأمر فيه باخراج آل أبى طالب من مصر الى العراق فأخرجهم اسحاق بن يحيى الختلى أمير مصر وفرّق فيهم الاموال ليتحملوا بها وأعطى كل رجل ثلاثين دينارا والمرأة خمسة عشر دينارا فخرجوا لعشر خلون من رجب سنة ست وثلاثين ومائتين وقدموا العراق فاخرجوا الى المدينة فى شوّال منها واستتر من كان بمصر على رأى العلوية حتى ان يزيد بن عبد الله أمير مصر ضرب رجلا من الجند فى شئ وجب عليه فأقسم عليه بحق الحسن والحسين الا عفا عنه فزاده ثلاثين درة ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكل فورد الكتاب على يزيد بضرب ذلك الجندى مائة سوط فضرب بها وحمل بعد ذلك الى العراق فى شوّال سنة ثلاث وأربعين ومائتين وتتبع يزيد الروافض فحملهم الى العراق ودل فى شعبان على رجل يقال له محمد بن على بن الحسن بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب انه بويع له فأحرق الموضع الذى كان به وأخذه فأقرّ على جمع من الناس بايعوه فضرب بعضهم بالسياط وأخرج العلوى هو وجمع من آل أبى طالب الى العراق فى شهر رمضان ومات المتوكل فى شوّال فقام من بعده ابنه محمد المستنصر فورد كتابه الى مصر بان لا يقبل علوى ضيعة ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من أطرافها وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ومن كان بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة وكتب الى العمال بذلك ومات المستنصر فى ربيع الآخر وقام المستعين فأخرج يزيد ستة رجال من الطالبيين الى العراق فى رمضان سنة خمسين ومائتين ثم أخرج ثمانية منهم فى رجب سنة احدى وخمسين وخرج جابر بن الوليد المدلجى بأرض الاسكندرية فى ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين واجتمع اليه كثير من بنى مدلج فبعث اليه محمد بن عبد الله بن يزيد بجيش من الاسكندرية فهزمهم وظفر بما معهم وقوى امره وأتاه الناس من كل ناحية وضوى اليه كل من يومى اليه بشدّة ونجدة فكان ممن اتاه عبد الله المريسى وكان لصا خبيثا ولحق به جريج النصرانى وكان من شرار النصارى واولى بأسهم ولحق به أبو حرملة فرج النوبى وكان فاتكا فقلده جابر على سنهور وسخا وشرقيون وبنا فمضى أبو حرملة فى جيش عظيم فاخرج العمال وجبى الخراج ولحق به عبد الله بن احمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب الذى يقال له ابن الارقط فقوّده أبو حرملة وضم اليه الاعراب وولاه بنا وبوصير وسمنود فبعث يزيد أمير مصر بجمع من الاتراك فى جمادى الآخرة فقاتلهم ابن الارقط وقتل منهم ثم تنحوا له فانهزم وقتل من اصحابه كثير وأسر منهم كثير ولحق ابن الارقط بأبى حرملة فى شرقيون فصار الى عسكر يزيد فانهزم أبو حرملة وقدم مزاحم بن خاقان من العراق فى جيش فحارب أبا حرملة حتى أسر فى رمضان واستأمن ابن الارقط فأخذ وأخرج الى العراق فى ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين ففرّ منهم ثم ظفر به وحبس ثم حمل الى العراق فى صفر سنة خمس وخمسين ومائتين بكتاب ورد على احمد بن طولون ومات أبو حرملة فى السجن لاربع بقين من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وأخذ جابر بعد حروب وحمل الى العراق فى رجب سنة أربع وخمسين وخرج فى امرة أرجون التركى رجل من العلويين يقال له بغا الاكبر وهو أحمد بن ابراهيم بن عبد الله بن طباطبا بن اسماعيل ابن ابراهيم بن حسن بن حسين بن على بالصعيد فحاربه اصحاب أرجون وفرّ منهم فمات ثم خرج بغا الاصغر وهو احمد ابن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين الاسكندرية وبرقة فى جمادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائتين والامير يومئذ أحمد بن طولون وسار فى جمع الى الصعيد فقتل فى الحرب واتى برأسه الى الفسطاط فى شعبان وخرج ابن الصوفى العلوى بالصعيد وهو ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ودخل اسنا فى ذى القعدة سنة خمس وخمسين ونهبها وقتل أهلها فبعث اليه ابن طولون بجيش فحاربوه فهزمهم فى ربيع الاول سنة ست وخمسين بهو فبعث ابن طولون اليه بجيش آخر فالتقيا باخميم فى ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفى وترك جميع مامعه وقتلت رجالته فأقام ابن الصوفى بالواح سنتين ثم خرج الى الاشمونين فى المحرّم سنة تسع وخمسين وسار الى اسوان لمحاربة أبى عبد الرحمن العمرى فظفر به العمرى وبجميع جيشه وقتل منهم مقتلة عظيمة ولحق ابن الصوفى باسوان فقطع لاهلها ثلثمائة ألف نخلة فبعث اليه ابن طولون بعثا فاضطرب امره مع اصحابه فتركهم ومضى الى عيذاب فركب البحر الى مكة فقبض عليه بها وحمل الى ابن طولون فسجنه ثم اطلقه

فصار الى المدينة ومات بها * وفى امارة هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون انكر رجل من أهل مصر أن يكون أحد خيرا من أهل البيت فوثبت اليه العامة فضرب بالسياط يوم الجمعة فى جمادى الاولى سنة خمس وثمانين ومائتين * وفى امارة ذكا الاعور على مصر كتب على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة والقرآن فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون فاجتمع الناس فى رمضان سنة خمس وثلثمائة الى دار ذكا يتشكرونه على ما أذن لهم فيه فوثب الجند بالناس فنهب قوم وجرح آخرون ومحى ما كتب على أبواب الجامع ونهب الناس فى المسجد والاسواق وافطر الجند يومئذ وما زال امر الشيعة يقوى بمصر الى أن دخلت سنة خمسين وثلثمائة ففى يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر كلثوم العلوية بسبب ذكر السلف والنوح قتل فيه جماعة من الفريقين وتعصب السودان على الرعية فكانوا اذا لقوا أحدا قالوا له من خالك فان لم يقل معاوية والا بطشوا به وشلحوه ثم كثر القول معاوية خال على وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يناديان فى كل يوم جمعة فى وجوه الناس من الخاص والعام معاوية خالى وخال المؤمنين وكاتب الوحى ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا أحسن ما يقولونه والا فقد كانوا يقولون معاوية خال على من ههنا ويشيرون الى أصل الاذن ويلقون أبا جعفر مسلما الحسينى فيقولون له ذلك فى وجهه وكان بمصر اسود يصيح دائما معاوية خال على فقتل بتنيس أيام القائد جوهر * ولما ورد الخبر بقيام بنى حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونهبهم خرج خلق من المصريين فى شوال فلقوا كافور الاخشيدى بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا معاوية خال على وسألوه أن يبعث لنصرة الحاج على الطالبيين * وفى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة أخذ رجل يعرف بابن أبى الليث الملطى ينسب الى التشيع فضرب مائتى سوط ودرة ثم ضرب فى شوال خمسمائة سوط ودرة وجعل فى عنقه غل وحبس وكان يتفقد فى كل يوم لئلا يخفف عنه ويبصق فى وجهه فمات فى محبسه فحمل ليلا ودفن فمضت جماعة الى قبره لينبشوه وبلغوا الى القبر فمنعهم جماعة من الاخشيدية والكافورية فأبوا وقالوا هذا قبر رافضى فثارت فتنة وضرب جماعة ونهبوا كثيرا حتى تفرق الناس * وفى سنة ست وخمسين كتب فى صفر على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل فأمر الاستاذ كافور الاخشيدى بازالته فحدثه جماعة فى اعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال ما أحدث فى أيامى مالم يكن وما كان فى أيام غيرى فلا أزيله وما كتب فى أيامى أزيله ثم امر من طاف وازاله من المساجد كلها * ولما دخل جوهر القائد بعساكر المعز لدين الله الى مصر وبنى القاهرة اظهر مذهب الشيعة واذن فى جميع المساجد الجامعة وغيرها حى على خير العمل وأعلن بتفضيل على بن أبى طالب على غيره وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم فشكا اليه جماعة من أهل المسجد الجامع أمر عجوز عمياء تنشد فى الطريق فأمر بها فحبست فسر الرعية بذلك ونادوا بذكر الصحابة ونادوا معاوية خال على وخال المؤمنين فأرسل جوهر حين بلغه ذلك رجلا الى الجامع فنادى أيها الناس أقلوا القول ودعوا الفضول فانما حبسنا العجوز صيانة لها فلا ينطقن أحد الا حلت به العقوبة الموجعة ثم أطلق العجوز * وفى ربيع الاول سنة اثنتين وستين عزر سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة فشغبوا وصاحوا معاوية خال على بن أبى طالب فهم جوهر أن يحرق رحبة الصيارفة لكن خشى على الجامع وأمر الامام بجامع مصر أن يجهر بالبسملة فى الصلاة وكانوا لا يفعلون ذلك وزيد فى صلاة الجمعة القنوت فى الركعة الثانية وأمر فى المواريث بالرد على ذوى الارحام وأن لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ولا ابن عم ولا يرث مع الولد الذكر أو الانثى الا الزوج أو الزوجة والابوان والجدة ولا يرث مع الام الا من يرث مع الولد وخاطب أبو الطاهر محمد بن احمد قاضى مصر القائد جوهرا فى بنت وأخ وانه كان حكم قديما للبنت بالنصف وللاخ بالباقى فقال لا افعل فلما ألح عليه قال يا قاضى هذا عداوة لفاطمة عليها السلام فأمسك أبو الطاهر ولم يراجعه بعد فى ذلك وصار صوم شهر رمضان والفطر على حساب لهم فأشار الشهود على القاضى أبى الطاهر أن لا يطلب الهلال لان الصوم والفطر على الرؤية قد زال فانقطع طلب الهلال من مصر وصام القاضى وغيره مع القائد جوهر كما يصوم وافطروا كما يفطر * ولما دخل المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره من القاهرة المعزية أمر فى رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة فكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

امير

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام * وفي صفر سنة خمس وستين وثلثمائة جلس علي بن النعمان القاضي بجامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وأملى مختصر أبيه في الفقه عن أهل البيت ويعرف هذا المختصر بالاقتصار وكان جمعا عظيما وأثبت أسماء الحاضرين * ولما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للعزيز بالله نزار بن المعز رتب في داره العلماء من الادباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى لجميعهم الارزاق وألف كتابا في الفقه ونصب له مجلسا وهو يوم الثلاثاء يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل وتجرى بينهم المناظرات وكان يجلس أيضا في يوم الجمعة فيقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ويحضر عنده القضاة والفقهاء والقراء والنحاة واصحاب الحديث ووجوه أهل العلم والشهود فاذا انقضى المجلس من القراءة قام الشعراء لانشاد مدائحهم فيه وجعل للفقهاء في شهر رمضان الاطعمة وألف كتابا في الفقه يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزيز بالله وهو مبوب على أبواب الفقه يكون قدره مثل نصف صحيح البخاري ملكته ووقفت عليه وهو يشتمل على فقه الطائفة الاسماعيلية وكان يجلس لقراءة هذا الكتاب على الناس بنفسه وبين يديه خواص الناس وعوامهم وسائر الفقهاء والقضاة والادباء وافتى الناس به ودرسوا فيه بالجامع العتيق وأجرى العزيز بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلازمونه أرزاقا تكفيهم في كل شهر وأمر لهم ببناء دار الى جانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى صلاة العصر وكان لهم من مال الوزير أيضا صلة في كل سنة وعدتهم خمسة وثلاثون رجلا وخلع عليهم العزيز بالله في يوم عيد الفطر وحملهم على بغال * وفي سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة أمر العزيز بن المعز بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية * وفي سنة احدى وثمانين وثلثمائة ضرب رجل بمصر وطيف به المدينة من اجل انه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله * وفي شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثلثمائة جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسي بالقصر في القاهرة لقراءة علوم أهل البيت على الرسم المتقدم له ولاخيه بمصر ولابيه بالمغرب فمات في الزحمة أحد عشر رجلا * وفي جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وثلثمائة قبض على رجل من أهل الشام سئل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال لا اعرفه فاعتقله قاضي القضاة الحسن بن النعمان قاضي أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على القاهرة المعزية ومصر والشامات والحرمين والمغرب وبعث اليه وهو في السجن أربعة من الشهود وسألوه فأقر بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي مرسل وسئل عن علي بن أبي طالب فقال لا اعرفه فأمر قائد القواد الحسين بن جوهر باحضاره فخلا به ورفق في القول له فلم يرجع عن انكاره معرفة علي بن ابي طالب فطولع الحاكم بأمره فأمر بضرب عنقه فضرب عنقه وصلب * وفي سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قبض على ثلاثة عشر رجلا وضربوا وشهروا على الجمال وحبسوا ثلاثة أيام من اجل أنهم صلوا صلاة الضحى * وفي سنة خمس وتسعين وثلثمائة قرئ سجل في الجوامع بمصر والقاهرة والجزيرة بأن تلبس النصارى واليهود الغيار والزنار وغيارهم السواد غيار العاصين العباسيين وأن يشدوا الزنار وفيه وقوع وفحش في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقرئ سجل آخر فيه منع الناس من أكل الملوخيا المحببة كانت لمعاوية بن أبي سفيان ومنعهم من اكل البقلة المسماة بالجرجير المنسوبة لعائشة رضي الله عنها ومن المتوكلية المنسوبة الى المتوكل والمنع من عجين الخبز بالرجل والمنع من اكل الدلنيس ومن ذبح البقر الا ذا عاهة ما عدا أيام النحر فانه يذبح فيها البقر فقط والوعيد للنخاسين متى باعوا عبدا أو أمة لذمي وقرئ سجل آخر بأن يؤذن لصلاة الظهر في أول الساعة السابعة ويؤذن لصلاة العصر في أول الساعة التاسعة وقرئ أيضا سجل بالمنع من عمل الفقاع وبيعه في الاسواق لما يؤثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من كراهية شرب الفقاع وضرب في الطرقات والاسواق بالجرس ونودي أن لا يدخل أحد الحمام الا بمئزر ولا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج ولا يباع شيء من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وقبض على جماعة وجدوا في الحمام بغير مئزر فضربوا وشهروا * وكتب في صفر من هذه السنة على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه من جميع جوانبه وعلى أبواب الحوانيت والحجر وعلى المقابر والصحراء سب السلف ولعنهم ونقش ذلك ولون بالاصباغ والذهب وعمل ذلك على أبواب الدور والقياسر واكره الناس على ذلك وتسارع الناس الى الدخول في الدعوة فجلس لهم قاضي القضاة عبد

العزيز بن محمد بن النعمان فقدموا من سائر النواحى والضياع فكان للرجال يوم الاحد وللنساء يوم الاربعاء وللاشراف وذوى الاقدار يوم الثلاثاء وازدحم الناس على الدخول فى الدعوة فمات عدّة من الرجال والنساء * ولما وصلت قافلة الحاج مرّ بهم من سبّ العامّة وبطشهم مالا يوصف فانهم ارادوا حمل الحاج على سبّ السلف فأبوا فحلّ بهم مكروه شديد * وفى جمادى الآخرة من هذه السنة فتحت دار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها القرّاء وحملت الكتب اليها من خزائن القصور ودخل الناس اليها وجلس فيها القرّاء والفقهاء والمنجمون والنحاة واصحاب اللغة والاطباء وحصل فيها من الكتب فى سائر العلوم مالم ير مثله مجتمعا وأجرى على من فيها من الخدّام والفقهاء الارزاق السنية وجعل فيها ما يحتاج اليه من الحبر والاقلام والمحابر والورق * وفى يوم عاشوراء من سنة ست وتسعين وثلثمائة كان من اجتماع الناس ما جرت به العادة وأعلن بسبّ السلف فيه فقبض على رجل نودى عليه هذا جزاء من سبّ عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم ومعه من الرعاع مالا يقع عليه حصروهم يسبون السلف فلما تمّ النداء عليه ضرب عنقه واستهلّ شهر رجب من هذه السنة يوم الاربعاء فخرج أمر الحاكم بأمر الله أن يؤرّخ بيوم الثلاثاء وفى سنة سبع وتسعين وثلثمائة قبض على جماعة ممن يعمل الفقاع ومن السماكين ومن الطباخين وكبست الحمامات فأخذ عدّة ممن وجد بغير مئزر فضرب الجميع لمخالفتهم الامر وشهروا * وفى تاسع ربيع الآخر أمر الحاكم بأمر الله بمحو ما كتب على المساجد وغيرها من سبّ السلف وطاف متولى الشرطة وألزم كل أحد بمحو ما كتب على المساجد من ذلك ثم قرئ سجل فى ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وثلثمائة بأن لا يحمل شئ من النبيذ والمزر ولا يتظاهر به ولا بشئ من الفقاع والدلينس والسمك الذى لا قشر له والترمس العفن وقرئ سجل فى رمضان على سائر المنابر بأنه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون صلاة الخمس الدين فيما جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون يخمس فى التكبير على الجنائز المخمسون ولا يمنع من التربيع عليها المربعون يؤذن بحىّ على خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لا يؤذنون ولا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف والحالف منهم بما حلف لكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده والى الله ربه معاده عنده كتابه وعليه حسابه * وفى صفر سنة أربعمائة شهر جماعة بعد ما ضربوا بسبب بيع الفقاع والملوخيا والدلينس والترمس * وفى تاسع عشر شهر شوّال أمر الحاكم بأمر الله برفع ما كان يؤخذ من الخمس والزكاة والفطرة والنجوى وابطل قراءة مجالس الحكمة فى القصر وأمر بردّ التثويب فى الاذان واذن للناس فى صلاة الضحى وصلاة التراويح وأمر المؤذنين بأسرهم فى الاذان بأن لا يقولوا حىّ على خير العمل وأن يقولوا فى الاذان للفجر الصلاة خير من النوم ثم امر فى ثانى عشرى ربيع الآخر سنة ثلاث واربعمائة باعادة قول حىّ على خير العمل فى الاذان وقطع التثويب وترك قولهم الصلاة خير من النوم ومنع من صلاة الضحى وصلاة التراويح وفتح باب الدعوة واعيدت قراءة المجالس بالقصر على ما كانت وكان بين المنع من ذلك والاذن فيه خمسة اشهر وضرب فى جمادى من هذه السنة جماعة وشهروا بسبب بيع الملوخيا والسمك الذى لا قشر له وشرب المسكرات وتتبع السكارى فضيق عليهم * وفى يوم الثلاثاء سابع عشرى شعبان سنة احدى واربعمائة وقع قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى الى سائر الشهود والامناء بخروج الامر المعظم بأن يكون الصوم يوم الجمعة والعيد يوم الاحد * وفى شعبان سنة اثنتين وأربعمائة قرئ سجل يشدّد فيه النكير على بيع الملوخيا والفقاع والسمك الذى لا قشر له ومنع النساء من الاجتماع فى المآتم ومن اتباع الجنائز وأحرق الحاكم بأمر الله فى هذا الشهر الزبيب الذى وجد فى مخازن التجار وأحرق ما وجد من الشطرنج وجمع صيادى السمك وحلفهم بالايمان المؤكدة أن لا يصطادوا سمكا بغير قشر ومن فعل ذلك ضربت عنقه وأحرق فى خمسة عشر يوما ألفين وثمانمائة وأربعين قطعة زبيب بلغ ثمن النفقة عليها خمسمائة دينار ومنع من بيع العنب الا أربعة ارطال فما دونها ومنع من اعتصاره وطرح عنبا كثيرا فى الطرقات وامر بدوسه فامتنع الناس من التظاهر بشئ من العنب فى الاسواق واشتدّ الامر فيه وغرق منه ما حمل فى النيل وأحصى ما بالجيزة من الكروم فقطف ما عليها من العنب وطرح ما جمعه من ذلك تحت أرجل البقر لتدوسه وفعل مثل ذلك فى جهات كثيرة وختم على مخازن العسل وغرق منه فى أربعة أيام

خمسة آلاف جرّة واحدى وخمسين جرّة فيها العسل وغرف من عسل النحل قدر احدى وخمسين زيرا • وفي جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة اشتدّ الانكار على الناس بسبب بيع الفقاع والزبيب والسمك الذى لاقشر له وقبض على جماعة وجد عندهم زبيب فضربت أعناقهم وبحثت عدّة منهم واطلقوا • وفي شوّال اعتقل رجل ثم شهر ونودى عليه هذا جزاء من سب أبابكر وعمر ويثير الفتن فاجتمع خلق كثير بباب القصر فاستغاثوا لاطاقة لنا بمخالفة المصريين ولا بمخالفة الحشوية من العوام ولاصبر لنا على ماجرى وكتبوا قصصا فصرفوا ووعدوا بالمجيء في غد فبات كثير منهم بباب القصر واجتمعوا من الغد فصاحوا وضجوا فخرج اليهم قائد القوّاد غبن فنهاهم وأمرهم عن امير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن يمضوا الى معايشهم فانصرفوا الى قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقي وشكوا اليه فتبرّم من ذلك فمضوا وفيهم من يسب السلف ويعترض بالناس فقرئ سجل في القصر بالترحم على السلف من الصحابة والنهى عن الخوض في ذلك وركب مرّة فرأى لوحا على قيسارية فيه سب السلف فأنكره ومازال واقفا حتى قلع وضرب بالجرس في سائر طرقات مصر والقاهرة وقرئ سجل بتتبع الالواح المنصوبة على سائر أبواب القياسر والحوانيت والدور والخانات والارباع المشتملة على ذكر الصحابة والسلف الصالح رحمهم الله بالسب واللعن وقلع ذلك وكسره وتعفية اثره ومحوما على الحيطان من هذه الكتابة وازالة جميعها من سائر الجهات حتى لايرى لها اثر في جدار ولانقش في لوح وحذر فيه من المخالفة وهدّد بالعقوبة ثم انتقض ذلك كله وعاد الامر الى ماكان عليه الى أن قتل الخليفة الآمر بأحكام الله أبو علي منصور ابن المستعلي بالله أبي القاسم احمد بن المستنصر بالله أبي تميم معدّ وثار أبو علي احمد الملقب كتيفات ابن الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش واستولى على الوزارة في سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسجن الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن الامير أبي القاسم محمد بن الخليفة المستنصر بالله وأعلن بمذهب الامامية والدعوة للامام المنتظر وضرب دراهم نقشها الله الصمد الامام محمد ورتب في سنة خمس وعشرين أربعة قضاة اثنان أحدهما امامى والآخر اسماعيلى واثنان أحدهما مالكى والآخر شافعى فحكم كل منهما بمذهبه وورث على مقتضاه وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الصادق وابطل من الاذان حى على خير العمل وقولهم محمد وعلى خير البشر فلما قتل في المحرّم سنة ست وعشرين عاد الامر الى ماكان عليه من مذهب الاسماعيلية ومابرح حتى قدمت عساكر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى من دمشق عليها أسد الدين شيركوه وولى وزارة مصر للخليفة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله ومات فقام في الوزارة بعده ابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة وشرع في تغيير الدولة وازالتها وحجر على العاضد واوقع بأمراء الدولة وعساكرها وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية ومدرسة للفقهاء المالكية وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وفوّض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس المارانى الشافعى فلم يستنب عنه في اقليم مصر الامن كان شافعى المذهب فتظاهر الناس من حينئذ بمذهب مالك والشافعى واختفى مذهب الشيعة والاسماعيلية والامامية حتى فقد من أرض مصر كلها وكذلك كان السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى بن اق سنقر حنفيا فيه تعصب فنشر مذهب أبي حنيفة رحمه الله ببلاد الشام ومنه كثرت الحنفية بمصر وقدم اليها أيضا عدّة من بلاد الشرق وبنى لهم السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب المدرسة السيوفية بالقاهرة ومازال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ

• وأما العقائد فان السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن على بن اسماعيل الاشعرى تلميذ أبي على الجبائى وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الامام الشافعى من القرافة والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفية بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر والمدرسة المعروفة بالقمحية بمصر وخانكاه سعيد السعداء بالقاهرة فاستمرّ الحال على عقيدة الاشعرى بديار مصر وبلاد الشام وأرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضا لادخال محمد بن تومرت رأى الاشعرى اليها حتى انه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد بحيث ان من خالفه ضرب عنقه والامر على ذلك الى اليوم ولم يكن في الدولة الايوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل ثم اشتهر مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل في آخرها • فلما كانت

سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري ولي بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة حتى لم يبق في مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى هذه المذاهب الاربعة وعقيدة الاشعري وعملت لاهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر ممالك الاسلام وعودي من تمذهب بغيرها وانكر عليه ولم يول قاض ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس أحد مالم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب وافتى فقهاء هذه الامصار في طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ماعداها والعمل على هذا الى اليوم واذ قد بينا الحال في سبب اختلاف الامة منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن استقر العمل على مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل رحمة الله عليهم فلنذكر اختلاف عقائد أهل الاسلام منذ كان الى أن التزم الناس عقيدة الشيخ أبي الحسن الاشعري رحمه الله ورضي عنه

* (ذكر فرق الخليقة واختلاف عقائدها وتباينها) *

اعلم أن الذين تكلموا في أصول الديانات قسمان هما من خالف ملة الاسلام ومن اقر بها * فأما المخالفون لملة الاسلام فهم عشر طوائف * الاولى الدهرية * والثانية أصحاب العناصر * والثالثة الثنوية وهم المجوس ويقولون بأصلين هما النور والظلمة ويزعمون أن النور هو يزدان والظلمة هو اهرمن ويقرون بنبوة ابراهيم عليه السلام وهم ثمان فرق الكيومرثية اصحاب كيومرث الذي يقال انه آدم والزروانية أصحاب زروان الكبير والزرادشتية اصحاب زرادشت بن يورشت الحكيم والثنوية أصحاب الاثنين الازليين والمانوية أصحاب ماني الحكيم والمزركية اصحاب مزرك الخارجي والبيصانية اصحاب بيصان القائل بالاصلين القديمين والفرقونية القائلون بالاصلين وان الشر خرج على أبيه وانه تولد من فكرة فكرها في نفسه فلما خرج على أبيه الذي هو الاله بزعمهم عجز عنه ثم وقع الصلح بينهما على يد الندمات وهم الملائكة ومنهم من يقول بالتناسخ ومنهم من ينكر الشرائع والانبياء ويحكمون العقول ويزعمون أن النفوس العلوية تفيض عليهم الفضائل * والطائفة الرابعة الطبائعيون * والطائفة الخامسة الصابئة القائلون بالهياكل والارباب السماوية والاصنام الارضية وانكار النبوات وهم اصناف وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ومنهم اصحاب الروحانيات وهم عباد الكواكب وأصنامها التي عملت على تمثالها والحنفاء هم القائلون بأن الروحانيات منها ما وجودها بالقوة ومنها ما وجودها بالفعل فما هو بالقوة يحتاج الى من يوجده بالفعل ويقرون بنبوة ابراهيم وانه منهم وهم طوائف الكاظمة اصحاب كاظم بن تارح ومن قوله أن الحق في الجمع بين شريعة ادريس وشريعة نوح وشريعة ابراهيم عليهم السلام ومنهم البيدانية أصحاب بيدان الاصغر ومن قوله اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح وأن النبوة من أسرار الالهية ومنهم القنطارية أصحاب قنطار بن أرفخشد ويقر بنبوة نوح ومن فرق الصابئة أصحاب الهياكل ويرون أن الشمس اله كل اله والحرانية ومن قولهم المعبود واحد بالذات وكثير بالاشخاص في رأي العين وهي المدبرات السبع من الكواكب والارضية الجزئية والعالمة الفاضلة * والطائفة السادسة اليهود * والسابعة النصارى * والثامنة أهل الهند القائلون بعبادة الاصنام ويزعمون أنها موضوعة قبل آدم ولهم حكم عقلية وأحكام وضعها الشلم اعظم حكامهم والمهندم قبله والبراهمة قبل ذلك فالبراهمة أصحاب برهام أول من انكر نبوة البشر ومنهم البردة زهاد عباد رجال الرماد الذين يهجرون اللذات الطبيعية وأصحاب الرياضة التامة وأصحاب التناسخ وهم اقسام أصحاب الروحانية والبهادرية والناسوتية والباهرية والكابلية أهل الجبل ومنهم الطبسيون أصحاب الرياضة الفاعلة حتى ان منهم من يجاهد نفسه حتى يسلطها على جسده فيصعد في الهواء على قدر قوته وفي الهود عباد النار وعباد الشمس والقمر والنجوم وعباد الاوثان * والطائفة التاسعة الزنادقة وهم طوائف منهم القرامطة * والعاشرة الفلاسفة أصحاب الفلسفة وكلمة فيلسوف معناها محب الحكمة فان فيلو محب وسوفا حكمة والحكمة قولية وفعلية وعلم الحكماء انحصر في أربعة انواع الطبيعي والمدني والرياضي والالهي والمجموع ينصرف الى علم ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذي يطلب فيه ماهيات الاشياء هو الالهي والذي يطلب فيه كيفيات الاشياء هو الطبيعي والذي يطلب فيه كميات الاشياء

هو

هو الرياضي * ووضع بعد ذلك أرسطو صنعة المنطق وكانت بالقوة في كلام القدماء فأظهرها ورتبها واسم الفلاسفة يطلق على جماعة من الهند وهم الطبسيون والبراهمة ولهم رياضة شديدة وينكرون النبوة أصلا ويطلق أيضا على العرب بوجه انقص وحكمتهم ترجع الى افكارهم والى ملاحظة طبيعة ويقرون بالنبوات وهم أضعف الناس في العلوم ومن الفلاسفة حكماء الروم وهم طبقات فمنهم أساطين الحكمة وهم اقدمهم ومنهم المشاؤون واصحاب الرواق وأصحاب أرسطو وفلاسفة الاسلام * فمن فلاسفة الروم الحكماء السبعة أساطين الحكمة أهل ملطية وقونية وهم ثاليس الملطي وانكساغورس وانكسمالس وابناذقلس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون * ودون هؤلاء فلوطس وبقراط وديمقراطيس وأسعر النساس * ومنهم حكماء الاصول من القدماء ولهم القول بالسيمياء ولهم أسرار الخواص والحيل والكيمياء والاسماء الفعالة والحروف ولهم علوم توافق علوم الهند وعلوم اليونانيين وليس من موضوع كتابنا هذا ذكر تراجمهم فلذلك تركناها

* (القسم الثاني فرق أهل الاسلام) * الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة ثنتان وسبعون هالكة وواحدة ناجية وهذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على احدى وسبعين أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة قال البيهقي حسن صحيح وأخرجه الحاكم وابن حبان في صحيحه بنحوه فأخرجه في المستدرك من طريق الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به وقال هذا حديث كثير في الاصول وقد روى عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة واتفقا جميعا على الاحتجاج بالفضل بن موسى وهو ثقة * واعلم أن فرق المسلمين خمسة أهل السنة والمرجئة والمعتزلة والشيعة والخوارج وقد افترقت كل فرقة منها على فرق فأكثر افتراق أهل السنة في الفتيا ونبذ يسيرة من الاعتقادات وبقية الفرق الاربع منها من يخالف أهل السنة الخلاف البعيد ومنهم من يخالفهم الخلاف القريب فأقرب فرق المرجئة من قال الايمان انما هو التصديق بالقلب واللسان معا فقط وان الاعمال انما هي فرائض الايمان وشرائعه فقط وأبعدهم أصحاب جهم بن صفوان ومحمد بن كرام وأقرب فرق المعتزلة أصحاب الحسين النجار وبشر بن غياث المريسي وابعدهم أصحاب أبي الهذيل العلاف وأقرب مذاهب الشيعة أصحاب الحسن بن صالح بن حي وابعدهم الامامية وأما الغالية فليسوا بمسلمين ولكنهم اهل ردة وشرك وأقرب فرق الخوارج أصحاب عبد الله بن يزيد الاباضي وأبعدهم الازارقة وأما البطيخية ومن جحد شيأ من القرآن أو فارق الاجماع من العجاردة وغيرهم فكفار باجماع الامة وقد انحصرت الفرق الهالكة في عشر طوائف

* (الفرقة الاولى المعتزلة) * الغلاة في نفي الصفات الالهية القائلون بالعدل والتوحيد وأن المعارف كلها عقلية حصولا ووجوبا قبل الشرع وبعده واكثرهم على أن الامامة بالاختيار وهم عشرون فرقة * احداها الواصلية * أصحاب واصل بن عطاء أبي حذيفة الغزال مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم ولد بالمدينة سنة ثمانين ونشأ بالبصرة ولقي أبا هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ولازم مجلس الحسن بن الحسين البصري واكثر من الجلوس بسوق الغزل ليعرف النساء المتعففات فيصرف اليهن صدقته فقيل له الغزال من اجل ذلك وكان طويل العنق جدا حتى عابه عمرو بن عبيد بذلك فقال من هذه عنقه لا خير عنده فلما برع واصل قال عمرو ربما اخطأت الفراسة وكان يلثغ بالراء ومع ذلك كان فصيحا لسنا مقتدرا على الكلام قد أخذ بجوامعه فلذلك امكنه أن أسقط حرف الراء من كلامه واجتناب الحروف صعب جدا لاسيما مثل الراء لكثرة استعمالها وله رسالة طويلة لم يذكر فيها حرف الراء أحد بدائع الكلام وكان لكثرة صمته يظن به الخرس توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وله كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب الفتيا وكتاب التوحيد وعنه أخذ جماعة وأخباره كثيرة ويقال لهم أيضا الحسنية نسبة الى الحسن البصري وأخذوا اصل العلم عن أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وخالفه في الامامة واعتزاله يدور على أربع قواعد هي نفي الصفات والقول بالقدر والقول بمنزلة بين المنزلتين وأوجب الخلود في النار على من ارتكب كبيرة فلما بلغ الحسن البصري عنه

هـذا قال هؤلاء اعتزلوا فسموا من حينئذ المعتزلة وقيل ان تسميتهم بذلك حدثت بعد الحسن وذلك أن عمرو بن عبيد لما مات الحسن وجلس قتادة مجلسه اعتزله فى نفر معه فسماهم قتادة المعتزلة القاعدة الرابعة القول بأن احدى الطائفتين من أصحاب الجمل وصفين مخطئة لا بعينها وكان فى خلافة هشام بن عبد الملك * والثانية العمروية * اصحاب عمرو ومن قوله ترك قول على بن أبى طالب وطلحة والزبير رضى الله عنهم وقال ابن منبه اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن فسموا المعتزلة * والثالثة الهذلية * اتباع أبى الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة أخذ عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء ونظر فى الفلسفة ووافقهم فى كثير وقال جميع الطاعات من الفرائض والنوافل ايمان وانفرد بعشر مسائل وهى أن علم الله وقدرته وحياته هى ذاته واثبت ارادات لا محل لها يكون البارى مريدا بها وقال بعض كلام الله لا فى محل وهو قوله كن وبعضه فى محل كالامر والنهى وقال فى امور الآخرة كمذهب الجبرية وقال تنتهى مقدورات الله حتى لا يقدر على احداث شئ ولا على فناء شئ ولا احياء شئ ولا اماتة شئ وتنقطع حركات أهل الجنة والنار ويصيرون الى سكون دائم وقال الاستطاعة عرض من الاعراض نحو السلامة والصحة وفرق بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح وقال تجب معرفة الله قبل ورود السمع وان المرء المقتول ان لم يقتل مات فى ذلك الوقت ولا يزاد العمر ولا ينقص بخلاف الرزق وقال ارادة الله عين المراد والحجة لا تقوم فيما غاب الا بخبر عشرين * والرابعة النظامية * اتباع ابراهيم ابن سيار النظام بتشديد الظاء المعجمة زعيم المعتزلة وأحد السفهاء انفرد بعدة مسائل وهى قوله ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى وانها غير مقدورة لله وقال ليس لله ارادة وافعال العباد كلها حركات والنفس والروح هو الانسان والبدن انما هو آلة فقط وان كل ما جاوز القدرة من الفعل فهو من الله وهو فعله وانكر الجوهر الفرد وأحدث القول بالطفرة وقال الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت وزعم أن الله خلق الموجودات دفعة على ماهى عليه وأن الاعجاز فى القرآن من حيث الاخبار عن الغيب فقط وانكر أن يكون الاجماع حجة وطعن فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال قبحه الله أبو هريرة أكذب الناس وزعم أنه ضرب فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنع ميراث العترة وأوجب معرفة الله بالفكر قبل ورود الشرع وحرم نكاح الموالى العربيات وقال لا تجوز صلاة التراويح ونهى عن ميقات الحج وكذب بانشقاق القمر وأحال رؤية الجن وزعم أن من سرق مائتى دينار فما دونها لم يفسق وان الطلاق بالكناية لا يقع وان كان بنية وان من نام مضطجعا لا ينتقض وضوءه ما لم يخرج منه الحدث وقال لا يلزم قضاء الصلوات اذا فاتت * والخامسة الاسوارية * اتباع أبى على عمرو بن قائد الاسوارى القائل ان الله تعالى لا يقدر أن يفعل ما علم أنه لا يفعله * والسادسة الاسكافية * اتباع أبى جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى ومن قوله ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الاطفال والمجانين وانه لا يقال ان الله خالق المعازف والطنابير وان كان هو الذى خلق أجسامها * والسابعة الجعفرية * اتباع جعفر بن حرب بن ميسرة ومن قوله ان فى فساق هذه الامة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس وأسقط الحد عن شارب الخمر وزعم أن الصغائر من الذنوب توجب تخليد فاعلها فى النار وأن رجلا لو بعث رسولا الى امرأة ليخطبها فجاءته فوطئها من غير عقد لم يكن عليه حد ويكون وطؤه اياها طلاقا لها * والثامنة البشرية * اتباع بشر بن المعتمر ومن قوله الطعم واللون والرائحة والادراكات كلها من السمع يجوز أن تحصل متولدة وصرف الاستطاعة الى سلامة البنية والجوارح وقال لو عذب الله الطفل الصغير لكان ظالما وهو يقدر على ذلك وقال ارادة الله من جملة أفعاله ثم هى تنقسم الى صفة فعل وصفة ذات وقال باللطف المخزون وأن من تاب لخطيئة لان ذلك يوجب عليه الثواب وان التوبة الاولى متوقفة على الثانية وانها لا تنفع الا بعدم الرجوع الذى وقع فيه فان وقع لم تنفعه التوبة الاولى * والتاسعة المزدارية * أتباع أبى موسى عيسى بن صبيح المعروف بالمزدار تلميذ بشر بن المعتمر وكان زاهدا وقيل له راهب المعتزلة وانفرد بمسائل منها قوله ان الله قادر على أن يظلم ويكذب ولا يطعن ذلك فى الربوبية وجوز وقوع الفعل الواحد من فاعلين على سبيل التولد وزعم أن القرآن مما يقدر عليه وأن بلاغته وفصاحته لا تعجز الناس بل يقدرون على الاتيان بمثلها وأحسن منها وهو أصل المعتزلة فى القول بخلق القرآن وقال من أجاز رؤية الله بالابصار بلا كيف فهو كافر والشاك فى كفره كافر أيضا * والعاشرة الهشامية * أتباع هشام بن عمرو الفوطى الذى يبالغ فى القدر ولا ينسب الى الله فعلا من الافعال

حتى

حتى انه انكر أن يكون الله هو الذى ألف بين قلوب المؤمنين وانه يحبب الايمان للمؤمنين وانه أضل الكافرين وعاند ما فى القرآن من ذلك وقال لا تنعقد الامامة فى زمن الفتنة واختلاف الناس وان الجنة والنار غير مخلوقتين ومنع أن يقال حسبنا الله ونعم الوكيل وقال لان الوكيل دون الموكل وقال لو أسبغ أحد الوضوء ودخل فى الصلاة بنية القربة لله تعالى والعزم على اتمامها وركع وسجد مخلصا فى ذلك كله الا أن الله علم أنه يقطعها فى آخرها فان أول صلاته معصية ومنع أن يكون البحر انفلق لموسى وأن عصاه انقلبت حية وأن عيسى أحيى الموتى باذن الله وأن القمر انشق للنبى صلى الله عليه وسلم وانكر كثيرا من الامور التى تواترت كحصر عثمان بن عفان رضى الله عنه وقتله بالغلبة وقال انما جاءته شرذمة قليلة تشكو عماله ودخلوا عليه وقتلوه فلا يدرى قاتله وقال ان طلحة والزبير وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ما جاؤا للقتال فى حرب الجمل وانما برزوا للمشاورة وتقاتل أتباع الفريقين فى ناحية أخرى وان الامة اذا اجتمعت كلها وتركت الظلم والفساد احتاجت الى امام يسوسها فأما اذا عصت وفجرت وقتلت واليها فلا تنعقد الامامة لاحد وبنى على ذلك أن امامة على رضى الله عنه لم تنعقد لانها كانت فى حال الفتنة بعد قتل عثمان وهو أيضا مذهب الاصم وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وأنكر افتضاض الابكار فى الجنة وأنكر أن الشيطان يدخل فى الانسان وانما يوسوس له من خارج والله يوصل وسوسته الى قلب ابن آدم وقال لا يقال خلق الله الكافر لانه اسم العبد والكفر جميعا وأنكر أن يكون فى أسماء الله الضار النافع * والحادية عشر الحائطية * اتباع أحمد بن حائط أحد أصحاب ابراهيم بن سيار النظام وله بدع شنيعة منها أن للخلق الهين أحدهما خالق وهو الاله القديم والآخر مخلوق وهو عيسى ابن مريم وزعم أن المسيح ابن الله وانه هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة وانه هو المعنى بقول الله تعالى فى القرآن هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام وزعم فى قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته أن معناه خلقه اياه على صورة نفسه وان معنى قوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر انما أراد به عيسى وزعم أن فى الدواب والطيور والحشرات حتى البق والبعوض والذباب انبياء لقول الله سبحانه وان من أمة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها وذهب مع ذلك الى القول بالتناسخ وزعم أن الله ابتدأ الخلق فى الجنة وانما خرج من خرج منها بالمعصية وطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم من أجل تعدد نكاحه وقال ان أبا ذر الغفارى انسك وأزهد منه قبحه الله وزعم أن كل من نال خيرا فى الدنيا انما هو بعمل كان منه ومن ناله مرض او آفة فبذنب كان منه وزعم أن روح الله تناسخت فى الائمة * والثانية عشر الحمارية * أتباع قوم من معتزلة عسكر مكرم ومن مذهبهم أن الممسوخ انسان كافر معتقد الكفر وان النظر أوجب المعرفة وهو لا فاعل له وكذلك الجماع أوجب الولد فشك فى خالق الولد وان الانسان يخلق انواعا من الحيوانات بطريق التعفين وزعموا أنه يجوز أن يقدر الله العبد على خلق الحياة والقدرة * والثالثة عشر المعمرية * أتباع معمر بن عباد السلمى وهو أعظم القدرية غلوا وبالغ فى رفع الصفات والقدرة بالجملة وانفرد بمسائل منها أن الانسان يدبر الجسد وليس بحال فيه والانسان عنده ليس بطويل ولا عريض ولا ذى لون وتأليف وحركة ولا حال ولا متمكن وان الانسان شئ غير هذا الجسد وهو حى عالم قادر مختار وليس هو بمتحرك ولا ساكن ولا متلون ولا يرى ولا يلمس ولا يحل موضعا ولا يحويه مكان فوصف الانسان بوصف الالهية عنده فان مدبر العالم موصوف عنده كذلك وزعم أن الانسان منعم فى الحياة ومعذب فى النار وليس هو فى الجنة ولا فى النار حالا ولا متمكنا وقال ان الله لم يخلق غير الاجسام والاعراض تابعة لها متولدة منها وأن الاعراض لا تتناهى فى كل نوع وأن الارادة من الله للشئ غير الله وغير خلقه وان الله ليس بقديم لان ذلك اخذ من قدم يقدم فهو قديم * والرابعة عشر الثمامية * أتباع ثمامة بن أشرس النميرى وجمع بين النقائض وقال العلوم كلها ضرورية فكل من لم يضطر الى معرفة الله فليس بمأمور بها وهو كالبهائم ونحوها وزعم أن اليهود والنصارى والزنادقة يصيرون يوم القيامة ترابا كالبهائم لا ثواب لهم ولا عقاب عليهم البتة لانهم غير مأمورين اذ هم غير مضطرين الى معرفة الله تعالى وزعم أن الافعال كلها متولدة لا فاعل لها وان الاستطاعة هى السلامة وصحة الجوارح وأن العقل هو الذى يحسن ويقبح فتجب معرفة الله قبل ورود الشرع

وأن لافعل للانسان الا الارادة وماعداها فهو حدث * والخامسة عشر الجاحظية * أتباع أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وله مسائل تميز بها عن أصحابه منها أن المعارف كلها ضرورية وليس شئ من ذلك من أفعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة وان العباد لا يخلدون في النار بل يصيرون من طبيعتها وان الله لا يدخل أحدا النار وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها وان القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن أن يصير مرة رجلا ومرة حيوانا وان الله لا يريد المعاصي وانه لا يرى وان الله يريد بمعنى انه لا يغلط ولا يصح في حقه السهو فقط وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام * والسادسة عشر الخياطية * أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط شيخ أبي القاسم الكعبي من معتزلة بغداد زعم أن المعدوم شئ وانه في العدم جسم ان كان في حدوثه جسما وعرض ان كان في حدوثه عرضا * والسابعة عشر الكعبية * أتباع أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي من معتزلة بغداد انفرد بأشياء منها أن ارادة الله ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد لذاته ولا ارادته حادثة في محل وانما يرجع ذلك الى العلم فقط والسمع والبصر يرجع الى ذلك أيضا وأنكر الرؤية وقال اذا قلنا انه يرى المرئيات فانما ذلك يرجع الى علمه بها وتميزها قبل أن توجد * والثامنة عشر الجبائية * أتباع أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي من معتزلة البصرة تفرد بمقالات منها أن الله تعالى يسمى مطيعا للعبد اذا فعل ما أراد العبد منه وأن الله محبل للنساء بخلق الولد فيهن وأن كلام الله عرض يوجد في أمكنة كثيرة وفي مكان بعد مكان من غير أن يعدم من مكانه الاول ثم يحدث في الثاني وكان يقف في فضل علي على أبي بكر وفضل أبي بكر على علي ومع ذلك يقول ان أبا بكر خير من عمر وعثمان ولا يقول ان عليا خير من عمر وعثمان * والتاسعة عشرة البهشمية * أتباع أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي انفرد ببدع في مقالاته منها القول باستحقاق الذم من غير ذنب وزعم أن القادر منا يجوز أن يخلو عن الفعل والترك وأن القادر المأمور المنهي اذا لم يفعل فعلا ولا ترك يكون عاصيا مستحق العقاب والذم لا على الفعل لانه لم يفعل ما أمر به وان الله يعذب الكافرين والعصاة لا على فعل مكتسب ولا على محدث منه وقال التوبة لا تصح من قبيح مع الاصرار على قبيح آخر يعلمه أو يعتقده قبيحا وان كان حسنا وان التوبة لا تصح مع الاصرار على منع حسنة واجبة عليه وان توبة الزاني بعد ضعفه عن الجماع لا تصح وزعم أن الطهارة غير واجبة وانما أمر العبد بالصلاة في حال كونه متطهرا وان الطهارة تجزئ بالماء المغصوب ولا تجزئ الصلاة في الارض المغصوبة وزعم أن الزنج والترك والهنود قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وقال أبو علي وابنه أبو هاشم الايمان هو الطاعات المفروضة * والفرقة العشرون من المعتزلة الشيطانية * أتباع محمد بن نعمان المعروف بشيطان الطاق وهو من الروافض شارك كلا من المعتزلة والروافض في بدعهم وقلما يوجد معتزلي الا وهو رافضي الا القليل منهم انفرد ببطالة وهي أن الله لا يعلم الشئ الا ما قدره وأراده وأما قبل تقديره فيستحيل أن يعلمه ولو كان عالما بأفعال عباده لاستحال أن يمتحنهم ويختبرهم وللمعتزلة أسام منها الثنوية سموا بذلك لقولهم الخير من الله والشر من العبد ومنهم الكيسانية والناكثية والاحمدية والوهمية والبترية والواسطية والواردية سموا بذلك لقولهم لا يدخل المؤمنون النار وانما يردون عليها ومن أدخل النار لا يخرج منها قط ومنهم الحرقية لقولهم الكفار لا تحرق الا مرة والمفنية القائلون بفناء الجنة والنار والواقفية القائلون بالوقف في خلق القرآن ومنهم اللفظية القائلون ألفاظ القرآن غير مخلوقة والملتزقة القائلون الله بكل مكان والقبرية القائلون بانكار عذاب القبر

*(الفرقة الثانية المشبهة) * وهم يغلون في اثبات صفات الله تعالى ضد المعتزلة وهم سبع فرق * الهشامية * أتباع هشام بن الحكم ويقال لهم أيضا الحكمية ومن قولهم الاله تعالى كنور السبيكة الصافية يتلألأ من جوانبه ويرمون مقاتل بن سليمان بأنه قال هو لحم ودم على صورة الانسان وهو طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه وهو ذو لون وطعم ورائحة وهو سبعة أشبار بشبر نفسه ولم يصح هذا القول عن مقاتل * والجولقية * اتباع هشام بن سالم الجولقي وهو من الرافضة أيضا ومن شنيع قوله أن الله تعالى على صورة الانسان نصفه الاعلى مجوف ونصفه الاسفل مصمت وله شعر أسود وليس بلحم ودم بل هو نور ساطع وله خمس حواس كحواس الانسان ويد ورجل وفم وعين وأذن وشعر

أسود لا الفرج واللحية * والبيانية * أتباع بيان بن سمعان القائل هو على صورة الانسان ويهلك كله الا وجهه لظاهر الآية كل شئ هالك الا وجهه * والمغيرية أتباع مغيرة بن سعيد العجلي وهو أيضا من الروافض ومن شنائعه قوله ان أعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء فالالف على صورة قدميه وزعم أنه رجل من نور على رأسه تاج من نور وزعم أن الله كتب باصبعه أعمال العباد من طاعة ومعصية ونظر فيهما وغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران عذب ومالح وزعم أنه بكل مكان لا يخلو عنه مكان * والمنهالية أصحاب منهال بن ميمون * والزرارية أتباع زرارة بن أعين * واليونسية أتباع يونس ابن عبد الرحمن القمي وكلهم من الروافض وسيأتي ذكرهم ان شاء الله تعالى ومنهم أيضا السابية والشاكية والعملية والمستثنية والبدعية والعشرية والاثرية ومنهم الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني وهم طوائف الهيضمية والاسحاقية والجندية وغير ذلك الا انهم يعدون فرقة واحدة لان بعضهم لا يكفر بعضا وكلهم مجسمة الا أن فيهم من قال هو قائم بنفسه ومنهم من قال هو أجزاء مؤتلفة وله جهات ونهايات ومن قول الكرامية أن الايمان هو قول مفرد وهو قول لا اله الا الله وسواء اعتقد أو لا وزعموا أن الله جسم وله حد ونهاية من جهة السفل ويجوز عليه ملاقاة الاجسام التي تحته وانه على العرش والعرش مماس له وانه محل الحوادث من القول والارادة والادراكات والمرئيات والمسموعات وأن الله لو علم أحدا من عباده لا يؤمن به لكان خلقه اياهم عبثا وانه يجوز أن يعزل نبيا من الانبياء والرسل ويجوز عندهم على الانبياء كل ذنب لا يوجب حدا ولا يسقط عدالة وانه يجب على الله تعالى تواتر الرسل وانه يجوز أن يكون امامان في وقت واحد وأن عليا ومعاوية كانا امامين في وقت واحد الا أن عليا كان على السنة ومعاوية على خلافها وانفرد ابن كرام في الفقه بأشياء منها أن المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان واجاز الصلاة في ثوب مستغرق في النجاسة وزعم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات تصح بغير نية وتكفي نية الاسلام وأن النية تجب في النوافل وانه يجوز الخروج من الصلاة بالاكل والشرب والجماع عمدا ثم البناء عليها وزعم بعض الكرامية أن لله علمين أحدهما يعلم به جميع المعلومات والآخر يعلم به العلم الاول

*(الفرقة الثالثة القدرية) * الغلاة في اثبات القدرة للعبد في اثبات الخلق والايجاد وانه لا يحتاج في ذلك الى معاونة من جهة الله تعالى

*(الفرقة الرابعة الجبرية) * الغلاة في نفي استطاعة العبد قبل الفعل وبعده ومعه ونفي الاختيار له ونفي الكسب وهاتان الفرقتان متضادتان ثم افترقت الجبرية على ثلاث فرق * الجهمية أتباع جهم بن صفوان الترمذي مولى راسب وقتل في آخر دولة بني أمية وهو ينفي الصفات الالهية كلها ويقول لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه وان الانسان لا يقدر على شئ ولا يوصف بالقدرة ولا الاستطاعة وان الجنة والنار يفنيان وتنقطع حركات أهلهما وان من عرف الله ولم ينطق بالايمان لم يكفر لان العلم لا يزول بالصمت وهو مؤمن مع ذلك وقد كفره المعتزلة في نفي الاستطاعة وكفره أهل السنة بنفي الصفات وخلق القرآن ونفي الرؤية وانفرد بجواز الخروج على السلطان الجائر وزعم أن علم الله حادث لا بصفة يوصف بها غيره * والبكرية أتباع بكر ابن أخت عبد الواحد وهو يوافق النظام في أن الانسان هو الروح ويزعم أن البارى تعالى يرى في القيامة في صورة يخلقها ويكلم الناس منها وأن صاحب الكبيرة منافق في الدرك الاسفل من النار وحاله أسوأ من حال الكافر وحرم أكل الثوم والبصل وأوجب الوضوء من قرقرة البطن * والضرارية اتباع ضرار بن عمرو وانفرد بأشياء منها أن الله تعالى يرى في القيامة بحاسة زائدة سادسة وانكر قراءة ابن مسعود وشك في دين عامة المسلمين وقال لعلهم كفار وزعم أن الجسم أعراض مجتمعة كما قالت النجارية ومن جملة الجبرية البطيخية اتباع اسماعيل البطيخي والصباحية أتباع أبي صباح بن معمر والفكرية والخوفية

*(الفرقة الخامسة المرجئة) * الارجاء اما مشتق من الرجاء لان المرجئة يرجون لاصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى فيقولون لا يضر مع الايمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة أو يكون مشتقا من الارجاء وهو التأخير لانهم أخروا حكم اصحاب الكبائر الى الآخرة وحقيقة المرجئة انهم الغلاة في اثبات الوعد

والرجاء ونفي الوعيد والخوف عن المؤمنين وهم ثلاثة اصناف * صنف جمعوا بين الرجاء والقدر وهم غيلان وأبو شمر ومن بني حنيفة * وصنف جمعوا بين الارجاء والجبر مثل جهم بن صفوان * وصنف قال بالارجاء المحض وهم أربع فرق * اليونسية أتباع يونس بن عمرو وهو غير يونس بن عبد الرحمن القمي الرافضي زعم أن الايمان معرفة الله والخضوع له والمحبة والاقرار بأنه واحد ليس كمثله شئ * والغسانية أتباع غسان بن أبان الكوفي المنكر نبوة عيسى عليه السلام وتلمذ لمحمد بن الحسن الشيباني ومذهبه في الايمان كمذهب يونس الا انه يقول كل خصلة من خصال الايمان تسمى بعض الايمان ويونس يقول كل خصلة ليست بايمان ولا بعض ايمان وزعم غسان أن الايمان لا يزيد ولا ينقص وعند أبي حنيفة رحمه الله الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان فلا يزيد ولا ينقص كقرص الشمس * والثوبانية أتباع ثوبان المرجي ثم الخارجي المعتزلي وكان يقال له جامع النقائص هاجر الخصائص ومن قوله الايمان هو المعرفة والاقرار والايمان فعل ما يجب في العقل فعله فأوجب الايمان بالعقل قبل ورود الشرع وفارق الغسانية واليونسية في ذلك * والتومنية أتباع أبي معاذ التومني الفيلسوف زعم أن من ترك فريضة لا يقال له فاسق على الاطلاق ولكن ترك الفريضة فسق وزعم أن هذه الخصال التي تكون جملتها ايمانا فواحدة ليست بايمان ولا بعض ايمان وأن من قتل نبيا كفر لا لاجل القتل بل لاستخفافه به وبغضه له * ومن فرق المرجئة المريسية أتباع بشر بن غياث المريسي كان عراقي المذهب في الفقه تلمذ للقاضي أبي يوسف يعقوب الحضرمي وقال بنفي الصفات وخلق القرآن فأكفرته الصفاتية بذلك وزعم أن افعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا استطاعة مع الفعل فاكفرته المعتزلة بذلك وزعم أن الايمان هو التصديق بالقلب وهو مذهب ابن الزوبدي ولما ناظره الشافعي في مسألة خلق القرآن ونفي الصفات قال له نصفك كافر لقولك بخلق القرآن ونفي الصفات ونصفك مؤمن لقولك بالقضاء والقدر وخلق اكتساب العباد وبشر معدود من المعتزلة لنفيه الصفات وقوله بخلق القرآن * ومن فرق المرجئة الصالحية أتباع صالح بن عمرو بن صالح والجحدرية أتباع جحدر بن محمد التميمي والزيادية أتباع محمد بن زياد الكوفي والشبيبية أتباع محمد بن شبيب والنقضية والبهشمية * ومن المرجئة جماعة من الائمة كسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار وعمرو بن ذر وحماد بن سليمان وأبي مقاتل وخالفوا القدرية والخوارج والمرجئة في أنهم لم يكفروا بالكبائر ولا حكموا بتخليد مرتكبها في النار ولا سبوا أحدا من الصحابة ولا وقعوا فيهم * وأول من وضع الارجاء أبو محمد الحسن بن محمد المعروف بابن الحنفية بن علي بن أبي طالب وتكلم فيه وصارت المرجئة بعده أربعة انواع الاول مرجئة الخوارج الثاني مرجئة القدرية الثالث مرجئة الجبرية الرابع مرجئة الصالحية وكان الحسن بن محمد ابن الحنفية يكتب كتبه الى الامصار يدعو الى الارجاء الا انه لم يؤخر العمل عن الايمان كما قال بعضهم بل قال أداء الطاعات وترك المعاصي ليس من الايمان لا يزول بزوالها وقال ابن قتيبة أول من وضع الارجاء بالبصرة حسان بن بلال بن الحارث المزني وذكر بعضهم أن أول من وضع الارجاء أبا سالت السمان ومات سنة اثنتين وخمسين ومائة

*(الفرقة السادسة الحرورية) * الغلاة في اثبات الوعيد والخوف على المؤمنين والتخليد في النار مع وجود الايمان وهم قوم من النواصب الخوارج وهم مضادون المرجئة في النفي والاثبات والوعد والوعيد ومن مفرداتهم أن من ارتكب كبيرة فهو مشرك ومذهب عامة الخوارج انه كافر وليس بمشرك وقال بعضهم هو منافق في الدرك الاسفل من النار فعند الحرورية أن الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة فلا يسمى مؤمنا بل كافرا مشركا والحكم فيه انه يخلد في النار واتفقوا على أن الايمان هو اجتناب كل معصية وقيل لهم الحرورية لانهم خرجوا الى حروراء لقتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعدتهم اثنا عشر ألفا ثم سار علي رضي الله عنه اليهم وناظرهم ثم قاتلهم وهم أربعة آلاف فانضم اليهم جماعة حتى بلغوا اثني عشر ألفا

*(الفرقة السابعة النجارية) * أتباع الحسن بن محمد بن عبد الله النجار أبي عبد الله كان حائكا وقيل انه كان يعمل الموازين وانه كان من أهل قم كان من جملة المجبرة ومتكلميهم وله مع النظام عدة مناظرات منها انه ناظره مرة فلما لم يلحن بحجته رفسه النظام وقال له قم أخزى الله من ينسبك الى شئ من العلم والفهم

فانصرف

فانصرف محموما واعتل حتى مات وهم اكثر معتزلة الرى وجهاتها وهم يوافقون أهل السنة فى مسألة القضاء والقدر وا كتساب العباد وفى الوعد والوعيد وامامة أبى بكر رضى الله عنه ويوافقون المعتزلة فى نفى الصفات وخلق القرآن وفى الرؤية وهم ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة

*(الفرقة الثامنة الجهمية) * أتباع جهم بن صفوان وهم يوافقون أهل السنة فى مسألة القضاء والقدر مع ميل الى الجبر وينفون الصفات والرؤية ويقولون بخلق القرآن وهم فرقة عظيمة وعدادهم فى المعطلة المجبرة

*(الفرقة التاسعة الروافض) الغلاة فى حب على بن أبى طالب وبغض أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية فى آخرين من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وسموا رافضة لان زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم امتنع من لعن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقال هما وزيرا جدى محمد صلى الله عليه وسلم فرفضوا رأيه ومنهم من قال لانهم رفضوا رأى الصحابة رضى الله عنهم حيث بايعوا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما * وقد اختلف الناس فى الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب الجمهور الى انه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال العباسية والربوبدية أتباع أبى هريرة الربوبدى وقيل أتباع ابى العباس الربوبدى هو العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه لانه العم والوارث فهو أحق من ابن العم وقال العثمانية وبنو أمية هو عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وذهب آخرون الى غير ذلك وقال الرافضة هو على بن أبى طالب ثم اختلفوا فى الامامة اختلافا كثيرا حتى بلغت فرقهم ثلثمائة فرقة والمشهور منها عشرون فرقة * الزيدية والصباحية اقروا امامة ابى بكر رضى الله عنه ورأوا انه لا نص فى امامة على رضى الله عنه واختلفوا فى امامة عثمان رضى الله عنه فأنكرها بعضهم وأقر بعضهم أنه الامام بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكن قالوا على أفضل من أبى بكر وامامة المفضول جائزة وقال الغلاة هو على بالنص ثم الحسن وبعده الحسين وصار بعد الحسين الامر شورى وقال بعضهم لم يرد النص الا بامامة على فقط وقال آخرون نص على على بالوصف لا بالعين والاسم وقال بعضهم قد جاء النص على امامة اثنى عشر آخرهم المهدى المنتظر وفرقهم العشرون هى * الامامية وهم مختلفون فى الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم اكثرهم أن الامامة فى على بن أبى طالب وأولاده بنص النبى صلى الله عليه وسلم وأن الصحابة كلهم قد ارتدوا الا عليا وابنيه الحسن والحسين وأبا ذر الغفارى وسلمان الفارسى وطائفة يسيرة * وأول من تكلم فى مذهب الامامية على بن اسماعيل بن هيثم التمار وكان من أصحاب على بن أبى طالب وذهبت القطعية منهم الى أن الامامة فى على ثم فى الحسن ثم فى الحسين ثم فى على بن الحسين ثم فى محمد بن على ثم فى جعفر بن محمد ثم فى موسى بن جعفر ثم فى على بن موسى وقطعوا الامامة عليه فسموا القطعية لذلك ولم يكتبوا امامة محمد بن موسى ولا امامة محمد الحسين بن محمد بن على بن موسى وقالت الناووسية جعفر بن محمد لم يمت وهو حى ينتظر وقالت المباركية أتباع مبارك الامام بعد جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن جعفر ثم محمد بن اسماعيل وقالت الشميطية أتباع يحيى بن شميط الاحمسى كان مع المختار قائدا من قواده فانفذه أميرا على جيش البصرة يقاتل مصعب بن الزبير فقتل بالمدار الامامة بعد جعفر فى ابنه محمد وأولاده وقالت المعمرية أتباع معمر الامامة بعد جعفر فى ابنه عبد الله بن جعفر وأولاده ويقال لهم الفطحية لان عبد الله بن جعفر كان افطح الرجلين وقالت الواقفية الامام بعد جعفر ابنه موسى بن جعفر وهو حى لم يمت وهو الامام المنتظر وسموا الواقفية لوقوفهم على امامة موسى وقالت الزرارية أتباع زرارة بن أعين الامام بعد جعفر ابنه عبد الله الا انه سأله عن مسائل فلم يمكنه الجواب عنها فادعى امامة موسى بن جعفر من بعد أبيه وقالت المفضلية أتباع المفضل ابن عمرو الامام بعد جعفر ابنه موسى وانه مات فانتقلت الامامة الى ابنه محمد بن موسى وقالت المفوضة من الامامية ان الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم وفوض اليه خلق العالم وتدبيره وقال بعضهم بل فوض ذلك الى على بن أبى طالب * والفرقة الثانية من فرق الروافض الكيسانية أتباع كيسان مولى على بن أبى طالب وأخذ عن محمد ابن الحنفية وقيل بل كيسان اسم المختار بن عبيد الثقفى الذى قام لاخذ ثار الحسين رضى الله عنه زعموا أن الامام بعد على ابنه محمد ابن الحنفية لانه أعطاه الراية يوم الجمل ولان الحسين أوصى اليه عند خروجه الى الكوفة ثم اختلفوا فى الامام بعد ابن الحنفية فقال بعضهم رجع الامر بعده الى أولاد الحسن

والحسين وقيل بل انتقل الى أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وقالت الكربية أتباع أبي كرب بأن ابن الحنفية حي لم يمت وهو الامام المنتظر ومن قول الكيسانية أن البداء جائز على الله وهو كفر صريح * والفرقة الثالثة الخطابية أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي ثور وقيل محمد بن أبي زيد الاجدع ومذهبه الغلو في جعفر بن محمد الصادق وهو أيضا من المشبهة وأتباعه خمسون فرقة وكلهم متفقون على أن الائمة مثل علي وأولاده كلهم انبياء وانه لابد من رسولين لكل امة أحدهما ناطق والآخر صامت فكان محمد ناطقا وعلي صامتا وان جعفر بن محمد الصادق كان نبيا ثم انتقلت النبوة الى أبي الخطاب الاجدع وجوزوا كلهم شهادة الزور لموافقيهم وزعموا أنهم عالمون بما هو كائن الى يوم القيامة وقالت المعمرية منهم الامام بعد أبي الخطاب رجل اسمه معمر وزعموا أن الدنيا لا تفنى وان الجنة هي ما يصيبه الانسان من الخير في الدنيا والنار ضد ذلك وأباحوا شرب الخمر والزنى وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة وقالوا بالتناسخ وان الناس لا يموتون وانما ترفع أرواحهم الى غيرهم وقالت البزيغية منهم ان جعفر بن محمد اله وليس هو الذي يراه الناس وانما تشبه على الناس وزعموا أن كل مؤمن يوحى اليه وأن منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد صلى الله عليه وسلم وزعموا أنهم يرون أمواتهم بكرة وعشيا وقالت العميرية منهم أتباع عمير بن بيان العجلي مثل ذلك كله وخالفوهم في أن الناس لا يموتون وافترقت الخطابية بعد قتل أبي الخطاب فرقا منها فرقة زعمت أن الامام بعد أبي الخطاب عمير بن بيان العجلي ومقالتهم كمقالة البزيغية الا أن هؤلاء اعترفوا بموتهم ونصبوا خيمة على كناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة جعفر الصادق فبلغ ذلك يزيد بن عمر فصلب عمير بن بيان في كناسة الكوفة ومن فرقهم المفضلية أتباع مفضل الصيرفي زعم أن جعفر بن محمد اله فطرده ولعنه وزعمت الخطابية بأجمعها أن جعفر بن محمد الصادق أودعهم جلدا يقال له جفر فيه كل ما يحتاجون اليه من علم الغيب وتفسير القرآن وزعموا لعنهم الله أن قوله تعالى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة معناه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأن الخمر والميسر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأن الجبت والطاغوت معوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهما * والفرقة الرابعة الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم القائلون بامامته وامامة من اجتمع فيه ست خصال العلم والزهد والشجاعة وأن يكون من أولاد فاطمة الزهراء رضي الله عنه حسنيا أو حسينيا ومنهم من زاد صباحة الوجه وأن لا يكون فيه آفة وهم يوافقون المعتزلة في اصولهم كلها الا في مسألة الامامة وأخذ مذهب زيد بن علي عن واصل بن عطاء وكان يفضل عليا على أبي بكر وعمر مع القول بامامتهما وهم أربع فرق الجارودية أتباع أبي الجارود ويكنى أبا النجم زياد بن المنذر العبدي زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامة علي بالوصف لا بالتسمية وأن الناس كفروا بتركهم مبايعة علي رضي الله عنه والحسن والحسين وأولادهما والجريرية أتباع سليم بن جرير ومن قوله لم يكفر الناس بتركهم مبايعة علي بل أخطأوا بترك الافضل وهو علي وكفروا الجارودية بتكفيرهم الصحابة الا انهم كفروا عثمان بن عفان بالاحداث التي أحدثها وقالوا لم ينص علي على امامة أحد وصار الامر من بعده شورى ومنهم البترية أتباع الحسن بن صالح بن كثير الابتر وقولهم ان عليا أفضل وأولى بالامامة غير أن أبا بكر كان اماما ولم تكن امامته خطأ ولا كفرا بل ترك علي الامامة له وأما عثمان فيتوقف فيه ومنهم اليعقوبية أتباع يعقوب وهم يقولون بامامة أبي بكر وعمر ويتبرؤن ممن تبرأ منهما وينكرون رجعة الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة ويتبرؤن ممن دان بها الا انهم متفقون على تفضيل علي على أبي بكر وعمر من غير تفسيقهما ولا تكفيرهما ولا لعنهما ولا الطعن على أحد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين * والفرقة الخامسة السبائية أتباع عبد الله بن سبا الذي قال شفاها لعلي بن أبي طالب أنت الاله وكان من اليهود ويقول في يوشع بن نون مثل قوله ذلك في علي وزعم أن عليا لم يقتل وانه حي لم يمت وانه في السحاب وان الرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل الى الارض بعد حين قبحه الله * والفرقة السادسة الكاملية أتباع ابي كامل اكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة علي وكفر عليا بتركه قتالهم وقال بتناسخ الانوار الالهية في الائمة * (والفرقة السابعة) * البيانية أتباع بيان بن سمعان زعم أن روح الاله حل في الانبياء ثم في علي وبعده في محمد ابن الحنفية ثم في ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ثم حل بعد أبي هاشم في بيان بن سمعان يعني نفسه

لعنه

لعنه الله * والفرقة الثامنة المغيرية أتباع مغيرة بن سعيد العجلى مولى خالد بن عبد الله طلب الامامة لنفسه بعد محمد بن عبد الله بن الحسن فخرج على خالد بن عبد الله القسرى بالكوفة فى عشرين رجلا فعطعطوا به فقال خالد أطعمونى ماء وهو على المنبر فعير بذلك والمغيرة هذا قال بالتشبيه الفاحش وادعى النبوة وزعم أن معجزته علمه بالاسم الاعظم وانه يحيى الموتى وزعم أن الله لما اراد أن يخلق العالم كتب باصبعه أعمال عباده فغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مالح والآخر عذب فخلق من البحر العذب الشيعة وخلق الكفرة من البحر الملح وزعم أن المهدى يخرج وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب * والفرقة التاسعة الهشامية وهم صنفان أحدهما أتباع هشام بن الحكم والثانى أتباع هشام الجواليقى وهما يقولان لا تجوز المعصية على الامام وتجوز على الانبياء وأن محمدا عصى ربه فى أخذ الفداء من اسرى بدر كذبا لعنهما الله وهما أيضا مع ذلك من المشبهة * والفرقة العاشرة الزرارية أتباع زرارة بن أعين أحد الغلاة فى الرفض ويزعم مع ذلك أن الله تعالى لم يكن فى الازل عالما ولا قادرا حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك قبحه الله * والفرقة الحادية عشر الجناحية أتباع عبد الله بن معاوية ذى الجناحين بن أبى طالب وزعم أنه اله وأن العلم ينبت فى قلبه كما تنبت الكمأة وان روح الاله دارت فى الانبياء كما كانت فى على وأولاده ثم صارت فيه ومذهبهم استحلال الخمر والميتة ونكاح المحارم وأنكروا القيامة وتأولوا قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات وزعموا أن كل ما فى القرآن من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير كناية عن قوم يلزم بغضهم مثل أبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية وكل ما فى القرآن من الفرائض التى أمر الله بها كناية عن يلزم موالاتهم مثل على والحسن والحسين وأولادهم * والثانية عشر المنصورية أتباع أبى منصور العجلى أحد الغلاة المشبهة زعم أن الامامة انتقلت اليه بعد محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب وانه عرج به الى السماء بعد انتقال الامامة اليه وأن معبوده مسح بيده على رأسه وقال له يا بنى بلغ عنى آية الكسف الساقط من السماء فى قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم الآية وزعم أن أهل الجنة قوم تجب موالاتهم مثل على بن أبى طالب وأولاده وأن أهل النار قوم تجب معاداتهم مثل أبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضى الله عنهم * والثالثة عشر الغرابية زعموا لعنهم الله أن جبريل أخطأ فانه أرسل الى على بن أبى طالب فجاء الى محمد صلى الله عليه وسلم وجعلوا شعارهم اذا اجتمعوا أن يقولوا العنوا صاحب الريش يعنون جبريل عليه السلام وعليهم اللعنة * والرابعة عشر الذمية بفتح الذال المعجمة زعموا أخزاهم الله أن على بن أبى طالب بعثه الله نبيا وانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ليظهر أمره فادعى النبوة لنفسه وأرضى عليا بأن زوجه ابنته وموله ومنهم العليانية أتباع عليان بن ذراع السدوسى وقيل الاسدى كان يفضل عليا على النبى صلى الله عليه وسلم ويزعم أن عليا بعث محمدا وكان لعنه الله يذم النبى صلى الله عليه وسلم لزعمه أن محمدا بعث ليدعو الى على فدعا الى نفسه ومن العليانية من يقول بالهية محمد وعلى جميعا ويقدمون محمدا فى الالهية ويقال لهم الميمية ومنهم من قال بالهية خمسة وهم أصحاب الكساء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خمستهم شئ واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالهاء فقالوا فاطم قال بعضهم

توليت بعد الله فى الدين خمسة * نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما

* والخامسة عشر اليونسية أتباع يونس بن عبد الله القمى أحد الغلاة المشبهة * والسادسة عشر الرزامية أتباع رزام بن سابق زعم أن الامامة انتقلت بعد على بن أبى طالب الى ابنه محمد ابن الحنفية ثم الى ابنه أبى هاشم ثم الى على بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم الى ابنه محمد بن على فأوصى بها محمد الى ابى العباس عبد الله بن محمد السفاح الظالم المتردد فى المذاهب الجاهل بحقوق أهل البيت * والسابعة عشر الشيطانية أتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق وقد شارك المعتزلة والرافضة فى جميع مذهبهم وانفرد بأعظم الكفر قاتله الله وهو أنه زعم أن الله لا يعلم الشئ حتى يقدره وقبل ذلك يستحيل علمه * والثامنة عشر البسلمية وهم من الراوندية زعموا أن الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت فى على وأولاده الحسن والحسين

ومحمد ابن الحنفية ثم فى أبى هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وانتقلت منه الى على بن عبد الله بن عباس بوصيته اليه ثم الى أبى العباس السفاح ثم الى أبى سلمة صاحب دولة بنى العباس وقام بناحية كش فيما وراء النهر رجل من أهل مرو أعور يقال له هاشم ادعى أن أباسلمة كان الها انتقل اليه روح الله ثم انتقل اليه بعده فانتشرت دعوته هنالك واحتجب عن أصحابه واتخذ له وجها من ذهب فعرف بالمصبغ ثم ان أصحابه طلبوا رؤيته فوعدهم أن يريهم نفسه ان لم يحترقوا وعمل تجاه مرآة محرقة تعكس شعاع الشمس فلما دخلوا عليه احترق بعضهم ورجع الباقون وقد فتنوا واعتقدوا أنه اله لاتدركه الابصار ونادوا فى حروبهم بالهيئة * والتاسعة عشر الجعفرية * والعشرون الصباحية وهم والزيدية أمثل الشيعة فانهم يقولون بامامة أبى بكر وانه لانص فى امامة على مع انه عندهم أفضل وأبو بكر مفضول * ومن فرق الروافض الحلوية والشاعية والشريكية يزعمون أن عليا شريك محمد صلى الله عليه وسلم والتناسخية القائلون ان الارواح تتناسخ واللاعنة والمخطئة الذين يزعمون أن جبريل أخطأ والاسحاقية والخلفية الذين يقولون لاتجوز الصلاة خلف غير الامام والرجعية القائلون سيرجع على بن أبى طالب وينتقم من أعدائه والمتربصية الذين يتربصون خروج المهدى والاهربية والجبية والحلالية والكريبية أتباع أبى كريب الضرير والحزنية أتباع عبد الله بن عمرو الحزنى

(الفرقة العاشرة الخوارج) ويقال لهم النواصب والحرورية نسبة الى حروراء موضع خرج فيه أولهم على على رضى الله عنه وهم الغلاة فى حب أبى بكر وعمر وبغض على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين ولا أجهل منهم فانهم القاسطون المارقون خرجوا على على رضى الله عنه وانفصلوا عنه بالجملة وتبرؤا منه ومنهم من صحبه ومنهم من كان فى زمنه وهم جماعة قد دون الناس أخبارهم وهم عشرون فرقة * الاولى يقال لهم الحكمية لانهم خرجوا على على رضى الله عنه فى صفين وقالوا لاحكم الا لله ولاحكم للرجال وانحازوا عنه الى حروراء ثم الى النهروان وسبب ذلك أنهم حملوه على التحاكم الى من حكم بكتاب الله فلما رضى بذلك وكانت قضية الحكمين أبى موسى الاشعرى وهو عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص غضبوا من ذلك ونابذوا عليا وقالوا فى شعارهم لاحكم الا لله ولرسوله وكان امامهم فى التحكيم عبد الله بن الكواء * والثانية الازارقة أتباع أبى راشد نافع بن الازرق بن قيس بن نهار بن انسان بن أسد بن صبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة الخارج بالبصرة فى أيام عبد الله بن الزبير وهم على التبرى من عثمان وعلى والطعن عليهما وأن دار مخالفيهم دار كفر وأن من أقام بدار الكفر فهو كافر وأن أطفال مخالفيهم فى النار ويحل قتلهم وأنكروا رجم الزانى وقالوا من قذف محصنة حد ومن قذف محصنا لايحد ويقطع السارق فى القليل والكثير * والثالثة النجدات ولم يقل فيهم النجدية ليفرق بينهم وبين من انتسب الى بلاد نجد فانهم أتباع نجد بن عويمر وهو عامر الحنفى الخارج باليمامة وكان رأسا ذا مقالة مفردة وتسمى بأمير المؤمنين وبعث عطية بن الاسود الى سجستان فأظهر مذهبه بها فعرفت أتباعه بالعطوية ومذهبهم أن الدين أمران أحدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم والثانى الاقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة وماسوى ذلك من التحريم والتحليل وسائر الشرائع فان الناس يعذرون بجهلها وانه لايأثم المجتهد اذا أخطأ وان من خالف أن يعذب المجتهد فقد كفر واستحلوا دماء أهل الذمة فى دار التقية وقالوا من نظر نظرة محرمة أو كذب كذبة أو أصر على صغيرة ولم يتب منها فهو كافر ومن زنى اوسرق أو شرب خمرا من غير أن يصر على ذلك فهو مؤمن غير كافر * والرابعة الصفرية أتباع زياد بن الاصفر ويقال أتباع النعمان بن صفر وقيل بل نسبوا الى عبد الله بن صفار وهو أحد بنى مقاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار وقيل عبد الله بن الصفار من بنى صريم بن مقاعس وقيل سموا بذلك لصفرة علتهم وزعم بعضهم أن الصفرية بكسر الصاد وقد وافق الصفرية الازارقة فى جميع بدعهم الا فى قتل الاطفال ويقال للصفرية أيضا الزيادية ويقال

٣ لهم أيضا النكار من اجل أنهم ينقصون نصف على وثلث عثمان وسدس عائشة رضى الله عنهم * والخامسة العجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد * والسادسة الميمونية أتباع ميمون بن عمران وهم طائفة من العجاردة وافقوا الازارقة الا فى شيئين أحدهما قولهم تجب البراءة من الاطفال حتى يبلغوا ويصفوا الاسلام والثانى استحلال أموال المخالفين لهم فلم تستحل الميمونية مال أحد خالفهم مالم يقتل المالك فاذا قتل صار ماله فيأ الا انهم

ازدادوا كفرا على كفرهم وأجازوا انكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات أولاد الاخوة وبنات أولاد الاخوات فقط * والسابعة الشعيبية وهم طائفة من العجاردة وافقوا الميمونية فى جميع بدعهم الا فى الاستطاعة والمشيئة فان الميمونية مالت الى القدرية * والثامنة الحمزية أتباع حمزة بن أدرك الشامى الخارج بخراسان فى خلافة هارون بن محمد الرشيد وكثر عيثه وفساده ثم فض جموع عيسى بن على عامل خراسان وقتل منهم خلقا كثيرا فانهزم منه عيسى الى كابل وآل أمر حمزة الى أن غرق فى كرمان بوادهنالك فعرفت أصحابه بالحمزية وكان يقول بالقدر فكفرته الازارقة بذلك وقال أطفال المشركين فى النار فكفرته القدرية بذلك وكان لا يستحل غنائم أعدائه بل يأمر باحراق جميع مايغنمه منهم * والتاسعة الحازمية وهم فرقة من العجاردة قالوا فى القدر والمشيئة كقول أهل السنة وخالفوا الخوارج فى الولاية والعداوة فقالوا لم يزل الله تعالى محبا لاوليائه ومبغضا لاعدائه * والعاشرة المعلومية مع المجهولية تباينا فى مسألتين احداهما قالت المعلومية من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو كافر وقالت المجهولية لا يكون كافرا والثانية وافقت المعلومية أهل السنة فى مسألة القدر والمشيئة والمجهولية وافقت القدرية فى ذلك * والحادية عشر الصلتية أتباع عثمان بن أبى الصلت وهم طائفة من العجاردة انفردوا بقولهم من أسلم توليناه لكن نتبرأ من اطفاله لانه ليس للاطفال اسلام حتى يبلغوا * والثانية عشر والثالثة عشر الاخنسية والمعبدية وهما فرقتان من الثعالبة أتباع ثعلبة بن عامر وكان ثعلبة هذا مع عبد الكريم بن عجرد ثم اختلفا فى الاطفال فقال عبد الكريم نتبرأ منهم قبل البلوغ وقال ثعلبة لا نتبرأ منهم بل نقول نتولى الصغار فلم تزل الثعالبة على هذا الى أن خرج رجل عرف بالاخنس فقال نتوقف عن جميع من فى دار التقية الا من عرفنا منه ايمانا فانا نتولاه ومن عرفنا منه كفرا تبرأنا منه ولا يجوز أن نبدأ أحدا بقتال فتبرأت منه الثعالبة وسموه بالاخنس لانه خنس منهم أى رجع عنهم ثم خرجت فرقة من الثعالبة قيل لها المعبدية أتباع معبد خالفت الثعالبة فى أخذ الزكاة من العبيد والبهائم وكفرت كل فرقة منهما الاخرى * والرابعة عشر الشيبانية أتباع شيبان بن سلمة الخارج فى أيام أبى مسلم الخراسانى القائم بدعوة الخلفاء العباسيين وكان معه فتبرأت منه الثعالبة لمعاونته لابى مسلم وهو أول من اظهر القول بالتشبيه تعالى الله عن ذلك * والخامسة عشر الشبيبية أتباع شبيب بن يزيد بن أبى نعيم الخارج فى خلافة عبد الملك بن مروان وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفى وهم على ماكانت عليه المحكمة الاولى الا انهم انفردوا عن الخوارج بجواز امامة المرأة وخلافتها واستخلف شبيب هذا أمه غزالة فدخلت الكوفة وقامت خطيبة وصلت الصبح بالمسجد الجامع فقرأت فى الركعة الاولى بالبقرة وفى الثانية بآل عمران وأخبار شبيب طويلة * والسادسة عشر الرشيدية أتباع رشيد ويقال لهم أيضا العشرية من أجل انهم كانوا يأخذون نصف العشر مما سقت الانهار فقال لهم زياد بن عبد الرحمن يجب فيه العشر فتبرأت كل فرقة من الاخرى وكفرتها بذلك * والسابعة عشر المكرمية * أتباع أبى المكرم ومن قوله تارك الصلاة كافر وليس كفره لترك الصلاة لكن لجهله بالله وكذا قوله فى سائر الكبائر * والثامنة عشر الحفصية أتباع حفص بن المقدام أحد اصحاب عبد الله بن أباض تفرد بقوله من عرف الله تعالى وكفر بما سواه من رسول وغيره فهو كافر وليس بمشرك فانكر ذلك الاباضية وقالوا بل هو مشرك * والتاسعة عشر الاباضية أتباع عبد الله بن أباض من بنى مقاعس واسمه الحرث بن عمرو ويقال بل ينسبون الى أباض بضم الهمزة وهى قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجدة بن عامر وخرج عبد الله بن اباض فى أيام مروان وكان من غلاة المحكمة * والفرقة العشرون اليزيدية أتباع يزيد بن أبى انيسة وكان اباضيا فانفرد ببدعة قبيحة وهى أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم * ومن فرق الخوارج أيضا الحارثية والاصومية أتباع يحيى بن أصوم والبيهسية أتباع أبى البيهس الهيصم بن خالد من بنى سعد بن ضبيعة كان فى زمن الحجاج وقتل بالمدينة وصلب والعقوبية أتباع يعقوب بن على الكوفى ومن فرقهم الفضلية أتباع فضل بن عبد الله والشمراخية أتباع عبد الله بن شمراخ والضحاكية أتباع الضحاك والخوارج يقال لهم الشراة واحدهم شارى مشتق من شرى الرجل اذا لج أو معناه يستشرى

بالشراء أومن قول الخوارج شرينا أنفسنا الدين الله فنحن لذلك شراة وقيل انه من قولهم شاريته أى لاححته وماريته وقيل شرى الرجل غضبا اذا استطار غضبا وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين

(ذكر الحال فى عقائد أهل الاسلام منذ ابتداء الملة الاسلامية الى أن انتشر مذهب الاشعرية)

اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى الناس جميعا وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة فى كتابه العزيز الذى نزل به على قلبه صلى الله عليه وسلم الروح الامين وبما أوحى اليه ربه تعالى فلم يسأله صلى الله عليه وسلم أحد من العرب بأسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شئ من ذلك كما كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن امر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما لله فيه سبحانه أمر ونهى وكما سألوه صلى الله عليه وسلم عن أحوال القيامة والجنة والنار اذ لو سأله انسان منهم عن شئ من الصفات الالهية لنقل كما نقلت الاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فى أحكام الحلال والحرام وفى الترغيب والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفتن ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجمها ومسانيدها وجوامعها ومن امعن النظر فى دواوين الحديث النبوى ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شئ مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام فى الصفات نعم ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل وانما اثبتوا له تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة وساقوا الكلام سوقا واحدا وهكذا اثبتوا رضى الله عنهم ما اطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم الى تأويل شئ من هذا ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله ولا عرف أحد منهم شيأ من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة فمضى عصر الصحابة رضى الله عنهم على هذا الى أن حدث فى زمنهم القول بالقدر وأن الامر أنفة أى ان الله تعالى لم يقدر على خلقه شيأ مما هم عليه * وكان أول من قال بالقدر فى الاسلام معبد بن خالد الجهنى وكان يجالس الحسن بن الحسين البصرى فتكلم فى القدر بالبصرة وسلك أهل البصرة مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله وأخذ معبد هذا الرأى عن رجل من الاساورة يقال له أبو يونس سنسويه ويعرف بالاسوارى فلما عظمت الفتنة به عذبه الحجاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ثمانين ولما بلغ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما مقالة معبد فى القدر تبرأ من القدرية واقتدى بمعبد فى بدعته هذه جماعة وأخذ السلف رحمهم الله فى ذم القدرية وحذروا منهم كما هو معروف فى كتب الحديث وكان عطاء بن يسار قاضيا يرى القدر وكان يأتى هو ومعبد الجهنى الى الحسن البصرى فيقولان له ان هؤلاء يسفكون الدماء ويقولون انما تجرى أعمالنا على قدر الله فقال كذب أعداء الله فطعن عليه بهذا ومثله وحدث أيضا فى زمن الصحابة رضى الله عنهم مذهب الخوارج وصرحوا بالتكفير بالذنب والخروج على الامام وقتاله فناظرهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فلم يرجعوا الى الحق وقاتلهم امير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وقتل منهم جماعة كما هو معروف فى كتب الاخبار ودخل فى دعوة الخوارج خلق كثير ورمى جماعة من ائمة الاسلام بأنهم يذهبون الى مذهبهم وعد منهم غير واحد من رواة الحديث كما هو معروف عند أهله وحدث أيضا فى زمن الصحابة رضى الله عنهم مذهب التشيع لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه والغلو فيه فلما بلغه ذلك أنكره وحرق بالنار جماعة ممن غلا فيه وأنشد

لما رأيت الامر أمرا منكرا * اججت نارى ودعوت قنبرا

وقام فى زمنه رضى الله عنه عبد الله بن وهب بن سبا المعروف بابن السوداء السبأى وأحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بالامامة من بعده فهو وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته على أمته من بعده بالنص وأحدث القول برجعة على بعد موته الى الدنيا وبرجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ايضا

أيضا وزعم أن عليا لم يقتل وانه حى وأن فيه الجزء الالهى وانه هو الذى يجىء فى السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه وانه لابد أن ينزل الى الارض فيملأها عدلا كما ملئت جورا ومن ابن سبا هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة وصاروا يقولون بالوقف يعنون أن الامامة موقوفة على اناس معينين كقول الامامية بأنها فى الائمة الاثنى عشر وقول الاسماعلية بأنها فى ولد اسماعيل بن جعفر الصادق وعنه أيضا أخذوا القول بغيبة الامام والقول برجعته بعد الموت الى الدنيا كما تعتقده الامامية الى اليوم فى صاحب السرداب وهو القول بتناسخ الارواح وعنه أخذوا أيضا القول بأن الجزء الالهى يحل فى الائمة بعد على بن أبى طالب وانهم بذلك استحقوا الامامة بطريق الوجوب كما استحق آدم عليه السلام سجود الملائكة وعلى هذا الرأى كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر وابن سبأ هذا هو الذى أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى قتل كما ذكر فى ترجمة ابن سبا من كتاب التاريخ الكبير المقفى وكان له عدة أتباع فى عامة الامصار وأصحاب كثيرون فى معظم الاقطار فكثرت لذلك الشيعة وصاروا ضد الخوارج وما زال امرهم يقوى وعددهم يكثر * ثم حدث بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق فعظمت الفتنة به فانه نفى أن يكون لله تعالى صفة وأورد على أهل الاسلام شكوكا أثرت فى الملة الاسلامية آثارا قبيحة تولد عنها بلاء كبير وكان قبيل المائة من سنى الهجرة فكثر اتباعه على اقواله التى تؤول الى التعطيل فأكبر أهل الاسلام بدعته وتمالؤا على انكارها وتضليل أهلها وحذروا من الجهمية وعادوهم فى الله وذموا من جلس اليهم وكتبوا فى الرد عليهم ما هو معروف عند أهله وفى أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال منذ زمن الحسن بن الحسين البصرى رحمه الله بعد المائتين من سنى الهجرة وصنفوا فيه مسائل فى العدل والتوحيد واثبات افعال العباد وأن الله تعالى لا يخلق الشر وجهروا بأن الله لا يرى فى الآخرة وأنكروا عذاب القبر على البدن وأعلنوا بأن القرآن مخلوق محدث الى غير ذلك من مسائلهم فتبعهم خلائق فى بدعهم وأكثروا من التصنيف فى نصرة مذهبهم بالطرق الجدلية فنهى ايمة الاسلام عن مذهبهم وذموا علم الكلام وهجروا من ينتحله ولم يزل أمر المعتزلة يقوى وأتباعهم تكثر ومذهبهم ينتشر فى الارض * ثم حدث مذهب التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال فظهر محمد بن كرام بن عراق بن حزابة ابو عبد الله السجستانى زعيم الطائفة الكرامية بعد المائتين من سنى الهجرة وأثبت الصفات حتى انتهى فيها الى التجسيم والتشبيه وحج وقدم الشام ومات بزغرة فى صفر سنة ست وخمسين ومائتين فدفن بالمقدس وكان هناك من أصحابه زيادة على عشرين ألفا على التعبد والتقشف سوى من كان منهم ببلاد المشرق وهم لا يحصون لكثرتهم وكان اماما لطائفتى الشافعية والحنفية وكانت بين الكرامية بالمشرق وبين المعتزلة مناظرات ومناكرات وفتن كثيرة متعددة أزمانها هذا وأمر الشيعة يفشو فى الناس حتى حدث مذهب القرامطة المنسوب الى حمدان الاشعث المعروف بقرمط من اجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه وكان ابتداء امر قرمط هذا فى سنة أربع وستين ومائتين وكان ظهوره بسواد الكوفة فاشتهر مذهبه بالعراق وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الخال والمدثر والمطوق وقام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابى من أهل جنابة وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده حتى أوقعوا بعساكر بغداد وأخافوا خلفاء بنى العباس وفرضوا الاموال التى تحمل اليهم فى كل سنة على أهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز وانتشرت دعاتهم بأقطار الارض فدخل جماعات من الناس فى دعوتهم ومالوا الى قولهم الذى سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام وصرفها عن ظواهرها الى امور زعموها من عند أنفسهم وتأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويلا بعيدا انتحلوا القول به بدعا ابتدعوها بأهوائهم فضلوا وأضلوا عالما كثيرا * هذا وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بنى العباس ببغداد لما شغف بالعلوم القديمة بعث الى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة وأتاه بها فى أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سنى الهجرة فانتشرت مذاهب الفلاسفة فى الناس واشتهرت كتبهم بعامة الامصار وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها واكثروا من النظر فيها والتصفح لها فانجر على الاسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة فى الدين وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفرا الى كفرهم فلما قامت دولة بنى بويه ببغداد فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة واستمروا الى

سنة سبع وثلاثين وأربعمائة واظهروا مذهب التشيع قويت بهم الشيعه وكتبوا على أبواب المساجد في سنة احدى وخمسين وثلثمائه لعن الله معاوية بن أبي سفيان ولعن من اغضب فاطمة ومن منع الحسن أن يدفن عند جده ومن نفى أبا ذر الغفاري ومن أخرج العباس من الشورى فلما كان الليل حكه بعض الناس فأشار الوزير المهلبي أن يكتب باذن معز الدولة لعن الله الظالمين لاهل البيت ولا يذكر أحد في اللعن غير معاوية ففعل ذلك وكثرت ببغداد الفتن بين الشيعة والسنية وجهر الشيعة في الاذان بحي على خير العمل في الكرخ وفشا مذهب الاعتزال بالعراق وخراسان وماوراء النهر وذهب اليه جماعة من مشاهير الفقهاء وقوى مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بأفريقية وبلاد المغرب وجهروا بمذهب الاسماعيلية وبثوا دعاتهم بأرض مصر فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها ثم ملكوها سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وبعثوا بعساكرهم الى الشام فانتشرت مذاهب الرافضة في عامة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والكوفة والبصرة وبغداد وجميع العراق وبلاد خراسان وماوراء النهر مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين وكانت بينهم وبين أهل السنة من الفتن والحروب والمقاتل مالا يمكن حصره لكثرته واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت الارض ومامنهم الامن نظر في الفلسفة وسلك من طرقها ماوقع عليه اختياره فلم تبق مصر من الامصار ولا قطر من الاقطار الاوفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا * وكان أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري قد أخذ عن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي ولازمه عدة أعوام ثم بدا له فترك مذهب الاعتزال وسلك طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب ونسج على قوانينه في الصفات والقدر وقال بالفاعل المختار وترك القول بالتحسين والتقبيح العقليين وماقيل في مسائل الصلاح والاصلح واثبت أن العقل لا يوجب المعارف قبل الشرع وأن العلوم وان حصلت بالعقل فلا تجب به ولا يجب البحث عنها الا بالسمع وأن الله تعالى لا يجب عليه شئ وأن النبوات من الجائزات العقلية والواجبات السمعية الى غير ذلك من مسائله التي هي موضوع أصول الدين

*(وحقيقة مذهب الاشعري) رحمه الله أنه سلك طريقا بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم وناظر على قوله هذا واحتج لمذهبه فمال اليه جماعة وعولوا على رأيه منهم القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك والشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن مهران الاسفرايني والشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي والشيخ أبو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني والامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي وغيرهم ممن يطول ذكره ونصروا مذهبه وناظروا عليه وجادلوا فيه واستدلوا له في مصنفات لا تكاد تحصر فانتشر مذهب أبي الحسن الاشعري في العراق من نحو سنة ثمانين وثلثمائة وانتقل منه الى الشام فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس المارانى على هذا المذهب قد نشآ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق وحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري وصار يحفظها صغار أولاده فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الاشعري وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب ثم في أيام مواليهم الملوك من الاتراك واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رحالات المغرب الى العراق وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الاشعري فلما عاد الى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن علي القيسي وتلقب بأمير المؤمنين وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعده مدة سنين وتسموا بالموحدين فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت اذ هو عندهم الامام المعلوم المهدي المعصوم فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها الا الله خالقها سبحانه وتعالى كما هو معروف في كتب التاريخ فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الاشعري وانتشاره في امصار الاسلام بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه الا أن

يكون مذهب الحنابلة أتباع الامام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه فانهم كانوا على ما كان عليه السلف لا يرون تأويل ماورد من الصفات الى أن كان بعد السبعمائة من سني الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس احمد بن عبد الحكيم بن عبد السلام بن تيمية الحراني فتصدى للانتصار لمذهب السلف وبالغ في الرد على مذهب الاشاعرة وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية فافترق الناس فيه فريقان فريق يقتدى به ويعول على اقواله ويعمل برأيه ويرى أنه شيخ الاسلام وأجل حفاظ أهل الملة الاسلامية وفريق يبدعه ويضلله ويزرى عليه باثباته الصفات وينتقد عليه مسائل منها ماله فيه سلف ومنها ما زعموا أنه خرق فيه الاجماع ولم يكن له فيه سلف وكانت له ولهم خطوب كثيرة وحسابه وحسابهم على الله الذى لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء وله الى وقتنا هذا عدة أتباع بالشام وقليل بمصر * هذا وبين الاشاعرة والماتريدية أتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي وهم طائفة الفقهاء الحنفية مقلد والامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمي ومحمد بن الحسن الشيباني رضى الله عنهم من الخلاف في العقائد ما هو مشهور في موضعه وهو اذا تتبع يبلغ بضع عشرة مسألة كان بسببها في أول الامر تباين وتنافر وقدح كل منهم في عقيدة الآخر الا أن الامر آل آخرا الى الاغضاء ولله الحمد فهذا اعزك الله بيان ما كانت عليه عقائد الامة من ابتداء الامر الى وقتنا هذا قد فصلت فيه ما اجمله أهل الاخبار وأجملت ما فصلوا فدونك طالب العلم تناول ما قد بذلت فيه جهدي وأطلت بسببه سهري وكدي في تصفح دواوين الاسلام وكتب الاخبار فقد وصل اليك صفوا ولله عفوا بلا تكلف مشقة ولا بذل مجهود ولكن الله يمن على من يشاء من عباده * (أبو الحسن) علي بن اسماعيل بن أبي بشر اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى واسمه عبد الله بن قيس الاشعري البصري ولد سنة ست وستين ومائتين وقيل سنة سبعين وتوفي ببغداد سنة بضع وثلاثين وثلثمائة وقيل سنة أربع وعشرين وثلثمائة سمع زكريا الساجي وأبا خليفة الجمحي وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقري وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصري وروى عنهم في تفسيره كثيرا وتلمذ لزوج أمه أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من ائمة المعتزلة ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسيا ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى بالابصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايبهم وأخذ من حينئذ في الرد عليهم وسلك بعض طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفا منها كتاب اللامع وكتاب الموجز وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين على أصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل في الرد على أهل الافك والتضليل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه في سبعين مجلدا وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبي بردة على عقبه وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهما وكانت فيه دعابة ومزح كثير وقال مسعود بن شيبة في كتاب التعليم كان حنفي المذهب معتزلي الكلام لانه كان ربيب أبي علي الجبائي وهو الذى رباه وعلمه الكلام وذكر الخطيب أنه كان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي اسحاق المروزي الفقيه في جامع المنصور وعن أبي بكر بن الصيرفي كان المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى أظهر الله تعالى الاشعري فجزهم في أقماع السماسم * وجملة عقيدته أن الله تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وأن صفاته ازلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيره ولا لا هي هو ولا غيره وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه واحد هو أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلي فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم ازلي والدلالة وهي العبارات وهي القراءة مخلوقة محدثة قال وفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كما فرق بين الذكر والمذكور قال والكلام معنى قائم بالنفس والعبارة دالة على ما في النفس وانما تسمى العبارة كلاما مجازا قال وأراد الله تعالى جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها وضرها ومال

فى كلامه الى جواز تكليف ما لا يطاق لقوله ان الاستطاعة مع الفعل وهو مكلف بالفعل قبله وهو غير مستطيع قبله على مذهبه قال وجميع أفعال العباد مخلوقة مبدعة من الله تعالى مكتسبة للعبد والكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد قال والخالق هو الله تعالى حقيقة لا يشاركه فى الخلق غيره فأخص وصفه هو القدرة والاختراع وهذا تفسير اسمه البارئ قال وكل موجود يصح أن يرى والله تعالى موجود فيصح أن يرى وقد صح السمع بأن المؤمنين يرونه فى الدار الاخرى فى الكتاب والسنة ولا يجوز أن يرى فى مكان ولا صورة مقابلة واتصال شعاع فان ذلك كله محال وماهية الرؤية له فيها رأيان أحدهما انه علم مخصوص يتعلق بالوجود دون العدم والثانى انه ادراك وراء العلم وأثبت السمع والبصر صفتين ازليتين هما ادراكان وراء العلم واثبت اليدين والوجه صفات خبرية ورد السمع بها فيجب الاعتراف به وخالف المعتزلة فى الوعد والوعيد والسمع والعقل من كل وجه وقال الايمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالاركان فروع الايمان فمن صدق بالقلب أى أقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاؤا به فهو مؤمن وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة حكمه الى الله اما أن يغفر له برحمته أو يشفع له رسول الله صلى الله عليه وسلم واما أن يعذبه بعدله ثم يدخله الجنة برحمته ولا يخلد فى النار مؤمن قال ولا أقول انه يجب على الله سبحانه قبول توبته بحكم العقل لانه هو الموجب لا يجب عليه شئ أصلا بل قد ورد السمع بقبول توبة التائبين واجابة دعوة المضطرين وهو المالك لخلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلو أدخل الخلائق بأجمعهم النار لم يكن جورا ولو ادخلهم الجنة لم يكن حيفا ولا يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور لانه المالك المطلق والواجبات كلها سمعية فلا يوجب العقل شيأ البتة ولا يقتضى تحسينا ولا تقبيحا فمعرفة الله تعالى وشكر المنعم واثابة الطائع وعقاب العاصى كل ذلك بحسب السمع دون العقل ولا يجب على الله شئ لا صلاح ولا اصلح ولا لطف بل الثواب والصلاح واللطف والنعم كلها تفضل من الله تعالى ولا يرجع اليه تعالى نفع ولا ضر فلا ينتفع بشكر شاكر ولا يتضرر بكفر كافر بل يتعالى ويتقدس عن ذلك وبعث الرسل جائز لا واجب ولا مستحيل فاذا بعث الله تعالى الرسول وأيده بالمعجزة الخارقة للعادة وتحدى ودعا الناس وجب الاصغاء اليه والاستماع منه والامتثال لاوامره والانتهاء عن نواهيه وكرامات الاولياء حق والايمان بما جاء فى القرآن والسنة من الاخبار عن الامور الغائبة عنا مثل اللوح والقلم والعرش والكرسى والجنة والنار حق وصدق وكذلك الاخبار عن الامور التى ستقع فى الآخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه والحشر والمعاد والميزان والصراط وانقسام فريق فى الجنة وفريق فى السعير كل ذلك حق وصدق يجب الايمان والاعتراف به والامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين على واحد معين والائمة مترتبون فى الفضل ترتبهم فى الامامة قال ولا أقول فى عائشة وطلحة والزبير رضى الله عنهم الا انهم رجعوا عن الخطأ وأقول ان طلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة وأقول فى معاوية وعمرو بن العاص انهما بغيا على الامام الحق على بن أبى طالب رضى الله عنهم فقاتلهم مقاتلة أهل البغى وأقول ان أهل النهروان الشراة هم المارقون عن الدين وان عليا رضى الله عنه كان على الحق فى جميع أحواله والحق معه حيث دار * فهذه جملة من أصول عقيدته التى عليها الآن جماهير أهل الامصار الاسلامية والتى من جهر بخلافها أريق دمه والاشاعرة يسمون الصفاتية لاثباتهم صفات الله تعالى القديمة ثم افترقوا فى الالفاظ الواردة فى الكتاب والسنة كالاستواء والنزول والاصبع واليد والقدم والصورة والجنب والمجىء على فرقتين فرقة تؤول جميع ذلك على وجوه محتملة اللفظ وفرقة لم يتعرضوا للتأويل ولا صاروا الى التشبيه ويقال لهؤلاء الاشعرية الاسرية فصار للمسلمين فى ذلك خمسة أقوال أحدها اعتقاد ما يفهم مثله من اللغة وثانيها السكوت عنها مطلقا وثالثها السكوت عنها بعد نفى ارادة الظاهر ورابعها حملها على المجاز وخامسها حملها على الاشتراك ولكل فريق أدلة وحجاج تضمنتها كتب أصول الدين ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

*(فصل) اعلم أن الله سبحانه طلب من الخلق معرفته بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس وغيره يعرفون فخلق تعالى الخلق وتعرف اليهم بالسنة الشرائع المنزلة فعرفه من عرفه سبحانه منهم على ما عرفهم فيما تعرف به اليهم وقد كان الناس قبل انزال الشرائع ببعثة الرسل عليهم السلام علمهم

بالله تعالى انما هو بطريق التنزيه له عن سمات الحدوث وعن التركيب وعن الافتقار ويصفونه سبحانه بالاقتدار المطلق وهذا التنزيه هو المشهور عقلا ولا يتعداه عقل أصلا فلما أنزل الله شريعته على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأكمل دينه كان سبيل العارف بالله أن يجمع في معرفته بالله بين معرفتين احداهما المعرفة التي تقتضيها الادلة العقلية والاخرى المعرفة التي جاءت بها الاخبارات الالهية وأن يرد علم ذلك الى الله تعالى ويؤمن به وبكل ما جاءت به الشريعة على الوجه الذي أراده الله تعالى من غير تأويل بفكره ولا تحكم فيه برأيه وذلك أن الشرائع انما أنزلها الله تعالى لعدم استقلال العقول البشرية بادراك حقائق الاشياء على ما هي عليه في علم الله وأنى لها ذلك وقد تقيدت بما عندها من اطلاق ما هنالك فان وهبها علما بمراده من الاوضاع الشرعية ومنحها الاطلاع على حكمه في ذلك كان من فضله تعالى فلا يضيف العارف هذه المنة الى فكره فان تنزيهه لربه تعالى بفكره يجب أن يكون مطابقا لما أنزله سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة والا فهو تعالى منزه عن تنزيه عقول البشر بأفكارها فانها مقيدة بأوطارها فتنزيهها كذلك مقيد بحسبها وبموجب أحكامها وآثارها الا اذا خلت عن الهوى فانها حينئذ يكشف الله لها الغطاء عن بصائرها ويهديها الى الحق فتنزه الله تعالى عن التنزيهات العرفية بالافكار العادية وقد أجمع المسلمون قاطبة على جواز رواية الاحاديث الواردة في الصفات ونقلها وتبليغها من غير خلاف بينهم في ذلك ثم اجمع أهل الحق منهم على أن هذه الاحاديث مصروفة عن احتمال مشابهة الخلق لقول الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولقول الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وهذه السورة يقال لها سورة الاخلاص وقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنها ورغب امته في تلاوتها حتى جعلها تعدل ثلث القرآن من اجل انها شاهدة بتنزيه الله تعالى وعدم الشبه والمثل له سبحانه وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها على اخلاص التوحيد لله عن أن يشوبه ميل الى تشبيهه بالخلق وأما الكاف التي في قوله تعالى ليس كمثله شيء فانها زائدة وقد تقرر أن الكاف والمثل في كلام العرب اتيا للتشبيه فجمعهما الله تعالى ثم نفى بهما عنه ذلك فاذا ثبت اجماع المسلمين على جواز رواية هذه الاحاديث ونقلها مع اجماعهم على أنها مصروفة عن التشبيه لم يبق في تعظيم الله تعالى بذكرها الا نفي التعطيل لكون أعداء الرسلين سموا ربهم سبحانه اسماء نفوا فيها صفاته العلا فقال قوم من الكفار هو طبيعة وقال آخرون منهم هو علة الى غير ذلك من الحادهم في اسمائه سبحانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاحاديث المشتملة على ذكر صفات الله العلا ونقلها عنه أصحابه البررة ثم نقلها عنهم أئمة المسلمين حتى انتهت الينا وكل منهم يرويها بصفتها من غير تأويل لشيء منها مع علمنا أنهم كانوا يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ففهمنا من ذلك أن الله تعالى أراد بما نطق به رسوله صلى الله عليه وسلم من هذه الاحاديث وتناولها عنه الصحابة رضي الله عنهم وبلغوها الامته أن يغص بها في حلوق الكافرين وأن يكون ذكرها نكدا في قلب كل ضال معطل مبتدع يقفو أثر المبتدعة من أهل الطبائع وعباد العلل فلذلك وصف الله تعالى نفسه الكريمة بها في كتابه ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بما صح عنه وثبت فدل على أن المؤمن اذا اعتقد أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كان ذكره لهذه الاحاديث تمكين الاثبات وشجا في حلوق المعطلة وقد قال الشافعي رحمه الله الاثبات أمكن نقله الخطابي ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم أنهم أولوا هذه الاحاديث والذي يمنع من تأويلها اجلال الله تعالى عن أن تضرب له الامثال وانه اذا نزل القرآن بصفة من صفات الله تعالى كقوله سبحانه يد الله فوق أيديهم فان نفس تلاوة هذا يفهم منها السامع المعنى المراد به وكذا قوله تعالى بل يداه مبسوطتان عند حكايته تعالى عن اليهود نسبتهم اياه الى البخل فقال تعالى بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فان نفس تلاوة هذا مبينة للمعنى المقصود وايضا فان تأويل هذه الاحاديث يحتاج أن يضرب لله تعالى فيها المثل نحو قولهم في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى الاستواء الاستيلاء كقولك استوى الامير على البلد وانشدوا   قد استوى بشر على العراق
فلزمهم تشبيه البارى تعالى ببشر وأهل الاثبات نزهوا اجلال الله عن أن يشبهوه بالاجسام حقيقة ولا مجازا وعلموا مع ذلك أن هذا النطق يشتمل على كلمات متداولة بين الخالق وخلقه وتحرجوا أن يقولوا مشتركة لان الله

تعالى لا شريك له ولذلك لم يتأول السلف شيأ من أحاديث الصفات مع علمنا قطعاً أنها عندهم مصروفة عما يسبق اليه ظنون الجهال من مشابهتها الصفات المخلوقين وتأمل تجد الله تعالى لما ذكر المخلوقات المتولدة من الذكر والانثى فى قوله سبحانه خلق لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه علم سبحانه ما يخطر بقلوب الخلق فقال عزمن قائل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * واعلم أن السبب فى خروج اكثر الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطر فى انفسها بحيث انهم كانوا يسمون انفسهم الاحرار والاسياد وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب وكانت العرب عند الفرس اقل الامم خطرا تعاظمهم الامر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى اوقات شتى وفى كل ذلك يظهر الله تعالى الحق وكان من قائمهم شنفاد واشنيس والمقفع وبابك وغيرهم وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خداشا وأبو مسلم السروح فرأوا أن كيده على الحيلة انجع فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستبشاع ظلم على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى فقوم أدخلوهم الى القول بأن رجلا ينتظر يدعى المهدى عنده حقيقة الدين اذ لا يجوز أن يؤخذ الدين عن كفار اذ نسبوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر وقوم خرجوا الى القول بادعاء النبوة لقوم سموهم به وقوم سلكوا بهم الى القول بالحلول وسقوط الشرائع وآخرون تلاعبوا بهم فاوجبوا عليهم خمسين صلاة فى كل يوم وليلة وآخرون قالوا بل هى سبع عشرة صلاة فى كل صلاة خمس عشرة ركعة وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندى قبل أن يصير خارجيا صفريا وقد أظهر عبد الله بن سبأ الحميرى اليهودى الاسلام ليكيد أهله فكان هو أصل اثارة الناس على عثمان بن عفان رضى الله عنه واحرق على رضى الله عنه منهم طوائف اعلنوا بالهيته ومن هذه الاصول حدثت الاسماعيلية والقرامطة * والحق الذى لا ريب فيه أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجوهر لا سر تحته وهو كله لازم كل احد لا مسامحة فيه ولم يكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشريعة ولا كلمة ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ولد عم على شئ من الشريعة كتمه عن الاحمر والاسود ورعاة الغنم ولا كان عنده صلى الله عليه وسلم سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم اليه ولو كتم شيأ لما بلغ كما أمر ومن قال هذا فهو كافر باجماع الامة وأصل كل بدعة فى الدين البعد عن كلام السلف والانحراف عن اعتقاد الصدر الاول حتى بالغ القدرى فى القدر فجعل العبد خالقا لافعاله وبالغ الجبرى فى مقابلته فسلب عنه الفعل والاختيار وبالغ المعطل فى التنزيه فسلب عن الله تعالى صفات الجلال ونعوت الكمال وبالغ المشبه فى مقابلته فجعله كواحد من البشر وبالغ المرجى فى سلب العقاب وبالغ المعتزلى فى التخليد فى العذاب وبالغ الناصبى فى دفع على رضى الله عنه عن الامامة وبالغت الغلاة حتى جعلوه الها وبالغ السنى فى تقديم أبى بكر رضى الله عنه وبالغ الرافضى فى تأخيره حتى كفره وميدان الظن واسع وحكم الوهم غالب فتعارضت الظنون وكثرت الاوهام وبلغ كل فريق فى الشر والعناد والبغى والفساد الى اقصى غاية وأبعد نهاية وتباغضوا وتلاعنوا واستحلوا الاموال واستباحوا الدماء وانتصروا بالدول واستعانوا بالملوك فلو كان أحدهم اذا بالغ فى امر نازع الآخر فى القرب منه فان الظن لا يبعد عن الظن كثيرا ولا ينتهى فى المنازعة الى الطرف الآخر من طرفى التقابل لكنهم أبوا الا ما قدمنا ذكره من التدابر والتقاطع ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك

(ذكر المدارس)

قال ابن سيده درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة ودارسه من ذلك كأنه عاوده حتى انقاد لحفظه وقد قرئ بهما وليقولوا درست ودارست ذاكرتهم وحكى درست أى قرئت وقرئ درست ودرست أى هذه أخبار قد عفت وانمحت ودرست أشد مبالغة والدراس المدارسة وقال ابن جنى ودرسته اياه وادرسته ومن الشاذ قراءة ابن حيوة وبما كنتم تدرسون والمدرس الموضع الذى يدرس فيه وقد ذكر الواقدى أن عبد الله ابن أم مكتوم قدم مهاجرا الى المدينة مع مصعب بن عمير رضى الله عنهما وقيل قدم بعد بدر بيسير فنزل دار القراء ولما أراد الخليفة المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بالله أبى أحمد طلحة بن المتوكل على الله جعفر بناء قصره

في الشماسية ببغداد استزاد في الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد فسئل عن ذلك فذكر أنه يريده ليبني فيه دورا ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجري عليهم الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه * والمدارس مما حدث في الاسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدث عملها بعد الاربعمائة من سني الهجرة وأول من حفظ عنه انه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية وبنى بها أيضا الامير نصر بن سبكتكين مدرسة وبنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة وبنى بها أيضا المدرسة السعدية وبنى بها أيضا مدرسة رابعة وأشهر ما بنى في القديم المدرسة النظامية ببغداد لانها أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم وهي منسوبة الى الوزير نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس الطوسي وزير ملك شاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق في مدينة بغداد وشرع في بنائها في سنة سبع وخمسين وأربعمائة وفرغت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة ودرس فيها الشيخ أبو اسحاق الشيرازي الفيروز بادي صاحب كتاب التنبيه في الفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ورحمه فاقتدى الناس به من حينئذ في بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفي بلاد الجزيرة وديار بكر * وأما مصر فانها كانت حينئذ بيد الخلفاء الفاطميين ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة وانما هم شيعة اسماعيلية كما تقدم وأول ما عرف اقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر في خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ووزارة يعقوب بن كلس فعمل ذلك بالجامع الازهر كما تقدم ذكره ثم عمل في دار الوزير يعقوب بن كلس مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم وعمل أيضا مجلس بجامع عمرو بن العاص من مدينة فسطاط مصر لقراءة كتاب الوزير ثم بنى الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز دار العلم بالقاهرة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أبطل مذاهب الشيعة من ديار مصر وأقام بها مذهب الامام الشافعي ومذهب الامام مالك واقتدى بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فانه بنى بدمشق وحلب وأعمالها عدة مدارس للشافعية والحنفية وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر * وأول مدرسة أحدثت بديار مصر المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع أيضا ثم المدرسة السيوفية التي بالقاهرة ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة أولاده وأمراؤه ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم الى يومنا هذا وسأذكر ما بديار مصر من المدارس وأعرف بحال من بناها على ما اعتدته في هذا الكتاب من التوسط دون الاسهاب وبالله استعين

(المدرسة الناصرية)

بجوار الجامع العتيق من مدينة مصر من قبليه * هذه المدرسة عرفت أولا بالمدرسة الناصرية ثم عرفت بابن زين التجار وهو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي المعروف بابن زين التجار أحد أعيان الشافعية درس بهذه المدرسة مدة طويلة ومات في ذي القعدة سنة احدى وتسعين وخمسمائة ثم عرفت بالمدرسة الشريفية وهي الى الآن تعرف بذلك وكان موضعها يقال له الشرطة وذكر الكندي أنها خطة قيس ابن سعد بن عبادة الانصاري وعرفت بدار الفلفل وقال ابن عبد الحكم كانت فضاء قبل ذلك وقيل كانت هي والدار التي الى جانبها لنافع بن عبد الله بن قيس الفهري فأخذها منه قيس بن سعد وسميت دار الفلفل لان اسامة بن زيد التنوخي صاحب الخراج بمصر ابتاع من موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار ليهديه الى صاحب الروم فخزنه فيها ولما فرغ عيسى بن يزيد الجلودي من بناء زيادة الجامع بنى هذه الدار شرطة في سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم صارت سجنا تعرف بالمعونة فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في أول المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وأنشأها مدرسة برسم الفقهاء الشافعية وكان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد وكان هذا من اعظم ما نزل بالدولة وهي أول مدرسة عملت بديار مصر ولما كملت وقف عليها الصاغة وكانت بجوارها وقد خربت وبقي منها شيء يسير قرأت عليها اسم

الخليفة العزيز بالله ووقف عليها أيضا قرية تعرف   واول من ولى التدريس بها ابن
زين التجار فعرفت به ثم درس بها بعده ابن قطيطة بن الوزان ثم من بعده كمال الدين أحمد بن شيخ الشيوخ وبعده
الشريف القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الحنفي قاضي العسكر الارموى فعرفت به
وقيل لها المدرسة الشريفية من عهده الى اليوم ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت فان الكيمان
ملاصقة لها بعد ما كان حولها أعمر موضع فى الدنيا وقد ذكر حبس المعونة عند ذكر السجون من هذا الكتاب

(المدرسة القمحية)

هذه المدرسة بجوار الجامع العتيق بمصر كان موضعها يعرف بدار الغزل وهو قيسارية يباع فيها الغزل فهدمها
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية وكان الشروع فيها
للنصف من المحرم سنة ست وستين وخمسمائة ووقف عليها قيسارية الوراقين وعلوها بمصر وضيعة بالفيوم تعرف
بالحنبوشية ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عدة من الطلبة وهذه المدرسة أجل مدرسة للفقهاء
المالكية ويتحصل لهم من ضيعتهم التي بالفيوم قمح يفرق فيهم فلذلك صارت لا تعرف الا بالمدرسة القمحية الى اليوم
وقد أحاط بها الخراب ولولا ما يتحصل منها للفقهاء لدثرت * وفى شعبان سنة خمس وعشرين وثمانمائة أخرج
السلطان الملك الاشرف برسباى الدقاق ناحيتى الاعلام والحنبوشية وكانتا من وقف السلطان الملك
الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على هذه المدرسة وأنعم بهما على مملوكين من مماليكه ليكونا اقطاعا لهما

(مدرسة بازكوج)

هذه المدرسة بسوق الغزل فى مدينة مصر وهى مدرسة معلقة بناها

(مدرسة ابن الارسوفى)

هذه المدرسة كانت بالبزازين التى تجاور خط النخالين بمصر عرفت بابن الارسوفى التاجر العسقلانى وكان
بناؤها فى سنة سبعين وخمسمائة وهو عفيف الدين عبد الله بن محمد الارسوفى مات بمصر فى يوم الاثنين حادى
عشرى ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

(مدرسة منازل العز)

هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز وعرفت بمنازل العز
وكانت تشرف على النيل وصارت معدة لنزهة الخلفاء وممن سكنها ناصر الدولة حسين بن حمدان الى أن
قتل وكان بجانبها حمام يعرف بحمام الذهب من جملة حقوقها وهى باقية فلما زالت الدولة الفاطمية على يد
السلطان صلاح الدين يوسف أنزل فى منازل العز الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فسكنها مدة ثم انه
اشتراها والحمام والاصطبل المجاور لها من بيت المال فى شهر شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وأنشأ فندقين
بمصر بخط الملاحين وأنشأ ربعا بجوار أحد الفندقين واشترى جزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة فلما اراد
أن يخرج من مصر الى الشام وقف منازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها الحمام وما حولها وعمر
الاصطبل فندقا عرف بفندق النخلة ووقفه عليها ووقف عليها الروضة ودرس بها شهاب الدين الطوسى وقاضى
القضاة عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلى السكرى وعدة من الاعيان وهى الآن عامرة
بعمارة ما حولها * الملك المظفر تقى الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين ايوب بن
شادى بن مروان هو ابن أخى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قدم الى القاهرة فى   واستنابه
السلطان على دمشق فى المحرم سنة احدى وسبعين ثم نقله الى نيابة حماه وسلم اليه سنجار لما أخذها فى ثانى
رمضان سنة ثمان وسبعين فأقام بها ولحق السلطان على حلب فقدم عليه فى سابع صفر سنة تسع وسبعين
فأقام الى أن بعثه الى القاهرة نائبا عنه بديار مصر عوضا عن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فقدمها
فى شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأنعم عليه بالفيوم وأعمالها مع القايات وبوش وأبقى عليه مدينة حماه
ثم خرج بعساكر مصر الى السلطان وهو بدمشق فى سنة ثمانين لاجل أخذ الكرك من الفرنج فسار اليها
وحصرها مدة ثم رجع مع السلطان الى دمشق وعاد الى القاهرة فى شعبان وقد أقام السلطان على مملكة مصر

ابنه الملك العزيز عثمان وجعل الملك المظفر كافلا له وقائما بتدبير دولته فلم يزل على ذلك الى جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين فصرف السلطان أخاه الملك العادل عن حلب وأعطاه نيابة مصر فغضب الملك المظفر وعبر بأصحابه الى الجيزة يريد المسير الى بلاد المغرب واللحاق بغلامه بهاء الدين قراقوش التقوى فبلغ السلطان ذلك فكتب اليه ولم يزل به حتى زال ما به وسار الى السلطان فقدم عليه دمشق فى ثالث عشرى شعبان فأقره على حماه والمعرة ومنبج وأضاف اليه ميافارقين فلحق به أصحابه ما خلا مملوكه زين الدين بوزبا فانه سار الى بلاد المغرب وكانت له فى أرض مصر وبلاد الشام أخبار وقصص وعرفت له مواقف عديدة فى الحرب مع الفرنج وآثار فى المصافات وله فى أبواب البر أفعال حسنة وله بمدينة الفيوم مدرستان احداهما للشافعية والاخرى للمالكية وبنى مدرسة بمدينة الرها وسمع الحديث من السلفى وابن عوف وكان عنده فضل وأدب وله شعر حسن وكان جوادا شجاعا مقداما شديد البأس عظيم الهمة كثير الاحسان ومات فى نواحى خلاط ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ونقل الى حماه فدفن بها فى تربة بناها على قبره ابنه الملك المنصور محمد

(مدرسة العادل)

هذه المدرسة بخط الساحل بجوار الربع العادلى من مدينة مصر الذى وقف على الشافعى عمرها الملك العادل أبو بكر بن أيوب اخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فدرس بها قاضى القضاة تقى الدين أبو على الحسين بن شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن الفقيه جلال الدين أبى محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشائر بن عبد الله بن محمد بن شاس فعرفت به وقيل لها مدرسة ابن شاس الى اليوم وهى عامرة وعرف خطها بالقشاشين وهى للمالكية

(مدرسة ابن رشيق)

هذه المدرسة للمالكية وهى بخط حمام الريش من مدينة مصر كان الكانم من طوائف التكرور لما وصلوا الى مصر فى سنة بضع وأربعين وستمائة قاصدين الحج دفعوا للقاضى علم الدين بن رشيق مالا بناها به ودرس بها فعرفت به وصار لها فى بلاد التكرور سمعة عظيمة وكانوا يبعثون اليها فى غالب السنين المال

(المدرسة الفائزية)

هذه المدرسة فى مصر بخط أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزى قبل وزارته فى سنة ست وثلاثين وستمائة ودرس بها القاضى محيى الدين عبد الله بن قاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة ثم قاضى القضاة صدر الدين موهوب الجزرى وهى للشافعية

(المدرسة القطبية)

هذه المدرسة بالقاهرة فى خط سويقة الصاحب بداخل درب الحريرى كانت هى والمدرسة السيفية من حقوق دار الديباج التى تقدم ذكرها وأنشأ هذه المدرسة الامير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدبانى فى سنة سبعين وخمسمائة وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية وهو أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

(المدرسة السيوفية)

هذه المدرسة بالقاهرة وهى من جملة دار الوزير المأمون البطائحى وقفها السلطان السيد الاجل الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب على الحنفية وقرر فى تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجبتى ورتب له فى كل شهر احد عشر دينارا وباقى ريع الوقف يصرفه على ما يراه لطلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقاتهم وجعل النظر للجبتى ومن بعده الى من له النظر فى امور المسلمين وعرفت بالمدرسة السيوفية من أجل أن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها وهى الآن تجاه سوق الصنادقيين وقد وهم القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فانه قال فى كتاب الروضة الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة مدرسة السيوفية وهى للحنفية وقفها عز الدين فرحشاه قريب صلاح الدين وما أدرى كيف وقع له هذا الوهم فان كتاب وقفها موجود قد وقفت عليه ولخصت منه ما ذكرته وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين

وخطه على كتاب الوقف ونصه الحمد لله وبه توفيقي وتاريخ هذا الكتاب تاسع عشرى شعبان سنة اثنين وسبعين وخمسمائة ووقف على مستحقيها اثنين وثلاثين حانوتا بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة برجوان وذكر في آخر كتاب وقفها أن الواقف أذن لمن حضر مجلسه من العدول في الشهادة والقضاء على لفظه بما تضمنه المسطور فشهدوا بذلك وأثبتوا اشهادتهم آخره وحكم حاكم المسلمين على صحة هذا الوقف بعد ما خاصم رجل من أهل هذا الوقف في ذلك وأمضاه لكنه لم يذكر في الكتاب اسم القاضي بثبوته بل ذكر رسم شهادة الشهود على الواقف وهم على بن ابراهيم بن نجا بن غنائم الانصارى الدمشقى والقاسم بن يحيى بن عبد الله بن قاسم الشهرزورى وعبد الله بن عمر بن عبد الله الشافعى وعبد الرحمن بن على بن عبد العزيز بن قريش المخزومى وموسى بن حكر بن موسك الهدمانى فى آخرين * وهذه المدرسة هى أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر وهى باقية بأيديهم

(المدرسة الفاضلية)

هذه المدرسة بدرب ملوخيا من القاهرة بناها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى بجوار داره فى سنة ثمانين وخمسمائة ووقفها على طائفتى الفقهاء الشافعية والمالكية وجعل فيها قاعة للاقراء أقرأ فيها الامام أبو محمد الشاطبى ناظم الشاطبية ثم تلميذه أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبى ثم الشيخ على بن موسى الدهان وغيرهم ورتب لتدريس فقه المذهبين الفقيه أبا القاسم عبد الرحمن بن سلامة الاسكندرانى ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب فى سائر العلوم يقال انها كانت مائة ألف مجلد وذهبت كلها وكان أصل ذهابها أن الطلبة التى كانت بها لما وقع الغلاء بمصر فى سنة أربع وتسعين وستمائة والسلطان يومئذ الملك العادل كتبغا المنصورى مسهم الضر فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب ثم تداولت ايدى الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت وبها الى الآن مصحف قرآن كبير القدر جدا مكتوب بالخط الاول الذى يعرف بالكوفى تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان ويقال ان القاضى الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو فى خزانة مفردة له بجانب المحراب من غربيه وعليه مهابة وجلالة والى جانب المدرسة كتاب برسم الايتام وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها وقد تلاشت لخراب ما حولها * (عبد الرحيم) بن على بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضى الفاضل محيى الدين أبو على ابن القاضى الاشرف اللخمى العسقلانى البيسانى المصرى الشافعى كان أبوه يتقلد قضاء مدينة بيسان فلهذا نسبوا اليها وكانت ولادته بمدينة عسقلان فى خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ثم قدم القاهرة وخدم الموفق يوسف بن محمد بن الخلال صاحب ديوان الانشاء فى أيام الحافظ لدين الله وعنه أخذ صناعة الانشاء ثم خدم بالاسكندرية مدة فلما قام بوزارة مصر العادل رزيك بن الصالح طلائع ابن رزيك خرج أمره الى والى الاسكندرية بتسييره الى الباب فلما حضر استخدمه بحضرته وبين يديه فى ديوان الجيش فلما مات الموفق بن الخلال فى سنة ست وستين وخمسمائة وكان القاضى الفاضل ينوب عنه فى ديوان الانشاء عينه الكامل بن شاور وسعى له عند أبيه الوزير شاور بن مجير فأقره عوضا عن ابن الخلال فى ديوان الانشاء فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج الى كاتب فأحضره وأعجبه اتقانه وسمته ونصحه فاستكتبه الى أن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب فاستخلصه وحسن اعتقاده فيه فاستعان به على ما أراد من ازالة الدولة الفاطمية حتى تم مراده فجعله وزيره ومشيره بحيث كان لا يصدر أمرا الا عن مشورته ولا ينفذ شيأ الا عن رأيه ولا يحكم فى قضية الا بتدبيره فلما مات صلاح الدين استمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز عثمان فى المكانة والرفعة وتقلد الامر فلما مات العزيز وقام من بعده ابنه الملك المنصور بالملك ودبر أمره عمه الافضل كان معهما على حاله الى أن وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام لاخذ ديار مصر وخرج الافضل لقتاله فمات منكوبا أحوج ما كان الى الموت عند تولى الاقبال واقبال الادبار فى سحر يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بتربته من القرافة الصغرى * قال ابن خلكان وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتمكن منه غاية التمكن وبرز فى صناعة الانشاء وفاق المتقدمين

وله فيه الغرائب مع الاكثار أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ماتقصر عن مائة وهو مجيد في أكثرها وقال عبد اللطيف البغدادي دخلنا عليه فرأيت شيخا ضئيلا كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكانه يكتب بجملة أعضائه وكان له غرام في الكتابة وتحصيل الكتب وكان له الدين والعفاف والتقى والمواظبة على أوراد الليل والصيام وقراءة القرآن وكان قليل اللذات كثير الحسنات دائم التهجد ويشتغل بعلوم الادب وتفسير القرآن غير أنه كان خفيف البضاعة من النحو ولكن قوة الدراية توجب له قلة اللحن وكان لا يكاد يضيع من زمانه شيأ الا في طاعة وكتب في الانشاء مالم يكتبه غيره * وحكى لي ابن القطان أحد كتابه قال لما خطب صلاح الدين بمصر للامام المستضيء بأمر الله تقدم الى القاضي الفاضل بأن يكاتب الديوان العزيز وملوك الشرق ولم يكن يعرف خطابهم واصطلاحهم فاوعز الى العماد الكاتب أن يكتب فكتب واحتفل وجاء بها مفضوضة ليقرأها الفاضل متبجحا بها فقال لا احتاج أن أقف عليها وأمر بختمها وتسليمها الى النجاب والعماد بمصر قال ثم امرني أن ألحق النجاب ببلبيس وأن أفض الكتب وأكتب صدورها ونهايتها ففعلت ورجعت بها اليه فكتب على حذوها وعرضها على السلطان فارتضاها وامر بارسالها الى أربابها مع النجاب وكان متقللا في مطعمه ومنكحه وملبسه ولباسه البياض لا يبلغ جميع ماعليه دينارين ويركب معه غلام وركابي ولا يمكن أحدا أن يصحبه ويكثر زيارة القبور وتشييع الجنائز وعيادة المرضى وله معروف في السر والعلانية واكثر أوقاته يفطر بعد ماتهور الليل وكان ضعيف البنية رقيق الصورة له حدبة يغطيها الطيلسان وكان فيه سوء خلق يكمد به في نفسه ولا يضر أحدا به ولاصحاب الادب عنده نفاق يحسن اليهم ولا يمن عليهم ويؤثر أرباب البيوت والغرباء ولم يكن له انتقام من أعدائه الا بالاحسان اليهم أو بالاعراض عنهم وكان دخله في كل سنة من اقطاع ورباع وضياع خمسين ألف دينار سوى متاجره للهند والمغرب وغيرهما وكان يقتني الكتب من كل فن ويجتلبها من كل جهة وله نساخ لا يفترون ومجلدون لا يبطلون قال لي بعض من يخدمه في الكتب ان عددها قد بلغ مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا وهذا قبل موته بعشرين سنة * وحكى لي ابن صورة الكتبي أن ابنه القاضي الاشرف التمس مني أن أطلب له نسخة الحماسة ليقرأها فأعلمت القاضي الفاضل فاستحضر من الخادم الحماسات فأحضر له خمسا وثلاثين نسخة وصار ينفض نسخة نسخة ويقول هذه بخط فلان وهذه عليها خط فلان حتى اتى على الجميع وقال ليس فيها مايصلح للصبيان وأمرني أن أشتري له نسخة بدينار

(المدرسة الازكشية)

هذه المدرسة بالقاهرة على رأس السوق الذي كان يعرف بالخروقيين ويعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش بناها الامير سيف الدين أياز كوج الاسدي مملوك أسد الدين شيركوه وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعلها وقفا على الفقهاء من الحنفية فقط في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكان أياز كوج رأس الامراء الاسدية بديار مصر في أيام السلطان صلاح الدين وأيام ابنه الملك العزيز عثمان وكان الامير فخر الدين جهاركس رأس الصلاحية ولم يزل على ذلك الى أن مات في يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم بالقرب من رباط الامير فخر الدين بن قزل

(المدرسة الفخرية)

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس عمرها الامير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومي أستادار الملك الكامل محمد بن العادل وكان الفراغ منها في سنة اثنتين وعشرين وستمائة وكان موضعها أخيرا يعرف بدار الامير حسام الدين ساروح بن أرتق شاد الدواوين ومولد الامير فخر الدين في سنة احدى وخمسين وخمسمائة بحلب وتنقل في الخدم حتى صار أحد الامراء بديار مصر وتقدم في أيام الملك الكامل وصار أستاداره واليه أمر المملكة وتدبيرها الى أن سافر السلطان من القاهرة يريد بلاد المشرق فمات بحران بعد مرض طويل في ثامن عشر ذي الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة وكان خيرا كثير الصدقة يتفقد أرباب البيوت وله من الآثار سوى هذه المدرسة المسجد الذي تجاهها وله أيضا رباط بالقرافة

والى جانبه كتاب سبيل ووقف بمكة رباطا

(المدرسة السيفية)

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندقانيين وخط الملحيين وموضعها من جملة دار الديباج قال ابن عبد الظاهر كانت دارا وهى من المدرسة القطبية فسكنها شيخ الشيوخ يعنى صدر الدين محمد بن حموية وبنيت فى وزارة صفى الدين عبد الله بن على بن شكر ان سيف الاسلام ووقفها وولى فيها عماد الدين ولد القاضى صدر الدين يعنى ابن درباس وسيف الاسلام هذا اسمه طغتكين بن أيوب * (طغتكين) ظهير الدين سيف الاسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان الايوبى سيره أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بلاد اليمن فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة فملكها واستولى على كثير من بلادها وكان شجاعا كريما مشكور السيرة حسن السياسة قصده الناس من البلاد الشاسعة يستمطرون احسانه وبره وسار اليه شرف الدين بن عنين ومدحه بعدة قصائد بديعة فأجزل صلاته وأكثر من الاحسان اليه واكتسب من جهته مالا وافرا وخرج من اليمن فلما قدم الى مصر والسلطان اذذاك الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع زكاة ما معه من المتجر فعمل

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * أهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق فى فعالهما * هذا يعطى وهذا يأخذ الصدقه

وتوفى سيف الاسلام فى شوّال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمنصورة وهى مدينة باليمن اختطها رحمه الله تعالى

(المدرسة العاشورية)

هذه المدرسة بحارة زويلة من القاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورحبة كوكاى قال ابن عبد الظاهر كانت دار اليهودى ابن جميع الطبيب وكان يكتب لقراقوش فاشترتها منه الست عاشوراء بنت ساروح الاسدى زوجة الامير أياز كوج الاسدى ووقفتها على الحنفية وكانت من الدور الحسنة وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طول الايام مغلوقة لا تفتح الا قليلا فانها فى زقاق لا يسكنه الا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب

(المدرسة القطبية)

هذه المدرسة فى أول حارة زويلة برحبة كوكاى عرفت بالست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون المعروفة بدار اقبال العلائى ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب وشقيقة الملك الافضل قطب الدين أحمد واليه نسبت وكانت ولادتها فى سنة ثلاث وستمائة ووفاتها ليلة الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وستمائة وكانت قد سمعت الحديث وخرج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهرى أحاديث ثمانيات حدّثت بها وكانت عاقلة دينة فصيحة لها أدب وصدقات كثيرة وتركت مالا جزيلا وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء ويشترى لها وقف يغل فبنيت هذه المدرسة وجعل فيها درس للشافعية ودرس للحنفية وقراء وهى الى اليوم عامرة

(المدرسة الخروبية)

هذه المدرسة على شاطئ النيل من مدينة مصر أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى لما انشأ بيتا كبيرا مقابل بيت اخيه عز الدين قبليه على شاطئ النيل وجعل فيه هذه المدرسة وهى ألطف من مدرسة أخيه وبجنبها مكتب سبيل ووقف عليها أوقافا وجعل بها مدرس حديث فقط ومات بمكة فى آخر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة

(مدرسة المحلى)

هذه المدرسة على شاطئ النيل داخل صناعة التمر ظاهر مدينة مصر أنشأها رئيس التجار برهان الدين ابراهيم ابن عمر بن على المحلى ابن بنت العلامة شمس الدين محمد بن اللبان وينتهى فى نسبه الى طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضى الله عنهم وجعل هذه المدرسة بجوار داره التى عمرها فى مدة سبع سنين وأنفق فى بنائها زيادة على

خمسين

خمسين ألف دينار وجعل بجوارها مكتب سبيل لكن لم يجعل بها مدرسا ولا طلبة وتوفى ثانى عشرى ربيع الاوّل سنة ست وثمانمائة عن مال عظيم أخذ منه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق مائة ألف دينار وكان مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة ولم يكن مشكور السيرة فى الديانة وله من المآثر تجديد جامع عمرو بن العاص فانه كان قد تداعى الى السقوط فقام بعمارته حتى عاد قريبا مما كان عليه شكر الله له ذلك

(المدرسة الفارقانية)

هذه المدرسة بابها شارع فى سويقة حارة الوزيرية من القاهرة فتحت فى يوم الاثنين رابع جمادى الاولى سنة ست وسبعين وستمائة وبها درس للطائفة الشافعية ودرس للطائفة الحنفية انشأها الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى السلاحدار كان مملوكا للامير نجم الدين أمير حاجب ثم انتقل الى الملك الظاهر بيبرس فترقى عنده فى الخدم حتى صار أحد الامراء الاكابر وولاه الاستادارية وناب عنه بديار مصر مدة غيبته وقدّمه على العساكر غير مرّة وفتح له بلاد النوبة وكان وسيما جسيما شجاعا مقداما حازما صاحب دراية بالامور وخبرة بالاحوال والتصرّفات مدبر اللدول كثير البرّ والصدقة ولما مات الملك الظاهر وقام من بعده فى ملك مصر ابنه الملك السعيد بركة قان ولاه نيابة السلطنة بديار مصر بعد موت الامير بدر الدين بيليك الخازندار فأظهر الحزم وضم اليه طائفة منهم شمس الدين اقوش وقطليجا الرومى وسيف الدين قليج البغدادى وسيف الدين بيجو البغدادى وسيف الدين شعبان أمير شكار وبكتمر السلاحدار وكانت الخاصكية تكرهه فاتفقوا مع مماليك بيليك الخازندار على القبض عليه وتحدّثوا مع الملك السعيد فى ذلك ومازالوا به حتى قبضوا عليه بمساعدة الامير سيف الدين كوندك الساقى لهم وكان قد ربى مع السعيد فى المكتب فلم يشعر وهو قاعد بباب القلة من القلعة الا وقد سحب وضرب ونتفت لحيته وجرّ وقد ارتكب فى اهانته أمر شنيع الى البرج فسجن به ليالى قليلة ثم أخرج منه ميتا فى اثناء سنة ست وسبعين وستمائة وجهل قبره

(المدرسة المهذبية)

هذه المدرسة خارج باب زويلة من خط حارة حلب بجوار حمام قارى بناها الحكيم مهذب الدين أبو سعيد محمد بن علم الدين بن أبى الوحش بن أبى الخير بن أبى سليمان بن أبى حليقة رئيس الاطباء كان جده الرشيد أبو الوحش نصرانيا متقدما فى صناعة الطب فأسلم ابنه علم الدين فى حياته وكان لا يولد له ولد فيعيش فرأت أمه وهى حامل به قائلا يقول هيئوا له حلقة فضة قد تصدّق بوزنها وساعة يوضع من بطن أمه تثقب اذنه وتوضع فيها الحلقة ففعلت ذلك فعاش فعاهدت أمه أباه أن لا يقلعها من اذنه فكبر وجاءته أولاد وكلهم يموت فولد له ابنه مهذب الدين أبو سعيد فعمل له حلقة فعاش وكان سبب اشتهاره بأبى حليقة أن الملك الكامل محمد بن العادل أمر بعض خدّامه أن يستدعى بالرشيد الطبيب من الباب وكان جماعة من الاطباء بالباب فقال الخادم من هو منهم فقال السلطان أبو حليقه فخرج فاستدعاه بذلك فاشتهر بهذا الاسم ومات الرشيد فى سنة ست وسبعين وستمائة

(المدرسة الخروبية)

هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر تجاه المقياس بخط كرسى الجسر أنشأها كبير الخرارية بدر الدين محمد بن محمد بن على الخروبى بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة وضمها ثم واو ساكنة بعدها باء موحدة ثم ياء آخر الحروف التاجر فى مطابخ السكر وفى غيرها بعد سنة خمسين وسبعمائة وجعل مدرس الفقه بها الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل والمعيد الشيخ سراج الدين عمر البلقينى ومات سنة اثنتين وستين وسبعمائة وأنشأ أيضا ربعين بخط دار النحاس من مصر على شاطئ النيل وربعين مقابل المقياس بالقرب من مدرسته ولبدر الدين هذا أخ من ابيه اسن منه يقال له صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى عاش بعد أخيه وأنجب فى أولاده وادركت لهم اولادا نجباء وكان أولا قليل المال ثم تموّل وأنشأ تربة كبيرة بالقرافة فيما بين تربة الامام الشافعى وتربة الليث ابن سعد مقابل السروتين وجدّدها حفيده نور الدين على بن عز الدين محمد بن صلاح الدين وأضاف اليها مطهرة حسنة ومات سنة تسع وستين وسبعمائة وشرط بدر الدين فى مدرسته أن لا يلى بها أحد من العجم وظيفة

من الوظائف فقال فى كل وظيفة منها ويكون من العرب دون العجم وكانت له مكارم جهز مرة ابن عقيل الى الحج بنحو خمسمائة دينار

(المدرسة الخروبية)

هذه المدرسة بخط الشون قبلى دار النحاس من ظاهر مدينة مصر أنشأها عز الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى وهى أكبر من مدرسة عمه بدر الدين الا انه مات سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل استيفاء ما أراد أن يجعل فيها فليس لها مدرس ولا طلبة ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة ونشأ فى دنيا عريضة رحمه الله تعالى

(المدرسة الصاحبية البهائية)

هذه المدرسة كانت بزقاق القناديل من مدينة مصر قرب الجامع العتيق أنشأها الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا فى سنة أربع وخمسين وستمائة وكان اذ ذاك زقاق القناديل أعمر أخطاط مصر وانما قيل له زقاق القناديل من أجل انه كان سكن الاشراف وكانت أبواب الدور يعلق على كل باب منها قنديل * قال القضاعى ويقال انه كان به مائة قنديل توقد كل ليلة على أبواب الاكابر * وابن حنا هذا هو على بن محمد بن سليم بفتح السين المهملة وكسر اللام ثم ياء آخر الحروف بعدها ميم ابن حنا بحاء مهملة مكسورة ثم نون مشددة مفتوحة بعدها ألف الوزير الصاحب بهاء الدين ولد بمصر فى سنة ثلاث وستمائة وتنقلت به الاحوال فى كتابة الدواوين الى أن ولى المناصب الجليلة واشتهرت كفايته وعرفت فى الدولة نهضته ودرايته فاستوزره السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فى ثامن شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وستمائة بعد القبض على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير وفوّض اليه تدبير المملكة وامور الدولة كلها فنزل من قلعة الجبل بخلع الوزارة ومعه الامير سيف الدين بلبان الرومى الدوادار وجميع الاعيان والاكابر الى داره واستبد بجميع التصرفات وأظهر عن حزم وعزم وجودة رأى وقام بأعباء الدولة من ولايات العمال وعزلهم من غير مشاورة السلطان ولا اعتراض أحد عليه فصار مرجع جميع الامور اليه ومصدرها عنه ومنشأ ولايات الخطط والاعمال من قلمه وزوالها عن أربابها الا بصدر الامن قبله ومازال على ذلك طول الايام الظاهرية فلما قام الملك السعيد بركة قان بأمر المملكة بعد موت أبيه الملك الظاهر أقره على ما كان عليه فى حياة والده فدبر الامور وساس الاحوال وما تعرض له أحد بعداوة ولا سوء مع كثرة من كان يناويه من الامراء وغيرهم الا وصده الله عنه ولم يجد ما يتعلق به عليه ولا ما يبلغ به مقصوده منه وكان عطاؤه واسعا وصلاته وكلفه للامراء والاعيان ومن يلوذ به ويتعلق بخدمته تخرج عن الحد فى الكثرة وتتجاوز القدر فى السعة مع حسن ظنه بالفقراء وصدق العقيدة فى أهل الخير والصلاح والقيام بمعونتهم وتفقد أحوالهم وقضاء أشغالهم والمبادرة الى امتثال أوامرهم والعفة عن الاموال حتى انه لم يقبل من أحد فى وزارته هدية الا أن تكون هدية فقير أو شيخ معتقد يتبرك بما يصل من أثره وكثرة الصدقات فى السر والعلانية وكان يستعين على ما التزمه من المبرات ولزمه من الكلف بالمتجر وقد مدحه عدة من الناس فقبل مديحهم وأجزل جوائزهم وما أحسن قول الرشيد الفارقى فيه

وقائل قال لى نبه لنا عمرا * فقلت ان عليا قد تنبه لى
مالى اذا كنت محتاجا الى عمر * من حاجة فلينم حسبى انتباه على

وقول سعد الدين بن مروان الفارقى فى كاتب الدرج المختص به أيضا

يمم عليا فهو بحر الندى * وناده فى المضلع المعضل
فرفده بحر على مجدب * ووفده مفض الى مفصل
يسرع ان سيل نداء وهل * أسرع من سيل اتى من على

الا انه أحدث فى وزارته حوادث عظيمة وقاس أراضى الاملاك بمصر والقاهرة وأخذ عليها مالا وصادر أرباب الاموال وعاقبهم حتى مات كثير منهم تحت العقوبة واستخرج جوالى الذمة مضاعفة ورزئ بفقد ولديه الصاحب فخر الدين محمد والصاحب زين الدين فعوضه الله عنهما بأولادهما فمنهم الانجب صدر

رئيس فاضل مذكور ومامات حتى صار جدّه جدّ وهو على المكانة وافر الحرمة فى ليلة الجمعة مستهل ذى الحجة سنة سبع وسبعين وستمائة ودفن بتربته من قرافة مصر ووزر من بعده الصاحب برهان الدين الخضر بن حسن بن على السنجارى وكان بينه وبين ابن حنا عداوة ظاهرة وباطنة وحقود بارزة وكامنة فأوقع الحوطة على الصاحب تاج الدين محمد بن حنا بدمشق وكان مع الملك السعيد بها وأخذ خطه بمائة ألف دينار وجهزه على البريد الى مصر ليستخرج منه ومن أخيه زين الدين احمد وابن عمه عز الدين تكملة ثلثمائة ألف دينار واحيط بأسبابه ومن يلوذ به من اصحابه ومعارفه وغلمانه وطولبوا بالمال * وأول من درس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين محمد ابن بانيها الوزير الصاحب بهاء الدين الى أن مات يوم الاثنين حادى عشرى شعبان سنة ثمان وستين وستمائة فوليها من بعده ابنه محيى الدين احمد بن محمد الى أن توفى يوم الاحد ثامن شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة فدرس فيها بعده الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين الى أن مات فى يوم الاربعاء سابع صفر سنة أربع وسبعمائة فدرس بها ولده الصاحب شرف الدين وتوارثها أبناء الصاحب يلون نظرها وتدريسها الى أن كان آخرهم صاحبنا الرئيس شمس الدين محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن احمد بن الصاحب بهاء الدين وليها بعد أبيه عز الدين ووليها عز الدين بعد بدر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الصاحب بهاء الدين فلما مات صاحبنا شمس الدين محمد بن الصاحب للملة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وضع بعض نواب القضاة يده على مابقى لها من وقف وأقامت هذه المدرسة مدة أعوام معطلة من ذكر الله واقام الصلاة لا يأويها أحد لخراب ماحولها وبها شخص يبيت بها كى لا يسرق مابها من أبواب ورخام وكان لها خزانة كتب جليلة فنقلها شمس الدين محمد بن الصاحب وصارت تحت يده الى أن مات فتفرقت فى ايدى الناس وكان قد عزم على نقلها الى شاطئ النيل بمصر فمات قبل ذلك * ولما كان فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة أخذ الملك الناصر فرج بن برقوق عمد الرخام التى كانت بهذه المدرسة وكانت كثيرة العدد جليلة القدر وعمل بدلها دعائم تحمل السقوف الى أن كانت أيام الملك المؤيد شيخ وولى الامير تاج الدين الشوبكى الدمشقى ولاية القاهرة ومصر وحسبة البلدين وشد العمائر السلطانية فهدم هذه المدرسة فى أخريات سنة سبع عشرة وأوائل سنة ثمانى عشرة وثمانمائة وكانت من أجل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر يتنافس الناس من طلبة العلم فى النزول بها ويتشاحنون فى سكنى بيوتها حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة ثم تلاشى أمرها حتى هدمت وسيجهل عن قريب موضعها ولله عاقبة الامور

(المدرسة الصاحبية)

هذه المدرسة بالقاهرة فى سويقة الصاحب كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس ومن جملة دار الديباج أنشأها الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر وجعلها وقفا على المالكية وبها درس نحو وخزانة كتب ومازالت بيد أولاده فلما كان فى شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة جدد عمارتها القاضى علم الدين ابراهيم بن عبد اللطيف بن ابراهيم المعروف بابن الزبير ناظر الدولة فى أيام الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاون واستجد فيها منبرا فصار يصلى بها الجمعة الى يومنا هذا ولم يكن قبل ذلك بها منبر ولا تصلى فيها الجمعة * (عبد الله بن على بن الحسين) بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن ابراهيم بن عمار بن منصور بن على صفى الدين أبو محمد الشيبى الدميرى المالكى المعروف بابن شكر ولد بناحية دميرة احدى قرى مصر البحرية فى تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ومات أبوه فتزوجت أمه بالقاضى الوزير الاعز فخر الدين مقدام ابن القاضى الاجل أبى العباس أحمد بن شكر المالكى فرباه ونوه باسمه لانه كان ابن عمه فعرف به وقيل له ابن شكر وسمع صفى الدين من الفقيه أبى الطاهر اسماعيل بن مكى بن عوف وأبى الطيب عبد المنعم بن يحيى وغيره وحدث بالقاهرة ودمشق وتفقه على مذهب مالك وبرع فيه وصنف كتابا فى الفقه كان كل من حفظه نال منه حظا وافرا وقصد بذلك أن يتشبه بالوزير عون الدين بن هبيرة كانت بداية أمره انه لما سلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الاسطول لاخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب وأفرد له من الابواب الديوانية الزكاة بمصر والجبس الجيوشى بالبرين والنطرون والخراج وما معه من ثمن القرظ وساحل السنط والمراكب الديوانية واسنا وطنبدى استخدم العادل فى مباشرة ديوان هذه المعاملة الصفى بن شكر هذا وكان ذلك

فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ومن حينئذ اشتهر ذكره وتخصص بالملك العادل فلما استقل بمملكة مصر فى سنة ست وتسعين وخمسمائة عظم قدره ثم استوزره بعد الصنيعة بن النحاس فحل عنده محل الوزراء الكبار والعلماء المشاورين وباشر الوزارة بسطوة وجبروت وتعاظم وصادر كتاب الدولة واستصفى اموالهم ففر منه القاضى الاشرف ابن القاضى الفاضل الى بغداد واستشفع بالخليفة الناصر وأحضر كتابه الى الملك العادل يشفع فيه وهرب منه القاضى علم الدين اسماعيل بن أبى الحجاج صاحب ديوان الجيش والقاضى الاسعد اسعد بن مماتى صاحب ديوان المال والتجآ الى الملك الظاهر بحلب فأقاما عنده حتى ماتا وصادر بنى حمدان وبنى الحباب وبنى الجليس وأكابر الكتاب والسلطان لا يعارضه فى شئ ومع ذلك فكان يكثر التغضب على السلطان ويتجنى عليه وهو يحتمله الى أن غضب فى سنة سبع وستمائة وحلف أنه ما بقى يخدم فلم يحتمله وولى الوزارة عوضا عنه القاضى الاعز فخر الدين مقدام بن شكر واخرجه من مصر بجميع امواله وحرمه وغلمانه وكان نقله على ثلاثين جملا وأخذ أعداؤه فى اغراء السلطان به وحسنوا له أن يأخذ ماله فأبى عليهم ولم يأخذ منه شيأ وسار الى آمد فأقام بها عند ابن أرتق الى أن مات الملك العادل فى سنة خمس عشرة وستمائة فطلبه الملك الكامل محمد بن الملك العادل لما استبد بسلطنة ديار مصر بعد أبيه وهو فى نوبة قتال الفرنج على دمياط حين رأى أن الضرورة داعية لحضوره بعدما كان يعاديه فقدم عليه فى ذى القعدة منها وهو بالمنزلة العادلية قريبا من دمياط فتلقاه واكرمه وحادثه فيما نزل به من موت ابيه ومحاربة الفرنج ومخالفة الامير عماد الدين أحمد بن المشطوب واضطراب أرض مصر بثورة العربان وكثرة خلافهم فشجعه وتكفل له بتحصيل المال وتدبير الامور وسار الى القاهرة فوضع يده فى مصادرات أرباب الاموال بمصر والقاهرة من الكتاب والتجار وقرر على الاملاك مالا وأحدث حوادث كثيرة وجمع مالا عظيما أمد به السلطان فكثر تمكنه منه وقويت يده وتوفرت مهابته بحيث انه لما انقضت نوبة دمياط وعاد الملك الكامل الى قلعة الجبل كان ينزل اليه ويجلس عنده بمنظرته التى كانت على الخليج ويتحدث معه فى مهمات الدولة ولم يزل على ذلك الى أن مات بالقاهرة وهو وزير فى يوم الجمعة ثامن شعبان سنة اثنتين وعشرين وستمائة وكان بعيد الغور جماعا للمال ضابطا له من الانفاق فى غير واجب قد ملأت هيبته الصدور وانقاد له على الرغم والرضى الجمهور وأخمد جمرات الرجال وأضرم رمادا لم يخطر ايقاده على بال وبلغ عند الملك الكامل بحيث انه بعث اليه بابنيه الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك العادل أبى بكر ليزوراه فى يوم عيد فقاما على رأسه قياما وانشد زكى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن وهيب القوصى قصيدة زاد فيها حين رأى الملكين قياما على رأسه

لو لم تقم لله حق قيامه ما كنت تقعد والملوك قيام

وقطع فى وزارته الارزاق وكانت جملتها أربعمائة ألف دينار فى السنة وتسارع أرباب الحوائج والاطماع ومن كان يخافه الى بابه وملؤا طرقاته وهو بينهم ولا يحفل بشيخ منهم وهو عالم وأوقع بالرؤساء وأرباب البيوت حتى استأصل شأفتهم عن آخرهم وقدم الاراذل فى مناصبهم وكان جلدا قويا حل به مرة دوسطاريا قوية وأزمنت فيئس منه الاطباء وعند ما اشتد به الوجع وأشرف على الهلاك استدعى بعشرة من وجوه الكتاب كانوا فى حبسه وقال انتم فى راحة وأنا فى الالم كلا والله واستحضر المعاصير وآلات العذاب وعذبهم فصاروا يصرخون من العذاب وهو يصرخ من الالم طول الليل الى الصبح وبعد ثلاثة أيام ركب وكان يقول كثيرا لم يبق فى قلبى حسرة الا كون البيسانى لم تمرغ شيبته على عتباتى يعنى القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى فانه مات قبل وزارته وكان درى اللون تعلوه حمرة ومع ذلك فكان طلق المحيا حلو اللسان حسن الهيئة صاحب دهاء مع هوج وخبث فى طيش ورعونة مفرطة وحقد لا تخبو ناره ينتقم ويظن انه لم ينتقم فيعود وكان لا ينام عن عدوه ولا يقبل معذرة أحد ويتخذ الرؤساء كلهم أعداءه ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك والاستئصال ولا يرحم أحدا اذا انتقم منه ولا يبالى بعاقبة وكان له ولاهله كلمة يرونها ويعملون بها كما يعمل بالاقوال الالهية وهى اذا كنت دقا فلا تكن وتداو كان الواحد منهم يعيدها فى اليوم مرات ويجعلها حجة عند انتقامه وكان قد استولى على الملك العادل ظاهرا وباطنا ولا يمكن أحدا من الوصول اليه حتى الطبيب والحاجب والفراش عليهم عيون له لا يتكلم أحد منهم فضل كلمة خوفا منه وكان اكبر أغراضه ابادة أرباب

البيوت

البيوت ومحوا آثارهم وهدم ديارهم وتقريب الاسقاط وشرار الفقهاء وكان لا يأخذ من مال السلطان فلسا ولا ألف دينار ويظهر أمانة مفرطة فاذا لاح له مال عظيم احتجنه وبلغ اقطاعه فى السنة مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وكان قد عمى فأخذ يظهر جلدا عظيما وعدم استكانة واذا حضر اليه الامراء والاكابر وجلسوا على خوانه يقول قدموا اللون الفلانى للامير فلان والصدر فلان والقاضى فلان وهو يبنى أمورا فى معرفة مكان المشار اليه برموز ومقدمات يكابر فيها وأثر الزمان وكان يتشبه فى ترسله بالقاضى الفاضل وفى محاضراته بالوزير عون الدين بن هبيرة حتى اشتهر عنه ذلك ولم يكن فيه اهلية هذا لكنه كان من دهاة الرجال وكان اذا لحظ شخصا لا يقنع له الا بكثرة الغنى ونهاية الرفعة واذا غضب على أحد لا يقنع فى شأنه الا بمحو أثره من الوجود وكان كثيرا ما ينشد

اذا حقرت امرأ فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لم يحصد به عنبا

وينشد كثيرا

ودّ عدوّى ثم تزعم اننى * صديقك ان الرأى عنك لعازب

وأخذ مرة بمرض من حمى قوية وحدث به النافض وهو فى مجلس السلطان ينفذ الاشغال فما تأثر ولا ألقى جنبه الى الارض حتى ذهبت وهو كذلك وكان يتعزز على الملوك الجبابرة وتقف الرؤساء على بابه من نصف الليل ومعهم المشاعل والشمع وعند الصباح يركب فلا يراهم ولا يرونه لانه اما أن يرفع رأسه الى السماء تيها واما أن يعرج الى طريق غير التى هم بها واما أن يأمر الجنادرة التى فى ركابه بضرب الناس وطردهم من طريقه ويكون الرجل قد وقف على بابه طول الليل اما من أوله أو من نصفه بغلمانه ودوابه فيطرد عنه ولا يراه وكان له بوّاب يأخذ من الناس مالا كثيرا ومع ذلك بينهم اهانة مفرطة وعليه للصاحب فى كل يوم خمسة دنانير منها دينار برسم الفقاع وثلاثة دنانير برسم الحلاوى وكسوة غلمانه ونفقاته عليه أيضا ومع ذلك اقتنى عقارا وقرى ولما كان بعد موت الصاحب قدم من بغداد رسول الخليفة الظاهر وهو محيى الدين أبو المظفر ابن الجوزى ومعه خلعة الخليفة للملك الكامل وخلع لاولاده وخلعة للصاحب صفى الدين فلبسها فخر الدين سليمان كاتب الانشاء وقبض الملك الكامل على اولاده تاج الدين يوسف وعز الدين محمد وحبسهما وأوقع الحوطة على سائر موجوده رحمه الله وعفا عنه

(المدرسة الشريفية)

هذه المدرسة بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة وقفها الامير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر اسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبى جميل دحية بن جعفر بن موسى بن ابراهيم بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه الجعفرى الزينبى أمير الحاج والزائرين وأحد امراء مصر فى الدولة الايوبية وتمت فى سنة اثنتى عشرة وستمائة وهى من مدارس الفقهاء الشافعية * قال ابن عبد الظاهر وجرى له فى وقفها حكاية مع الفقيه ضياء الدين بن الورّاق وذلك أن الملك العادل سيف الدين أبا بكر يعنى ابن أيوب لما ملك مصر وكان قد دخلها على انه نائب للملك المنصور محمد ابن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف فقوى عليه وقصد الاستبداد بالملك فأحضر الناس للحلف وكان من جملتهم الفقيه ضياء الدين بن الورّاق فلما شرع الناس فى الحلف قال الفقيه ضياء الدين ما هذا الحلف بالامس حلفتم للمنصور فان كانت تلك الايمان باطلة فهذه باطلة وان كانت تلك صحيحة فهذه باطلة فقال الصاحب صفى الدين بن شكر للعادل أفسد عليك الامور هذا الفقيه وكان الفقيه لم يحضر الى ابن شكر ولا سلم عليه فأمر العادل بالحوطة على جميع موجود الفقيه وماله وأملاكه واعتقاله بالرصد مرسما عليه فيه لانه كان مسجده فأقام مدة سنين على هذه الصورة فلما كان فى بعض الايام وجد غرة من المترسمين فحضر الى دار الوزارة بالقاهرة فبلغ العادل حضوره فخرج اليه فقال له الفقيه اعلم والله انى لا احاللك ولا ابرأتك أنت تتقدمنى الى الله فى هذه المدة وأنا بعدك اطالبك بين يدى الله تعالى وتركه وعاد الى مكانه فحضر الشريف فخر الدين بن ثعلب الى الملك العادل فوجده متألما حزينا فسأله فعرّفه فقال يا مولانا ولم تجرّد السم فى نفسك فقال خذ كل ما وقعت الحوطة عليه وكل ما استخرج من أجرة أملاكه وطيب خاطره وأما الفقيه ضياء الدين فانه أصبح وحضرت اليه جماعة من الطلبة

للقراءة عليه فقال لهم رأيت البارحة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يكون فرجك على يد رجل من أهل بيتي صحيح النسب فبينما هم في الحديث واذا بغبرة ثارت من جهة القرافة فانكشفت عن الشريف ابن ثعلب ومعه الموجود كله فلما حضر عرّفه الجماعة المنام فقال ياسيدي اشهد على أن جميع ما أملكه وقف وصدقة شكرا لهذه الرؤيا وخرج عن كل ما يملكه وكان من جملة ذلك المدرسة الشريفية لانها كانت مسكنه ووقف عليها أملاكه وكذلك فعل في غيرها ولم يحلل الفقيه الملك العادل ومات الملك العادل بعد ذلك ومات الفقيه بعده بمدة ومات الشريف اسماعيل بن ثعلب بالقاهرة في سابع عشر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة

(المدرسة الصالحية)

هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقي فبنى فيه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب هاتين المدرستين فابتدأ بهدم موضع هذه المدارس في قطعة من القصر في ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة ووضع أساس المدارس في رابع عشر ربيع الآخر سنة أربعين ورتب فيها دروسا أربعة للفقهاء المنتمين الى المذاهب الاربعة في سنة احدى وأربعين وستمائة وهو أول من عمل بديار مصر دروسا أربعة في مكان ودخل في هذه المدارس باب القصر المعروف بباب الزهومة وموضعه قاعة شيخ الحنابلة الآن ثم اختط ما وراء هذه المدارس في سنة بضع وخمسين وستمائة وجعل حكر ذلك للمدرسة الصالحية وأول من درّس بها من الحنابلة قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن العماد ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحنبلي الصالحي وفي يوم السبت ثالث عشري شوّال سنة ثمان وأربعين وستمائة اقام الملك المعز عز الدين أيبك التركماني الامير علاء الدين ايدكين البندقداري الصالحي في نيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية هذه مع نوّاب دار العدل وانتصب لكشف المظالم واستمر جلوسه بها مدة ثم ان الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس وقف الصاغة التي تجاهها وأماكن بالقاهرة وبمدينة المحلة الغربية وقطع أراضي جزائر بالاعمال الجيزية والاطفيحية على مدرسين أربعة عند كل مدرّس معيدان وعدة طلبة وما يحتاج اليه من أئمة ومؤذنين وقومة وغير ذلك وثبت وقف ذلك على يد قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعي ونفذه قاضي القضاة شمس الدين أبو البركات محمد بن هبة الله بن شكر المالكي وذلك في سنة سبع وسبعين وستمائة وهي جارية في وقفها الى اليوم فلما كان في يوم الجمعة حادي عشري ربيع الاول سنة ثلاثين وسبعمائة رتب الامير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك جمال الدين الغزاوي خطيبا بايوان الشافعية من هذه المدرسة وجعل له في كل شهر خمسين درهما ووقف عليه وعلى مؤذنين وقفا جاريا فاستمرت الخطبة هناك الى يومنا هذا * (قبة الصالح) هذه القبة بجوار المدرسة الصالحية كان موضعها قاعة شيخ المالكية بنتها عصمة الدين والدة خليل شجرة الدر لاجل مولاها الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما مات وهو على مقاتلة الفرنج بناحية المنصورة في ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة فكتمت زوجته شجرة الدر موته خوفا من الفرنج ولم تعلم بذلك أحدا سوى الامير فخر الدين بن يوسف بن شيخ الشيوخ والطواشي جمال الدين محسن فقط فكتماموته عن كل أحد وبقيت امور الدولة على حالها وشجرة الدر تخرج المناشير والتواقيع والكتب وعليها علامة بخط خادم يقال له سهيل فلا يشك أحد في أنه خط السلطان وأشاعت أن السلطان مستمر المرض ولا يمكن الوصول اليه فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان الى أن انفذت الى حصن كيفا وأحضرت الملك المعظم توران شاه بن الصالح وأما الملك الصالح فان شجرة الدر أحضرته في حراقة من المنصورة الى قلعة الروضة تجاه مدينة مصر من غير أن يشعر به أحد الا من ائتمنته على ذلك فوضع في قاعة من قاعات قلعة الروضة الى يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة فنقل الى هذه القبة بعدما كانت شجرة الدر قد عمرتها على ما هي عليه وخلعت نفسها من سلطنة مصر ونزلت عنها لزوجها عز الدين أيبك قبل ذلك فنقله الملك المعز أيبك ونزل ومعه الملك الاشرف موسى ابن الملك المسعود وسائر المماليك البحرية والجمدارية والامراء من قلعة الجبل الى قلعة الروضة وأخرج الملك الصالح في تابوت وصلى عليه بعد صلاة الجمعة وسائر الامراء وأهل الدولة قد لبسوا البياض حزنا عليه وقطع المماليك شعور رؤسهم وساروا به الى هذه القبة فدفن ليلة السبت

فاصبح

فأصبح السلطانان ونزلا الى القبة وحضر القضاة وسائر المماليك وأهل الدولة وكافة الناس وغلقت الاسواق بالقاهرة ومصر وعمل عزاء الملك الصالح بين القصرين بالدفوف مدة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين ووضع عند القبر سناجق السلطان وبقجته وتركاشه وقوسه ورتب عنده القراء على ما شرطت شجرة الدر في كتاب وقفها وجعلت النظر فيها للصاحب بهاء الدين علي بن حنا وذريته وهي بيدهم الى اليوم وما أحسن قول الاديب جمال الدين أبي المظفر عبد الرحمن بن أبي سعيد محمد بن محمد بن عمر بن أبي القاسم بن تخمش الواسطي المعروف بابن الشيرجي الشاعر لما مر هو والامير نور الدين تكريت بالقاهرة بين القصرين ونظر الى تربة الملك الصالح هذه وقد دفن بجماعة شيخ المالكية فانشد

بنيت لارباب العلوم مدارسا * لتنجو بها من هول يوم المهالك

وضاقت عليك الارض لم تلق منزلا * تحل به الا الى جنب مالك

وذلك أن هذه القبة التي فيها قبر الملك الصالح مجاورة لايوان الفقهاء المالكية المنتمين الى الامام مالك بن انس رضي الله عنه فقصد التورية بمالك الامام المشهور ومالك خازن النار اعاذنا الله منها

(المدرسة الكاملية)

هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الكاملية أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي بن مروان في سنة اثنتين وعشرين وستمائة وهي ثاني دار عملت للحديث فان أول من بنى دارا على وجه الارض للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق ثم بنى الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ووقف عليها الربع الذي بجوارها على باب الخرنشف ويمتد الى الدرب المقابل للجامع الاقمر وهذا الربع من انشاء الملك الكامل وكان موضعه من جملة القصر الغربي ثم صار موضعا يسكنه القماحون وكان موضع المدرسة سوقا للرقيق ودارا تعرف بابن كستول * وأول من ولي تدريس الكاملية الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي ابن دحية ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن بن علي بن دحية ثم الحافظ عبد العظيم المنذري ثم الرشيد العطار وما برحت بيد أعيان الفقهاء الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة فتلاشت كما تلاشى غيرها وولي تدريسها صبي لا يشارك الاناسي الا بالصورة ولا يمتاز عن البهيمة الا بالنطق واستمر فيها دهرا لا يدرس بها حتى نسيت أو كادت تنسى دروسها ولا حول ولا قوة الا بالله *(الملك الكامل) ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الكردي الايوبي خامس ملوك بني أيوب الاكراد بديار مصر ولد في خامس عشري ربيع الاول سنة ست وسبعين وخمسمائة وخلف أباه الملك العادل على بلاد الشرق فلما استولى على مملكة مصر قدم الملك الكامل الى القاهرة في سنة ست وتسعين وخمسمائة ونصبه أبوه نائبا عنه بديار مصر وأقطعه الشرقية وجعله ولي عهده وحلف له الامراء وأسكنه قلعة الجبل وسكن العادل في دار الوزارة بالقاهرة وصار يحكم بديار مصر مدة غيبة الملك العادل ببلاد الشام وغيرها بمفرده فلما مات الملك العادل ببلاد الشام استقل الملك الكامل بمملكة مصر في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة وهو على محاربة الفرنج بالمنزلة العادلية قريبا من دمياط وقد ملكوا البر الغربي فثبت لقتالهم مع ما حدث من الوهن بموت السلطان وثارت العربان بنواحي أرض مصر وكثر خلافهم واشتد ضررهم وقام الامير عماد الدين أحمد ابن الامير سيف الدين أبي الحسين علي بن أحمد الهكاري المعروف بابن المشطوب وكان أجل الامراء الاكابر وله لفيف من الاكراد الهكارية يريد خلع الملك الكامل وتمليك أخيه الملك الفائز ابراهيم بن العادل ووافقه على ذلك كثير من الامراء فلم يجد الكامل بدا من الرحيل في الليل جريدة وسار من العادلية الى أشموم طناح ونزل بها وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل واحد هواه ولم يعرج واحد منهم على آخر وتركوا أثقالهم وسائر ما معهم فاغتنم الفرنج الفرصة وعبروا الى بر دمياط واستولوا على جميع ما تركه المسلمون وكان شيأ عظيما وهم الملك الكامل بمفارقة أرض مصر ثم ان الله تعالى ثبته وتلاحقت به العساكر وبعد يومين قدم عليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق باشموم فاشتد عضده بأخيه وأخرج ابن المشطوب من العسكر الى الشام ثم أخرج الفائز ابراهيم الى الملوك الايوبية بالشام والشرق يستنفرهم

لجهاد الفرنج وكتب الملك الكامل الى أخيه الملك الاشرف موسى شاه يستحثه على الحضور وصدر المكاتبة بهذه الابيات

يا مسعدى ان كنت حقا مسعفى * فانهض بغير تلبث وتوقف
واحثث قلوصك مرقلا أو موجفا * بتجشم فى سيرها وتعسف
واطو المنازل ما استطعت ولا تنخ * الا على باب المليك الاشرف
واقر السلام عليه من عبد له * متوقع لقدومه متشوف
واذا وصلت الى حماه فقل له * عنى بحسن توصل وتلطف
ان تأت عبدك عن قليل تلقه * ما بين كل مهند ومثقف
أو تبط عن انجاده فلقاؤه * بك فى القيامة فى عراص الموقف

وجد الكامل فى قتال الفرنج وأمر بالنفير فى ديار مصر وأتته الملوك من الاطراف فقدر الله أخذ الفرنج لدمياط بعد ما حاصروها ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما ووضعوا السيف فى أهلها فرحل الكامل من أشموم ونزل بالمنصورة وبعث يستنفر الناس وقوى الفرنج حتى بلغت عدتهم نحو المائتى ألف راجل وعشرة آلاف فارس وقدم عامة اهل أرض مصر وأتت النجدات من البلاد الشامية وغيرها فصار المسلمون فى جمع عظيم الى الغاية بلغت عدة فرسانهم خاصة نحو الاربعين ألفا وكانت بين الفريقين خطوب آلت الى وقوع الصلح وتسلم المسلمون مدينة دمياط فى تاسع عشرى رجب سنة ثمان عشرة وستمائة بعد ما أقامت بيد الفرنج سنة وأحد عشر شهرا تنقص ستة أيام وسار الفرنج الى بلادهم وعاد السلطان الى قلعة الجبل وأخرج كثيرا من الامراء الذين وافقوا ابن المشطوب من القاهرة الى الشام وفرق أخبازهم على مماليكه ثم تخوف من أمرائه فى سنة احدى وعشرين لميلهم الى أخيه الملك المعظم فقبض على جماعة منهم وكاتب اخاه الملك الاشرف فى موافقته على المعظم فقويت الوحشة بين الكامل والمعظم واشتد خوف الكامل من عسكره وهم أن يخرج من القاهرة لقتال المعظم فلم يجسر على ذلك وقدم الاشرف الى القاهرة فسر بذلك سرورا كثيرا وتحالفا على المعاضدة وسافر من القاهرة فمال مع المعظم فتحير الكامل فى أمره وبعث الى ملك الفرنج يستدعيه الى عكا ووعده بأن يمكنه من بلاد الساحل وقصد بذلك أن يشغل سر أخيه المعظم فلما بلغ ذلك المعظم خطب للسلطان جلال الدين الخوارزمى وبعث يستنجد به على الكامل وابطل الخطبة للكامل فخرج الكامل من القاهرة يريد محاربته فى رمضان سنة أربع وعشرين وسار الى العباسة ثم عاد الى قلعة الجبل وقبض على عدة من الامراء ومماليك أبيه لمكاتبتهم المعظم وأنفق فى العسكر فاتفق موت الملك المعظم فى سلخ ذى القعدة وقيام ابنه الملك الناصر داود بسلطنة دمشق وطلبه من الكامل الموادعة فبعث اليه خلعة سنية وسنجقا سلطانيا وطلب منه أن ينزل له عن قلعة الشوبك فامتنع الناصر من ذلك فوقعت المنافرة بينهما وعهد الملك الكامل الى ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأركبه بشعار السلطنة وأنزله بدار الوزارة وخرج من القاهرة فى العساكر يريد دمشق فأخذ نابلس والقدس فخرج الناصر داود من دمشق ومعه عمه الاشرف وسارا الى الكامل يطلبان منه الصلح فلما بلغ ذلك الكامل رحل من نابلس يريد القاهرة فقدمها الناصر والاشرف وأقام بها الناصر وسار الاشرف والمجاهد الى الكامل فأدركاه بتل العجوز فأكرمهما وقرر مع الاشرف انتزاع دمشق من الناصر وأعطاها للاشرف على أن يكون للكامل ما بين عقبة أفيق الى القاهرة وللاشرف من دمشق الى عقبة أفيق وأن يعين بجماعة من ملوك بنى أيوب فاتفق قدوم الملك الانبرطور الى عكا باستدعاء الملك الكامل له فتحير الكامل فى امره لعجزه عن محاربته وأخذ يلاطفه وشرع الفرنج فى عمارة صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب فلما بلغ الناصر موافقة الاشرف للكامل عاد من نابلس الى دمشق واستعد للحرب فسار اليه الاشرف من تل العجوز وحاصره بدمشق وأقام الكامل بتل العجوز وقد تورط مع الفرنج فلم يجد بدا من اعطائهم القدس على أن لا يجدد سوره وأن تبقى الصخرة والاقصى مع المسلمين ويكون حكم قرى القدس الى المسلمين وأن القرى التى فيما بين عكا ويافا وبين لد والقدس للفرنج وانعقدت الهدنة على ذلك لمدة عشر سنين وخمسة أشهر وأربعين يوما أولها ثامن ربيع الاول سنة ست وعشرين ونودى

فى القدس بخروج المسلمين منه وتسليمه الى الفرنج فكان أمرا مهولا من شدة البكاء والصراخ وخرجوا بأجمعهم فصاروا الى مخيم الكامل وأذنوا على بابه فى غير وقت الاذان فشق عليه ذلك وأخذ منهم الستور وقناديل الفضة والآلات وزجرهم وقيل لهم امضوا حيث شئتم فعظم على المسلمين هذا وكثر الانكار على الملك الكامل وشنعت المقالة فيه وعاد الانبرطور الى بلاده بعد ما دخل القدس وكان مسيره فى آخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وسير الكامل الى الآفاق بتسكين قلوب المسلمين وانزعاجهم لاخذ الفرنج القدس ورحل من تل العجوزين يد دمشق والاشرف على محاصرتها فحقق القتال واشتد الامر على الناصر الى أن ترامى فى الليل على الملك الكامل فأكرمه وأعاده الى قلعة دمشق وبعث من تسلمها منه وعوضه عن دمشق الكرك والشوبك والصلت والبلقاء والاغوار ونابلس وأعمال القدس ثم ترك الشوبك للكامل مع عدة مما ذكر وتسلم الكامل دمشق فى أول شعبان وأعطاها للاشرف وأخذ منه ما معه من بلاد الشرق وهى حران والرها وسروج وغير ذلك ثم سار الكامل فأخذ حماه وتوجه منها فقطع الفرات ثم سار الى جعبر والرقة ودخل حران والرها ورتب أمورها وأتته الرسل من ماردين وآمد والموصل وأربل وغير ذلك واقيمت له الخطبة بماردين وبعث يستدعى عساكر الشام لقتال الخوارزمى وهو بخلاط ثم رحل الكامل من حران لامور حدثت وسار الى مصر فدخلها فى شهر رجب سنة سبع وعشرين وقد تغير على ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب وخلعه من ولاية العهد وعهد الى ابنه الملك العادل أبى بكر ثم سار الى الاسكندرية فى سنة ثمان وعشرين ثم عاد الى مصر وحفر بحر النيل فيما بين المقياس وبر مصر وعمل فيه بنفسه واستعمل فيه الملوك من أهله والامراء والجند فصار الماء دائما فيما بين مصر والمقياس وانكشف البر فيما بين المقياس والجيزة فى أيام احتراق النيل وخرج من القاهرة الى بلاد الشام فى آخر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين واستخلف على ديار مصر ابنه العادل وأسكنه قلعة الجبل وأخذ الصالح معه فدخل دمشق من طريق الكرك وخرج منها لقتال التتر وجعل ابنه الصالح على مقدمته فسار الى حران فرحل التتر عن خلاط ثم رحل الى الرها وسار الى آمد ونازلها حتى أخذها وأنعم على ابنه الصالح بحصن كيفا وبعثه اليه وعاد الى مصر فى سنة ثلاثين فقبض على عدة من الامراء ثم خرج فى سنة احدى وثلاثين الى دمشق وسار منها ودخل الدربند وقد أعجبته كثرة عساكره فانه اجتمع معه ثمانية عشر طلبا لثمانية عشر ملكا وقال هذه العساكر لم تجتمع لاحد من ملوك الاسلام ونزل على النهر الازرق بأول بلد الروم وقد نزلت عساكر الروم وأخذت عليه رأس الدربند ومنعوه فقصر لقلة الاقوات عنده ولاختلاف ملوك بنى أيوب عليه. ورحل الى مصر وقد فسد ما بينه وبين الاشرف وغيره وأخذ ملك الروم الرها وحران بالسيف فتجهز الكامل وخرج بعساكره من القاهرة فى سنة ثلاث وثلاثين وسار الى الرها ونازلها حتى أخذها وهدم قلعتها وأخذ حران بعد قتال شديد وبعث بمن كان فيها من الروم الى القاهرة فى القيود وكانوا زيادة على ثلاثة آلاف نفس ثم خرج الى دنيسر وعاد الى دمشق وسار منها الى القاهرة فدخلها فى سنة أربع وثلاثين ثم خرج فى سنة خمس وثلاثين ونزل على دمشق وقد امتنعت عليه فضايقها حتى أخذها من أخيه الملك الصالح اسماعيل وعوضه عنها بعلبك وبصرى وغيرهما فى تاسع عشر جمادى الاولى ونزل بالقلعة وأخذ يتجهز لاخذ حلب وقد نزل به زكام فدخل فى ابتدائه الحمام فاندفعت المواد الى معدته فتورم وثارت فيه حمى فنهاه الاطباء عن القىء وحذروه منه فلم يصبر وتقيأ فمات لوقته فى آخر نهار الاربعاء حادى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة عن ستين سنة منها ملكه أرض مصر نحو أربعين سنة استبد فيها بعد موت أبيه مدة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما وكان يحب العلم وأهله ويؤثر مجالستهم وشغف بسماع الحديث النبوى وحدث وبنى دار الحديث الكاملية بالقاهرة وكان يناظر العلماء ويمتحنهم بمسائل غريبة من فقه ونحو فمن أجاب عنها حظى عنده وكان يبيت عنده بقلعة الجبل عدة من أهل العلم على أسرة بجانب سريره ليسامروه وكان للعلم والادب عنده نفاق فقصده الناس لذلك وصار يطلق الارزاق الدارة لمن يقصده لهذا وكان مهابا حازما سديد الرأى حسن التدبير عفيفا عن الدماء وكان يباشر أمور مملكته بنفسه من غير اعتماد على وزير ولا غيره ولم يستوزر بعد الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر أحدا وانما كان ينتدب من يختاره لتدبير الاشغال ويحضر عنده الدواوين ويحاسبهم بنفسه واذا ابتدأت زيادة النيل خرج وكشف الجسور ورتب الامراء لعملها فاذا انتهى عمل الجسور خرج ثانيا

وتفقدها بنفسه فان وقف فيها على خلل عاقب متوليها أشد العقوبة فعمرت أرض مصر فى أيامه عمارة جيدة وكان يخرج من زكوات الاموال التى تجبى من الناس سهمى الفقراء والمساكين ويعين مصرف ذلك لمستحقيه شرعا ويفرض منه معاليم الفقهاء والصلحاء وكان يجلس كل ليلة جمعة مجلسا لاهل العلم فيجتمعون عنده للمناظرة وكان كثير السياسة حسن المداراة وأقام على كل طريق خفراء لحفظ المسافرين الا انه كان مغرما بجمع المال مجتهدا فى تحصيله وأحدث فى البلاد حوادث سماها الحقوق لم تعرف قبله ومن شعره قوله رحمه الله تعالى

اذا تحققتم ما عند صاحبكم * من الغرام فذاك القدر يكفيه

انتم سكنتم فؤادى وهو منزلكم * وصاحب البيت ادرى بالذى فيه

وقال له الطبيب علم الدين أبو النصر جرجس بن أبى حليقة فى اليوم الذى مات فيه كيف نوم السلطان فى ليلته فأنشد

ياخليلىّ خبرانى بصدق * كيف طعم الكرى فانى نسيت

ودفن أولا بقلعة دمشق ثم نقل الى جوار جامع بنى أمية وقبره هنالك رحمه الله تعالى

(المدرسة الصيرمية)

هذه المدرسة من داخل باب الجملون الصغير بالقرب من رأس سويقة أمير الجيوش فيما بينها وبين الجامع الحاكى بجوار الزيادة بناها الامير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب وتوفى فى تاسع عشر صفر سنة ست وثلاثين وستمائة

(المدرسة المسرورية)

هذه المدرسة بالقاهرة داخل درب شمس الدولة كانت دار شمس الخواص مسرور أحد خدام القصر فجعلت مدرسة بعد وفاته بوصيته وأن يوقف الفندق الصغير عليها وكان بناؤها من ثمن ضيعة بالشام كانت بيده بيعت بعد موته وتولى ذلك القاضى كمال الدين خضر ودرّس فيها وكان مسرور ممن اختص بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فقدمه على حلقته ولم يزل مقدما الى الايام الكاملية فانقطع الى الله تعالى ولزم داره الى أن مات ودفن بالقرافة الى جانب مسجده وكان له برّ واحسان ومعروف ومن آثاره بالقاهرة فندق يعرف اليوم بخان مسرور الصغير وله ربع بالشارع

(المدرسة القوصية)

هذه المدرسة بالقاهرة فى درب سيف الدولة بالقرب من درب ملوخيا أنشأها الامير الكردى والى قوص

(مدرسة بحارة الديلم)

بيض له فى الاصل

(المدرسة الظاهرية)

هذه المدرسة بالقاهرة من جملة خط بين القصرين كان موضعها من القصر الكبير يعرف بقاعة الخيم وقد تقدم ذكرها فى أخبار القصر ومما دخل فى هذه المدرسة باب الذهب المذكور فى أبواب القصر فلما أوقع الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الحوطة على القصور والمناظر كما تقدم ذكره نزل القاضى كمال الدين طاهر ابن الفقيه نصر وكيل بيت المال وقوّم قاعة الخيم هذه وابتاعها الشيخ شمس الدين محمد بن العماد ابراهيم المقدسى شيخ الحنابلة ومدرّس المدرسة الصالحية النجمية ثم باعها المذكور للسلطان فأمر بهدمها وبناء موضعها مدرسة فابتدئ بعمارتها فى ثانى ربيع الآخر سنة ستين وستمائة وفرغ منها فى سنة اثنتين وستين وستمائة ولم يقع الشروع فى بنائها حتى رتب السلطان وقفها وكان بالشام فكتب بما رتبه الى الامير جمال الدين بن يغمور

وأن لا يستعمل فيها أحد بغير أجرة ولا ينقص من أجرته شيأ فلما كان يوم الاحد خامس صفر سنة اثنتين وستين وستمائة اجتمع أهل العلم بها وقد فرغ منها وحضر القراء وجلس أهل الدروس كل طائفة في ايوان منها الشافعية بالايوان القبلي ومدرسهم الشيخ تقي الدين محمد بن الحسن بن رزين الحموي والحنفية بالايوان البحري ومدرسهم الصدر مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم الحلبي وأهل الحديث بالايوان الشرقي ومدرسهم الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي والقراء بالقرا آت السبع بالايوان الغربي وشيخهم الفقيه كمال الدين المحلي وقرروا كلهم الدروس وتناظروا في علومهم ثم مدت الاسمطة لهم فأكلوا وقام الاديب أبو الحسين الجزار فانشد

الا هكذا يبنى المدارس من بنى * ومن يتغالى في الثواب وفي الثنا
لقد ظهرت للظاهر الملك همة * بها اليوم في الدارين قد بلغ المنا
تجمع فيها كل حسن مفرق * فراقت قلوبا للانام وأعينا
ومذ جاورت قبر الشهيد فنفسه النـ * ـفيسة منها في سرور وفي هنا
وما هي الاجنة الخلد أزلفت * له في غد فاختار تعجيلها هنا

وقال السراج الوراق أيضا قصيدة منها

مليك له في العلم حب وأهله * فلله حب ليس فيه ملام
فشيدها للعلم مدرسة غدا * عراق اليها شيق وشآم
ولا تذكرن يوما نظامية لها * فليس يضاهي ذا النظام نظام
ولا تذكرن ملكا فبيبرس مالك * وكل مليك في يديه غلام
ولما بناها زعزعت كل بيعة * متى لاح صبح فاستقر ظلام
وقد برزت كالروض في الحسن أنبأت * بأن يديه في النوال غمام
ألم تر محرابا كأن لزاهرا * تفتح عنهن الغداة كمام

وقال الشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب

قصد الملوك حماك والخلفاء * فافخر فان محلك الجوزاء
أنت الذي أمراؤه بين الورى * مثل الملوك وجنده امراء
ملك تزينت الممالك باسمه * وتجملت بمديحه الفصحاء
وترفعت لعلاه خير مدارس * حلت بها العلماء والفضلاء
يبقى كما يبقى الزمان وملكه * باق له ولحاسديه فناء
كم للفرنج وللتتار ببابه * رسل مناها العفو والاعفاء
وطريقه لبلادهم موطوءة * وطريقهم لبلاده عذراء
دامت له الدنيا ودام مخلدا * ما أقبل الاصباح والامساء

فلما فرغ هؤلاء الثلاثة من انشادهم افيضت عليهم الخلع وكان يوما مشهودا وجعل بها خزانة كتب تشتمل على امهات الكتب في سائر العلوم وبنى بجانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى وأجرى لهم الجرايات والكسوة وأوقف عليها ربع السلطان خارج باب زويلة فيما بين باب زويلة وباب الفرج ويعرف ذلك الخط اليوم به فيقال خط تحت الربع وكان ربعا كبيرا لكنه خرب منه عدة دور فلم تعمر وتحت هذا الربع عدة حوانيت هي الآن من أجل الاسواق وللناس في سكناها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسا يرتفعون فيه الى الحكام وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة الا انها قد تقادم عهدها فرثت وبها الى الآن بقية صالحة ونظرها تارة يكون بيد الحنفية وأحيانا بيد الشافعية وينازع في نظرها أولاد الظاهر فيدفعون عنه ولله عاقبة الامور

(المدرسة المنصورية)

هذه المدرسة من داخل باب المارستان الكبير المنصوري بخط بين القصرين بالقاهرة أنشأها هي والقبة

التي تجاهها والمارستان الملك المنصور قلاون الالفي الصالحي على يد الامير علم الدين سنجر الشجاعي ورتب بهادروسا أربعة لطوائف الفقهاء الاربعة ودرسا للطب ورتب بالقبة درسا للحديث النبوي ودرسا لتفسير القرآن الكريم وميعادا وكانت هذه التداريس لا يليها الا أجل الفقهاء المعتبرين ثم هي اليوم كما قيل

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد يسمى بالفقيه المدرس
فحق لاهل العلم أن يتمثلوا * ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

* (القبة المنصورية) هذه القبة تجاه المدرسة المنصورية وهما جميعا من داخل باب المارستان المنصوري وهي من أعظم المباني الملوكية وأجلها قدرا وبها قبر تضمن الملك المنصور سيف الدين قلاون وابنه الملك الناصر محمد بن قلاون والملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون وبها قاعة جليلة في وسطها فسقية يصل اليها الماء من فوارة بديعة الزي وسائر هذه القاعة مفروش بالرخام الملون وهذه القاعة معدة لاقامة الخدام الملوكية الذين يعرفون اليوم في الدولة التركية بالطواشية واحدهم طواشي وهذه لفظة تركية أصلها بلغتهم طابوشي فتلاعبت بها العامة وقالت طواشي وهو الخصي ولهؤلاء الخدام في كل يوم ما يكفيهم من الخبز النقي واللحم المطبوخ وفي كل شهر من المعاليم الوافرة ما فيه غنية لهم وأدركتهم ولهم حرمة وافرة وكلمة نافذة وجانب مرعي وبعد شيخهم من أعيان الناس يجلس على مرتبة وبقية الخدام في مجالسهم لا يبرحون في عبادة وكان يستقر في وظائف هذه الخدمة أكابر خدام السلطان ويقيمون عنهم نوابا ويختارون الاقامة بالقبة ويرون مع سعة أحوالهم وكثرة أموالهم من تمام فخرهم وكمال سيادتهم انتماءهم الى خدمة القبة المنصورية ثم تلاشى الحال بالنسبة الى ما كان والخدام بهذه القاعة الى اليوم وقصد الملوك باقامة الخدام في هذه القاعة التي يتوصل الى القبة منها اقامة ناموس الملك بعد الموت كما كان في مدة الحياة وهم الى اليوم لا يمكنون أحدا من الدخول الى القبة الا من كان من أهلها ولله در يحيى بن حكم البكري الجياني المغربي الملقب بالغزال لجماله حيث يقول

أرى أهل الثراء اذا توفوا * بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا الا مباهاة وتيها * على الفقراء حتى في القبور

وفي هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الاربعة وتعرف بدروس وقف الصالح وذلك ان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون قصد عمارة مدرسة فاخترمته المنية دون بلوغ غرضه فقام الامير أرغون العلائي زوج أمه في وقف قرية تعرف بدهمشا الحمام من الاعمال الشرقية عن أم الملك الصالح فأثبته بطريق الوكالة عنها ورتب ما كان الملك الصالح اسماعيل قرره في حياته لو أنشأ مدرسة وجعل ذلك الامير أرغون مرتبا لمن يقوم به في القبة المنصورية وهو وقف جليل يتحصل منه في كل سنة نحو الاربعة آلاف دينار ذهبا ثم لما كانت الحوادث وخربت الناحية المذكورة تلاشى امر وقف الصالح وفيه الى اليوم بقية وكان لا يلي تدريس دروسه الا قضاة القضاة فوليه الآن الصبيان ومن لا يؤهل لو كان الانصاف له * وفي هذه القبة أيضا قراء يتناوبون القراءة بالشبابيك المطلة على الشارع طول الليل والنهار وهم من جهة ثلاثة اوقاف فطائفة من جهة وقف الملك الصالح اسماعيل وطائفة من جهة الوقف السيفي وهو منسوب الى الملك المنصور سيف الدين أبي بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاون * وبهذه القبة امام راتب يصلي بالخدام والقراء وغيرهم الصلوات الخمس ويفتح له باب فيما بين القبة والمحراب يدخل منه من يصلي من الناس ثم يغلق بعد انقضاء الصلاة * وبهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدة أحمال من الكتب في انواع العلوم مما وقفه الملك المنصور وغيره وقد ذهب معظم هذه الكتب وتفرق في ايدي الناس * وفي هذه القبة خزانة بها ثياب المقبورين بها ولهم فراش معلوم بمعلوم لتعهدهم ويوضع ما يتحصل من مال اوقاف المارستان بهذه القبة تحت ايدي الخدام وكانت العادة انه اذا أمر السلطان أحدا من أمراء مصر والشام فانه ينزل من قلعة الجبل وعليه التشريف والشربوش وتوقد له القاهرة فيمر الى المدرسة الصالحية بين القصرين ويعمل ذلك من عهد سلطنة المعز ايبك ومن بعده فنقل ذلك الى القبة المنصورية وصار الامير يحلف عند القبر المذكور ويحضر تحليفه

صاحب

صاحب الحجاب وتمد أسمطة جليلة بهذه القبة ثم ينصرف الامير ويجلس له فى طول شارع القاهرة الى القلعة أهل الاغانى لترفه فى نزوله وصعوده وكان هذا من جملة منتزهات القاهرة وقد بطل ذلك منذ انقرضت دولة بنى قلاون *
ومن جملة أخبار هذه القبة انه لما كان فى يوم الخميس مستهل المحرّم سنة تسعين وستمائة بعث الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون بجملة مال تصدّق به فى هذه القبة ثم امر بنقل أبيه من القلعة فخرج سائر الامراء ونائب السلطنة الامير بيدرا بدر الدين والوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس التنوخى وحضروا بعد صلاة العشاء الآخرة ومشوا بأجمعهم قدّام تابوت الملك المنصور الى الجامع الازهر وحضر فيه القضاة ومشايخ الصوفية فتقدّم قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد وصلى على الجنازة وخرج الجميع أمامها الى القبة المنصورية حتى دفن فيها وذلك فى ليلة الجمعة ثانى المحرّم وقبل عاشره ثم عاد الوزير والنائب من الدهليز خارج القاهرة الى القبة المنصورية لعمل مجتمع بسبب قراءة ختمة كريمة فى ليلة الجمعة ثامن عشرى صفر منها وحضر المشايخ والقرّاء والقضاة فى جمع موفور وفرّق فى الفقراء صدقات جزيلة ومدّت أسمطة كثيرة وتفرّقت الناس اطعمتها حتى امتلأت الايدى بها وكانت احدى الليالى الغرّ كثر الدعاء فيها للسلطان وعساكر الاسلام بالنصر على أعداء الملة وحضر الملك الاشرف بكرة يوم الجمعة الى القبة المنصورية وفرّق مالا كثيرا وكان الملك الاشرف قد برز يريد المسير لجهاد الفرنج وأخذ مدينة عكا فسار لذلك وعاد فى العشرين من شعبان وقد فتح الله مدينة عكا عنوة بالسيف وخرّب أسوارها وكان عبوره الى القاهرة من باب النصر وقد زينت القاهرة زينة عظيمة فعندما حاذى باب المارستان نزل الى القبة المنصورية وقد غصت بالقضاة والاعيان والقرّاء والمشايخ والفقهاء فتلقوه كلهم بالدعاء حتى جلس فأخذ القرّاء فى القراءة وقام نجم الدين محمد بن فتح الدين محمد بن عبد الله بن مهلهل بن غياث بن نصر المعروف بابن العنبرى الواعظ وصعد منبرا نصب له فجلس عليه وافتتح ينشد قصيدة تشتمل على ذكر الجهاد وما فيه من الاجر فلم يسعد فيها بحظ وذلك انه افتتحها بقوله

زر والديك وقف على قبريهما * فكأننى بك قد نقلت اليهما

فعندما سمع الاشرف هذا البيت تطير منه ونهض قائما وهو يسب الامير بيدرا نائب السلطنة لشدّة حنقه وقال ماوجد هذا شيأ يقوله سوى هذا البيت فاخذ بيدرا فى تسكين حنقه والاعتذار له عن ابن العنبرى بأنه قد انفرد فى هذا الوقت بحسن الوعظ ولا نظير له فيه الا انه لم يرزق سعادة فى هذا الوقت فلم يصغ السلطان الى قوله وسار فانفض المجلس على غير شئ وصعد السلطان الى قلعة الجبل ثم بعد أيام سأل السلطان عن وقف المارستان وأحب أن يجدّد له وقفا من بلاد عكا التى افتتحها بسيفه فاستدعى القضاة وشاورهم فيما اهتمّ به من ذلك فرغبوه فيه وحثوه على المبادرة اليه فعين أربع ضياع من ضياع عكا وصور ليقفها على مصالح المدرسة والقبة المنصورية بما تحتاج اليه من ثمن زيت وشمع ومصابيح وبسط وكلفة الساقية وعلى خمسين مقرئا يرتبون لقراءة القرآن الكريم بالقبة وامام راتب يصلى بالناس الصلوات الخمس فى محراب القبة وستة خدّام يقيمون بالقبة وهى الكابرة وتل الشيوخ وكردانة وضواحيها من عكا ومن ساحل صور ومعركة وصدفين وكتب بذلك كتاب وقف وجعل النظر فى ذلك لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فلما تمّ ذلك تقدّم بعمل مجتمع بالقبة لقراءة ختمة كريمة وذلك ليلة الاثنين رابع ذى القعدة سنة تسعين وستمائة فاجتمع القرّاء والوعاظ والمشايخ والفقراء والقضاة لذلك وخلع على عامة ارباب الوظائف والوعاظ وفرّقت فى الناس صدقات جمة وعمل مهم عظيم احتفل فيه الوزير احتفالا زائدا واوبات الامير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة والامير الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس بالقبة وحضر السلطان ومعه الخليفة الحاكم بامر الله احمد وعليه سواده فخطب الخليفة خطبة بليغة حرّض فيها على أخذ العراق من التتار فلما فرغ من المهمّ افاض السلطان على الوزير تشريفا سنيا وفى يوم الخميس حادى عشر ربيع الاوّل سنة احدى وتسعين وستمائة اجتمع القرّاء والوعاظ والفقهاء والاعيان بالقبة المنصورية لقراءة ختمة شريفة ونزل السلطان الملك الاشرف وتصدّق بمال كثير وآخر من نزل الى القبة المنصورية من ملوك بنى قلاون السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى سنة احدى وستين وسبعمائة وحضر عنده بالقبة مشايخ العلم وبحثوا فى العلم وزار قبر أبيه وجدّه ثم خرج فنظر فى امر المرضى بالمارستان وتوجه الى قلعة الجبل

(المدرسة الناصرية)

هذه المدرسة بجوار القبة المنصورية من شرقيها كان موضعها حماما فأمر السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري بانشاء مدرسة موضعها فابتدئ في عملها ووضع أساسها وارتفع بناؤها عن الارض الى نحو الطراز المذهب الذي بظاهرها فكان من خلعه ما كان فلما عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الى مملكة مصر في سنة ثمان وتسعين وستمائة أمر باتمامها فكملت في سنة ثلاث وسبعمائة وهي من أجل مباني القاهرة وبابها من اعجب ما عملته ايدي بني آدم فانه من الرخام الابيض البديع الزي الفائق الصناعة ونقل الى القاهرة من مدينة عكا وذلك أن الملك الاشرف خليل بن قلاون لما فتح عكا عنوة في سابع عشر جمادى الاولى سنة تسعين وستمائة اقام الامير علم الدين سنجر الشجاعي لهدم أسوارها وتخريب كنائسها فوجد هذه البوابة على باب كنيسة من كنائس عكا وهي من رخام قواعدها وأعضادها وعمدها كل ذلك متصل بعضه ببعض فحمل الجميع الى القاهرة وأقام عنده الى أن قتل الملك الاشرف وتمادى الحال على هذا أيام سلطنة الملك الناصر محمد الاولى فلما خلع وتملك كتبغا أخذ دار الامير سيف الدين بلبان الرشيدي ليعملها مدرسة فدل على هذه البوابة فأخذها من ورثة الامير بيدرا فانها كانت قد انتقلت اليه وعملها كتبغا على باب هذه المدرسة فلما خلع من الملك وأقيم الناصر محمد اشترى هذه المدرسة قبل اتمامها والاشهاد بوقفها وولي شراءها وصيه قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي وأنشأ بجوار هذه المدرسة من داخل بابها قبة جليلة لكنها دون قبة أبيه ولما كملت نقل اليها أمه بنت سكباي بن قراجين ووقف على هذه المدرسة قيسارية أمير علي بخط الشرابشيين من القاهرة والربع الذي يعلوها وكان يعرف بالدهيشة ووقف عليها أيضا حوانيت بخط باب الزهومة من القاهرة ودار الطعم خارج مدينة دمشق فلما مات ابنه انوك من الخاتون طغاي في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول سنة احدى وأربعين وسبعمائة وعمره ثماني عشرة سنة دفنه بهذه القبة وعمل عليها وقفا يختص بها وهو باق الى اليوم يصرف لقراء وغير ذلك * وأول من رتب في تدريس المدرسة الناصرية من المدرسين قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي ليدرس فقه المالكية بالايوان الكبير القبلي وقاضي القضاة شرف الدين عبد الغني الحراني ليدرس فقه الحنابلة بالايوان الغربي وقاضي القضاة أحمد بن السروجي الحنفي ليدرس فقه الحنفية بالايوان الشرقي والشيخ صدر الدين محمد بن المرحل المعروف بابن الوكيل الشافعي ليدرس فقه الشافعية بالايوان البحري وقرر عند كل مدرس منهم عدة من الطلبة وأجرى عليهم المعاليم ورتب بها اماما يؤم بالناس في الصلوات الخمس وجعل بها خزانة كتب جليلة وأدركت هذه المدرسة وهي محترمة الى الغاية يجلس بدهليزها عدة من الطواشية ولا يمكن غريب أن يصعد اليها وكان يفرق بها على الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكر في كل شهر لكل أحد منهم نصيب ويفرق عليهم لحوم الاضاحي في كل سنة وقد بطل ذلك وذهب ما كان لها من الناموس وهي اليوم عامرة من أجل المدارس

(المدرسة الحجازية)

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة بجوار قصر الحجازية كان موضعها بابا من أبواب القصر يعرف بباب الزمرذ أنشأتها الست الجليلة الكبرى خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون زوجة الامير بكتمر الحجازي وبه عرفت وجعلت بهذه المدرسة درسا للفقهاء الشافعية قررت فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني ودرسا للفقهاء المالكية وجعلت بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة ورتبت لها اماما راتبا يقيم بالناس الصلوات الخمس وجعلت بها خزانة كتب وأنشأت بجوارها قبة من داخلها لتدفن تحتها ورتبت بشباك هذه القبة عدة قراء يتناوبون قراءة القرآن الكريم ليلا ونهارا وأنشأت بها منارا عاليا من حجارة ليؤذن عليه وجعلت بجوار المدرسة مكتبا للسبيل فيه عدة من أيتام المسلمين ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم ويجرى عليهم في كل يوم لكل منهم من الخبز النقي خمسة أرغفة ومبلغ من الفلوس ويقام لكل منهم بكسوتي الشتاء والصيف وجعلت على هذه الجهات عدة اوقاف جليلة يصرف منها لارباب الوظائف المعاليم السنية وكان يفرق فيهم كل سنة أيام عيد الفطر الكعك والخشكنانك وفي عيد الاضحى اللحم وفي شهر رمضان يطبخ لهم الطعام وقد بطل ذلك ولم يبق غير المعلوم في كل شهر وهي من المدارس الكبسة وعهدي بها محترمة الى الغاية

يجلس بها عدة من الطواشية ولا يمكنون أحدا من عبور القبة التى فيها قبر خوند الحجازية الا القراء فقط وقت قراءتهم خاصة * واتفق مرة أن شخصا من القراء كان فى نفسه شئ من أحد رفقائه فأتى الى كبير الطواشية بهذه القبة وقال له ان فلانا دخل اليوم الى القبة وهو بغير سراويل فغضب الطواشى من هذا القول وعد ذلك ذنبا عظيما وفعلا محذورا وطلب ذلك المقرئ وأمر به فضرب بين يديه وصار يقول له تدخل على خوند بغير سراويل وهم باخراجه من وظيفة القراءة لولا ما حصل من شفاعة الناس فيه وكان لا يلى نظر هذه المدرسة الا الامراء الا كابر ثم صار يليها الخدام وغيرهم وكان انشاؤها فى سنة احدى وستين وسبعمائة ولما ولى الامير جمال الدين يوسف البجاسى وظيفة أستادارية السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق وعمر بجانب هذه المدرسة داره ثم مدرسته صار يحبس فى المدرسة الحجازية من يصادره أو يعاقبه حتى امتلأت بالمسجونين والاعوان المرسمين عليهم فزالت تلك الابهة وذهب ذلك الناموس واقتدى بجمال الدين من سكن بعده من الاستادارية فى داره وجعلوا هذه المدرسة سجنا ومع ذلك فهى من ابهج مدارس القاهرة الى الآن

(المدرسة الطيبرسية)

هذه المدرسة بجوار الجامع الازهر من القاهرة وهى غربيه مما يلى الجهة البحرية أنشأها الامير علاء الدين طيبرس الخازندارى نقيب الجيوش وجعلها مسجدا لله تعالى زيادة فى الجامع الازهر وقرر بها درسا للفقهاء الشافعية وأنشأ بجوارها ميضأة وحوض ماء سبيل ترده الدواب وتأنق فى رخامها وتذهيب سقوفها حتى جاءت فى ابدع زى وأحسن قالب وأبهج ترتيب لما فيها من اتقان العمل وجودة الصناعة بحيث انه لم يقدر أحد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام فان جميعه أشكال المحاريب وبلغت النفقة عليها جملة كثيرة وانتهت عمارتها فى سنة تسع وسبعمائة ولها بسط تفرش فى يوم الجمعة كلها منقوشة بأشكال المحاريب أيضا وفيها خزانة كتب ولها امام راتب *(طيبرس) بن عبد الله الوزيرى كان فى ملك الامير بدر الدين بيلبك مملوك الخازندار الظاهرى نائب السلطنة ثم انتقل الى الامير بدر الدين بيدرا وتنقل فى خدمته حتى صار نائب الصبيبة ورأى مناما للمنصور لاجين يدل على انه يصير سلطان مصر وذلك قبل أن يتقلد السلطنة وهو نائب الشام فوعده ان صارت اليه السلطنة أن يقدمه وينوه به فلما تملك لاجين استدعاه وولاه نقابة الجيش بديار مصر عوضا عن بلبان الفاخرى فى سنة سبع وتسعين وستمائة فباشر النقابة مباشرة مشكورة الى الغاية من اقامة الحرمة وأداء الامانة والعفة المفرطة بحيث انه ما عرف عنه أنه قبل من أحد هدية البتة مع التزام الديانة والمواظبة على فعل الخير والغنى الواسع وله من الآثار الجليلة الجامع والخانقاه بأراضى بستان الخشاب المطلة على النيل خارج القاهرة فيما بينها وبين مصر بجوار المنشأة وهو أول من عمر فى أراضى بستان الخشاب وقد تقدم ذكر ذلك ومن آثاره أيضا هذه المدرسة البديعة الزى وله على كل من هذه الاماكن اوقاف جليلة ولم يزل فى نقابة الجيش الى أن مات فى العشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبعمائة ودفن فى مكان بمدرسته هذه وقبره بها الى وقتنا هذا ووجد له من بعده مال كثير جدا وأوصى الى الامير علاء الدين على الكورانى وجعل الناظر على وصيته الامير أرغون نائب السلطنة واتفق انه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضر اليه مباشروه حساب مصروفها فلما قدم اليه استدعى بطشت فيه ماء وغسل اوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شئ منها وقال شئ خرجنا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه ولهذه المدرسة شبابيك فى جدار الجامع تشرف عليه ويتوصل من بعضها اليه وما عمل ذلك حتى استفتى الفقهاء فيه فأفتوه بجواز فعله وقد تداولت ايدى نظار السوء على اوقاف طيبرس هذا فخرب اكثرها وخرب الجامع والخانقاه وبقيت هذه المدرسة عمرها الله بذكره

(المدرسة الاقبغاوية)

هذه المدرسة بجوار الجامع الازهر على يسرة من يدخل اليه من بابه الكبير البحرى وهى تشرف بشبابيك على الجامع مركبة فى جداره فصارت تجاه المدرسة الطيبرسية كان موضعها دار الامير الكبير عز الدين ايدمر الحلى نائب السلطنة فى أيام الملك الظاهر بيبرس وميضأة للجامع فانشأها الامير علاء الدين اقبغا عبد الواحد

أستادار الملك الناصر محمد بن قلاون وجعل بجوارها قبة ومنارة من حجارة منحوتة وهي أول مئذنة عملت
بديار مصر من الحجر بعد المنصورية وانما كانت قبل ذلك تبنى بالآجر بناها هي والمدرسة المعلم ابن السيوفي
رئيس المهندسين في الايام الناصرية وهو الذي تولى بناء جامع الماردينى خارج باب زويلة وبنى مئذنته أيضا
وهي مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ولا انس بيوت العبادات شيء البتة وذلك ان أقبغا عبد الواحد
اغتصب أرض هذه المدرسة بأن أقرض ورثة ايدمر الحلى مالا وامهل حتى تصرّفوا فيه ثم أعسفهم في الطلب
وألجأهم الى أن اعطوه دارهم فهدمها وبنى موضعها هذه المدرسة وأضاف الى اغتصاب البقعة أمثال ذلك
من الظلم فبناها بأنواع من الغصب والعسف وأخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها المدرسة الطيبرسية
وحشر لعملها الصناع من البنائين والنجارين والحجارين والمرخمين والفعلة وقرر مع الجميع أن يعمل كل
منهم فيها يوما في كل أسبوع بغير أجرة فكان يجتمع فيها في كل أسبوع سائر الصناع الموجودين بالقاهرة ومصر
فيجدّون في العمل نهارهم كله بغير أجرة وعليهم مملوك من مماليكه ولاه شدّ العمارة لم ير الناس أظلم منه ولا أعتى
ولا أشدّ بأسا ولا اقسى قلبا ولا اكثر عسفا فلقى العمال منه مشقات لا توصف وجاء مناسبا لمولاه وحمل مع
هذا الى هذه العمارة سائر ما يحتاج اليه من الامتعة وأصناف الآلات وأنواع الاحتياجات من الحجر والخشب
والرخام والدهان وغيره من غير أن يدفع في شيء منه ثمنا البتة وانما كان يأخذ ذلك اما بطريق الغصب
من الناس أو على سبيل الخيانة من عمائر السلطان فانه كان من جملة ما بيده شدّ العمائر السلطانية وناسب هذه
الافعال انه ما عرف عنه قط انه نزل الى هذه العمارة الا وضرب فيها من الصناع عدة ضربا مؤلما فيصير ذلك
٢ الضرب زيادة على عمله بغير أجرة فيقال فيه كملت خصالك هذه بعمارى فلما فرغ من بنائها جمع فيها سائر الفقهاء
وجميع القضاة وكان الشريف شرف الدين علي بن شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين نقيب الاشراف
ومحتسب القاهرة حينئذ يؤمّل أن يكون مدرّسها وسعى عنده في ذلك فعمل بسطا على قياسها بلغ ثمنها
ستة آلاف درهم فضة ورشاه بها ففرشت هنالك ولما تكامل حضور الناس بالمدرسة وفي الذهن أن الشريف
يلي التدريس وعرف أنه هو الذي أحضر البسط التي قد فرشت قال الامير أقبغا لمن حضر لا أولى في هذه الايام
ص أحدا وقام فتفرّق الناس وقرّر فيها درسا للشافعية ولى تدريسه ودرسا للحنفية ولى تدريسه
وجعل فيها عدة من الصوفية ولهم شيخ وقرّر بها طائفة من القرّاء يقرؤن القرآن بشباكها وجعل لها اماما راتبا
ومؤذنا وفرّاشين وقومة ومباشرين وجعل النظر للقاضي الشافعي بديار مصر وشرط في كتاب وقفه أن لا يلي
النظر أحد من ذريته ووقف على هذه الجهات حوانيت خارج باب زويلة بخط تحت الربع وقرية بالوجه القبلي
وهذه المدرسة عامرة الى يومنا هذا الا انه تعطل منها الميضأة وأضيفت الى ميضأة الجامع لتغلب بعض الامراء
بمواطأة بعض النظار على بئر الساقية التي كانت برسمها *(اقبغا عبد الواحد) الامير علاء الدين أحضره
الى القاهرة التاجر عبد الواحد بن بدال فاشتراه منه الملك الناصر محمد بن قلاون ولقبه باسم تاجره الذي أحضره
فحظي عنده وعمله شادّ العمائر فنهض فيها نهضة أعجب منه السلطان وعظمه حتى عمله أستادار السلطان بعد الامير
مغلطاي الجمالي في المحرّم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وولاه مقدّم المماليك فقويت حرمته وعظمت
مهابته حتى صار سائر من في بيت السلطان يخافه ويخشاه ومابرح على ذلك الى أن مات الملك الناصر وقام
من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر فقبض عليه في يوم الاثنين سلخ المحرّم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وأمسك
أيضا ولديه وأحيط بماله وسائر أملاكه ورسم عليه الامير طيبغا المجدي وبيع موجوده من الخيل والجمال
والجواري والقماش والاسلحة والاواني فظهر له شيء عظيم الى الغاية من ذلك انه بيع بقلعة الجبل وبها كانت
تعمل حلقات مبيعة سراويل امرأته بمبلغ مائتي ألف درهم فضة عنها نحو عشرة آلاف دينار ذهب وبيع له
أيضا قبقاب وشرموزة وخف نسائي بمبلغ خمسة وسبعين ألف درهم فضة عنها زيادة على ثلاثة آلاف دينار
وبيعت بدلة مقانع بمائة ألف درهم وكثرت المرافعات عليه من التجار وغيرهم فبعث السلطان اليه
شادّ الدواوين يعرّفه انه اقسم بتربة الشهيد يعني أباه انه متى لم يعط هؤلاء حقهم والا سمرتك على جمل وطفت بك
المدينة فشرع اقبغا في استرضائهم واعطاهم نحو المائتي ألف درهم فضة ثم نزل اليه الوزير نجم الدين محمود بن
سرور المعروف بوزير بغداد ومعه الحاج ابراهيم بن صابر مقدّم الدولة لمطالبته بالمال فأخذا منه لؤلؤا وجواهر

نفيسة وصعد بها الى السلطان وكان سبب هذه النكبة انه كان قد تحكم فى امور الدولة السلطانية وأرباب الاشغال أعلاهم وأدناهم بما اجتمع له من الوظائف وكان عنده فرّاش غضب عليه وأوجعه ضربا فأنه مرف من عنده وخدم فى دار الامير أبى بكر ولد السلطان فبعث اقبغا يستدعى بالفرّاش اليه فمنعه منه أبو بكر وأرسل اليه مع أحد مماليكه يقول له انى اريد أن تهبنى هذا الغلام ولا تشوّش عليه فلما بلغه المملوك الرسالة اشتد حنقه وسبه سبا فاحشا وقال له قل لا ستاذك يسير الفرّاش وهو جيدله وكان قبل ذلك اتفق أن الامير أبا بكر خرج من خدمة السلطان الى بيته فاذا الامير اقبغا قد بطح مملوكا وضربه فوقف أبو بكر بنفسه وسأل اقبغا فى العفو عن المملوك وشفع فيه فلم يلتفت اقبغا اليه ولا نظر الى وجهه فخجل أبو بكر من الناس لكونه وقف قائما بين يدى اقبغا وشفع عنده فلم يقم من مجلسه لوقوفه بل استمر قاعدا وأبو بكر واقف على رجليه ولا قبل مع ذلك شفاعته ومضى وفى نفسه منه حنق كبير فلما عاد اليه مملوكه وبلغه كلام اقبغا بسبب هذا الفرّاش أكد ذلك عنده ما كان من الاحنة وأخذ فى نفسه الى أن مات أبوه الملك الناصر وعهد اليه من بعده وكان قد التزم انه ان ملكه الله ليصادرن اقبغا وليضربنه بالمقارع وقال للفراش اقعد فى بيتى واذا حضر أحد لاخذك عرفت ما أعمل معه وأخذ أقبغا يترقب الفرّاش وأقام اناسا للقبض عليه فلم يتهيأ له مسكه فلما أفضى الامر الى أبى بكر استدعى الامير قوصون وكان هو القائم حينئذ بتدبير امور الدولة وعرّفه ما التزمه من القبض على اقبغا وأخذ ماله وضربه بالمقارع وذكر له وللعدّة من الامراء ما جرى له منه وكان لقوصون بأقبغا عناية فقال للسلطان السمع والطاعة يرسم السلطان بالقبض عليه ومطالبته بالمال فاذا افرغ ماله يفعل السلطان ما يختاره. وأراد بذلك تطاول المدة فى أمر اقبغا فقبض عليه ووكل به رسل ابن صابر حتى انه بات ليلة قبض عليه من غير أن يأكل شيأ وفى صبيحة تلك الليلة تحدث الامراء مع السلطان فى نزوله الى داره محتفظا به حتى يتصرف فى ماله ويحمله شيأ بعد شئ فنزل مع الجدى وباع ما يملكه وأورد المال فلما قبض على الحاج ابراهيم بن صابر واقيم ابن شمس موضعه أرسله السلطان الى بيت أقبغا ليعصره ويضربه بالمقارع ويعذبه فبلغ ذلك الامير قوصون فمنع منه وشنع على السلطان كونه امر بضربه بالمقارع وأمر بمراجعته فحنق من ذلك واطلق لسانه على الامير قوصون فلم يزل به من حضره من الامراء حتى سكت على مضض وكان قوصون يدبر فى انتقاض دولة أبى بكر الى أن خلعه وأقام بعده أخاه الملك الاشرف كجك بن محمد بن قلاون وعمره نحو السبع سنين وتحكم فى الدولة فأخرج أقبغا هو وولده من القاهرة وجعله من جملة أمراء الدولة بالشام فسار من القاهرة فى تاسع ربيع الاوّل سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة على خبز الامير مسعود بن خطير بدمشق ومعه عياله فأقام بها الى أن كانت فتنة الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاون وعصيانه بالكرك على أخيه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون فاتهم أقبغا بانه بعث مملوكا من مماليكه الى الكرك وأن الناصر أحمد خلع عليه وضربت البشائر بقلعة الكرك وأشاع أن امراء الشام قد دخلوا فى طاعته وحلفوا له وأن أقبغا قد بعث اليه مع مملوكه يبشره بذلك فلما وصل الى الملك الصالح كتاب عساف اخى شطى بذلك وصل فى وقت وروده كتاب نائب الشام الامير طقزدمر يخبر فيه بأن جماعة من امراء الشام قد كاتبوا أحمد بالكرك وكاتبهم وقد قبض عليهم ومن جملتهم أقبغا عبد الواحد فرسم بحمله مقيدا فحمل من دمشق الى الاسكندرية وقتل بها فى آخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان من الظلم والطمع والتعاظم على جانب كبير وجمع من الاموال شيأ كثيرا وأقام بجماعة من أهل الشر لتتبع أولاد الامراء وتعرّف أحوال من افتقر منهم أو احتاج الى شئ فلا يزالون به حتى يعطوه مالا على سبيل القرض بفائدة جزيلة الى أجل فاذا استحق المال اعسفه فى الطلب وألجأه الى بيع ماله من الاملاك وحلها ان كانت وقفا بعنايته به وعين لعمل هذه الحيل شخصا يعرف بابن القاهرى وكان اذا دخل لاحد من القضاة فى شراء ملك أو حل وقف لا يقدر على مخالفته ولا يجد بدا من موافقته * ومن غريب ما يحكى عن طمع اقبغا أن مشد الحاشية دخل عليه وفى اصبعه خاتم بفص أحمر من زجاج له بريق فقال له أقبغا ايش هو هذا الخاتم فأخذ يعظمه وذكر أنه من تركة أبيه فقال بكم حسبوه عليك فقال بأربعمائة درهم فقال أرنيه فناوله اياه فأخذه وتشاغل عنه ساعة ثم قال له والله فضيحة أن نأخذ خاتمك ولكن خذه انت وهات ثمنه ودفعه اليه وألزمه باحضار الاربعمائة درهم فما وسعه الا أن

أحضرها اليه فعاقبه الله بذهاب ماله وغيره وموته غريبا

(المدرسة الحسامية)

هذه المدرسة بخط المسطاح من القاهرة قريبا من حارة الوزيرية بناها الامير حسام الدين طرنطاى المنصورى نائب السلطنة بديار مصر الى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية وهى فى وقتنا هذا تجاه سوق الرقيق ويسلك منها الى درب العداس والى حارة الوزيرية والى سويقة الصاحب وباب الخوخة وغير ذلك وكان بجانبها طبقة لخياط فطلبت منه بثلاثة أمثال ثمنها فلم يبعها وقيل لطرنطاى لو طلبته لاستحى منك فلم يطلبه وتركه وطبقته وقال لا أشوش عليه * (طرنطاى) بن عبد الله الامير حسام الدين المنصورى رباه الملك المنصور قلاون صغيرا ورقاه فى خدمه الى أن تقلد سلطنة مصر فجعله نائب السلطنة بديار مصر عوضا عن الامير عز الدين ايبك الافرم الصالحى وخلع عليه فى يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وستمائة فباشر ذلك مباشرة حسنة الى أن كانت سنة خمس وثمانين فخرج من القاهرة بالعساكر الى الكرك وفيها الملك المسعود نجم الدين خضر وأخوه بدر الدين سلامش ابنا الملك الظاهر بيبرس فى رابع المحرم وسار اليها فوافاه الامير بدر الدين الصوانى بعساكر دمشق فى ألفى فارس ونازلا الكرك وقطعا الميرة عنها واستفسدا رجال الكرك حتى أخذا خضرا وسلامش بالامان فى خامس صفر وتسلم الامير عز الدين ايبك الموصلى نائب الشوبك مدينة الكرك واستقر فى نيابة السلطنة بها وبعث الامير طرنطاى بالبشارة الى قلعة الجبل فوصل البريد بذلك فى ثامن صفر ثم قدم بابنى الظاهر فخرج السلطان الى لقائه فى ثانى عشر ربيع الاول وأكرم الامير طرنطاى ورفع قدره ثم بعثه الى أخذ صهيون وبها سنقر الاشقر فسار بالعساكر من القاهرة فى سنة ست وثمانين ونازلها وحصرها حتى نزل اليه سنقر بالامان وسلم اليه قلعة صهيون وسار به الى القاهرة فخرج السلطان الى لقائه وأكرمه ولم يزل على مكانته الى أن مات الملك المنصور وقام فى السلطنة بعده ابنه الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون فقبض عليه فى يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة سنة تسع وثمانين وعوقب حتى مات يوم الاثنين خامس عشره بقلعة الجبل وبقى ثمانية أيام بعد قتله مطروحا بحبس القلعة ثم أخرج فى ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة وقد لف فى حصير وحمل على جنوية الى زاوية الشيخ أبى السعود بالقرافة فغسله الشيخ عمر السعودى شيخ الزاوية وكفنه من ماله ودفنه خارج الزاوية ليلا وبقى هنالك الى سلطنة العادل كتبغا فأمر بنقل جثته الى تربته التى أنشأها بمدرسته هذه وكان سبب القبض عليه وقتله أن الملك الاشرف كان يكرهه كراهة شديدة فانه كان يطرح جانبه فى أيام أبيه ويغض منه ويهين نوابه ويؤذى من يخدمه لانه كان يميل الى أخيه الملك الصالح علاء الدين على بن قلاون فلما مات الصالح على وانتقلت ولاية العهد الى الاشرف خليل بن قلاون مال اليه من كان ينحرف عنه فى حياة أخيه الا طرنطاى فانه ازداد تماديا فى الاعراض عنه وجرى على عادته فى أذى من ينسب اليه وأغرى الملك المنصور بشمس الدين محمد بن السلعوس ناظر ديوان الاشرف حتى ضربه وصرفه عن مباشرة ديوانه والاشرف مع ذلك يتأكد حنقه عليه ولا يجد بدا من الصبر الى أن صار له الامر بعد أبيه ووقف الامير طرنطاى بين يديه فى نيابة السلطنة على عادته وهو منحرف عنه لما أسلفه من الاساءة عليه وأخذ الاشرف فى التدبير عليه الى أن نقل له عنه أنه يحدث سرا فى افساد نظام المملكة واخراج الملك عنه وانه قصد أن يقتل السلطان وهو راكب فى الميدان الاسود الذى تحت قلعة الجبل عندما يقرب من باب الاصطبل فلم يحتمل ذلك وعندها سير أربعة ميادين والامير طرنطاى ومن وافقه عند باب سارية حتى انتهى الى رأس الميدان وقرب من باب الاصطبل وفى الظن أنه يعطف الى باب سارية ليكمل التسيير على العادة فعطف الى جهة القلعة وأسرع ودخل من باب الاصطبل فبادر الامير طرنطاى عندما عطف السلطان وساق فيمن معه ليدركوه ففاتهم وصار بالاصطبل فيمن خف معه من خواصه وما هو الا أن نزل الاشرف من الركوب فاستدعى بالامير طرنطاى فمنعه الامير زين الدين كتبغا المنصورى عن الدخول اليه وحذره منه وقال له والله انى أخاف عليك منه فلا تدخل عليه الا فى عصبة تعلم انهم يمنعونك منه ان وقع أمر تكرهه فلم يرجع اليه وغره أن أحدا لا يجسر عليه لمهابته فى القلوب ومكانته من الدولة وأن الاشرف لا يبادره بالقبض عليه وقال لكتبغا والله لو كنت نائما ما جسر خليل ينبهنى وقام ومشى الى السلطان ودخل ومعه كتبغا فلما وقف على عادته بادر اليه جماعة قد أعدهم السلطان

وقبضوا عليه فاخذه اللكم من كل جانب والسلطان يعدد ذنوبه ويذكر له اساءته وبسببه فقال له يا خوند هذا جميعه قد عملته معك وقدمت الموت بين يدي ولكن والله لتندمن من بعدي هذا والايدي تتناوب عليه حتى ان بعض الخاصكية قلع عينه وسحب الى السجن فخرج كتبغا وهو يقول ايش أعمل ويكررها فأدركه الطلب وقبض عليه أيضا ثم آل امر كتبغا بعد ذلك الى أن ولى سلطنة مصر وأوقع الاشرف الحوطة على اموال طرنطاى وبعث الى داره الامير علم الدين سنجر الشجاعى فوجد له من العين ستمائة ألف دينار ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل مصرى عنها زيادة على مائة وسبعين قنطارا فضة سوى الاوانى ومن العدد والاسلحة والاقمشة والآلات والخيول والمماليك ما يتعذر احصاء ثمنه ومن الغلات والاملاك شئ كثير جدا ووجد له من البضائع والاموال المسفرة على اسمه والودائع والمقارضات والقنود والاعسال والابقار والاغنام والرقيق وغير ذلك شئ يجل وصفه هذا سوى ما اخفاه مباشروه بمصر والشام فلما حملت أمواله الى الاشرف جعل يقلبها ويقول

من عاش بعد عدوه * يوما فقد بلغ المنى

واتفق بعد موت طرنطاى أن ابنه سأل الدخول على السلطان الاشرف فاذن له فلما وقف بين يديه جعل المنديل على وجهه وكان اعمى ثم مد يده وبكى وقال شئ لله وذكر أن لا هله أياما ما عندهم ما يأكلونه فرق له وأفرج عن أملاك طرنطاى وقال تبلغوا بريعها فسبحان من بيده القبض والبسط

(المدرسة المنكوتمرية)

هذه المدرسة بحارة بهاء الدين من القاهرة بناها بجوار داره الامير سيف الدين منكوتمر الحسامى نائب السلطنة بديار مصر فكملت فى صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة وعمل بها درسا للمالكية قرر فيه الشيخ شمس الدين محمد بن أبى القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسى المالكى ودرسا للحنفية درس فيه

وجعل فيها خزانة كتب وجعل عليها وقفا ببلاد الشام وهى اليوم بيد قضاة الحنفية يتولون نظرها وامرها متلاش وهى من المدارس الحسنة * (منكوتمر) هو أحد مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ترقى فى خدمته واختص به اختصاصا زائدا الى أن ولى مملكة مصر بعد كتبغا فى سنة ست وتسعين وستمائة فجعله أحد الامراء بديار مصر ثم خلع عليه خلع نيابة السلطنة عوضا عن الامير شمس الدين قراسنقر المنصورى يوم الاربعاء النصف من ذى القعدة فخرج سائر الامراء فى خدمته الى دار النيابة وباشر النيابة بتعاظم كثير وأعطى المنصب حقه من الحرمة الوافرة والمهابة التى تخرج عن الحد وتصرف فى سائر أمور الدولة من غير أن يعارضه السلطان فى شئ البتة وبلغت عبرة اقطاعه فى السنة زيادة على مائة ألف دينار * ولما عمل الملك المنصور الروك المعروف بالروك الحسامى فوض تفرقة منالات اقطاعات الاجناد له فجلس فى شباك دار النيابة بقلعة الجبل ووقف الحجاب بين يديه وأعطى لكل تقدمة منالات فلم يجسر أحد أن يتحدث فى زيادة ولا نقصان خوفا من سوء خلقه وشدة حمقه وبقى أياما فى تفرقة المنالات والناس على خوف شديد فان اقل الاقطاعات كان فى ايام الملك المنصور قلاوون عشرة آلاف درهم فى السنة واكثره ثلاثين ألف درهم فرجع فى الروك الحسامى اكثر اقطاعات الحلقة الى مبلغ عشرين ألف درهم ومادونها فشق ذلك على الاجناد وتقدم طائفة منهم ورموا مناشيرهم التى فرقت عليهم لان الواحد منهم وجد مناله بحق النصف مما كان له قبل الروك وقالوا لمنكوتمر اما أن تعطونا ما يقوم بكلفنا والا خذوا أخبازكم ونحن نخدم الامراء او نصير بطالين فغضب منكوتمر وأخرق بهم وتقدم الى الحجاب فضربوهم وأخذوا سيوفهم وأودعوهم السجون وأخذ يخاطب الامراء بفحش ويقول ايما قواد شكا من خبزه ويقول نقول للسلطان فعلت به وفعلت ايش يقول السلطان ان رضى يخدم والا الى لعنة الله فشق ذلك على الامراء وأسروا له الشر ثم انه لم يزل بالسلطان حتى قبض على الامير بدر الدين بيسرى وحسن له اخراج اكابر الامراء من مصر فجردهم الى سيس وأصبح وقد خلا له الجو فلم يرض بذلك حتى تحدث مع خوشداشيته بأنه لابد أن ينشئ له دولة جديدة ويخرج طغجى وكرجى من مصر ثم انه جهز حمدان ابن صلغاى الى حلب فى صورة انه يستعجل العساكر من سيس وقرر معه القبض على عدة من الامراء وأمر عدة

أمراء جعلهم له عدة وذخرا وتقدم الى الصاحب فخر الدين الخليلى بأن يعمل أوراقا تتضمن أسماء أرباب الرواتب ليقطع أكثرها فلم تدخل سنة ثمان وتسعين حتى استوحشت خواطر الناس بمصر والشام من منكوتمر وزاد حتى أراد السلطان أن يبعث بالامير طغجى الى نيابة طرابلس فتنصل طغجى من ذلك فلم يعفه السلطان منه وألح منكوتمر فى اخراجه وأغلظ للامير كرجى فى القول وحط على سلار وبيبرس الجاشنكير وأنظارهم وغض منهم وكان كرجى شرس الاخلاق ضيق العطن سريع الغضب فهم غير مرة بالفتك بمنكوتمر وطغجى يسكن غضبه فبلغ السلطان فساد قلوب الامراء والعسكر فبعث قاضى القضاة حسام الدين الحسن ابن احمد بن الحسن الرومى الحنفى الى منكوتمر يحدثه فى ذلك ويرجعه عما هو فيه فلم يلتفت الى قوله وقال أنا مالى حاجة بالنيابة أريد أخرج مع الفقراء فلما بلغ السلطان عنه ذلك استدعاه وطيب خاطره ووعده بسفر طغجى بعد أيام ثم القبض على كرجى بعده فنقل هذا للامراء فتحالفوا وقتلوا السلطان كما تقدم ذكره فى خبره وأول من بلغه خبر مقتل السلطان الامير منكوتمر فقام الى شباك النيابة بالقلعة فرأى باب القلة قد انفتح وخرج الامراء والشموع تقد والضجة قد ارتفعت فقال والله قد فعلوها وأمر فغلقت أبواب دار النيابة وألبس مماليكه آلة الحرب فبعث الامراء اليه بالامير الحسام أستادار فعرفه بمقتل السلطان وتلطف به حتى نزل وهو مشدود الوسط بمنديل وساربه الى باب القلة والامير طغجى قد جلس فى مرتبة النيابة فتقدم الى طغجى وقبل يده فقام اليه وأجلسه بجانبه وقام الامراء فى امر منكوتمر يشفعون فيه فأمر به الى الجب وانزلوه فيه وعندما استقر به ادليت له القفة التى نزل فيها وتصايحوا عليه بالصعود فطلع عليهم واذا كرجى قد وقف على رأس الجب فى عدة من المماليك السلطانية فأخذ يسب منكوتمر ويهينه وضربه بات ألقاه وذبحه بيده على الجب وتركه وانصرف فكان بين قتل أستاذه وقتله ساعة من الليل وذلك فى ليلة الجمعة عاشر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين

(المدرسة القراسنقرية)

هذه المدرسة تجاه خانقاه الصلاح سعيد السعداء فيما بين رحبة باب العيد وباب النصر كان موضعها وموضع الربع الذى بجانبها الغربى مع خانقاه بيبرس وما فى صفها الى حمام الاعسر وباب الجوانية كل ذلك من دار الوزارة الكبرى التى تقدم ذكرها أنشأها الامير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة سنة سبعمائة وبنى بجوار بابها مسجدا معلقا ومكتبا لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز وجعل بهذه المدرسة درسا للفقهاء ووقف على ذلك داره التى بحارة بهاء الدين وغيرها ولم يزل نظر هذه المدرسة بيد ذرية الواقف الى سنة خمس عشرة وثمانمائة ثم انقرضوا وهى من المدارس المليحة وكانعهد البريدية اذا قدموا من الشام وغيرها لا ينزلون الا فى هذه المدرسة حتى يتهيأ سفرهم وقد بطل ذلك من سنة تسعين وسبعمائة * (قراسنقر بن عبد الله) الامير شمس الدين الجوكندار المنصورى صار الى الملك المنصور قلاون وترقى فى خدمته الى أن ولاه نيابة السلطنة بحلب فى شعبان سنة اثنتين وثمانين وستمائة عوضا عن الامير علم الدين سنجر الباشقردى فلم يزل فيها الى أن مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الاشرف خليل بن قلاون فلما توجه الاشرف الى فتح قلعة الروم عاد بعد فتحها الى حلب وعزل قراسنقر عن نيابتها وولى عوضه الامير سيف الدين بلبان الطباخى وذلك فى أوائل شعبان سنة احدى وتسعين وكانت ولايته على حلب تسع سنين فلما خرج السلطان من مدينة حلب خرج فى خدمته وتوجه مع الامير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر فى عدة من الامراء لقتال أهل جبال كسروان فلما عاد سار مع السلطان من دمشق الى القاهرة ولم يزل بها الى أن ثار الامير بيدرا على الاشرف فتوجه معه وأعان على قتله فلما قتل بيدرا فر قراسنقر ولاجين فى نصف المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة واختفيا بالقاهرة الى أن استقر الامر للملك الناصر محمد بن قلاون وقام فى نيابة السلطنة وتدبير الدولة الامير زين الدين كتبغا فظهرا فى يوم عيد الفطر وكانا عند فرارهما يوم قتل بيدرا أطلعا الامير بهاص الزينى مملوك الامير كتبغا نائب السلطنة على حالهما فأعلم استاذه بأمرهما وتلطف به حتى تحدث فى شأنهما مع السلطان فعفا عنهما ثم تحدث مع الامير بكتاش الفخرى الى أن ضمن له التحدث مع الامراء وسعى فى الصلح بينهما

وبين

وبين الامراء والمماليك حتى زالت الوحشة وظهرا من بيت الامير كتبغا فأحضرهما بين يدى السلطان وقبلا الارض وأفيضت عليهما التشاريف وجعلهما امراء على عادتهما ونزلا الى دورهما فحمل اليهما الامراء ما جرت العادة به من التقادم فلم يزل قراسنقر على امرته الى أن خلع الملك الناصر محمد بن قلاون من السلطنة وقام من بعده الملك العادل زين الدين كتبغا فاستمر على حاله الى أن ثار الامير حسام الدين لاجين نائب السلطنة بديار مصر على الملك العادل كتبغا بمنزلة العوجاء من طريق دمشق فركب معه قراسنقر وغيره من الامراء الى أن فر كتبغا واستمر الامر لحسام الدين لاجين وتلقب بالملك المنصور فلما استقر بقلعة الجبل خلع على الامير قراسنقر وجعله نائب السلطنة بديار مصر فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة فباشر النيابة الى يوم الثلاثاء النصف من ذى القعدة فقبض عليه وأحيط بموجوده وحواصله ونوابه ودواوينه بديار مصر والشام وضيق عليه واستقر فى نيابة السلطنة بعده الامير منكوتمر وعد السلطان من أسباب القبض عليه اسرافه فى الطمع وكثرة الحمايات وتحصيل الاموال على سائر الوجوه مع كثرة ما وقع من شكاية الناس من مماليكه ومن كاتبه شرف الدين يعقوب فانه كان قد تحكم فى بيته تحكما زائدا وعظمت نعمته وكثرت سعادته وأسرف فى اتخاذ المماليك والخدم وانهمك فى اللعب الكثير وتعدى طوره وقراسنقر لا يسمع فيه كلاما وحدثه السلطان بسببه وأغلظ فى القول وألزمه بضربه وتأديبه أو اخراجه من عنده فلم يعبأ بذلك ومازال قراسنقر فى الاعتقال الى أن قتل الملك المنصور لاجين وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاون الى السلطنة فأفرج عنه وعن غيره من الامراء ورسم له بنيابة الصبيبة فخرج اليها ثم نقل منها الى نيابة حماه بعد موت صاحبها الملك المظفر تقى الدين محمود بسفارة الامير بيبرس الجاشنكير والامير سلار ثم نقل من نيابة حماه بعد ملاقاة التتر الى نيابة حلب واستقر عوضه فى نيابة حماه الامير زين الدين كتبغا الذى تولى سلطنة مصر والشام وذلك فى سنة تسع وتسعين وستمائة وشهد وقعة شقحب مع الملك الناصر محمد بن قلاون ولم يزل على نيابة حلب الى أن خلع الملك الناصر وتسلطن الملك المظفر بيبرس الجاشنكير وصار الناصر فى الكرك فلما تحرك لطلب الملك واستدعى نواب الممالك أجابه قراسنقر وأعانه برأيه وتدبيره ثم حضر اليه وهو بدمشق وقدم له شيأ كثيرا وسار معه الى مصر حتى جلس على تخت ملكه بقلعة الجبل فولاه نيابة دمشق عوضا عن الامير عز الدين الافرم فى شوال سنة تسع وسبعمائة وخرج اليها فسار الى غزة فى عدة من النواب وقبضوا على المظفر بيبرس الجاشنكير وسار به هو والامير سيف الدين الحاج بهادر الى الخطارة فتلقاهم الامير استدمر كرجى فتسلم منهم بيبرس وقيده وأركبه بغلا وأمر قراسنقر والحاج بهادر بالسير الى مصر فشق على قراسنقر تقييد بيبرس وتوهم الشر من الناصر وانزعج لذلك انزعاجا كثيرا وألقى كلوتته عن رأسه الى الارض وقال لفراشه الدنيا فانية ياليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم فترجل من حضر من الامراء ورفعوا كلوتته ووضعوها على رأسه ورجع من فوره ومعه الحاج بهادر الى ناحية الشام وقد ندم على تشييع المظفر بيبرس فجد فى سيره الى أن عبر دمشق وفى نفس السلطان منه كونه لم يحضر مع بيبرس وكان قد أراد القبض عليه فبعث الامير نوغاى القبجاقى أميرا بالشام ليكون له عينا على الامير قراسنقر ففطن قراسنقر لذلك وشرع نوغاى يتحدث فى حق قراسنقر بما لا يليق حتى ثقل عليه مقامه فقبض عليه بأمر السلطنة وسجن بقلعة دمشق ثم ان السلطان صرفه عن نيابة دمشق وولاه نيابة حلب بسؤاله وذلك فى المحرم سنة احدى عشرة وسبعمائة وكتب السلطان الى عدة من الامراء بالقبض عليه مع الامير أرغون الدوادار فلم يتمكن من التحدث فى ذلك لكثرة ما ضبط قراسنقر أموره ولازمه عند قدومه عليه بتقليد نيابة حلب بحيث لم يتمكن أرغون من الحركة الى مكان اذ وقراسنقر معه فكثر الحديث بدمشق أن أرغون انما حضر لمسك قراسنقر حتى بلغ ذلك الامراء وسمعه قراسنقر فاستدعى بالامراء وحضر الامير أرغون فقال قراسنقر بلغنى كذا وها أنا أقول ان كان حضر معك مرسوم بالقبض على فلا حاجة الى فتنة أنا طائع السلطان وهذا سيفى خذه ومد يده وحل سيفه من وسطه فقال أرغون وقد علم أن هذا الكلام مكيدة وان قراسنقر لا يمكن من نفسه انى لم أحضر الا بتقليد الامير نيابة حلب بمرسوم السلطان وسؤال الامير وحاشا لله أن السلطان يذكر فى حق الامير شيأ من هذا فقال قراسنقر غدا اركب ونسافر وانفض المجلس فبعث الى الامراء أن لا يركب أحد منهم لوداعه ولا يخرج من بيته وفرق ما عنده من الحوائص ومن الدراهم على مماليكه ليحملوا به على

أوساطهم وأمرهم بالاحتراس وقدم غلمانه وحواشيه فى الليل وركب وقت الصباح فى طلب عظيم وكانت عدة مماليكه ستمائة مملوك قد جعلهم حوله ثلاث حلقات وأركب أرغون الى جانبه وسار على غير الجادة حتى قارب حلب ثم عبرها فى العشرين من المحرم وأعاد أرغون بعدما انعم عليه بألف دينار وخلعة وخيل وتحف وأقام بمدينة حلب خائفا يترقب وشرع بعمل الحيلة فى الخلاص وصادق العربان واختص بالامير حسام الدين مهنا أمير العرب وبابنه موسى وأقدمه الى حلب وأوقفه على كتب السلطان اليه بالقبض عليه وانه لم يفعل ذلك ولم يزل به حتى أفسد ما بينه و بين السلطان ثم انه بعث يستأذن السلطان فى الحج فأعجب السلطان ذلك وظن انه بسفره يتم له التدبير عليه لما كان فيه من الاحتراز الكبير وأذن له فى السفر وبعث اليه بألفى دينار مصرية فخرج من حلب ومعه أربعمائة مملوك معدة بالفرس والجنيب والهجن وسار حتى قارب الكرك فبلغه أن السلطان كتب الى النواب وأخرج عسكرا من مصر اليه فرجع من طريق السماوة الى حلب وبها الامير سيف الدين قرطاى نائب الغيبة فمنعه من العبور الى المدينة ولم يمكن أحدا من مماليك قراسنقر أن يخرج اليه وكانت مكاتبة السلطان قد قدمت عليه بذلك فرحل حينئذ الى مهنا امير العرب واستجار به فأكرمه وبعث الى السلطان يشفع فيه فلم يجد السلطان بدا من قبول شفاعة مهنا وخير قراسنقر فيما يريد ثم أخرج عسكرا من مصر والشام لقتال مهنا وأخذ قراسنقر فبلغه ذلك فاحترس على نفسه وكتب الى السلطان يسأله فى صرخد وقصد بذلك المطاولة فأجابه الى ذلك ومكنه من أخذ حواصله التى بحلب وأعطى مملوكه ألف دينار فلما قدم عليه لم يطمئن وعبر الى بلاد الشرق فى سنة ثنتى عشرة وسبعمائة فى عدة من الامراء يريد خربندا فلما وصل الى الرحبة بعث بابنه فرج ومعه شئ من أثقاله وخيوله وأمواله الى السلطان بمصر ليعتذر من قصده خربندا ورحل بمن معه الى ماردين فتلقاه المغل وقام له نواب خربندا بالاقامات الى أن قرب الاردو فركب خربندا اليه وتلقاه واكرمه ومن معه وأنزلهم منزلا يليق بهم وأعطى قراسنقر المراغة من عمل اذربيجان وأعطى الامير جمال الدين أقوش الافرم همدان وذلك فى اوائل سنة ثنتى عشرة وسبعمائة فلم يزل هناك الى أن مات خربندا وقام من بعده أبو سعيد بركة بن خربندا فشق ذلك على السلطان وأعمل الحيلة فى قتل قراسنقر والافرم وسير اليهما الفداوية فجرت بينهم خطوب كثيرة ومات قراسنقر بالاسهال ببلد المراغة فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة يوم السبت سابع عشرى شوّال قبل موت السلطان بيسير فلما بلغ السلطان موته فى حادى عشر ذى القعدة عند ورود الخبر اليه قال ما كنت اشتهى يموت الامن تحت سيفى وأكون قد قدرت عليه و بلغت مقصودى منه وذلك انه كان قد جهز اليه عددا كثيرا من الفداوية قتل منهم بسببه مائة وعشرون فداويا بالسيف سوى من فقد ولم يوقف له على خبر وكان قراسنقر جسيما جليلا صاحب رأى وتدبير ومعرفة وبشاشة وجه وسماحة نفس وكرم زائد بحيث لا يستكثر على أحد شيأ مع حسن الشاكلة وعظم المهابة والسعادة الطائلة وبلغت عدة مماليكه ستمائة مملوك ما منهم الامن له نعمة ظاهرة وسعادة وافرة وله من الآثار بالقاهرة هذه المدرسة ودار جليلة بحارة بهاء الدين فيها كان سكنه

(المدرسة الغزنوية)

هذه المدرسة برأس الموضع المعروف بسويقة أمير الجيوش تجاه المدرسة البازكوجية بناها الامير حسام الدين قايماز النجمى مملوك نجم الدين أيوب والد الملوك وأقام بها الشيخ شهاب الدين أبو الفضل احمد بن يوسف بن على بن محمد الغزنوى البغدادى المقرئ الفقيه الحنفى ودرس بها فعرفت به وكان اماما فى الفقه وسمع على الحافظ السلفى وغيره وقرأ بنفسه وسكن مصر آخر عمره وكان فاضلا حسن الطريقة متدينا وحدث بالقاهرة بكتاب الجامع لعبد الرزاق بن همام فرواه عنه جماعة وجمع كتابا فى الشيب والعمر وقرأ عليه أبو الحسن السخاوى وأبو عمرو بن الحاجب ومولده ببغداد فى ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتوفى بالقاهرة يوم الاثنين النصف من ربيع الاول سنة تسع وتسعين وخمسمائة وهى من مدارس الحنفية

(المدرسة البوبكرية)

هذه المدرسة بجوار درب العباسى قريبا من حارة الوزيرية بالقاهرة بناها الامير سيف الدين اسنبغا بن الامير

سيف

سيف الدين بكتمر البوبكرى الناصرى ووقفها على الفقهاء الحنفية وبنى بجانبها حوض ماء للسبيل وسقاية ومكتبا للايتام وذلك فى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وبنى قبالتها جامعا فات قبل اتمامه وكان يسكن داربدر الدين الامير طرنطاى المجاورة للمدرسة الحسامية تجاه سوق الجوارى فلذلك أنشأ هذه المدرسة بهذا المكان لقربه منه ثم لما كانت سنة خمس عشرة وثمانمائة جدد بهذه المدرسة منبرا وصار يقام بها الجمعة * (اسنبغا) بن بكتمر الامير

هكذا بياض فى الاصل

(المدرسة البقرية)

هذه المدرسة فى الزقاق الذى تجاه باب الجامع الحاكمى المجاور للمنبر ويتوصل من هذا الزقاق الى ناحية العطوف بناها الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل تصغير غزال المعروف بابن البقرى أحد مسالمة القبط وناظر الذخيرة فى أيام الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاون وهو خال الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله ابن البقرى وأصله من قرية تعرف بدار البقر احدى قرى الغربية نشأ على دين النصارى وعرف الحساب وباشر الخراج الى أن أقدمه الامير شرف الدين بن الازكشى استادار السلطان ومشير الدولة فى ايام الناصر حسن فاسلم على يديه وخاطبه بالقاضى شمس الدين وخلع عليه واستقر به فى نظر الذخيرة السلطانية وكان نظرها حينئذ من الرتب الجليلة وأضاف اليه نظر الاوقاف والاملاك السلطانية ورتبه مستوفيا بمدرسة الناصر حسن فشكرت طريقته وحمدت سيرته وأظهر سيادة وحشمة وقرب أهل العلم من الفقهاء وتفضل بأنواع من البر وأنشأ هذه المدرسة فى أبدع قالب وأبهج ترتيب وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية وقرر فى تدريسها شيخنا سراج الدين عمر بن على الانصارى المعروف بابن الملقن الشافعى ورتب فيها ميعادا وجعل شيخه صاحبنا الشيخ كمال الدين بن موسى الدميرى الشافعى وجعل امام الصلوات بها المقرئ الفاضل زين الدين أبا بكر بن الشهاب أحمد النحوى وكان الناس يرحلون اليه فى شهر رمضان لسماع قراءته فى صلاة التراويح لشجا صوته وطيب نغمته وحسن أدائه ومعرفته بالقراآت السبع والعشر والشواذ ولم يزل ابن البقرى على حال السيادة والكرامة الى أن مرض مرض موته فأبعد عنه من يلوذ به من النصارى وأحضر الكمال الدميرى وغيره من أهل الخير فمازالوا عنده حتى مات وهو يشهد شهادة الاسلام فى سنة ست وسبعين وسبعمائة ودفن بمدرسته هذه وقبره بها تحت قبة فى غاية الحسن وولى نظر الذخيرة بعده أبو غالب ثم استجد فى هذه المدرسة منبر وأقيمت بها الجمعة فى تاسع جمادى الاولى سنة أربع وعشرين وثمانمائة باشارة علم الدين داود الكويز كاتب السر

(المدرسة القطبية)

هذه المدرسة بأول حارة زويلة مما يلى الخرنشف فى رحبة كوكاى عرفت بالست الجليلة عصمة الدين خاتون مؤنسة القطبية المعروفة بدار اقبال العلائى ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب ابن شادى وكان وقفها فى سنة خمس وستمائة وبها درس للفقهاء الشافعية وتصدير قراآت وفقهاء يقرؤن

(مدرسة ابن المغربى)

هذه المدرسة آخر درب الصقالبة فيما بين سويقة المسعودى وحارة زويلة بناها صلاح الدين يوسف بن ابن المغربى رئيس الاطباء تجاه داره ومات قبل اكمالها فدفن بعد موته فى قبة تجاه جامعه المطل على الخليج الناصرى بقرب بركة قرموط وصارت هذه المدرسة قائمة بغير اكمال الى أن هدمها بعض ذريته فى سنة أربع عشرة وثمانمائة وباع أنقاضها فصار موضعها طاحونة

(المدرسة البيدرية)

هذه المدرسة برحبة الايدمرى بالقرب من باب قصر الشوك فيما بينه وبين المشهد الحسينى بناها الامير بيدر الايدمرى

(المدرسة البدرية)

هذه المدرسة بجوار باب سر المدرسة الصالحية النجمية كان موضعها من جملة تربة القصر التى تقدم ذكرها فنبش شخص من الناس يعرف بناصر الدين محمد بن بدر العباسى ما هنالك من قبور الخلفاء وأنشأ هذه المدرسة فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وعمل فيها درس فقه للفقهاء الشافعية درّس فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن نصير بن رسلان البلقينى وهى مدرسة صغيرة لايكاد يصعد اليها أحد والعباسى هذا من قرية بطرف الرمل يقال لها العباسة وله فى مدينة بلبيس مدرسة وقد تلاشت بعد ماكانت عامرة مليحة

(المدرسة الملكية)

هذه المدرسة بخط المشهد الحسينى من القاهرة بناها الامير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار تجاه داره وعمل فيها درسا للفقهاء الشافعية وخزانة كتب معتبرة وجعل لها عدة أوقاف وهى الى الآن من المدارس المشهورة وموضعها من جملة رحبة قصر الشوك وقد تقدم ذكرها عند ذكر الرحاب من هذا الكتاب ثم صار موضع هذه المدرسة دارا تعرف بدار ابن كرمون صهر الملك الصالح

(المدرسة الجمالية)

هذه المدرسة بجوار درب راشد من القاهرة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب سيف الدولة نادر بناها الامير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى وجعلها مدرسة للحنفية وخانقاه للصوفية وولى تدريسها ومشيخة التصوف بها الشيخ علاء الدين على بن عثمان التركمانى الحنفى وتداولها ابنه قاضى القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى الحنفى وابنه قاضى القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله بن على التركمانى الحنفى ثم قريبهم حميد الدين حماد وهى الآن بيد ابن حميد الدين المذكور وكان شأن هذه المدرسة كبيرا يسكنها أكابر فقهاء الحنفية وتعد من أجل مدارس القاهرة ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفى البلاد الشامية وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها وتخريبهم أوقافها وتعطل منها حضور الدرس والتصوف وصارت منزلا يسكنه اخلاط ممن ينسب الى اسم الفقه وقرب الخراب منها وكان بناؤها فى سنة ثلاثين وسبعمائة *(مغلطاى) ابن عبد الله الجمالى الامير علاء الدين عرف بخرز وهى بالتركية عبارة عن الديك بالعربية اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاون ونقله وهو شاب من الجامكية الى الامرة على اقطاع الامير صارم الدين ابراهيم الابراهيمى نقيب المماليك السلطانية المعروف بزير الامرة فى صفر سنة ثمان عشرة وسبعمائة وصار السلطان يندبه فى التوجه الى المهمات الخاصة به ويطلعه على سره ثم بعثه أمير الركب الى الحجاز فى هذه السنة فقبض على الشريف أسد الدين رميثة بن أبى نمى صاحب مكة وأحضره الى قلعة الجبل فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وسبعمائة مع الركب فأنكر عليه السلطان سرعة دخوله لما أصاب الحاج من المشقة فى الاسراع بهم ثم انه جعل استادارا السلطان لما قبض على القاضى كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله ناظر الخواص عند وصوله من دمشق بعد سفره اليها لاحضار شمس الدين غبريال فيوم حضر خلع عليه وجعل استادارا عوضا عن الامير سيف الدين بكتمر العلائى وذلك فى جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ثم أضاف اليه الوزارة وخلع عليه فى يوم الخميس ثامن رمضان سنة أربع وعشرين عوضا عن الصاحب أمين الملك عبد الله ابن الغنام بعد ما استعفى من الوزارة واعتذر بأنه رجل عمى فلم يعفه السلطان وقال أنا اخلى من يباشر معك ويعرّفك ماتعمل وطلب شمس الدين غبريال ناظر دمشق منها وجعله ناظر الدولة رفيقا للوزير الجمالى فرفعت قصة الى السلطان وهو فى القصر من القلعة فيها الحط على السلطان بسبب تولية الجمالى الوزارة والماس حاجبا وانه بسبب ذلك اضاع أوضاع المملكة وأهانها وفرّط فى اموال المسلمين والجيش وان هذا لم يفعله أحد من الملوك فقد وليت الحجابة لمن لايعرف يحكم ولا يتكلم بالعربى ولا يعرف الاحكام الشرعية ووليت الوزارة والاستادارية لشاب لايعرف يكتب اسمه ولايعرف مايقال له ولا يتصرف فى امور المملكة ولا فى الاموال الديوانية الا أرباب الاقلام فانهم يأكلون المال ويصلون على الوزير فلما وقف السلطان عليها أوقف عليها القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله المعروف بالفخر ناظر الجيش فقال هذه ورقة الكتاب البطالين ممن انقطع

رزقه وكثر حسده وقرّر مع السلطان أن يلزم الوزير ناظر الدولة وناظر الخواص باحضار اوراق فى كل يوم تشتمل على اصل الحاصل وما حمل فى ذلك اليوم من البلاد والجهات وما صرف وأنه لا يصرف لاحد شئ البتة الا بأمر السلطان وعلمه فلما حضر الوزير الجمالى انكر عليه السلطان وقال له ان الدواوين تلعب بك وأمر فأحضر التاج اسحاق وغبريال ومجد الدين بن لعيبة وقرّر معهم أن يحضروا آخر كل يوم أوراقا بالحاصل والمصروف وقد فصلت بأسماء ما يحتاج الى صرفه والى شرائه وبيعه فصاروا يحضرون كل يوم الاوراق الى السلطان وتقرأ عليه فيصرف ما يختار ويوقف ما يريد ورسم أيضا أن مال الجيزة كله يحمل الى السلطان ولا يصرف منه شئ ثم لما كانت الفتنة بثغر الاسكندرية بين أهلها وبين الفرنج وغضب السلطان على أهل الاسكندرية بعث بالجمالى اليها فسار من القاهرة فى اثناء رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة ودخل اليها فجلس بالخمس واستدعى بوجوه أهل البلد وقبض على كثير من العامة ووسط بعضهم وقطع ايدى جماعة وأرجلهم وصادر أرباب الاموال حتى لم يدع أحدا له ثروة حتى ألزمه بمال كثير فباع الناس حتى ثياب نسائهم فى هذه المصادرة وأخذ من التجار شيأ كثيرا مع ترفقه بالناس فيما يرد عليه من الكتب بسفك الدماء وأخذ الاموال ثم أحضر العدد التى كانت بالثغر مرصدة برسم الجهاد فبلغت ستة آلاف عدّة ووضعها فى حاصل وختم عليه وخرج من الاسكندرية بعد عشرين يوما وقد سفك دماء كثيرة وأخذ منها مائتى ألف دينار للسلطان وعاد الى القاهرة فلم يزل على حاله الى أن صرف عن الوزارة فى يوم الاحد ثانى شوّال سنة ثمان وعشرين ورسم أن توفر وظيفة الوزارة من ولاية وزير فلم يستقرّ أحد فى الوزارة وبقى الجمالى على وظيفة الاستادارية وكان سبب عزله عن الوزارة توقف حال الدولة وقلة الواصل اليها فعمل عليه الفخر ناظر الجيش والتاج اسحاق بسبب تقديمه لمجد بن لعيبة فانه كان قد استقرّ فى نظر الدولة والصحبة والبيوت وتحكم فى الوزير وتسلم قياده فكثرت مرافعات فى الوزير وأنه أخذ مالا كثيرا من مال الجيزة فخرج الامير أيتمش المحمدى بالكشف عليه وهمّ السلطان بايقاع الحوطة به فقام فى حقه الامير بكتمر الساقى حتى عفى عنه وقبض على كثير من الدواوين ثم انه سافر الى الحجاز فلما عاد توفى بسطح عقبة ايلة فى يوم الاحد سابع عشر المحرّم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فصبر وحمل الى القاهرة ودفن بهذه الخانقاه فى يوم الخميس حادى عشرى المحرّم المذكور وبعد ما صلى عليه بالجامع الحاكمى وولى السلطان بعده الاستادارية الامير أقبغا عبد الواحد وكان ينوب عن الجمالى فى الاستادارية الطنقش مملوك الافرم نقلها اليها من ولاية الشرقية وكان الجمالى حسن الطباع يميل الى الخير مع كثرة الحشمة ومما شكر عليه فى وزارته انه لم يجعل على أحد ولاية مباشرة وأنشأ ناسا كثيرا وقصد من سائر الاعمال وكان يقبل الهدايا ويحب التقادم فخلت له الدنيا وجمع منها شيأ كثيرا وكان اذا أخذ من أحد شيأ على ولاية لا يعزله حتى يعرف انه قد اكتسب قدر ما وزنه له ولو أكثر عليه فى السعى فاذا عرف انه أخذ ما غرمه عزله وولى غيره ولم يعرف عنه انه صادر أحدا ولا اختلس مالا وكانت أيامه قليلة الشر الا انه كان يعزل ويولى بالمال فتزايد الناس فى المناصب وكان له عقب بالقاهرة غير صالحين ولا مصلحين

(المدرسة الفارسية)

هذه المدرسة بخط الفهادين من أوّل العطوفية بالقاهرة كان موضعها كنيسة تعرف بكنيسة الفهادين فلما كانت واقعة النصارى فى سنة ست وخمسين وسبعمائة هدمها الامير فارس الدين البكى قريب الامير سيف الدين آل ملك الجوكندار وبنى هذه المدرسة ووقف عليها وقفا يقوم بما تحتاج اليه

(المدرسة السابقية)

هذه المدرسة داخل قصر الخلفاء الفاطميين من جملة القصر الكبير الشرقى الذى كان داخل دار الخلافة ويتوصل الى هذه المدرسة الآن من تجاه حمام البيسرى بخط بين القصرين وكان يتوصل اليها أيضا من باب القصر المعروف بباب الريح من خط الركن المخلق وموضعه الآن قيسارية الامير جمال الدين يوسف الاستادار بنى هذه المدرسة الطواشى الامير سابق الدين مثقال الانوكى مقدّم المماليك السلطانية الاشرفية وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية قرّر فى تدريسه شيخنا شيخ الشيوخ سراج الدين عمر بن على الانصارى المعروف بابن

الملقن الشافعى وجعل فيها تصدير قراآت وخزانة كتب وكتابا يقرأ فيه ايتام المسلمين وبنى بينها وبين داره التى تعرف بقصر سابق الدين حوض ماء للسبيل هدمه الا جمال الدين يوسف الاستادار لما بنى داره المجاورة لهذه المدرسة وولى سابق الدين تقدمة المماليك بعد الطواشى شرف الدين مختص الطغتمرى فى صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة ثم تنكر عليه الامير يلبغا الخاصكى القائم بدولة الملك الاشرف شعبان بن حسين وضربه ستمائة عصا وسجنه ونفاه الى اسوان فى آخر شهر ربيع الاول سنة ثمان وستين فلم يكن غير قليل حتى قتل الامير يلبغا فاستدعى الاشرف سابق الدين من قوص وصرف ظهير الدين مختارا المعروف بشاذروان عن التقدمة وأعاده اليها فاستمر الى أن مات سنة ست وسبعين وسبعمائة

(المدرسة القيسرانية)

هذه المدرسة بجوار المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب فيما بينها وبين باب الخوخة كانت دارا يسكنها القاضى الرئيس شمس الدين محمد بن ابراهيم القيسرانى أحد موقعى الدست بالقاهرة فوقفها قبل موته مدرسة وذلك فى ربيع الاول سنة احدى وخمسين وسبعمائة وتوفى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وكان حشما كبير الهمة سعى بالامير سيف الدين بهادر الدمرداشى فى كتابة السر بالقاهرة مكان علاء الدين على بن فضل الله العمرى فلم يتم ذلك ومات الامير بهادر فانحط جانبه وكانت دنياه واسعة جدا وله عدة مماليك يتوصل بهم الى السعى فى اغراضه عند أمراء الدولة وكان ينسب الى شح كبير

(المدرسة الزمامية)

هذه المدرسة بخط رأس البندقانيين من القاهرة فيما بين البندقانيين وسويقة الصاحب بناها الامير الطواشى زين الدين مقبل الرومى زمام الآدر الشريفة للسلطان الظاهر برقوق فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة وجعل بها درسا وصوفية ومنبرا يخطب عليه فى كل جمعة وبينها وبين المدرسة الصاحبية دون مدى الصوت فيسمع كل من صلى بالموضعين تكبير الآخر وهذا وأنظاره بالقاهرة من شنيع ما حدث فى غير موضع ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم على ازالة هذه المبتدعات

(المدرسة الصغيرة)

هذه المدرسة فيما بين البندقانيين وطواحين الملحيين ويعرف خطها بيت محب الدين ناظر الجيوش ويعرف أيضا بخط بين العواميد بنتها الست ايدكين زوجة الامير سيف الدين بكجا الناصرى فى سنة احدى وخمسين وسبعمائة

(مدرسة تربة ام الصالح)

هذه المدرسة بجوار المدرسة الاشرفية بالقرب من المشهد النفيسى فيما بين القاهرة ومصر موضعها من جملة ما كان بستانا أنشأها الملك المنصور قلاوون على يد الامير علم الدين سنجر الشجاعى فى سنة اثنتين وثمانين وستمائة برسم أم الملك الصالح علاء الدين على بن الملك المنصور قلاوون فلما كمل بناؤها نزل اليها الملك المنصور ومعه ابنه الصالح على وتصدق عند قبرها بمال جزيل ورتب لها وقفا حسنا على قراء وفقهاء وغير ذلك وكانت وفاتها فى سادس عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة

(مدرسة ابن عزام)

هذه المدرسة بجوار جامع الامير حسين بحكر جوهر النوبى من بر الخليج الغربى خارج القاهرة أنشأها الامير صلاح الدين خليل بن عزام وكان من فضلاء الناس تولى نيابة الاسكندرية وكتب تاريخا وشارك فى علوم فلما قتل الامير بركة بسجن الاسكندرية ثارت مماليكه على الامير الكبير برقوق حنقا لقتله فانكر الامير برقوق قتله وبعث الامير يونس النوروزى دواداره لكشف ذلك فنبش عنه قبره فاذا فيه ضربات عدة احداهن فى رأسه فاتهم ابن عزام بقتله من غير اذن له فى ذلك فأخرج بركة من قبره وكان بثيابه من غير غسل ولا كفن وغسله وكفنه وأحضر ابن عزام معه فسجن بخزانة شمائل داخل باب زويلة من القاهرة ثم عصر وأخرج يوم الخميس خامس عشر رجب سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة من خزانة شمائل وأمر به فسمر عريانا بعد ما ضرب عند باب القلة

بالمقارع

بالمقارع سنة وثمانين بحضرة الامير قطلودمر الخازندار والامير مامور حاجب الحجاب فلما أنزل من القلعة وهو مسمر على الجمل أنشد

لك قلبي تحله فدمي لم تحله
لك من قلبي المكان فلم لا تحله
قال ان كنت مالكا فلي الامر كله

وما هو الا أن وقف بسوق الخيل تحت القلعة واذا بمماليك بركة قد أكبت عليه تضربه بسيوفها حتى تقطع قطعا وحز رأسه وعلق على باب زويلة وتلاعبت ايديهم فأخذوا احد أذنه وأخذوا احد رجله واشترى آخر قطعة من لحمه ولاكها ثم جمع ما وجد منه ودفن بمدرسته هذه فقال في ذلك صاحبنا الاديب شهاب الدين أحمد بن العطار

بدت أجزاء عزام خليل * مقطعة من الضرب الثقيل
وأبدت أبحر الشعر المراثى * محررة بتقطيع الخليل

(المدرسة المحمودية)

هذه المدرسة بخط الموازنيين خارج باب زويلة تجاه دار القرد مية يشبه أن موضعها كان في القديم من جملة الحارة التي كانت تعرف بالمنصورية أنشأها الامير جمال الدين محمود بن علي الاستادار في سنة سبع وتسعين وسبعمائة ورتب بها درسا وعمل فيها خزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها وهي باقية الى اليوم لا يخرج لاحد منها كتاب الا أن يكون في المدرسة وبهذه الخزانة كتب الاسلام من كل فن وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر * (محمود) بن علي بن اصفر عينه الامير جمال الدين الاستادار ولي شد باب رشيد بالاسكندرية مدة وكانت واقعة الفرنج بها في سنة سبع وستين وسبعمائة وهو مشد فيقال ان ماله الذي وجد له حصله يومئذ ثم انه سار الى القاهرة فلما كانت ايام الظاهر برقوق خدم أستادارا عند الامير سودون باق ثم استقر شاد الدواوين الى أن مات الامير بهادر المنجكي أستادار السلطان فاستقر عوضا عنه في وظيفة الاستادارية يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة ثم خلع عليه في يوم الخميس خامسه واستقر مشير الدولة فصار يتحدث في دواوين السلطنة الثلاثة وهي الديوان المفرد الذي يتحدث فيه الاستادار وديوان الوزارة ويعرف بالدولة وديوان الخاص المتعلق بنظر الخواص وعظم امره ونفذت كلمته لتصرفه في سائر أمور المملكة فلما زالت دولة الملك الظاهر برقوق بحضور الامير يلبغا الناصري نائب حلب في يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة بعساكر الشام الى القاهرة واختفى الظاهر ثم امسكه هرب هو وولده فنهبت دوره ثم انه ظهر من الاستتار في يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة وقدم للامير يلبغا الناصري مالا كثيرا فقبض عليه وقيده وسجنه بقلعة الجبل وأقيم بدله في الاستادارية الامير علاء الدين اقبغا الجوهري فلما زالت دولة يلبغا الناصري بقيام الامير منطاش عليه قبض على اقبغا الجوهري فيمن قبض عليه من الامراء وأفرج عن الامير محمود في يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وألبسه قباء مطرزا بذهب وأنزله الى داره ثم قبض عليه وسجن بخزانة الخاص في يوم الاحد سادس عشر ذي الحجة في عدة من الامراء والمماليك عند عزم منطاش على السفر لحرب برقوق عند خروجه من الكرك ومسيره الى دمشق فكانت جملة ما حمله الامير محمود من الذهب العين للامير يلبغا الناصري وللامير منطاش ثمانية وخمسين قنطارا من الذهب المصري منها ثمانية عشر قنطارا في ليلة واحدة فلم يزل في الاعتقال الى أن خرج المماليك مع الامير بوطا في ليلة الخميس ثاني صفر سنة اثنين وتسعين وسبعمائة فخرج معهم وأقام بمنزله الى أن عاد الملك الظاهر برقوق الى المملكة في رابع عشر صفر فخلع عليه واستقر أستادار السلطان على عادته في يوم الاثنين تاسع عشري جمادى الاولى من السنة المذكورة عوضا عن الامير قرقماس الطشتمري بعد وفاته ثم خلع على ولده الامير ناصر الدين محمد بن محمود في يوم الخميس ثاني عشري صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة واستقر نائب السلطنة بثغر الاسكندرية عوضا عن الامير ألطنبغا المعلم فقويت حرمة الامير محمود ونفذت كلمته الى يوم الاثنين حادي عشر رجب من السنة المذكورة فثار عليه المماليك السلطانية بسبب تأخر كسوتهم ورموه من أعلى القلعة بالحجارة

وأحاطوا به وضربوه يريدون قتله لولا أن الله أغاثه بوصول الخبر الى الامير الكبير ايتمش وكان يسكن قريبا من القلعة فركب بنفسه وساق حتى أدركه وفرّق عنه المماليك وسار به الى منزله حتى سكنت الفتنة ثم شيعه الى داره فكانت هذه الواقعة مبدأ اضمحلال أمره فان السلطان صرفه عن الاستادارية وولى الامير الوزير ركن الدين عمر بن قايماز في يوم الخميس رابع عشره وخلع على الامير محمود قباء بطرز ذهب واستقر على امرته ثم صرف ابن قايماز عن الاستادارية وأعيد محمود في يوم الاثنين خامس عشر رمضان وأنعم على ابن قايماز بامرة طبلخاناه فجدد بثغر الاسكندرية دار ضرب عمل فيها فلوس ناقصة الوزن ومن حينئذ اختل حال الفلوس بديار مصر ثم لما خرج الملك الظاهر الى البلاد الشامية في سنة ست وتسعين سار في ركابه ثم حضر الى القاهرة في يوم الاربعاء سابع صفر سنة سبع وتسعين وسبعمائة قبل حضور السلطان وكان دخوله يوما مشهودا فلما عاد السلطان الى قلعة الجبل حدث منه تغير على الامير محمود في يوم السبت ثالث عشري ربيع الاول وهمّ بالايقاع به فلما صار الى داره بعث اليه الامير علاء الدين علي بن الطبلاوي يطلب منه خمسمائة ألف دينار وان توقف يحيط به ويضرب بالمقارع فنزل اليه وقرّر الحال على مائة وخمسين ألف دينار فطلع على العادة الى القلعة في يوم الاثنين خامس عشريه فسبه المماليك السلطانية ورجموه ثم ان السلطان غضب عليه وضربه في يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر بسبب تأخر النفقة وأخذ أمره يتحلل فولى السلطان الامير صلاح الدين محمد ابن الامير ناصر الدين محمد بن الامير تنكز أستادارية الاملاك السلطانية في يوم الاثنين خامس رجب وولى علاء الدين علي بن الطبلاوي في رمضان التحدث في دار الضرب بالقاهرة والاسكندرية والتحدث في المتجر السلطاني فوقع بينه وبين الامير محمود كلام كثير ورافعه ابن الطبلاوي بحضرة السلطان وخرج عليه من دار الضرب ستة آلاف درهم فضة فألزم السلطان محمودا بحمل مائة وخمسين ألف دينار فحملها وخلع عليه عند تكميله حملها في يوم الاحد تاسع عشري رمضان وخلع أيضا على ولده الامير ناصر الدين وعلى كاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب الاسكندراني وعلى الامير علاء الدين علي بن الطبلاوي ثم ان محمودا وعك بدنه فنزل اليه السلطان في يوم الاثنين ثالث عشر ذي القعدة يعوده فقدّم له عدّة تقادم قبل بعضها وردّ بعضها وتحدّث الناس أنه استقلها فلما كان يوم السبت سادس صفر سنة ثمان وتسعين بعث السلطان الى الامير محمود الطواشي شاهين الحسني فأخذ زوجتيه وكاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب وأخذ مالا وقماشا على حمالين وصار بهما الى القلعة هذا ومحمود مريض لازم الفراش ثم عاد من يومه وأخذ الامير ناصر الدين محمد بن محمود وحمله الى القلعة ثم نزل ابن غراب ومعه الامير الى باي الخازندار في يوم الاحد سابعه وأخذا من ذخيرة بدار محمود خمسين ألف دينار وفي يوم الخميس حادي عشره صرف محمود عن الاستادارية واستقر عوضه الامير سيف الدين قطلوبك العلائي أستادار الامير الكبير ايتمش وقرّر سعد الدين بن غراب ناظر الديوان المفرد فاجتمع مع ابن الطبلاوي على عداوة محمود والسعي في اهلاكه وسلم ابن محمود الى ابن الطبلاوي في تاسع عشر ربيع الاول ليستخلص منه مائة ألف دينار ونزل الطواشي صندل المنجكي والطواشي شاهين الحسني في ثالث عشريه ومعهما ابن الطبلاوي فأخذا من خربة خلف مدرسة محمود زيرين كبيرين وخمسة ازيار صغارا وجد فيها ألف ألف درهم فضة فحملت الى القلعة ووجد أيضا بهذه الخربة جرّتان في أحداهما ستة آلاف دينار وفي الاخرى أربعة آلاف درهم فضة وخمسمائة درهم وقبض على مباشري محمود ومباشري ولده وعوقب محمود ثم أوقعت الحوطة على موجود محمود في يوم الخميس سابع جمادى الاولى ورسم عليه ابن الطبلاوي في داره وأخذ مماليكه واتباعه ولم يدع عنده غير ثلاث مماليك صغار وظهرت أموال محمود شيأ بعد شيء ثم سلم الى الامير فرج شادّ الدواوين في خامس جمادى الآخرة فنقله الى داره وعاقبه وعصره في ليلته ثم نقل في شعبان الى دار ابن الطبلاوي فضربه وسعطه وعصره فلم يعترف بشيء وحكي عنه انه قال لو عرفت أني أعاقب ما اعترفت بشيء من المال وظهر منه في هذه المحنة ثبات وجلد وصبر مع قوّة نفس وعدم خضوع حتى انه كان يسب ابن الطبلاوي اذا دخل اليه ولا يرفع له قدرا ثم ان السلطان استدعاه الى ما بين يديه يوم السبت أوّل صفر سنة تسع وتسعين وحضر سعد الدين بن غراب فشافهه بكل سوء ورافعه في وجهه حتى استغضب السلطان على محمود وأمر بمعاقبته حتى يموت فأنزل الى بيت الامير حسام الدين حسين ابن أخت الفرس شادّ الدواوين وكان أستادار محمود فلم يزل عنده في العقوبة الى أن نقل من داره الى خزانة

شمائل

شمائل فى ليلة الجمعة ثالث جمادى الاولى وهو مريض فمات بها فى ليلة الاحد تاسع رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة ودفن من الغد بمدرسته وقد أناف على الستين سنة وكان كثير الصلاة والعبادة مواظبا على قيام الليل الا انه كان شحيحا مسيكا شرها فى الاموال رمى الناس منه فى رماية البضائع بدواه اذا نسبت الى ما حدث من بعده كانت عافية ونعمة واكثر من ضرب الفلوس بديار مصر حتى فسد بكثرتها حال اقليم مصر وكان جملة ما حمل من ماله بعد نكبته هذه مائة قنطار ذهبا وأربعين قنطارا عنها ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار عينا وألف ألف درهم فضة وأخذ له من البضائع والغلال والقنود والاعسال ماقيمته ألف ألف درهم وأكثر

(المدرسة المهذبية)

هذه المدرسة بحارة حلب خارج القاهرة عند حمام قارى بناها الحكيم مهذب الدين محمد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حليقة تصغير حلقة رئيس الاطباء بديار مصر ولى رياسة الاطباء فى حادى عشر رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة واستقر مدرس الطب بالمارستان المنصورى

(المدرسة السعدية)

هذه المدرسة خارج القاهرة بقرب حدرة البقر على الشارع المسلوك فيه من حوض ابن هنس الى الصليبة وهى فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل كان موضعها يعرف بخط بستان سيف الاسلام وهى الآن فى ظهر بيت قوصون المقابل لباب السلسلة من قلعة الجبل بناها الامير شمس الدين سنقر السعدى نقيب المماليك السلطانية فى سنة خمس عشرة وسبعمائة وبنى بها أيضا رباطا للنساء وكان شديد الرغبة فى العمائر محبا للزراعة كثير المال ظاهر الغنى وهو الذى عمر القرية التى تعرف اليوم بالنحريرية من أعمال الغربية وكانت اقطاعه ثم انه أخرج من مصر بسبب نزاع وقع بينه وبين الامير قوصون فى أرض أخذها منه فسار الى طرابلس وبها مات فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

(المدرسة الطفجية)

هذه المدرسة بخط حدرة البقر أيضا أنشأها الامير سيف الدين طفجى الاشرفى ولها وقف جيد (طفجى) الامير سيف الدين كان من جملة مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاون ترقى فى خدمته حتى صار من جملة أمراء ديار مصر فلما قتل الملك الاشرف قام طفجى فى المماليك الاشرفية وحارب الامير بيدرا المتولى لقتل الاشرف حتى أخذه وقتله فلما أقيم الملك الناصر محمد بن قلاون فى المملكة بعد قتل بيدرا صار طفجى من أكابر الامراء واستمر على ذلك بعد خلع الملك الناصر بكتبغا مدة أيامه الى أن خلع الملك العادل كتبغا وقام فى سلطنة مصر الملك المنصور لاجين وولى مملوكه الامير سيف الدين منكوتمر نيابة السلطنة بديار مصر فأخذ يواحش امراء الدولة بسوء تصرفه واتفق أن طفجى حج فى سنة سبع وتسعين وستمائة فقرر منكوتمر مع المنصور انه اذا قدم من الحج يخرجه الى طرابلس ويقبض على أخيه الامير سيف الدين كرجى فعند ما قدم طفجى من الحجاز فى صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة رسم له بنيابة طرابلس فثقل عليه ذلك وسعى بأخوته الاشرفية حتى اعفاه السلطان من السفر فسخط منكوتمر وأبى الا سفر طفجى وبعث اليه يلزمه بالسفر وكان لاجين منقادا لمنكوتمر لا يخالفه فى شئ فتواعد طفجى وكرجى مع جماعة من المماليك وقتلوا لاجين وتولى قتله كرجى وخرج فاذا طفجى فى انتظاره على باب القلة من قلعة الجبل فسر بذلك وأمر باحضار من بالقلعة من الامراء وكانوا حينئذ يبيتون بالقلعة دائما وقتل منكوتمر فى تلك الليلة وعزم على أنه يتسلطن ويقيم كرجى فى نيابة السلطنة فخذله الامراء وكان الامير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح قد خرج فى غزاة وقرب حضوره فاستمهلوه بما يريد الى أن يحضر فأخر سلطنته وبقى الامراء فى كل يوم يحضرون معه فى باب القلة ويجلس فى مجلس النيابة والامراء عن يمينه وشماله ويمد سماط السلطان بين يديه فلما حضر أمير سلاح بمن معه من الامراء نزل طفجى والامراء الى لقائهم بعد ما امتنع امتناعا كثيرا وترك كرجى يحفظ القلعة بمن معه من المماليك الاشرفية وقد نوى طفجى الشر للامراء الذين قد خرج الى لقائهم وعرف ذلك الامراء المقيمون عنده فى القلعة فاستمدوا له وسارهو والامراء الى أن لقوا الامير بكتاش

ومعه من الاشرفية أربعمائة فارس تحفظه حتى يعود من اللقاء الى القلعة فعندما وافاه بقبة النصر وتعانقا أعلمه بقتل السلطان فشق عليه وللوقت جرّد الامراء سيوفهم وارتفعت الضجة فساق طغجى من الحلقة والامراء وراءه الى أن أدركه قراقوش الظاهرى وضربه بسيف ألقاه عن فرسه الى الارض ميتا فقتر كرجى ثم أخذ وقتل وحمل طغجى فى مزبلة من مزابل الحمامات على حمار الى مدرسته هذه فدفن بها وقبره هنالك الى اليوم وكان قتله فى يوم الخميس سادس عشر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة بعد خمسة أيام من قتل لاجين ومنكوتمر

(المدرسة الجاولية)

هذه المدرسة بجوار الكبش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولى فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وعمل بها درسا وصوفية ولها الى هذه الايام عدّة أوقاف (سنجر) بن عبد الله الامير علم الدين الجاولى كان مملوك جاولى أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس وانتقل بعد موت الامير جاولى الى بيت قلاون وخرج فى أيام الاشرف خليل بن قلاون الى الكرك واستقرّ فى جملة البحرية بها الى أيام العادل كتبغا فحضر من عند نائب الكرك ومعه حوائجخاناه فرفعه كتبغا وأقامه على الخوشخاناه السلطانية وصحب الامير سلار وواخاه فتقدّم فى الخدمة وبقى أستادارا صغيرا فى أيام بيبرس وسلار فصار يدخل على السلطان الملك الناصر ويخرج ويراعى مصالحه فى أمر الطعام ويتقرّب اليه فلما حضر من الكرك جهزه الى غزة نائبا فى جمادى الاولى سنة احدى عشرة وسبعمائة عوضا عن الامير سيف الدين قطلوأقتمر عبد الخالق بعد امساكه وأضاف اليه مع غزة الساحل والقدس وبلد الخليل وجبل نابلس وأعطاه اقطاعا كبيرا بحيث كان للواحد من مماليكه اقطاع بعمل عشرين ألفا وخمسة وعشرين ألفا وعمل نيابة غزة على القالب الجائر الى أن وقعت بينه وبين الامير تنكز نائب الشام بسبب دار كانت له تجاه جامع تنكز خارج دمشق من شمالها أراد تنكز أن يبتاعها منه فأبى عليه فكتب فيه الى الملك الناصر محمد بن قلاون فأمسكه فى ثامن عشرى شعبان سنة عشرين وسبعمائة واعتقله نحوا من ثمان سنين ثم أفرج عنه فى سنة تسع وعشرين وأعطاه امرة أربعين ثم بعد مدّة أعطاه امرة مائة وقدّمه على ألف وجعله من أمراء المشورة فلم يزل على هذا الى أن مات الملك الناصر فتولى غسله ودفنه فلما ولى الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون سلطنة مصر أخرجه الى نيابة حماه فأقام بها مدّة ثلاثة أشهر ثم نقله الى نيابة غزة فحضر اليها وأقام بها نحو ثلاثة اشهر أيضا ثم أحضره الى القاهرة وقرّره على ما كان عليه وولى نظر المارستان بعد نائب الكرك عندما أخرج الى نيابة طرابلس ثم توجه لحصار الناصر أحمد بن محمد بن قلاون وهو ممتنع فى الكرك فأشرف عليه فى بعض الايام الناصر أحمد من قلعة الكرك وسبه وشتمه فقال له الجاولى نعم أنا شيخ نحس ولكن الساعة ترى حالك مع الشيخ النحس ونقل المنجنيق الى مكان يعرفه ورمى به فلم يخط القلعة وهدم منها جانبا وطلع بالعسكر وأمسك أحمد وذبحه صبرا وبعث برأسه الى الصالح اسماعيل وعاد الى مصر فلم يزل على حاله الى أن مات فى منزله بالكبش يوم الخميس تاسع رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن بمدرسته وكانت جنازته حافلة الى الغاية قد سمع الحديث وروى وصنف شرحا كبيرا على مسند الشافعى رحمه الله وأفتى فى آخر عمره على مذهب الشافعى وكتب خطه على فتاوى عديدة وكان خبيرا بالامور عارفا بسياسة الملك كفوا لما وليه من النيابات وغيرها لا يزال يذكر أصحابه فى غيبتهم عنه ويكرمهم اذا حضروا عنده وانتفع به جماعة من الكتاب والعلماء والاكابر وله من الآثار الجليلة الفاضلة جامع بمدينة غزة فى غاية الحسن وله بها أيضا حمام مليح ومدرسة للفقهاء الشافعية وخان للسبيل وهو الذى مدّن غزة وبنى بها أيضا مارستانا ووقف عليه عن الملك الناصر أوقافا جليلة وجعل نظره لنوّاب غزة وعمر بها أيضا الميدان والقصر وبنى ببلد الخليل عليه السلام جامعا سقفه منه حجر نقر وعمل الخان العظيم بقاقون والخان بقرية الكثيب والقناطر بغابة أرسوف وخان رسلان فى حمراء بيسان ودارا بالقرب من باب النصر داخل القاهرة ودارا بجوار مدرسته على الكبش وسائر عمائره ظريفة أنيقة محكمة متقنة مليحة وكان ينتمى الى الامير سلار ويجل ذكره

(المدرسة الفارقانية)

هذه

هذه المدرسة خارج باب زويلة من القاهرة فيما بين حدرة البقر وصليبة جامع ابن طولون وهى الآن بجوار حمام الفارقانى تجاه البندقدارية بناها وا لحمام المجاور لها الامير ركن الدين بيبرس الفارقانى وهو غير الفارقانى المنسوب اليه المدرسة الفارقانية بحارة الوزيرية من القاهرة

(المدرسة البشيرية)

هذه المدرسة خارج القاهرة بحكر الخازن المطل على بركة الفيل كان موضعها مسجدا يعرف بمسجد سنقر السعدى الذى بنى المدرسة السعدية فهدمه الامير الطواشى سعد الدين بشير الجمدار الناصرى وبنى موضعه هذه المدرسة فى سنة احدى وستين وسبعمائة وجعل بها خزانة كتب وهى من المدارس اللطيفة

(المدرسة المهمندارية)

هذه المدرسة خارج باب زويلة فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل يعرف خطها اليوم بخط جامع الماردانى خارج الدرب الاحمر وهى تجاه مصلى الاموات على يمنة من سلك من الدرب الاحمر طالبا جامع الماردانى ولها باب آخر فى حارة اليانسية بناها الامير شهاب الدين أحمد بن اقوش العزيزى المهمندار ونقيب الجيوش فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وجعلها مدرسة وخانقاه وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية وبنى الى جانبها القيسارية والربع الموجودين الآن

(مدرسة الجاى)

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل كان موضعها وما حولها مقبرة ويعرف الآن خطها بخط سويقة العزى أنشأها الامير الكبير سيف الدين الجاى فى سنة ثمان وستين وسبعمائة وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية ودرسا للفقهاء الحنفية وخزانة كتب وأقام بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة وهى من المدارس المعتبرة الجليلة ودرس بها شيخنا جلال الدين البنانى الحنفى وكانت سكنه (الجاى) بن عبد الله اليوسفى الامير سيف الدين تنقل فى الخدم حتى صار من جملة الامراء بديار مصر فلما أقام الامير الاستدمر الناصرى بأمر الدولة بعد قتل الامير يلبغا الخاصكى العمرى فى شوال سنة ثمان وستين وسبعمائة قبض على الجاى فى عدة من الامراء وقيدهم وبعثهم الى الاسكندرية فسجنوا الى عاشر صفر سنة تسع وستين فأفرج الملك الاشرف شعبان بن حسين عنه وأعطاه امرة مائة وتقدمة ألف وجعله أمير سلاح برانى ثم جعله أمير سلاح اتابك العساكر وناظر المارستان المنصورى عوضا عن الامير منكلى بغا الشمسى فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة وتزوج بخوند بركة أم السلطان الملك الاشرف فعظم قدره واشتهر ذكره وتحكم فى الدولة تحكما زائدا الى يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة خمس وسبعين وسبعمائة فركب يريد محاربة السلطان بسبب طلبه ميراث أم السلطان بعد موتها فركب السلطان وأمراؤه وبات الفريقان ليلة الاربعاء على الاستعداد للقتال الى بكرة نهار الاربعاء تواقع الجاى مع أمراء السلطان احدى عشرة وقعة انكسر فى آخرها الجاى وفر الى جهة بركة الحبش وصعد من الجبل من عند الجبل الاحمر الى قبة النصر ووقف هنالك فاشتد على السلطان فبعث اليه خلعة بنيابة حماه فقال لا اتوجه الا ومعى مماليكى كلهم وجميع أموالى فلم يوافقه السلطان على ذلك وبات الفريقان على الحرب فانسل اكثر مماليك الجاى فى الليل الى السلطان وعندما طلع النهار يوم الخميس بعث السلطان عساكره لمحاربة الجاى بقبة النصر فلم يقاتلهم وولى منهزما واطلب وراءه الى ناحية الخرقانية بشاطئ النيل قريبا من قليوب فتحير وقد أدركه العسكر فألقى نفسه بفرسه فى البحر يريد النجاة الى البر الغربى فغرق بفرسه ثم خلص الفرس وهلك الجاى فوقع النداء بالقاهرة وظواهرها على احضار مماليكه فأمسك منهم جماعة وبعث السلطان الغطاسين الى البحر تطلبه فتبعوه حتى أخرجوه الى البر فى يوم الجمعة تاسع المحرم سنة خمس وسبعين وسبعمائة فحمل فى تابوت على لباد أحمر الى مدرسته هذه وغسل وكفن ودفن بها وكان مهابا جبارا عسوفا عنيا تحدث فى الاوقاف فشدد على الفقهاء وأهان جماعة منهم وكان معروفا بالاقدام والشجاعة

(مدرسة أم السلطان)

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل يعرف خطها الآن بالتبانة وموضعها كان قديما مقبرة لاهل

القاهرة أنشأتها الست الجليلة الكبرى بركة أمّ السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة وعملت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهى من المدارس الجليلة وفيها دفن ابنها الملك الاشرف بعد قتله * (بركة) الست الجليلة خوند أمّ الملك الاشرف شعبان بن حسين كانت أمة مولدة فلما أقيم ابنها فى مملكة مصر عظم شأنها وحجت فى سنة سبعين وسبعمائة بتجمل كثير وبرج زائد وعلى محفتها العصائب السلطانية والكوسات تدق معها وسار فى خدمتها من الامراء المقدّمين بشتاك العمرى رأس نوبة وبهادر الجمالى ومائة مملوك من المماليك السلطانية أرباب الوظائف ومن جملة ما كان معها قطار جمال محملة محاير قد زرع فيها البقل والخضراوات الى غير ذلك مما يجل وصفه فلما عادت فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة خرج السلطان بعساكره الى لقائها وسار الى البويب فى سادس عشر المحرّم وتزوّجت بالامير الكبير الجاى اليوسفى وبها طال واستطال ماتت فى ثامن عشر ذى القعدة سنة أربع وسبعين وسبعمائة وكانت خيرة عفيفة لها بر كثير ومعروف معروف تحدّث الناس بحجتها عدّة سنين لما كان لها من الافعال الجميلة فى تلك المشاهد الكريمة وكان لها اعتقاد فى أهل الخير ومحبة فى الصالحين وقبرها موجود بقبة هذه المدرسة وأسف السلطان على فقدها ووجد وجدا كبيرا لكثرة حبه لها واتفق أنها لما ماتت أنشد الاديب شهاب الدين أحمد بن يحيى الاعرج السعدى

فى ثامن العشرين من ذى قعدة * كانت صبيحة موت أمّ الاشرف
فالله يرحمها ويعظم أجره * ويكون فى عاشور موت اليوسفى

فكان كما قال وغرق الجاى اليوسفى كما تقدّم ذكره فى يوم عاشوراء

* (المدرسة الايتمشية) *

هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة أنشأها الامير الكبير سيف الدين ايتمش البجاسى ثم الظاهرى فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة وجعل بها درس فقه للحنفية وبنى بجانبها فندقا كبيرا يعلوه ربع ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل وربعا وهى مدرسة ظريفة * (ايتمش) ابن عبد الله الامير الكبير سيف الدين البجاسى ثم الظاهرى كان أحد المماليك اليلبغاوية

* (المدرسة المجدية الخليلية) *

هذه المدرسة بمصر يعرف موضعها بدرب البلاد عمرها الشيخ الامام مجد الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الشيخ الامام أمين الدين أبى على الحسين بن الحسن بن ابراهيم الخليلى الدارى فتمت فى شهر ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة وقرّر فيها مدرّسا شافعيا ومعيدين وعشرين نفرا طلبة واماما راتبا ومؤذنا وقيما لكنسها وفرشها ووقود مصابيحها وادارة ساقيتها وأجرى الماء الى فسقيتها ووقف عليها غيطا بناحية بارنبار من أعمال المزاحميتين وبستانا بجملة الامير من المزاحميتين بالغربية وغيطا بناحية نطوبس وربع غيط بظاهر ثغر رشيد وبستانا ونصف بستان بناحية بلقس ورباعا بمدينة مصر * ومجد الدين هذا هو والد الصاحب الوزير فخر الدين عمر بن الخليلى ودرّس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين الى حين وفاته وتوفى مجد الدين بدمشق فى ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمانين وستمائة وكان مشهورا بالصلاح

* (المدرسة الناصرية بالقرافة) *

هذه المدرسة بجوار قبة الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه من قرافة مصر أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ورتب بها مدرّسا يدرّس الفقه على مذهب الشافعى وجعل له فى كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين دينارا معاملة صرف كل دينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم وعن معلوم النظر فى اوقاف المدرسة عشرة دنانير ورتب له من الخبز فى كل يوم ستين رطلا بالمصرى وراويتين من ماء النيل وجعل فيها معيدين وعدّة من الطلبة ووقف عليها حماما بجوارها وفرنا تجاهها وحوانيت بظاهرها والجزيرة التى يقال لها جزيرة الفيل ببحر النيل خارج القاهرة وولى تدريسها جماعة من الاكابر الاعيان ثم خلت من مدرّس ثلاثين سنة واكتفى فيها بالمعيدين وهم عشرة أنفس فلما كانت سنة ثمان وسبعين وستمائة

ولى تدريسها قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين الحموى بعد عزله من وظيفة القضاء وقرر له نصف المعلوم فلما مات وليها الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد بربع المعلوم فلما ولى الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى التدريس قرر له المعلوم الشاهد به كتاب الوقف

(المدرسة المسلمية)

هذه المدرسة بمدينة مصر فى خط السيوريين أنشأها كبير التجار ناصر الدين محمد بن مسلم بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد اللام البالسى الاصل ابن بنت كبير التجار شمس الدين محمد بن بسير بفتح الباء أول الحروف وكسر السين المهملة ثم ياء آخر الحروف بعدها راء ومات فى سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل أن تتم فوصى بتكملتها وأفرد لها مالا ووقف عليها دورا وأرضا بناحية قليوب وشرط أن يكون فيها مدرس مالكى ومدرس شافعى ومؤدب أطفال وغير ذلك فكملها مولاه ووصيه الكبير كافور الخصى الرومى بعد وفاة استاذه وهى الآن عامرة وبلغ ابن مسلم هذا من وفور المال وعظم السعادة مالم يبلغه أحد ممن أدركناه بحيث انه جاء نصيب أحد أولاده نحو مائتى ألف دينار مصرية وكان كثير الصدقات على الفقراء مقترا على نفسه الى الغاية وله أيضا مطهرة عظيمة بالقرب من جامع عمرو بن العاص ونفعها كبير وله أيضا دار جليلة على ساحل النيل بمصر وكان أبوه تاجرا سفارا بعد ماكان حمالا فصاهر ابن بسير ورزق محمدا هذا من ابنته فنشأ على صيانة ورزق الحظ الوافر فى التجارة وفى العبيد فكان يبعث أحدهم بمال عظيم الى الهند ويبعث آخر بمثل ذلك الى بلاد التكرور ويبعث آخر الى بلاد الحبشة ويبعث عدة آخرين الى عدة جهات من الارض فما منهم من يعود الا وقد تضاعفت فوائد ماله أضعافا مضاعفة

(مدرسة اينال)

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من باب حارة الهلالية بخط القماحين كان موضعها فى القديم من حقوق حارة المنصورة أوصى بعمارتها الامير الكبير سيف الدين اينال اليوسفى أحد المماليك اليلبغاوية فابتدأ بعملها فى سنة أربع وتسعين وفرغت فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة ولم يعمل فيها سوى قراء يتناوبون قراءة القرآن على قبره فانه لما مات فى يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وسبعمائة دفن خارج باب النصر حتى انتهت عمارة هذه المدرسة فنقل اليها ودفن فيها و(اينال) هذا ولى نيابة حلب وصار فى آخر عمره اتابك العساكر بديار مصر حتى مات وكانت جنازته كثيرة الجمع مشى فيها السلطان الملك الظاهر برقوق والعساكر

(مدرسة الامير جمال الدين الاستادار)

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة كان موضعها قيسارية يعلوها طباق كلها وقف فأخذها وهدمها وابتدأ بشق الاساس فى يوم السبت خامس جمادى الاولى سنة عشر وثمانمائة وجمع لها الآلات من الاحجار والاخشاب والرخام وغير ذلك وكان بمدرسة الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون التى كانت بالصوة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل بقية من داخلها فيها شبابيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت ومن المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من انواع العلوم جملة فاشترى ذلك من الملك الصالح المنصور حاجى بن الاشرف بمبلغ ستمائة دينار وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك ونقلها الى داره وكان مما فيها عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة أشبار الى خمسة فى عرض يقرب من ذلك أحدها بخط ياقوت وآخر بخط ابن البواب وباقيها بخطوط منسوبة ولها جلود فى غاية الحسن معمولة فى اكياس الحرير الاطلس ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب فى أوله الاشهاد على الملك الاشرف بوقف ذلك ومقره فى مدرسته فلما كان يوم الخميس ثالث شهر رجب سنة احدى عشرة وثمانمائة وقد انتهت عمارتها جمع بها الامير جمال الدين القضاة والاعيان وأجلس الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى على سجادة المشيخة وعمله شيخ التصوف ومدرس الشافعية ومد سماطا جليلا اكل عليه كل من حضر وملأ البركة التى بوسط المدرسة ماء قد أذيب فيه سكر مزج بماء الليمون وكان يوما مشهودا وقرر فى تدريس الحنفية بدر الدين

محمود بن محمد المعروف بالشيخ زاده الخرزيانى * وفى تدريس المالكية شمس الدين محمد بن البساطى * وفى تدريس الحنابلة فتح الدين أبا الفتح محمد بن نجم الدين محمد بن الباهلى * وفى تدريس الحديث النبوى شهاب الدين أحمد بن على * بن حجر وفى تدريس التفسير شيخ الاسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى * فكان يجلس من ذكرنا واحدا بعد واحد فى كل يوم الى أن كان آخرهم شيخ التفسير وكان مسك الختام وما منهم الا من يحضر معه ويلبسه ما يليق به من الملابس الفاخرة وقرر عند كل * من المدرسين الستة طائفة من الطلبة وأجرى لكل واحد ثلاثة * ارطال من الخبز فى كل يوم وثلاثين درهما فلوسا فى كل شهر وجعل لكل مدرس ثلثمائة درهم فى كل شهر ورتب بها اماما وقومة ومؤذنين وفراشين ومباشرين واكثر من وقف الدور عليها وجعل فائض وقفها مصروفا لذريته فجاءت فى أحسن هندام وأتم قالب وأفخر زى * وأبدع نظام الا انها وما فيها من الآلات وما وقف عليها أخذ من الناس غصبا وعمل فيها الصناع بأبخس أجرة مع العسف الشديد فلما قبض عليه السلطان وقتله فى جمادى الاولى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة واستولى على امواله حسن جماعة للسلطان أن يهدم هذه المدرسة ورغبوه فى رخامها فانه غاية فى الحسن وأن يسترجع أوقافها فان متحصلها كثير فمال الى ذلك وعزم عليه فكره ذلك للسلطان الرئيس فتح الدين فتح الله كاتب السر * واستشنع أن يهدم بيت بنى على اسم الله يعلن فيه بالاذان خمس مرات فى اليوم والليلة * وتقام به الصلوات الخمس فى جماعة عديدة * ويحضره فى عصر كل يوم مائة وبضعة عشر رجلا يقرؤن القرآن فى وقت التصوف ويذكرون الله ويدعونه وتحلق به الفقهاء لدرس تفسير القرآن الكريم وتفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقه الائمة الاربعة ويعلم فيه ايتام المسلمين كتاب الله عز وجل * ويجرى على هؤلاء المذكورين الارزاق فى كل يوم ومن المال فى كل شهر ورأى أن ازالة مثل هذا وصمة فى الدين فتجرد له ومازال بالسلطان يرغبه فى ابقائها على أن يزال منها اسم جمال الدين وتنسب اليه فانه من الفتن هدم مثلها ونحو ذلك حتى رجع الى قوله وفوض أمرها اليه فدبر ذلك أحسن تدبير وهو أن موضع هذه المدرسة كان وقفا على بعض الترب فاستبدل به جمال الدين أرضا من جملة * أراضى الخراج بالجيزة وحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم بصحة الاستبدال وهدم البناء وبنى موضعه هذه المدرسة وتسلم متولى موضعها الارض المستبدل بها الى أن قتل جمال الدين وأحيط بأمواله فدخل فيما أحيط به هذه الارض المستبدل بها وادعى السلطان أن جمال الدين افتات عليه فى أخذ هذه الارض وأنه لم يأذن فى بيعها من بيت المال فأفتى حينئذ محمد شمس الدين المدنى * المالكى * بأن بناء هذه المدرسة الذى وقفه جمال الدين على الارض التى لم يملكها بوجه صحيح لا يصح وانه باق على ملكه الى حين موته فندب عند ذلك شهود القيمة الى تقويم بناء المدرسة فقوموها باثنى عشر ألف دينار ذهبا واثبتوا محضر القيمة على بعض القضاة فحمل المبلغ الى أولاد جمال الدين حتى تسلموه وباعوا بناء المدرسة للسلطان ثم استرد السلطان منهم المبلغ المذكور وأشهد عليه انه وقف أرض هذه المدرسة بعد ما استبدل بها وحكم حاكم حنفى * بصحة الاستبدال ثم وقف البناء الذى اشتراه وحكم بصحته أيضا ثم استدعى بكتاب وقف جمال الدين ونحصه ثم مزق وجدد كتاب وقف يتضمن جميع ما قرره جمال الدين فى كتاب وقفه من أرباب الوظائف وما لهم من الخبز فى كل يوم ومن المعلوم فى كل شهر وأبطل ما كان لاولاد جمال الدين من فائض الوقف وأفرد لهذه المدرسة مما كان جمال الدين جعله وقفا عليها عدة مواضع تقوم بكفاية مصروفها وزاد فى أوقافها أرضا بالجيزة وجعل ما بقى من اوقاف جمال الدين على هذه المدرسة بعضه وقفا على اولاده وبعضه وقفا على التربة التى أنشأها فى قبة أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر وحكم القضاة الاربعة بصحة هذا الكتاب بعد ما حكموا بصحة كتاب وقف جمال الدين ثم حكموا ببطلانه ثم لما تم * ذلك محى من هذه المدرسة اسم جمال الدين ورنكه وكتب اسم السلطان الملك الناصر فرج بدائرصحنها من اعلاه وعلى قناديلها وبسطها وسقوفها ثم نظر السلطان فى كتبها العلمية الموقوفة بها فأقر منها جملة * كتب بظاهر كل سفر منها فصل يتضمن وقف السلطان له وحمل كثيرا من كتبها الى قلعة الجبل وصارت هذه المدرسة تعرف بالناصرية بعد ما كان يقال لها الجمالية ولم تزل على ذلك حتى قتل الناصر وقدم الامير شيخ الى القاهرة واستولى على امور الدولة فتوصل شمس الدين محمد أخو جمال الدين وزوج ابنته لشرف الدين أبى بكر بن العجمى * موقع الاستادار الامير شيخ حتى أحضر قضاة القضاة وحكم الصدر على * بن الادمى * قاضى القضاة الحنفى * برد

أوقاف جمال الدين الى ورثته من غير استيفاء الشروط فى الحكم بل تهوّر فيه وجازف ولذلك أسباب منها عناية الامير شيخ بجمال الدين الاستادار فانه لما انتقل اليه اقطاع الامير بجاس بعد موت الملك الظاهر برقوق استقر جمال الدين استاداره كما كان أستادار بجاس فخدمه خدمة بالغة وخرج الامير شيخ الى بلاد الشام واستقر فى نيابة طرابلس ثم فى نيابة الشام وخدمة جمال الدين له ولحاشيته ومن يلوذ به مستمرّة وأرسل مرّة الامير شيخ من دمشق بصدر الدين بن الادمى المذكور فى الرسالة الى الملك الناصر وجمال الدين حينئذ عزيز مصر فانزله وأكرمه وأنعم عليه وولاه قضاء الحنفية وكتابة السرّ بدمشق وأعاده اليه وما زال معتنيا بأمور الامير شيخ حتى انه اتهم بأنه قد مالأ على السلطان فقبض عليه السلطان الملك الناصر بسبب ذلك ونكبه فلما قتل الناصر واستولى الامير شيخ على الامور بديار مصر ولى قضاء الحنفية بديار مصر لصدر الدين علىّ بن الادمى المذكور وولى أستاداره بدر الدين حسن بن محب الدين الطرابلسى أستادار السلطان فخدم شرف الدين أبو بكر بن العجمى زوج ابنة أخى جمال الدين عنده موقعا وتمكن منه فأغراه بفتح الدين فتح الله كاتب السرّ حتى أثخن جراحة عند الملك المؤيد شيخ ونكبه بعد ما تسلطن واستعان أيضا بقاضى القضاة صدر الدين بن الادمى فانه كان عشيره وصديقه من أيام جمال الدين ثم استمال ناصر الدين محمد بن البارزى موقع الامير الكبير شيخ فقام الثلاثة مع شمس الدين أخى جمال الدين حتى أعيد الى مشيخة خانكاه بيبرس وغيرها من الوظائف التى أخذت منه عند ما قبض عليه الملك الناصر وعاقبه وتحدّثوا مع الامير الكبير فى ردّ أوقاف جمال الدين الى أخيه وأولاده فان الناصر غصبها منهم وأخذ أموالهم وديارهم بظلمه الى أن فقدوا القوت ونحو هذا من القول حتى حرّكوا منه حقدا كامنا على الناصر وعلوا منه عصبيته لجمال الدين هذا وغرض القوم فى الباطن تأخير فتح الدين والايقاع به فانه ثقل عليهم وجوده معهم فأمر عند ذلك الامير الكبير بعقد مجلس حضره قضاة القضاة والامراء وأهل الدولة عنده بالحراقة من باب السلسلة فى يوم السبت تاسع عشرى شهر رجب سنة خمس عشرة وتقدّم أخو جمال الدين ليدّعى على فتح الدين فتح الله كاتب السرّ وكان قد علم بذلك ووكل بدر الدين حسنا البرديى أحد نوّاب الشافعية فى سماع الدعوى وردّ الاجوبة فعند ما جلس البرديى للمحاكمة مع أخى جمال الدين نهره الامير الكبير وأقامه وأمر بأن يكون فتح الله هو الذى يدّعى عليه فلم يجد بدّا من جلوسه فما هو الا أن ادّعى عليه أخو جمال الدين بأنه وضع يده على مدرسة أخيه جمال الدين وأوقافه بغير طريق فبادر قاضى القضاة صدر الدين على بن الادمى الحنفى وحكم برفع يده وعود أوقاف جمال الدين ومدرسته الى ما نص عليه جمال الدين ونفذ بقية القضاة حكمه وانفضوا على ذلك فاستولى أخو جمال الدين وصهره شرف الدين على حاصل كبير كان قد اجتمع بالمدرسة من فاضل ريعها ومن مال بعثه الملك الناصر اليها وفرّقوه حتى كتبوا كتابا اخترعوه من عند انفسهم جعلوه كتاب وقف المدرسة زادوا فيه أن جمال الدين اشترط النظر على المدرسة لاخيه شمس الدين المذكور وذرّيته الى غير ذلك مما لفقوه بشهادة قوم استمالوهم فمالوا ثم أثبتوا هذا الكتاب على قاضى القضاة صدر الدين بن الادمى ونفذه بقية القضاة فاستقرّ الامر على هذا البهتان المختلق والافك المفترى مدّة ثم ثار بعض صوفية هذه المدرسة وأثبت محضرا بأن النظر لكاتب السرّ فلما ثبت ذلك نزعت يد أخى جمال الدين عن التصرّف فى المدرسة وتولى نظرها ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السرّ واستمرّ الامر على هذا فكانت قصة هذه المدرسة من أعجب ما سمع به فى تناقض القضاة وحكمهم بابطال ما صححوه ثم حكمهم بتصحيح ما ابطلوه كل ذلك ميلا مع الجاه وحرصا على بقاء رياستهم ستكتب شهادتهم ويسألون

(المدرسة الصرغتمشية)

هذه المدرسة خارج القاهرة بجوار جامع الامير أبى العباس أحمد بن طولون فيما بينه وبين قلعة الجبل كان موضعها قديما من جملة قطائع ابن طولون ثم صار عدّة مساكن فأخذها الامير سيف الدين صرغتمش الناصرى رأس نوبة النوب وهدمها وابتدأ فى بناء المدرسة يوم الخميس من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة وانتهت فى جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وقد جاءت من أبدع المبانى وأجلها وأحسنها قالبا وأبهجها منظرا فركب الامير صرغتمش فى يوم الثلاثاء تاسعه وحضر اليه الامير سيف الدين شيخو العمرى مدبر

الدولة والامير طاشتمر القاسمي حاجب الحجاب والامير قوتتاى الدوادار وعامة أمراء الدولة وقضاة القضاة الاربعة ومشايخ العلم ورتب مدرس الفقه بها قوام الدين أمير كاتب بن امير عمر العميد بن العميد أمير غازى الاتقانى فالقى القوام الدرس ثم مد سماط جليل بالهمة الملوكية وملئت البركة التى بها سكرا قد أذيب بالماء فأكل الناس وشربوا وأبيح ما بقى من ذلك للعامة فانتهبوه وجعل الامير صرغتمش هذه المدرسة وقفا على الفقهاء الحنفية الآفاقية ورتب بها درسا للحديث النبوى وأجرى لهم جميعا المعاليم من وقف رتبه لهم وقال أدباء العصر فيها شعرا كثيرا فقال العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى

ليهنك ياصرغتمش ما بنيته * لآخرة فى دنيا الدين حسن بنيان

به يزدهى الترخيم كالزهر بهجة * فلله من زهر ولله من بانى

وخلع فى هذا اليوم على القوام خلعة سنية وأركبه بغلة رائعة وأجازه بعشرة آلاف درهم على ابيات مدحه بها فى غاية السماجة وهى

ارأيتم من حاز الرتبا * وأتى قربا ونفى ريبا

فبدا علما وسما كرما * وغدا قدما ولقد غلبا

بتقى وهدى وندا وجدا * فعدا وسدى وجبى وحبا

بدى سننا أحيى سننا * حلى زمنا عند الادبا

هذا صرغتمش قد سكبت * أيام امارته السحبا

وأزال الجدب الى خصب * والضنك الى رغد قلبا

باعانة جبار ربى * ذى العرش وقد بذل النشبا

ملك فطن ركن لسن * حسن بسن ربى الادبا

ملك الكبرا ملك الامرا * ملك العلما ملك الادبا

بحر طام غيث هام * قد رسام حامى الغربا

بشاشته وسماحته * وحماسته جلى الكربا

وديانته وصيانته * وأمانته حاز الرتبا

أبهى أصلا اسنى نسلا * اعطى فضلا مأوى الغربا

نعم المأوى مصر لما * شملت قوما نبلا نجبا

فنمت نورا وسمت نورا * وعلت دورا وأرت طربا

نسقت دررا وسقت دررا * ودعت غررا وحوت أدبا

وخطابته افتخرت وعلت * وسمت وزرت وحوت أدبا

جدد درسا ثم اجن جنى * منها ومنى نحى طلبا

من نازعنى نسبى علنا * فارأب لنا نعمت نسبا

كنون أبا لحنيفة تسم قوام الدين بدا لقبا

عش فى رحب لترى عجبا * من منتجب عجب عجبا

* (صرغتمش) الناصرى الامير سيف الدين رأس نوبة جلبه الخواجا الصواف فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فاشتراه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بمائتى ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو أربعة آلاف مثقال ذهبا وخلع على الخواجا تشريفا كاملا بحياصة ذهب وكتب له توقيعا بمسامحة مائة ألف درهم من متجره فلم يعبأ به السلطان وصار فى أيامه من جملة الجمدارية وحكى عن القاضى شرف الدين عبد الوهاب ناظر الخاص ان السلطان أنعم على صرغتمش هذا بعشر طاقات أديم طائفى فلما جاء الى التشوتردّد اليه مرارا حتى دفعها اليه ولم يزل خامل الذكر الى أن كانت أيام المظفر حاجى بن محمد بن قلاون فبعثه مسفرا مع الامير فخر الدين اياز السلاح دار لما استقر فى نيابة حلب فلما عاد من حلب ترقى فى الخدمة وتمكن عند المظفر وتوجه فى خدمة الصالح بن محمد بن قلاون الى دمشق فى نوبة بيلبغاروس وصار السلطان يرجع الى رأيه فلما عاد من دمشق أمسك

الوزير

الوزير علم الدين عبد الله بن زنبور بغير امر السلطان وأخذ أمواله وعارض فى أمراء الامير شيخو والامير طاز
ومن حينئذ عظم ولم يزل حتى خلع السلطان الملك الصالح وأعيد الناصر حسن بن محمد بن قلاون فلما أخرج
الامير شيخو انفرد صرغتمش بتدبير أمور المملكة وفخم قدره ونفذت كلمته فعزل قضاة مصر والشام وغير
النواب بالممالك والسلطان يحقد عليه الى أن امسكه فى العشرين من شهر رمضان سنة تسع وخمسين وقبض
معه على الامير طشتمر القاسمى حاجب الحجاب والامير ملكتمر المحمدى وجماعة وحملهم الى الاسكندرية
فسجنوا بها وبها مات صرغتمش بعد شهرين واثنى عشر يوما من سجنه فى ذى الحجة سنة تسع وخمسين وسبعمائة
وكان مليح الصورة جميل الهيئة يقرأ القرآن الكريم ويشارك فى الفقه على مذهب الحنفية ويبالغ فى التعصب
لمذهبه ويقرب العجم ويكرمهم ويجلهم اجلالا زائدا ويشدو طرفا من النحو وكانت أخلاقه شرسة ونفسه قوية
فاذا بحث فى الفقه أو اللغة اشتط ولما تحدث فى الاوقاف وفى البريد خاف الناس منه فلم يكن أحد يركب خيل
البريد الا بمرسومه ومنع كل من يركب البريد أن يحمل معه قماشا ودراهم على خيل البريد واشتد فى أمر الاوقاف
فعمرت فى مباشرته ولما قبض عليه أخذ السلطان أمواله وكانت شيأ كثيرا يكل عنه الوصف

(ذكر المارستانات)

قال الجوهرى فى الصحاح والمارستان بيت المرضى معرب عن ابن السكيت وذكر الاستاذ ابراهيم بن
وصيف شاه فى كتاب أخبار مصر أن الملك مناقيوش بن أشمون أحد ملوك القبط الاول بأرض مصر أول من
عمل البيمارستانات لعلاج المرضى وأودعها العقاقير ورتب فيها الاطباء وأجرى عليهم ما يسعهم ومناقيوش
هذا هو الذى بنى مدينة اخميم وبنى مدينة سنتريه * وقال زاهد العلماء أبو سعيد منصور بن عيسى أول من اخترع
المارستان وأوجده بقراط بن ابو قليدس وذلك أنه عمل بالقرب من داره فى موضع من بستان كان له موضعا
مفردا للمرضى وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم وسماه اصدولين أى مجمع المرضى وأول من بنى المارستان
فى الاسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك وهو أيضا أول من عمل دار الضيافة وذلك فى سنة ثمان وثمانين
وجعل فى المارستان الاطباء وأجرى لهم الارزاق وأمر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى
العميان الارزاق وقال جامع السيرة الطولونية وقد ذكر بناء جامع ابن طولون وعمل فى مؤخره ميضأة
وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين
للصلاة

(مارستان ابن طولون)

هذا المارستان موضعه الآن فى أرض العسكر وهى الكيمان والصحراء التى فيما بين جامع ابن طولون وكوم
الجارح وفيما بين قنطرة السد التى على الخليج ظاهر مدينة مصر وبين السور الذى يفصل بين القرافة وبين مصر
وقد دثر هذا المارستان فى جملة ما دثر ولم يبق له اثر * وقال أبو عمر الكندى فى كتاب الامراء وأمر أحمد بن
طولون أيضا ببناء المارستان للمرضى فبنى لهم فى سنة تسع وخمسين ومائتين * وقال جامع السيرة الطولونية
وفى سنة احدى وستين ومائتين بنى أحمد بن طولون المارستان ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان ولما فرغ منه
حبس عليه دار الديوان ودوره فى الاساكفة والقيسارية وسوق الرقيق وشرط فى المارستان أن لا يعالج
فيه جندى ولا مملوك وعمل حمامين للمارستان احداهما للرجال والاخرى للنساء حبسهما على المارستان
وغيره وشرط أنه اذا جىء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له
ويغدى عليه ويراح بالادوية والاغذية والاطباء حتى يبرأ فاذا أكل فروجا ورغيفا أمر بالانصراف وأعطى
ماله وثيابه وفى سنة اثنتين وستين ومائتين كان ما حبسه على المارستان والعين والمسجد فى الجبل الذى يسمى
بتنور فرعون وكان الذى انفق على المارستان ومستغله ستين ألف دينار وكان يركب بنفسه فى كل يوم جمعة
ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والاطباء وينظر الى المرضى وسائر الاعلاء والمحبوسين من المجانين فدخل
مرة حتى وقف بالمجانين فناداه واحد منهم مغلول أيها الامير اسمع كلامى ما أنا بمجنون وانما عملت على حيلة
وفى نفسى شهوة رمانة عريشية اكبر ما يكون فأمر له بها من ساعته ففرح بها وهزها فى يده ورازها ثم غافل

أحمد بن طولون ورمى بها فى صدره فنفحت على ثيابه ولو تمكنت منه لاتت على صدره فأمرهم أن يحتفظوا به ثم لم يعاود بعد ذلك النظر فى المارستان

(مارستان كافور)

هذا المارستان بناه كافور الاخشيدى وهو قائم بتدبير دولة الامير أبى القاسم أنوجور بن محمد الاخشيد بمدينة مصر فى سنة ست وأربعين وثلثمائة

(مارستان المغافر)

هذا المارستان كان فى خطة المغافر التى موضعها ما بين العامر من مدينة مصر وبين مصلى خولان التى بالقرافة بناه الفتح بن خاقان فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله وقد باد أثره

(المارستان الكبير المنصورى)

هذا المارستان بخط بين القصرين من القاهرة كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معد ثم عرف بدار الامير فخر الدين جهاركس بعد زوال الدولة الفاطمية وبدار موسك ثم عرف بالملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وصار يقال لها الدار القطبية ولم تزل بيد ذريته الى أن أخذها الملك المنصور قلاون الالفى الصالحى من مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل المعروفة بالقطبية وعوضت عن ذلك قصر الزمرذ برحبة باب العيد فى ثامن عشرى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وستمائة بسفارة الامير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الممالك ورسم بعمارتها مارستانا وقبة ومدرسة فتولى الشجاعى أمر العمارة وأظهر من الاهتمام والاحتفال ما لم يسمع بمثله حتى تم الغرض فى أسرع مدة وهى أحد عشر شهرا وأيام وكان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع وخلفت ست الملك بها ثمانية آلاف جارية وذخائر جليلة منها قطعة ياقوت أحمر زنتها عشرة مثاقيل وكان الشروع فى بنائها مارستانا أول ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة وكان سبب بنائه أن الملك المنصور لما توجه وهو أمير الى غزاة الروم فى ايام الظاهر بيبرس سنة خمس وسبعين وستمائة أصابه بدمشق قولنج عظيم فعالجه الاطباء بأدوية أخذت له من مارستان نور الدين الشهيد فبرأ وركب حتى شاهد المارستان فأعجب به ونذر ان آتاه الله الملك أن يبنى مارستانا فلما تسلطن أخذ فى عمل ذلك فوقع الاختيار على الدار القطبية وعوض أهلها عنها قصر الزمرذ وولى الامير علم الدين سنجر الشجاعى أمر عمارته فابقى القاعة على حالها وعملها مارستانا وهى ذات ايوانات أربعة بكل ايوان شاذروان وبدور قاعتها فسقية يصير اليها من الشاذروانات الماء واتفق أن بعض الفعلة كان يحفر فى أساس المدرسة المنصورية فوجد حق اشنان من نحاس ووجد رفيقه قمقما نحاسا مختوما برصاص فأحضرا ذلك الى الشجاعى فاذا فى الحق فصوص ماس وياقوت وبلخش ولؤلؤ ناصع يدهش الابصار ووجد فى القمقم ذهبا كان جملة ذلك نظير ما غرم على العمارة فحمله الى أسعد الدين كوهيا الناصرى العدل فرفعه الى السلطان ولما نجزت العمارة وقف عليها الملك المنصور من الاملاك بديار مصر وغيرها ما يقارب ألف ألف درهم فى كل سنة ورتب مصارف المارستان والقبة والمدرسة ومكتب الايتام ثم استدعى قدحا من شراب المارستان وشربه وقال قد وقفت هذا على مثلى فمن دونى وجعلته وقفا على الملك والمملوك والجندى والامير والكبير والصغير والحر والعبد الذكور والاناث ورتب فيه العقاقير والاطباء وسائر ما يحتاج اليه من به مرض من الامراض وجعل السلطان فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى وقرر لهم المعاليم ونصب الاسرة للمرضى وفرشها بجميع الفرش المحتاج اليها فى المرض وأفرد لكل طائفة من المرضى موضعا فجعل أواوين المارستان الاربعة للمرضى بالحميات ونحوها وأفرد قاعة للرمدى وقاعة للجرحى وقاعة لمن به اسهال وقاعة للنساء ومكانا للمبرودين ينقسم بقسمين قسم للرجال وقسم للنساء وجعل الماء يجرى فى جميع هذه الاماكن وأفرد مكانا لطبخ الطعام والادوية والاشربة ومكانا لتركيب المعاجين والاكحال والشيافات ونحوها ومواضع يخزن فيها الحواصل وجعل مكانا يفرق فيه الاشربة والادوية ومكانا يجلس فيه رئيس الاطباء لالقاء درس طب ولم يحص

عدة المرضى بل جعله سبيلا لكل من يرد عليه من غنى وفقير ولا حدّد مدة لاقامة المريض به بل يرتب منه لمن هو مريض بداره سائر ما يحتاج اليه ووكل الامير عز الدين ايبك الافرم الصالحى أمير جندار فى وقف ما عينه من المواضع وترتيب أرباب الوظائف وغيرهم وجعل النظر لنفسه أيام حياته ثم من بعده لاولاده ثم من بعدهم لحاكم المسلمين الشافعى فضمن وقفه كتابا تاريخه يوم الثلاثاء ثالث عشرى صفر سنة ثمانين وستمائة ولما قرئ عليه كتاب الوقف قال للشجاعى ما رأيت خط الاسعد كاتبى مع خطوط القضاة أبصر ايش فيه زغل حتى ما كتب عليه فما زال يقرب لذهنه أن هذا مما لا يكتب عليه الا قضاة الاسلام حتى فهم ذلك فبلغ مصروف الشراب منه فى كل يوم خمسمائة رطل سوى السكر ورتب فيه عدة ما بين أمين ومباشر وجعل مباشرين للادارة وهم الذين يضبطون ما يشترى من الاصناف وما يحضر منها الى المارستان ومباشرين لاستخراج مال الوقف ومباشرين فى المطبخ ومباشرين فى عمارة الاوقاف التى تتعلق به وقرر فى القبة خمسين مقرئا يتناوبون قراءة القرآن ليلا ونهارا ورتب بها اماما راتبا وجعل بها رئيسا للمؤذنين عندما يؤذنون فوق منارة ليس فى اقليم مصر اجل منها ورتب بهذه القبة درسا لتفسير القرآن فيه مدرّس ومعيدان وثلاثون طالبا ودرس حديث نبوى وجعل بها خزانة كتب وستة خدام طواشية لا يزالون بها ورتب بالمدرسة اماما راتبا ومتصدّرا لاقراء القرآن ودروسا أربعة للفقه على المذاهب الاربعة ورتب بمكتب السبيل معلمين يقرئان الايتام ورتب للايتام رطلين من الخبز فى كل يوم لكل يتيم مع كسوة الشتاء والصيف فلما ولى الامير جمال الدين أقوش نائب الكرك نظر المارستان أنشأ به قاعة للمرضى ونحت الحجارة المبنى بها الجدر كلها حتى صارت كأنها جديدة وجدّد تذهيب الطراز بظاهر المدرسة والقبة وعمل خيمة تظل الاقفاص طولها مائة ذراع قام بذلك من ماله دون مال الوقف ونقل أيضا حوض ماء كان برسم شرب البهائم من جانب باب المارستان وابطله لتأذى الناس بنتن رائحة ما يجتمع قدامه من الاوساخ وأنشأ سبيل ماء يشرب منه الناس عوض الحوض المذكور وقد تورّع طائفة من أهل الديانة عن الصلاة فى المدرسة المنصورية والقبة وعابوا المارستان لكثرة عسف الناس فى عمله وذلك انه لما وقع اختيار السلطان على عمل الدار القطبية مارستانا انتدب الطواشى حسام الدين بلالا المغيثى للكلام فى شرائها فساس الامر فى ذلك حتى أنعمت مؤنسة خاتون ببيعها على أن تعوّض عنها بدار تلمها وعيالها فعوّضت قصر الزمرّذ برحبة باب العيد مع مبلغ مال حمل اليها ووقع البيع على هذا فندب السلطان الامير سنجر الشجاعى للعمارة فأخرج النساء من القطبية من غير مهلة وأخذ ثلثمائة أسير وجمع صناع القاهرة ومصر وتقدّم اليهم بأن يعملوا بأجمعهم فى الدار القطبية ومنعهم أن يعملوا لاحد فى المدينتين شغلا وشدّد عليهم فى ذلك وكان مهابا فلازموا العمل عنده ونقل من قلعة الروضة ما احتاج اليه من العمد الصوّان والعمد الرخام والقواعد والاعتاب والرخام البديع وغير ذلك وصار يركب اليها كل يوم وينقل الانقاض المذكورة على العجل الى المارستان ويعود الى المارستان فيقف مع الصناع على الاساقيل حتى لا يتوانوا فى عملهم وأوقف مماليكه بين القصرين فكان اذا مرّ أحد ولو جل ألزموه أن يرفع حجرا ويلقيه فى موضع العمارة فينزل الجندى والرئيس عن فرسه حتى يفعل ذلك فترك أكثر الناس المرور من هناك ورتبوا بعد الفراغ من العمارة وترتيب الوقف قياصورتها ما يقول أئمة الدين فى موضع أخرج أهله منه كرها وعمر بمستحثين يعسفون الصناع وأخرب ما عمره الغير ونقل اليه ما كان فيه فعمر به هل تجوز الصلاة فيه أم لا فكتب جماعة من الفقهاء لا تجوز فيه الصلاة فما زال المجد عيسى ابن الخشاب حتى أوقف الشجاعى على ذلك فشق عليه وجمع القضاة ومشايخ العلم بالمدرسة المنصورية وأعلمهم بالفتيا فلم يجبه أحد منهم بشئ سوى الشيخ محمد المرجانى فانه قال أنا افتيت بمنع الصلاة فيها وأقول الآن انه يكره الدخول من بابها ونهض قائما فانفض الناس واتفق أيضا أن الشجاعى ما زال بالشيخ محمد المرجانى يلح فى سؤاله أن يعمل ميعاد وعظ بالمدرسة المنصورية حتى أجاب بعد تمنع شديد فحضر الشجاعى والقضاة وأخذ المرجانى فى ذكر ولاة الامور من الملوك والامراء والقضاة وذم من يأخذ الاراضى غصبا ويستحث العمال فى عمائره وينقص من أجورهم وختم بقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا وقام فسأله الشجاعى الدعاء له فقال يا علم الدين

قد دعا لك ودعا عليك من هو خير منى وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم من ولى من أمر أمتى شيأ فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه وانصرف فصار الشجاعى من ذلك فى قلق وطلب الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد وكان له فيه اعتقاد حسن وفاوضه فى حديث الناس فى منع الصلاة فى المدرسة وذكر له أن السلطان انما أراد محاكاة نور الدين الشهيد والاقتداء به لرغبته فى عمل الخير فوقع الناس فى القدح فيه ولم يقدحوا فى نور الدين فقال له ان نور الدين أسر بعض ملوك الفرنج وقصد قتله ففدى نفسه بتسليم خمسة قلاع وخمسمائة ألف دينار حتى أطلقه فمات فى طريقه قبل وصوله مملكته وعمر نور الدين بذلك المال مارستانه بدمشق من غير مستحث فمن أين يا علم الدين تجد مالا مثل هذا المال وسلطانا مثل نور الدين غير أن السلطان له نيته وأرجوله الخير بعمارة هذا الموضع وأنت ان كان وقوفك فى عمله بنية نفع الناس فلك الاجر وان كان لاجل أن يعلم أستاذك علو همتك فما حصلت على شئ فقال الشجاعى الله المطلع على النيات وقرر ابن دقيق العيد فى تدريس القبة * (قال مؤلفه) ان كان التحرج من الصلاة لاجل أخذ الدار القطبية من أهلها بغير رضاهم واخراجهم منها بعسف واستعمال أنقاض القلعة بالروضة فلعمرى ما تملك بنى أيوب الدار القطبية وبناؤهم قلعة الروضة واخراجهم أهل القصور من قصورهم التى كانت بالقاهرة واخراج سكان الروضة من مساكنهم الا كأخذ قلاون الدار المذكورة وبنائها بما هدمه من القلعة المذكورة واخراج مؤنسة وعيالها من الدار القطبية وأنت ان امعنت النظر وعرفت ماجرى تبين لك أن ما القوم الا سارق من سارق وغاصب من غاصب وان كان التحرج من الصلاة لاجل عسف العمال وتسخير الرجال فشئ آخر بالله عرفنى فانى غير عارف من منهم لم يسلك فى أعماله هذا السبيل غير أن بعضهم أظلم من بعض وقد مدح غير واحد من الشعراء هذه العمارة منهم شرف الدين البوصيرى فقال

ومدرسة ودالخورنق انه * لديها حقير والسدير غدير
مدينة علم والمدارس حولها * قرى اونجوم بدرهن منير
تبدت فأخفى الظاهر نورها * وليس بظهر للنجوم ظهور
بناء كأن النحل هندس شكله * ولانت له كالشمع فيه صخور
بناها سعيد فى بقاع سعيدة * بها سعدت قبل المدارس نور
ومن حيثما وجهت وجهك نحوها * تلقتك منها نضرة وسرور
اذا قام يدعو الله فيها مؤذن * فما هو الا للنجوم سمير

(المارستان المؤيدى)

هذا المارستان فوق الصوة تجاه طبلخاناه قلعة الجبل حيث كانت مدرسة الاشرف شعبان بن حسين التى هدمها الناصر فرج بن برقوق وبابه هو حيث كان باب المدرسة الا انه ضيق عما كان * أنشأه المؤيد شيخ فى مدة أولها جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين وثمانمائة وآخرها رجب سنة ثلاث وعشرين ونزل فيه المرضى فى نصف شعبان وعملت مصارفه من جملة أوقاف الجامع المؤيدى المجاور لباب زويلة فلما مات الملك المؤيد فى ثامن المحرم سنة أربع وعشرين تعطل قليلا ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين فى ربيع الاول منها وصار منزلا للرسل الواردين من البلاد الى السلطان ثم عمل فيه منبر ورتب له خطيب وامام ومؤذنون وبواب وقومة وأقيمت به الجمعة فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة فاستقر جامعا تصرف معاليم أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع المؤيدى

(ذكر المساجد)

قال ابن سيده المسجد الموضع الذى يسجد فيه وقال الزجاج كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ألا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وقوله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه المعنى على هذا المذهب انه من أظلم ممن خالف قبلة الاسلام وقد كان حكمه أن لا يجئ على مفعل لان حق اسم المكان والمصدر من فعل يفعل أن يجئ على مفعل ولكنه أحد الحروف التى شذت فجاءت

على مفعل * قال سيبويه وأما المسجد فانهم جعلوه اسماللبيت ولم يأت على فعل يفعل كما قال فى المدق انه اسم للجلود يعنى انه ليس على الفعل ولو كان على الفعل لقيل مدق لانه آلة والآلات تجىء على مفعل كمخزن ومكنس ومكسح والمسجدة الجمرة المسجود عليها وقوله تعالى وان المساجد لله قيل هى مواضع السجود من الانسان الجبهة واليدان والركبتان والرجلان * وقال الشريف محمد بن اسعد الجوانى فى كتاب النقط على الخطط عن القاضى أبى عبد الله القضاعى انه كان فى مصر الفسطاط من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد * وقال المسبحى فى حوادث سنة ثلاث وأربعمائة وأحصى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله المساجد التى لاغلة لها فكانت ثمانمائة مسجد فأطلق لها فى كل شهر من بيت المال تسعة آلاف ومائتين وعشرين درهما وفى سنة خمس وأربعمائة حبس الحاكم بأمر الله سبع ضياع منها اطفيح وطوخ على القراء والمؤذنين بالجوامع وعلى ملء المصانع والمارستان وفى ثمن الاكفان * وذكر ابن المتوج أن عدة المساجد بمصر فى زمنه أربعمائة وثمانون مسجدا اذكرها

(المسجد بجوار دير البعل)

قد تقدم فى أخبار الكنائس والديارات من هذا الكتاب خبر دير البعل وانه يعرف بدير القطير ولما كان فى سنة خمس وسبعين وستمائة خرج جماعة من المسلمين الى دير البعل فرأوا آثار محاريب بجوار الدير فعرفوا الصاحب بهاء الدين بن حنا ذلك فسير المهندسين لكشف ماذكر فعادوا اليه وأخبروه انه آثار مسجد فشاور الملك الظاهر بيبرس وعمره مسجدا بجانب الدير وهو عامر الى الآن وبت به وهو من أحسن منتزهات مصر وله وقف جيد ومرتب يقوم به نصارى الدير

قوله قد تقدم الخ فيه انه لم يتقدم ذلك وانما اخبار الكنائس والديارات سيأتى ذكرها فى آخر الكتاب اه مصححه

(مسجد ابن الجباس)

هذا المسجد خارج باب زويلة بالقرب من مصلى الاموات دون باب البانسية عرف بالشيخ أبى عبد الله محمد بن على بن أحمد بن محمد بن جوشن المعروف بابن الجباس بجيم وباء موحدة بعدها ألف وسين مهملة القرشى العقيلى الفقيه الشافعى المقرئ كان فاضلا صالحا زاهدا عابدا مقرئا كتب بخطه كثيرا وسمع الحديث النبوى ومولده يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بالقاهرة ووفاته

هكذا بيض له فى الاصل

(مسجد ابن البناء)

هذا المسجد داخل باب زويلة وتسميه العوام سام بن نوح النبى عليه السلام وهو من مختلقاتهم التى لا اصل لها وانما يعرف بمسجد ابن البناء وسام بن نوح لعله لم يدخل أرض مصر البتة فان الله سبحانه وتعالى لما نجى نبيه نوحا من الطوفان خرج معه من السفينة أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث ومن هذه الثلاثة ذرأ الله سائر بنى آدم كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فقسم نوح الارض بين أولاده الثلاثة * فصار لسام بن نوح العراق وفارس الى الهند ثم الى حضرموت وعمان والبحرين وعالج ويبرين والدوو وبار والدهناء وسائر أرض اليمن والحجاز ومن نسله الفرس والسريانيون والعبرانيون والعرب والنبط والعماليق * وصار لحام بن نوح الجنوب مما يلى أرض مصر مغربا الى المغرب الاقصى ومن نسله الحبشة والزنج والقبط سكان مصر وأهل النوبة والافارقة أهل افريقية وأجناس البربر * وصار ليافث بن نوح بحر الخزر مشرقا الى الصين ومن نسله الصقالبة والفرنج والروم والغوط وأهل الصين واليونانيون والترك * وقد بلغنى أن هذا المسجد كان كنيسة لليهود القرايين تعرف بسام بن نوح وأن الحاكم بأمر الله أخذ هذه الكنيسة لما هدم الكنائس وجعلها مسجدا وتزعم اليهود القرايون الآن بمصر أن سام بن نوح مدفون هنا وهم الى الآن يحلفون من أسلم منهم بهذا المسجد أخبرنى به قاضى اليهود ابراهيم بن فرج الله بن عبد الكافى الداودى العانانى وليس هذا بأول شئ اختلقته العامة *(وابن البناء) هذا هو محمد بن عمر بن احمد بن جامع بن البناء أبو عبد الله الشافعى المقرئ سمع من القاضى مجلى وأبى عبد الله الكيزانى وغيره وحدث وأقرأ القرآن وانتفع به جماعة وهو منقطع بهذا المسجد وكان يعرف خطه بخط بين البابين ثم عرف بخط الاقفاليين ثم هو الآن يعرف بخط الضبيين وباب

القوس * ومات ابن البناء هذا فى العشر الاوسط من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وخمسمائة واتفق لى عند هذا المسجد أمر عجيب وهو أنى مررت من هنالك يوماً أعوام بضع وثمانين وسبعمائة والقاهرة يومئذ لا يعز الانسان بشارعها حتى يلقى عناء من شدة ازدحام الناس لكثرة مرورهم ركباناً ومشاة فعندما حاذيت أول هذا المسجد اذا برجل يمشى أمامى وهو يقول لرفيقه والله يا أخى ما مررت بهذا المكان قط الا وانقطع نعلى فوالله ما فرغ من كلامه حتى وطئ شخص من كثرة الزحام على مؤخر نعله وقد مد رجله ليخطو فانقطع تجاه باب المسجد فكان هذا من عجائب الامور وغرائب الاتفاق

(مسجد الحلبين)

هذا المسجد فيما بين باب الزهومة ودرب شمس الدولة على يسرة من سلك من حمام خشيبة طالباً البندقانيين بنى على المكان الذى قتل فيه الخليفة الظافر نصر بن عباس الوزير ودفنه تحت الارض فلما قدم طلائع بن رزيك من الاشمونين الى القاهرة باستدعاء أهل القصر له ليأخذ بثار الخليفة وغلب على الوزارة استخرج الظافر من هذا الموضع ونقله الى تربة القصر وبنى موضعه هذا المسجد وسماه المشهد وعمل له بابين أحدهما هذا الباب الموجود والباب الثانى كان يتوصل منه الى دار المأمون البطائحى التى هى اليوم مدرسة تعرف بالسيوفية وقد سد هذا الباب وما برح هذا المسجد يعرف بالمشهد الى أن انقطع فيه محمد بن أبى الفضل بن سلطان بن عمار ابن تمام أبو عبد الله الحلبى الجعبرى المعروف بالخطيب وكان صالحاً كثير العبادة زاهداً منقطعاً عن الناس ورعاً وسمع الحديث وحدث وكان مولده فى شهر رجب سنة أربع وعشرين وستمائة بقلعة جعبر ووفاته بهذا المسجد وقد طالت اقامته فيه يوم الاثنين سادس عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ودفن بمقابر باب النصر رحمه الله وهذا المسجد من أحسن مساجد القاهرة وأبهجها

(مسجد الكافورى)

هذا المسجد كان فى البستان الكافورى من القاهرة بناه الوزير المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحى فى سنة ست عشرة وخمسمائة وتولى عمارته وكيله أبو البركات محمد بن عثمان وكتب اسمه عليه وهو باق الى اليوم بخط الكافورى ويعرف هنالك بمسجد الخلفاء وفيه نخل وشجر وهو مرخم برخام حسن

(مسجد رشيد)

هذا المسجد خارج باب زويلة بخط تحت الربع على يسرة من سلك من دار التفاح يريد قنطرة الخرق بناه رشيد الدين البهائى

(المسجد المعروف بزرع النوى)

هذا المسجد خارج باب زويلة بخط سوق الطيور على يسرة من سلك من رأس المنجبية طالباً جامع قوصون والصليبة وتزعم العامة انه بنى على قبر رجل يعرف بزرع النوى وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيضاً من افتراء العامة الكذب فان الذين افردوا أسماء الصحابة رضى الله عنهم كالامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى فى تاريخه الكبير وابن أبى خيثمة والحافظ أبى عبد الله بن منذر والحافظ ابى نعيم الاصفهانى والحافظ أبى عمر بن عبد البر والفقيه الحافظ أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم لم يذكر أحد منهم صحابياً يعرف بزرع النوى وقد ذكر فى أخبار القرافة من هذا الكتاب من قبر بمصر من الصحابة وذكر فى أخبار مدينة فسطاط مصر أيضاً من دخل مصر من الصحابة وليس هذا منهم وهذا ان كان هنالك قبر فهو لامين الامناء أبى عبد الله الحسين بن طاهر الوزان وكان من أمره أن الخليفة الحاكم بأمر الله أبا على منصور بن العزيز بالله خلع عليه للوساطة بينه وبين الناس والتوقيع عن الحضرة فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعمائة وكان قبل ذلك يتولى بيت المال فاستخدم فيه أخاه أبا الفتح مسعوداً وكان قد ظفر بمال يكون عشرات وصياغات وأمتعة وطرائف وفرش وغير ذلك فى عدة آدر بمصر وجميعه مما خلفه قائد القواد الحسين بن جوهر القائد فباع المتاع واضاف ثمنه الى العين فحصل منه مال كثير وطالع الحاكم بأمر الله به أجمع لورود

.يكون عشرات هكذا
انسخ وانظر ما معناه
ل المراد ما بين نقود
ـياغات الخ كما يؤخذ
مد وليحرر اه مصححه

قائد القوّاد ولم يتعرض منه لشئ وكثرت صلات الحاكم وعطاؤه وتوقيعاته فانطلق فى ذلك فاتصل به عن أمين الامناء بعض التوقف فخرجت اليه رقعة بخطه فى الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وأربعمائة نسختها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله كما هو أهله

اصبحت لاأرجو ولاانقى * الاالهى وله الفضل

جدّى نبى وامامى أبى * ودينى الاخلاص والعدل

ماعندكم ينفد وما عند الله باق المال مال الله عزوجلّ والخلق عيال الله ونحن أمناؤه فى الارض أطلق أرزاق الناس ولاتقطعها والسلام * ولم يزل على ذلك الى أن بطل أمره فى جمادى الآخرة من سنة خمس وأربعمائة وذلك انه ركب مع الحاكم على عادته فلما حصل بحارة كتامة خارج القاهرة ضرب رقبته هنالك ودفن فى هذا الموضع تخمينا واستحضر الحاكم جماعة الكتّاب بعد قتله وسأل رؤساء الدواوين عما يتولاه كل واحد منهم وأمرهم بلزوم دواوينهم وتوفرهم على الخدمة وكانت مدّة نظر ابن الوزان فى الوساطة والتوقيع عن الحضرة وهى رتبة الوزارة سنتين وشهرين وعشرين يوما وكان توقيعه عن الحضرة الامامية الحمد لله وعليه توكلى

(مسجد الذخيرة)

هذا المسجد تحت قلعة الجبل بأوّل الرميلة تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون التى تلى بابها الكبير الذى سدّه الملك الظاهر برقوق أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة * قال ابن المأمون فى تاريخه وفى هذه السنة يعنى سنة ست عشرة وخمسمائة استخدم ذخيرة الملك جعفر فى ولاية القاهرة والحسبة بسجل أنشأه ابن الصيرفى وجرى من عسفه وظلمه ماهو مشهور وبنى المسجد الذى مابين الباب الجديد الى الجبل الذى هو به معروف وسمى مسجد لابالله بحكم انه كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم فيحلفونه ويقولون له لابالله فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة ولم يعمل فيه منذ أنشأه الاصانع مكره أو فاعل مقيد وكتبت عليه هذه الابيات المشهورة

بنى مسجد الله من غير حله * وكان بحمد الله غير موفق

كمطعمة الايتام من كدّ فرجها * لك الويل لاتزنى ولاتتصدّقى

وكان قد أبدع فى عذاب الجناة وأهل الفساد وخرج عن حكم الكتّاب فابتلى بالامراض الخارجة عن المعتاد ومات بعد ماعجل الله له ماقدّمه وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه وذكر عنه فى حالتى غسله وحلوله بقبره مايعيذ الله كلّ مسلم من مثله وقال ابن عبد الظاهر مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل وذكر ماتقدّم عن ابن المأمون

(مسجد رسلان)

هذا المسجد بحارة الباطنية عرف بالشيخ الصالح رسلان لاقامته به وقد حكيت عنه كرامات ومات به فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة وكان يتقوّت من أجرة خياطته للثياب وابنه عبد الرحمن بن محمد بن رسلان ابو القاسم كان فقيها محدّثا مقرئا مات فى سنة سبع وعشرين وستمائة

(مسجد ابن الشيخى)

هذا المسجد بخط الكافورى مما يلى باب القنطرة وجهة الخليج مجاور لدار ابن الشيخى أنشأه المهتار ناصر الدين محمد بن علاء الدين على الشيخى مهتار السلطان بالاصطبلات السلطانية وقرّر فيه شيخنا تقىّ الدين محمد بن حاتم فكان يعمل فيه ميعادا يجتمع الناس فيه لسماع وعظه وكان ابن الشيخى هذا حشما فخورا خيرا يحب أهل العلم والصلاح ويكرمهم ولم نر بعده فى رتبته مثله ومات ليلة الثلاثاء أوّل يوم من شهر ربيع الاوّل سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

(مسجد بانس)

هذا المسجد كان تجاه باب سعادة خارج القاهرة * قال ابن المأمون فى تاريخه وكان الاجل المأمون يعنى الوزير

محمد بن فاتك البطائحي قد ضم اليه عدة من مماليك الافضل بن أمير الجيوش من جملتهم يانس وجعله مقدما على صبيان جلسه وسلم اليه بيت ماله وميزه فى رسومه فلما رأى المذكور فى ليلة النصف من شهر رجب يعنى سنة ست عشرة وخمسمائة ما عمل فى المسجد المستجد قبالة باب الخوخة من الهمة ووفور الصدقات وملازمة الصلوات وما حصل فيه من المثوبات كتب رقعة يسأل فيها أن يفسح له فى بنا مسجد بظاهر باب سعادة فلم يجبه المأمون الى ذلك وقال له ما ثم مانع من عمارة المساجد وأرض الله واسعة وانما هذا الساحل فيه معونة للمسلمين وموردة للسقائين وهو مرسى مراكب الغلة والمضرة فى مضايقة المسلمين فيه منه ولولم يكن المسجد المستجد قبالة باب الخوخة محرسا لما استجد حتى انالم نخرج بساحته الاولى فان أردت أن تبنى قبلى مسجد الريفى أو على شاطئ الخليج فالطريق ثم سهلة فقبل الارض وامتثل الامر فلما قبض على المأمون وأمّر الخليفة يانس المذكور ولم يزل ينقله الى أن استخدمه فى حجبة بابه سأله فى مثل ذلك فلم يجبه الى أن أخذ الوزارة فبناه فى المكان المذكور وكانت مدته يسيرة فتوفى قبل اتمامه واكماله فكمله أولاده بعد وفاته انتهى وقد تقدم خبر وزارة أبى الفتح ناظر الجيوش يانس الارمنى هذا عند ذكر الحارة اليانسية من هذا الكتاب

(مسجد باب الخوخة)

هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبى غالب * قال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة ولما سكن المأمون الاجل دار الذهب وما معها يعنى فى أيام النيل للنزهة عند سكن الخليفة الآمر بأحكام الله بقصر اللؤلؤة المطل على الخليج رأى قبالة باب الخوخة محرسا فاستدعى وكيله وأمره بأن يزيل المحرس المذكور ويبنى موضعه مسجدا وكان الصناع يعملون فيه ليلا ونهارا حتى انه تفطر بعد ذلك واحتيج الى تجديده

(المسجد المعروف بمعبد موسى)

هذا المسجد بخط الركن المخلق من القاهرة تجاه باب الجامع الاقمر المجاور لحوض السبيل وعلى يمنة من سلك من بين القصرين طالبا رحبة باب العيد أوّل من اختطه القائد جوهر عند ما وضع القاهرة قال ابن عبد الظاهر ولما بنى القائد جوهر القصر دخل فيه دير العظام وهو المكان المعروف الآن بالركن المخلق قبالة حوض الجامع الاقمر وقريب دير العظام والمصريون يقولون بئر العظمة فكره أن يكون فى القصر دير فنقل العظام التى كانت به والرمم الى دير بناه فى الخندق لانه كان يقال انها كانت عظام جماعة من الحواريين وبنى مكانها مسجدا من داخل السور يعنى سور القصر * وقال جامع سيرة الظاهر بيبرس وفى ذى الحجة سنة ستين وستمائة ظهر بالمسجد الذى بالركن المخلق من القاهرة حجر مكتوب عليه هذا معبد موسى بن عمران عليه السلام فجددت عمارته وصار يعرف بمعبد موسى من حينئذ ووقف عليه ربع بجانبه وهو باق الى وقتنا هذا

(مسجد نجم الدين)

هذا المسجد ظاهر باب النصر أنشأه الملك الافضل نجم الدين أبو سعيد أيوب بن شادى يعقوب بن مروان الكردى والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعل الى جانبه حوض ماء للسبيل ترده الدواب فى سنة ست وستين وخمسمائة ونجم الدين هذا قدم هو وأخوه أسد الدين شيركوه من بلاد الاكراد الى بغداد وخدم بها وترقى فى الخدم حتى صار دزدارا بقلعة تكريت ومعه أخوه ثم انه انتقل عنها الى خدمة الملك المنصور عماد الدين اتابك زنكى بالموصل فخدمه حتى مات فتعلق بخدمة ابنه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فرقاه وأعطاه بعلبك وحج من دمشق سنة خمس وخمسمائة فلما قدم ابنه صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عمه أسد الدين شيركوه من عند نور الدين محمود الى القاهرة وصار الى وزارة العاضد بعد موت شيركوه قدم عليه أبوه نجم الدين فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين وخمسمائة وخرج العاضد الى لقائه وأنزله بمناظر اللؤلؤة فلما استبد صلاح الدين بسلطنة مصر بعد موت الخليفة العاضد اقطع أباه نجم الدين الاسكندرية والبحيرة الى أن مات بالقاهرة فى يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة وقيل فى ثامن عشره من سقطة عن ظهر فرسه خارج باب النصر فحمل الى داره فمات بعد أيام وكان خيرا جوادا ممتدحا محبا لاهل العلم والخير

وما مات

وما مات حتى رأى من أولاده عدة ملوك وصار يقال له أبو الملوك ومدحه العماد الاصبهانى بعدة قصائد ورثاه الفقيه عمارة بقصيدته التى أولها

هى الصدمة الاولى فمن بان صبره * على هول ملقاه تعاظم أمره

(مسجد صواب)

هذا المسجد خارج القاهرة بخط الصليبة عرف بالطواشى شمس الدين صواب مقدم المماليك السلطانية ومات فى ثامن رجب سنة اثنتين وأربعين وستمائة ودفن به وكان خيرا دينا فيه صلاح

(المسجد بجوار المشهد الحسينى)

هذا المسجد انهى فى مستهل شهر رجب سنة اثنتين وستين وستمائة للملك الظاهر ركن الدين بيبرس وهو بدار العدل أن مسجدا على باب مشهد السيد الحسين عليه السلام والى جانبه مكان من حقوق القصر بيع وحمل ثمنه للديوان وهو ستة آلاف درهم فسأل السلطان عن صورة المسجد وهذا الموضع وهل كل منهما بمفرده أو عليهما حائط دائر فقيل له ان بينهما زرب قصب فأمر برد المبلغ وابقى الجميع مسجدا وأمر بعمارة ذلك مسجدا لله تعالى

(مسجد الفجل)

هذا المسجد بخط بين القصرين تجاه بيت البيسرى أصله من مساجد الخلفاء الفاطميين أنشأه على ما هو عليه الآن الامير بشتاك لما أخذ قصر أمير سلاح ودار أقطوان الساقى وأحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من عمارة الخلفاء وأدخلها فى عمارته التى تعرف اليوم بقصر بشتاك ولم يترك من المساجد والمعابد سوى هذا المسجد فقط ويجلس فيه بعض نواب القضاة المالكية للحكم بين الناس وتسميه العامة مسجد الفجل وتزعم أن النيل الاعظم كان يمر بهذا المكان وأن الفجل كان يغسل موضع هذا المسجد فعرف بذلك وهذا القول كذب لا أصل له وقد تقدم فى هذا الكتاب ما كان عليه موضع القاهرة قبل بنائها وما علمت أن النيل كان يمر هنالك أبدا وبلغنى انه عرف بمسجد الفجل من اجل أن الذى كان يقوم به كان يعرف بالفجل والله اعلم

(مسجد تبر)

هذا المسجد خارج القاهرة مما يلى الخندق عرف قديما بالبئر والجميزة وعرف بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ وموضعه خارج القاهرة قريبا من المطرية قال القضاعى مسجد تبر بنى على رأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه انفذه المنصور فسرقه أهل مصر ودفنوه هنالك وذلك فى سنة خمس وأربعين ومائة ويعرف بمسجد البئر والجميزة وقال الكندى فى كتاب الامراء ثم قدمت الخطباء الى مصر برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن أبى طالب فى ذى الحجة سنة خمس واربعين ومائة لينصبوه فى المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا امره * وتبر هذا أحد الامراء الاكابر فى ايام الاستاذ كافور الاخشيدى فلما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار تبر الاخشيدى هذا فى جماعة من الكافورية والاخشيدية وحاربه فانهزم بمن معه الى اسفل الارض فبعث جوهر يستعطفه فلم يجب واقام على الخلاف فسير اليه عسكرا حاربه بناحية صهرجت فانكسر وصار الى مدينة صور التى كانت على الساحل فى البحر فقبض عليه بها وأدخل الى القاهرة على فيل فسجن الى صفر سنة ستين وثلثمائة فاشتدت المطالبة عليه وضرب بالسياط وقبضت امواله وحبس عدة من أصحابه بالمطبق فى التسود الى ربيع الآخر منها فجرح نفسه واقام أياما مريضا ومات فسلخ بعد موته وصلب عند كرسى الجبل * وقال ابن عبد الظاهر انه حشى جلده تبنا وصلب فربما سمت العامة مسجده بذلك لما ذكرناه وقيل ان تبرا هذا خادم الدولة المصرية وقبره بالمسجد المذكور قال مؤلفه هذا وهم وانما هو تبر الاخشيدى

(مسجد القطبية)

هذا المسجد كان حيث المدرسة المنصورية ببين القصرين والله اعلم

﴿ذكر الخوانك﴾

الخوانك جمع خانكاه وهي كلمة فارسية معناها بيت وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك والخوانك حدثت في الاسلام في حدود الاربعمائة من سني الهجرة وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى * قال الاستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ولما أدرك أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون انفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة قال وهذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة الصوفية ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والاظهر فيه انه كاللقب فأما قول من قال انه من الصوف وتصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال انهم ينسبون الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي ومن قال انه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة وقول من قال انه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى فالمعنى صحيح لكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة من الصف ثم ان هذه الطائفة اشهر من أن يحتاج في تعيينهم الى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق والله اعلم * وقال الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردي رحمه الله والصوفي يضع الاشياء في مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه ويستر ما ينبغي أن يستر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأتي بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص فقوم من المفتونين لبسوا ألبسة الصوفية لينسبوا اليهم وما هم منهم بشيء بل هم في غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية توقيا تارة ودعوة أخرى وينتهجون مناهج أهل الاباحة ويزعمون أن ضمائرهم خلصت الى الله تعالى وأن هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الافهام وهذا هو عين الالحاد والزندقة والابعاد ولله در القائل

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا * فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست انحل هذا الاسم غير فتى * صافى وصوفي حتى سمي الصوفي

قال مؤلفه ذهب والله ما هنالك وصارت الصوفية كما قال الشيخ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري

ما شروط الصوفي في عصرنا اليو * م سوى ستة بغير زياده
وهي نيك العلوق والسكر والسطـ * لة والرقص والغنا والقياده
واذا ما هذى وابدى اتحادا * وحلولا من جهله أو اعاده
وانى المنكرات عقلا وشرعا * فهو شيخ الشيوخ ذو السجاده

ثم تلاشى الآن حال الصوفية ومشايخها حتى صاروا من سقط المتاع لا ينسبون الى علم ولا ديانة والى الله المشتكى * وأول من اتخذ بيتا للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة وذلك انه عمد الى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره فجاء يوما ليزورهم فسأل عنهم فاذا عبد الله بن عامر عامل البصرة لامير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قد دعاهم فأتاه فقال له يا ابن عامر ما تريد من هؤلاء القوم قال أريد أن أقربهم فيشفعوا فأشفعهم ويسألوا فأعطيهم ويشيروا علي فأقبل منهم فقال لا ولا كرامة تأتي الى قوم قد انقطعوا الى الله تعالى فتدنسهم بدنياك وتشركهم في أمرك حتى اذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم فطاحوا لا الى الدنيا ولا الى الآخرة قوموا فارجعوا الى مواضعكم فقاموا فأمسك ابن عامر فما نطق بلفظة ذكره أبو نعيم

(الخانكاه الصلاحية دار سعيد السعداء دويرة الصوفية)

هذه الخانكاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة كانت أولا دارا تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الاستاذ قنبر ويقال عنبر وذكر ابن ميسر أن اسمه بيان ولقبه سعيد السعداء أحد الاستاذين المحنكين خدام القصر عتيق الخليفة المستنصر قتل فى سابع شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورمى برأسه من القصر ثم صلبت جثته بباب زويلة من ناحية الخرق وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة فلما كانت وزارة العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك سكنها وفتح من دار الوزارة اليها سردابا تحت الارض ليمر فيه ثم سكنها الوزير شاور بن مجير فى أيام وزارته ثم ابنه الكامل فلما استبد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى بملك مصر بعد موت الخليفة العاضد وغير رسوم الدولة الفاطمية ووضع من قصر الخلافة وأسكن فيه أمراء دولته الاكراد عمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم فى سنة تسع وستين وخمسمائة وولى عليهم شيخا ووقف عليهم بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج القاهرة وقيسارية الشراب بالقاهرة وناحية دهمرو من البهنساوية وشرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطانى ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره ورتب للصوفية فى كل يوم طعاما ولحما وخبزا وبنى لهم حماما بجوارهم فكانت أول خانكاه عملت بديار مصر وعرفت بدويرة الصوفية ونعت شيخها بشيخ الشيوخ واستمر ذلك بعده الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة واتضعت الاحوال وتلاشت الرتب فلقب كل شيخ خانكاه بشيخ الشيوخ وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم وولى مشيختها الاكابر والاعيان كأولاد شيخ الشيوخ بن حمويه مع ما كان لهم من الوزارة والامارة وتدبير الدولة وقيادة الجيوش وتقدمة العساكر ووليها ذو الرياستين الوزير الصاحب قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن بن ذى الرياستين الوزير الصاحب قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز وجماعة من الاعيان ونزل بها الاكابر من الصوفية وأخبرنى الشيخ أحمد بن على القصار رحمه الله انه أدرك الناس فى يوم الجمعة يأتون من مصر الى القاهرة ليشاهدوا صوفية خانقاه سعيد السعداء عندما يتوجهون منها الى صلاة الجمعة بالجامع الحاكمى كى تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم وكان لهم فى يوم الجمعة هيئة فاضلة وذلك انه يخرج شيخ الخانقاه منها وبين يديه خدام الربعة الشريفة قد حملت على رأس أكبرهم والصوفية مشاة بسكون وخفر الى باب الجامع الحاكمى الذى يلى المنبر فيدخلون الى مقصورة كانت هنالك على يسرة الداخل من الباب المذكور تعرف بمقصورة البسملة فانه بها الى اليوم بسملة قد كتبت بحروف كبار فيصلى الشيخ تحية المسجد تحت سحابة منصوبة له دائما وتصلى الجماعة ثم يجلسون وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرؤن القرآن حتى يؤذن المؤذنون فتؤخذ الاجزاء منهم ويشتغلون بالتركع واستماع الخطبة وهم منصتون خاشعون فاذا انقضت الصلاة والدعاء بعدها قام قارئ من قراء الخانقاه ورفع صوته بقراءة ما تيسر من القرآن ودعا للسلطان صلاح الدين ولواقف الجامع ولسائر المسلمين فاذا فرغ قام الشيخ من مصلاه وسار من الجامع الى الخانقاه والصوفية معه كما كان توجههم الى الجامع فيكون هذا من أجمل عوائد القاهرة ومابرح الامر على ذلك الى أن ولى الامير يلبغا السالمى نظر الخانقاه المذكورة فى يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة فنزل اليها وأخرج كتاب الوقف وأراد العمل بما فيه من شرط الواقف فقطع من الصوفية المنزلين بها عشرات ممن له منصب ومن هو مشهور بالمال وزاد الفقراء المجردين وهم المقيمون بها فى كل يوم رغيفا من الخبز فصار لكل مجرد أربعة أرغفة بعد ما كانت ثلاثة ورتب بالخانقاه وظيفتى ذكر بعد صلاة العشاء الآخرة وبعد صلاة الصبح فكثر النكير على السالمى ممن أخرجهم وزاد الاشلاء فقال بعض ادباء العصر فى ذلك

يا أهل خانقة الصلاح أراكم * ما بين شاك للزمان وشاتم

يكفيكم ما قد أكلتم باطلا * من وقفها وخرجتم بالسالم

وكان سبب ولاية السالمى نظر الخانقاه المذكورة أن العادة كانت قديما أن الشيخ هو الذى يتحدث فى نظرها فلما كانت ايام الظاهر برقوق ولى مشيختها شخص يعرف بالشيخ محمد البلالى قدم من البلاد الشامية وصار للامير سودون الشيخونى نائب السلطنة بديار مصر فيه اعتقاد فلما سعى له فى المشيخة

واستقرّ فيها بتعيينه سأله أن يتحدّث في النظر اعانة له فتحدّث وكانت عدّة الصوفية بها نحو الثلثمائة رجل لكل منهم في اليوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة ارطال خبز وقطعة لحم زنتها ثلث رطل في مرق ويعمل لهم الحلوى في كل شهر ويفرّق فيهم الصابون ويعطى كل منهم في السنة عن ثمن كسوة قدر أربعين درهما فنزل الامير سودون عندهم جماعة كثيرة بجز ريع الوقف عن القيام لهم بجميع ما ذكر فقطعت الحلوى والصابون والكسوة ثم ان ناحية دهمرو شرقت في سنة تسع وتسعين لقصور ماء النيل فوقع العزم على غلق مطبخ الخانقاه وابطال الطعام فلم تحتمل الصوفية ذلك وتكررت شكواهم للملك الظاهر برقوق فولى الامير يلبغا السالمي النظر وأمره أن يعمل بشرط الواقف فلما نزل الى الخانقاه وتحدّث فيها اجتمع بشيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني وأوقفه على كتاب الوقف فأفتاه بالعمل بشرط الواقف وهو أن الخانقاه تكون وقفا على الطائفة الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة والقاطنين بالقاهرة ومصر فان لم يوجدوا كانت على الفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الاشعرية الاعتقاد ثم انه جمع القضاة وشيخ الاسلام وسائر صوفية الخانقاه بها وقرأ عليهم كتاب الوقف وسأل القضاة عن حكم الله فيه فانتدب للكلام رجلان من الصوفية هما زين الدين أبو بكر القمني وشهاب الدين أحمد العبادي الحنفي وارتفعت الاصوات وكثر اللغط فأشار القضاة على السالمي أن يعمل بشرط الواقف وانصرفوا فقطع منهم نحو الستين رجلا منهم المذكوران فامتعض العبادي وغضب من ذلك وشنع بأن السالمي قد كفر وبسط لسانه بالقول فيه وبدت منه سماجات فقبض عليه السالمي وهو ماش بالقاهرة فاجتمع عدّة من الاعيان وفرّقوا بينهما فبلغ ذلك السلطان فأحضر القضاة والفقهاء وطلب العبادي في يوم الخميس ثامن شهر رجب وادّعى عليه السالمي فاقتضى الحال تعزيره فعزر وكشف رأسه وأخرج من القلعة ماشيا بين يدي القضاة ووالي القاهرة الى باب زويلة فسجن بحبس الديلم ثم نقل منه الى حبس الرحبة فلما كان يوم السبت حادي عشره استدعى الى دار قاضي القضاة جمال الدين محمود القيصري الحنفي وضرب بحضرة الامير علاء الدين علي بن الطبلاوي والي القاهرة نحو الاربعين ضربة بالعصا تحت رجليه ثم أعيد الى الحبس وأفرج عنه في ثامن عشره بشفاعة شيخ الاسلام فيه ولما جدّد الامير يلبغا السالمي الجامع الاقمر وعمل له منبرا وأقيمت به الجمعة في شهر ربيع الاوّل سنة احدى وثمانمائة الزم الشيخ بالخانقاه والصوفية ان يصلوا الجمعة به فصاروا يصلون الجمعة فيه الى أن زالت أيام السالمي فتركوا الاجتماع بالجامع الاقمر ولم يعودوا الى ما كانوا عليه من الاجتماع بالجامع الحاكمي ونسي ذلك ولم يكن بهذه الخانقاه مئذنة والذي بنى هذه المئذنة شيخ ولى مشيختها في سنة بضع وثمانين وسبعمائة يعرف بشهاب الدين أحمد الانصاري وكان الناس يمرّون في صحن الخانقاه بنعالهم فجدّد شخص من الصوفية بها يعرف بشهاب الدين أحمد العثماني هذا الدرابزين وغرس فيه هذه الاشجار وجعل عليها وقفا لمن يتعاهدها بالخدمة

* (خانقاه ركن الدين بيبرس) *

هذه الخانقاه من جملة دار الوزارة الكبرى التي تقدّم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب وهي أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري قبل أن يلي السلطنة وهو أمير فبدأ في بنائها في سنة ست وسبعمائة وبنى بجانبها رباطا كبيرا يتوصل اليه من داخلها وجعل بجانب الخانقاه قبة بها قبره ولهذه القبة شباك يشرف على الشارع المسلوك فيه من رحبة باب العيد الى باب النصر من جملتها الشباك الكبير الذي حمله الامير أبو الحارث البساسيري من بغداد لما غلب الخليفة القائم العباسي وأرسل بعمامته وشباكه الذي كان بدار الخلافة في بغداد وتجلس الخلفاء فيه وهو هذا الشباك كما ذكر في أخبار دار الوزارة من هذا الكتاب فلما ورد هذا الشباك من بغداد عمل بدار الوزارة واستمرّ فيها الى أن عمر الامير بيبرس الخانقاه المذكورة فجعل هذا الشباك بقبة الخانقاه وهو بها الى يومنا هذا وانه لشباك جليل القدر حشم يكاد يتبين عليه أبهة الخلافة ولما شرع في بنائها رفق بالناس ولاطفهم ولم يعسف فيها أحدا في بنائها ولا أكره صانعا ولا غصب من آلاتها شيأ وانما اشترى دار الامير عز الدين الافرم التي كانت بمدينة مصر واشترى دار الوزير هبة الله بن صاعد الفائزي وأخذ ما كان فيهما من الانقاض واشترى أيضا دار الانماط التي كانت برأس حارة الجودرية من القاهرة ونقضها وما حولها واشترى أملاكا كانت قد

بنيت فى أرض دار الوزارة من ملاكها بغير اكراه وهدمها فكان قياس أرض الخانقاه والرباط والقبة نحو فدان وثلث وعندما شرع فى بنائها حضر اليه الامير ناصر الدين محمد ابن الامير بكتاش الفخرى أمير سلاح وأراد التقرب لخاطره وعرّفه أن بالقصر الذى فيه سكن أبيه مغارة تحت الارض كبيرة يذكر أن فيها ذخيرة من ذخائر الخلفاء الفاطميين وأنهم لما فتحوها لم يجدوا بها سوى رخام كثير فسدّوها ولم يتعرّضوا لشئ مما فيها فسرّ بذلك وبعث عدة من الامراء فتحوا المكان فاذا فيه رخام جليل القدر عظيم الهيئة فيه ما لا يوجد مثله لعظمه فنقله من المغارة ورخم منه الخانقاه والقبة وداره التى بالقرب من البندقانيين وحارة زويلة وفضل منه شئ كثير عهدى انه مختزن بالخانقاه وأظنه أنه باق هناك ولما كملت فى سنة تسع وسبعمائة قرّر بالخانقاه أربعمائة صوفى وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت وجعل بها مطبخا يفرّق على كل منهم فى كل يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البرّ وجعل لهم الحلاوى ورتب بالقبة درسا للحديث النبوى له مدرّس وعنده عدة من المحدّثين ورتب القرّاء بالشباك الكبير يتناوبون القراءة فيه ليلا ونهارا ووقف عليها عدة ضياع بدمشق وحماه ومنية المخلص بالجيزة من أرض مصر وبالصعيد والوجه البحرى والربع والقيسارية بالقاهرة فلما خلع من السلطنة وقبض عليه الملك الناصر محمد بن قلاوون وقتله أمر بغلقها فغلقت وأخذ سائر ما كان موقوفا عليها ومحا اسمه من الطراز الذى بظاهرها فوق الشبابيك وأقامت نحو عشرين سنة معطلة ثم انه أمر بفتحها فى أوّل سنة ست وعشرين وسبعمائة ففتحت وأعاد اليها ما كان موقوفا عليها واستمرّت الى أن شرقت أراضى مصر لقصور مدّ النيل أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين فى سنة ست وسبعين وسبعمائة فبطل طعامها وتعطل مطبخها واستمرّ الخبز ومبلغ سبعة دراهم لكل واحد فى الشهر بدل الطعام ثم صار لكل واحد منهم فى الشهر عشرة دراهم فلما قصر مدّ النيل فى سنة ست وتسعين وسبعمائة بطل الخبز أيضا وغلق المخبز من الخانقاه وصار الصوفية يأخذون فى كل شهر مبلغا من الفلوس معاملة القاهرة وهم على ذلك الى اليوم وقد أدركتها ولا يمكن بوّابها غير أهلها من العبور اليها والصلاة فيها لما لها فى النفوس من المهابة ويمنع الناس من دخولها حتى الفقهاء والاجناد وكان لا ينزل بها أمرد وفيها جماعة من أهل العلم والخير وقد ذهب ما هنالك فنزل بها اليوم عدة من الصغار ومن الاساكفة وغيرهم من العامّة الا أن أوقافها عامرة وأرزاقها دارّة بحسب نقود مصر ومن حسن بناء هذه الخانقاه انه لم يحتج فيها الى مرمّة منذ بنيت الى وقتنا هذا وهى مبنية بالحجر وكلها عقود محكمة بدل السقوف الخشب وقد سمعت غير واحد يقول انه لم تبن خانقاه أحسن من بنائها

* (الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى) * اشتراه الملك المنصور قلاوون صغيرا وربّاه فى الخدم السلطانية الى أن جعله أحد الامراء وأقامه جاشنكير وعرف بالشجاعة فلما مات الملك المنصور خدم ابنه الملك الاشرف خليلا الى أن قتله الامير بيدرا بناحية تروجة فكان أوّل من ركب على بيدرا فى طلب ثار الملك الاشرف وكان مهابا بين خشداشيته فركبوا معه وكان من نصرتهم على بيدرا وقتله ما قد ذكر فى موضعه فاشتهر ذكره وصار أستادار السلطان فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الثانية رفيقا للامير سلار نائب السلطنة وبه قويت الطائفة البرجية من المماليك واشتدّ بأسهم وصار الملك الناصر تحت حجر بيبرس وسلار الى أن أنف من ذلك وسار الى الكرك فأقيم بيبرس فى السلطنة يوم السبت ثالث عشرى شوّال سنة ثمان وسبعمائة فاستضعف جانبه وانحط قدره ونقصت مهابته وتغلب عليه الامراء والمماليك واضطربت أمور المملكة لمكان الامير سلار وكثرة حاشيته وميل القلوب الى الملك الناصر وفى أيامه عمل الجسر من قليوب الى مدينة دمياط وهو مسيرة يومين طولا فى عرض أربع قصبات من أعلاه وست قصبات من أسفله حتى انه كان يسير عليه ستة من الفرسان معا بحذاء بعضهم وأبطل سائر الخمارات من السواحل وغيرها من بلاد الشام وسامح بما كان من المقرّر عليها للسلطان وعوّض الاجناد بدله وكبست أماكن الريب والفواحش بالقاهرة ومصر وأريقت الخمور وضرب الناس كثير فى ذلك بالمقارع وتتبع أماكن الفساد وبالغ فى ازالته ولم يراع فى ذلك أحدا من الكتاب ولا من الامراء فخف المنكر وخفى الفساد الا أن الله أراد زوال دولته فسوّلت له نفسه أن بعث الى الملك الناصر بالكرك يطلب منه ما خرج به معه من الخيل والمماليك وحمل الرسول اليه بذلك مشافهة أغلظ عليه فيها فحنق من ذلك وكاتب نوّاب الشام وامراء مصر فى السرّ يشكو ما حلّ به ويترفق بهم ويتلطف بهم

فرقوا له وامتعضوا لما به ونزل الناصر من الكرك وبرز عنها فاضطرب الامر بمصر واختل الحال من بيبرس وأخذ العسكر يسير من مصر الى الناصر شيأ بعد شئ وسار الناصر من ظاهر الكرك يريد دمشق فى غرة شعبان سنة تسع وسبعمائة فعندما نزل الكسوة خرج الامراء وعامة أهل دمشق الى لقائه ومعهم شعار السلطنة ودخلوا به الى المدينة وقد فرحوا به فرحا كثيرا فى ثانى عشر شعبان ونزل بالقلعة وكاتب النواب فقدموا عليه وصارت ممالك الشام كلها تحت طاعته يخطب له بها ويجبى اليه مالها ثم خرج من دمشق بالعساكر يريد مصر وأمر بيبرس كل يوم فى نقص الى أن كان يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان فترك بيبرس المملكة ونزل من قلعة الجبل ومعه خواصه الى جهة باب القرافة والعامة تصيح عليه وتسبه وترجمه بالحجارة عصبية للملك الناصر وحباله حتى سار عن القرافة ودعا الحرس بالقلعة فى يوم الاربعاء للملك الناصر فكانت مدة سلطنة بيبرس عشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما وقدم الملك الناصر الى قلعة الجبل أول يوم من شوال وجلس على تخت المملكة واستولى على السلطنة مرة ثالثة ونزل بيبرس باطفيح ثم سار منها الى اخميم فلما صار بها تفرق عنه من كان معه من الامراء والمماليك فصاروا الى الملك الناصر فتوجه فى نفر يسير على طريق السويس يريد بلاد الشام فقبض عليه شرقى غزة وحمل مقيدا الى الملك الناصر فوصل قلعة الجبل يوم الاربعاء ثالث عشر ذى القعدة واوقف بين يدى السلطان وقبل الارض فعنفه وعدد عليه ذنوبا ووبخه ثم أمر به فسجن فى موضع الى ليلة الجمعة خامس عشره وفيها الحق بربه تعالى فحمل الى القرافة ودفن فى تربة الفارس اقطاى ثم نقل منها بعد مدة الى تربته بسفح المقطم فقبر بها زمانا طويلا ثم نقل منها ثالث مرة الى خانقاهه ودفن بقبتها وقبره هنالك الى يومنا هذا وأدركت بالخانقاه المذكورة شيخا من صوفيتها أخبرنى انه حضر نقله من تربته بالقرافة الى قبة الخانقاه وانه تولى وضعه فى مدفنه بنفسه وكان رحمه الله خيرا عفيفا كثير الحياء وافر الحرمة جليل القدر عظيما فى النفوس مهاب السطوة فى أيام امرته فلما تلقب بالسلطنة ووسم باسم الملك اتضع قدره واستضعف جانبه وطمع فيه وتغلب عليه الامراء والمماليك ولم تنجح مقاصده ولا سعد فى شئ من تدبيره الى أن انقضت أيامه وأناخ به حمامه رحمه الله

* (الخانقاه الجمالية) *

هذه الخانقاه بالقرب من درب راشد يسلك اليها من رحبة باب العيد بناها الامير الوزير مغلطاى الجمالى فى سنة ثمانين وسبعمائة وقد تقدم ذكرها عند ذكر المدارس من هذا الكتاب

* (الخانقاه الظاهرية) *

هذه الخانقاه بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية أنشأها الملك الظاهر برقوق فى سنة ست وثمانين وسبعمائة وقد ذكرت عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب

* (الخانقاه الشرابيشية) *

هذه الخانقاه فيما بين الجامع الاقمر وحارة برجوان فى آخر المنحر الذى كان للخلفاء وهو يعرف اليوم بالدرب الاصفر ويتوصل منها الى الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وبابها الاصلى من زقاق ضيق يوسط سوق حارة برجوان أنشأها الصدر الاجل نور الدين على بن محمد بن محاسن الشرابيشى وكان من ذوى الغنى واليسار صاحب ثراء متسع وله عدة أوقاف على جهات البر والقربات ومات فى

هكذا بياض بالاصل

* (الخانقاه المهمندارية) *

هذه الخانقاه خارج باب زويلة فيما بين رأس حارة اليانسية وجامع الماردينى بناها الامير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار ونقيب الجيوش فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكرت فى المدارس من هذا الكتاب

* (خانقاه بشتاك) *

هذه

هذه الخانقاه خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقى تجاه جامع بشتاك أنشأها الامير سيف الدين بشتاك الناصرى وكان فتحها أول يوم من ذى الحجة سنة ست وثلاثين وسبعمائة واستقر فى مشيختها شهاب الدين القدسى وتقرر عنده عدة من الصوفية وأجرى لهم الخبز والطعام فى كل يوم فاستمر ذلك مدة ثم بطل وصار يصرف لاربابها عوضا عن ذلك فى كل شهر مبلغ وهى عامرة الى وقتنا هذا وقد نسب اليها جماعة منهم الشيخ الاديب البارع بدر الدين محمد بن ابراهيم المعروف بالبدر البشتكى

(خانقاه ابن غراب)

هذه الخانقاه خارج القاهرة على الخليج الكبير من بر الشرقى بجوار جامع بشتاك من غربيه أنشأها القاضى الامير سعد الدين ابراهيم بن عبد الرزاق بن غراب الاسكندرانى ناظر الخاص وناظر الجيوش وأستادار السلطان وكاتب السر وأحد أمراء الالوف الاكابر أسلم جده غراب وباشر بالاسكندرية حتى ولى نظر الثغر ونشأ ابنه عبد الرزاق هناك فولى أيضا نظر الاسكندرية وولد له ماجد وابراهيم فلما تحكم الامير جمال الدين محمود بن على فى الاموال أيام الملك الظاهر برقوق اختص بابراهيم وحمله الى القاهرة وهو صبى واعتنى به واستكتبه فى خاص أمواله حتى عرفها فتنكر محمود عليه لامر بدا منه فى ماله وهم به فبادر الى الامير علاء الدين على بن الطبلاوى وترامى عليه وهو يومئذ قد نافس محمودا فأوصله بالسلطان وأمكنه من سماع كلامه فملأ أذنه بذكر أموال محمود وغر صدره عليه حتى نكبه واستصفى أمواله كما ذكر فى خبره عند ذكر مدرسة محمود من هذا الكتاب وولى ابن غراب نظر الديوان المفرد فى حادى عشر صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وعمره عشرون سنة او نحوها وهى أول وظيفة وليها فاختص بابن الطبلاوى ولازمه وملأ عينه بكثرة المال فتحدث له فى وظيفة نظر الخاص عوضا عن سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى فوليها فى تاسع عشر ذى القعدة وغص بمكان ابن الطبلاوى فعمل عليه عند السلطان حتى غيره عليه وولاه امره فقبض عليه فى داره وعلى سائر أسبابه فى شعبان فى سنة ثمانمائة ثم أضيف اليه نظر الجيوش عوضا عن شرف الدين محمد الدمامينى فى تاسع ذى القعدة سنة ثمانمائة فعف عن تناول الرسوم وأظهر من الفخر والحشمة والمكارم أمرا كبيرا وقدر الله موت السلطان فى شوال سنة احدى وثمانمائة بعد ما جعله من جملة أوصيائه فباطن الامير يشبك الخازندار على ازالة الامير الكبير ايتمش القائم بدولة الناصر فرج بن برقوق وعمل لذلك أعمالا حتى كانت الحرب بعد موت السلطان الملك الظاهر بين الامير ايتمش وبين الامير يشبك فى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانمائة التى انهزم فيها ايتمش وعدة من الامراء الى الشام وتحكم الامير يشبك فاستدعى عند ذلك ابن غراب أخاه فخر الدين ماجدا من الاسكندرية وهو يلى نظرها الى قلعة الجبل وفوضت اليه وزارة الملك الناصر فرج بن برقوق فقاما بسائر أمور الدولة الى أن ولى الامير يلبغا السالمى الاستادارية فسلك معه عادته من المنافسة وسعى به عند الامير يشبك حتى قبض عليه وتقلد وظيفة الاستادارية عوضا عن السالمى فى رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانمائة مضافا الى نظر الخاص ونظر الجيوش فلم يغير زى الكتاب وصار له ديوان كدواوين الامراء ودقت الطبول على بابه وخاطبه الناس وكاتبوه بالامير وسار فى ذلك سيرة ملوكية من كثرة العطاء وزيادة الاسمطة والاتساع فى الامور والازدياد من المماليك والخيول والاستكثار من الخول والحواشى حتى لم يكن أحد يضاهيه فى شئ من أحواله الى أن تنازع الاميران حكم وسودون طاز مع الامير يشبك فكان هو المتولى تدبير تلك الحروب ثم انه خرج من القاهرة مغاضبا لامراء الدولة وصار الى ناحية تروجة يريد جمع العربان ومحاربة الدولة فلم يتم له ذلك وعاد فدخل القاهرة على حين غفلة فنزل عند جمال الدين يوسف الاستادار فقام باصلاح أمره مع الامراء حتى حصل له الغرض فظهر واستولى على ما كان عليه الى أن تنكرت رجال الدولة على الملك الناصر فرج فقام مع الامير يشبك بحرب السلطان الى أن انهزم الامير يشبك بأصحابه الى الشام فخرج معه فى سنة تسع وثمانمائة وأمده ومن معه بالاموال العظيمة حتى صاروا عند الامير شيخ نائب الشام واستنفر العساكر لقتال الملك الناصر وحرضهم على المسير الى حربه وخرج من دمشق مع العساكر يريد القاهرة وكان من وقعة السعيدية ما كان على ما هو مذكور فى خبر الملك الناصر عند ذكر الخانقاه الناصرية من هذا الكتاب فاختفى الامير يشبك وطائفة من الامراء بالقاهرة ولحق ابن غراب بالامير اينال باى بن قجماس وهو يومئذ اكبر الامراء

الناصرية وملأ عينه بالمال فتوسط له مع الملك الناصر حتى أمنه وأصبح فى داره وجميع الناس على بابه ثم تقلد وظيفة نظر الجيوش واختص بالسلطان ومازال به حتى استرضاه على الامير يشبك ومن معه من الامراء وظهروا من الاستتار وصاروا بقلعة الجبل فخلع عليهم السلطان وأقرهم وصاروا الى دورهم فنقل على ابن غراب مكان فتح الدين فتح الله كاتب السر فسعى به حتى قبض عليه وولى مكانه كتابة السر ليتمكن من أغراضه فلما استقر فى كتابة السر أخذ فى نقض دولة الناصر الى أن تم له مراده وصارت الدولة كلها على الناصر فخلا به وخيل له وحسن له الفرار فانقاد لمورّاى عليه فأعدله رجلين أحدهما من مماليكه ومعهما فرسان ووقفا بهما وراء القلعة وخرج الناصر وقت القائلة ومعه مملوك من مماليكه يقال له بيغوت وركبا الفرسين وسارا الى ناحية طرا ثم عادا مع قاصدى ابن غراب فى مركب من المراكب النيلية ليلا الى دار ابن غراب ونزلا عنده وقد خفى ذلك على جميع أهل الدولة وقام ابن غراب بتولية عبد العزيز بن برقوق وأجلسه على تخت الملك عشاء ولقبه بالملك المنصور ودبر الدولة كما أحب مدة سبعين يوما الى أن احس من الامراء بتغير فأخرج الناصر ليلا وجمع عليه عدة من الامراء والمماليك وركب معه بلامة الحرب الى القلعة فلم يلبث أصحاب المنصور وانهزموا ودخل الناصر الى القلعة واستولى على المملكة ثانيا فألقى مقاليد الدولة الى ابن غراب وفوض اليه ماوراء سريره وتطمه فى خاصته وجعله من اكابر الامراء وناط به جميع الامور فأصبح مولى نعمة كل من السلطان والامراء يمن عليهم بأنه أبقى لهم مهجهم وأعاد اليهم سائر ما كانوا قد سلبوه من ملكهم وأمدهم بماله وقت حاجتهم وفاقتهم اليه ويفخر ويتكثر بأنه أقام دولة وأزال دولة ثم أزال ما أقام وأقام ما أزال من غير حاجة ولا ضرورة ألجأته الى شئ من ذلك وانه لوشاء أخذ الملك لنفسه وترك كتابة السر لغلامه وأحد كتابه فخر الدين بن المزوق ترفعا عنها واحتقارا بها ولبس هيئة الامراء وهى الكلوتة والقباء وشد السيف فى وسطه وتحول من داره التى على بركة الفيل الى دار بعض الامراء بحدرة البقر فغاضبه القضاء وكان عند الانتهاء الانحطاط ونزل به مرض الموت فنال فى مرضه من السعادة مالم يسمع بمثله لاحد من أبناء جنسه وصار الامير يشبك ومن دونه من الامراء يترددون اليه وأكثرهم اذا دخل عليه وقف قائما على قدميه حتى ينصرف الى أن مات يوم الخميس تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة ولم يبلغ ثلاثين سنة وكانت جنازته أحد الامور العجيبة بمصر لكثرة من شهدها من الامراء والاعيان وسائر أرباب الوظائف بحيث استأجر الناس السقائف والحوانيت لمشاهدتها ونزل السلطان للصلاة عليه وصعد الى القلعة فدفن خارج باب المحروق وكان من أحسن الناس شكلا وأحلاهم منظرا وأكرمهم يدا مع تدين وتعفف عن القاذورات وبسط يد بالصدقات الا انه كان غدارا لايتوانى عن طلب عدوه ولا يرضى من نكبته بدون اتلاف النفس فكم ناطح كبشا وثل عرشا وعالج جبالا شامخة واقتلع دولا من أصولها الراسخة وهو أحد من قام بتخريب اقليم مصر فانه مازال يرفع سعر الذهب حتى بلغ كل دينار الى مائتى درهم وخمسين درهما من الفلوس بعدما كان بنحو خمسة وعشرين درهما ففسدت بذلك معاملة الاقليم وقلت أمواله وغلت أسعار المبيعات وساءت أحوال الناس الى أن زالت البهجة وانطوى بساط الرفة وكاد الاقليم يدمر كما ذكر ذلك عند ذكر الاسباب التى نشأ عنها خراب مصر من هذا الكتاب عفا الله عنه وسامحه فلقد قام بمواراة آلاف من الناس الذين هلكوا فى زمان المحنة سنة ست وسنة سبع وثمانمائة وتكفينهم فلم ينس الله له ذلك وستره كاستره المسلمين وما كان ربك نسيا

❊(الخانقاه البندقدارية)❊

هذه الخانقاه بالقرب من الصليبة كان موضعها يعرف قديما بحويرة مسعود وهى الآن تجاه المدرسة الفارقانية وحمام الفارقانى أنشأها الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى الصالحى النجمى وجعلها مسجدا لله تعالى وخانقاه ورتب فيها صوفية وقراء فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة وفى سنة ثمان وأربعين وستمائة استنابه الملك المعز أيبك فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية مع نواب دار العدل والى أيدكين هذا ينسب الملك الظاهر بيبرس البندقدارى لانه كان أولا مملوكه ثم انتقل منه الى الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف بين المماليك البحرية ببيبرس البندقدارى وعاش ايدكين الى أن صار بيبرس سلطان مصر وولاه نيابة السلطنة بحلب فى سنة تسع وخمسين وستمائة وكان الغلاء بها شديدا فلم تطل أيامه وفارقها بدمشق بعد محاربة سنقر الاشقر

والقبض عليه فى حادى عشر صفر سنة تسع وخمسين وستمائة فأقام فى النيابة نحو شهر وصرفه الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى فلما خرج السلطان الى الشام فى سنة احدى وستين وستمائة وأقام بالطور أعطاه امرة بمصر وطبلخاناه فى ربيع الآخر منها ومات فى ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بقبة هذه الخانقاه

(خانقاه شيخو)

هذه الخانقاه فى خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو أنشأها الامير الكبير سيف الدين شيخو العمرى فى سنة ست وخمسين وسبعمائة كان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون وآخر ما عرف من خبره انه كان مساكن للناس فاشتراها الامير شيخو من أربابها وهدمها فى المحرم من هذه السنة فكانت مساحة أرضها زيادة على فدان فاختط فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت لسكنى العامة ورتب بها دروسا عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الاربعة وهم الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ودرسا للحديث النبوى ودرسا لاقراء القرآن بالروايات السبع وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف وأقام شيخنا أكمل الدين محمد بن محمود فى مشيخة الخانقاه ومدرس الحنفية وجعل اليه النظر فى أوقاف الخانقاه وقرر فى تدريس الشافعية الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكى وفى تدريس المالكية الشيخ خليلا وهو مختصر الشكل وله اقطاع فى الحلقة وفى تدريس الحنابلة قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى ورتب لكل من الطلبة فى اليوم الطعام واللحم والخبز وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون ووقف عليها الاوقاف الجليلة فعظم قدرها واشتهر فى الاقطار ذكرها وتخرج بها كثير من أهل العلم وأربت فى العمارة على كل وقف بديار مصر الى أن مات الشيخ أكمل الدين فى شهر رمضان سنة ست وثمانين وسبعمائة فوليها من بعده جماعة ولما حدثت المحن كان بها مبلغ كبير من المال الذى فاض عن مصروفها فأخذه الملك الناصر فرج وأخذت أحوالها تتناقص حتى صار المعلوم يتأخر صرفه لارباب الوظائف بها عدة اشهر وهى الى اليوم على ذلك

(الخانقاه الجاولية)

هذه الخانقاه على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولى فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وقد تقدم ذكرها فى المدارس

(خانقاه الجيبغا المظفرى)

هذه الخانقاه خارج باب النصر فيما بين قبة النصر وتربة عثمان بن جوشن السعودى أنشأها الامير سيف الدين الجيبغا المظفرى وكان بها عدة من الفقراء يقيمون بها ولهم فيها شيخ ويحضرون فى كل يوم وظيفة التصوف ولهم الطعام والخبز وكان بجانبها حوض ماء لشرب الدواب وسقاية بها الماء العذب لشرب الناس وكتاب يقرأ فيه أطفال المسلمين الايتام كتاب الله تعالى ويتعلمون الخط ولهم فى كل يوم الخبز وغيره ومابرحت على ذلك الى أن اخرج الامير برقوق أوقافها فتعطلت وأقام بها جماعة من الناس مدة ثم تلاشى أمرها وهى الآن باقية من غير أن يكون فيها سكان وقد تعطل حوضها وبطل مكتب السبيل * (الجيبغا المظفرى) الخاصكى تقدم فى أيام الملك المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد بن قلاون تقدما كثيرا بحيث لم يشاركه أحد فى رتبته فلما قام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى السلطنة أقره على رتبته وصار أحد أمراء المشورة الذين يصدر عنهم الامر والنهى فلما اختلف أمراء الدولة أخرج الى دمشق فى ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة وأقام بدمشق الى شعبان وسار الى نيابة طرابلس عوضا عن الامير بدر الدين مسعود بن الخطيرى فلم يزل على نيابتها الى شهر ربيع الاول سنة خمسين وسبعمائة فكتب الى الامير أرغون شاه نائب دمشق يستأذنه فى التصيد الى الناعم فاذن له وسار من طرابلس وأقام على بحيرة حمص أياما يتصيد ثم ركب ليلا بمن معه وساق الى خان لاجين ظاهر دمشق فوصله أول النهار وأقام به يومه ثم ركب منه بمن معه ليلا وطرق أرغون شاه وهو بالقصير الابلق وقبض عليه وقيده فى ليلة الخميس ثالث عشرى شهر ربيع الاول وأصبح وهو

سوق الخيل فاستدعى الامراء واخرج اليهم كتاب السلطان بامساك أرغون شاه فأذعنوا له واستولى على اموال أرغون شاه فلما كان يوم الجمعة رابع عشره أصبح أرغون شاه مذبوحا فأشاع الجيبغا أن أرغون شاه ذبح نفسه وفي يوم الثلاثاء أنكر الامراء أمره وثاروا لحربه فركب وقاتلهم وانتصر عليهم وقتل جماعة منهم وأخذ الاموال وخرج من دمشق وسار الى طرابلس فأقام بها وورد الخبر من مصر الى دمشق بانكار كل ماوقع والاجتهاد في مسك الجيبغا فخرجت عساكر الشام اليه ففر من طرابلس فأدركه عسكر طرابلس عند بيروت وحاربوه حتى قبضوا عليه وحمل الى عسكر دمشق فقيد وسجن بقلعة دمشق في ليلة السبت سادس عشر ربيع الآخر هو وفخر الدين اياس ثم وسط بمرسوم السلطان تحت قلعة دمشق بحضور عساكر دمشق ووسط معه الامير فخر الدين اياس وعلقا على الخشب في ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمسين وسبعمائة وعمره دون العشرين سنة فما طرشاربه وكأنه البدر حسنا والغصن اعتدالا

(خانقاه سرياقوس)

هذه الخانقاه خارج القاهرة من شماليها على نحو بريد منها بأول تيه بني اسرائيل بما يسامت سرياقوس أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك انه لما بنى الميدان والاحواش في بركة الجب كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر بركة الجب اتفق انه ركب على عادته للصيد هنالك فأخذه ألم عظيم في جوفه كاد يأتي عليه وهو يتجلد ويكتم مابه حتى عجز فنزل عن الفرس والالم يتزايد به فنذر لله ان عافاه الله ليبنين في هذا الموضع موضعا يعبد الله تعالى فيه فخف عنه مايجده وركب فقضى نهمته من الصيد وعاد الى قلعة الجبل فلزم الفراش مدة أيام ثم عوفي فركب بنفسه ومعه عدة من المهندسين واختط على قدر ميل من ناحية سرياقوس هذه الخانقاه وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي وبنى بجانبها مسجدا تقام به الجمعة وبنى بها حماما ومطبخا وكان ذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فلما كانت سنة خمس وعشرين وسبعمائة كمل ماأراد من بنائها وخرج اليها بنفسه ومعه الامراء والقضاة ومشايخ الخوانك ومدت هنالك اسمطة عظيمة بداخل الخانقاه في يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة وتصدر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي لاسماع الحديث النبوي وقرأ عليه ابنه عز الدين عبد العزيز عشرين حديثا تساعيا وسمع السلطان ذلك وكان جمعا موفورا وأجاز قاضي القضاة الملك الناصر ومن حضر برواية ذلك وجميع مايجوز له روايته وعندما انقضى مجلس السماع قرر السلطان في مشيخة هذه الخانكاه الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الاقصرائي ولقبه بشيخ الشيوخ فصار يقال له ذلك ولكل من ولي بعده وكان قبل ذلك لا يلقب بشيخ الشيوخ الا شيخ خانقاه سعيد السعداء وأحضرت التشاريف السلطانية فخلع على قاضي القضاة بدر الدين وعلى ولده عز الدين وعلى قاضي القضاة المالكية وعلى الشيخ مجد الدين أبي حامد موسى بن أحمد بن محمود الاقصرائي شيخ الشيوخ وعلى الشيخ علاء الدين القونوي شيخ خانقاه سعيد السعداء وعلى الشيخ قوام الدين أبي محمد عبد المجيد بن أسعد بن محمد الشيرازي شيخ الصوفية بالجامع الجديد الناصري خارج مدينة مصر وعلى جماعة كثيرة وخلع على سائر الامراء وأرباب الوظائف وفرق بها ستين ألف درهم فضة وعاد الى قلعة الجبل فرغب الناس في السكنى حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانات حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس وتزايد الناس بها حتى أنشئ فيها سوى حمام الخانقاه عدة حمامات وهي الى اليوم بلدة عامرة ولا يؤخذ بها مكس البتة مما يباع من سائر الاصناف احتراما لمكان الخانقاه ويعمل هنالك في يوم الجمعة سوق عظيم ترد الناس اليه من الاماكن البعيدة يباع فيه الخيل والجمال والحمير والبقر والغنم والدجاج والاوز وأصناف الغلات وأنواع الثياب وغير ذلك وكانت معاليم هذه الخانكاه من اسنى معلوم بديار مصر يصرف لكل صوفي في اليوم من لحم الضأن السليخ رطل قد طبخ في طعم شهي ومن الخبز النقي أربعة أرطال ويصرف له في كل شهر مبلغ أربعين درهما فضة عنها ديناران ورطل حلوى ورطلان زيت من زيت الزيتون ومثل ذلك من الصابون ويصرف له ثمن كسوة في كل سنة وتوسعة في كل شهر رمضان وفي العيدين وفي مواسم رجب وشعبان وعاشوراء وكلما قدمت فاكهة يصرف له مبلغ لشرائها وبالخانقاه خزانة بها السكر والاشربة والادوية وبها الطبائعي والجرائحي والكحال ومصلح الشعر وفي كل رمضان يفرق

على الصوفية كيزان لشرب الماء وتبيض لهم قدورهم النحاس ويعطون حق الاشنان لغسل الايدى من وضر اللحم يصرف ذلك من الوقف لكل منهم وبالحمام الحلاق لتدليك أبدانهم وحلق رؤسهم فكان المنقطع بها لا يحتاج الى شئ غيرها ويتفرغ للعبادة ثم استجد بعد سنة تسعين وسبعمائة بها حمام أخرى برسم النساء ومابرحت على ماذكرنا الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام وصار يصرف لهم فى ثمنه مبلغ من نقد مصر وهى الآن على ذلك وأدركت من صوفيتها شخصا شيخا يعرف بابى طاهر ينام أربعين يوما بلياليها لا يستيقظ فيها البتة ثم يستيقظ أربعين يوما لا ينام فى ليلها ولا نهارها أقام على ذلك عدة أعوام وخبره مشهور عند أهل الخانقاه وأخبرنى أنه لم يكن فى النوم الا كغيره من الناس ثم كثر نومه حتى بلغ ما تقدم ذكره ومات بهذه الخانقاه فى نحو سنة ثمانمائة ومما قيل فى الخانقاه وما أنشأه السلطان بها

سر نحو سرياقوس وانزل بفنا * أرجاءها يا ذا النهى والرشد
تلق محلا للسرور والهنا * فيه مقام للتقى والزهد
نسيمه يقول فى مسيره * تنهى يا عذبات الرند
وروضه الريان من خليجه * يقول دع ذكر أراضى نجد

(خانقاه ارسلان)

هذه الخانقاه فيما بين القاهرة ومصر من جملة أراضى منشأة المهرانى أنشأها الامير بهاء الدين ارسلان الدوادار *(ارسلان) الامير بهاء الدين الدوادار الناصرى كان أولا عند الامير سلار أيام نيابته مصر خصيصا به حظيا عنده فلما قدم الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك بعساكر الشام ونزل بالريدانية ظاهر القاهرة فى شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة اطلع ارسلان على أن جماعة قد اتفقوا على أن يهجموا على السلطان ويفتكوا به يوم العيد أول شوّال فجاء اليه وعرفه الحال وقال له اخرج الساعة واطلع القلعة واملكها فقام السلطان وفتح باب سر الدهليز وخرج من غير الباب وصعد قلعة الجبل وجلس على سرير الملك فرعى السلطان له هذه المناصحة ولما أخرج الامير عز الدين أيدمر الدوادار من وظيفته رتب ارسلان فى الدوادارية وكان يكتب خطا مليحا ودربه القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر وخرجه وهذبه فصار يكتب بخطه الى كاتب السرّ عن السلطان فى المهمات بعبارة مسددة وافية بالمقصود واستولى على السلطان بحيث لم يكن لغيره فى أيامه ذكر ولم يشتهر فخر الدين وكريم الدين بعظمة الا بعده واجتهدا فى ابعاده فما قدرا على ذلك وفى أيام توليته الدوادارية السلطانية أنشأ هذه الخانكاه على شاطئ النيل وكان ينزل فى كل ليلة ثلاثاء اليها من القلعة ويبيت بها ويحتفل الناس للحضور اليها ورسل عن السلطان الى مهنا أمير العرب ونفع الناس نفعا كبيرا وقلدهم مننا جسيمة ومات فى ثالث عشرى شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة فوجد فى تركته ألف ثوب أطلس ونفائس كثيرة وعدة تواقيع ومناشير معلمة فأنكر السلطان معرفتها ونسب اليه اختلاسها وأول من ولى مشيختها تقى الدين أبو البقاء محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الشريف الحسينى القناءى الشافعى جدّ الشيخ عبد الرحيم القناءى الصالح المشهور وأبو ضياء الدين جعفر كان فقيها شافعيا وكان أبو البقاء هذا عالما عارفا زاهدا قليل التكلف متقللا من الدنيا سمع الحديث وأسمعه وولد فى سنة خمس وأربعين وستمائة ومات ليلة الاثنين رابع عشر جمادى الاولى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ودفن بالقرافة فتداول مشيختها القضاة الاخنائية الى أن كانت آخرا بيد شيخنا قاضى القضاة صدر الدين عبد الوهاب بن أحمد الاخنائى فلما مات فى سنة تسع وثمانين وسبعمائة تلقاها عنه عز الدين بن الصاحب ثم وليها من بعده ابنه شمس الدين محمد بن الصاحب رحمه الله

(خانقاه بكتمر)

هذه الخانقاه بطرف القرافة فى سفح الجبل مما يلى بركة الحبش أنشأها الامير بكتمر الساقى وابتدأ الحضور بها فى يوم الثلاثاء ثامن شهر رجب سنة ست وعشرين وسبعمائة وأول من استقرّ فى مشيختها الشمسى شمس الدين الرومى ورتب له عن معلوم المشيخة فى كل شهر مائة درهم وعن معلوم الامامة مبلغ خمسين درهما ورتب معه عشرين صوفيا لكل منهم فى الشهر مبلغ ثلاثين درهما فجاءت من أجل ما بنى بمصر ورتب بها صوفية وقراء وقرّر لهم الطعام والخبز فى كل يوم والدراهم والحلوى والزيت والصابون فى كل شهر وبنى بجانبها حماما وأنشأ

هناك بستانا فعمرت تلك الخطة وصار بها سوق كبير وعدة سكان وتنافس الناس فى مشيختها الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وانتقل السكان منها الى القاهرة وغيرها وخربت الحمام والبستان وصار يصرف لارباب وظائفها مبلغ من نقد مصر وأقام فيها رجل يحرسها وتمزق ما كان فيها من الفرش والآلات النحاس والكتب والربعات والقناديل النحاس المكفت والقناديل الزجاج المذهب وغير ذلك من الامتعة والنفائس الملوكية وخرب ما حولها لخلوه من السكان * (بكتمر الساقى) الامير سيف الدين كان أحد مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فلما استقر الملك الناصر محمد بن قلاون فى المملكة بعد بيبرس أخذه فى جملة من أخذ من مماليك بيبرس ورقاه حتى صار أحد الامراء الاكابر وكتب الى الامير تنكز نائب السلطنة بدمشق بعد أن قبض على الامير سيف الدين طغاى الكبير يقول له هذا بكتمر الساقى يكون لك بدلا من طغاى اكتب اليه بما تريد من حوائجك فعظم بكتمر وعلا محله وطار ذكره وكان السلطان لا يفارقه ليلا ولا نهارا الا اذا كان فى الدور السلطانية ثم زوجه بجاريته وحظيته فولدت لبكتمر ابنه أحمد وصار السلطان لا يأكل الا فى بيت بكتمر مما تطبخه له أم أحمد فى قدر من فضة وينام عندهم ويقوم واعتقد الناس أن أحمد ولد السلطان لكثرة ما يطيل حمله وتقبيله ولما شاع ذكر بكتمر وتسامع الناس به قدموا اليه غرائب كل شئ وأهدوا اليه كل نفيس وكان السلطان اذا حمل اليه أحد من النوّاب تقدمة لابد أن يقدم لبكتمر مثلها أو قريبا منها والذى يصل الى السلطان يهب له غالبه فكثرت أمواله وصارت اشارته لا تردّ وهو عبارة عن الدولة واذا ركب كان بين يديه ما ينتاعصا نقيب وعمر له السلطان القصر على بركة الفيل ولما مات بطريق الحجاز فى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة خلف من الاموال والقماش والامتعة والاصناف والزردخاناه ما يزيد على العادة والحد ويستحى العاقل من ذكره فأخذ السلطان من خيله أربعين فرسا وقال هذه لى ما وهبته اياها وبيع الباقى من الخيل على ما أخذه الخاصكية بثمن بخس بمبلغ ألف ألف درهم فضة ومائتى ألف درهم وثمانين ألف درهم فضة خارجا عما فى الجشارات وانعم السلطان بالزردخاناه والسلاحخاناه التى له على الامير قوصون بعد ما أخذ منها سرجا واحدا وسيفا القيمة عن ذلك ستمائة ألف دينار وأخذ له السلطان ثلاثة صناديق جوهرا ثمينا لا تعلم قيمة ذلك وبيع له من الصينى والكتب والختم والربعات ونسخ البخارى والدوايات الفولاذ والمطعمة والبصم بسقط الذهب وغير ذلك ومن الوبر والاطلس وانواع القماش السكندرى والبغدادى وغير ذلك شئ كثير الى الغاية المفرطة ودام البيع لذلك مدة شهور وامتنع القاضى شرف الدين النشو ناظر الخاص من حضور البيع واستعفى من ذلك فقيل له لاى شئ فعلت ذلك قال ما أقدر أصبر على غبن ذلك لان المائة درهم تباع بدرهم ولما خرج مع السلطان الى الحجاز خرج بتجمل زائد وحشمة عظيمة وهو ساقة الناس كلهم وكان ثقله وجماله نظيرما للسلطان ولكن يزيد عليه بالزركش وآلات الذهب ووجد فى خزائنه بطريق الحجاز بعد موته خمسمائة تشريف منها ما هو اطلس بطرز زركش وما دون ذلك من خلع أرباب السيوف وأرباب الاقلام ووجد معه قيود وجنازير وتنكر السلطان له فى طريق الحجاز واستوحش كل منهما من صاحبه فاتفق انهم فى العود مرض ولده أحمد ومرض من بعده فمات ابنه قبله بثلاثة أيام فحمل فى تابوت مغشى بجلد جمل ولما مات بكتمر دفن مع ولده بنخل وحث السلطان فى المسير وكان لا ينام فى تلك السفرة الا فى برج خشب وبكتمر عنده وقوصون على الباب والامراء المشايخ كلهم حول البرج بسيوفهم فلما مات بكتمر ترك السلطان ذلك فعلم الناس أن احترازه كان خوفا من بكتمر ويقال ان السلطان دخل عليه وهو مريض فى درب الحجاز فقال له بينى وبينك الله فقال له كل من فعل شيأ يلتقيه ولما مات صرخت زوجته أم ابنه أحمد وبكت وأعولت الى أن سمعها الناس تتكلم بالقبيح فى حق السلطان من جملته أنت تقتل مملوكك أنا ابنى ايش كان فقال لها بس تفشرين هات مفاتيح صناديقه فأنا أعرف كل شئ أعطيته من الجواهر فرمت بالمفاتيح اليه فأخذها ولما وصل السلطان الى قلعة الجبل اظهر الحزن والندامة عليه وأعطى أخاه قمارى امرة مائة وتقدمة ألف وكان يقول ما بقى يجيئنا مثل بكتمر وأمر فحملت جثته وجثة ابنه الى خانقاهه هذه ودفنا بقبتها وبدت من السلطان امور منكرة بعد موت بكتمر فانه كان يحجر على السلطان ويمنعه من مظالم كثيرة وكان يتلطف بالناس ويقضى حوائجهم ويسوسهم احسن سياسة ولا يخالفه السلطان فى شئ ومع ذلك فلم يكن له حماية ولا رعاية ولا لغلمانه ذكر ومن المغرب يغلق

باب اصطبله وكان عماله على السلطان من المرتب فى كل يوم مخفيتان يأخذهما من بيت المال كل يوم سبعمائة درهم عن كل مخفية ثلثمائة وخمسين درهما وكان السلطان اذا أنعم على أحد بشئ أو ولاه وظيفة قال له روح الى الامير بكتمر وبوس يده وكان جيد الطباع حسن الاخلاق لين الجانب سهل الانقياد رحمه الله

(خانقاه قوصون)

هذه الخانقاه فى شمالى القرافة مما يلى قلعة الجبل تجاه جامع قوصون أنشأها الامير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة وقرر فى مشيختها الشيخ شمس الدين أبا الثناء محمود بن أبى القاسم احمد الاصفهانى ورتب له معلوما سنيا من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت وسائر ما يحتاج اليه حتى جامكية غلام بغلته واستقر ذلك فى الوقف من بعده لكل من ولى المشيخة بها وقرر بها جماعة كثيرة من الصوفية ورتب لهم الطعام واللحم والخبز فى كل يوم وفى الشهر المعلوم من الدراهم ومن الحلوى والزيت والصابون ومازالت على ذلك الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وصار يصرف لمستحقيها مال من نقد مصر وتلاشى امرها من بعد ما كانت من اعظم جهات البر واكثرها نفعا وخيرا وقد تقدم ذكر قوصون عند ذكر جامعه من هذا الكتاب

(خانقاه طغاى النجمى)

هذه الخانقاه بالصحراء خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر أنشأها الامير طغاى تمر النجمى فجاءت من المبانى الجليلة ورتب بها عدة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى وبنى بجانبها حماما وغرس فى قبليها بستانا وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسبيل ترده الدواب ووقف على ذلك عدة اوقاف ثم ان الحمام والحوض تعطلا مدة فلما ماتت أرزباى زوجة القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر فى سنة ثمان وثمانمائة دفنها خارج باب النصر وأحب أن يبنى على قبرها ويوقف عليها أوقافا ثم بدا له فنقلها الى هذه الخانقاه ودفنها بالقبة التى فيها وأدار الساقية وملأ الحوض ورتب لقراء هذه الخانقاه معلوما وعزم على تجديد ما تشعث من بنائها وادارة حمامها ثم بدا له فأنشأ بجانب هذه الخانقاه تربة ونقل زوجته مرة ثالثة اليها وجعل أملاكه وقفا على تربته *(طغاى تمر النجمى)* كان دوادار الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون فلما مات الصالح استقر على حاله فى أيام أخويه الملك الكامل شعبان والملك المظفر حاجى وكان من أحسن الاشكال وأبدع الوجوه تقدم فى الدول وصارت له وجاهة عظيمة وخدمه الناس ولم يزل على حاله الى أن لعب به اغرلوا فيمن لعب وأخرجه الى الشام وألحقه بمن أخذه من غزة وذلك فى اوائل جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وطغاى هذا أول دوادار أخذ امرة مائة وتقدمة ألف وذلك فى أول دولة المظفر حاجى ولما كانت واقعة الامير ملكتمر الحجازى والامير آق سنقر وعدة من الامراء فى تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة رمى طغاى تمر سيفه وبقى بغير سيف بعض يوم ثم ان المظفر أعطاه سيفه واستقر فى الدوادارية نحو شهر وأخرج هو والامير نجم الدين محمود الوزير والامير سيف الدين بيدمر البدرى على الهجن الى الشام فأدركهم الامير سيف الدين منجك وقتلهم فى الطريق

(خانقاه أم انوك)

هذه الخانقاه خارج باب البرقية بالصحراء التى انشأتها الخاتون طغاى تجاه تربة الامير طاشتمر الساقى فجاءت من أجل المبانى وجعلت بها صوفية وقراء ووقفت عليها الاوقاف الكثيرة وقررت لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها *(طغاى الخوندة الكبرى)* زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وأم ابنه الامير انوك كانت من جملة امائه فأعتقها وتزوجها ويقال انها أخت الامير اقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال وأتت من السعادة مالم يره غيرها من نساء الملوك الترك بمصر وتنعمت فى ملاذ ماوصل سواها لمثلها ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها وصارت خونده بعد ابنه توكاى وأكبر نسائه حتى من ابنة الامير تنكز وحج بها القاضى كريم الدين الكبير واحتفل بأمرها وحمل لها البقول فى محاير طين على ظهور الجمال وأخذ لها الابقار الحلابة فسارت معها طول الطريق لاجل اللبن الطرى وعمل الجبن وكان يقلى لها الجبن فى الغداء

والعشاء وناهيك بمن وصل الى مداومة البقل والجبن فى كل يوم وهما أخس مايؤكل فما عساه يكون بعد ذلك وكان القاضى كريم الدين والامير مجلس وعدة من الامراء يترجلون عند النزول ويمشون بين يدى محفتها ويقبلون الارض لها كما يفعلون بالسلطان ثم حج بها الامير بشتاك فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان الامير تنكز اذا جهز من دمشق تقدمة الى السلطان لا بد أن يكون لخوند طغاى منها جزء وافر فلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده الى أن ماتت فى شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادما خصيا وأموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبرها بنهاية المدرسة الناصرية بين القصرين قراأ ووقفت على ذلك وقفا وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانقاه وهى من اعمر الاماكن الى يومنا هذا

* (خانقاه يونس) *

هذه الخانقاه من جملة ميدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر أدركت موضعها وبه عواميد تعرف بعواميد السباق وهى أول مكان بنى هناك * أنشأها الامير (يونس النوروزى الدوادار) كان من مماليك الامير سيف الدين جرجى الادريسى أحد الامراء الناصرية وأحد عتقائه فترقى فى الخدم من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاون الى أن صار من جملة الطائفة اليلبغاوية فلما قتل الامير يلبغا الخاصكى خدم بعده الامير استدمر الناصرى الاتابك وصار من جملة دواداريته ومازال ينتقل فى الخدم الى أن قام الامير برقوق بعد قتل الملك الاشرف شعبان فكان ممن اعانه وقاتل معه فرعى له ذلك ورقاه الى أن جعله أمير مائة مقدم ألف وجعله دواداره لما تسلطن فسلك فى رياسته طريقة جليلة ولزم حالة جميلة من كثرة الصيام والصلاة واقامة الناموس الملوكى وشدة المهابة والاعراض عن اللعب ومداومة العبوس وطول الجلوس وقوة البطش لسرعة غضبه ومحبة الفقراء وحضور السماع والشغف به واكرام الفقهاء وأهل العلم وأنشأ بالقاهرة ربعا وقيسارية بخط البندقانيين وتربة خارج باب الوزير تحت القلعة وأنشأ بظاهر دمشق مدرسة بالشرف الاعلى وأنشأ خانا عظيما خارج مدينة غزة وجعل بجانب هذه الخانقاه مكتبا يقرأ فيه ايتام المسلمين كتاب الله تعالى وبنى بها صهريجا ينقل اليه ماء النيل ومازال على وفور حرمته ونفوذ كلمته الى أن خرج الامير يلبغا الناصرى نائب حلب على الملك الظاهر برقوق فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة وجهز السلطان الامراء يتمش والامير يونس هذا والامير جهاركس الخليلى وعدة من الامراء والمماليك لقتاله فلقوه بدمشق وقاتلوه فهزمهم وقتل الخليلى وفر ايتمش الى دمشق ونجا يونس بنفسه يريد مصر فأخذه الامير عنقا بن شطى امير الامراء وقتله يوم الثلاثاء ثانى عشرى شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة ولم يعرف له قبر بعد ما أعد لنفسه عدة مدافن فى غير ما مدينة من مصر والشام

* (خانقاه طيبرس) *

هذه الخانقاه من جملة أراضى بستان الخشاب فيما بين القاهرة ومصر على شاطئ النيل أنشأها الامير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش فى سنة سبع وسبعمائة بجوار جامعه المقدم ذكره عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب وقررها عدة من الصوفية وجعل لهم شيخا وأجرى لهم المعاليم ولم تزل عامرة الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فأباع شخص الوكالة والربعين المعروفين بربع بكتمر والحامين ونقض ذلك فخرب الخط وصار مخوفا فلما كان فى سنة أربع عشرة وثمانمائة نقل الحضور من هذه الخانقاه الى المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الازهر وهى الآن بصدد أن تدثر وتمحى آثارها

* (خانقاه اقبغا) *

هذه الخانقاه هى موضع من المدرسة الاقبغاوية بجوار الجامع الازهر افرده الامير اقبغا عبد الواحد وجعل فيه طائفة يحضرون وظيفة التصوف وأقام لهم شيخا وأفرد لهم وقفا يختص بهم وهى باقية الى يومنا هذا وله أيضا خانقاه بالقرافة

* (الخانقاه الخروبية) *

هذه الخانقاه بساحل الجيزة تجاه المقياس كانت منظرة من اعظم الدور وأحسنها أنشأها زكي الدين أبو بكر ابن علي الخروبي كبير التجار ثم توارثها من بعده أولاد الخروبي التجار بمصر فلم تزل بأيديهم الى أن نزلها السلطان المؤيد شيخ في يوم الاثنين ثاني عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وأقام بها فاقتضى رأيه أن يجعلها خانقاه فاستدعى بابن الخروبي ليشتريها منه فتبرع بما يخصه منها وصار اليه باقيها فتقدم الى الامير سيف الدين أبي بكر بن المزروق الاستادار بعملها خانقاه وسارمنها في يوم الاربعاء سادس عشره فأخذ الامير أبو بكر في عملها حتى كملت في آخر السنة واستقر في مشيختها شمس الدين محمد بن الحجي الدمشقي الحنبلي وخلع عليه يوم السبت سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ورتب له في كل يوم عشرة مؤيدية عنها مبلغ سبعين درهما فلوسا سوى الخبز والسكن وقرر عنده عشرة من الفقراء لكل منهم مع الخبز مؤيدي في كل يوم فجاءت من احسن شئ

(ذكر الربط)

الربط جمع رباط وهو دار يسكنها أهل طريق الله قال ابن سيده الرباط من الخيل الخمس فما فوقها والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا وربما سميت الخيل نفسها رباطا والرباط والرباط المواظبة على الامر قال الفارسي هو ثان من لزوم الثغر ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل وقوله تعالى وصابروا ورابطوا قيل معناه جاهدوا وقيل واظبوا على مواقيت الصلاة وقال ابو حفص السهروردي في كتاب عوارف المعارف وأصل الرباط ما تربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد وروى داود بن صالح قال قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شئ نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو تربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط جهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه واجتماع أهل الربط اذا صح على الوجه الموضوع له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الاوقات وتوقي ما يفسد الاعمال ويصحح الاحوال عادت البركة على البلاد والعباد وشرائط سكان الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الاسباب وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضا بها عن كل عادة والاشتغال بحفظ الاوقات وملازمة الاوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطا مجاهدا * والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الرباط لهذا المعنى * قال مؤلفه رحمه الله ولاتخاذ الربط والزوايا أصل من السنة وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ لفقراء الصحابة الذين لا يأوون الى أهل ولا مال مكانا من مسجده كانوا يقيمون به عرفوا بأهل الصفة

(رباط الصاحب)

هذا الرباط مطل على بركة الحبش أنشأه الصاحب فخر الدين أبو عبد الله محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن سليم بن حنا ووقف عليه أبوه الصاحب بهاء الدين بعد موته عقارا بمدينة مصر وشرط أن يسكنه عشرة من الفقراء المجردين غير المتأهلين وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وستين وستمائة وهو باق الى يومنا هذا وليس فيه أحد ويستأدي ريع وقفه من لا يقوم بمصالحه

(رباط الفخري)

هذا الرباط خارج باب الفتوح فيما بينه وبين باب النصر بناه الامير عز الدين ايبك الفخري أحد امراء الملك الظاهر بيبرس

(رباط البغداديه)

هذا الرباط بداخل الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس حيث كان المنحر الذي ذكر عند ذكر القصر من هذا

الكتاب ومن الناس من يقول رواق البغدادية وهذا الرباط بنته الست الجليلة تذكار باى خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس فى سنة أربع وثمانين وستمائة للشيخة الصالحة زينب ابنة أبى البركات المعروفة ببنت البغدادية فأنزلتها به ومعها النساء الخيرات ومابرح الى وقتنا هذا يعرف سكانه من النساء بالخير وله دائما شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن وآخر من أدركنا فيه الشيخة الصالحة سيدة نساء زمانها أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية توفيت فى ذى الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة وقد أنافت على الثمانين وكانت فقيهة وافرة العلم زاهدة قانعة باليسير عابدة واعظة حريصة على النفع والتذكير ذات اخلاص وخشية وأمر بالمعروف انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر وكان لها قبول زائد ووقع فى النفوس وصار بعدها كل من قام بمشيخة هذا الرباط من النساء يقال لها البغدادية وأدركنا الشيخة الصالحة البغدادية أقامت به عدة سنين على أحسن طريقة الى أن ماتت يوم السبت لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وسبعمائة وأدركنا هذا الرباط ويودع فيه النساء اللاتى طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى ازواجهن صيانة لهن لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات حتى ان خادمة الفقيرات به كانت لا تمكن أحدا من استعمال ابريق بيزبوز وتؤدب من خرج عن الطريق بما تراه ثم لما فسدت الاحوال من عهد حدوث المحن بعد سنة ست وثمانمائة تلاشت أمور هذا الرباط ومنع مجاوروه من سجن النساء المعتدات به وفيه الى الآن بقايا من خير ويلى النظر عليه قاضى القضاة الحنفى

(رباط الست كليلة)

هذا الرباط خارج درب بطوط من جملة حكر سنجر اليمنى ملاصق للسور الحجر بخط سوق الغنم وجامع أصلم وقفه الامير علاء الدين البراباه على الست كليلة المدعوة دولاى ابنة عبد الله التتارية زوج الامير سيف الدين البرلى السلاحدار الظاهرى وجعله مسجدا ورباطا ورتب فيه اماما ومؤذنا وذلك فى ثالث عشرى شوال سنة اربع وتسعين وستمائة

(رباط الخازن)

هذا الرباط بقرب قبة الامام الشافعى رحمة الله عليه من قرافة مصر بناه الامير علم الدين سنجر بن عبد الله الخازن والى القاهرة وفيه دفن وهذا الخازن هو الذى ينسب اليه حكر الخازن خارج القاهرة

(الرباط المعروف برواق ابن سليمان)

هذا الرواق بحارة الهلالية خارج باب زويلة عرف بأحمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن ابراهيم بن أبى المعالى ابن العباس الرحبى البطائحى الرفاعى شيخ الفقراء الاحمدية الرفاعية بديار مصر كان عبدا صالحا له قبول عظيم من أمراء الدولة وغيرهم وينتمى اليه كثير من الفقراء الاحمدية وروى الحديث عن سبط السلفى وحدث وكانت وفاته ليلة الاثنين سادس ذى الحجة سنة احدى وتسعين وستمائة بهذا الرواق

(رباط داود بن ابراهيم)

هذا الرباط بخط بركة الفيل بنى فى سنة ثلاث وستين وستمائة

(رباط ابن أبى المنصور)

هذا الرباط بقرافة مصر عرف بالشيخ صفى الدين الحسين بن على بن أبى المنصور الصوفى المالكى كان من بيت وزارة فتجرد وسلك طريق أهل الله على يد الشيخ أبى العباس أحمد بن أبى بكر الجزار التجيبى المغربى وتزوج ابنته وعرف بالبركة وحكيت عنه كرامات وصنف كتاب الرسالة ذكر فيها عدة من المشايخ وروى الحديث وحدث وشارك فى الفقه وغيره وكانت ولادته فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين وخمسمائة ووفاته برباطه هذا يوم الجمعة ثانى عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة

(رباط المشتهى)

هذا

هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل وكان به الشيخ المسلك وقد در شيخنا العارف الاديب شهاب الدين أحمد بن أبي العباس الشاطر الدمنهوري حيث يقول

هكذا بياض في الاصل

بروضة المقياس صوفية * هم منية الخاطر والمشتهي
لهم على البحر أياد علت * وشيخهم ذاك له المنتهى

وقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي

يا ليلة مرت بنا حلوة * ان رمت تشبيها لها عبتها
لا يبلغ الواصف في وصفها * حدا ولا يلقى له منتهى
بمجمع المعشوق في روضة * ونلت من خرطومه المشتهى

(رباط الآثار)

هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق * قال ابن المتوج هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين علي بن حنا بجوار بستان المعشوق ومات رحمه الله قبل تكملته ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق فاذا كملت عمارته يوقف عليه ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمر فيه شيأ يسيرا وأدركه الموت الى رحمة الله تعالى وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين في تكملته فعمر فيه شيأ جيدا انتهى وانما قيل له رباط الآثار لان فيه قطعة خشب وحديد يقال ان ذلك من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني ابراهيم أهل ينبع وذكروا أنها لم تزل عندهم موروثة من واحد الى آخر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها الى هذا الرباط وهي به الى اليوم يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها وأدركنا هذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن يتردد اليه أيام كان ماء النيل تحته دائما فلما انحسر الماء من تجاهه وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد الناس اليه وفيه الى اليوم بقية ولما كانت أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعنده عدة من الطلبة ولهم جار في كل شهر من وقف وقفه عليهم وهو باق أيضا وفي أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط وبهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله *(الوزير الصاحب)* تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن سليم بن حنا ولد في سابع شعبان سنة أربعين وستمائة وسمع من سبط السلفي وحدث وانتهت اليه رياسة عصره وكان صاحب صيانة وسودد ومكارم وشاكلة حسنة وبزة فاخرة الى الغاية وكان يتناهى في المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ويجود بالصدقات الكثيرة مع التواضع ومحبة الفقراء وأهل الصلاح والمبالغة في اعتقادهم ونال في الدنيا من العز والجاه ما لم يره جده الصاحب الكبير بهاء الدين بحيث انه لما تقلد الوزير الصاحب فخر الدين بن الخليلي الوزارة سار من قلعة الجبل وعليه تشريف الوزارة الى بيت الصاحب تاج الدين وقبل يده وجلس بين يديه ثم انصرف الى داره ومازال على هذا القدر من وفور العز الى أن تقلد الوزارة في يوم الخميس رابع عشري صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة بعد قتل الوزير الامير سنجر الشجاعي فلم ينجب وتوقفت الاحوال في أيامه حتى احتاج الى احضار تقاوي النواحي المرصدة بها للتخضير واستهلكها ثم صرف في يوم الثلاثاء خامس عشري جمادي الاولى سنة أربع وتسعين وستمائة بفخر الدين عثمان ابن الخليلي وأعيد الى الوزارة مرة ثانية فلم ينجح وعزل وسلم مرة للشجاعي فجرده من ثيابه وضربه شيأ واحدا بالمقارع فوق قميصه ثم أفرج عنه على مال ومات في رابع جمادي الآخرة سنة سبع وسبعمائة ودفن في تربتهم بالقرافة وكان له شعر جيد ولله در شيخنا الاديب جلال الدين محمد بن خطيب داريا الدمشقي البيساني حيث يقول في الآثار

يا عين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

وقد سبقه لذلك الصلاح خليل بن ايبك الصفدي فقال

أكرم بآثار النبي محمد * من زاره استوفى السرور مزاره
ياعين دونك فانظرى وتمتعى * ان لم تريه فهذه آثاره

واقتدى بهما فى ذلك أبو الحزم المدنى فقال

ياعين كم ذا تسفحين مدامعا * شوقا لقرب المصطفى وديارة
ان كان صرف الدهر عاقك عنهما * فتمتعى ياعين فى آثاره

(رباط الافرم)

هذا الرباط بسفح الجرف الذى عليه الرصد وهو يشرف على بركة الحبش وكان من أحسن منتزهات أهل مصر أنشأه الامير عز الدين ايبك الافرم أمير خازندار الصالحى النجمى ورتب فيه صوفية وشيخا واماما وجعل فيه منبرا يخطب عليه للجمعة والعيدين وقرر لهم معاليم من اوقاف أرصدها لهم وذلك فى سنة ثلاث وستين وستمائة وهو باق الا انه لم يبق به ساكن لخراب ماحوله وله الى اليوم متحصل من وقفه والافرم هذا هو الذى ينسب اليه جسر الافرم خارج مصر وقد ذكر عند ذكر الجسور من هذا الكتاب

(الرباط العلاءى)

هذا الرباط خارج مصر بخط بين الزقاقين شرقى الخليج الكبير يعرف اليوم بخانقاه المواصلة وهو آيل الى الدثور لخراب ماحوله أنشأه الملك علاء الدين أبو الحسن على ابن الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بجوار داره وحمامه وطاحونه وجعل له فيه مدفنا ووقف عليه بستان الجرف وبستانا بناحية شبرا وعدة حصص من قرى فلسطين والساحل وأحكارا ودورا بجانب الرباط ومات يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ومولده يوم الجمعة ثامن عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة بجزيرة ابن عمر وكان من الحلقة وسمع الحديث من النجيب الحرانى وابن عزون وابن علاف ودفن فيه وبه الى الآن بقية ويحضره الفقهاء يوما فى الاسبوع وهم عشرة شيخهم منهم ومنهم قارئ ميعاد وقراء وكان اولا معمورا يسكنى أهله دائما فيه وفى هذا الوقت لا يمكن سكناه لكثرة الخوف من السراق

(ذكر الزوايا)

(زاوية الدمياطى)

هذه الزاوية فيما بين خط السبع سقايات وقنطرة السد خارج مصر الى جانب حوض السبيل المعد لشرب الدواب أنشأها الامير عز الدين ايبك الدمياطى الصالحى النجمى أحد الامراء المقدمين الاكابر فى أيام الملك الظاهر بيبرس وبها دفن لما مات بالقاهرة ليلة الاربعاء تاسع شعبان سنة ست وتسعين وستمائة والى الآن يعرف الحوض المجاور لها بحوض الدمياطى

(زاوية الشيخ خضر)

هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل تشرف على الخليج الكبير عرفت بالشيخ خضر بن أبى بكر بن موسى المهرانى العدوى شيخ السلطان الملك الظاهر بيبرس كان أولا قد انقطع بجبل المزة خارج دمشق فعرفه الامير سيف الدين قشتمر العجمى وتردد اليه فقال له لابد أن تسلطن الامير بيبرس البندقدارى فأخبر بيبرس بذلك فلما صارت المملكة اليه بعد قتل الملك المظفر قطز اشتمل على اعتقاده وقربه وبنى له زاوية بجبل المزة وزاوية بظاهر بعلبك وزاوية بحماه وزاوية بحمص وهذه الزاوية خارج القاهرة ووقف عليها أحكارا تغل فى السنة نحو الثلاثين ألف درهم وأنزله بها وصار ينزل اليه فى الاسبوع مرة أو مرتين ويطلعه على غوامض أسراره ويستشيره فى اموره ولا يخرج عما يشير به ويأخذه معه فى أسفاره وأطلق يده وصرفه فى مملكته فهدم كنيسة اليهود بدمشق وهدم كنيسة للنصارى بالقدس كانت تعرف بالمصلبة وعملها زاوية وقتل قسيسها بيده وهدم كنيسة للروم بالاسكندرية كانت من كراسى النصارى ويزعمون أن بها رأس يحيى بن زكريا وعملها مسجدا سماه الخضر فاتقى جانبه الخاص والعام حتى الامير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة والصاحب بهاء الدين على بن حنا وملوك الاطراف وكان يكتب الى صاحب حماه وجميع الامراء اذا طلب حاجة ما مثاله

الشيخ خضر بنالك الحمارة وكان ربع القامة كث اللحية يتعمم عسراوى وفى لسانه عجمة مع سعة صدر وكرم شمائل وكثرة عطاء من تفرقة الذهب والفضة وعمل الاسمطة الفاخرة وكانت أحواله عجيبة لا تتكيف واقوال الناس فيه مختلفة منهم من يثبت صلاحه ويعتقده ومنهم من يرميه بالعظائم وكان يخبر السلطان بأمور تقع منها انه لما حاصر أرسوف وهى أول فتوحاته قال له متى تأخذ هذه المدينة فعين له يوما يأخذها فيه فأخذها فى ذلك اليوم بعينه واتفق له مثل ذلك فى فتح قيسارية فلذلك كثر اعتقاده فيه وما أحسن قول الشريف محمد بن رضوان الناسخ فى ملازمة السلطان له فى أسفاره

ما الظاهر السلطان الا مالك الـ ... ـدنيا بذاك لنا الملاحم تخبر

ولنا دليل واضح كالشمس فى * وسط السماء لكل عين تنظر

لما رأينا الخضر يقدم جيشه * أبدا علمنا انه الاسكندر

ومابرح على رتبته الى ثامن عشر شوال سنة احدى وسبعين وستمائة فقبض عليه واعتقل بقلعة الجبل ومنع الناس من الاجتماع به ويقال ان ذلك بسبب أن السلطان كان اعطاه تحفا قدمت من اليمن منها كرنبى مليح الى الغاية فأعطاه خضر لبعض المردان فبلغ ذلك الامير بدر الدين الخازندار النائب وكان قد ثقل عليه بكثرة تسلطه حتى لقد قال له مرة بحضرة السلطان كأنك تشفق على السلطان وعلى اولاده مثل مافعل قطز بأولاد المعز فأسرها فى نفسه وبلغ خبر الكرنبى الى السلطان فاستدعاه وحضر جماعة حاققوه على امور كثيرة منكرة كاللواط والزنا ونحوه فاعتقله ورتب له مايكفيه من مأكول وفاكهة وحلوى ولما سافر السلطان الى بلاد الروم قال خضر لبعض اصحابه ان السلطان يظهر على الروم ويرجع الى دمشق فيموت بها بعد أن اموت أنا بعشرين يوما فكان كذلك ومات خضر فى محبسه بقلعة الجبل فى سادس المحرم أو سابعه من سنة ست وسبعين وستمائة وقد أناف على الخمسين فسلم الى أهله وحملوه الى زاويته هذه ودفنوه فيها وكان السلطان قد كتب بالافراج عنه فقدم البريد بعد موته ومات السلطان بدمشق فى سابع عشرى المحرم المذكور بعد خضر بعشرين يوما وهذه الزاوية باقية الى اليوم

(زاوية ابن منظور)

هذه الزاوية خارج القاهرة بخط الدكة بجوار المقس عرفت بالشيخ جمال الدين محمد بن احمد بن منظور بن يس ابن خليفة بن عبد الرحمن أبو عبد الله الكنانى العسقلانى الشافعى الصوفى الامام الزاهد كانت له معارف وأتباع ومريدون ومعرفة بالحديث حدث عن أبى الفتوح الجلالى وروى عنه الدمياطى والدوادارى وعدة من الناس ونظر فى الفقه واشتهر بالفضيلة وكانت له ثروة وصدقات ومولده فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين وخمسمائة ووفاته بزاويته فى ليلة الثانى والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ست وتسعين وستمائة وكانت هذه الزاوية أولا تعرف بزاوية شمس الدين بن كرا البغدادى

(زاوية الظاهرى)

هذه الزاوية خارج باب البحر ظاهر القاهرة عند حمام طرغاى على الخليج الناصرى كانت أولا تشرف طاقاتها على بحر النيل الاعظم فلما انحسر الماء عن ساحل المقس وحفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى صارت تشرف على الخليج المذكور من بره الشرقى واتصلت المناظر هنالك الى أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة فخربت حمام طرغاى وبيعت أنقاضها وأنقاض كثير مما كان هنالك من المناظر وأنشئ هنالك بستان عرف أولا بعبد الرحمن صيرفى الامير جمال الدين الاستادار لانه أولا أنشأه ثم انتقل عنه * والظاهرى هذا هو احمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس جمال الدين الظاهرى كان أبوه محمد بن عبد الله عتيق الملك الظاهر شهاب الدين غازى وبرع حتى صار اماما حافظا وتوفى ليلة الثلاثاء لاربع بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين وستمائة بالقاهرة ودفن بتربته خارج باب النصر * وابنه عثمان بن احمد بن محمد بن عبد الله فخر الدين ابن جمال الدين الظاهرى الحلبى الامام العلامة المحدث الصالح ولد فى سنة سبعين وستمائة وأسمعه أبوه بديار مصر والشام وكان مكثرا ومات بزاويته هذه فى سنة ثلاثين وسبعمائة

(زاوية الجميزة)

هذه الزاوية موضعها من جملة أراضي الزهري وهي الآن خارج باب زويلة بالقرب من معدية فريج أنشأها الامير سيف الدين جيرك السلاحدار المنصوري أحد أمراء الملك المنصور قلاون في سنة اثنتين وثمانين وستمائة وجعل فيها عدة من الفقراء الصوفية

(زاوية الحلاوي)

هذه الزاوية بخط الاباريين من القاهرة بالقرب من الجامع الازهر أنشأها الشيخ مبارك الهندي السعودي الحلاوي أحد الفقراء من أصحاب الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر البارزي الواسطي في سنة ثمان وثمانين وستمائة وأقام بها الى أن مات ودفن فيها فقام من بعده ابنه الشيخ عمر بن علي بن مبارك وكانت له سماعات ومرويات ثم قام من بعده ابنه شيخنا جمال الدين عبد الله ابن الشيخ عمر بن علي بن الشيخ مبارك الهندي وحدث فسمعنا عليه بها الى أن مات في صفر سنة ثمان وثمانمائة وبها الآن ولده وهي من الزوايا المشهورة بالقاهرة

(زاوية نصر)

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة أنشأها الشيخ نصر بن سليمان أبو الفتح المنبجي الناسك القدوة وحدث بها عن ابراهيم بن خليل وغيره وكان فقيها معتزلا عن الناس متخليا للعبادة يتردد اليه أكابر الناس وأعيان الدولة وكان للامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فيه اعتقاد كبير فلما ولي سلطنة مصر أجل قدره وأكرم محله فهرع الناس اليه وتوسلوا به في حوائجهم وكان يتغالى في محبة العارف محيي الدين محمد بن عربي الصوفي ولذلك كانت بينه وبين شيخ الاسلام احمد بن تيمية مناكرة كبيرة ومات رحمه الله عن بضع وثمانين سنة في ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة ودفن بها

(زاوية الخدام)

هذه الزاوية خارج باب النصر فيما بين شقة باب الفتوح من الحسينية وبين شقة الحسينية خارج باب النصر أنشأها الطواشي بلال الفراجي وجعلها وقفا على الخدام الحبش الاجناد في سنة سبع وأربعين وستمائة

(زاوية تقي الدين)

هذه الزاوية تحت قلعة الجبل أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون بعد سنة عشرين وسبعمائة لسكنى الشيخ تقي الدين رجب بن أشيرك العجمي وكان وجيها محترما عند أمراء الدولة ولم يزل بها الى أن مات يوم السبت ثامن شهر رجب سنة أربع عشرة وسبعمائة وما زالت منزلا لفقراء العجم الى وقتنا هذا

(زاوية الشريف مهدي)

هذه الزاوية بجوار زاوية الشيخ تقي الدين المذكور بناها الامير صرغتمش في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

(زاوية الطراطرية)

هذه الزاوية بالقرب من موردة البلاط بناها الملك الناصر محمد بن قلاون بوساطة القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص برسم الشيخين الاخوين محمد واحمد المعروفين بالطراطرية في سنة أربعين وسبعمائة وكانا من أهل الخير والصلاح ونزلا أولا في مقصورة بالجامع الازهر فعرفت بهما ثم عرفت بعدهما بمقصورة الحسام الصفدي والد الامير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام وهذه المقصورة بآخر الرواق الاول مما يلي الركن الغربي ولم تزل هذه الزاوية عامرة الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة وخرب خط زريبة قوصون وما في قبليه الى منشأة المهراني وما في بحريه الى قرب بولاق

(زاوية القلندرية)

القلندرية طائفة تنتمي الى الصوفية وتارة تسمي انفسها ملامتية وحقيقة القلندرية انهم قوم طرحوا التقيد بآداب المجالسات والمخاطبات وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة الا الفرائض ولم يبالوا بتناول شيء من اللذات

المباحة واقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق العزيمة والتزموا أن لا يدخروا شيأ وتركوا الجمع والاستكثار من الدنيا ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا وزعموا أنهم قد قنعوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع الى طلب مزيد سوى ماهم عليه من طيب القلوب * والفرق بين الملامتى والقلندرى أن الملامتى يعمل فى كتم العبادات والقلندرى يعمل فى تخريب العادات والملامتى يتمسك بكل ابواب البر والخير ويرى الفضل فيه الا انه يخفى أحواله وأعماله ويوقف نفسه موقف العوام فى هيئته وملبوسه تستراللحال حتى لا يفطن له وهو مع ذلك متطلع الى المزيد من العبادات والقلندرى لا يتقيد بهيئة ولا يبالى بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينعطف الا على طيب القلوب وهو رأس ماله

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة من الجهة التى فيها الترب والمقابر التى تلى المساكن أنشأها الشيخ حسن الجوالقى القلندرى أحد فقراء العجم القلندرية على رأى الجوالقة ولما قدم الى ديار مصر تقدم عند أمراء الدولة التركية وأقبلوا عليه واعتقدوه فأثرى ثراء زائدا فى سلطنة الملك العادل كتبغا وسافر معه من مصر الى الشام فاتفق أن السلطان اصطاد غزالا ودفعه اليه ليحمله الى صاحب حماه فلما أحضره اليه البسه تشريفا من حرير طرزوخش وكلوتة زركش فقدم بذلك على السلطان فأخذ الامراء فى مداعبته وقالوا له على سبيل الانكار كيف تلبس الحرير والذهب وهما حرام على الرجال فأين التزهد وسلوك طريق الفقراء ونحو ذلك فعندما حضر صاحب حماه الى مجلس السلطان على العادة قال له يا خوند ايش عملت معى الامراء انكروا على والفقراء تطالبنى فأنعم عليه بألف دينار لجمع الفقراء والناس وعمل وقتا عظيما بزاوية الشيخ على الحريرى خارج دمشق وكان سمح النفس جميل العشرة لطيف الروح يحلق لحيته ولا يعتم ثم انه ترك الحلق وصارت له لحية وتعمم عمامة صوفية وكانت له عصبة وفيه مروءة وعصبية ومات بدمشق فى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ومازالت هذه الزاوية منزلا لطائفة القلندرية ولهم بها شيخ وفيها منهم عدد موفور وفى شهر ذى القعدة سنة احدى وستين وسبعمائة حضر السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون بخانقاه أبيه الملك الناصر فى ناحية سرياقوس خارج القاهرة ومدّ له شيخ الشيوخ سماطا كان من جملة من وقف عليه بين يدى السلطان الشريف على شيخ زاوية القلندرية هذه فاستدعاه السلطان وانكر عليه حلق لحيته واستتابه وكتب له توقيعا سلطانيا منع فيه هذه الطائفة من تحليق لحاهم وأن من تظاهر بهذه البدعة قوبل على فعله المحرّم وأن يكون شيخا على طائفته كما كان مادام وداموا متمسكين بالسنة النبوية وهذه البدعة لها منذ ظهرت مايزيد على أربعمائة سنة وأوّل ما ظهرت بدمشق فى سنة بضع عشرة وستمائة وكتب الى بلاد الشام بالزام القلندرية بترك زى الاعاجم والمجوس ولا يمكن أحد من الدخول الى بلاد الشام حتى يترك هذا الزى المبتدع واللباس المستبشع ومن لا يلتزم بذلك يعزر شرعا ويقلع من قراره قلعا فنودى بذلك فى دمشق وأرجائها يوم الاربعاء سادس عشر ذى الحجة

(قبة النصر)

هذه القبة زاوية يسكنها فقراء العجم وهى خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الاحمر بآخر ميدان القبق من بحريه جدّدها الملك الناصر محمد بن قلاون على يد الامير جمال الدين أقوش نائب الكرك

(زاوية الركراكى)

هذه الزاوية خارج القاهرة فى أرض المقس عرفت بالشيخ المعتقد أبى عبد الله محمد الركراكى المغربى المالكى لاقامته بها وكان فقيها مالكيا متصديا لاشغال المغاربة يتبرك الناس به الى أن مات بها يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الاولى سنة أربع وتسعين وسبعمائة ودفن بها * والركراكى نسبة الى ركراكة بلدة بالمغرب هى أحد مراسى سواحل المغرب بقرب البحر المحيط تنزل فيه السفن فلا تخرج الا بالرياح العاصفة فى زمن الشتاء عند تكدر الهواء

(زاوية ابراهيم الصائغ)

هذه الزاوية بوسط الجسر الاعظم تطل على بركة الفيل عمرها الامير سيف الدين طغاى بعد سنة عشرين

وسبعمائة وأنزل فيها فقيرا عجميا من فقراء الشيخ تقي الدين رجب يعرف بالشيخ عز الدين العجمي وكان يعرف صناعة الموسيقى وله نغمة لذيذة وصوت مطرب وغناء جيد فأقام بها الى أن مات في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فغلب عليها الشيخ ابراهيم الصائغ الى أن مات يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وسبعمائة فعرفت به

* (زاوية الجعبري) *

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة تنسب الى الشيخ برهان الدين ابراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبري المعتقد الواعظ كان يجلس للوعظ فيجتمع اليه الناس ويذكرهم ويروي الحديث ويشارك في علم الطب وغيره من العلوم وله شعر حسن وروى عن السخاوي وحدث عن البرزالي وكان له أصحاب يغلون في اعتقاده ويغلون في أمره وكان لا يراه أحد الا أعظم قدره وأجله وأثنى عليه وحفظت عنه كلمات طعن عليه بسببها وعمر حتى جاوز الثمانين سنة فلما مرض أمر أن يخرج به الى مكان قبره فلما وقف عليه قال قبير جاء دبير ومات بعد ذلك بيوم في يوم السبت رابع عشري المحرم سنة سبع وثمانين وستمائة والجعابرة عدة منهم

* (زاوية أبي السعود) *

هذه الزاوية خارج باب القنطرة من القاهرة على حافة الخليج عرفت بالشيخ المبارك أيوب السعودي كان يذكر انه رأى الشيخ أبا السعود بن أبي العشائر وسلك على يديه وانقطع بهذه الزاوية وتبرك الناس به واعتقدوا اجابة دعائه وعمر وصار يحمل للعجز عن الحركة حتى مات عن مائة سنة أول صفر سنة أربع وعشرين وسبعمائة

* (زاوية الحمصي) *

هذه الزاوية خارج القاهرة بخط حكر خزائن السلاح والاوسية على شاطئ خليج الذكر من أرض المقس بجوار الدكة أنشأها الامير ناصر الدين محمد ويدعى طيقوش ابن الامير فخر الدين الطنبغا الحمصي أحد الامراء في الايام الناصرية كان أبوه من امراء الظاهر بيبرس ورتب بهذه الزاوية عشرة من الفقراء شيخهم منهم ووقف عليها عدة أماكن في جوارها وحصة من قرية بورين من قرى ساحل الشام وغير ذلك في سنة تسع وسبعمائة فلما خرب ما حولها وارتدم خليج الذكر تعطلت وهي الآن قد عزم مستحقو ريعها على هدمها لكثرة ما أحاط بها من الخراب من سائر جهاتها وصار السلوك اليها مخوفا بعدما كانت تلك الخطة في غاية العمارة وفي جمادى سنة عشرين وسبعمائة هدمت

* (زاوية المغربل) *

هذه الزاوية خارج القاهرة بدرب الزراق من الحكر عرفت بالشيخ المعتقد علي المغربل ومات في يوم الجمعة خامس جمادى الاولى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ولما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة خربت الحكورة وهدم درب الزراق وغيره

* (زاوية القصري) *

هذه الزاوية بخط المقس خارج القاهرة عرفت بالشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى عبد الله بن حسن القصري الرجل الصالح الفقيه المالكي المغربي قدم من قصر كتامة بالمغرب الى القاهرة وانقطع بهذه الزاوية على طريقة جميلة من العبادة وطلب العلم الى أن مات بها في التاسع من شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين وستمائة

* (زاوية الجاكي) *

هذه الزاوية في سويقة الريش من الحكورة خارج القاهرة بجانب الخليج الغربي عرفت بالشيخ المعتقد حسين بن ابراهيم بن علي الجاكي ومات بها في يوم الخميس العشرين من شوال سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن خارج باب النصر وكانت جنازته عظيمة جدا وأقام الناس يتبركون بزيارة قبره الى أن كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة فأقبل الناس الى زيارة قبره وكان لهم هناك مجمع عظيم في كل يوم ويحملون النذور الى

قبره

قبره ويزعمون أن الدعاء عنده لا يرد فتنة أضل الشيطان بها كثيرا من الناس وهم على ذلك الى يومنا هذا

(زاوية الابناسي)

هذه الزاوية بخط المقس عرفت بالشيخ الفقيه برهان الدين ابراهيم بن حسين بن موسى بن أيوب الابناسي الشافعي قدم من الريف وبرع في الفقه واشتهر بسلامة الباطن وعرف بالخير والصلاح وكتب على الفتوى ودرس بالجامع الازهر وغيره وتصدى لاشغال الطلبة عدة سنين وولى مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء وطلبه الامير سيف الدين برقوق وهو يومئذ أتابك العساكر حتى يقلده قضاء القضاة بديار مصر فغيب فرارا من ذلك وتنزها عنه الى أن ولى غيره وكانت ولادته قبيل سنة خمس وعشرين وسبعمائة ووفاته بمنزلة المويلح من طريق الحجاز بعد عوده من الحج في ثامن المحرم سنة اثنتين وثمانمائة ودفن بعيون القصب

(زاوية اليونسية)

هذه الزاوية خارج القاهرة بالقرب من باب اللوق تنزلها الطائفة اليونسية واحدهم يونسي بضم الياء المعجمة باثنتين من تحتها وبعد الياء واو ثم نون بعدها سين مهملة في آخرها ياء آخر الحروف نسبة الى يونس ويونس المنسوب اليه الطائفة اليونسية غير واحد فمنهم يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين وهو الذى يزعم أن معبوده على عرشه تحمله ملائكته وان كان هو أقوى منها كالكركي تحمله رجلاه وهو أقوى منهما وقد كفر من زعم ذلك فان الله تعالى هو الذى يحمل العرش وحملته وهذه الطائفة اليونسية من غلاة الشيعة واليونسية أيضا فرقة من المرجئة ينتمون الى يونس السموي وكان يزعم أن الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له فمن اجتمعت فيه هذه الخلال فهو مؤمن وزعم أن ابليس كان عارفا بالله غير أنه كفر باستكباره عليه ولهم يونس بن يونس بن مساعد الشيباني ثم المخارقي شيخ الفقراء اليونسية شيخ صالح له كرامات مشهورة ولم يكن له شيخ بل كان مجذوبا جذب الى طريق الخير توفي بأعمال دارا في سنة تسع عشرة وسبعمائة وقد ناهز تسعين سنة وقبره مشهور يزار ويتبرك به واليه تنسب هذه الطائفة اليونسية

(زاوية الخلاطي)

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة بالقرب من زاوية الشيخ نصر المنبجي عرفت وكانت لهم وجاهة منهم ناصر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن حسين الخلاطي مات في نصف جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن بها

(الزاوية العدوية)

هذه الزاوية بالقرافة تنسب الى الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري القرشي الاموي وكان قد صحب عدة من المشايخ كعقيل المنبجي وحماد الدباس وعبد القادر السهروردي وعبد القادر الجيلي ثم انقطع في جبل الهكارية من أعمال الموصل وبنى له زاوية فمال اليه أهل تلك النواحي كلها ميلا لم يسمع لارباب الزوايا مثله حتى مات سنة سبع وقيل سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن في زاويته وقدم ابن أخيه الى هذه البلاد وهو زين الدين فأكرم وأنعم عليه بامرة ثم تركها وانقطع في قرية بالشام تعرف ببيت فار على هيئة الملوك من اقتناء الخيول المسومة والمماليك والجواري والملابس وعمل الاسمطة الملوكية فافتتن به بعض نساء الطائفة القيمرية وبالغت في تعظيمه وبذلت له أموالا عظيمة وحاشيتها تلومها فيه فلا تصغي الى قولهم فاحتالوا حتى أوقفوها عليه وهو عاكف على المنكرات فما زادها ذلك الا ضلالا وقالت أنتم تنكرون هذا عليه انما الشيخ يتدلل على ربه وأتاه الامير الكبير علم الدين سنجر الدوادار ومعه الشهاب محمود لتحلفه في أول دولة الاشرف خليل بن قلاوون الى قريته فاذا هو كالملك في قلعته للتجمل الظاهر والحشمة الزائدة والفرش الاطلس وآنية الذهب والفضة والنضار الصيني وأشياء تفوت العد الى غير ذلك من الاشربة المختلفة الالوان والاطعمة المتنوعة فلما دخلا عليه لم يحتفل بهما وقبل الامير سنجر يده وهو جالس لم يقم وبقي قائما قدامه يحدثه وزين الدين يسأله ساعة ثم أمره أن يجلس فجلس على ركبتيه متأدبا بين يديه فلما حلفاه

أنعم عليهما بما يقارب خمسة عشر ألف درهم وتطلف من طائفته الشيخ عز الدين أميران وأنعم عليه بامرة دمشق ثم نقل الى امرة بصفد ثم أعيد الى دمشق وترك الامرة وانقطع بالمزة وتردد اليه الاكراد من كل قطر وحملوا اليه الاموال ثم انه أراد أن يخرج على السلطان بمن معه من الاكراد فى كل بلد فباعوا أموالهم واشتروا الخيل والسلاح ووعد رجاله بنيابات البلاد ونزل بأرض اللجون فبلغ ذلك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فكتب الى الامير تنكز نائب الشام بكشف أخبارهم وأمسك السلطان من كان بهذه الزاوية العدوية ودرك على أمير طبر واختلفت الاخبار فقيل انهم يريدون سلطنة مصر وقيل يريدون ملك اليمن فقلق السلطان لامرهم وأهمه الى أن أمسك الامير تنكز عز الدين المذكور وسجنه فى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة حتى مات وتفرق الاكراد ولو لم يتدارك لاوشك أن يكون لهم ثوبة

(زاوية السدار)

هذه الزاوية برأس حارة الديلم بناها الفقير المعتقد على بن السدار فى سنة سبعين وسبعمائة وتوفى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة

(ذكر المشاهد التى يتبرك الناس بزيارتها)

(مشهد زين العابدين)

هذا المشهد فيما بين الجامع الطولونى ومدينة مصر تسميه العامة مشهد زين العابدين وهو خطأ وانما هو مشهد رأس زيد بن على المعروف بزين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ويعرف فى القديم بمسجد محرس الخصى * قال القضاعى مسجد محرس الخصى بنى على رأس زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حين انفذه هشام بن عبد الملك الى مصر ونصب على المنبر بالجامع فسرقه أهل مصر ودفنوه فى هذا الموضع * وقال الكندى فى كتاب الامراء وقدم الى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة أبو الحكم بن أبى الابيض القيسى خطيبا برأس زيد بن على رضوان الله عليه يوم الاحد لعشر خلون من جمادى الآخرة واجتمع الناس اليه فى المسجد * وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون وبنو زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام الشهيد بالكوفة ولم يبق له عليه السلام غير رأسه التى بالمشهد الذى بين الكوم بمصر بطريق جامع ابن طولون وبركة الفيل وهو من الخطط يعرف بمسجد محرس الخصى ولما صلب كشفوا عورته فنسج العنكبوت فسترها ثم انه بعد ذلك احرق وذرى فى الريح ولم يبق منه الا رأسه التى بمصر وهو مشهد صحيح لانه طيف بها بمصر ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة فسرقت ودفنت فى هذا الموضع الى أن ظهرت وبنى عليها مشهد * وذكر ابن عبد الظاهر أن الافضل بن أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد أمر بكشف المسجد وكان وسط الاكوام ولم يبق من معالمه الا محراب فوجد هذا العضو الشريف قال محمد بن منجب بن الصيرفى حدثنى الشريف فخر الدين أبو الفتوح ناصر الزيدى خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف قال لما خرج هذا العضو رأيته وهو هامة وافرة وفى الجبهة أثر فى سعة الدرهم فضمخ وعطر وحمل الى دار حتى عمر هذا المشهد وكان وجدانه يوم الاحد تاسع عشرى ربيع الاول سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكان الوصول به فى يوم الاحد ووجدانه فى يوم الاحد * (زيد بن على) بن الحسين بن على بن أبى طالب كنيته أبو الحسين الامام الذى تنسب اليه الزيدية احدى طوائف الشيعة سكن المدينة وروى عن أبيه على بن الحسين الملقب زين العابدين وعن أبان بن عثمان وعبيد الله بن أبى رافع وعروة بن الزبير وروى عنه محمد بن شهاب الزهرى وزكريا ابن أبى زائدة وخلق ذكره ابن حبان فى الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة وقيل لجعفر بن محمد الصادق عن الرافضة انهم يتبرؤن من عمك زيد فقال برئ الله ممن تبرأ من عمى كان والله اقرأنا لكتاب الله وأفقهنا فى دين الله وأوصلنا للرحم والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله وقال أبو اسحاق السبيعى رأيت زيد بن على فلم أر فى أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل وكان افصحهم لسانا وأكثرهم زهدا وبيانا وقال الشعبى والله ماولد النساء أفضل من زيد بن على ولا أفقه ولا أشجع ولا ازهد وقال أبو حنيفة شاهدت زيد بن على كما شاهدت أهله فما رأيت فى زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جوابا ولا ابين قولا لقد كان منقطع القرين وقال الاعمش

ما كان فى أهل زيد بن علي مثل زيد ولا رأيت فيهم أفضل منه ولا أفصح ولا أعلم ولا أشجع ولقد وفى له من تابعه لاقامهم على المنهج الواضح وسئل جعفر بن محمد الصادق عن خروجه فقال خرج على ما خرج عليه آباؤه وكان يقال لزيد حليف القرآن وقال خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرأه وأتدبره فما وجدت فى طلب الرزق رخصة وما وجدت ابتغوا من فضل الله الا العبادة والفقه وقال عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لقد أصيب عندكم رجل ما كان فى زمانكم مثله ولا أراه يكون بعده مثله زيد بن علي لقد رأيته وهو غلام حدث وانه ليسمع الشئ من ذكر الله فيغشى عليه حتى يقول القائل ماهو بعائد الى الدنيا وكان نقش خاتم زيد اصبر تؤجر اصدق تنج وقرأ مرة قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم فقال ان هذا لوعيد وتهديد من الله ثم قال اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلا وكان اذا كلمه انسان وخاف أن يهجم على أمر يخاف منه مأثما قال له يا عبد الله أمسك أمسك كف كف اليك اليك عليك بالنظر لنفسك ثم يكف عنه ولا يكلمه وقد اختلف فى سبب قيام زيد وطلبه الامر لنفسه فقيل ان زيد بن علي وداود بن علي بن عبد الله بن عباس ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قدموا على خالد بن عبد الله القسري بالعراق فأجازهم ورجعوا الى المدينة فلما ولي يوسف بن عمر العراق بعد عزل خالد كتب الى هشام بن عبد الملك وذكر له ان خالدا ابتاع أرضا بالمدينة من زيد بعشرة آلاف دينار ثم رد الارض عليه فكتب هشام الى عامل المدينة أن يسيرهم اليه ففعل فسألهم هشام عن ذلك فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك وحلفوا فصدقهم وأمرهم بالمسير الى العراق ليقابلوا خالدا فساروا على كره وقابلوا خالدا فصدقهم وعادوا نحو المدينة فلما نزلوا القادسية راسل أهل الكوفة زيدا فعاد اليهم وقيل بل ادعى خالد القسري انه أودع زيدا وداود بن علي ونفرا من قريش مالا فكتب يوسف بن عمر بذلك الى الخليفة هشام بن عبد الملك فأحضرهم هشام من المدينة وسيرهم الى يوسف ليجمعهم وخالدا فقدموا عليه فقال يوسف لزيد ان خالدا زعم انه أودع عندك مالا فقال زيد كيف يودعني وهو يشتم آبائي على منبره فأرسل الى خالد فأحضره فى عباءة وقال له هذا زيد قد أنكر انك أودعته شيأ فنظر خالد اليه والى داود وقال ليوسف أتريد أن تجمع اثمك مع اثمى فى هذا كيف أودعه وأنا أشتم آباءه وأشتمه على المنبر فقال زيد لخالد ما دعاك الى ما صنعت فقال شدد علي العذاب فادعيت ذلك وأملت أن يأتى الله بفرج قبل قدومك فرجعوا وأقام زيد وداود بالكوفة وقيل ان يزيد بن خالد القسري هو الذى ادعى أن المال وديعة عند زيد فلما أمرهم هشام بالمسير الى العراق الى يوسف استقالوه خوفا من شر يوسف وظلمه فقال أنا أكتب اليه بالكف عنكم وألزمهم بذلك فساروا على كره فجمع يوسف بينهم وبين يزيد فقال يزيد ليس لى عندهم قليل ولا كثير فقال له يوسف أبى تهزأ أم بأمير المؤمنين فعذبه يومئذ عذابا كاد يهلكه ثم أمر بالقرشيين فضربوا وترك زيدا ثم استحلفهم وأطلقهم فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بالكوفة وكان زيد قال لهشام لما أمره بالمسير الى يوسف والله ما آمن ان بعثتنى اليه أن لا نجتمع أنا وأنت حيين أبدا قال لابد من المسير اليه فسار اليه وقيل كان السبب فى ذلك أن زيدا كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي فى وقوف علي رضى الله عنه فزيد يخاصم عن بنى حسين وجعفر يخاصم عن بنى حسن فكانا يبلغان كل غاية ويقومان فلا يعيدان مما كان بينهما حرفا فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسن فتنازعا يوما بين يدى خالد بن عبد الملك بن الحارث بالمدينة فأغلظ عبد الله لزيد وقال يا ابن السندية فضحك زيد وقال قد كان اسماعيل عليه السلام ابن امة ومع ذلك فقد صبرت أمى بعد وفاة سيدها ولم يصبر غيرها يعنى فاطمة بنت الحسين أم عبد الله فانها تزوجت بعد أبيه الحسن ابن الحسن ثم ان زيدا ندم واستحيى من فاطمة فانها عمته ولم يدخل اليها زمانا فأرسلت اليه يا ابن أخى انى لاعلم أن أمك عندك كأم عبد الله عنده وقالت لعبد الله بئسما قلت لأم زيد أما والله لنعم دخيلة القوم كانت وذكر أن خالدا قال لهما اغدوا علينا غدا فلست ابن عبد الملك ان لم افصل بينكما فباتت المدينة تغلى كالمرجل يقول قائل قال زيد كذا ويقول قائل قال عبد الله كذا فلما كان من الغد جلس خالد فى المسجد واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشاتما فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لا تعجل يا أبا محمد أعتق زيد كل ما يملك ان خاصمك الى خالد أبدا ثم أقبل الى خالد فقال له لقد جمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر فقال خالد أما لهذا السفيه أحد فتكلم رجل من الانصار من آل

قوله فى وقوف علي الخ هكذا فى النسخ ولعله محرف عن رقوق جمع رق بمعنى الصحيفة لاشتمالها على حكم ونصائح مثلا وليحرر اه مصححه

عمرو بن حزم فقال يا ابن أبي تراب وابن حسين السفيه أما ترى لوال عليك حقا ولا طاعة فقال زيد اسكت أيها القحطاني فانا لا نجيب مثلك قال ولم ترغب عني فوالله اني لخير منك وخير من أبيك وأمي خير من أمك فتضاحك زيد وقال يا معشر قريش هذا الدين قد ذهب أفتذهب الاحساب فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم فقام عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت والله أيها القحطاني فوالله لهو خير منك نفسا وأبا وأما ومحتدا وتناوله بكلام كثير وأخذ كفا من حصباء وضرب بها الارض وقال والله انه ما لنا على هذا من صبر وقام ثم شخص زيد الى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له وهو يرفع اليه القصص فكلما رفع قصة يكتب هشام في اسفلها ارجع الى منزلك فيقول زيد والله لا أرجع الى خالد أبدا ثم انه اذن له يوما بعد طول حبس فصعد زيد وكان بادنا فوقف في بعض الدرج وهو يقول والله لا يحب الدنيا أحد الا ذل ثم صعد وقد جمع له

٢ هشام اهل الشام فسلم ثم جلس فرمى عليه هشام طويلة فحلف لهشام على شيء فقال هشام لا أصدقك فقال يا أمير المؤمنين ان الله لم يرفع أحدا عن أن يرضى بالله ولم يضع أحدا عن أن لا يرضى بذلك منه فقال هشام أنت زيد المؤمل للخلافة وما أنت والخلافة لا أم لك وأنت ابن أمة فقال زيد لا أعلم أحدا عند الله افضل من نبي بعثه ولقد بعث الله نبيا وهو ابن أمة ولو كان به تقصير عن منتهى غاية لم يبعث وهو اسماعيل بن ابراهيم والنبوة اعظم منزلة من الخلافة عند الله ثم لم يمنعه الله من أن جعله أبا للعرب وأبا لخير البشر محمد صلى الله عليه وسلم وما يقصر برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أمي فاطمة لا افخر بأم فوثب هشام من مجلسه وتفرق الشاميون عنه وقال لحاجبه لا يبيت هذا في عسكري أبدا فخرج زيد وهو يقول ما كره قوم قط حر السيوف الا ذلوا وسار الى الكوفة فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ولا تأت اهل الكوفة فانهم لا يفون لك فلم يقبل وقال خرج بنا هشام اسرا على غير ذنب من الحجاز الى الشام ثم الى الجزيرة ثم الى العراق ثم الى تيس ثقيف يلعب بنا وأنشد

بكرت تخوفني الحتوف كأنني * أصبحت عن عرض الحياة بمعزل
فأجبتها ان المنية منزل * لابد أن أسقى بكاس المنهل
ان المنية لو تمثل مثلت * مثلي اذا نزلوا بضيق المنزل
فاني حبالك لا أبالك واعلي * أني امرؤ سأموت ان لم أقتل

استودعك الله واني أعطي الله عهدا ان دخلت يدي في طاعة هؤلاء ما عشت وفارقه وأقبل الى الكوفة فأقام بها مستخفيا ينتقل في المنازل فأقبلت الشيعة تختلف اليه تبايعه فبايعه جماعة من وجوه أهل الكوفة وكانت بيعته انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم وأفعال الخير ونصرة أهل البيت أتبايعون على ذلك فاذا قالوا نعم وضع يده على ايديهم ويقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤمنن ببيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن لي في السر والعلانية فاذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم فاشهد فبايعه خمسة عشر ألفا وقيل أربعون ألفا وأمر أصحابه بالاستعداد فأقبل من يريد أن يفي ويخرج معه يستعد ويتهيأ فشاع امره في الناس هذا على قول من زعم انه اتى الكوفة من الشام واختفى بها يبايع الناس وأما على قول من زعم انه اتى الى يوسف بن عمر لمرافعة خالد بن عبد الله القسري أو ابنه يزيد بن خالد فانه قال أقام زيد بالكوفة ظاهرا ومعه داود بن علي بن عبد الله بن عباس وأقبلت الشيعة تختلف اليه وتأمره بالخروج ويقولون انا لنرجو أن تكون أنت المنصور وان هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية فأقام بالكوفة ويوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو ها هنا ويبعث اليه ليسير فيقول نعم ويعتل بالوجع فمكث ما شاء الله ثم أرسل اليه يوسف بالمسير عن الكوفة فاحتج بأنه يحاكم آل طلحة بن عبيد الله بملك بينهما بالمدينة فأرسل اليه ليوكل وكيلا ويرحل عنها فلما رأى الجد من يوسف في أمره سار حتى اتى القادسية وقيل الثعلبية فتبعه أهل الكوفة وقالوا له نحن أربعون ألفا لم يتخلف عنك أحد نضرب عنك بأسيافنا وليس ها هنا من أهل الشام الا عدة يسيرة وبعض قبائلنا يكفيهم باذن الله وحلفوا له بالايمان المغلظة فجعل يقول اني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدي فيحلفون له فقال له داود بن علي لا يغرنك يا ابن عمي هؤلاء أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك علي بن أبي

طالب

طالب حتى قتل والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه وانتزعوا رداءه وجرحوه أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له ثم خذلوه وأسلموه ولم يرضوا بذلك حتى قتلوه فلا ترجع معهم فقالوا يا زيد ان هذا لا يريد أن تظهر انت ويزعم انه وأهل بيته أولى بهذا الامر منكم فقال زيد لداود ان عليا كان يقاتله معاوية بذهبه وان الحسين قاتله يزيد والامر مقبل عليهم فقال له داود انى اخاف ان رجعت معهم أن لا يكون أحد أشد عليك منهم وانت أعلم ومضى داود الى المدينة ورجع زيد الى الكوفة فاتاه سلمة بن كهيل فذكر له قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه فأحسن ثم قال له نشدتك الله كم بايعك قال أربعون ألفا قال فكم بايع جدك قال ثمانون ألفا قال فكم حصل معه قال ثلثمائة قال نشدتك الله أنت خير أم جدك قال جدى قال فهذا القرن خير أم ذلك القرن قال ذلك القرن قال افتطمع أن يفى لك هؤلاء وقد غدر اولئك بجدك قال قد بايعونى ووجبت البيعة فى عنقى وعنقهم قال أفتأذن لى أن أخرج من هذا البلد فلا آمن أن يحدث حدث فأهلك نفسى فأذن له فخرج الى اليمامة وكتب عبد الله بن الحسن بن الحسن الى زيد أما بعد فان أهل الكوفة نفج العلانية خور للسريرة هوج فى الرداء جزع فى اللقا تقدمهم ألسنتهم ولا تتابعهم قلوبهم ولقد تواترت كتبهم الىّ بدعوتهم فصممت عن ندائهم وألبست قلبى غشاء عن ذكرهم يأسا منهم واطراحا لهم وما لهم مثل الا ما قال علىّ ابن أبى طالب صلوات الله عليه ان أهملتم خضتم وان خورتم خرتم وان اجتمع الناس على امام طعنتم وان اجبتم الى مشاقة نكصتم فلم يصغ زيد الى شئ من ذلك وأقام على حاله يبايع الناس ويتجهز للخروج وتزوج بالكوفة امرأتين وكان ينتقل تارة عند هذه فى بنى سلمة قومها وتارة عند هذه فى الازد قومها وتارة فى بنى عبس وتارة فى بنى تغلب وغيرهم الى أن ظهر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة فأمر أصحابه بالاستعداد وأخذ من كان يريد الوفاء بالبيعة يتجهز فبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث فى طلب زيد فلم يوجد وخاف زيد أن يؤخذ فتعجل قبل الاجل الذى جعله بينه وبين أهل الكوفة وعلى الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت فى ناس من أهل الشام ويوسف ابن عمر بالحيرة فلما علم اصحاب زيد أن يوسف بن عمر قد بلغه الخبر وأنه يبحث عن زيد اجتمع الى زيد جماعة من رؤسهم فقالوا رحمك الله ما قولك فى أبى بكر وعمر فقال زيد رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحدا من أهل بيتى يقول فيهما الا خيرا وان أشد ما اقول فيما ذكرتم انا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس اجمعين فدفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا وقد ولوا فعدلوا فى الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء اذا كان اولئك لم يظلموا واذا كان هؤلاء لم يظلموا فلم تدعوا الى قتالهم فقال ان هؤلاء ليسوا كأولئك هؤلاء ظالمون لى ولانفسهم ولكم وانما ندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والى السنن أن تحيى والى البدع أن تطفأ فان أجبتمونا سعدتم وان ابيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا قد سبق الامام يعنون محمدا الباقر وكان قد مات وقالوا جعفر ابنه امامنا اليوم بعد أبيه فسماهم زيد الرافضة وهم يزعمون أن المغيرة سماهم الرافضة حين فارقوه وكانت طائفة قد أتت جعفر بن محمد الصادق قبل قيام زيد وأخبروه ببيعته فقال بايعوه لهو والله افضلنا وسيدنا فعادوا وكتموا ذلك وكان زيد قد واعد أصحابه أول ليلة من صفر فبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث الى الحكم عامله على الكوفة يأمره بأن يجمع الناس بالمسجد الاعظم يحصرهم فيه فجمعهم وطلبوا زيدا فخرج ليلا من دار معاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصارى وكان بها ورفعوا النيران ونادوا يا منصور حتى طلع الفجر فلما اصبحوا نادى اصحاب زيد بشعارهم وثاروا فأغلق الحكم دروب السوق وأبواب المسجد على الناس وبعث الى يوسف بن عمر وهو بالحيرة فأخبره الخبر فأرسل اليه خمسين فارسا ليعرفوا الخبر فساروا حتى عرفوا الخبر وعادوا اليه فسارت الحيرة بأشراف الناس وبعث ألفين من الفرسان وثلثمائة رجالة معهم النشاب وأصبح زيد فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتى رجل وثمانية عشر رجلا فقال سبحان الله اين الناس فقيل انهم فى المسجد الاعظم محصورون فقال والله ما هذا بعذر لمن بايعنا وأقبل فلقيه على جبانة الصايديين خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم فيمن معه حتى هزمهم وانتهى الى دار أنس بن عمر الازدى وكان فيمن بايعه وهو فى الدار فنودى فلم يجب فناداه زيد فلم يخرج اليه فقال زيد ما اخلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم ثم سار ويوسف بن عمر ينظر اليه وهو فى مائتى رجل فلو قصده زيد لقتله والريان يتبع آثار زيد بالكوفة فى أهل الشام فأخذ زيد فى المسير حتى دخل الكوفة فسار بعض اصحابه الى الجبانة وواقعوا أهل

الشام فأسر أهل الشام منهم رجلا ومضوا به الى يوسف بن عمر فقتله فلما رأى زيد خذلان الناس اياه قال قد فعلوها حسبي الله وسار وهو يهزم من لقيه حتى انتهى الى باب المسجد فجعل اصحابه يدخلون راياتهم من فوق الباب ويقولون يا اهل المسجد اخرجوا من الذل الى العز اخرجوا الى الدين والدنيا فانكم لستم فى دين ولا دنيا وزيد يقول والله ما خرجت ولا قمت مقامى هذا حتى قرأت القرآن وأتقنت الفرائض وأحكمت السنن والآداب وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل وفهمت الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاص والعام وما تحتاج اليه الامة فى دينها مما لا بد لها منه ولا غنى لها عنه وانى لعلى بينة من ربى فرماهم أهل المسجد بالحجارة من فوق المسجد فانصرف زيد فيمن معه وخرج اليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق فأتاه الريان وقاتله وخرج أهل الشام مساء يوم الاربعاء اسوأ شئ ظنا فلما كان من الغد أرسل يوسف بن عمر عدة عليهم العباس بن سعد المزنى فلقيهم زيد فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب العباس وقتل منهم نحو من سبعين فلما كان العشى عبى يوسف بن عمر الجيوش وسرحهم فالتقاهم زيد بمن معه وحمل عليهم حتى هزمهم وهو يتبعهم فبعث يوسف طائفة من الناشبة فرموا أصحاب زيد وهو يقاتل حتى دخل الليل فرمى بسهم فى جبهته اليسرى ثبت فى دماغه فرجع اصحابه ولا يظن أهل الشام انهم رجعوا للمساء والليل فأنزلوا زيدا فى دار وأتوه بطبيب فانتزع النصل فضج زيد ومات رحمه الله لليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة وعمره اثنتان وأربعون سنة ولما مات اختلف أصحابه فى أمره فقال بعضهم نطرحه فى الماء وقال بعضهم بل نحز رأسه ونلقيه فى القتلى فقال ابنه يحيى بن زيد والله لا يأكل لحم أبى الكلاب وقال بعضهم ندفنه فى الحفرة التى يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ففعلوا ذلك واجروا عليه الماء وكان معه مولى سندى فدل عليه وقيل رآهم قصار فدل عليه وتفرق الناس من أصحاب زيد وسار ابنه يحيى نحو كربلا وتتبع يوسف بن عمر الجرحى فى الدور حتى دل على زيد فى يوم جمعة فأخرجه وقطع رأسه وبعث به الى هشام بن عبد الملك فدفع لمن وصل به عشرة آلاف درهم ونصبه على باب دمشق ثم أرسله الى المدينة وسار منها الى مصر وأما جسده فان يوسف بن عمر صلبه بالكناسة ومعه ثلاثة ممن كانوا معه وأقام الحرس عليه فمكث زيد مصلوبا اكثر من سنتين حتى مات هشام وولى الوليد من بعده وبعث الى يوسف بن عمر أن أنزل زيدا وأحرقه بالنار فأنزله وأحرقه وذرى رماده فى الريح وكان زيد لما صلب وهو عريان استرخى بطنه على عورته حتى ما يرى من سوءته شئ ومر زيد مرة بمحمد ابن الحنفية فنظر اليه وقال اعيذك بالله أن تكون زيد بن على المصلوب بالعراق وقال عبد الله بن حسين بن على بن الحسين بن على سمعت أبى يقول اللهم ان هشاما رضى بصلب زيد فاسلبه ملكه وان يوسف بن عمر أحرق زيدا اللهم فسلط عليه من لا يرحمه اللهم وأحرق هشاما فى حياته ان شئت والا فأحرقه بعد موته قال فرأيت والله هشاما محرقا لما أخذ بنو العباس دمشق ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعا على كل باب من أبواب دمشق منه عضو فقلت يا أبت وافقت دعوتك ليلة القدر فقال لا يا بنى بل صمت ثلاثة أيام من شهر رجب وثلاثة أيام من شعبان وثلاثة أيام من شهر رمضان كنت أصوم الاربعاء والخميس والجمعة ثم أدعو الله عليهما من صلاة العصر يوم الجمعة حتى أصلى المغرب وبعد قتل زيد انتقض ملك بنى أمية وتلاشى الى أن ازالهم الله تعالى ببنى العباس * وهذا المشهد باق بين كيمان مدينة مصر يتبرك الناس بزيارته ويقصدونه لاسيما فى يوم عاشوراء والعامة تسميه زين العابدين وهو وهم وانما زين العابدين أبوه وليس قبره بمصر بل قبره بالبقيع ولما قتل الامام زيد سودت الشيعة أى لبست السواد وكان أول من سود على زيد شيخ بنى هاشم فى وقته الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ورثاه بقصيدة طويلة وشعره حجة احتج به سيبويه توفى سنة تسع وعشرين ومائة

(مشهد السيدة نفيسة)

قال الشريف النقيب النسابة شرف الدين أبو على محمد بن أسعد بن على بن معمر بن عمر الحسينى الجوانى المالكى فى كتاب الروضة الانيسة بفضل مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها * نفيسة ابنة الحسن ابن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام امها ام ولد وأخوتها القاسم ومحمد وعلى وابراهيم وزيد وعبد الله ويحيى واسماعيل واسحاق وأم كلثوم أولاد الحسن بن زيد بن الحسن بن على فأمهم أم سلمة وأسمها زينب ابنة الحسن بن الحسن بن على وأمها أم ولد تزوج أم كلثوم اخت نفيسة عبد الله بن على بن

عبد الله

قوله فامهم الخ هكذا فى النسخ ولا يخفى ما فى هذه العبارة من السقامة والتنافى والظاهر أن فيها سقطا والاصل فأما القاسم ومحمد ويحيى وأم كلثوم فأمهم الخ كما يدل على ذلك قوله فأمهم بالفاء وكذلك بقية العبارة حيث بين فيها أمهات ستة منهم وليحرر اه مصححه

عبدالله بن عباس رضي الله عنهم ثم خلف عليها الحسن بن زيد بن علي بن الحسن بن علي وأما علي وابراهيم وزيد اخوة نفيسة من أبيها فأمهم أم ولد تدعى أم عبد الحميد وأما عبيد الله بن الحسن بن زيد فأمه الزائدة بنت بسطام بن عمير بن قيس الشيباني وأما اسماعيل واسحاق فهما لامى ولد وكان اسماعيل من أهل الفضل والخير صاحب صوم ونسك وكان يصوم يوما ويفطر يوما وأما يحيى بن زيد فله مشهد معروف بالمشاهد يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وتزوج بنفيسة رضي الله عنها اسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وكان يقال له اسحاق المؤتمن وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين روى عنه الحديث وكان ابن كاسب اذا حدث عنه يقول حدثني الثقة الرضى اسحاق بن جعفر وكان له عقب بمصر منهم بنو الرقى وجلب بنو زهرة وولدت نفيسة من اسحاق ولدين هما القاسم وأم كلثوم لم يعقبا * وأما جد نفيسة وهو زيد بن الحسن بن علي فروى عن أبيه وعن جابر وابن عباس وروى عنه ابنه وكانت بينه وبين عبد الله بن محمد ابن الحنفية خصومة وفد لاجلها على الوليد بن عبد الملك وكان يأتي الجمعة من ثمانية أميال وكان اذا ركب نظر الناس اليه وعجبوا من عظم خلقه وقالوا جده رسول الله وكتب اليه الوليد بن عبد الملك يسأله أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان بن عبد الملك ففرق منه وأجابه فلما استخلف سليمان وجد كتاب زيد بذلك الى الوليد فكتب الى أبي بكر بن حزم امير المدينة ادع زيد بن الحسن فأقرئه الكتاب فان عرفه فاكتب الي وان هو نكل فقدمه فأصبر يمينه عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما كتبه ولا أمر به فخاف زيد الله واعترف فكتب بذلك أبو بكر فكتب سليمان أن يضرب به مائة سوط وأن يدرعه عباءة ويمشيه حافيا فحبس عمر بن عبد العزيز الرسول وقال حتى اكلم امير المؤمنين فيما كتب به في حق زيد فقال للرسول لا تخرج فان امير المؤمنين مريض فمات سليمان وأحرق عمر الكتاب * وأما والد نفيسة وهو الحسن بن زيد فهو الذي كان والي المدينة النبوية من قبل أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور وكان فاضلا أديبا عالما وأمه أم ولد توفي أبوه وهو غلام وترك عليه دينا أربعة آلاف دينار فحلف الحسن ولده أن لا يظل رأسه سقف الا سقف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم او بيت رجل يكلمه في حاجة حتى يقضي دين أبيه فوفاه وقضاه بعد ذلك ومن كرمه انه اتى بشاب شارب متأدب وهو عامل على المدينة فقال يا ابن رسول الله لا أعود وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم وأنا ابن أبي امامة بن سهل بن حنيف وقد كان أبي مع أبيك كما قد علمت قال صدقت فهل انت عائد قال لا والله فأقاله وأمر له بخمسين دينارا وقال له تزوج بها وعد الي فتاب الشاب وكان الحسن بن زيد يجري عليه النفقة * وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه فيقال انها حجت ثلاثين حجة وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار فقيل لها ألا ترفقين بنفسك فقالت كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها الا الفائزون وكانت تحفظ القرآن وتفسيره وكانت لا تأكل الا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة ولا تأكل من غير زوجها شيأ وقد ذكر أن الامام الشافعي محمد بن ادريس كان زارها وهي من وراء الحجاب وقال لها ادعي لي وكان صحبته عبد الله بن عبد الحكم وماتت رضي الله عنها بعد موت الامام الشافعي رحمة الله عليه بأربع سنين لان الشافعي توفي سلخ شهر رجب سنة أربع ومائتين وقيل انها كانت فيمن صلى على الامام الشافعي وتوفيت السيدة نفيسة في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين ودفنت في منزلها وهو الموضع الذي به قبرها الآن ويعرف بخط درب السباع ودرب بزرب وأراد اسحاق بن الصادق وهو زوجها أن يحملها ليدفنها بالمدينة فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لاجل البركة وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة باجابة الدعاء بمصر وهي أربعة مواضع سجن نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ومسجد موسى صلوات الله عليه وهو الذي بطرا ومشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها والمخدع الذي على يسار المصلي في قبلة مسجد الاقدام بالقرافة فهذه المواضع لم يزل المصريون ممن اصابته مصيبة او لحقته فاقة أو جائحة يمضون الى أحدها فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم مجرب ذلك انتهى * ويقال انها حفرت قبرها هذا وقرأت فيه تسعين ومائة ختمة وانها لما احتضرت خرجت من الدنيا وقد انتهت في حزبها الى قوله تعالى قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ففاضت نفسها رحمها الله تعالى مع قوله الرحمة ويقال ان الحسن ابن زيد والد السيدة نفيسة كان مجاب الدعوة ممدوحا وان شخصا وشى به الى أبي جعفر المنصور وأنه يريد الخلافة

لنفسه فانه كان قد انتهت اليه رياسة بنى حسن فأحضره من المدينة وسلبه ماله ثم انه ظهر له كذب الناقل عنه فرد عليه ورده الى المدينة مكرما فلما قدمها بعث الى الذى وشى به بهدية ولم يعتبه على ما كان منه ويقال انه كان مجاب الدعوة فمرت به امرأة وهو فى الابطح ومعها ابن لها على يدها فاختطفه عقاب فسألت الحسن بن زيد أن يدعو الله لها برده فرفع يديه الى السماء ودعا ربه فاذا بالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يضره بشىء فأخذته أمه وكان يعد بألف من الكرام ولما قدمت السيدة نفيسة الى مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر نزلت بالمنصوصة وكان بجوار هادار فيها قوم من أهل الذمة ولهم ابنة مقعدة لم تمش قط فلما كان فى يوم من الايام ذهب أهلها فى حاجة من حوائجهم وتركوا المقعدة عند السيدة نفيسة فتوضأت وصبت من فضل وضوئها على الصبية المقعدة وسمت الله تعالى فقامت تسعى على قدميها ليس بها بأس البتة فلما قدم أهلها وعاينوها تمشى أتوا الى السيدة نفيسة وقد تيقنوا أن مشى ابنتهم كان ببركة دعائها وأسلموا بأجمعهم على يديها فاشتهر ذلك بمصر وعرف انه من بركاتها وتوقف النيل عن الزيادة فى زمنها فحضر الناس اليها وشكوا اليها ما حصل من توقف النيل فدفعت قناعها اليهم وقالت لهم ألقوه فى النيل فألقوه فيه فزاد حتى بلغ الله به المنافع وأسر ابن لامرأة ذمية فى بلاد الروم فأتت الى السيدة نفيسة وسألتها الدعاء أن يرد الله ابنها عليها فلما كان الليل لم تشعر الذمية الا بابنها وقد هجم عليها دارها فسألته عن خبره فقال يا أماه لم اشعر الا وبيد قد وقعت على القيد الذى كان فى رجلى وقائل يقول أطلقوه قد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن فوالذى يحلف به يا أماه لقد كسر قيدى وما شعرت بنفسى الا وأنا واقف بباب هذه الدار فلما أصبحت الذمية أتت الى السيدة نفيسة وقصت عليها الخبر وأسلمت هى وابنها وحسن اسلامهما * وذكر غير واحد من علماء الاخبار بمصر أن هذا قبر السيدة نفيسة بلا خلاف وقد زار قبرها من العلماء والصالحين خلق لا يحصى عددهم ويقال ان أول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر ومكتوب فى اللوح الرخام الذى على باب ضريحها وهو الذى كان مصفحا بالحديد بعد البسملة مانصه نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين أمر بعمارة هذا الباب السيد الاجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وشد عضده بولده الاجل الافضل سيف الامام جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله فى علائه وأمتع المؤمنين بطول بقائه فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة والقبة التى على الضريح جددها الخليفة الحافظ لدين الله فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وأمر بعمل الرخام الذى بالمحراب

(مشهد السيدة كلثوم)

هى كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب موضعه بمقابر قريش بمصر بجوار الخندق وهى أم جعفر بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق كانت من الزاهدات العابدات

(سناوثنا)

يقال انهما من اولاد جعفر بن محمد الصادق كانتا تتلوان القرآن الكريم فى كل ليلة فماتت احداهما فصارت الاخرى تتلو وتهدى ثواب قراءتها لاختها حتى ماتت

(ذكر مقابر مصر والقاهرة المشهورة)

القبر مدفن الانسان وجمعه قبور والمقبرة موضع القبر قال سيبويه المقبرة ليس على الفعل ولكنه اسم وقبره يقبره دفنه وأقبره جعل له قبرا * واعلم أن لاهل مدينة مصر ولاهل القاهرة عدة مقابر وهى القرافة فما كان منها فى سفح الجبل يقال له القرافة الصغرى وما كان منها فى شرقى مصر بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى وفى القرافة الكبرى كانت مدافن أموات المسلمين منذ افتتحت أرض مصر واختط العرب مدينة الفسطاط ولم يكن لهم مقبرة سواها فلما قدم القائد جوهر من قبل المعز لدين الله وبنى القاهرة وسكنها الخلفاء اتخذوا بها تربة

عرفت بتربة الزعفران قبروا فيها أمواتهم ودفن رعيتهم من مات منهم فى القرافة الى أن اختطت الحارات خارج باب زويلة فقبر سكانها موتاهم خارج باب زويلة مما يلى الجامع فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل وكثرت المقابر بها عند حدوث الشدة العظمى أيام الخليفة المستنصر ثم لما مات أمير الجيوش بدر الجمالى دفن خارج باب النصر فاتخذ الناس هنالك مقابر موتاهم وكثرت مقابر أهل الحسينية فى هذه الجهة ثم دفن الناس الاموات خارج القاهرة فى الموضع الذى عرف بميدان القبق فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر وبنوا هنالك الترب الجليلة ودفن الناس أيضا خارج القاهرة فيما بين باب القنوح والخندق ولكل مقبرة من هذه المقابر أخبار سوف أقص عليك من أنبائها ما انتهت الى معرفته قدرتى ان شاء الله تعالى ويذكر أهل العناية بالامور المتقادمة أن الناس فى الدهر الاول لم يكونوا يدفنون موتاهم الى أن كان زمن دوناى الذى يدعى سيد البشر لكثرة ما علم الناس من المنافع فشكا اليه أهل زمانه ما يتأذون به من خبث موتاهم فأمرهم أن يدفنوهم فى خوابى ويسدوا رؤسها ففعلوا ذلك فكان دوناى أول من دفن الموتى وذكر أن دوناى هذا كان قبل آدم بدهر طويل مبلغه عشرون ألف سنة وهى دعوى لا تصح وفى القرآن الكريم ما يقتضى أن قابيل ابن آدم أول من دفن الموتى والله أصدق القائلين وقد قال الشافعى رحمه الله وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده

(ذكر القرافة)

روى الترمذى من حديث أبى طيبة عبد الله بن مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه من مات من أصحابى بأرض بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة قال وهذا حديث غريب وقد روى عن أبى طيبة عن ابن بريدة مرسلا وهذا أصح قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب فى ذلك الى أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر سله لم أعطاك به ما أعطاك وهى لا تزدرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله فقال انا لنجد صفتها فى الكتب ان فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر انا لا نعلم غراس الجنة الا المؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشئ فكان أول من دفن فيها رجل من المغافر يقال له عامر فقيل عمرت فقال المقوقس لعمرو ما ذلك ولا على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذى بين المقبرة وبينهم * وعن ابن لهيعة أن المقوقس قال لعمرو انا لنجد فى كتابنا أن ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين فقبر فيها ممن عرف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة نفر عمرو بن العاص السهمى وعبد الله بن حذافة السهمى وعبد الله بن جزء الزبيدى وأبو بصرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى ويقال ومسلمة بن مخلد الانصارى انتهى ويقال ان عامرا هو الذى كان أول من دفن بالقرافة قبره الآن تحت حائط مسجد الفتح الشرقى وقالت فيه امرأة من العرب

قامت بواكيه على قبره * من لى من بعدك يا عامر
تركتنى فى الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر

وروى أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخ مصر من حديث حرملة بن عمران قال حدثنى عمير بن أبى مدرك الخولانى عن سفيان بن وهب الخولانى قال بينا نحن نسير مع عمرو بن العاص فى سفح هذا الجبل ومعنا المقوقس فقال له عمرو يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو بلاد الشام فقال لا أدرى ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك ولكنه نجد تحته ما هو خير من ذلك قال وما هو قال ليدفنن تحته أو ليقبرن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم قال عمرو اللهم اجعلنى منهم قال حرملة بن عمران فرأيت قبر عمرو بن العاص وقبر أبى بصرة وقبر عقبة بن عامر فيه وخرج أبو عيسى الترمذى من حديث أبى طيبة عبد الله بن مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه من مات من أصحابى بأرض بعث قائدا لهم ونورا يوم القيامة وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى القرافة هم بنو غصن بن سيف بن وائل ابن المغافر وفى نسخة بنو غصن وقال أبو عمرو الكندى بنو غصن بن سيف بن وائل بن الجيزى بن شراحيل

ابن المغافر بن يعفر وقيل ان قرافة اسم أم عزافر وبطن ابى سيف بن وائل بن الجيزى قد صحف القضاعى فى قوله غصن بالغين المعجمة والاقرب ما قاله الكندى لانه اقعد بذلك وقال ياقوت والقرافة بفتح القاف وراء مخففة وألف خفيفة وفاء الاول مقبرة بمصر مشهورة مسماة بقبيلة من المغافر يقال لهم بنو قرافة الثانى القرافة محلة بالاسكندرية منسوبة الى القبيلة أيضا وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب النقط وقد ذكر جامع القرافة الذى يقال له اليوم جامع الاولياء وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون فى ليالى الصيف يتحدثون فى القمر فى صحنه وفى الشتاء ينامون عند المنبر وكان يحصل لقيمه الاشربة والحلوى والجرايات وكان الناس يحبون هذا الموضع ويلزمونه لاجل من يحضر من الرؤساء وكانت الطفيلية يلزمون المبيت فيه ليالى الجمع وكذلك اكثر المساجد التى بالقرافة والجبل والمشاهد لاجل ما يحمل اليها ويعمل فيها من الحلاوات والعومات والاطعمة وقال موسى بن محمد بن سعيد فى كتاب المغرب عن أخبار المغرب وبت ليالى كثيرة بقرافة الفسطاط وهى فى شرقيها بها منازل الاعيان بالفسطاط والقاهرة وقبور عليها مبان معتنى بها وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التى فيها قبر الامام الشافعى رضى الله عنه وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية ولا تكاد تخلو من طرب ولا سيما فى الليالى المقمرة وهى معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر منتزهاتهم وفيها اقول

ان القرافة قد حوت ضدين من * دنيا وأخرى فهى نعم المنزل
يغشى الخليع بها السماع مواصلا * ويطوف حول قبورها المتبتل
كم ليلة بتنا بها ونديمنا * لحن يكاد يذوب منه الجندل
والبدر قد ملأ البسيطة نوره * فكأنما قد فاض منه جدول
وبدا يضاحك أوجها حاكينه * لما تكامل وجهه المتهلل

وفوق القرافة من شرقيها جبل المقطم وليس له علو ولا عليه اخضرار وانما يقصد للبركة وهو نبيه الذكر فى الكتب وفى سفحه مقابر أهل الفسطاط والقاهرة والاجماع على انه ليس فى الدنيا مقبرة اعجب منها ولا أبهى ولا اعظم ولا انظف من ابنيتها وقبابها وحجرها ولا اعجب تربة منها كأنها الكافور والزعفران مقدسة فى جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها وقال شافع بن على

تعجبت من امر القرافة اذ غدت * على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
فالفيتها مأوى الاحبة كلهم * ومستوطن الاحباب يصبو له القلب

وقال الاديب أبو سعيد محمد بن احمد العميدى

اذا ما ضاق صدرى لم اجد لى * مقر عبادة الا القرافه
لئن لم يرحم المولى اجتهادى * وقلة ناصرى لم ألق رافه

واعلم أن الناس فى القديم انما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم واتخذوا الترب الجليلة أيضا فيما بين مصلى خولان وخط المغافر التى موضعها الآن كيمان تراب وتعرف الآن بالقرافة الكبرى فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ابنه فى سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الامام محمد بن ادريس الشافعى وبنى القبة العظيمة على قبر الشافعى وأجرى لها الماء من بركة الحبش بقناطر متصلة منها نقل الناس الابنية من القرافة الكبرى الى ما حول الشافعى وأنشأوا هناك الترب فعرفت بالقرافة الصغرى وأخذت عمائرها فى الزيادة وتلاشى امر تلك وأما القطعة التى تلى قلعة الجبل فتجددت بعد السبعمائة من سنى الهجرة وكان ما بين قبة الامام الشافعى رحمة الله عليه وباب القرافة ميدانا واحدا تتسابق فيه الامراء والاجناد ويجتمع الناس هنالك للتفرج على السباق فتصير الامراء تسابق على حدة والاجناد تسابق فى جهة وهم منفردون عن الامراء والشرط فى السباق من تربة الامير يدرا الى باب القرافة ثم استجد أمراء دولة الناصر محمد بن قلاون فى هذه الجهة الترب فبنى الامير يلبغا التركمانى والامير طقتمر الدمشقى والامير قوصون وغيرهم من الامراء وتبعهم الجند وسائر الناس فبنوا الترب والخوانك والاسواق والطواحين والحمامات حتى صارت العمارة من بركة الحبش الى باب القرافة ومن حد مساكن مصر الى الجبل وانقسمت الطرق فى القرافة وتعددت بها

الشوارع

الشوارع ورغب كثير من الناس في سكناها لعظم القصور التي أنشئت بها وسميت بالترب ولكثرة تعاهد أصحاب الترب لها وتواتر صدقاتهم ومبراتهم لاهل القرافة وقد صنف الناس فيمن قبر بالقرافة وأكثروا من التأليف في ذلك ولست بصدد شيء مما صنفوا في ذلك وانما غرضي أن أذكر ما تشتمل عليه القرافة * وفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ظهر بالقرافة شيء يقال له القطربة تنزل من جبل المقطم فاختطفت جماعة من أولاد سكانها حتى رحل أكثرهم خوفا منها وكان شخص من أهل كبارة مصر يعرف بحميد الفوال خرج من اطفيح على حماره فلما وصل الى حلوان عشاء رأى امرأة جالسة على الطريق فشكت اليه ضعفا وعجزا فحملها خلفه فلم يشعر بالحمار الا وقد سقط فنظر الى المرأة فاذا بها قد أخرجت جوف الحمار بمخاليبها ففر وهو يعدو الى والي مصر وذكر له الخبر فخرج بجماعته الى الموضع فوجد الدابة قد أكل جوفها ثم صارت بعد ذلك تتبع الموتى بالقرافة وتنبش قبورهم وتأكل أجوافهم وتتركهم مطروحين فامتنع الناس من الدفن في القرافة زمنا حتى انقطعت تلك الصورة

(ذكر المساجد الشهيرة بالقرافة الكبيرة)

اعلم أن القرافة بمصر اسم لموضعين القرافة الكبيرة حيث الجامع الذي يقال له جامع الاولياء والقرافة الصغيرة وبها قبر الامام الشافعي وكانتا في أول الامر خطتين لقبيلة من اليمن هم من المغافر بن يغفر يقال لهم بنو قرافة ثم صارت القرافة الكبيرة جبانة وهي حيث مصلى خولان والبقعة وما هو حول جامع الاولياء فانه كان يشتمل على مساجد وربط وسوق وعدة مساكن منها ما خرب ومنها ما هو باق وسترى من ذلك ما يتيسر ذكره

(مسجد الاقدام)

هذا المسجد بالقرافة بخط المغافر قال القضاعي ذكر الكندي أن الجند بنوه وليس من الخطط وسمي بالاقدام لان مروان بن الحكم لما دخل مصر وصالح أهلها وبايعوه امتنع من بيعته ثمانون رجلا من المغافر سوى غيرهم وقالوا لا ننكث بيعة ابن الزبير فأمر مروان بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم على بئر بالمغافر في هذا الموضع فسمي المسجد بهم لانه بني على آثارهم والآثار الاقدام يقال جئت على قدم فلان أي على أثره وقيل بل أمرهم بالبراءة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يتبرؤا منه فقتلهم هنالك وقيل انما سمي مسجد الاقدام لان قبيلتين اختلفتا فيه كل تدعي انه من خطتها فقيس ما بينه وبين كل قبيلة بالاقدام وجعل لاقربهما منه والقديم من هذا المسجد هو محرابه والاروقة المحيطة به وأما خارجه فزيادة الاخشيد والزيادة الجديدة التي في بحريه لسعون الملقب بسهم الدولة متولي الستارة وكان من أهل السنة والخير ويقال انما سمي مسجد الاقدام لانه كان يتداوله العباد وكانت حجارته كذا نا فأثر فيها موضع أقدامهم فسمي لذلك مسجد الاقدام

(مسجد الرصد)

هذا المسجد بناه الافضل أبو القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي بعد بنائه للجامع المعروف بجامع الفيلة لاجل رصد الكواكب بالآلة التي يقال لها ذات الحلق كما ذكر فيما تقدم

(مسجد شقيق الملك)

هذا المسجد بجوار مسجد الرصد بناه شقيق الملك خسروان صاحب بيت المال أحد خدام القصر في أيام الخليفة الحافظ لدين الله في سنة احدى وأربعين وخمسمائة وعمل فيه للحافظ ضيافة عظيمة حضر فيها بنفسه ومعه الامراء والاستاذون وكافة الرؤساء وكان فيه كرم وسمو همة وكان لمساجد القرافة والجبل عنده روزنامج بأسماء أربابها فينفذ اليهم في أيام العنب والتين لكل مسجد قفص رطب ويرسل في كل ليلة من ليالي الوقود لكل مسجد خروف شواء وسطل جوذاب وجام حلوى ولا سيما اذا كان يأتي هذا المسجد فانه لا يأكل حتى يسير ذلك لمن اسمه عنده وكان يعمل جفان القطائف المحشوة باللوز والسكر والكافور والمسك وفيما مافيه بدل اللوز الفستق ويستدعي من لا يقدر على ذلك من أهل الجبل والقرافة وذوي البيوت المنقطعين ويأمر

اذا حضر وابسكب الحلو والشريح عليه بالجرار ويأمرهم بالاكل منه والحمل معهم وكان أحبهم اليه من يأكل طعامه ويستدعى برّه وانعامه رحمه الله

(مسجد الانطاكى)

هذا المسجد كان أيضا بالرصد ومابرحت هذه المساجد الثلاثة بالرصد يسكنها الناس الى مابعد سنة ثمانين وسبعمائة ثم خربت وصار الرصد من الاماكن المخوفة بعد ما أدركته منتزها للعامة

(مسجد النارنج)

هذا المسجد عامر الى يومنا هذا فيما بين الرصد والقرافة الكبرى بجانب سقاية ابن طولون المعروفة بعفصة الكبرى غربيها الى البحرى قليلا وهو المطل على بركة الحبش شرقى الكتفى وقبلى القرافة بنته الجهة الآمرية المعروفة بجهة الدار الجديدة فى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة أخرجت له اثنى عشر ألف دينار على يد الاستاذين اقتضار الدولة يمن ومعز الدولة الطويل المعروف بالوحش وتولى العمارة والانفاق عليه الشريف أبو طالب موسى بن عبد الله بن هاشم بن مشرف بن جعفر بن المسلم بن عبيد الله بن جعفر بن محمد بن ابراهيم بن محمد اليمانى بن عبيد الله بن موسى الكاظم الحسينى الموسوى المعروف بابن أخى الطيب بن أبى طالب الوراق وسمى مسجد النارنج لان نارنجه لا ينقطع أبدا

(مسجد الاندلس)

هذا المسجد فى شرقى القرافة الصغرى بجانب مسجد الفتح فى الموضع الذى يعرف عند الزوار بالبقعة وهو مصلى المغافر على الجنائز ويقال انه بنى عند فتح مصر وقيل بنى فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ثم بنته جهة مكنون واسمها علم الآمرية أم ابنة الآمر التى يقال لها ست القصور فى سنة ست وعشرين وخمسمائة على يد المعروف بالشيخ أبى تراب *(وجهة مكنون) هذه كان الخليفة الآمر بأحكام الله كتب صداقها وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار وكان لها صدقات وبر وخير وفضل وعندها خوف من الله وكانت تبعث الى الاشراف بصلات جزيلة وترسل الى أرباب البيوت والمستورين أموالا كثيرة ولما وهب الآمر لهزار الملوك ولبرغش فى كل يوم مائتى ألف دينار عينا لكل منهما مائة ألف دينار حضر اليها عشاء على عادته فأغلقت باب مقصورتها قبل دخوله وقالت له والله ما تدخل الى أو تهب لى مثل ما وهبت لواحد من غلاميك فقال الساعة ثم استدعى بالفراشين فحضر وافقال هاتوا مائة ألف دينار الساعة ولم يزل واقفا الى أن حضرت عشرة كيسة فى كل كيس عشرة آلاف دينار ويحمله عشرة من الفراشين ففتحت له الباب ودخل اليها ومكنون هذا هو الاستاذ الذى كان برسم خدمتها ويقال له مكنون القاضى لسكونه وهدوء وكان فيه خير وبر كبير وبجانب مسجد الاندلس هذا رباط من غربيه بنته جهة مكنون هذه فى سنة ست وعشرين وخمسمائة برسم العجائز الارامل فلما كان فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة بنى الحاجب لؤلؤ العادلى برحبة الاندلس والرباط بستانا وأحواضا ومقعدا وجمع بين مصلى الاندلس وبين الرباط بحائط بينهما وعمل ذلك الحلول العفيف حاتم بن مسلم المقدسى الشافعى به ولما مات السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى بدمشق فى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة وقام من بعده فى السلطنة ابنه الملك السعيد محمد بركة خان عمل لابيه عزاء بالاندلس هذا فاجتمع هنالك القراء والفقهاء واقيمت المطابخ وهيئت المطاعم الكثيرة وفرقت على الزوايا ومدت أسمطة عظيمة بالخيام التى ضربت حول الاندلس فأكل الناس على اختلاف طبقاتهم وقرأ القراء ختمة شريفة وعد هذا الوقت من المهمات العظيمة المشهورة بديار مصر وكان ذلك فى المحرم سنة سبع وسبعين وستمائة على رأس سنة من موت الملك الظاهر فقال فى ذلك القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر

يا أيها الناس اسمعوا * قولا بصدق قد كسى
ان عزا السلطان فى * غرب وشرق ما نسى
أليس ذا مأتمـــــه * يعمل فى الاندلس

ثم

ثم عمل بعد ذلك مجتمع فى المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعى من القرافة ومجتمع بجامع ابن طولون ومجتمع بجامع الظاهر من الحسينية خارج القاهرة ومجتمع بالمدرسة الظاهرية بين القصرين ومجتمع بالمدرسة الصالحية ومجتمع بدار الحديث الكاملية ومجتمع بالخانقاه الصلاحية لسعيد السعداء ومجتمع بالجامع الحاكمى وأقيم فى كل واحد من هذه المجتمعات الاطعمة الكثيرة وعمل للتكاررة خوان وللفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير والصلاح فقيل فى ذلك

فشكرا لها أوقات بر تقبلت * لقد كان فيها الخير والبر أجمعا
لقد عمت النعمى بها كل موطن * سقتها الغوادى مربعا ثم مربعا
ولما مضى السلطان لم يمض جوده * وخلف فينا بره متنوعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
فدام له منا الدعاء مكررا * مدى دهرنا والله يسمع من دعا

(مسجد البقعة)

هذا المسجد مجاور لمسجد الفتح من غربيه بناه الامير أبو منصور صافى الافضلى

(مسجد الفتح)

هذا المسجد مشهور بجوار قبر الناطق بناه شرف الاسلام سيف الامام بانس الرومى وزير مصر وسمى بالفتح لان منه كان انهزام الروم الى قصر الشمع حين قدم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود فيمن سواهما مددا لعمرو بن العاص وكان الفتح ويقال ان محرابه اللطيف الذى بجانبه الشرقى قديم وان تحت حائطه الشرقى قبر عامر الذى كان أول من دفن بالقرافة ومحراب مسجد الفتح منحرف عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب انحرافا كثيرا كما ذكر عند ذكر محاريب مصر من هذا الكتاب واستشهد يومئذ جماعة دفنوا فى مجرى الحصا فكان يرى على قبورهم فى الليل نور

(مسجد أم عباس جهة العادل بن السلار)

هذا المسجد كان بجوار مصلى خولان بالمغافر غربى المقابر بنته بلاوة زوج العادل بن السلار سلطان مصر فى خلافة الظافر سنة سبع وأربعين وخمسمائة على يد المعروف بالشريف عز الدولة الرضوى بن القفاص وكانت بلاوة مغربية وهى أم الوزير عباس الصنهاجى الباديسى وقد دثر هذا المسجد

(مسجد الصالح)

هذا المسجد كان بخط جامع القرافة المعروف بجامع الاولياء عرف بمسجد بنى عبد الله وبمسجد القبة وبمسجد العزاء والذى بناه الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر وكان فى أعلاه مناظر وعمارته متقنة الزى وأدركته عامرا الى ما بعد سنة ثمانمائة

(مسجد ولى عهد أمير المؤمنين)

هو الامير أبو هاشم العباس بن شعيب بن داود المهدى أحد الاقارب فى الايام الحاكمية كان الى جانب مسجد الصالح وبجانبه تربته وكان المسجد من حجر وبابه محمول على أربع حنايا وتحت الحنايا باب المسجد وفى شرقيه أيضا أربع حنايا وكانت دار أبى هاشم هذا بمصر دار الافراح ومن ولده الشريف الامير الكبير أبو الحسن على ابن الامير عباس بن شعيب بن أبى هاشم المذكور ويعرف بالشريف الطويل وبالنباش

(مسجد الرحمة)

هذا المسجد كان فى صدر القرافة الكبرى بالقرب من تربة ركن الاسلام محمود ابن أخت الملك الصالح طلائع بن رزيك قال الكندى ومنها مسجد القرافة وهم بنو محصن بن سيف بن وائل بن الجيزى قبلى القرافة على يمينك اذا أممت مسجد الاقدام مقابله فسقية صغيرة وله منارة يعرف بمسجد الرحمة وعرف هذا المسجد بأبى تراب

الصوّاف وكيل الجهة التى بنت مسجد الاندلس ورباطه ومسجد رقية وأبو تراب هذا تولى بناءه وكان يقوم بخدمته الشيخ نسيم وأبو تراب هو الذى أخرج اليه ولد الآمر فى قفة من خوص فيها حوائج طبيخ من كراث وبصل وجزر وهو طفل فى القماط فى أسفل القفة والحوائج فوقه ووصل به الى القرافة وأرضعته المرضعة بهذا المسجد وخفى أمره عن الحافظ حتى كبر وصار يسمى قفيفة فلما حان نفعه نم عليه أبو عبد الله الحسين بن أبى الفضل عبد الله بن الحسين الجوهرى الواعظ بعد ما مات الشيخ أبو تراب عند الحافظ فأخذ الصبى وفصده فمات وخلع على ابن الجوهرى ثم نفى الى دمياط فمات بها فى جمادى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

(مسجد مكنون)

هو بجانب مسجد الرحمة بناه الاستاذ مكنون القاضى الذى تقدم ذكره فى مسجد الاندلس

(مسجد جهة ريحان)

هذا المسجد كان فى وجه مسجد أبى تراب قبالة دار البقر من القرافة الكبرى وجدده أستاذ الجهة الحافظية واسمه ريحان فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة

(مسجد جهة بيان)

هذا المسجد كان فى بطحاء مسجد الاقدام بجوار ترب المادرانيين بنته الجهة الحافظية المعروفة بجهة بيان الحسامى على يد أبى الفضل الصعيدى المعروف بابن الموفق وحكى الخليفة عن هذه الجهة خبرا عجيبا قال القاضى المكين أبو الطاهر اسماعيل بن سلامة قال لى أمير المؤمنين الحافظ وما يا قاضى أبا الطاهر قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال أحدثك بحديث عجيب قلت نعم قال لما جرى من أبى على بن الافضل ما جرى بينا أنا فى الموضع الذى كنت معتقلا فيه رأيت كأنى قد جلست فى مجلس من مجالس القصر اعرفه وكان الخلافة قد أعيدت الى وكان المغنيات قد دخلن يهنيننى ويغنين بين يدى وفى جملتهن جارية معها عود يعنى هذه الجارية المذكورة فأنشأت تغنى قول أبى العتاهية

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها
ولو نالها أحد غيره * لزلزلت الارض زلزالها

وكأنى قمت الى خزانة بالمجلس أخذت منها حقة فيها جوهر فلأت فمها منه ثم استيقظت فوالله يا قاضى ما كان الا يومان حتى كسر على الحبس لما قتل أبو على بن الافضل وقيل لى السلام على أمير المؤمنين فلما خرجت وأقمت أياما جلست فى ذلك المجلس الذى رأيته فى النوم ودخل الجوارى يهنيننى فغنت احداهن وهى ذات عود ذلك الصوت بعينه فقلت لها على رسلك حتى نقضى نحن أيضا من حقك ما يجب علينا وقمت الى الخزانة وأخذت الحق الذى فيه الجوهر ثم جئت اليها وقلت لها افتحى فاك ففتحته وحشوته جوهرا وقلت لها ان لك علينا فى كل سنة فى مثل هذا اليوم مثل ذلك

(مسجد توبة)

هو ابن ميسرة الكتامى مغنى المستنصر كان فى شرقى الاقهوب وقبالته تربة تنسب الى الطبالة صاحبة أرض الطبالة وكلاهما فى القرافة الكبرى

(مسجد درى)

هذا المسجد كان فى القرافة الكبرى فى رحبة الاقهوب بناه شهاب الدولة درى غلام المظفر أخى الافضل ابن أمير الجيوش فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وكان أرمنيا فأسلم وصار من المتشددين فى مذهب الامامية وقرأ الجمل للزجاجى فى النحو واللمع لابن جنى وكانت له خرائط من القطن الابيض يلبسها فى يديه ورجليه وكان يتولى خزائن الكسوات ولا يدخل على بسط السلاطين ولا على بسط الخليفة الحافظ لدين الله ولا يدخل

بمجلسه الا ناظرا أنه في رجليه ولا يأخذ من أحد رقعة الا وفي يده خريطة يظن أن من لمسه نجسه وسوسة منه فان اتفق أنه صافح أحدا أو امسك رقعة بيده من غير خريطة لا يمس ثوبه ولا بدنه حتى يغسلها فان مس ثوبه غسل الثوب وكان الاستاذون يعبثون به ويرمون في بساط الخليفة الحافظ العنب فاذا مشى عليه وانعجر ووصل ماؤه الى رجليه سبهم وحرد فيضحك الخليفة ولا يؤاخذه وعمل مرة الوزير رضوان بن ولخشى دواة حليتها ألف دينار مرصعة فدخل عليه شهاب الدولة درى الصغير هذا وقد أحضرت الدواة المذكورة فقال له يامولانا أحسن من مداد هذه الدواة وقع على هذه فيكون ذلك زكاتها اذ فقه فيه رضى ولنبيه وناوله رقعة الشريف القاضى سنا الملك أسعد الجوانى النحوى يطلب فيها راتبا لابنه الشريف أبى عبد الله محمد في الشهر ثلاثة دنانير فوقع عليها فلما كان في الليل رأى في نومه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول جزاك الله خيرا على فعلك اليوم

(مسجد ست غزال)

هذا المسجد كان في القرافة الكبرى بجوار تربة النعمان بنته ست غزال في سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت غزال هذه صاحبة دواة الخليفة لا تعرف شيأ الا أحكام الدوى والليق ومسح الاقلام والدواة وكان برسم خدمتها الاستاذ مأمون الدولة الطويل

(مسجد رياض)

هو لوقافة الحافظ لدين الله كانت تقف بين يديه بالقصر وكان بجوار المصنعة الصغرى الطولونية التى يجيء الماء اليها من عفصة الكبرى وكان فيه حوش به عدة بيوت للنساء المنقطعات.

(مسجد عظيم الدولة)

هذا المسجد كان معلقا بخط سوق القرافة الكبرى وكان عظيم الدولة هذا صقلبيا صاحب الستر وحامل المظلة وكان بجواره هذا المسجد مسجد التمساح ومسجد السدرة ومسجد جهة مراد وكان القاضى أبو عبد الله محمد بن أبى الفرج هبة الله بن الميسر لما عمل قدامه منارة النحاس الرومية ذات السواعد واجتاز بها من تحت سدرة المسجد في ليلة الوقود نصف شهر رجب سنة ثلاثين وخمسمائة عاقتها السدرة فأمر بقطع بعضها فقيل له لا تفعل فان قطع السدر محذور وقد روى أبو داود في كتاب السنن له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوّب الله رأسه في النار فقطعها على ركوب نصف شعبان فما أسى وصرف في المحرّم ونفى الى تنيس وقتل

(مسجد أبى صادق)

هذا المسجد كان غربى مسجد الاقدام بناه ابن سعدون ابو الحسن علىّ بن محمد البغدادى بعد سنة عشرين وأربعمائة وجدده أخوه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن بن سعدون البغدادى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وهو مسجد أبى صادق مرشد المدينى المالكى المحدّث وكان قارئ المصحف بالجامع ومصليا به ومصدرا فيه لاقراء السبع وكان فيه حنة على الحيوانات لاسيما على القطط والكلاب وكان مشارف الجامع وجعل عليه جاريا من الغدد كل يوم لاجل القطط وكان عند داره بزقاق الاقفال من مصر كلاب يطعمها ويسقيها وربما تبع دابته منها شئ يمشى معه في الاسواق قال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة في كتاب النقط على الخطط حدثنى الشيخ منجب غلام أبى صادق قال كان لمولاى الشيخ أبى صادق كلب لا يفارقه أبدا اذا كان راكبا يمشى خلفه فاذا وقفت بغلته قام تحت يديها فاذا رآه الناس قالوا هذا أبو صادق وكلبه وحدثنى قال ولدت كلبة في مستوقد حمام وكان المؤذن يأتى خلف مولاى مصرا كل يوم لقراءة المصحف وكان مولاى يأخذ في كمه كل يوم رغيفا فاذا حاذى موضع الكلبة قلع طيلسانه وقطع الخبز للكلبة ورمى لها بنفسه الى أن تأكل ثم يستدعى الوقاد ويعطيه قيراطا ويقول له اغسل قدحها واملأه ماء حلوا و يستحلفه على ذلك

فلما كبرأولادها صار يأخذ بعد رغيفين الى أن كبروا وتفرقوا وحدثنى قال كان قد جعل كراء حانوت برسم القطاط بالجامع العتيق من الاحباس وكان يؤتى بالغدد مقطعة فيجلس ويقسم عليها وان قطة كانت تحمل شيأ من ذلك وتمضى به وفعلت ذلك مرارا فقال مولاى للشيخ أبى الحسن ابن فرج امض خلف هذه القطة وانظر الى اين تؤدى ذلك فمضى ابن فرج فاذا بها تؤديه الى أولادها فعاد اليه وأخبره فكان بعد ذلك يقطع غددا صغارا على قدر مساغ القطط الصغار وغددا أكبار للكبار ويرسل بجزء الصغار اليهم الى أن كبروا

(مسجد الفراش)

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى بناه أحد فراش الافضل بن أمير الجيوش وبجواره مسجد بناء زيد بن حسام ومسجد الاجابة القديم وتربة العطار ودار البقر وقناطر الاطفيحى كل ذلك بالقرب من جامع القرافة

(مسجد تاج الملوك)

هذا المسجد قدام دار النعمان وتربته من القرافة الكبرى بناه تاج الملوك بدران بن أبى الهيجاء الكردى المارد انى وهو أخو سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك وكان يجتمع أهل مصر عنده فى الاعياد والمواسم وليالى الوقود

(مسجد التمار)

هذا المسجد كان ملاصقا للزيادة التى فى بحرى مسجد الاقدام وفيه قبور بنى التمار

(مسجد الحجر)

هذا المسجد كان بحرى مسجد عمار بن يونس مولى المغافر وشرقى قصر الزجاج من القرافة الكبرى بنته مولاة على بن يحيى بن طاهر المعروف بابن أبى الخارجى الموصلى فى ربيع الاول سنة ثلاثين وأربعمائة

(مسجد القاضى يونس)

هذا المسجد كان غربى مسجد الحجر المذكور بناه الشيخ عدى الملك بن عثمان صاحب دار الضيافة ثم صار بيد قاضى القضاة بمصر الموفق كمال الدين أبى الفضائل يونس بن محمد بن الحسن المعروف بجوامرد خطيب القدس القرشى وكان من الاعيان ولم يشرب قط من ماء النيل بل من ماء الآبار ولم يأكل قط للسلطان خبزا وكان يروى الحديث عن جده

(مسجد الوزيرية)

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى وله منارة بجوار باب رباط الحجازية وكانت الحجازية واعظة زمانها وكانت من الخيرات لها القبول التام وتدعى أم الخير وكان لها من الصيت كما كان لابن الجوهرى وكانت على غاية من الكرم وحسن الاخلاق والشيم ومن مكارم أخلاقها وحسن طباعها وكياسة انطباعها ما حكاه الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط قال حدثنى الشيخ أبو الحسن بن السراج المؤذن بالجامع بمصر قال كان قدام الباب الاول من أبواب جامع مصر بياع رطب يقعد على الارض وبين يديه اقفاص رطب من أحسن الارطاب فبينا الحجازية الواعظة هذه ذات يوم قد قاربت الخروج من باب الجامع وهى فى حفدتها وجواريها واذا ذلك الرطاب ينادى على قفص رطب قدامه معاشر الناس اشتروا الطيبة الحجازية على أربعة على أربعة يريد على أربعة ارطال رطب بدرهم فلما سمعته الحجازية وقفت قبل أن تخرج من باب الجامع وأنفذت اليه بعض الجوارى فصاحت به فلما أتاها قالت له يا أخى قولك الحجازية على أربعة مشكل لا ترجع تنادى كذا وهذا رباعى هدية منى لك ادرج هذا القفص ولا تناد كذا فأخذه وقبل يدها وقال السمع والطاعة

(مسجد ابن العكر)

هـذا المسجد غربي مسجد أبي صادق بحضرة مسجد الاقدام قبالة قصر الكتني وبحذاء مسجد النارنج بناء القاضي العادل بن المكر

(مسجد ابن كباس)

هذا المسجد كان مجاورا القناطر الاطفيحية على يسار من أم طريق الجامع بناه القاضي ابن كباس

(مسجد الشهمية)

هـذا المسجد كان شرقي مسجد الاقدام وغربي قناطر ابن طولون مجاورا لتربة القاضي ابن قابوس كان يعرف بمسجد القناعة من الكلاع ويعرف أيضا بمسجد شادن الفضلي غلام الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات

(مسجد زنكادة)

هذا المسجد كان غربي مسجد عمار بن يونس بناه زنكادة المخنث بعد ما تاب في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

(جامع القرافة)

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الاولياء وهو مسجد بني عبد الله بن مانع بن مزروع ويعرف بمسجد القبة وقد ذكر عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب

(مسجد الاطفيحي)

هذا المسجد كان في البطحاء بحري مجرى جامع القيلة الى الشرق محاذيا لخطط الكلاع ورعين والاكنوع والاكحول ويقال له مسجد وحاطة بن سعد الاطفيحي من أهل اطفيح شيخ له سمت وكتب الحديث في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وما قبلها وسمع من الحبال وهو في طبقته وهو رفيق القراء وابن مشرف وابن الحطيئة وأبي صادق وسلك طريق أهل القناعة والزهد والعزلة كأبي العباس ابن الحطيئة وكان الافضل الكبير شاهنشاه صاحب مصر قد لزمه واتخذ السعي اليه مفترضا والحديث معه شهوة وغرضا لا ينقطع عنه وكان فكه الحديث قد وقف من أخبار الناس والدول على القديم والحديث وقصده الناس لاجل حلول السلطان عنده لقضاء حوائجهم فقضاها وصار مسجده موئلا للحاضر والبادى وصدى لاجابة صوت المنادى وشكا الشيخ الى الافضل تعذر الماء ووصوله اليه فأمر ببناء القناطر التي كانت في عرض القرافة من المجرى الكبيرة الطولونية فبنيت الى المسجد الذي به الاطفيحي ومضى عليهما من النفقة خمسة آلاف دينار وعمل الاطفيحي صهريج ماء شرقي المسجد عظيما محكم الصنعة وحماما وبستانا كان به نخلة سقطت بعد سنة خمسين وخمسمائة وعمل الافضل له مقعدا بحذاء المسجد الى الشرق علو زيادة في المسجد شرقيه وقاعة صغيرة من خمسة اذا جاء عنده جلس فيها وخلا بنفسه واجتمع معه وحادثه وكان هذا المقعد على هيئة المنظرة بغيرستان كل من قصد الاطفيحي من الكتني يراه وكان الافضل لا يأخذه عنه القرار يخرج في أكثر الاوقات من دار الملك باكرا أو ظهرا أو عصرا بغتة فيترجل ويدق الباب وقار للشيخ كما كان الصحابة رضى الله عنهم يقرعون أبواب النبي صلى الله عليه وسلم بظفر الابهام والمسبحة كما يحسب بهما الحاسب فان كان الشيخ يصلي لا يزال واقفا حتى يخرج من الصلاة ويقول من فيقول ولدك شاهنشاه فيقول نعم ثم يفتح فيصافحه الافضل ويمر بيده التي لمس بها يد الشيخ على وجهه ويدخل فيقول الشيخ نصرك الله أيدك الله سددك الله هذه الدعوات الثلاث لا غير أبدا فيقول الافضل آمين وبني له الافضل المصلى ذات المحاريب الثلاثة شرقي المسجد الى القبلي قليلا ويعرف بمصلى الاطفيحي كان يصلي فيه على جنائز موتى القرافة وكان سبب اختصاص الافضل بهذا الشيخ انه لما كان محاصرا نزار بن المستنصر بالاسكندرية وناصر الدولة افتكين الارمني أحد مماليك أمير الجيوش بدر وكانت أم الافضل اذ ذاك وهي عجوز لها سمت ووقار تطوف كل يوم وفي الجمعة الجوامع والمساجد والرباطات والاسواق وتستقصي الاخبار وتعلم محب ولدها الافضل من مبغضه وكان الاطفيحي قد سمع بخبرها فجاءت يوم

جمعة الى مسجده وقالت له ياسيدى ولدى فى العسكر مع الافضل الله يأخذلى الحق منه فانى خائفة على ولدى فادع الله لى أن يسلمه فقال لها الشيخ ياأمة الله أما تستحيين تدعين على سلطان الله فى أرضه المجاهد عن دينه الله تعالى ينصره ويظفره و يسلمه ويسلم ولدك ماهوان شاء الله الامنصور مؤيد مظفر كأنك به وقد فتح الاسكندرية وأسر أعداءه وأتى على أحسن قضية وأجمل طوية فلا تشغلى لك سرا فما يكون الاخيرا ان شاء الله تعالى ثم انها اجتازت بعد ذلك بالفار الصيرفى بالقاهرة بالسراجين وهو والد الامير عبد الكريم الآمرى صاحب السيف وكان عبد الكريم قد ولى مصر بعد ذلك فى الايام الحافظية وكان عبد الكريم هذا له فى ايام الآمر وجاهة عظيمة وصولة ثم افتقر فوقفت أم الافضل على الصيرفى تصرف دينارا وتسمع مايقول لانه كان اسماعيليا متغاليا فقالت له ولدى مع الافضل وما أدرى ماخبره فقال لها الفار المذكور لعن الله المذكور الارمنى الكلب العبد السوء ابن العبد السوء مضى يقاتل مولاه ومولى الخلق كأنك والله ياعجوز برأسه جائزا من هاهنا على رمح قدام مولاه نزار ومولاى ناصر الدولة ان شاء الله تعالى والله يلطف بولدك من قال لك تخليه يمضى مع هذا الكلب المنافق وهو لا يعرف من هى ثم وقفت على ابن بابان الحلبى وكان بزازا بسوق القاهرة فقالت له مثل ماقالت للفار الصيرفى وقال لها مثل ماقال لها فلما أخذ الافضل نزارا وناصر الدولة وفتح الاسكندرية حدثته والدته الحديث وقالت ان كان لك أب بعد أمير الجيوش فهذا الشيخ الاطفيحى فلما خلع عليه المستعلى بالقصر وعاد الى دار الملك بمصر اجتاز بالبزازين يوما فلما نظر الى ابن بابان الحلبى قال انزلوا بهذا فنزلوا به فقال رأسه فضربت عنقه تحت دكانه ثم قال لعبد على أحد مقدمى ركابه قف هاهنا لايضيع له شئ الى أن يأتى أهله فيتسلموا قماشه ثم وصل الى دكان الفار الصيرفى فقال انزلوا بهذا فنزلوا به فقال رأسه فضربت عنقه تحت دكانه وقال ليوسف الاصغر أحد مقدمى الركاب اجلس على حانوته الى أن يأتى أهله ويتسلموا موجوده واياك وماله وصندوقه وان ضاع منه درهم ضربت عنقك مكانه كان لنا خصم أخذناه وقد فعلنا به مايردع غيره عن فعله ومالنا ماله ولا نفقر أهله ثم اتى الافضل الى الشيخ أبى طاهر الاطفيحى وقربه وخصصه الى أن كان من أمره ماشرحناه

* (مسجد الزيات) *

هذا المسجد مجاور بيت الخواص غربيه ومسجد ابن أبى الرداد يعرف بمسجد الانطاكى ومسجد الفاخورى يعرف بمسجد البطحاء ومسجد ابن أبى الصغير قبلى مسجد بنى مانع وهو جامع القرافة ومسجد الشريفة بنى فى سنة احدى وخمسمائة ومسجد ابن أبى كامل الطرابلسى كان بحارة القرن بناه الاعز بن أبى كامل والمعبد الذى كان على رأس العقبة التى يتوصل منها الى الرصد بناه أبو محمد عبد الله الطباخ ويقال انه كان بالقرافة الكبرى اثناعشر ألف مسجد

* (القصر المعروف بباب ليون بالشرف) * هذا القصر كان على طرف الجبل بالشرف الذى يعرف اليوم وجاء الفتح وهو مبنى بالحجارة ثم صار فى موضعه مسجد عرف بمسجد المقس والمقس ضيعة كانت تعرف بأم دنين سميت المقس لان العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس فقلب فقيل المقس وليون اسم بلد بمصر بلغة السودان والروم وقد ذكر المقس عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الكتاب والله تعالى اعلم

هكذا بياض بالاصل

* (ذكر الجواسق التى بالقرافة) *

قال ابن سيده الجوسق الحصن وقيل هو شبيه بالحصن معرب وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط الجواسق بالقرافة والجبانة كانت تسمى القصور وكان بالقرافة قصر الكتنى وقصر بنى كعب وقصر بنى غقبة وقصر أبى قبيل وقصر العزيز وقصر البغدادى وقصر يشب وقصر ابن كرامة

* (جوسق بنى عبد الحكم) * كان جوسقا كبيرا له حوش وكان فى وسط القرافة بحضرة مسجد بنى سريع الذى يقال له الجامع العتيق وهو أحد الجواسق الثلاثة وهو جوسق عبد الله بن عبد الحكم الفقيه الامام وجدد هذا الجوسق ابن اللهيب المغربى

جوسق

•(جوسق بنى غالب ويعرف ببنى بابشاد)• كان بالمغافر بنى فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة والى جانبه قبر الشيخ أبى الحسن طاهر بن بابشاد

•(جوسق ابن ميسر)• كان بجوار جوسق بنى غالب بناه أبو عبد الله محمد ابن القاضى أبى الفرج هبة الله وكان أبو الفرج هو الخطيب بجامع مصر ويوم الغدير وهو شافعى المذهب وهو هبة الله بن هبة الله بن الميسر وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وخمسمائة وأبو عبد الله هذا هو الذى كان بعد ذلك قاضى القضاة بمصر وهو الذى حبس القياسر التى كانت فى القشاشين بمصر وكان يحمل قدامه المنارة الرومية النحاس ذات السواعد التى عليها الشمع ليالى الوقودات وكان فيه كرم سمع بأن المادرانى عمل فى أيامه الكعك الصغير المحشو بالسكر المسمى افطن له فأمر هو بعمل لب الفستق الملبس بالسكر الابيض الفائذ المطيب بالمسك وعمل منه فى أول الحال شيأ عوض لبه لب ذهب فى صحن واحد فضى فيه جملة وخلف قدامه تخاطفه الحاضرون ولم يعد لعمله بل الفستق الملبس وهو أول من أخرجه بمصر وكان قد سمع فى سيرة أبى بكر المادرانى انه عمل هذا الافطن له وجعل فى كل واحد خمسة دنانير ووقف أستاذ على السماط فقال لاحد الجلساء افطن له وكان على السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن مافيها مافيه دنانير الا صحن واحد فلما رمز الاستاذ لاحد الجلساء على سماط المادرانى بقوله افطن له وأشار الى الصحن تناول الرجل منه فأصاب ذلك فاعتقد له فحصل له جملة ورآه الناس وهو اذا أكل يخرج شيأ من فمه ويجمع بيده ويحط فى حجره فتنبهوا وتزاحموا عليه فقيل لذلك المعمول من ذلك الوقت افطن له وقتل هذا القاضى فى تنيس فى أيام بهرام الوزير النصرانى الارمنى سنة ست وعشرين وخمسمائة

•(جوسق ابن مقشر)• كان جوسقا طويلا ذا تربة الى جانبه

•(جوسق الشيخ أبى محمد)• عامل ديوان الاشراف الطالبين وجوسق ابن عبد المحسن بخط الاكول وجوسق البغدادى الجرجراى كان قبره الى جانبه خرب فى سنة عشرين وخمسمائة وجوسق الشريف أبى اسماعيل ابراهيم بن نسيب الدولة الكلثمى الموسوى نقيب مصر

•(جوسق المادرانى)• هذا الجوسق لم يبق من جواسق القرافة غيره وهو جوسق كبير جدا على هيئة الكعبة بالقرب من مصلى خولان فى بحريه على جانبه الممر من مقطع الحجارة بناه أبو بكر محمد بن على المادرانى فى وسط قبورهم من الجبانة وكان الناس يجتمعون عند هذا الجوسق فى الاعياد ويوقد جميعه فى ليلة النصف من شعبان كل سنة وقودا عظيما ويحلق القراء حوله لقراءة القرآن فيمر للناس هنالك اوقات فى تلك الليلة وفى الاعياد بديعة حسنة

•(جوسق حب الورقة)• كان هذا الجوسق بحضرة تربة ابن طباطبا أدركته عامرا وقد خرب فيما خربه السفهاء من ترب القرافة وجواسقها زعما منهم أن فيها خبايا وكان اكابر أمراء المغافر ومن بعدهم ومن يجرى مجراهم لكل منهم جوسق بالقرافة يتنزه فيه ويعبد الله تعالى هنالك وكان من هذه الجواسق ماتحته حوض ماء لشرب الدواب وفسقية وبستان وكان بالقرافة عدة قصور وهى التى تسمى بالجواسق لها مناظر وبساتين الا أن الجواسق اكثرها بغير بساتين ولا بئر بل مناظر مرتفعة ويقال لها كلها قصور

•(قصر القرافة)• بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله فى سنة ست وستين وثلثمائة على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسى المحتسب هو والحمام الذى كان فى غربيه وبنت البئر والبستان المعروف بالتاج المعروف بحصن أبى المعلوم وبنت جامع القرافة ثم جدده الآمر بأحكام الله وبيضه فى سنة عشرين وخمسمائة وعمل شرقى بابه مصطبة للصوفية وكان مقدمهم الشيخ أبو اسحاق ابراهيم المعروف بالمادح وكان الآمر يجلس فى الطاق بالمنظر الذى بناه بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة قدامه وقد ذكر هذا القصر عند ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب ولم يزل هذا القصر الى ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة

•(ذكر الرباطات التى كانت بالقرافة)•

كان بالقرافة الكبيرة عدة دور يقال للدار منها رباط على هيئة ما كانت عليه بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يكون فيها العجائز والارامل العابدات وكانت لها الجرايات والفتوحات وكان لها المقامات المشهورة من مجالس الوعظ

*(رباط بنت الخواص) * كان تجاه مسجد بيد الفقيه مجلى بن جميع بن نجا الشافعي مؤلف كتاب الذخائر وقاضي القضاة بمصر

*(رباط الاشراف) * كان برحبة جامع القرافة يعرف بالقراء وبنى عبد الله وبمسجد القبة وهو شرقي بستان ابن نصر بناه أبو بكر محمد بن علي المادرائي ووقفه على نساء الاشراف

*(رباط الاندلس) * بنته الجهة المعروفة بجهة مكنون الآمرية كما تقدم

*(رباط ابن العكاري) * كان بحضرة مسجد بنى سريع المعروف بالجامع العتيق

*(رباط الجنازية) * بنته وحبسته على الجنازية فوز جارية علي بن أحمد الجرجرائي الوزير وهو والمسجد الذي تقدم ذكره

*(رباط رياض) * كان بجوار مسجد الحاجة رياض

(ذكر المصليات والمحاريب التي بالقرافة)

وكان في القرافة عدة مصليات وعدة محاريب

*(منها مصلى الشريفة) * كان بدرب القرافة بحدرة الجباسين وخطة الصدف بناه أبو محمد عبد الله بن الارسوفي الشامي التاجر سنة سبع وسبعين وخمسمائة

*(مصلى المغافر) * وهو الاندلس جدده ابن برك الاخشيدي ثم بنته جهة مكنون الآمرية في سنة ست وعشرين وخمسمائة

*(مصلى عقبة القرافة يعرف بمصلى الاندلسي) * كان ذا مصطبة مربعة على يسرة الطالع الى القرافة بناه يوسف بن أحمد الاندلسي الانصاري في شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة

*(مصلى القرافة) * جدده الفقيه ابن الصباغ المالكي في سنة عشرين وخمسمائة وكان بحضرة مسجد أبي تراب تجاه دار التبر

*(مصلى الفتح) * كان ملاصقا لمسجد الفتح بناه أبو محمد القلعي المغربي المنجم الحافظي

*(مصلى جهة العادل) * أبي الحسن بن السلار وزير مصر

*(مصلى الاطفيحي) * بجوار مسجد الاطفيحي الذي تقدم ذكره

*(مصلى الجرجاني) * بناه الوزير علي بن أحمد الجرجاني وكانت بالقرافة الكبرى والجبانة عدة محاريب خربت كلها

*(مصلى خولان) * هذا المصلى عرف بطائفة من العرب الذين شهدوا فتح مصر يقال لهم خولان وهم من قبائل اليمن واسمه نكل بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب وفي هذا المصلى مشهد الاعياد ويوم الناس ويخطب لهم بها في يوم العيد خطيب جامع عمرو بن العاص وليست هذه المصلى هي التي أنشأها المسلمون عند فتح أرض مصر وانما كانت مصلى العيد في أول الاسلام غير هذه قال القضاعي مصلى العيد كان مصلى عمرو ابن العاص مقابل اليحموم وهو الجبل المطل على القاهرة فلما ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر أمر بتحويله فحول الى موضعه المعروف اليوم بالمصلى القديم عند درب السباع ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر سنة عشر ومائتين ثم بناه أحمد بن طولون في سنة ست وخمسين ومائتين واسمه باق عليه الى اليوم * قال الكندي ولما قدم شقي الاصبحي الى مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بحذاء ساقية أبي عون عند العسكر قال مالهم وضعوا مصلاهم في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعني المقطم قال فقدموا مصلاهم الى

موضعه

موضعه الذى هو به اليوم يعنى المصلى القديم المذكور وقال الكندى ثم ضاق المصلى بالناس فى امارة عنبسة ابن اسحاق الضبى على مصر فى أيام المتوكل على الله فأمر عنبسة ببناء المصلى الجديد فابتدئ ببنائه فى العشر الاخير من شهر رمضان سنة أربعين ومائتين وصلى فيه يوم النحر من هذه السنة * وعنبسة هو آخر عربى ولى مصر وآخر أمير صلى بالناس فى المسجد وهو المصلى الذى بالصحراء عند الجارودى ثم جدده الحاكم وزاد فيه وجعل له قبة وذلك فى سنة ثلاث وأربعمائة وكان أمراء مصر اذا خرجوا الى صلاة العيد بالمصلى أوقفوا جيشا فى سفح الجبل مما يلى بركة الحبش ليراعى الناس حتى ينصرفوا من الصلاة خوفا من البجة فانهم قدموا غير مرة وكانا على النجب حتى كبسوا الناس فى مصلاهم وقتلوا ونهبوا ثم رجعوا من حيث أتوا فخرج عبد الحميد ابن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب غضبا لله وللمسلمين مما أصابهم من البجة فكمن لهم بالصعيد فى طريقهم حتى أقبلوا كعادتهم فى أخذ الناس فى مصلى العيد فكبسهم وقتل الاعور رئيسهم بعد ما أقبلوا الى المصلى فى العيد فى سنة ست وخمسين ومائتين وأمير مصر أحمد بن طولون على النجب وكبسوا الناس فى مصلاهم وقتلوا ونهبوا منهم وعادوا سالمين ثم دخل العمرى الى بلاد البجة غازيا فقتل منهم مقتلة عظيمة وضايقهم فى بلادهم الى أن أعطوه الجزية ولم يكونوا أعطوا أحدا قبله الجزية وسار فى المسلمين وأهل الذمة سيرة حسنة وسالم النوبة الى أن بدأ النوبة بالغدر فى الموضع المعروف بالمريس فمال عليهم وحاربهم وخرب ديارهم وسبى منهم عالما كثيرا حتى كان الرجل من أصحابه يبتاع الحاجة من الزيات والبقال بنوبى أو نوبية لكثرتهم معهم فجاؤا الى أحمد بن طولون وشكوا اليه من العمرى فبعث اليه جيشا فحاربه فأوقع بالجيش وهزمهم وكانت لهم أنباء وقصص الى أن قتله غلامان من أصحابه وأحضرا رأسه الى أحمد بن طولون فأنكر فعلهما وضرب أعناقهما وغسل الرأس ودفنه

(ذكر المساجد والمعابد التى بالجبل والصحراء)

وكان بجبل المقطم وبالصحراء التى تعرف اليوم بالقرافة الصغرى عدة مساجد وعدة مغاير ينقطع العباد بها منها ما قد دثر ومنه شئ قد بقى أثره

(مسجد التنور) هذا المسجد فى أعلى جبل المقطم من وراء قلعة الجبل فى شرقيها أدركته عامرا وفيه من يقيم به * قال القضاعى المسجد المعروف بالتنور بالجبل هو موضع تنور فرعون كان يوقد عليه فاذا رأوا النار علموا بركوبه فاتخذوا له ما يريد وكذلك اذا ركب منصرفا من عين شمس ثم بناه أحمد بن طولون مسجدا فى صفر سنة تسع وخمسين ومائتين ووجدت فى كتاب قديم أن يهودا بن يعقوب أخا يوسف عليه السلام لما دخل مع اخوته على يوسف وجرى من امر الصواع ما جرى تأخر عن اخوته وأقام فى ذروة الجبل المقطم فى هذا المكان وكان مقابلا لتنور فرعون الذى كان يوقد فيه النار ثم خلا ذلك الموضع الى زمن أحمد بن طولون فأخبر بفضل الموضع وبمقام يهودا فيه فابتنى فيه هذا المسجد والمنارة التى فيه وجعل فيه صهريجا فيه الماء وجعل الانفاق عليه مما وقفه على البيمارستان بمصر والعين التى بالمغافر وغير ذلك ويقال ان تنور فرعون لم يزل فى هذا الموضع بحاله الى أن خرج اليه قائد من قواد أحمد بن طولون يقال له وصيف قاطرميز فهدمه وحفر تحته وقدر أن تحته مالا فلم يجد فيه شيأ وزال رسم التنور وذهب وأنشد أبو عمرو الكندى فى كتاب امراء مصر من أبيات لسعيد القاص

وتنور فرعون الذى فوق قلة * على جبل عال على شاهق وعر
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه * ويهدى به فى الليل ان ضل من يسرى
تخال سنا قنديله وضياءه * سهيلا اذا ما لاح فى الليل للسفر

(القرقوبى) قال القضاعى المسجد المعروف بالقرقوبى هو على قرنة الجبل المطل على كهف السودان بناه أبو الحسن القرقوبى الشاهد وكيل التجار بمصر فى سنة خمس عشرة وأربعمائة وكان فى موضعه محراب حجارة يعرف بمحراب ابن القضاعى الرجل الصالح وهو على يسار المحراب

*(مسجد امير الامراء) * رفق المستنصر مرى على قرنة الجبل البحرية المطلة على وادى مسجد موسى عليه السلام

*(كهف السودان) * مغار فى الجبل لايعلم من أحدثه ويقال ان قوما من السودان نقروه فنسب اليهم وكان صغيرا مظلما فبناه الاحدب الاندلسى القزاز وزاد فى سفله مواضع نقرها وبنى علوه ويقال انه أنفق فيه اكثر من ألف دينار ووسع المجاز الذى يسلك منه اليه وعمل الدرج النقر التى يصعد عليها اليه وبدأ فى بنائه مستهل سنة احدى وعشرين وأربعمائة وفرغ منه فى شعبان من هذه السنة

*(العارض) * هذا المكان مغارة فى الجبل عرفت بأبى بكر محمد جد مسلم القارى لانه تعبد ثم عمرت بامر الحاكم بأمر الله وأنشئت فيها منارة هى باقية الى اليوم وتحت العارض قبر الشيخ العارف عمر بن الفارض رحمه الله ولله در القائل

جز بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض

وقد ذكر القضاعى أربع عشرة مغارة فى الجبل منها ما هو باق وليس فى ذكرها فائدة

*(اللؤلؤة) * هذا المكان مسجد فى سفح الجبل باق الى يومنا هذا كان مسجدا خرابا فبناه الحاكم بأمر الله وسماه اللؤلؤة قيل كان بناؤه فى سنة ست وأربعمائة وهو بناء حسن

*(مسجد الهرعاء) * فيما بين اللؤلؤة ومسجد محمود وهو مسجد قديم يتبرك بالصلاة فيه وقد ذكر مسجد محمود عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب لانه تقام فيه الجمعة

*(دكة القضاة) * قال القضاعى هى دكة مرتفعة عن المساجد فى الجبل كان القضاة بمصر يخرجون اليها لنظر الاهلة كل سنة ثم بنى عليها مسجد

*(مسجد فائق) * مولى خمارويه بن أحمد بن طولون كان فى سفح الجبل مما يلى طريق مسجد موسى عليه السلام

*(مسجد موسى) * بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات

*(مسجد زهرون بالصحراء) * هو مسجد أبى محمد الحسن بن عمر الخولانى ثم عرف بابن المبيض وكان زهرون فيه فنسب اليه

*(مسجد الفقاعى) * هو أبو الحسن على بن الحسن بن عبد الله كان أبوه فقاعيا بمصر وهو مسجد كبير بناه كافور الاخشيدى ثم جدده وزاد فيه مسعود بن محمد صاحب الوزير أبى القاسم على بن أحمد الجرجراى وكان فى وسط هذا المسجد محراب مبنى بطوب يقال انه من بناء حاطب بن ابى بلتعة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ويقال انه أول محراب اختط فى مصر وكان أبو الحسن التميمى قد زاد فيه بناء قبل ذلك

*(مسجد الكنز) * هذا المسجد كان شرقى الخندق وبحرى قبر ذى النون المصرى وكان مسجدا صغيرا يعرف بالزمام ومات قبل تمامه فهدمه أبو طاهر محمد بن على القرشى القرقوبى ووسعه وبناه وحكى أنه لما هدمه رأى قائلا يقول فى المنام على أذرع من هذا المسجد كنز فاستيقظ وقال هذا من الشيطان فرأى هذا القائل ثلاث مرات فلما اصبح أمر بحفر الموضع فاذا فيه قبر وظهر له لوح كبير تحته ميت فى لحد كأعظم ما يكون من الناس جثة ورأسا وأكفانه طرية لم يبل منها الا ما يلى جبهة الرأس فانه رأى شعر رأسه قد خرج من الكفن واذا له جمة فراعه ما رأى وقال هذا هو الكنز بلا شك وأمر باعادة اللوح والتراب كما كان وأخرج القبر عن سائر الحيطان وأبرزه للناس فصار يزار ويتبرك به

*(مسجد فى غربى الخندق) * أنشأه أبو الحسن بن النضار الزيات فى سنة احدى وأربعين وأربعمائة

*(مسجد لؤلؤ الحاجب) * بالقرافة الصغرى بنى بجانبه مقبرة وحفر عندها بئرا حتى انتهى الحفار الى قرب الماء فقال الحفار انى أجد فى البئر شيأ كأنه حجر فقال له لؤلؤ تسبب فى قلعه فلما قلعه فار الماء وأخرجه واذا هو

اسطام مركب وهو الخشبة التى تبنى عليها السفينة وهذا يصدق ما قاله ارسطاطاليس فى كتاب الآثار العلوية قال ان أهل مصر يسكنون فيما انحسر عنه البحر الاحمر يعنى بحر الشام وقد ذكر خبر لؤلؤ هذا عند ذكر حمام لؤلؤ

*(مقام المؤمن) * قيل انه مؤمن آل فرعون لانه أقام فيه وهذا بعيد من الصحة

*(قناطر ابن طولون وبئره) * هذه القناطر قائمة الى اليوم من بئر أحمد بن طولون التى عند بركة الحبش وتعرف هذه البئر عندنا ببئر عفصة ولا تزال هذه القناطر الى أثناء القرافة الكبرى ومن هنالك خفيت لتهدمها وهى من أعظم المبانى * قال القضاعى قناطر أحمد بن طولون وبئره بظاهر المغافر كان السبب فى بناء هذه القناطر أن أحمد ابن طولون ركب فمر بمسجد الاقدام وحده وتقدم عسكره وقد كده العطش وكان فى المسجد خياط فقال يا خياط أعندك ماء فقال نعم فأخرج له كوزا فيه ماء وقال اشرب ولا تمد يعنى لا تشرب كثيرا فتبسم أحمد بن طولون وشرب فمد فيه حتى شرب اكثره ثم ناوله اياه وقال يا فتى سقيتنا وقلت لا تمد فقال نعم اعزك الله موضعنا ههنا منقطع وانما أخيط جمعتى حتى أجمع ثمن راوية فقال له والماء عندكم ههنا معوز فقال نعم فمضى أحمد بن طولون فلما حصل فى داره قال جيؤنى بخياط فى مسجد الاقدام فما كان بأسرع من أن جاؤا به فلما رآه قال سر مع المهندسين حتى يخطوا عندك موضع سقاية ويجروا الماء وهذه ألف دينار خذها وابتدأ فى الانفاق وأجرى على الخياط فى كل شهر عشرة دنانير وقال له بشرنى ساعة يجرى الماء فيها فجدوا فى العمل فلما جرى الماء أتاه مبشرا فخلع عليه وحمله واشترى له دارا يسكنها وأجرى عليه الرزق السنى الدار وكان قد اشير عليه بأن يجرى الماء من عين أبى خليد المعروفة بالنعش فقال هذه العين لا تعرف أبدا الا بأبى خليد وانى أريد أن أستنبط بئرا فعدل عن العين الى الشرق فاستنبط بئره هذه وبنى عليها القناطر وأجرى الماء الى الفسقية التى بقرب درب سالم * وقال جامع السيرة الطولونية وأما رغبته فى ابواب الخير فكانت ظاهرة بينة واضحة فمن ذلك بناء الجامع والبيمارستان ثم العين التى بناها بالمغافر وبناها بنية صحيحة ورغبة قوية حتى انها ليس لها نظير ولهذا اجتهد المادرائيون وأنفقوا الاموال الخطيرة ليحكوها فأعجزهم ذلك لانها وقعت فى موضع جيرانه كلهم محتاجون اليها وهى مفتوحة طول النهار لمن كشف وجهه للاخذ منها ولمن كان له غلام أو جارية والليل للفقراء والمساكين فهى حياة ومعونة واتخذ لها مستغلا فيه فضل وكفاية لمصالحها والذى تولى لاحمد بن طولون بناء هذه العين رجل نصرانى حسن الهندسة حاذق بها وانه دخل الى أحمد بن طولون فى عشية من العشايا فقال له اذا فرغت مما تحتاج اليه فأعلمنى لتركب اليها فتراها فقال يركب الامير اليها فى غد فقد فرغت وتقدم النصرانى فرأى موضعا بها يحتاج الى قصرية جير وأربع طوبات فبادر الى عمل ذلك وأقبل أحمد بن طولون يتأمل العين فاستحسن جميع ما شاهده فيها ثم أقبل الى الموضع الذى فيه قصرية الجير فوقف بالاتفاق عليها فلرطوبة الجير غاصت يد الفرس فيه فكبا بأحمد ولسوء ظنه قدر أن ذلك لمكروه أراده به النصرانى فأمر به فشق عنه ما عليه من الثياب وضربه خمسمائة سوط وأمر به الى المطبق وكان المسكين يتوقع من الجائزة مثل ذلك دنانير فاتفق له اتفاق سوء وانصرف أحمد بن طولون وأقام النصرانى الى أن أراد أحمد بن طولون بناء الجامع فقدر له ثلثمائة عمود فقيل له ما تجدها أو تنفذ الى الكنائس فى الارياف والضياع الخراب فتحمل ذلك فأنكره ولم يختره وتعذب قلبه بالفكر فى امره وبلغ النصرانى وهو فى المطبق الخبر فكتب اليه أنا ابنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد الا عمودى القبلة فأحضره وقد طال شعره حتى تدلى على وجهه فبناه * قال ولما بنى أحمد بن طولون هذه السقاية بلغه أن قوما لا يستحلون شرب مائها قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الفقيه كنت ليلة فى دارى اذ طرقت بخادم من خدام أحمد بن طولون فقال لى الامير يدعوك فركبت مذعورا مرعوبا فعدل بى عن الطريق فقلت أين تذهب بى فقال الى الصحراء والامير فيها فأيقنت بالهلاك وقلت للخادم الله الله فى فانى شيخ كبير ضعيف مسن فتدرى ما يراد منى فارحمنى فقال لى احذر أن يكون لك فى السقاية قول وسرت معه واذا بالمشاعل فى الصحراء وأحمد بن طولون راكب على باب السقاية وبين يديه الشمع فنزلت وسلمت عليه فلم يرد على فقلت أيها الامير ان الرسول أعنتنى وكدنى وقد عطشت فيأذن لى الامير فى الشرب فاراد الغلمان أن يسقونى فقلت أنا آخذ لنفسى فاستقيت وهو يرانى وشربت وازددت فى الشرب حتى كدت أنشق ثم قلت أيها الامير سقاك الله من أنهار الجنة فلقد أرويت

وأغنيت ولا أدرى ما أصف أطيب الماء فى حلاوته وبرده أم صفاءه أم طيب ريح السقاية قال فنظر الى وقال أريدك لامر وليس هذا وقته فاصرفوه فصرفت فقال لى الخادم أصبت قلت أحسن الله جزاءك فلولاك لهلكت وكان مبلغ النفقة على هذه العين فى بنائها ومستغلها أربعين ألف دينار وأنشد أبو عمرو الكندى فى كتاب الامراء لسعيد القاص أبياتا فى رثاء دولة بنى طولون منها فى العين والسقاية

وعين معين الشرب عين زكية * وعين أجاج للرواة وللطهر
كان وفود النيل فى جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
فأولئها مستنبطا لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
بناء لو ان الجن جاءت بمثله * لقيل لقد جاءت بمستفظع نكر
يمر على أرض المغافر كلها * وشعبان والاحمور والحى من بشر
قبائل لاتروء السحاب بعدها * ولا النيل يرويها ولا جدول يجرى

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون سريع بطن من الاشعريين هم ولد سريع بن مانع من بنى الاشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وهم رهط أبى قبيل التابعى الذى خطته اليوم الكوم شرقى قناطر سقاية احمد بن طولون المعروفة بعفصة الكبيرة بالقرافة

(الخندق) * هذا الخندق كان بقرافة مصر قد دثر وعلى شفيره الغربى قبر الامام الشافعى رضى الله عنه وكان من النيل الى الجبل حفر مرتين مرة فى زمن مروان بن الحكم ومرة فى خلافة الامين محمد بن هارون الرشيد ثم حفره أيضا القائد جوهر قال القضاعى الخندق هو الخندق الذى فى شرقى الفسطاط فى المقابر كان الذى أثار حفره مسير مروان بن الحكم الى مصر وذلك فى سنة خمس وستين وعلى مصر يومئذ عبد الرحمن بن عقبة بن جحدم الفهرى من قبل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فلما بلغه مسير مروان الى مصر اعدوا واستعدوا وشاوروا الجند فى أمره فأشاروا عليه بحفر الخندق والذى أشار به عليه ربيعة بن حبيش الصدفى فأمر ابن جحدم باحضار المحاريث من الكور لحفر الخندق على الفسطاط فلم تبق قرية من قرى مصر الا حضر من أهلها النفر وكان ابتداء حفره غرة المحرم سنة خمس وستين فما كان شئ أسرع من فراغهم منه حفروه فى شهر واحد وكانت الحرب من ورائه يغدون اليها ويروحون فسميت تلك الايام أيام الخندق والتراويح لرواحهم الى القتال وكانت المغافر أكثر قبائل أهل مصر عددا كانوا اعشرين ألفا ونزل مروان عين شمس لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين فى اثنى عشر ألفا وقيل فى عشرين ألفا فخرج أهل مصر الى مروان فحاربوه يوما واحدا بعين شمس ثم تحاجزوا ورجع أهل مصر الى خندقهم فتحصنوا به وصبحتهم جيوش مروان على باب الخندق فاصطف أهل مصر على الخندق فكانوا يخرجون الى أصحاب مروان فيقاتلونهم نوبا نوبا وأقاموا على ذلك عشرة أيام ومروان مقيم بعين شمس وكتب مروان الى شيعته من أهل مصر كريب بن أبرهة بن الصباح الحميرى وزياد بن حناطة التجيبى وعابس بن سعيد المرادى يقول انكم ضمنتم لى ضمانا لم تقوموا به وقد طالت الايام والممانعة فقام كريب وزياد وعابس الى ابن جحدم فقالوا له أيها الامير انه لا قوام لنا بما ترى وقد رأينا أن نسعى فى الصلح بينك وبين مروان وقد مل الناس الحرب وكرهوها وقد خفنا أن يسلك الناس الى مروان فيكون محكما فيك فقال ومن لى بذلك فقال كريب أنا لك به فسعى كريب وصاحباه فى الصلح على أمان كتبه مروان لاهل مصر وغيرهم ممن شرب ماء النيل وعلى أن يسلم لابن جحدم من بيت المال عشرة آلاف دينار وثلثمائة ثوب بقطرية ومائة ريطة وعشرة أفراس وعشرين بغلا وخمسين بعيرا فتم الصلح على ذلك ودخل مروان الفسطاط مستهل جمادى الاولى سنة خمس وستين فنزل دار الفلفل ودفع الى ابن جحدم جميع ما صالحه عليه وسار ابن جحدم الى الحجاز ولم يلق كل واحد منهما الآخر وتفرق المصريون وأخذوا فى دفن قتلاهم والبكاء عليهم فسمع مروان البكاء فقال ما هذه النوادب فقيل على القتلى قال لا أسمع نائحة تنوح الا أحللت بمن هى فى داره العقوبة فسكتن عند ذلك ودفن أهل مصر قتلاهم فيما بين الخندق والمقطم وهى المقابر التى يسميها المصريون مقابر الشهداء ودفن أهل الشام قتلاهم فيما بين الخندق ومنية الاصبغ وكان قتلى أهل مصر ما بين الستمائة الى السبعمائة وقتلى أهل الشام

نحو الثلثمائة ولما برز مروان من الفسطاط سائرا الى الشام سمع وجبة النساء بندبن قتلاهن قال ويحهن ماهذا قالوا النساء على مقابرهن يندبن قتلاهن فعرج عليهن فأمر بالانصراف قالوا كذا هن كل يوم قال فامنعوهن الامن سبب وخرج مروان من مصر الى الشام لهلال رجب سنة خمس وستين وكان مقامه بالفسطاط شهرين واستخلف ابنه عبد العزيز على مصر وضم اليه بشر بن مروان وكان حدثا ثم ولى عبد الملك بشرا بعد ذلك البصرة قال ثم دثر هذا الخندق الى أيام خلع الامين بمصر وبيعة المأمون وولى البلد عباد بن محمد بن حيان مولى كندة من قبل المأمون فكتب الامين بمصر الى أهل الحوفين فى القيام ببيعته وقتال عباد وأهل مصر فتجمع أهل الحوف لذلك واستعدوا وبلغ أهل مصر فأشاروا على عباد بحفر الخندق فحفروا خندقا من النيل الى الجبل واحتفروا هذا الخندق العتيق فكان القتال عليه أياما متفرقة الى أن قتل الامين وتمت بيعة المأمون ثم لم يحفر بعد ذلك الى يومنا هذا * وذكر ابن زولاق أن القائد جوهر لما اختط القاهرة وكثر الارجاف بمسير القرامطة الى مصر حفر خندق السرى بن الحكم بباب مدينة مصر وعمل عليه بابا فى ذى القعدة سنة ستين وثلثمائة وحفر خندقا فى وسط مقبرة مصر وهو الخندق الذى حفره ابن بحدم ابتدأ حفره من بركة الحبش حتى وصله بخندق عبد الرحمن بن بحدم حتى بلغ به قبر محمد بن ادريس الشافعى ثم حفر من الجبل الى أن وصل لخندق ابن بحدم وسط المقابر وبدأ به يوم السبت التاسع من شوال سنة احدى وستين وثلثمائة وفرغ منه فى مدة يسيرة

(القباب السبع) هذه القباب بآخر القرافة الكبرى مما يلى مدينة مصر قال ابن سعيد فى كتاب المغرب والقباب السبع المشهورة بظاهر الفسطاط هى مشاهد على سبعة من بنى المغربى قتلهم الخليفة الحاكم بعد فرار الوزير أبى القاسم الحسين بن على بن المغربى الى أبى الفتوح حسن بن جعفر بمكة وفى ذلك يقول أبو القاسم بن المغربى

اذا شئت أن ترنو الى الطف باكيا * فدونك فانظر نحو أرض المقطم
تجد من رجال المغربى عصابة * مضمخة الاجسام من حلل الدم
فكم تركوا محراب آى معطل * وكم تركوا من سورة لم تختم

وقد ذكرت أخبار بنى المغربى عند ذكر بساتين الوزير من بركة الحبش ويتعلق بهذا الموضع من خبرهم أن أبا الحسن على بن الحسين بن على بن محمد بن المغربى لما خرج من بغداد وصار الى مصر فى أيام العزيز بالله بن المعز لدين الله فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة رتب له فى كل سنة ستة آلاف دينار وصار من شيوخ الدولة فقال يوما للمؤدب ولده أبى القاسم حسين وهو على بن منصور بن طالب المعروف بأبى الحسن دوخلة بن القادح سرا أنا أخاف همة ابنى أبى القاسم أن تنزو به الى أن يوردنا مورد الاصدر عنه فان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعنى بها فقال أبو القاسم فى بعض الايام لمؤدبه هذا الى متى نرضى بالخمول الذى نحن فيه فقال له وأى خمول هذا تأخذون من مولانا فى كل سنة ستة آلاف دينار وأبوكم من شيوخ الدولة فقال أريد أن تصار الى أبوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ولا أرضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان فأعاد ذلك على أبيه فقال ما أخوفنى أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه وقبض على لحيته وهامته وعلم ذلك أبو القاسم فصارت بينه وبين مؤدبه وحشة وكان ذلك فى خلافة الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز وتحدث القائد أبى عبد الله الحسين بن جوهر وكان الحاكم قد أكثر من قتل رؤساء دولته وصار يبعث الى القائد كلما قتل رئيسا برأسه ويقول هذا عدوى وعدوك فقبض على أبى الحسن على بن الحسين المغربى والد الوزير أبى القاسم الحسين وعلى أخيه أبى عبد الله محمد بن الحسين وعلى محسن ومحمد أخوى الوزير المذكور لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربعمائة وفر الوزير أبو القاسم الحسين بن المغربى من مصر فى ذى حمال لليال من ذى القعدة ولحق بحسان بن الجراح وكان من أمره ما كان

(ذكر الاحواض والآبار التى بالقرافة)

(حوض القرافة) أمر ببنائه السيدة ست الملك عمة الحاكم بأمر الله ابنة المعز لدين الله فى شعبان سنة ست

وستين وثلثمائة واختل في أيام العادل أبي الحسن بن السلار وزير مصر في سنة ست وأربعين وخمسمائة فأمر بعمارته ثم انشق في سنة ثمانين وخمسمائة فجدده القاضي السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن علي بن عثمان بن يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن أحمد بن يعقوب بن مسلم بن منبه أحد بني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي صاحب النظر في دواوين مصر ومصنف كتاب المنهاج في أحكام الخراج وهو كتاب جليل الفائدة ولم تزل آثار هذا القاضي جيدة ومقاصده سديدة وعنده نخوة قرشية وحرمة وعصبية وهو ان طاب أصولا فقد زكا فروعا وان تفرقت في سواه فضائل فقد جمعها الله فيه جميعا ولم يزل مذ كان يسعى في الامانة على صراط مستقيم آخذا بقوله تعالى اخبارا عن الكريم ابن الكريم اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم

(الحوض بجوار قصر القرافة) في ظهر الحمام العزيزي بحضرة قصر القرافة أمرت ببنائه أم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله واسمها السيدة رصد على يد وكيلها الشريف المحدث أبي ابراهيم أحمد بن القاسم بن الميمون ابن حمزة الحسيني العبدلي شيخ القراء وابن الحطاب والتلكي

(حوض بحضرة الاشعوب) وهو قصر بني عقيب

(حوض في داخل قصر أبي المعلوم) مجاور للبئر الكبيرة ذات الدواليب بناه المحتسب الفارسي مع عمارة البئر والميضأة في أيام السيدة أم العزيز ويقال ان الحوض والبئر من بناء المادرائي وانما جدده عمة الحاكم

(حوض) بقصر بني كعب وبجانبه بئر أنشأه الحاجب لؤلؤ وهو من حقوق قصر بني كعب وقد خربت هذه الاحواض ودثرت

(ذكر الآبار التي ببركة الحبش والقرافة)

(بئر أبي سلامة) وتعرف ببئر الغنم وهي قبلي النوبية وموضعها أحسن موضع في البركة وهي التي عنى أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بقوله

لله يومي ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم في يمين مرتعش
ونحن في روضة مفوفة * دبج بالنور عطفها ووشي
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش
وأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعي الهوى فلم يطش
فعاطني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
واسقني بالكبار مترعة * فهن أشفى لشدة العطش

(بئر غربي دير مرحنا وبستان العبيدي) ودير مرحنا يعرف اليوم في زماننا بدير الطين وهو عامر بالنصارى

(بئر الدرج) شرقي بساتين الوزير لها درج ينزل به اليها عملها الحاكم بأمر الله وشرقيها قبور النصارى وبعدهم الى جهة الجبل قبور اليهود والبستان المجاور لعفصة الصغرى أول بركة الحبش على لسان الجبل الخارج الى البركة مجاورة لبئر النعش وبئر السقايين وهي المعروفة ببئر أبي موسى خليد وقد صار هذا البستان الى المهذب بن الوزير

(بئر الزقاق) شرقي بئر عفصة الصغرى والزقاق معروف اذ ذاك في الجبل وفي أوله بئر مربعة كان يسقى منها البقر والغنم

(ذكر السبعة التي تزار بالقرافة)

اعلم أن زيارة القرافة كانت أولا يوم الاربعاء ثم صارت ليلة الجمعة وأما زيارة يوم السبت فقيل انها قديمة وقيل

متأخرة وأول من زار يوم الاربعاء وابتدأ بالزيارة من مشهد السيدة نفيسة الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن رافع بن يزحم بن رافع السارعى الشافعى المغافرى الزوار المعروف بعابد ومولده سنة احدى وستين وخمسمائة ووفاته بالهلالية خارج باب زويلة فى ليلة الثانى والعشرين من شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة ودفن بسفح المقطم على تربة بنى نهار بجرى تربة الردينى وأول من زار ليلة الجمعة الشيخ الصالح المقرى ابو الحسن على بن أحمد بن جوشن المعروف بابن الجباس والد شرف الدين محمد بن على بن أحمد بن الجباس بجمع الناس وزار بهم فى ليلة الجمعة فى كل أسبوع وزار معه فى بعض الليالى السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ومشى معه أكابر العلماء وكان سبب تجرد أبى الحسن بن الجباس وانقطاعه الى الله تعالى انه دولب مطبخ سكر شركة رجل فوقف عليهما مال الديوان فسجنا بالقصر فقرأ ابن الجباس فى بعض الليالى سورة الرعد فسمعه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب فقام حتى وقف عليه وسأله عن خبره فأعلمه بأنه سجن على مبلغ كذا فأمر بالافراج عنه فأبى الا أن يفرج عن رفيقه أيضا فافرج عنهما جميعا واتفق انه مر فى بعض ليالى الزيارة بزاوية الفخر الفارسى فخرج وقال له ما هذه البدعة فى غد أبطلها ثم دخل الزاوية وخرج بعد ساعة وأمر برد ابن الجباس فلما جاءه قال دم على ما انت عليه فانى رأيت الساعة قوما فقالوا اهل تعطينا ما يعطينا ابن الجباس فى ليالى الجمع فعلمت أن ذلك هو الدعاء والقراءة * وأما زيارة يوم السبت فقد تقدم انه اختلف فيها وحكى الموفق بن عثمان عن القضاعى انه كان يحث على زيارة سبعة قبور وأن رجلا شكا اليه ضيق حاله والدين فقال له عليك بزيارة سبعة قبور * (أولهم) * الشيخ أبو الحسن على بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينورى وتوفى ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رجب سنة احدى وثلاثين وثلثمائة * (والثانى) * عبد الصمد بن محمد بن أحمد بن اسحاق بن ابراهيم البغدادى صاحب الخلفاء وتوفى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة * (والثالث) * أبو ابراهيم اسماعيل ابن   المزنى وتوفى سنة أربع وستين ومائتين * (والرابع) * القاضى بكار بن قتيبة وتوفى سنة سبعين ومائتين * (والخامس) * القاضى المفضل بن فضالة وتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين * (والسادس) * القاضى أبو بكر عبد الملك بن الحسن القمى وتوفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة * (والسابع) * أبو الفيض ذو النون ثوبان بن ابراهيم المصرى وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين وكانوا أولا يزورون بعد صلاة الصبح وهم مشاة على أقدامهم الى أن كانت أيام شيخ الزوار محمد البجى السعودى فزار راكبا فى يوم السبت بعد طلوع الشمس لان رجليه كانتا معوجتين لا يستطيع المشى عليهما وذلك فى اواخر سنة ثمانمائة وتوفى فى عاشر شهر رمضان سنة تسع وثمانمائة فجاء بعده الزائر شمس الدين محمد بن عيسى المرجوشى السعودى ومحيى الدين عبد القادر بن علاء الدين محمد بن علم الدين بن عبد الرحمن الشهير بابن عثمان ففعلا ذلك ومات ابن عثمان فى سابع شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وثمانمائة فاستمرت الزيارة على ذلك وقد حكى صاحب كتاب محاسن الابرار ومجالس الاخيار سبعة غير من ذكرنا وسماهم المحققين وهم صلة بن مؤمل وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن على بن جعفر الخوارزمى وسالم العفيف وأبو الفضل بن الجوهرى وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين عرف بالبزار وأبو الحسن على عرف بطير الوحش وأبو الحسن على بن صالح الاندلسى الكمال وذكر أيضا سبعة أخر وهم عقبة بن عامر الجهنى والامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى وأبو بكر الدقاق وأبو ابراهيم اسماعيل المزنى وأبو العباس أحمد الجزار والفقيه ابن دحية والفقيه ابن فارس اللخمى وزيارتهم يوم الجمعة بعد صلاة الصبح والعمل عليها فى الزيارة الآن الا انهم يجتمعون طوائف لكل طائفة شيخ ويقومون مناور كبارا وصغارا ويخرجون فى ليالى الجمع وفى كل سبت بكرة النهار وفى كل يوم أربعاء بعد الظهر وهم يذكرون الله فيزورون ويجتمع معهم من الرجال والنساء خلائق لا تحصى ومنهم من يعمل ميعاد وعظ ويقال لشيخ كل طائفة الشيخ الزائر فتم لهم فى الزيارة أمور منها ما يستحسن ومنها ما ينكر ولكل عبد ما نوى

فمن أشهر مزارات القرافة * (قبر الامام أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى) * رحمة الله ورضوانه

هكذا بياض فى الاصل ورأيت فى بعض الكتب المتضمنة لاسماء الرواة والفقهاء وغيرهم ما نصه (مزنى) اكبر اصحابنا علما وأعلم عثمان الشافعى الذى مهد المذهب ولين كلام الشافعى اسمه اسماعيل بن يحيى ابن اسماعيل بن عمر بن اسحاق بن مسلم بن بهدلة بن عبد الله المزنى من قبيلة مزينة يكنى أبا ابراهيم مات بمصر سنة أربع وستين ومائتين اه بحروفه اه مصححه

عليه وتوفي يوم الجمعة آخر يوم من شهر رجب سنة أربع ومائتين بفسطاط مصر وحمل على الاعناق حتى دفن في مقبرة بني زهرة أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه وعرفت أيضا بتربة أولاد ابن عبد الحكم قال القضاعي وقد جرب الناس خير هذه التربة المباركة والقبر المبارك ويشقل عن المزني انه قال فيه

سقى الله هذا القبر من وبل مزنه * من العفو ما يغنيه عن طلل المزن
لقد كان كفوًا للعداة ومعتقلا * وركنا لهذا الدين بل ايما ركن

هكذا وقفت عليه ثم رأيت بعد ذلك أن المزني رحمه الله لما دفن مر رجل على قبره واذا بهاتف يقول فذكر البيتين وقال آخر

لله در الثرى كم ضم من كرم * بالشافعي حليف العلم والاثر
يا جوهر الجوهر المكنون من مضر * ومن قريش ومن ساداتها الاخر
لما توليت ولي العلم مكتئبا * وضر موتك أهل البدو والحضر

ولآخر

أكرم به رجلا ما مثله رجل * مشارك لرسول الله في نسبه
اضحى بمصر دفينا في مقطمها * نعم المقطم والمدفون في تربه

ومناقب الشافعي رحمه الله كثيرة قد صنف الائمة فيها عدة مصنفات وله في تاريخي الكبير المقفى ترجمة كبيرة ومن ابدع ما حكي من مناقبه أن الوزير نظام الملك أبا علي الحسن بن علي بن اسحاق لما بنى المدرسة النظامية ببغداد في سنة أربع وسبعين وأربعمائة أحب أن ينقل الامام الشافعي من مقبرته بمصر الى مدرسته وكتب الى أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الامام المستنصر بالله معد يسأله في ذلك وجهز له هدية جليلة فركب أمير الجيوش في موكبه ومعه أعيان الدولة ووجوه المصريين من العلماء وغيرهم وقد اجتمع الناس لرؤيته فلما نبش القبر شق ذلك على الناس وماجوا وكثر اللغط وارتفعت الاصوات وهموا برجم أمير الجيوش والثورة به فسكتهم وبعث يعلم الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بصورة الحال فأعاد جوابه بامضاء ما أراد نظام الملك فقرئ كتابه بذلك على الناس عند القبر وطردت العامة والغوغاء من حوله ووقع الحفر حتى انتهوا الى اللحد فعندما أرادوا اقلع ما عليه من اللبن خرج من اللحد رائحة عطرة أسكرت من حضر فوق القبر حتى وقعوا صرعى فما أفاقوا الا بعد ساعة فاستغفروا مما كان منهم وأعادوا ردم القبر كما كان وانصرفوا وكان يوما من الايام المذكورة وتزاحم الناس على قبر الشافعي يزورونه مدة أربعين يوما بلياليها حتى كان من شدة الازدحام لا يتوصل اليه الا بعناء ومشقة زائدة وكتب أمير الجيوش محضرا بما وقع وبعث به وبهدية عظيمة مع كتابه الى نظام الملك فقرئ هذا المحضر والكتاب بالنظامية ببغداد وقد اجتمع العالم على اختلاف طبقاتهم لسماع ذلك فكان يوما مشهودا ببغداد وكتب نظام الملك الى عامة بلدان المشرق من حدود الفرات الى ماوراء النهر بذلك وبعث مع كتبه بالمحضر وكتاب أمير الجيوش فقرئت في تلك الممالك بأسرها فزاد قدر الامام الشافعي عند كافة أهل الاقطار وعامة جميع أهل الامصار بذلك وقد أوردت في كتاب امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاحوال والحفدة والمتاع صلى الله عليه وسلم نظير هذه الواقعة وقع لضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل قبر الشافعي يزار ويتبرك به الى أن كان يوم الاحد لسبع خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وستمائة فانتهى بناء هذه القبة التي على ضريحه وقد أنشأها الملك الكامل المظفر المنصور أبو المعالي ناصر الدين محمد ظهير أمير المؤمنين ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وبلغت النفقة عليها خمسين ألف دينار مصرية وأخرج في وقت بنائها بعظام كثيرة من مقابر كانت هنالك ودفنت في موضع من القرافة وبهذه القبة أيضا قبر السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقبر أمه شمسة وقيل فيها عدة أشعار منها قول الاديب الكاتب ضياء الدين أبي الفتح موسى بن ملهم

مررت على قبة الشافعي * فعاين طرفي عليها العشاري
فقلت لصحبي لا تعجبوا * فان المراكب فوق البحار

وقال

وقال علاء الدين أبو علي عثمان بن ابراهيم النابلسي

لقد أصبح الشافعي الاما * م فينا له مذهب مذهب
ولو لم يكن بحر علم لما * غدا وعلى قبره مركب

وقال آخر

أتيت لقبر الشافعي أزوره * تعرضنا فلك وما عنده بحر
فقلت تعالى الله تلك اشارة * تشير بأن البحر قد ضمه القبر

وقال شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري صاحب البردة

بقبة قبر الشافعي سفينة * رست في بناء محكم فوق جلمود
ومذ غاض طوفان العلوم بقبره استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودي

ومنها * (قبر الامام الليث بن سعد) * رحمه الله قد اشتهر قبره عند المتأخرين وأول ما عرفته من خبر هذا القبر أنه وجدت مصطبة في آخر قباب الصدف وكانت قباب الصدف أربعمائة قبة فيما يقال عليها مكتوب الامام الفقيه الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري مفتي أهل مصر كاذكر في كتاب هادي الراغبين في زيارة قبور الصالحين لابي محمد عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الكريم بن علي بن محمد ابن علي بن طلحة وفي كتاب مرشد الزوار للموفق ابن عثمان وذكر الشيخ محمد الازهري في كتابه في الزيارة أن أول من بنى عليه وحيز كبير التجار أبو زيد المصري بعد سنة أربعين وستمائة ولم يزل البناء يتزايد الى أن جدد الحاج سيف الدين المقدم عليه قبته في ايام الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون قبيل سنة ثمانين وسبعمائة ثم جددت في أيام الناصر فرج بن الظاهر برقوق على يد الشيخ أبي الخير محمد ابن الشيخ سليمان المادح في محرم سنة احدى عشرة وثمانمائة ثم جددت في سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة على يد امرأة قدمت من دمشق في ايام المؤيد شيخ عرفت بمرحبا بنت ابراهيم بن عبد الرحمن أخت عبد الباسط وكان لها معروف وبر توفيت في تاسع عشري ذي القعدة سنة أربعين وثمانمائة ويجتمع بهذه القبة في ليلة كل سبت جماعة من القراء فيتلون القرآن الكريم تلاوة حسنة حتى يختموا ختمة كاملة عند السحر ويقصد المبيت عندهم للتبرك بقراءة القرآن عدة من الناس ثم تفاحش الجمع وأقبل النساء والاحداث والغوغاء فصار أمرا منكرا لا ينصتون لقراءة ولا يتعظون بمواعظ بل يحدث منهم على القبور ما لا يجوز ثم زادوا في التعدي حتى حفروا ما هنالك خارج القبة من القبور وبنوا مباني اتخذوها مراحيض وسقايات ماء ويزعم من لا علم عنده أن هذه القراءة في كل ليلة سبت عند قبر الليث بزعمهم قديمة من عهد الامام الشافعي وليس ذلك بصحيح وانما حدثت بعد السبعمائة من سني الهجرة بمنام ذكر بعضهم أنه رآه وكانوا اذ ذاك يجتمعون للقراءة عند قبر أبي بكر الادفوي

---

* (ذكر المقابر خارج باب النصر) *

اعلم أن المقابر التي هي الآن خارج باب النصر انما حدثت بعد سنة ثمانين وأربعمائة وأول تربة بنيت هنالك تربة أمير الجيوش بدر الجمالي لما مات ودفن فيها وكان خطها يعرف برأس الطابية قال الشريف أمين الدولة أبو جعفر محمد بن هبة الله العلوي الافطسي وقد مر بتربة الافضل

أجرى دما أجفانيه * جدث برأس الطابيه
صدع الزمان صفاتيه * ....
بال وما بليت أيا * ديه على الباقيه

هكذا بياض في نسخ الاصل

وبخارج باب النصر في أوائل المقابر قبر زينب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر ابن الحنفية يزار وتسميه العامة مشهد الست زينب ثم تتابع دفن الناس موتاهم في الجهة التي هي اليوم من بحري مصلى الاموات الى نحو الريدانية وكان ما في شرقي هذه المقبرة الى الجبل براحا واسعا يعرف بميدان القبق وميدان العيد والميدان الاسود وهو ما بين قلعة الجبل الى قبة النصر تحت الجبل الاحمر فلما كان بعد سنة عشرين

وسبعمائة ترك الملك الناصر محمد بن قلاون النزول الى هذا الميدان وهجره فأوّل من ابتدأ فيه بالعمارة الامير شمس الدين قراسنقر فاختط تربته التى تجاه واليوم تربة الصوفية وبنى حوض ماء للسبيل وجعل فوقه مسجدا وهذا الحوض بجوار باب تربة الصوفية أدركته عامرا هو وما فوقه وقد تهدّم وبقيت منه بقية ثم عمر بعده تظام الدين آدم أخو الامير سيف الدين سلار تجاه تربة قراسنقر مدفنا وحوض ماء للسبيل ومسجدا معلقا وتتابع الامراء والاجناد وسكان الحسينية فى عمارة الترب هنالك حتى انسدّت طريق الميدان وعمروا الجوّانية أيضا وأخذ صوفية الخانقاه الصلاحية لسعيد السعداء قطعة قدر فدّانين وأداروا عليها سورا من حجر وجعلوها مقبرة لمن يموت منهم وهى باقية الى يومنا هذا وقد وسعوا فيها بعد سنة تسعين وسبعمائة بقطعة من تربة قراسنقر وما برح الناس يقصدون تربة الصوفية هذه لزيارة من فيها من الاموات ويرغبون فى الدفن بها الى أن تولى مشيخة الخانقاه الشيخ شمس الدين محمد البلالى فسمح لكل أحد أن يقبر ميته بها على مال يأخذه منه فقبر بها كثير من أعوان الظلمة ومن لم تشكر طريقته فصارت مجمع نسوان ومجلس لعب وعمر أيضا بجوار تربة الصوفية الامير مسعود بن خطير تربة وعمل لها منارة من حجارة لا نظير لها فى هيئتها وهى باقية وعمر أيضا مجد الدين السلامى تربة وعمر الامير سيف الدين كوكاى تربة وعمر الامير طاجاى الدوادار على رأس القبق مقابل قبة النصر تربة وعمر الامير سيف الدين طشتمر الساقى على الطريق تربة وبنى الامراء الى جانبه عدّة ترب وبنى الطواشى محسن البهاء تربة عظيمة وبنت خوند طغاى تربة تجاه تربة طشتمر الساقى وجعلت لها وقفا وبنى الامير طغاى تمر النجمى الدوادار تربة وجعلها خانقاه وأنشأ بجوارها حماما وحوانيت وأسكنها للصوفية والقرّاء وبنى الامير منكلى بغا الفخرى تربة والامير طشتمر طلليه تربة والامير أرنان تربة وبنى كثير من الامراء وغيرهم الترب حتى اتصلت العمارة من ميدان القبق الى تربة الروضة خارج باب البرقية وما مات الملك الناصر حتى بطل من الميدان السباق بالخيل ومنعت طريقه من كثرة العمائر وأدركت بعد سنة ثمانين وسبعمائة عدّة عواميد من رخام منصوبة يقال لها عواميد السباق فيما بين قبة النصر وقريب من القلعة وأوّل من عمر فى البراح الذى كان فيه عواميد السباق الامير يونس الدوادار فى أيام الملك الظاهر تربته الموجودة هنالك ثم عمر الامير جماس ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة بجانب تربة يونس وأحيط على قطعة كبيرة بحائط وقبر فيها من مات من مماليك السلطان وقبر فيها الشيخ علاء الدين السيرامى شيخ الخانقاه الظاهرية والشيخ المعتقد طلحة والشيخ المعتقد أبو بكر البجاى فلما مرض الملك الظاهر برقوق أوصى أن يدفن تحت أرجل هؤلاء الفقراء وأن يبنى على قبره تربة فدفن حيث أوصى وأخذت قطعة مساحتها عشرة آلاف ذراع وجعلت خانقاه وجعل فيها قبة على قبر السلطان وقبور الفقراء المذكورين وتجدّد من حينئذ هنالك عدّة ترب جليلة حتى صار الميدان شوارع وأزقة ونقل الملك الناصر فرج بن برقوق سوق الجمال وسوق الحمير من تحت القلعة الى تجاه التربة التى عمرها على قبر أبيه فاستمرّ ذلك أياما فى سنة أربع عشرة وثمانمائة ثم أعيدت الاسواق الى مكانها وكان قصده أن يبنى هنالك خانا كبيرا ينزل فيه المسافرون ويجعل بجانبه سوقا وبنى طاحونا وحماما وفرنا لتعمر تلك الجهة بالناس فمات قبل بناء الخان وخلت الحمام والطاحون والفرن بعد قتله

(ذكر كنائس اليهود)

قال الله عز وجل ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا قال المفسرون الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات كنائس اليهود والمساجد للمسلمين قاله ابن قتيبة والكنيس كلمة عبرانية معناها بالعربية الموضع الذى يجتمع فيه للصلاة ولهم بديار مصر عدّة كنائس منها كنيسة دموه بالجيزة وكنيسة جوجر من القرى الغربية وبمصر الفسطاط كنيسة بخط المصاصة فى درب الكرمة وكنيستان بخط قصر الشمع وبالقاهرة كنيسة بالجودرية وفى حارة زويلة خمس كنائس

(كنيسة دموه) هذه الكنيسة اعظم معبد لليهود بأرض مصر فانهم لا يختلفون فى انها الموضع الذى كان يأوى اليه موسى بن عمران صلوات الله عليه حين كان يبلغ رسالات الله عز وجل الى فرعون مدة

مقامه بمصر منذ قدم من مدين الى أن خرج ببني اسرائيل من مصر ويزعم يهود أنها بنيت هذا البناء الموجود بعد خراب بيت المقدس الخراب الثاني على يد طيطش ببضع وأربعين سنة وذلك قبل ظهور الملة الاسلامية بما ينيف على خمسمائة سنة وبهذه الكنيسة شجرة زيزلخت في غاية الكبر لا يشكون في أنها من زمن موسى عليه السلام ويقولون ان موسى عليه السلام غرس عصاه في موضعها فأنبت الله هناك هذه الشجرة وأنها لم تزل ذات أغصان نضرة وساق صاعد في السماء مع حسن استواء ونحن في استقامة الى أن أنشأ الملك الاشرف شعبان بن حسين مدرسته تحت القلعة فذكر له حسن هذه الشجرة فتقدم بقطعها لينتفع بها في العمارة فمضوا اليها أمر وابه من ذلك فأصبحت وقد تكورت وتعقفت وصارت شنيعة المنظر فتركوها واستمرت كذلك مدة فاتفق أن زنى يهودي بيهودية تحتها فتهدلت أغصانها وتحات ورقها وجفت حتى لم يبق بها ورقة خضراء وهي باقية كذلك الى يومنا هذا ولهذه الكنيسة عيد يرحل اليهود بأهاليهم اليها في عيد الخطاب وهو في شهر سيوان ويجعلون ذلك بدل حجهم الى القدس وقد كان لموسى عليه السلام أنباء قد قصها الله تعالى في القرآن الكريم وفي التوراة وروى أهل الكتاب وعلماء الاخبار من المسلمين كثيرا منها وسأقص عليك في هذا الموضع منها ما فيه كفاية اذ كان ذلك من شرط هذا الكتاب

(موسى بن عمران) وفي التوراة عمرام بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهم أمه يوحانذ بنت لاوى فهي عمة عمران والد موسى ولد بمصر في اليوم السابع من شهر آذار سنة ثلاثين ومائة لدخول يعقوب على يوسف عليهما السلام بمصر وكان بنو اسرائيل منذ مات لاوى بن يعقوب في سنة أربع وتسعين لدخول يعقوب مصر في البلاء مع القبط وذلك أن يوسف عليه السلام لما مات في سنة ثمانين من قدوم يعقوب مصر كان الملك اذ ذاك بمصر دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم وتسميه القبط دريوس فاستوزر بعده رجلا من الكهنة يقال له بلاطس فحمله على أذى الناس وخالف ما كان عليه يوسف وساءت سيرة الملك حتى اغتصب كل امرأة جميلة بمدينة منف وغيرها من النواحي فشق ذلك من فعله على الناس وهموا بخلعه من الملك فقام الوزير بلاطس في الوساطة بينه وبين الناس وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين وفرق فيهم مالا حتى سكنوا واتفق أن رجلا من الاسرائيليين ضرب بعض سدنة الهياكل فأدماه وعاب دين الكهنة فغضب القبط وسألوا الوزير أن يخرج بني اسرائيل من مصر فأبى وكان دارم الملك قد خرج الى الصعيد فبعث اليه يخبره بأمر الاسرائيلي وما كان من القبط في طلبهم اخراج بني اسرائيل من مصر فأرسل اليه أن لا يحدث في القوم حدثا دون موافاته فشغب القبط وأجمعوا على خلع الملك واقامة غيره فسار اليهم الملك وكانت بينه وبينهم حروب قتل فيها خلق كثير ظفر فيها الملك وصلب ممن خالفه بحافتي النيل طوائف لا تحصى وعاد الى أكثر مما كان عليه من ابتزاز النساء وأخذ الاموال واستخدام الاشراف والوجوه من القبط ومن بني اسرائيل فأجمع الكل على ذمه واتفق انه ركب في النيل فهاجت به الريح وأغرقه الله ومن معه ولم يوجد جثته الا عند شطنوف فأقام الوزير من بعده في الملك ابنه معاديوش وكان صبيا ويسميه بعضهم معدان فاستقام الامر له ورد النساء اللاتي اغتصبهن أبوه وهو خامس الفراعنة فكثر بنو اسرائيل في زمنه ولهجوا بثلب الاصنام وذمها وهلك بلاطس الوزير وقام من بعده في الوزارة كاهن يقال له املاده فأمر بافراد بني اسرائيل ناحية في البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم فأقطعوا موضعا في قبلي مدينة منف صاروا اليه وبنوا فيه معبدا كانوا يتلون به صحف ابراهيم عليه السلام فخطب رجل من القبط بعض نسائهم فأبوا أن ينكحوه وقد كان هو بها فأكبر القبط فعلهم وصاروا الى الوزير وشكوا من بني اسرائيل وقالوا هؤلاء قوم يعيبوننا ويرغبون عن مناكحتنا ولا نحب أن يجاورونا ما لم يدينوا بديننا فقال لهم الوزير قد علمتم اكرام طوطيس الملك لجدهم ونهراوش من بعده وقد علمتم بركة يوسف حتى جعلتم قبره وسط النيل فأخصب جانبا مصر بمكانه وأمرهم بالكف عن بني اسرائيل فأمسكوا الى أن احتجب معدان وقام من بعده في الملك ابنه اكسامس الذي يسميه بعضهم كاسم ابن معدان بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقي وهو السادس من فراعنة مصر وكان أولهم يقال له فرعان فصار ذلك اسما لكل من تجبر وعلا أمره وطالت أيام كاسم ومات وزير أبيه فأقام من بعده رجلا من بيت المملكة

يقال له ظلما بن قومس وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا حكيما داهيا متبصرا فى كل فن وكانت نفسه تنازعه الملك ويقال انه من ولد أشمون الملك وقيل من ولد صا فأحبه الناس وعمر الخراب وبنى مدنا من الجانبين ورأى فى نجومه انه سيكون حدث وشدة وشكا القبط اليه من الاسرائيليين فقال هم عبيدكم فكان القبطى اذا أراد حاجة سخر الاسرائيلى وضربه فلا يغير عليه أحد ولا ينكر عليه ذلك فان ضرب الاسرائيلى أحدا من القبط قتل البتة وكذلك كانت تفعل نساء القبط بالنساء الاسرائيليات فكانت أول شدة وذل أصاب بنى اسرائيل وكثر ظلمهم وأذاهم من القبط واستبد الوزير ظلما بأمر البلد كما كان العزيز مع نهراوش وتوفى اكسامس الملك فاتهم ظلمان بأنه سمه فركب فى سلاحه وأقام لاماس الملك مكان أبيه وكان ابنه جريا معجبا فصرف ظلما بن قومس عما كان عليه من خلافته واستخلف رجلا يقال له لاهوق من ولد صا وأنفذ ظلما عاملا على الصعيد وسير معه جماعة من الاسرائيليين وزاد تجبره وعتوه وأمر الناس جميعا أن يقوموا على أرجلهم فى مجلسه ومد يده الى الاموال ومنع الناس من فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت وابتز كثيرا من النساء وفعل أكثر مما فعله ملك تقدمه واستعبد بنى اسرائيل فأبغضه الخاص والعام وكان ظلما لما صرف عن الوزارة وخرج الى الصعيد أراد ازالة الملك والخروج عن طاعته بجبى المال وامتنع من حمله وأخذ المعادن لنفسه وهم أن يقيم ملكا من ولد قبطرين ويدعو الناس الى طاعته ثم انصرف عن ذلك ودعا لنفسه وكاتب الوجوه والاعيان فافترق الناس وتطاول كل واحد من أبناء الملوك الى الملك وطمع فيه ويقال ان روحانيا ظهر لظلما وقال له ان أطعتنى قلدتك مصر زمانا طويلا فأجابه وقرب اليه اشياء منها غلام من بنى اسرائيل فصار عونا له وبلغ الملك خبر خروج ظلما عن طاعته فوجه اليه قائدا قلده مكانه وأمره أن يقبض على ظلما ويبعث به اليه موثقا فسار اليه وخرج ظلما للقائه وحاربه فظفر به واستولى على ما معه فجهز اليه الملك قائدا آخر فهزمه وسار فى اثره وقد كثف جمعه فبرز اليه الملك واحتربا فكانت لظلما على الملك فقتله واستولى على مدينة منف ونزل قصر المملكة وهذا هو فرعون موسى عليه السلام وبعضهم يسميه الوليد بن مصعب وقيل هو من العمالقة وهو سابع الفراعنة ويقال انه كان قصيرا طويل اللحية اشهل العينين صغير العين اليسرى فى جبينه شامة وكان أعرج وقيل انه كان يكنى بأبى مرة وان اسمه الوليد بن مصعب وانه أول من خضب بالسواد لما شاب دله عليه ابليس وقيل انه كان من القبط وقيل انه دخل منف على أتان يحمل النطرون ليبيعه وكان الناس قد اضطربوا فى تولية الملك فحكموه ورضوا بتولية من يوليه عليهم وذلك انهم خرجوا الى ظاهر مدينة منف ينتظرون أول من يظهر عليهم ليحكموه فكان هو أول من أقبل بحماره فلما حكموه ورضوا بحكمه أقام نفسه ملكا عليهم وانكر قوم هذا وقالوا كان القوم ادهى من أن يقلدوا ملكهم من هذه سبيله فلما جلس فى الملك اختلف الناس عليه فبذل لهم الاموال وقتل من خالفه بمن أطاعه حتى اعتدل أمره ورتب المراتب وشيد الاعمال وبنى المدن وخندق الخنادق وبنى بناحية العريش حصنا وكذلك على جميع حدود مصر واستخلف هامان وكان يقرب منه فى نسبه وأثار الكنوز وصرفها فى بناء المدائن والعمارات وحفر خليج سردوس وغيره وبلغ الخراج بمصر فى زمنه سبعة وتسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعونى وهو ثلاثة مثاقيل وفرعون هو أول من عرّف العرفاء على الناس وكان ممن صحبه من بنى اسرائيل رجل يقال له امرى وهو الذى يقال له بالعبرانية عمرام وبالعربية عمران بن قاهث بن لاوى وكان قدم مصر مع يعقوب عليه السلام فجعله حرسا لقصره يتولى حفظه وعنده مفاتيحه وأغلاقه بالليل وكان فرعون قد رأى فى كهانته ونجومه انه يجرى هلاكه على يد مولود من الاسرائيليين فنعهم من المناكحة ثلاث سنين التى رأى أن ذلك المولود يولد فيها فأتت امرأة امرى اليه فى بعض الليالى بشئ قد أصلحته له فواقعها فاشتملت منه على هارون وولدته لثلاث وسبعين من عمره فى سنة سبع وعشرين ومائة لقدوم يعقوب الى مصر ثم أتته مرة اخرى فحملت بموسى لثمانين سنة من عمره ورأى فرعون فى نجومه انه قد حمل بذلك المولود فأمر بذبح الذكران من بنى اسرائيل وتقدم الى القوابل بذلك فولد موسى عليه السلام فى سنة ثلاثين ومائة لقدوم يعقوب الى مصر وفى سنة اربع وعشرين وأربعمائة لولادة ابراهيم الخليل عليه السلام ولمضى ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان وكان من أمره ما قصه الله سبحانه من قذف أمه له فى التابوت فألقاه النيل الى تحت قصر الملك وقد أرصدت أمه أخته على بعد لتنظر من يلتقطه فجاءت ابنة

فرعون الى البحر مع جواريها فرأته واستخرجته من التابوت فرحمته وقالت هذا من العبرانيين من لنا بظئر ترضعه فقالت لها أخته أنا آتيك بها وجاءت بأمه فاسترضعتها له ابنة فرعون الى أن فصل فأتت به الى ابنة فرعون وسمته موسى وتبنته ونشأ عندها وقيل بل أخذته امرأة فرعون واسترضعت أمه ومنعت فرعون من قتله الى أن كبر وعظم شأنه فرد اليه فرعون كثيرا من أمره وجعله من قواده وكانت له سطوة ثم وجهه لغزو اليونانيين وقد عاثوا فى أطراف مصر فخرج فى جيش كثيف وأوقع بهم فأظفره الله وقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا وعاد غانما فسر ذلك فرعون وأعجب به هو وامرأته واستولى موسى وهو غلام على كثير من أمر فرعون فأراد فرعون أن يستخلفه حتى قتل رجلا من أشراف القبط له قرابة من فرعون فطلبه وذلك انه خرج يوما يمشى فى الناس وله صولة بما كان له فى بيت فرعون من المربى والرضاع فرأى عبرانيا يضرب فقتل المصرى الذى ضربه ودفنه وخرج يوما آخر فاذا برجلين من بنى اسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر فزجره فقال له ومن جعل لك هذا أتريد أن تقتلنى كما قتلت المصرى بالامس ونما الخبر الى فرعون فطلبه وألقى الله فى نفسه الخوف لما يريد من كرامته فخرج من منف ولحق بمدين عند عقبة ايلة وبنو مدين أمة عظيمة من بنى ابراهيم عليه السلام كانوا ساكنين هنالك وكان فراره وله من العمر أربعون سنة فنزل عند يبرون وهو شعيب عليه السلام من ولد مدين بن ابراهيم وكان من تزويجه ابنته ورعايته غنمه ما كان فأقام هنالك تسعا وثلاثين سنة نكح فيها صفورا ابنة شعيب وبنوا اسرائيل مع فرعون وأهل مصر كما قال الله تعالى يسومونهم سوء العذاب ويستعبدونهم فلما مضى من سنة الثمانين لموسى شهر وأسبوع كلمه الله جل اسمه وكان ذلك فى اليوم الخامس عشر من شهر نيسان وأمره أن يذهب الى فرعون وشد عضده بأخيه هارون وأيده بآيات منها قلب العصا حية وبياض يده من غير سوء وغير ذلك من الآيات العشر التى أحلها الله بفرعون وقومه وكان مجىء الوحى من الله تعالى اليه وهو ابن ثمانين سنة ثم قدم مصر فى شهر أيار ولقى أخاه هارون فسر به وأطعمه جلبانا فيه تريد وتنبأ هارون وهو ابن ثلاث وثمانين سنة وغدا به الى فرعون وقد أوحى اليهما أن يأتيا الى فرعون ليبعث معهما بنى اسرائيل فيستنقذانهم من هلكة القبط وجور الفراعنة ويخرجون الى الارض المقدسة التى وعدهم الله بملكها على لسان ابراهيم واسحاق ويعقوب فأبلغا ذلك بنى اسرائيل عن الله فآمنوا بموسى واتبعوه ثم حضرا الى فرعون فأقاما ببابه أياما وعلى كل منهما جبة صوف ومع موسى عصاه وهما لا يصلان الى فرعون لشدة حجابه حتى دخل عليه مضحك كان يلهو به فعرفه أن بالباب رجلين يطلبان الاذن عليك يزعمان أن الههما قد أرسلهما اليك فأمر بادخالهما فلما دخلا عليه خاطبه موسى بما قصه الله فى كتابه وأراه آية العصا وآيته فى بياض اليد فغاظ فرعون ما قاله موسى وهم بقتله فمنعه الله سبحانه بأن رأى صورة قد اقبلت ومسحت على أعينهم فعموا ثم انه لما فتح عن عينيه أمر قوما آخرين بقتل موسى فأتتهم نار أحرقتهم فازداد غيظه وقال لموسى من اين لك هذه النواميس العظام السحرة ببلدى علموك هذا أم تعلمته بعد خروجك من عندنا فقال هذا ناموس السماء وليس من نواميس الارض قال فرعون ومن صاحبه قال صاحب البنية العليا قال بل تعلمتها من بلدى وأمر بجمع السحرة والكهنة وأصحاب النواميس وقال اعرضوا على أرفع أعمالكم فانى أرى نواميس هذا الساحر رفيعة جدا فعرضوا عليه أعمالهم فسره ذلك وأحضر موسى وقال له لقد وقفت على سحرك وعندى من يفوق عليك فواعدهم يوم الزينة وكان جماعة من البلد قد اتبعوا موسى فقتلهم فرعون ثم انه جمع بين موسى وبين سحرته وكانوا مائتى ألف وأربعين ألفا يعملون من الاعمال ما يحير العقول ويأخذ القلوب من دخن ملونات ترى الوجوه مقلوبة مشوهة منها الطويل والعريض والمقلوب جبهته الى أسفل ولحيته الى فوق ومنها ماله قرون ومنها ماله خرطوم وأنياب ظاهرة كأنياب الفيلة ومنها ما هو عظيم فى قدر الترس الكبير ومنها ماله آذان عظام وشبه وجوه القرود بأجساد عظيمة تبلغ السحاب وأجنحة مركبة على حيات عظيمة تطير فى الهواء ويرجع بعضها على بعض ليبتلعه وحيات يخرج من أفواهها نار تنتشر فى الناس وحيات تطير وترجع فى الهواء وتنحدر على كل من حضر لتبتلعه فيتهارب الناس منها وعصى تعلق فى الهواء فتصير حيات برؤس وشعور وأذناب تهم بالناس أن تنهشهم ومنها ماله قوائم ومنها تماثيل مهولة وعملوا له دخنا تغشى أبصار الناس عن النظر فلا يرى بعضهم بعضا ودخنا تظهر صورا كهيئة النيران فى الجو على دواب يصدم بعضها بعضا ويسمع لها ضجيج وصورا خضراء على

دواب خضر وصورا سودا على دواب سود هائلة فلما رأى فرعون ذلك سره ما رأى هو ومن حضره واغتم موسى ومن آمن به حتى أوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا وكان السحرة ثلاثة رؤساء ويقال بل كانوا سبعين رئيسا فأسر اليهم موسى قد رأيت ما صنعتم فان قهرتكم أتؤمنون بالله فقالوا نفعل فغاظ فرعون مسارة موسى لرؤساء السحرة هذا والناس يسخرون من موسى وأخيه ويهزؤن بهما وعليهما دراعتان من صوف وقد احتزما بليف فلوح موسى بعصاه حتى غابت عن الاعين وأقبلت فى هيئة تنين عظيم له عينان يتوقدان والنار تخرج من فيه ومنخريه فلا يقع على أحد الا برص ووقع من ذلك على ابنة فرعون فبرصت وصار التنين فاغرا فاه فالتقط جميع ما عملته السحرة وماتى مركب كانت مملوءة حبالا وعصيا وسائر من فيها من الملاحين وكانت فى النهر الذى يتصل بدار فرعون وابتلع عمدا كثيرة وحجارة قد كانت حملت الى هنالك ليبنى بها ومر التنين الى قصر فرعون ليبتلعه وكان فرعون جالسا فى قبة على جانب القصر ليشرف على عمل السحرة فوضع نابه تحت القصر ورفع نابه الآخر الى أعلاه ولهب النار يخرج من فيه حتى أحرق مواضع من القصر فصاح فرعون مستغيثا بموسى عليه السلام فزجر موسى التنين فانعطف ليبتلع الناس ففروا كلهم من بين يديه وانساب يريدهم فأمسكه موسى وعاد فى يده عصا كما كان ولم ير الناس من تلك المراكب وما كان فيها من الحبال والعصى والناس ولا من العمد والحجارة وما شربه من ماء النهر حتى بانت أرضه اثرا فعند ذلك قالت السحرة ما هذا من عمل الآدميين وانما هو من فعل جبار قدير على الاشياء فقال لهم موسى أوفوا بعهدكم والا سلطته عليكم يبتلعكم كما ابتلع غيركم فآمنوا بموسى وجاهروا فرعون وقالوا هذا من فعل اله السماء وليس هذا من فعل أهل الارض فقال قد عرفت انكم قد واطأتموه على وعلى ملكى حسدا منكم لى وأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا وجاهرته امرأته والمؤمن الذى كان يكتم ايمانه وانصرف موسى فأقام بمصر يدعو فرعون أحد عشر شهرا من شهر ايار الى شهر نيسان المستقبل وفرعون لا يجيبه بل اشتد جوره على بنى اسرائيل واستعبادهم واتخاذهم سخريا فى مهنة الاعمال فأصابت فرعون وقومه الجوائح العشر واحدة بعد أخرى وهو يتثبت لهم عند وقوعها ويفزع الى موسى فى الدعاء بانجلائها ثم يلج عند انكشافها فانها كانت عذابا من الله عز وجل عذب الله بها فرعون وقومه فمنها أن ماء مصر صار دما حتى هلك اكثر أهل مصر عطشا وكثرت عليهم الضفادع حتى وحلت جميع مواضعهم وقذرت عليهم عيشهم وجميع مآكلهم وكثر البعوض حتى خبث الهواء ومنع النسيم وكثر عليهم ذباب الكلاب حتى جرح أبدانهم ونغص عليهم حياتهم وماتت دوابهم وأغنامهم فجأة وعم الناس الجرب والجدرى حتى زاد منظرهم قبحا على مناظر الجذمى ونزل من السماء برد مخلوط بصواعق أهلك كل ما أدركه من الناس والحيوانات وذهب بجميع الثمار وكثر الجراد والجنادب التى أكلت الاشجار واستقصت أصول النبات وأظلمت الدنيا ظلمة سوداء غليظة حتى كانت من غلظها تحس بالاجسام وبعد ذلك كله نزل الموت فجأة على بكور أولادهم بحيث لم يبق لاحد منهم ولد بكر الا فجع به فى تلك الليلة ليكون لهم فى ذلك شغل عن بنى اسرائيل وكانت الليلة الخامسة عشر من شهر نيسان سنة احدى وثمانين لموسى فعند ذلك سارع فرعون الى ترك بنى اسرائيل فخرج موسى عليه السلام من ليلته هذه ومعه بنو اسرائيل من عين شمس وفى التوراة انهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم ان كان كفايتهم أو يشتركون مع جيرانهم ان كان اكثر وأن ينضحوا من دمه على أبوابهم ليكون علامة وأن يأكلوا شواء رأسه وأطرافه ومعاه ولا يكسروا منه عظما ولا يدعوا منه شيأ خارج البيوت وليكن خبزهم فطيرا وذلك فى اليوم الرابع عشر من فصل الربيع وليأكلوا بسرعة وأوساطهم مشدودة وخفافهم فى أرجلهم وعصيهم فى ايديهم ويخرجوا بليل وما فضل من عشائهم ذلك أحرقوه بالنار وشرع هذا عيدا لهم ولاعقابهم ويسمى هذا عيد الفصح وفيها انهم أمروا أن يستعيروا منهم حليا كثيرا يخرجون به فاستعاروه وخرجوا فى تلك الليلة بما معهم من الدواب والانعام وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام استخرجه موسى من المدفن الذى كان فيه بالهام من الله تعالى وكانت عدتهم ستمائة ألف رجل محارب سوى النساء والصبيان والغرباء وشغل القبط عنهم بالمأتم التى كانوا فيها على موتاهم فساروا ثلاث مراحل ليلا ونهارا حتى وافوا الى فوهة الحيروت وتسمى تار موسى وهو ساحل البحر بجانب الطور فانتهى خبرهم الى فرعون فى يومين وليلة فندم بعد خروجهم وجمع قومه وخرج فى كثرة فكان

عن

عن مقدارها قول الله عز وجل اخبارا عن فرعون انه قال عن بنى اسرائيل وعدتهم ما قد ذكر على ما جاء فى التوراة ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون ولحق بهم فى اليوم الحادى والعشرين من نيسان فأقام العسكران ليلة الواحد والعشرين على شاطئ البحر وفى صبيحة ذلك اليوم أمر موسى أن يضرب البحر بعصاه ويقتحمه ففلق الله لبنى اسرائيل البحر اثنى عشر طريقا فعبر كل سبط من طريق وصارت المياه قائمة عن جانبيهم كأمثال الجبال وصير قاع البحر طريقا مسلوكا لموسى ومن معه وتبعهم فرعون وجنوده فلما خاض بنو اسرائيل الى عدوة الطور انطبق البحر على فرعون وقومه فأغرقهم الله جميعا ونجا موسى وقومه ونزل بنو اسرائيل جميعا فى الطور وسبحوا مع موسى بتسبيح طويل قد ذكر فى التوراة وكانت مريم أخت موسى وهارون تأخذ الدف بيدها ونساء بنى اسرائيل فى أثرها بالدفوف والطبول وهى ترتل التسبيح لهن ثم ساروا فى البر ثلاثة أيام وأقفرت مصر من أهلها ومر موسى بقومه ففنى زادهم فى اليوم الخامس من ايار فضجوا الى موسى فدعا ربه فنزل لهم المن من السماء فلما كان اليوم الثالث والعشرون من ايار عطشوا وضجوا الى موسى فدعا ربه ففجر له عينا من الصخرة ولم يزل يسير بهم حتى وافوا طور سينين غرة الشهر الثالث لخروجهم من مصر فأمر الله موسى بتطهير قومه واستعدادهم لسماع كلام الله سبحانه فطهرهم ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الثالث وهو السادس من الشهر رفع الله الطور وأسكنه نوره وظلل حواليه بالغمام وأظهر فى الآفاق الرعود والبروق والصواعق وأسمع القوم من كلامه عشر كلمات وهى انا الله ربكم واحد لا يكن لكم معبود من دونى لا تحلف باسم ربك كاذبا اذكر يوم السبت واحفظه بر والديك وأكرمهما لا تقتل النفس لا تزن لا تسرق لا تشهد بشهادة زور لا تحسد أخاك فيما رزقه فصاح القوم وارتعدوا وقالوا لموسى لا طاقة لنا باستماع هذا الصوت العظيم كن السفير بيننا وبين ربنا وجميع ما يأمرنا به سمعنا وأطعنا فأمرهم بالانصراف وصعد موسى الى الجبل فى اليوم الثانى عشر فأقام فيه أربعين يوما ودفع الله اليه اللوحين الجوهر المكتوب عليهما العشر كلمات ونزل فى اليوم الثانى والعشرين من شهر تموز فرأى العجل فارتفع الكتاب وثقلا على يديه فألقاهما وكسرهما ثم برد العجل وذراه على الماء وقتل من القوم من استحق القتل وصعد الى الجبل فى اليوم الثالث والعشرين من تموز ليشفع فى الباقين من القوم ونزل فى اليوم الثانى من ايلول بعد الوعد من الله له بتعويضه لوحين آخرين مكتوبا عليهما ما كان فى اللوحين الاولين فصعد الى الجبل وأقام أربعين ليلة أخرى وذلك من ثالث ايلول الى اليوم الثانى عشر من تشرين ثم أمره الله باصلاح القبة وكان طولها ثلاثين ذراعا فى عرض عشرة أذرع وارتفاع عشرة أذرع ولها سرادق مضروب حواليها مائة ذراع فى خمسين ذراعا وارتفاع خمسة أذرع فأخذ القوم فى اصلاحها وما تزين به من الستور من الذهب والفضة والجواهر ستة أشهر الشتاء كله ولما فرغ منها نصبت فى اليوم الاول من نيسان فى أول السنة الثانية ويقال ان موسى عليه السلام حارب هنالك العرب مثل طسم وجديس والعماليق وجرهم وأهل مدين حتى أفناهم جميعا وانه وصل الى جبل فاران وهو مكة فلم ينج منهم الا من اعتصم بملك اليمن أو انتمى الى بنى اسماعيل عليه السلام وفى ثلثى الشهر الباقى من هذه السنة ظعن القوم فى برية الطور بعد أن نزلت عليهم التوراة وجملة شرائعها ستمائة وثلاث عشرة شريعة وفى آخر الشهر الثالث حرمت عليهم أرض الشام أن يدخلوها وحكم الله تعالى عليهم أن يتيهوا فى البرية أربعين سنة لقولهم نخاف أهلها لانهم جبارون فأقاموا تسع عشرة سنة فى رقيم وتسع عشرة سنة فى أحد وأربعين موضعا مشروحة فى التوراة وفى اليوم السابع من شهر ايلول من السنة الثانية خسف الله بقارون وبأوليائه بدعاء موسى عليه السلام عليهم لما كذبوا وفى شهر نيسان من السنة الاربعين توفيت مريم ابنة عمران أخت موسى عليه السلام ولها مائة وست وعشرون سنة * وفى شهر آب منها مات هارون عليه السلام وله مائة وثلاث وعشرون سنة ثم كان حرب الكنعانيين وسيحون والعوج صاحب البثنية من أرض حوران فى الشهور التى بعد ذلك الى شهر شباط فلما أهل شباط أخذ موسى فى اعادة التوراة على القوم وأمرهم بكتب نسخها وقراءتها وحفظ ما شاهدوه من آثاره وما أخذوه عنه من الفقه وكان نهاية ذلك فى اليوم السادس من آذار وقال لهم فى اليوم السابع منه انى فى يومى هذا استوفيت عشرين ومائة سنة وان الله قد عرفنى انه يقبضنى فيه وقد أمرنى أن أستخلف عليكم يوشع بن نون ومعه السبعون رجلا الذين اخترتهم قبل هذا الوقت ومعهم العازر بن هارون

أخى فاسمعوا له وأطيعوا وأنا أشهد عليكم الله الذى لا اله الا هو والارض والسموات أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ ولا تبدلوا شرائع التوراة بغيرها ثم فارقهم وصعد الجبل فقبضه الله تعالى هنالك وأخفاه ولم يعلم أحد منهم قبره ولا شاهده وكان بين وفاة موسى وبين الطوفان ألف وتسعمائة وست وعشرون سنة وذلك فى أيام منوجهر ملك الفرس وزعم قوم أن موسى كان ألثغ فمنهم من جعل ذلك خلقة ومنهم من زعم انه انما اعتراه حين قالت امرأة فرعون لفرعون لا تقتل طفلا لا يعرف الجمر من التمر فلما دعا له فرعون بهما جميعا تناول جمرة فأهوى بها الى فيه فاعتراه من ذلك ما اعتراه وذكر محمد بن عمر الواقدى أن لسان موسى كانت عليه شامة فيها شعرات ولا يدل القرآن على شئ من ذلك فليس فى قوله تعالى واحلل عقدة من لسانى دليل على شئ من ذلك دون شئ فأقاموا بعده ثلاثين يوما يبكون عليه الى أن أوحى الله تعالى الى يوشع بن نون بترحيلهم فقادهم وعبر بهم الاردن فى اليوم العاشر من نيسان فوافوا أريحا فكان منهم ماهو مذكور فى مواضعه فهذه جملة خبر موسى عليه السلام

(كنيسة جوجر) هذه الكنيسة من أجل كنائس اليهود ويزعمون أنها تنسب لنبى الله الياس عليه السلام وانه ولد بها وكان يتعاهدها فى طول اقامته بالارض الى أن رفعه الله اليه *(الياس)* هو فنحاس بن العازر بن هارون عليه السلام ويقال الياسين بن ياسين عيزار بن هارون ويقال هو الياهو وهى عبرانية معناها قادر أزلى وعرب فقيل الياس ويذكر أهل العلم من بنى اسرائيل انه ولد بمصر وخرج به أبوه العازر من مصر مع موسى عليه السلام وعمره نحو الثلاث سنين وأنه هو الخضر الذى وعده الله بالحياة وانه لما خرج بلعام بن باعورا ليدعو على موسى صرف الله لسانه حتى يدعو على نفسه وقومه وكان من زنا بنى اسرائيل بنساء الامورانيين وأهل مواب ما كان فغضب الله تعالى عليهم وأوقع فيهم الوباء فمات منهم أربعة وعشرون ألفا الى أن هجم فنحاس هذا على خباء فيه رجل على امرأة يزنى بها فانتظمهما جميعا برمحه وخرج وهو رافعهما وشهرهما غضبا لله فرحمهم الله سبحانه ورفع عنهم الوباء وكانت له أيضا آثار مع نبى الله يوشع بن نون ولما مات يوشع قام من بعده فنحاس هذا هو وكالاب بن يوفنا فصار فنحاس اماما وكالاب يحكم بينهم وكانت الاحداث فى بنى اسرائيل فساح الياس ولبس المسوح ولزم القفار وقد وعده الله عز وجل فى التوراة بدوام السلامة فأول ذلك بعضهم بانه لا يموت فامتد عمره الى أن ملك يهوشافاط بن أسا بن افيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام على سبط يهودا فى بيت المقدس وملك أحوب بن عمرى على الاسباط من بنى اسرائيل بمدينة شمرون المعروفة اليوم بنابلس وساءت سيرة احوب حتى زادت فى القبح على جميع من مضى قبله من ملوك بنى اسرائيل وكان أشدهم كفرا وأكثرهم ركونا للمنكر بحيث اربى فى الشر على أبيه وعلى سائر من تقدمه وكانت له امرأة يقال لها ايسصال ابنة أشاعل ملك صيدا أكفر منه بالله وأشد عتوا واستكبارا فعبدا وثن بعل الذى قال الله فيه جل ذكره أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين وأقاما له مذبحا بمدينة شمرون فارسل الله عز وجل الى احوب عبده الياس رسولا لينهاه عن عبادة وثن بعل ويأمره بعبادة الله تعالى وحده وذلك قول الله عز وجل من قائل وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه ولما أيس من ايمانهم بالله وتركهم عبادة الوثن أقسم فى مخاطبته احوب أن لا يكون مطر ولا ندا ثم تركه فأمره الله سبحانه أن يذهب ناحية الاردن فمكث هنالك مختفيا وقد منع الله قطر السماء حتى هلكت البهائم وغيرها فلم يزل الياس مقيما فى استتاره الى أن جف ما كان عنده من الماء وفى طول اقامته كان الله جل جلاله يبعث اليه بغربان تحمل له الخبز واللحم فلما جف ماؤه الذى كان يشرب منه لامتناع المطر أمره الله أن يسير الى بعض مدائن صيدا فخرج حتى وافى باب المدينة فاذا امرأة تحتطب فسألها ماء يشربه وخبزا يأكله فأقسمت له ان ماعندها الا مثل غرفة دقيق فى اناء وشئ من زيت فى جرة وأنها تجمع الحطب لتقتات منه هى وابنها فبشرها الياس عليه السلام وقال لها لا تجزعى وافعلى ما قلت لك واعملى لى خبزا قليلا قبل أن تعملى لنفسك ولولدك فان الدقيق لا يعجز من الاناء ولا الزيت من الجرة حتى ينزل المطر ففعلت ما أمرها به وأقام عندها فلم ينقص الدقيق ولا الزيت بعد ذلك الى أن مات ولدها وجزعت عليه فسأل الياس ربه تعالى فأحيى الولد وأمره الله أن يسير الى احوب ملك بنى اسرائيل لينزل المطر عند اخباره له بذلك فسار اليه وقال له اجمع بنى

اسرائيل

اسرائيل وأبناء بعال فلما اجتمعوا قال لهم الياس الى متى هذا الضلال ان كان الرب الله فاعبدوه وان كان بعال هو الله فارجعوا اليه وقال ليقرب كل منا قربانا فأنا أقرب لله وقربوا أنتم لبعال فمن تقبل منه قربانه ونزلت نار من السماء فأكلته فالهه الذى يعبد فلما رضوا بذلك أحضروا ثورين واختاروا أحدهما وذبحوه وصاروا ينادون عليه يا بعال يا بعال والياس يسخر بهم ويقول لو رفعتم أصواتكم قليلا فلعل الهكم نائم أو مشغول وهم يصرخون ويجرحون أيديهم بالسكاكين ودماؤهم تسيل فلما أيسوا من أن تنزل النار وتأكل قربانهم دعا الياس القوم الى نفسه وأقام مذبحا وذبح ثورة وجعله على المذبح وصب الماء فوقه ثلاث مرات وجعل حول المذبح خندقا محفورا فلم يزل يصب الماء فوق اللحم حتى امتلأ الخندق من الماء وقام يدعو الله عز اسمه وقال فى دعائه اللهم أظهر لهذه الجماعة انك الرب وانى عبدك عامل بامرك فانزل الله سبحانه نارا من السماء اكلت القربان وحجارة المذبح التى كان فوقها اللحم وجميع الماء الذى صب حوله فسجد القوم أجمعون وقالوا انشهد أن الرب الله فقال الياس خذوا أبناء بعال فأخذوا وجىء بهم فذبحهم كلهم ذبحا وقال لاحوب انزل وكل واشرب فان المطر نازل فنزل المطر على ما قال وكان الجهد قد اشتد لانقطاع المطر مدة ثلاث سنين وأشهر وغزر المطر حتى لم يستطع احوب أن ينصرف لكثرته فغضبت سيصابال امرأة احوب لقتل ابناء بعال وحلفت بآلهتها لتجعلن روح الياس عوضهم ففزع الياس وخرج الى المفاوز وقد اغتم غما شديدا فأرسل الله اليه ملكا معه خبز ولحم وماء فأكل وشرب وقواه الله حتى مكث بعد هذه الاكلة أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب ثم جاءه الوحى بأن يمضى الى دمشق فسار اليها وصحب اليسع بن شابات ويقال ابن حطور فصار تلميذه فخرج من أريحا ومعه اليسع حتى وقف على الاردن فنزع رداءه ولفه وضرب به ماء الاردن فافترق الماء عن جانبيه وصار طريقا فقال الياس حينئذ لليسع اسأل ما شئت قبل أن يحال بينى وبينك فقال اليسع أسأل أن يكون روحك فىّ مضاعفا فقال لقد سألت جسيما ولكن ان أبصرتنى اذا رفعت عنك يكون ما سألت وان لم تبصرنى لم يكن وبينما هما يتحدثان اذ ظهر لهما كالنار ففرق بينهما ورفع الياس الى السماء واليسع ينظره فانصرف وقام فى النبوّة مقام الياس وكان رفع الياس فى زمن يهورام بن يهوشافاط وبين وفاة موسى عليه السلام وبين آخر أيام يهورام خمسمائة وسبعون سنة ومدّة نبوّة موسى عليه السلام أربعون سنة فعلى هذا يكون مدّة عمر الياس من حين ولد بمصر الى أن رفع بالاردن الى السماء ستمائة سنة وبضع سنين والذى عليه علماء أهل الكتاب وجماعة من علماء المسلمين أن الياس حىّ لم يمت الا انهم اختلفوا فيه فقال بعضهم انه هو فنحاس كما تقدم ذكره ومنع هذا جماعة وقالوا هما اثنان والله أعلم

*(كنيسة المصاصة) * هذه الكنيسة بحارة اليهود وهى بخط المصاصة من مدينة مصر ويزعمون أنها عمرت فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وموضعها يعرف بدرب الكرمة وبنيت فى سنة خمس عشرة وثلثمائة للاسكندر وذلك قبل الملة الاسلامية بنحو ستمائة واحدى وعشرين سنة ويزعم اليهود أن هذه الكنيسة كانت مجلسا للنبىّ الله الياس

*(كنيسة الشاميين) * هذه الكنيسة بخط قصر الشمع من مدينة مصر وهى قديمة مكتوب على بابها بالخط العبرانىّ حفرا فى الخشب انها بنيت فى سنة ست وثلاثين وثلثمائة للاسكندر وذلك قبل خراب بيت المقدس الخراب الثانى الذى خربه طيطش بنحو خمس وأربعين سنة وقبل الهجرة بنحو ستمائة سنة وبهذه الكنيسة نسخة من التوراة لا يختلفون فى أنها كلها بخط عزرا النبىّ الذى يقال له بالعربية العزير

*(كنيسة العراقيين) * هذه الكنيسة أيضا بخط قصر الشمع

*(كنيسة بالجودرية) * هذه الكنيسة بحارة الجودرية من القاهرة وهى خراب منذ أحرق الخليفة الحاكم بأمر الله حارة الجودرية على اليهود كما تقدم ذكر ذلك فى الحارات فانظره

*(كنيسة القرائين) * هذه الكنيسة كان يسلك اليها من تجاه باب سرّ المارستان المنصورىّ فى حدرة ينتهى اليها بحارة زويلة وقد سدّت الخوخة التى كانت هناك فصار لا يتوصل اليها الا من حارة زويلة وهى كنيسة تختص بطائفة اليهود القرائين

*(كنيسة دار الحدرة) * هذه الكنيسة بحارة زويلة فى درب يعرف الآن بدرب الرايض وهى من كنائس

هكذا بياض بالاصل

(كنيسة الربانيين) هذه الكنيسة بحارة زويلة بدرب يعرف الآن بدرب البنادين يسلك منه الى تجاه السبع قاعات والى سويقة المسعودي وغيرها وهي كنيسة تختص بالربانيين من اليهود

(كنيسة ابن شميخ) هذه الكنيسة بجوار المدرسة العاشورية من حارة زويلة وهي مما يختص به طائفة القرائين

(كنيسة السمرة) هذه الكنيسة بحارة زويلة في خط درب ابن الكوراني تختص بالسمرة وجميع كنائس القاهرة المذكورة محدثة في الاسلام بلا خلاف

(ذكر تاريخ اليهود وأعيادهم)

قد كانت اليهود أولا تؤرخ بوفاة موسى عليه السلام ثم صارت تؤرخ بتاريخ الاسكندر بن فيلبش وشهور سنتهم اثنا عشر شهرا وأيام السنة ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما * فأما الشهور فانها تشرى مرحشوان كسليو طيبث شفط آذر نيس ايار سيوان تموز آب ايلول * وأيام سنتهم أيام سنة القمر ولو كانوا يستعملونها على حالها لكانت أيام سنتهم وعدد شهورهم شيأ واحدا ولكنه لما خرج بنو اسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام الى التيه وتخلصوا من عذاب فرعون وما كانوا فيه من العبودية وائتمروا بما أمروا به كما وصف في السفر الثاني من التوراة اتفق ذلك ليلة اليوم الخامس عشر من نيس والقمر تام الضوء والزمان ربيع فأمروا بحفظ هذا اليوم كما قال في السفر الثاني من التوراة احفظوا هذا اليوم سنة لخلوفكم الى الدهر في أربعة عشر من الشهر الاول وليس معنى الشهر الاول هذا شهر تشرى ولكنه عنى به شهر نيس من أجل أنهم امروا أن يكون شهر النسامح رأس شهورهم ويكون أول السنة فقال موسى عليه السلام للشعب اذكروا اليوم الذي خرجتم فيه من التعبد فلا تأكلوا خميرا في هذا اليوم في الشهر الذي ينضر فيه الشجر فلذلك اضطروا الى استعمال سنة الشمس ليقع اليوم الرابع عشر من شهر نيس في أوان الربيع حين تورق الاشجار وتزهو الثمار والى استعمال سنة القمر ليكون جرمه فيه بدرا تام الضوء في برج الميزان وأحوجهم ذلك الى الحاق الايام التي يتقدم بها عن الوقت المطلوب بالشهور اذا استوفيت أيام شهر واحد فألحقوها بها شهرا تاما سموه آذار الاول وسموا آذار الاصل آذار الثاني لانه ردف بمثاله وتلاه وسموا السنة الكبيسة عبورا اشتقاقا من معبار وهي المرأة الحبلى بالعبرانية لانهم شبهوا دخول الشهر الزائد في السنة بحمل المرأة ما ليس من جملتها ولهم في استخراج ذلك حسابات كثيرة مذكورة في الازياج * وهم في عمل الاشهر مفترقون فرقتين * احداهما الربانية واستعمالهم اياها على وجه الحساب بمسير الشمس والقمر الوسط سواء روى الهلال أو لم ير فان الشهر عندهم هو مدة مفروضة تمضي من لدن الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر في كل شهر وذلك انهم كانوا وقت عودهم من الجالية ببابل الى بيت المقدس ينصبون على رؤس الجبال ديادب ويقيمون رقباء للفحص عن الهلال وألزموهم بايقاد النار وتدخين دخان يكون علامة لحصول الرؤية وكانت بينهم وبين السامرة العداوة المعروفة فذهبت السامرة ورفعوا الدخان فوق الجبل قبل الرؤية بيوم وواليين ذلك شهورا اتفق في أوائلها أن السماء كانت متغيمة حتى فطن لذلك من في بيت المقدس ورأوا الهلال غداة اليوم الرابع أو الثالث من الشهر مرتفعا عن الافق من جهة المشرق فعرفوا أن السامرة فتنتهم فالتجأوا الى أصحاب التعاليم في ذلك الزمان ليأمنوا بما يأتونه من حسابهم مكايد الاعداء واعتلوا لجواز العمل بالحساب ونيابته عن العمل بالرؤية بعلل ذكروها فعمل أصحاب الحساب لهم الادوار وعلموهم استخراج الاجتماعات ورؤية الهلال وانكر بعض الربانية حديث الرقباء ورفعهم الدخان وزعموا أن سبب استخراج هذا الحساب هو أن علماءهم علموا أن آخر أمرهم الى الشتات فخافوا اذا تفرقوا في الاقطار وعولوا على الرؤية أن تختلف عليهم في البلدان المختلفة فيتشاجروا فلذلك استخرجوا هذه الحسابات واعتنى بها اليعازر بن فروح وأمروهم بالتزامها والرجوع اليها حيث كانوا * والفرقة الثانية هم الميلادية الذين يعلمون مبادي الشهور من الاجتماع ويسمون القراء والاسمعية لانهم يراعون العمل بالنصوص دون الالتفات الى النظر والقياس ولم يزالوا على ذلك الى أن قدم عانان رأس الجالوت من بلاد المشرق في نحو الاربعين ومائة من الهجرة الى دار السلام بالعراق فاستعمل الشهور برؤية الاهلة على مثل ما شرع في الاسلام ولم يبال

أي يوم وقع من الاسبوع وترك حساب الربانيين وكبس الشهور بأن نظر كل سنة الى زرع الشعير بنواحى العراق والشام فيما بين أول شهر نيسن الى أن يمضى منه أربعة عشر يوما فان وجد باكورة تصلح للفريك والحصاد ترك السنة بسيطة وان وجدها لم تصلح لذلك كبسها حينئذ وتقدمت المعرفة بهذه الحالة ان من أخذ برأيه يخرج لسبعة تبقى من شفط فينظر بالشام والبقاع المشابهة له فى المزاج الى زرع الشعير فان وجد السفا وهو شوك السنبل قد طلع عدّ منه الى القاسح خمسين يوما وان لم يره طالعا كبسها بشهر فبعضهم يردف الكبس بشفط فيكون فى السنة شفط وشفط مرتين وبعضهم يردف بآذر فيكون آذر وآذر فى السنة مرتين وأكثر استعمال العنانية لشفط دون آذر كما أن الربانية تستعمل آذر دون غيره فمن يعتمد من الربانية عمل الشهور بالحساب يقول ان شهر تشرى لا يكون أوله يوم الاحد والاربعاء وعدّته عندهم ثلاثون يوما أبدا وفيه عيد رأس السنة وهو عيد البشارة بعتق الارقاء وهذا العيد فى أول يوم منه ولهم أيضا فى اليوم العاشر منه صوم الكبور ومعناه الاستغفار وعند الربانيين أن هذا الصوم لا يكون أبدا يوم الاحد ولا الثلاثاء ولا الجمعة وعند من يعتمد فى الشهور الرؤية أن ابتداء هذا الصوم من غروب الشمس فى ليلة العاشر الى غروبها من ليلة الحادى عشر وذلك أربع وعشرون ساعة والربانيون يجعلون مدّة الصوم خمسا وعشرين ساعة الى أن تشتبك النجوم ومن لم يصم منهم هذا الصوم قتل شرعا وهم يعتقدون أن الله يغفر لهم فيه جميع الذنوب ما خلا الزنا بالمحصنات وظلم الرجل أخاه وجحد الربوبية وفيه أيضا عيد المظلة وهو سبعة أيام يعيدون فى أولها ولا يخرجون من بيوتهم كما هو العمل يوم السبت وعدّة أيام المظلة الى آخر اليوم الثانى والعشرين تمام سبعة أيام واليوم الثامن يقال له عيد الاعتكاف وهم يجلسون فى هذه الايام السبعة التى أولها خامس عشر تشرى تحت ظلال سعف النخل الاخضر وأغصان الزيتون ونحوها من الاشجار التى لا يتناثر ورقها على الارض ويرون أن ذلك تذكار منهم لاظلال الله آباءهم فى التيه بالغمام وفيه أيضا عيد القرائين خاصة صوم فى اليوم الرابع والعشرين منه يعرف بصوم كدليا وعند الربانيين يكون هذا الصوم فى ثالثه * وشهر مرحشوان ربما كان ثلاثين يوما وربما كان تسعة وعشرين يوما وليس فيه عيد * وكسليو ربما كان ثلاثين يوما وربما كان تسعة وعشرين يوما وليس فيه عيد الا أن الربانيين يسرجون على أبوابهم ليلة الخامس والعشرين منه وهو مدّة أيام يسمونها الحنكة وهو أمر محدث عندهم * وذلك أن بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس وقتل من كان فيه من بنى اسرائيل واقتض أبكارهم فوثب عليه أولاد كاهنهم وكانوا ثمانية فقتله أصغرهم وطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا الا يسيرا وزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج فى كل ليلة الى ثمان ليال فاتخذوا هذه الايام عيدا وسموها أيام الحنكة وهى كلمة مأخوذة من التنظيف لانهم تظفوا فيها الهيكل من أقذار أشياع ذلك الجبار والقرّاء لا يعملون ذلك لانهم لا يعوّلون على شيء من أمر البيت الثانى * وشهر طيبث عدد أيامه تسعة وعشرون يوما وفى عاشره صوم سببه أنه فى ذلك اليوم كان ابتداء محاصرة بخت نصر لمدينة بيت المقدس ومحاصرة طيطش لها أيضا فى الخراب الثانى * وشفط أيامه أبدا ثلاثون يوما وليس فيه عيد * وشهر آذر عند الربانيين كما تقدم يكون مرتين فى كل سنة فآذر الاول عدد أيامه ثلاثون يوما ان كانت السنة كبيسة وان كانت بسيطة فأيامه تسعة وعشرون يوما وليس فيه عيد عندهم وآذر الثانى أيامه تسعة وعشرون يوما ابدا وفيه عند الربانيين صوم الفوز فى اليوم الثالث عشر منه والفوز فى اليوم الرابع عشر واليوم الخامس عشر وأما القرّاؤون فليس عندهم فى السنة شهر آذر سوى مرّة واحدة ويجعلون صوم الفوز فى ثالث عشره وبعده الى الخامس عشر وهذا أيضا محدث وذلك أن بخت نصر لما أجلى بنى اسرائيل من بيت المقدس وخرّبه ساقهم جلاية الى بلاد العراق وأسكنهم فى مدينة جى التى يقال لها أصبهان فلما ملك أزدشير بن بابك ملك الفرس وتسميه اليهود أحشوارش كان له وزير يسمى هيمون وكان لليهود حينئذ حبر يقال له مردوخاى فبلغ أزدشير أن له ابنة عم جميلة الصورة فتزوجها وحظيت عنده واستدنى مردوخاى ابن عمها وقرّبه فحسده الوزير هيمون وعمل على هلاكه وهلاك اليهود الذين فى مملكة أزدشير ورتب مع نوّاب أزدشير فى سائر أعماله أن يقتلوا كل يهودى عندهم فى يوم عينه لهم وهو الثالث عشر من آذر فبلغ ذلك مردوخاى فأعلم ابنة عمه بما دبره الوزير وحثها الى اعمال الحيلة فى تخلص قومها من الهلكة فأعلمت أزدشير بحسد الوزير لمردوخاى على قربه من الملك واكرامه وما كتب به الى العمال من قتل اليهود وما زالت به تغريه على الوزير الى أن أمر بقتله وقتل اهله وكتب

لليهود أماناً فاتخذ اليهود هذا اليوم من كل سنة عيداً وصاموه شكراً لله تعالى وجعلوا من بعده يومين اتخذوهما أيام فرح وسرور ولهو ويهاداة من بعضهم لبعض وهم على ذلك الى اليوم وربما صوّر بعضهم في هذا اليوم صورة هيمون الوزير وهم يسمونه هامان فاذا صوّروه ألقوه بعد العبث به في النار حتى يحترق * وشهر نيسن عدد أيامه ثلاثون يوماً أبداً وفيه عيد الفاسح الذي يعرف اليوم عند النصارى بالفسح ويكون في الخامس عشر منه وهو سبعة أيام يأكلون فيها الفطير ويتطفون بيوتهم من أجل أن الله سبحانه خلص بني اسرائيل من أسر فرعون في هذه الايام حتى خرجوا من مصر مع نبي الله موسى بن عمران عليه السلام وتبعهم فرعون فأغرقه الله ومن معه وسار موسى ببني اسرائيل الى التيه ولما خرجوا من مصر مع موسى كانوا يأكلون اللحم والخبز والفطير وهم فرحون بخلاصهم من يد فرعون فأمروا باتخاذ الفطير أكله في هذه الايام ليذكروا به ما منّ الله عليهم به من انقاذهم من العبودية وفي آخر هذه الايام السبعة كان غرق فرعون وهو عندهم يوم كبير ولا يكون أول هذا الشهر عند الربانيين أبداً يوم الاثنين ولا يوم الاربعاء ولا يوم الجمعة ويكون أول الخمسينيات من نصفه * وشهر ايار عدد أيامه تسعة وعشرون يوماً وفيه عيد الموقف وهو حج الاسابيع وهي الاسابيع التي فرضت على بني اسرائيل فيها الفرائض ويقال لهذا العيد في زمننا عيد العنصرة وعيد الخطاب ويكون بعد عيد الفطير وفيه خوطب بنو اسرائيل في طور سيناء ويكون هذا العيد في السادس منه وفيه أيضاً يوم الخميس وهو آخر الخمسينيات ولا يكون عيد العنصرة عند الربانيين أبداً يوم الثلاثاء ولا يوم الخميس ولا يوم السبت * وشهر تموز أيامه تسعة وعشرون يوماً وليس فيه عيد لكنهم يصومون في تاسعه لانّ فيه هدم سور بيت المقدس عند محاصرة بخت نصر له والربانيون خاصة يصومون يوم السابع عشر منه لانّ فيه هدم طيطش سور بيت المقدس وخرب البيت الخراب الثاني * وشهر آب ثلاثون يوماً وفيه عيد القرائين صوم في اليوم السابع واليوم العاشر لانّ بيت المقدس خرب فيهما على يد بخت نصر وفيه أيضاً كان اطلاق بخت نصر النار في مدينة القدس وفي الهيكل ويصوم الربانيون اليوم التاسع منه لانّ فيه خرب البيت على يد طيطش الخراب الثاني * وشهر أيلول تسعة وعشرون يوماً أبداً وليس فيه عيد والله تعالى أعلم

(ذكر معنى قولهم يهودي)

اعلم أن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلوات الله عليهم اجمعين سماه الله اسرائيل ومعنى ذلك الذي رأسه القادر وكان له من الولد اثنا عشر ذكراً يقال لكل واحد منهم سبط ويقال لمجموعهم الاسباط وهذه أسماؤهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويساخر وزبولون والستة أشقاء أمّهم ليا بنت لابان بن بتويل بن ناحور أخي ابراهيم الخليل وكان واشار ودان ونفتالى ويوسف وبنيامين فلما كبر هؤلاء الاسباط الاثنا عشر قدّم عليهم أبوهم يعقوب وهو اسرائيل ابنه يهوذا وجعله مقدّماً على اخوته الاحد عشر سبطاً فاستمرّ رئيساً وحاكماً على اخوته الى أن مات فورثت أولاد يهوذا رياسة الاسباط من بعده الى أن أرسل الله تعالى موسى ابن عمران بن قاهاث بن لاوى بن يعقوب الى فرعون بعد وفاة يوسف بن يعقوب عليهما السلام بمائة وأربع وأربعين سنة وهم رؤساء الاسباط فلما نجى الله موسى وقومه بعد غرق فرعون ومن معه رتب عليه السلام بني اسرائيل الاثني عشر سبطاً أربع فرق وقدّم على جميعهم سبط يهوذا فلم يزل سبط يهوذا مقدّماً على سائر الاسباط أيام حياة موسى عليه السلام وأيام حياة يوشع بن نون فلما مات يوشع سأل بنو اسرائيل الله تعالى وابتهلوا اليه في قبة الشمشار أن يقدّم عليهم واحداً منهم فجاء الوحي من الله بتقديم عثنيال بن قناز من سبط يهوذا فتقدّم على سائر الاسباط وصار بنو يهوذا مقدّمين على سائر الاسباط من حينئذ الى أن ملّك الله على بني اسرائيل نبيه داود وهو من سبط يهوذا فورث ملك بني اسرائيل من بعده ابنه سليمان بن داود عليهما السلام فلما مات سليمان افترق ملك بني اسرائيل من بعده وصار لمدينة شمرون التي يقال لها اليوم نابلس عشرة أسباط وبقي بمدينة القدس سبطان هما سبط يهوذا وسبط بنيامين وكان يقال لسكان شمرون بنو اسرائيل ويقال لسكان القدس بنو يهوذا الى أن انقرضت دولة بني اسرائيل من مدينة شمرون بعد مائتين واحدى وخمسين سنة فصاروا كلهم بالقدس تحت طاعة الملوك من بني يهوذا الى أن قدم بخت نصر وخرّب القدس وجلا جميع بني اسرائيل الى بابل فعرفوا هنالك بين الامم ببني يهوذا واستمرّ هذا اسمه لهم بين الامم بعد ذلك الى أن

جاء

جاء الله بالاسلام فكان يقال للواحد منهم يهوذى بذال معجمة نسبة الى سبط يهوذا وتلاعب العرب بذلك على عادتهم فى التلاعب بالاسماء المعجمة وقالوها بدال مهملة وسموا طائفة بنى اسرائيل اليهود وبهذه اللغة نزل القرآن ويقال ان أول من سمى بنى اسرائيل اليهود بخت نصر والله يعلم وانتم لا تعلمون

(ذكر معتقد اليهود وكيف وقع عندهم التبديل)

اعلم أن الله سبحانه لما أنزل التوراة على نبيه موسى عليه السلام ضمنها شرائع الملة الموسوية وأمر فيها أن يكتب لكل من يلى أمر بنى اسرائيل كتاب يتضمن أحكام الشريعة لينظر فيه ويعمل به وسمى هذا الكتاب بالعبرانية مشنا ومعناه استخراج الاحكام من النص الالهى وكتب موسى عليه السلام بخط يده مشنا كانه تفسير لما فى التوراة من الكلام الالهى فلما مات موسى عليه السلام وقام من بعده بأمر بنى اسرائيل يوشع بن نون ومن بعده الى أن كانت أيام يهوياقيم ملك القدس غزاهم بخت نصر الغزوة الاولى وهم يكتبون لكل من ملكهم مشنا ينقلونها من المشنا التى بخط موسى ويجعلونها باسمه فلما جلا بخت نصر يهوياقيم الملك ومعه أعيان بنى اسرائيل وكبراء بيت المقدس وهم فى زيادة على عشرة آلاف نفس ساروا ومعهم نسخ المشنا التى كتبت لسائر ملوك بنى اسرائيل بأجمعها الى بلاد المشرق فلما سار بخت نصر من بابل الكرة الثانية لغزو القدس وخربه وجلا جميع من فيه وفى بلاد بنى اسرائيل من الاسباط الاثنى عشر الى بابل أقاموا بها وبقى القدس خرابا لا ساكن فيه مدة سبعين سنة ثم عادوا من بابل بعد سبعين سنة وعمروا القدس وجددوا بناء البيت ثانيا ومعهم جميع نسخ المشنا التى خرجوا بها أولا فلما مضت من عمارة البيت الثانى بعد الجلاية ثلثمائة ونيف من السنين اختلف بنو اسرائيل فى دينهم اختلافا كثيرا فخرج طائفة من آل داود عليه السلام من بيت المقدس وساروا الى الشرق كما فعل آباؤهم أولا وأخذوا معهم نسخا من المشنا التى كتبت للملوك من مشنا موسى التى بخطه وعملوا بما فيها ببلاد الشرق من حين خرجوا من القدس الى أن جاء الله بدين الاسلام وقدم عانان رأس الجالوت من المشرق الى العراق فى خلافة أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور سنة ست وثلاثين ومائة من سنى الهجرة المحمدية * وأما الذين أقاموا بالقدس من بنى اسرائيل بعد خروج من ذكرنا الى الشرق من آل داود فانهم لم يزالوا فى افتراق واختلاف فى دينهم الى أن غزاهم طيطش وخرب القدس الخراب الثانى بعد قتل يحيى بن زكريا ورفع المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام وسبى جميع من فيه وفى بلاد بنى اسرائيل بأسرهم وغيب نسخ المشنا التى كانت عندهم بحيث لم يبق معهم من كتب الشريعة سوى التوراة وكتب الانبياء وتفرق بنو اسرائيل من وقت تخريب طيطش بيت المقدس فى أقطار الارض وصاروا ذمة الى يومنا هذا ثم ان رجلين ممن تأخر الى قبيل تخريب القدس يقال لهما شماى وهلال نزلا مدينة طبرية وكتبا كتابا سمياه مشنا باسم مشنا موسى عليه السلام وضمنا هذا المشنا الذى وضعاه أحكام الشريعة ووافقهما على وضع ذلك عدة من اليهود وكان شماى وهلال فى زمن واحد وكانا فى أواخر مدة تخريب البيت الثانى وكان لهلال ثمانون تلميذا أصغرهم يوحانان بن زكاى وأدرك يوحانان بن زكاى خراب البيت الثانى على يد طيطش وهلال وشماى أقوالهما مذكورة فى المشنا وهى فى ستة أسفار تشتمل على فقه التوراة وانما رتبها التوسى من ولد داود النبى بعد تخريب طيطش للقدس بمائة وخمسين سنة ومات شماى وهلال ولم يكملا المشنا فأكمله رجل منهم يعرف بيهوذا من ذرية هلال وحمل اليهود على العمل بما فى هذا المشنا وحقيقته انه يتضمن كثيرا مما كان فى مشنا النبى موسى عليه السلام وكثيرا من آراء أكابرهم فلما كان بعد وضع هذا المشنا بنحو خمسين سنة قام طائفة من اليهود يقال لهم السنهدرين ومعنى ذلك الاكابر ونصروا فى تفسير هذا المشنا برأيهم وعملوا عليه كتابا اسمه التلمود أخفوا فيه كثيرا مما كان فى ذلك المشنا وزادوا فيه أحكاما من رأيهم وصاروا منذ وضع هذا التلمود الذى كتبوه بأيديهم وضمنوه ما هو من رأيهم ينسبون ما فيه الى الله تعالى ولذلك ذمهم الله فى القرآن الكريم بقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وهذا التلمود نسختان مختلفتان فى الاحكام والعمل الى اليوم على هذا التلمود عند فرقة الربانيين بخلاف القرائين فانهم لا يعتقدون العمل بما فى هذا التلمود فلما قدم عانان رأس

الجالوت الى العراق انكر على اليهود عملهم بهذا التلمود وزعم أن الذى بيده هو الحق لانه كتب من النسخ التى
كتبت من مشنا موسى عليه السلام الذى بخطه والطائفة الربانيون ومن وافقهم لايعولون من التوراة
التى بأيديهم الا على مافى هذا التلمود وماخالف مافى التلمود لايعبأون به ولا يعولون عليه كما اخبر تعالى اذ يقول
حكاية عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ومن اطلع على ما بأيديهم وما عندهم
من التوراة تبين له انهم ليسوا على شئ وأنهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولذلك لما نبغ فيهم موسى
ابن ميمون القرطبى عولوا على رأيه وعملوا بما فى كتاب الدلالة وغيره من كتبه وهم على رأيه الى زمننا

(ذكر فرق اليهود الآن)

اعلم أن اليهود الذين قطعهم الله فى الارض أمما أربع فرق كل فرقة تخطئ الطوائف الاخر وهى طائفة الربانيين
وطائفة القرائين وطائفة العانانية وطائفة السمرة وهذا الاختلاف حدث لهم بعد تخريب بخت نصر بيت
المقدس وعودهم من أرض بابل بعد الجلاية الى القدس وعمارة البيت ثانيا وذلك انهم فى اقامتهم بالقدس
أيام العمارة الثانية افترقوا فى دينهم وصاروا شيعا فلما ملكهم اليونان بعد الاسكندر بن فيلبس وقام
بأمرهم فى القدس هورقانوس بن شمعون بن مشيشا واستقام أمره فسمى ملكا وكان قبل ذلك هو وجميع
من تقدمه ممن ولى أمر اليهود فى القدس بعد عودهم من الجلاية انما يقال له الكوهن الاكبر فاجتمع
لهورقانوس منزلة الملك ومنزلة الكهونية واطمأن اليهود فى أيامه وامنوا سائر أعدائهم من الامم فبطروا
معيشتهم واختلفوا فى دينهم وتعادوا بسبب الاختلاف وكان من جملة فرقهم اذ ذاك طائفة يقال لها الفروشيم
ومعناه المعتزلة ومن مذهبهم القول بما فى التوراة على معنى ما فسره الحكماء من أسلافهم وطائفة يقال لهم
الصدوقية بفاء نسبوا الى كبير لهم يقال له صدوف ومذهبهم القول بنص التوراة وما دل عليه القول الالهى
فيها دون ما عداه من الاقوال وطائفة يقال لهم الجسديم ومعناه الصلحاء ومذهبهم الاشتغال بالنسك وعبادة
الله سبحانه والاخذ بالافضل والاسلم فى الدين وكانت الصدوقية تعادى المعتزلة عداوة شديدة وكان الملك
هورقانوس أولا على رأى المعتزلة وهو مذهب آبائه ثم انه رجع الى مذهب الصدوقية وباين المعتزلة وعاداهم
ونادى فى سائر مملكته بمنع الناس جملة من تعلم رأى المعتزلة والاخذ عن أحد منهم وتتبعهم وقتل منهم كثيرا
وكانت العامة بأسرها مع المعتزلة فثارت الشرور بين اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضا
الى أن خرب البيت على يد طيطش الخراب الثانى بعد رفع عيسى صلوات الله عليه وتفرق اليهود من حينئذ
فى أقطار الدنيا وصاروا أذلة والنصارى تقتلهم حيثما ظفرت بهم الى أن جاء الله بالملة الاسلامية وهم فى تفرقهم
ثلاث فرق الربانيون والقراء والسمرة *(فأما الربانية) فيقال لهم بنو مشنو ومعنى مشنو الثانى وقيل لهم ذلك
لانهم يعتبرون أمر البيت الذى بنى ثانيا بعد عودهم من الجلاية وخربه طيطش وينزلونه فى الاحترام والاكرام
والتعظيم منزلة البيت الاول الذى ابتدأ عمارته داود وأتمها ابنه سليمان عليهما السلام وخربه بخت نصر
فصار كأنه يقال لهم أصحاب الدعوة الثانية وهذه الفرقة هى التى كانت تعمل بما فى المشنا الذى كتب
بطبريه بعد تخريب طيطش القدس وتعول فى أحكام الشريعة على ما فى التلمود الى هذا الوقت الذى نحن
فيه وهى بعيدة عن العمل بالنصوص الالهية متبعة لآراء من تقدمها من الاحبار ومن اطلع على حقيقة
دينها تبين له أن الذى ذمهم الله به فى القرآن الكريم حق لا مرية فيه وانه لا يصح لهم من اسم اليهودية الا مجرد
الانتماء فقط لا انهم فى الاتباع على الملة الموسوية لاسيما منذ ظهر فيهم موسى بن ميمون القرطبى بعد الخمسمائة
من سنى الهجرة المحمدية فانه ردهم مع ذلك معطلة فصاروا فى أصول دينهم وفروعه أبعد الناس عما جاء به
أنبياء الله تعالى من الشرائع الالهية *(وأما القراء) فانهم بنو مقرا ومعنى مقرا الدعوة وهم لا يعولون
على البيت الثانى جملة ودعوتهم انما هى لما كان عليه العمل مدة البيت الاول وكان يقال لهم أصحاب الدعوة
الاولى وهم يحكمون نصوص التوراة ولا يلتفتون الى قول من خالفها ويقفون مع النص دون تقليد من سلف
وهم مع الربانيين من العداوة بحيث لا يكاد يكون ولا يتجاورون ولا يدخل بعضهم كنيسة بعض ويقال للقرائين
أيضا ٢ المبادية لانهم كانوا يعملون مبادى الشهور من الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر ويقال لهم أيضا

٢ قوله المبادية هكذا فى بعض النسخ وهو الصواب بدليل ما بعده خلافا لما سبق فى صحيفة ٤٧٢ من انه الميلادية والعذر تحريف نسخ الاصل اهـ مصححه

الاسمعية

الاسمعية لانهم يراعون العمل بنصوص التوراة دون العمل بالقياس والتقليد * (وأما العانانية) * فانهم ينسبون الى عانان رأس الجالوت الذى قدم من المشرق فى أيام الخليفة أبى جعفر المنصور ومعه نسخ المشنا الذى كتب من الخط الذى كتب من خط النبى موسى وانه رأى ماعليه اليهود من الربانيين والقرائين يخالف مامعه فتحيز دخلافهم وطعن عليهم فى دينهم وازدرى بهم وكان عظيما عندهم يرون انه من ولد داود عليه السلام وعلى طريق فاضلة من النسك على مقتضى ملتهم بحيث يرون انه لوظهر فى أيام عمارة البيت لكان نبيا ظم يقدروا على مناظرته لماوقع مع ماذكرنا من تقريب الخليفة له واكرامه وكان مماخالف فيه اليهود استعمال الشهور برؤية الاهلة على مثل ماشرع فى الملة الاسلامية ولم يبال فى أى يوم وقع من الاسبوع وترك حساب الربانيين وكبس الشهور وخطأهم فى العمل بذلك واعتمد على كشف زرع الشعير وأجمل القول فى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وأثبت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال هونبى أرسل الى العرب الاأن التوراة لم تنسخ والحق انه أرسل الى الناس كافة صلى الله عليه وسلم * (ذكر السمرة) * اعلم أن طائفة السمرة ليسوا من بنى اسرائيل البتة وانما هم قوم قدموا من بلاد المشرق وسكنوا بلاد الشام وتهودوا ويقال انهم من بنى سامرك بن كفركا بن رمى وهوشعب من شعوب الفرس خرجوا الى الشام ومعهم الخيل والغنم والابل والقسى والنشاب والسيوف والمواشى ومنهم السمرة الذين تفرقوا فى البلاد ويقال ان سليمان بن داود لما مات افترق ملك بنى اسرائيل من بعده فصار رحبعم بن سليمان على سبط يهودا بالقدس وملك يربعم بن نباط على عشرة اسباط من بنى اسرائيل وسكن خارجا عن القدس واتخذ عجلين دعا الاسباط العشرة الى عبادتهما من دون الله الى أن مات فولى ملك بنى اسرائيل من بعده عدة ملوك على مثل طريقته فى الكفر بالله وعبادة الاوثان الى أن ملكهم عمرى بن نوذب من سبط منشا بن يوسف فاشترى مكانا من رجل اسمه شامر بقنطار فضة وبنى فيه قصرا وسماه باسم اشتقه من اسم شامر الذى اشترى منه المكان وصير حول هذا القصر مدينة وسماها مدينة شمرون وجعلها كرسى ملكه الى أن مات فاتخذها ملوك بنى اسرائيل من بعده مدينة للملك ومازالوا فيها الى أن ولى هوشاع بن ايلا وهم على الكفر بالله وعبادة وثن بعل وغيره من الاوثان مع قتل الانبياء الى أن سلط الله عليهم سنجاريب ملك الموصل فحاصرهم بمدينة شمرون ثلاث سنين وأخذ هوشاع أسيرا وجلاء ومعه جميع من فى شمرون من بنى اسرائيل وأنزلهم بهراه وبلخ ونهاوند وحلوان فانقطع من حينئذ ملك بنى اسرائيل من مدينة شمرون بعد ماملكوا من بعد سليمان عليه السلام مدة مائتى سنة واحدى وخمسين سنة ثم ان سنجاريب ملك الموصل نقل الى شمرون كثيرا من أهل كوشا وبابل وحماه وأنزلهم فيها ليعمروها فبعثوا اليه يشكون من كثرة هجوم الوحش عليهم بشمرون فسير اليهم من علمهم التوراة فتعلموها على غير مايجب وصاروا يقرؤنها ناقصة أربعة أحرف الالف والهاء والحاء والعين فلا ينطقون بشئ من هذه الاحرف فى قراءتهم التوراة وعرفوا بين الامم بالسامرة لسكناهم بمدينة شمرون وشمرون هذه هى مدينة نابلس وقيل لها سمرون بسين مهملة ولسكانها سامرة ويقال معنى السمرة حفظة ونواطير فلم تزل السمرة بنابلس الى أن غزا بخت نصر القدس وأجلى اليهود منه الى بابل ثم عادوا بعد سبعين سنة وعمروا البيت ثانيا الى أن قام الاسكندر من بلاد اليونان وخرج يريد غزو الفرس فنزل على القدس وخرج منه يريد عمان فاجتاز على نابلس وخرج اليه كبير السمرة بها وهو سنبلاط السامرى فأنزله وصنع له ولقواده وعظماء أصحابه صنيعا عظيما وحمل اليه أموالا جمة وهدايا جليلة واستأذنه فى بناء هيكل لله على الجبل الذى يسمى عندهم طور بريك فأذن له وسار عنه الى محاربة دارا ملك الفرس فبنى سنبلاط هيكلا شبيها بهيكل القدس ليستميل به اليهود وموه عليهم بأن طور بريك هو الموضع الذى اختاره الله تعالى وذكره فى التوراة بقوله فيها اجعل البركة على طور بريك وكان سنبلاط قد زوج ابنته بكاهن من كهان بيت المقدس يقال له منشا فنقمت اليهود منشا على ذلك وأبعدوه وحطوه عن مرتبته عقوبة له على مصاهرة سنبلاط فأقام سنبلاط منشا زوج ابنته كاهنا فى هيكل طور بريك وأتته طوائف من اليهود وضلوا به وصاروا يحجون الى هيكله فى الاعياد ويقربون قرابينهم اليه ويحملون اليه نذورهم وأعشارهم وتركوا قدس الله وعدلوا عنه فكثرت الاموال فى هذا الهيكل وصار ضد البيت المقدس

واستغنى كهنته وخدامه وعظم أمر منشا وكبرت حالته فلم تزل هذه الطائفة تحج الى طور بريك حتى كان زمن هورقانوس بن شمعون الكوهن من بنى حشمناى فى بيت المقدس فسار الى بلاد السمرة ونزل على مدينة نابلس وحصرها مدة وأخذها عنوة وخرب هيكل طور بريك الى أساسه وكانت مدة عمارته مائتى سنة وقتل من كان هنالك من الكهنة فلم تزل السمرة بعد ذلك الى يومنا هذا تستقبل فى صلاتها حيثما كانت من الارض طور بريك بجبل نابلس ولهم عبادات تخالف ماعليه اليهود ولهم كنائس فى كل بلد تخصهم والسمرة ينكرون نبوة داود ومن تلاه من الانبياء وأبوا أن يكون بعد موسى عليه السلام نبى وجعلوا رؤساءهم من ولد هارون عليه السلام واكثرهم يسكن فى مدينة نابلس وهم كثير فى مدائن الشام ويذكر أنهم الذين يقولون لامساس ويزعمون أن نابلس هى بيت المقدس وهى مدينة يعقوب عليه السلام وهنالك مراعيه * وذكر المسعودى أن السمرة صنفان متباينان أحدهما يقال له الكوشان والآخر الروشان أحد الصنفين يقول بقدم العالم والسامرة تزعم أن التوراة التى فى ايدى اليهود ليست التوراة التى أوردها موسى عليه السلام ويقولون توراة موسى حرفت وغيرت وبدلت وان التوراة هى ما بأيديهم دون غيرهم * وذكر أبو الريحان محمد بن احمد البيرونى أن السامرة تعرف بالاسامسة قال وهم الابدال الذين بدلهم بخت نصر بالشام حين أسر اليهود وأجلاها وكانت السامرة أعانوه ودلوه على عورات بنى اسرائيل فلم يحربهم ولم يقتلهم ولم يسبهم وأنزلهم فلسطين من تحت يده ومذاهبهم ممتزجة من اليهودية والمجوسية وعامتهم يكونون بموضع من فلسطين يسمى نابلس وبها كنائسهم ولايدخلون حد بيت المقدس منذ أيام داود النبى عليه السلام لانهم يدعون انه ظلم واعتدى وحول الهيكل المقدس من نابلس الى ايليا وهو بيت المقدس ولا يمسون الناس واذا مسوهم اغتسلوا ولا يقرون بنبوة من كان بعد موسى عليه السلام من انبياء بنى اسرائيل * وفى شرح الانجيل ان اليهود انقسمت بعد أيام داود الى سبع فرق *(الكتاب)* وكانوا يحافظون على العادات التى اجمع عليها المشايخ مما ليس فى التوراة *(والمعتزلة)* وهم الفريسيون وكانوا يظهرون الزهد ويصومون يومين فى الاسبوع ويخرجون العشر من أموالهم ويجعلون خيوط القرمز فى رؤس ثيابهم ويغسلون جميع أوانيهم ويبالغون فى اظهار النظافة *(والزنادقة)* وهم من جنس السامرة وهم من الصدوقية فيكفرون بالملائكة والبعث بعد الموت وبجميع الانبياء ماخلا موسى فقط فانهم يقرون بنبوته *(والمتطهرون)* وكانوا يغتسلون كل يوم ويقولون لايستحق حياة الابد الا من يتطهر كل يوم *(والاسايون)* ومعناه الغلاظ الطباع وكانوا يوجبون جميع الاوامر الالهية وينكرون جميع الانبياء سوى موسى عليه السلام ويتعبدون بكتب غير الانبياء *(والمتقشفون)* وكانوا يمنعون اكثر المآكل وخاصة اللحم ويمنعون من التزوج بحسب الطاقة ويقولون بأن التوراة ليست كلها لموسى و يتمسكون بصحف منسوبة الى اخنوخ وابراهيم عليه السلام وينظرون فى علم النجوم ويعملون بها *(والهيرذوسيون)* سموا انفسهم بذلك لموالاتهم هيرذوس ملكهم وكانوا يتبعون التوراة ويعملون بما فيها انتهى * وذكر يوسف بن كريون فى تاريخه أن اليهود كانوا فى زمن ملكهم هورقانوس يعنى فى زمن بناء البيت بعد عودهم من الجلاية ثلاث فرق * الفروشيم ومعناه المعتزلة ومذهبهم القول بما فى التوراة وما فسره الحكماء من سلفهم * والصدوقية أصحاب رجل من العلماء يقال له صدوف ومذهبهم القول بنص التوراة ومادلت عليه دون غيره * والجسديم ومعناه الصلحاء وهم المشتغلون بالعبادة والنسك الآخذون فى كل أمر بالافضل والاسلم فى الدين انتهى وهذه الفرقة هى أصل فرقتى الربانيين والقراء *(فصل)* زعم بعضهم أن اليهود عانانية وشمعونية نسبة الى شمعون الصديق ولى القدس عند قدوم أبى الاسكندر وجالوتية وفيومية وسامرية وعكبرية وأصبهانية وعراقية ومغاربة وشرشتانية وفلسطينية ومالكية وربانية * فالعانانية تقول بالتوحيد والعدل ونفى التشبيه * والشمعونية تشبه * وتبالغ الجالوتية فى التشبيه * وأما الفيومية فانها تنسب الى أبى سعيد الفيومى وهم يفسرون التوراة على الحروف المقطعة * والسامرية ينكرون كثيرا من شرائعهم ولا يقرون بنبوة من جاء بعد يوشع * والعكبرية أصحاب أبى موسى البغدادى العكبرى واسماعيل العكبرى يخالفون أشياء من السبت وتفسير التوراة * والاصبهانية اصحاب أبى عيسى الاصبهانى وادعى النبوة وانه عرج به الى السماء فمسح الرب على رأسه وانه رأى محمدا صلى

قوله فالعانانية الخ لم يذكر فى النشر المغاربة كما ذكرهم فى الاف وليحرر اه مصححه

الله عليه وسلم فآمن به ويزعم يهود أصبهان انه الدجال وانه يخرج من ناحيتهم * والعراقية تخالف الخراسانية في أوقات أعيادهم ومدد أيامهم * والشرشتانية أصحاب شرشتان زعم أنه ذهب من التوراة ثمانون سورة أي آية وادّعى أن للتوراة تأويلا باطنا مخالفا للظاهر * وأما يهود فلسطين فزعموا أن العزير ابن الله تعالى وأنكر اكثر اليهود هذا القول * والمالكية تزعم أن الله تعالى لا يحيي يوم القيامة من الموتى الا من احتج عليه بالرسل والكتب ومالك هذا هو تلميذ عانان * والربانية تزعم أن الحائض اذا مست ثوبا بين ثياب وجب غسل جميعها * والعراقية تعمل رؤس الشهور بالاهلة وآخرون بالحساب يعملون والله اعلم * (فصل) وهم يوجبون الايمان بالله وحده وبموسى عليه السلام وبالتوراة ولا بد لهم من درسها وتعلمها ويغتسلون ويتوضؤن ولا يمسحون رؤسهم في وضوئهم ويبدؤن بالرجل اليسرى وفي شيء منه خلاف بينهم وعانان يرى أن الاستنجاء قبل الوضوء ويرى اشمعث أن الاستنجاء بعد الوضوء ولا يتوضؤن بما تغير لونه أو طعمه أو ريحه ولا يجيزون الطهارة من غدير مالم يكن عشرة أذرع في مثلها والنوم قاعدا لا ينقض الوضوء عندهم مالم يضع جنبه الارض الا العانانية فان مطلق النوم عندهم ينقض ومن أحدث في صلاته من قيء أو رعاف أو ريح انصرف وتوضأ وبنى على صلاته ولا تجوز صلاة الرجل في اقل من ثلاثة أثواب قميص وسراويل وملاءة يتردى بها فان لم يجد الملاءة صلى بالساق فان لم يجد القميص والسراويل صلى بقلبه ولا تجوز صلاة المرأة في اقل من أربعة أثواب وعليهم فريضة ثلاث صلوات في اليوم والليلة عند الصبح وبعد الزوال الى غروب الشمس ووقت العتمة الى ثلث الليل ويسجدون في دبر كل صلاة سجدة طويلة وفي يوم السبت وأيام الاعياد يزيدون خمس صلوات على تلك الثلاث * ولهم خمسة أعياد * (عيد الفطير) وهو الخامس عشر من نيسن يقيمون سبعة أيام لا يأكلون سوى الفطير وهي الايام التي تخلصوا فيها من فرعون وأغرقه الله * (وعيد الاسابيع) بعد الفطير بسبعة أسابيع وهو اليوم الذي كلم الله تعالى فيه بني اسرائيل من طور سيناء * (وعيد رأس الشهر) وهو أول تشري وهو الذي فدي فيه اسحاق عليه السلام من الذبح ويسمونه عيد رأس هشانا أي رأس الشهر * (وعيد صوماريا) يعني الصوم العظيم * (وعيد المظلة) يستظلون سبعة أيام بقضبان الآس والخلاف * ويجب عليهم الحج في كل سنة ثلاث مرات لما كان الهيكل عامرا * ويوجبون صوم أربعة أيام * أولها سابع عشر تموز من الغروب الى الغروب وعند العانانية هو اليوم الذي أخذ فيه بخت نصر البيت * والثاني عاشر آب * والثالث عاشر كانون الاول * والرابع ثالث عشر آذار * ويتشددون في أمر الحائض بحيث يعتزلونها وثيابها وأوانيها وما مسته من شيء فانه ينجس ويجب غسله فان مست لحم القربان أحرق بالنار ومن مسها أو شيأ من ثيابها وجب عليه الغسل وما عجنته أو خبزته أو طبخته أو غسلته فكله نجس حرام على الطاهرين حل للعيض ومن غسل ميتا نجس سبعة أيام لا يصلي فيها وهم يغسلون موتاهم ولا يصلون عليهم * ويوجبون اخراج العشر من جميع ما يملك ولا يجب حتى يبلغ وزنه أو عدده مائة ولا يخرج العشر الا مرة واحدة ثم لا يعاد اخراجه * ولا يصح النكاح عندهم الا بولي وخطبة وثلاثة شهود ومهر مائتي درهم للبكر ومائة للثيب لا أقل من ذلك ويحضر عند عقد النكاح كأس خمر وباقة مرسين فيأخذ الامام الكأس ويبارك عليه ويخطب خطبة النكاح ثم يدفعه الى الختن ويقول قد تزوجت فلانة بهذه الفضة أو بهذا الذهب وهو خاتم في يده وبهذا الكأس من الخمر وبمهر كذا ويشرب جرعة من الخمر ثم ينهضون الى المرأة ويأمرونها أن تأخذ الخاتم والمرسين والكأس من يد الختن فاذا أخذت وشربت جرعة وجب عقد النكاح ويضمن أولياء المرأة البكارة فاذا زفت اليه وكل الولي من يقف بباب الخلوة وقد فرشت ثياب بيض حتى يشاهد الوكيل الدم فان لم توجد بكرا رجمت ولا يجوز عندهم نكاح الاماء حتى يعتقن ثم ينكحن والعبد يعتق بعد خدمته لسنين معلومة وهي ست سنين ومنهم من يجوز بيع صغار أولاده اذا احتاج ولا يجوزون الطلاق الا بفاحشة أو سحر أو رجوع عن الدين وعلى من طلق خمسة وعشرون درهما البكر ونصف ذلك الثيب ويترك في كتابها طلاقها بعد أن يقول الزوج أنت طالق مني مائة مرة ومخلعة مني وفي سعة أن تتزوجي من شئت ولا يقع طلاق الحامل أبدا ثم الا أن يجوزوه ويراجع الرجل امرأته مالم تتزوج فان تزوجت حرمت عليه الى الابد * والخيار بين المتبايعين مالم ينقل المبيع الى البائع * والحدود عندهم على خمسة أوجه سرق ورجم وقتل وتعزير وتغريم فالحرق على من زنى بام امرأته أو ربيبته أو بامرأة أبيه

أو امرأة ابنه والقتل على من قتل والرجم على المحصن اذا زنى أو لاط وعلى المرأة اذا مكنت من نفسها بهيمة والتعزير على من قذف والتغريم على من سرق ويرون أن البينة على المدعى واليمين على من انكر وعندهم أن من اتى بشئ من سبعة وثلاثين عملا فى يوم السبت أولليته استحق القتل وهى كرب الارض وزرعها وحصاد الزرع وسياقة الماء الى الزرع وحلب اللبن وكسر الحطب واشعال النار وعجن العجين وخبزه وخياطة الثوب وغسله ونسج سلكين وكتابة حرفين أونحوهما واخذ الصيد وذبح الحيوان والخروج من القرية والانتقال من بيت الى آخر والبيع والشراء والدق والطحن والاحتطاب وقطع الخبز ودق اللحم واصلاح النعل اذا انقطعت وخلط علف الدابة ولايجوز للكاتب أن يخرج يوم السبت من منزله ومعه قلمه ولا الخياط ومعه ابرته وكل من عمل شيأ استحق به القتل فلم يسلم نفسه فهو ملعون

قوله سبعة وثلاثين هكذا فى النسخ ولعل صوابه سبعة وعشرين ليوافق التفصيل بعده تأمل اهـ مصححه

* (ذكر قبط مصر وديانتهم القديمة وكيف تنصروا ثم صاروا ذمة للمسلمين وما كان لهم فى ذلك من القصص والانباء وذكر الخبر عن كنائسهم وديارتهم وكيف كان ابتداؤها ومصير أمرها) *

اعلم أن جميع أهل الشرائع اتباع الانبياء عليهم السلام من المسلمين واليهود والنصارى قد أجمعوا على أن نوحا عليه السلام هو الاب الثانى للبشر وأن العقب من آدم عليه السلام انحصر فيه ومنه ذرأ الله تعالى جميع أولاد آدم فليس أحد من بنى آدم الا وهو من أولاد نوح وخالفت القبط والمجوس وأهل الهند والصين ذلك فانكروا الطوفان وزعم بعضهم أن الطوفان انما حدث فى اقليم بابل وماوراءه من البلاد الغربية فقط وان اولاد كيومرت الذى هو عندهم الانسان الاوّل كانوا بالبلاد الشرقية من بابل فلم يصل الطوفان اليهم ولا الى الهند والصين والحق ماعليه أهل الشرائع وأن نوحا عليه السلام لما أنجاه الله ومن معه بالسفينة نزل بهم وهم ثمانون رجلا سوى أولاده فماتوا بعد ذلك ولم يعقبوا وصار العقب من نوح فى أولاده الثلاثة ويؤيد هذا قول الله تعالى عن نوح وجعلنا ذريته هم الباقين وكان من خبر ذلك أن أولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافث اقتسموا الارض * فصار لبنى سام بن نوح أرض العراق وفارس الى الهند ثم الى حضرموت وعمان والبحرين وعالج ويبرين ووبار والدو والدهنا وجميع أرض اليمن وأرض الحجاز * وصار لبنى حام بن نوح جنوب الارض ممايلى أرض مصر مغربا الى بلاد المغرب الاقصى * وصار لبنى يافث بن نوح بحر الخزر مشرقا الى الصين * فكان من ذرية سام بن نوح القضاعيون والفرس والسريانيون والعبرانيون والعرب المستعربة والنبط وعاد وثمود والامورانيون والعماليق وأمم الهند وأهل السند وعدة امم قد بادت وكانت ذرية حام بن نوح من أربعة أولاده الذين هم كوش ومصرايم وقط وكنعان فمن كوش الحبشة والزنج ومن مصرايم قبط مصر والنوبة ومن قط الافارقة اهل افريقية ومن جاورهم الى المغرب الاقصى ومن كنعان أمم كانت بالشام حاربهم موسى بن عمران عليه السلام وقومه من بنى اسرائيل ومنهم أجناس عديدة من البربر درجوا * وكانت مساكن بنى حام من صيدا الى أرض مصر ثم الى آخر افريقية نحو البحر المحيط وانتشروا فيما بين ذلك الى الجنوب وهم ثلاثون جنسا * وكان من ذرية يافث بن نوح الصقلب والفرنجة والغاليون من قبائل الروم والغوط وأهل الصين وقوم عرفوا بالمادنيين واليونانيون والروم الفريقيون وقبائل الاتراك ويأجوج ومأجوج وأهل قبرس ورودس وعدة بنى يافث خمسة عشر جنسا سكنوا القطر الشمالى الى البحر المحيط فضاقت بهم بلادهم ولم تسعهم لكثرتهم فخرجوا منها وتغلبوا على كثير من بلاد بنى سام بن نوح * وذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب أن القبط تنسب الى قبطيم بن مصرايم بن مصر بن حام بن نوح وان قبطيم أوّل من عمل العجائب بمصر وأثار بها المعادن وشق الانهار لما ولى أرض مصر بعد أبيه مصرايم وانه لحق ببلبلة الالسن وخرج منها وهو يعرف اللغة القبطية وأنه ملك مدة ثمانين سنة ومات فاغتم لموته بنوه وأهله ودفنوه فى الجانب الشرقى من النيل بسرب تحت الجبل الكبير فقام من بعده فى ملك مصر ابنه قفطيم بن قبطيم وزعم بعض النسابة أن مصر بن حام بن نوح ويقال له مصرايم ويقال بل مصريم بن هرمس بن هردوس جد الاسكندر وقيل بل قفط بن حام بن نوح نكح بحت بنت يتاويل بن ترسل ابن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبط أبا قبط مصر قال ابن اسحاق ومن ههنا قالوا ان مصر بن حام بن نوح وانما هو مصر بن هرمس بن هردوس بن ميطون بن رومى بن ليطى بن يونان وبه سميت مصر فهى مقدونية وقيل القبط

من

من ولد قبط بن مصر بن قفط بن سام بن نوح وبمصر هذا سميت مصر

ذكر ديانة القبط قبل تنصرهم

اعلم أن قبط مصر كانوا فى غابر الدهر أهل شرك بالله يعبدون الكواكب ويقربون لها قرابينهم ويقيمون على أسمائها التماثيل كما هى أفعال الصابئة وذكر ابن وصيف شاه أن عبادة الاصنام أول ما عرفت بمصر أيام قفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وذلك أن ابليس أثار الاصنام التى غرّقها الطوفان وزين للقبط عبادتها وان البودشير بن قبطيم أول من تكهن وعمل بالسحر وان مناوش بن منقاوش أول من عبد البقر من أهل مصر وذكر الموفق أحمد بن أبى القاسم بن خليفة المعروف بابن أبى اصيبعة انه كان للقبط مذهب مشهور من مذاهب الصابئة ولهم هياكل على أسماء الكواكب يحج اليها الناس من أقطار الارض وكانت الحكماء والفلاسفة ممن سواهم تتهافت عليهم وتريد التقرب اليهم لما كان عندهم من علوم السحر والطلسمات والهندسة والنجوم والطب والحساب والكيمياء ولهم فى ذلك أخبار كثيرة وكانت لهم لغة يختصون بها وكانت خطوطهم ثلاثة أصناف خط العامة وخط الخاصة وهو خط الكهنة المختصر وخط الملوك وقال ابن وصيف شاه كانت كهنة مصر اعظم الكهان قدرا وأجلها علما بالكهانة وكانت حكماء اليونانيين تصفهم بذلك وتشهد لهم به فيقولون اخبرنا حكماء مصر بكذا وكذا وكانوا ينحون بكهانتهم نحو الكواكب ويزعمون انها هى التى تفيض عليهم العلوم وتخبرهم بالغيوب وهى التى تعلمهم أسرار الطوالع وصفة الطلاسم وتدلهم على العلوم المكتومة والاسماء الجليلة المخزونة فعملوا الطلسمات المشهورة والنواميس الجليلة وولدوا الاشكال الناطقة وصوّروا الصور المتحركة وبنوا العالى من البنيان وزبروا علومهم فى الحجارة وعملوا من الطلسمات ما دفعوا به الاعداء عن بلادهم فحكمهم باهرة وعجائبهم ظاهرة وكانت أرض مصر خمسا وثمانين كورة منها اسفل الارض خمس وأربعون كورة ومنها بالصعيد أربعون كورة وكان فى كل كورة رئيس من الكهنة وهم السحرة وكان الذى يتعبد منهم للكواكب السبعة السيارة سبع سنين يسمونه باهر والذى يتعبد منهم لها تسعا وأربعين سنة لكل كوكب سبع سنين يسمونه قاطر وهذا يقوم له الملك اجلالا ويجلسه معه الى جانبه ولا يتصرّف الا برأيه وتدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصنائع فيقفون حذاء القاطر وكان كل كاهن منهم يتفرد بخدمة كوكب من الكواكب السبعة السيارة لا يتعدّاه الى سواه ويدعى بعبد ذلك الكوكب فيقال عبد القمر عبد عطارد عبد الزهرة عبد الشمس عبد المريخ عبد المشترى عبد زحل فاذا وقفوا جميعا قال القاطر لاحدهم أين صاحبك اليوم فيقول فى برج كذا ودرجة كذا ودقيقة كذا ثم يقول للآخر كذلك فيجيبه حتى يأتى على جميعهم ويعرف أماكن الكواكب من فلك البروج ثم يقول للملك ينبغى أن تعمل اليوم كذا أو تأكل كذا أو تجامع فى وقت كذا أو تركب وقت كذا الى آخر ما يحتاج اليه والكاتب قائم بين يديه يكتب ما يقول ثم يلتفت القاطر الى أهل الصناعات ويخرجهم الى دار الحكمة فيضعون أيديهم فى الاعمال التى يصلح عملها فى ذلك اليوم ثم يؤرخ ما جرى فى ذلك اليوم فى صحيفة وتخزن فى خزائن الملك وكان الملك اذا اهمه أمر جمع الكهان خارج مدينة منف وقد اصطف الناس لهم بشارع المدينة ثم يدخل الكهان ركبانا على قدر مراتبهم والطبل بين أيديهم وما منهم الا من أظهر أعجوبة قد عملها فمنهم من بوجهه نور كهيئة نور الشمس لا يقدر أحد على النظر اليه ومنهم من على بدنه جواهر مختلفة الالوان قد نسجت على ثوب ومنهم من يتوشح بحيات عظيمة ومنهم من يعقد فوقه قبة من نور الى غير ذلك من بديع أعمالهم ويصيرون كذلك الى حضرة الملك فيخبرهم بما نزل به فيعملون رأيهم فيه حتى يتفقوا على ما يصرفونه به وهذا أعزك الله من خبرهم لما كان الملك فيهم فلما استولت العماليق على ملك مصر وملكتها الفراعنة ثم تداولتها من بعدهم أجناس أخر تناقصت علوم القبط شيأ بعد شئ الى أن تنصروا فغادروا عوائد أهل الشرك واتبعوا ما أمروا به من دين النصرانية كما ستقف عليه تلو هذا ان شاء الله تعالى

ذكر دخول قبط مصر فى دين النصرانية

اعلم أن النصارى اتباع عيسى نبى الله ابن مريم عليه السلام سموا نصارى لانهم ينتسبون الى قرية الناصرة من

بجبل الجليل بالجيم ويعرف هذا الجبل بجبل كنعان وهو الآن فى زمننا من جملة معاملة صفد والاصل فى تسميتهم نصارى أن عيسى ابن مريم عليه السلام لما ولدته أمه مريم ابنة عمران ببيت لحم خارج مدينة بيت المقدس ثم سارت به الى أرض مصر وسكنتها زمانا ثم عادت به الى أرض بنى اسرائيل قومها نزلت قرية الناصرة فنشأ عيسى بها وقيل له يسوع الناصرى فلما بعثه الله تعالى رسولا الى بنى اسرائيل وكان من شأنه ما سنراه الى أن رفعه الله اليه تفرق الحواريون وهم الذين آمنوا به فى أقطار الارض يدعون الناس الى دينه فنسبوا الى ما نسب اليه نبيهم عيسى ابن مريم وقيل لهم الناصرية ثم تلاعب العرب بهذه الكلمة وقالوا نصارى • قال ابن سيده ونصرى وناصرة ونصورية قرية بالشام والنصارى منسوبون اليها هذا قول أهل اللغة وهو ضعيف الا أن نادر النسب يسعه وأما سيبويه فقال أما النصارى فذهب الخليل الى انه جمع نصرى ونصران كما قالوا ندمان وندامى ولكنهم حذفوا احدى الياءين كما حذفوا من أثفية وأبدلوا مكانها ألفا قال وأما الذى نوجهه نحن عليه فانه جاء على نصران لانه قد تكلم به فكأنك جمعت وقلت نصارى كما قلت ندامى فهذا أقيس والاول مذهب وانما كان أقيس لانا لم نسمعهم قالوا نصرى والتنصر الدخول فى دين النصرانية ونصره جعله كذلك والانصر الاقلف وهو من ذلك لان النصارى قلف وفى شرح الانجيل أن معنى قرية ناصرة الجديدة والنصرانية التجدد والنصرانى المجدد وقيل نسبوا الى نصران وهو من أبنية المبالغة ومعناه أن هذا الدين فى غير عصابة صاحبه فهو دين من ينصره من أتباعه • واذا تقرر هذا فاعلم أن المسيح روح الله وكلمته ألقاها الى مريم هو (عيسى) وأصل اسمه بالعبرانية التى هى لغة امه وابائها انما هو يا شوع وسمته النصارى يسوع وسماه الله تعالى وهو أصدق القائلين عيسى ومعنى يسوع فى اللغة السريانية المخلص قاله فى شرح الانجيل ونعته بالمسيح وهو الصديق وقيل لانه كان لا يمسح بيده صاحب عاهة الا برأ وقيل لانه كان يمسح رؤس اليتامى وقيل لانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه عند ولادته صونا له من مس الشيطان وقيل المسيح اسم مشتق من المسيح أى الدهن لان روح القدس قام بجسد عيسى مقام الدهن الذى كان عند بنى اسرائيل يمسح به الملك ويمسح به الكهنوت وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه أمسح الرجلين ليس لرجليه أخمص وقيل لانه يمسح الارض بسياحته لا يستوطن مكانا وقيل هى كلمة عبرانية أصلها ماسيح فتلاعبت بها العرب وقالت مسيح • وكان من خبره عليه السلام أن مريم ابنة عمران بيناهى فى محرابها اذ بشرها الله تعالى بعيسى فخرجت من بيت المقدس وقد اغتسلت من المحيض فتمثل لها الملك بشرا فى صورة يوسف بن يعقوب النجار أحد خدام القدس فنفخ فى جيبها فسرت النفخة الى جوفها فحملت بعيسى كما تحمل النساء بغير ذكر بل حلت نفخة الملك منها محل اللقاح ثم وضعت بعد تسعة أشهر وقيل بل وضعت فى يوم حملها بقرية بيت لحم من عمل مدينة القدس فى يوم الاربعاء خامس عشرى كانون الاول وتاسع عشرى كيهك سنة تسع عشرة وثلثمائة للاسكندر فقدمت رسل ملك فارس فى طلبه ومعهم هدية لها فيها ذهب ومر ولبان فطلبه هيرودس ملك اليهود بالقدس ليقتله وقد أنذر به فسارت امه مريم به وعمره سنتان على حمار ومعها يوسف النجار حتى قدموا الى أرض مصر فسكنوها مدة أربع سنين ثم عادوا وعمر عيسى ست سنين فنزلت به مريم قرية الناصرة من جبل الجليل فاستوطنتها فنشأ بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة فسار هو وابن خالته يحيى بن زكريا عليهما السلام الى نهر الاردن فاغتسل عيسى فيه فحلت عليه النبوة فمضى الى البرية وأقام بها أربعين يوما لا يتناول طعاما ولا شرابا ما أوحى الله اليه بأن يدعو بنى اسرائيل الى عبادة الله تعالى فطاف القرى ودعا الناس الى الله تعالى وأبرأ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله وبكت اليهود وأمرهم بالزهد فى الدنيا والتوبة من المعاصى فآمن به الحواريون وكانوا اقواما صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين وعددهم اثنا عشر رجلا وصدقوا بالانجيل الذى أنزله الله تعالى عليه وكذبه عامة اليهود وضللوه واتهموه بما هو برئ منه فكانت له ولهم عدة مناظرات آلت بهم الى أن اتفق أحبارهم على قتله وطرقوه ليلة الجمعة فقيل انه رفع عند ذلك وقيل بل أخذوه وأتوا به الى بلاطس النبطى شحنة القدس من قبل الملك طيباريوس قيصر وراودوه على قتله وهو يدفعهم عنه حتى غلبوه على رأيه بأن دينهم اقتضى قتله فأمكنهم منه وعندما أدنوه من الخشبة ليصلبوه رفعه الله اليه وذلك فى الساعة السادسة من يوم الجمعة خامس عشر شهر نيسن وتاسع عشرى شهر برمهات وخامس عشر شهر آذار وسابع عشر

شهر

شهر ذى القعدة وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وثلاثة أشهر فصلبوا الذى شبه لهم وصلبوا معه لصين وسمروهم بمسامير الحديد واقتسم الجند ثياب المصلوب فغشيت الارض ظلمة دامت ثلاث ساعات حتى صار النهار شبه الليل ورؤيت النجوم وكان مع ذلك هزة وزلزلة ثم أنزل المصلوب عن الخشبة بكرة يوم السبت ودفن تحت صخرة فى قبر جديد ووكل بالقبر من يحرسه لئلا يأخذ المقبور أصحابه فزعم النصارى أن المقبور قام من قبره ليلة الاحد سحرا ودخل عشية ذلك اليوم على الحواريين وحادثهم وواصاهم ثم بعد الاربعين يوما من قيامه صعد الى السماء والحواريون يشاهدونه فاجتمعوا بعد رفعه بعشرة أيام فى علية صيون التى يقال لها اليوم صهيون خارج القدس وظهرت لهم خوارق فتكلموا بجميع الالسن فآمن بهم فيما يذكر زيادة على ثلاثة آلاف انسان فأخذهم اليهود وحبسوهم فظهرت كراماتهم وفتح الله لهم باب السجن ليلا فخرجوا الى الهيكل وطفقوا يدعون الناس فهم اليهود بقتلهم وقد آمن بهم نحو الخمسة آلاف انسان فلم يتمكنوا من قتلهم فتفرق الحواريون فى أقطار الارض يدعون الى دين المسيح فسار بطرس رأس الحواريين ومعه شمعون الصفا الى انطاكية ورومية فاستجاب لهم بشر كثير وقتل فى خامس أبيب وهو عيد القصرية وسار اندراوس أخوه الى نيقية وما حولها فآمن به كثير ومات فى برنطية فى رابع كيهك وسار يعقوب بن زبدى أخو يوحنا الانجيلى الى بلد ايدينة فتبعه جماعة وقتل فى سابع عشر برمودة وسار يوحنا الانجيلى الى آسيا وأفسس وكتب انجيله باليونانى بعد ما كتب متى ومرقص ولوقا أناجيلهم فوجدهم قد قصروا فى أمور فتكلم عليها وكان ذلك بعد رفع المسيح بثلاثين سنة وكتب ثلاث رسائل ومات وقد أناف على مائة سنة وسار فيلبس الى قيسارية وما حولها وقتل بها فى ثامن هاتور وقد اتبعه جماعات من الناس وسار برتولماوس الى ارمينية وبلاد البربر وواحات مصر فآمن به كثير وقتل وسار توما الى الهند فقتل هنالك وسار متى العشار الى فلسطين وصور وصيدا ومدينة بصرى وكتب انجيله بالعبرانى بعد رفع المسيح بتسع سنين ونقله يوحنا الى اللغة الرومية وقتل متى بقرطاجنة فى ثامن عشر بابه بعد ما استجاب له بشر كثير وسار يعقوب بن حلفا الى بلاد الهند ورجع الى القدس وقتل فى عاشر امشير وسار يهوذا بن يعقوب من انطاكية الى الجزيرة فآمن به كثير من الناس ومات فى ثانى أبيب وسار شمعون الى سميساط وحلب ومنبج وبرنطية وقتل فى سابع أبيب وسار متياس الى بلاد الشرق وقتل فى ثامن عشر برمهات وسار بولص الطرسوسى الى دمشق وبلاد الروم ورومية فقتل فى خامس أبيب وتفرق أيضا سبعون رسولا أخر فى البلاد فآمن بهم الخلائق ومن هؤلاء السبعين مرقص الانجيلى وكان اسمه أولا يوحنا فعرف ثلاثة ألسن الفرنجى والعبرانى واليونانى ومضى الى بطرس برومية وصحبه وكتب الانجيل عنده بالفرنجية بعد رفع المسيح باثنتى عشرة سنة ودعا الناس برومية ومصر والحبشة والنوبة وأقام حنانيا أسقفا على الاسكندرية وخرج الى برقة فكثرت النصارى فى أيامه وقتل فى ثانى عيد الفسح بالاسكندرية ومن السبعين أيضا لوقا الانجيلى الطبيب تلميذ بولص كتب الانجيل باليونانية عن بولص بالاسكندرية بعد رفع المسيح بعشرين سنة وقيل باثنتين وعشرين سنة ولما فر بطرس رأس الحواريين من حبس رومية ونزل بأنطاكية أقام بها داريوس بطركا وانطاكية أحد الكراسى الاربعة التى للنصارى وهى رومية والاسكندرية والقدس وانطاكية فأقام داريوس بطرك انطاكية سبعا وعشرين سنة وهو أول بطاركتها وتوارث من بعده البطاركة بها البطركية واحدا بعد واحد ودعا شمعون الصفا برومية خمسا وعشرين سنة فآمنت به بطركية وسارت الى القدس وكشفت عن خشبات الصليب وسلمتها الى يعقوب بن يوسف الاسقف وبنت هنالك كنيسة وعادت الى رومية وقد اشتدت على دين النصرانية فآمن معها عدة من أهلها واجتمع الرسل بمدينة رومية ووضعوا القوانين وأرسلوها على يد قليموس تلميذ بطرس فكتبوا فيها عدد الكتب التى يجب قبولها من العتيقة والجديدة فأما العتيقة فالتوراة وكتاب يوشع بن نون وكتاب القضاة وكتاب راعون وكتاب يهوديت وسير الملوك وسفر بنيامين وكتب المقابين وكتاب عزرة وكتاب أستير وقصة هامان وكتاب أيوب وكتاب مزامير داود وكتب سليمان بن داود وكتب الانبياء وهى ستة عشر كتابا وكتاب يوشع بن شيراخ وأما الكتب الحديثة فالاناجيل الاربعة وكتاب القليتليقون وكتاب بولص وكتاب الابركسيس وهو قصص الحواريين وكتاب قليموس وفيه ما أمر به الحواريون وما نهوا عنه * ولما قتل الملك نيرون قيصر بطرس رأس

الحواريين برومية أقيم من بعده اريوس بطرك رومية وهو أول بطرك صار على رومية فأقام فى البطركية اثنتى عشرة سنة وقام من بعده البطاركة بها واحدا بعد واحد الى يومنا هذا الذى نحن فيه * ولما قتل يعقوب اسقف القدس على يد اليهود هدموا بعده البيعة وأخذوا خشبة الصليب والخشبتين معها ودفنوها وألقوا على موضعها ترابا كثيرا فصار كوما عظيما حتى أخرجتها هيلانة أم قسطنطين كما ستراه قريبا ان شاء الله تعالى وأقيم بعد قتل يعقوب سمعان ابن عمه أسقف القدس فمكث اثنتين وأربعين سنة أسقفا ومات فتداول الاساقفة بعده الاسقفية بالقدس واحدا بعد آخر * ولما أقام مرقص حنانيا ويقال أنانيو بطرك الاسكندرية جعل معه اثنى عشر قسا وأمرهم اذا مات البطرك أن يجعلوا عوضه واحدا منهم ويقيموا بدل ذلك القس واحدا من النصارى حتى لا يزالوا أبدا اثنى عشر قسا فلم تزل البطاركة تعمل من القسوس الى أن اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر كما ستراه ان شاء الله تعالى وكان بطرك الاسكندرية يقال له البابا من عهد حنانيا هذا أول بطاركة الاسكندرية الى أن أقيم ديمتريوس وهو الحادى عشر من بطاركة الاسكندرية ولم يكن بأرض مصر أساقفة فنصب الاساقفة بها وكثروا فغزاها فى بطركيته هرقل وصار الاساقفة يسمون البطرك الاب والقسوس وسائر النصارى يسمون الاسقف الاب ويجعلون لفظة البابا تختص ببطرك الاسكندرية ومعناها أبو الآباء ثم انتقل هذا الاسم عن كرسى الاسكندرية الى كرسى رومية من أجل انه كرسى بطرس رأس الحواريين فصار بطرك رومية يقال له البابا واستمر على ذلك الى زمننا الذى نحن فيه وأقام انانيو وهو حنانيا فى بطركية الاسكندرية اثنتين وعشرين سنة ومات فى عشرى هاتور سنة سبع وثمانين لظهور المسيح فأقيم بعده مينيو فأقام ثنتى عشرة سنة وتسعة اشهر ومات وفى أثناء ذلك ثار اليهود على النصارى وأخرجوهم من القدس فعبروا الاردن وسكنوا تلك الاماكن فكان بعد هذا بقليل خراب القدس وجلاية اليهود وقتلهم على يد طيطش (ويقال طيطوس) بعد رفع المسيح بنحو أربع وأربعين سنة فكثرت النصارى فى أيام بطركية مينيو وعاد كثير منهم الى مدينة القدس بعد تخريب طيطش لها وبنوا بها كنيسة وأقاموا عليها سمعان أسقفا ثم أقيم بعد مينيو فى الاسكندرية فى البطركية كرتيانو وفى أيام الملك اندريانوس قيصر أصاب النصارى منه بلاء كثير وقتل منهم جماعة كثيرة واستعبد باقيهم فنزل بهم بلاء لا يوصف فى العبودية حتى رحمهم الوزراء وأكابر الروم وشفعوا فيهم فمن عليهم قيصر وأعتقهم ومات كرتيانو بطرك الاسكندرية فى حادى عشر برمودة بعد ما دبر الكرسى احدى عشرة سنة وكان حميد السيرة فقدم بعده اريموا فأقام اثنتى عشرة سنة ومات فى ثالث مسرى واشتد الامر على النصارى فى أيام الملك أريدريانوس وقتل منهم خلائق لا يحصى عددهم وقدم مصر فأفنى من بها من النصارى وخرب ما بنى فى مدينة القدس من كنيسة النصارى ومنعهم من التردد اليها وأنزل عوضهم بالقدس اليونانيين وسمى القدس ايليا فلم يتجاسر نصرانى أن يدنو من القدس وأقيم بعد موت اريمو بطرك الاسكندرية بسطس فأقام احدى عشرة سنة ومات فى ثانى عشر بؤنة فخلف بعده أرمانيون فأقام عشر سنين وأربعة أشهر ومات فى عاشر بابه فأقيم بعده موقيانو بطرك الاسكندرية تسع سنين وستة أشهر ومات فى سادس طوبه فقدم بعده على الاسكندرية كلوتيانو فأقام أربع عشرة سنة ومات فى تاسع أبيب وفى أيامه اشتد الملك أوليانوس قيصر على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا وقدم على كرسى الاسكندرية بعد كلوتيانو غرنبو بطركا فأقام اثنتى عشرة سنة ومات فى خامس امشير وفى أيام بطركيته اتفق رأى البطاركة بجميع الامصار على حساب فصح النصارى وصومهم ورتبوا كيف يستخرج ووضعوا حساب الابقطى وبه يستخرجون معرفة وقت صومهم وفصحهم واستمر الامر على ما رتبوه فيما بعد وكانوا قبل ذلك يصومون بعد الغطاس أربعين يوما كما صام المسيح عليه السلام ويفطرون وفى عيد الفسح يعملون الفسح مع اليهود فنقل هؤلاء البطاركة الصوم ووصلوه بعيد الفسح لان عيد الفسح كانت فيه قيامة المسيح من الاموات بزعمهم وكان الحواريون قد أمروا أن لا يغير عن وقته وأن يعملوه كل سنة فى ذلك الوقت ثم أقيم بكرسى الاسكندرية بعد غرنبو فى البطركية بوليانوس فأقام عشر سنين ومات فى ثامن برمهات فاستخلف بعده ديمتريوس فأقام بعده فى البطركية ثلاثا وثلاثين سنة ومات وكان فلاحا أميا وله زوجة ذكر عنه أنه لم يجامعها قط وفى أيامه أثار الملك سوريانوس قيصر على النصارى بلاء كبيرا فى جميع مملكته

وقتل

وقتل منهم خلقا كثيرا وقدم مصر وقتل جميع من فيها من النصارى وهدم كنائسهم وبنى بالاسكندرية هيكلا لاصنامه ثم أقيم بعده فى بطركية الاسكندرية ياركلا فأقام ست عشرة سنة ومات فى ثامن كيهك فلقى النصارى من الملك مكسيموس قيصر شدة عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا فلما ملك فيلبش قيصر أكرم النصارى وقدم على بطركية الاسكندرية ديوسيوس فأقام تسع عشرة سنة ومات فى ثالث توت وفى أيامه كان الراهب انطونيوس المصرى وهو أول من ابتدأ بلبس الصوف وابتدأ بعمارة الديارات فى البرارى وأنزل بها الرهبان ولقى النصارى من الملك داقيوس قيصر شدة فانه أمرهم أن يسجدوا للاصنامه فأبوا من السجود لها فقتلهم أبرح قتل وفر منه الفتية أصحاب الكهف من مدينة أفسس واختفوا فى مغارة فى جبل شرقى المدينة وناموا فضرب الله على آذانهم فلم يزالوا نائمين ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فقام من بعده بالاسكندرية مكسيموس وأقام بطركا اثنتى عشرة سنة ومات فى رابع عشر برموده فأقيم بعده تؤوبا بطركا مدة سبع سنين وتسعة أشهر ومات وكانت النصارى قبله تصلى بالاسكندرية خفية من الروم خوفا من القتل فلاطف تؤوبا الروم وأهدى اليهم تحفا جليلة حتى بنى كنيسة مريم بالاسكندرية فصلى بها النصارى جهرا واشتد الامر على النصارى فى أيام الملك طيباريوس قيصر وقتل منهم خلقا كثيرا فلما كانت أيام دقلطيانوس قيصر خالف عليه أهل مصر والاسكندرية فقتل منهم خلقا كثيرا وكتب بغلق كنائس النصارى وأمر بعبادة الاصنام وقتل من امتنع منها فارتد خلائق كثيرة جدا وأقام فى البطركية بعد تؤوبا بطرس فأقام احدى عشرة سنة وقتل فى الاسكندرية بالسيف وقتل معه امرأته وابنتاه لامتناعهم من السجود للاصنام فقام بعده تلميذه ارشلاوش فأقام ستة أشهر ومات وبدقلطيانوس هذا وقتله لنصارى مصر يؤرخ قبط مصر الى يومنا هذا كما قد ذكرناه فى تاريخ القبط عند ذكر التواريخ من هذا الكتاب فراجعه ثم قام من بعده مكسمانوس قيصر فاشتد على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا حتى كانت القتلى منهم تحمل على العجل وترمى فى البحر ثم قام بعد أرشلاوش فى بطركية الاسكندرية اسكندروس تلميذ بطرس الشهيد فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات فى ثانى عشرى برموده وفى بطركيته كان مجمع النصارى بمدينة نيقية وفى أيامه كتب النصارى وغيرهم من أهل رومية الى قسطنطين وكان على مدينة بزنطية يحثونه على أن ينقذهم من جور مكسمانوس وشكوا اليه عتوه فأجمع على المسير لذلك وكانت أمه هيلانى من أهل قرى مدينة الرها قد تنصرت على يد أسقف الرها وتعلمت الكتب فلما مر بقريتها قسطس صاحب شرطة دقلطيانوس رآها فأعجبته فتزوجها وحملها الى بزنطية مدينته فولدت له قسطنطين وكان جميلا فأنذر دقلطيانوس منجموه بأن هذا الغلام قسطنطين سيملك الروم ويبدل دينهم فأراد قتله ففر منه الى الرها وتعلم بها الحكمة اليونانية حتى مات دقلطيانوس فعاد الى بزنطية فسلمها له أبوه قسطس ومات فقام بأمرها بعد أبيه الى أن استدعاه أهل رومية فأخذ يدبر فى مسيره فرأى فى منامه كواكب فى السماء على هيئة الصليب وصوت من السماء يقول له احمل هذه العلامة تنتصر على عدوك فقص رؤياه على أعوانه وعمل شكل الصليب على أعلامه وبنوده وسار لحرب مكسمانوس برومية فبرز اليه وحاربه فانتصر قسطنطين عليه وملك رومية وتحول منها فجعل دار ملكه قسطنطينية فكان هذا ابتداء رفع الصليب وظهوره فى الناس فاتخذه النصارى من حينئذ وعظموه حتى عبدوه وأكرم قسطنطين النصارى ودخل فى دينهم بمدينة نيقومديا فى السنة الثانية عشرة من ملكه على الروم وأمر ببناء الكنائس فى جميع ممالكه وكسر الاصنام وهدم بيوتها وعمل الجمع بمدينة نيقية وسببه أن الاسكندروس بطرك الاسكندرية منع اريوس من دخول الكنيسة وحرمه لمقالته ونقل عن بطرس الشهيد بطرك اسكندرية أنه قال عن اريوس ان ايمانه فاسد وكتب بذلك الى جميع البطاركة فمضى اريوس الى الملك قسطنطين ومعه أسقفان فاستغاثوا به وشكوا الاسكندروس فأمر باحضاره من الاسكندرية فحضر هو واريوس وجمع له الاعيان من النصارى ليناظروه فقال اريوس كان الاب اذ لم يكن الابن ثم أحدث الابن فصار كلمة له فهو محدث مخلوق فوض اليه الاب كل شئ فخلق الابن المسمى بالكلمة كل شئ من السموات والارض وما فيهما فكان هو الخالق بما أعطاه الاب ثم ان تلك الكلمة تجسدت من مريم وروح القدس فصار ذلك مسيحا فاذا المسيح معنيان كلمة وجسد وهما جميعا مخلوقان فقال الاسكندروس أيما أوجب عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا فقال اريوس بل عبادة

من خلقنا أوجب فقال الاسكندروس فان كان الابن خلقنا كما وصفت وهو مخلوق فعبادته أوجب من عبادة الاب الذى ليس بمخلوق بل تكون عبادة الخالق كفرا وعبادة المخلوق ايمانا وهذا أقبح القبيح فاستحسن الملك قسطنطين كلام اسكندروس وأمره أن يحرم اريوس فحرمه وسأل اسكندروس الملك أن يحضر الاساقفة فأمر بهم فأتوه من جميع ممالكه واجتمعوا بعد ستة اشهر بمدينة نيقية وعدتهم ألفان وثلثمائة وأربعون أسقفا مختلفون فى المسيح فنهم من يقول الابن من الاب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة أخرى فلم تنقص الاولى بانفصال الثانية عنها وهذه مقالة سبليوس الصعيدى ومن تبعه ومنهم من قال ان مريم لم تحمل بالمسيح تسعة أشهر بل مرّ بأحشائها كمرور الماء بالميزاب وهذا قول اليان ومن تبعه ومنهم من قال المسيح بشر مخلوق وان ابتداء الابن من مريم ثم انه اصطفى فصحبته النعمة الالهية بالمحبة والمشيئة ولذلك سمى ابن الله تعالى عن ذلك ومع ذلك فالله واحد قيوم وأنكر هؤلاء الكلمة والروح فلم يؤمنوا بهما وهذا قول بولص الشمشاطى بطرك انطاكية وأصحابه ومنهم من قال الآلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهما وهذا قول مرقيون وأتباعه ومنهم من قال المسيح وأمه الهان من دون الله وهذا قول المرايمة من فرق النصارى ومنهم من قال بل الله خلق الابن وهو الكلمة فى الازل كما خلق الملائكة روحا طاهرة مقدسة بسيطة مجردة عن المادة ثم خلق المسيح فى آخر الزمان من أحشاء مريم البتول الطاهرة فاتحد الابن المخلوق فى الازل بانسان المسيح فصارا واحدا ومنهم من قال الابن مولود من الاب قبل كل الدهور غير مخلوق وهو جوهر من جوهره ونور من نوره وان الابن اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصارا واحدا وهو المسيح وهذا قول الثلثمائة وثمانية عشر فتحير قسطنطين فى اختلافهم وكثر تعجبه من ذلك وأمر بهم فأنزلوا فى أماكن وأجرى لهم الارزاق وأمرهم أن يتناظروا حتى يتبين له صوابهم من خطاهم فثبت الثلثمائة وثمانية عشر على قولهم المذكور واختلف باقيهم فمال قسطنطين الى قول الاكثر وأعرض عما سواه وأقبل على الثلثمائة وثمانية عشر وأمر لهم بكراسى وأجلسهم عليها ودفع اليهم سيفه وخاتمه وبسط ايديهم فى جميع مملكته فباركوا عليه ووضعوا له كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة وفيه ما يتعلق بالمحاكمات والمعاملات والمناكحات وكتبوا بذلك الى سائر الممالك وكان رئيس هذا المجمع الاسكندروس بطرك الاسكندرية واسطاثس بطرك انطاكية ومقاريوس أسقف القدس ووجه سلطوس بطرك رومية بقسيسين اتفقا معهم على حرمان اريوس فحرموه ونفوه ووضع الثلثمائة وثمانية عشر الامانة المشهورة عندهم وأوجبوا أن يكون الصوم متصلا بعيد الفصح على ما رتبه البطاركة فى أيام الملك أورليانوس قيصر كما تقدم ومنعوا أن يكون للاسقف زوجة وكان الاساقفة قبل ذلك اذا كان مع أحدهم زوجة لا يمنع منها اذا عمل أسقفا بخلاف البطرك فانه لا يكون له امرأة البتة وانصرفوا من مجلس قسطنطين بكرامة جليلة والاسكندروس هذا هو الذى كسر الصنم النحاس الذى كان فى هيكل زحل بالاسكندرية وكانوا يعبدونه ويعملون له عيدا فى ثانى عشر هتور ويذبحون له الذبائح الكثيرة فأراد الاسكندروس كسر هذا الصنم فمنعه أهل الاسكندرية فاحتال عليهم وتلطف فى حيلته الى أن قرب العيد فجمع الناس ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا العيد لميكائيل رئيس الملائكة الذى يشفع فيهم عند الاله فان ذلك خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذى جرت عادة أهل البلد بعمله ولا تبطل ذبائحهم فيه فرضى الناس بهذا ووافقوه على كسر الصنم فكسره وأحرقه وعمل بيته كنيسة على اسم ميكائيل فلم تزل هذه الكنيسة بالاسكندرية الى أن حرقها جيوش الامام المعز لدين الله أبى تميم معد لما قدموا فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة واستمر عيد ميكائيل عند النصارى بديار مصر باقيا يعمل فى كل سنة وفى السنة الثانية والعشرين من ملك قسطنطين سارت أمه هيلانى الى القدس وبنت به كنائس للنصارى فدلها مقاريوس الاسقف على الصليب وعرّفها ما عملته اليهود فعاقبت كهنة اليهود حتى دلوها على الموضع فحفرته فاذا قبر وثلاث خشبات زعموا أنهم لم يعرفوا الصليب المطلوب من الثلاث خشبات الا بأن وضعت كل واحدة منها على ميت قد بلى فقام حيا عندما وضعت عليه خشبة منها فعملوا لذلك عيدا لمدة ثلاثة أيام عرف عندهم بعيد الصليب ومن حينئذ عبد النصارى الصليب وعملت له هيلانى غلافا من ذهب وبنت كنيسة القمامة التى تعرف اليوم بكنيسة قمامة وأقامت مقاريوس الاسقف على بناء بقية الكنائس وعادت الى بلادها فكانت مدة ما بين ولادة المسيح وظهور الصليب

ثلثمائة

ثلثمائة وثمان وعشرين سنة ثم قام فى بطركية الاسكندرية بعد اسكندروس تلميذه اثناسيوس الرسولى فأقام ستا وأربعين سنة ومات بعد ما ابتلى بشدائد وغاب عن كرسيه ثلاث مرات وفى أيامه جرت مناظرات طويلة مع أوسانيوس للاسقف آلت الى ضربه وفراره فانه تعصب لاريوس وقال انه لم يقل ان المسيح خلق الاشياء وانما قال به خلق كل شئ لانه كلمة الله التى بها خلق السموات والارض وانما خلق الله تعالى جميع الاشياء بكلمته فالاشياء به كونت لا انه كونها وانما الثلثمائة وثمانية عشر تعدوا عليه وفى أيامه تنصر جماعة من اليهود وطعن بعضهم فى التوراة التى بأيدى اليهود وانهم نقصوا منها وان الصحيحة هى التى فسرها السبعون فأمر قسطنطين اليهود باحضارها وعاقبهم على ذلك حتى دلوه على موضعها بحمص فكتب باحضارها فحملت اليه فاذا بينها وبين توراة اليهود نقص ألف وثلثمائة وتسع وستين سنة زعموا أنهم نقصوها من مواليد من ذكر فيها لاجل المسيح وفى أيامه بعث هيلانى بمال عظيم الى مدينة الرها فبنى به كنائسها العظيمة وأمر قسطنطين باخراج اليهود من القدس وألزمهم بالدخول فى دين النصرانية ومن امتنع منهم قتل فتنصر كثير منهم وامتنع أكثرهم فقتلوا ثم امتحن من تنصر منهم بأن جمعهم يوم الفصح فى الكنيسة وأمرهم بأكل لحم الخنزير فأبى أكثرهم أن يأكل منه فقتل منهم فى ذلك اليوم خلائق كثيرة جدا * ولما قام قسطنطين ابن قسطنطين فى الملك بعد أبيه غلبت مقالة اريوس على القسطنطينية وانطاكية والاسكندرية وصار أكثر أهل الاسكندرية وأرض مصر اوريوسيين ومنانيين واستولوا على ما بها من الكنائس ومال الملك الى رأيهم وحمل الناس عليه ثم رجع عنه وزعم ابريس أسقف القدس انه ظهر من السماء على القبر الذى بكنيسة القمامة شبه صليب من نور فى يوم عيد العنصرة لعشرة أيام من شهر ايار فى الساعة الثالثة من النهار حتى غلب نوره على نور الشمس ورآه جميع أهل القدس عيانا فأقام فوق القبر عدة ساعات والناس تشاهده فآمن يومئذ من اليهود وغيرهم عدة آلاف كثيرة * ثم لما ملك موليانوس ابن عم قسطنطين اشتدت نكايته للنصارى وقتل منهم خلقا كثيرا ومنعهم من النظر فى شئ من الكتب وأخذ أوانى الكنائس والديارات ونصب مائدة كبيرة عليها أطعمة مما ذبحه لاصنامه ونادى من أراد المال فليضع البخور على النار وليأكل من ذبائح الحنفاء ويأخذ ما يريد من المال فامتنع كثير من الروم وقالوا نحن نصارى فقتل منهم خلائق ومحا الصليب من أعلامه وبنوده وفى أيامه سكن القديس أيارنوس برية الاردن وبنى بها الديارات وهو أول من سكن برية الاردن من النصارى فلما ملك يوسيانوس على الروم وكان متنصرا عاد كل من كان فر من الاساقفة الى كرسيه وكتب الى أيناسيوس بطرك الاسكندرية أن يشرح له الامانة المستقيمة فجمع الاساقفة وكتبوا له أن يلزم أمانة الثلثمائة وثمانية عشر فثار أهل الاسكندرية على ايناسيوس ليقتلوه ففر وأقاموا بدله لوقيوس وكان اريوسيا فاجتمع مع الاساقفة بعد خمسة اشهر وحرموه ونفوه وأعادوا ايناسيوس الى كرسيه فأقام بطركا الى أن مات فخلفه بطرس ثم وثب الاريسيون عليه بعد سنتين ففر منهم وأعادوا لوقيوس فأقام بطركا ثلاث سنين ووثب عليه أعداؤه ففر منهم فردوا بطرس فى العشرين من امشير فأقام سنة وقدم فى أيام واليس ملك الروم اريوس أسقف انطاكية الى الاسكندرية باذن الملك وأخرج منها جماعة من الروم وحبس بطرس بطركها ونصب بدله اريوس السميساطى ففر بطرس من الحبس الى رومية واستجار ببطركها وكان واليس اريوسيا فسار الى زيارة كنيسة مارتوما بمدينة الرها ونفى أسقفها وجماعة معه الى جزيرة رودس ونفى سائر الاساقفة لمخالفتهم لرأيه ماعدا اثنين وأقام فى بطركية الاسكندرية طيماباوس فأقام سبع سنين ومات وفى أيامه كان المجمع الثانى من مجامع النصارى بقسطنطينية فى سنة اثنتى عشرة ومائة لدقلطيانوس فاجتمع مائة وخمسون أسقفا وحرموا مقدينون عدو روح القدس وكل من قال بقوله وسبب ذلك انه قال ان روح القدس مخلوق وحرموا معه غير واحد لعقائد شنيعة تظاهروا بها فى المسيح وزاد الاساقفة فى الامانة التى رتبها الثلثمائة وثمانية عشر ونؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الاب قات تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وحرموا أن يزاد فيها بعد ذلك شئ أو ينقص منها شئ وكان هذا المجمع بعد مجمع نيقية بثمان وخمسين سنة وفى أيامه بنيت عدة كنائس بالاسكندرية واستتيب جماعة كثيرة من مقالة اريوس وفى أيامه أطلق للاساقفة والرهبان أكل اللحم يوم الفصح لينالفوا الطائفة المنانية فانهم كانوا يحرمون أكل اللحم مطلقا وردّ الملك اغراديانوس كل من نفاه واليس من الاساقفة وأمر

أن يلزم كل واحد منه ماخلا المنانية ثم أقيم بكرسي الاسكندرية تاوفيلا فأقام سبعا وعشرين سنة ومات في ثامن عشر بابه وفي أيامه ظهر الفتية أهل الكهف وكان تاوداسيوس اذذاك ملكا على الروم فبنى عليهم كنيسة وجعل لهم عيدا في كل سنة واشتد الملك تاوداسيوس على الاويسيين وضيق عليهم وأمر فأخذت منهم كنائس النصارى بعدما حكموها نحو أربعين سنة وأسقط من جيشه من كان اريوسيا وطرد من كان في دوانه وخدمه منهم وقتل من الحنفاء كثيرا وهدم بيوت الاصنام بكل موضع وفي أيامه بنيت كنيسة مريم بالقدس وفي أيام الملك ارغاديوس بنى دير القصر المعروف الآن بدير البغل في جبل المقطم شرقي طرا خارج مدينة فسطاط مصر * ثم أقيم في بطركية الاسكندرية كرلص فأقام اثنتين وثلاثين سنة ومات في ثالث أبيب وهو أول من أقام القومة في كنائس الاسكندرية وأرض مصر * وفي أيامه كان المجمع الثالث من مجامع النصارى بسبب نسطورس بطرك قسطنطين فانه منع أن تكون مريم أم عيسى وقال انما ولدت مريم انسانا اتحد بمشيئة الاله يعني عيسى فصار الاتحاد بالمشيئة خاصة لا بالذات وان اطلاق الاله على عيسى ليس هو بالحقيقة بل بالموهبة والكرامة وقال ان المسيح حل فيه الابن الازلي وانى أعبده لان الاله حل فيه وانه جوهران وأقنومان ومشيئة واحدة وقال في خطبته يوم الميلاد ان مريم ولدت انسانا وأنا لا أعتقد في ابن شهرين وثلاثة الالهية ولا أسجد له سجودي للاله وكان هذا هو اعتقاد تادروس وديوادارس الاسقفين وكان من قولهما أن المولود من مريم هو المسيح والمولود من الاب هو الابن الازلي وانه حل في المسيح فسمي ابن الله بالموهبة والكرامة وان الاتحاد بالمشيئة والارادة وأثبتوا لله تعالى عن قولهم ولدين أحدهما بالجوهر والآخر بالنعمة فلما بلغ كرلص بطرك الاسكندرية مقالة نسطورس كتب اليه يرجعه عنها فلم يرجع فكتب الى اكليمس بطرك رومية والى يوحنا بطرك انطاكية والى يوناليوس أسقف القدس يعرفهم بذلك فكتبوا بأجمعهم الى نسطورس ليرجع عن مقالته فلم يرجع فتواعد البطاركة على الاجتماع بمدينة أفسس فاجتمع بها مائتا أسقف ولم يحضر يوحنا بطرك انطاكية وامتنع نسطورس من المجيء اليهم بعدما كرروا الارسال في طلبه غير مرة فنظروا في مقالته وحرموه ونفوه فحضر بعد ذلك يوحنا فعز عليه فصل الامر قبل قدومه وانتصر لنسطورس وقال قد حرموه بغير حق وتفرقوا من أفسس على شر ثم اصطلحوا وكتب المشرقيون صحيفة بأمانتهم وبحرمان نسطورس وبعثوا بها الى كرلص فقبلها وكتب اليهم بأن أمانته على ما كتبوا فكان بين المجمع الثاني وبين هذا المجمع خمسون وقيل خمس وخمسون سنة وأما نسطورس فانه نفي الى صعيد مصر فنزل مدينة اخميم وأقام بها سبع سنين ومات فدفن بها وظهرت مقالته فقبلها برصوما أسقف نصيبين ودان بها نصارى أرض فارس والعراق والموصل والجزيرة الى الفرات وعرفوا الى اليوم بالنسطورية ثم قدم تاوداسيوس ملك الروم في الثانية من ملكه ديسقورس بطركا بالاسكندرية فظهر في أيامه مذهب اوطاخي أحد القنوميين بالقسطنطينية وزعم أن جسد المسيح لطيف غير مسا ولا جسادنا وأن الابن لم يأخذ من مريم شيأ فاجتمع عليه مائة وثلاثون أسقفا وحرموه واجتمع بالاسكندرية كثير من اليهود في يوم الفسح وصلبوا صنما على مثال المسيح وعبثوا به فثار بينهم وبين النصارى شر قتل فيه بين الفريقين خلق كثير فبعث اليهم ملك الروم جيشا قتل اكثر يهود الاسكندرية وكان المجمع الرابع من مجامع النصارى بمدينة خلقدونية وسببه أن ديسقورس بطرك الاسكندرية قال ان المسيح جوهر من جوهرين وقنوم من قنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين وكان رأى مرقيانوس ملك الروم انه جسد وأهل مملكته انه جوهران وطبيعتان ومشيئتان وقنوم واحد فلما رأى الاساقفة أن هذا رأى الملك خافوه فوافقوه على رأيه ماخلا ديسقورس وستة أساقفة فانهم لم يوافقوا الملك وكتب من عداهم من الاساقفة خطوطهم بما اتفقوا عليه فبعث ديسقورس يطلب منهم الكتاب ليكتب فيه فلما وصل اليه كتابهم كتب فيه امانته هو وحرمهم وكل من يخرج عنها فغضب الملك مرقيانوس وهم بقتله فأشير عليه باحضاره ومناظرته فأمر به فحضر وحضر ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفا فأشار الاساقفة والبطاركة على ديسقورس بموافقة رأى الملك واستمراره على رياسته فدعا للملك وقال لهم الملك لا يلزمه البحث في هذه الامور الدقيقة بل ينبغي له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ويدع الكهنة يبحثون عن الامانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب ولا يكون له هوى مع أحد ويتبع الحق فقالت بلخارية زوجة الملك مرقيانوس وكانت جالسة

بازائه

بازائه باديسقورس قد كان فى زمان أمى انسان قوى الرأس مثلك وحرموه ونفوه عن كرسيه تعنى يوحنا فم الذهب بطرك قسطنطينية فقال لها قد علمت ماجرى لامّك وكيف ابتليت بالمرض الذى تعرفينه الى أن مضت الى جسد يوحنا فم الذهب واستغفرت فعوفيت فحنقت من قوله ولكمته فانقلع له ضرسان وتناولته أيدى الرجال فنتفوا اكثر لحيته وأمر الملك بحرمانه ونفيه عن كرسيه فاجتمعوا عليه وحرموه ونفوه وأقيم عوضه برطاوس ومن هذا المجمع افترق النصارى وصاروا ملكية على مذهب مرقيانوس الملك ويعقوبية على رأى ديسقورس وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائة لدقلطيانوس وكتب مرقيانوس الى جميع مملكته ان كل من لا يقول بقوله يقتل فكان بين المجمع الثالث وبين هذا المجمع احدى وعشرون سنة وأما ديسقورس فانه أخذ ضرسيه وشعر لحيته وأرسلها الى الاسكندرية وقال هذه ثمرة تعبى على الامانة فتبعه أهل اسكندرية ومصر وتوجه فى نفيه فعبر على القدس وفلسطين وعرّفهم مقالته فتبعوه وقالوا بقوله وقدّم عدّة أساقفة يعقوبية ومات وهو منفى فى رابع توت فكانت مدّة بطركيته أربع عشرة سنة وبقى كرسى المملكة بغير بطرك مدّة مملكة مرقيانوس وقيل بل قدّم برطاوس وقد اختلف فى تسمية اليعقوبية بهذا فقيل ان ديسقورس كان يسمى قبل بطركيته يعقوب وانه كان يكتب وهو منفى الى أصحابه بأن يثبتوا على أمانة المسكين المنفى يعقوب وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفى الى أصحابه فنسبوا اليه وقيل بل كان يعقوب تلميذ ساويرس بطرك انطاكية وكان على رأى ديسقورس فكان ساويرس يبعث يعقوب الى النصارى ويثبتهم على أمانة ديسقورس فنسبوا اليه وقيل بل كان يعقوب كثير العبادة والزهد يلبس خرق البراذع فسمى يعقوب البراذعى من أجل ذلك وانه كان يطوف البلاد ويردّ الناس الى مقالة ديسقورس فنسب من اتبع رأيه اليه وسموا يعقوبية ويقال ليعقوب أيضا يعقوب السروجى وفى أيام مرقيانوس كان سمعان الحبيس صاحب العمود وهو أوّل راهب سكن صومعة وكان مقامه بمغارة فى جبل انطاكية ولما مات مرقيانوس وثب أهل الاسكندرية على برطاوس البطرك وقتلوه فى الكنيسة وحملوا جسده الى الملعب الذى بناه بطليموس وأحرقوه بالنار من أجل أنه ملكى الاعتقاد فكانت مدّة بطركيته ست سنين وأقاموا عوضه طيماتاوس وكان يعقوبيا فأقام ثلاث سنين وقدم قائد من قسطنطينية فنفاه وأقام عوضه ساويرس وكان ملكيا فأقام اثنتين وعشرين سنة ومات فى سابع مسرى فلما ملك زينون بن لاون الروم أكرم اليعقوبية وأعزهم لانه كان يعقوبيا وكان يحمل الى دير يوقنا كل سنة ما يحتاج اليه من القمح والزيت وهرب ساويرس من كرسى الاسكندرية الى وادى هبيب ورجع طيماتاوس من نفيه فأقام بطركا سنتين ومات فأقيم بعده بطرس فأقام ثمانى سنين وسبعة أشهر وستة أيام ومات فى رابع هتور فأقيم بعده اثناسيوس فأقام سبع سنين ومات فى العشرين من توت وفى أيامه احترق الملعب الذى بناه بطليموس وأقيم يوحنا فى بطركية الاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام تسع سنين ومات فى رابع بشنس فخلا الكرسى بعده سنة ثم أقيم يوحنا الحبيس فأقام احدى وعشرين سنة ومات فى سابع عشرى بشنس فأقيم بعده ديسقورس الجديد فأقام سنتين وخمسة اشهر ومات فى سابع عشر بابه وكتب ايليا بطرك القدس الى نسطاس ملك الروم بأن يرجع عن مقالة اليعقوبية الى مقالة الملكية وبعث اليه جماعة من الرهبان بهدية سنية فقبل هديته وأجاز الرهبان بجوائز جليلة وجهزله مالا جزيلا لعمارة الكنائس والديارات والصدقات فتوجه ساويرس الى نسطاس وعرّفه أن الحق هو اعتقاد اليعقوبية فأمر أن يكتب الى جميع مملكته بقبول قول ديسقورس وترك المجمع الخلقدونى فبعث اليه بطرك انطاكية بأن هذا الذى فعلته غير واجب وأن المجمع الخلقدونى هو الحق فغضب الملك ونفاه وأقام بدله فأمر ايليا بطرك القدس بجمع الرهبان ورؤساء الديارات فاجتمع له منهم عشرة آلاف نفس وحرموا نسطاس الملك ومن يقول بقوله فأمر نسطاس بنفى ايليا الى مدينة ايلة فاجتمع بطاركة الملكية وأساقفتهم وحرموا الملك نسطاس ومن يقول بقوله وفى أيام نسطانوس الملك ألزم الحنفاء أهل حرّان وهم الصابئة بالتنصر فتنصر كثير منهم وقتل أكثرهم على امتناعهم من دين النصرانية وردّ جميع من نفاه نسطاس من الملكية فانه كان ملكيا وأقيم طيماتاوس فى بطركية الاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام ثلاث سنين ونفى وأقيم بدله أبولينار يوس وكان ملكيا فجدّ فى رجوع النصارى بأجمعهم الى رأى الملكية وبذل جهده فى ذلك وألزم نصارى مصر بقبول الامانة المحدثة فوافقوه

ووافقه رهبان ديارات ومقار ووادي هبيب هذا ويعقوب البراذعي يدور في كل موضع ويثبت أصحابه على الامانة التى زعم انها مستقيمة وأمر الملك جميع الاساقفة بعمل الميلاد في خامس عشرى كانون الاول وبعمل الغطاس لست تخلو من كانون الثانى وكان كثير منهم يعمل الميلاد والغطاس في يوم واحد وهو سادس كانون الثانى وعلى هذا الرأى الارمن الى يومنا هذا وفى هذه الايام ظهر يوحنا النحوى بالاسكندرية وزعم أن الاب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة وثلاث طبائع وجوهر واحد وظهر يوليان وزعم أن جسد المسيح نزل من السماء وانه لطيف روحانى لا يقبل الآلام الا عند مقارفة الخطيئة والمسيح لم يقارف خطيئة فلذلك لم يصلب حقيقة ولم يتألم ولم يمت وانما ذلك كله خيال فأمر الملك البطرك طيماتاوس أن يرجع الى مذهب الملكية فلم يفعل فأمر بقتله ثم شفع فيه ونفى وأقيم بدله بولص وكان ملكيا فأقام سنتين فلم يرضه اليعاقبة وقيل انهم قتلوه وصيروا عوضه بطركا ثاديلاوس وكان ملكيا فأقام خمس سنين في شدة من التعب وأرادوا قتله فهرب وأقام في هربه خمس سنين ومات فبلغ ملك الروم يوسطيانوس أن اليعقوبية قد غلبوا على الاسكندرية ومصر وأنهم لا يقبلون بطاركته فبعث أبولينار يوس أحد قواده وضم اليه عسكرا كبيرا الى الاسكندرية فلما قدمها ودخل الكنيسة نزع عنه ثياب الجند ولبس ثياب البطاركة وقدس فهم ذلك الجمع برجمه فانصرف وجمع عسكره وأظهر أنه قد أتاه كتاب الملك ليقرأه على الناس وضرب الجرس في الاسكندرية يوم الاحد فاجتمع الناس الى الكنيسة حتى لم يبق أحد فطلع المنبر وقال يا أهل الاسكندرية ان تركتم مقالة اليعقوبية والا خاف أن يرسل الملك فيقتلكم ويستبيح أموالكم وحريمكم فهموا برجمه فأشار الى الجند فوضعوا السيف فيهم فقتل من الناس مالا يحصى عدده حتى خاض الجند في الدماء وقيل ان الذى قتل يومئذ مائتا ألف انسان وفر منهم خلق الى الديارات بوادي هبيب وأخذ الملكية كنائس اليعاقبة ومن يومئذ صار كرسى اليعقوبية في دير بو مقار بوادي هبيب وفى أيامه ثارت السامرة على أرض فلسطين وهدموا كنائس النصارى وأحرقوا ما فيها وقتلوا جماعة من النصارى فبعث الملك جيشا قتلوا من السامرة خلقا كثيرا ووضع من خراج فلسطين جملة وجدد بناء الكنائس وأنشأ مارستانا ببيت المقدس للمرضى ووسع في بناء كنيسة بيت لحم وبنى ديرا بطور سيناء وعمل عليه حصنا حوله عدة قلالى ورتب فيها حرسا لحفظ الرهبان * وفى أيامه كان الجمع الخامس من مجامع النصارى وسببه أن أريحانس أسقف مدينة منبج قال بتناسخ الارواح وقال كل من أسقف أنقرة وأسقف المصيصة وأسقف الرها ان جسد المسيح خيال لا حقيقى فحملوا الى القسطنطينية وجمع بينهم وبين بطركها أوطس وناظرهم وأوقع عليهم الحرمان فأمر الملك أن يجمع لهم مجمع وأمر باحضار البطاركة والاساقفة فاجتمع مائة وأربعون أسقفا وحرموا هؤلاء الاساقفة ومن يقول بقولهم فكان بين المجمع الرابع الخلقدونى وبين هذا المجمع مائة وثلاث وستون سنة * ولما مات القائد الذى عمل بطرك الاسكندرية بعد سبع عشرة سنة أقيم بعده يوحنا وكان منانيا فأقام ثلاث سنين ومات وقدم اليعاقبة بطركا اسمه تاوداسيوس أقام مدة اثنتين وثلاثين سنة وقدم الملكية بطركا اسمه داقيوس فكتب الملك الى متولى الاسكندرية أن يعرض على بطرك اليعاقبة أمانة المجمع الخلقدونى فان لم يقبلها أخرجه فعرض عليه ذلك فلم يقبله فأخرجه وأقام بعده بولص التنيسى فلم يقبله أهل الاسكندرية ومات فغلقت كنائس القبط اليعاقبة وأصابهم من الملكية شدائد كثيرة واستجد اليعاقبة بالاسكندرية كنيستين في سنة ثمان وأربعين ومائتين لدقلطيانوس ومات تاوداسيوس ثامن عشرى بؤنة بعد اثنتين وثلاثين سنة من بطركيته منها مدة أربع سنين مدة نفيه في صعيد مصر وأقيم بعده بطرس وكان يعقوبيا في خفية بدير الزجاج بالاسكندرية قدمه ثلاثة أساقفة فأقام سنتين ومات في خامس عشرى بؤنة هذا بياض له في الأصل
من اليعاقبة سنة واحدة * وفى سنة احدى وثمانين وثمانمائة أقيم داميانو بطركا بالاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام ستا وثلاثين سنة ومات في ثامن عشرى بؤنة وفى أيامه خربت الديارات وأقام الملكية لهم بالاسكندرية بطركا منانيا اسمه أتناس فأقام خمس سنين ومات فأقيم بعده يوحنا وكان منانيا ولقب القائم بالحق فأقام خمسة أشهر ومات فأقيم بعده يوحنا القائم بالامر وكان ملكيا فأقام احدى عشرة سنة ومات وفى أيام الملك طيباريوس ملك الروم بنى النصارى بالمدائن مدائن كسرى هيكلا وبنوا أيضا بمدينة واسط هيكلا آخر * وفى أيام الملك موريق قيصر زعم راهب اسمه مارون أن المسيح عليه السلام طبيعتان ومشيئة واحدة

واقنوم

واقنوم واحد فتبعه على رأيه أهل حماه وقنسرين والعواصم وجماعة من الروم ودانوا بقوله فعرفوا بين النصارى بالمارونية فلما مات مارون بنوا على اسمه دير مارون بحماه * وفى أيام فوقا ملك الروم بعث كسرى ملك فارس جيوشه الى بلاد الشام ومصر فخربوا كنائس القدس وفلسطين وعامّة بلاد الشام وقتلوا النصارى بأجمعهم وأتوا الى مصر فى طلبهم فقتلوا منهم أمّة كبيرة وسبوا منهم سبيا لا يدخل تحت حصر وساعدهم اليهود فى محاربة النصارى وتخريب كنائسهم وأقبلوا نحو الفرس من طبرية وجبل الجليل وقرية الناصرة ومدينة صور وبلاد القدس فنالوا من النصارى كل منال وأعظموا النكاية فيهم وخربوا لهم كنيستين بالقدس وحرّقوا أماكنهم وأخذوا قطعة من عود الصليب وأسروا بطرك القدس وكثيرا من أصحابه ثم مضى كسرى بنفسه من العراق لغزو قسطنطينية تخت ملك الروم فحاصرها أربع عشرة سنة وفى أيام فوقا أقيم يوحنا الرحوم بطرك الاسكندرية على الملكية فدبر أرض مصر كلها عشر سنين ومات بقبرص وهو فارّ من الفرس فخلا كرسى اسكندرية من البطركية سبع سنين لخلوّ أرض مصر والشام من الروم واختفى من بقى بها من النصارى خوفا من الفرس وقدّم اليعاقبة نسطاسيوس بطركا فأقام ثنتى عشرة سنة ومات فى ثانى عشرى كيهك سنة ثلاثين وثلثمائة لدقلطيانوس فاستردّ ما كانت الملكية قد استولت عليه من كنائس اليعاقبة ورمّ ما شعثه الفرس منها وكانت اقامته بمدينة الاسكندرية فأرسل اليه اثناسيوس بطرك انطاكية هدية صحبة عدّة كثيرة من الاساقفة ثم قدم عليه زائرا فتلقاه وسرّ بقدومه وصارت أرض مصر فى أيامه جميعها يعاقبة لخلوّها من الروم فثارت اليهود فى أثناء ذلك بمدينة صور وراسلوا بقيتهم فى بلادهم وتواعدوا على الايقاع بالنصارى وقتلهم فكانت بينهم حرب اجتمع فيها من اليهود نحو عشرين ألفا وهدموا كنائس النصارى خارج صور فقوى النصارى عليهم وكاثروهم فانهزم اليهود هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير وكان هرقل قد ملك الروم بقسطنطينية وغلب الفرس بحيلة دبرها على كسرى حتى رحل عنهم ثم سار من قسطنطينية ليمهد ممالك الشام ومصر ويجدّد ما خرّبه الفرس منها فخرج اليه اليهود من طبرية وغيرها وقدّموا له الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤمّنهم ويحلف لهم على ذلك فأمّنهم وحلف لهم ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالاناجيل والصلبان والبخور والشموع المشعلة فوجد المدينة وكنائسها وقمامتها خرابا فساءه ذلك وتوجع له وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وايقاعهم بالنصارى وتخريبهم الكنائس وانهم كانوا أشدّ نكاية لهم من الفرس وقاموا قياما كبيرا فى قتلهم عن آخرهم وحثوا هرقل على الوقيعة بهم وحسنوا له ذلك فاحتج عليهم بما كان من تأمينه لهم وحلفه فأفتاه رهبانهم وبطاركتهم وقسيسوهم بأنه لا حرج عليه فى قتلهم فانهم عملوا عليه حيلة حتى أمّنهم من غير أن يعلم بما كان منهم وانهم يقومون عنه بكفارة يمينه بأن يلتزموا ويلزموا النصارى بصوم جمعة فى كل سنة عنه على ممرّ الزمان والدهور فمال الى قولهم وأوقع باليهود وقيعة شنعاء أبادهم جميعهم فيها حتى لم يبق فى ممالك الروم بمصر والشام منهم الا من فرّ واختفى فكتب البطارقة والاساقفة الى جميع البلاد بالزام النصارى بصوم أسبوع فى السنة فالتزموا صومه الى اليوم وعرفت عندهم بجمعة هرقل وتقدّم هرقل بعمارة الكنائس والديارات وأنفق فيها مالا كبيرا * وفى أيامه أقيم اندراسلون بطرك اليعاقبة بالاسكندرية فأقام ست سنين ومات فى ثامن طوبه فخربت الديارات فى مدّة بطركيته وأقيم بعده على اليعاقبة بنيامين فعمر الدير الذى يقال له دير أبو بشاى ودير سيدة أبو بشاى وهما فى وادى هبيب فأقام تسعا وثلاثين سنة ملك الفرس منها مصر عشر سنين ثم قدم هرقل فقتل الفرس بمصر وأقام فيرش بطرك الاسكندرية وكان منانيا وطلب بنيامين ليقتله فلم يقدر عليه لفراره منه وكان هرقل مارونيا فظفر بمينا أخى بنيامين فأحرقه بالنار عداوة لليعاقبة وعاد الى القسطنطينية فأظهر الله دين الاسلام فى أيامه وخرج ملك مصر والشام من يد النصارى وصار النصارى ذمّة للمسلمين فكانت مدّة النصارى منذ رفع المسيح الى أن فتحت مصر وصار النصارى من القبط ذمّة للمسلمين   منها مدّة كونهم تحت أيدى الروم يقتلونهم أبرح قتل بالصلب والتحريق بالنار والرجم بالحجارة وتقطيع الاعضاء   ومنها مدّة استيلائهم بتنصر الملوك

* (ذكر دخول النصارى من قبط مصر فى طاعة المسلمين وأدائهم الجزية واتخاذهم ذمة لهم وما كان فى ذلك من الحوادث والانباء) *

اعلم أن أرض مصر لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى وهم على قسمين متباينين فى أجناسهم وعقائدهم أحدهما أهل الدولة وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم ورأيهم وديانتهم بأجمعهم ديانة الملكية وكانت عدتهم تزيد على ثلثمائة ألف رومى والقسم الآخر عامة أهل مصر ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لايكاد يتميز منهم القبطى من الحبشى من النوبى من الاسرائيلى الاصل من غيره وكلهم يعاقبة فمنهم كتاب المملكة ومنهم التجار والباعة ومنهم الاساقفة والقسوس ونحوهم ومنهم أهل الفلاحة والزرع ومنهم أهل الخدمة والمهنة وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العداوة مايمنع مناكحتهم ويوجب قتل بعضهم بعضا ويبلغ عددهم عشرات آلاف كثيرة جدا فانهم فى الحقيقة أهل أرض مصر أعلاها وأسفلها فلما قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين معه الى مصر قاتلهم الروم حماية لملكهم ودفعا لهم عن بلادهم فقاتلهم المسلمون وغلبوهم على الحصن كما تقدم ذكره فطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم عليها وأقرهم على ما بأيديهم من الاراضى وغيرها وصاروا معه عونا للمسلمين على الروم حتى هزمهم الله تعالى وأخرجهم من أرض مصر وكتب عمرو لبنيامين بطرك اليعاقبة أمانا فى سنة عشرين من الهجرة فسره ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسى بطركيته بعد ماغاب عنه ثلاث عشرة سنة منها فى ملك فارس لمصر عشر سنين وباقيها بعد قدوم هرقل الى مصر فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر ودياراتها كلها وانفردوا بها دون الملكية ويذكر علماء الاخبار من النصارى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى أمانا على انفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم لاتهدم ولا تسكن وانه جلس فى وسط صحن كنيسة القمامة فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التى على بابها بمفرده ثم جلس وقال للبطرك لو صليت داخل الكنيسة لاخذها المسلمون من بعدى وقالوا ههنا صلى عمر وكتب كتابا يتضمن أنه لايصلى أحد من المسلمين على الدرجة الا واحدا واحدا ولا يجتمع المسلمون بها للصلاة فيها ولا يؤذنون عليها وانه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجدا وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر رضى الله عنه من التراب فى ثوبه فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شئ وعمر المسجد الاقصى أمام الصخرة فلما كانت أيام عبد الملك بن مروان أدخل الصخرة فى حرم الاقصى وذلك سنة خمس وستين من الهجرة ثم ان عمر رضى الله عنه أتى بيت لحم وصلى فى كنيسته عند الخشبة التى ولد فيها المسيح وكتب سجلا بايدى النصارى أن لايصلى فى هذا الموضع أحد من المسلمين الا رجل بعد رجل ولا يجتمعوا فيه للصلاة ولا يؤذنوا عليه ولما مات البطرك بنيامين فى سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالاسكندرية فى امارة عمرو الثانية قدم اليعاقبة بعده أغاثو فأقام سبع عشرة سنة ومات سنة ست وخمسين وهو الذى بنى كنيسة مرقص بالاسكندرية فلم تزل الى أن هدمت فى سلطنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب وكان فى أيامه الغلاء مدة ثلاث سنين وكان يهتم بالضعفاء فأقيم بعده ايسالى وكان يعقوبيا فأقام سنتين وأحد عشر شهرا ومات فقدم اليعاقبة بعده سيمون السريانى فأقام سبع سنين ونصفا ومات وفى أيامه قدم رسول أهل الهند فى طلب أسقف يقيمه لهم فامتنع من ذلك حتى يأذن له السلطان وأقام غيره وخلا بعد موته كرسى الاسكندرية ثلاث سنين بغير بطرك ثم قدم اليعاقبة فى سنة احدى وثمانين الاسكندروس فقام أربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدائد صودر فيها مرتين أخذ منه فيهما ستة آلاف دينار وفى أيامه أمر عبد العزيز بن مروان فأمر باحصاء الرهبان فأحصوا وأخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار وهى أول جزية أخذت من الرهبان * ولما ولى مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان اشتد على النصارى واقتدى به قرة بن شريك أيضا فى ولايته على مصر وأنزل بالنصارى شدائد لم يبتلوا قبلها بمثلها وكان عبد الله بن الحبحاب متولى الخراج قد زاد على القبط قيراطا فى كل دينار فانتقض عليه عامة الحوف الشرقى من القبط فحاربهم المسلمون وقتلوا منهم عدة وافرة فى سنة سبع ومائة واشتد أيضا أسامة بن زيد التنوخى متولى الخراج على النصارى وأوقع بهم وأخذ أموالهم ووسم ايدى الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديره وتاريخه فكل من وجده بغير وسم قطع يده وكتب الى الاعمال

بان

جان من وجد من النصارى وليس معه منشور أن يؤخذ منه عشرة دنانير ثم كبس الديارات وقبض على عدّة
من الرهبان بغير وسم فضرب أعناق بعضهم وضرب باقيهم حتى ماتوا تحت الضرب ثم هدمت الكنائس وكسرت
الصلبان ومحيت التماثيل وكسرت الاصنام بأجمعها وكانت كثيرة في سنة أربع ومائة والخليفة يومئذ يزيد بن
عبد الملك فلما قام هشام بن عبد الملك في الخلافة كتب الى مصر بأن يجرى النصارى على عوائدهم وما بأيديهم
من العهد فقدم حنظلة بن صفوان أميرا على مصر في ولايته الثانية فتشدّد على النصارى وزاد في الخراج
وأحصى الناس والبهائم وجعل على كل نصراني وسما صورة أسد وتتبعهم فمن وجده بغير وسم قطع يده ثم أقام
اليعاقبة بعد موت الاسكندروس بطركا اسمه قسيما فأقام خمسة عشر شهرا ومات فقدموا بعده تادرس في سنة
تسع ومائة ومات بعد احدى عشرة سنة * وفي أيامه أحدثت كنيسة بوقنا بخط الحمراء ظاهر مدينة مصر
في سنة سبع عشرة ومائة فقام جماعة من المسلمين على الوليد بن رفاعة أمير مصر بسببها وفي سنة عشرين
ومائة قدم اليعاقبة ميخائيل بطركا فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات * وفي أيامه انتقض القبط بالصعيد وحاربوا
العمال في سنة احدى وعشرين فحوربوا وقتل كثير منهم ثم خرج بحنس بسمنود وحارب وقتل في الحرب
وقتل معه قبط كثير في سنة اثنتين وثلاثين ومات ثم خالفت القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد لما قدم
مصر وهزمهم وقبض عبد الملك بن موسى بن نصير أمير مصر على البطرك ميخائيل فاعتقله وألزمه بمال فسار
بأساقفته في أعمال مصر يسأل أهلها فوجدهم في شدائد فعاد الى الفسطاط ودفع الى عبد الملك ما حصل له
فأفرج عنه فنزل به بلاء كبير من مروان وبطش به وبالنصارى وأحرق مصر وغلاتها وأسر عدّة من النساء
المترهبات ببعض الديارات وراود واحدة منهنّ عن نفسها فاحتالت عليه ودفعته عنها بأن رغبته في دهن معها
اذا ادّهن به الانسان لا يعمل فيه السلاح وأوثقته بأن مكنته من التجربة في نفسها فتمت حيلتها عليه وأخرجت
زيتا ادّهنت به ثم مدّت عنقها فضربها بسيفه أطار رأسها فعلم أنها اختارت الموت على الزنا ومازال البطرك
والنصارى في الحديد مع مروان الى أن قتل ببوصير فأفرج عنهم وأما الملكية فان ملك الروم لاون أقام قسيما
بطرك الملكية بالاسكندرية في سنة سبع ومائة فمضى ومعه هدية الى هشام بن عبد الملك فكتب له بردّ كنائس
الملكية اليهم فأخذ من اليعاقبة كنيسة البشارة وكان الملكية أقاموا سبعا وسبعين سنة بغير بطرك
في مصر من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى خلافة هشام بن عبد الملك فغلب اليعاقبة في هذه المدّة على
جميع كنائس مصر وأقاموا بها منهم أساقفة وبعث اليهم أهل بلاد النوبة في طلب أساقفة فبعثوا اليهم من
أساقفة اليعاقبة فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة ثم لما مات ميخائيل قدّم اليعاقبة في سنة ست
وأربعين ومائة انبا مسنا فأقام سبع سنين ومات * وفي أيامه خرج القبط بناحية سخا وأخرجوا العمال
في سنة خمسين ومائة وصاروا في جمع فبعث اليهم يزيد بن حاتم بن قبيصة أمير مصر عسكرا فأتاهم القبط ليلا
وقتلوا عدّة من المسلمين وهزموا باقيهم فاشتدّ البلاء على النصارى واحتاجوا الى أكل الجيف وهدمت
الكنائس المحدثة بمصر فهدمت كنيسة مريم المجاورة لابي شنودة بمصر وهدمت كنائس محارس قسطنطين
فبذل النصارى لسليمان بن علي أمير مصر في تركها خمسين ألف دينار فأبى فلما ولي بعده موسى بن عيسى
أذن لهم في بنائها فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة قاضي مصر واحتجا بأن بناءها من
عمارة البلاد وبأن الكنائس التي بمصر لم تبن الا في الاسلام في زمن الصحابة والتابعين فلما مات انبا مسنا قدّم
اليعاقبة بعده يوحنا فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات * وفي أيامه خرج القبط ببلهيت سنة ست وخمسين
فبعث اليهم موسى بن علي أمير مصر وهزمهم وقدّم بعده اليعاقبة مرقص الجديد فأقام عشرين سنة وسبعين
يوما ومات * وفي أيامه كانت الفتنة بين الامين والمأمون فانتهبت النصارى بالاسكندرية وأحرقت
لهم مواضع عديدة وأحرقت ديارات وادي هبيب ونهبت فلم يبق بها من رهبانها الا نفر قليل * وفي أيامه مضى
بطرك الملكية الى بغداد وعالج بعض حظايا أهل الخليفة فانه كان حاذقا بالطب فلما عوفيت كتب له بردّ كنائس
الملكية التي تغلب عليها اليعاقبة بمصر فاستردّها منهم وأقام في بطركية الملكية أربعين سنة ومات ثم قدّم
اليعاقبة بعد مرقص يعقوب في سنة احدى عشرة ومائتين فأقام عشر سنين وثمانية اشهر ومات * وفي أيامه

عمرت الديارات وعاد الرهبان اليها وعمرت كنيسة بالقدس لمن يرد من نصارى مصر وقدم عليه ديونوسيس بطرك انطاكية فأكرمه حتى عاد الى كرسيه * وفي أيامه انتقض القبط في سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الافشين حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والذرية فبيعوا وسبي أكثرهم ومن حينئذ ذلت القبط في جميع أرض مصر ولم يقدر أحد منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان وغلبهم المسلمون على عامة القرى فرجعوا من المحاربة الى المكايدة واستعمال المكر والحيلة ومكايدة المسلمين وعملوا كتاب الخراج فكانت لهم وللمسلمين أخبار كثيرة يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى ثم قدم اليعاقبة سيماون بطركا في سنة اثنتين وعشرين ومائتين فأقام سنة ومات وقيل بل أقام سبعة اشهر وستة عشر يوما فخلا كرسي البطاركة بعده سنة وسبعة وعشرين يوما وقدم اليعاقبة يوساب في دير بومقار بوادي هبيب في سنة سبع وعشرين ومائتين فأقام ثماني عشرة سنة ومات * وفي أيامه قدم مصر يعقوب مطران الحبشة وقد نفته زوجة ملكهم وأقامت عوضه أسقفا فبعث ملك الحبشة يطلب اعادته من البطرك فبعث به اليه وبعث أيضا عدة أساقفة الى افريقية * وفي أيامه مات بطرك انطاكية الوارد الى مصر في السنة الخامسة عشرة من بطركيته * وفي أيامه أمر المتوكل على الله في سنة خمس وثلاثين ومائتين أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية وشد الزنانير وركوب السروج بالركب الخشب وعمل كرتين في مؤخر السرج وعمل رقعتين على لباس رجالهم تخالفان لون الثوب قدر كل واحدة منهما أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الاخرى ومن خرج من نسائهم تلبس ازارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق وأمر بهدم بيعهم المحدثة وبأخذ العشر من منازلهم وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب ونهى أن يستعان بهم في أعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم ونهى أن يظهروا في شعانينهم صليبا وأن لا يشعلوا في الطريق نارا وأمر بتسوية قبورهم مع الارض وكتب بذلك الى الآفاق ثم أمر في سنة تسع وثلاثين أهل الذمة بلبس دراعتين عسليتين على الدراريع والاقبية وبالاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين فلما مات يوساب في سنة اثنتين وأربعين ومائتين خلا الكرسي بعده ثلاثين يوما وقدم اليعاقبة قسيسا بدير يحنس يدعى بميكائيل في البطركية فأقام سنة وخمسة اشهر ومات فدفن بدير بومقار وهو أول بطرك دفن فيه فخلا الكرسي بعده أحدا وثمانين يوما ثم قدم اليعاقبة في سنة أربع وأربعين ومائتين شماسا بدير بومقار اسمه قسيما فأقام في البطركية سبع سنين وخمسة اشهر ومات فخلا الكرسي بعده أحدا وخمسين يوما * وفي أيامه أمر نوفيل بن ميخائيل ملك الروم بمحو الصور من الكنائس وأن لا تبقى صورة في كنيسة وكان سبب ذلك أنه بلغه عن قيم كنيسة انه عمل في صورة مريم عليها السلام شبه ثدي يخرج منه لبن ينقط في يوم عيدها فكشف عن ذلك فاذا هو مصنوع ليأخذ به القيم المال فضرب عنقه وأبطل الصور من الكنائس فبعث اليه قسيما بطرك اليعاقبة وناظره حتى سمح باعادة الصور على ما كانت عليه ثم قدم اليعاقبة سانيو بطركا فأقام تسع عشرة سنة ومات فأقيم يوسانيوس في أول خلافة المعتز فأقام احدى عشرة سنة ومات وعمل في بطركيته مجاري تحت الارض بالاسكندرية يجري بها الماء من الخليج الى البيوت * وفي أيامه قدم أحمد بن طولون مصر أميرا عليها ثم قدم اليعاقبة ميخائيل فأقام خمسا وعشرين سنة ومات بعد ما ألزمه أحمد بن طولون بحمل عشرين ألف دينار باع فيها رباع الكنائس الموقوفة عليها وأرض الحبش ظاهر فسطاط مصر وباع الكنيسة بجوار المعلقة من قصر الشمع لليهود وقرر الديارية على كل نصراني قيراطا في السنة فقام بنصف المقرر عليه * وفي أيامه قتل الامير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون فلما مات شغر كرسي الاسكندرية بعده من البطاركة أربع عشرة سنة * وفي يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثلثمائة أحرقت الكنيسة الكبرى المعروفة بالقيامة في الاسكندرية وهي التي كانت هيكل زحل وكانت من بناء كلابطره * وفي سنة احدى وثلثمائة قدم اليعاقبة غبريال بطركا فأقام احدى عشرة سنة ومات وأخذت في أيامه الديارية على الرجال والنساء وقدم بعده اليعاقبة في سنة احدى عشرة وثلثمائة قسيما فأقام ثنتي عشرة سنة ومات * وفي يوم السبت النصف من شهر رجب سنة ثنتي عشرة وثلثمائة أحرق المسلمون كنيسة مريم بدمشق ونهبوا ما فيها من الآلات والاواني وقيمتها كثيرة جدا ونهبوا ديرا للنساء بجوارها وشعثوا كنائس النسطورية واليعقوبية * وفي سنة ثلاث عشرة وثلثمائة قدم

الوزير علىّ بن عيسى بن الجراح الى مصر فكشف البلد وألزم الاساقفة والرهبان وضعفاء النصارى بأداء الجزية
فأدوها ومضى طائفة منهم الى بغداد واستغاثوا بالمقتدر بالله فكتب الى مصر بأن لا يؤخذ من الاساقفة
والرهبان والضعفاء جزية وأن يجروا على العهد الذى بأيديهم * وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة قدم
اليعاقبة بطركا اسمه   فأقام عشرين سنة ومات وفى أيامه ثار المسلمون بالقدس سنة خمس وعشرين (هكذا بياض فى الأصل)
وثلثمائة وحرقوا كنيسة القيامة ونهبوها وخربوا منها ماقدروا عليه * وفى يوم الاثنين آخر شهر رجب
سنة ثمان وعشرين وثلثمائة مات سعيد بن بطريق بطرك الاسكندرية على الملكية بعد ماأقام فى البطركية
سبع سنين ونصفا فى شرور متصلة مع طائفته فبعث الامير أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد أبا الحسين من قواده
فى طائفة من الجند الى مدينة تنيس حتى ختم على كنائس الملكية وأحضر آلاتها الى الفسطاط وكانت كثيرة جدا
فافتكها الاسقف بخمسة آلاف دينار باعوا فيها من وقف الكنائس ثم صالح طائفته وكان فاضلا وله تاريخ مفيد
وثار المسلمون أيضا بمدينة عسقلان وهدموا كنيسة مريم الخضراء ونهبوا مافيها وأعانهم اليهود حتى أحرقوها
ففرّ أسقف عسقلان الى الرملة وأقام بها حتى مات وقدم اليعاقبة فى سنة خمس وأربعين وثلثمائة تاوفانيوس
بطركا فأقام أربع سنين وستة اشهر ومات فأقيم بعده مينا فأقام احدى عشرة سنة ومات فخلا الكرسى بعده
سنة ثم قدم اليعاقبة افراهام بن زرعة فى سنة ست وستين وثلثمائة فأقام ثلاث سنين وستة أشهر ومات مسموما
من بعض كتاب النصارى وسببه انه منعه من التسرى فخلا الكرسى بعده ستة أشهر واقيم فيلاياوس فى سنة تسع
وستين فأقام أربعا وعشرين سنة ومات وكان مترفا * وفى ايامه أخذت الملكية كنيسة السيدة المعروفة بكنيسة
البطرك تسلمها منهم بطرك الملكية ارسانيوس فى أيام العزيز بالله نزار بن المعز وفى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قدم
اليعاقبة زخريس بطركا فأقام ثمانى وعشرين سنة منها فى البلايا مع الحاكم بأمر الله أبى علىّ منصور بن العزيز
بالله تسع سنين اعتقله فيها ثلاثة اشهر وأمر به فألقى للسباع هو وسوسنة النوبى فلم تضره فمازعم النصارى ولما
مات خلا الكرسى بعده أربعة وسبعين يوما وفى بطركيته نزل بالنصارى شدائد لم يعهدوا امثالها وذلك أن كثيرا
منهم كان قد تمكن فى أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء وتعاظموا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم فاشتد
بأسهم وتزايد ضررهم ومكايدتهم للمسلمين فأغضب الحاكم بأمر الله ذلك وكان لا يملك نفسه اذا غضب فقبض على
عيسى بن نسطورس النصرانى وهو اذ ذاك فى رتبة تضاهى رتب الوزراء وضرب عنقه ثم قبض على فهد بن ابراهيم
النصرانى كاتب الاستاذ برجوان وضرب عنقه وتشدد على النصارى وألزمهم بلبس ثياب الغيار وشد الزنار
فى أوساطهم ومنعهم من عمل الشعانين وعيد الصليب والتظاهر بما كانت عادتهم فعله فى أعيادهم من الاجتماع
واللهو وقبض على جميع ماهو محبس على الكنائس والديارات وأدخله فى الديوان وكتب الى أعماله كلها
بذلك وأحرق عدة صلبان كثيرة ومنع النصارى من شراء العبيد والاماء وهدم الكنائس التى بخط راشدة ظاهر
مدينة مصر وأخرب كنائس المقس خارج القاهرة وأباح مافيها للناس فانتهبوا منها مايجل وصفه وهدم دير القصير
وانهب العامة مافيه ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطئ النيل بمصر وأبطل ما كان يعمل فيه من
الاجتماع للهو وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التى زنة كل صليب منها خمسة أرطال فى أعناقهم
ومنعهم من ركوب الخيل وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير بسروج ولجم غير محلاة بالذهب والفضة
بل تكون من جلود سود وضرب بالجرس فى القاهرة ومصر أن لا يركب أحد من المكارية ذميا ولا يحمل نوتى
مسلم أحدا من أهل الذمة وأن تكون ثياب النصارى وعمائمهم شديدة السواد وركب سروجهم من خشب
الجميز وأن يعلق اليهود فى أعناقهم خشبا مدوّرا زنة الخشبة منها خمسة ارطال وهى ظاهرة فوق ثيابهم وأخذ
فى هدم الكنائس كلها وأباح مافيها وماهو محبس عليها للناس نهبا واقطاعا فهدمت بأسرها ونهب جميع أمتعتها
وأقطع أحباسها وبنى فى مواضعها المساجد وأذن بالصلاة فى كنيسة شنودة بمصر وأحيط بكنيسة المعلقة
فى قصر الشمع وأكثر الناس من رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها فلم يرد قصة منها الا وقد وقع
عليها باجابة رافعها الى ماسأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات وباعوا باسواق مصر ماوجدوا من أوانى الذهب
والفضة وغير ذلك وتصرفوا فى أحباسها ووجد بكنيسة شنودة مال جليل ووجد فى المعلقة من المصاغ
وثياب الديباج أمر كثير جدا الى الغاية وكتب الى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات

فتم الهدم فيهما من سنة ثلاث وأربعمائة حتى ذكر من يوثق به فى ذلك أن الذى هدم الى اخر سنة خمس وأربعمائة بمصر والشام وأعمالهما من الهياكل التى بناها الروم نيف وثلاثون ألف بيعة ونهب مافيهما من آلات الذهب والفضة وقبض على أوقافها وكانت أوقافا جليلة على مبان عجيبة وألزم النصارى أن تكون الصلبان فى أعناقهم اذا دخلوا الحمام وألزم اليهود أن يكون فى أعناقهم الاجراس اذا دخلوا الحمام ثم ألزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر الى بلاد الروم فاجتمعوا بأسرهم تحت القصر من القاهرة واستغاثوا ولاذوا بعفو أمير المؤمنين حتى أعفوا من النفى وفى هذه الحوادث اسلم كثير من النصارى * وفى سنة سبع وأربعمائة وثب بعض أكابر البلغر على ملكهم قطورس فقتله وملك عوضه وكتب الى باسيل ملك قسطنطينية بطاعته فاقره ثم قتل بعد سنة فسار الملك باسيل اليهم فى شوال سنة ثمان وأربعمائة واستولى على مملكة البلغر وأقام فى قلاعها عدة من الروم وعاد الى قسطنطينية فاختلط الروم بالبلغر ونكحوا منهم وصاروا يدا واحدة بعد شدة العداوة وقدم اليعاقبة عليهم ساونين بطركا بالاسكندرية فى سنة احدى وعشرين وأربعمائة فى يوم الاحد ثالث عشرى برمهات فأقام خمس عشرة سنة ونصفا وومات فى طوبه وكان محبا للمال وأخذ الشرطونية فخلا الكرسى بعده سنة وخمسة أشهر ثم قدم اليعاقبة اخرسطوديس بطركا فى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة فأقام ثلاثين سنة ومات بالمعلقة من مصر وهو الذى جعل كنيسة بومرقوره بمصر وكنيسة السيدة بحارة الروم من القاهرة فى أيام بطركيته فلم يقم بعده بطرك اثنين وسبعين يوما ثم أقام اليعاقبة كيرلص فأقام أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصفا ومات بكنيسة المختار من جزيرة مصر المعروفة بالروضة فى سلخ ربيع الاخر سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل بدلة للبطاركة من ديباج ازرق وبلارية ديباج أحمر بتصاوير ذهب وقطع الشرطونية فلم يول بعده بطرك مدة مائة وأربعة وعشرين يوما ثم اقيم ميخائيل الحبيس بسنجار فى سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فأقام تسع سنين وثمانية أشهر ومات فى المعلقة بمصر وكان المستنصر بالله لما نقص نيل مصر بعثه الى بلاد الحبشة بهدية سنية فتلقاه ملكها وسأله عن سبب قدومه فعرفه نقص النيل وضرر أهل مصر بسبب ذلك فأمر بفتح سد يجرى منه الماء الى أرض مصر ففتح وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت ثم عاد البطرك فخلع عليه المستنصر وأحسن اليه * وفى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قدم اليعاقبة مقارى بطركا بدير بومقار وكمل بالاسكندرية وعاد الى مصر ثم مضى الى دير بومقار فقدس به ثم جاء الى مصر فقدس بالمعلقة فأقام ستا وعشرين سنة وأحدا وأربعين يوما ومات فخلت مصر من بطرك اليعاقبة سنتين وشهرين وفى أيامه حدثت زلزلة عظيمة بمصر هدم فيها كنيسة المختار بالروضة واتهم الافضل بن أمير الجيوش بهدمها لانها كانت فى بستانه وفى أيامه أبطل عوايد كثيرة للنصارى فبطلت بعده ثم قدم اليعاقبة غبريال المكنى بأبى العلا صاعد بن تريك الشماس بكنيسة مرقوريوس فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة بالمعلقة وكمل بالاسكندرية وقدس بالاديرة بوادى هبيب وأقام أربع عشرة سنة ومات فخلا بعده كرسى اليعاقبة ثلاثة أشهر ثم قدم اليعاقبة ميخائيل بن التقدوسى الراهب بقلاية دمشرى بطركا فأقام مدة سنة وسبعين يوما ثم اقيم يونس أبو الفتح بطركا بالمعلقة وكمل بالاسكندرية فأقام تسع عشرة سنة ومات فى سابع عشرى جمادى الاخرة سنة احدى وخمسين وخمسمائة فخلا الكرسى بعده ثلاثة وأربعين يوما وقدم مرقص بن زرعة المكنى بأبى الفرج بطرك اليعاقبة بمصر وكمل بالاسكندرية فأقام اثنتين وعشرين سنة وستة أشهر وخمسة وعشرين يوما ومات وفى ايامه انتقل مرقص بن قنبر وجماعة من القنابرة الى رأى الملكية ثم عاد الى اليعقوبية فقبل ثم عاد الى الملكية ورجع فلم يقبل وكان هذا البطرك له همة ومروءة * وفى أيامه كان حريق شاور الوزير لمصر فى ثامن عشر هتور فاحترقت كنيسة بومرقورة وخلا بعده كرسى البطاركة سبعة وعشرين يوما ثم قدم اليعاقبة يونس بن أبى غالب بطركا فى يوم الاحد عاشر ذى الحجة سنة أربع وثمانين وخمسمائة وكمل بالاسكندرية فأقام ستا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ومات يوم الخميس رابع عشر شهر رمضان سنة ثنتى عشرة وستمائة بالمعلقة بمصر ودفن بالحبش وكان فى ابتداء أمره تاجرا يتردد الى اليمن فى البحر حتى كثر ماله وكان معه مال لاولاد الخباب فاتفق انه غرق فى بحر الملح وذهب ماله ونجا بنفسه الى القاهرة وقد ايس أولاد الخباب من مالهم فلما لقيهم أعلمهم أن مالهم قد سلم فانه كان قد عمله فى نقائر خشب مسمرة فى المركب فصار اليهم به عناية فلما مات مرقص بن زرعة سعى يونس هذا للقس ابى ياسر

فقال له أولاد الحباب خذ أنت البطركية ونحن نزكيك فوافقهم واقيم بطركا فشق ذلك على أبي ياسر وهجره بعد صحبة طويلة وكان معه لما استقر في البطركية سبعة عشر ألف دينار مصرية انفقها على الفقراء وأبطل الديارية ومنع الشرطونية ولم يأكل لاحد من النصارى خبزا ولا قبل من أحد هدية فلما مات قام أبو الفتوح نشو الخليفة بن المقاط كاتب الجيش مع السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب في ولاية القس داود بن يوحنا بن لقلق الفيومي فانه كان خصيصا به فأجابه وكتب توقيعه من غير أن يعلم الملك الكامل محمد ابن السلطان فشق ذلك على النصارى وقام منهم الاسعد بن صدقة كاتب دار التفاح بمصر ومعه جماعة وتوجهوا سحرا ومعهم الشموع الى تحت قلعة الجبل حيث كان سكن الملك الكامل واستغاثوا به ووقعوا في القس وقالوا لا يصلح وفي شريعتنا انه لا يقدم البطرك الا باتفاق الجمهور عليه فبعث الملك الكامل يطيب خواطرهم وكان القس قد ركب بكرة ومعه الاساقفة وعالم كثير من النصارى ليقدموه بالمعلقة بمصر وذلك يوم الاحد فركب الملك الكامل بنحو كبير من القلعة الى أبيه بدار الوزارة من القاهرة حيث سكنه وأوقف ولاية القس فبعث السلطان في طلب الاساقفة ليتحقق الامر منهم فوافقهم الرسل مع القس في الطريق فأخذوهم ودخل القس الى كنيسة بوجرج التي بالحمراء وبطلت بطركيته وأقامت مصر بغير بطرك تسع عشرة سنة ومائة وستين يوما ثم قدم هذا القس بطركا في يوم الاحد تاسع عشرى شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة فأقام سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ومات يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين وستمائة ودفن بدير الشمع بالجيزة وكان عالما بدينه محبا للرياسة وأخذ الشرطونية في بطركيته وكانت الديارات بأرض مصر قد خلت من الاساقفة فقدم جماعة اساقفة كثيرة بمال كثير أخذه منهم وقاسى شدائد ورافعه الراهب عماد المرشال ووكل عليه وعلى اقاربه وألزامه وساعده الراهب السنى بن الثعبان وأشاع مثالبه وقال لا يصلح له كهونية لانه يقدم بالرشوة وأخذ الشرطونية وجمع عليه طائفة كثيرة وعقد مجلسا عند الصاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأثبت على البطرك قوادح فقام الكتاب النصارى في أمره مع الصاحب بمال يحمله الى السلطان حتى استمر على بطركيته وخلا كرسى البطاركة بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما ثم قدم اليعاقبة اثناسيوس ابن القس أبي المكارم بن كليل بالمعلقة في يوم الاحد رابع شهر رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكل بالاسكندرية فأقام احدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوما ومات يوم الاحد ثالث المحرم سنة ستين وستمائة فخلت مصر من البطركية خمسة وثمانين يوما ✱ وفي ايامه أخذ الوزير الاسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى الجوالى من النصارى مضاعفة وفي أيامه ثارت عوام دمشق وخربت كنيسة مريم بدمشق بعد احراقها ونهب مافيها وقتل جماعة من النصارى بدمشق ونهب دورهم وخرابها في سنة ثمان وخمسين وستمائة بعد وقعة عين جالوت وهزيمة المغل فلما دخل السلطان الملك المظفر قطز الى دمشق قرر على النصارى بها مائة ألف وخمسين ألف درهم جمعوها من بينهم وحملوها اليه بسفارة الامير فارس الدين اقطاى المستعرب اتابك العسكر ✱ وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة كانت واقعة النصارى ومن خبرها أن الامير سنجر الشجاعى كانت حرمته وافرة في أيام الملك المنصور قلاون فكان النصارى يركبون الحمير بزنانير في أوساطهم ولا يجسر نصرانى يحدث مسلما وهو راكب واذا مشى فبذلة ولا يقدر أحد منهم يلبس ثوبا مصقولا فلما مات الملك المنصور وتسلطن من بعده ابنه الملك الاشرف خليل خدم الكتاب النصارى عند الامراء الخاصكية وقووا نفوسهم على المسلمين وترفعوا في ملابسهم وهيآتهم وكان منهم كاتب عند خاصكى يعرف بعين الغزال فصدف يوما في طريق مصر سمسار شونة مخدومه فنزل السمسار عن دابته وقبل رجل الكاتب فأخذ يسبه ويهدده على مال قد تأخر عليه من ثمن غلة الامير وهو يترفق له ويعتذر فلا يزيده ذلك عليه الا غلظة وأمر غلامه فنزل وكتف السمسار ومضى به والناس تجتمع عليه حتى صار الى صليبة جامع أحمد بن طولون ومعه عالم كبير وما منهم الا من يسأله أن يخلى عن السمسار وهو يمتنع عليهم فتكاثروا عليه وألقوه عن حماره وأطلقوا السمسار وكان قد قرب من بيت استاذه فبعث غلامه لينجده بمن فيه فأتاه بطائفة من غلمان الامير وأوجاقيته فخلصوه من الناس وشرعوا في القبض عليهم ليفتكوا بهم فصاحوا عليهم ما يحل ومروا مسرعين الى أن وقفوا تحت القلعة واستغاثوا نصر الله السلطان فأرسل يكشف الخبر فعرفوه ما كان من استطالة الكاتب النصرانى على السمسار وما جرى لهم فطلب عين الغزال ورسم للعامة باحضار

النصارى اليه وطلب الامير بدر الدين بيدرا النائب والامير سنجر الشجاعى وتقدم اليهما باحضار جميع النصارى بين يديه ليقتلهم فمازالا به حتى استقر الحال على أن ينادى فى القاهرة ومصر أن لا يخدم أحد من النصارى واليهود عند أمير وأمر الامراء بأجمعهم أن يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الاسلام فمن امتنع من الاسلام ضربت عنقه ومن اسلم استخدموه عندهم ورسم للنائب بعرض جميع مباشرى ديوان السلطان ويفعل فيهم ذلك فنزل الطلب لهم وقد اختفوا فصارت العامة تسبق الى بيوتهم وتنهبها حتى عم النهب بيوت النصارى واليهود بأجمعهم وأخرجوا نساءهم مسبيات وقتلوا جماعة بأيديهم فقام الامير بيدرا النائب مع السلطان فى أمر العامة وتلطف به حتى ركب والى القاهرة ونادى من نهب بيت نصرانى شنق وقبض على طائفة من العامة وشهرهم بعد ما ضربهم فانكفوا عن النهب بعد ما نهبوا كنيسة المعلقة بمصر وقتلوا منها جماعة ثم جمع النائب كثيرا من النصارى كتاب السلطان والامراء وأوقفهم بين يدى السلطان عن بعد منه فرسم للشجاعى وأمير جاندار أن يأخذا عدة معهما وينزلوا الى سوق الخيل تحت القلعة ويحفروا حفيرة كبيرة ويلقوا فيها الكتاب الحاضرين ويضرموا عليهم الحطب نارا فتقدم الامير بيدرا وشفع فيهم فأبى أن يقبل شفاعته وقال ما اريد فى دولتى ديوانا نصرانيا فلم يزل به حتى سمح بأن من اسلم منهم يستقر فى خدمته ومن امتنع ضربت عنقه فأخرجهم الى دار النيابة وقال لهم يا جماعة ما وصلت قدرتى مع السلطان فى أمركم الا على شرط وهو أن من اختار دينه قتل ومن اختار الاسلام خلع عليه وباشر فابتدره المكين بن السقاعى أحد المستوفين وقال يا خوند وأينا قوادٍ يختار القتل على هذا الدين الخراء والله دين نقتل ونموت عليه يروح لا كتب الله عليه سلامة قولوا لنا الذى تختاروه حتى نروح اليه فغلب بيدرا الضحك وقال له ويلك أنحن نختار غير دين الاسلام فقال يا خوند ما نعرف قولوا ونحن نتبعكم فأحضر العدول واستسلمهم وكتب بذلك شهادات عليهم ودخل بها على السلطان فألبسهم تشاريف وخرجوا الى مجلس الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فبدأ بعض الحاضرين بالمكين بن السقاعى وناوله ورقة ليكتب عليها وقال يا مولانا القاضى اكتب على هذه الورقة فقال يا بنى ما كان لنا هذا القضاء فى خلد فلم يزالوا فى مجلس الوزير الى العصر فجاءهم الحاجب وأخذهم الى مجلس النائب وقد جمع به القضاة فجددوا اسلامهم بحضرتهم فصار الذليل منهم باظهار الاسلام عزيزا يبدى من اذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم ما كان يمنعه نصرانيته من اظهاره وما هو الا كما كتب به بعضهم الى الامير بيدرا النائب

أسلم الكافرون بالسيف قهرا * واذا ما خلوا فهم مجرمونا
سلموا من رواح مال وروح * فهم سالمون لا مسلمونا

* وفى أخريات شهر رجب سنة سبعمائة قدم وزير متملك المغرب الى القاهرة حاجا وصار يركب الى الموكب السلطانى وبيوت الامراء فبينا هو ذات يوم بسوق الخيل تحت القلعة اذا هو برجل راكب على فرس وعليه عمامة بيضاء وفرجية مصقولة وجماعة يمشون فى ركابه وهم يسألونه ويتضرعون اليه ويقبلون رجليه وهو معرض عنهم وينهرهم ويصيح بغلمانه أن يطردوهم عنه فقال له بعضهم يا مولاى الشيخ بحياة ولدك النشو تنظر فى حالنا فلم يزده ذلك الا عتوا وتحامقا فرق المغربى لهم وهم بمخاطبته فى أمرهم فقيل له وانه مع ذلك نصرانى فغضب لذلك وكاد أن يبطش به ثم كف عنه وطلع الى القلعة وجلس مع الامير سلار نائب السلطان والامير بيبرس الجاشنكير وأخذ يحادثهم بما رآه وهو يبكى رحمة للمسلمين بما نالهم من قسوة النصارى ثم وعظ الامراء وحذرهم نقمة الله وتسليط عدوهم عليهم من تمكين النصارى من ركوب الخيل وتسلطهم على المسلمين واذلالهم اياهم وان الواجب الزامهم الصغار وحملهم على العهد الذى كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمالوا الى قوله وطلبوا بطرك النصارى وكبراءهم وديان اليهود فجمعت نصارى كنيسة المعلقة ونصارى دير البغل ونحوهم وحضر كبراء اليهود والنصارى وقد حضر القضاة الاربعة وناظروا النصارى واليهود فأذعنوا الى التزام العهد العمرى وألزم بطرك النصارى طائفته النصارى بلبس العمائم الزرق وشد الزنار فى أوساطهم ومنعهم من ركوب الخيل والبغال والتزام الصغار وحرم عليهم مخالفة ذلك او شئ منه وانه برئ من النصرانية ان خالف ثم اتبعه ديان اليهود بأن أوقع الكلمة على من خالف من اليهود ما شرط عليه من لبس العمائم الصفر والتزام

لعهد

العهد العمري وكتب بذلك عدة نسخ سيرت الى الاعمال فقام المغربي في هدم الكنائس فلم يمكنه قاضي القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد من ذلك وكتب خطه بأنه لا يجوز أن يهدم من الكنائس الا ما استجد بناؤه فغلقت عدة كنائس بالقاهرة ومصر مدة أيام فسعى بعض أعيان النصارى في فتح كنيسة حتى فتحها فثارت العامة ووقفوا للنائب والامراء واستغاثوا بأن النصارى قد فتحوا الكنائس بغير اذن وفيهم جماعة تكبروا عن لبس العمائم الزرق واحتمى كثير منهم بالامراء فنودي في القاهرة ومصر أن يلبس النصارى بأجمعهم العمائم الزرق ويلبس اليهود بأسرهم العمائم الصفر ومن لم يفعل ذلك نهب ماله وحل دمه ومنعوا جميعا من الخدمة في ديوان السلطان ودواوين الامراء حتى يسلموا فتسلطت الغوغاء عليهم وتتبعوهم فمن رأوه بغير الزي الذي رسم به ضربوه بالنعال وصفعوا عنقه حتى يكاد يهلك ومن مر بهم وقد ركب ولا يثني رجله ألقوه عن دابته وأوجعوه ضربا فاختفى كثير منهم وألجأت الضرورة عدة من أعيانهم الى اظهار الاسلام أنفة من لبس الازرق وركوب الحمير وقد أكثر شعراء العصر في ذكر تغيير زي أهل الذمة فقال علاء الدين علي بن مظفر الوداعي

لقد ألزم الكفار شاشات ذلة * تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ما ألبسوكم عمائما * ولكنهم قد ألزموكم براطيشا

وقال شمس الدين الطيبي

تعجبوا للنصارى واليهود معا * والسامريين لما عمموا الخرقا
كأنما بات بالاصباغ منسهلا * نسر السماء فأضحى فوقهم زرقا

فبعث ملك برشلونة في سنة ثلاث وسبعمائة هدية جليلة زائدة عن عادته عم بها جميع أرباب الوظائف من الامراء مع ما خص به السلطان وكتب يسأل في فتح الكنائس فاتفق الرأي على فتح كنيسة حارة زويلة لليعاقبة وفتح كنيسة البندقانيين من القاهرة ثم لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة هدمت كنائس أرض مصر في ساعة واحدة كما ذكر في أخبار كنيسة الزهري وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة رسم بتحرير ما هو موقوف على الكنائس من أراضي مصر فأناف على خمسة وعشرين ألف فدان وسبب الفحص عن ذلك كثرة تعاظم النصارى وتعديهم في الشر والاضرار بالمسلمين لتمكنهم من امراء الدولة وتفاخرهم بالملابس الجليلة والمغالاة في أثمانها والتبسط في المآكل والمشارب وخروجهم عن الحد في الجراءة والسلاطة الى أن اتفق مرور بعض كتاب النصارى على الجامع الازهر من القاهرة وهو راكب بخف ومهماز وبقباء اسكندري طرح على رأسه وقدامه طرادون يمنعون الناس من مزاحمته وخلفه عدة عبيد بثياب سرية على أكاديش فارهة فشق ذلك على جماعة من المسلمين وثاروا به وأنزلوه عن فرسه وقصدوا قتله وقد اجتمع عالم كبير ثم خلوا عنه وتحدث جماعة مع الامير طاز في أمر النصارى وما هم عليه فوعدهم بالانصاف منهم فرفعوا قصة على لسان المسلمين قرئت على السلطان الملك الصالح صالح بحضرة الامراء والقضاة وسائر أهل الدولة تتضمن الشكوى من النصارى وأن يعقد لهم مجلس ليلتزموا بما عليهم من الشروط فرسم بطلب بطرك النصارى وأعيان أهل ملتهم وبطلب رئيس اليهود وأعيانهم وحضر القضاة والامراء بين يدي السلطان وقرأ القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر العهد الذي كتب بين المسلمين وبين أهل الذمة وقد أحضروه معهم حتى فرغ منه فالتزم من حضر منهم بما فيه وأقروا به فعددت لهم أفعالهم التي جاهروا بها وهم عليها وانهم لا يرجعون عنها غير قليل ثم يعودون اليها كما فعلوه غير مرة فيما سلف فاستقر الحال على أن يمنعوا من المباشرة بشيء من ديوان السلطان ودواوين الامراء ولو أظهروا الاسلام وأن لا يكره أحد منهم على اظهار الاسلام ويكتب بذلك الى الاعمال فتسلطت العامة عليهم وتتبعوا آثارهم وأخذوهم في الطرقات وقطعوا ما عليهم من الثياب وأوجعوهم ضربا ولم يتركوهم حتى يسلموا وصاروا يضرمون لهم النار ليلقوهم فيها فاختفوا في بيوتهم ولم يتجاسروا على المشي بين الناس فنودي بالمنع من التعرض لاذاهم فأخذت العامة في تتبع عوراتهم وما علوه من دورهم على بناء المسلمين فهدموه واشتد الامر على النصارى باختفائهم حتى انهم فقدوا من الطرقات مدة فلم ير منهم ولا من اليهود أحد فرفع المسلمون قصة قرئت في دار العدل في يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب تتضمن أن النصارى قد استجدوا عمارات في كنائسهم ووسعوها هذا وقد اجتمع بالقلعة عالم عظيم واستغاثوا بالسلطان

من النصارى فرسم بركوب والى القاهرة وكشفه على ذلك فلم تمهل العامة ومرت بسرعة فخربت كنيسة بجوار قناطر السباع وكنيسة بطريق مصر للاسرى وكنيسة الفهادين بالجوانية من القاهرة ودير نهيا من الجيزة وكنيسة بناحية بولاق التكرورى ونهبوا حواصل ما خربوه من ذلك وكانت كثيرة وأخذوا أخشابها ورخامها وهجموا كنائس مصر والقاهرة ولم يبق الا أن يخربوا كنيسة البندقانيين بالقاهرة فركب الوالى ومنعهم منها واشتدت العامة وعجز الحكام عن كفهم وكان قد كتب الى جميع أعمال مصر وبلاد الشام أن لا يستخدم يهودى ولا نصرانى ولو أسلم وانه من أسلم منهم لا يمكن من العبور الى بيته ولا من معاشرة أهله الا أن يسلموا وأن يلزم من أسلم منهم بملازمة المساجد والجوامع لشهود الصلوات الخمس والجمع وأن من مات من أهل الذمة يتولى المسلمون قسمة تركته على ورثته ان كان له وارث والا فهى لبيت المال وكان يلى ذلك البطرك وكتب بذلك مرسوم قرئ على الامراء ثم نزل به الحاجب فقرأه فى يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الآخرة بجوامع القاهرة ومصر فكان يوما مشهودا ثم أحضر فى أثنوبات شهر رجب من كنيسة شبرا بعد ما هدمت اصبع الشهيد الذى كان يلقى فى النيل حتى يزيد بزعمهم وهو فى صندوق فأحرق بين يدى السلطان بالميدان من قلعة الجبل وذرى رماده فى البحر خشية من أخذ النصارى له فقدمت الاخبار بكثرة دخول النصارى من أهل الصعيد والوجه البحرى فى الاسلام وتعلمهم القرآن وان أكثر كنائس الصعيد هدمت وبنيت مساجد وانه أسلم بمدينة قليوب فى يوم واحد أربعمائة وخمسون نصرانيا وكذلك بعامة الارياف مكرا منهم وخديعة حتى يستخدموا فى المباشرات وينكحوا المسلمات فتم لهم مرادهم واختلطت بذلك الانساب حتى صار أكثر الناس من أولادهم ولا يخفى أمرهم على من نور الله قلبه فانه يظهر من آثارهم القبيحة اذا تمكنوا من الاسلام وأهله ما يعرف به الفطن سوء أصلهم وقديم معاداة أسلافهم للدين وحملته

(فصل) النصارى فرق كثيرة الملكانية والنسطورية واليعقوبية والبرذعانية والمرقولية وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحى حران وغير هؤلاء فنهم من مذهبه مذهب الحرانية ومنهم من يقول بالنور والظلمة والثنوية كلهم يقرون بنبوة المسيح عليه السلام ومنهم من يعتقد مذهب ارسطاطاليس والملكانية واليعقوبية والنسطورية متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقانيم وهذه الاقانيم الثلاثة شئ واحد وهو جوهر قديم ومعناه أب وابن وروح القدس اله واحد وان الابن نزل من السماء فتدرع جسدا من مريم وظهر للناس يحيى ويبرئ وينبئ ثم قتل وصلب وخرج من القبر لثلاث فظهر لقوم من أصحابه فعرفوه حق معرفته ثم صعد الى السماء فجلس عن يمين أبيه هذا الذى يجمعهم اعتقاده ثم انهم يختلفون فى العبارة عنه فنهم من يزعم أن القديم جوهر واحد يجمعه ثلاثة أقانيم كل أقنوم منها جوهر خاص فأحد هذه الاقانيم أب واحد غير مولود والثالث روح فائضة منبثقة بين الاب والابن وأن الابن لم يزل مولودا من الاب وأن الاب لم يزل والدا للابن لا على جهة النكاح والتناسل لكن على جهة تولد ضياء الشمس من ذات الشمس وتولد حر النار من ذات النار ومنهم من يزعم أن معنى قولهم ان الاله ثلاثة أقانيم أنها ذات لها حياة ونطق فالحياة هى روح القدس والنطق هو العلم والحكمة والنطق والعلم والحكمة والكلمة عبارة عن الابن كما يقال الشمس وضياؤها والنار وحرها فهو عبارة عن ثلاثة أشياء ترجع الى أصل واحد ومنهم من يزعم انه لا يصح له أن يثبت الاله فاعلا حكيما الا انه يثبته حيا ناطقا ومعنى الناطق عندهم العالم المميز لا الذى يخرج الصوت بالحروف المركبة ومعنى الحى عندهم من له حياة بها يكون حيا ومعنى العالم من له علم به يكون عالما قالوا فذاته وعلمه وحياته ثلاثة أشياء والاصل واحد فالذات هى العلة للاثنين اللذين هما العلم والحياة والاثنان هما المعلولان للعلة ومنهم من يتنزه عن لفظ العلة والمعلول فى صفة القديم ويقول أب وابن والد وروح وحياة وعلم وحكمة ونطق قالوا والابن اتحد بانسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحا واحدا وان المسيح هو اله العباد وربهم ثم اختلفوا فى صفة الاتحاد فزعم بعضهم انه وقع بين جوهر لاهوتى وجوهر ناسوتى اتحاد فصارا مسيحا واحدا ولم يخرج الاتحاد كلا واحدا منهما عن جوهريته وعنصره وان المسيح اله معبود وأنه ابن مريم الذى حملته وولدته وانه قتل وصلب وزعم قوم أن المسيح بعد الاتحاد جوهران أحدهما لاهوتى والآخر ناسوتى وأن القتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وأن مريم حملت بالمسيح وولدته من جهة ناسوته وهذا قول النسطورية ثم يقولون ان المسيح بكماله

هكذا بياض فى الاصل

الهه معبود وأنه ابن الله تعالى الله عن قولهم وزعم قوم أن الاتحاد وقع بين جوهرين لاهوتي وناسوتي فالجوهر اللاهوتي بسيط غير منقسم ولا متجزئ وزعم قوم أن الاتحاد على جهة حلول الابن في الجسد ومخالطته اياه ومنهم من زعم أن الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم والنقش اذا وقع على طين او شمع وكظهور صورة الانسان في المرآة الى غير ذلك من الاختلاف الذي لا يوجد مثله في غيرهم حتى لا تكاد تجد اثنين منهم على قول واحد والملكانية تنسب الى ملك الروم وهم يقولون ان الله اسم لثلاثة معان فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد واليعقوبية تقول انه واحد قديم وانه كان لا جسم ولا انسان ثم تجسم وتأنس والمرقولية قالوا الله واحد وعلمه غيره قديم معه والمسيح ابنه على جهة الرحمة كما يقال ابراهيم خليل الله والمرقولية تزعم أن المسيح يطوف عليهم كل يوم وليلة والبوزغانية تزعم أن المسيح هو الذي يحشر الموتى من قبورهم ويحاسبهم

* (فصل) * وعندهم لا بد من تنصير أولادهم وذلك انهم يغمسون المولود في ماء قد اغلي بالرياحين وألوان الطيب في اجانة جديدة ويقرؤن عليه من كتابهم فيزعمون انه حينئذ ينزل عليه روح القدس ويسمون هذا الفعل المعمودية وطهارتهم انما هي غسل الوجه واليدين فقط ولا يختتن منهم الا اليعقوبية ولهم سبع صلوات يستقبلون فيها المشرق ويحجون الى بيت المقدس وزكاتهم العشر من أموالهم وصيامهم خمسون يوما فالثاني والاربعون منه عيد الشعانين وهو اليوم الذي نزل فيه المسيح من الجبل ودخل بيت المقدس وبعده بأربعة أيام عيد الفصح وهو اليوم الذي خرج فيه موسى وقومه من مصر وبعده بثلاثة أيام عيد القيامة وهو اليوم الذي خرج فيه المسيح من القبر بزعمهم وبعده بثمانية أيام عيد الجديد وهو اليوم الذي ظهر فيه المسيح لتلامذته بعد خروجه من القبر وبعده بثمانية وثلاثين يوما عيد السلاق وهو اليوم الذي صعد فيه المسيح الى السماء ولهم عيد الصليب وهو اليوم الذي وجدوا فيه خشبة الصليب وزعموا أنها وضعت على ميت فعاش ولهم أيضا عيد الميلاد وعيد الذبح ولهم قرابين وكهنة فالشماس فوقه القس وفوق القس الاسقف وفوق الاسقف المطران وفوق المطران البطريق والسكر عندهم حرام ولا يحل لهم أكل اللحم ولا الجماع في الصوم وكل ما يباع في السوق ولم تعفه أنفسهم يباح أكله ولا يصح النكاح الا بحضور شماس وقس وعدول ومهر ويحرمون من النساء ما يحرمه المسلمون ولا يحل الجمع بين امرأتين ولا التسري بالاماء الا أن يعتقن ويتزوج بهن واذا خدم العبد سبع سنين عتق ولا يحل طلاق المرأة الا أن تأتي بفاحشة مبينة فتطلق ولا تحل للزوج أبدا وحد المحصن اذا زنى الرجم فان زنى غير محصن وحلت منه المرأة تزوج بها ومن قتل عمدا اقتل ومن قتل خطأ يضرب ولا يحل طلبه وأكثر أحكامهم من التوراة وقد لعن منهم من لاط أو شهد بالزور أو قامر أو زنى اوسكر

في بعض النسخ هنا بياض نحو ورقة اهـ

* (ذكر ديارات النصارى) *

قال ابن سيده الدير خان النصارى والجمع أديار وصاحبه ديار وديراني * قلت الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة

* (القلاية بمصر) * هذه القلاية بجانب المعلقة التي تعرف بقصر الشمع في مدينة مصر وهي مجمع أكابر الرهبان وعلماء النصارى وحكمها عندهم حكم الاديرة

* (دير طرا) * ويعرف بدير أبي جرج وهو على شاطئ النيل * وأبو جرج هذا هو جرجس وكان ممن عذبه الملك دقلطيانوس ليرجع عن دين النصرانية ونوع له العقوبات من الضرب والتحريق بالنار فلم يرجع فضرب عنقه بالسيف في ثالث تشرين وسابع بابه

* (دير شعران) * هذا الدير في حدود ناحية طرا وهو مبني بالحجر واللبن وبه نخل وبه عدة رهبان ويقال انما هو دير شهران بالهاء وان شهران كان من حكماء النصارى وقيل بل كان ملكا وكان هذا الدير يعرف قديما بمرقوريوس الذي يقال له مرقورة وأبو مرقورة ثم لما سكنه برصوما ابن التبان عرف بدير برصوما وله عيد يعمل في الجمعة الخامسة من الصوم الكبير فيحضره البطرك وأكابر النصارى وينفقون فيه مالا كبيرا * ومرقوريوس هذا كان ممن قتله دقلطيانوس في تاسع عشر تموز وخامس عشري أبيب وكان جنديا

* (دير الرسل) * هذا الدير خارج ناحية الصف والودي وهو دير قديم لطيف

* (دير بطرس وبولس) * هذا الدير خارج اطفيح من قبليها وهو دير لطيف وله عيد في خامس أبيب يعرف بعيد

القصرية * وبطرس هذا هو أكبر الرسل الحواريين وكان دباغا وقيل صيادا قتله الملك نيرون في تاسع عشري حزيران وخامس أبيب * وبولص هذا كان يهوديا فتنصر بعد رفع المسيح عليه السلام ودعا الى دينه فقتله الملك نيرون بعد قتله بطرس بسنة

*(دير الجميزة) * ويعرف بدير الجود ويسمى موضعه الصحارة بجزائر الدير وهو قبالة الميمون وهو عزبة لدير العزبة بني على اسم انطونيوس ويقال انطونة وكان من أهل قمن فلما انقضت أيام الملك دقلطيانوس وفاتته الشهادة أحب أن يتعوض عنها بعبادة يوصل ثوابها أو قريبا من ذلك فترهب وكان أول من أحدث الرهبانية للنصارى عوضا عن الشهادة وواصل أربعين يوما ليلا ونهارا طاويا لا يتناول طعاما ولا شرابا مع قيام الليل وكان هكذا يفعل في الصيام الكبير كل سنة

*(دير العزبة) * هذا الدير يسار اليه في الجبل الشرقي ثلاثة أيام بسير الابل وبينه وبين بحر القلزم مسافة يوم كامل وفيه غالب الفواكه مزدرعة وبه ثلاثة أعين تجري وبناه أنطونيوس المقدم ذكره ورهبان هذا الدير لا يزالون دهرهم صائمين لكن صومهم الى العصر فقط ثم يفطرون ما خلا الصوم الكبير والبرمولات فان صومهم في ذلك الى طلوع النجم والبرمولات هي الصوم كذلك بلغتهم

*(دير أنبا بولا) * وكان يقال له اولاد بولص ثم قيل له دير بولا ويعرف بدير النمورة أيضا وهذا الدير في البر الغربي من الطور وعلى عين ماء يردها المسافرون وعندهم أن هذه العين تطهرت منها مريم اخت موسى عليهما السلام عند نزول موسى ببني اسرائيل في برية القلزم * وانبا بولا هذا كان من أهل الاسكندرية فلما مات أبوه ترك له ولاخيه مالا جما فخاصمه اخوه في ذلك وخرج مغاضبا له فرأى ميتا يقبر فاعتبر به ومر على وجهه سائحا حتى نزل على هذه العين فأقام هنالك والله تعالى يرزقه فزاره انطونيوس وصحبه حتى مات فبني هذا الدير على قبره وبين هذا الدير والبحر ثلاث ساعات وفيه بستان فيه نخل وعنب وبه عين ماء تجري أيضا

*(دير القصير) * قال أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي في كتاب الديارات وهذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته وهو دير حسن البناء محكم الصنعة نزه البقعة وفيه رهبان مقيمون به وله بئر منقورة في الحجر يستقي له منها الماء وفي هيكله صورة مريم عليها السلام في لوح والناس يقصدون الموضع للنظر الى هذه الصورة وفي أعلاه غرفة بناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون لها أربع طاقات الى أربع جهات وكان كثير الغشيان لهذا الدير معجبا بالصورة التي فيه يستحسنها ويشرب على النظر اليها وفي الطريق الى هذا الدير من جهة مصر صعوبة وأما من قبليه فسهل الصعود والنزول والى جانبه صومعة لا تخلو من حبيس يكون فيها وهو مطل على القرية المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر وهي قرية كبيرة عامرة على شاطئ البحر ويذكرون أن موسى صلوات الله عليه ولد فيها ومنها ألقته امه الى البحر في التابوت وبه أيضا دير يعرف بدير شهران ودير القصير هذا احد الديارات المقصودة والمتنزهات المطروقة لحسن موضعه واشرافه على مصر وأعمالها وقد قال فيه شعراء مصر ووصفوه فذكروا طيبه ونزهته ولابي هريرة بن أبي عاصم فيه من المنسرح

كم لي بدير القصير من قصف * مع كل ذي صبوة وذي ظرف
لهوت فيه بشادن غنج * تقصر عنه بدائع الوصف

وقال ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وقد اختلف في القصير فعن ابن لهيعة قال ليس بقصير موسى النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه موسى الساحر وعن المفضل بن فضالة عن أبيه قال دخلنا على كعب الاحبار فقال لنا ممن انتم قلنا فتيان من أهل مصر فقال ما تقولون في القصير قلنا قصير موسى فقال ليس بقصير موسى ولكنه قصير عزيز مصر كان اذا جرى النيل يترفع فيه وعلى ذلك انه لمقدس من الجبل الى البحر قال ويقال بل كان موقدا يوقد فيه لفرعون اذا هو ركب من منف الى عين شمس وكان على المقطم موقد آخر فاذا رأوا النار علموا بركوبه فاعدوا له ما يريد وكذلك اذا ركب منصرفا من عين شمس والله أعلم وما أحسن قول كشاجم

سلام على دير القصير وسفحه * بجنات حلوان الى النخلات
منازل كانت لي بهن مآرب * وكن مواخيري ومنتزهاتي
اذا جئتها كان الجياد مراكبي * ومنصرفي في السفن منحدرات

فاقبض بالابصار وحشى عينها * وأقتنص الانسى فى الظلمات
معى كل بسام أغرّ مهذب * على كل مايهوى النديم موات
ولجان مما أمسكته كلابنا * علينا ومما صيد فى الشبكات
وكأس وابريق وناى ومزهر * وساق غرير فاتر اللحظات
كأن قضيب البان عند اهتزازه * تعلم من أعطافه الحركات
هنالك تصفولى مشارب لذتى * وتعجب أيام السرور حياتى

وقال علماء الاخبار من النصارى ان أرقاديوس ملك الروم طلب ارسانيوس ليعلم ولده ففطن أنه يقتله ففرّ الى مصر وترهب فبعث اليه أماناو أعلمه أن الطلب من أجل تعليم ولده فاستعفى وتحوّل الى الجبل المقطم شرقى طرا وأقام فى مغارة ثلاث سنين ومات فبعث اليه أرقاديوس فاذا هو قد مات فأمر أن يبنى على قبره كنيسة وهو المكان المعروف بدير القصير ويعرف الآن بدير البغل من أجل انه كان به بغل يستقى عليه الماء فاذا اخرج من الدير أتى الموردة وهناك من يملأ عليه فاذا افرغ من الماء تركه فعاد الى الدير * وفى رمضان سنة أربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير فأقام الهدم والنهب فيه مدّة أيام

*(دير مرحنا) * قال الشابشتى دير مرحنا على شاطئ بركة الحبش وهو قريب من النيل والى جانبه بساتين أنشأ بعضها الامير تميم بن المعز ومجلس على عمد حسن البناء مليح الصنعة مسوّر أنشاه الامير تميم أيضا وبقرب الدير بئر تعرف ببئر مماتى عليها جميزة كبيرة يجتمع الناس اليها ويشربون تحتها وهذا الموضع من مغانى اللعب ومواطن القصف والطرب وهو نزه فى أيام النيل وزيادة البحر وامتلاء البركة حسن المنظر فى أيام الزرع والنواوير لا يكاد حينئذ يخلو من المتنزهين والمتطربين وقد ذكرت الشعراء حسنه وطيبه وهذا الدير يعرف اليوم بدير الطين بالنون

*(دير أبى النعناع) * هذا الدير خارج انصنا وهو من جملة عماراتها القديمة وكنيسته فى قصره لا فى أرضه وهو على اسم أبى يحنس القصير وعيده فى العشرين من بابه وسيأتى ذكر أبى يحنس هذا

*(دير مغارة شقلقيل) * هو دير لطيف معلق فى الجبل وهو نقر فى الحجر على صخرة تحتها عقبة لا يتوصل اليه من أعلاه ولا من أسفله ولا سلم له وانما جعلت له نقور فى الجبل فاذا أراد أحد أن يصعد اليه ارخيت له سلبة فأمسكها بيده وجعل رجليه فى تلك النقور وصعد وبه طاحونة يديرها حمار واحد ويطل هذا الدير على النيل تجاه منفلوط وتجاه ام القصور وتجاهه جزيرة يحيط بها الماء وهى التى يقال لها شقلقيل وبها قريتان احداهما شقلقيل والاخرى بنى شقير ولهذا الدير عيد يجتمع فيه النصارى وهو على اسم بومينا وهو من الاجناد الذين عاقبهم ديقلطيانوس ليرجع عن النصرانية ويسجد للاصنام فثبت على دينه فقتله فى عاشر حزيران وسادس عشر بابه

*(دير بقطر) * بحاجر أبنوب من شرقى بنى مرّ تحت الجبل على مائتى قصبة منه وهو دير كبير جدّا وله عيد يجتمع فيه نصارى البلاد شرقا وغربا ويحضره الاسقف * وبقطر هذا هو ابن رومانوس كان أبوه من وزراء ديقلطيانوس وكان هو جيلا شجاعا له منزلة من الملك فلما تنصر وعده الملك ومناه ليرجع الى عبادة الاصنام فلم يفعل فقتله فى ثانى عشرى نيسان وسابع عشرى برمودة

*(دير بقطرشو) * فى بحرى أبنوب وهو دير لطيف خال وانما تأتيه النصارى مرّة فى كل سنة * وبقطرشو ممن عذبه ديقلطيانوس ليرجع عن النصرانية فلم يرجع فقتل فى العشرين من هتور وكان جنديا

*(دير بوجرج) * بنى على اسم بوجرج وهو خارج المعيصرة بناحية شرق بنى مرّ وتارة يخلو من الرهبان وتارة يعمر بهم وله وقت يعمل العيد فيه

*(دير جماس) * وجماس اسم بلد هو بحريها وله عيدان فى كل سنة وجموعات متعدّدة

*(دير الطير) هذا الدير قديم وهو مطلّ على النيل وله سلالم منحوتة فى الجبل وهو قبالة سمالوط * وقال الشابشتى وبنواحى اخميم دير كبير عامر يقصد من كل موضع وهو بقرب الجبل المعروف بجبل الكهف وفى موضع من الجبل شق فاذا كان يوم عيد هذا الدير لم يبق فى البلد بوقير حتى يجئ الى هذا الموضع فيكون أمرا عظيما

بكثرتها واجتماعها وصياحها عند الشق ولا يزال الواحد بعد الواحد يدخل رأسه فى ذلك الشق ويصيح ويخرج ويجئ غيره الى أن يعلق رأس أحدها وينشب فى الموضع فيضطرب حتى يموت وتتفرق حينئذ الباقية فلا يبقى منها طائر * وقال القاضى أبو جعفر القضاعى ومن عجائبها يعنى مصر شعب البوقيرات بناحية اشموم من أرض الصعيد وهو شعب فى جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات فى يوم من السنة كان معروفا فتعرض أنفسها على الصدع فكلما أدخل بوقير منها منقاره فى الصدع مضى لطيته فلا تزال تفعل ذلك حتى يلتق الصدع على بوقير منها فيحبسه وتمضى كلها ولا يزال ذلك الذى تحبسه معلقا حتى يتساقط * قال مؤلفه رحمه الله تعالى وقد بطل هذا فى جملة ما بطل

*(دير أبى هرمينة) * بحرى قاو الخراب وبحريه بربا قاو وهى مملوءة كتبا وحكما وبين دير الطين وهذا الدير نحو يومين ونصف وأبو هرمينة هذا من قدماء الرهبان المشهورين عند النصارى

*(دير السبعة جبال باخميم) * هذا الدير داخل سبعة أودية وهو دير عال بين جبال شامخة ولا تشرق عليه الشمس الا بعد ساعتين من الشروق لعلو الجبل الذى هو فى لحفه واذا بقى للغروب نحو ساعتين خيل لمن فيه أن الشمس قد غابت واقبل الليل فيشعلون حينئذ الضوء فيه وعلى هذا الدير من خارجه عين ماء تظلها صفصافة ويعرف هذا الموضع الذى فيه دير الصفصافة بوادى الملوك لان فيه نباتا يقال له الملوكة وهو شبه الفجل وماؤه أحمر قان يدخل فى صناعة علم أهل الكيمياء ومن داخل هذا الدير (دير القرقس) وهو فى أعلى جبل قد نقر فيه ولا يعلم له طريق بل يصعد اليه فى نقور فى الجبل ولا يتوصل اليه الا كذلك وبين دير الصفصافة ودير القرقس ثلاث ساعات وتحت دير القرقس عين ماء عذب وأشجار بان

*(دير صبرة) * فى شرقى اخميم عرف بعرب يقال لهم بنى صبرة وهو على اسم ميخائيل الملك وليس به غير راهب واحد

*(دير أبى بشادة الاسقف) * قريب من ناحية اتفه وهو بالحاجر وتجاهه فى الغرب منشأة اخميم وكان أبو بشادة هذا من علماء النصارى

*(دير بوهور الراهب) * ويعرف بدير سوادة وسوادة عرب تنزل هناك وهو قبالة منية بنى خصيب خربته العرب وهذه الاديرة كلها فى الشرق من النيل وجميعها لليعاقبة وليس فى الجانب الشرقى الآن سواها وأما الجانب الغربى من النيل فانه كثير الديارات لكثرة عمارته

*(دير دموة بالجيزة) * وتعرف بدموة السباع وهو على اسم قزمان ودميان وهو دير لطيف وتزعم النصارى أن بعض الحكماء كان يقال له سبع أقام بدموة وأن كنيسة دموة التى بأيدى اليهود الآن كانت ديرا من ديارات النصارى فابتاعته منهم اليهود فى ضائقة نزلت بهم وقد تقدم ذكر كنيسة دموة وقزمان ودميان من حكماء النصارى ورهبانهم العباد ولهما أخبار عندهم

*(دير نهيا) * قال الشابشتى ونهيا بالجيزة وديرها هذا من أحسن ديارات مصر وأنزهها وأطيبها موضعا وأجلها موقعا عامر برهبانه وسكانه وله فى أيام النيل منظر عجيب لان الماء يحيط به من جميع جهاته فاذا انصرف الماء وزرعت الارض اظهرت أراضيه غرائب النوار وأصناف الزهر وهو من المنتزهات الموصوفة والبقاع المستحسنة وله خليج يجتمع فيه سائر الطير فهو أيضا متصيد ممتع وقد وصفته الشعراء وذكرت حسنه وطيبه قلت وقد خرب هذا الدير

*(دير طمويه) * قال ياقوت طمويه بفتح الطاء وسكون الميم وفتح الواو وياء ساكنة قريتان بمصر احداهما فى كورة المرتاحية والاخرى بالجيزة قال الشابشتى وطمويه فى الغرب بازاء حلوان والدير راكب البحر حوله الكروم والبساتين والنخل والشجر وهو نزه عامر آهل وله فى النيل منظر حسن وحين تخضر الارض يكون فى بساطين من البحر والزرع وهو أحد منتزهات أهل مصر المذكورة ومواضع لهوها المشهورة * ولابن أبى عاصم المصرى فيه من البسيط

واشرب بطمويه من صهباء صافية * تزرى بخمر قرى هيت وعانات

على رياض

على رياض من النوار زاهرة * تجرى الجداول فيما بين جنات
كأن نبت الشقيق الصفرى بها * كاسات خمر بدت فى اثر كاسات
كأن نرجسها من حسنه حدق * فى خفية يتناجى بالاشارات
كأنما النيل فى مر النسيم به * مستلئم فى دروع سابريات
منازل كنت مفتونا بها شغفا * وكن قدما مواخير وحانات
اذلا أزال حليا بالصبوح على * ضرب النواقيس صبا بالديارات

قلت هذا الدير عند النصارى على اسم بوجرج ويجتمع فيه النصارى من النواحى

*(دير اقفاص) * وصوابها اقفهس وقد خرب

*(دير خارج ناحية منهرى) * خامل الذكر لانهم لايطعمون فيه أحدا

*(دير الخادم) * على جانب المنهى باعمال البهنسا على اسم غبريال الملك به بستان فيه نخل وزيتون

*(دير أشنين) * عرف بناحية أشنين فانه فى بحريها وهو لطيف على اسم السيدة مريم وليس به سوى راهب واحد

*(دير ايسوس) * ومعنى ايسوس يسوع ويقال له دير أرجنوس وله عيد فى خامس عشرى بشنس فاذا كان ليلة هذا اليوم سدت بئر فيه تعرف ببئر ايسوس وقد اجتمع الناس الى الساعة السادسة من النهار ثم كشفوا الطابق عن البئر فاذا بها قد فاض ماؤها ثم ينزل بخيث وصل الماء قاسوا منه الى موضع استقر فيه الماء فما بلغ كانت زيادة النيل فى تلك السنة من الاذرع

*(دير سدمنت) * على جانب المنهى بالحاجر بين الفيوم والريف على اسم بوجرج وقد ضعفت أحواله عما كان عليه وقل ساكنه

*(دير النقلون) * ويقال له دير الخشبة ودير غبريال الملك وهو تحت مغارة فى الجبل الذى يقال له طارف الفيوم وهذه المغارة تعرف عندهم بمظلة يعقوب يزعمون أن يعقوب عليه السلام لما قدم مصر كان يستظل بها وهذا الجبل مطل على بلدين يقال لهما اطفيح شيلا وشلا ويعلا الماء لهذا الدير من بحر المنهى ومن تحت دير سدمنت ولهذا الدير عيد يجتمع فيه نصارى الفيوم وغيرهم وهو على السكة التى تنزل الى الفيوم ولا يسلكها الا القليل من المسافرين

*(دير القلمون) * هذا الدير فى برية تحت عقبة القلمون يتوصل المسافر منها الى الفيوم يقال لها عقبة الغريق وبنى هذا الدير على اسم صمويل الراهب وكان فى زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ومات فى ثامن كيهك وفى هذا الدير نخل كثير يعمل من تمره العجوة وفيه أيضا شجر اللبخ ولا يوجد الا فيه وثمره بقدر الليمون طعمه حلو فى مثل طعم الرانج ولنواه عدة منافع وقال أبو حنيفة فى كتاب النبات ولا ينبت اللبخ الا بأنصنا وهو عود تنشر منه ألواح السفن وربما أرعف ناشرها ويباع اللوح منها بخمسين دينارا ونحوها واذا اشد لوح منها بلوح وطرحا فى الماء سنة التأما وصارا لوحا واحدا وفى هذا الدير قصران مبنيان بالحجارة وهما عاليان كبيران لبياضهما اشراق وفيه أيضا عين ماء تجرى وفى خارجه عين اخرى وبهذا الوادى عدة معابد قديمة وثم واد يقال له الاميلح فيه عين ماء تجرى ونخيل مثمرة تأخذ العرب ثمرها وخارج هذا الدير ملاحة يبيع رهبان الدير ملحها فيم تلك الجهات

*(دير السيدة مريم) * خارج طنبدى ليس فيه سوى راهب واحد وهو على غير الطريق المسلوك وكان بأعمال البهنسا عدة ديارات خربت

*(دير برقانا) * بحرى بنى خالد وهو مبنى بالحجر وعمارته حسنة وهو من أعمال المنية وكان به فى القديم ألف راهب وليس به الآن سوى راهبين وهو فى الحاجر تحت الجبل

*(دير بالوجه) * على جنب المنهى وهو لاهل دلجة وهو من الاديرة الكبار وقد خرب حتى لم يبق به سوى راهب أو راهبين وهو بازاء دلجة بينه وبينها نحو ساعتين

*(دير مرقورة) * ويقال أبو مرقورة هذا الدير تحت دلجة بخارجها من شرقيها وليس به أحد

(دير ضنبو) في خارجها من بحريها على اسم السيدة مريم وليس به أحد
(دير تادرس) قبلي ضنبو وقد تلاشى أمره لاتضاع حال النصارى
(دير الريمون) في شرقي ناحية الريمون وهو شرقي ملوى وغربي أنصنا وهو على اسم الملك غبريال
(دير المحرق) تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام أقام في موضعه ستة أشهر وأياما وله عيد عظيم يعرف بعيد الزيتونة وعيد العنصرة يجتمع فيه عالم كثير
(دير بني كلب) عرف بذلك لنزول بني كلب حوله وهو على اسم غبريال وليس فيه أحد من الرهبان وانما هو كنيسة لنصارى منفلوط وهو غربيها
(دير الجاولية) هذا الدير ناحية الجاولية من قبليها وهو على اسم الشهيد مرقورس الذي يقال له مرقورة وعليه رزق محبسة وتأتيه النذورات والفوائد وله عيدان في كل سنة
(دير السبعة جبال) هذا الدير على رأس الجبل الذي غربي سيوط على شاطئ النيل ويعرف بدير يحنس القصير وله عدة أعياد وخرب في سنة احدى وعشرين وثمانمائة من منسر طرقه ليلا *(يحنس)* ويقال أبو يحنس القصير كان راهبا قصاله أخبار كثيرة منها انه غرس خشبة يابسة في الارض بأمر شيخه له وسقاها الماء مدة فصارت شجرة مثمرة تأكل منها الرهبان وسميت شجرة الطاعة ودفن في ديره
(دير المطل) هذا الدير على اسم السيدة مريم وهو على طرف الجبل تحت دير السبعة جبال قبالة سيوط وله عيد يحضره أهل النواحي وليس به أحد من الرهبان

(اديرة أدرنكه)

اعلم أن ناحية أدرنكة هي من قرى النصارى الصعايدة وتصارلها أهل علم في دينهم وتفاسيرهم في اللسان القبطي ولهم ادبرة كثيرة في خارج البلد من قبليها مع الجبل وقد خرب أكثرها وبقي منها
(دير بوجرج) وهو عامر البناء وليس به أحد من الرهبان ويعمل فيه عيد في أوانه
(دير أرض الحاجر ودير ميكائيل ودير كرفونه) على اسم السيدة مريم وكان يقال له ارافونه واغرافونا ومعناه النساخ فان نساخ علوم النصارى كانت في القديم تقيم به وهو على طرف الجبل وفيه مغاير كثيرة منها مايسير الماشي بجنبه نحو يومين
(دير أبي بغام) تحت دير كرفونة بالحاجر وقد كان أبو بغام جنديا في أيام ديقلطيانوس فتنصر وعذب ليرجع عن دينه ثم قتل في ثامن عشري كانون الاول وثاني كيهك
(دير بوساويرس) بحاجر أدرنكة كان على اسم السيدة مريم وكان ساويرس من علماء الرهبان فعمل بطركا وظهرت آية عند موته وذلك انه أنذرهم لما سار الى الصعيد بأنه اذا مات ينشق الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على الكنيسة فلا تضرها فلما كان في بعض الايام سقطت قطعة عظيمة من الجبل كما قال فعلم رهبان هذا الدير بأن ساويرس قد مات فأرخوا ذلك فوجدوه وقت موته فسموا الدير حينئذ باسمه
(دير تادرس) تحت دير بوساويرس وتادرس اثنان كانا من أجناد ديقلطيانوس أحدهما يقال له قاتل التنين والآخر الاسفهسلار وقتلا كما قتل غيرهما
(دير منسي آلة) ويقال منساله وبني ساله وأيسا آله ومعنى ذلك اسحاق وكان على اسم السيدة ماريهام يعني مارمريم ثم عرف بمنساله وكان راهبا قديما له عندهم شهرة وبهذا الدير بئر تحته في الحاجر منها شرب الرهبان فاذا زاد النيل شربوا من مائه
(دير الرسل) تحت دير منساله ويعرف بدير الاثل وهو لاعمال بوتيج ودير منساله لاهل ريفة هو ودير ساويرس ودير كرفونة لاهل سيوط ودير بوجرج لاهل ادرنكة ودير الاثل كان في خراب فعمر بجانبه كفر لطيف عرف بمنشأة الشيخ لان الشيخ أبابكر الشاذلي أنشأه وأنشأ بستانا كبيرا وقد وجد موضعه بئرا كبيرة وجد بها كنزا أخبرني من شاهد من ذهبه دنانير مربعة بأحد وجهيها صليب وزنة الدينار مثقال ونصف وأديرة أدرنكة المذكورة قريب بعضها من بعض وبينها مغاير عديدة منقوش على ألواح فيها نقوشات من كتابة القدماء كما على البرابي وهي مزخرفة بعدة أصباغ ملونة تشتمل على علوم شتى ودير السبعة جبال ودير المطل

ودير

ودير النساخ خارج سيوط فى المقابر ويقال انه كان فى الحاجر بن ثلثمائة وستون ديرا وان المسافر كان لايزال من البدرشين الى أصفون فى ظل البساتين وقد خرب ذلك وباد أهله

* (دير موشه) * وموشه خارج سيوط من قبليها بنى على اسم توما الرسول الهندى وهو بين الغيطان قريب من ريفة وفى أيام النيل لا يوصل اليه الا فى مركب وله أعياد والاغلب على نصارى هذه الاديرة معرفة القبطى الصعيدى وهو أصل اللغة القبطية وبعدها اللغة القبطية البحرية ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون الا بالقبطية الصعيدية ولهم أيضا معرفة تامة باللغة الرومية

* (دير أبى مقروفة) * وأبو مقروفة اسم للبلدة التى بها هذا الدير وهو منقور فى لحف الجبل وفيه عدة مغاير وهو على اسم السيدة مريم وبمقروفة نصارى كثيرة غنامة ورعاة أكثرهم همج وفيهم قليل من يقرأ ويكتب وهو دير معطش

* (دير بومغام) * خارج طما وأهلها نصارى وكانوا أقدما أهل علم

* (دير بوشنوده) * ويعرف بالدير الابيض وهو غربى ناحية سوهاى وبناؤه بالحجر وقد خرب ولم يبق منه الا كنيسته ويقال ان مساحته أربعة فدادين ونصف وربع والباقى منه نحو فدان وهو دير قديم

* (الدير الاحمر) * ويعرف بدير أبى بشاى وهو بحرى الدير الابيض بينهما نحو ثلاث ساعات وهو دير لطيف مبنى بالطوب الاحمر وأبو بشاى هذا من الرهبان المعاصرين لشنوده وهو تلميذه وصار من تحت يده ثلاثة آلاف راهب وله دير آخر فى برية شيهات

* (دير أبى ميساس) * ويقال أبو ميسيس واسمه موسى وهذا الدير تحت البلينا وهو دير كبير * وأبو ميسيس هذا كان راهبا من أهل البلينا وله عندهم شهرة وهم ينذرونه ويزعمون فيه مزاعم ولم يبق بعد هذا الدير الا ادير بحاجر اسنا وتقادة قليلة العمارة وكان بأصفون دير كبير وكانت أصفون من أحسن بلاد مصر وأكثر نواحى الصعيد فواكه وكان رهبان ديرها معروفين بالعلم والمهارة فخربت أصفون وخرب ديرها وهذا آخر أديرة الصعيد وهى كلها متلاشية آيلة الى الدثور بعد كثرة عمارتها ووفور أعداد رهبانها وسعة أرزاقهم وكثرة ما كان يحمل اليهم * (وأما الوجه البحرى) * فكان فيه اديرة كثيرة خربت وبقى منها بقية فكان بالمقس خارج القاهرة من بحريها عدة كنائس هدمها الحاكم بأمر الله أبو على منصور فى تاسع عشر ذى الحجة سنة تسع وتسعين وثلثمائة وأباح ما كان فيها فنهب منها شئ كثير جدا بعد ما أمر فى شهر ربيع الاول منها بهدم كنائس راشدة خارج مدينة مصر من شرقيها وجعل موضعها الجامع المعروف براشدة وهدم أيضا فى سنة أربع وتسعين كنيستين هنالك وألزم النصارى بلبس السواد وشد الزنار وقبض على الاملاك التى كانت محبسة على الكنائس والاديرة وجعلها فى ديوان السلطان وأحرق عدة كثيرة من الصلبان ومنع النصارى من اظهار زينة الكنائس فى عيد الشعانين وتشدد عليهم وضرب جماعة منهم وكانت بالروضة كنيسة بجوار المقياس فهدمها السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة وكان فى ناحية أبى الغرس من الجيزة كنيسة قام فى هدمها رجل من الزيالعة لانه سمع أصوات النواقيس يجهر بها فى ليلة الجمعة بهذه الكنيسة فلم يتمكن من ذلك فى ايام الاشرف شعبان بن حسين لتمكن الاقباط فى الدولة فقام فى ذلك مع الامير الكبير برقوق وهو يومئذ القائم بتدبير الدولة حتى هدمها على يد القاضى جمال الدين محمود العجمى محتسب القاهرة فى ثامن عشر رمضان سنة ثمانين وسبعمائة وعملت مسجدا

* (دير الخندق) * ظاهر القاهرة من بحريها عمره القائد جوهر عوضا عن دير هدمه فى القاهرة كان بالقرب من الجامع الاقمر حيث البئر التى تعرف الآن ببئر العظمة وكانت اذ ذاك تعرف ببئر العظام من أجل انه نقل عظاما كانت بالدير وجعلها بدير الخندق ثم هدم دير الخندق فى رابع عشرى شوّال سنة ثمان وسبعين وستمائة فى ايام المنصور قلاون ثم جدّد هذا الدير الذى هنالك بعد ذلك وعمل كنيستين يأتى ذكرهما فى الكنائس

* (دير سرياقوس) * كان يعرف بأبى هور وله عيد يجتمع فيه الناس وكان فيه أعجوبة ذكرها الشابشتى وهو أن من كان به خنازير أخذه رئيس هذا الدير وأضجعه وجاء بخنزير فلحس موضع الوجع ثم أكل الخنازير

التى فيه فلا يتعدى ذلك الى الموضع الصحيح فاذا انظف الموضع ذرّ عليه رئيس الدير من رماد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ودهنه بزيت قنديل البيعة فانه يبرأ ثم يؤخذ ذلك الخنزير الذى أكل خنازير العليل فيذبح ويحرق ويعد رماده لمثل هذه الحالة فكان لهذا الدير دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة وفيه خلق من النصارى

(دير اتريب) ويعرف بمارى مريم وعيده فى حادى عشرى بؤنه وذكر الشابشتى أن حمامة بيضاء تأتى فى ذلك العيد فتدخل المذبح لايدرون من اين جاءت ولا يرونها الى يوم مثله * وقد تلاشى أمر هذا الدير حتى لم يبق به الا ثلاثة من الرهبان لكنهم يجتمعون فى عيده وهو على شاطئ النيل قريب من بنها العسل

(دير المغطس) عند الملاحات قريب من بحيرة البرلس وتحج اليه النصارى من قبلى أرض مصر ومن بحريها مثل حجهم الى كنيسة القمامة وذلك يوم عيده وهو فى بشنس ويسمونه عيد الظهور من أجل انهم يزعمون أن السيدة مريم تظهر لهم فيه ولهم فيه مزاعم كلها من أكاذيبهم المختلقة وليس بحذاء هذا الدير عمارة سوى منشأة صغيرة فى قبليه بشرق ويقرب به الملاحة التى يؤخذ منها الملح الرشيدى وقد هدم هذا الدير فى شهر رمضان سنة احدى وأربعين وثمانمائة بقيام بعض الفقراء المعتقدين

(دير العسكر) فى أرض السباخ على يوم من دير المغطس على اسم الرسل ويقرب به ملاحة الملح الرشيدى ولم يبق به سوى راهب واحد

(دير جميانة) على اسم بوجرج قريب من دير العسكر على ثلاث ساعات منه وعيده عقب عيد دير المغطس وليس به الآن أحد

(دير الميمنة) بالقرب من دير العسكر كانت له حالات جليلة ولم يكن فى القديم دير بالوجه البحرى أكثر رهبانا منه الا انه تلاشى أمره وخرب فتزله الحبش وعمروه وليس فى السباخ سوى هذه الاربعة الاديرة

*وأما وادى هبيب وهو وادى النطرون ويعرف ببرّية شيهات وبرّية الاسقط وبميزان القلوب فانه كان بها فى القديم مائة دير ثم صارت سبعة ممتدة غربا على جانب البرّية القاطعة بين بلاد البحيرة والفيوم وهى فى رمال منقطعة وسباخ مالحة وبرار منقطعة معطشة وقفار مهلكة وشراب أهلها من حفائر وتحمل النصارى اليهم النذور والقرابين وقد تلاشت فى هذا الوقت بعد ماذكر مورخو النصارى انه خرج الى عمرو بن العاص من هذه الاديرة سبعون ألف راهب بيد كل واحد عكاز فسلموا عليه وانه كتب لهم كتابا هو عندهم

(فنها دير ابى مقار الكبير) وهو دير جليل عندهم وبخارجه اديرة كثيرة خربت وكان دير النساك فى القديم ولا يصح عندهم بطركية البطرك حتى يجلسوه فى هذا الدير بعد جلوسه بكرسى اسكندرية ويذكر أنه كان فيه من الرهبان ألف وخمسمائة لا تزال مقيمة به وليس به الآن الا قليل منهم والمقارات ثلاثة أكبرهم صاحب هذا الدير ثم ابو مقار الاسكندرانى ثم ابو مقار الاسقف وهؤلاء الثلاثة قد وضعت رممهم فى ثلاث انابيب من خشب وتزورها النصارى بهذا الدير وبه أيضا الكتاب الذى كتبه عمرو بن العاص لرهبان وادى هبيب بجراية نواحى الوجه البحرى على ما أخبرنى من أخبر برؤيته فيه *(أبو مقار الاكبر)* هو مقاريوس أخذ الرهبانية عن انطونيوس وهو أوّل من لبس عندهم القلنسوة والاسكيم وهو سير من جلد فيه صليب يتوشح به الرهبان فقط ولقى انطونيوس بالجبل الشرقى من حيث دير العزبة وأقام عنده مدة ثم ألبسه لباس الرهبانية وأمره بالمسير الى وادى النطرون ليقيم هنالك ففعل ذلك واجتمع عنده الرهبان الكثيرة العدد وله عندهم فضائل عديدة منها انه كان لا يصوم الاربعين الا طاويا فى جميعها لا يتناول غذاء ولا شرابا البتة مع قيام ليلها وكان يعمل الخوص ويتقوت منه وما أكل خبزا طريا قط بل يأخذ القراقيش فيبلها فى نقاعة الخوص ويتناول منها هو ورهبان الدير ما يمسك الرمق من غير زيادة هذا قوتهم مدة حياتهم حتى مضوا لسبيلهم * وأما ابو مقار الاسكندرانى فانه ساح من الاسكندرية الى مقاريوس المذكور وترهب على يديه ثم كان ابو مقار الثالث وصار أسقفا

(دير ابى يحنس القصير) يقال انه عمر فى أيام قسطنطين بن هيلانة ولابى يحنس هذا فضائل مذكورة وهو من أجل الرهبان وكان لهذا الدير حالات شهيرة وبه طوائف من الرهبان ولم يبق به الآن الا ثلاثة رهبان

*(دير

(دير الياس) عليه السلام وهو دير للحبشة وقد خرب دير بخنس كما خرب دير الياس اكلت الارضة أخشابهما فسقطا وصار الحبشة الى دير سيدة بوبخنس القصير وهو دير لطيف بجوار دير بوبخنس القصير * وبالقرب من هذه الادير

(دير انبانوب) وقد خرب هذا الدير أيضا (انبانوب) هذا من أهل سمنود قتل فى الاسلام ووضع جسده فى بيت بسمنود

(دير الارمن) قريب من هذه الادير وقد خرب * وبجوارها أيضا

(دير بوبشاى) وهو دير عظيم عندهم من أجل أن بوبشاى هذا كان من الرهبان الذين فى طبقة مقاريوس وبخنس القصير وهو دير كبير جدا

(دير بازاء دير بوبشاى) كان بيد اليعاقبة ثم ملكته رهبان السريان من نحو ثلثمائة سنة وهو بيدهم الآن ومواضع هذه الادير يقال لها بركة الادير

(دير سيدة برموس) على اسم السيدة مريم فيه بعض رهبان * وبازائه

(دير موسى) ويقال أبو موسى الاسود ويقال برموس وهذا الدير لسيدة برموس فبرموس اسم الدير وله قصة حاصلها أن مكسيموس ودوماديوس كانا ولدى ملك الروم وكان لهما معلم يقال له ارسانيوس فسار المعلم من بلاد الروم الى أرض مصر وعبر برية شيهات هذه وترهب وأقام بها حتى مات وكان فاضلا وأتاه فى حياته ابنا الملك المذكوران وترهبا على يديه فلما ماتا بعث أبوهما فبنى على اسمهما كنيسة برموس وأبو موسى الاسود كان لصا فاتكا قتل مائة نفس ثم انه تنصر وترهب وصنف عدة كتب وكان ممن يطوى الاربعين فى صومه وهو بربرى

(دير الزجاج) هذا الدير خارج مدينة الاسكندرية ويقال له الهانطون وهو على اسم بوجرج الكبير ومن شرط البطرك انه لابد أن يتوجه من المعلقة بمصر الى دير الزجاج هذا ثم انهم فى هذا الزمان تركوا ذلك فهذه أديرة اليعاقبة

(وللنساء ديارات تختص بهن) فمنها (دير الراهبات) بحارة زويلة من القاهرة وهو دير عامر بالابكار المترهبات وغيرهن من نساء النصارى

(دير البنات) بحارة الروم بالقاهرة عامر بالنساء المترهبات

(دير المعلقة) بمدينة مصر وهو أشهر ديارات النساء عامر بهن

(دير بربارة) بمصر بجوار كنيسة بربارة عامر بالبنات المترهبات (بربارة) كانت قديسة فى زمان دقلطيانوس فعذبها لترجع عن ديانتها وتسجد للاصنام فثبتت على دينها وصبرت على عذاب شديد وهى بكر لم يمسها رجل فلما يئس منها ضرب عنقها وعنق عدة من النساء معها * (وللنصارى الملكية) * قلاية بطركهم بجوار كنيسة ميكائيل بالقرب من جسر الافرم خارج مصر وهى مجمع الرهبان الواردين من بلاد الروم

(دير بخنس القصير) المعروف بالقصير وصوابه عندهم دير القصير على وزن شهيد وحرف فقيل دير القصير بضم القاف وفتح الصاد وتشديد الياء فسماه المسلمون دير القصير بضم القاف وفتح الصاد واسكان الياء آخر الحروف كأنه تصغير قصير وأصله كما عرفتك دير القصير الذى هو ضد الطويل وسمى أيضا دير هرقل ودير البغل وقد تقدم ذكره وكان من اعظم ديارات النصارى وليس به الآن سوى واحد يحرسه وهو بيد الملكية

(دير الطور) قال ابن سيده الطور الجبل وقد غلب على طورسيناء جبل بالشام وهو بالسريانية طورى والنسب اليه طورى وطوارى * وقال ياقوت طور سبعة مواضع * الاول طور زيتا بلفظ الزيت من الادهان مقصور علم لجبل بقرب رأس عين * الثانى طور زيت أيضا جبل بالبيت المقدس وهو شرقى سلوان * الثالث الطور علم لجبل بعينه مطل على مدينة طبرية بالاردن * الرابع الطور علم لجبل كورة تشتمل على عدة قرى بأرض مصر من الجهة القبلية بين مصر وجبل فاران * الخامس طورسيناء اختلفوا فيه فقيل هو جبل بقرب ايلة وقيل جبل بالشام وقيل سيناء حجارة وقيل شجرة * السادس طور عبدين

بفتح العين وسكون الباء الموحدة وكسر الدال المهملة وياء آخر الحروف ونون اسم لبلدة من نواحى نصيبين فى بطن الجبل المشرف عليها المتصل بجبل جودى * السابع طور هارون أخى موسى عليهما السلام * وقال الواحدى فى تفسيره وقال الكلبى وغيره والجبل فى قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل اعظم جبل بمدين يقال له زبير وذكر الكلبى أن الطور سمى بطور بن اسماعيل قال السهيلى فلعله محذوف الباء ان كان صح ما قاله وقال عمر بن شيبة أخبرنى عبد العزيز عن أبى معشر عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة انهار فى الجنة وأربعة اجبل وأربع ملاحم فى الجنة فأما الانهار فسيحان وجيحان والنيل والفرات وأما الاجبل فالطور ولبنان وأحد وورقان وسكت عن الملاحم * وعن كعب الاحبار معاقل المسلمين ثلاثة فمعقلهم من الروم دمشق ومعقلهم من الدجال الاردن ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور * وقال شعبة عن ارطاة بن المنذر اذا خرج يأجوج ومأجوج أوحى الله تعالى الى عيسى ابن مريم عليه السلام انى قد أخرجت خلقا من خلق لا يطيقهم أحد غيرى فمر بمن معك الى جبل الطور فيمر ومعه من الذرارى اثنا عشر ألفا وقال طلق بن حبيب عن زرعة أردت الخروج الى الطور فأتيت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقلت له فقال انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الحرام والمسجد الاقصى فدع عنك الطور فلا تأته وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى وقد ذكر كور أرض مصر ومن كور القبلة قرى الحجاز وهى كورة الطور وفاران وكورة راية والقلزم وكورة ايلة وحيزها ومدين وحيزها والعويد والحوراء وحيزهما ثم كورة بدا وشعيب * قلت لا خلاف بين علماء الاخبار من أهل الكتاب أن جبل الطور هذا هو الذى كلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام عليه أو عنده وبه الى الآن دير بيد الملكية وهو عامر وفيه بستان كبير به نخل وعنب وغير ذلك من الفواكه * وقال الشابشتى وطور سينا هو الجبل الذى تجلى فيه النور لموسى بن عمران عليه السلام وفيه صعق والدير فى اعلى الجبل مبنى بحجر أسود عرض حصنه سبع اذرع وله ثلاثة أبواب حديد وفى غربيه باب لطيف وقدامه حجر اقيم اذا ارادوا رفعه رفعوه واذا قصدهم أحد أرسلوه فانطبق على الموضع فلم يعرف مكان الباب وداخل الدير عين ماء وخارجه عين أخرى وزعم النصارى أن به نارا من انواع النار التى كانت ببيت المقدس يقدون منها فى كل عشية وهى بيضاء لطيفة ضعيفة الحر لا تحرق ثم تقوى اذا أوقد منها السراج وهو عامر بالرهبان والناس يقصدونه وهو من الديارات الموصوفة * قال ابن عاصم فيه

يا راهب الدير ماذا الضوء والنور * فقد أضاء بما فى ديرك الطور
هل حلت الشمس فيه دون أبرجها * أو غيب البدر فيه وهو مستور
فقال ماحله شمس ولا قمر * لكن تقرب فيه اليوم قورير

قلت ذكر مؤرخو النصارى ان هذا الدير أمر بعمارته يوسطيانوس ملك الروم بقسطنطينية فعمل عليه حصن فوقه عدة قلالى وأقيم فيه الحرس لحفظ رهبانه من قوم يقال لهم بنو صالح من العرب وفى أيام هذا الملك كان المجمع الخامس من مجامع النصارى وبينه وبين القلزم وكانت مدينة طريقان احداهما فى البر والاخرى فى البحر وهما جميعا يؤديان الى مدينة فاران وهى من مدائن العمالقة ثم منها الى الطور مسيرة يومين ومن مدينة مصر الى القلزم ثلاثة أيام ويصعد الى جبل الطور بستة آلاف وستمائة وست وستين مرقاة وفى نصف الجبل كنيسة لايلياء النبى وفى قلته كنيسة على اسم موسى عليه السلام بأساطين من رخام وأبواب من صفر وهو الموضع الذى كلم الله تعالى فيه موسى وقطع منه الالواح ولا يكون فيها الا راهب واحد للخدمة ويزعمون أنه لا يقدر أحد أن يبيت فيها بل يهيأ له موضع من خارج يبيت فيه ولم يبق لهاتين الكنيستين وجود

(دير البنات بقصر الشمع بمصر) وهو على اسم بوجرج وكان مقياس النيل قبل الاسلام وبه آثار ذلك الى اليوم فهذا ما للنصارى اليعاقبة والملكية رجالهم ونسائهم من الديارات بأرض مصر قبليها وبحريها وعدتها ستة وثمانون ديرا منها لليعاقبة ‎ ‎ ديرا وللملكية ‎ ‎

انهار الخ الحديث تى بيدى ليها فليراجع ه مصححه

باض فى الاصل

(ذكر كنائس النصارى)

هال

قال الازهرى كنيسة اليهود جمعها كنائس وهى معرّبة أصلها كنشت انتهى وقد نطقت العرب بذكر الكنيسة قال العباس بن مرداس السلمى

يدورون بى فى ظل كل كنيسة * وما كان قومى يبتنون الكنائسا

وقال ابن قيس الرقيات كأنها دمية مصورة * فى بيعة من كنائس الروم

*(كنيستا الخندق) *ظاهر القاهرة احداهما على اسم غبريال الملاك والاخرى على اسم مرقوريوس وعرفت برويس وكان راهبا مشهورا بعد سنة ثمانمائة وعند هاتين الكنيستين يقبر النصارى موتاهم وتعرف بمقبرة الخندق وعمرت هاتان الكنيستان عوضا عن كنائس المقس فى الايام الاسلامية

*(كنيسة حارة زويلة بالقاهرة) * كنيسة عظيمة عند النصارى اليعاقبة وهى على اسم السيدة وزعموا انها قديمة تعرف بالحكيم زايلون وكان قبل الملة الاسلامية بنحو مائتين وسبعين سنة وانه صاحب علوم شتى وان له كنزا عظيما يتوصل اليه من بئر هنالك

*(كنيسة تعرف بالمغيثة) * بحارة الروم من القاهرة على اسم السيدة مريم وليس لليعاقبة بالقاهرة سوى هاتين الكنيستين وكان بحارة الروم أيضا كنيسة أخرى يقال لها كنيسة بربارة هدمت فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وسبب ذلك أن النصارى رفعوا قصة للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون يسألون الاذن فى اعادة ما تهدم منها فأذن لهم فى ذلك فعمروها أحسن ما كانت فغضبت طائفة من المسلمين ورفعوا قصة للسلطان بأن النصارى أحدثوا بجانب هذه الكنيسة بناء لم يكن فيها فرسم للامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة بهدم ما جددوه فركب وقد اجتمع الخلائق فبادروا وهدموا الكنيسة كلها فى اسرع وقت وأقاموا فى موضعها محرابا وأذنوا وصلوا وقرؤا القرآن كل ذلك بأيديهم فلم تمكن معارضتهم خشية الفتنة فاشتد الامر على النصارى وشكوا أمرهم للقاضى كريم الدين ناظر الخاص فقام وقعد غضبا لدين اسلافه ومازال بالسلطان حتى رسم بهدم المحراب فهدم وصار موضعه كوم تراب ومضى الحال على ذلك

*(كنيسة بومنا) * هذه الكنيسة قريبة من السد فيما بين الكيمان بطريق مصر وهى ثلاث كنائس متجاورة احداها لليعاقبة والاخرى للسريان وأخرى للارمن ولها عيد فى كل سنة تجتمع اليه النصارى

*(كنيسة المعلقة) * بمدينة مصر فى خط قصر الشمع على اسم السيدة وهى جليلة القدر عندهم وهى غير القلاية التى تقدم ذكرها

*(كنيسة شنوده) * بمصر نسبت لابى شنودة الراهب القديم وله أخبار منها انه كان ممن يطوى فى الاربعين اذا صام وكان تحت يده ستة آلاف راهب يتقوّت هو واياهم من عمل الخوص وله عدّة مصنفات

*(كنيسة مريم) * بجوار كنيسة شنودة هدمها على بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس أمير مصر لما ولى من قبل أمير المؤمنين الهادى موسى فى سنة تسع وستين ومائة وهدم كنائس محرس قسطنطين وبذل له النصارى فى تركها خمسين ألف دينار فامتنع فلما عزل بموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس فى خلافة هارون الرشيد أذن موسى بن عيسى للنصارى فى بنيان الكنائس التى هدمها على بن سليمان فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وقالا هو من عمارة البلاد واحتجا بأن الكنائس التى بمصر لم تبن الا فى الاسلام فى زمن الصحابة والتابعين

*(كنيسة بوجرج الثقة) * هذه الكنيسة فى درب بخط قصر الشمع بمصر يقال له درب الثقة ويجاورها كنيسة سدة بوجرج

(كنيسة بربارة) * بمصر كبيرة جليلة عندهم وهى تنسب الى القديسة بربارة الراهبة وكان فى زمانها راهبتان بكران وهما ايسى وتكلة ويعمل لهن عيد عظيم بهذه الكنيسة بحضرة البطريق

*(كنيسة بوسرجه) * بالقرب من بربارة بجوار زاوية ابن النعمان فيها مغارة يقال ان المسيح وأمه مريم عليهما السلام جلسا بها

*(كنيسة بابليون) * فى قبلى قصر الشمع بطريق جسر الافرم وهذه الكنيسة قديمة جدا وهى لطيفة ويذكر

أن تحتها كنزا بليون وقد خرب ما حولها

*(كنيسة تاودورس الشهيد) * بجوار بابليون نسبت للشهيد تاودورس الاسفهسلار

*(كنيسة بومنا بجوار بابليون أيضا) * وهاتان الكنيستان مغلوقتان لخراب ما حولهما

*(كنيسة بومنا) * بالحمراء وتعرف الحمراء اليوم بخط قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر وأحدثت هذه الكنيسة فى سنة سبع عشرة ومائة من سنى الهجرة باذن الوليد بن رفاعة أمير مصر فغضب وهيب اليحصبى وخرج على السلطان وجاء الى ابن رفاعة ليفتك به فأخذ وقتل وكان وهيب مدريا من اليمن قدم الى مصر فخرج القرّاء على الوليد بن رفاعة غضبا لوهيب وقاتلوه وصارت معونة امرأة وهيب تطوف ليلا على منازل القرّاء تحرّضهم على الطلب بدمه وقد حلقت رأسها وكانت امرأة جزلة فأخذ ابن رفاعة أبا عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبى بالقرّاء فاعتذر وخلى ابن رفاعة عنهم فسكنت الفتنة بعد ما قتل جماعة ولم تزل هذه الكنيسة بالحمراء الى أن كانت واقعة هدم الكنائس فى ايام الناصر محمد بن قلاون على ما يأتى ذكر ذلك والخبر عن هدم جميع كنائس أرض مصر وديارات النصارى فى وقت واحد

*(كنيسة الزهرى) * كانت فى الموضع الذى فيه اليوم البركة الناصرية بالقرب من قناطر السباع فى برّ الخليج الغربى غربى اللوق واتفق فى أمرها عدّة حوادث وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاون لما أنشأ ميدان المهارى المجاور لقناطر السباع فى سنة عشرين وسبعمائة قصد بناء زريبة على النيل الاعظم بجوار الجامع الطيبرسى فأمر بنقل كوم تراب كان هنالك وحفر ما تحته من الطين لاجل بناء الزريبة وأجرى الماء الى مكان الحفر فصار يعرف الى اليوم بالبركة الناصرية وكان الشروع فى حفر هذه البركة من آخر شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وسبعمائة فلما انتهى الحفر الى جانب كنيسة الزهرى وكان بها كثير من النصارى لا يزالون فيها وبجانبها أيضا عدّة كنائس فى الموضع الذى يعرف اليوم بحكر أقبغا ما بين السبع سقايات وبين قنطرة السد خارج مدينة مصر أخذ الفعلة فى الحفر حول كنيسة الزهرى حتى بقيت قائمة فى وسط الموضع الذى عينه السلطان ليحفر وهو اليوم بركة الناصرية وزاد الحفر حتى تعلقت الكنيسة وكان القصد من ذلك أن تسقط من غير قصد لخرابها وصارت العامّة من غلمان الامراء العمالين فى الحفر وغيرهم فى كل وقت يصرخون على الامراء فى طلب هدمها وهم يتغافلون عنهم الى أن كان يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وقت اشتغال الناس بصلاة الجمعة والعمل من الحفر بطال فتجمع عدّة من غوغاء العامّة بغير مرسوم السلطان وقالوا بصوت عال مرتفع الله اكبر ووضعوا أيديهم بالمساحى ونحوها فى كنيسة الزهرى وهدموها حتى بقيت كوما وقتلوا من كان فيها من النصارى وأخذوا جميع ما كان فيها وهدموا كنيسة بومنا التى كانت بالحمراء وكانت معظمة عند النصارى من قديم الزمان وبها عدّة من النصارى قد انقطعوا فيها ويحمل اليهم نصارى مصر سائر ما يحتاج اليه ويبعث اليها بالنذور الجليلة والصدقات الكثيرة فوجد فيها مال كثير ما بين نقد ومصاغ وغيره وتسلق العامّة الى أعلاها وفتحوا أبوابها وأخذوا منها مالا وقماشا وجرار خمر فكان أمر اهولا ثم مضوا من كنيسة الحمراء بعد ما هدموها الى كنيستين بجوار السبع سقايات تعرف احداهما بكنيسة البنات كان يسكنها بنات النصارى وعدّة من الرهبان فكسروا أبواب الكنيستين وسبوا البنات وكنّ زيادة على ستين بنتا وأخذوا ما عليهنّ من الثياب ونهبوا سائر ما ظفروا به وحرّقوا وهدموا تلك الكنائس كلها هذا والناس فى صلاة الجمعة فعندما خرج الناس من الجوامع شاهدوا هولا كبيرا من كثرة الغبار ودخان الحريق ومرج الناس وشدّة حركاتهم ومعهم ما نهبوه فما شبه الناس الحال لهوله الا بيوم القيامة وانتشر الخبر وطار الى الرميلة تحت قلعة الجبل فسمع السلطان ضجة عظيمة ورجة منكرة افزعته فبعث لكشف الخبر فلما بلغه ما وقع انزعج انزعاجا عظيما وغضب من تجرّى العامّة واقدامهم على ذلك بغير أمره وأمر الامير أيدغمش اميراخور أن يركب بجماعة الاوشاقية ويتدارك هذا الخلل ويقبض على من فعله فأخذ أيدغمش يتهيأ للركوب واذا بخبر قد ورد من القاهرة ان العامّة ثارت فى القاهرة وخربت كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة وجاء الخبر من مدينة مصر أيضا بأن العامّة قامت بمصر فى جمع كثير جدّا وزحفت الى كنيسة المعلقة بقصر الشمع فاغلقها النصارى وهم محصورون بها وهى على أن تؤخذ فتزايد غضب السلطان وهمّ أن يركب بنفسه

ويبطش

وبطش بالعامة ثم تأخر لما راجعه الامير أيدغمش ونزل من القلعة فى أربعة من الامراء الى مصر وركب الامير بيبرس الحاجب والامير الماس الحاجب الى موضع الحفر وركب الامير طينال الى القاهرة وكل منهم فى عدة وافرة وقد أمر السلطان بقتل من قدروا عليه من العامة بحيث لا يعفو عن أحد فقامت القاهرة ومصر على ساق وفرّت النهابة فلم يظفر الامراء منهم الا بمن عجز عن الحركة بما غلبه من السكر بالخمر الذى نهبه من الكنائس ولحق الامير أيدغمش بمصر وقد ركب الوالى الى المعلقة قبل وصوله ليخرج من زقاق المعلقة من حضر للنهب فأخذه الرجم حتى فرّ منهم ولم يبق الا أن يحرق باب الكنيسة فجرّد أيدغمش ومن معه السيوف يريدون الفتك بالعامة فوجدوا عالما لا يقع عليه حصر وخاف سوء العاقبة فأمسك عن القتل وأمر أصحابه بارجاف العامة من غير اهراق دم ونادى مناديه من وقف حل دمه ففر سائر من اجتمع من العامة وتفرقوا وصار أيدغمش واقفا الى أن أذن العصر خوفا من عود العامة ثم مضى وألزم والى مصر أن يبيت بأعوانه هنالك وترك معه خمسين من الاوشاقية وأما الامير الماس فانه وصل الى كنائس الحمراء وكنائس الزهرى ليتداركها فاذا بها قد بقيت كيمانا ليس بها جدار قائم فعاد وعاد الامراء فردّوا الخبر على السلطان وهو لا يزداد الا حنقا فما زالوا به حتى سكن غضبه وكان الامر فى هدم هذه الكنائس عجبا من العجب وهو أن الناس لما كانوا فى صلاة الجمعة من هذا اليوم بجامع قلعة الجبل فعندما فرغوا من الصلاة قام رجل موله وهو يصيح من وسط الجامع اهدموا الكنيسة التى فى القلعة اهدموها وأكثر من الصياح المزعج حتى خرج عن الحد ثم اضطرب فتعجب السلطان والامراء من قوله ورسم لنقيب الجيوش والحاجب بالفحص عن ذلك فمضيا من الجامع الى خرائب التتر من القلعة فاذا فيها كنيسة قد بنيت فهدموها ولم يفرغوا من هدمها حتى وصل الخبر بواقعة كنائس الحمراء والقاهرة فكثر تعجب السلطان من شأن ذلك الفقير وطلب فلم يوقف له على خبر واتفق أيضا بالجامع الازهر أن الناس لما اجتمعوا فى هذا اليوم لصلاة الجمعة أخذ شخصا من الفقراء مثل الرعدة ثم قام بعدما أذن قبل أن يخرج الخطيب وقال اهدموا كنائس الطغيان والكفرة نعم الله أكبر فتح الله ونصر وصار يزعج نفسه ويصرخ من الاساس الى الاساس فحدق الناس بالنظر اليه ولم يدروا ما خبره وافترقوا فى أمره فقائل هذا مجنون وقائل هذه اشارة لشئ فلما خرج الخطيب أمسك عن الصياح وطلب بعد انقضاء الصلاة فلم يوجد وخرج الناس الى باب الجامع فرأوا النهابة ومعهم أخشاب الكنائس وثياب النصارى وغير ذلك من النهوب فسألوا عن الخبر فقيل قد نادى السلطان بخراب الكنائس فظن الناس الامر كما قيل حتى تبين بعد قليل أن هذا الامر انما كان من غير أمر السلطان وكان الذى هدم فى هذا اليوم من الكنائس بالقاهرة كنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيستين بحارة زويلة * وفى يوم الاحد الثالث من يوم الجمعة الكائن فيه هدم كنائس القاهرة ومصر ورد الخبر من الامير بدر الدين بيليك المحسنى والى الاسكندرية بأنه لما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر بعد صلاة الجمعة وقع فى الناس هرج وخرجوا من الجامع وقد وقع الصياح هدمت الكنائس فركب المملوك من فوره فوجد الكنائس قد صارت كوما وعدتها أربع كنائس وان بطاقة وقعت من والى البحيرة بأن كنيستين فى مدينة دمنهور هدمتا والناس فى صلاة الجمعة من هذا اليوم فكثر التعجب من ذلك الى أن ورد فى يوم الجمعة سادس عشره الخبر من مدينة قوص بأن الناس عندما فرغوا من صلاة الجمعة فى اليوم التاسع من شهر ربيع الآخر قام رجل من الفقراء وقال يا فقراء اخرجوا الى هدم الكنائس وخرج فى جمع من الناس فوجدوا الهدم قد وقع فى الكنائس فهدمت ست كنائس كانت بقوص وما حولها فى ساعة واحدة وتواتر الخبر من الوجه القبلى والوجه البحرى بكثرة ما هدم فى هذا اليوم وقت صلاة الجمعة وما بعدها من الكنائس والاديرة فى جميع اقليم مصر كله ما بين قوص والاسكندرية ودمياط فاشتد حنق السلطان على العامة خوفا من فساد الحال وأخذ الامراء فى تسكين غضبه وقالوا هذا الامر ليس من قدرة البشر فعله ولو أراد السلطان وقوع ذلك على هذه الصورة لما قدر عليه وما هذا الا بأمر الله سبحانه وبقدره لما علم من كثرة فساد النصارى وزيادة طغيانهم ليكون ما وقع نقمة وعذابا لهم هذا والعامة بالقاهرة ومصر قد اشتد خوفهم من السلطان لما كان يبلغهم عنه من التهديد لهم بالقتل ففر عدة من الاوباش والغوغاء وأخذ القاضى

فخر الدين ناظر الجيش فى ترجيع السلطان عن الفتك بالعامة وسياسة الحال معه وأخذ كريم الدين الكبير ناظر الخاص يغريه بهم الى أن أخرجه السلطان الى الاسكندرية بسبب تحصيل المال وكشف الكنائس التى خربت بها فلم يمض سوى شهر من يوم هدم الكنائس حتى وقع الحريق بالقاهرة ومصر فى عدة مواضع وحصل فيه من الشناعة اضعاف ما كان من هدم الكنائس فوقع الحريق فى ربع بخط الشوّايين من القاهرة فى يوم السبت عاشر جمادى الاولى وسرت النار الى ما حوله واستمرّت الى آخر يوم الاحد فتلف فى هذا الحريق شئ كثير وعندما أطفئ وقع الحريق بحارة الديلم فى زقاق العريضة بالقرب من دور كريم الدين ناظر الخاص فى خامس عشرى جمادى الاولى وكانت ليلة شديدة الريح فسرت النار من كل ناحية حتى وصلت الى بيت كريم الدين وبلغ ذلك السلطان فانزعج انزعاجا عظيما لما كان هناك من الحواصل السلطانية وسير طائفة من الامراء لاطفائه فجمعوا الناس لاطفائه وتكاثروا عليه وقد عظم الخطب من ليلة الاثنين الى ليلة الثلاثاء فتزايد الحال فى اشتعال النار وعجز الامراء والناس عن اطفائها لكثرة انتشارها فى الاماكن وقوّة الريح التى ألقت باسقات النخل وغرّقت المراكب فلم يشك الناس فى حريق القاهرة كلها وصعدوا المآذن وبرز الفقراء وأهل الخير والصلاح وضجوا بالتكبير والدعاء وجأروا وكثر صراخ الناس وبكاؤهم وصعد السلطان الى أعلى القصر فلم يتمالك الوقوف من شدّة الريح واستمرّ الحريق والاستصراخ يرد على الامراء من السلطان فى اطفائه الى يوم الثلاثاء فنزل نائب السلطان ومعه جميع الامراء وسائر السقائين ونزل الامير بكتمر الساقى فكان يوما عظيما لم ير الناس أعظم منه ولا أشدّ هولا ووكل بأبواب القاهرة من يردّ السقائين اذا خرجوا من القاهرة لاجل اطفاء النار فلم يبق أحد من سقائى الامراء وسقائى البلد الا وعمل وصاروا ينقلون الماء من المدارس والحمامات وأخذ جميع النجارين وسائر البنائين لهدم الدور فهدم فى هذه النوبة ماشاء الله من الدور العظيمة والرباع الكبيرة وعمل فى هذا الحريق أربعة وعشرون أميرا من الامراء المقدمين سوى من عداهم من امراء الطبلخانات والعشراوات والمماليك وعمل الامراء بأنفسهم فيه وصار الماء من باب زويلة الى حارة الديلم فى الشارع بحرا من كثرة الرجال والجمال التى تحمل الماء ووقف الامير بكتمر الساقى والامير أرغون النائب على نقل الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين الى بيت ولده بدرب الرصاصى وخرّبوا ستة عشر دارا من جوار الدار وقبالتها حتى تمكنوا من نقل الحواصل فما هو الا أن كمل اطفاء الحريق ونقل الحواصل واذا بالحريق قد وقع فى ربع الظاهر خارج باب زويلة وكان يشتمل على مائة وعشرين بيتا وتحته قيسارية تعرف بقيسارية الفقراء وهب مع الحريق ريح قوية فركب الحاجب والوالى لاطفائه وهدموا عدة دور من حوله حتى انطفأ فوقع فى ثانى يوم حريق بدار الامير سلار فى خط بين القصرين ابتدأ من الباذهنج وكان ارتفاعه عن الارض مائة ذراع بالعمل فوقع الاجتهاد فيه حتى أطفئ فأمر السلطان الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة والامير ركن الدين بيبرس الحاجب بالاحتراز واليقظة ونودى بأن يعمل عند كل حانوت دنّ فيه ماء أوزير ملوء بالماء وأن يقام مثل ذلك فى جميع الحارات والازقة والدروب فبلغ ثمن كل دنّ خمسة دراهم بعد درهم وثمن الزير ثمانية دراهم ووقع حريق بحارة الروم وعدّة مواضع حتى انه لم يخل يوم من وقوع الحريق فى موضع فتنبه الناس لما نزل بهم وظنوا أنه من أفعال النصارى وذلك أن النار كانت ترى فى منابر الجوامع وحيطان المساجد والمدارس فاستعدّوا للحريق وتتبعوا الاحوال حتى وجدوا هذا الحريق من نفط قد لف عليه خرق مبلولة بزيت وقطران

• فلما كان ليلة الجمعة النصف من جمادى قبض على راهبين عندما خرجا من المدرسة الكهارية بعد العشاء الآخرة وقد اشتعلت النار فى المدرسة ورائحة الكبريت فى أيديهما فحملا الى الامير علم الدين الخازن والى القاهرة فأعلم السلطان بذلك فأمر بعقوبتهما فما هو الا أن نزل من القلعة واذا بالعامة قد أمسكوا نصرانيا وجد فى جامع الظاهر ومعه خرق على هيئة الكعكة فى داخلها قطران ونفط وقد ألقى منها واحدة بجانب المنبر ومازال واقفا الى أن خرج الدخان فمشى يريد الخروج من الجامع وكان قد فطن به شخص وتأمله من حيث لم يشعر به النصرانى فقبض عليه وتكاثر الناس فجرّوه الى بيت الوالى وهو بهيئة المسلمين فعوقب عند الامير ركن الدين بيبرس الحاجب فاعترف بأن جماعة من النصارى قد اجتمعوا على عمل نفط وتفريقه مع جماعة من أتباعهم وانه ممن أعطى ذلك وأمر بوضعه عند منبر جامع الظاهر ثم أمر بالراهبين فعوقبا فاعترفا

انهما من سكان دير البغل وأنهما هما اللذان أحرقا المواضع التى تقدم ذكرها بالقاهرة غيرة وحنقا من المسلمين لما كان من هدمهم للكنائس وان طائفة النصارى تجمعوا وأخرجوا من بينهم مالا جزيلا لعمل هذا النفط واتفق وصول كريم الدين ناظر الخاص من الاسكندرية فعرّفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى فقال النصارى لهم بطرك يرجعون اليه و يعرف أحوالهم فرسم السلطان بطلب البطرك عند كريم الدين ليتحدث معه فى أمر الحريق وما ذكره النصارى من قيامهم فى ذلك فجاء فى حماية والى القاهرة فى الليل خوفا من العامة فلما أن دخل بيت كريم الدين بحارة الديلم وأحضر اليه الثلاثة النصارى من عند الوالى قالوا لكريم الدين بحضرة البطرك والوالى جميع ما اعترفوا به قبل ذلك فبكى البطرك عندما سمع كلامهم وقال هؤلاء سفهاء النصارى قصدوا مقابلة سفهاء المسلمين على تخريبهم الكنائس وانصرف من عند كريم الدين مجللا مكرما فوجد كريم الدين قد أقام له بغلة على بابه ليركبها فركبها وسار فعظم ذلك على الناس وقاموا عليه يدا واحدة فلولا أن الوالى كان يسايره والاهلك وأصبح كريم الدين يريد الركوب الى القلعة على العادة فلما خرج الى الشارع صاحت به العامة ما يحل لك يا قاضى تحامى للنصارى وقد أحرقوا بيوت المسلمين وتركبهم بعد هذا البغال فشق عليه ما سمع وعظمت نكايته واجتمع بالسلطان فأخذ يهوّن أمر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء وجهال فرسم السلطان للوالى بتشديد عقوبتهم فنزل وعاقبهم عقوبة مؤلمة فاعترفوا بأن أربعة عشر راهبا بدير البغل قد تحالفوا على احراق ديار المسلمين كلها وفيهم راهب يصنع النفط وانهم اقتسموا القاهرة ومصر فجعل للقاهرة ثمانية ولمصر ستة فكبس دير البغل وقبض على من فيه واحرق من جماعته أربعة بشارع صليبة جامع ابن طولون فى يوم الجمعة وقد اجتمع لمشاهدتهم عالم عظيم فضرى من حينئذ جمهور الناس على النصارى وفتكوا بهم وصاروا يسلبون ما عليهم من الثياب حتى فحش الامر وتجاوزوا فيهم المقدار فغضب السلطان من ذلك وهمّ أن يوقع بالعامة واتفق انه ركب من القلعة يريد الميدان الكبير فى يوم السبت فرأى من الناس أمما عظيمة قد ملأت الطرقات وهم يصيحون نصر الله الاسلام أنصر دين محمد بن عبد الله فخرج من ذلك وعند ما نزل الميدان أحضر اليه الخازن نصرانيين قد قبض عليهما وهما يحرقان الدور فأمر بتحريقهما فأخرجا وحمل لهما حفرة وأحرقا بمرأى من الناس وبينا هم فى احراق النصرانيين اذا بديوان الامير بكتمر الساقى قد مر يريد بيت الامير بكتمر وكان نصرانيا فعند ما عاينته العامة ألقوه عن دابته الى الارض وجردوه من جميع ما عليه من الثياب وحملوه ليلقوه فى النار فصاح بالشهادتين وأظهر الاسلام فأطلق واتفق مع هذا مرور كريم الدين وقد لبس التشريف من الميدان فرجمه من هناك رجما متتابعا وصاحوا به كم تحامى للنصارى وتشدّ معهم ولعنوه وسبوه فلم يجد بدا من العود الى السلطان وهو بالميدان وقد اشتدّ ضجيج العامة وصياحهم حتى سمعهم السلطان فلما دخل عليه وأعلمه الخبر امتلأ غضبا واستشار الامراء وكان بحضرته منهم الامير جمال الدين نائب الكرك والامير سيف الدين البوبكرى والخطيرى وبكتمر الحاجب فى عدّة أخرى فقال الابوبكرى العامة عمى والمصلحة أن يخرج اليهم الحاجب ويسألهم عن اختيارهم حتى يعلم فكره هذا من قوله السلطان وأعرض عنه فقال نائب الكرك كل هذا من اجل الكتاب النصارى فان الناس أبغضوهم والرأى أن السلطان لا يعمل فى العامة شيأ وانما يعزل النصارى من الديوان فلم يعجبه هذا الرأى أيضا وقال للامير الماس الحاجب امض ومعك أربعة من الامراء وضع السيف فى العامة من حين تخرج من باب الميدان الى أن تصل الى باب زويلة واضرب فيهم بالسيف من باب زويلة الى باب النصر بحيث لا ترفع السيف عن أحد البتة وقال لوالى القاهرة اركب الى باب اللوق والى باب البحر ولا تدع أحدا حتى تقبض عليه وتطلع به الى القلعة ومتى لم تحضر الذين رجموا وكيلى يعنى كريم الدين والا وحياة رأسى شنقتك عوضا عنهم وعين معه عدّة من المماليك السلطانية فخرج الامراء بعد ما تلكأوا فى المسير حتى اشتهر الخبر فلم يجدوا أحدا من الناس حتى ولا غلمان الامراء وحواشيهم ووقع القول بذلك فى القاهرة فغلقت الاسواق جميعها وحل بالناس أمر لم يسمع بأشدّ منه وسار الامراء فلم يجدوا فى طول طريقهم أحدا الى أن بلغوا باب النصر وقبض الوالى من باب اللوق وناحية بولاق وباب البحر كثيرا من الكلابزية والنواتية وأسقاط الناس فاشتدّ الخوف وعدّى كثير من الناس الى البر الغربى بالجيزة وخرج السلطان من الميدان فلم يجد فى طريقه الى أن صعد قلعة الجبل

أحدا من العامة وعند ما استقر بالقلعة سير الى الوالى يستعجل حضوره فما غربت الشمس حتى أحضر ممن أمسك من العامة نحو مائتى رجل فعزل منهم طائفة أمر بشنقهم وجماعة رسم بتوسيطهم وجماعة رسم بقطع أيديهم فصاحوا بأجمعهم ياخوند مايحل لك مانحن الذين رجمنا فبكى الامير بكتمر الساقى ومن حضر من الامراء رحمة لهم ومازالوا بالسلطان الى أن قال للوالى اعزل منهم جماعة وانصب الخشب من باب زويلة الى تحت القلعة بسوق الخيل وعلق هؤلاء بأيديهم فلما أصبح يوم الاحد علق الجميع من باب زويلة الى سوق الخيل وكان فيهم من له بزة وهيئة ومر الامراء بهم فتوجعوا لهم وبكوا عليهم ولم يفتح أحد من أرباب الحوانيت بالقاهرة ومصر فى هذا اليوم حانوتا وخرج كريم الدين من داره يريد القلعة على العادة فلم يستطع المرور على المصلوبين وعدل عن طريق باب زويلة وجلس السلطان فى الشباك وقد أحضر بين يديه جماعة ممن قبض عليهم الوالى فقطع أيدى وأرجل ثلاثة منهم والامراء لا يقدرون على الكلام معه فى أمرهم لشدة حنقه فتقدم كريم الدين وكشف رأسه وقبل الارض وهو يسأل العفو فقبل سؤاله وأمرهم أن يعملوا فى حفير الجيزة فأخرجوا وقد مات ممن قطع أيديهم اثنان وأنزل المعلقون من على الخشب وعند ما قام السلطان من الشباك وقع الصوت بالحريق فى جهة جامع ابن طولون وفى قلعة الجبل وفى بيت الامير ركن الدين الاحمدى بحارة بهاء الدين وبالفندق خارج باب البحر من المقس ومافوقه من الربع وفى صبيحة يوم هذا الحريق قبض على ثلاثة من النصارى وجد معهم فتائل النفط فأحضروا الى السلطان واعترفوا بأن الحريق كان منهم واستمر الحريق فى الاماكن الى يوم السبت فلما ركب السلطان الى الميدان على عادته وجد نحو عشرين ألف نفس من العامة قد صبغوا خرقا بلون أزرق وعملوا فيها صلبانا بيضا وعند ما رأوا السلطان صاحوا بصوت عال واحد لادين الادين الاسلام نصر الله دين محمد بن عبد الله ياملك الناصر ياسلطان الاسلام انصرنا على أهل الكفر ولا تنصر النصارى فارتجت الدنيا من هول أصواتهم وأوقع الله الرعب فى قلب السلطان وقلوب الامراء وسار وهو فى فكر زائد حتى نزل بالميدان وصراخ العامة لا يبطل فرأى أن الرأى فى استعمال المداراة وأمر الحاجب أن يخرج وينادى بين يديه من وجد نصرانيا فله ماله ودمه فخرج ونادى بذلك فصاحت العامة وصرخت نصرك الله وضجوا بالدعاء وكان النصارى يلبسون العمائم البيض فنودى فى القاهرة ومصر من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء حل له دمه وماله ومن وجد نصرانيا راكبا حل له دمه وماله وخرج مرسوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء وأن لا يركب أحد منهم فرسا ولا بغلا ومن ركب حمارا فليركبه مقلوبا ولا يدخل نصرانى الحمام الا وفى عنقه جرس ولا يتزيا أحد منهم بزى المسلمين ومنع الامراء من استخدام النصارى وأخرجوا من ديوان السلطان وكتب لسائر الاعمال بصرف جميع المباشرين من النصارى وكثر ايقاع المسلمين بالنصارى حتى تركوا السعى فى الطرقات وأسلم منهم جماعة كثيرة وكان اليهود قد سكت عنهم فى هذه المدة فكان النصرانى اذا أراد أن يخرج من منزله يستعير عمامة صفراء من أحد من اليهود ويلبسها حتى يسلم من العامة واتفق أن بعض دواوين النصارى كان له عند يهودى مبلغ أربعة آلاف درهم نقرة فصار الى بيت اليهودى وهو متنكر فى الليل ليطالبه فأمسكه اليهودى وقال أنا بالله وبالمسلمين وصاح فاجتمع الناس لاخذ النصرانى ففر الى داخل بيت اليهودى واستجار بامرأته وأشهد عليه بابراء اليهودى حتى خلص منه وعثر على طائفة من النصارى بدير الخندق يعملون النفط لاحراق الاماكن فقبض عليهم وسمروا ونودى فى الناس بالامان وأنهم يتفرجون على عادتهم عند ركوب السلطان الى الميدان وذلك انهم كانوا قد تخوفوا على انفسهم لكثرة ما أوقعوا بالنصارى وزادوا فى الخروج عن الحد فاطمأنوا وخرجوا على العادة الى جهة الميدان ودعوا للسلطان وصاروا يقولون نصرك الله ياسلطان الارض اصطلحنا اصطلحنا وأعجب السلطان ذلك وتبسم من قولهم وفى تلك الليلة وقع حريق فى بيت الامير الماس الحاجب من القلعة وكان الريح شديدا فقويت النار وسرت الى بيت الامير ايتمش فانزعج أهل القلعة وأهل القاهرة وحسبوا أن القلعة جميعها احترقت ولم يسمع بأشنع من هذه الكائنة فانه احترق على يد النصارى بالقاهرة ربع فى سوق الشوايين وزقاق العريسة بحارة الديلم وستة عشر بيتا بجوار بيت كريم الدين وعدة أماكن بحارة الروم ودار بهادر بجوار المشهد الحسينى وأماكن باصطبل الطارمة وبدرب العسل وقصر أمير سلاح وقصر سلار بخط بين القصرين وقصر يسرى وخان الحجر والجملون وقيسارية الادم ودار بيبرس

بحارة

بحارة الصالحية ودار ابن المغربي بحارة زويلة وعدة أماكن بخط بئر الوطاويط وبـ ... حر وفي قلعة الجبل وفي كثير من الجوامع والمساجد الى غير ذلك من الاماكن بمصر والقاهرة يطول عددها وخرب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل وكنيسة الزهري في الموضع الذي فيه الآن البركة الناصرية وكنيسة الحمراء وكنيسة بجوار السبع سقايات تعرف بكنيسة البنات وكنيسة أبي المنيا وكنيسة الفهادين بالقاهرة وكنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيستان بحارة زويلة وكنيسة بخزانة البنود وكنيسة بالخندق وأربع كنائس بثغر الاسكندرية وكنيستان بمدينة دمنهور الوحش وأربع كنائس بالغربية وثلاث كنائس بالشرقية وست كنائس بالبهنساوية وبسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ثمان كنائس وبقوص واسوان احدى عشرة كنيسة وبالاطفيحية كنيسة وبسوق وردان من مدينة مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس وخرب من الديارات شئ كثير وأقام دير البغل ودير شهران مدة ليس فيهما أحد وكانت هذه الخطوب الجليلة في مدة يسيرة قلما يقع مثلها في الازمان المتطاولة هلك فيها من الانفس وتلف فيها من الاموال وخرب من الاماكن مالا يمكن وصفه لكثرته ولله عاقبة الامور

(كنيسة ميكائيل) هذه الكنيسة كانت عند خليج بني وائل خارج مدينة مصر قبلي عقبة يحصب وهي الآن قريبة من جسر الافرم أحدثت في الاسلام وهي مليحة البناء

(كنيسة مريم) في بساتين الوزير قبلي بركة الحبش خالية ليس بها أحد

(كنيسة مريم) بناحية العدوية من قبلها قديمة وقد تلاشت

(كنيسة أنطونيوس) بناحية بياض قبلي اطفيح وهي محدثة * وكان بناحية شرنوب عدة كنائس خربت وبقي بناحية اهريت الجبل قبلي بياض بيومين *(كنيسة السيدة)* بناحية أشكر وعلى بابها برج مبني بلبن كبار يذكر أنه موضع ولد موسى بن عمران عليه السلام

(كنيسة مريم) بناحية الخصوص وهي بيت فعملوه كنيسة لا يعبا بها

(كنيسة مريم وكنيسة بخنس القصير وكنيسة غبريال) هذه الكنائس الثلاث بناحية أبنوب

(كنيسة أسوطير ومعناه المخلص) هذه الكنيسة بمدينة اخميم وهي كنيسة معظمة عندهم وهي على اسم الشهداء وفيها بئر اذا جعل ماؤها في القنديل صار أحمر قانيا كأنه الدم

(كنيسة ميكائيل) بمدينة أخميم أيضا ومن عادة النصارى بهاتين الكنيستين اذا عملوا عيد الزيتونة المعروف بعيد الشعانين أن يخرج القسوس والشمامسة بالمجامر والبخور والصلبان والاناجيل والشموع المشعلة ويقفوا على باب القاضي ثم أبواب الاعيان من المسلمين فيبخروا ويقرؤا فصلا من الانجيل ويطرحوا له طرحا يعني يمدحونه

(كنيسة بوبخوم) بناحية اتفه وهي آخر كنائس الجانب الشرقي وبخوم ويقال بخوميوس كان راهبا في زمن بوشنودة ويقال له أبو الشركة من أجل انه كان يربي الرهبان فيجعل لكل راهبين معلما وكان لا يمكن من دخول الخمر ولا اللحم الى ديره ويأمر بالصوم الى آخر التاسعة من النهار ويطعم رهبانه الحمص المصلوق ويقال له عندهم حمص القلة وقد خرب ديره وبقيت كنيسته هذه باتفه قبلي اخميم

(كنيسة مرقص الانجيلي) بالجيزة خربت بعد سنة ثمانمائة ثم عمرت * ومرقص هذا أحد الحواريين وهو صاحب كرسي مصر والحبشة

(كنيسة بوجرج) بناحية ابي النمرس من الجيزة هدمت في سنة ثمانين وسبعمائة كما تقدم ذكره ثم أعيدت بعد ذلك

(كنيسة بوفار) آخر أعمال الجيزة

(كنيسة شنودة) بناحية هربشت

(كنيسة بوجرج) بناحية ببا وهي جليلة عندهم يأتونها بالنذور ويحلفون بها ويحكون لها فضائل متعددة

(كنيسة ماروطا القديس) بناحية شمسطا وهم يبالغون في ماروطا هذا وكان من عظماء رهبانهم وجسده

فى انبوبة بدير بوبشاى من برية شيهات يزورونه الى اليوم
(كنيسة مريم بالبهنسا) ويقال انه كان بالبهنسا ثلثمائة وستون كنيسة خربت كلها ولم يبق بها الا هذه الكنيسة لا غير
(كنيسة صمويل) الراهب بناحية شبرى
(كنيسة مريم) بناحية طنبدى وهى قديمة
(كنيسة ميخائيل) بناحية طنبدى وهى كبيرة قديمة وكان هناك كنائس كثيرة خربت وأكثر أهل طنبدى نصارى أصحاب صنائع
(كنيسة الابسطولى) أعنى الرسل بناحية أشنين وهى كبيرة جدا
(كنيسة مريم) بناحية اشنين أيضا وهى قديمة
(كنيسة ميخائيل وكنيسة غبريال) بناحية اشنين أيضا وكان بهذه الناحية مائة وستون كنيسة خربت كلها الا هذه الكنائس الاربع وأكثر أهل اشنين نصارى وعليهم الدرك فى الخفارة وبظاهرها آثار كنائس يعملون فيها أعيادهم منها كنيسة بوجرج وكنيسة مريم وكنيسة ماروطا وكنيسة بربارة وكنيسة كفريل وهو جبريل عليه السلام
(وفى منية ابن خصيب ست كنائس) كنيسة المعلقة وهى كنيسة السيدة وكنيسة بطرس وبولص وكنيسة ميكائيل وكنيسة بوجرج وكنيسة انبابولا الطموبهى وكنيسة الثلاث فتية وهم حنانيا وعزاريا وميصائيل وكانوا أجنادا فى أيام بخت نصر فعبدوا الله تعالى خفية فلما عثروا عليهم راودهم بخت نصر أن يرجعوا الى عبادة الاصنام فامتنعوا من ذلك فسجنهم مدة ليرجعوا فلم يرجعوا فأخرجهم وألقاهم فى النار فلم تحرقهم والنصارى تعظمهم وان كانوا قبل المسيح بدهر
(كنيسة بناحية طحا) على اسم الحواريين الذين يقال لهم عندهم الرسل
(كنيسة مريم) بناحية طحا أيضا
(كنيسة الحكيمين) بناحية منهرى لها عيد عظيم فى بشنس يحضره الاسقف ويقام هناك سوق كبير فى العيد وهذان الحكيمان هما قزمان ودميان الراهبان
(كنيسة السيدة) بناحية بقرقاص قديمة كبيرة
وبناحية ملوى كنيسة كنيسة الرسل وكنيستان خراب احداهما على اسم بوجرج والاخرى على اسم الملك ميخائيل وبناحية دلجة كنائس كثيرة لم يبق منها الا ثلاث كنائس كنيسة السيدة وهى كبيرة وكنيسة شنودة وكنيسة مرقورة وقد تلاشت كلها وبناحية صنبو كنيسة انبابولا وكنيسة بوجرج وصنبو كثيرة النصارى وبناحية بلاو وهى بحرى صنبو كنيسة قديمة بجانبها الغربى على اسم برجس وبها نصارى كثيرون فلاحون وبناحية دروط كنيسة وفى خارجها شبه الدير على اسم الراهب سارا ماون وكان فى زمان شنودة وعمل أسقفا وله أخبار كثيرة وبناحية بوق بنى زيد كنيسة كبيرة على اسم الرسل ولها عيد وبالقوصية كنيسة مريم وكنيسة غبريال وبناحية دمشير كنيسة الشهيد مرقوريوس وهى قديمة وبها عدة نصارى وبناحية أم القصور كنيسة بوبخنس القصير وهى قديمة وبناحية بلوط من ضواحى منفلوط كنيسة ميخائيل وهى صغيرة وبناحية البلاعزة من ضواحى منفلوط كنيسة صغيرة يقيم بها القسيس بأولاده وبناحية شقلقيل ثلاث كنائس كبار قديمة احداها على اسم الرسل وأخرى باسم ميخائيل وأخرى باسم بومنا وبناحية منشأة النصارى كنيسة ميخائيل وبمدينة سيوط كنيسة بوسدرة وكنيسة الرسل وبخارجها كنيسة بومينا وبناحية درنكة كنيسة قديمة جدا على اسم الثلاثة فتية حنانيا وعزاريا وميصائيل وهى مورد لفقراء النصارى ودرنكة أهلها من النصارى يعرفون اللغة القبطية فيتحدث صغيرهم وكبيرهم بها ويفسرونها بالعربية وبناحية ريفة كنيسة بوقلتة الطبيب الراهب صاحب الاحوال العجيبة فى مداواة الرمدى من الناس وله عيد يعمل بهذه الكنيسة * وبها كنيسة ميخائيل أيضا وقد أكلت الارضة جانب ريفة الغربى وبناحية موشة كنيسة مركبة على حمام على اسم الشهيد بقطر وبنيت فى أيام قسطنطين ابن هيلانة ولها رصيف عرضه عشرة أذرع ولها

ثلاث قباب ارتفاع كل منها نحو الثمانين ذراعا مبنية بالحجر الابيض كلها وقد سقط نصفها الغربى ويقال ان هذه الكنيسة على كنز تحتها ويذكر أنه كان من سيوط الى موشة هذه مشاة تحت الارض وبناحية بقور من ضواحى بوتيج كنيسة قديمة للشهيد اكلوديس وهو يعدل عندهم مرقورس وجاورجيوس وهو أبو جرج والاسفهسلار تادروس وميناوس وكان اكلوديوس أبوه من قواد دقلطيانوس وعرف هو بالشجاعة فتنصر فأخذه الملك وعذبه ليرجع الى عبادة الاصنام فثبت حتى قتل وله أخبار كثيرة وبناحية القطيعة كنيسة على اسم السيدة وكان بها أسقف يقال له الدوين بينه وبينهم منافرة فدفنوه حيا وهم من شرار النصارى معروفون بالشر وكان منهم نصرانى يقال له جرجس ابن الراهبة تعدى طوره فضرب رقبته الامير جمال الدين يوسف الاستادار بالقاهرة فى ايام الناصر فرج بن برقوق وبناحية بوتيج كنائس كثيرة قد خربت وصار النصارى يصلون فى بيت لهم سرا فاذا طلع النهار خرجوا الى آثار كنيسة وعملوا لها سياجا من جريد شبه القفص وأقاموا هنالك عباداتهم وبناحية بمقروفه كنيسة قديمة لميخائيل ولها عيد فى كل سنة وأهل هذه الناحية نصارى أكثرهم رعاة غنم وهم همج رعاع وبناحية دوينة كنيسة على اسم يوحنس القصير وهى قبة عظيمة وكان بها رجل يقال له يونس عمل أسقفا واشتهر بمعرفة علوم عديدة فتعصبوا عليه حسدا منهم له على علمه ودفنوه حيا وقد نوعلا جسمه وبالمراغة التى بين طهطا وطما كنيسة وبناحية قلفاو كنيسة كبيرة وتعرف نصارى هذه البلدة بمعرفة السحر ونحوه وكان بها فى ايام الظاهر برقوق شماس يقال له أبسا طيس له فى ذلك يد طولى ويحكى عنه ما لا أحب حكايته لغرابته وبناحية فرشوط كنيسة ميخائيل وكنيسة السيدة مارت مريم وبمدينة هو كنيسة السيدة وكنيسة يومنا وبناحية بهجورة كنيسة الرسل وباسنا كنيسة مريم وكنيسة ميخائيل وكنيسة يوحنا المعمدانى وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام وبنقادة كنيسة السيدة وكنيسة يوحنا المعمدانى وكنيسة غبريال وكنيسة يوحنا الرحوم وهو من أهل انطاكية ذوى الاموال فزهد وفرق ماله كله فى الفقراء وساح وهو على دين النصرانية فى البلاد فعمل أبواه عزاءه وظنوا أنه قد مات ثم قدم انطاكية فى حالة لا يعرف فيها وأقام فى كوخ على مزبلة وأقام رمقه بما يلقى على تلك المزبلة حتى مات فلما عملت جنازته كان ممن حضرها أبوه فعرف غلاف انجيله ففحص عنه حتى عرف انه ابنه فدفنه وبنى عليه كنيسة انطاكية * وبمدينة قفط كنيسة السيدة وكان بأصفون عدة كنائس خربت بخرابها وبمدينة قوص عدة أديرة وعدة كنائس خربت بخرابها وبقى بها كنيسة السيدة ولم يبق بالوجه القبلى من الكنائس سوى ما تقدم ذكرناه

(وأما الوجه البحرى)

ففى منية صرد من ضواحى القاهرة كنيسة السيدة مريم وهى جليلة عندهم وبناحية سندوة كنيسة محدثة على اسم بوجرج وبرصفا كنيسة مستجدة على اسم بوجرج أيضا وسمنود كنيسة على اسم الرسل عملت فى بيت وبسنباط كنيسة جليلة عندهم على اسم الرسل وبسندفة كنيسة معتبرة عندهم على اسم بوجرج وبالريدانية كنيسة السيدة ولها قدر جليل عندهم وفى دمياط أربع كنائس للسيدة ولميخائيل وليوحنا المعمدانى وللمارى جرجس ولها مجد عندهم وبناحية سبك العبيد كنيسة محدثة فى بيت مخفى على اسم السيدة وبالصراوية كنيسة محدثة فى بيت مخفى وفى لقانة كنيسة بوبخنس القصير وبدمنهور كنيسة محدثة فى بيت مخفى على اسم ميخائيل وبالاسكندرية المعلقة على اسم السيدة وكنيسة بوجرج وكنيسة يوحنا المعمدانى وكنيسة الرسل فهذه كنائس اليعاقبة بأرض مصر ولهم بغزة كنيسة مريم ولهم بالقدس القمامة وكنيسة صهيون وأما الملكية فلهم بالقاهرة كنيسة ماوى نقولا بالبندقانيين وبمصر كنيسة غبريال الملاك بخط قصر الشمع وبها قلاية لبطركهم وكنيسة السيدة بقصر الشمع أيضا وكنيسة الملاك ميخائيل بجوار بربارة بمصر وكنيسة ماريوحنا بخط دير الطين والله أعلم * وهذا آخر الجزء الثانى وبتمامه تم الكتاب

والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبى بعده وسلم ورضى الله عن أصحاب

رسول الله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا عدوان

الا على الظالمين

يقول المستعين بربه القوى محمد ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن قطة العدوى مصحح دار الطباعة المصريه بلغه الله من الخير كل امنيه ان من جملة المحاسن الممدوحة بكل لسان وأحاسن الآثار الغنى فضلها عن البيان التى ظهرت فى أيام صاحب العز والاقبال من طبع على المرحمة والعدالة فى الاقوال والافعال واختص بحسن التبصر وسداد النظر ورعاية المصالح العامة لاهل البدو والحضر ووهب من صفات الكمال وكمال الصفات ما تقصر دون تعداده العبارات والاشارات من هو الفرقد الثانى فى افق الصدارة العثمانى عزيز الديار المصريه ذى المناقب الفاخرة السنية حضرة أفندينا الحاج عباس باشا لازال بصولة عدله جيش المظالم يتلاشى ولا برح قرير العين بأنجاله محفوظ الجناب نافذ القول فى حاله واستقباله ولا فتئ لواء عزه منشورا ولا انفك سعيه مشكورا طبع كتاب الخطط للعلامة المقريزى الشهير المجمع على فضله وعموم نفعه بلا نكير كيف لا وقد جمع من تخطيط الحكومة المصريه وما يتعلق بها من المواد الجغرافية والتاريخيه وذكر أصناف أهلها وولاتها وما عرض لها من تقلبات الازمان وتغيراتها وما تضمنته من الاخلاق والعوايد الصحيح منها والفاسد وما توارد عليها من الدول والحكومات واختلاف الملل والديانات وغير ذلك من الفوائد وصحيح الادلة والشواهد وعجائب الاخبار وغرائب الآثار ما يبغى الحاذق اللبيب ويكفى الماهر الاريب ويعتبر به المعتبرون ويتفكه به المتسامرون بل هو النديم الذى لا يمل والانيس الذى فى استصحابه تهون الكرائم وتبذل بيد أنه يتحفك من تاريخ مصر بأظرف تحفه ويمنحك من طريف جغرافيتها وتليدها الطف طرفه ويسكنك من قصور أنبائها على غرفه ويشقك من زهر روض أخبارها شميمه وعرفه غير أنه لما كان فن التاريخ مع جليل نفعه وجزيل فائدته عند أرباب المعارف وعظيم وقعه قد رميت سوقه فى هذه الازمان بالكساد وتقاصرت عنه الهمم من كل حاضر وباد كان هذا الكتاب مما خيمت عليه عناكب النسيان وعزت نسخه فى ديارنا حتى كاد لا يعثر بها انسان فانها فى اقليلة محصوره متروكة الاستعمال مهجوره فكانت مع قلتها عارية عن صحتها فكم فيها من تحريف فاحش وسقط متفاحش وغلط مخل وخطا مضجر ممل يفضى بالقارئ الى الملل ويعوضه عن النشاط الكسل لكن بحمد الله وعونه وعظيم فضله ومنه وبذل المجهود فى التصحيح واستفراغ الوسع فى التحرير والتنقيح جاءت النسخة المطبوعة صحيحة حسب الامكان جديرة بأن تحل محل القبول والاستحسان فان ما كان من عباراته بالتحريف سقيما ولم يفهم معنى مستقيما أجلت فيه ذهنى مع قصوره وكلفته التسلق على قصوره فان فتح له باب الرشاد وألهم المعنى المراد حمدت ربى حيث نلت اربى وان كانت الاخرى وكبا زند الفهم وما اورى نبهت على وجه التوقف فى الحاشية بالعباره أو رمزت فيها برقم هندى ليكون الى التوقف اشاره وربما اشرت الى الصواب لكن على سبيل الرجاء فى الاستصواب وربما مرت بك تعداد بعض اشياء يشم منها مخالفة العربيه وتفصيل امور تأباه بحسب الظاهر القواعد النحويه وعذرنا فى ذلك أن المؤلف نقلها كذلك عمن نقلها عن جريدة حساب وأثبتها على ما هى عليه فى تقييدات الكتاب فأبقيناها على حالها ولم ننسجها على غير منوالها حرصا على عدم التغيير فى عبارات المؤلفين حسبما نص عليه ائمة الدين لاسيما والمعنى معه ظاهر لا يخفى على السامع والناظر ثم انه لبعض الاسباب فاتنى تصحيح نحو اثنتين وعشرين ملزمة من أول الجزء الاول ومثلهما من أول الثانى من هذا الكتاب لكن ان شاء الله تعالى يحصل الاطلاع عليها والنظر بعين التامل اليها فان عثر فيها على ما يلزم التنبيه عليه والاشارة اليه نبهت عليه وأثبت ما يخص كل جزء بلاصقه ليكون كل منهما مستوفيا لما حقه هذا وكأنى بمتشدق متشدق يجعل ببذاءة اللسان ولا يحقق قد استولى عليه الحسد فأعمى بصيرته ورفع بالذم والتشنيع عقيرته قائلا ما لا يليق الا به مذيعا ما هو أولى به وما درى الجهول أن فن التصحيح خطر دقيق وصاحبه بضد ما يتبجح به جدير حقيق ولو ذاق لعرف وبالعجز أقر واعترف وبالجملة فذمته يشهد لى بالكمال آخذا بقول من قال

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

على أنى والله معترف بقلة البضاعه وعدم الاهلية لهذه الصناعه ولكنها هى اقامات وانما الاعمال بالنيات

وأفوض امرى الى اللطيف الخبير فانه نعم المولى ونعم النصير وكان طبع هذا الكتاب بدار الطباعة المصريه المنشأة ببولاق القاهرة المعزيه لازالت بأنفاس الحضرة الآصفيه منبع النشر الكتب النافعة العليه تحت ملاحظة صاحب نظارتها القائم بتدبيرها وادارتها رب القلم الذى لا يبارى والانشاء الذى لا يجارى من أحرز قصب السبق فى ميدان البراعه وانقاد له كل معنى ابى واطاعه حضرة على افندى جوده بلغه الله فى الدارين مأموله وقصده وكان طبعه على ذمة ملتزمه المتسبب بعد الطى فى نشر علمه واشتهاره فى الاقطار واستعماله عند أهل القرى والامصار الباذل فى ذلك نفائس الكرائم المستصغر فى استحصاله الصعائب والعظائم المستنصر بمولاه فى حالتى الضعف والايد الخواجه رفائيل عبيد وقد وافق تاريخ تمامه وانتهاء الطبع الى حسن ختامه يوم الاثنين التاسع عشر من شهر اليمن والخير صفر الذى هو من شهور سنة ألف ومائتين وسبعين من هجرة سيد النبيين والمرسلين صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين وعلى كل الصحابة والتابعين ورزقنا بجاههم الاعتصام بحبله على الدوام ومنحنا التوفيق لما يرضيه والفوز بحسن الختام امين

تم

خط

صحيفه

صحيفه

الجاشنكير

تمت فهرست الجزء الثاني من كتاب الخطط للمقريزي

بيان الخطا والصواب فى الجزء الثانى من كتاب الخطط

خطا	صواب	صحيفه	سطر
رزبك	رزيك (وهكذا كل ماأتى بعده)	٠٥	٠٣
رفع الى قفاه	رفع على قناة	١٣	٢٧
كسفا	كتبغا (وهكذا فى كل مابعده)	٢٢	٢١
الصوص	اللوص	٢٢	٢٧
كافة	كاظة	٢٣	١٧
ذرى	ودى	٢٦	١٦
الشرارين	الشراوسين	٣١	٠١
وصاروا الى القاهرة	وصاروا الى القاهرة	٣٢	١٩
تنكو	تنكز (وهكذا ماياتى بعد)	٣٤	٣٨
فى تأنيه	فى ما تيه	٣٥	١٨
السلاحى	السلامى	٣٦	٠٧
أبى الحسب	أبى الحسين	٣٦	١٩
حضر دمنة.	حضر رمبتة (وهكذا مابعده)	٣٩	١٨
جنكرخان	جنكزخان (وهكذا مابعده)	٤٠	٣٩
تبنيت	تشبيب	٤١	١٤
والمأخوذة	والباحورة	٤٣	٢٩
الناصر قلاون تغير	الناصر تغير	٤٣	٢٩
الواقدى أيام	الواقد فى أيام	٤٤	١١
مقدمى الخلفاء	مقدمى الحلقة	٤٤	١٣
أبى الرفعة	ابن الرفعة	٤٦	٠٦
وسبعمائة	وستمائة	٤٦	٢٥و٢٧
المسكين	المسلمين	٤٦	٣٣
أى ملك	ال ملك	٤٨	٠٦
وقد يقال للمبنى من غير	وقد يقال للمبنى والبيت أخص من غير	٥١	٣٤
وأبيهما	وأباهما	٥٢	٢٦
أيضا من	هى أيضا من	٥٣	١٧
حورا	جوزوا	٥٨	١٣
الامير مرداش بارث ابنته	الامير مرداش فلما قتل الناصر وقام من بعده الملك المؤيد شيخ وقبض على الامير مرداش ثارت ابنة	٥٩	١٢
صرغتمش فى حل	صرغتمش حل	٥٩	٢٣
وأمير المؤمنين	وامين الدين	٦٢	٠١
تشاور الجند	ثار الجند	٦٣	٢٥
جارله مما جناه جناب	جان له مما جناه متاب	٦٤	١٧
انشأها	انشأه	٦٨	١٠
بيرس	بيسرى	٦٩	٠٥
فى اليوم ستين	فى اليوم مبلغ ستين	٦٩	٢٨
منكرتمر	منكوتمر (وهكذا مابعد)	٧٠	٠٥

تنبيت

خطا	صواب	صحيفه	سطر
عناية قاضى القضاة	عناية لحكم قاضى القضاة	٧١	٠٢
فى عمل حجن	فى عمله حنبا	٧١	٢٨
وسار أرباب	وسائر أرباب	٧٢	٠٧
صالح بن قلاون	صالح بن محمد بن قلاون	٧٣	٢٠
اقبغا اص فى سابع	اقبغا آص فى ثامن شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين فباشر ذلك الى ان صرف بابن اقبغا آص فى سابع	٧٥	١٨
يوم حنين سره ذلك فلما	يوم حنين فلما	٧٦	١٥
من درهم صاحب حمام	من درهم يعطيه صاحب حمام	٧٩	٣٧
الى ملك القاضى السعيد	الى ملك القاضى رضى الدين عبد الناصر بن تقى الدين فعرفت به ثم صارت الى ملك القاضى السعيد	٨٣	٢٣
له اسوة فاستحسن	له اسوة براسى فاستحسن	٨٨	٠١

هذا ما وجدناه فى الملازم الاول من الجزء الثانى مما يلزم التنبيه عليه واكثره فى الغالب من تحريف النسخ التى طبع منها هذا الكتاب كما يعلم بالوقوف عليها